

كتاب

لؤلؤ الأضواء البهية وسواطع الأسرار الأثرية

لشرح

الدرة المضية في عقد الفرق المرضية

تأليف

العالم الطويل الباع الواسع الاطلاع صاحب البهان الجلى
الشيخ محمد بن احمد السفاريني الاثرى الحنبلى

رحمه الله تعالى

الجزء الأول

أخذه تعليقات هذا الكتاب من التعليقات التى على برا على النسخة المخطوطة
مضى الديار النورية الشيخ عبدالله بن عبد الرحمن أبا بطين السوفى عام ١٢٨٢ هجرية
والشيخ سليمان بن سمان وغيرهما من أهل العلم ..

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي تقدست عن الاشباه ذاته ، وتنزهت عن سمات الحدوث صفاته ، ودلت على وجوده وقدمه مخلوقاته ، وشهدت برؤيته وألوهيته مصنوعاته ، وأقرت بالافتقار (١) اليه برياته ، وأذعنت لعظمته وحكمته مبتدعاته ، سبحانه من اله (٢) تحيرت العقول فى بديع حكمته ، وخضعت الالباب لرفيع عظمته ، وذلك الجبابة لعظيم (٣) عزته ، ودلت على وحدانيته محدثاته ، يعطى ويمنع ، ويخفض ويرفع ، ويوصل ويقطع ، فلا يسأل عما يصنع ، كما نطقت به آياته ، وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ولا ند ولا سند ولا ظهير ولا وزير فالكل خلقه واليه غاياته ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، وحبيه وخليله ، وأمينه على وحيه ، وشهيد على أمره ونهيه ، من بهرت (٤) العقول معجزاته ، وأعجزت النقول دلائل نبوته وارهاساته (٥) ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ، واصهاره (٦) وأحبابه ، وأنصاره وأحزابه ، ما دامت آلاء الله وأرضه وسمواته ، وما انقضت (٧) بؤر رسالاته غياهب الشرك وظلماته ، وابتسمت الايام بعد عبوسها ، وظهرت (٨) الاحكام بعد طموسها ، وتأيّنت الاوقات بعد يبوسها ، وولى ظلام الظلم وانمحت آفاته ، أما بعد فيقول العبد الفقير الى مولاه العلى ، محمد ابن الحاج أحمد السفاريني (٩) الاثرى الحنبلى ، قد كان فى سنة ثلاث وسبعين بعد المائة وألف طلب

الإشارة « مط » فى التعليقات تعنى النسخة المطبوعة و « مخ » تعنى النسخة المخطوطة

(١) مط « بالانقياد » (٢) مط « سبحان من اليه (٣) مخ « لمنيع » (٤) مط « أبهرت » (٥) بهامش مخ : الارهاصات ما يتقدم على البعثة من الحوارق يكون توطئة لها كقصة الفيل قاله المصنف فى باب معجزات الانبياء أه (٦) مط « واطهاره » (٧) مط « انشقت » (٨) مط « وأظهرت » (٩) بهامش مخ : نسبة الى سفارين قرية من أعمال نابلس أه

منى بعض أصحابنا التجديين ان أنظم أمهات مسائل اعتقادات أهل الاثر ،
فى سلك سهل لطيف معتبر ، ليسهل على المبتدئين (١) حفظه ، وتفهمهم
معانيه ولفظه ، وذلك بعد قراءتهم علينا من مختصرات العقائد (٢) جملة
كلمة (٣) الامام الموفق ، ومختصر نهاية المبتدئين لشيخ مشايخنا
البدري البلياني ، والعين والاثر للشيخ عبد الباقي والدأبى المواهب ، فابتهج
قلبه بما أوفقناه عليه من الفوائد ، فتعلت باشتغال (البال ، وتشويش - ٤)
الخاطر بالبلبال (٥) وتشتت الأفكار (وتفسير الاطوار ٦) فألج
بالسؤال (٧) والالتماس ، وقال ما فى فراغك عن هذه الحواطر واشتغالك بهذا
المطلوب الحاضر مدة من باس ، فلما لم يندفع بالاندفاع ، ولم يفسد
التعليل (٨) لهذا الطالب المتنازع ، نظمت أمهات مسائل عقائد السلف فى
سسط (٩) عقد أبهى من الآلىء البهية ، وسميتها (الدرّة المضية فى عقد
أهل الفرقة المرضية) وعدتها مائتا بيت وبضعة عشر ، وتكفى وتشفى من
معظم الخلاف الذى ذاع وانتشر . ثم بعد تمام نظمها ، والفراغ مما أودع فى
ضمنها من (١٠) علمها ، ألح المذكور واخوانه ، وذووه وخلانها (١١)
على تصنيف شرح (١٢) لهذا العقد الذى شفا وأبرى ، وقالوا صاحب البيت
بالذى فيه أدرى ، فتجشمت تلك المسالك الوعرة ، والمدارك التى تقاعس
عن ادراك حقائقها غير الالمية المهرة ، فانى وان كنت غير ألمعى ولا ماهر ،
ولكنى تطفلت على ما أودع حذاق هذا الشأن فى الطروس والدفاتر ،
فأجبتهم انجاحا لمطلوبهم ، وطلبا لشفاء صدورهم وصلاح قلوبهم ، وعولت
فيما قصدت على المولى الجواد الجليل ، فهو عونى وحسبى ونعم الوكيل .
رسميته (بلوامع (١٣) الانوار البهية ، وسواطع الاسرار الاثرية ، لشرح

(١) مط «المبتدىء» (٢) مط «وعقائد» (٣) بهامش مخ : اللعمسة
فى اللغة القطعة من النبات اذا أخذت فى اليبس كما فى القاموس ثم استعير
للقطعة من الكتب .

(٤) زيادة من مخ (٥) بهامش مخ : البلبال شدة الهم والوساوس كما
فى القاموس أه (٦) من مخ وبهامشها : أى الحاجات أه (٧) مخ
« فى السؤال »

(٨) مط «التعلل» (٩) بهامش مخ : السمط الحيط الذى ينظم به اللؤلؤ .
أه (١٠) مخ : فى ضمن (١١) مخ «واخذانه» (١٢) مط «يشرح» (١٣) مط «بلوامع» .

اندره المضية فى عقد الفرقة المرضية) • ولأقدم أمام المطلوب مقدمة ، تشمل على عشر تعريفات محتمة ، فأقول بعد البراءة من القوة والحول ، والاعتماد على ذى الكرم والطول ••

المقدمة المشتملة على عدة تعريفات (التعريف الاول)

المقدمة وتقسيم
الشريعة الى
علوم

اعلم ان الملة المحمدية تنقسم الى اعتقادات وعمليات ، فلاعتقادات هي التي لم تتعلق بكيفية عمل مثل اعتقاد وجوب وجود القادر المختار ووحدانته ، وتسمى أصلية أيضا • والعمليات هي ما يتعلق بكيفية العمل ، وتسمى فرعية ، فالتعلق بالعملية علم الشرائع والاحكام لانها لا تستفاد الا من (جهة-١) الشرع فلا يسبق الفهم عند اطلاق الاحكام الا اليها ، والمتعلق بالاعتقادات هو علم التوحيد والصفات ، وعلم الكلام ، وعلم أصول الدين • ولما كان هذا العلم أهم لابتناء العمليات عليه أوردوا البراهين والحجج عليه واكتفوا فى العمليات بالظن المستفاد من الادلة السمعية ، ولما كان عصر الصحابة والتابعين لهم باحسان خاليا من البدع الكلامية ، والشبه الخيالية ، والخصوم المعتزلية ، لم تكن أدلة علم أصول الدين مدونة هذا التدوين ، فلما كثرت الشبه والبدع ، وانتشر الاختلاف بين أهل العلم وفشا وسطع ، وصار كل امام بدعة له نحلة يعول عليها ، وعقيدة يدعو الناس اليها ، وأوضاع يرجع فى مهماته اليها ، دون علماء الكلام قواعد المعلومة ، وأوضاعه المفهومة ، لدفع الشبه والخصوم ، وردهم عن تهافتهم الى الصواب المعلوم ، عن النبى المعصوم •

تعريف علم
الكلام ومبادئه

وعلم الكلام هو علم يقتدر معه على اثبات العقائد الدينية أى المنسوبة الى دين النبى صلى الله عليه وسلم وان لم تكن مطابقة للواقع لعدم اخراج الخصم من المعتزلة والجهمية والقدرية والجبرية والكرامية وغيرهم عن أن

يكون من علماء الكلام وان خطأناه أو كفرناه • (وقيل) تعريف علم الكلام الذى هو التوحيد وأصول الدين : العلم بالعقائد الدينية عن الأدلة اليقينية ، أى العلم بالقواعد الشرعية الاعتقادية المكتسبة من أدلتها اليقينية ، سواء توقفت على الشرع كالسمعيات أم لا ، وسواء كانت من الدين فى الواقع ككلام أهل الحق أولا ككلام المخالف ، واعتبر فى أدلتها اليقين لانه لا عبرة بالظن فى الاعتقادات بل فى العمليات « وموضوعه » هو المعلوم من حيث يتعلق به اثبات العقائد الدينية اذ موضوع كل علم ما يبحث فى ذلك العلم عن عوارضه الذاتية ، ولاشك انه يبحث فى هذا العلم عن أحوال الصانع ، من القدم والوحدة والقدرة والارادة وغيرها ليعتقد ثبوتها له تعالى ، وأحوال الجسم والعرض من الحدوث والافتقار والتركيب من الاجزاء وقبول الفناء ونحو ذلك ليثبت للصانع ما ذكر (١) مما هو عقيدة اسلامية أو وسيلة اليها ، وكل هذا بحث عن أحوال المعلوم كاثبات العقائد الدينية ، وهذا أولى من زعم ان موضوعه ذات الله تعالى وتقدس للبحث عن صفاته وأفعاله واعلم انا لا نأخذ الاعتقادات الاسلامية من القواعد الكلامية ، بل انما نأخذها من النصوص القرآنية والاخبار النبوية ، وليس القصد بالاوضاع الكلامية الادفع شبه الخصوم والفرق الضالة عن الطرق الحقية ، فانهم طعنوا فى بعض منها بأنه غير معقول فبين لهم بالقواعد الكلامية معقولة ذلك البعض • (واستمداد) هذا الفن من الكتاب المنزل والتفسير والحديث الثابت والفقهاء والاجماع والنظر • (ومسائله) القضايا النظرية الشرعية الاعتقادية • (وغايته) أن يصير الايمان والتصديق بالاحكام الشرعية متقنا محكما لاتنزله شبهة من شبه المبطلين • (ومنفعته) فى الدنيا انتظام أمر المعاش بالمحافظة على العدل والمعاملة التى يحتاج اليها فى ابقاء النوع الانسانى على وجه لا يؤدى الى الفساد ، وفى الآخرة النجاة من العذاب المرتب على الكفر وسوء الاعتقاد • وسيأتى حد كل بحث من هذا عند ذكره فى النظم ان شاء الله تعالى والله تعالى الموفق

(١) يعنى من القدم وما تقدم معه وانظر ما يأتى من التعليق على أوائل الباب الاول •

(الثاني)

التنازع في
الدين وما يجب
فيه

اعلم ان الصحابة الكرام قد تنازعوا في كثير من مسائل الأحكام وهم سادات المؤمنين وأكمل الأمة ايمانا بلا انفصام ، ولكن بحمد الله تعالى لم يتنازعوا في مسألة واحدة من مسائل الاسماء والصفات والافعال ، بل كلهم على ائناس ما نطق به الكتاب والسنة على كل حال ، فكلمتهم واحدة من أولهم الى آخرهم لم يسوموها تأويلا ، ولم يحرفوها عن مواضعها تبديلا ، ولم يبدوا الشيء منها ابطلا ، ولا ضربوا لها مثالا ، ولم يدفعوا في صدورهم وأعجازها ، ولم يقل أحد منهم يجب صرفها عن حقائقها وحملها على مجازها . بل تلقوها بالقبول والتسليم ، وقابلوها بالايمان والتعظيم ، ولم يفعلوا كما فعل أهل الاهواء والبدع حيث جعلوا القرآن عسرين ، فأقروا ببعض آيات الصفات وأنكروا بعضها من غير فرقان مبين ، مع ان اللزام لهم فيما أنكروه ، كاللزام لهم فيما أقروا به وأثبتوه ، فأهل الايمان اذا تنازعوا في شيء من القرآن ، ردوه الى الله ورسوله كما رتب عليه الايمان ، فكل ما تنازع فيه المؤمنون من مسائل الدين دقه وجله عليه وخفيه رده اليهما ، فلو لم يكن في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم بيان ما تنازعوا فيه لم يأمر الله بالرد اليه ، اذ من الممتع أن يأمر تعالى بالرد عند النزاع الى من لا يوجد عنده فصل النزاع ، وقد أجمع الناس على أن الرد الى الله هو الرد الى كتابه ، والرد الى الرسول صلى الله عليه وسلم هو الرد اليه نفسه في حياته والى سنته صلى الله عليه وسلم بعد وفاته ، وقد جعل الله هذا الرد من موجبات الايمان ولوازمه ، فاذا انتفى الايمان ضرورة انتفاء الملزوم لانتهاء لازمه ولا سيما التلازم بين هذين الامرين فانه من الطرفين ، فكل منهما ينتفى بانتفاء الآخر ، وقد نهى الصديق ثم الفاروق ومن بعدهما من الصحابة عن القول بالرأى حتى قال عمر رضى الله عنه : ان أصحاب الرأى أعداء السنن أعيتهم الاحاديث أن يعوها ، ونقلت منهم أن يحفظوها فقالوا في الدين برأيهم فضلوا وأضلوا . وقال رضى الله عنه : أيها الناس اتهموا الرأى في الدين فلقد رأيتني واني لأرد أمر رسول

الله صلى الله عليه وسلم برأى فأجتهد ولا آلو وذلك يوم أبى جندل -
(يعنى يوم قضية الحديدية) • وأضل كل رأى وأبطله وأفسده وأعطله
الرأى المتضمن لتعطيل أسماء الرب وصفاته وأفعاله بالمقاييس الباطلة التى
وضعها أهل البدع والضلال من الجهمية والمعتزلة والقدرية ومن ضاهاهم
حيث استعملوا قياساتهم الفاسدة وأراءهم الباطلة وشبههم الداخضة (١)
فى رد النصوص الصحيحة والآيات الصريحة ، فردوا لأجلها ألفاظ
النصوص التى وجدوا السبيل الى تكذيب روايتها وتخطئتهم ، وحرفوا
المعانى التى لم يجدوا الى رد ألفاظها سيلا ، فقابلوا النوع الاول بالتكذيب ،
والنوع الثانى بالتحريف والتأويل ، فأنكروا رؤية المؤمنين ربهم فى
الأخرة ، وأنكروا كلامه وتكليمه لعباده ، وأنكروا مبايئته للعالم واستواءه
على عرشه ، وعموم قدرته ، وحرفوا النصوص عن مواضعها وأخرجوها
عن معانيها وحقائقها بالرأى المجرد الذى حقيقته انه زبالة الاذهان ونخالة
الافكار وعصارة الآراء ووساوس الصدور ، فملأوا به الاوراق سوادا ،
والقلوب شكوكا والعالم فسادا ، فكل من له مسكة من علم ودرية من فهم
يعلم ان فساد العالم وخرابه انما نشأ من تقديم الرأى على الوحي والهوى
على النقل ، وما استحكم هذان الاصلان الفاسدان فى قلب الا استحكم هلاكه
ولا فى أمة الا وفسد أمرها أتم فساد ، وقد قال الامام أحمد رضى الله عنه :
رأى فلان ورأى فلان ورأى فلان عندى سواء وانما الحججة فى الآثار ،
وروى ابن عبد البر بسنده عن عبد الله بن الامام أحمد بن حنبل عن أبيه
رضى الله عنه :

نعم الملية للفتى الاخبار
فالرأى ليل والحديث نهار
والشمس طالعة لها أنوار

قال الصحابة ليس خلف فيه
بين النصوص وبين رأى فقيه

دين النبى محمد آثار
لا تعد عن علم الحديث وأهله
ولربما جهل الفتى طرق الهدى
وقال بعض أهل العلم وأحسن :
العلم قال الله قال رسوله
ماالعلم نصيبك للخلاف سفاهة

كلا ولا رد النصوص تعمدا حاشا النصوص من الذى رميت به
حذرا من التجسيم والتشبيه من فرقة التعطيل والتمويه

ثم ان الرأى المذموم هو الرأى المجرد الذى لا دليل عليه من كتاب ولا سنة ولا قياس جلى بل هو خرص وتخمين ، فهذا الرأى الذى ورد التحذير منه والتنفير عنه ، وأما الرأى المستند الى الاستدلال والاستنباط من النص وحده أو من نص آخر معه فى الأحكام فهذا من أطف، فهم النصوص وأدقه وما ورد عن السلف مما يشعر بمدح الرأى وقبوله فالمراد به هذا والله أعلم •

(الثالث)

الرأى والتأويل وسبب انتشار البدع

الرأى مصدر رأى رأيا مهموز والجمع آراء (١) وهو التفكير فى مبادئ الأمور ونظر عواقبها وعلم ما تؤول اليه من الخطأ والصواب ، وأصحاب الرأى عند الفقهاء هم أهل القياس والتأويل كأصحاب الامام أبى حنيفة رأبى الحسن الاشعري • وأصحاب الرأى ضد أصحاب الظاهر من داود (٢) وابن حزم (٣) ومن نحا نحوهم • وأصحاب التأويل ضد أصحابنا من اتباع المأثور والمرور كما جاء مع التفويض واغترقاد التنزيه بأن الله ليس كمثل شئ وهو السميع البصير • وكان سبب انتشار البدع وظهورها وزيادتها ونشورها المأمون بن هارون الرشيد واسمه عبد الله وكنيته أبو العباس سابع خلفاء بنى العباس وأمه (أمة - ٤) اسمها مراجل ، ولى الخلافة سنة مائة وسبعين (٥) وكان من رجال بنى العباس حزما وعزما وحلما وعلما ورأيا ودهاء وشجاعة وبراعة وفصاحة وسماحة الا أنه كان رافضيا معتزليا قدريا فهو خبيث الاعتقاد ، كبير الفساد والعدا • وفى سنة مائتين واحدى عشر أمر أن ينادى : برئت الذمة ممن ذكر معاوية

(١) مط «ارى» (٢) بهامش مخ : ابن على الظاهرى نسبة الى الظاهرلانه يأخذ بظاهر الحديث اهـ (٣) بهامش مخ : أبو محمد بن حزم الظاهرى كان يقال سيف الحجاج ولسان ابن حزم شقيقان أهـ (٤) من مخ (٥) بهامش مط : قوله ولى الخلافة سنة الخ هو سبق قلم وانما هذا عام ولادته وانما ولايته على ما ذكر المؤرخون سنة مائة وثمان وتسعين

(رضى الله عنه) بخير فان أفضل الخلفاء بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبي طالب رضى الله عنه . وفى سنة مائتين واثنتى عشرة أظهر المأمون القول بخلق القرآن مضافا الى تفضيل على بن أبي طالب رضى الله عنه على الشيخين أبى بكر وعمر رضى الله عنهما فاشتمارت منه النفوس ودعا الناس لرأيه المعكوس وكادت الفتن أن تقوم على ساقها . فكف عن ذلك الى سنة ثمان عشرة فامتحن الناس بالقول بخلق القرآن فأجاب من أجاب طوعا وكرها وامتنع سيدنا الامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه ومن امتنع معه من أئمة الحديث ، وطلب الامام أحمد فهلك المأمون ولم يره الامام أحمد ولله الحمد ، وكان هلاك المأمون فى شهر رجب سنة ثمان عشرة بعد المائتين .

كتب اليونان وفتنة المأمون

قال العلماء ان المأمون لما هادن بعض ملوك النصارى - أظنه صاحب جزيرة قبرس - طلب منه خزانة كتب اليونان وكانت عندهم مجموعة فى بيت لا يظهر عليه أحد فجمع الملك خواصه من ذوى الرأى واستشارهم فى ذلك فكلهم أشاروا بعدم تجهيزها اليه الا مطران واحد فانه قال : جهزها اليهم فما دخلت هذه العلوم على دولة شرعية الا أفسدتها وأوقعت بين علمائها . قال الصلاح الصفدى : حدثنى من أثق به ان شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله روحه كان يقول : ما أظن ان الله يغفل عن المأمون ولا بد أن يقابله على ما اعتمده مع هذه الامة من ادخال هذه العلوم الفلسفية بين أهلها . قال الصلاح الصفدى : لم يتكر (١) المأمون النقل والتعريب بل فعل ذلك قبله كثير فان يحيى بن خالد البرمكى عرب من كتب الفرس قليلة ودمنة وعرب لأجله كتاب المجسطى من كتب اليونان . والمشهور أن أول من عرب كتب اليونان خالد بن يزيد بن معاوية لما ولع بكتب الكيمياء .

ثم قال الصفدى : والخلاف ما زال فى هذه الامة منذ توفى صلى الله عليه وسلم حتى فى موته ودفنه وأمر الخلافة بعده وأمر ميراثه وأمر قتال مانعى الزكاة الى غير ذلك ، بل فى نفس مرضه صلى الله عليه وسلم لما

(١) مط « يستبكر »

قال « اتتوني بدواة وقرطاس اكتب لكم كتابا لا تضلوا بعدي » على ما هو
مذكور في مواطنه ، وقد روى أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال « ان بنى اسرائيل افرقوا على احدى وسبعين
فرقة ، وان امتى ستفرق على اثنتين وسبعين فرقة كلها فى النار الا واحدة
وهى الجماعة » وهو صلى الله عليه وسلم الصادق المصدوق الذى لا ينطق
عن الهوى قد أحبر أن هذه الامة ستفرق ، ومتى افرقت خالف بعضها
بعضا ، ومتى خالفت تمسكت بشبه وحجج وناظر كل فرقة من تخالفها
فانفتح باب الجدل واحتاج كل أحد الى ترجيح مذهبه ، وقوله بحجة
عقلية أو نقلية أو مركبة منهما ، فهذا الامر كان مأمونا قبل المأمون ، نعم
زاد الشر والضرر وقويت به حجج المعتزلة وغيرهم وأخذ أصحاب الأهواء
ومخالفو السنة مقدمات عقلية من الفلاسفة فأدخلوها فى مباحثهم وفرجوا
بها مضايق جدالهم وبنوا عليها قواعد بدعهم فأتسع الحرق على الراقع وكاد (١)
منار الحق الواحد يشتهه بالثلاث الأثافي والرسوم البلاقع ، على أن
السنة الشريفة مرفوعة المنار مأمونة السرار خافقة الاعلام راسخة الاحلام
باهرة السنا ساطعة الجنى

ويزيدها من اللبالي جدة وتقادم الايام حسن شباب
وأهل السنة قد فتح لهم السلف الصالح مغلق أبوابها ، وذلوا
بالشواهد الصادقة الصادعة ما جمح من صعابها ، وأطلعوا نيرها الاعظم
فطمس من البدع تألق شهابها ، وأجنوا من اتباع هديهم ثمر اليقين متحد
النوع وان كان متشابها ، وجاسوا خلال الحق فميزوه وأهل مكة أخبر
بشعابها

ومن قال ان الشهب أكبرها السها بغير دليل كذبه الدلائل
وما ذكره الصلاح الصفدى مما يشم منه رائحة العذر للمأمون عما
أدخله على الامة فيه حق وباطل ، فأصل الخلاف كان موجودا الا أنه فى
أمر يسهل بعضها بخلاف ما فشا بفتنة المأمون . قال الامام الحافظ الذهبى
فى كتابه العرش : لما ولى المأمون وكان متكلمة عربت له كتب الاوائل فدعا

الناس الى القول بخلق القرآن وتهديمهم وخوفهم فأجابه خلق كثير رغبة ورهبة وامتنع من اجابته الامام أحمد بن حنبل وأبو مسهر عالم دمشق ونعيم بن حماد عالم مصر والبويطى فقيه مصر وعفان محدث العراق وطائفة سواهم فسجنهم ثم لم ينشب ان مات بطرسسوس ودفن ثم استخلف بعده أخوه المعتصم فامتحن الناس ونهض باعباء المحنة قاضيه أحمد بن أبى دؤاد وضربوا الامام أحمد رضى الله عنه ضربا مبرحا فلم يجيبهم وناظروه وجرت أمور صعبة • انتهى •

ترجمة علوم الاول

وأما خالد بن يزيد فعربت له كتب الطب والنجوم ، وقيل الذى عربت له كتب الطب والنجوم المنصور ، وأما خالد فانما ولعه فى صنعة الكيمياء وله فى ذلك رسائل وكان قد أخذ تلك الصناعة عن رجل من الرهبان يقال له مرياس الرومى (١) • وأما المنصور فأول خليفة ترجمت له الكتب السريانية والاعجمية بالعربية مثل كذبة ودمنة وأقليدس كما فى تاريخ الخلفاء للحافظ جلال الدين السيوطى • وقال : وهو أول خليفة قرب المنجمين وعمل بأحكام النجوم • وأما المأمون فهو أول من أدخل علم المنطق وسائر العلوم اليونانية فى الملة الاسلامية وأحضرها من جزيرة قبرص وترجمت له كتب كثيرة كما فى أوائل السيوطى • انتهى • وبسبب ذلك حدثت الفتن بين المسلمين ، والبغى على أئمة الدين ، وظهر اختلاف الآراء ، والميل الى البدع والاهواء ، وكثرت الوقائع والاختلافات ، والرجوع الى العلماء فى المهمات ، فاشتغلوا بالنظر والاستدلال ، والاجتهاد والاستنباط وتمهد القواعد والاصول ، وترتيب الابواب والفصول ، وتكثير المسائل بادلتها ، وايراد الشبه بأجوبتها ، وتعيين الاوضاع والاصطلاحات ، وتبيين المذاهب والاختلافات ، فسموا ما يفيد معرفة الاحكام العملية عن أدلتها التفصيلية بالفقه ، ومعرفة أحوال الادلة اجمالا فى افادتها الاحكام بأصول الفقه ، ومعرفة العقائد عن أدلتها بالكلام المشتق من الكلم وهو الجرح ومعظم خلافياته مع الفرق الاسلامية خصوصا المعتزلة لانهم أول فرقة أسسوا قواعد الخلاف لما ورد به ظاهر السنة وجرى عليه جماعة الصحابة

رضى الله عنهم فى باب العقائد •

فأول من صنف فى علم الكلام والجدال والخصام مع أهل السنة والجماعة أبو حذيفة واصل بن عطاء وهو رئيس المعتزلة وأول من سمي معتزليا اعتزل مجلس الحسن البصرى رحمه الله فسمى بذلك • كان واصل بن عطاء هذا أحد البلغاء المتكلمين فى علم الكلام وغيره وكان يلثغ بالراء فيجعلها غينا وكان أحد الاعاجيب لان لثغته كانت قبيحة جدا فكان يخلص كلامه من الراء ولا يفظن لذلك لاقتداره على الكلام وسهولة ألفاظه • وذكر ابن خلكان كغيره من أهل التاريخ وأخبار الناس ان واصل ابن عطاء كان يجلس الى الحسن البصرى رحمه الله فلما ظهر الاختلاف فقالت الخوارج بتكفير مرتكبي الكبيرة وقالت الجماعة بأنهم مؤمنون وان فسقوا بالكبائر فخرج واصل بن عطاء عن الفريقين ، وقال ان الفاسق من هذه الامة لا مؤمن ولا كافر منزلة بين منزلتين ، فطرده الحسن عن مجلسه فاعتزل عنه وجلس اليه عمرو بن عبيد فقيل لهما ولاتباعهما معتزلون • فهذا سبب تسميتهم بالمعتزلة • ولواصل من التصانيف كتاب المرجئة ، وكتاب التوبة ، وكتاب المنزلة بين المنزلتين ، وكتاب خطبته التى أخرج منها الراء ، وكتاب معانى القرآن ، وكتاب الخطب فى العدل والتوحيد ، وكتاب ما جرى بينه وبين عمرو بن عبيد ، وكتاب السبيل الى معرفة الحق ، وغير ذلك • وكانت ولادته سنة ثمانين من الهجرة بمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتوفى سنة احدى وثلاثين ومائة وهو من موالى بنى منبه (?) وقيل من موالى بنى مخزوم

أول مصنف فى
الكلام وأمر
المعتزلة وواصل
ابن عطاء

وأما عمرو بن عبيد بن باب فمن موالى بنى عقيل آل غزادة (١) بن يربوع بن مالك ، كان جده باب من سبى كابل (٢) من جبال السند ، وكان عمرو شيخ المعتزلة فى وقته ، وله كتاب تفسير عن الحسن البصرى ، وله كتاب الرد على القدرية ، وله كلام كثير فى العدل والتوحيد على اعتقاد المعتزلة • وولد سنة ثمانين من الهجرة ومات سنة أربع وأربعين ومائة وهو

عمرو بن عبيد

(١) كذا وفى تاريخ بغداد « عرادة » (٢) مط « كالمثل »

راجع الى (٩) مكة بموضع يقال له مران على ليلتين من مكة (١) من جهة البصرة والله أعلم

(الرابع)

الخبر وتعريف
الصدق والكذب

الخبر ان يطابق ما فى الخارج فهو صدق ، وان لم يطابق الواقع فى الخارج فهو كذب ، ولا فرق فى ذلك بين اعتقاد المطابقة مع الصدق أو عدمها مع الكذب وبين ان لا يعتقد شيئا أو يعتقد عدم المطابقة مع وجودها أو يعتقد وجودها مع عدمها . فاذا علم هذا علم انه لا واسطة بين الصدق والكذب ، وهذا مذهب أهل الحق خلافاً للجاحظ فى زعمه ان المطابقة مع اعتقاد المطابقة صدق ، وغير المطابقة مع اعتقاد عدم المطابقة كذب ، وغيرهما واسطة لا صدق ولا كذب ، فيدخل فى الواسطة أربعة أقسام فتصير الأقسام عنده ستة . ويكون الصدق والكذب فى مستقبل كما يكونان فى زمن ماض . وموردهما النسبة التى تضمنها الخبر بايقاع المخبر .

تقسيم الخبر
الى معلوم صدقه
وغيره

ومن الخبر ما هو معلوم صدقه وهو أنواع (أحدها) ما يكون علم صدقه ضروريا بنفس الخبر من غير نظر كالخبر الذى بلغت رواته حد التواتر لفظيا كان أو معنويا على الاصح (الثانى) ما يكون ضروريا بغير نفس الخبر بل لكونه موافقا للضرورى وهو ما يكون متعلقه معلوما لكل أحد من غير كسب وتكرار نحو : الواحد نصف الاثنين (الثالث) ما يكون ضروريا (٢) كخبر الله تعالى وخبر رسوله صلى الله عليه وسلم وخبر كل الأمة ، لان الاجماع حجة ، فكل واحد من هذه الثلاثة علم بالنظر والاستدلال (النوع الرابع) ما يكون غير ضرورى وغير نظرى ولكنه موافق للنظر وهو الخبر الذى علم متعلقه بالنظر كقولنا : العالم حادث .

ومن الخبر ما هو معلوم كذبه وهو أيضا أنواع (أحدها) ما علم خلافه بالضرورة كقول القائل النار باردة (الثانى) ما علم خلافه بالاستدلال كقول الفيلسوف العالم قديم (الثالث) أن يوهم أمرا باطلا من غير أن

(١) بهامش مخ : بل ثلاث للمجد وخمس للرواحل المثقلة .
(٢) كذا فى الاصلين والظاهر «نظريا»

يقبل التأويل لمعارضته للدليل العقلي كما لو اختلف بعض الزنادقة حديثا كذبا على الله تعالى وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم يتحقق انه كذب (الرابع) أن يدعى شخص الرسالة عن الله عز وجل بغير معجزة •

ومن الخبر أيضا ما هو محتمل للصدق والكذب (فالاول) ما تقدمت أنواعه الضرورية من المتواتر وموافق الضروري ونظري كخبر الله تعالى ورسوله والاجماع وخبر من وافق أحدها أو ثبت به صدقه (الثاني) من الخبر المعلوم كذبه ما تقدمت أنواعه مما خالف ما علم صدقه (الثالث) من الخبر وهو المحتمل الصدق والكذب فثلاثة أنواع (أحدها) كخبر العدل يترجح صدقه على كذبه ويتفاوت فيه الظن (الثاني) ما ظن كذبه كخبر الكذاب يترجح كذبه على صدقه وهو متفاوت أيضا و (الثالث) ما شك فيه كخبر مجهول الحال فيستوى فيه الاحتمالان لعدم المرجح • ولا يلزم من عدم علم صدق الخبر كذبه •

مدلول الخبر

ومدلول الخبر من حيث هو الحكم بالنسبة لا بشبوتها ، فاذا قيل زيد قائم - فمدلوله الحكم بشبوت قيامه لا نفس ثبوت قيامه ، اذ لو كان الحكم بالنسبة ثبوت قيام زيد للزم منه أن لا يكون شيء من الخبر كذبا بل يكون كله صدقا • وخالف القرافي فقال : العرب لم تضع الخبر الا للصدق لاتفاق اللغويين والنحويين على ان معنى قام زيد حصول القيام منه في الزمن الماضي ، واحتماله الكذب ليس من الوضع بل من جهة المتكلم • انتهى قال الكوراني : التحقيق في هذا المقام هو أن الخبر مثل زيد قائم اذا صدر عن المتكلم بالقصد يدل على الايقاع وهو الحكم الذي صدر عن المتكلم ، ويدل أيضا على الوقوع ، فكل منهما يسمى حكما ، فاحتمال الصدق والكذب وصدق الخبر وكذبه في نفس الامر انما هو باعتبار الايقاع لانه المتصف بذلك لا الوقوع ، وأما باعتبار افادة المخاطب فالحكم هو الوقوع لأنك اذا قلت زيد قائم فانما تفيد المخاطب وقوع القيام لا أنك أوقعت القيام على زيد فانه لا يعد فائدة والله أعلم •

التواتر والاحاد

(الخامس تعريف التواتر والاحاد ومتعلقات ذلك)

التواتر لغة تتابع شيئين فصاعداً بمهلة ، واصطلاحاً خبر عدد يتمتع معه لكثرتة تواطؤ على كذب - عن محسوس أو عن عدد كذلك الى أن ينتهي الى محسوس من مشاهدة أو سماع • فقوله خبر جنس يشمل التواتر وغيره ، وبإضافته الى عدد يخرج خبر الواحد ، وقوله يتمتع معه الخ يخرج به خبر عدد لم يتصف بالوصف المذكور ، وخرج بقيد المحسوس ما كان عن معلوم بدليل عقلي كإخبار أهل السنة دهرياً بحدوث العالم لتجويز غلطهم في الاعتقاد • وهذا الخبر التواتر مفيد للعلم بنفسه فقيد بنفسه لإخراج الخبر الذي صدق المخبرين به بسبب القرائن المحتملة به • والحاصل بخبر التواتر ضروري عند أصحابنا والأكثر إذ لو كان نظرياً لافتقر الى توسط المقدمتين ولما حصل لمن ليس من أهل النظر كالنساء والصبيان ولساغ الاختلاف فيه عقلاً كسائر النظريات ، فالعلم الضروري ما اضطر العقل الى التصديق به وهذا كذلك (وقال أبو الخطاب الكلوذاني وجمع) انه نظري إذ لو كان ضرورياً لما افتقر الى النظر في المقدمتين وهما اتفاقهم على الأخبار وامتناع تواطئهم على الكذب فصورة الترتيب (١) ممكنة • ورد ذلك بأن ما ذكره مطرد في كل ضروري (وقال الطوفي في مختصره) الخلاف لفظي إذ مراد بالضروري ما اضطر العقل الى تصديقه ، والثاني البديهي الكافي في حصول الجزم به تصور طرفيه ، والضروري ينقسم اليهما ، فدعوى كل فريق غير دعوى الآخر ، والجزم حاصل على كلا القولين •

ثم اعلم ان خبر التواتر لا يولد العلم بل يقع العلم عنده بفعل الله تعالى عند الفقهاء وغيرهم من أهل الحق ، وخالف قوم ، وهو على المتمدن بمنزلة اجراء العادة بخلق الولد من المنى والله قادر على خلقه بدون ذلك خلافاً لمن قال بالتولد •

والتواتر من حيث هو قسمان لفظي كحديث « من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » فقد رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم نيف

وستون صحابيا منهم العشرة المبشرون بالجنة رضى الله عنهم أجمعين •
والتواتر يكون في القرآن كالقراءات السبع ، واختلف في الثلاث الباقية
هل هي متواترة أولا ، والحق انها متواترة • وأما الاجماع فالتواتر فيه
كثير • وأما السنة فالتواتر فيها قليل حتى ان بعضهم نفى التواتر اللفظي
من السنة الا حديث « من كذب على متعمدا » وزاد بعضهم حديث الحوض
كما سنذكره في محله ، وكذا حديث الشفاعة قال القاضي عياض : بلغ
التواتر ، وحديث المسح على الخفين قال ابن عبد البر : رواه نحو أربعين
صحابيا واستفاض وتواتر •

(وأما التواتر المعنوي) من السنة بأن يتواتر معنى في ضمن أحاديث
مختلفة الالفاظ متحدة المعنى فكثير ، فالتواتر المعنوي هو تباين الالفاظ مع
الاشترك في معنى كلي ولو بطريق اللزوم كحديث الحوض وسخاء حاتم
وشجاعة علي رضى الله عنه وغيرها ، وذلك اذا كثرت الاخبار في الواقع
واختلف فيها لكن كل واحد منها يشتمل على معنى مشترك بينها بجهة
انتضمن أو الالتزام فيحصل العلم بالقدر المشترك وهو مثلا الشجاعة لعلي
رضى الله عنه والسخاء لحاتم ونحو ذلك •

والمعتمد عدم انحصار التواتر في عدد وانما يعلم حصول العدد اذا حصل
العلم عنده ، ولا يلزم الدور اذ حصول العلم معلول الاخبار ودليله كالشعب
والرى معلول المشيع والمروى ودليلهما وان لم يعلم القدر الكافي منهما •
ويختلف العلم الحاصل بالتواتر باختلاف القرائن كالهيات المقارنة للخبر
الموجبة لتعريف متعلقه ، واختلاف أحوال المخبرين في اطلاعهم على قرائن
التعريف ، واختلاف ادراك المستمعين لتفاوت الازهان والقرائن ، واختلاف
الوقائع على عظمها وحقارتها • والمعتمد حصول العلم بالتواتر لكل من
بلغه فيفق الناس كلهم في العلم به الا أنه يتفاوت المعلوم عند الامام
أحمد رضى الله عنه والمحققين منهم شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله روحه
وغيره ، وعنه لا ، قال (المحقق ابن قاضي الجبل) : الاصح التفاوت فانا
نجد بالضرورة الفرق بين كون الواحد نصف الاثنين وبين ما هلمناه من
جهة التواتر مع كون اليقين حاصلًا فيهما ، وكما نفرق بين علم اليقين وعين

اليقين وحق اليقين • ولا يشترط اسلام العدد المشروط في التواتر ولا عدالتهم خلافا لقوم اعتبروهما ، قالوا لان الكفر والفسوق عرضة للكذب والتحريف ، ولأن النصارى نقلوا أن اليهود قتلوا المسيح وهو باطل بالنص (وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم) وبالإجماع • والجواب أنا نمنع حصول شرط التواتر للاختلال (١) في الطبقة الاولى لكونهم لم يبلغوا عدد التواتر ، وكذا الجواب عن أخبار الامامية بالنص على امامة علي رضي الله عنه • ولا يشترط أيضا أن لا يحويهم بلد ولا يحصيهم عدد خلافا لطوائف من الفقهاء ، لان أهل الجامع لو أخبروا عن سقوط المؤذن عن المنارة والخطيب عن المنبر لكان اخبارهم مفيدا للعلم فضلا عن أهل بلد

**الآحاد والخلاف
في افادته العلم
وتكفير منكره**

وأما الآحاد فهو ما عدا التواتر - فدخل مستفيض مشهور وهو ما زاد نقلته على ثلاثة عدول • وعزيز ، وهو ما (لا - ٢) تنقص نقلته عن عدلين • وخبر الآحاد ان كان مستفيضا مشهورا أفاد علما نظريا كما نقله العلامة ابن مفلح وغيره عن أبي اسحاق الاسفراينى وابن فورك ، وقيل يفيد القطع ، وغير المستفيض من سائر أخبار الآحاد يفيد الظن فقط ولو مع قرينة عند الأكثر لاحتمال السهو والغلط ونحوهما على ما دون عدد رواية المستفيض لقرب احتمال السهو والخطأ على عددهم القليل ، وقال الامام الموفق وابن حمدان والطوفى وجمع انه يفيد العلم بالقرائن ، قال العلامة علاء الدين على بن سليمان المرادوى فى شرح التحزير : وهذا أظهر وأصح ، والقرائن وان قال الماوردى لا يمكن أن تضبط بعادة فقد قال غيره بل يمكن أن تضبط بما تسكن اليه النفس كسكونها الى التواتر أو قريب منه بحيث لا يبقى فيها احتمال عنده البتة • الا اذا نقله أى نقل خبر الآحاد غير المستفيض آحاد الائمة المتفق عليهم ، وعلى امامتهم وجلالتهم وضبطهم من طرق متساوية وتلقته الامة بالقبول يفيد العلم حينئذ ، قال القاضي أبو يعلى : هذا المذهب • وقال أبو الخطاب هذا ظاهر كلام أصحابنا •

(١) من «للاختلاف» (٢) من من

واختاره ابن الزاغوني والامام تقي الدين ابن تيمية قدس الله روحه ، وقال : الذي عليه الاصوليون من أصحاب أبي حنيفة والشافعي وأحمد رضى الله عنهم أجمعين ان خبر الواحد اذا تلقته الامة بالقبول تصديقا وعملا به يوجب العلم الا فرقة قليلة تبعوا طائفة من أهل الكلام أنكروا ذلك ، والاول ذكره أبو اسحاق وأبو الطيب وذكره عبد الوهاب وأمثاله من المالكية والسرخسي وأمثاله من الحنفية وهو الذي عليه أكثر الفقهاء وأهل الحديث والسلف وأكثر الاشعرية وغيرهم • انتهى

احاديث الصحيحين والنظر في اقدتها العلم

قال ابن الصلاح ما أسنده البخاري ومسلم - العلم اليقيني النظرى واقع به خلافا لقول من نفى ذلك محتجا بأنه لا يفيد فى أصله الا الظن وانما تلقته الامة بالقبول لانه يجب عليهم العمل بالظن ، قال والظن قد يخطئ ، قال ابن الصلاح وقد كنت أميل الى هذا وأحسبه قويا ثم بان لى ان المذهب الذى اخترناه أولا هو الصحيح لان ظن من هو معصوم من الخطأ لا يخطئ والامة فى اجماعها معصومة من الخطأ • وقال الامام النووي من الشافعية خالف ابن الصلاح المحققون والاكثرون وقالوا يفيد الظن ما لم يتواتر • انتهى • قال الامام ابن عقيل والحافظ ابن الجوزى والقاضى أبو بكر الباقلانى وأبو حامد وابن برهان والفخر الرازى والسيف الأمدى وغيرهم : لا يفيد العلم ما نقله آحاد الامة المتفق عليهم ولو تلقى بالقبول • وقال الاستاذ أبو اسحاق الاسفرائي : يفيد عملا لا قولا • انتهى • ونص الامام أحمد رضى الله عنه فى رواية الاثرم انه يعمل به ولا تشهد بأن النبى صلى الله عليه وسلم قاله • وأطلق ابن عبد البر وجماعة انه قول جمهور أهل الأثر والنظر حتى قال بعضهم ولو مع قرينة • ونقل حنبل عى الامام أحمد رضى الله عنه : أخبار الرؤية حتى تقطع على العلم بها • وقال له المروذى هنا انسان يقول : الخبر يوجب عملا لا علما • فعابه وقال لا أدري ما هذا • وفى كتاب الرسالة لاحمد بن جعفر الفارسى عن الامام أحمد رضى الله عنه • لانشهد على أحد من أهل القبلة انه فى النار لذنب عمله ولا لكبيرة اتاها الا أن يكون ذلك فى حديث كما جاء صدقه ونعلم انه كما جاء • قال القاضى ذهب الى هذا جماعة من أصحابنا انه يفيد •

وذكره القاضي في مقدمة المجرّد عن علمائنا ، وجزم به ابن أبي موسى ، وقاله كثير من أهل الأثر وبعض أهل النظر والظاهرية وابن خويزمنداد المالكي وانه مخرج على مذهب مالك • ولما وقف ابن كثير على اختيار ابن الصلاح من أن ما أسند في الصحيحين مقطوع بصحته قال : وانا مع ابن الصلاح فيما عول عليه وأرشد اليه • قال ثم وقفت على كلام لشيخنا العلامة ابن تيمية مضمونه انه نقل القطع بالحديث الذي تلقته الامة بالقبول عن جماعات ونقل ما قدمنا عنه وزاد : وابن حامد والقاضي أبو يعلى وأبو الخطاب وابن الزاغوني وأمثالهم من الحنابلة ، وشمس الائمة من الحنفية • قال : وهو مذهب أهل الحديث قاطبة ومذهب السلف عامة •

(تنبيه) قد قدمنا أن المستفيض ما زاد نقلته على ثلاثة عدول فلا بد أن يكونوا أربعة فصاعدا • وقال قوم هو ما عده الناس شائعا • وقال محيي الدين يوسف الجوزي : المستفيض ما ارتفع عن ضعف الآحاد ولم يلتحق بقوة المتواتر • والله أعلم •

(السادس)

الأخذ بالآحاد
في العقائد

يعمل بخبر الآحاد في أصول الدين ، وحكى الامام ابن عبد البر الاجماع على ذلك • قال الامام أحمد رضى الله عنه : لا تعدى القرآن والحديث • وقال القاضي أبو يعلى يعمل به في الديانات اذا تلقته الامة بالقبول ، ولهذا قال الامام أحمد رضى الله عنه قد تلقتها العلماء (١) بالقبول • قال العلامة ابن قاضي الجبل : مذهب الحنابلة ان أخبار الآحاد المتلقاة بالقبول تصلح لاثبات أصول الديانات ، ذكره القاضي أبو يعلى في مقدمة المجرّد والشيخ تقي الدين في عقيدته • انتهى • وقال أبو الخطاب وابن عقييل وغيرهما : لا يعمل به فيها • ولا يكفر منكر خبر الآحاد في الاصح ، حكى ابن حامد الوجهين عن الاصحاب ، ونقل تكفيره عن الامام اسحاق بن راهويه • قال في المسودة قد اختلف العلماء في تكفير من يجحد ما ثبت بخبر الواحد العدل ، وقد ذكر ابن حامد في أصوله عن أصحابنا في ذلك

(١) مخ « الامة »

وجهين ، والتكفير منقول عن الامام اسحاق بن راهويه . انتهى . قال ابن حامد لكن غالب أصحابنا على كفره فيما يتعلق بالصفات . وذكر في مكان آخر أن جحد أخبار الأحاد كفر كالتواتر عندنا فانه يوجب العلم والعمل . فأما من جحد العلم بها فالاشبه انه لا يكفر ويكفر في نحو ما ورد في الاسراء والنزول ونحوهما من الصفات كما في حاشية الجراعى على أصول العلامة ابن اللحام رحمهما الله تعالى . وقال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه في شرح العقيدة الاصفهانية : يجب تصديق كل مسلم بما أخبر به الله ورسوله من صفاته تعالى فليس ذلك موقوفا على أن يقوم دليل عقلي على تلك الصفة بعينها فانه مما يعلم بالاضطرار من دين الاسلام ان الرسول صلى الله عليه وسلم اذا أخبرنا بشيء من صفات الله تعالى وجب علينا التصديق به وان لم ندرك ثبوته بقولنا ومن لم يقر بما جاء به الرسول حتى يعلمه بعقله فقد أشبه الذين قال الله تعالى عنهم (وقالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتى رسل الله الله أعلم حيث يجعل رسالاته) (١) ومن سلك هذا السبيل فهو في الحقيقة ليس مؤمنا بالرسول ولا متلقيا عنه الاخبار بشأن الربوبية كما سنذكر هذه المقالة في محالها ان شاء الله تعالى

(السابع)

مذهب السلف

المراد بمذهب السلف ما كان عليه الصحابة الكرام رضوان الله عليهم وأعيان التابعين لهم باحسان واتباعهم وأئمة الدين ممن شهد له بالامامة وعرف عظم شأنه في الدين وتلقى الناس كلامهم خلف عن سلف دون من رمى ببدعة أو شهر يلقب غير مرضى مثل الخوارج والروافض والقدرية والمرجئة والجبرية (٢) والجهمية والمعتزلة والكرامية ونحو هؤلاء مما يأتي ذكرهم عند تعداد الفرق ، لكن لما كان

(١) مخ « رسالته » وكلاهما مقروء به في السبع
(٢) بهامش مخ - الجبرية بالتحريك خلاف القدرية والتسكين لحن أو هو الصواب والتحريك للازدواج . قاموس ١٠ هـ

فسو البدع وظهورها بعد المائتين لما عربت الكتب العجمية كما تقدم وزاد البلاء وأظهر المأمون القول بخلق القرآن وظهر مذهب الاعتزال ظهوراً لا مزيد عليه بسبب انحراف الخلفاء عن مذهب الحق وكان الذي قام في نحورهم ورد مقالاتهم وابطال مذهبهم وتزييفه ودم من ذهب اليه أو عول عليه أو اتقى الى ذويه أو ناضل عنه أو مال اليه سيدنا وقودتنا الامام المبجل والجبر البحر المفضل أبا عبد الله الامام أحمد بن محمد بن حنبل نسب مذهب السلف اليه وعول أهل عصره من أهل الحق فمن بعدهم عليه ، والا فهو المذهب المأثور والحق الثابت المشهور لسائر أئمة الدين وأعيان الأمة المتقدمين (١) قال حرب بن اسماعيل الكرماني في كتابه المصنف في مسائل الامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه واسحاق بن ابراهيم بن راهويه مع ما ذكر فيها من الآثار عن النبي المختار والصحابة الابرار والتابعين الاطهار ومن بعدهم ، قال : هذا مذهب أئمة العلم وأصحاب الاثر المعروفين بالسنة المقتدى بهم فيها ، وأدركت من أدركت من علماء العراق والحجاز والشام عليها ، فمن خالف شيئاً من هذه المذاهب أو طعن فيها أو عاب قائلها فهو مبتدع خارج عن الجماعة زائل عن سبيل السنة ومنهج الحق . قال وهو مذهب الامام أحمد واسحاق وبقي بن مخلد وعبد الله بن الزبير الحميدى وسعيد بن منصور وغيرهم ممن جالسنا وأخذنا عنهم العلم - فذكر الكلام في الايمان والقدر والوعيد والامامة الخ كلامه كما سننبه عليه في محاله . وممن ألف في عقائد السلف وذكر معتقدتهم في كتب التفسير المنقولة عن السلف مثل تفسير عبد الرزاق وتفسير الامام أحمد واسحاق وبقي بن مخلد وعبد الرحمن ابن ابراهيم دحيم وعبد بن حميد وعبد الرحمن بن أبي حاتم ومحمد ابن جرير الطبرى وأبى بكر بن المنذر وأبى بكر عبد العزيز وأبى الشيخ الاصفهاني وأبى بكر بن مردويه وغيرهم . وكذلك الكتب المصنفة في السنة والرد على الجهمية وأصول الدين المنقولة عن السلف مثل كتاب الرد على الجهمية لمحمد بن عبد الله الجعفي شيخ البخارى ، وكتاب خلق

الأفعال للبخارى ، وكتاب السنة لابي داود ولايبى بكر الاثرم ولعبد الله ابن الامام أحمد ولحنبل بن اسحاق ولايبى بكر الخلال ولايبى الشيخ الاصفهاني ولايبى القاسم الطبراني ولايبى عبد الله بن منده وأمثالهم ، وكتاب الشريعة لابي بكر الآجرى ، والابانة لابي عبد الله ابن بطة ، وكتاب الاصول لابي عبد الله الطلمنكى ، وكتاب رد عثمان بن سعيد الدرهمى ، وكتاب الرد على الجهمية له وغير ذلك . فالائمة الاربعة والسفيانان والحماذان وابنا أبى شيبة والليث بن سعد وابن أبى ذئب وربيعة بن أبى عبد الرحمن والبخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وابن خزيمة وابن ماجه وابن حبان وأبو ثور وابن جريج والاوزاعى وابن الماجشون وابن أبى ليلى وأبو عبيد بن سلام ومسعر بن كدام الامام ومحمد بن يحيى الذهلى امام اهل خراسان بعد اسحاق بلا مدافعة وأبو حاتم الرازى ومحمد بن نصر المروزى وغير هؤلاء كلهم على عقيدة واحدة سلفية أثرية ، وان كان الاشتهار للامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه للعلة التى ذكرناها حتى ان الشيخ أبا حسن الأشعري قال فى كتابه - الابانة فى أصول الديانة - ما نصه بحروفه « فان قال قائل قد أنكرتم قول المعتزلة والقدرية والجهمية والحرورية والرافضة والمرجئة فعرفونا قولكم الذى به تقولون وديانتكم التى بها تدينون ، قيل له قولنا الذى به تقول وديانتنا التى بهما ندين ، التمسك بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وما روى عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث ، فنحن بذلك معتمدون ، وبما كان عليه الامام أحمد بن حنبل نضر الله وجهه قائلون ، ولمن خالف قوله مجانبون ، لانه الامام الفاضل ، والرئيس الكامل ، الذى أبان الله به الحق عند ظهور الضلال ، وأوضح به المنهاج ، وقمع به المتدعين ، فرحمة الله عليه من أمام مقدم ، وكبير مفهم (١) وعلى جميع أئمة المسلمين « انتهى . فنسب المذهب اليه لاشتهاره بذلك مع ان سائر أئمة الدين سلكوا تلك المسالك وبالله التوفيق .

(الثامن)

اول ظهور
البدع

قال الجلال السيوطى فى الاوائل : اول من تفوه بكلمة خيثة فى الاعتقاد الجعد بن درهم مؤدب مروان الحمار آخر ملوك بنى أمية فقال بأن الله تعالى لا يتكلم • قال شيخ الاسلام فى الرسالة الحموية الكبرى : أصل فشو البدع بعد القرون الثلاثة وان كان قد نبغ أصلها فى أواخر عصر التابعين • قال ثم أصل مقالة التعطيل للصفات انما هو مأخوذ من تلامذة اليهود والمشركين وضلال الصابئين فان أول من حفظ عنه انه قال هذه المقالة فى الاسلام هو الجعد بن درهم وأخذها عنه الجهم بن صفوان وأظهرها فنسبت اليه ، وقد قيل ان الجعد أخذ مقاله عن ابان بن سمعان وأخذها ابان عن طالوت ابن أخت لبيد بن الاعصم (وأخذها طالوت عن لبيد بن الاعصم) اليهودى الساحر الذى سحر النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان الجعد هذا فيما قيل من أهل حران وكان فيهم خلق كثير من الصابئة والفلاسفة بقايا أهل دين النمرود والكنعانيين الذين صنف بعض الساحرين فى سحرهم ، والنمرود هو ملك الصابئة كما ان كسرى ملك الفرس والمجوس فهو اسم جنس لا اسم علم • قال : وكانت الصابئة اذ ذاك الا قليلا منهم على الشرك وعلماؤهم الفلاسفة وان كان الصابىء قد لا يكون مشركا بل مؤمنا بالله واليوم الآخر كما قال تعالى (ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) لكن كثيرا منهم أو أكثرهم كانوا كفارا ومشركين وكانوا يعبدون الكواكب وبنون لها الهياكل ، ومذهب النفاة الذين يقولون ليس له صفات الاسلية أو اضافية أو مركبة منهما وهم الذين بعث سيدنا ابراهيم خليل الرحمن اليهم ، فيكون الجعد أخذ عقيدته عن الصابئة الفلاسفة وأخذها الجهم أيضا - فيما ذكره الامام أحمد رضى الله عنه - عنه وعن غيره وكذلك أبو نصر الفارابى دخل حران وأخذ عن فلاسفة الصابئة تمام فلسفته لما ناظر السمنية بعض فلاسفة الهند وهم

الذين يجحدون من العلوم ما سوى الحسيات ، فرجت أسانيد الجهم الى اليهود والصابئين والمشركين والفلاسفة الضالين اما من الصابئين واما من المشركين ، فلما عربت الكتب الرومية زاد البلاء مع ما ألقى الشيطان في قلوب أهل الضلال ابتداء من جنس ما ألقاه في قلوب أشباههم •

ولما كان بعد المائة الثانية انتشرت هذه المقالة التي كان السلف يسمونها مقالة الجهمية بسبب بشر بن غياث المريسي (١) وذويه • وكلام الأئمة مثل مالك وسفيان بن عيينة وابن المبارك وأبي يوسف والشافعي واحمد واسحاق والفضيل بن عياض وبشر الحافي وغيرهم في هؤلاء في ذمهم وتضليلهم معروف ، وهذه التأويلات الموجودة اليوم بأيدي الناس مثل أكثر التأويلات التي ذكرها أبو بكر بن فورك في كتاب (التأويلات) وأبو عبد الله محمد ابن عمر الرازي في كتابه الذي سماه (تأسيس التقديس) ويوجد كثير منها في كلام خلق غير هؤلاء مثل أبي علي الجبائي وعبد الجبار بن احمد الهمداني وأبي الحسين البصري وغيرهم هي بعينها التأويلات التي ذكرها بشر المريسي في كتابه كما يعلم ذلك من كتاب الرد الذي صنفه عثمان بن سعيد الدارمي أحد الأئمة المشاهير في زمن البخاري وسمى كتابه (رد عثمان ابن سعيد ، على الكاذب العنيد ، فيما افترى من التوحيد) فانه حكى هذه التأويلات بأعيانها عن بشر المريسي ثم ردها بكلام اذا طالعه العاقل الذكي يسلم حقيقة ما كان عليه السلف ويتبين له ظهور الحججة لطريقهم وضعف حجة من خالفهم • وقد أجمع أئمة الهدى على ذم المريسية بل أكثرهم كفرهم وضللهم ، ويعلم بمطالعة كتاب ابن سعيد الدارمي ان هذا القول الساري في هؤلاء المتأخرين الذين تسموا بالخلف هو مذهب المريسية فلا حول ولا قوة الا بالله ، فمذهب السلف حق بين باطلين وهدى بين ضالين ، قال سيدنا الامام احمد رضي الله عنه : لا يوصف الله تعالى الا بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم لا تتجاوز القرآن والحديث • قال شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله روحه : مذهب السلف انهم يصفون الله تعالى بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم من

(١) بهامش مخ : مريسة كسكينة قرية منها بشر بن غياث المريسي •
قاموس آه

غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكيف ولا تمثيل ، فالعطل يعبد عدما ،
والممثل يعبد صنما ، والمسلم يعبد اله الارض والسماء • والله أعلم •

(التاسع)

مذهب السلف
هو الحق

مذهب السلف هو المذهب المنصور ، والحق الثابت الماثور ، وأهله هم
الفرقة الناجية ، والطائفة المرحومة التي هي بكل خير فائزة ولكل مكربة
راجية ، من الشفاعة والورود على الحوض ورؤية الحق وغير ذلك من
سلامة الصدر والايمان بالقدر والتسليم لما جاءت به النصوص ، فمن المحال
أن يكون الخالفون أعلم من السالفين كما يقوله بعض من لا تحقيق لديه -
ممن لا يقدر قدر السلف ولا عرف الله تعالى ولا رسوله ولا المؤمنين به
حق المعرفة المأمور بها - من أن طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف
أعلم وأحكم ، وهؤلاء انما أتوا من حيث ظنوا أن طريقة السلف هي مجرد
الايمان بألفاظ القرآن والحديث من غير فقه ذلك بمنزلة الاميين ، وان
طريقة الخلف هي استخراج معاني النصوص المصروفة عن حقائقها بأنواع
المجازات وغرائب اللغات ، فهذا الظن الفاسد أوجب تلك المقالة التي
مضمونها نبد الاسلام وراء الظهور ، وقد كذبوا وأفكوا على طريقة السلف
وضلوا في تصويب طريقة الخلف ، فجمعوا بين باطلين الجهل بطريقة
السلف في الكذب عليهم والجهل والضلال بتصويب طريقة غيرهم • قال
الحافظ ابن رجب في كتابه (بيان فضل علم السلف ، على علم الخلف)
ما نصه « ومن محدثات الامور ما أحدثه المعتزلة ومن حذا حذوهم من الكلام
في ذات الله تعالى وصفاته بأدلة العقول وهي أشد خطرا من الكلام في
القدر لأن الكلام في القدر كلام في أفعاله وهذا كلام في ذاته وصفاته ،
وينقسم هؤلاء الى قسمين أحدهما من نفى كثيراً مما ورد به الكتاب والسنة
لاستلزامه عنده التشبيه كنفى الرؤية والاستواء ، وهذا طريق المعتزلة
والجهمية وقد اتفق السلف على تبديعهم وتضليلهم ، وقد سلك سييلهم في
بعض الامور كثير ممن يتسبب الى السنة والحديث من المتأخرين • والثاني
من رام اثبات ذلك بأدلة العقول التي لم يرد بها الاثر ورد على أولئك

مقاتلهم كالكرامية ومن وافقهم حتى ان منهم من أثبت الجسم اما لفظا واما معنى ومنهم من أثبت له تعالى صفات لم يأت بها الكتاب والسنة كالحركة ، وقد أنكر السلف على مقاتل رده على جهم بأدلة العقل وبالغوا في الطعن عليه ، والصواب ما عليه السلف الصالح من امرار آيات الصفات وأحاديثها كما جاءت من غير تكيف ولا تمثيل ولا يصح عن أحد من الساف خلاف ذلك البتة خصوصا الامام احمد رضى الله عنه • ولا خوض في معانيها ولا ضرب مثل لها وان كان بعض من كان قريبا من زمنه فيهم من فعل ذلك من ذلك (؟) اتباعا لطريقة مقاتل بن سليمان فلا يقتدى به في ذلك وانما الاقتداء بأئمة الاسلام كابن المبارك ومالك والثوري والاوزاعي والشافعي واحمد واسحاق وأبى عبيد ونحوهم رضى الله عنهم ، فكل هؤلاء لا يوجد في كلامهم شيء من جنس كلام المتكلمين فضلا عن كلام الفلاسفة ولم يدخل ذلك في كلامه من سلم من قدح وجرح ، وقد قال أبو زرعة الرازى : كل من كان عنده علم فلم يصن علمه واحتاج في نشره الى شيء من الكلام فليست منه • وقال الحافظ ابن رجب أيضا : وفي زماننا تتعين كتابة كلام أئمة السلف المقتدى بهم الى زمن الشافعي واحمد واسحاق وأبى عبيد ، وليكن الانسان على حذر مما حدث بعدهم فانه حدث بعدهم حوادث كثيرة وحدث من انتسب الى متابعة السنة والحديث من الظاهرية ونحوهم وهو أشد مخالفة لها لشذوذها عن الامة وانفراده عنهم بفهم يفهمه أو يأخذ مالم تأخذ به الامة من قبله ، وأما الدخول مع ذلك في كلام المتكلمين والفلاسفة فشر محض وقل من دخل في شيء من ذلك الا وتلطخ ببعض أوضارهم كما قال الامام احمد رضى الله عنه : لا يخلو من نظر في الكلام الا تجهم • وكان هو وغيره يحذرون من أهل الكلام وان ذبوا عن السنة

وأما ما يوجد في كلام من أحب الكلام المحدث واتبع أهله من ذم من لا يتوسع في الخصومات والجدال ونسبته الى الجهل أو الحشو أو الى أنه غير عارف بالله أو بدينه فمن خطوات الشيطان نموذ بالله منه • انتهى ملخصا •

وفى الآداب للعلامة ابن مفلح رحمه الله تعالى عن الطبراني قال حدثنا عبد الله ابن الامام احمد قال حدثنى أبى قال : قبور أهل السنة من أهل

الكبائر روضة ، وقبور أهل البدعة من الزنادقة حفرة • فساق أهل السنة أولياء الله ، وزهاد أهل البدعة أعداء الله • وفي صحيح مسلم عن زيد بن أرقم رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول « اللهم انى أعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تسمع ومن دعوة لا يستجاب لها » وخرجه أهل السنن من وجوه متعددة عن النبي صلى الله عليه وسلم وفى بعضها « ومن دعاء لا يسمع » وفى بعضها « أعوذ بك من هؤلاء الأربعة » وأخرج الترمذى من حديث أبى هريرة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول « اللهم انفعنى بما علمتتى وعلمنى ما ينفعنى » ورواه النسائى من حديث انس رضى الله عنه وزاد « وارزقنى علما تنفعنى به » ويأتى الكلام على هذا بأبسط من هذا فى المقدمة والله أعلم

(العاشر)

من اصلاح الشارح

اعلم رحمك الله تعالى ان اصطلاحى فى هذا الشرح الاستدلال بالكتاب القديم (١) وبقول النبي الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ، واقفاء بالصحابة الكرام رضوان الله تعالى عليهم وما درج عليه الرعيل الاول من القرون المفضلة مما تلقاه أئمة الدين بالقبول ، وأثبتوه بالنقول ، وأصلوه فى الاصول ، وان زعم متحذلق انه يباين العقول ، فهو كلام باطل ومذهب معلول • فان الانبياء عليهم الصلاة والسلام تأتى بمحارات العقول لا بمحالاتها ، فمن زعم ان العقل يحيل شيئا مما جاءت به الانبياء عليهم الصلاة والسلام فلا يخلو من أحد أمرين اما عدم ثبوته عنهم واما عجز العقل عن ادراكه ، ولا يلزم من عجز العقول عن ادراك شيء من الاصول أو غيرها أن يكون مستحيلا كحديث النزول مع عدم الانتقال وكون القرآن كلام الله وصفته مع عدم الانفصال (٢) ونظائر ذلك كثيرة جدا ، فمن لم

(١) يأتى فى التعليق على مسألة القرآن ما فى هذا • وفى تنبيه ابن سحمان ص ٢٠ « الذى عليه أهل السنة والجماعة ان كلام الله سبحانه وتعالى حادث الآحاد قديم النوع »
(٢) يأتى ما فى هذا فى التعليق على مسألتى النزول والقرآن فى المتن والشرح •

يسلم للمنقول وقابله بالرد بالمعقول فهو ضال مخبول ، فمذهبنا هو ماوافق صحيح المنقول وصريح المعقول الذي يجمع ما في الاقوال المختلفة من الصواب ويجنب ما فيها من الخطأ والارتباب وهذا هو مذهب سلف الأمة وسائر الأئمة ، وهو الذي يدل عليه الكتاب والسنة واجماع السلف ، فان الله تعالى بين في كتابه الحق ، بما ضربه فيه من الامثال للخلق ، ويذكر لك من البراهين ، ما يفيد لسليم الصدر عين اليقين ، فاذا تأمل العاقل الفهيم نهاية ما يذكره أهل النظر من جميع طوائف المتكلمة والمتفلسفة ونحوهم يجد الذي في القرآن أكمل منه وأوضح بيانا مع سلامته من المراء والجدال ، وزبالات افهام الرجال ، ومن لم يكن علمه متلقى من الكتاب والسنة فهو غير نافع ولا منتفع به بل ضره أكثر من نفعه ، وعلامة هذا العلم كما قال الحافظ ابن رجب أن يكتسب صاحبه الزهو والفخر والعجب والخيلاء وطلب العلو والرفعة في الدنيا والمنافسة فيها وطلب مباهاة العلماء ومماراة السفهاء وصرف وجوه الناس اليه •

ومرادى بالشيخ وشيخ الاسلام حيث أطلق شيخ الاسلام ابن تيمية ، ومرادى بالمحقق تلميذه ابن القيم ، وبالعلامة ابن مفلح • واعلم أن غالب ما في هذه التعريفات ستمر بك في مجالها وانما قصدت جمعها لك لتكون على بصيرة منها وهذا أوان الشروع في المقصود من شرح المنظومة والله أعلم •

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

((بسم الله)) أى باسم مسمى هذا اللفظ الاعظم الموصوف بأوصاف الكمال ، فالباء متعلقة بمحذوف وتقديره فعلا خاصا مؤخرا أولى من تقديره اسما عاما مقدما ، أما أولوية كونه فعلا فلانه الاصل في العمل وحيثذ فمحل الجار والمجرور النصب على المفعولية بالفعل المقدر ، وأما أولوية كونه خاصا فلانه أدل على المطلوب فتقدير أولف عند التأليف أولى من أبتدىء وكذا عند القراءة ونحو ذلك فيقدر عند كل أمر مايناسبه ، وأما أولوية تقديره مؤخرا فلأمرين ، أحدهما الاهتمام بالابتداء باسم الله تعالى لفظا وتقديرا لانه تعالى

تفسير بسملة
المتن

مقدم ذاتا فقدم ذكرا ليوافق الاسم المسمى ، والثاني لافادة التخصيص كما في قوله تعالى (اياك نعبد واياك نستعين) لا يقال الاولى ملاحظة قوله تعالى (اقرأ باسم ربك) لأننا نقول المطلوب الأهم ثم القراءة لأنها أول ما نزل عليه صلى الله عليه وسلم وأول ما طرق المسامع الشريفة من الوحي فكان الانسب تقديم القراءة لمزيد الاعتناء بها والاهتمام لها • وحذفت همزة الوصل من الاسم خطأ كما حذفت لفظا ، وكتبت الباء متصلة بالسين لكثرة الاستعمال ، وطولت الباء للتعظيم ولتكون كالعوض عن الهمزة ، ويروى عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه ضرب من لم يطول الباء • وهى للاستعانة أو المصاحبة أو التعمدية أى أقدم اسم الله وأجعله ابتداء نظمى وتأليفى • والاسم لغة ما دل على مسمى وعرفا ما دل مفردا على معنى فى نفسه ولم يقترن بزمان • والتسمية جعل اللفظ دالا على المعنى ، وهو مشتق عند البصريين من السمو وهو العلو لأنه يدل على مسماه فيعليه ويظهره وعند الكوفيين من السمة وهى العلامة لأنه علامة على مسماه (١) وأوصل بعضهم لغات الاسم الى ثمانية عشر ونظمها فى قوله :

ثمان وعشر من لغات أتت لنا فى الاسم بنص العارفين بنقلها
سم سمة اسم سماء كذا سما سماء بتثليث الاوائل كلها

الاسم عين المسمى او غيره

(فائدة) الاسم فى حق المخلوق غير المسمى وفى الخالق تعالى لا غير ولا عين قال الامام المحقق شمس الدين أبو عبد الله محمد بن القيم فى كتابه (بدائع الفوائد) أسماء الله الحسنى التى فى القرآن من كلامه تعالى وكلامه غير مخلوق ولا يقال هى غيره ولا هى هو ، وهذا المذهب مخالف لمذهب المعتزلة الذين يقولون أسماؤه غيره وهى مخلوقة ، (ولمذهب من رد عليهم ممن يقول اسمه نفس ذاته لا غيره - ٢) انتهى • «الله» علم على الذات الواجب الوجود المستحق لجميع المحامد وهو عربى عند الأكثر وزعم البلخى من المعتزلة انه معرب عبرى أو سريانى ، وأكثر محققى النظر على عدم اشتقاقه بل هو اسم مفرد مرتجل للحق جل شأنه ، قال فى شرح المواقف

(١) بهامش مخ قال الشيخ شعبان فى معنى ذلك شعرا
من الوسم للكوفى اشتقاق مضعف، وعند سواء من سما الاسم أى أعلاه
(٢) زيادة فى هامش مخ

وعلى تقدير كونه فى الاصل صفة فقد انقلب علما مشعرا بصفات الكمال للاشتهار . قال الامام المحقق ابن القيم فى كتابه (بدائع الفوائد) زعم السهلبى وشيخه ابن العربى ان اسم الله غير مشتق لأن الاشتقاق يستلزم مادة يشتق منها واسمه سبحانه قديم لا مادة له فيستحيل الاشتقاق ولا ريب انه ان أريد بالاشتقاق هذا المعنى فهو باطل ولكن من قال بالاشتقاق لم يرد هذا المعنى ولا ألم بقلبه وانما أراد أنه دال على صفة له تعالى وهى الالهية كسائر أسمائه الحسنى من العليم والقدير فانها مشتقة من مصادرها بلا ريب وهى قديمة والقديم لا مادة له فما كان جوابكم عن هذه الأسماء فهو جواب من قال بالاشتقاق فى الله ، ثم الجواب عن الجميع ان المعنى بالاشتقاق الا أنها ملاقية لمصادرها فى اللفظ والمعنى لا أنها متولدة منها تولد الفرع من أصله ، وتسمية النحاة المصدر والمشتق منه أصلا وفرعا ليس معناه ان أحدهما متولد من الآخر وانما هو باعتبار أن أحدهما متضمن للآخر وزيادة ، فالاشتقاق هنا ليس هو اشتقاق مبادئ وانما هو اشتقاق تلازم يسمى المتضمن (بالكسر) مشتقا والمتضمن (بالفتح) مشتقا منه ولا محذور فى اشتقاق أسماء الله بهذا المعنى . انتهى . ثم اختلف من قال بأنه مشتق فى مأخذ الاشتقاق ، فقيل انه من تأله اذا تذلل فمعناه التذلل له والثلاثى منه أله يأله بفتح الحشو فى الماضى والمضارع والمصدر بمعنى اعتمد ولجأ الى غيره كما قال :

ألهمت اليه فى بلايا تنوبنا فألفيته فيها كريما ممجدا

أى التجأت اليه واعتمدت عليه ، والتفعل فى تأله للدلالة على حصول شىء فشىء كما فى تفهم وتعلم ونظائره ، ووجهه ان معنى أله الى الشىء أستند اليه وهو يقتضى الذل والافتقار لأنه لا يعتمد على غيره الا بعدذله لديه وافتقاره اليه فكان معنى تأله تذلل وافتقر واحتاج . وقيل من وله يوله من باب علم ولها ومعناه تحير لكن قلبت الواو همزة فصار الها كما أبدلوا وسادة فقالوا اسادة ونحوه فلما دخلت عليه اداة التعريف صار الأله ثم حذفت الهمزة لكثرة دورانه على الألسنة فصار الله فزيدت الالف بين اللام والهاء لتكون كالعوض عن الهمزة فصار الاله لكن لا تكتب الألف كما لا تكتب

في الرحمن لكثرة الاستعمال في الدوران • واطلاق المصدر واردة اسم
الفاعل أو اسم المفعول شائع في لغة العرب بمعنى المألوه اليه
أى المعتمد عليه المتذلل له المحتاج اليه أو المألوه فيه أى المتحير فيه لدقة
طريق معرفته • وقيل انه مشتق من اللهو يعنى الطرب وشدة الفرح واللعب
من لهى يلهى بفتح وسطه لكن حذفت الواو من لهو فصار له فأدخلت أداة
التعريف وزيدت الالف بين اللام والهاء لتكون كالعوض عن الواو المحذوفة
كما مر ومعناه الملهو به أى المطروب والمفروح به يعنى عند معرفته • وقيل
انه مشتق من اللوه أى الاستتار من لاه يلوه اذا استتر لكن قلبت الواو
من لوه ألفا فصار لاه فأدخلت أل عليه فصار الاله فحذفت الألف خطأ كما
مر • ومن قال بعدم الاشتقاق فقد سلم من هذه التكلفات (١) والله أعلم
(الرحمن الرحيم) اسمان مشتقان من رحم يجعله لازما بنقله الى باب
فعل بضم العين أو بتزيله منزلة اللازم اذا هما صفتان مشبهتان وهى لا اشتق
من متعد ، والرحمن أبلغ من الرحيم لأن زيادة البناء تدل على زيادة المعنى
غالبا كما فى قطع وقطع ومن غير الغالب قد يفيد ناقص البناء ما لا يفيد
زائده من المبالغة كحذر وحاذر فان حذر أبلغ من حاذر ، فالرحمن صفة
فى الاصل بمعنى كثير الرحمة جدا ثم غلب على البالغ فى الرحمة غايتها
وهو الله ، والرحيم ذو الرحمة الكثيرة وأتى به بعد الرحمن الدال على جلائل
النعم اشارة الى ان ما دل عليه من دقائق الرحمة وان ذكر بعد ما دل على
جلائلها الذى هو المقصود الاعظم هو مقصود أيضا ، ولثلا يتوهم أنه غير
ملتفت اليه • وقال بعض الصوفية الرحمن هو المحسن باعطاء الامور الملكوتية
مثل الروح والعقل والايمان والشهوة والقدرة ونحوها ، وقيل هو المحسن
فى الدنيا لعموم احسانه لأنه يعم باحسانه المسلم والكافر وغيرهما ، والرحيم
بالضد ، فباعتبار كون الرحمن للدنيا يكون الرحيم للأخرة ، وبكونه للملكوتية
يكون الرحيم لعالم الشهادة من اعطاء المأكول والمشروب والملبوس الى غير

الكلام فى
الرحمن
الرحيم

(١) بهامش مخ (قال ابن القيم القول الصحيح أن الله أصله الاله كما
قال سيبويه وجمهور أصحابه الا من شذ منهم وأن اسم الله تعالى هو الجامع
لمعاني الاسماء الحسنى والصفات العلى انتهى • وقال ابن جرير فى الكلام
على هذا الاسم قال فانه على ما روى لنا عن ابن عباس قال : الله ذو الألوهية
والعبودية على خلقه أجمعين اه

ذلك • فان قيل اذا كان الرحمن الرحيم اسمين فكيف أعربا نعتا لله تعالى والاعلام لا ينعت بها قيل قد قال هذا قوم وأعربوهما على أنهما بدل ، وقال السهيلي البدل ممتنع أيضا كعطف البيان لان الاسم الاول لا يفترق الى تبين لانه أعرف المعارف كلها وأبينها ولهذا قالوا : وما الرحمن ؟ ولم يقولوا : وما الله • قال السهيلي لكنه وان أجرى مجرى الاعلام فهو وصف يراد به الثناء وكذلك الرحيم ، وقال المحقق ابن القيم في (بدائع الفوائد) أسماء الرب تعالى أسماء ونعوت فانها دالة على صفات كماله فلا تنافي فيها بين العلمية والوصفية فالرحمن اسمه تعالى ووصفه لا ينافي اسميته وصفيته فمن حيث هو صفة جرى تابعا على اسم الله ومن حيث هو اسم ورد في القرآن غير تابع • يعني كقوله تعالى (الرحمن علم القرآن * الرحمن على العرش استوى * أم من هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن) وهذا شان الاسم العلم ولما كان هذا الاسم مختصا به تعالى حسن مجيئه مفردا غير تابع كمجيء اسمه « الله » كذلك وهذا لا ينافي دلالاته على صفة الرحمة كاسمه « الله » فانه دال على صفة الألوهية • ولم يجيء قط تابعا لغيره بل متبوعا بخلاف العليم والقدير والسميع والبصير ولهذا لا تجيء هذه ونحوها مفردة بل تابعة • قال ابن القيم روح الله وروحه : وأما الجمع بين الرحمن الرحيم ففيه معنى بديع وهو أن الرحمن دال على الصفة القائمة به سبحانه والرحيم دال على تعلقها بالمرحوم وكأن الاول الوصف والثاني الفعل فالاول دال على أن الرحمة صفة أي صفة ذات له سبحانه ، والثاني دال على انه يرحم خلقه برحمته أي صفة فعل له سبحانه ، فاذا أردت فهم هذا فتأمل قوله تعالى (وكان بالمؤمنين رحيما * انه بهم رؤوف رحيم) ولم يجيء قط رحمن بهم فعلمت بهذا ان رحمن هو الموصوف بالرحمة ورحيم هو الراحم برحمته • قال رحمه الله تعالى : وهذه النكتة لا تكاد تجدها في كتاب وان تنفست عندها مرآة قلبك لم تتجل لك صورتها • انتهى • ورحمة الله جل شأنه وتعالى سلطانه صفة قديمة قائمة بذاته تعالى تقتضى التفضيل (١) والانعام ، وأما تفسيرها بركة في القلب تقتضى التفضيل فالتفضيل غايتها فيراد منها غايتها

كما يقوله من يقوله من المتكلمة كالزمخشري في كشفه وغيره من النظار فهذا انما يليق برحمة المخلوق لا برحمة الخالق تعالى وتقدس وبينهما بون . ونظير ذلك العلم فان حقيقة علمه تعالى القائمة به ليست مثل الحقيقة القائمة بالمخلوق بل نفس الارادة التي يرد بعضهم الرحمة اليها هي في حقه تعالى مخالفة لارادة المخلوق اذ هي في المخلوق ميل قلبه الى الفعل أو الترك والله منزه عن ذلك وكذلك رد الزمخشري لها في حقه تعالى الى الفعل بمعنى الانعام والتفضيل ، فان فعل العبد الاختيارى انما يكون لطلب نفع للفاعل أو دفع ضرر عنه ولا كذلك فعله تعالى ، فمافرضه أهل التأويل موجود فيما فروا اليه من المحذور ، وبهذا ظهر أنه لا حاجة الى دعوى المجاز في رحمته تعالى فانه خلاف الاصل وهو انما يصار اليه عند تعذر حمل الكلام على حقيقته ولا تعذر هنا كما لا يخفى . وأيضا معيار المجاز صحة نفيه كما اذا قيل زيد أسد أو بحر أو قمر لشجاعته أو كرمه أو حسنه فانه يصح أن تقول زيد ليس بأسد أو ليس ببحر أو ليس بقمر وهذا مما لا خلاف فيه بينهم ولا يصح أن يقال : الله ليس برحيم ، فلو كانت الرحمة مجازا في حقه تعالى لصح ذلك . ولا ريب ان الرحمة صفة كمال وسائر الكتب السماوية مملوءة بذكرها واطلاقها عليه تعالى ، ومن العجب أن تكون هذه الصفة العظيمة حقيقة في حق المخلوق مجازا في حق الخالق . والحاصل ان الصفة تارة تعتبر من حيث هي ، وتارة تعتبر من حيث قيامها به تعالى . وتارة من حيث قيامها بغيره تعالى . وليست الاعتبارات متماثلة اذ ليس كمثلته شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله ، والكلام على الصفات فرع عن الكلام في الذات فكما انا ثبت ذاتا ليست كالذوات فلتثبت رحمة ليست كرحمة المخلوق كما أشار الى ذلك وقرره ونبه عليه وحرره ابن القيم رحمه الله في البدائع

فوائد

فوائد تتعلق
بالبسملة

(الاولى) انما بدأ المصنفون كتبهم بالبسملة تأسيا بالكتاب المنزل على النبي المرسل صلى الله عليه وسلم واقتداء به في مكاتباته للملوك وغيرهم وامثالاً لقوله صلى الله عليه وسلم « كل أمر ذى بال لا يبدأ فيه بسم الله

الرحمن الرحيم (فهو-١) أقطع ، رواه عبد القادر الرهاوى فى الاربعين
البلدانية وكذا الخطيب من حديث أبى هريرة رضى الله عنه • ومعنى ذى
بال أى حال شريف يحتفل له ويهتم به من مصنف ودارس ومدرس
وخطيب وخطاب وبين بدى كل الامور المهمة ، ويعنى بالاقطع ناقص البركة
وقد يكون غير معتد به • وروى ابن ماجه والبيهقى من حديث أبى هريرة
أيضا رضى الله عنه مرفوعا « كل أمر ذى بال لا يبدأ فيه بحمد الله والصلاة
على فهو أقطع أتر محقوق من كل بركة » تفرد بذكر الصلاة عليه صلى
الله عليه وسلم اسماعيل بن زياد وهو ضعيف وفى رواية « كل أمر ذى
بال لا يفتح (فيه-١) بذكر الله » وقد روى أبو داود من حديث أبى هريرة
رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كل كلام لا يبدأ
فيه بحمد الله فهو أجزم » اسناده صحيح (الثانية) اختلف القدماء فيما
إذا كان الكتاب كله شعرا فجاء عن الشعبي رحمه الله منع ذلك ، وعن
الزهري رحمه الله قال مضت السنة أن لا يكتب فى الشعر بسم الله الرحمن
الرحيم ، وعن سعيد بن جبير رحمه الله جواز ذلك
وتابعه على ذلك الجمهور ، وقال الخطيب : وهو المختار •
انتهى • ولاسيما ان كان المنظوم من نفائس العلوم • قال بعض العلماء
الراجع عند الجمهور طلب البسمة فى ابتداء الشعر ما لم يكن محرما أو
مكروها • قال وأما ما تعلق بالعلوم فمحل اتفاق (الثالثة) البسمة آية
منفردة بنفسها فاضلة بين السور القرآنية ليست من أول كل سورة
لا الفاتحة ولا غيرها على الصحيح من المذهب وفاقا للإمام أبى حنيفة ،
وأما مالك رضى الله عنه فقال ليست هى من القرآن رأسا ، وعند الشافعى
رضى الله عنه انها آية من كل سورة من القرآن سوى براءة • ومراد من
قال انها ليست من القرآن غير التى فى سورة النمل فانها بعض آية اجماعا
فيكفر منكرها بخلاف البسمة غيرها فتبصر (الرابعة) فى بعض فضائل
البسمة ، فى ذلك أحاديث وآثار كثيرة جدا قال الزهري فى قوله تعالى
(وأنزلهم كلمة التقوى) هى بسم الله الرحمن الرحيم • وروى الامام

أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم في تفسيره بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما ان عثمان بن عفان رضي الله عنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بسم الله الرحمن الرحيم فقال « هو اسم من أسماء الله تعالى وما بينه وبين اسم الله الأكبر الا كما بين سواد العين وبياضها من القرب » (١) وكذلك رواه أبو بكر ابن مردويه ، وروى الامام أحمد وأبو داود والنسائي والحاكم في المستدرک واللفظ للنسائي عن أبي المليح - واسمه عامر وقيل زيد - بن أسامة بن عمير عن أبيه رضي الله عنه قال كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم فمشر بعيرنا فقلت تعس الشيطان فقال النبي صلى الله عليه وسلم « لا تقل تعس الشيطان فانه يعظم حتى يصير مثل البيت ويقول بقوتي صرغته ولكن قل بسم الله فانه يصغر حتى يصير مثل الذباب » • وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه من أراد أن ينجيه الله من الزبانية التسعة عشر فليقل بسم الله الرحمن الرحيم فانها تسعة عشر حرفا فيجعل الله كل حرف منها جنة من واحد منهم • ذكره ابن عطية والقرطبي وابن كثير في تفاسيرهم عن وكيع عن الاعمش عن أبي وائل عنه (٢) • قال أبو القاسم الجنيد بن محمد قدس سره : في بسم الله هيبته وفي الرحمن عزته وفي الرحيم مودته • وفضائل البسملة غير محصورة وأدلة شرفها مشهورة (الخامسة) قال بعض الصوفية وغيرهم اسم الله الاعظم هو بسم الله الرحمن الرحيم كلها ، وعند أكثر أهل العلم انه لفظ الجلالة ، وعدم الاجابة لاكثر الناس مع الدعاء به لتخلف بعض الشروط التي من أهمها الاخلاص وأكل الحلال ، وقد أخرج أبو داود والترمذى وحسنه وابن ماجه وابن حبان في صحيحه من حديث عبد الله بن بريدة عن أبيه رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يقول اللهم انى أسألك بأنى أشهد انك أنت الله لا اله الا أنت الاحد الصمد لم يلد ولم

الاسم الاعظم

١ في سنده سلام بن وهب الجندي ، وفي ترجمته من ميزان الذهبى .
ذكر هذا الخبر وقال : منكر بل كذب

يولد ولم يكن له كفؤا أحد ، فقال له « لقد سألت الله بالاسم الذى اذا سئل به أعطى واذا دعى به أجاب » ورواه الحاكم الا أنه قال فيه « لقد سألت الله باسمه الاعظم » وقال : صحيح على شرطهما . قال المحافظ المنذرى قال شيخنا الحافظ أبو الحسن المقدسى : واسناده لا مطعن فيه ، قال ولم يرد فى هذا الباب حديث أجود اسنادا منه . انتهى . وقال المحقق ابن القيم ومجموع اسم الله الاعظم هو الحى القيوم وذكر ذلك فى نونته بقوله :

ولأجل ذا جاء الحديث بأنه	فى آية الكرسي وذى عمران
اسم الاله الاعظم اشتملا على	اسم الحى والقيوم مقترنان
فالكل مرجعها الى الاسمين يد	رى ذلك ذو بصر بهذا الشأن

أشار الى ما رواه أبو داود والترمذى وابن ماجه وقال الترمذى حديث حسن صحيح من حديث أسماء بنت يزيد رضى الله عنها ان النبى صلى الله عليه وسلم قال « اسم الله الاعظم فى هاتين الآيتين (والهكم اله واحد الا هو الرحمن الرحيم) و فاتحة سورة آل عمران (الله لا اله الا ه و الحى القيوم) . وأخرج الامام أحمد وابن ماجه من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه قال مر النبى صلى الله عليه وسلم بأبى عياش زيد بن الصامت الزرقى وهو يصلى وهو يقول اللهم انى أسألك بأن لك الحمد لا اله الا أنت يا حنان يا منان. يا بديع السموات والارض يا ذا الجلال والاکرام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد دعا الله باسمه الاعظم الذى اذا دعى به أجاب واذا سئل به أعطى » ورواه أبو داود والنسائى وابن حبان فى صحيحه والحاكم وزاد هؤلاء الاربعة « يا حى يا قيوم » وقال الحاكم : صحيح على شرط مسلم . وزاد الحاكم فى رواية له « أسألك الجنة وأعوذ بك من النار » وقد روى يعلى (؟) ورواته ثقات عن السرى بن يحيى عن رجل من طييء وأثنى عليه خيرا قال كنت أسأل الله عز وجل أن يرينى الاسم الاعظم الذى اذا دعى به أجاب فرأيت مكتوبا فى السكواكب فى السماء : يا بديع السموات والارض يا ذا الجلال والاکرام . والذى فى جلاء الافهام للمحقق ابن القيم : وفى مسند أبى يعلى الموصلى عن بعض

الصحابة انه طلب أن يعرف اسم الله الاعظم فرأى في منامه مكتوبا في السماء
بالنجوم : يا بديع السموات والارض يا ذا الجلال والاکرام • انتهى

ابتداء شرح
خطبة المتن

((الحمد لله القديم الباقي مسبب الاسباب والارزاق))
((حى عليم قادر موجود قامت به الاشياء والوجود))

((الحمد)) لفة الثناء باللسان على الجميل الاختيارى على جهة التعظيم
والتبجيل (١) ، وعرفا فعل ينبىء عن تعظيم المنعم على الحامد وغيره •
والشكر لفة هو الحمد اصطلاحا ، وعرفا صرف العبد جميع ما أنعم الله به
عليه فى ما خلق لأجله ، فيين الحمد والشكر عموم وخصوص من وجه
يجتمعان فيما اذا كان باللسان فى مقابلة نعمة ، وينفرد الحمد فيما اذا كان
(باللسان لا فى مقابلة نعمة ، وينفرد الشكر فيما اذا كان - ٢) بغير اللسان
فى مقابلة نعمة • واختار الجملة الاسمية الدالة على الدوام والثبات على الجملة
الفعلية الدالة على التجدد والحدوث لانه مع كونه على نسق الكتاب العظيم
أليق بالمقام ، وتفاوتا بذلك ، وهى وان كانت خبرية لفظا فهى انشائية
معنى • واختار مادة الحمد لاشتماله على الحياء الحلقية والميم الشفوية والبدال
اللسانية فى استعمالها بالثناء على رب البرية حتى لا يخلو مخرج من
نصيبه من ذلك بالكلية • و « ال » فى الحمد للاستفراق أو الجنس أو
العهد أى كل الحمد مستحق أو جنسه مختص ومملوك ((لله)) وعلامة ال
الاستفراقية أن يخلفها كل ونحوها ، وال الجنسية اذا تعقبها لام
الاختصاص كان المعنى جنس الحمد مختص ومملوك له تعالى فتفيد ما أفادته
ان الاستفراقية ضمنا • وان كانت ال للعهد فالمعهد ثناء الله على نفسه
وثناء ملائكته ورسله وأتبيانه وخواص خلقه ولا نظر لغير ثنائهم • واللام
فى لله للملك أو الاستحقاق أو الاختصاص • ولما ابتداء بالبسملة ابتداء
حقيقيا وهو الاتيان بها قبل كل شىء أعقبها بالحمدلة ابتداء اضافيا أى
بالنسبة لما بعدها وهو ما يقدم على الشروع فى المقصود بالذات جمعا بين
حديثى البسملة والحمدلة ، ولم يعكس لموافقة الكتاب العزيز فان الصحابة

١ بهامش من : التبجيل التعظيم وزنا ومعنى وفلا ومصدرا أم
٢ من من

افتتحوا كتابته في الامام الكبير بالتسمية والحمدلة تلوها
وتبعهم جميع من كتب المصحف بعدهم في جميع الامصار سواء في ذلك
من يقول بأن البسملة آية ومن لا يقول ذلك فكان أولى ((القديم))
نعت لله وهو اسم من أسمائه (١) وتقدم في الرحمن انه ونحوه من
أسماء الله تعالى وان جرى مجرى الاعلام فهو وصف يراد به التناء ،
فأسماءه تعالى أسماء ونعوت . والقديم هو الذي لم يسبق وجوده عدم فانه
سبحانه وتعالى متصف بالقدم وهي صفة سلبية في اصطلاحهم ، والصفات
السلبية ما مدلولها عدم أمر لا يليق به تعالى ، فقدمه تعالى ذاتي واجب له
تعالى غير مسبوق بعدم ، اذ هو تعالى لا ابتداء لوجوده . واعلم ان القدم
اما ذاتي كقدم الواجب ، واما زماني كقدم زمان الهجرة بالنسبة لليوم ،
ومنه (حتى عاد كالعرجون القديم) ومنه القدم الاضافي كقدم الاب بالنسبة
للابن (فائدة) القديم أخص من الازلي لان القديم موجود لا ابتداء لوجوده
والأزلي ما لا ابتداء له وجوديا كان أو عدميا فكل قديم أزلي ولا عكس .

القدم والبقاء
في صفاته
تعالى وان
اسماءه توقيفية

١ مفتي الديار النجدية في عصره العلامة الشيخ عبد الله بابطين المتوفى
سنة ١٢٨٢ تعليق على هذا الموضوع هذا نصه : قوله ان القديم اسم من
أسمائه تعالى فيه نظر من وجهين الاول ان اسماء الله تعالى عند أهل السنة
توقيفية والتوقيفي هو الذي لا يثبت الا بنص وهذا كتاب الله وسنة
رسوله صلى الله عليه وسلم وكلام السلف من الصحابة والتابعين لهم
باحسان ليس في شيء منها تسمية الله بالقديم وإنما سمي الله نفسه
بالاول والآخر وهذا يغني عن القديم وهو أبلغ منه في المعنى لدلالته على
القدم وانه لم يسبقه شيء بل ولم يماثله فان الاول يدل على سبق الله
تعالى لكل شيء كما فسره النبي صلى الله عليه وسلم بقوله انت الاول
فليس قبلك شيء . وأما الوجه الثاني فلأن أسماء الله كلها حسني أي بالغة
في الحسن منتهاه فهي مشتملة من كل معنى كمال على أحسنه وأتمه وأعمه
فلا نقص فيها بوجه من الوجوه فلم يكن من أسمائه المرید ولا المتكلم ولا
الصانع لانقسام مثل هذه الاسماء الى صفتي مدح وذم باعتبارين واما
الاخبار عنه بأنه متكلم ومرید وصانع فهذا جائز لان باب الاخبار عنه
أوسع من باب الانشاء وحيث تقرر ذلك فان القديم ليس من الاسماء
الحسني فان القدم معنى اعتباري لا يدل على الاولية فان معناه المتقدم على
غيره وان كان حادثا ومتأخرا بالنسبة الى شيء آخر ومما يدل على ذلك قوله
تعالى (حتى عاد كالعرجون القديم) وبذلك لا يصح اطلاق القديم على الله
باعتبار أنه من أسمائه وان كان يصح الاخبار به عنه كما قلنا ان باب
الاخبار أوسع من باب الانشاء والله أعلم

وفرق آخر أيضا وهو أن القديم يستحيل أن يلحقه تغير أو زوال بخلاف الأزلى الذى ليس بقديم كعدم (١) الحوادث المنقطع بوجودها ((الباقى)) مشتق من البقاء وهو امتناع لحوق العدم ، والبقاء صفة واجبة له تعالى (٢) كما وجب له القدم ، لان ما ثبت قدمه استحاله عدمه لانه سبحانه لو قدر لحوق العدم له لكانت نسبة الوجود والعدم الى ذاته تعالى سواء ، فيلزم افتقار وجوده الى موجد يخرعه بدلا عن العدم الجائز عليه تقديس وتعالى عن ذلك فيكون حادثا واللازم باطل فكذا الملزوم لان وجوده تعالى واجب لذاته • (تنبيه) نقل بعض المحققين ان البقاء صفة نفسية ، وعن الأشعرى انها صفة معنى ، والمشهور عند المتكلمين المحققين انها صفة سلبية كالقدم ومنهم من ذهب الى أن القدم سلبى والبقاء وجودى ومعنى ما ذكرنا انه تعالى لا يشاب بالعدم وهذا من نعوت الجلال ، والجلال عبارة عن الصفات السلبية ، ففي القدم سلب الحدوث ، وفي البقاء سلب الفناء ولحوق العدم فنعوت الجلال كالقوام للكمال ((مسبب الاسباب)) المتوصل بها الى مسيبتها أى خالق الاسباب المتوصل بها الى المطلوب • قال أهل اللغة المسبب الحبل وكل شئ يتوصل به الى أمر من الامور • وفي عرف الشرع ما يلزم من وجوده الوجود ويلزم من عدمه العدم لذاته ، فالاول احتراز من الشرط فانه لا يلزم من وجوده الوجود ، والثانى احتراز من المانع لانه لا يلزم من عدمه وجود ولا عدم لذاته ، والثالث احتراز

(١) مخ (كقدم) ويأتى فى التعليق على ما قيل من قدم القرآن ما يقتضى النظر فى كلامه هنا

(٢) للششيخ عبد الله بابطين تعليق على هذا الموضع وهو : ليس فى كلام المؤلف ما يدل صراحة على أن الباقى من أسماء الله الحسنى ولم أجد حتى ساعتى هذه ما يدل على أنه من أسماء الله وان كان فى القرآن قد أضيف البقاء الى الله فى قوله (ويبقى وجه ربك) لكن التعبير عن الصفة بالفعل لا يعنى أن يشتق له اسم منها ولذلك لم يشتق لله اسم من نحو قوله (الله يستهزىء بهم .. ويمكر الله - واكيد كيدا - والسماء بيناها - والارض فرشناها) وأمثال ذلك لكن الباقى ان ثبت انه من أسمائه وجب اثباته والا فلا نطلقه على الله وان كان الاخبار به عنه سائغا فباب الاخبار أو سجع وفى القرآن ما دل على هذا المعنى وزيادة وهو قوله تعالى (والآخر) فان معناه هو الذى ليس بعده شئ والله أعلم

مما لو قارن السبب فقدان الشرط ووجود المانع كالنصاب قبل تمام الحول أو مع وجود الدين فانه لا يلزم من وجوده الوجود لكن لا لذاته بل لأمر خارج عنه وهو انتفاء الشرط في الاول ووجود المانع في الثاني ، فالقييد يكون ذلك لذاته للاستظهار على ما لو تخلف وجود المسبب مع وجدان السبب لفقد شرط أو وجود مانع كمن فيه سبب الارث ولـسـكـنـه فـاتـل أو رقيق ، وعلى ما لو وجد المسبب مع فقدان السبب لسكن لوجود سبب آخر كالردة المقتضية للقتل اذا فقدت ووجد قتل يوجب القصاص أو زنا محصن فتخلف هذا الترتيب عن السبب لا لذاته بل لمعنى خارج ، ولهذا قال بعض الاصوليين السبب عبارة عن وصف ظاهر منضبط دل الدليل الشرعى على كونه معرفا لثبوت حكم شرعى طرديا كان كجعل زوال الشمس سببا للصلاة أو غير طردى كالشدة المطربة سواء أطرده الحكم معه أو لم يطرده ، لان السبب الشرعى يجوز تخصيصه وهو المسمى تخصيص العلة . فان قلت هل من أسمائه تعالى المسبب حتى أطلقته عليه مع أن أسمائه توقيفية أم كيف الحكم ؟ قلت ذكر غير واحد من المحققين منهم الامام المحقق في (بدائع الفوائد) ان ما يطلق عليه سبحانه في باب الاسماء والصفات توقيفى وما يطلق عليه فى باب الاخبار لا يجب أن يكون توقيفيا كالتقديم والشيء والموجود أو القائم بنفسه . قال فى البدائع فهذا فصل الخطاب فى مسألة أسمائه هل هى توقيفية أو يجوز أن يطلق عليه منها بعض ما لا يرد به السمع . (تنبيه) فى نسخة من منظومى بدل مسبب الاسباب مقدر الآجال : وهو أولى لامرين ، الاول ان المقدر من صفات أفعاله المعبر عنها بالفواضل لان تقدير الآجال - وفى نسخة بدل الآجال : الاقدار ، وهو أعم - وتبدير الامور والاحكام - فعل هو احسان منه تعالى وهو السبب لوجود الحمد والشكر ، لان الاحسان يدعو الى ذكر المحسن بفضائله التى يتأتى بها الاحسان ، والاقدار جمع قدر بسكون الدال وهو عبارة عن مبلغ الشيء ومنتهاه من حيث المكان والزمان وكل ما له قدر مصنوع مفتقر الى محض (١) يقدر المتصف به من الاقدار من طول وعرض

(١) ينظر ما يأتى فى التعليق على أوائل الباب الاول .

وعمق فالله تعالى جعل لكل شيء قدرا لا يتجاوزه وحدا لا يتعداه (الثاني)
الدلالة على تقدير الآحال جمع أجل محرقة غاية الوقت في الموت وحلول
الدين ومدة الشيء قال تعالى (اذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا
يستقدمون * ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء أجلها * وما كان لنفس أن تموت
الا باذن الله كتابا مؤجلا) والاخبار والآثار في ذلك كثيرة جدا ((و))
مقدر ((الارزاق)) بالفتح جمع رزق بالكسر ما ينتفع به من حلال وحرام
ويأتي الكلام عليه في محله هو سبحانه ((حى)) أى لم يزل موجودا
وبالحياة موصوفا وسائر الاحياء يعترضهم الموت والعدم فى أحد الطرفين
أو فيهما معا (كل شيء هالك الا وجهه) والحياة صفة ذاتية حقيقية قائمة
بذاته تعالى ((عليم)) بالسرائر والخفيات التى لا يدركها علم خلقه كقوله
تعالى (عليم بذات الصدور) وجاء على بناء فعيل للمبالغة فى وصفه بكمال
العلم أحاط بكل شيء علما وأحصى كل شيء عددا وهو مشتق من العلم
ويأتي الكلام عليه ((قادر)) أى ذو القدرة التامة ، والقدرة عبارة عن صفة
يوجد بها المقدور على طبق العلم والارادة • قال شيخنا الشهاب المنيني فى
كتابه شرح تاريخ العتبي : للقادر معنيان أحدهما أن يكون بمعنى التقدير
من القدرة على كل شيء وذلك صفة الله تعالى وحده دون غيره وانما
يوصف القادر منا على بعض المقدورات دون بعض • وثانيهما أن يكون
القادر بمعنى المقدر يقال منه قدر بالتخفيف والتشديد معنى واحد قال
تعالى (فقد رنا نعم القادرون) أى نعم المقدرين ، والمراد بقوله من القدرة
على كل شيء يعنى على كل ممكن لانه الذى تتعلق به القدرة كما يأتى
فى محله ((موجود)) سبحانه وتعالى بالوجود القديم لان العالم وكل جزء
من أجزائه حادث ومفترق من حيث وجوده وعدمه اليه تعالى من حيث
صانعيته وايجاده اياه ، وصانع العالم المحتاج اليه فى وجوده لا يكون الا
واجبا بخلاف وجود غيره فانه جائز ، وحاصل ذلك أن يقال قد ثبت حدوث
العالم ، أو يقال لا شك فى وجود حادث وكل حادث فى الضرورة له
محدث فاما أن يدور أو يتسلسل وكلاهما محال ، واما أن ينتهى الى قديم

تفسير حى
عليهم قادر
موجود

السلام في الوجود

لا يفتقر الى سبب أصلا وهو المراد ، ومن ثم قلنا ((قامت)) أى وجدت واستمرت ((به)) سبحانه وتعالى ((الأشياء)) كلها من الجواهر والاعراض العلوية والسفلية ((و)) قام به ((الوجود)) لكل موجود سواء فهو الذى خلقه وسواه وأحدثه وأنشأه ، فوجود البارى صفة له واجب قديم ووجود غيره جائز محدث باحداث الخالق الحكيم . وعطفه على الاشياء من عطف الخاص على العام للتخصيص عليه ردا على القائلين بكلية الوجود ووحدته ، وانه قديم وانه موجود فى الخارج ، وهذا ضرب من الهذيان وان جل ناقلوه فان القائلين به هم القائلون بالوحدة ، ولا يخفى ان القول بها ضرب من الزندقة ، فان من المعلوم بصريح العقل وصحيح النقل ان الخالق المبدع ليس هو بمخلوق ولا جزءا من أجزائه ولا صفة من صفاته ، تعالى وتقدس عما يقولون علوا كبيرا . ومن يقول ان الكليات الطبيعية ثابتة فى الخارج فانه يقول انها جزء من المعينات أو صفة لها ، ولهذا يقولون المطلق جزء من المعين والعام بعض الخاص فيلزم من زعم ان وجود الرب تعالى هو الكلى أن يكون الخالق جزءا من المخلوق أو صفة له ، وهذا مما يعلم بطلانه بصريح العقل وصحيح النقل . وأما المثل الافلاطونية فإذا قيل ان ثم وجودا كليا مطلقا مقارنا لجميع الموجودات فهو بمنزلة الانسانية المطلقة والحيوانية المطلقة ، والعقل الصريح يقطع أن الانسانية المقارنة لا تكون خالقة لكل انسان ، ولا الحيوانية خالقة لكل حيوان فكيف يكون الوجود المجرد خالقا لكل موجود أو قديما غير مخلوق ؟ فان هذه الكليات لو قدر وجودها وانها جواهر عقلية - مع ان هذا باطل ولا وجود لها الا فى الازهان وهؤلاء تخيلوها فى أذهانهم فظنوا وجودها فى الخارج - فعلى فرض تسليم ذلك فهى جواهر بسيطة لا توصف بأنها حية ولا عالمة ولا قادرة ولا متكلمة ، فتعالى الله عن مقالات أهل الوحدة والحلول والفلسفة والزندقة علوا كبيرا . والحاصل انه لا ذرة ولا شذرة من جوهر ولا عرض ولا ملك ولا فلك ولا روح ولا نفس ولا جن ولا انس من جميع العالم السفلى والعلوى الا وهو مخلوق ومصنوع لله تعالى كان بعد أن لم يكن فلا يستحق الوجود الواجب شىء سواء ، ولا التفات

لمن لم يهده الله فأثبت القدم لبعض مخلوقات الله تعالى كما يأتي الكلام على ذلك في محله عند قولنا * وضل من أتى عليها بالقدم *

وجود الخلق
دليل وجود
الخالق

* ((دلت على وجوده الحوادث سبحانه فهو الحكيم الوارث)) * (١)
((دلت)) دلالة عقلية قطعية ((على وجوده)) سبحانه وتعالى ((الحوادث))

جمع حادث وهو خلاف القديم ، والدلالة هي كون الشيء بحيث يلزم من العلم به العلم أو الظن بشيء آخر أو من الظن به الظن بشيء آخر ، فالاول يسمى دليلا برهانيا وبرهانا ان لم يتخلله الظن ، والا فدليلا اقناعيا وامارة ، والشيء الثاني يسمى مدلولاً . ثم الدال ان كان لفظا فالدلالة لفظية والا فغير لفظية ، فان توسط الوضع فيها كالحطوط والعقود والاشارة والنصب فوضعية والا فعقلية كدلالة العالم على الصانع ، وقد استدل به جمع محققون من علماء الكلام وغيرهم وهو مبني على مقدمتين ، احدهما ان الحوادث موجودة والثاني ان الحادث لا يوجد الا بقديم ، وبعضهم يعبر ان الممكنات موجودة وان الممكن لا يوجد الا بواجب . فأما المقدمة الاولى فدليلها ما يشاهد من حدوث الحوادث فانا نشاهد حدوث الحيوان والنبات والمعادن وحوادث الجو كالسحاب والمطر وغير ذلك ، وهذه

١ علق الشيخ عبد الله بابطين على هذا الموضوع ما نصه :

قوله . دلت على وجوده الحوادث : أشار المؤلف رحمه الله الى دليل معروف بين المتكلمين على وجود البارئ جل وعلا وهو أن هذه الحوادث اما أن تكون محدثة أو غير محدثة والثاني محال لان غير المحدث يستحيل عدمه وحدوثها دليل على عدمها من قبل والاول اما أن يكون حدوثها بنفسها أولا فالاول محال لان كل حادث لابد له من محدث ولا يمكن أن تحدث نفسها بنفسها للدور واذا كان لابد لها من محدث تعين أن يكون هو الله تعالى لانه هو الواجب الوجود . والمؤلف رحمه الله لم يقصد حصر الدليل على وجود الله بالحوادث فقط فان جميع أنواع الأدلة على وجود الله متفصلة لا الأدلة العقلية ولا السمعية ولا الفطرية حتى ان البهائم بل الجمادات تعرف ان لها ربا موجودا يستحق التعظيم والتنزيه وهي تسبح بحمده كما قال تعالى (وان من شيء الا يسبح بحمده) وكما سمع تسييح الحصاب بيد النبي صلى الله عليه وسلم وينبغي أن يعرف ان كل حادث من الحوادث فانه يدل على ثبوت الصفة التي هو من أثرها لله تعالى فنفع الخلق كلهم وايصال الرزق اليهم واعطاء كل مخلوق ما خلق له كل هذا يدل على كمال رحمته وعلمه ، وانتظام الخلق والشرع على أتم وجه دليل على كمال حكمته ، ونصره لأوليائه ومدافعتهم عنهم دليل على كمال علمه وعزته وقهره . وعلى هذا فليقتس الباقى والله أعلم .

الحوادث ليست ممتعة فان الممتع لا يوجد ، ولا واجبة الوجود بنفسها فان واجب الوجود بنفسه لا يقبل العدم ، وهذه كانت معدومة ثم وجدت ، فعدمها ينفي وجوبها ووجودها ينفي امتناعها . وهذا دليل قاطع واضح بين على ثبوت الممكنات . وأصرح من ذلك وأوضح ان نفس حدوث الحوادث دليل على اثبات المحدث لها فان العلم بأن الحادث لا بد له من محدث أبين من العلم بأن الممكن لا بد له من واجب ، فتكون هذه الطريق أبين وأقصر كما في النظم . وأما المقدمة الثانية وهي ان الحادث لا بد له من محدث فلاستحالة حدوثه بنفسه كما قال تعالى (أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون) يقول الله تعالى أحدثوا من غير محدث أم هم أحدثوا أنفسهم ، ومعلوم ان المحدث لا يوجد بنفسه ، وطريق العلم بذلك أن يقال : الموجود أما حادث واما قديم ، والحادث لا بد له من قديم ، فيلزم ثبوت القديم على كل حال ، وذلك ان الفقر والحاجة لكل حادث وممكن وصف لازم لها فهي مفتقرة اليه دائما حال الحدوث وحال البقاء ، ومن زعم من أهل الكلام ان افتقارها اليه في حال الحدوث فقط كما يقوله من يقوله من المعتزلة وغيرهم ، أو في حال البقاء فقط كما يقوله من يقوله من المتفلسفة القائلين بمساواة العالم له ، وكلا القولين خطأ كما قاله شيخ الاسلام تقي الدين أبو العباس ابن تيمية روح الله روحه في شرح عقيدة شمس الدين الاصهاني رحمه الله تعالى ، فالامكان والحدوث متلازمان فكل محدث ممكن وكل ممكن محدث ، والنقر ملازم لهما فلا تزال مفتقرة اليه لا تستغنى عنه لحظة عين ، وهو الصمد الذي يصمد اليه جميع المخلوقات ولا يصمد هو الى شيء بل هو سبحانه المعنى لما سواه . وللإمام ابن تيمية :
الفقر لي وصف ذات لازم أبدا كما الغنى أبدا وصف له ذاتي

((سبحانه)) وتعالى وهو اسم بمعنى التسبيح الذي هو التنزيه واتصافه بفعل متروك اظهاره ولا يخفى حسن موقعه هنا أي هو سبحانه وتعالى منزّه عن أن يخلق الخلق سدى أو يشاركه في احداث شيء من الحوادث شريك ، بل هو الخالق المختار بلا حاجة ولا اضطرار بقدرة قاهرة لحكمة باهرة ولهذا قلنا ((فهو)) تعالى ((الحكيم)) أي المتقن لخلق الاشياء بحسن

الحكيم والحكمة
الالهية

التدبير وبديع التقدير ، بحيث يخضع العقل لرفته ، ويشهد باتقان صنعته ، كما قال تعالى (أحسن كل شيء خلقه) وقال (وخلق كل شيء فقدره تقديرا) والحكيم من أسمائه الحسنی وهو ذو الحكمة وهي اصابة الحق بالعلم ، فالحكمة منه تعالى علم الأشياء وايجادها على غاية الاحكام ، ومن الانسان معرفة الموجودات وفعل الخيرات ، وهذا الذى وصف به لقمان فى قوله تعالى (ولقد آتينا لقمان الحكمة) قال الامام الحافظ ابن الجوزى فى كتابه (صيد الخاطر) : العقل لا ينتهى الى حكمة الخالق سبحانه وقد ثبت عنده وجوده وملكه وحكمته فتعرضه بالتفاصيل على ما تجرى به عادات الخلق جهل • ثم قال : ألا ترى الى أول المعترضين وهو ابليس اللعين كيف ناظر فقال أنا خير منه وقول أبى العلاء المعرى * رأى منك ما لا يشتهى فترندقا (١) * ثم قال ويحك أحضر عقلك وقلبك واسمع ما أقول ، أليس قد ثبت أن الحق مالك وللمالك أن يتصرف كيف يشاء ؟ أليس قد ثبت انه حكيم والحكيم لا يعبت ؟ • قال وأنا أعلم ان فى نفسك من هذه الكلمة شيئا فانك قد سمعت عن جالينوس انه قال : ما أدرى أحكيم هو أم لا ؟ والسبب فى قوله هذا انه رأى نقمنا بعد احكام ففاس الحال على أحوال الخلق وهو أن من بنى ثم نقض لا معنى فليس بحكيم ، قال وجوابه لو كان حاضرا أن يقال : بماذا بان لك أن النقض ليس بحكمة ؟ أليس بعقلك الذى وهبه الصانع لك ؟ فكيف يهب لك الذهن الكامل ويفوته هو الكمال ؟ وهذه المحنة التى جرت لابليس فانه أخذ يعيب الحكمة بعقله ، فلو فكر علم ان واهب العقل أعلى من العقل ، وان حكمته أوفى من كل حكيم ، لأنه بحكمته التامة أنشأ العقول ، فهذا اذا تأمله المنصف زال عنه الشك • انتهى • ومراد الحافظ ابن الجوزى من كان ممن لا يرى طريقا الى ادراك حكمته الا بالعقل ، كيف وقد جاء فى صحيح المنقول ما يوافق صريح المنقول من الكتاب والسنة ما لا يبقى فى لب اللبيب أقل اختلاج وأدنى ريب والله أعلم بكل غيب • وهو ((الوارث)) أى الباقي بعد فناء الخلق والمسترد لأملاكهم وموارثهم بعد موتهم قال تعالى (انا نحن نرث الارض ومن عليها والينا

(١) بهامش منح : هذا كقول ابن الراوندى قبحه الله
هذا الذى صير الاوهام حائرة وصير العالم النحرير زنديقا اه

يرجعون) وقال تعالى (وانا لنحن نحى ونميت ونحن الوارثون) فلا يبقى عليها ولا عليهم لأحد غيره سبحانه ملك ولا ملك ، ويقول الله تعالى فى ذلك اليوم بعد فناء الخلق (لمن الملك اليوم) ولا أحد يجيبه فيجيب نفسه فيقول (لله الواحد القهار) وسيأتى الكلام على دقائق تتعلق بالأسماء عند مباحثها ان شاء الله تعالى

ثم انى بعد ابتدائى بالبسملة والحمدلة والثناء عليه تعالى بما هو أهله عقبته بالصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم اظهارا لعظمة قدره ، وأداء لبعض حقوقه الواجبة اذ هو الواسطة بين الله وبين عباده ، وجميع النعم الواصلة اليهم التى من أعظمها الهداية للدين القويم انما هى به وعلى يديه صلى الله عليه وسلم ، وامثالاً لقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً) واغتناماً للثواب الوارد فى قوله صلى الله عليه وسلم « من صلى على فى كتاب لم يزل الملائكة تستغفر له » وفى رواية « تصلى عليه مادام اسمى فى ذلك الكتاب » وللجمع بين الثناء على الله تعالى وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم بالصلاة عليه فقلت :

* ((ثم الصلاة والسلام سرمداً على النبى المصطفى كنز الهدى))

* ((وآله وصحبه الأبرار معادن التقوى مع الأسرار)) *

((ثم الصلاة)) وهى من الله الرحمة (١) ومن الملائكة الاستغفار ومن غيرهم التضرع والدعاء بخير ، هذا هو المشهور والجارى على ألسنة الجمهور ولم يرتض هذا الامام المحقق ابن القيم فى كتابيه (جلاء الأفهام) و (بدائع الفوائد) وغيرهما ورده من وجوه (أحدها) ان الله تعالى غير بينهما فى قوله (عليهم صلوات من ربهم ورحمة) (٢) (الثانى) ان سؤال الرحمة يشرع لكل مسلم والصلاة تختص بالنبى صلى الله عليه وسلم وآله فهى حق له وآله ولهذا منع كثير من العلماء الصلاة على معين غيره يعنى وغير سائر الانبياء والملائكة ولم يمنع أحد من الترحم على معين من المسلمين

(١) بهامش مخ واختار ابن القيم انها بمعنى الثناء من الله اه وفى تنبيه ابن سحمان ص ٤ « الصواب ما ذكره البخارى فى صحيحه عن أبى العالية قال : صلاة الله ثناؤه على عبده فى الملا الاعلى »
(٢) بهامش مخ ولعطف الرحمة على لصلاة ، والعطف يقتضى المغايرة اه

معنى الصلاة
على النبى ص
من الله والعباد

(الثالث) ان رحمة الله عامة وسعت كل شيء وصلاته خاصة لخواص عباده (١) • وقولهم الصلاة من العباد بمعنى الدعاء مشكل أيضا من وجوه

(١) بهامش مخ ما نصه : وتام كلام المحقق منقول من كتابه المذكور قال : الرابع أنه لا خلاف في جواز الرحمة على المؤمنين واختلف السلف والخلف في جواز الصلاة على غير الانبياء • الخامس انه لو كانت الصلاة بمعنى الرحمة لقامت مقامها في امتثال الامر وأسقطت الوجوب عند من أوجبها وليس الامر كذلك • السادس أنه لا يقال لمن رحم غيره ورق طبعه عليه فأطعمه وسقاه أو كساه أنه صلى عليه ويقال رحمه • السابع ان الانسان قد يرحم من يبغيه ويعاديه فيجد في قلبه له رحمة ولا يصلى عليه • الثامن أن الصلاة لا بد فيها من كلام فهي ثناء من المصلى على من يصلى عليه ، الى أن قال : التاسع ان الله سبحانه فرق بين قرن صلته وصلاة ملائكته وجمعهما في فعل واحد فقال ان الله وملائكته يصلون على النبي ، وهذه الصلاة لا يجوز أن تكون بمعنى الرحمة وانما هي ثناؤه سبحانه وثناء ملائكته عليه • الى أن قال : الوجه العاشر ان الله أمر بالصلاة عقب اخباره بأنه وملائكته يصلون على رسوله فصلوا أنتم أيضا عليه فأنتم أحق بأن تصلوا عليه وتسلموا تسليما لما نالكم ببركة رسالته ويمن سفارته من خير شرف الدنيا والآخرة • ومن المعلوم أنه لو عبر عن هذا المعنى بالرحمة لم يحسن موقعه ولم يحسن النظم فينقص اللفظ والمعنى - الى أن قال :

« الحادى عشر • أنه قد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من صلى على مرة واحدة صلى الله عليه بها عشرا • وهذا موافق للقاعدة المستقرة في الشريعة أن الجزاء من جنس العمل ومعلوم أن صلاة العبد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليست رحمة من العبد فتكون صلاة الله عليه من جنسها وانما هي ثناء على الرسول صلى الله عليه وسلم من العبد فجزاء الله من جنس عمله • الى أن قال : الوجه الثانى عشر • أن أحدا لو قال : عن رسول الله رحمه الله ، أو قال رسول الله رحمه الله - لبادره الامة بالانكار عليه وعدوه مبتدعا غير موقر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا مصل عليه ولا مثن عليه بما يستحقه • ولو كانت الصلاة من الله الرحمة لم يمتنع شيء من ذلك - الى أن قال :

الثالث عشر أن هذه اللفظة لا تعرف في اللغة الاصلية بمعنى الرحمة أصلا • والمعروف عند العرب من معناها انما هو الدعاء والتبريك والثناء فالواجب حملها على معناها المتعارف • الرابع عشر أنه يسوغ بل يستحب لكل مسلم أن يسأل الله أن يرحمه فيقول اللهم ارحمنى ومعلوم أنه لا يسوغ لاحد أن يقول اللهم صل على بل الداعي بهذا معتد في دعائه • والله لا يحب المعتدين بخلاف سؤاله الرحمة فعلم أنه ليس معناها واحدا الخامس عشر • ان أكثر المواضع التي تستعمل فيها الرحمة لا يحسن أن تقع فيها الصلاة • كقوله تعالى : ورحمتى وسعت كل شيء • وقوله • أن رحمتى سبقت غضبى ، وقوله ان رحمة الله قريب من المحسنين • فلا يصح تفسير الصلاة بالرحمة • والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب • انتهى نقلنا من كتاب جلاء الافهام وتامه فيه اهـ

(أحدها) ان الدعاء يكون بالخير والشر والصلاة لا تكون الا فى الخير
 (الثانى) ان دعوت يتعدى باللام وصلت لا يتعدى الا بعلى ، ودعا المعدى
 بعلى ليس بمعنى صلى وهذا يدل على أن الصلاة ليست بمعنى الدعاء (الثالث)
 ان فعل الدعاء يقتضى مدعوا ومدعوا له تقول : دعوت الله لك بخير : وفعل
 الصلاة لا يقتضى ذلك لا تقول : صليت الله عليك ولا لك ، فدل على أنه
 ليس بمعناه فأتى تباين أظهر من هذا ؟ • قال ولكن التقليد يعمى عن ادراك
 الحقائق فإياك والاخلاص الى أرضه • قال فى البدائع : ورأيت لأبى القاسم
 السهلبى كلاما حسنا فى اشتقاق الصلاة - فذكر ما ملخصه : ان معنى اللفظة
 حيث تصرفت ترجع الى الحنو والعطف الا أن ذلك يكون محسوسا ومعقولا
 فالمحسوس منه صفات الأجسام والمعقول منه صفة ذى الجلال والاکرام ،
 وهذا المعنى كثير موجود فى الصفات (١) والكبير (٢) • يكون صفة للمحسوسات
 وصفة للمعقولات ، وهو من أسماء الرب تعالى وتقدس عن مشابهة الاجسام
 ومضاهاة الانام ، فما يضاف اليه تعالى من هذه المعانى معقولة غير محسوسة،
 فاذا ثبت هذا فالصلاة كما قلنا حنو وعطف من قولك : صليت : أى حنيت
 صلاك وعظمته فأخلق بأن تكون الرحمة كما سمي عطفًا وحنوا تقول اللهم
 اعطف علينا أى ارحمنا قال الشاعر

وما زلت فى لىنى له وتمطفى عليه كما تحنو على الولد الأم
 وأما رحمة العباد فرقة فى القلب اذا وجدها الراحم من نفسه اعطف
 على المرحوم وأثنى عليه ، ورحمة الله للعباد جود وفضل فاذا صلى عليه فقد
 أفضل وأنعم ، وهذه الافعال اذا كانت من الله أو من العبد فهى متعدية
 بعلى مخصوصة بالخير لا تخرج عنه الى غيره فرجعت كلها الى معنى واحد
 الا أنها (٣) فى معنى الدعاء والرحمة والصلاة معقولة أى انحاء معقول
 غير محسوس ثمرته من العبد الدعاء لأنه لا يقدر على أكثر منه وثمرته
 من الله الاحسان والانعام ، فلم تختلف الصلاة فى معناها وانما اختلفت
 ثمرتها الصادرة عنها • والصلاة التى هى الركوع والسجود انحاء محسوس
 فلم يختلف المعنى فيها الا من جهة المعقول وليس ذلك باختلاف فى الحقيقة،
 (١) مع فى «الاسماء والصفات» (٢) فى الاصلين « والكثير » كذا (٣)
 مع «لأنها»

معنى السلام
وقرنه بالصلاة

ولذلك تعدت كلها بعلى واتفقت فى اللفظ المشتق من الصلاة ، ولم يجز صليت على العدو أى دعوت عليه ، فقد صار معنى الصلاة أرق وأبلغ من معنى الرحمة وان كان راجعا اليه اذ ليس كل راحم ينحنى على المرحوم وينعطف عليه من شدة الرحمة • انتهى • ((والسلام)) بمعنى التحية والسلامة من القائص والرذائل • وفى المطلع : قال الازهرى فى قولك : السلام عليك قولان ، أحدهما اسم السلام ومعناه اسم الله عليك ومنه قول لبيد : الى الحول ثم اسم السلام عليكما ، ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر والثانى سلم الله عليك تسليما وسلاما ومن سلم الله عليه سلم من الآفات كلها • قال الحافظ ابن الجوزى فى (مفتاح الحصن) وأما الجمع بين الصلاة والسلام فهو الاولى والاكمل والافضل لقوله تعالى (صلوا عليه وسلموا تسليما) ولو اقتصر على أحدهما جاز من غير كراهة فقد جرى عليه جمع منهم مسلم فى صحيحه خلافا للشافعية • وفى كلام بعضهم لا أعلم أحدا نص على الكراهة حتى أن الامام الشافعى نفسه اقتصر على الصلاة دون تسليم فى خطبة الرسالة والله أعلم ((سرمدا)) أى دائما متصلا على ممر الليلى والايام قال فى القاموس : السرمد الدائم والطويل من الليلى • أى صلاة وسلاما ممتدين دائمين امتدادا دائما سرمدا وبالله التوفيق ((على النبى)) قال فى المطلع يهمز ولا يهمز فمن جعله من النبأ همزه لانه ينبىء الناس عن الله ولأنه ينبأ هو بالوحى ومن لم يهمز فاما سهله واما أخذه من النبوة وهى الرفعة لارتفاع منازل الانبياء على الخلق ، وقيل مأخوذ من النبى الذى هو الطريق لانهم الطرق الموصلة الى الله تعالى • وهو انسان أوحى اليه بشرع (١) وان لم يؤمر بتبليغه فان أمر بتبليغه فهو رسول أيضا على المشهور فبين النبى والرسول عموم وخصوص مطلق ، فكل رسول نبى وليس كل نبى رسولا • والرسول أفضل من

لفظ النبى

(١) بهامش مط ما لفظه : قوله وهو انسان أوحى اليه بشرع الخ اعلم رحيمك الله أنه يجب على كل مسلم أن يعتقد أن الرسول محمدا صلى الله عليه وسلم رجل حر بالغ من بنى آدم ويجب أن يعتقد أنه من العرب من قرينش من بنى هاشم قال الفاسى فى شرح دلائل الخيرات من قال انه ليس بعربى أو ليس بقرشى فكافر • وكذا يجب أن يعتقد أنه ولد بمكة ونشأ بمكة ونشأ بها وهاجر الى المدينة ومات بها وقبره موجود فيها قال الفاسى فى

النبي اجماعاً لتمييزه بالرسالة التي هي أفضل من النبوة على الاصح خلافاً لابن عبد السلام ووجه تفضيل الرسالة لأنها تثمر هداية الأمة والنبوة قاصرة على النبي فنسبتها الى النبوة كنسبة العالم الى العابد ، ثم ان محل الخلاف فيهما مع اتحاد محلها وقيامها معا بشخص واحد أما مع تعدد المحل فلا خلاف في أفضلية الرسالة على النبوة ضرورة جمع الرسالة لها مع زيادة ((المصطفى)) أى المختار والمستخلص مأخوذ من الصفوة مثلثة يقال استصفى الشيء أخذ منه صفوه واختاره كاصطفاه ، وفي مسلم والنسائي عن وائلة بن الاسقع رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ان الله تعالى اصطفى كنانة من ولد اسماعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بنى هاشم » ورواه الترمذى ولفظه « ان الله اصطفى من ولد ابراهيم اسماعيل واصطفى من ولد اسماعيل بنى كنانة واصطفى من بنى كنانة قريشا واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفاى من بنى هاشم » ((كنز)) أى معدن ومقر ((الهدى)) وموضعه الذى نشأ عنه واستقر لديه والكنز فى الاصل المال المدفون تحت الارض وفى الحديث « لاحول ولا قوة الا بالله كنز من كنوز الجنة » أى أجرها مدخر لقائها والمتصف بها كما يدخر الكنز المدفون لصاحبه • والهدى فى الاصل مصدر كالسرى والتقى ومعناه الرشاد والدلالة ولو غير موصلة ومن أسمائه تعالى الهادى وهو الذى بصر عباده وعرفهم طرق معرفته حتى أقروا بربوبيته وهدى كل مخلوق الى مالا بد له منه فى بقاءه ودوام وجوده ، وفى الحديث « الهدى الصالح والسمت الصالح جزء من خمسة وعشرين جزءاً من النبوة » المراد بالهدى هنا السيرة والهيئة والطريقة ، ومعنى الحديث ان هذه الخلال من شمائل الانبياء وخصالهم الحميدة وانها جزء معلوم من أجزاء أفعالهم لأن المعنى أن النبوة تتجزأ ، ولأن من جمع هذه الخلال كان فيه جزء من النبوة ، فان النبوة غير مكتسبة ولا مجتلبة بالأسباب ، وانما هى كرامة

تفسير الهدى

الكتاب المذكور كما اذا قال : ليس الذى كان بمكة ، أو لم يكن بالمدينة ، ولا توفى بها • أى من قال ذلك فهو كافر لان هذا جحد له صلى الله عليه وسلم • وكذلك انه لم يخلق من نطفة وانما هو كعيسى وآدم عليهما السلام أو قال انه لم يكن بشراً آدمياً فكل ذلك نص العلماء على كفر قائله ومدعيه

تفسير الآل

من الله تعالى كما يأتي تقرير ذلك في محله ان شاء الله تعالى ، وتخصيص هذا العدد مما كان يستأثر النبي صلى الله عليه وسلم بمعرفته ((و)) الصلاة والسلام الدائمان السرمديان على ((آله)) صلى الله عليه وسلم ، وهم أتباعه على دينه ، قال الامام المحقق ابن القيم في كتابه - جلاء الافهام : يقال آل الرجل له نفسه وآله لمن تبعه وآله لأهله وأقاربه ، فمن الأول قوله صلى الله عليه وسلم « اللهم صل على آل أبي أوفى » وقوله تعالى (سلام على آل ياسين) ونازع في هذا قوم فقالوا لا يكون الآل الا الاتباع والاقارب وأجابوا عما ذكر بأن المراد من الآية والحديث الاقارب . واختلف في آله صلى الله عليه وسلم فقيل هم الذين حرمت عليهم الزكاة وهم عندنا كالحفنية بنو هاشم خاصة ، وعند الشافعية بنو هاشم وبنو المطلب ، وقيل بنو هاشم ومن فوقهم الى غالب وهذا قول أشهب من أصحاب مالك ، وقيل هم ذريته وأزواجه خاصة حكاه ابن عبد البر في التمهيد ، وقيل آله أتباعه على دينه الى يوم القيامة حكاه ابن عبد البر عن بعض أهل العلم وأقدم من زوى عنه هذا القول جابر بن عبد الله رضى الله عنهما ذكره البيهقي واختاره بعض الشافعية (١) قلت وكثير من علمائنا في مقام الدعاء خاصة ، وقيل هم الاتقياء من أمتة حكاه القاضى حسين والراغب وجماعة لما روى أنه صلى الله عليه وسلم سئل من آلك قال « كل مؤمن تقى » (٢) وفي القاموس آل الرجل أهله وأتباعه وأولياؤه ولا يستعمل الا فيما فيه شرف غالبا فلا يقال آل الاسكاف كما يقال أهله . وهو اسم جمع لا واحد له من لفظه بل من معناه وهو صاحب ، وهل ألفه منقلبة عن هاء وأصله أهل كما هو مذهب سيويه أو عن واو كما هو مذهب الكسائي ؟ ظاهر كلام ابن القيم في جلاء الافهام ترجيح الثانى وكلاهما مسموع ويصغر على أهيل وأويل والصواب جواز اضافة آل الى الضمير قال الشاعر :

(١) بهامش مخ ما لفظه وهذا هو مذهب جمهور أهل الحديث قال بعضهم :

آل النبي هم اتباع ملتبه من الاعاجم والسودان والعرب
لو لم يسكن آله الا اقاربه صلى المصل على الطاغى أبى لهب

(٢) أنظر ترجمة نافع بن هرمز من ميزان الذهبى . العلمى

أنا الفارس الحامي حقيقة والدي وآلى فما تحمى حقيقة آلكا (١)
وفى شعر عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه وسلم
وانصر على آل الصلي ب وعابديه اليوم آلك
نعم هو بالنسبة الى اضافته الى الظاهر قليل . وانما اتبعنا آله عليه الصلاة
والسلام له لما تضافرت به الاخبار وصحت به الآثار من قوله صلى الله عليه
وسلم « قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل
ابراهيم » الى مالا يحصى الا بكلفة ((و)) الصلاة والسلام الدائمان المتصلان
على ((صحبه)) اسم جمع لصاحب وقال الاخفش جمع له وبه جزم الجوهري
فقال وجمع صاحب صحب كراكب وركب . والضمير عائد على النبي صلى الله
عليه وسلم والمراد بالصاحب هنا الصحابي ((الابرار)) جمع البرأى البار
وهو الصادق والكثير البر والصدق فى اليمين ، وفى أسمائه الحسنى
« البر » دون البار ، قال العلامة أبو بكر بن أبى داود فى كتابه (تحفة
العباد) البر هو العطوف على عباده المحسن اليهم عم بیره جميع خلقه ،
فلم يبخل عليهم برزقه ، وهو البر بأوليائه اذ خصهم بولايته ، واصطفاهم
لعبادته ، وهو البر بالمحسن فى مضاعفة الثواب له ، وبالمسئء فى الصفح
والتجاوز عنه . والابرار كثيرا ما يخص بالأولياء والزهاد والعباد ،
والصحابية الكرام ، أفضل أولياء الانام ، وفى الآية الكريمة (وتوفنا مع
الابرار) والصحابي من اجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم مؤمنا ولو لحظة
ومات على ذلك ولو تخلله ردة . وقسم الامام الحافظ ابن الجوزى الصحبة
الى ثلاث مراتب (الاولى) من كثرت معاشرته ومخالطته للنبي صلى الله
عليه وسلم بحيث لا يعرف صاحبها الا بها فيقال هذا صاحب فلان وخدامه
لمن تكررت خدمته لا لمن خدمه مرة واحدة أو ساعة أو يوما (الثانية)
من اجتمع به صلى الله عليه وسلم مؤمنا ولو مرة واحدة لأنه يصدق عليه
انه صحبه وان لم ينته الى الاشتهار به (الثالثة) من رآه صلى الله عليه
وسلم رؤية ولم يجالسه ولم يماشه فهذا ألحق بالصحبة الحاقا وان كانت
حقيقة الصحبة لم توجد فى حقه ولكنها صحبة الحاقية حكمية لشرف قدر
(١) بهامش مخ ما لفظه : الحقيقة ضد المجاز وما يحق أن تحميه
والرأية ١٠ هـ

مسيراتب
الصحبة

النبي صلى الله عليه وسلم لاستواء الكل فى انطباع طلعة المصطفى صلى الله عليه وسلم فيهم برؤيته اياهم أو رؤيتهم اياه مؤمنين بما جاء به وان تفاوتت رتبهم رضوان الله عليهم . وفى وصفنا اياهم بالابرار اشارة الى المذهب الراجح من أنهم عدول كلهم ولا يبحث عن عدالة أحد منهم لا فى رواية ولا فى شهادة والمراد ما لم يظهر معارض كزنا ما عزر وفى قوله صلى الله عليه وسلم « أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم » دليل على عدالتهم اذ لو لم يكونوا عدولا لما حصل الاهتداء بالافتداء بهم . وعلى الناس ذكر محاسنهم والكف عما جرى بينهم من الفتن ويجب حمل ذلك على اجتهادهم وظن كل فريق منهم أن ما صار اليه هو الواجب وأنه أرفق للدين وأوفق للمسلمين وكل مجتهد مأجور والله ولى الامور ولهذا وصفهم بقوله ((معادن)) جمع معدن وهى المواضع التى يستخرج منها جواهر الارض كالذهب والفضة وغيرهما ، والمدن الإقامة ، والمدن مركز كل شىء ، ومنه حديث « فمن معادن العرب تسألونى ؟ قالوا نعم » أى عن أصولها التى ينسبون اليها ويتفاخرون بها أى هم مستقر ((التقوى)) ومواضعها والتقوى لغة الحجزين الشيثيين وشرعا التحرز بطاعة الله عن مخالفته وامتنال أمره واجتناب نهيه ، وأصل اتقى اوتقى لأنه من وقى وقاية فقلبت الواو تاء وأدغمت التاء فى التاء ((مع الاسرار)) البديعة والاحوال الرفيعة . والسر ما استودعته لأخيك وكرهت أن يطلع عليه أحدا وقد قال صلى الله عليه وسلم « المجالس بالأمانة الا ثلاثة مجالس سفك دم حرام وفرج حرام واقتطاع مال بغير حق » رواه أبو داود من حديث جابر مرفوعا ، وأخرج الامام احمد من حديث أبى الدرداء « من سمع من رجل حديثا لا يشتهى أن يذكر عنه فهو أمانة وان لم يستكتمه » وقال العباس بن عبد المطلب لابنه عبد الله رضى الله عنهما يا بنى ان أمير المؤمنين يدنيك - يعنى عمر رضى الله عنه - فاحفظ عنى ثلاثا ، لا تفضين له سرا ، ولا تقتابن عنده أحدا ، ولا يطلعن منك على كذبة . ولا شك ان الصحابة رضى الله عنهم كانوا أعمق الناس أسرارا وأبرهم قلوبا وأعلامهم أنوارا .

تنبيهات

(الاول) كثيرا ما يجمع المصنفون في الصلاة بين الآل والصالحين ويعطفونهم عليهم مع شمول الآل لهم في مقام الدعاء على المعتمد كـ القاضي أبو يعلى أحد أركان المذهب وقدمه المجد في شرحه والامام في المعنى لرغم أنوف المبتدعة من الرافضة وأشباههم أذلهم الله تعالى ذكر الحافظ أبو زرعة الرازي واسمه عبيد الله (١) ابن عبد الكرم الامام (٢) أبي الحسين (٣) مسلم بن الحجاج ان أصحاب النبي عليه وسلم يزيدون على مائة ألف. قال البرماوي في شرح « الزهر » هذا على الأصح في النقل عنه كما رواه ابن المديني في ذيله على الصحابة ، وروى أنهم مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا ممن روى عنه منه صلى الله عليه وسلم ، واستبعده البرماوي ، قلت قد جزم بهذه الحافظ جلال الدين السيوطي في الخصائص الصغرى وذكره الشهاب المنيني في نظمها بقوله :

وصحبه أفضل خلق الله
بعد النبيين بلا أشـ
هم كالنجوم كلهم مجتهد
يا ويل أقوام بهم لم يهتـ
والفضل في ما بينهم مراتب
وعدهم للأنبيا يقـ

(الثالث) اختلف العلماء في الصلاة على غير الانبياء عليهم السلام والاسلام هل تجوز استقلالاً أم لا ؟ قال الامام المحقق ابن القيم في الافهام) هذه المسألة على نوعين ، أحدهما أن يقال اللهم صل على آل فهذا يجوز ويكون عليه الصلاة والسلام داخلا في آله فالافراد لفظا لا معنى . الثاني أن يفرد واحد بالذكر كقوله اللهم صل على حسن أو أبي بكر أو غيرهم من الصحابة ومن بعدهم ، فكره ذلك مالك ، قال لم يكن ذلك من عمل من مضى . وهو مذهب أبي رزق وسفيان بن عيينة والثوري وبه قال طاوس ، وقال ابن عباس رز

الجمع بين الآل
والصالحين

عدد الصحابة

حكم الصلاة
على غير
الانبياء

(١) في الأصلين : « عبد الله ، خطأ

(٢) في مط «شيخ الاسلام» وكذا كتبت أولا في المخطوط ثم اصلاحها

(٣) في مط « أبي الحسن » خطأ

عنهما لا تنبى الصلاة الا على النبي ولكن يدعى للمسلمين والمسلمات بالاستفجار . وهذا مذهب عمر بن عبد العزيز روى ابن ابي شيبة عن جعفر ابن برقان قال كتب عمر بن عبد العزيز رحم الله روحه : أما بعد فان ناسا من الناس قد التمسوا الدنيا بعمل الآخرة وان من القصاص قد أحدثوا فى الصلاة على خلفائهم وأمرائهم عدل صلاتهم على النبي صلى الله عليه وسلم فاذا جاء كتابى فمرهم أن تكون صلاتهم على النبيين ودعاؤهم للمسلمين عامة ، وهذا مذهب الشافعية ولهم ثلاثة أوجه منع تحريم أو كراهة تنزيه أو من باب ترك الاولى حكاهما النووى فى الاذكار . وقالت طائفة من العلماء تجوز الصلاة على غير النبي استقلالاً ، قال القاضى أبو يعلى من أئمة مذهبنا فى كتابه رءوس المسائل وبذلك قال الحسن البصرى وخصيف ومجاهد ومقاتل بن سليمان ومقاتل بن حيان وكثير من أهل التفسير وهو قول الامام احمد رضى الله عنه نص عليه فى رواية أبى داود وقد سئل أينبغى أن لا يصلى على أحد الا على النبي صلى الله عليه وسلم ؟ قال : ليس قال على لعمر صلى الله عليك ؟ قال القاضى وبه قال اسحاق بن راهويه وأبو نور وابن جرير الطبرى واحتجوا بصلاة النبي صلى الله عليه وسلم على (١) جماعة من أصحابه ممن كان يأتيه بالصدقة . واختار الامام المحقق ابن القيم الجواز مالم يتخذ شعاراً أو يخص به واحدا اذا ذكر دون غيره ولو كان أفضل منه كفعل الرافضة مع أمير المؤمنين على وأهل بيته دون غيرهم من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين فيكره حينئذ ولو قيل بالتحريم لكان له وجه . هذا ملخص كلامه والله أعلم

((وبعد فاعلم أن كل العلم كالفرع للتوحيد فاسمع نظمى))
((لأنه العلم الذى لا ينبغى لعاقل لفهمه لم يتبع))

الكلام على بعد
واما بعد

((وبعد)) الواو بدل عن أما النابتة عن مهما ولتضمنها معنى الشرط لزمت الفاء فى جوابها ، وبعد من الظروف المبنية مالم تضاف لفظاً ومعنى أو ينوى ثبوت لفظ المضاف إليها أو تقطع عن الاضافة رأساً فتعرب حينئذ فى الثلاثة، وان حذف المضاف إليها او نوى ثبوت معناه بنيت على الضم، ويؤتى

بها للانتقال من أسلوب الى غيره أى بعد البسمة والحمدلة والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه • ويستحب الاتيان بها فى الخطب والمكاتبات لان النبى صلى الله عليه وسلم كان يأتى بها فى خطبه ومكاتباته للملوك وغيرهم • ونقل الامام القاضى علاء الدين المرداوى الحنبلى فى كتابه شرح التحرير انه نقل اتيانه صلى الله عليه وسلم بأما بعد فى خطبه ونحوها خمسة وثلاثون صحابيا • واختلف فى أول من نطق بها فقيل داود عليه السلام وعن الشعبى انها فصل الخطاب الذى أوتيه لأنها تفصل بين المقدمات والمقاصد ، وقيل أول من نطق بها يعقوب ، وقيل أيوب ، وقيل سليمان عليهم السلام ، وقيل قس بن ساعدة الايادى ، وقيل كعب بن لؤى ، وقيل يعرب بن قحطان ، وقيل سحبان وائل • وعلى هذه الاقوال ففصل الخطاب الذى أوتيه داود عليه السلام « البينة على المدعى واليمين على من أنكر » - والاول - وهو أول من تكلم بها داود عليه السلام - أشبه كما قاله الحافظ ابن حجر السقلانى وغيره ، ويمكن الجمع لكن نسبة أولية ذلك لسحبان وائل ساقط جدا ، نعم زعم بعض الناس ان سحبان أول من نطق بها فى الشعر حيث قال :

نقد علم القوم اليمانون انى اذا قلت أما بعد انى خطيها

وقد نظم ذلك الشمس الميدانى مع زيادة آدم عليه السلام فقال :

جرى الخلف أما بعد من كان بادئا بها عد أقوالا وداود أقرب
ويعقوب أيوب الصبور وآدم وقس وسحبان وكعب ويعرب

((فاعلم)) الفاء فى جواب الواو النائية عن اما لتضمنها معنى الشرط ، والعلم صفة يميز التصف بها بين الجواهر والاجسام والاعراض والواجب والممكن والممتنع تمييزاً جازماً مطابقاً ((ان كل العلم)) أى سائر العلوم الشرعية وكذا العقلية بأنواعها وتفاريحها من أصولها وفروعها ((كالفرع ل)) علم ((التوحيد)) المتفرع عليه والناشئ عنه المنظور اليه والمقتبس منه ((فاسمع)) سماع فهم وعرفان وقبول واذعان ((نظمى)) لأهمات مسائله ومهمات دلائله • والتوحيد تفصيل للنسبة كالتصديق والتكذيب لا للجعل

معنى لفظ
التوحيد

فمعنى وحدت الله نسبت اليه الوجدانية (١) لا جعلته واحدا فان وحدانية الله تعالى ذاتية له ليست بجعل جاعل • قال في القاموس التوحيد ايمان بالله وحده • انتهى • أى التصديق بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم من الخبر الدال على أن الله تعالى واحد في ألوهيته لا شريك له ، والتصديق بذلك الخبر أن ينسبه الى الصدق ومطابقة الواقع بالقلب واللسان معا ، لأننا نعنى بالتوحيد هنا الشرعى وهو افراد المعبود بالعبادة مع اعتقاد وحدته ذاتا وصفات وأفعالا ، فلا تقبل ذاته الانقسام بوجه ولا تشبه صفاته الصفات ولا تنفك عن الذات ولا يدخل أفعاله الاشتراك (٢) ، فهو الخالق دون من سواه • وانما كانت العلوم كالفرع لعلم التوحيد لانه أشرف العبادات وأفضل الطاعات ، وشيروط في صحة كل عبادة وطاعة ، وشيروط لقسول الاعمال ، اذ هو معرفة ذى العظمة والجلال ، فمن لم يوحد المعبود ، فكل عمله مردود • وانما سمي هذا العلم بالتوحيد لانه أشهر مسائله وأشرفها ، ويسمى أيضا بعلم الكلام لأن مباحثه كانت معنونة في كتب القدماء بقولهم : الكلام فى كذا ، أو لأن أشهر مواضع الخلاف فيه مسألة كلام الله تعالى حتى جرى ما جرى لأئمة الدين بنزغة الشيطان للمخالفين ولكون علم التوحيد أصل العلوم وأساس (٣) النجاة وسلم المعرفة للحق القيوم قلنا ((لانه)) أى علم التوحيد ((العلم)) العظيم القدر الفخيم الامر ((الذى لا ينبغي)) أى لا يطلب ولا يحسن ولا يجمل ((ل)) شخص بالغ ((عاقل)) من ذكر وأنتى من بنى آدم ((لفهمه)) أى لادراك صور معرفته فى ذهنه واقتداره على الاتصاف بالعلم به ((لم يتخ)) أى لم يطلبه ويدأب فى تحصيله ليكون فى ايمانه على بصيرة ، وفى عبادته على يقين ومعرفة منيرة ، ويبين أهل الشك والريب والحيرة ، بل عليه أن يشمر عن ساق الجد والاجتهاد ، ويدأب فى سائر أحواله لينال المراد ، ويبين أهل الفرقة والتفنيذ (١) ويخلع من عتقه ربة التقليد

((فيعلم الواجب والمحالا كجائز فى حقه تعالى))

(١) فى مخ « نسبتہ للوجدانية » (٢) أنظر التعليق على شرح الناظم لقوله فى أول الباب الاول « بأنه واحد » (٣) مخ « وراس » (١) مط « والتقييد »

المسواجب والمحال والجائز

((فيعلم الواجب)) أى يجب على كل مكلف شرعا أن يعرف ما يجب الله تعالى وهو ما لا يتصور فى العقل عدمه كوجوده تعالى ووجوب قدمه، وقدم الواجب لشرفه اذ به يتصف البارى جل وعلا ولأن بمعرفته يعرف قسيمه ((و)) يعلم ((المحالا)) وهو ما لا يتصور فى العقل وجوده كالشريك له تعالى ، وألفه للاطلاق ، وقدمه على الجائز لانه كالبسيط بالنسبة اليه، ولانه المقابل للواجب، ولاجل القافية، ((ك)) ما يجب على كل مكلف أن يعلم لكل حكم ((جائز)) وهو ما يصح فى نظر العقل وجوده وعدمه على السواء كارسال الرسل وانزال الكتب وشرع الشرائع ونسخ بعضها ببعض الى سائر ما يجوز ((فى حقه تعالى)) وتقدس ، ومثل ذلك لرسل الله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فيعرف الواجب فى حقهم من الصدق والامانة وتبليغ ما أمروا بتبليغه ، والمستحيل فى حقهم من الكذب والخيانة وكنم شئ مما أمروا بابلاغه ، والجائز فى حقهم من الاكل والشرب والنوم والنكاح والامراض الغير المزرية بمناصبهم العالية كما يأتى تفصيل ذلك فى محاله ان شاء الله تعالى :

((وصار من عادة أهل العلم أن يعتنوا فى سبر ذا بالنظم))
((لأنه يسهل للحفظ كما يروق للسمع (١) ويشفى من ظما))
((فمن هنا نظمت لى عقيدة أرجوزة وجيزة مفيدة))
((نظمتها فى سلكها مقدمة وست أبواب كذا خاتمة))
((وصار)) فى هذه الازمنة ومن قبلها فى سائر الامصار ، بعد كثرة الخلاف وتباين الفرق وظهور البدع من قديم الاعصار ((من عادة أهل العلم)) بالسنة الدائمين فى تحرير أدلتها والقائمين بشرها وتعليمها والوقوف على أصولها وتبين دقائق محال الخلاف لخوف الزيغ والانحراف ((أن يعتنوا)) أن يقصدوا ويشتغلوا ويهتموا ((فى سبر)) أى تتبع مهمات مسائل ((ذا)) أى هذا العلم الذى هو علم التوحيد وضبط أمهات تفاصيله ((بالنظم)) لسهولة حفظه لانه كلام متسق مقفى موزون فيرسخ فى الحافظة من غير مزيد مشقة بخلاف المشور فانه أصعب رسوخا فى الحافظة كما لا يخفى

التعريف بارجوزة المتن

فمن ثم قلنا معلمين للنظم ((لأنه)) أى المنظوم المفهوم من النظم ((يسهل))
يقال سهل ككرم سهالة وسهولة وتسهيلا (١) لان ويسر ومن الارض ضد
الحزن ، أى يسر ((للحفظ)) والعلوق فى الحافظة ((كما)) انه ((بروق))
أى يحسن ويحمل ويلد ((للسمع)) لكونه ينبسط له ويلتذ بسماعه لتقفيته
ووزنه ((ويشفى)) أى يبرىء ((من ظما)) أى من شدة عطش واشتياق الى
معرفة أصول علم التوحيد ومهمات مسائله ، والظما مهموز العطش أو أشده
وظمىء اليه اشتاق وترك الهمز للوزن ((فمن هنا)) أى من أجل ما ذكرنا
من تمييز النظم على النثر ((نظمت)) النظم التأليف وضم شىء الى آخر
يقال نظم اللؤلؤ ينظمه نظما ونظاما ألفه وجمعه ((لى)) ولن كان مثلى
واعقاده اعتقادي على النحو الاثرى ((عقيدة)) سلفية أثرية ((أرجوزة))
وزنها أفعولة كأنفوسة أى مرجزة النظم من الرجز أحد بحور الشعر على
الارجح وجمعها أراجيز قال الشاعر « أبالاراجيز يا ابن اللؤم توعدنى »
((وجيزة)) أى قليلة من أوجز فى كلامه اذا اختصره وقلله ((مفيدة)) أى
مريحة لمن قرأها وتأمل معانيها حق التأمل ((نظمتها)) أى نظمت مسائليها
ومهماتنا ((فى سلكها)) أى خيطنها قال فى القاموس السلكة بالكسر الخيط
يخاط بها والجمع سلك وجمع الجمع أسلاك ((مقدمة)) بكسر الدال المهملة
على الافصح اسم فاعل من قدم بمعنى تقدم ومنه (لا تقدموا بين يدي الله
ورسوله) أى لا تتقدموا عليه ، ومقدمة العلم ما يتوقف الشروع فيه عليها
كمعرفة حده ورسمه وموضوعه وغاية المقصود منه ، ومقدمة الكتاب تقال
طائفة من كلامه قدمت امام المقصود منه لارتباط له بها وانتفاع بها فيه
((وست (٢) أبواب)) جمع باب وهو فرحة فى سائر يتوصل بها من خارج
الى داخل ومن داخل الى خارج ، وفى العرف اسم لطائفة من العلم يشتمل
على فصول وفروع ومسائل غالبا ((كذاك)) ، أى كما أنه يشتمل على
مقدمة وستة أبواب يشتمل على ((خاتمة)) وهى فى اللغة عاقبة الشىء وآخرفته
وهنا من هذا القبيل ما يأتى بها المصنف أو الناظم فى آخر كتابه أو فى

(١) كذا فى الاصلين والذي فى القاموس «سهل ككرم سهالة وسهله
تسهيلا يسره» وهو الضواب ، المعلمى
(٢) مط « وستة »

آخر بحث أو مسألة لتعلقها بما تقدمها في الجملة وهذه (١) فهرست ما ذكرنا (المقدمة) في ترجيح مذهب السلف على غيره (الباب الاول) في معرفة الله تعالى وما يتعلق بذلك (الثاني) في الافعال (الثالث) في الاحكام والكلام على الايمان ومتعلقات ذلك (الرابع) في بعض السمعيات من الحشر والنشر واشراط الساعة ونحو ذلك (الخامس) في النبوات ومتعلقاتها وفي ذكر فضل الصحابة وأفضلهم (السادس) في ذكر الامامة ومتعلقاتها (والخاتمة) في فوائد جلية وفرائد جزيلة لا يسع الجهل بها وستمر بك بابا بابا ان شاء الله تعالى • ولما نظمت هذه العقيدة الاثرية :

((وسمتها بالدرة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية))
((على اعتقاد ذى السداد الحنبلي امام أهل الحق ذى القدر العلي))
((حبر الملا فرد العلا الرباني رب الحجى ماحى الدجى الشيباني))
((وسمتها)) من السمة وهي العلامة أى سميتها يعنى عقيدتى التى نظمتها فى التوحيد ((بالدرة)) بضم الدال المهملة المشددة وفتح الراء المشددة أيضا اللؤلؤة العظيمة والجمع در ودرر ودرات ((المضية)) أى المنورة من الاضاءة يقال ضاءت وأضاءت بمعنى يعنى استتارت فصارت مضيئة ((فى عقد)) أى اعتقاد ((أهل الفرقة)) أى الطائفة ((المرضية)) فى اعتقادها المأثور عن منبع الهدى وينبوع النور ويأتى الكلام عليها قريبا ((على اعتقاد)) متعلق بنظمت والاعتقاد هو حكم الذهن الجازم فان كان موافقا للواقع فهو صحيح والا فهو فاسد ، والحاصل ان كل معنى عبر عنه الانسان بكلام خبرى من اثبات أو نفى تخيله أو لفظ به اما أن يحتمل متعلقه النقيض بوجه من الوجوه أولا ، الثانى العلم ، والاول اما أن يحتمل النقيض عند الذاكر لو قدره أولا ، الثانى الاعتقاد ، فان طابق هذا الاعتقاد لما فى نفس الامر فهو اعتقاد صحيح وان لم يطابق ما فى نفس الامر فهو اعتقاد فاسد ، والاول وهو الذى يحتمل النقيض عند الذاكر لو قدره الراجح منه بظن ، والمرجوح وهم ، والمساوى شك • وسيأتى الكلام على ذلك ان شاء الله تعالى ((ذى)) أى صاحب ((السداد)) بفتح السين المهملة المشددة فدالين مهملتين بينهما ألف القصد فى الدين

الإمام احمد

والسبيل قال في القاموس والسدد الاستقامة كالسداد - يعنى بالفتح - وأما سداد القارورة والثغر فبالكسر فقط ، وسداد من عوز وعيش لما يسد به الخلة وقد يفتح أو لحن اهـ و وقد جزم النضر بن شميل وجمع بلحن من فتح سداد في قوله صلى الله عليه وسلم من حديث ابن عباس وأمير المؤمنين على رضى الله عنهما : « اذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيه سداد من عوز » وفي حكاية مشهورة (١) • والمراد بنى السداد هو الامام الامجد امامنا أبو عبد الله احمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن ادريس بن عبد الله بن حيان بفتح المهملة وتشديد التحتية وبعد الالف نون ابن عبد الله بن أنس بن عوف بن قاسط بن مازن بن شيان بن (ذهل بن-٢) ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب - بكسر الهاء واسكان النون وبعدها موحدة - بن أقصى - بالفاء والصاد المهملة - بن دععى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان الامام المروزي ثم البغدادي ((الحنبلي)) نسبة الى جده أبي أبيه حنبل ((امام أهل الحق)) الذين هم الفرقة الناجية لاقتنائهم المأثور عن منبع الهدى ومعدن الخيرات وينبوع النور ((ذى)) صاحب ((القدر)) أى المقدار ((العلی)) أى المرتفع السامى لكثرة فضائله وتوفر محامده ومناقبه وآثاره فى الاسلام المشهورة ومقاماته فى الدين المذكورة فقد انتشر ذكره فى البلاد وعم نفعه العباد • قال الامام اسحاق بن راهويه : الامام أحمد بن حنبل حجة بين الله تبارك وتعالى وبين عبيده فى أرضه • وقال الامام الشافعى : خرجت من بغداد وما خلفت فيها أحدا أتقى ولا أروع ولا أفتق ولا أعلم من أحمد بن حنبل • وقال أحمد بن سعيد الدارمى : ما رأيت أسود رأس أحفظ لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أعلم بفقته معانيه من أبى عبد الله احمد بن حنبل • ومن ثم قلت ((جبر الملا)) بفتح الحاء المهملة وكسرها وسكون الموحدة

(١) بهامش مخ ما نصه : « أى مع المأمون والنضر بن شميل وذلك أن المأمون رواه بالفتح فقال النضر انما هو بالكسر يا أمير المؤمنين ، فقال : تلحننى يا نضر ؟ فقال : انما لحن هشيم فيه ، أما سمعت قول العرجى ؟ أضاعونى وأى فتى أضاعوا ليوم كريبه وسداد ثغر وجرى بينهما محاورات ••
(٢) زيادة من مخ

العالم والصالح ، والملا بفتح الميم واللام مهموز أشرف الناس وجماعتهم وذوو الشارة منهم ((فرد)) أى واحد صاحب الخصال ((العلی)) أى المرتفعة السامية بأوصافها الجميلة ونموتها الفضيلة ((الربانى)) أى العالم العامل المعلم للمعلم غيره ، وهو منسوب الى الرب بزيادة الالف والتون للدلالة على كمال الصفة ، وهو الشديد التمسك بدين الله تعالى وطاعته ، وعن المبرد انه منسوب الى ربان الذى يربى الناس بالتعليم ، وقال الصوفية هو الكامل من كل الوجوه فى جميع المعانى • وفى البخارى : الربانى الذى يربى بصغار العلم قبل كباره • وقال بعضهم الربانى من أفيضت عليه المعارف الالهية فعرف بها ربه وعرف الناس بعلمه ، ورأيتى كتابا فى كتابى « القول العلى فى شرح حديث سيدنا أمير المؤمنين على » عند قوله رضى الله عنه : « الناس ثلاثة فعالم ربانى ، ومتعلم على سبيل نجاة ، وهمج رعاع اتباع كل ناعق » ما لفظه : العالم الربانى وهو الذى لا زيادة على فضله لفاضل ، ولا منزلة فوق منزلته لكامل • قال ابن عباس رضى الله عنهما : الربانى هو المعلم أخذه من التربية أى يربى الناس بالعلم كما يربى الطفل أبوه • وقال سعيد بن جبیر : هو الفقيه العليم الخبير • وقال سيوبه : زادوا ألفا ونونا فى الربانى اذا أرادوا تخصيصا بعلم الرب كما قالوا شعرانى ولحيانى لعظيم الشعر واللحية • وقال أبو نعيم (١) الزاهد : سألت ثعلبا عن هذا الحرف وهو الربانى فقال : سألت ابن الاعرابى فقال : اذا كان الرجل عالما عاملا معلما قيل له هذا ربانى ، فان حرم خصلة منها لم يقل له ربانى • وفى « مفتاح دار السعادة » للامام المحقق ابن القيم : معنى الربانى الرفيع الدرجة فى العلم العالى المنزلة فيه وعلى ذلك حملوا قوله تعالى : « لولا ينهاهم الربانيون والاحبار » انتهى • والله أعلم ((رب)) أى صاحب ((الحجا)) كالى العقل والفتنة والمقدار العالى • كان سيدنا الامام أحمد رضى الله عنه ربعة من الرجال حسن الوجه حسن الهيئة لا يخوض فى شىء من أمور الناس ذا وقار وسكينة من أحيا الناس وأكرمهم نفسا وأحسنهم عشرة وأدبا كثير الاطراق وغض البصر معرضا عن اللغو لا يسمع منه الا المذاكرة

بالحديث وذكر الصالحين • قال الامام الحافظ أبو داود : كانت مجالس الامام أحمد مجالس آخرة لا يذكر فيها شيء من أمر الدنيا • قال : وما سمعته ذكر الدنيا قط • وقال ثعلب في صفته : رأيت رجلا كأن النصار توقد بين عينيه • وقال عبد الملك الميموني : ما أعلم انى رأيت أحدا انظف ثوبا ولا أشد تعاهدا لنفسه فى ثيابه وشعر رأسه وبدنه من الامام أحمد بن حنبل • وكان يحب الفقراء ويعرض عن أهل الدنيا وكان حسن الخلق دائم البشر لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ ، يحب فى الله ويغض فى الله ، ويحب لمن أحبه ما يحب لنفسه ويكره له ما يكره لها ، لا تأخذه فى الله لومة لائم ، حسن الجوار يؤذى فيتحمل • وكان أصبر الناس على الوحدة فكان لا يرى الا فى مسجد أو جنازة أو عيادة مريض ، ويكره المشى فى الاسواق • وكان يقول الحلوة أروح لقلبي • وكان يقال كان ابن مسعود رضى الله عنه أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم هديا وسمتا ، وكان أشبه الناس بهدى عبد الله وسمته علقمة بن قيس ، وكان أشبه الناس بعلقمة ابراهيم النخعي ، وكان أشبه الناس بابراهيم منصور بن المعتز ، وكان أشبه الناس بمنصور سفيان الثوري ، وكان أشبه الناس بسفيان وكيع بن الجراح • قال محمد بن يونس : وكان أشبه الناس بوكيع الامام أحمد بن حنبل رضوان الله عليهم أجمعين • وكان الامام أحمد رضى الله عنه يخضب بالحناء خضبا ليس بالقانى • واعلم انه لا شبهة عند أئمة الدين بأن سيدنا الامام أحمد رضى الله عنه امام السنة والصابر فى المحنة ((ماحى)) بنور السنة وضاءة المتابعة وسنا الوراثة المحمدية أى مذهب أثر ((الدجى)) أى ظلمة البدعة يقال دجا الليل دجوا ودجوا أظلم كأدجى وتدجى وليله داجية أى مظلمة ودياجى الليل حناده ، فان امامنا وسيدنا الامام أحمد رضى الله عنه كسر سورة أهل البدع وشمل جموعهم ورد كيدهم فى صدورهم وأبقى شجاهم فى نحورهم ((الشيباني)) نسبة الى أحد أجداده شيان المذكور فى نسبه فالامام أحمد رضى الله عنه من صريح ولد اسماعيل ومن صميم العرب ، وكان أبو الامام أحمد والى سرخس من أبناء الدعوة العباسية ، وتوفى وله ثلاثون سنة سنة تسع وسبعين ومائة وللإمام

أحمد نحو خمس عشرة سنة فان أمه حملت به بمرور وقدمت بغداد وهي حامل به فوضعت بها وولته أمه واسمها صفية وهي شيبانية أيضا فانها صفية بنت ميمون بن عبد الله الشيباني (من بنى عامر - ١) نزل أبوه بهم فتزوجها وجدها عبد الملك بن سواده بن هند الشيباني من وجوه بنى شيبان تنزل به قبائل العرب للضيافة ، فحاز امامنا رضى الله عنه شرف النسبين وكمل له بأصيله تمام الشرفين •

((فانه امام أهل الأثر فمن نحا منحاه فهو الأثرى))
((فانه)) أى الامام احمد رضى الله عنه ((امام)) وقدوة ((أهل)) أى أصحاب ((الأثر)) يعنى الذين انما يأخذون عقيدتهم من المأثور عن الله جل شأنه فى كتابه أو فى سنة النبى صلى الله عليه وسلم أو ما ثبت وصح عن السلف الصالح من الصحابة الكرام ، والتابعين الفخام ، دون زبالات أهل الأهواء والبدع ، ونخالات أصحاب الآراء والبشع ((فمن)) أى انسان من هذه الامة ((نحا)) أى قصد ويمم ((منحاه)) أى مقصده ومذهبه وسار بسيرته من اتباع الاخبار واقتفاء الآثار ((فهو)) أى ذلك الذاهب مذهب الامام احمد ((الأثرى)) أى المنسوب الى العقيدة الأثرية والفرقة السلفية المرضية • ويعرف أيضا بمذهب السلف وهو مذهب سلف الامة وجميع الأئمة المعبرين المقلدين فى أحكام الدين ، وقد قال الامام على بن المدينى وهو شيخ الامام احمد وشيخ الشافعى وشيخ البخارى وغيرهم : اتخذت احمد اماما فيما بينى وبين الله تعالى ، وقال اذا أفتانى احمد بن حنبل لم أبال اذا لقيت ربي كيف كان ، وقال : أحمد سيدنا حفظ الله أحمد هو اليوم حجة الله على خلقه ، وقال : ان الله تعالى أعز هذا الدين برجلين لا ثالث لهما أبو بكر الصديق يوم الردة وأحمد بن حنبل يوم المحنة • وقد قال قتيبة وأبو حاتم : اذا رأيت الرجل يحب الامام أحمد بن حنبل فاعلم انه صاحب سنة • وقال ابن ماکولا : الامام احمد هو امام النقل وعلم الزهد والورع • وقال غير واحد من أئمة الدين : الامام احمد امام أهل السنة • وفى قصيدة اسمعيل بن فلان الترمذى :

لعمر ك ما يهوى لاحمد نكبة من الناس الا نافض العقل معور
هو المحنة اليوم الذى يتلى به فيعتبر السنى فينا ويسبر
فقا أعين المراق فعل ابن حنبل وأخرس من يبغي العيوب ويحفر
وقال أبو مزاحم الحاقانى :

لقد صار فى الآفاق أحمد محنة وأمر الورى فيها فليس بمشكل (١)
وقال ابن أعين رحمه الله تعالى :

أضحى ابن حنبل حجة مبرورة ويجب أحمد يعرف المتسك
وإذا رأيت لأحمد متقصا فاعلم بأن ستوره ستهتك (٢)
وعلى كل حال ، الامام أحمد هو امام أهل السنة بلا مجال ، فهو المبيض
وجه السنة ، النافض عن وجهها غبار البدعة ، فكل سنى أترى فهو امامه •
فان قلت اذا كان مذهب السلف هو ما عليه الائمة جميعا تبعا للتابعين
والصحابه الكرام رضوان الله عليهم أجمعين • وهو الذى كان عليه سيد
المرسلين وخاتم النبيين ، فكيف ينسب هذا المذهب للامام أحمد دون من
تقدمه من أئمة الدين ؟ قلت : الامر كما ذكرت والحق كما استخبرت ،
وهذه المقالة هى الشريعة الغراء ومقالة أهل الفرقة الناجية بلا محالة ، ولا
يرتاب ذو لب لبيب ، ورأى صحيح مصيب ، انها هى التى كان عليها النبى
الحبيب ، صلى الله عليه وسلم وأصحابه أهل الاصابة والتصويب ، والتابعين
لهم باحسان من أهل التفصيل والتبويب • ولكن لما كان فى المائة الثالثة
اشربت الفتن ، واستعلت البدع والمحن ، وقامت دولة أهل الابتداع على

مذهب احمد
هو مذهب
السلف

(١) زاد بهامش مخ هذا البيت :

ترى ذا الهوى جهلا لأحمد ميغضا وتعرف ذا التقوى بحب ابن حنبل
(٢) بهامش مخ ما لفظه : وقال الامام أبو يوسف يحيى الصرصرى رحمه
الله تعالى :

اذا ما رأيت المرء تجهل أمره فزنه بمعيار الرجال ابن حنبل
فان كان بدعيا سيعبس وجهه كذاثق شهد فيه حبات حنظل
النخ وهى طويلة فى الامام احمد وأصحابه الى أن قال فيها :
وأخبرنى من كان أصل طريقتى على بن ادريس بأصل مؤصل
وقد كان كنزا مودعا جوهر التقى بصيرا بفقاه القلب غير مجهل
عن الشيخ عبد القادر الحجة الذى تحلى بأنوار الرضا والتوكل
بأن اعتقاد الاولياء اعتقاده به يقتدى منهم أخير بأول
ومن يعتقد فى الناس غير اعتقاده وان كان، ذا نسك فعنه بمعزل

ساق ، وأعلن بقواعد أهل الاعتزال ذوو الضغائن والنفاق ، وساعدهم على ذلك أئمة الجور والخلفاء الفساق ، قام الامام أحمد كالنمر الهصور ، لا بل كالبحر الطامى والرئبال الجسور ، فرد كيدهم فى نحورهم ، وألقى بابلهم فى صدورهم ، فقمع مقالاتهم وزيفها عليهم وبين فسادهم بكل حال ، فردهم على أعقابهم خائبين لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال ، فلا جرم نسب المذهب اليه ، لانه المقصود اذ ذاك بالذات والمعول عليه ، فانه هو الذى انتصر للحق ونصره ، وشدخ رأس أهل البدع وهصره ، وبين الصحيح من الفاسد والغث من السمين ، والحق من الباطل والصدق من المين • فلما كان الامام أحمد رضى الله تعالى عنه هو الذى قل مضاربههم ، وبين معايبهم ، وكشف عن زيغهم ، ودحض تلويينهم وتحريفهم ، وانتصر لما كان عليه السلف من الاثبات بلا تمثيل ، ومن التنزيه بلا تعطيل ، ومرور الآيات المتشابهات بلا تأويل (١) ، ودعا الى هذه المقالة ، وأقام عليها كل برهان ودلالة ، نسبت له المقالة ، وصار امام أهلها فى كل حالة ، وألف كتابه فى الرد على الجهمية والزنادقة ، وهذا الكتاب رواه عنه الحلال من طريق ابنه عبد الله وذكره كله فى كتاب السنة الذى جمع فيه نصوص الامام أحمد وكلامه ، وعلى منوال كتاب الخلال «السنة» جمع البيهقى كتابه الذى سماه «جامع النصوص» من كلام الشافعى •

وخطبة كتاب الامام احمد «الرد على الجهمية» : الحمد لله الذى جعل فى كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم يدعون من ضل الى الهدى ، ويصبرون منهم على الاذى ، يحيون بكتاب الله الموتى ، ويصبرون بنور الله أهل العمى ، فكم من قتيل لابليس قد أحيوه ، وكم من ضال تائه هدوه ، فما أحسن أثرهم على الناس وما أفتح أثر الناس عليهم ، ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين الذين عقدوا ألوية البدعة ، وأطلقوا عنان الفتنة ، فهم مختلفون فى الكتاب مخالفون للكتاب مجمعون على مخالفة الكتاب ، يقولون على الله وفى الله وفى كتاب

(١) ينظر ما يتعلق بهذا فى التعليق على شرح قول الناظم « فكل ماجاء من الآيات الخ »

الله بغير علم ، يتكلمون بالمتشابه من الكلام ، ويخدعون الجهال بما يشبهون عليهم ، فعوذ بالله من فتن المضلين » • ثم ساق الكتاب قد قرأناه ورويناه عن علماء معتبرين وفضلاء راسخين والله ولى المتقين • وقد ذكر كتاب الامام أحمد هذا أئمة المذهب قال الخلال : كتبت هذا الكتاب من خط عبد الله وكتبه عبد الله من خط أبيه الامام احمد رضى الله عنه • واحتج القاضى أبو يعلى فى كتابه « ابطال التأويل » بما نقله منه عن الامام احمد • وذكر ابن عقيل فى كتابه بعض ما فيه عن الامام أحمد ، ونقل منه أصحابه قديما وحديثا ، ونقل منه الامام الحافظ البيهقى وعزاه الى الامام أحمد ، وصحح هذا الكتاب شيخ الاسلام ابن تيمية عن الامام احمد ، واعتمده الامام المحقق ابن القيم فى جل تأليفه وصححه فى كتابه « الجيوش الاسلامية » وقال لم يسمع من أحد من متقدمى اصحاب الامام أحمد ولا متأخريهم طعن فيه والله أعلم • فلما انتصر الامام أحمد رضى الله عنه للسنة السنية ، والفرقة الناجية المرضية ، وقمع أهل البدع وزيف مقالاتهم ، وأدحض بدعتهم ، وأظهر ضلالتهم ، صار هو علم السنة وامامها ، وصاحبها وخليتها ومقدمها ، حتى ان الامام أبا الحسن على بن اسمعيل الأشعرى امام الطائفة الأشعرية انتسب الى الامام أحمد ، ورأى اتباعه على عقيدته هو المنهج الاحمد ، قال فى كتابه « الابانة فى أصول الديانة » لما أنكر قول المعتزلة والقدرية والجهمية والحرورية والرافضة والمرجئة : فان قال قائل : « فرفونا قولكم الذى به تقولون وديانتكم التى بها تدينون ، قيل له قولنا الذى به نقول وديانتنا التى بها ندين التمسك بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وما روى عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث ونحن بذلك معتمدون ، وبما كان عليه الامام أحمد بن حنبل نضر الله وجهه ورفع درجته وأجزل مثوبته قائلون ، ولئن خالف قوله مجانبون ، لانه الامام الفاضل ، والرئيس الكامل ، الذى أبان الله به الحق عند ظهور الضلال ، وأوضح به المنهاج وقمع به بدع المبتدعين ، وزيع الزائغين ، وشك الشاكين ، فرحمة الله عليه

من امام مقدم ، وكبير مفهم ، وعلى جميع أئمة المسلمين « انتهى (١) .
ولد سيدنا وقدوتنا وامامنا الامام أحمد رضى الله عنه فى شهر ربيع
الاول سنة أربع وستين ومائة ببغداد وتوفى نهار الجمعة من شهر ربيع الاول
لانتى عشرة ليلة خلت منه سنة احدى وأربعين ومائتين وغسله المروذى
وأدرج فى ثلاث لفائف وحزر من صلى عليه بمائة ألف ألف وعلى السور
ستون (٢) ألفا سوى من كان فى السفن ، وكان الامام احمد رضى الله
عنه يقول : قولوا لاهل البدع بيننا وبينكم يوم الجنائز . وأسلم من اليهود
والنصارى والمجوس يوم موته عشرون ألفا (٣) وناحت الجن عليه وهتفت
بموته الهوائف . قال أبو زرعة : كان يقال عندنا بخراسان الجن نعت
أحمد بن حنبل قبل موته ، وسمعوا قائلا : مات رجل بال عراق فذهبت الجن
كلها تصلى عليه الا المردة . وقد رثى بقصائد جمّة ودفن ببغداد بباب
حرب .

((سقى ضريحا حله صوب الرضا والعبو والغفران ما نجم أضا))
((وحله وسائر الأئمة منازل الرضوان أعلى الجنة))
((سقى ضريحا)) أى قبرا وفى حديث دفن النبي صلى الله عليه وسلم
« يرسل الى اللاحد والضارح فأيهما سبق تركناه » قال فى النهاية الضارح
هو الذى يعمل الضريح وهو القبر فعيل بمعنى مفعول من الضرح وهو
الشق فى الارض ومنه فى خبر سطیح أو فى على الضريح ((حله)) أى
سكنه الامام أحمد ونزل به يقال حل المكان وبه يحل ويحلل نزل به
كاحتله وبه فهو حال ((صوب)) فاعل سقى وهو بفتح الصاد المهملة وسكون

(١) بهامش مخ ما لفظه :

وروى أن الشيخ قطب الاولين الكرام الشيخ عبد القادر الجيلانى قدس
سره النورانى أنشد وهو على المنبر :
أنا حنبلى ما حييت وان أمت فوصيتى للناس أن يتحنبلوا اه
وللشيخ يحيى بن يوسف الضررى :
ويا لنعمة العظمى اعتقاد ابن حنبل عليها اعتقادى يوم تبلى السرائر
وللشيخ مرعى بن يوسف :

لئن قلد الناس الأئمة اننى لفى مذهب الحبر ابن حنبل راغب
أقلد فتواه وأعشق قوله وللناس فيما يعيشون مذاهب
(٢) مخ نحو ستين (٣) أنكر الذهبى فى تاريخ الاسلام هذه الحكاية
راجع مقدمة الجزء الاول من مسند الامام احمد بتحقيق احمد شاكر ص ١٣٠

الواو ، فموحدة كالصيب انصباب الغيث واراقتة ومجيء السماء بالمطر أى غيث ((الرضا)) واراقتة على قبره وانصبابه على ضريحه أى رضوان الله ورحمته وجوده وبركته ((و)) سقى ضريحا حله الامام احمد صوب ((الغفو)) من الله والصفح((والغفران)) بضم الغين المعجمة وسكون الفاء فراء فنون قبله الف اسم من الغفر وهو الستر والتغطية ، يقال غفر الله له ذنبه مغفرة وغفرانا غطى عليه وعفا عنه ، ومن أسمائه تعالى الغفار والغفور وهما من أبنية المبالغة ومعناها السائر لذنوب عباده وعيوبهم المتجاوز عن خطاياهم وذنوبهم ، والمغفرة لباس الله تعالى الغفو للمذنبين ، ولا يزال رضوان الله ورحمته وغفوه ومغفرته نازلة على ضريح الامام أحمد رضى الله عنه ومتواصلة ومستمرة ((ما نجم)) أى كوكب من نجوم السماء ((أضأ)) أى استنار يقال ضاء واضاء بمعنى استنار وصار مضيئا ، أى مدة دوام استنارة الكواكب فى كبد السماء ، وفيه من المناسبة أنه تشبه بالنجوم العلماء بجامع الانارة والهداية فى الظلماء ((وحله)) الله سبحانه أى أحل الامام احمد بن حنبل رضوان الله عليه ((و)) أحل ((سائر)) أى بقية ((الأئمة)) من علماء الامة وأعلام الأئمة من الأربعة المتبوعة مذاهبهم وغيرهم من أئمة الدين وأعلام المسلمين الذين بذلوا جهدهم فى نشر السنة وتدوين الشريعة على الطريقة المرضية الحسنة ((منازل الرضوان))من الرحيم الرحمن الكريم المنان فى ((أعلى الجنة)) أى الدرجات العالية من الجنان على حسب مقاماتهم الشامخة ، ومناصبهم الباذخة فلهم الفضيلة بالسبق والاجتهاد ، وبذل النصيح وارشاد العباد وعلى الذين جاؤا من بعدهم على ممر الزمان ، أن يقولوا « ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان »، فرضوان الله ورحمته وغفوه وصفحه وغفرانه وبركته عليهم ولهم ما تعاقب الملوان وكر الجديدان ، والله ولى الاحسان .

فوائد

فوائد

نقدمها امام المقصود لا يستغنى عن معرفتها فى هذا الفن ليكون الطالب لنيل هذه المطالب على بصيرة (الاولى) لا بد لكل طالب علم أن يتصوره اما بحده أو رسمه ليكون على بصيرة فى طلبه وأن يعرف موضوعه ليمتاز عنده

عما سواه مزيد امتياز فان العلوم انما يتميز بعضها عن بعض بامتياز الموضوعات وأن يصدق بغاية مآله والا كان طلبه واجتهاده عبثا ولا بد أن يكون معتدا بها بالنظر لمشقة التحصيل ، والا فربما فتر جده ، وأن تكون مرتبة على ذلك الشيء المطلوب والا فربما زال اعتقادها بعد الشروع فيه فيصير سعيه في تحصيله عبثا في نظره ، فاذا علمت هذا (فحد) هذا العلم المسمى بأصول الدين وبعلم العقائد وبعلم التوحيد وبعلم الكلام العلم بالعقائد الدينية عن الادلة اليقينية أى العلم بالقواعد الشرعية الاعتقادية المكتسبة من أدلتها اليقينية • والمراد بالعقائد الدينية المنسوبة الى دين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم سواء توقفت على الشرع كالسمعيات أم لا وسواء كانت من الدين فى الواقع ككلام أهل الحق أو لا ككلام المخالف واعتبر فى أدلتها اليقين لانه لا عبرة بالظن فى هذا العلم (١) بل فى العمليات ، وخرج عن التعريف العلم بغير الشرعيات ، وبالشرعيات الفرعية وعلم الله تعالى والملاك وعلم الرسول عليه الصلاة والسلام بالاعتقادات ، ودخل علم علماء الصحابة بذلك فانه كلام وأصول وعقائد وان لم يكن يسمى فى ذلك الزمان بهذا الاسم حيث كان متعلقا بجميع العقائد بقدر الطائفة البشرية مكتسبا من النظر فى الادلة اليقينية أو كان ملكة تتعلق بها بأن يكون عندهم من المآخذ والشرائط ما يكفيهم فى استحضار العقائد على ما هو المراد بقولنا العلم بالعقائد من الادلة ، وموضوع كل علم شرعيا كان أو عقليا ما يبحث فيه عن عوارضه الذاتية (فموضوع) هذا العلم البحث عن أحوال الصانع سبحانه من القدم والوحدة والقدرة والارادة وغيرها من صفاته وأفعاله الاختيارية ، وكذلك ما يبحث عن الجواهر والاعراض والاجسام والحدوث والافتقار والتركيب من الاجزاء وقبول الفناء ونحو ذلك مما لا يجوز عليه تعالى (٢) (وغايته) أن يصير الايمان والتصديق بالاحكام الشرعية متقنا محكما لا تزلزله شبه المبطلين فيرتقى من حضيض التقليد الى ذروة الايقان بسبب التمكن من الاستدلال ، ومن فوائده أيضا ارشاد الطالبين ، والزمام المعاندين ، باقامة الحجج والبراهين ، ونفض غبار شبه

(١) راجع ما تقدم أوئل الشرح فى التعريف السادس
(٢) أنظر ما يأتى فى التعليق على شرح أوائل الباب الاول

الخصوم عن قواعد الدين ، وصحة النية ، والاعتقادات الاسلامية التي يقع بها العمل في حيز القبول (وثمره) جميع ذلك النور بسعادة الدارين والظنر بما هو كمال في الكونين • ففي الدنيا انتظام أمر المعاش بالمحافظة على العدل والمعاملة التي يحتاج اليها في ابقاء النوع الانساني على وجه لا يؤدي الى الفساد ، وفي الآخرة النجاة من العذاب المرتب على الكفر وسوء الاعتقاد (ومسائله) القضايا النظرية الشرعية الاعتقادية (واستمداده) من الكتاب والسنة والاجماع والنظر الصحيح •

الثانية المقصود من ترتيب القواعد

(الفائدة الثانية) مما ينبغي أن يعلم أن القواعد الكلامية ما رتبت هذا الترتيب ويوبت هذا التويب لتؤخذ منها الاعتقادات الاسلامية والقواعد الدينية ، بل المقصود منها ليس الا دفع شبه الخصوم ودحض نهج أهل البدع والضلال فانهم طعنوا في بعض منها بأنه غير معقول ، فبين علماء السنة بأن زعمهم على غاية من الغلط والذهول ، فان الانبياء تأتي بمحارات العقول لا بمحالاتها ، ثم بين لهم علماء السنة بالقواعد الكلامية معقولة ما انكروا ، وزيفوا عليهم من بدعهم الفظيعة ونزعاتهم الشنيعة ما ابتكروا ، وانما أخذ أهل (السنة - ١) الاعتقادات ، واعتمدوا من المعتقدات ، على ما جاءت به النصوص الصريحة ، والاخبار الصحيحة ، ودرج عليه سلف الامة ، ونهج اليه اعلام الائمة ، من الرعي الاول ومن عليهم دون سواهم المعول •

الثالثة لمعة عن أول البدع ظهورا

(الثالثة) أول بدعة ظهرت بدعة القدر وبدعة الارزاء وبدعة التشيع والحوارج ، وهذه البدع ظهرت في القرن الثاني والصحابة موجودون وقد أنكروا على أهلها كما سيأتي بيان ذلك ، ثم ظهرت بدعة الاعتزال ولم يزل المسلمون على النهج الاول ولزوم ظاهر السنة وما كان عليه الصحابة رضى الله عنهم الى أن حدثت الفتن بين المسلمين ، والبغى على أئمة الدين ، وظهر اختلاف الآراء ، والميل الى البدع والاهواء ، وكثرت المسائل والواقعات ، والرجوع الى العلماء في المهمات ، فاشتغلوا بالنظر والاستدلال واستنباط النتائج وتمهيد القواعد وانتاج القضايا والفوائد ، وأخذوا في

التبويب والتفصيل ، والترتيب والتأصيل ، فأُسست فرقة المعتزلة قواعد الخلاف ، ونهجت منهج الفرقة والانحراف ، وكان أول من اعتزل عن مجلس سيد التابعين الحسن البصرى واصل بن عطاء رئيس الطائفة المعتزلة ، قال شيخ الاسلام ابن تيمية : كان الناس فى قديم الزمان قد اختلفوا فى الفاسق الملى وهو أول خلاف حدث فى الملة هل هو كافر أو مؤمن ؟ فقالت الخوارج انه كافر ، وقالت الجماعة انه مؤمن ، وقالت طائفة نقول انه فاسق لا مؤمن ولا كافر منزلة بين منزلتين ، وخلصوه فى النار ، فقال الحسن البصرى رضى الله عنه : اعتزلوا عنا فاعتزلوا حلقة الحسن وأصحابه فسموا معتزلة وسموا هم أنفسهم أصحاب العدل والتوحيد لقولهم بوجوب ثواب المطيع وعقاب العاصى على الله تعالى ونفى الصفات القديمة عنه . وقال بعض العلماء : وقف على مجلس الحسن البصرى رجل فقال يا امام ظهر فى هذا الزمان جماعة يكفرون صاحب الكبيرة - يعنى بهم الخوارج - وجماعة يقولون لا يضر مع الايمان معصية كمالا ينفع مع الكفر طاعة - يعنى بهم المرجئة - فما تعتقده من ذلك ؟ فأطرق الحسن مفكرا فى الصواب فبادره واصل بن عطاء بالجواب فقال : أنا لا أقول أن صاحب الكبيرة مؤمن مطلقا ولا كافر مطلقا ، وقام الى اسطوانة فى المسجد يقرر مذهبه ويثبت المنزلة بين المنزلتين ويقول : الناس ثلاثة مؤمن وكافر ولا مؤمن ولا كافر وهو صاحب الكبيرة اذا مات بلا توبة ، فقال له الحسن : اعتزل عنا واصل ، فسموا المعتزلة لذلك . ورفيق واصل فى الاعتزال وقرينه عمرو بن عبيد المتكلم الزاهد وكان من العلم والعمل والزهد والورع والديانة على جانب عظيم حتى ان الحسن البصرى لما سئل عنه أجاب السائل : لقد سألت عن رجل كأن الملائكة أدبته وكان الانبياء ربه ان قام بأمر قعد به وان قعد بأمر قام به وان أمر بشيء كان ألزم الناس له وان نهى عن شيء كان أترك الناس له . ما رأيت ظاهرا أشبه باطن ولا باطنا أشبه بظاهر منه . انتهى (١) ويروى ان واصل

الخلاف فى
الفاسق وبدء
أمر المعتزلة

(١) بهامش منح ما نصه :

وروى أن الحسن البصرى قال فى عمرو بن عبيد : هذا سيد الفتيان ان لم يحدث ، فأحدث هذا الحدث العظيم فكان الحسن رضى الله عنه تفرس فيه ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله عز وجل ا ه سمعته من شيخنا عبد الله (بابطين)

بن عطاء تكلم مرة بكلام ، فقال عمرو بن عبيد : لو بعث نبيا كان (١) يتكلم بأحسن من هذا ؟ وفصاحة واصل مشهورة وكان يلثغ بالراء فكان يجتنبها حتى كأنها ليست من الحروف (٢) ثم خلفه الجبائي (٣) وكان الأشعري امام الطائفة الأشعرية من أصحابه ثم فارقه لما ظهر له فساد مذهبه كما هو مشهور والله أعلم •

الرابعة
التعريف بأهل
السنة

(الرابعة) أهل السنة والجماعة ثلاث فرق : الاثرية وامامهم أحمد بن حنبل رضى الله عنه ، والاشعرية وامامهم أبو الحسن الأشعري رحمه الله ، والماتريدية وامامهم أبو منصور الماتريدي (٤) وأما فرق الضلال فكثيرة جدا وهذا أوان الشروع في المقصود وبالله التوفيق •

(١) مخ « نبي ماكان »

(٢) بهامش مخ « روى انه اجتمع مع بعض العلماء ممن كان ييكته بلثغته فقال له قل أمر الامير أن تحفر بئر في قارعة الطريق • فقال في الحال أوعز القائد بقلب قليب في وسط الجادة »

(٣) وهو بعده بزمان

(٤) بهامش مخ ما نصه •

« هذا مصنعة من المصنف رحمه الله تعالى في ادخاله الاشعرية والماتريدية في أهل السنة والجماعة ، كيف يكون من أهل السنة والجماعة من لا يثبت علو الرب سبحانه فوق سمواته واستواءه على عرشه ويقول حروف القرآن مخلوقة وان الله لا يتكلم بحرف ولا صوت ولا يثبت رؤية المؤمنين ربهم في الجنة بأبصارهم ، فهم يقرون بالرؤية ويفسرونها بزيادة علم يخلقه الله في قلب الرائي • ويقول الايمان مجرد التصديق وغير ذلك من أقوالهم المعروفة المخالفة لما عليه أهل السنة والجماعة » وفي تعليق للشيخ عبد الله بابطين ما لفظه : « تقسيم أهل السنة الى ثلاث فرق فيه نظر فالحق الذي لا ريب فيه ان أهل السنة فرقة واحدة وهي الفرقة الناجية التي بينها النبي صلى الله عليه وسلم حين سئل عنها بقوله هي الجماعة وفي رواية من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي ، أو من كان على ما أنا عليه وأصحابي • وبهذا عرف أنهم هم المجتمعون على ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ولا يكونون سوى فرقة واحدة والمؤلف نفسه يرحمه الله لما ذكر في المقدمة هذا الحديث قال في النظم (وليس هذا النص جزما يعتبر في فرقة الا على أهل الاثر) يعني بذلك الاثرية وبهذا عرف أن أهل السنة والجماعة هم فرقة واحدة الاثرية والله أعلم

المقدمة

المقدمة في
ترجيح مذهب
السلف

في ترجيح مذهب السلف على غيره من سائر المذاهب

وقد قدما ما يفيد أن مذهب السلف هو ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضوان الله عليهم ومن بعدهم من أئمة الدين والديانة والمعرفة والصيانة والسنة والأمانة ، وانما نسب لامانا الامام أحمد رضي الله عنه لانه انتهى اليه من السنة ونصوص رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر مما انتهى الى غيره ، وابتلى بالحنة والرد على أهل البدع أكثر من غيره ، فصار اماما في السنة أظهر من غيره ، ولهذا قال بعض شيوخ المغاربة : المذهب لملك والشافعي وغيرهما من الأئمة ، والظاهر للامام احمد بن حنبل . فالذي عليه احمد عليه جميع الأئمة وان زاد بعضهم على بعض في العلم والبيان واظهار الحق ودفع الباطل .

((اعلم هديت انه جاء الخبر عن النبي المقتفى خير البشر))
((بأن ذى الأمة سوف تفرق بضعا وسبعين اعتقادا والمحق))
((ما كان في نهج النبي المصطفى وصحبه من غير زيغ وجفا))
((اعلم)) فعل أمر من العلم وهو حكم الذهن الجازم المطابق للواقع أى كن متهيئا ومتفهما لادراك ما يلقي اليك من العلوم وما في ضمن المنشور من كلامي والمنظوم ((هديت)) جملة معترضة دعائية من الهداية وهى الدلالة والمراد بها هنا الدلالة الموصلة الى المطلوب بقرينة المقام ((انه)) أى الشأن والامر ((جاء الخبر)) يعنى الحديث المعول عليه فى التقديم والحديث ((عن النبي)) المصطفى والحبيب ((المقتفى)) أى المختص المتبع ، ومن أسمائه صلى الله عليه وسلم المقتفى ، قال فى النهاية هو المولى الذاهب وقد قفى يقفى فهو مقف يعنى انه آخر الانبياء المتبع لهم فاذا قفى فلا نبى بعده . انتهى . وقال الامام المحقق ابن القيم فى كتابه « زاد المعاد فى هدى خير العباد » المقتفى الذى قفى على آثار من تقدمه من الرسل فقفى الله به على آثار من سبقه منهم وهذه اللفظة مشتقة من القفو قفاه يقفوه اذا تأخر عنه ((خير البشر)) بل خير جميع الخلق من الأنس والجن والملائكة فهو سيد العالم وصفوة بنى آدم وأفضل خلق الله وخير مخلوقات الله صلى الله عليه

وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين ((بأن ذى)) أى هذه ((الأمة)) المحمدية والملة الأحمدية ((سوف)) أى س ((تفترق)) فيما بعد ((بضعا)) أى الى بضع ((وسبعين)) فرقة ، والبضع فى العدد بالكسر وقد تفتح ما بين الثلاث الى التسع ، واذا جاوزت لفظ العشر ذهب البضع فلا يقال بضع وعشرون ، أو يقال ذلك كما فى القاموس ، وعلى هذا القول جرينا فى النظم فىقال بضعة وعشرون رجلا ويضع وعشرون امرأة ولا يعكس ((اعتقادا)) أى افتراقهم لأجل الاعتقاد فهو مفعول لأجله وهى ضالة منحرفة عن الصراط المستقيم والنهج القويم ((و)) انما ((المحق)) من جميعها طائفة واحدة وهى ((ما كان)) سيرها واعتقادها ونهجها واعتمادها ((فى نهج)) أى منهج ((النبى المصطفى)) أى صفوة خلق الله نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، ويقال ان من أسمائه صلى الله عليه وسلم المصطفى وهو مشهور ملهوج به وهو صادق عليه ولائق به ، قال القاضى عياض فى الشفاء بعد أن ذكر المأثور من أسمائه ما لفظه : وجرى منها أى القابه وسماهته فى كتب الله المتقدمة وكتب أنبيائه وأحاديث رسوله واطلاق الأمة جملة شافية كتسميته بالمصطفى والمجتبى وبالحيب والله أعلم • ((و)) من كان منهم فى نهج ((صحبه)) رضوان الله عليهم أى من كان على منهاجهم وسار بسيرهم من اقتفاء الرسول فى اتباع المنقول ((من غير زيغ)) أى من غير ميل ولا انحراف ولا شك ولا انصراف ((و)) من غير ((جفاء)) بالجيء أى من غير تجاف عن هديهم وازالة عن نهجهم ، والجفاء تقيض الصلة ويقصر ويصح أن يقرأ بالجاء المعجمة ويكون المعنى من غير ميل ولا كتم وستر ، والخافية ضد العلانية ، والمشار اليه فى البيتين هو ما رواه سيدنا الامام أحمد من حديث معاوية رضى الله عنه قال : قام فىنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « الا ان من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على اثنتين وسبعين ملة وان هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين نكتان وسبعون فى النار وواحدة فى الجنة وهى الجماعة » ورواه أبو داود وزاد فيه : « وانه سيخرج فى أمتى أقوام تتجارى بهم الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه لا يبقى منه عرق ولا مفصل الا دخله » قوله الكلب بفتح اللام قال الخطابى هو داء يعرض للانسان من عضه الكلب

(الكلب - ١) وقال وعلامة ذلك في الكلب أن تحمر عيناه ولا يزال يدخل ذنبه بين رجليه فاذا رأى انسانا ساوره • وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم قال : « ستفترق أمتي ثلاثا وسبعين فرقة كلهم في النار الا فرقة واحدة » فقيل له : من هم يا رسول الله ؟ يعنى الفرقة الناجية ، فقال : « هو من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي » ، وفي رواية : «ستفترق أمتي على بضع وسبعين فرقة كلهم في النار الا فرقة واحدة وهى ما كان على ما أنا عليه وأصحابي » • قال بعض العلماء : هم يعنى الفرقة الناجية أهل الحديث يعنى الاثرية والاشعرية والماتريديية (٢) قلت ولفظ الحديث يعنى قوله الا فرقة واحدة ينافى التعدد ولذا قلت

((وليس هذا النص جزما يعتبر فى فرقة الا على أهل الاثر))
((وليس هذا النص)) المذكور عن منبع النور ومصباح الديجور((جزما))
يحتمل المصدرية أى أجزم به جزما أو انه مفعول لاجله أى من جهة الجزم واليقين ((يعتبر)) أى يستدل به ويوافق ((فى فرقة)) أى لا ينطق ويصدق على فرقة من الثلاث وسبعين فرقة ((الا على)) فرقة ((أهل الاثر)) وما عداهم من سائر الفرق قد حكموا العقول ، وخالفوا المنقول ، عن الرسول صلى الله عليه وسلم والواجب أن يتلقى بالقبول فانى يصدق عليهم الخبر أو يطبق عليهم الاثر •

تنبيهات

الاول قال بعض أهل العلم أهل البدع خمسة : يعنى من جهة أصولها ثم كل (فرقة-٣) تتشعب وتتفرق فرقا شتى ، أحدها المعتزلة القائلون بأن العباد خالقو أعمالهم وينفون رؤية الله تعالى فى الآخرة ويقولون بوجود الثواب والعقاب والصلاح والاصلاح على الله ، ومن أصول المعتزلة القول بالعدل وثبوت المنزلة بين المنزلتين والتوحيد يعنى نفى الصفات كما تقدم ، وهم عشرون فرقة يضلل بعضهم بعضا •

تنبيهات
الاول تصاد
الفرق

فرق المعتزلة

(١) من مخ
(٢) بهامش مخ « تأمل قوله أهل الحديث الخ وادخاله الاشعرية
والماتريديية » راجع التعليق الطويل ص ٧٣
(٣) من مخ

(أحدها) الواصلية اتباع واصل بن عطاء قالوا بجميع ما ذكر وخطأوا أحد الفريقين من عثمان رضى الله عنه ومقاتليه وجوزوا أن يكون سيدنا عثمان رضى الله عنه بين الكفر والايمان وخلدوه فى النار ، وكذا على ومقاتلوه ، وحكموا بأن طلحة والزبير وعلياً رضى الله عنهم بعد وقعة الجمل لو شهدوا على حبة لم تقبل شهادتهم كالمثلاعين •

(الثانية) العمرية مثلهم الا أنهم فسقوا كلا الفريقين •

(الثالثة) الهذلية أصحاب أبى الهذيل العلاف قالوا بفناء مقدورات الله من الجنة والنار وان العباد مجبورون فى الآخرة ، ولهذا تسمى المعتزلة أبى الهذيل جهمى الآخرة ، وان الله عالم بعلم وقادر بقدره كلاهما عين ذاته مرید بارادة لا فى ذات متكلم بكلمة « كن » لا فى ذات ، وهو يوافق قول جهم فى بعض الوجوه وان كان المعتزلة كلهم جهمية • قال شيخ الاسلام ابن تيمية : أول من حفظ عنه أنه قال مقالة التعطيل للصفات فى الاسلام الجعد ابن درهم الذى ضحى به خالد القسرى ، وأخذها عنه الجهم بن صفوان وأظهرها فنسبت اليه ، وقد قيل أن الجعد أخذ مقالته عن ابان بن سمان ، وأخذها ابان من طالوت ابن أخت لييد بن الاعصم ، وأخذها طالوت من لييد ابن الاعصم اليهودى الساحر الذى سحر النبى صلى الله عليه وسلم ، وكان الجعد هذا فيما قيل من أهل حران وكان فيهم خلق كثير من الصابئة والفلاسفة بقايا أهل دين النمرود الكنعانيين ، والنمرود هو ملك الصابئة المشركين اسم جنس ككسرى لملك الفرس وقصر ملك الروم ، وكان الصابئون هؤلاء يعبدون الكواكب ويبنون لها الهياكل ، فمذهب النفاة من هؤلاء يقولون فى الرب تعالى ليس له الا صفات سلبية أو اضافية أو مركبة منهما ، وأخذها الجهم أيضا فيما ذكره الامام احمد رضى الله عنه عن السمنية وبعض فلاسفة الهند وهم الذين يجحدون من العلوم ما سوى الحسيات ، قال شيخ الاسلام فهذه أسانيد الجهم ترجع الى اليهود والنصارى والصابئين والمشركين والفلاسفة الضالين اما من الصابئين واما من المشركين •

(الرابعة) النظامية أصحاب ابراهيم بن سيار (١) النظام قالوا ان الله

(١) فى الاصلين «يسار» خطأ

لا يقدر أن يفعل بعباده في الدنيا ما لا صلاح لهم فيه ، ولا أن يزيد وينقص من عقاب وثواب ، وكونه مريداً لفعله كونه خالقه ، ولفعل العبد كونه أمر (١) به ، والانسان هو الروح والبدن ، والأعراض والاجسام لا تبقى ، والجسم مؤلف من الاعراض ، والعلم والجهل المركب مثلاً ، والايمن والكفر كذلك ، وان الله خلق الخلق دفعة والتقدم والتأخر في الكون والظهور ، ونظم القرآن ليس بمعجز ، والتواتر يحتمل الكذب ، والاجماع والقياس ليس حجة ، وأوجبوا النص على الامام وثبوتة لعل لكن كتمه عمر

(الخامسة) الاسوارية وهم أصحاب الاسوارى زادوا على من قبلهم ان الله لا يقدر على ما أخبر بعدمه أو علم عدمه (والانسان قادر على ما أخبر بعدمه أو علمه - ٢)

(السادسة) الاسكافية أصحاب أبي جابر الاسكاف قالوا ان الله لا يقدر على الظلم على العقلاء لكن على الصبيان والمجانين •

(السابعة) الجعفرية أصحاب جعفر بن مبشر وابن حرب زادوا ان في فساق الامة من هو شر من الزنادقة والمجوس ، والاجماع على حد الشرب خطأ ، وسارق الحبة منخلع عن الايمان

(الثامنة) البشرية أصحاب بشر بن المعتمر قالوا الاعراض من الطعوم والروائح وغيرها تقع متولدة ، والقدرة بسلامة البنية ، والله قادر على تعذيب الطفل ظالماً

(التاسعة) المرارية وهم أصحاب أبي موسى عيسى بن صبيح المرदार تلميذ بشر قالوا ان الله قادر على الكذب والظلم ، ووقوع فعل بين فاعلين تولد (٣) والناس قادرون على مثل القرآن وأحسن منه ، ويكفرون القائل بخلق الاعمال والرؤية

(العاشر) الهشامية أصحاب هشام بن عمر قالوا لا يطلق اسم الوكيل على الله تعالى لاستدعائه موكلاً ، ولا دلالة في القرآن على الحلال والحرام ، والامامة لا تنعقد مع الاختلاف ، والجنة والنار لم تخلفا بعد ، ولم يقتل

(١) مخ «أمرا»

(٢) من مخ (٣) مخ «تولد»

عثمان ، ومن أفسد صلاة عقدها بشروطها فأول صلاته معصية
(الحادية عشرة) الصالحة وهم أصحاب الصالح جوزوا قيام السمع
والبصر والعلم والقدرة بالميت ، وخلو الجواهر عن الاعراض
(الثانية عشرة) الحائضية أصحاب احمد بن حائظ من أصحاب البطلان
قالوا للعالم الهان قديم ومحدث والمسيح هو الذى يحاسب الناس فى
الآخرة

(الثالثة عشرة) الحديدية أصحاب فضل الحديدى زادوا التناسخ وان كل
حيوان مكلف ، بل قيل فى كل نوع من الحيوان نبي من جنسه
(الرابعة عشرة) المعمرية أصحاب معمر بن عباد السلمى قالوا ان الله
لا يخلق شيئا غير الاجسام ، ولا يوصف بالقدم ، ولا يعلم نفسه ، والانسان
لا فعل له غير الارادة

(الخامسة عشرة) الثمامية أصحاب ثمامة بن أشرس النيمى قالوا ،
الافعال المتولدة لا فاعل لها ، والمعرفة متولدة من النظر ، وانها واجبة قبل
الشرع ، واليهود والنصارى والمجوس والزنادقة يصيرون ترابا لا يدخلون
جنة ولا ناراً وكذا البهائم والاطفال ، والاستطاعة سلامة الآلة ، ومن لا يعلم
خالقه من الكفار معذور ، ولا فعل للانسان غير الارادة وما عداها حادث
بلا محدث ، والعالم فعل الله بطبعه

(السادسة عشرة) الخياطية أصحاب أبى الحسن بن أبى عمر الخياط
قالوا بالقدرة ، وتسمية المعدوم شيئا وجوها وعرضا ، وقالوا عن ارادة الله
كونه غير مكره ولا كاره وهى فى فعله الخلق ، وفى فعل العباد الامر ،
والسمع والبصر العلم بمتعلقهما

(السابعة عشرة) الجاحظية أتباع عمرو الجاحظ أبى عثمان بن بحر
البصرى المتكلم صاحب التأليف فى كل فن وكان تلميذ أبى اسحاق ابراهيم
ابن سيار (١) البلخى المتكلم الذى تقدم ذكره ، قالوا المعارف كلها
ضرورية ، ولا ابرادة فى الشاهد ، والاجسام ذوات طبائع ، ويمتنع انعدام
الجواهر ، والنار تجتذب اليها أهلها لا أن الله يدخلهم فيها ، والخير والشر

(١) فى الاصلين «يسار» خطأ

من فعل العبد ، والقرآن جسد ينقلب تارة رجلا وتارة امرأة
(الثامنة عشرة) الكعبيّة أصحاب أبي القاسم عبد الله الكعبي قالوا فعل
الرب واقع بغير ارادته ولا يرى نفسه ولا غيره الا بمعنى العلم
(التاسعة عشرة) الجبائية وهم شيعة أبي على الجبائي قالوا ارادة الله
حادثه لا في محل والعالم يفنى فناء لا في محل ، والله متكلم بكلام يخلقه
في جسم ، ولا يرى في الآخرة ، والعبد خالق فعله ، ومرتكب الكبيرة
لا مؤمن ولا كافر واذا مات بلا توبة يخلد في النار ، ولا كرامة للأولياء ،
ويجب على الله اكمال عقل المكلف واعداد أسباب التكليف له من بعث
الرسول والمعجزة على يده • وشاركه ابن له - يعنى أبا على - وهو أبو هاشم ،
وانفرد أبو على بأن الله عالم بلا صفة وسمعه وبصره كونه حيا بلا آفة •
(العشرون) الهاشمية فرقة أبي هاشم قالوا لا توبة عن كبيرة مع الاصرار
على غيرها اذا كان عالما بقبحها ، ولا مع عدم القدرة عليها ، ولا يتعلق علم
بمعلومات على التفصيل ، وأثبت لله خمس حالات الحية والعالية والقادرية
والموجودية ، والالهية موجبة للأربعة ، فهذه العشرون فرقة المشهورة من
فرق أهل الاعتزال ، وكلها متصفة بالبدع والضلال •

الفرقة الثانية الشيعة الشنيعة

فرق الشيعة

وافترقت الى اثنتين وعشرين فرقة وأصول ذلك كله ثلاث فرق غلاة
وامامية وزيدية ، أما الغلاة فافترقت ثمانية عشر فرقة يكفر بعضها بعضا
(أحدها) السبائية وهم أتباع عبد الله بن سبأ الذي قال لأمر المؤمنين على
ابن أبي طالب رضی الله عنه : أنت الاله حقا : فأحرق من أصحاب هذه
المقالة من قدر عليه منهم فخذ لهم أخايد وأحرقهم بالنار وقال :

اني اذا سمعت قولاً منكراً أججت ناراً ودعوت قنبراً

قال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه ، وابن سبأ هذا أول من
ابتدع الرفض ، قال وكان منافقا زنديقا أراد فساد دين الاسلام كما فعل
بولص صاحب الرسائل التي بأيدي النصاري حيث ابتدع لهم بدعا أفسد
بها دينهم وكان يهوديا فأظهر النصرانية نفاقا لقصد افساد ملتهم ، وكذلك
كان ابن سبأ يهوديا فقصد ذلك وسعى في الفتنة فلم يتمكن لكن حصل

بين المؤمنين تحريش وقتنه فقتل فيها عثمان بن عفان رضى الله عنه ، وتبع ابن سبأ جماعات على بدعته وضلالته ، وقال هؤلاء ان عليا رضى الله عنه لم يمت وانما الذى قتله عبد الرحمن بن ملجم شيطان وأما على ففى السحاب ، والرعد صوته والبرق سوطه ، وانه ينزل الى الارض ويملاها عدلا ، ويقولون عند الرعد عليك السلام يا أمير المؤمنين

(الثانية) الكاملية وهم أتباع أبى كامل قالوا بكفر الصحابة رضى الله عنهم بترك بيعة على ، وبكفر على رضى الله عنه بترك طلب حقه ، ويعتقدون التناسخ وان الامامة نور يتناسخ وقد يصير فى شخص نبوة

(الثالثة) البيئية أتباع بيان (١) بن سمران التميمى قالوا الله تعالى على صورة الانسان ويهلك كله الا وجهه ، وروح الله حل فى على ثم فى ابنه محمد ابن الحنفية ثم فى ابنه أبى هاشم ثم فى بيان

(الرابعة) المغيرية وهم أتباع المغيرة بن سعيد العجلي قالوا الله تعالى جسم على صورة انسان من نور وقلبه منبع الحكمة ، ولما أراد الخلق تكلم بالاسم الأعظم فطار فوق تاج على رأسه ثم كتب على كفه أعمال العباد فغضب من المعاصى فغرق فحصل منه بحران أحدهما ملح مظلم والآخر حلو نير ثم اطلع فى البحر النير فأبصر ظله فانتزعه فجعل منه الشمس والقمر وأفى الباقي ثم خلق الخلق من البحرين فالكفر من المظلم والايامن من النير ، ثم أرسل محمدا صلى الله عليه وسلم والناس فى ضلال وعرض الامانة وهى منع الامامة (٢) على السموات والارض والجيال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان - قالوا وهو أبو بكر حملها بأمر عمر بشرط أن يجعل الخلافة بعده له ، قالوا والامام المنتظر زكريا بن محمد بن على بن الحسين ابن على رضى الله عنهم وهو حى فى جبل حاجر

(الخامسة) الجناحية وهم المنسوبون الى عبد الله بن معاوية بن عبد الله ابن جعفر ذى الجناحين قالوا الأرواح تتناسخ فكان روح الله فى آدم ثم فى شيث ثم فى الأنبياء والأئمة حتى انتهت الى على وأولاده الثلاثة ثم الى

(١) فى الاصل بنان بنون بعد الباء والصواب بيان كما فى المواقف وشرح القاموس

(٢) فى الاصلين منبع الامامة وفى المواقف « وهى منع على عن الامامة »

عبد الله قالوا وهو حى يجبل أصبهان ، وأنكروا القيامة واستحلوا المحرمات
(السادسة) المنصورية وهم أتباع أبي منصور العجلي قالوا الامامة صارت
لمحمد بن علي بن الحسين وعرج الى السماء ومسح الله رأسه بيده وقال
يا بنى اذهب وبلغ عنى (١) • قالوا والرسول لا تنقطع والجنة رجل أمرنا
بموالاته وهو الامام ، والنار رجل أمرنا بمعاداته ، وكذا الفرائض والمحرمات
(السابعة) الخطابية وهم أتباع أبي الخطاب الاسدى قال الأئمة أنبياء
وأدعى النبوة لنفسه وقال : الحسنان رضى الله عنهما ابنان لله وجعفر اله
لكن أبو الخطاب أفضل منه ومن على ويستحلون شهادة الزور لموافقهم
على مخالفهم ، قالوا والجنة نعيم الدنيا والنار آلامها ، واستباحوا المحرمات
وتركوا الفرائض ، قالوا ويمكن أن يوحى الى كل مؤمن ومنهم من هو
خير من جبرئيل وميكائيل وهم لا يموتون بل يرفعون الى الملكوت

(الثامنة) الذمية الذين ذموا النبي صلى الله عليه وسلم قالوا لأن عليا
اله بعثه ليدعو له فدعا الى نفسه ، وقد قيل عند هؤلاء بالهتيماء ولهم فى
التقديم خلاف ، وقيل عندهم هما فاطمة والحسنان آلهة وهم يقولون فاطم
ولا يقولون فاطمة تحاشيا عن التأنيت

(التاسعة) الغرابية وهم الذين قالوا محمد أشبه بعلى من الغراب بالغراب
فغلط جبرئيل من على الى محمد بالرسالة

(العاشر) الهشامية وهم أتباع هشام بن الحكم قالوا ان الله جل شأنه
طويل عريض عميق متساو كالسيكة البيضاء يتلأأ من كل جانب وله لون
وطعم ورائحة ويقوم ويقعد ويعلم ما تحت الثرى بشعاع ينفصل عنه اليه
وهو سبعة أشبار بأشبار نفسه مماس للعرش بلا تفاوت و ارادته هى حركة
لا عينه ولا غيره ، وانما يعلم الأشياء بعد كونها بعلم لا قديم ولا حادث ،
وكلامه صفة لا مخلوق ولا قديم ، والاعراض لا تدل على البارى ، والأئمة
دون الانبياء

(الحادية عشرة) الزرارية وهم أتباع زرارة بن أعين قالوا صفات الله
حادثة ولا حياة قبل الصفات ، ولهم أقوال خبيثة جدا

(الثانية عشرة) اليونسية وهم أتباع يونس بن عبد الرحمن القمي ، قال الصلاح الصفدي في الوافي بالوفيات كان يونس على مذهب القطعية في الامامة ثم انه أفرط في التشبيه فقال ان الله تعالى يحمله حملة عرشه وهو أقوى منهم كما أن الطائر المعروف بالكركي تحمله رجلاه وهو أقوى من رجله . واستدل بقوله تعالى (ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية) وهذا الاستدلال خطأ منه فان الآية مصرحة بأن العرش هو المحمول

(الثالثة عشرة) النعمانية وهم أتباع محمد بن النعمان قال ان الله تعالى نور غير جسماني على صورة انسان وانما يعلم الاشياء بعد حدوثها

(الرابعة عشرة) الرزامية قالوا الامامة لمحمد بن الحنفية ثم لابنه عبد الله ثم لمحمد بن علي بن عبد الله بن عباس ثم لأولاده الى المنصور ثم حل الاله في أبي مسلم وانه لم يقتل واستحلوا المحارم

(الخامسة عشرة) المفوضة قالوا الله تعالى فوض خلق العالم الى محمد صلى الله عليه وسلم

(السادسة عشرة) البدائية جوزوا البداء على الله

(السابعة عشرة) النصيرية قالوا ان الله تعالى حل في علي رضي الله عنه (الثامنة عشرة) الاسماعيلية ويلقبون بالباطنية لقولهم باطن الكتاب، وأصل دعوتهم مبنية على ابطال الشرائع وانتقاص الدين ، فان قوما من المجوس راموا عند ظهور الفتن واختلاف الكلمة وتباين الدول كسر شوكة الاسلام وانتقاص عرى الدين ولم يمكنهم التصريح بذلك ولا اعلان ما قصدوه من الافك والمهالك ، فأخذوا في تأويل الشريعة على وجه يعود الى قواعد أسلافهم ، ورأسهم في ذلك (حمدان قرمط) ومنهم بل صاحب اظهار دعوتهم (أبو سعيد الجنابي) فظهر على البحرين واجتمع عليه جماعة من الاعراب والقرامطة فقوى أمره وقتل من حوله من أهل تلك القرى ، ثم قتل أبو سعيد سنة احدى وثلاثمائة قتله خادم له في الحمام وقام مقامه ولده أبو طاهر سليمان بن أبي سعيد الحسن بن بهرام القرمطي ، وكان قد استولى على هجر والقطيف والاحساء وسائر بلاد البحرين ، فلما كان عام سبع عشرة وثلاثمائة وافى حجاج المسلمين أبو طاهر القرمطي بمكة

يوم التروية فنهب أموال الحاج وقتلوهم حتى فى المسجد الحرام وفى البيت الحرام وقلع الحجر الاسود وأنفذه الى هجر وطرح القتلى فى زمزم وقلع باب الكعبة • والقرمط بكسر القاف وسكون الراء وكسر الميم وبعدها طاء مهملة ، وكان أبو سعيد المذكور قصيرا مجتمع الخلق أسمر كرية المنظر فلذلك قيل له قرمطى ، والجنايى بفتح الجيم وتشديد النون وبعد الالف موحدة نسبة الى جنابة وهى بلدة من أعمال فارس متصلة بالبحرين عند سيراف والقرامطة منها فنسبوا اليها

ولهم فى دعوتهم مراتب (الزرق) وهو التفرس فى حال المدعو هل هو قابل أم لا ولذلك منعوا القاء البذر فى السبخة (١) والتكلم فى بيت فيه سراج أى فقيه ثم (التأسيس) باستمالة كل واحد بما يميل اليه من زهد وخلاعة ، ثم (التشكيك) فى أركان الشريعة بمقطعات السور وقضاء صوم الحائض دون صلاتها والنسل من المنى دون البول لتعلق القلوب بمراجعتهم فيها ، ثم (الربط) وهو أخذ الميثاق منه بحسب اعتقاده أن لا يفشى عنهم شيئا وحوالته على الامام فى كل ما أشكل عليه ، ثم (التدليس) وهو دعوى موافقة أكابر الدين لهم حتى يزداد ميلهم ، ثم (التأسيس) وهو تمهيد مقدمات يقبلها المدعو ، ثم (الخلق) وهو الطمأنينة الى اسقاط وجوب الافعال البدنية ، ثم (السلخ) عن الاعتقادات وحيثذ يأخذون فى الاباحة واستمجال اللذات وتأويل الشريعة • قال شيخ الاسلام أبو العباس تقي الدين ابن تيمية روح الله روحه : ذكر الكاشفون لأسرار القرامطة والهاتكون لأستارهم كالقاضى أبى بكر بن الطيب والقاضى أبى يعلى وطوائف كثيرة ما وجدنا مصداقه فى كتب القرامطة انهم وضعوا لأنفسهم اصطلاحات روجوها على المسلمين ومقصودهم بها مقصود الفلاسفة الصابئين والمجوس الثنوية ، كقولهم السابق والتالى يعنون به العقل والنفس ، ويقولون هو اللوح والقلم ، قال وأصل دينهم مأخوذ من دين المجوس والصابئين ، ومن مذهبهم أن الله تعالى لا موجود ولا معدوم ، وربما خلطوا كلامهم بكلام الفلاسفة ، وقد دخل كثير من هذه القرامطة فى كلام كثير من المتصوفة

(١) فسره فى شرح المواقف بدعوة من ليس قابلا لها وهو ظاهر

كما دخل في كثير من المتكلمة • قال شيخ الاسلام ابن تيمية : وكتاب رسائل اخوان الصفا أصل مذهب القرامطة الفلاسفة فربما نسبوا هذا الكتاب بالافتراء الى جعفر الصادق ليجعلوه ميراثا عن أهل البيت • قال وهذا من أقبح الكذب وأوضحه فانه لا نزاع بين العقلاء ان رسائل اخوان الصفا انما صنفت بعد المائة الثالثة في دولة بنى بويه قريبا من بناء القاهرة المعزية • ودولة العبيدية الحاكمة المتسيين لأهل البيت الملقين بالفاطمية من هذا النمط فان ظاهر مذهبهم الرفض وباطنه الكفر المحض ، ومن فرقهم الدرروز والتيامنة والحمزايوية وأضرايهم ، وهؤلاء من أكفر الناس وبالله التوفيق

(وأما الزيدية) فهم ينتسبون للسيد الشريف زيد بن علي زين العابدين ابن الحسين شهيد كربلا ابن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضوان الله عليهم وكان زيد اماما عالما شجاعا مقداما وكان قد بايعه جموع من الشيعة ثم قالوا له تبرأ من الشيخين - يعنون أبا بكر وعمر رضى الله عنهما - فقال معاذ الله وزيرا جدي فتركوه ورفضوه وارضضوا عنه فسموا الرافضة والنسبة رافضي ، ثم انقسموا ثلاث فرق • الاولى « الجارودية أصحاب أبي الجارود قالوا بالنص على علي رضى الله عنه ، والصحابة كفروا بمخالفته والخلافة بعد الحسن والحسين شورى في أولادهما فمن خرج منهم بالسيف وهو عالم شجاع فهو امام ، واختلفوا في المنتظر أهو محمد بن عبد الله ولم يقتل أو محمد بن القاسم أو يحيى بن عمر صاحب الكوفة (الثانية) السليمانية شيعة سليمان بن جرير قالوا الامامة شورى وانما تنعقد برجلين من خيار المسلمين وأبو بكر وعمر امامان وان أخطأت الامة في البيعة لهما وكفروا عثمان وطلحة والزبير وعائشة (الثالثة) البترية أصحاب بتر التوصى قالوا بنحو قول من قبلهم الا أنهم توقفوا في كفر عثمان رضى الله عنه (١)

(واما الامامية) فقالوا باتباع الانبي عشر اماما وهم علي والحسن والحسين وزين العابدين علي بن الحسين والباقر محمد بن علي زين العابدين وجعفر

(١) هذه الاقوال لا تنطبق على اقوال زيدية اليمن فلتراجع كتبهم

الصادق بن محمد الباقر وموسى الكاظم بن جعفر الصادق وعلى الرضا
ابن موسى الكاظم ومحمد الجواد بن علي الرضا وعلى الهادي بن محمد
الجواد وحسن العسكري بن علي الهادي ومحمد بن حسن الحجة
فالامامية هم القائلون بزعمهم بقول هؤلاء الأئمة الابرار رضوان الله عليهم
وسلامه ما تعاقب الليل والنهار ، فقالت الامامية بالنص الجلي على امامة
أمير المؤمنين على رضى الله عنه وكفروا الصحابة بمخالفته وساقوا الامامة
الى جعفر الصادق ، ثم اختلفوا فى المنصوص عليه بعده وتشعب متأخرو
الامامية الى معتزلة ومشبهة ومفضلة والله تعالى أعلم

الفرقة الثالثة الخوارج

الخوارج

وهم الذين اخرجوا على أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه
وفارقوه بسبب التحكيم وكانوا اثني عشر ألفا فأرسل اليهم ابن عباس رضى
الله عنهما فجادلهم ووعظهم فرجع بعضهم وأصر على المخالفة آخرون
وقالت فرقة ننظر ما يصدر من على من أمر التحكيم فان أنفذه أقمنا على
مخالفته ، ثم انهم أعلنوا الفرقة وأخذوا فى نهب من لم ير رأيهم وقد ثبت
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « تمرق مارقة على حين فرقة من
المسلمين يقتلها أولى الطائفتين بالحق » فقتلهم على وطائفته وقال صلى الله
عليه وسلم فى حق الخوارج المارقين « يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه
مع صيامهم وقراءته مع قراءتهم يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون
من الاسلام (١) كما يمرق السهم من الرمية أينما لقيتموهم فاقتلوهم فان
فى قتلهم أجرا عند الله تعالى لمن قتلهم يوم القيامة » وقد روى مسلم
أحاديثهم فى صحيحه من عشرة أوجه • واتفق الصحابة على قتالهم وفرح
على رضى الله عنه بقتلهم وأخبر أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر به ولما
قيل لعلى الحمد لله الذى أراح منهم العباد قال كلا والذى نفسى بيده ان
منهم لفى اصلاب الرجال وان منهم لمن يكون مع الدجال • ثم انهم تشعبوا
الى سبع فرق

(١) منح «الدين»

(الأولى) المحكمة الذين خرجوا على أمير المؤمنين على رضى الله عنه عند التحكيم وكفروه وهم اثنا عشر ألفا قالوا من نصب من قریش وغيرهم وعدل فهو امام ، ولم يوجبوا نصب الامام وكفروا عثمان وأكثر الصحابة وكل مرتكب للكبيرة

(الثانية) اليهسية أتباع يهس واسمه الهيصم بن جابر كما فى القاموس قالوا الايمان هو العلم بالله تعالى وما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم فمن وقع فيما لا يعرف أحلال هو أم حرام فهو كافر لوجوب الفحص عنه ، وقيل لا حتى يرجع الى الامام فيحده وما لا حد فيه فمغفور ، وقيل اذا كفر الامام كفرت الرعية حاضرًا كان أو غائبًا ، والاطفال كأبائهم ايمانًا وكفرا

(الثالثة) الازارقة أتباع نافع بن عبد الله الازرق الخارجى اللعين وقد خرج معه قوم من البصرة والاهواز وغيرهما من بلدان فارس وغيرها وعظمت شوكتهم وتملكوا الأمصار وكانت له آراء ومذاهب دانوا بها معه منها أنه كفر عليا رضى الله عنه بسبب التحكيم وزعم أن قوله تعالى (ومن الناس من يعجبك قوله) الآية نزل فى حقه وزعم أنه نزل فى حق عبد الرحمن بن ملجم لعنه الله (ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله) ومنها انه كفر من لم يقل برأيه واستحل دمه وكفر القعدة عن القتال وتبرأ ممن قعد عنه وان من ارتكب كبيرة خرج من الاسلام وكان مخلدا فى النار مع سائر الكفار وحرم التقية وجوز قتل أولاد المخالفين له ونساءهم وقال لا حد للذذف ولا للزنا

(الرابعة) النجدية أتباع نجدة بن عامر الحنفى (١) قالوا لا حاجة الى الامام وينجوز نصبه ووافقوا الازارقة فى التكفير

(الخامسة) الاصفرية وهم أتباع زياد بن الاصفر خالفوا الازارقة فى تكفير القعدة وفى منع الحد على الزنا وفى أطفال الكفار وقالوا المعصية الموجبة للحد لا يدعى صاحبها الا بها وما لاحد فيه لعظمه كترك الصوم كفر ، ويزوجون المؤمنة من الكافر فى دار التقية دون العلانية

(السادسة) الاباضية أتباع عبد الله بن أباض قالوا مخالفونا كفار غير مشركين تجوز منا كحتمهم وتقبل شهادة مخالفهم عليهم ومرتكب الكبيرة موحد غير مؤمن ، والاستطاعة قبل الفعل ، ومخلوق العبد مخلوق لله ، ومرتكب الكبيرة كافر كفر نعمة لا كفر ملة ، وتوقفوا في أولاد الكفار وفي النفاق أهو شرك أم لا وجواز بعثة الرسل بلا دليل وتكليف أتباعه ، وكفروا عليا وأكثر الصحابة رضى الله عنهم . وافترقوا أربع فرق (الأولى) الحفصية أتباع أبي حفص بن أبي المقدم زادوا ان بين الايمان والشرك معرفة الله فمن كفر بأمر سوى الشرك أو بارتكاب كبيرة فكافر لا مشرك (الثانية) اليزيدية قالوا سيعث نبي من العجم بكتاب يكتب من السماء ويترك شريعة محمد صلى الله عليه وسلم الى ملة الصابئة وكل ذنب شرك (الثالثة) الحارثية أتباع أبي الحارث الاباضى خالفوا فى العذر والاستطاعة قبل الفعل (الرابعة) القائلون بطاعة لا يراد بها الله

(السابعة) العجاردة أتباع عبد الرحمن بن عجرد زادوا على النجدية وجوب دعوة الطفل الى الاسلام اذا بلغ وأطفال المشركين فى النار ، ويشعب من مذهبهم احدى عشرة فرقة (الأولى) الميمونية أصحاب ميمون ابن عمران قالوا بالقدر والاستطاعة قبل الفعل ، والله يريد الخير دون الشر ولا يريد المعاصى ، وأطفال الكفار فى الجنة ، ولهم اعتقادات سيئة (الثانية) الحمزية أتباع حمزة بن أدرك وافقوهم الا أنهم قالوا أطفال الكفار فى النار (الثالثة) الشعيية أشياح شعيب بن محمد هم كالميمونية الا فى القدر (الرابعة) الحازمية وهم أصحاب حازم بن عاصم (والخلفية) أصحاب خلف (والاطرافية) عذروا أهل الاطراف فيما لم يعرفوه ووافقوا أهل السنة فى أصولهم ونفوا القدر (الخامسة) المعلومية كالحازمية الا أن المؤمن عندهم من عرف الله بجميع أسمائه ، وفعل العبد مخلوق لله (السادسة) المجهولية قالوا تكفى معرفة الله ببعض أسمائه وفعل العبد له (السابعة) الصلتية وهم أصحاب عثمان بن أبي الصلت هم كالعجاردة لكن قالوا من أسلم واستجار بنا توليناه وبرئنا من أطفاله (الثامنة) الثغالبية أصحاب ثعلب (١) بن عامر قالوا بولاية الاطفال ، ونقل عنهم أن الاطفال لاحكم

(١) فى بعض الكتب « الثغالبية أصحاب ثعلب »

لهم ، ويرون أخذ الزكاة من العيد اذا استغنوا واعطاءها الى العيد اذا افتقروا ، ثم افترقوا أربع فرق (أحدها) الاخشية أصحاب الاخش ابن فليس وهم كالتغلبة الا أنهم توقفوا في أهل دار التقية الا من علم حاله وحرّموا الاغتيال بالقتل والسرقة ، ونقل عنهم تزويج المسلمات من مشركي قومهم (والمعبدية) أصحاب معبد بن عبد الرحمن خالفوهم في تزويج من المشركين وخالفوا التغلبة في زكاة العبد (والشيبانية) أصحاب شيان بن سلمة قالوا بالحبر ونفى القدرة (والمكرمية) أصحاب مكرم العجلي قالوا ترك الصلاة كافر لجهله بالله وكذا كل كبيرة كفر . فاذن فرق الخوارج عشرون والله أعلم .

الفرقة الرابعة المرجئة

المرجئة

لقبوا بذلك لأنهم يرجئون العمل عن النية والاعتقاد أى يؤخرونه أو لأنهم يقولون لا يضر مع الايمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة ، وهم خمس فرق

(الاولى) اليونسية قالوا الايمان المعرفة بالله والخضوع له والمحبة ولا يضر معها ترك الطاعات ، وابليس كان عارفا بالله وانما كفر باستكباره (الثانية) المبيدية أصحاب عيد المكتب رأوا أن علم الله لم يزل شيئا غيره وانه على صورة الانسان

(الثالثة) الغسانية أصحاب غسان الكوفى قالوا الايمان هو المعرفة بالله ورسوله وبما جاء من عندهما اجمالا وهو لا يزيد ولا ينقص . وعنوا بالاجمال جواز أن يقال انه تعالى قد فرض الحج ولا أدرى أين الكعبة لعلها في غير مكة أو يقال بعث محمدا ولا أدرى هو الذى بالمدينة أم لا (الرابعة) الثوبانية هم أصحاب ثوبان المرجيء قالوا الايمان هو المعرفة والاقرار بالله وبرسوله وما لا يجوز في العقل أن يفعله ولو عفا عن عاص لعفا عن كل من هو مثله وكذا لو أخرج واحدا من النار ، ولم يجزوا بخروج المؤمن من النار

(الخامسة) التومية وهم أصحاب أبى معاذ التومنى قالوا الايمان المعرفة والتصديق والمحبة والاخلاص والاقرار ، وترك بعضه كفر وليس بعضه

ايمانا وكل معصية يجمع على أنها كفر يقال لمرتكبها فسق وعصى لا فاسق ولا عاص ، ومن قتل نبيا أو لطمه فقد كفر لأنه دليل تكذيبه • هذه هي المرجئة الخالصة ومنهم من جمع بين الارجاء والقدر كمحمد بن شبيب وغيلان الدمشقي خال الازاعي • أول من تكلم فى القدر معبد الجهنى ثم غيلان

(السادسة) النجارية وهم أصحاب محمد بن الحسين النجار وافقوا أهل السنة فى خلق الأفعال وان الاستطاعة مع الفعل والعبد مكتسب ووافقوا المعتزلة فى نفي الصفات وحدوث الكلام وفرقهم ثلاث (البرغوثية) قالوا كلام الله اذا قرئ عرض واذا كتب جسم (والزعفرانية) قالوا كلام الله غيره وكل ما هو غيره مخلوق ومن قال كلام الله مخلوق فقد كفر (والمستدركة) استدركوا عليهم وقالوا انه مخلوق مطلقا لكننا وافقنا السنة والاجماع فى نفيه وقالوا أقوال مخالفيها كذب حتى قولهم لا اله الا الله

الفرقة الخامسة الجبرية

الجبرية

الذين يقولون انا مجبرون على أفعالنا ويسندون الأفعال الى الله تعالى ، فمنهم (متوسطة) يسندون الفعل الى الله ويشبتون للعبد كسبا (وخالصة) لا تثبت للعبد شيئا كالجهمية أصحاب الجهم بن صفوان قالوا لا قدرة للعبد أصلا والله سبحانه وتعالى لا يعلم الشيء قبل وقوعه ، وعلمه تعالى حادث لا فى محل ، ولا يوصف بما يوصف به غيره كالعلم والقدرة والارادة • والجنة والنار يفيان • ووافقوا المعتزلة فى نفي الرؤية وخلق الكلام وايجاب المعرفة بالعقل • وقول الجهمية من أعظم مقالات أهل الافك والضلال باتفاق سلف الامة وأئمتها حتى ان الامام عبد الله بن المبارك لما سئل عن الاثنتين وسبعين فرقة أجاب بأن أصولها أربعة الشيعة والخوارج والمرجئة والقدرية • فقيل له فالجهمية ؟ فقال ليست الجهمية من أمة محمد صلى الله عليه وسلم • وكان يقول انا لنحكى (١) قول اليهود والنصارى ولا نستطيع أن نحكى كلام (٢) الجهمية فان الجهمية تارة تقول بالحلول وتارة قولها الى

(١) مخ «لنستطيع أن نحكى» (٢) مخ «قول»

التعطيل • انتهى • وقال شيخ الاسلام ابن تيمية فى رسالته الحموية :
أصل مقالة التعطيل للصفات انما أخذ من تلامذة اليهود والمشرىكين وضلال
الصائبين • قال فانه أول من حفظ عنه انه قال هذه المقالة فى الاسلام الجعد
ابن درهم وأخذها عنه الجهم بن صفوان وأظهرها فنسبت مقالة الجهمية
اليه ، وقد قيل أن الجعد أخذ مقالته عن ابان بن سمان ، وأخذها ابان
من طالوت ابن أخت لييد بن الاعصم ، وأخذها طالوت من لييد بن الاعصم
اليهودى الساحر الذى سحر النبى صلى الله عليه وسلم ، وكان الجعد
هذا فيما قيل من أهل حران وكان فيهم خلق كثير من الصائبة والفلاسفة
بقايا أهل دين النمرود الكنعانيين ، وأخذها أيضا الجهم عن السمنية بعض
فلاسفة الهند وهم الذين يجحدون من العلوم ما سوى الحسيات ، فهذه
أسانيد الجهم ترجع الى اليهود والنصارى والصائبين والمشرىكين والفلاسفة
الضالين والله أعلم

السادسة المشبهة

المشبهة

الذين شبهوا الله بمخلوقاته وقد اختلفوا فى طرق التشبيه (فمنهم)
مشبهة غلاة الشيعة كما تقدم ، ومنهم مشبهة الحشوية قالوا هو تعالى من
لحم ودم وله أعضاء حتى قال بعضهم لأصحابه (لما سألوه - ١) أعفونى
من اللحية والفرج وسلونى عما وراءهما (ومنهم) مشبهة الكرامية أصحاب
أبى عبد الله محمد بن كرام قالوا أن الله على العرش من جهة العلو وتخوز
عليه الحركة والنزول فليل يملأ العرش واختلفوا أبعد متناه أو غيره ؟
(ومنهم) من أطلق عليه لفظ الجسم • وفى القاموس ومحمد بن كرام
كشداد امام الكرامية القائل بأن معبوده مستقر على العرش وانه جوهر
تعالى عن ذلك • انتهى • فسماه محمدا والمعروف انه عبد الله بن كرام (٢) • نعم
الاستاذ أبو بكر محمد بن اسحاق بن حمشاد كان زعيم أصحاب عبد الله
ابن كرام وكان فى دولة يمين الدولة وأمين الملة محمود بن سبكتكين كبير
القدر على الذكر • قالوا وتحل الحوادث فى ذاته تعالى وانما يقدر عليها دون
الخارجة عن ذاته • ويجب عندهم أن يكون أول خلقه حيا يصح منه

الاستدلال ، والنبوة والرمالة صفتان سوى الوحي والمعجزة والعصمة
وصاحبها رسول ويجب على الله ارساله لا غير فهو حينئذ مرسل وكل
مرسل رسول بلا عكس ويجوز عزله دون الرسول ، وجوزوا امامين كعلي
ومعاوية الا أن امامة علي وفق السنة بخلاف معاوية لكن تجب طاعته رعيته
له ، والايمان قول الذر في الازل « بلى » وهو باق في الكل الا المرتدين .
ولا يخفى ما في عد هذه الفرق من التداخل والمشهور أن أصول الفرق
الضالة سبعة أولها المعتزلة ٢٢ ثم الشيعة ٢٢ فالخوارج ١٢ فالمرجئة ٥
فالنجارية ٣ الجبرية ١ المشبهة ٣ (١)

التنبيه الثاني

ذكر أبو حامد الغزالي في كتابه التفرقة بين الايمان والزندقة ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال : « ستفترق أمتي نيفا وسبعين فرقة كلهم في الجنة
الا الزنادقة وهي فرقة » . هذا لفظ الحديث في بعض الروايات . قال :
وظاهر الحديث يدل على انه أراد الزنادقة من أمة اذ قال : ستفترق أمتي
ومن لم يعترف بنبوته فليس من أمة والذين ينكرون أصل المعاد والصابغ
فليسوا معترفين بنبوته اذ يزعمون ان الموت عدم محض وان العالم لم يزل
كذلك موجودا بنفسه من غير صانع ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر
وينسبون الانبياء الى التليس فلا يمكن نسبتهم الى الامة . انتهى . قال شيخ
الاسلام ابن تيمية في الاسكندرية : أما هذا الحديث فلا أصل له بل هو
موضوع كذب باتفاق أهل العلم بالحديث ولم يروه أحد من أهل الحديث
المعروفين بهذا اللفظ بل الحديث الذي في كتب السنن والمسند عن النبي
صلى الله عليه وسلم من وجوه انه قال : « ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين
فرقة ، واحدة في الجنة وثنتان وسبعون في النار » . وروى عنه انه قال :
« هي الجماعة » وفي حديث آخر : « هي من كان على مثل ما أنا عليه اليوم
وأصحابي » وضعفه ابن حزم لكن رواه الحاكم في صحيحه وقد رواه
أبو داود والترمذي وغيرهم قال : وأيضا لفظ الزندقة لا يوجد في كلام
النبي صلى الله عليه وسلم كما لا يوجد في القرآن وأما الزنديق الذي
(١) منح «المعتزلة ثم الشيعة فالخوارج فالمرجئة فالجبرية فالمشبهة فالنجارية»

التنبيه الثاني
رواية كلها في
الجنة الا فرقة

تكلم الفقهاء في توبته قبولاً ورداً فلمراد به عندهم المنافق الذي يظهر الاسلام ويبطن الكفر . انتهى . قلت وقد ذكر الحديث الذي ذكره الغزالي الحافظ ابن الجوزي في الموضوعات وذكر أنه روى من حديث أنس ولفظه : « تفرق أمتي على سبعين أو إحدى وسبعين فرقة كلهم في الجنة (١) الا فرقة واحدة » . قالوا يا رسول الله من هم ؟ قال : « الزنادقة وهم القدرية » أخرجه العقيلي وابن عدى ورواه الطبراني أيضاً - قال أنس : كنا نراهم القدرية . قال ابن الجوزي وضعه الأبرد بن أشرس وكان وضاعاً كذاباً وأخذته منه ياسين الزيات فقلب اسناده وخلطه ، وسرقه عثمان بن عفان القرشي وهؤلاء كذابون متروكون وأما الحديث الذي أخبر النبي صلى الله عليه وسلم ان أمة ستفترق الى ثلاث وسبعين فرقة واحدة في الجنة واثنان وسبعون في النار فروى من حديث أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وسعد بن أبي وقاص وابن عمر وأبي الدرداء ومعاوية وابن عباس وجابر وأبي امامة ووائل وعوف بن مالك وعمرو بن عوف المزني فكل هؤلاء قالوا واحدة في الجنة وهي الجماعة ولفظ حديث معاوية ما تقدم فهو الذي ينبغي أن يعول عليه دون الحديث المكذوب على النبي صلى الله عليه وسلم والله أعلم . ثم أخذ يذكر بعض ما عليه أهل الفرقة الناجية فقال :

قول أهمل
السننية في
النصوص

((فآبئوا النصوص بالتنزيه من غير تعطيل ولا تشبيه))
((فكل ما جاء من الآيات أوصح في الاخبار عن ثقات))
((من الاحاديث نمره كما قد جاء (٢) فاسمع من نظامي واعلم))

(١) مط « في النار »

(٢) علق الشيخ عبد الله بابطين على هذا الموضع ما نصه :

هذا لفظ مجمل يحتاج الى تفصيل وبيان وبيانه انه ان أريد بهذا الكلام الاقتصار على مجرد اللفظ من غير تعرض لمعناه الذي دل عليه بل يعتقد بأنه لفظ لا يسعنا أن نبحت في معناه وانما الواجب علينا أن نقرأه كما نقرأ اب ت الخ ان أريد به هذا فهو مراد فاسد ليس هو مذهب السلف والأئمة كما قد بينه شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله في رسالته المحمدية الكبرى وذكر أن من ظن أن طريقة السلف هي مجرد الايمان بالفاظ القرآن والحديث من غير فقه لذلك فقد كذب على طريقتهم . . . وأما ان أريد بهذا الكلام ما أراد السلف وهو أن يثبت معناها ويعتقد كما جاءت من غير كيف فهذا مراد صحيح وقد جاء معنى هذه العبارة عن السلف ، قال الشيخ تقي الدين ابن تيمية فقولهم : أمرها كما جاءت ، يقتضى ابقاء دلالتها على ما هي عليه فانها

((ولا نرد ذلك بالعقول لقول مقرر به جهول))
((فقدنا الابيات يا خليلي من غير تعطيل ولا تمثيل))
((ف)) انهم اى الاثرية من الفرقة الناجية ((ائبتوا النصوص)) القرآنية
والاحاديث النبوية متمسكين ((بالتنزيه)) لله سبحانه وتعالى ((من غير
تعطيل)) للصفات الواردة فى الكتاب العزيز والسنة الصحيحة وهو نفيها
عنه تعالى ، فان المعطلين لم يفهموا من أسماء الله تعالى وصفاته الا ماهو اللائق
بالمخلوق ، ثم شرعوا فى نفي تلك المفهومات فجمعوا بين التمثيل والتعطيل ،
فمثلوا أولا وعطلوا آخرا فهذا تشبيه وتمثيل منهم للمفهوم من أسمائه
وصفاته تعالى بالمفهوم من أسماء خلقه وصفاتهم ، فعطلوا ما يستحقه سبحانه
وتعالى من الاسماء والصفات اللائقة به عز وجل ، بخلاف سلف الامه
وأجلاء الأئمة فانهم يصفون الله سبحانه وتعالى بما وصف به نفسه وبما
وصفه به نبيه صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ((ولا تشبيه)) تعالى الله
عن ذلك فانه تعالى قال فى محكم كتابه : (ليس كمثل شئء وهو السميع
البصير) فرد على المشبهة بنفى المثلية ورد على المعطلة قوله : « وهو السميع
البصير » واعلم أن قداماء المعتزلة كأبى على الحنـ وابنه أبى هاشم ذهبوا
الى أن المماثلة هى المشاركة فى أخص صفات النفس فمماثلة زيد لعمرو
عندهم مشاركة اياه فى الناطقية فقط ، وذهب الماتريدية الى أن المماثلة هى
الاشترك فى الصفات النفسية كالحوانية والناطقية لزيد وعمرو . قالوا ومن
لازم الاشتراك فى الصفة النفسية أمران ، أحدهما الاشتراك فيما يجب
ويجوز ويمتنع ، وثانيهما أن يسد كل منهما مسد الآخر وينوب الآخر منابه
فمن ثم يقال المثلان موجودان مشتركان فيما يجب ويجوز ويمتنع ، أو

جاءت بلا كيف ألفاظ دالة على معانى فلو كانت دلالتها منفية لكان الواجب
أن يقال أمروا لفظها مع اعتقاد أن المفهوم منها غير مراد ، أو أمروا لفظها مع
اعتقاد أن الله لا يوصف بما دلت عليه حقيقة وحينئذ تكون قد أمرت
كما جاءت ولا يقال بلا كيف فان نفي الكيف عما ليس بثابت لغو من القول
اهد كلامه وبهذا علم أن أهل السنة يثبتون معانى أسماء الله ، وصفاته وان
كانوا لا يتعرضون لفهم كقيمتها ولا يبحثون عنها لأن ذلك أمر غيبى لم يخبر
عنه فحسبنا أن نقف على ما بلغ علمنا اليه وعلى هذا فيتعين الايمان باللفظ
وما دل عليه من المعنى سواء كانت دلالة مطابقة أو تضمن أو التزام ولكن
بلا كيف والله أعلم

موجودان يسد كل واحد منهما مسد الآخر • والمتماثلان وان اشتركا في الصفات النفسية لكن لا بد من اختلافهما بجهة أخرى ليتحقق التعدد والتمايز فيصح التماثل ، ونسب الى الاشعري انه يشترط في التماثل التساوى من كل وجه ، واعترض بانه لا تعدد حينئذ فلا تماثل ، وبأن أهل اللغة مطبقون على صحة قولنا زيد مثل عمرو في الفقه اذا كان يساويه فيه ويسد مسده وان اختلفا في كثير من الاوصاف ، وفي الحديث « الحنطة بالحنطة مثلا بمثل » أراد به الاستواء في الكيل دون الوزن وعدد الحبات وأوصافها ، ولا يخفى أن من الممكن أن يقال المراد التساوى في الوجه الذى به التماثل فزيد وعمرو اذا اشتركا في الفقه وكان بينهما مساواة فيه بحيث ينوب أحدهما عن الآخر يصح القول بأنهما مثلان فيه والا فلا • وكل هذا مغالطة وتمويه ليس شيء منه مما نحن فيه ((فكل ماجاء)) عن الله تعالى في القرآن العظيم ((من الآيات)) القرآنية ((أو صح)) مجيئه ((فى الاخبار)) بالاسانيد الثابتة المرضية ((عن)) رواة ((ثقات)) فى النقل وهم العدول الضابطون المرضيون عند أهل الفن العارفين بالجرح والتعديل ((من الاحاديث)) الصحيحة والآثار الصريحة مما يوهم تشبيها أو تمثيلا فهو من المتشابه الذى لا يعلمه الا الله نؤمن به وبأنه من عند الله تعالى و ((نمره كما قد جاء)) عن الله أو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) فيوصف

هل نصوص
الصفات من
المتشابه ؟

(١) فى تنبيه ابن سحمان ص ٣٢ بعد حكاية عبارة ملخصة مما هنا ما لفظه :

« اعلم وفقك الله ان هذا الكلام •• لا ينبغي ان يؤخذ على اطلاقه ونسبته الى مذهب أهل السنة والجماعة من السلف رضوان الله تعالى عليهم بل فيه ما هو حق من كلام السلف ، وفيه ما هو من بعض أقوال المتكلمين الذين ينتسبون الى أهل السنة ممن كثر فى باب أسماء الله وصفاته اضطرابهم وكشف عن معرفته حجابهم ، فان السلف رضوان الله عليهم لا يدخلون أسماء الله وصفاته الواردة فى الكتاب والسنة فى المتشابه الذى لا يعلم تأويله الا الله ، نعم فيه ما ذكر على السلف انهم يعمرون آيات الصفات وأحاديثها كما جاءت وسيأتى بيان معنى ذلك فيما بعد ان شاء الله تعالى • قال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه فى الرسالة المسماة بالاكليل فى المتشابه والتأويل : فصل • واما ادخال أسماء الله وصفاته أو بعض ذلك فى المتشابه الذى لا يعلم تأويله الا الله واعتقاد ان ذلك هو المتشابه الذى استأنث الله بعلم تأويله كما يقول كل واحد من القولين طوائف من أصحابنا وغيرهم ، فانهم وان أصابوا فى كثير مما يقولونه ونجوا من بدع

الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم وبما وصفه به السابقون الاولون لا يتجاوز القرآن والحديث . قال الامام أحمد رضى الله عنه لا يوصف الله الا بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم ، لا تتجاوز القرآن والحديث . فمذهب السلف انهم يصفون الله تعالى بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تكييف ، وهو سبحانه ليس كمثل شئ .

وقع فيها غيرهم فالكلام على هذا من وجهين ، الاول من قال ان هذا من التشابه وانه لا يفهم معناه . فنقول أما الدليل على ذلك فانى ما أعلم عن أحد من سلف الامة ولا من الائمة لا أحمد بن حنبل ولا غيره انه جعل ذلك من التشابه الداخلى فى هذه الآية ونفى أن يعلم أحد معناه ، وجعلوا أسماء الله وصفاته بمنزلة الكلام الاعجمى الذى لا يفهم ، ولا قالوا أن الله ينزل كلاما لا يفهم أحد معناه . وانما قالوا : كلمات لها معان صحيحة . قالوا فى أحاديث الصفات : تمر كما جاءت . ونهوا عن تأويلات الجهمية وردوها وأبطلوها التى مضمونها تعطيل النصوص عما دلت عليه . ونصوص أحمد والائمة قبله بيته فى انهم كانوا يبطلون تأويلات الجهمية ويقرون النصوص على ما دلت عليه من معناها ، ويفهمون منه للبعض ما دلت عليه كما يفهمون ذلك فى سائر نصوص الوعد والوعيد والفضائل وغير ذلك . وأحمد قد قال فى غير أحاديث الصفات : تمر كما جاءت - فى أحاديث الوعيد مثل قوله : « من غشنا فليس منا » وأحاديث الفضائل . ومقصوده ان الحديث لا يحرف كلمه عن مواضعه كما يفعله من يحرفه ويسمى تحريفه تأويلا بالعرف المتأخر ، فتأويل هؤلاء المتأخرين عند الائمة تحريف باطل . وكذلك نص أحمد فى كتاب الرد على الزنادقة والجهمية انهم تمسكوا بمتشابه القرآن ، وتكلم أحمد على ذلك المتشابه وبين معناه وتفسيره بما يخالف تأويل الجهمية ، وجرى فى ذلك على سنن الائمة قبله ، فهذا اتفاق من الائمة على انهم يعلمون معنى هذا المتشابه وان لا يسكت عن بيانه وتفسيره بل يبين ويفسر ، باتفاق الائمة من غير تحريف له عن مواضعه أو الحاد فى أسماء الله وآياته . انتهى . فتأمل ما ذكره شيخ الاسلام . . ثم تأمل ما ذكر الشارح بقوله : فمذهب السلف عدم الحوض فى هذا والسكوت عنه فانه يخالف ما ذكره شيخ الاسلام . . فتبين ان هذا ليس هو مذهب السلف وانه من القول عليهم بلا علم ولا برهان يدل على ذلك . ثم قال شيخ الاسلام : ومما يوضح لك ما وقع هنا من الاضطراب أن أهل السنة متفقون على ابطال تأويلات الجهمية ونحوهم من المحرفين الملحددين والتأويل المرذود وهو صرف الكلام عن ظاهره الى ما يخالف ظاهره ، فلو قيل ان هذا هو التأويل المذكور فى الآية وانه لا يعلمه الا الله وليس هذا مذهب السلف والائمة وانما مذهبهم نفى هذه التأويلات وردوها لا التوقف عنها . وعندهم قراءة الآية والحديث تفسيرها وتمر كما جاءت دالة على المعانى لا تحرف ولا يلحد فيها . وذكر كلاما طويلا . . .

لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله ، وكل ما أوجب نقصا أو حدودا فالله تعالى منزّه عنه حقيقة فانه تعالى مستحق الكمال الذي لا غاية فوقه ، ومذهب السلف عدم الخوض في مثل هذا والسكوت عنه وتفويض علمه الى الله تعالى (١) قال جبر القرآن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : هذا من

(١) في تنبيه ابن سحمان ص ٣٤ : « وأما قول الشارح : فمنذهب السلف عدم الخوض في هذا والسكوت عنه وتفويض علمه الى الله فاعلم يا أخي أن شيخ الاسلام ابن تيمية ذكر في العقل والنقل أقوال أهل التفويض فنذكر من ذلك ما يدل على بطلانه وانه من شر أقوال أهل البدع والاحاد . قال شيخ الاسلام قدس الله روحه في ص ١١٥ في الوجه ١٦ : وأما التفويض فمن المعلوم ان الله تعالى أمرنا ان نتدبر القرآن وحضنا على عقله وفهمه فكيف يجوز مع ذلك أن يراد منا الاعراض عن فهمه ومعرفته وعقله؟ فذكر أقوال الفلاسفة ثم قال : والجهمية والمعتزلة وأمثالهم يقولون انه أراد أن يعتقدوا الحق على ما هو عليه مع علمهم بانه لم يبين ذلك في الكتاب والسنة بل النصوص تدل على نقيض ذلك فاولئك يقولون أراد منهم اعتقاد الباطل وأمرهم به ، وهؤلاء يقولون أراد اعتقاد ما لم يدلهم الا على نقيضه ، والمؤمن يعلم بالاضطرار ان كلا القولين باطل . ولا بد للنفاة أهل التأويل من هذا أو هذا ، واذا كان كلاهما باطلا كان تأويل النفاة للنصوص باطلا فيكون نقيضه حقا وهو اقرار الادلة الشرعية على مدلولاتها ومن خرج عن ذلك لزمه من الفساد ما لا يقوله الا أهل الاحاد . وما ذكرناه من لوازم قول أهل التفويض هو لازم لقولهم الظاهر المعروف بينهم اذ قالوا أن الرسول كان يعلم معاني هذه النصوص المشككة المتشابهة ولكن لم يبين للناس مراده بها ولا أوضحها ايضا كما يقطع به النزاع . وأما على قول اكاربهم ان معاني هذه النصوص المشككة المتشابهة لا يعلمه الا الله وان معناها الذي أراده الله بها هو ما يوجب صرفها عن ظواهرها - فعلى قول هؤلاء يكون الانبياء والمرسلون لا يعلمون معاني ما أنزل الله عليهم من هذه النصوص ولا الملائكة ولا السابقون الاولون وحينئذ فيكون ما وصف الله به نفسه في القرآن أو كثير مما وصف الله به نفسه لا يعلم الانبياء معناه بل يقولون كلاما لا يعقلون معناه ، وكذلك نصوص المثبتين للقدر عند طائفة والنصوص المثبتة للامر والنهي والوعد والوعيد عند طائفة والنصوص المثبتة للمعاد عند طائفة ، ومعلوم أن هذا قدح في القرآن والانبياء اذ كان الله أنزل القرآن وأخبر انه جعله هدى وبيانا للناس ، وأمر الرسول أن يبلغ البلاغ المبين وأن يبين للناس ما نزل اليهم وأمر بتدبر القرآن وعقله ومع هذا فاشرف ما فيه وهو ما أخبر به الرب عن صفاته أو عن كونه خالقا لكل شيء وهو بكل شيء عليم أو عن كونه أمر أو نهى وزعد وتوعد أو عما أخبر به عن اليوم الآخر لا يعلم أحد معناه فلا يعقل ولا يتدبر ولا يكون الرسول بين الناس ما نزل اليهم ولا بلغ البلاغ المبين ، وعلى هذا التقدير فيقول كل ملحد ومبتدع : الحق في نفس الامر ما علمته برأبي وعقلي وليس في النصوص

المكتوم الذى لا يفسر (١) فالواجب على الانسان أن يؤمن بظاهره ويكلم
علمه الى الله تعالى . وعلى ذلك مضت أئمة السلف كالزهرى ومالك

ما ينافى ذلك لان تلك النصوص مشككة متشابهة ولا يعلم أحد معناها وما
لا يعلم أحد معناه لا يجوز أن يستدل به فيبقى هذا الكلام سدا لباب الهدى
والبيان من جهة الانبياء وفتح لباب من يعارضهم ويقول ان الهدى والبيان
فى طريقنا لا فى طريق الانبياء لاننا نحن نعلم ما نقول ونبينه بالادلة العقلية
والانبياء لم يعلموا ما يقولون فضلا عن أن يبينوا مرادهم . فتبين أن قول
أهل التفويض الذين يزعمون انهم متبعون للسنة والسلف من شر أقوال
أهل البدع والاحاد . الى آخر كلامه رحمه الله .
(١) قال ابن سحمان ص ٣٧ :

وأما قول الشارح قال ابن عباس هذا كلام من المكتوم الذى لا يفسر وكذا
قال غيره من الصحابة والتابعين ، وأما أهل التأويل فأبوا الا أن يفسروا
ويؤولوا حتى خالفوا سلف الامة وأئمتها وابتدعوا فى ذلك وكل بدعة ضلالة
انتهى .

فاعلم يا أخى أن هذا القول الذى نسيه الشارح الى ابن عباس رضى الله
عنه وغيره من الصحابة ان كان صحيحا ثابتا فليس معناه ما توهمه الشارح
من أن نصوص الكتاب والسنة الوازدة فى أسماء الله وصفاته مما يوهم
تشبيها فيكون من المتشابه الذى لا يعلمه الا الله وانه مما لا يعقل معناه
وانها لا تفسر وقد تقدم بيان ذلك فى معنى التفويض ونزيد ذلك ايضا
بما قاله شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه فى هذا الكتاب حيث
قال : واما تاويل ما أخبر الله به عن نفسه وعن اليوم الآخر فهو نفس
الحقيقة التى أخبر عنها وذلك فى حق الله هو كنه ذاته وصفاته التى لا
يعلمها غيره . ولهذا قال مالك وربيعة وغيرهما : الاستواء معلوم والكيف
مجهول . وكذلك قال ابن الماجشون وأحمد بن حنبل وغيرهما من السلف
يتقولون انا لا نعلم كيفية ما أخبر الله عن نفسه وان علمنا تفسيره ومعناه .
ولهذا رد أحمد بن حنبل على الجهمية والزنادقة فيما طعنوا فيه من متشابه
القرآن وتأولوه على غير تأويله فرد على من حمله على غير ما أريد به وفسر هو
جميع الآيات المتشابهات وبين المراد به وكذلك الصحابة والتابعون فسروا
جميع القرآن وكانوا يقولون ان العلماء يعلمون تفسيره وما أريد به وان لم
يعلموا كيفية ما أخبر الله به عن نفسه وكذلك لا يعلمون كيفية الغيب فان
ما أعد الله لاوليائه من النعيم ما لا عين رأت ولا أذن سمعته ولا خطر على
قلب بشر فذاك الذى أخبر به لا يعلمه الا الله بهذا المعنى فهذا حق . واما
من قال ان التأويل الذى هو تفسيره وبيان المراد به لا يعلمه الا الله فهذا
ينازعه فيه عامة الصحابة والتابعين الذين فسروا القرآن كله وقالوا انهم
يعلمون معناه كما قال مجاهد عرضت المصحف على ابن عباس من فاتحته الى
خاتمته أقف عند كل آية وأسأله عنها . وقال ابن مسعود ما فى كتاب الله
آية الا وأنا أعلم فمىم أنزلت . وقال الحسن البصرى ما أنزل الله آية الا وهو
يحب أن يعلم ما أراد بها . ولهذا كانوا يحفلون القرآن يحيط بكل ما يطلب
من علم الدين كما قال مسروق ما نسأل أصحاب محمد عن شيء الا وعلمه

والأوزاعي وسفيان الثوري والليث بن سعد وعبد الله بن المبارك والامام احمد واسحاق فكل هؤلاء رضى الله عنهم يقولون فى الآيات المتشابهة أمروها كما جاءت • قال سفيان بن عيينة - وناهيك به : كل ما وصف الله به نفسه فى كتابه فتفسيره قراءته والسكوت عنه ليس لأحد أن يفسره الا الله ورسوله • فهذا مذهب سلف الامة وفضلاء الأئمة رضى الله عنهم فلماذا قلت ((فاسمع)) سماع اذعان وتفهم وامثال وتعليم ((من)) منطوق ((نظامي)) ومفهومه ومحترزه ومعلومه ((واعلمنا)) فعل أمر مؤكد بنون التأكيد الخفيفة المنقلبة ألفا أى اعلم ذلك علم تحقيق وتحريير وتدقيق واعتمده واعتقده فانه نهج سلف الامة وسبيل أحرار الأئمة ((ولا نرد ذاك)) الوارد فى الكتاب المنزل وما جاء عن النبى المرسل ولا شيئا منه ((بالعقول)) بضرب من التأويل أو التمويه والتضليل ((ل)) أجل ((قول)) انسان ((مفتر)) من القرية وهى الكذب ومنه «فقد أعظم على الله القرية» أى الكذب ومنه قوله تعالى (ولا يأتين بهتان يفتريه) يقال فرى يفرى فريا وافترى يفتري افتراء اذا كذب ومفتر اسم فاعل منه ((به)) أى بذلك القول الذى تقوله والتأويل الذى تأوله ((جهول)) صفة لمفتر من صفات المبالغة فان الله جل ثناؤه سمي نفسه فى كتابه العزيز بالرحمن الرحيم ووصف نفسه بالرحمة والمجبة فقال : (ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما) وقال : (ورحمتى وسعت كل شيء) وقال : (فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه) وقال : « ان الله يحب المتقين - ويحب المحسنين - ويحب الصابرين - ويحب الذين يقاتلون فى

فى القرآن ولكن علمنا قصر عنه • وقال الشعبي ما ابتدع قوم بدعة الا فى كتاب الله بيانها ، وأمثال ذلك من الآثار الكثيرة المذكورة بالاسانيد الثابتة مما ليس هذا موضع بسطه • انتهى •

فهذا ما ذكره شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه من علم الكيفية عما أخبر الله به عن نفسه وكذلك لا يعلمون كفيات الغيب فان ما أعده الله لأولياؤه من النعيم مما لا عين رآته ولا أذن سمعته ولا خطر على قلب بشر فذاك الذى أخبر الله به لا يعلمه الا الله بهذا المعنى • فهذا الذى ذكره شيخ الاسلام هو الذى يحمل عليه قول ابن عباس وغيره من الصحابة ان كان النقل بذلك ثابتا عنهم وقد تقدم ان السلف رضوان الله عليهم كانوا يقولون انا لا نعلم كيفية ما أخبر الله عن نفسه وان علمنا تفسيره ومعناه فكان من المعلوم أن ابن عباس وغيره من الصحابة وأئمة السلف كانوا يفسرون ما تشابه من القرآن يعلمون معنى ذلك ولم يسكتوا عن بيان ذلك

سبيله صفا كأنهم بنیان مرصوص ، وكذلك الرضا والغضب الى غير ذلك من سائر ما جاء به الكتاب العظيم والنبي الكريم ، فسلف الامة وعلماء الأئمة يؤمنون به ويشبونه لله تعالى بالمعنى الذى أرادته تعالى مع اعتقادهم التنزيه والتقديس ، عن التشبيه والتنقيص ، ومن الناس من يجعل رحمة الله وجهه تعالى عبارة عما يخلقه من النعمة وهذا ظاهر البطلان .

فان قيل ان اثبات هذا تشبيه لان الرحمة رقة تلحق المخلوق والرب منزه عن مثل صفات المخلوقين (فالجواب) ان الذى يلزم من هذه الصفات يلزم من غيرها فان الارادة فى حق المخلوق ميله الى ما ينفعه ودفع ما يضره والله تعالى منزه عن الاحتياج الى عباده وهم لا يبلغون ضره ولا نفعه بل هو الغنى عن كل ما سواه .

فان قيل الارادة التى نسبتها لله ليست مثل ارادة المخلوقين كما انا قد اتفقنا وسائر المسلمين على أنه تعالى حى عليم قدير وليس هو مثل سائر الاحياء العلماء القادرين (فالجواب) انا نقول وكذلك الرحمة والمجبة التى نسبتها لله تعالى ليست مثل رحمة المخلوق ومجبة المخلوق .

فان قيل لا نعقل من المجبة والرحمة الا هذا . قال لك نفاة الصفات ونحن لا نعقل من الارادة الا هذا . وقلنا نحن معشر أهل الاثر لا يخفى على عاقل فهيم ولا مؤمن سليم ان ارادتنا ومجبتنا ورحمتنا بالنسبة لينا ، وارادته تعالى ومجبهه ورحمته بالنسبة اليه ، فكما أن ذاته لا تشبه ذاتنا وحياته لا تشبه حياتنا ، فرحمته ومجبهه ورضاه وغضبه كذلك ، فلا يجوز التفريق بين المتماثلين فكيف ثبت له احدى الصفتين وتنفى عنه الاخرى مع ورود الجميع فى الكتاب العزيز والسنة الصحيحة ، وليس فى العقل ولا فى السمع ما يوجب التفريق ، اذ غاية ما يقال انا نسبت الارادة بالعقل لان وجود التخصيص فى المخلوقات دل على الارادة ، فيقال أولا انتفاء الدليل المعين لا يقتضى انتفاء المدلول فهب ان مثل هذا الدليل لا يثبت فى الرحمة والمجبة فمن أين نفيت ذلك ؟ مع أن السمع أثبت ذلك . ويقال ثانيا فى اثبات ذلك بالطريق العقلى نظير الذى أثبت به الارادة : ما فى المخلوقات من وجود المنافع للمحتاجين ، وكشف الضر عن المضوررين ،

والاحسان الى المخلوقات ، وأنواع الرزق والهدى والمسرات ، دليل على
رحمة الخالق سبحانه . والقرآن يثبت دلائل الربوية بهذه الطريق ، تارة
يدلهم بالآيات المخلوقة على وجود الخالق ويثبت علمه وقدرته وحياته ،
وتارة يدلهم بالنعمة والآلاء على وجود بره واحسانه المستلزم رحمته ، وهذا
كثير فى القرآن كقوله تعالى : (يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم
والذين من قبلكم لعلكم تتقون ، الذى جعل لكم الارض فراشا والسماء
بناء) الآية وقوله : (أو لم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز) الآية
وقوله فى سورة الرحمن بعد ذكر تعداد أنواع النعم : (فبأى آلاء ربكما
تكذبان) وكذلك اثبات حكمته تعالى ومحبته التى تنبنى عليها حكمة خلقه
وأمره مما يعلم بالسمع وبالعقل أيضا كما تعلم ارادته تعالى (بهما - ١)
وسلف الاممة وأئمتها على ان الله تعالى يحب ويحب وهو قول
شيوخ (اهل - ١) المعرفة . وفى الحديث : « وأسألك الشوق الى لقائك
فى غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة » . اذا علمت ذلك ((فقدنا) معشر الانرية
الذى نعقد عليه ، ونهجنا الذى نسلكه ونذهب اليه ((الاثبات)) للأسماء
والصفات كما وردت به الآيات ودلت عليه الروايات ((ياخيل)) من الخلطة
وهى نهاية المحبة وخلاصتها بحيث انها تخللت الاعضاء والمفاصل ، والمراد
بالخليل هنا الموافق على مذهب السلف السائل عن منهجه ودقائقه وأمها
مسائله وحقائقه ، فانا ندين الله تعالى باثبات ما جاءت به الآيات وصحيح
الروايات وسلكته الأئمة السادات ((من غير تعطيل)) لها عن حقائقها ونفيها
مع صحة مخرجها بل نثبتها ونؤمن بها ولا تشبيه فى مجرد اثباتها ((ولا))
أى ومن غير ((تمثيل)) لها بصفات المخلوق بل اثبات بلا تمثيل وتنزيه بلا
تعطيل ، فالممثل يعبد صنما ، والمعطى يعبد عدما ، والمثبت المسلم يعبد رب
الارض والسماء ، المنعوت بنعوت الصفات والاسماء . وعندنا معشر السلف
ومن نحا منحانا من علماء الخلف

((فكل ممن أول فى الصفات كذاته ممن غير ما اثبات))
((فقد تعدى واستطال واجترأ وخاض فى بحر الهلاك واقترأ))

((ألم تر اختلاف أصحاب النظر فيه وحسن ما نجاه ذو الاثر))
((فانهم قد اقتدوا بالمصطفى وصحبه فاقنع بهذا وكفى))

حال المؤولين

((فكل من أول في الصفات)) الثابتة للذات المقدسة عن سمات
المحدثات والمراد بالتأويل هنا أن يراد باللفظ ما يخالف ظاهره أو صرف
اللفظ عن ظاهره لمعنى آخر أو من حقيقته لمجازه وهو فى آيات الصفات
المقدسة من المنكرات عند أئمة الدين من علماء السلف المعبرين (١) فانا
حيث أثبتنا ذاتا لا كالذوات ، فما المانع من اثبات صفات لا كصفات المحدثات ؟
فالكلام فى الصفات فرع على الكلام فى الذات ، فصفاته تعالى قديمة ثابتة
((كذاته)) تعالى ، فليس لنا أن نتأول فى صفات الله تعالى ولا فى ذاته ((من
غير ما)) ما زائدة تأكيد للنفى ولاقامة الوزن ((اثبات)) عن صاحب الشرع
وأصحابه وأئمة التابعين المعبرين من علماء السلف وأتباعهم فهم العمدة
دون غيرهم . وعلم من النظم أن الله سبحانه يطلق عليه الذات كما يقال
انه شيء لا كالأشياء وانه ذات لا كالذوات ، بخلاف الماهية فأكثر المتكلمين

(١) فى تنبيه ابن سحمان ص ٣٩ ما لفظه :
وأما قول الشارح : وأما أهل التأويل فأبوا الا أن يفسروا ويؤولوا حتى
خالقوا سلف الامة وأئمتها وابتدعوا فى ذلك وكل بدعة ضلالة . انتهى .
فاعلم يا أخى أن التأويل المردود الذى سلكه الجهمية ومن تبعهم من
المتكلمين هو صرف الكلام عن ظاهره الى ما يخالف ظاهره فلو قيل ان هذا
هو التأويل المذكور فى الآية وانه لا يعلمه الا الله لكان فى هذا تسليم
للجهمية ان للآية تأويلا يخالف دلالتها لكن ذلك لا يعلمه الا الله وليس
هذا مذهب السلف والائمة وانما مذهبهم تفى هذه التأويلات وردها لا
التوقف عنها ، وعندهم قراءة الآية والحديث تفسيرها وتمر كما جاءت دالة
على المعانى لا تحرف ولا يلحد فيها ، فكان من المعلوم ان السلف الذين قالوا
لا يعلم تأويله الا الله كانوا يتكلمون بلغتهم المعروفة بينهم ولم يكن لفظ
التأويل عندهم يراد به معنى التأويل الاصطلاحى الخاص وهو صرف اللفظ
عن المعنى المدلول عليه المفهوم منه الى معنى يخالف ذلك فان تسمية هذا
المعنى وحده تأويلا انما هو اصطلاح طائفة من المتأخرين من الفقهاء والمتكلمين
وغيرهم ليس هو عرف السلف من الصحابة والتابعين والائمة الاربعة وغيرهم
كما ذكر ذلك شيخ الاسلام ابن تيمية قس الله روحه والله أعلم . اذا تبين
لك هذا فاعلم ان مراد من قال من السلف رضى الله عنهم انه لا يفسر يعنون
انه لا يؤول ويحرف فيصرف عن ظاهره الى ما لا يدل عليه ظاهره كما أولوا
الاستواء وفسروه بأنه الاستيلاء وكما فسروا اليد بالنعمة وهذا هو الذى
نهى السلف عن تفسيره وتأويله بهذا المعنى والله أعلم .

منع إطلاقها على الله تعالى لأن معنى الماهية المجانسة وهي المشاركة في الجنس والفصل ، قالوا وما روى عن الامام أبي حنيفة رحمه الله تعالى من أنه كان يقول ان لله ماهية لا يعلمها الا هو ، لم يصح عنه ، فان هذا اللفظ لم يوجد في كتبه ولم ينقله عنه أحد من أصحابه العارفين بأقواله ، فلو ثبت عنه لحمل على أن مراده انه تعالى يعلم ذاته لا بدليل ، أو أن له أسماء لا يعلمها غيره كما في حديث « وأسألك بكل اسم هولاك أنزلته في كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك » فله أسماء لا يعلمها الا هو . وأما قوله عليه السلام « ان لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة » يعني الاسماء الحسنى متصفة بأن من أحصاها دخل الجنة والله أعلم ((فقد تعدى)) فهذا خبر للمبتدأ الذي هو كل من أول وتعديه تجريه على ما لم يأذن به الله ورسوله فانه فعل مالم يس له ، وقال على الله بما لم يأذن الله ورسوله له به ((واستطال)) على السلف الصالح فكأنه استدرك عليهم ما يزعم انهم أغفلوه ، وحرر فيما يدعى أنهم أهملوه ((واجترى)) افتعال من الجرأة أى تشجع وافتات حده وتعدى طوره ولم يقتد بالصادق المصدوق ولا بأصحابه والتابعين لهم باحسان ((وخاض)) يقال خاض الماء يخوضه خوضا وخياضا دخله كخوضه واختاضه وبالفرس أورده كاخاضه وخاض الغمرات اقتحمها أى اقتحم ((فى بحر الهلاك)) أى الموت والانمحاق يعنى رمى نفسه فى بحر يذهب بدينه ويؤول به الى الهلاك الأبدى والعذاب السرمدى ((وافترى)) على مولاة الذى خلقه وسواه ومن أظلم ممن افترى على الله فان من لم يسلم لم يسلم ، ومن لم يقتف طريقة السلف الصالح لم يربح ويفهم ، فعلى العاقل أن يتبع طريقة أهل الاثر فانها أسلم ، ودع عنك ما قيل من أن مذهب الخلف أعلم ، فانها من النزعات الفلسفية ، والزخارف البدعية ، والاحداس النفسية ، والوساوس الجهمية والتحدقات الزندقية . فأين علم زيدوعمر والنفس ممن شاهد الرسول وعابن الامر ؟ ومن ثم قلنا ((ألم تر اختلاف أصحاب النظر)) يعنى نظار المتكلمة من سائر الفرق والطوائف ورد بعضهم على بعض وتضليل بعضهم بعضا ((فيه)) أى فى نظرهم الذى يزعم كل فريق

منهم أنه هو العلم الحق والقول الصدق فيأتي غير ذلك الفريق فينقضه ويرمى صاحبه بالزندقة والتحقيق ، فكل فرقة من المتأولين تخطيء الأخرى ، وتزعم أن ما اهتدت اليه بعقلها أحق وأحرى ، فترد ما زعمت تلك انه برهان ، فتجيء الأخرى فتبرهن على بطلانه وتزعم انه هذيان ، وتعتقد أن الذي زخرفته هو حق اليقين ، فتأتي فرقة أخرى فتزعم انه من وحى الشياطين ، فكل من طالع كتب أهل الكلام والمتصوفة ، علم ما في قولهم من الهزيمة والزخرفة

والناس شتى وأراء مفرقة كل يرى الحق فيما قال واعتقدوا ((و)) ألم تر ((حسن ما)) أى المذهب الذى ذهب اليه والمنحى الذى ((نحاه)) وقصده ونهجه ((ذو)) أى صاحب مذهب ((الائثر)) من النبى الأمين والصحابة والتابعين والأئمة المعبرين الذين هم عمدة هذا الدين ((فانهم)) أى الاثرية المفهومين من قوله وحسن ما نحاه ذو الاثر ((قد اقتدوا)) فيما اعتقدوه وعولوا فيما اعتمدوه ((ب)) النبى ((المصطفى)) افتعال من الصفوة وهو نبينا رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم ((و)) اقتدوا من بعده صلى الله عليه وسلم ((بصحبه)) الذين صحبوه ونقلوا عنه الشريعة وعابنوا الوحى والتنزيل وعلموا من الرسول بما جاء به جبريل فان كنت تبغى السلامة وتسلم من البدع والندامة ((فاقنع)) أى ارض ((بهذا)) البيان ، المسند الى آيات القرآن ، والى حديث سيد ولد عدنان ، والى الصحابة والتابعين والأئمة المهتدين ((وكفى)) بهؤلاء مستندا ومعتقدا فالسلامة فيما نحوه وأصلوه لا فيما زخرفه أهل التأويل وتقولوه (١)

تنبيهات

تنبيهات الاول

(الاول) لا خلاف بين العقلاء ان الله سبحانه وتعالى متصف بجميع صفات الكمال منزه عن جميع صفات النقص لكنهم مع اتفاقهم على ذلك اختلفوا فى الكمال والنقص فتراهم يثبت أحدهم لله ما يظنه كمالا وينفى

الاختلاف فى فهم الكمال

(١) بهامش مخ « بلغ قراءة امرار فى هذا الكتاب على شيخنا المحترم الشيخ عبد الله نفعنا الله به آمين وذلك فى ١٤ ج ١ سنة ١٢٥٩

قصود الفكر
على الاستقلال

الآخر عين ما أثبتته هذا لظنه نقصا ، وسبب ذلك أنهم سلطوا الأفكار على مالا سبيل اليه من طريق الفكر ، فان الله تعالى خلق العقول وأعطاها قوة الفكر وجعل لها حدا تقف عنده من حيث ما هي مفكرة لا من حيث ما هي قابلة للوهب الالهي ، فاذا استعملت العقول أفكارها فيما هو في طورها وحدها ووقت النظر حقه أصابت باذن الله تعالى ، واذا سلطت الأفكار على ما هو خارج عن طورها ووراء حدها الذي حده الله لها ركبت متن عمياء، وخبطت خبط عشواء ، فلم يثبت لها قدم ولم تتركن على (١) أمر تطمئن اليه ، فان معرفة الله التي وراء طورها مما لا تستقل العقول بادراكها من طريق الفكر وترتيب المقدمات ، وانما تدرك ذلك بنور النبوة وولاية المتابعة فهو اختصاص الهى يختص به الانبياء وأهل وراثةهم مع حسن المتابعة وتصفية القلب من ضرر البدع ، والفكر من نزغات الفلسفة والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم

ومما يوضح ذلك أن العقول لو كانت مستقلة بمعرفة الحق وأحكامه لكانت الحجة قائمة على الناس قبل بعث الرسل وانزال الكتب واللازم باطل بالنص قال تعالى (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) وقال تعالى (ولو انا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى) فكذا الملزوم ، فلما بعث الله الرسل وأنزل الكتب وجبت لله على الخلق الحجة البالغة وانقطعت علقة الاعتذار (فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه * لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) ولما عجزت العقول من طريق الفكر عن معرفة الحق التي هي وراء طورها ومنحها القبول وقد أنزل الكتاب وأنزل فيه ما حارت في ادراكه العقول من الآيات المتشابهات التي لا يعلم تأويلها الا الله ، أمرنا الشارع بالايمان بها ونهانا عن التفكير في ذات الله رحمة منه بنا ولطفا لعجزنا عن ادراكه فان تسليط الفكر على ما هو خارج عن حده تعب بلا فائدة ، ونصب من غير عائدة ، وطمع في غير مطعم ، وكد من غير منجع ، وقد أمرنا بالايمان بالمشابهة .

(١) مخ « ولم تركن الى »

وفي الحديث « تعلموا القرآن والتمسوا غرائبه - يعنى فرائضه أى حدوده - وهى حلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال فأحلوا حلاله وحرّموا حرامه واعملوا بمحكمه وآمنوا بمتشابهه واعتبروا بأمثاله » رواه الديلمى من حديث أبى هريرة رضى الله عنه وأخرجه الحاكم وصححه من حديث ابن مسعود رضى الله عنه ولفظه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال « كان الكتاب الاول ينزل من باب واحد على حرف واحد ونزل القرآن من سبعة أبواب على سبعة أحرف زجر وأمر وحلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال فأحلوا حلاله وحرّموا حرامه وافعلوا ما أمرتم به واتهوا عما نهيتم عنه واعتبروا بأمثاله واعملوا بمحكمه وآمنوا بمتشابهه وقولوا آمنا به كل من عند ربنا » وروى نحوه البيهقى فى شعب الايمان من حديث أبى هريرة . وروى ابن جرير عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « أنزل القرآن على أربعة أحرف حلال وحرام لا يعذر أحد بجهالته وتفسيره العرب وتفسيره العلماء ومتشابهه لا يعلمه الا الله ومن ادعى علمه سوى الله فهو كاذب » ثم رواه من وجه آخر عن ابن عباس موقوفا بنحوه . وروى ابن أبى حاتم من طريق العوفى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال نؤمن بالمحكم وندين به ونؤمن بالمتشابهه ولا ندين (١) به وهو من عند الله كله . وقالت عائشة رضى الله عنها كان رسوخهم فى العلم ان آمنوا بمتشابهه ولا يعلمونه . ولما قدم صبيغ (٢) المدينة المنورة وجعل يسأل عن متشابهه القرآن أرسل اليه أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب رضى الله عنه وقد أعد له عراجين النخل فقال من أنت قال عبد الله صبيغ (٣) فأخذ عمر عرجونا من تلك العراجين فضربه حتى أدمى رأسه وفى رواية فضربه بالجريد حتى ترك ظهره دبيرة ثم تركه حتى برىء ثم أعاد عليه الضرب ثم تركه حتى برىء فدعا به ليعيده عليه فقال ان كنت تريد قتلى فاقلتنى قتلا جميلا أوردنى الى أرضى . فأذن له الى أرضه وكتب الى أبى موسى الأشعري أن لا يجالسه أحد من المسلمين . وفى فروع ابن مفلح

(١) بهامش مخ « أى لانعمل به » . (وقع) فى الاصلين « ابن صبيغ » وبهامش مخ : « لفظه ابن زائدة ، انما هو صبيغ بن عسل التميمى العراقى » .

من علمائنا ان عمر رضى الله عنه أمر بهجر صبيغ لسؤاله عن الذاريات والمرسلات والنازعات انتهى • وهذا من سيدنا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه لسد باب الذريعة • والآية الشريفة دلت على ذم متبعي المشابهة ووصفهم بالزيغ وابتغاء الفتنة، وعلى مدح الذين فوضوا العلم الى الله وسلموا اليه كما مدح الله تعالى المؤمنين بالغيب، فعلى العاقل الناصح لدينه ونفسه أن يسلك مسلك السلف الصالح وأن يرقى على سلم التسليم فإنه من أنجح المصالح وأن يؤمن بالمشابهات من آيات الأسماء والصفات كما فعل الصحابة والتابعون (١) ويمثل أمر نبيه خاتم النبيين وامام المرسلين فى قوله «وآمنوا بمتشابهه وقولوا آمنا به كل من عند ربنا» فلقد بالغ فى النصيحة بأدلة صحيحة وكلمات فصيحة فجزاه الله عنا خير ما جزى نبيا عن قومه ورسولا عن أمته ورضى الله تعالى عن آله وصحبه والتابعين لهم باحسان وذوى الحق وحزبه

- الثانى -

الثانى
بيان مذهب
الحنابلة

اعلم أن مذهب الحنابلة هو مذهب السلف فيصفون الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل ، فالله تعالى ذات لا تشبه الذوات ، متصفة بصفات الكمال التى لا تشبه الصفات من المحدثات ، فاذا ورد القرآن العظيم ، وصحيح سنة النبى الكريم ، عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم بوصف للبارى جل شأنه تلقيناه بالقبول والتسليم ، ووجب اثباته له على الوجه الذى ورد ونكل معناه للعزير الحكيم (١) ولا نعدل به عن حقيقة وصفه ولا نلحد فى كلامه ولا فى أسمائه ولا فى صفاته ولا نزيد على ما ورد ، ولا نلقت لمن طعن فى ذلك ورد • فهذا اعتقاد سائر الحنابلة كجميع السلف ، فمن عدل عن هذا المنهج القويم زاغ عن الصراط المستقيم وانحرف • فدع عنك فلانا عن فلان ، وعليك بسنة سيد ولد عدنان ، فهى العروة الوثقى التى لا انفصام لها ، والجنة الواقعة التى لا انحلال لها • والله تعالى الموفق

(١) راجع بما تقدم فى التعليق على قول المتن « فكل ما جاء من الآيات .. الخ » .

قد ذم السلف الصالح الخوض في علم الكلام والتقصي والتدقيق فيما زعموا انه قضايا برهانية وحجج قطعية يقينية وقد شحنوا ذلك بالقضايا المنطقية والمدارك الفلسفية والتخيلات الكشفية والمباحث القرمطية • وكان أئمة الدين مثل مالك وسفيان وابن المبارك وأبي يوسف والشافعي واحمد واسحاق والفضيل بن عياض وبشر الحافي يبالغون في ذم الكلام وفي ذم بشر المريسي وتضليله ، حتى أن هارون الرشيد خامس خلفاء بني العباس قال يوما بلغني أن بشر المريسي يقول ان القرآن مخلوق ولله على أن أظفرنني به الله لأقتلنه قتلة ما قتلتها أحدا • فأقام بشر متواريا أيام الرشيد نحو من عشرين سنة • قال شيخ الاسلام ابن تيمية وهذه التأويلات التي ذكرها ابن فورك ويذكرها الرازي في (تأسيس التقديس) ويوجد منها في كلام غالب المتكلمة من الجبائي وعبد الجبار وأبي الحسين البصري وغيرهم هي بعينها التأويلات التي ذكرها بشر المريسي ورد عليه الامام الدارمي عثمان بن سعيد أحد مشاهير أئمة السنة من علماء السلف في زمن البخارى في المائة الثالثة في كتابه الذي سماه (رد عثمان بن سعيد* على الكاذب العنيد* فيما افترى على الله من التوحيد) فحكى هذه التأويلات بأعيانها عن بشر المريسي بكلام يقتضى أن المريسي أقعد بها وأعلم بالعقول والمنقول من هؤلاء المتأخرين الذين اتصلت اليهم من جهته ، وقد أجمع أئمة الهدى على ذم المريسية وأكثرهم كفروهم وضللوهم ، وذموا الكلام وأهله بعبارات رادعة وكلمات جامعة • قال أبو الفتح نصر المقدسي في كتابه (الحجة على تارك المحجة) باسناده عن الربيع بن سليمان قال سمعت الامام الشافعي يقول : مارأيت أحدا ارتدى بالكلام فأفلح • ولما كلمه حفص الفرد من أهل الكلام قال : لأن يبتلى العبد بكل ما نهى الله عنه خلا الشرك بالله عز وجل خير له من أن يبتلى بالكلام • وقال : حكمت في أصحاب الكلام أن يصفعوا وينادى بهم في العشائر والقبائل : هذا جزاء من ترك السنة وأخذ في الكلام • وقال سيدنا الامام احمد : عليكم بالسنة والحديث وما ينفعكم واياكم والخوض والمراء فانه لا يفلح من أحب الكلام • وقال

فى علماء أهل البدع من المتكلمة : لا أحب لأحد أن يجالسهم ولا يخالطهم ولا يأنس بهم ، فكل من أحب الكلام لم يكن آخر أمره الا الى البدعة فان الكلام لا يدعوهم الى خير ، فلا أحب الكلام ولا الخوض ولا الجدل ، عليكم بالسنة والفقہ الذى تتفعمون به ، ودعوا الجدل وكلام أهل الزيغ والمرء ، أدركنا الناس وما يعرفون هذا ويجانبون أهل الكلام . وقال رضى الله عنه : من أحب الكلام لم يفلح ، عاقبة الكلام لا تؤول الى خير ، أعاذنا الله واياكم من الفتن ، وسلمنا واياكم من كل هلكة . وقد نقل عن هذين الامامين من ذم الكلام وأهله كلام كثير مذكور فى كتب علماء السلف . وعن عبد الرحمن بن مهدي قال دخلت على الامام مالك بن أنس وعنده رجل يسأله عن القرآن والقدر فقال الامام مالك رضى الله عنه للرجل لعلك من أصحاب عمرو بن عبيد لعن الله عمرا فانه ابتدع هذه البدعة من الكلام ، ولو كان الكلام علما لتكلم به الصحابة والتابعون رضى الله عنهم كما تكلموا فى الاحكام والشرايع ولكنه باطل يدل على باطل . فهل يكون أشد من هذا الانكار من هؤلاء الأئمة الكبار ؟ . وقال محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة سمعت أبا حنيفة يقول لعن الله عمرو بن عبيد فانه مبتدع . والنصوص عن أئمة الهدى فى ذلك كثيرة جدا . وروى الامام الحافظ شمس الدين الذهبى فى كتابه (العرش) بسنده الى أبي الحسن القيروانى قال سمعت الاستاذ أبا المعالى الجوينى يقول : يا أصحابنا لا تشتغلوا بالكلام فلو عرفت أن الكلام يبلغ بى الى ما بلغ ما اشتغلت به . وقال الفقيه أبو عبد الله الدسي (١) قال حكى لنا الامام أبو الفتح محمد ابن على الفقيه قال دخلنا على الامام أبي المعالى الجوينى نعوذه فى مرض موته فأقعد فقال لنا : اشهدوا على انى قد رجعت عن كل مقالة قلتها أخالف فيها السلف الصالح وانى أموت على ما يموت عليه عجائز نيسابور . قال الامام الحافظ الذهبى قلت هذا معنى قول بعض الأئمة عليكم بدين العجائز - يعنى انهن مؤمنات بالله على فطرة الاسلام لم يدرين ما علم الكلام . قال الحافظ الذهبى وقد كان شيخنا أبو الفتح القشيرى رحمه الله تعالى يقول :

(١) بهامش مخ : يخ : الرستمي .

تجاوزت حد الأكثرين الى العلى وسافرت واستبقتهم فى المفاوز (١)
وخضت بحارا ليس يدرك قعرها وسيرت نفسى فى فسيح المفاوز
ولججت فى الافكار ثم تراجع اخ تيارى الى استحسان دين العجائز
وقال شيخ الاسلام ابن تيمية فى رسالته الحموية : وقد أخبر الواقف
على نهايات اقدام المتكلمة بما انتهى اليه من مرامهم :

لعمري لقد طفت المعاهد كلها وسيرت طرفى بين تلك المعالم
فلم أر الا واضعا كف حائر على ذقن أو قارعا سن نادم
وقول بعض رؤسائهم :

نهاية اقدام العقول عقال وأكثر سعى العالمين ضلال
وأرواحنا فى وحشة من جسومنا وغاية ذنوبنا أذى ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا
قال شيخ الاسلام ويقول الآخر منهم : لقد خضت البحر الخضم
وتركت أهل الاسلام وعلومهم وخضت فى الذى نهونى عنه والآن ان لم
يتداركنى الله برحمته فالويل لفلان وها أنا ذا أموت على عقيدة أمى •
ويقول الآخر منهم : أكثر الناس شكا عند الموت أصحاب الكلام • قال
شيخ الاسلام : ثم اذا حقق عليهم الامر لم يوجد عندهم من حقيقة العلم
بالله وخالص المعرفة به خبر ، ولم يقموا من ذلك على عين ولا أثر • وما
ذكرناه من الأنباء قطرة من بحر لحي وبالله التوفيق

فان قلت اذا كان علم الكلام بالمثابة التى ذكرت ، والمكانة التى عنها
برهنت ، فكيف ساغ للأئمة الخوض فيه ، والتنقيب عما يحتويه ؟ ثم انك
أتيت ما عنه نهيت وحررت ما عنه نفرت ، وهل هذا فى بادى الرأى الا
مدافعة ، وجمع للشيثيين اللذين بينهما تمام الممانعة • قلت ان ما ذهب اليه
وهلك من التمانع لممتنع ، وما سنج فى خلدك من التدافع لمندفع • بل العلم
الذى نهينا عنه ، غير الذى ألقنا فيه • والكلام الذى حذرنا منه ، غير الذى
صنف فيه كل امام وحافظ وفقه • فعلم الكلام الذى نهى عنه أئمة الاسلام
هو العلم المشحون بالفلسفة والتأويل ، والالحاد والباطل ، وصرف

الآيات القرآنية عن معانيها الظاهرة ، والاخبار النبوية عن حقائقها الباهرة ،
دون علم السلف ومذهب الأثر ، وما جاء في الذكر الحكيم وصحيح
الخبر ، فهذا لعمرى ترياق القلوب الملسوعة بأرقام الشبهات وشفاء الصدور
المصدوعة بتراجم المحدثات ، ودواء الداء العضال ، وبازهر (١) السم
القتال ، فهو فرض عين أو عين فرض على كل نبيه ، وهو العلم الذي
تعقد عليه الخناصر لدحض حجة كل متحذلق وسفيه . فزال هذا الاشكال ،
والله ولي الافضال .

(١) ويقال « باك زهر » و « بادزهر » ووقع في مخ « بان زهر »
وبهامشها « هو حجر ينفع من السم » .

الباب الاول

الباب الاول معرفة الله تعالى وتعداد الصفات

في معرفة الله تعالى وما يتعلق بذلك من تعداد الصفات التي يشتملها المتكلمة
كالسلف وأسمائه تعالى وكلامه وغير ذلك

((أول واجب على العبيد معرفة الاله بالتسديد))

((بأنه واحد لا نظير له ولا شبه ولا وزير))

((صفاته كذاته قديمة (١) أسماؤه ثابتة عظيمة))

((أول واجب على العبيد)) جمع عبد وله أحد عشر جمعا جمعها ابن

مالك في قوله :

(١) علق الشيخ عبد الله بابطين على هذا الموضوع ما نصه :

قوله صفاته كذاته قديمة ظاهره ان الصفات كلها قديمة كما صرح به
في الشرح وهذا فيه تفصيل فان المعروف بين أهل السنة ان صفات الله
تعالى قسمان صفات ذاتية كالحياة والعلم والقدرة والوجه واليدين ونحوها
فهذه قديمة بلا ريب اذ انها صفات لازمة لله تعالى . وصفات فعلية وهي التي
تتعلق بمشيئته وحكمته فان اقتضت حكمته فعلها فعلها وان اقتضت حكمته
أن لا يفعلها لم تكن وهذا مثل الخلق والرزق والاحياء والامانة والكلام . .
والنزول والاستواء وغير ذلك من صفات فعله فهذا يكون قديم النوع أو
الجنس وان كانت آحاده توجد شيئا فشيئا وحيناً وآخر ومن المعلوم انه
يوجد الفرق بين صفة الحياة والقدرة مثلا وبين صفة الاستواء فان الاول
لا شك أن الله موصوف به اذلا وأبداً جل وعلا وأما الاستواء فلم يكن الا
بعد خلق العرش وكذلك صفة نزوله الى السماء الدنيا وان كانت الصفات
الفعلية قديمة الجنس فلم يزل الله تبارك وتعالى فعالا لما يريد فتنبه للفرق
بينهما والله أعلم .

وفي موضع آخر : ان أراد المؤلف رحمه الله بكونها قديمة انها غير
مخلوقة فصحيح لكن ينبغي ان يعبر بقوله غير مخلوقة . ولا يأتي بكلام
مجمل . وان أراد انها قديمة في الازل فهذا مما يحتاج فيه الى التفصيل
الذي يتبين به الحق فان الصفات قسمان ذاتية كالحياة والعلم والقدرة ونحوها
مما لا يتفك الله عنها فهي صفات قديمة ، والثاني صفات فعلية فهذه نقول
فيها ان جنسها او نوعها قديم واما بالنسبة الى كل فعل فان الله لم يزل
ولا يزال يوجد افعاله شيئا فشيئا فهذا استواؤه على عرشه بعد أن خلق
العرش وهذا نزوله الى سماء الدنيا بعد أن خلق السماء الدنيا ، ولا يمكن
أن يتصور عاقل أن نزوله الى سماء الدنيا كان في الازل قبل أن يخلق
السماء الدنيا أو أن استواؤه كذلك قبل أن يخلق العرش وهذا أيضا
كلامه لا يرتاب عاقل في ترتيب الحروف وسبق بعضها على بعض وكل هذا
مما يدل على ما ذكرنا وان صفات الفعل يقال فيها ان نوعها او جنسها قديم
أما بالنسبة الى كل فعل بذاته فلا والله أعلم .

عباد عبيد جمع عبد وأعبد أعابد معبوداء معبودة عبد
كذلك عبادان وعبدان أثبتا كذاك العبدى وامددان شئت أن تمد
قال أبو علي الدقاق ليس شيء أشرف ولا اسم أتم للمؤمن من الوصف
بالعبودية قال الشاعر :

لاتدعى الايبا عبدا فانه أشرف أسمائي

وقال الآخر :

أصم اذا نوديت باسمى وانى اذا قيل لى يا عبدا لسميع
((معرفة الاله)) سبحانه وتعالى وهى عبارة عن معرفة وجود ذاته تعالى
بصفات الكمال ، فيما لم يزل ولا يزال ، دون معرفة حقيقة ذاته وصفاته
لاستحالة ذلك عقلا عند الأكثرين يعنى أن العقل يحيل معرفة كنه ذاته •
وقوله أول واجب يعنى لنفسه على كل مكلف بالنظر فى الوجود والموجود ،
ووجوب ذلك بالشرع دون العقل لأن العقل لا يوجب ولا يحرم ، وهذا
مذهب أهل السنة • وقالت المعتزلة وجبت معرفة الله عقلا لا شرعا لأنها
دافعة للضرر المظنون وهو خوف العقاب فى الآخرة حيث أخبر جمع
كثير بذلك وخوف ما يترتب فى الدنيا على اختلاف الفرق فى معرفة
الصانع من المحاربات وهلاك النفوس وتلف الاموال وكل ما يدافع الضرر
المظنون بل والمشكوك واجب عقلا كما اذا أردت سلوك طريق فأخبرت بأن
فيها عدوا أو سبعا فانه يجب عليك اجتنابها خوف الوقوع فى الهلكة • ورد
قولهم بمنع ظن الخوف فى الأعم الأغلب اذ لا يلزم الشعور بالاختلاف ولا
بما يترتب عليه من الضرر ولا بالصانع وبما رتب فى الآخرة من الثواب
والعقاب والاحبار بذلك انما يصل الى البعض ، وعلى فرض الوصول
لا رجحان لجانب الصدق لأن التقدير عدم معرفة الصانع وبعثة الأنبياء
عليهم الصلاة والسلام ودلالة المعجزات ، ولو سلم ظن خوف فلا نسلم أن
تحصيل المعرفة يدفعه لأن احتمال الخطأ قائم فخوف العقاب أو الاختلاف
بحاله والعناء زيادة • وفى كتاب الشيرازى (جامع الانوار * لتوحيد الملك
الجبار) من الاشعرية ان وجوب معرفة الله بالعقل والشرع معا • والتحقيق
وجوب معرفة البارى جل شأنه شرعا وقوله ((بالتسديد)) أى التقويم

والتوفيق للسداد أى الصواب يعنى بالنظر الصائب فى الوجود والوجود كما مر آنفا • ويجب النظر قبلها لتوقفها عليه فهو أول واجب لغيره • وقال القاضى أول واجب وطاعة اكتساب ارادة النظر المؤدى الى المعرفة فمن تركه أمع القدرة عليه لغير عذر اثم ولا اثم على الناظر فى مدة نظره • والنظر والمعرفة اكتساب ^{بقره} يوهبان لمن أراد الله هداه ولا يقعان ضرورة ، وقيل بلى وحمل ذلك شيخ الاسلام ابن تيمية على المعرفة النظرية (١) كمعرفة ابليس لا المعرفة الايمانية • وقال : مثبوت النبوات تحصل لهم المعرفة بالله بثبوت النبوة من غير نظر ولا استدلال فى دلائل العقول ، ذكره القاضى أبو يعلى فى (عيون المسائل) وغيره من كتبه • وذكر ابن حمدان فى (نهاية المتدئين) ان معرفة الله تحصل باكتساب موجب أى أن البداية سبقت بالتوفيق لاصابة الدليل الموصل الى المعرفة واختصاص المرید بمعرفته سبق بفضله ومقارنته عونه بالوصول الى تمام أدلته فتكون المعرفة الحقيقية معرفة الدليل الموصل الى حقيقة معرفة الله تعالى وهو اكتساب موهوب كقصصة ابراهيم الخليل عليه السلام فى النظر • والمعرفة تزيد وتنقص كالايمان نص عليه الامام احمد رضى الله عنه فمعرفة التفصيل أزيد من معرفة الجملة

وأول نعم الله تعالى الدينية على المؤمن وأعظمها أن أقدره على ارادة النظر والاستدلال لمعرفته تعالى • وقال خاتمة المحققين العلامة الشيخ عثمان النجدى فى تعليقه فى أصول الدين : أول نعم الله الدينية على عبده ان أقدره على معرفته (٢) • وقال ابن حمدان بعد أن ذكر الاول : وقيل ان هداه للايمان • رأول نعمه الدنيوية الحياة العربية عن ضرر • وقال القاضى : ادراك اللذات ونيل المشتهايات التى لا يتعقبها ضرر لأجلها ، وهو يعم كل حيوان ولكن يقيد المكلف بالشكر وهو اعترافه بنعمة المنعم على جهة الخضوع والاذعان وصرف كل نعمة فى طاعة ، فشكر المنعم واجب شرعا خلافا للمعتزلة فى قولهم بوجوب شكر المنعم عقلا • فيجب على كل مكلف ،

(١) مخ « الفطرية » •

(٢) بهامش مخ « ما نقله المصنف عن الشيخ عثمان هنا ذكره العلامة عبد الباقي فى عقيدته (العين والاثر) بحروفه » •

شرعا أن يعرف الله تعالى بصفات الكمال ويجزم ((بأنه)) سبحانه وتعالى ((واحد)) لا يتجزأ ولا ينقسم فرد صمد (١) ((لا نظير ، له)) أى لا مثل له ((ولا شبه)) له فى ذاته ولا فى صفاته ولا فى أفعاله ولا شريك له فى ملكه ((ولا وزير)) له تعالى ، والوزير حيا الملك الذى يحمل ثقله ويعينه برأيه ، فلا وزير للبارى جل شأنه يحمل ثقله ويعينه فى تدبير خلقه ولا

(١) فى تنبيه ابن سحمان ص ٢٨ ما لفظه :

« اعلم ان قول القائل ويجزم بأنه سبحانه وتعالى واحد لا يتجزأ ولا ينقسم قول مبتدع مخترع لم يقله أحد من السلف رضوان الله عليهم وليس مذكورا فى عقائد أهل السنة والجماعة بل هو من جنس ما يذكره أهل البدع من قولهم ليس بجوهر ولا عرض ولا جسم وليس له أعراض ولا أغراض ولا أبعاد الى غير ذلك مما خالفوا به سلف الامة وأئمتها . قال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه فى كتابه المسمى بالعقل والنقل الذى قال ابن القيم رحمه الله تعالى فيه : « واذكر كتاب العقل والنقل الذى * ما فى الوجود له نظير ثان) .

قال بعد كلام له : وكثير من أهل الكلام يقول : التوحيد له ثلاث معان وهو : واحد فى ذاته لا قسيم له ولا جزء له ، وواحد فى صفاته لا شبيه له ، وواحد فى أفعاله لا شريك له ، وهذا المعنى الذى تتناوله هذه العبارة فيها ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم وفيها ما يخالف ما جاء به الرسول - فذكر كلاما حسنا الى أن قال : فانهم اذا قالوا لا قسيم له ولا جزء له ولا شبيه له فهذا اللفظ وان كان يراد به معنى صحيح فان الله ليس كمثله شئ وهو سبحانه لا يجوز عليه ان يتفرق ولا يفسد ولا يستحيل بل هو أحد صمد والصمد الذى لا جوف له وهو السيد الذى كمل سؤدده فانهم يدرجون فى هذه نفى علوه على خلقه ومباينته لمصنوعاته ونفى ما ينفونه من صفاته ويقولون ان اثبات ذلك يقتضى أن يكون مركبا منقسمًا وان يكون له شبيه . وأهل العلم يعلمون ان مثل هذا لا يسمى فى لغة العرب التى نزل بها القرآن تركيبا وانقسامًا ولا تمثيلا ، وهكذا الكلام فى مسمى الجسم والعرض والجوهر والتحيز وحلول الحوادث وأمثال ذلك فان هذه الالفاظ يدخلون فى مسماها الذى ينفونه أمورا مما وصف به نفسه ووصفه به رسوله فيدخلون فيها نفى علمه وقدرته وكلامه ويقولون ان القرآن مخلوق لم يتكلم الله به ، وينفون بها رؤيته لان رؤيته على اصطلاحهم لا تكون الا لمتحيز فى جهة وهو جسم ، ثم يقولون والله منزه عن ذلك فلا تجوز رؤيته ، ولذلك يقولون المتكلم لا يكون الا جسما متحيزا والله ليس بجسم متحيز ، فلا يكون متكلمًا ، ويقولون لو كان فوق العرش لكان جسما متحيزا والله سبحانه وتعالى ليس بجسم متحيز فلا يكون فوق العرش ، وأمثال ذلك الى آخر كلامه وهو فى صفحة ثلاث وثلاثين ومائة . والمقصود ان قول أهل البدع فى الواحد انه الذى لا ينقسم ولا يتجزأ قول مبتدع مخترع لم يقل به أحد من سلف الامة وأئمتها بل هو من كلام من ينتسب الى أهل السنة والجماعة من المتكلمين وغيرهم .

ظهير له في صنعه ولا معين له في ملكه ((صفاته)) سبحانه وتعالى الذاتية والفعلية والخبرية ((كذاته)) عز شأنه ((قديمة)) لا ابتداء لوجودها ولا انتهاء اذ لو كانت حادثة لاحتاجت الى محدث تعالت ذاته المقدسة وصفاته المعظمة عن ذلك ، فان حقيقة ذاته مخالفة لسائر الحقائق ، وكذلك صفاته تعالى . قال المحققون ليست حقيقته معلومة الآن في الدنيا للناس وانما يعلم تعالى بصفاته ، وهل يمكن علم حقيقته في الآخرة ؟ قال بعضهم نعم لحصول الرؤية فيها كما سيأتي وبعضهم «لا» والرؤية لا تفيد الحقيقة كما يأتي فمذهب السلف من الفرقة الناجية بين التعطيل وبين التمثيل فلا يمثلون صفات الله تعالى بصفات خلقه كما لا يمثلون ذاته بذوات خلقه ولا ينفون ما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله فيعطلون أسماء الحسنى ، وصفاته العلى ويحرفون الكلم عن مواضعه ، ويلحدون في أسماء الله تعالى وآياته ، وليس في العقل الصريح ولا في النقل الصحيح ما يوجب مخالفة الطريقة السلفية أصلاً ، فالنبي المعصوم صلوات الله عليه وسلامه مع كمال علمه وقدرته وارادته وشدة حرصه على هداية أمته وبلاغ نصحه وشفقته عليهم أرشدهم الى هذا السبيل وكذا الصحابة والتابعون لهم باحسان فالسلف في اثبات الصفات كالذات على الاستقامة

طسوائف المنحرفين

وأما المنحرفون عن طريقهم فثلاث طوائف أهل التخييل وأهل التأويل وأهل التجهيل فأما (أهل التخييل) وهم المتفلسفة ومن سلك سبيلهم من متكلم ومتصوف فانهم يقولون ان ما ذكره الرسول صلى الله عليه وسلم من أمر الايمان واليوم الآخر انما هو تخييل للحقائق لينتفع به الجمهور لا انه بين به الحق ولا هدى به الخلق ولا أوضح الحقائق . وليس فوق هذا الكفر كفر

(وأهل التأويل) هم الذين يقولون ان النصوص الواردة في الصفات لم يقصد بها الرسول أن يعتقد الناس الباطل ولكن قصد بها معانى ولم يبين لهم ذلك ولا دلهم عليها ولكن أراد أن ينظروا فيعرفوا الحق بعقولهم ثم يجتهدوا في صرف تلك النصوص عن مدلولها ومقصودها امتحانهم وتكليفهم واتعاب أذهانهم وعقولهم في أن يصرفوه عن مدلوله ومقتضاه

ويعرفوا الحق في غيره وسواه • وهذا قول المتكلمة والجهمية والمعتزلة ومن نحا منحاهم • ولا يخفى ما في ضمن كلام هؤلاء من قصد الاضلال وعدم النصح ومناقضة ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم وما وصفه الله به من الرأفة والرحمة وقد تظاهر هؤلاء بنصر السنة وهم في الحقيقة لا للاسلام نصرورا ولا للفلاسفة كسروا بل فتحوا لأهل الالحاد الباب وسلطوا القرامطة الباطنية من ذوى الفساد على الالحاد فى السنة والكتاب

(وأهل التجهيل) هم الذين يقولون أن الرسول لم يعرف معانى ما أنزل عليه من آيات الصفات ولا جبريل يعرف معانى الآيات ولا السابقون الأولون عرفوا ذلك ، وكذلك قولهم فى أحاديث الصفات وأن الرسول تكلم بكلام لا يعرف معناه ، وهذا قول كثير من المتسبين الى السنة واتباع السلف فيقولون فى آيات الصفات وأحاديثها لا يعلم معرفتها الا الله ويستدلون بقوله تعالى (وما يعلم تأويله الا الله) ويقولون تجرى على ظاهرها وظاهرها مراد مع قولهم ان لها تأويلا بهذا المعنى لا يعلمه الا الله • قال شيخ الاسلام ابن تيمية فى « الحموية » التأويل الذى لا يعلمه الا الله هو الحقيقة التى يؤول الكلام اليها فتأويل الصفات هو الحقيقة التى انفرد الله تعالى بعلمها وهو الكيف المجهول الذى قال فيه السلف كمالك وغيره : الاستواء معلوم والكيف مجهول : فكيفية الاستواء مثلا هو التأويل الذى لا يعلمه الا الله جل وعلا (تنبيه) اختلف الناس فى اثبات صفات البارى جل شأنه فأثبتها أهل الحق من غير نفى لها ولا لبعضها وهذا مذهب سلف الامة وسائر الأئمة • وأثبت المتكلمون بعضها من الحياة والقدرة والارادة والعلم والكلام والسمع والبصر ويسمونها الصفات الثبوتية والمعنوية وما عداها من صفات الأفعال والسلوب ونحوها فحادثة عندهم • وذهبت المعتزلة والفلاسفة وأكثر فرق أهل الضلال الى نفيها كما يأتى تحرير بعض قول أهل الاعتزال ، نعم المعتزلة تثبت له تعالى الأسماء دون الصفات والله أعلم

فصل في بحث أسمائه جل وعلا

فصمّل في
أسماء الله تعالى

أعلم أن المعتزلة ومن وافقهم واتبعهم يثبتون لله تعالى الأسماء دون ما تضمنته من الصفات ، فمنهم من جعل العليم والقدير والسميع والبصير كالأعلام المحضة المترادفة ، ومنهم من قال عليم بلا علم قدير بلا قدرة سميع بلا سمع بصير بلا بصر فأثبتوا الاسم دون ما تضمنه من الصفات . قال شيخ الاسلام في رسالته (التدمرية) والكلام على فساد مقالة هؤلاء وبيان تناقضها بصريح المعقول المطابق لصحيح المنقول ، فان هؤلاء يفسطون في العقليات ، ويقرمطون في السمعيات ، وذلك انه قد علم بضرورة العقل انه لا بد من موجود قديم غنى عما سواه ، اذ نحن نشاهد حدوث المحدثات كالحيوان والمعدن والنبات ، والحدوث ممكن ليس بواجب ولا ممتنع ، وقد علم بالاضطرار أن المحدث لا بد له من محدث والممكن لا بد له من واجب كما قال تعالى (أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون) فاذا لم يكونوا خلقوا من غير خالق ولا هم الخالقون لأنفسهم تعين أن (لهم - ١) خالقاً خلقهم ، واذا كان من المعلوم بالضرورة أن في الوجود ما هو قديم واجب بنفسه وما هو محدث ممكن يقبل الوجود والعدم ، فمعلوم أن هذا موجود وهذا موجود ، ولا يلزم من اتفاقهما في مسمى الوجود أن يكون وجود هذا مثل وجود هذا ، بل وجود هذا يخصه ووجود هذا يخصه ، واتفاقهما في اسم عام لا يقتضى تماثلهما في مسمى ذلك الاسم عند الاضافة والتقييد والتخصيص ولا في غيره ، فلا يقول عاقل اذا قيل أن العرش شيء موجود وان البعوض شيء موجود ان هذا مثل هذا لاتفاقهما في مسمى الشيء والوجود ، بل الذهن يأخذ معنى مشتركاً كلياً هو مسمى الاسم المطلق ، واذا قيل هذا موجود وهذا موجود فوجود كل منهما يخصه لا يشركه فيه غيره مع أن الاسم حقيقة في كل منهما ، ولهذا سمي الله تعالى نفسه بأسماء وسمى صفاته بأسماء وكانت تلك الاسماء مختصة به اذا أضيفت اليه ، لا يشركه فيها غيره ، لأنه سبحانه القديم وأسماءه قديمة وصفاته قديمة ، فاذا كان المخاطب ممن ينكر الصفات ويقر بالأسماء كالمعتزلي الذي يقول

الله حي عليم قدير وينكر أن يتصف بالحياة والعلم والقدرة قيل له لا فرق بين اثبات الأسماء وبين اثبات الصفات ، فمن زعم أن اثبات الصفات يقتضى تشبيها أو تجسيميا لما يرى فى الشاهد قيل له ولا يرى فى الشاهد ما هو مسمى بحي وعلیم وقدير الا ما هو كذلك ، فكل ما احتج به من نفى الصفات يحتج عليه من الأسماء الحسنی ، فما كان جوابا له كان جوابا لمثبتی الصفات . ولما كانت أسماؤه سبحانه ثابتة باتفاق أهل السنة والمعتزلة قال مشیرا لذلك فى النظم بقوله ((أسماءه)) سبحانه وتعالى ((ثابتة)) بالنص والعقل ((عظيمة)) وصفها بذلك لأنها معظمة موصوفة بأنها حسنی وانها قديمة عند أهل الحق كصفاته الذاتية وكذا الفعلية ، والمراد بأسمائه تعالى ما دل على مجرد ذاته كالله ، أو باعتبار الصفة كالعالم والقادر ، قال الامام المحقق ابن القيم فى كتابه (بدائع الفوائد) أسماء الرب تعالى هى أسماء ونعوت فانها دالة على صفات كماله فلا تنافى فيها بين العلمية والوصفية فالرحمن اسمه تعالى ووصفه لا ينافى اسميته ، فمن حيث هو صفة جرى تابعا على اسم الله ومن حيث هو اسم ورد فى القرآن غير تابع بل ورود الاسم العلم . وأما زعم المعتزلة أن الله كان أزليا بلا اسم ولا صفة فلما أوجد الخلق وضعوا له الأسماء والصفات كما نقله عنهم القرطبى والفاكهانى وغيرهما فهو خطأ فاحش قال السمين هذا القول منهم أشد خطأ من قولهم بخلق القرآن لاشعاره بالاحتياج للغير . وقال ابن حمدان فى (نهاية المتدئين * فى أصول الدين) أسماء الله تعالى قديمة انتهى .

وقد نص الامام الشافعى أن أسماء الله تعالى غير مخلوقة . وقال سيدنا الامام احمد : من قال أن أسماء الله تعالى مخلوقة فقد كفر . قال ابن حمدان ولا يقال أسماء الله هى المسمى ولا غيره اذ الغير ما فارق أو يفارق بزمان أو مكان أو الوجود والعدم ، بل يقال الاسم للمسمى به أو صفة للمسمى وعلم عليه أو دال على المسمى ، وقيل أسماء الفعل غيره ، وأسماء الذات هى المسمى نفسه . قال وقد عظم على الامام احمد الكلام على الاسم والمسمى وأمسك عنه بعضهم وقال لا نعلم ، وقال القاضى الاسم والتسمية والوصف والصفة واحد فتسمية الخلق لله هو المسمى كما نقول فى التلاوة هو المتلو ، وأما

الاسم عسین
المسمى أو غيره

تسمية الله للخلق فهو غير الاسم لأنهم مخلوقون وكذلك أسماؤهم • وقال القاضى أيضا الاسم غير المسمى • وقال أخيرا الصحيح عندى أن الوصف ليس هو الصفة لأن الوصف حروف والصفة معنى يرجع الى ذات الموصوف وهى هيئة فيه ليست حروفا • قال وأما الاسم والتسمية فهما بمعنى واحد وان التسمية هى الاسم لأن الجميع بحروف فهى كالتلاوة والمتلو لأن الجميع حروف والمسمى هو الذات • انتهى ، وقال ابن بطه لا يقال فى اسم الله انه غيره ولا هو • انتهى كلام ابن حمدان

وقال الامام المحقق ابن القيم فى بدائع الفوائد اللفظ المؤلف من الزاى والياء والدال مثلا له حقيقة متميزة متحصلة فاستحق أن يوضع له لفظ يدل عليه لأنه شىء موجود فى اللسان مسموع بالآذان فاللفظ المؤلف من همزة الوصل والسين والميم عبارة عن اللفظ المؤلف من الزاى والياء والدال مثلا ، واللفظ المؤلف من الزاى والياء والدال عبارة عن الشخص الموجود فى الأعيان والأذهان وهو المسمى والمعنى ، واللفظ الدال عليه هو الاسم ، وهذا اللفظ أيضا قد صار مسمى من حيث كان لفظ الهمزة والسين والميم عبارة عنه ، فقد بان لك أن الاسم فى أصل الوضع ليس هو المسمى ، ولهذا تقول سميت هذا الشخص بهذا الاسم كما تقول حليته بهذه الحلية ، فالحلية غير المحلى فكذلك الاسم غير المسمى ، وقد صرح بذلك سيويه ، وأخطأ من نسب اليه غير هذا وادعى أن مذهبه اتحادهما • قال فى البدائع ومقال نحوى قط ولا عربى ان الاسم هو المسمى ، ويقولون أجل مسمى ولا يقولون أجل اسم ، ويقولون مسمى هذا الاسم كذا ولا يقول أحد اسم هذا الاسم كذا ، ويقولون بسم الله ولا يقولون بمسمى الله ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لله تسعة وتسعون اسما » ولا يصح أن يقال تسعة وتسعون مسمى ، ونظائره كثيرة جدا

قال ابن القيم فى البدائع واذا ظهر الفرق بين الاسم والمسمى فبقى هنا التسمية وهى (١) اغتر بها من قال باتحاد الاسم والمسمى ، والتسمية عبارة عن جعل المسمى ووضع الاسم للمسمى • كما أن التحلية عبارة عن فعل

المحلى ووضع الحلية على المحلى ، فهنا ثلاث حقائق اسم ومسمى وتسمية كحلية ومحلى وتحلية وعلامة ومعلم وتعليم ، ولا سبيل الى جعل لفظين منها مترادفين على معنى واحد لتباين حقائقها • فاذا جعل الاسم هو المسمى بطل واحد من هذه الحقائق الثلاثة ولا بد • فان قيل ما شبهة من قال باتحادهما؟ فالجواب شبهته أشياء منها ان الله تعالى هو وحده الخالق وما سواه مخلوق فلو كانت أسماؤه غيره لكانت مخلوقة ويلزم أن لا يكون له اسم فى الازل ولا صفة لأن أسماء صفات ، وهذا أعظم ما قاد متكلمى الاثبات الى القول باتحادهما ، والجواب عن كشف هذه الشبهة ان منشأ الغلط فى هذا الباب من اطلاق ألفاظ مجملة محتملة لمعنيين حق وباطل فلا ينفصل النزاع الا بتفصيل تلك المعانى وتنزيل ألفاظها عليها ، ولا ريب ان الله تعالى لم يزل ولا يزال موصوفا بصفات الكمال المشتقة أسماؤه منها ، فلم يزل بصفاته وأسمائه وهو اله واحد له الأسماء الحسنى والصفات العلى ، وصفاته وأسمائه داخلة فى مسمى اسمه (١) وان كان لا يطلق على الصفة انها اله يخلق ويرزق فليست صفاته وأسمائه غيره وليست هى نفس الاله ، وبلاء القوم من لفظة الغير فانها يراد بها معنيين ، أحدهما المغاير لتلك الذات المسماة بالله وكل ماغير الله مغايرة محضة بهذا الاعتبار فلا يكون الا مخلوقا ، ويراد به مغايرة الصفة للذات اذا جردت عنها فاذا قيل علم الله وكلام الله غيره بمعنى أنه غير الذات المجردة عن العلم والكلام كان المعنى صحيحا ولكن الاطلاق باطل ، فاذا أريد أن العلم والكلام مغاير لحقيقته المختصة التى امتاز بها عن غيره كان باطلا لفظا ومعنى • وبهذا أجاب أهل السنة المعتزلة القائلين بخلق القرآن وقالوا كلامه تعالى داخل فى مسمى اسمه ، فالله تعالى اسم للذات الموصوفة بصفات الكمال ومن تلك الصفات صفة الكلام ، كما أن علمه وقدرته وحياته وسمعه وبصره غير مخلوقة ، واذا كان القرآن كلامه وهو صفة من صفاته فهو متضمن لأسمائه الحسنى فاذا كان القرآن غير مخلوق ولا يقال أنه غير الله فكيف يقال ان بعض ما تضمنه وهو أسماؤه مخلوقة وهى غيره ، فقد حصص الحق بحمد الله

وانحسم الاشكال وان أسماءه الحسنی التي فی القرآن من كلامه وكلامه غير مخلوق ولا يقال هو غيره ولا هو هو ، وهذا المذهب مخالف لمذهب المعتزلة الذين يقولون أسماءه غيره وهي مخلوقة ، ولمذهب من رد عليهم ممن يقول اسمه نفس ذاته لا غيره وبالتفصيل نزول الشبه ويتبين الصواب

احتج من قال بأن الاسم عين الذات بقوله : « تبارك اسم ربك - واذكر اسم ربك - مسح اسم ربك » ونحو ذلك . والجواب أنها حجة عليهم في الحقيقة لأن النبي صلى الله عليه وسلم امثل هذا الامر وقال « سبحان ربي الأعلى » و « سبحان ربي العظيم » ولو كان الأمر كما زعموا لقال سبحان اسم ربي العظيم . ثم ان الامة كلهم لا يجوز أحد منهم أن يقول عبدت اسم ربي ولا سجدت لاسم ربي ولا ركعت لاسم ربي ولا يا اسم ربي ارحمني ، وهذا يدل أن هذه الأشياء متعلقة بالمسمى لا بالاسم . وأما الجواب عن تعلق الذكر والتسبيح بالمأمور به بالاسم فقد قيل فيه ان التعظيم والتنزيه اذا وجب للمعظم فقد يعظم ما هو من سببه ومتعلق به ، كما يقال سلام على الحضرة العالية والباب السامى والمجلس الكريم ونحوه ، ولا يخفى أن هذا الجواب غير مرضى لأن الرسول انما قال « سبحان ربي » فلم يعرج على ما ذكرتموه ، ولأنه يلزم مما ذكرتم أن يطلق على الاسم التكبير والتحميد والتهليل وسائر ما يطلق على المسمى فيقال الحمد لاسم الله ونحوه وهذا مما لم يقله أحد . والجواب الصحيح أن الذكر الحقيقي محله القلب لأنه ضد النسيان ، والتسبيح نوع من الذكر فلو أطلق الذكر والتسبيح لما فهم منه الا ذلك دون اللفظ باللسان ، والله تعالى أراد من عباده الامرين جميعا ولم يقبل الايمان وعقد الاسلام الا باقترانهما واجتماعهما ، فصار معنى الآيتين سبح ربك بقلبك ولسانك واذكر ربك بقلبك ولسانك فأفحم الاسم تنبيها على هذا المعنى حتى لا يخلو الذكر والتسبيح من اللفظ باللسان ذكر القلب متعلقه المسمى المدلول عليه بالاسم دون ما سواه والذكر باللسان متعلقه اللفظ مع مدلوله لأن اللفظ لا يراد لنفسه فلا يتوهم أحد أن اللفظ هو المسبح دون ما يدل عليه من المعنى . قال ابن القيم في البدائع وعبر لى

شيخنا أبو العباس ابن تيمية قدس الله روحه عن هذا المعنى بعبارة لطيفة وجيزة فقال المعنى سبح ناطقا باسم ربك متكلما به ، وكذا سبح اسم ربك المعنى سبح ربك ذاكرا اسمه • قال وهذه الفائدة تساوى رحلة لكن لمن يعرف قدرها •

واحتجوا أيضا بقوله تعالى (ما تعبدون من دونه الا أسماء) وانما عبدوا مسمياتها • والجواب انهم وان كان عبدوا المسميات ولكن من أجل أنهم نحلوها أسماء باطلة كالكالات والعزى وهى مجرد أسماء كاذبة باطلة لا مسمى لها فى الحقيقة فانهم سموها آلهة وعبدوها لاعتقادهم حقيقة الالهية لها وليس لها من الالهية الا مجرد الأسماء لا حقيقة المسمى فما عبدوا الا أسماء لا حقائق لمسمياتها وهذا كمن سمى قشور البصل لحما وأكلها فيقال ما أكلت من اللحم الا اسمه لا مسماه

تنبيهات

تنبيهات الاول
ما يوصف به
الرب أو يخبر
به عنه اقسام

الأول ما يجرى صفة أو خبرا على الرب تبارك وتعالى أقسام (أحدها) ما يرجع الى نفس الذات كقولك ذات وموجود وشئ (الثانى) ما يرجع الى صفات معنوية كالعليم والقدير والسميع والبصير (الثالث) ما يرجع الى أفعاله كالخالق والرازق (الرابع) ما يرجع الى التنزيه المحض ولا بد من تضمنه ثبوتا اذ لا كمال فى العدم المحض كالقدوس السلام (الخامس) ما دل على جملة أوصاف عديدة لا تختص بصفة معينة بل هو دال على معان نحو المجيد العظيم الصمد ، فان المجيد من اتصف بصفات متعددة من صفات الكمال ، ولفظه يدل على هذا فانه موضوع للسعة والكثرة والزيادة ومنه قولهم : فى كل شجر نار ، واستمجد المرخ والغفار • وأمجد الناقة علفا ، ومنه (ذو العرش المجيد) لسعة العرش وعظمته • والعظيم من اتصف بصفات كثيرة من صفات الكمال ، وكذلك الصمد (السادس) صفة تحصل من اقتران أحد الاسمين والوصفين بالآخر وذلك قدر زائد على مفرديهما نحو الغنى الحميد ، العفو القدير ، الحميد المجيد ، ونحو ذلك ، فان الغنى من صفات الكمال والحمد كذلك واجتماع الغنى مع الحمد كمال آخر فله ثناء من غناه وثناء من حمده وثناء من اجتماعهما وكذلك نظائرهما

وأما صفات السلب المحض فلا تدخل في أوصافه تعالى إلا أن تكون متضمنة لثبوت كالأحد المتضمن لانفراده بالربوبية والالهية ، والسلام المتضمن لسلامته من كل نقص وبراءته من كل ما يضاد كماله ، وكذلك الاخبار عنه بالسلوب انما هو لتضمنها ثبوتاً كقوله تعالى (لا تأخذه سنة ولا نوم) فانه متضمن لكمال حياته وقيوميته ، وكذلك قوله (وما مسنا من لغوب) متضمن لكمال قدرته ، وكذلك قوله (ولا يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الارض ولا في السماء) متضمن لكمال علمه ، ونظائر ذلك

الثاني

يجب أن يعلم أن ما يدخل في باب الاخبار عنه تعالى أوسع مما يدخل في باب أسمائه وصفاته كالشيء والموجود والقائم بنفسه ، فان هذا يخبر به عنه ولا يدخل في أسمائه الحسنى وصفاته العلى

الثالث

أسماءه الحسنى أعلام وأوصاف فالوصف فيها لا ينافي العلمية وهذا بخلاف أوصاف العباد ، ثم أن الاسم من أسمائه له دلالات ، دلالة على الذات والصفة بالمطابقة ، ودلالة على أحدهما بالتضمن ، ودلالة على الصفة الاخرى باللزوم ولأسمائه الحسنى اعتباران (أحدهما) من حيث الذات (والثاني) من حيث الصفات ، فهي بالاعتبار الاول مترادفة ، وبالاعتبار الثاني متباينة . ولما ذكر أسماءه سبحانه وتعالى وانها ثابتة للذات المقدسة وانها عظيمة قديمة أردف ذلك بقوله :

((لكنها في الحق توقيفيه لنا بذا أدلة وفيه))

((لكنها)) أي الأسماء الحسنى ((في)) القول ((الحق)) المعتمد عند أهل الحق ((توقيفية)) بنص الشرع وورود السمع بها . ومما يجب أن يعلم أن علماء السنة اتفقوا على جواز اطلاق الأسماء الحسنى والصفات العلى على البارى جل وعلا اذا ورد بها الاذن من الشارع ، وعلى امتناعه على ماورد المنع عنه ، واختلفوا حيث لا اذن ولا منع في جواز اطلاق ما كان تعالى متصفاً بمعناه ولم يكن من الأسماء الاعلام . الموضوعة من سائر اللغات اذ ليس

الثاني ما يدخل
في الاخبار
أوسع من
الاسماء
والصفات

الثالث الاسماء
الحسنى أعلام
وأوصاف

أسماءه تعالى
توقيفية

جواز اطلاقها عليه تعالى محل نزاع لأحد بشرط أن لا يكون اطلاقها يوهم نقصا بل كان مشعرا بالمدح ، فالجمهور منعوا اطلاق ما لم يأذن به الشارع مطلقا ، وجوزه المعتزلة مطلقا ، ومال اليه بعض الاشاعرة كالقاضي أبي بكر الباقلاني ، وتوقف امام الحرمين الجويني ، وفصل الغزالي فجوز اطلاق الصفة وهي ما دل على معنى زائد على الذات ومنع اطلاق الاسم وهو ما يدل على نفس الذات ، واحتج للقول المعتمد انها توقيفية بأنه لا يجوز أن يسمى النبي صلى الله عليه وسلم بما ليس من أسمائه ، فالباري أولى ، وتعلق المعتزلة بأن أهل كل لغة يسمونه سبحانه باسم مختص بلغتهم كقولهم (خدای) وشاع من غير نكير . رد هذا بأنه لو ثبت لكان كافيا في الاذن الشرعي . والتوقيفي ما ورد به كتاب أو سنة صحيحة أو حسنة أو اجماع لأنه لا يخرج عنهما ، وأما سنة الضعيفة والقياس فلا يثبت بسما لأن المسألة من العلميات فلهذا قال ((لنا)) معشر أهل السنة واتباع السلف ((بذا)) أي باعتبار ثبوت التوقيف في أسماء الباري جل وعلا من الشارع ((أدلة)) جمع دليل ((وفية)) عالية توفى بالمقصود لأن ما لم يثبت عن الشارع لم يكن مأذونا في اطلاقه عليه والأصل المنع حتى يقوم دليل الاذن فاذا ثبت كان توقيفا . قال الامام المحقق ابن القيم في كتابه (بدائع الفوائد) ما يطلق عليه في باب الأسماء والصفات توقيفي ، وما يطلق عليه في باب الاخبار لا يجب أن يكون توقيفا كالقديم والشيء والموجود والقائم بنفسه ، فهذا فصل الخطاب في مسألة أسمائه هل هي توقيفية أو يجوز أن يطلق عليه منها بعض ما لم يرد به السمع

تنبيهات

(أحدها) اذا كانت الصفة منقسمة الى كمال ونقص لم تدخل بمطلقها في أسمائه تعالى بل يطلق عليه منها كمالها وهذا كالمرید والفاعل والبصانع فان هذه الالفاظ لا تدخل في أسمائه ، ولهذا غلط من سماه بالصانع عند الاطلاق بل هو الفعال لما يريد فان الارادة والفعل والصنع منقسمة ، ولهذا انما أطلق على نفسه من ذلك أكمله فعلا وخبرا ، ثم انه لا يلزم من الاخبار عنه بالفعل مقيدا أن يشتق له منه اسم مطلق كما غلط فيه بعض المتأخرين فجعل من

تنبيهات اذا
كانت الصفة
منقسمة الى
كمال ونقص

أسمائه الحسنی - المضل الفاتن الماكر - تعالى عن قوله فان هذه الاسماء لم يطلق عليه سبحانه منها الا أفعال مخصوصة معينة فلا يجوز أن يسمى بأسمائها المطلقة . وقال السعد فان قيل قد وجدنا من الاوصاف ما يتمتع اطلاقه مع ورود الشرع به كالمماكر والمستهزىء والمنزل والمنشىء والحارث والزارع والرامي أى والباني والأمر والنهي قلنا لا يكفى في صحة الاجتراء على الاطلاق مجرد وقوعها في الكتاب والسنة بحسب ما اقتضاه المقام واتساق الكلام بل يجب أن لا يخلو عن نوع تعظيم ورعاية أدب ، ومقابل هذا أوضح منه وأتم فائدة

الثاني

ان الاسم اذا أطلق على الله تعالى جاز أن يشتق منه المصدر والفعل فيخبر به عنه فعلا ومصدرا نحو السميع البصير التقدير يطلق عليه منع السمع والبصر والقدرة ، ويخبر عنه بالأفعال من ذلك نحو (قد سمع الله) (فقد رنا نعم القادرون) هذا ان كان الفعل متعديا فان كان لازما لم يخبر عنه به نحو الحي يطلق الاسم والمصدر دون الفعل فلا يقال حي

الثاني اطلاق
الاسم
يجوز
اطلاق المصدر
والفعل

الثالث

احصاء أسماء الله الحسنی والعلم بها أصل العلم بكل معلوم فان المعلومات سواء اما أن تكون خلقا له تعالى أو أمرا ، والعلم اما علم بما كونه أو علم بما شرعه ، ومصدر الخلق والامر عن أسمائه الحسنی وهما مرتبطان به ارتباطا المقتضى بمقتضيه ، فالامر كله مصدره عن أسمائه الحسنی ولهذا كله حسن لا يخرج عن مصالح العباد والرفقة والرحمة بهم والاحسان اليهم بتكميلهم بما أمرهم به ونهاهم عنه ، فأمره كله مصلحة وحكمة ورحمة ولطف واحسان اذ مصدره أسماؤه الحسنی ، وفعله كله لا يخرج عن العدل والحكمة والمصلحة والرحمة اذ مصدره أسماؤه الحسنی أيضا ، فلا تفاوت في خلقه ولا عبث وله يخلق خلقه باطلا ولا سدى ولا عبثا ، فالعلم بأسمائه واحصاؤها أصل لسائر العلوم فمن أحصاها كما ينبغى للمخلوق دخل الجنة

الثالث احصاء
الاسماء
الحسنی

الرابع

الرابع أسماء
تعالى كلها
حسن

أسماءه كلها حسن ليس فيها اسم الا وهو حسن ، وقد تقدم أن من أسمائه ما يطلق عليه باعتبار الفعل نحو الخالق والرازق والمحيي والمميت ، وهذا يدل على أن أفعاله كلها خيرات محضة لا شر فيها لأنه لو فعل الشر لاشتق له منه اسم ولم تكن أسماءه كلها حسنى وهذا باطل ، فالشر ليس اليه فكما لا يدخل في صفاته ولا يلحق ذاته فلا يدخل في أفعاله ، فالشر لا يضاف اليه فعلا ولا وصفا وانما يدخل في مفعولاته وفرق بين الفعل والمفعول فالشر قائم بمفعواه المبين له لا بفعله الذى هو فعله . فتأمل هذا فإنه خفى على كثير من المتكلمين وزلت فيه أقدام وضلت فيه أفهام وهدى الله أهل الحق لما اختلفوا فيه باذنه والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم كما حرر ذلك كله فى البدائع

الخامس

الخامس ترتيب
الاسماء
والدعاء بها

اختلف فى مراتب احصاء أسماء الله تعالى التى من أحصاها دخل الجنة وهذا قطب السعادة ومدار النجاة والفلاح ، فقبل أحصى ألفاظها وعددها ، وقيل فهم معانيها ومدلولها ، وقيل دعاؤه بها كما قال تعالى (ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها) وهذا على مرتبتين ، احدهما دعاء ثناء وعادة ، والثانى دعاء طلب ومسألة ، فلا يثنى عليه الا بأسمائه الحسنى وصفاته العلى ولذلك لا يسأل الا بها فلا يقال يا موجود أو يا شئ أو يا ذات اغفر لى وارحمنى بل يسأل فى كل مطلوب باسم يكون مقتضيا لذلك المطلوب فيكون السائل متوسلا اليه بذلك الاسم ، قال فى البدائع وهذه العبارة أولى من عبارة من قال تتخلق بأسماء الله ، فانها ليست بعبارة سديدة وهى منتزعة من قول الفلاسفة : الفلسفة التشبه به على قدر الطاقة . والحاصل ان لهم أربع مراتب أشدها انكارا عبارة الفلاسفة وهى التشبه به تعالى ، ثم يليها عبارة من قال تتخلق بأسمائه تعالى ، وأحسن منها عبارة أبى الحكم بن بركان وهى التبعيد ، وأحسن من الجميع الدعاء وهى المطابقة للأمر القرآنى وبالله التوفيق

السادس

السادس
الاحد في
اسمائه تعالى

الاحد في أسمائه تعالى المشار اليه في قوله تعالى (ولله الأسماء الحسنى نادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون) هو العدول بها وبحقائقها ومعانيها عن الحق الثابت لها ، وهو مأخوذ من الميل كما تدل عليه مادة ل ح د - تقول العرب التحد فلان الى فلان اذا عدل اليه فالاحد في أسمائه تعالى أنواع (أحدها) أن تسمى الاصنام بها كسميتهم اللات من الالهية والعزى من العزيز وتسميتهم الصنم الها وهذا الحد حقيقة فانهم عدلوا بأسمائه الى أوثانهم وآلهتهم الباطلة (الثاني) تسميته بما لا يليق بجلاله كتسمية النصارى له أبا وتسمية الفلاسفة له موجبا بذاته أو علة فاعلة بالطبع ونحو ذلك (والثالث) وصفه بما يتعالى عنه ويتقدس من النقائص كقول أخبث اليهود أنه فقير ، وقولهم انه استراح بعد أن خلق خلقه ، وقولهم يد الله مفلولة ، وأمثال ذلك مما هو الحد في أسمائه وصفاته (ورابعها) تعطيل الاسماء عن معانيها وجحد حقائقها كقول الجهمية ومن تبعهم ان أسماء تعالى أفاظ مجردة لا تتضمن صفات ولا معاني فيطلقون عليه اسم السميع والبصير والحي والرحيم والمتكلم والمريد ، ويقولون لا حياة له ولا سمع ولا بصر ولا كلام ولا ارادة تقوم به ، وهذا من أعظم الاحاد فيها عقلا ولغة وشرعا وفطرة وهو مقابل للاحاد المشركين (وخامسها) تشبيه صفاته تعالى بصفات خلقه فهو الحد في مقابلة الحد المعطلة تعالى الله عن الحادهم علوا كبيرا وبرأ الله أتباع رسوله وورثة نبيه القائمين بسنته عن ذلك كله فلم يصفوه الا بما وصف به نفسه ووصفه به نبيه فأثبتوا له الأسماء والصفات ، ونفوا عنه مشابهة المخلوقات ، فكان اثباتهم بريئا من التمثيل ، وتزويهم خليا عن التعطيل ، والله يهدي من يشاء الى سواء السبيل • انتهى ملخصا من البدائع والله الموفق

فصل في بحث صفات مولانا عز وجل

أعلم أن التوحيد ثلاثة أقسام توحيد الربوية وتوحيد الالهية وتوحيد الصفات فتوحيد الربوبية أن لا خالق ولا رازق ولا محيي

فصائل في
صفاته تعالى
واقسام
التوحيد

ولا مميت ولا موجد ولا معدم الا الله تعالى ، وتوحيد الالهية افراده تعالى بالعبادة والتأله له والخضوع والذل والحب والافتقار والتوجه اليه تعالى ، وتوحيد الصفات أن يوصف الله تعالى بما وصف به نفسه وبما وصفه به نبيه صلى الله عليه وسلم نفيًا وإثباتًا فيثبت له ما أثبتته لنفسه وينفي عنه ما نفاه عن نفسه • وقد علم أن طريقة سلف الامة وأتمتها اثبات ما أثبتته من الصفات من غير تكيف ولا تمثيل ومن غير تحريف ولا تعطيل ، وكذلك ينفون عنه ما نفاه عن نفسه مع ما أثبتته من الصفات من غير الحاد في الاسماء ولا في الآيات فانه تعالى ذم الملحددين في أسمائه وآياته فقال (وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون) وقال تعالى (ان الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا أفمن يلقى في النار خير أم من يأتي آمانا يوم القيامة اعملوا ما شئتم انه بما تعلمون بصير *) فطريقة سلف الامة وأتمتها اثبات الاسماء والصفات مع نفي مماثلة المخلوقات ، اثبات بلا تمثيل وتنزيه بلا تعطيل كما قال تعالى (ليس كمثلته شيء وهو السميع البصير) والله سبحانه وتعالى بعث رسله باثبات مفصل ونفي مجمل ، فاثبتوا له الصفات على وجه التفصيل ونفوا عنه ما لا يصلح له من التشبيه والتعطيل • فالاثبات المفصل من أسمائه وصفاته ما أنزله في محكم آياته كقوله تعالى (الله لا اله الا هو الحي القيوم) الآية وقوله (قل هو الله أحد) السورة « وهو العليم الحكيم - وهو العليم القدير - وهو السميع البصير - وهو العزيز الحكيم - وهو الغفور الرحيم - وهو بكل شيء عليم » (الذي خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أين ما كنتم والله بما تعملون بصير) وقوله : « رضى الله عنهم ورضوا عنه - اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم * - وغضب الله عليه ولعنه - وكلم الله موسى تكليما * - ونادياته من جانب الطور الأيمن وقربناه نجيا * - ويوم يناديهم - انما أمره اذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون * - ورحمتى وسعت كل شيء » الى أمثال هذه الآيات والأحاديث الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم في أسماء الرب سبحانه وتعالى وصفاته فان في ذلك

من اثبات ذاته وصفاته على وجه التفصيل واثبات وحدانيته بنفى التمثيل ما هدى الله به عباده الى سواء السبيل . فهذه طريقة الرسل صلوات الله عليهم أجمعين ، بخلاف من حاد وزاغ عن سبيلهم من الكفار والمشركين ، ومن ضاهى هؤلاء من الصابئة والمتفلسفة والقرامطة والجهمية والباطنية والملحدين ، فهم على الضد من ذلك ، فيصفون الله سبحانه بالصفات السلبية على وجه التفصيل ، ولا يثبتون له الا وجودا مطلقا لا حقيقة له عند التأمل ، وانما يرجع الى وجود في الازهان لا في الاعيان ، فقولهم يستلزم التعطيل والتمثيل ، فانهم يمثلونه بالمتنعات والمعدومات والجمادات ، ويعطّلون الأسماء والصفات تعطيلاً يستلزم نفي الذات المقدسة تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا . ولما كانت أسماءه الحسنى (١) تعالى يقول بآياتها أهل السنة وكذا المعتزلة على ما مر قدم البحث عليها ، ولما كانت صفاته تعالى منها ما اتفق عليه كالصفات السبع ومنها ما اختلف فيه كصفات فعله تعالى ورحمته وغضبه ونحوها بدأ بما اتفق عليه منها وهى السبع صفات الثبوتية

الصفات الثبوتية

- | | |
|-----------------------------|-----------------------------|
| ((له الحياة والكلام والبصر | سمع ارادة وعلم واقتدر)) |
| ((بقدرة تعلقت بممكن | كذا ارادة فع واستبن)) |
| ((والعلم والكلام قد تعلقا | بكل شيء يا خليلى مطلقا)) |
| ((وسمعه سبحانه كالبصر | بكل مسموع وكل مبصر)) |
| ((وان ما جاء مع جبريل | من محكم القرآن والتنزيل)) |
| ((كلامه سبحانه قديم (١) | أعيا الورى بالنص يا عليم)) |

(١) مخ « ولما كانت صفاته » .

(١) علق الشيخ عبد الله بابطين على هذا الموضوع ما نصه :
قوله ان مذهب السلف ان كلام الله قديم وكذلك القرآن فيه نظر فان مذهب السلف كما هو معروف ان كلام الله مما يتعلق بمشيئته فاذا شاء تكلم ويتكلم متى شاء كيف يشاء بلا كيف وقد ذكر شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله في كتابه التسعينية ص ١٤٣ ما نصه بالحرف الواحد : الوجه الثانى ان أحدا من السلف والأئمة لم يقل ان القرآن قديم وانه لا يتعلق بمشيئته وقدرته اه وقد ذكر في غالب ظني ان أول من قال بالقدم عبد الله بن سعيد بن كلاب ولا ريب ان الأدلة تدل على أن الله تعالى يتكلم متى شاء كيف شاء وان القرآن غير قديم ومن ذلك قوله تعالى : (ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث) وقوله : (قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكى الى الله) فان الاخبار عن سماع المرأة التي تجادل بلفظ الماضى

((وليس في طوق الورى من أصله أن يستطيعوا سورة من مثله))

الاولى ما أشار إليها بقوله مما يجب ((له)) سبحانه وتعالى ((الحياة)) وهي
صفة ذاتية ثبوتية قديمة أزلية تقتضى صحة العلم والقدرة لاستحالة قيامهما

دليل على سبق ذلك للخبر ولا يصح أن يكون قد قال فى الازل قد سمع الله
قول التى تجادلك مع انها أى المجادلة لم تكن خلقت ويشبه ذلك قوله
تعالى : (واذ غدوت من أهلك تبوء المؤمنون مقاعد للقتال) فان الاخبار عن
ذلك بلفظ الماضى دليل على سبقه للخبر والادلة على ذلك كثيرة . ومسى
المعلوم ان الصفات الكاملة من أعظمها ان الله تعالى لا يزال متكلماً متى شاء
كيف شاء كما هو المعروف من مذهب السلف ولله الحمد والمنة ولا يلزم من
هذا القول أن يكون كلامه مخلوقاً فان كلامه صفة من صفاته قد استعاذ به
النبي صلى الله عليه وسلم فى قوله : أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما
خلق . والاستعاذة لا تكون بمخلوق والله أعلم .

وفى تنبيه ابن سحمان ص ٢٠ ما لفظه :

فقوله : كلامه سبحانه قديم ، هو من جنس ما قبله من الالفاظ
المتدعة المخترعة التى لم ينطق بها سلف الامة وأئمتها ، والنزى عليه أهل
السنة والجماعة المخالفون لاهل البدع ان كلام الله سبحانه وتعالى حادث
الآحاد قديم النوع ، وأنه يتكلم بمشيئته وقدرته اذا شاء لا يمتنع عليه
شئ أرادته وان الله تعالى متصف بالافعال الاختيارية القائمة به فهو سبحانه
قد تكلم فى الازل بما شاء ويتكلم فيما لم يزل بقدرته ومشيئته بما أراد
وهو الفعال لما يريد « انما أمره اذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون » وأهل
البدع المخالفون للسلف ينفون ذلك ويسمون هذه الافعال الاختيارية القائمة
به سبحانه وتعالى حلول الحوادث والله لا يكون محلاً للحوادث ويريدون بهذا
ان لا يتكلم بقدرته ومشيئته ولا ينزل كل ليلة الى سماء الدنيا ولا يأتى يوم
القيامة ولا يجيء ولا يغضب بعد أن كان راضياً ولا يرضى بعد أن كان غضبان
ولا يقوم به فعل البتة ولا أمر مجدد بعد أن لم يكن ولا يريد شيئاً بعد أن
لم يكن مريداً له فلا يقول له « كن » حقيقة ولا استوى على عرشه بعد أن
لم يكن مستويّاً ولا يغضب غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده
مثله ولا ينادى عباده يوم القيمة بعد أن لم يكن منادياً ولا يقول للصلى
اذا قال « الحمد لله رب العالمين » حمدنى عبدى فاذا قال « الرحمن الرحيم »
قال أنتنى على عبدى فاذا قال « مالك يوم الدين » قال مجدنى عبدى ، فان
هذه كلها حوادث وهو منزّه عن حلول الحوادث كما تقدم بيان هذا وايضاحه
فى كلام ابن القيم رحمه الله وقال فى الكافية الشافية لما ذكر أقوال أهل
البدع المخالفين لاهل السنة .

والآخرون أولو الحديث كأحمد
قد قال ان الله حقاً لم يزل
جعل الكلام صفات فعل قائم
وكذلك نصر على دوام الفعل بالا
وكذا ابن عباس فراجع قوله
ذاك ابن حنبل الرضا الشيبانى
متكلماً ان شاء ذو احسان .
بالذات لم يفقد من الرحمن
حسان أيضاً فى مكان ثان
لما أجاب مسائل القرآن

بغير الحي ، قال العلماء رحمهم الله تعالى حياة الباري عز وجل مما اتفق عليه العقلاء، نعم الحياة في حقه لا يجوز أن تكون بمعنى الحياة في حقنا لأنها في حقنا قوة تتبع اعتدال النوع وهذا في حقه تعالى محال فمن ثم اختلف في معناها في حقه تعالى فقال أبو الحسين البصرى من المعتزلة حياته صحة العلم والقدرة فمعنى كونه حيا انه يصح أن يعلم ويقدر ، وعند الفلاسفة الحي هو الدراك الفعال ، وقال أهل السنة حياته صفة زائدة على العلم ، والارادة قديمة قائمة بذاته لأجلها يصح أن يعلم ويقدر لا نفس صحة العلم والقدرة، وكذا فسرها جمهور الأئمة من أهل السنة والجماعة ، فهي صفة كمال في نفسها فاتصف بها جل وعلا فصفة الحياة هي الجامعة لسائر الصفات متقدمة الرتبة عليها فلا يتقدمها الا الوجود ، وهي لا تتعلق بشيء لا موجود ولا معدوم ومثلها الوجود والقدم والبقاء عند من يعدها من الصفات الذاتية ، وضابطها انها كل صفة لا تقتضى أمرا زائدا على قيامها بمحلها ، كما أن ضابط ما يتعلق من الصفات انها كل صفة تقتضى أمرا زائدا على القيام بمحلها فان العلم يقتضى معلوما والقدرة تقتضى مقدورا الخ (تنبيه) ذكر الامام المحقق ابن القيم في البدائع أن الصفة متى قامت بموصوف لزمها أمور أربعة أمران لفظيان ، وأمران معنويان ، فاللفظيان ثبوتى وسلبى فالثبوتى أن يشتق للموصوف منها اسم ، والسلبى أن يمتنع الاشتقاق لغيره ، والمعنويان ثبوتى وسلبى فالثبوتى انه يعود حكمها الى الموصوف ويخبر بها عنه ، والسلبى انه لا يعود حكمها الى غيره ولا يكون خبرا عنه . وهذه قاعدة عظيمة في معرفة الأسماء والصفات كالكلام والعلم ونحوهما

(الثانية) ما أشار إليها بقوله ((و)) يجب له سبحانه وتعالى ((الكلام)) أى

الكلام

وكذلك جعفر الامام الصادق ال مقبول عند الخلق ذو العرفان
قد قال لم يزل المهيمن محسنا برا جوادا عند كل أوان
الى آخر كلامه فانه قد أجاد فيه وأفاد فراجعه فيها . وأما ما ذكره في القول
السديد في الأبيات التى نسبها لشيخ الاسلام قنص الله روحه ان صح
النقل بذلك عنه حيث قال :

وأقول فى القرآن ما جاءت به آياته فهو القديم المنزل
فهذا القول ان صح لا يناهى كونه سبحانه يتكلم فيما لم يزل بقدرته
ومشيئته كما هو مذهب أهل السنة والجماعة خلافا لاهل الكلام من المبتدعة
وغيرهم والله أعلم .

يجب الجزم بأنه تعالى متكلم بكلام قديم ذاتي وجودي غير مخلوق ولا محدث ولا حادث (١) لا يشبه كلام الخلق، قال شيخ الاسلام أبو العباس تقي الدين ابن تيمية في شرح « رسالة الاصفهاني » الامام المتكلم الاشعري : قد اتفق سلف الامة وأئمتها على أن الله تعالى متكلم بكلام قائم بذاته ، وان كلامه تعالى غير مخلوق ، وأنكروا على الجهمية ومن وافقهم من المعتزلة وغيرهم في قولهم أن كلامه تعالى مخلوق خلقه في غيره وانه كلم موسى بكلام خلقه في الشجرة وكلم جبريل بكلام خلقه في الهواء ، واتفق أئمة السلف على أن كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ واليه يعود . قال ومعنى قولهم منه بدأ أى هو المتكلم به لم يخلقه في غيره كما قالت الجهمية ومن وافقهم من المعتزلة وغيرهم بأنه بدأ من بعض المخلوقات وانه سبحانه لم يقم به كلام . قال ولم يرد السلف انه كلام فارق ذاته فان الكلام وغيره من الصفات لا يفارق الموصوف بل صفة المخلوق لا تفارقه وتنتقل الى غيره فكيف صفة الخالق تفارقه وتنتقل الى غيره ، ولهذا قال سيدنا الامام احمد كلام الله ليس ببائن من خلقه في بعض الاجسام . قال شيخ الاسلام ومعنى قول السلف « واليه يعود » ماجاء في الآثار « ان القرآن يسرى به حتى لا يبقى في المصاحف منه حرف ولا في القلوب منه آية » وما جاءت به الآثار عن النبي المختار صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين لهم باحسان وغيرهم من أئمة المسلمين كالحديث الذي رواه الامام احمد في المسند وكتبه الى المتوكل في رسالته التي أرسل بها اليه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « ما تقرب العباد الى الله بمثل ما خرج (٢) منه » يعنى القرآن وفي لفظ « بأحب اليه مما خرج منه » وقول أبي بكر الصديق رضى الله عنه لما سمع كلام مسيلمة - ان هذا كلام لم يخرج من ال - أى من رب - وقول ابن عباس رضى الله عنهما لما سمع قائلًا يقول لميت لما وضع في لحدده اللهم رب القرآن اغفر له فالتفت اليه ابن عباس رضى الله عنهما فقال - مه القرآن كلام الله ليس بمربوب منه بدأ واليه يعود - وهذا الكلام معروف عن ابن عباس رضى الله عنهما . وقول السلف : القرآن كلام الله غير

(١) راجع التعليلة السابقة .

(٢) منح « بأفضل مما خرج » .

مخلوق منه بدأ واليه يعود كما استفاضت الآثار عنهم بذلك كما هو منقول عنهم في الكتب المسطورة بالأسانيد المشهورة (قال) شيخ الاسلام في شرح « الأصفهانية » وهذه الروايات لا يدل شيء منها على أن الكلام يفارق المتكلم وينقل الى غيره ، وانما تدل على أن الله هو المتكلم بالقرآن ومنه سمع ، لا انه خلقه في غيره ، كما فسرته بذلك الامام احمد رضى الله عنه وغيره من الأئمة ، قال أبو بكر الخلال سئل الامام احمد عن قوله القرآن كلام الله منه خرج واليه يعود فقال الامام احمد : منه خرج هو المتكلم به ، واليه يعود يعنى ما قدمنا . فان قيل هل كلام البارئ جل وعلا صفة ذات أو صفة فعل ؟ فالجواب مذهب سلف الامة ومحققى الأئمة انه صفة ذات وفعل معا ، فان صفة الكلام لله عز شأنه ثابتة باجماع الانبياء على ذلك فيتكلم اذا شاء ومتى شاء بلا كيف ، فان الكلام صفة كمال لا نقص فيه فالرب أحق أن يتصف بالكلام من كل موصوف بالكلام اذ كل كمال لا نقص فيه يثبت للمخلوق فالخالق أولى به لأن القديم الواجب الخالق أحق بالكمال المطلق من المحدث الممكن المخلوق ، ولأن كل كمال يثبت للمخلوق فانما هو من الخالق وما جاز انصافه به من الكمال وجب له فانه لو لم يجب له لكان اما ممتنا وهو محال بخلاف الفرض ، واما ممكنا فيتوقف ثبوته له على غيره ، والرب تعالى لا يحتاج فى ثبوت كماله الى غيره ، فان معطى الكمال أحق بالكمال ، فيلزم أن يكون غيره أكمل منه لو كان غيره معطيا له الكمال ، وهذا محال ، بل هو جل شأنه بنفسه المقدسة مستحق لصفات الكمال ، فلا يتوقف ثبوت كونه متكلما على غيره ، فيجب ثبوت كونه متكلما وان ذلك لم يزل ولا يزال ، والمتكلم بمشيئته وقدرته أكمل ممن يكون الكلام لازما له بدون قدرته ومشيئته ، والذي لم يزل يتكلم اذا شاء أكمل ممن صار الكلام يمكنه بعد أن لم يكن الكلام ممكنا له ، وحينئذ فكلامه (قديم - ١) مع انه يتكلم بمشيئته وقدرته (وقال ابن كلاب) ومن وافقه كلامه تعالى صفة ذات لازم لذاته كلزوم الحياة ليس هو متعلقا بمشيئته وقدرته بل هو قديم ، كصدم الحياة اذ لو قلنا انه بقدرته ومشيئته لزم أن يكون حادثا فيلزم أن يكون

الاختلاف فى
كلام الله تعالى

مخلوقا ، أو قائما بذات الرب فيلزم قيام الحوادث به وذلك يستلزم تسلسل الحوادث لأن القابل للشيء لا يخلو عنه وعن ضده ، قالوا وتسلسل الحوادث ممتنع اذ التفريع على هذا الاصل • ثم ان هؤلاء لما قالوا بقدوم عين الكلام تنازعوا فقالت طائفة القديم لا يكون حروفا ولا أصواتا لأن الصوت يستحيل بقاؤه كما يستحيل بقاء الحركة وما امتنع بقاؤه امتنع قدومه عنه بطريق الاولى والأخرى ، فيمتنع قدومه من الاصوات المعينة كما يمتنع قدومه من الحركات المعينة ، لأن تلك لا تكون كلاما الا اذا كانت متعاقبة ، والقديم لا يكون مسبوقا بغيره ، فلو كانت الميم من بسم الله قديمة مع كونها مسبوقه بغيرها لكان القديم مسبوقا بغيره ، وهذا ممتنع ، فيلزم أن يكون القديم هو المعنى فقط ، ولا يجوز تعدده لأنه لو تعدد لكان اختصاصه بقدر دون قدر ترجيحا بلا مرجح ، وان كان لا يتناهى لزم وجود أعداد لا نهاية لها في آن واحد ، قالوا وهذا ممتنع ، فيلزم أن يكون معنى واحدا هو الامر والنهى والخبر وهو معنى التوراة والانجيل والزبور والفرقان • قال شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله روحه : وهذا أصل قول الكلابية والاشعرية ومن وافقهم •

وقالت طائفة من أهل الكلام والحديث والفقهاء وغيرهم انه حروف قديمة الاعيان لم تنزل ولا تزال وهى مرتبة فى ذاتها لا فى وجودها كالحروف الموجودة (١) فى المصحف وليس بأصوات قديمة • ومنهم من قال بل هو أصوات أيضا قديمة • ولم يفرق هؤلاء بين الحروف المنطوقة التى لا توجد الا متعاقبة وبين الحروف المكتوبة التى توجد فى آن واحد ، كما يفرق بين الاصوات والمداد ، ويمتنع أن يكون الصوت المعين قديما لأن ما وجب قدومه لزم بقاؤه وامتنع عدمه ، والصوت لا يبقى • وأما الحروف المكتوبة فقد يراد بها نفس الشكل القائم بالمداد أو ما يقدر بقدر المداد كالشكل المصنوع فى حجر أو ورق بازالة بعض أجزائه وقد يراد بالحروف نفس المداد • وأما الحروف المنطوقة فقد يراد بها أيضا الاصوات المقطعة المؤلفة ، وقد يراد بها حدود الاصوات وأطرافها كما يراد بالحرف فى الجسم حده

ومنتهاه فيقال حرف الرغيف وحرف الجبل ومنه قوله تعالى (ومن الناس من يعبد الله على حرف) وقد يراد بالحروف الحروف الحالية وهو ما يتشكل في باطن الانسان من الكلام المؤلف المنظوم قبل أن يتكلم به . وقد تنازع الناس هل يمكن وجود حروف بدون أصوات في الحى الناطق على قولين لهم ، وعلى هذا تنازعت هذه الطائفة القائلة بقدّم أعيان الحروف هل تكون قديمة بدون أصوات أم لا بد من أصوات قديمة لم تنزل ولا تزال ، ثم القائلون بقدّم الأصوات المعينة تنازعوا في المسموع من القارئ هل يسمع منه الصوت القديم ؟ فقول المسموع منه هو الصوت القديم ، وقيل بل صوتان (١) أحدهما القديم والآخر المحدث فما لا بد منه في وجود القرآن فهو القديم ، وما زاد على ذلك فهو المحدث . وقيل بل الصوت القديم غير المسموع من العبد . وهذا كله كلام من لا يعول على كلامه من الفرق المائلة . والذين قالوا ان كلامه تعالى صفة فعل هم الذين يقولون أن القرآن مخلوق وبين الفريقين بون ، الأولون يقولون أن التكليم والنداء ليس الا مجرد خلق ادراك المخلوق بحيث يسمع مالم يزل ولا يزال لا أنه يكون هناك كلام يتكلم الله به بمشيئته وقدرته ولا تكليم بل تكليمه عندهم جعل العبد سامعا لما كان موجودا قبل سماعه بمنزلة (٢) جعل الأعمى بصيرا لما كان موجودا قبل رؤيته من غير احداث شيء منفصل عن الأعمى ، فعندهم لما جاء موسى لميقات ربه سمع النداء القديم لا أنه حينئذ نودى ، ولهذا يقولون انه يسمع كلامه لخلقه بدل قول الناس انه يكلم خلقه . وأما الآخرون وهم الخلقية الذين يقولون أن القرآن مخلوق خلقه الله تعالى في جسم من الأجسام المخلوقة كما هو قول الجهميين الذين قالوا بخلق القرآن من المعتزلة والنجارية والضرارية ولا يخفى أن قوله تعالى « منزل من ربك » مبطل لهذا ولقول من يقول أن القرآن العربي ليس منزلا من الله بل مخلوق اما في جبريل أو محمد أو الهواء أو ألهمه جبريل فيعبر عنه بالقرآن العربي أو ألهمه محمد فعبر عنه بالقرآن العربي أو يكون أخذه جبريل من اللوح المحفوظ أو غيره ، فهذا قول من يقول

(١) زاد في مط « الا ان ، وليست في معج .
(٢) زاد في الاصلين « ما ، وضرب عليها في معج .

أن القرآن العربي ليس هو كلام الله وإنما كلامه المعنى القائم بذاته والقرآن العربي خلق ليدل على ذلك المعنى ، وهذا قول الكلابية والأشعرية في نفس القرآن العربي الذي جاء به جبريل من رب العالمين فبلغه للنبي الأمين وأخبرنا الله ورسوله أنه كلام رب العالمين نزل به الروح الأمين . وقالت طائفة بل الكلام لا بد أن يقوم بالمتكلم ويمتنع أن يكون كلامه مخلوقا في غيره ، والحق جل شأنه متكلم بمشيئته وقدرته فيكون كلامه حادثا كان بعد أن لم يكن ، وهذا قول الكرامية ومن نحا نحوهم ، ثم من هؤلاء من يقول كلامه كله حادث لا يحدث ومنهم من يقول هو حادث ومحدث

مذهب السلف
في الكلام

مذهب السلف في الكلام

وتحريير مذهب السلف أن الله تعالى متكلم كما مر ، وإن كلامه قديم وأن القرآن كلام الله وأنه قديم حروفه ومعانيه (١) وقد توعد الله جل شأنه من جعله قول البشر بقوله : (انه فكر وقدر فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر ثم نظر ثم عبس وبسر ثم أدبر واستكبر فقال ان هذا الا سحر يؤثر ان هذا الا قول البشر سأصليه سقر) ومحمد صلى الله عليه عليه وسلم بشر فمن قال انه قول محمد فقد كفر ، ولا فرق بين أن يقول بشر أو جنى أو ملك فمن جعله قولاً لأحد من هؤلاء فقد كفر . وأما قوله تعالى (انه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر) فالمراد أن الرسول بلغه عن مرسله لا أنه قوله من تلقاء نفسه وهو كلام الله الذي أرسله كما قال : (وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله) فالذي بلغه الرسول هو كلام الله لا كلامه ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على الناس في المواسم ويقول « ألا رجل يحملني الى قومه لأبلغ كلام ربي فان قریشا قد منعوني أن أبلغ كلام ربي » رواه أبو داود وغيره ، والكلام كلام من قاله مبتدئا به لا كلام من قاله مبلغا مؤديا وموسى عليه السلام سمع كلام الله من الله بلا واسطة والمؤمنون يسمعه بعضهم

(١) بهامش مخ « انكر شيخ الاسلام رحمه الله وصف القرآن بالقديم وقال ان هذا لم يقله السلف » وراجع التعليق على قول المتن « كلامه سبحانه قديم » ص ١٣٠ .

من بعض ، فسماع موسى مطلق بلا واسطة وسماع الناس مقيد بواسطة كما قال تعالى (وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى باذنه ما يشاء) ففرق بين التكليم من وراء حجاب كما كلم موسى وكلم نبينا صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء وبين التكليم بواسطة الرسول كما كلم سائر الانبياء بارسال رسول اليهم ، والناس يعلمون أن النبي صلى الله عليه وسلم اذا تكلم بكلام تكلم بحروفه ومعانيه بصوته صلى الله عليه وسلم ، ثم المبلغون عنه يبلغون كلامه بحركاتهم وأصواتهم كما قال صلى الله عليه وسلم « نضر الله امرءا سمع منا حديثا فبلغه كما سمعه » فالستمع منه يبلغ حديثه كما سمعه لكن بصوت نفسه لا بصوت الرسول ، فالكلام كلام الرسول تكلم به بصوته ، والمبلغ بلغ كلام الرسول بصوت نفسه ، واذا كان هذا معلوما فيمن يبلغ كلام المخلوق فكلام الخالق أولى بذلك ولهذا قال تعالى (فأجره حتى يسمع كلام الله) وقال النبي صلى الله عليه وسلم « زينوا القرآن بأصواتكم » فجعل الكلام كلام الباري وجعل الصوت الذى يقرؤه به العبد صوت القارىء ، وأصوات العباد ليست هى الصوت الذى ينادى الله به ويتكلم به كما نطقت النصوص بذلك ، بل ولا مثله فان الله ليس كمثل شىء لا فى ذاته ولا فى صفاته ولا فى أفعاله فليس علمه كمثل علم المخلوقين ولا قدرته مثل قدرتهم ولا كلامه مثل كلامهم ولا نداؤه مثل نداءهم ولا صوته مثل أصواتهم ، فمن قال عن القرآن الذى يقرؤه المسلمون : ليس هو كلام الله ، أو هو كلام غيره - فهو ملحد مبتدع ضال ، ومن قال ان أصوات العباد أو المداد الذى يكتب به القرآن قديم أذى فهو ملحد مبتدع ضال ، بل هذا القرآن هو كلام الله وهو مثبت فى المصاحف وهو كلام الله مبلغا عنه مسموعا من القراء ليس هو مسموعا منه تعالى فكلام الله قديم (١) وصوت العبد مخلوق

والحاصل ان مذهب الحنابلة كسائر السلف ان الله تعالى يتكلم بحرف وصوت • قال الامام الموفق فى رسالته - البرهان فى حقيقة القرآن - قال تعالى (انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا *) وقال (لكن الله يشهد بما

أنزل اليك أنزله يعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا *) وهو هذا الكتاب العربي الذي هو مائة وأربع عشرة سورة أولها الفاتحة وآخرها قل أعوذ برب الناس ، مكتوب في المصاحف متلو في المحاريب مسموع بالأذان متلو بالألسن محفوظ في الصدور ، له أول وآخر وأجزاء وأبعاض ، وهو كلام الله تعالى • وقولهم ان القديم لا يتجزأ ولا يتعدد غير صحيح فان أسماء الله تعالى متعددة قال تعالى (ولله الأسماء الحسنى) وقال النبي صلى الله عليه وسلم « ان لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة » وهي قديمة وقد نص الامام الشافعي ان أسماء الله غير مخلوقة ، وقال الامام احمد من قال أن أسماء الله تعالى مخلوقة فقد كفر • وكذا كتب الله التوراة والانجيل والزبور والفرقان متعددة وهي كلام الله تعالى ، وقد ورد السمع بأن القرآن ذو عدد ، وأقر المسلمون بأنه كلام الله تعالى • وقد عد الأشعري صفات الله سبع عشرة صفة بين ان منها ما لا يعلم الا بالسمع ، فاذا جاز أن يوصف بصفات متعددة لم يلزم بدخول العدد في الحروف شيء • قال سيدنا الامام احمد رضى الله عنه : القرآن كيف تصرف فهو غير مخلوق • ولا نرى القول بالحكاية والعبارة • وغلط من قال بهما وجهه فقال : من قال ان القرآن عبارة عن كلام الله فقد غلط وجهل • قال وقوله تعالى (تكليما) يبطل الحكاية ، منه بدأ واليه يعود • قال الامام موفق الدين ابن قدامة واما قولهم ان كلام الله يجب أن لا يكون حروفا يشبه كلام الآدميين فالجواب أن الاتفاق في أصل الحقيقة ليس بتشبيه كما أن اتفاق البصر في أنه ادراك المبصرات والسمع في انه ادراك المسموعات والعلم في أنه ادراك المعلومات ليس بتشبيه كذلك هذا • وأيضا يلزمهم ان نفوا هذه الصفة لكون هذا تشبيها أن ينفوا سائر الصفات من الوجود والحياة والسمع والبصر وغيرها ، وأما قولهم ان الحروف تحتاج الى مخارج وأدوات فالجواب ان احتياجها الى ذلك في حقا لا يوجب ذلك في كلام ربنا تعالى عن ذلك • على أن بعض المخلوقات لم تحتج الى مخارج في كلامها كالأيدي والارجل والجلود التي تتكلم يوم القيامة والحجر الذي سلم على النبي صلى الله عليه وسلم والحصى الذى سبح في كفه والذراع

المسمومة التي كلمته وقال ابن مسعود - كنا نسمع تسييح الطعام وهو يؤكل
وإذا قالوا أن الله تعالى يحتاج كحاجتنا قياسا علينا فهو عين التشبيه الذي
يفرون منه • وقولهم ان التعاقب يدخل في الحروف قلنا انما كان ذلك في حق
من ينطق بالمخارج والادوات والله سبحانه لا يوصف بذلك • قال الحافظ
أبو نصر انما يتعين التعاقب في من يتكلم بأداة بعجز عن أداء شيء الا بعد
الفراغ من غيره وأما المتكلم بلا جارحة فلا يلزم في كلامه التعاقب ، وقد
اتفقت العلماء على ان الله سبحانه وتعالى يتولى الحساب بين خلقه يوم القيامة
في حالة واحدة ، وعند كل واحد منهم أن المخاطب في الحال هو وحده
وهذا خلاف التعاقب • قال الامام الموفق في قوله تعالى « وكلم الله موسى
تكليما * وكلمه ربه » وقال تعالى (وناديناه من جانب الطور الايمن) وقال
تعالى (اذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى) : أجمعنا على أن موسى عليه الصلاة
والسلام سمع كلام الله تعالى من الله لا من شجرة ولا من حجر ولا من
غيره لأنه لو سمع من غير الله تعالى لكان بنو اسرائيل أفضل في ذلك منه
لأنهم سمعوا من أفضل ممن سمع منه موسى لكونهم سمعوا من موسى عليه
السلام وهو على زعمهم انما سمع من الشجرة • ثم يقال لهم لم سمى موسى
كليم الله ؟ واذا ثبت أن موسى عليه السلام ، انما سمع من الله عز وجل
لم يجز أن يكون الكلام الذي سمعه الا صوتا وحرفا فانه لو كان معنى في
النفس وفكرة وروية لم يكن ذلك تكليما لموسى ولا هو شيء يسمع ، والفكر
لا يسمى مناداة فان قالوا نحن لا نسميه صوتا مع كونه مسموعا • قلنا هذا
مخالفة في اللفظ مع الموافقة في المعنى ، فانه لا يعنى بالصوت الا ما كان
مسموعا • ثم ان لفظ الصوت قد صحت به الاخبار ، قال الحافظ ابن حجر
في شرح البخارى ومن نفى الصوت يلزمه أن الله تعالى لم يسمع أحدا من
ملائكته ولا رسله كلامه بل ألهمهم اياه الهاما • قال وحاصل الاحتجاج للنفي
الرجوع الى القياس على أصوات المخلوقين لأنها التي عهدت ذات مخارج
ولا يخفى ما فيه اذ الصوت قد يكون من غير مخارج كما أن الرؤية قد
تكون من غير اتصال أشعة ولئن سلم فليمنع القياس المذكور لأن صفة الخالق
لا تقاس على صفة المخلوقين ، وحيث ثبت ذكر الصوت بهذه الاحاديث

تكلم الله تعالى
بصوت

الصحيحة وجب الايمان به ، ثم اما التفويض واما التأويل • وقال ابن حجر أيضا فى موضع آخر من شرح البخارى : قوله صلى الله عليه وسلم « ثم يناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب » حمله بعض الأئمة على مجاز الحذف أى يأمر من ينادى فاستبعده بعض من أثبت الصوت بأن فى قوله يسمعه من بعد اشارة الى أنه ليس من المخلوقات لأنه لم يعهد مثل هذا فيهم ، وبأن الملائكة اذا سمعوه صعقوا واذا سمع بعضهم بعضا لم يصعقوا • قال فعلى هذا فصوته صفة من صفات ذاته لا يشبه صوت غيره ، اذ ليس يوجد شىء من صفاته فى صفات المخلوقين • قال وهكذا قرره المصنف يعنى الامام البخارى فى كتاب خلق أفعال العباد • انتهى

ومن الاحاديث فى اثبات الصوت ما روى جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال خرجت الى الشام الى عبد الله بن أنيس الانصارى رضى الله عنه فقال عبد الله بن أنيس سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يحشر الله العباد - أو قال - الناس - وأوماً بيده الى الشام - حفاة عراة غرلا بهما « قال قلت ما بهما ؟ قال ليس معهم شىء » فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب : أنا الملك أنا الديان لا ينبغى لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة وأحد من أهل النار يطلبه بمظلمة حتى اللطمة ، ولا ينبغى لأحد من أهل النار أن يدخل النار وأحد من أهل الجنة يطلبه بمظلمة حتى اللطمة « فلنا كيف وانما نأتى الله حفاة عراة غرلا ؟ قال « بالحسنات والسيئات » أخرج أصله البخارى فى صحيحه تعليقا مستشهدا به الى قوله : أنا الملك أنا الديان • وأخرجه الامام احمد وأبو يعلى الموصلى والطبرانى ، وأخرجه الحافظ ضياء الدين المقدسى بسنده الى جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال بلغنى أن للنبي صلى الله عليه وسلم حديثا فى القصاص وكان صاحب الحديث بمصر فاشترت بعيرا فشددت عليه رحلا وسرت حتى وردت مصر فمضيت الى باب الرجل الذى بلغنى عنه الحديث فقرعت بابه فخرج الى مملوكه فنظر فى وجهى ولم يكلمنى ، فدخل الى سيده فقال اعرابى ، فقال سله من أنت ؟ فقال : جابر بن عبد الله الانصارى • فخرج الى مولاه فلما تراءىنا اعتنق أحدنا صاحبه فقال يا جابر ما جئت تعرف ؟ فقلت

حديث بلغنى عن النبي صلى الله عليه وسلم فى القصاص ولا أظن أن أحدا ممن مضى وممن بقى أحفظ له منك • قال نعم يا جابر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ان الله تبارك وتعالى يبعثكم يوم القيامة من قبوركم حفاة عراة غرلا بهما ثم ينادى بصوت رفيع غير قطع يسمعه من بعد كمن قرب : أنا الديان لا تظالم اليوم أما وعزتى لا يجاورنى اليوم ظالم ولو لظمة بكف أو يد على يد • ألا وان أشد ما أتخوف على أمتى من بعدى عمل قوم لوط فلترتقب أمتى العذاب اذا تكافأ النساء بالنساء والرجال بالرجال • » وقد رواه عبد الحق الاشيلي من طريق الحارث بن أبى أسامة ومن مسنده نقله، وخرجه على بن معبد البغوى المالكى وغيره وفيه فابتعت بعير افشددت عليه رحلى ثم سرت اليه فسرت شهرا حتى قدمت الشام فاذا عبد الله بن أنيس الانصارى فأتيت منزله فأرسلت اليه أن جابرا على الباب فرجع الرسول الى فقال جابر بن عبد الله ؟ قلت نعم ، فرجع اليه فخرج فاعتنقه فقلت : حديث بلغنى انك سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المظالم لم أسمعه • قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يحشر الله العباد - أو قال الناس - الحديث • وفى حديث ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الله اذا تكلم بالوحي سمع أهل السماء صلصلة كجر السلسلة على الصفا فيضعقون فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبريل عليه السلام فاذا جاءهم جبريل فزع عن قلوبهم فيقولون يا جبريل ماذا قال ربك ؟ قال يقول الحق : فينادون : الحق الحق » أخرجه أبو داود ورجاله ثقات ونحوه من حديث أبى هريرة رواه البخارى وأبو داود والترمذى وابن ماجه وكذا رواه الامام احمد وابنه عبد الله وقال سألت أبى فقلت يا أبى الجهمية يزعمون أن الله لا يتكلم بصوت ، فقال كذبوا انما يدورون على التعطيل • ثم روى الامام احمد رضى الله عنه بسنده الى عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال « اذا تكلم الله بالوحي سمع صوته أهل السماء » قال السجزي وما فى رواة هذا الخبر الا امام مقبول • انتهى • وتتمة الخبر : « فيخرون سجدا حتى اذا فزع عن قلوبهم - أو قال سكن عن قلوبهم - قال أهل السماء ماذا قال ربكم قالوا الحق قال كذا

وكذا • قال القاضي أبو الحسين وغيره : ومثل هذا لا يقوله ابن مسعود رضى الله عنه الا توقيفا لانه اثبات صفة للذات • انتهى • وقد روى فى اثبات الحرف والصوت أحاديث تزيد على أربعين حديثا بعضها صحاح وبعضها حسان ويحتج بها أخرجها الامام الحافظ ضياء الدين المقدسى وغيره • وأخرج سيدنا الامام احمد غالبها واحتج به ، وأخرج الحافظ ابن حجر غالبها أيضا فى شرح البخارى ، واحتج بها البخارى وغيره من أئمة الحديث على أن الحق جل شأنه يتكلم بحرف وصوت ، وقد صححوا هذا الاصل واعتقدوه واعتمدوا على ذلك منزهيين الله تعالى عما لا يليق بجلاله من شبهات الحدوث وسمات النقص كما قالوا فى سائر الصفات ، فاذا رأينا أحدا من الناس مما لا يقدر عشر معشار هؤلاء يقول لم يصح عن النبى صلى الله عليه وسلم حديث واحد أنه تكلم بحرف وصوت ورأيت هؤلاء الأئمة قد دونوا هذه الاخبار وعملوا بها ودانوا الله سبحانه وتعالى بها وصرحوا بأن الله تعالى تكلم بحرف وصوت لا يشبهان صوت مخلوق ولا حرفه بوجه البتة معتمدين على ما صح عندهم عن صاحب الشريعة المعصوم فى أقواله وأفعاله الذى لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى مع اعتقادهم الجازم الذى لا يعثره شك ولا وهم ولا خيال نفى التشبيه والتمثيل والتحريف والتعطيل بل يقولون فى صفة الكلام كما يقولون فى سائر الصفات اثبات بلا تمثيل وتنزيه بلا تعطيل كما عليه سلف الامة وفحول الأئمة فهو حق اليقين بلا مجال وهل بعد الحق الا الضلال

(تنبيه) ممن ذهب الى مذهب السلف والحنابلة من قدم كلامه تعالى وانه بحرف وصوت من متأخرى محققى الاشاعرة صاحب المواقف وان رد عليه جمع منهم من متحذلق ومجازف وسيأتى لذلك تنمة عند ذكر القرآن الكريم والفرقان القديم وبالله التوفيق • (الصفة الثالثة والرابعة) ما أشار اليهما بقوله ((و)) يجب له سبحانه وتعالى ((البصر)) وهو صفة قديمة قائمة بذاته تعالى تتعلق بالبصرات فيدرك بها ادراكا تماما لا على سبيل التخيل والتوهم ولا على طريق تأثير حاسة كما يأتى الكلام على ذلك مع السمع قريبا ((سمع)) باسقاط حرف العطف أى ويجب له سبحانه وتعالى سمع قال العلامة ابن

هشام فى حذف حرف العطف : بابه الشعر كقول الحطيئة

ان امرءا رهطه فى الشام منزله برمل يبرين جارشد ما اغتربا

أى ومنزله • والسمع صفة قديمة تتعلق بالمسموعات • واثبات هاتين الصفتين أعنى السمع والبصر للدلائل السمعية وهما صفتان زائدتان على الذات عند أهل السنة كسائر الصفات لظواهر الآيات والاحاديث ، وليسا راجعين الى العلم بالمسموعات والمبصرات خلافا للفلاسفة ومن وافقهم وللإمام أبى الحسن الأشعري فى قوله انهما راجعان الى العلم بالمسموع والمبصر لكن المشهور من مذهب الأشاعرة كسائر أهل السنة ان كلا من السمع والبصر صفة مغايرة للعلم ، ونقل صاحب المواقف أن الجمهور خالفوا أبى الحسن الأشعري فى قوله انهما راجعان الى العلم ، قال فانا اذا علمنا شيئا كاللون مثلا علما تاما ثم رأيناه فانا نجد بين الحالتين فرقا ضروريا ونعلم أن الحالة الثانية مخالفة للحالة الاولى بلا شبهة ولو كان الابصار علما بالمبصر لم يكن هناك فرق ، وهكذا نجد الفرق بين العلم بهذا الصوت وسماعه ، وبين العلم بهذا الطعم وذوقه ، وبين العلم بهذه الرائحة وشمها وظواهر الكتاب والسنة تدل على المغايرة بين العلم والسمع والبصر فى البخارى فى (باب وكان الله سميعا بصيرا) عن عائشة رضى الله عنها قالت : الحمد لله الذى وسع سمعه الاصوات • وعن أبى موسى الأشعري رضى الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر فكنا اذا علونا كبرنا فقال « اربعوا على أنفسكم فانكم لا تدعون أصم ولا غابا انما تدعون سميعا بصيرا فريبا » الحديث • وقال الامام الحافظ البيهقي فى كتابه الاسماء والصفات : السميع من له سمع يدرك به المسموعات ، والبصير من له بصر يدرك به المرئيات ، والكلى منهما فى حق البارئ صفة قائمة بذاته تعالى ، وقد أفادت الآية والاحاديث الرد على من زعم انه سميع بصير بمعنى عليم • وأخرج أبو داود بسند قوى على شرط مسلم من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ قوله تعالى : (ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها - الى قوله - ان الله كان سميعا بصيرا) : ويضع أصبعيه - قال أبو يونس وضع أبو هريرة ابهامه على أذنه والتى تليها

على عينه • قال البيهقي وأراد بهذه الإشارة تحقيق اثبات السمع والبصر لله لبيان محلها من الانسان يريد أن له سمعا وبصرا لا أن المراد به العلم فانه لو كان كذلك لاشار الى القلب لانه محل العلم • ولم يرد بذلك الجارحة فان الله تعالى منزّه عن مشابهة المخلوقين • ولا يلزم من قدم السمع والبصر قدم المسموعات والبصريات كما لا يلزم من قدم العلم والقدرة قدم المعلومات والمقدورات لأنها صفات قديمة تحدث لها تعلقات بالحوادث

**الصفة الخامسة
الارادة**

(الصفة الخامسة) ما أشار إليها بقوله ((ارادة)) باسقاط حرف العطف على ما مر أي ويجب له تعالى صفة الارادة ويرادفها المشيئة (١) وهما عبارتان عن صفة في الحي توجب تخصيص أحد المقدورين في أحد الاوقات بالوقوع مع استواء نسبة القدرة الى الكل ، قال علماء الكلام نسبة الضدين الى القدرة سواء اذ كما يمكن أن يقع بقدرته تعالى أحد الضدين يمكن أن يقع به الضد الآخر ، ونسبة كل منهما الى الاوقات سواء اذ كما يمكن أن يقع في وقته الذي وقع فيه يمكن أن يقع قبله أو بعده ، فلا بد من مخصص يرجح أحدهما على الآخر ويعين له وقتا دون سائر الاوقات ، وهذا المخصص هو الارادة وهي واحدة قديمة أزلية باقية اذ لو كانت حادثة لزم كونه محلا للحوادث ، وأيضا لا حاجة الى ارادة أخرى وهي شاملة لجميع الكائنات لأنه تعالى موجد لكل ما يوجد من الممكنات ولأنه تعالى فاعل بالاختيار فيكون مريدا لها لان اليجاد بالاختيار يستلزم ارادة الفاعل • ويأتي تمة للكلام عند ذكر متعلق القدرة والارادة ان شاء الله تعالى :

**الصفة السادسة
العلم**

(الصفة السادسة) ما أشار إليها بقوله ((و)) يجب له عز وجل ((علم)) أي يجب الجزم بأنه تعالى عالم بعلم واحد وجودي قديم باق ذاتي ينكشف به المعلومات عند تعلقه بها ، وانما قلنا بأن علمه ذاتي كسائر صفاته تعالى للرد على الحكماء القائلين بنفي الصفات واثبات غاياتها ، وللرد على المعتزلة

(١) في تعليق عن الشيخ عبد الله بابطين ما نصه « هذا ليس على عمومه فان الارادة عند أهل السنة تنقسم الى قسمين ارادة كونية وهي التي ترادفها المشيئة وهي كالتي في قوله تعالى : (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام) الآية • والقسم الثاني ارادة شرعية وهذه يرادفها المحبة وهي كالتي في قوله تعالى (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) والله اعلم

القائلين بأنه يعلم بالذات لا بصفة زائدة عليها ، والدليل على أن صفاته زائدة على ذاته ورود النصوص بأنه تعالى عالم وحى وقادر ونحوها ، وكونه عالما يعلل بقيام العلم به في الشاهد فكذلك في الغائب وقس عليه سائر الصفات ، وأيضا فالعالم من قام به العلم والقادر من قامت به القدرة . فان قيل قياس الغائب على الشاهد فقهى ، فالجواب انه ليس كذلك بل هو قياس في الجملة قال شيخ الاسلام ابن تيمية في شرح العقيدة الاصفهانية عن الامام الرازي في كتابه نهاية العقول قال نفاة الصفات ان ذات الله لو كانت موصوفة بصفات قائمة بها لكانت الحقيقة الالهية مركبة من تلك الذات ومن تلك الصفات ولو كانت كذلك لكانت ممكنة لأن كل حقيقة مركبة فهي محتاجة الى أجزائها وكل واحد من أجزائها غيرها فان كل حقيقة مركبة فهي محتاجة الى غيرها وذلك في حق الله تعالى محال فاذن استحيل اتصاف ذاته بالصفات . وقال الرازي في الجواب عن هذا قوله يلزم من اثبات الصفات وقوع الكثرة في الحقيقة الالهية فتكون تلك الحقيقة ممكنة ، قلنا ان عينتم به احتياج تلك الحقيقة الى خارجي فلا يلزم لاحتمال استناد تلك الصفات الى الذات الواجبة لذاتها ، وان عينتم توقف الصفات في ثبوتها على الذات المخصوصة فذلك مما نلتزمه فأين المحال ؟ وأيضا فعندكم الاضافات صفات وجودية في الخارج فيلزمكم ما ألزمتونا . ثم قال الرازي ومما يبين فساد قول الفلاسفة في قولهم الشيء الواحد لا يكون مؤثرا وقابلا انهم اتفقوا على أن الله عالم بالكليات . واتفقوا على أن العلم بالشيء عبارة عن حصول صورة مساوية للمعلوم في العالم ، واتفقوا على أن صور المعلومات مودعة في ذات البارئ تعالى حتى ان ابن سينا قال ان تلك الصورة اذا كانت داخلة في الذات بل كانت من لوازم الذات لم يلزم منها محال ، واذا كان كذلك فذاته مؤثرة في تلك الصور وقابلة لها ومن كان ذلك مذهبها له كيف يمكنه انكار الصفات . قال وبالجملة فلا فرق بين الصفاتية وبين الفلاسفة الا أن الصفاتية يقولون الصفات قائمة بالذات والفلاسفة يقولون هذه الصور العقلية عوارض مقومة بالذات . فالذي يسميه الصفاتية صفة يسميه الفلاسفة عارضا والذي يسميه الصفاتية قيما يسميه الفلاسفة

قواما أو مقوما ، فلا فرق الا فى العبارة • وقد عارضه شيخ الاسلام فى بعض مقالاته وغض من بعض أدلته فمما اعترض عليه ما ذكره من اتفاق الفلاسفة على أن الله تعالى عالم بالكليات قال هو اتفاق ابن سينا وأمثاله بخلاف ارسطو وأتباعه • وكذلك ما ذكره من قولهم باثبات صور المعلومات لذاته وانها عارضة لذاته رهو قول ابن سينا وموافقيه صرح بذلك فى الاشارات وهو مما اعترف الفلاسفة بتناقض ابن سينا وأمثاله بذلك فى مسألة توحيدهم ونفى الصفات حيث قالوا بنفى الصفات الثبوتية مطلقا ثم قالوا باثبات صور وجودية علمية قائمة بذاته وهو تصريح باثبات الامور الوجودية القائمة بذاته • ثم ان شيخ الاسلام بعد ما أفسد كلام الفلاسفة وبرهن على افساده قال : ثم ان نظار المسلمين ردوا عليهم أما الصفاتية فانهم يلتزمون اثبات الصفات وأما المعتزلة وان نفوا الصفات فانهم يعترفون بما يستلزم اثباتها فانهم يشبتون كونه حيا عالما قادرا وهذا بعينه يستلزم اثبات الصفات • قال شيخ الاسلام ابن تيمية : منشأ الضلال فى هذا الموضوع ان مسمى واجب الوجود عبروا به عن عدة معان أحدها الذى يكون موجودا بنفسه لا يفتقر الى مبدع وهذا هو الذى يدل عليه وجود الممكنات ، والثانى الذى لا يكون له تعلق بغيره ولا ملازمة بينه وبين غيره ونفى الصفات انما يكون على هذا التفسير لا على المعنى الاول • ثم بعد كلام كثير لابن تيمية روح الله روجه يرد به على الفلاسفة والمعتزلة وأضرابهم قال : ومن المعلوم نكلى من عرف ما جاءت به الرسل فان التوحيد الذى أرسل الله به رسله وأنزل به كتبه لم يتضمن نفى صفات الله بل الكتب الالهية مملوءة باثبات صفات الله تعالى : قال وكذلك العقل الصريح هو موافق لما جاءت به الكتب الالهية من اثبات صفات الكمال لله تعالى ، وقول هؤلاء بامتناع اثبات واجبين أو الهين قديمين لفظ فيه اجمال وابهام فان أريد بذلك نفى الهين واجبين أو الهين قديمين فهذا حق لا ينازع فيه مسلم ، وكذلك أن عنوا نفى موجودين قائمين بأنفسهما واجبين أو قديمين فهذا حق ، فهم وان كان هذا بعض مرادهم فلم يقتصروا عليه بل أرادوا نفى صفات الله الواجبة القديمة كعلمه وقدرته وحيشد نفى واجبين قديمين بهذا الاعتبار باطل ، وهم قد يقولون

لو كانت الصفة ثابتة لكانت مشاركة في أخص صفاته فتكون الصفة الها
ويدعون أن من أثبت الصفات فقد قال قول النصارى كما حكا سيدنا الامام
احمد وغيره من أئمة السنة عنهم وهو موجود في كلامهم وهذا باطل، ومن
المعلوم أن صفة الموصوف المحدث الممكن اذا وافقته في كونها محدثة ممكنة
لم يلزم أن تكون مماثلة له فليست صفة النبي نيبا ولا صفة الانسان انسانا
فكيف يجب أن تكون صفة الاله الهابل هو سبحانه اله واحد مختص بما
لا يماثله فيه غيره من صفات الكمال منزه عن صفات النقص مطلقا وعن أن
يكون له كفاء في شيء من صفات الكمال • قال شيخ الاسلام ومعرفة هذا
من أهم الامور فان نفاة الصفات أدخلوا ذلك في مسمى التوحيد وجعلوا
هذا من مسمى التوحيد فلبسوا بذلك على كثير من الناس اذ كان مسمى
التوحيد في غاية العظمة عند أهل الملل فاذا ظن من لم يعرف حقائق الامور
ان ما ذكروه من النفي المستلزم للتعطيل هو من التوحيد الذى بعث الله به
الرسول انقلب دين الاسلام في نفسه فجعل ما هو داخل في التعطيل الذى
ذم الله به فرعون وغيره من الكافرين هو من التوحيد الذى بعث الله به
المرسلين • ولهذا كان علماء الحديث يصنفون الكتب في التوحيد يذكرون
اثبات ما أثبتته الله ورسوله من الاسماء والصفات مناقضة لهؤلاء النفاة فان
منفى الصفات لم يكن الا معدوما فان اثبات ذات بلا صفات أو وجود مطلق
لا يتعين انما يتحقق في الازهان لا في الاعيان فمن لم يثبت لله الصفات
لم يحقق عبادته له فلهذا وغيره كان الشرك بعبادة غير الله واقعا في نفاة
الصفات

(تبييه) ذكر شيخ الاسلام ابن تيمية وغيره من علماء الكلام أدلة عقلية
على اثبات صفة العلم لله تعالى منها ايجاده سبحانه وتعالى الاشياء لاستحالة
ايجاده الاشياء مع الجهل ، قال شيخ الاسلام هذا الدليل مشهور عند نظار
المسلمين أولهم وآخرهم والقرآن قد دل عليه كما في قوله تعالى (ألا يعلم
من خلق وهو اللطيف الخبير) قال والفلاسفة أيضا سلكوه ، وبيانه من
وجوه (أحدها) ان ايجاده الأشياء هو بارادته والارادة تستلزم تصور المراد
وهو العلم فكان الايجاد مستلزما للارادة والارادة مستلزما للعلم فلايجاد

أدلة عقلية على
ثبوت العلم لله
سبحانه

مستلزم للعلم (الثاني) ان المخلوقات فيها من الاحكام والاتقان ما يستلزم علم الفاعل بها لأن الفعل المحكم المتقن يتمتع صدوره عن غير عالم • قال وبهذين الطريقتين يتقرر ما ذكره - أى الاصفهاني في عقيدته • قال شيخ الاسلام ولهم طرق أخرى منها أن من المخلوقات ما هو عالم والعلم صفة كمال ويمتنع أن يكون المخلوق أكمل من الخالق اذ كل كمال فيه فهو منه فيجب أن يكون الخالق علما • قال وهذا له طريقتان احدهما أن يقال يعلم بالضرورة أن الخالق أكمل من المخلوق وان الواجب أكمل من الممكن، ويعلم بالضرورة انا اذا فرضنا شيئين أحدهما عالم والآخر غير عالم كان العالم أكمل فلو لم يكن الواجب علما لزم أن يكون الممكن أكمل منه وهو ممتنع • الثاني أن يقال كل علم في الممكنات التي هي المخلوقات فهو منه ، ومن الممتنع أن يكون فاعل الكمال ومبدعه عاريا منه بل هو أحق به والله سبحانه له المثل الأعلى لا يستوى هو والمخلوق في قياس شمول ولا في قياس تمثيل بل كلما ثبت لمخلوق من كمال فالخالق تعالى أحق به ، وكل نقص تنزه عنه مخلوق ما فتنزيه الخالق عنه أولى • وقال شيخ الاسلام في موضع آخر : ولهذا كان المستعمل في الكتاب والسنة وكلام السلف في حقه تعالى هو القياس الاولي مثل أن يعلم أن ثابت لغيره من كمال مطلق لا نقص فيه فهو أحق بأن يثبت له من ذلك الكمال ما هو أحق به مما سواه فاذا كان الحياة والعلم والقدرة كمالا لا نقص فيه وقد اتصف به المخلوق فالخالق تعالى أحق أن يتصف بالحياة والعلم والقدرة • وما ينزه عنه غيره من العيوب فهو سبحانه أحق بتنزيهه عنه كما في قوله تعالى (والله المثل الأعلى) انتهى ملخصا • ودليل ثبوت صفة العلم لله تعالى سمعا من الكتاب والسنة كثير جدا كقوله تعالى « عالم الغيب والشهادة - لكن الله يشهد بما أنزل اليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون - اليه يرد علم الساعة - ولا يحيطون بشيء من علمه - يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور، وما لا يحصى من الآيات الا بكلفة ، وفي حديث أبي هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال: سبق علم الله في خلقه فهم صائرون اليه • وفي حديث ابن عمر رضى الله عنهما : مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن الا الله • الى غير ذلك من الآيات

والاخبار والله ولي الاسرار

الصفة السابعة القدرة

(السابعة) ما أشار إليها بقوله ((واقدر)) جل شأنه على ايجاد الموجودات وخلق الممكنات ((بقدره)) وهي صفة أزلية تؤثر في المقدورات عند تعلقها بها فانه جل شأنه قادر على جميع الممكنات باتفاق المتكلمين وكذا الحكماء لكن القدرة عند المتكلمين عبارة عن صحة الفعل والترك ، وعند الحكماء عبارة عن كونه ان شاء فعل وان لم يشأ لم يفعل . ومقدمة الشرطية الاولى بالنسبة الى وجود العالم دائم الوقوع ومقدمة الشرطية الثانية بالنسبة الى وجود العالم دائم ان لا وقوع ، وصدق الشرطية لا يستلزم صدق طرفيها ، ولا ينافي كذبهما ، ودوام الفعل وامتناع الترك بسبب الغير لا ينافي الاختيار ، كما أن العاقل ما دام عاقلا يغمض عينه كلما قرب ابرة من عينه بقصد الغمز فيها من غير تخلف مع أنه يغمضها بالاختيار ، وامتناع ترك الاغماض بسبب كونه عالما بضرر الترك لا ينافي الاختيار ، فما ظنك بمن يكون علمه عين ذاته ، كل هذا على رأى الحكماء القائلين أن مقتضى لقدرته هو الذات والمصحح للمقدورية هو الامكان فاذا ثبت قدرته على البعض ثبتت على الكل لأن العجز عن البعض نقص وهو على الله تعالى محال مع أن النصوص قاطعة بعموم القدرة كقوله تعالى (وهو على كل شيء قدير) قال الاصفهاني في عقيدته : الدليل على قدرته ايجاده الاشياء وهو اما بالذات وهو محال والا لكان العالم وكل مخلوقاته قديما وهو باطل ، فتعين أن يكون فاعلا بالاختيار وهو المطلوب . قال شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله روحه : قد يقال هذا انما أثبت به كونه فاعلا بالاختيار يثبت الارادة لا يثبت القدرة . ثم قال في اثبات القدرة : وتقرير ذلك أن يقال : اما أن يكون المبدع للأشياء مجرد ذات عرية عن الصفات مستلزما وجود المفعول كما يقوله المتفلسفة القائلون بقدم الافلاك وصدورها عن ذات مجردة، واما أن تكون ذاتا موصوفة بصفات لا يجب معها وجود المخلوقات كما عليه أهل الملل ، والاول باطل لأنه يستلزم أن لا يحدث في العالم شيء لأن العلة التامة القديمة يجب أن تستلزم معلولها فلا يتأخر شيء من معلولها لأنها عن الازل وهو خلاف الحس والمشاهدة وهذا الوجه يبطل قولهم بالسوجب

بالذات وتقدم شيء بعينه من أجزاء العالم ، وسواء فسروا الموجب بذات مجردة مستلزمة للموجب ، أو بذات موصوفة مستلزمة للموجب ، فإن القول بكون المبدع ملزوماً لموجبه ومقتضاه مع تأخر بعض ذلك عن الازل جمع بين التقيضين • الى أن قال : فالصفة التي يصلح بها الفعل هي القدرة ، أو يقال : فاذا لم يكن موجبا بذاته بل بصفة تعين أن يكون مختاراً فإنه اما موجب بالذات واما فاعل مختار بالاختيار ، والمختار انما يفعل بالقدرة اذ القادر هو الذي ان شاء فعل وان شاء لم يفعل فأما من يستلزمه المفعول بدون ارادته فهذا ليس بقادر بل ملزوم بمنزلة الذي تستلزمه الحركات الطبيعية الذي لا قدرة له على فعلها ولا تركها • وحقيقة الامر أن العلم بكون الفاعل قادرا علم ضروري • الى أن قال : صفة الحي تسمى قدرة واذا كانت أكمل من غيرها سميت قوة قال تعالى (وقالوا من أشد منا قوة * أو لم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة) وقد ذكر قوله (أشد منهم قوة) في غير موضع وقال تعالى (ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين) ثم قال : والذي دل عليه الكتاب والسنة وكان عليه سلف الامة وأئمتها ان الله يخلق الأشياء بالأسباب ، فالقوى التي جعلها الله في الحيوان والجماد هي من الاسباب التي بها يحدث الحوادث • قال : ومذهب السلف والائمة ان الله خالق كل شيء بمشيئته وقدرته ، وانه ماشاء كان ومالم يشأ لم يكن ، فقدرته ومشيئته تستلزم وجود المقدور ، ولفظ الاختيار في القرآن والسنة وكلام السلف يتضمن تفضيل المختار على غيره قال تعالى (وربك يخلق ما يشاء ويختار) - ثم قال - (ما كان لهم الخيرة) فذكر الاختيار بعد المشيئة وقد صار لفظ الاختيار يعبر به عن الارادة بناء على أن العالم لا يريد الا ما هو خير من غيره أو بناء على أن الحي لا يريد الا ما يراه خيرا من غيره وان كان قد يغلط في اعتقاده أنه خير من غيره ، والمقصود أن السلف والائمة وجمهور الامة يشبّهون في المخلوقات قوى وقدرة تصدر الحوادث عنها فثبتت القدرة لله تعالى وقدرته على الفعل من أبين الأشياء عندهم ، والعلم بذلك من أظهر المعارف وأجلاها ، فانه قد استقر في فطرتهم أن الفاعل لا يكون الا قادرا ، وأن القدرة صفة كمال ، فاذا كان المخلوق قويا قادرا

على ما يفعله فالخالق تعالى أولى أن يكون قادرا قويا على ما يفعله • ومن المستقر في الفطر أيضا أنه ذا فرض الفاعل غير قادر على الفعل امتنع كونه فاعلا ولهذا كان من نفى أن يكون للعبد قدرة مؤثرة كجهم بن صفوان وأبي الحسن الأشعري ومن اتبعهما لا يسمون العبد فاعلا بل يقولون هو كاسب ، وجهم نفسه كان يقول : ليس بقادر كما أنه ليس بفاعل • وعند الأشعرية انه ليس بفاعل حقيقة بل هو كاسب وانه ليس له قدرة مؤثرة في المقذور ، ومذهب أئمة السلف وعلماء السنة أن الله تعالى خالق لأفعال العباد مع قولهم أن العبد فاعل قادر يفعل بمشيئته وأن الله تعالى خالق ذلك كله وانه تعالى اذا خلق للعبد قدرة تامة ومشيئة جازمة كان هذا مستلزما لخلق المراد المقذور • قال شيخ الاسلام ابن تيمية : مذهب السلف وجمهور المسلمين الذي يثبتون القدر يقولون ماشاء الله كان ومالم يشأ لم يكن وأن العبد فاعل قادر مختار والله تعالى خالق فعله وقدرته ومشيئته كما قال تعالى (والله خلقكم وما تعملون) فاذا حقق العبد هذا المقام زالت الاشكالات كلها ويظهر حينئذ انه لا منافاة بين (ذلك وبين - ١) أن يكون الرب قادرا مختارا ما شاء كان ومالم يشأ لم يكن فهو موجب بمشيئته وقدرته ماشاء من المقدورات فما شاءه وجب وجوده ومالم يشأ امتنع وجوده فهو موجب بذاته الموصوفة بالمشيئة والقدرة وكل ماشاءه فهو محدث كائن بعد أن لم يكن ليس معه شيء قديم يقدمه فاذا علم هذا وانضم الى مقاله السلف وجمهور أئمة السنة أنه تعالى يخلق الأشياء بالأسباب وأنه يخلق بحكمة علم بأنه تعالى قادر مختار • ولكثرة فروع هذه المسئلة وما يتفرع عليها وكثرة لوازمها قال جلال الدين الدواني في شرح العقائد العضدية: الاولى في اثبات هذا المطلب بل سائر المطالب التي يتوقف ارسال الرسول عليها أن يتمسك فيها بالدلائل السمعية فيستدل على شمول القدرة بقوله تعالى (ان الله على كل شيء قدير) وعلى شمول العلم بقوله تعالى (والله بكل شيء عليم) وأمثال ذلك ولما فرغ من تعداد السبع صفات التي يثبتها المتكلمة الصفاتية وغيرهم شرع في ذكر مالها من المتعلقات وتقدم أن الحياة لا تتعلق بشيء فقال

متعلق القدرة

((تعلقت)) قدرة الله تعالى الأزلية القديمة الذاتية ((؛)) كل ((ممكن)) وقد علمت أن الممكن ما ليس بواجب الوجود ولا مستحيل الوقوع ، ولم يوجد شيء ولن يوجد شيء الا بها وقد نص سيدنا الامام احمد رضى الله عنه أنه تعالى قادر بقدرة قديمة وقوة شديدة ، قال شيخ الاسلام ابن تيمية فى شرح العقيدة الاصفهانية : الممتنع لذاته ليس بشيء فى الخارج باتفاق العقلاء لامتناع أن يكون له فى الخارج وجود أو ثبوت عند من يفرق بين الوجود والثبوت فهو سبحانه قادر على كل شيء وأحد الضدين على سبيل البدل وأما وجودهما معا فليس بشيء بل هو ممتنع لذاته ، وكذلك وجود الملزوم بدون لوازمه التى يمتنع وجوده بدونها هو من هذا الباب كوجود الولد قبل والده مع كونه قد ولد ووجود الصفات بدون ذات تقوم بها ونحو ذلك . قال ومن فهم هذا الامر انحلت عنه الاشكالات التى تورد على قدرة الله تعالى وحكمته ومشيئته فى مسائل القدر وغيرها وتبين له أن خير الكلام كلام الله وانه سبحانه بين فيه الامور الالهية والمطالب العلية أحسن بيان وأكمله حيث يبين قدرته على أشياء لم يفعلها كقوله (ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها) (ولو شاء الله ما اقتتلوا) ونحو ذلك مع أنه تعالى لم يفعل مقدوره وتبين أن خلاف المعلوم مقدور ممكن باعتبار نفسه لكنه لا يكون ، لعدم مشيئته له وهو لا يشاؤه لما فى ذلك من فوات حكمته التى يمتنع اجتماعها مع وجود هذا المفروض والله أعلم . وفهم من النظم أن القدرة لا تتعلق بواجب ولا مستحيل فليسا من متعلقاتها ، ولا عجب فى ذلك لانها لو تعلقت بهما لزم انقلابهما جائزين ولزم صحة تعلقها باعدام محلها ، قال بعض الاشاعرة والاولى الاستدلال بالنصوص الدالة على شمول قدرته تعالى اجمالا مثل (والله على كل شيء قدير) (وخلق كل شيء فقدره تقديرا) وتفصيلا مثل (خلق الله السموات والارض وجعل الظلمات والنور) (خلق الموت والحياة)

تنبيهان

قول بعضهم
للقدرة تعلقان

« الاول » صحح بعض متأخرى الاشعرية ان للقدرة الازلية تعلقين صلوحيا وهو التعلق الازلى بمعنى انها فى الازل صالحة للايجاد والاعدام

على وفق تعلق الارادة الازلية بهما فيما لا يزال ، وتعلقا تنجيزيا وهو التعلق الحادث المقارن لتعلق الارادة بالحدوث الحالى . وظاهر كلام علمائنا بل وكلام الامام أحمد أن تعلق القدرة بالممكن تعلق واحد مفيا بغاية محدودة من الزمان يوجد فى ذلك الزمان المخصص بالارادة القديمة الازلية والله أعلم .

الطوائف المنكرة شمول القدرة

« الثانى » من طوائف الضلال القائلين بعدم شمول القدرة الازلية لجميع الممكنات المجوس قالوا انه تعالى لا يقدر على الشرور ولا خلق الاجسام المؤذية وانما القادر على ذلك فاعل آخر يسمى « أهرمن » ومنهم النظام وأتباعه من المعتزلة قالوا انه تعالى لا يقدر على خلق الجهل والكذب والظلم وسائر القبائح . ومنهم عباد الضمى وأتباعه قالوا أنه تعالى لا يقدر على ما علم انه لا يقع ولا ما علم انه يقع لاستحالة الاول ووجوب الثانى . ومنهم الكعبى وأتباعه قالوا انه لا يقدر على مثل مقدور العبد . ومنهم الجبائى وأتباعه قالوا انه تعالى لا يقدر على نفس مقدور العبد . قال العلامة الشيخ مرعى روح الله روحه فى كتابه (رفع الشبهة والغرر عنم يحتج على فعل المعاصى بالقدر) . مذهب أهل الحق ان الرب سبحانه متفرد بخلق المخلوقات فلا خالق سواه ولا مبدع غيره وكل حادث فانه محدثه ، وقالت المعتزلة ان جميع أفعال العباد من حركاتهم وسكناتهم وأقوالهم وأعمالهم لم يخلقها الله تعالى ، ثم اختلفوا فقالت طائفة خلقها الذين فعلوها دون الله تعالى ، وقال آخرون ليست مخلوقة ولكنها أفعال موجودة لا خالق لها ، وقال آخرون هى فعل الطبيعة ، فالذين زعموا ان العباد خلقوها قالوا ان وقوع الافعال من العبد على وفق قصده وداعيته اقداما واحكاما دليل على انه موجدتها ومخترعها ، قالوا ولولا ذلك لكانت التكاليف كلها واقعة على خلاف الاستطاعة وتكليفها بالمحال وكان لا يحسن مدح ولا ذم ولا ثواب ولا عقاب وهو خلاف مقتضى العقل والشرع والعرف . ونقل عن الامامية هل أفعال العباد خلق لهم أو خلق لله ؟ على قولين ، ونقل أبو الحسن الأشعري عن الزيدية انهم فرقان فرقة تزعم أن أفعال العباد مخلوقة لله خلقها وأبدعها ، وفرقة تزعم انها مخلوقة لله تعالى وانها كسب للعباد أحدثوها

متعلق الإرادة

واخترعوها وفعلوها • وتأتى لهذا تمة في بحث القدر ان شاء الله تعالى • ولما كانت الإرادة تتعلق بما تعلقت به القدرة من جميع الممكنات قال ((كذا)) أى مثل القدرة في التعلق بالممكنات ((إرادة)) وانها أيضا إرادة واحدة كما مر وان القدرة والإرادة غير متناهيتي المتعلقات كما قاله المتكلمون إلا أن تعلق القدرة بالممكنات تعلق ايجاد او اعدام ، وتعلق الإرادة بهما . تعلق تخصيص كما تقدم • والاولى التعويل في ثبوت عموم تعلق الإرادة على الأدلة السمعية مثل قوله تعالى : (انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون) فان قيل يلزم من عموم تعلق الإرادة نفيها للزوم المحال وهو أن نسبة الإرادة الى الفعل والترك والى جميع الاوقات على السواء اذ لو لم يجز تعلقها بالطرف الآخر وفي الوقت الآخر لزوم نفي القدرة والاختيار واذا كانت على السواء فتعلقها بالفعل مثلا دون الترك وفي هذا الوقت دون غيره مفتقر الى مرجح ومخصص لامتناع وقوع الممكن بلا مرجح على رأى المتكلمين • فالجواب أن الإرادة تتعلق بالمراد لذاتها من غير افتقار الى مرجح آخر لانها صفة شأنها التخصيص والترجيح للمساوى والمرجوح • فان قيل فمع تعلق الإرادة لا يبقى التمكن من الترك ويتنفي الاختيار • فالجواب انه قد تقرر أن الوحوب بالاختيار محقق الاختيار ، ثم انا نقول قد تقدم ما يرد مثل هذه الشبه في كلام شيخ الاسلام ، ومن المعلوم أن تعلق القدرة والإرادة بالممكنات بالنسبة الى الذات ، وأما بعد التعلق والتخصيص فقد وقع ما وقع وامتنع ما امتنع • وقال بعض محققي الأشاعرة الإرادة تخصص ما تعلقت به وترجحه وعند وقوع المراد يزول تعلقها الحادث مع بقائها يعنى القدرة بحالها وبقاء تعلقها الصلوحى بحاله أيضا ، قال وللإرادة أيضا نعلقان أزلى صلوحى وحادث تنجزى كما للقدرة سواء • وتقدم ما فيه والله أعلم •

« تنبيهان »

التعلقات الثانية للقدرة والإرادة

« الاول » التعلقات الثانية للقدرة والإرادة يعنى التنجزية مترتبة، فتعلق القدرة تابع لتعلق الإرادة وتعلق الإرادة تابع لتعلق العلم، فلا يوجد أو يعدم سبحانه من الممكنات عندنا الا ما أراد ايجاده واعدامه منها ولا يريد الا ما

علم فما علم منها انه يكون اراده ، وما علم انه لا يكون لم يردده . وقالت المعتزلة الارادة تابعة للامر لا للعلم فلا يريد عندهم الا ما أمر به من الايمان والطاعة سواء وقع ذلك أم لا . فعندنا ايمان أبي جهل مأمور به غير مراد له تعالى لعلمه سبحانه عدم وقوعه ، وكفر أبي لهب منهى عنه وهو واقع بإرادة الله تعالى وقدرته ، وعند المعتزلة ايمانه مراد له مأمور به وكفره غير مراد له لئنه عنه .

« الثاني » قال شيخ الاسلام ابن تيمية في كتابه الذي كتبه على حسن ارادة الله تعالى : وكذلك تنازعهم في العبد هل هو قادر على خلاف المعلوم؟ قال فان أريد بالقدرة القدرة الشرعية التي هي مناط الامر والنهي كالأستطاعة المذكورة في قوله تعالى : (فاتقوا الله ما استطعتم) فكل من أمره الله ونهاه فهو مستطيع بهذا الاعتبار وان علم انه لا يطيعه ، وان أريد بالقدرة القدرة التي لا تكون الامقازنة للمفعول فمن علم الله أنه لا يفعل الفعل لم تكن هذه القدرة ثابتة له . قال ومن هذا الباب تنازع الناس في الامر والارادة هل الله تعالى يأمر بما لا يريد أولا يأمر الا بما يريد؟ قال فان الارادة لفظ فيه اجمال يراد بالارادة الكونية الشاملة لجميع الحوادث كقول المسلمين ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، وكقوله تعالى : (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء) وقول نوح عليه السلام : (ولا ينفعكم نصحي ان أردت أن أنصح لكم ان كان الله يريد أن يغويكم) . فلا ريب أن الله تعالى يأمر العباد بما لا يريده بهذا التفسير والمعنى كما قال تعالى : (ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها) فدل على أنه لم يؤت كل نفس هداها مع أنه تعالى أمر كل نفس بهداها . قال شيخ الاسلام : وأما الارادة الدينية فهي بمعنى المحبة والرضى فهي ملازمة للامر كقوله تعالى : (يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم) . وكقول (بعض - ١) المسلمين هذا يفعل شيئا لا يريده الله اذا كان يفعل بعض الفواحش أي الله لا يحبه ولا يرضاه بل ينهى عنه ويكرهه . ثم

قدرة العبد على
ما علم الله انه
لا يكون

فالاعلم أن التأثير إذا فسر بوجود شرط (الحادث أو بسبب - ١) يتوقف حدوث الحادث به (٢) على سبب آخر وانتفاء موانع وكل ذلك بخلق الله تعالى فهذا حق ، وتأثير قدرة العبد في مقدورها ثابت بهذا الاعتبار ، وان فسر التأثير بأن المؤثر مستقل بالآثر من غير مشارك معاون ولا معاوق مانع فليس شيء من المخلوقات مؤثرا بل الله وحده خالق كل شيء فلا شريك له ولا ندله فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن (ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده) (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير) (ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له) الآية . ولما كان هذا المقام مشتملا على هذا الغموض والنزاع مما ذكرناه واضعاف اضعافه مما لم نذكره حسن قوله في تمة البيت ((فمى)) من وعاه يعيه حفظه وجمعه كاوعاه أى اجمع حواشى هذا الكلام واحفظ مضمون هذا النظام ((واستين)) أى اطلب البيان من مظانه والايضاح من مكانه فان قدرته تعالى القديمة وارادته الازلية الذاتية العظيمة كل منها انما يتعلق بالممكن الجائز كما فى التفصيل دون الواجب والمستحيل والله الموفق لسواء السبيل .

متعلق العلم والكلام

((والعلم)) أى علم الله تعالى ((والكلام)) أى كلامه سبحانه وتعالى أى كل واحد منهما قديم فعلمه تعالى واحد وجودى قديم باق ذاتى وكلامه تعالى قديم وجودى ذاتى ((قد تعلقا)) أى علم الله وكلامه أى كل واحد منهما قد تعلق ((بكل شيء)) من الاشياء من الجائزات والواجبات والمستحيلات فيجب شرعا أن يعلم أن علم الله غير متناه من حيث تعلقه اما بمعنى انه لا يقطع وهو واضح واما بمعنى انه لا يصير بحيث لا يتعلق بالمعلوم فانه بحيث بما هو غير متناه كالأعداد والاشكال ونعيم الجنة ، فهو شامل لجميع المتصورات سواء كانت واجبة كذاته وصفاته أو مستحيلة كشريك له تعالى أو ممكنة كالعالم بأسره الجزئيات من ذلك والكليات على ما هى عليه من جميع ذلك ، وانه واحد لا تعدد فيه ولا تكثر وان تعددت معلوماته

(١) ليس فى مخ (٢) زاد فى مخ « أو بسبب »

وتكثرت ، أما وجوب عموم تعلقه سمعا فمثل قوله تعالى : « والله بكل شيء عليم - عالم الغيب والشهادة لا يعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض - يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور - يعلم ما يسرون وما يعلنون » الى غير ذلك من الآيات القرآنية • وأما وجوب ذلك عقلا فلأن مقتضى للعالمية هو الذات اما بواسطة المعنى الذى هو العلم على ما هو مذهب الصغائية والسلف وهو الحق أو بدونها على ما هو رأى النفاة ، والمقتضى للمعلومية امكانها ، ونسبة الذات الى الكل على السواء ، فلو اقتصت عالميته بالبعض دون البعض لكان ذلك بمخصص وهو محال لامتناع احتياج الواجب فى صفاته وسائر كمالاته الى التخصيص لمنافاته لوجوب الوجود والغنى المطلق • وأما وجوب وحدته فلأن الناس جملة وتفصيلا انحصروا فى فريقين أحدهما أثبت العلم القديم مع وحدته ، والآخر نفاه ، ولم يذهب الى تعدد علوم قديمة أحد يعتمد عليه الا أبو سهل الصعلوكى من الاشاعرة حيث قال ان لله علوما لا نهاية لها كما ان متعلقاتها كذلك • وهو محجوج بالاجماع السابق لمقاتته • فان قيل كيف يستقيم القول بوحدة العلم مع كونه تعالى عالما بما كان وبما سيكون وبالكائن والعلم بذلك كذلك متغير • فالجواب ان البارى جل شأنه فى أزله يتعلق علمه بوجود الشيء مضافا الى محله المعين فالمضى والحال والاستقبال من عوارض الاخبار عن بعلق علمه تعالى لا ظروف للعلم لانه ليس بزمانى حتى يوصف بالماضى والحاضر والمستقبل • ومنشأ الشبهة من حيث الاخبار عن ذلك التعلق المخصوص بالقول اللفظى فان تقدم زمن الاخبار عنه على زمن وجود ذلك الفعل سمى الاخبار مستقبلا وان تأخر سمى ماضيا وان قارن سمى حالا وهى مسميات تعرض باعتبار الاخبار عنه • أما تعلق العلم بوجوده فى الزمان المعين فشيء واحد • وبعض الاشاعرة جعل للعلم تعلقين أزلى وتنجزى كالقدرة والارادة ، قال وتكون تلك الاخبار راجعة للتعلق التنجزى • قلت ومذهب السلف بمعزل عما يراد من هذا فان الله تعالى قديم وصفاته قديمة وأفعاله قديمة (١) وما يتخيل للعقل من أنواع التغيرات والتخالفات نسب واضافات بالنسبة لادراكاتنا والله تعالى الموفق •

« تنبيهات »

انكار الفلاسفة
علم الله تعالى
بالجزئيات

« الاول » زعمت الفلاسفة انه تعالى لا يعلم الجزئيات من حيث كونها جزئيات زمانية يلحقها التغير قالوا لان تغير المعلوم يستلزم تغير العلم وذلك يستلزم تغير الذات وهو محال على الله تعالى ، بيان لزوم ذلك انه لو كان عالما بأن زيدا جالس في المكان الفلاني فعند خروج زيد منه فاما أن يبقى ذلك العلم أو لا ، فان بقى لزم الجهل وان كان الثاني لزم التغير في علمه وهو قائم به فيلزم قيام الحوادث به وهو محال . والجواب اختيار الثاني وضع التغير في نفس العلم فان المتغير تعلقه لا نفسه (١) وتغاير الاضافات والنسب جائز . وأجاب الفلاسفة عن هذا مشايخ السنة ومشايخ المعتزلة بان علم البارى بأن الشيء سيوجد نفس العلم بأنه وجد فان من علم أن زيدا سيدخل البلد غدا فعند حصول الغد يعلم بهذا العلم أنه دخل البلد الآن وانما يحتاج أحدنا لعلم آخر لطريان الغفلة عن الاول والبارى منزه عن ذلك فلا يلزم من علمه بالجزئيات تغير أصلا في علمه تعالى . وهذه احدى ما كفر أهل الاسلام الفلاسفة بها . ولهم من أمثالها الطامات المضلات فلا يهولنك ما ينسب اليهم من المعارف ودقائق الافكار فما منهم الا المخالف أو على شفا جرف هار .

فرق المخالفين
في شمول العلم

« الثانى » خالف في احاطة علمه تعالى بسائر الاشياء فرق سوى الفلاسفة فقالت فرقة بأنه تعالى لا يعلم نفسه واحتجوا بأن العلم نسبة عارضة للعالم بالنسبة الى المعلوم ، قالت والنسبة انما تتحقق بين المتغايرين فلا تتحقق عند عدم المغايرة . والجواب عنه بأنه صفة لا نسبة بل صفة ذات ، وأيضا ينتقض ما زعموه بعلمنا فان كل واحد منا يعلم نفسه ضرورة مع عدم المغايرة « الثانية » زعمت بأنه تعالى وتقدس لا يعلم شيئا قالوا لانه لو علم شيئا علم علمه به وهو انما يكون بعد علمه بذاته ضرورة ، قالوا وقد علم امتناع علمه بذاته كما زعمت الفرقة الاولى ، وأيضا لو كان يعلم شيئا أمكن أن يعلم علمه به والا يلزم أن يكون واحدا عالما بالعلوم الهندسيات ولم يمكنه العلم بأنه عالم بها . وهذا يعلم فساده بنفس تصويره فلا يشتغل

برده لانه هذيان من قائله « الثالثة » زعمت بانه لا يعلم غيره لان العلم بشيء غير العلم بأخر فلو كان عالما بالغير وغيره غير متناه يلزم قيام العلوم الغير المتناهية بذاته وهو يوجب الكثرة فى الذات وهو محال • والجواب أن الكثرة فى المعلومات والتعلقات دون العلم وهذا بين « الرابعة » زعمت انه تعالى لا يعلم الشيء الغير المتناهى لان كل معلوم متميز عند العالم عن غيره وتميز غير المتناهى عن الغير انما يكون بأن يحيط به حد وغاية يكون الغير خارجا عنه ومتميزا وغير المتناهى لا يكون له حد وغاية والا يكون متناهى • والجواب أن المعقول (؟) كل واحد واحد من غير تناه وهو متميز وما هو غير متميز انما هو الكل من حيث هو غير متناه وهو لا يقدر فى المطلوب لان المطلوب علمه بغير المتناهى وهو حاصل عند العلم بكل واحد واحد «الخامسة» زعمت انه تعالى لا يعلم الاشياء كلها وقالت والالزم من علمه بشيء • علمه بالعلم بذلك الشيء وهلم جرا فيلزم التسلسل • والجواب ان هذا التسلسل فى الاضافات والنسب وهو غير محال وبالله التوفيق •

معنى تعلق علمه
تعالى بالمستحيل

« التثنية الثالث » معنى تعلق علمه تعالى بالمستحيل علمه تعالى باستحالته وانه لو تصور متصور وقوعه لزمه من الفساد كذا على ما أشار اليه بعض السلف بقوله : علم ما كان وعلم ما يكون وعلم ما لم يكن ان لو كان كيف كان يكون • وبهذا تميز عن علمنا بالمستحيل •

« الرابع » قال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه ان علم الله السابق محيط بالاشياء على ما هى عليه ولا محو فيه ولا تغيير ولا زيادة ولا نقص فانه سبحانه يعلم ما كان وما يكون وما لا يكون لو كان كيف كان يكون • قال وأما ماجرى به القلم فى اللوح المحفوظ فهل يكون فيه محو واثبات ؟ على قولين للعلماء • قال وأما الصحف التى بيد الملائكة فيحصل فيها المحو والاثبات • انتهى • ومثل العلم فى تعلقه بالواجب والجائز والمستحيل صفة الكلام فانه يتعلق بكل شيء من الثلاثة يعنى الواجب والممكن والمستحيل ((يا خليل)) أى يا صديقى ومحبى مشتق من الخلة وهى توحيد المحبة فالخليل هو الذى يوحد حبه لمحبوبه وهى رتبة لا تقبل المشاركة ولهذا اختص بها الخليلان ابراهيم ومحمد صلى الله عليهما وسلم • قال الامام

لا محو فى علمه
تعالى ولا تغيير
وانما المحو فى
صحف الملائكة

معنى الخلة

المحقق ابن القيم فى كتابه (روضة المحيين ونزهة المشتاقين) : انما سميت
خلة لتخلل المحبة جميع أجزاء الروح كما قال الشاعر :
قد تخللت مسلك الروح منى وبذا سمى الخليل خليلا

متعلق السمع والبصر

قال والخليل الصديق والانثى خليلة والخلافة مثلثة الصداقة والمودة
(مطلقا)) عن التقييد بواحد من الثلاثة بل يعمها جميعها ((وسمعه سبحانه))
وتعالى ((كالبصر)) منه جل شأنه فسمعه تعالى يتعلق ((بكل)) شىء
(مسموع و)) بصره سبحانه وتعالى يتعلق بـ ((كل)) شىء ((مبصر)) فهو
تعالى سميع بصير كما تقدم يسمع ويبصر بسمع وبصر قديمين ذاتين
وجوديين متعلقين بكل مسموع ومبصر كما ذكره علماءنا وأسندوه الى نصر
الامام احمد رضى الله عنه يعنى أن هاتين الصفتين متحديا المتعلق (١)
فتعلقان بالموجود واجبا كان أو ممكنا عينا كان أو معنى كليا كان أو جزئيا
مجردا كان أو ذا مادة مركبا أو بسيطاً ولا يلزم من اتحاد الصفة اتحاد
المتعلق (١) فالبصر يتعلق بجميع البصرات والسمع يتعلق بسائر الاصوات
وتقدم الكلام عليهما والله أعلم •

« فصل فى مبحث القرآن العظيم والكلام المنزل القديم (٢) »

فصل فى مبحث القرآن

اعلم رحمك الله أن الناس اختلفوا فى هذا الكتاب المنزل على النبى
المرسل صلى الله عليه وسلم ما نزل قطر وهطل ، فمذهب السلف الصالح
وأئمة أهل الاثر هو ما أشير اليه بقوله ((وان)) أى نجزم ونتحقق فهو
معطوف على قوله بأنه واحد البيت وما بعده فالواجب اعتقاده والملزوم اعتماده
بأن ((ما)) أى الوحى والكلام الذى ((جاء)) من الله ((مع جبريل)) الملك
المكرم أمين الله على وحيه لأنبيائه ورسله وفيه لغات عديدة منها جبرائيل
(وجبرئيل) كجبرئيل وكحزقييل كما فى النظم وجبرين بنون وغيرها ((من محكم
القرآن)) العظيم ((و)) محكم ((التنزيل)) الذى أنزله الله تعالى على نبيه
محمد صلى الله عليه وسلم بواسطة أمينه الفضيل الملك المعظم جبريل فهو
عطف مرادف ((كلامه سبحانه)) وتعالى ((قديم)) (١) قال الشيخ الامام

(١) تأمل (٢) تقدم ما فى هذا فى التعليق على المتن

أبو الحسن محمد بن عبد الملك الكرخي الشافعي في كتابه الذي سماه (الفصول في الأصول) سمعت الامام أبا منصور محمد بن احمد يقول سمعت الامام أبا بكر عبد الله بن أحمد يقول سمعت الشيخ أبا حامد الاسفرايني يقول مذهبي ومذهب الشافعي وفقهاء الامصار ان القرآن كلام الله غير مخلوق ومن قال مخلوق فهو كافر (١) والقرآن حمله جبريل عليه السلام مسموعا من الله تعالى ، والنبي صلى الله عليه وسلم سمعه من جبريل ، والصحابة رضى الله عنهم سمعوه من النبي صلى الله عليه وسلم . قال وهو الذي تتلوه نحن بألسنتنا وفيما بين الدفين وما في صدورنا مسموعا ومكتوبا ومحفوظا ومقروءا وكل حرف منه كالباء والتاء كلام الله غير مخلوق ومن قال مخلوق فهو كافر عليه لعائن الله والملائكة والناس اجمعين . انتهى كلامه بحروفه . وقد أخبر الله تعالى بتزييله وشهد بانزاله على رسوله فقال تعالى : (انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا) وقال : (وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا) وقال جل شأنه : (لكن الله يشهد بما أنزل اليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا) والمنزل على الرسول صلى الله عليه وسلم هو هذا الكتاب وقد أمر سبحانه بترييله فقال : (ورتل القرآن ترتيلا) (ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يلقى اليه وحيه) وقال : (لا تحرك به لسانك لتعجل به) وامر سبحانه بقراءته والاستماع له والانصات اليه وأخبر انه يسمع ويتلى فقال (حتى يسمع كلام الله) وقال (فاقرأوا ما تيسر من القرآن) (واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا) وكل هذا من صفات هذا الموجود عندنا لا من صفات ما في النفس الذي لا يظهر لحس ولا يدري ما هو . وأخبر سبحانه ان منه سورا وآيات وكلمات ، قال الامام الموفق في كتابه « البرهان في حقيقة القرآن » القرآن كتاب الله العربي الذي أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم فهو كتاب الله الذي هو هذا الذي هو سور وآيات وحروف وكلمات بغير خلاف قال تعالى : (تلك آيات الكتاب المبين ، انا جعلناه قرآنا عربيا) (حم والكتاب المبين ، انا جعلناه قرآنا عربيا)

الآيات في هذا كثيرة جدا وكذا الاحاديث النبوية والاختبار الانثوية كقوله صلى الله عليه وسلم « ان هذا القرآن جبل الله وهو النور المبين والشفاء النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه - الحديث وفيه - فاتلوه فان الله يؤجركم على تلاوته بكل حرف عشر حسنة ، الا انى لا أقول : الم حرف ولكن ألف عشر ولام عشر وميم عشر » وقال صلى الله عليه وسلم : « من قرأ القرآن فأعرب به فله بكل حرف عشر حسنة ومن قرأه فله بكل حرف عشر حسنة » وأجمع المسلمون على أن القرآن أنزل على محمد وانه معجزة النبي صلى الله عليه وسلم المستمرة السدى يحدى الله الخلق بالآيات بمثله فجزوا ، وأجمعوا على أنه يقرأ ويسمع ويحفظ ويكتب وكل هذه الصفات لا تعلق لها بالكلام النفسى . قال شيخ الاسلام ابن تيمية فى قاعدته التى فى بيان ان القرآن كلام الله تعالى ليس شىء منه كلاما لغيره لا جبريل ولا محمد ولا غيرهما قال فى قوله تعالى : (فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) الى قوله (قل نزله روح القدس من ربك بالحق) بيان لنزول جبريل به من الله فان روح القدس هذا جبريل بدليل قوله (من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله) وهو الروح الامين فى قوله تعالى : (وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربى مبين) وفى قوله « الامين » دلالة على أنه مؤتمن على ما أرسل به لا يزيد فيه ولا ينقص منه فان الرسول الخائن قد يغير الرسالة . وقال فى صفته فى الآية الاخرى : (انه لقول رسول كريم ذى قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثم أمين) وفى قوله : « قل نزله روح القدس - منزل من ربك » دلالة على أمور ، منها بطلان قول من يقول انه كلام مخلوق خلقه فى جسم من الاجسام المخلوقة كما هو قول الجهميين الذين قالوا بخلق القرآن من المعتزلة والنجارية والضرارية وغيرهم فان السلف كانوا يسمون كل من نفى الصفات وقال ان القرآن مخلوق وان الله لا يرى فى الآخرة جهما لأن بدعة نفى الاسماء والصفات أول ما ظهرت من جهم فانه بالغ فى نفى ذلك فله فى هذه البدعة مزية المبالغة وكثرة اظهار ذلك والدعوة اليه وان

كان الجعد بن درهم قد سبقه الى بعض ذلك فانه اول من أحدث ذلك في الاسلام فضحى به خالد بن عبد الله القسرى بواسطة يوم النحر فقال ايها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم فاني مضح بالجعد بن درهم فانه زعم ان الله لم يتخذ ابراهيم خليلا ولم يكلم موسى تكليما تعالى الله عما يقول الجعد علوا كبيرا - ثم نزل فذبحه • فالمعتزلة وان وافقوا جهما على بعض ذلك فهم يخالفونه في مسائل غير ذلك كمسائل الايمان بالقدر وبعض مسائل الصفات ولا يبالبون في النفي مبالغته فان جهما يقول ان الله لا يتكلم أو يتكلم بطريق المجاز ، وأما المعتزلة فيقولون يتكلم حقيقة لكن قولهم في المعنى هو قول جهم ، وجهم ينفي الاسماء كما نفتها الباطنية ومن وافقهم من الفلاسفة بخلاف المعتزلة فلا ينفون الاسماء ، وفي قوله تعالى : « منزل من ربك » دلالة على بطلان قول من يجعله فاض على نفس النبي صلى الله عليه وسلم من العقل الفعال أو غيره كما يقوله طوائف من الفلاسفة والصابئة ، وهذا القول أعظم كفرا من الذي قبله • وفيها دلالة أيضا على بطلان قول من يقول ان القرآن العربي ليس منزلا من الله بل مخلوق اما في جبريل او محمد او في جسم آخر كالهواء كما يقول ذلك الكلابية والاشعرية القائلين بأن القرآن العربي ليس هو كلام الله وانما كلامه المعنى القائم بذاته والقرآن العربي خلق ليدل على ذلك المعنى وهذا يوافق قول المعتزلة ونحوهم في اثبات خلق القرآن العربي • قلت ذكر جماعة من محققى الاشعرية كالسعد التفتازانى والجلال الدوانى وشرح جواهر العصد لتلميذه الكرمانى انه لا نزاع بين الاشاعرة وبين المعتزلة في تسمية الله تعالى متكلمًا بمعنى انه يوجد الاصوات والحروف في الغير وهو اللوح المحفوظ أو جبريل أو النبي صلى الله عليه وسلم وانما النزاع أن المعتزلة لم يشتوا غير هذه الاصوات والحروف الموجودة في الغير معنى قائما بذات البارى ، قالوا ونحن - يعنى معاشر الاشاعرة - نشبه فانهم يقولون كلام الله تعالى معنى قائم بذات البارى تعالى معبر عنه بالعبارات والالفاظ وهو الطلب الذى يجد كل واحد منا عند الامر بالشىء قبل التلفظ بصيغة اقل ، قالوا فهو بغير العبارات والعلم والارادة ، أما العبارات فلانها تختلف بحسب الازمنة

والاقوام دون المعنى القائم بذاته تعالى ، وأما العلم فلانه تعالى أمر أبا لهب
بالايمان وكان عالما بأنه لا يؤمن لان معلومه تعالى واجب الوقوع فلو كان
ايمان ابي لهب واقعا في علمه تعالى لوقع ، ولم يقع ، وأما الارادة فلانه
تعالى أمره به ولم يرده ولذلك لم يقع ، قالوا فما قالت المعتزلة على حدوث
الكلام لا ينفى قولنا بقدمه ، لان ما قالوا في حدوثه وجهان معقول ومنقول
فالمعقول انه لو كان قديما يلزم تحقق الامر بلا مأمور وهو سفسه وعبث
وهذا انما يدل على حدوث لفظه لا على حدوث المعنى القائم بذاته لان معنى
أمره في الازل انه تعالى يطلب في الازل المأمور به من المأمورين عند وجودهم
في اللايزال كطلب الوالد التعلم من ولد سيوجد ولا سفسه في ذلك ولا
عبث ، قالوا والمنقول ان القرآن ذكر والذكر محدث . ونقلوا من جنس هذا
الكلام ضروبا . والحاصل ان المعتزلة موافقة الاشعرية والاشعرية موافقة
المعتزلة في ان هذا القرآن الذي بين دفتي المصحف مخلوق محدث وانما
الخلاف بين الطائفتين ان المعتزلة لم تثبت لله كلاما سوى هذا والاشعرية
أثبتت الكلام النفسى القائم بذاته تعالى ، وان المعتزلة يقولون ان المخلوق
كلام الله والاشعرية لا يقولون انه كلام الله نعم يسمونه كلام الله مجازا
هذا قول جمهور متقدميهم . وقالت طائفة من متأخريهم لفظ الكلام يقال
على هذا المنزل الذي نقرؤه ونكتبه في مصاحفنا وعلى الكلام النفسى
بالاشتراك اللفظى . قال شيخ الاسلام ابن تيمية لكن هذا ينقض أصلهم في
ابطال قيام الكلام بغير المتكلم به وهم مع هذا لا يقولون ان المخلوق كلام
الله حقيقة كما يقوله المعتزلة مع قولهم انه كلامه حقيقة بل يجعلون القرآن
العربى كلاما لغير الله وهو كلامه حقيقة . قال شيخ الاسلام وهذا شر من
قول المعتزلة وهذا حقيقة قول الجهمية ، ومن هذا الوجه فقول المعتزلة
أقرب . قال وقول الآخرين هو قول الجهمية المحضه لكن المعتزلة في
المعنى موافقون لهؤلاء وانما ينازعونهم في اللفظ الثانى اذ هؤلاء يقولون
لله كلام هو معنى قديم قائم بذاته والحلقة يقولون لا يقوم بذاته كلام ،
ومن هذا الوجه فالكلابية خير من الخلقية في الظاهر ، لكن جمهور
المحققين من علماء السلف يقولون ان أصحاب هذا القول عند التحقيق

موافقة الاشعرية
للمعتزلة

لم يثبتوا كلاما له حقيقة غير المخلوق لانهم يقولون عن الكلام النفسى انه معنى واحد هو الامر والنهى والخبر ان عبر عنه بالعربية كان قرآنا وان عبر عنه بالعبرية كان توراة وان عبر عنه بالسريانية كان انجيلا، وجمهور العقلاء يقولون ان فساد هذا معلوم بالضرورة بعد التصور التام فانا اذا عربنا التوراة والانجيل لم يكن معناهما معنى القرآن بل معانى هذا ليست معانى هذا وكذلك « قل هو الله أحد » ليس هو معنى « تبت يدا أبى لهب » ولا معنى آية الكرسي آية الدين ، وقالوا اذا جوزتم أن تكون الحقائق المتنوعة شيئا واحدا فجوزوا أن يكون العلم والقدرة والكلام والسمع والبصر صفة واحدة ، فاعترف أئمة هذا القول بأن هذا الالزام ليس لهم عنه جواب عقلى ، ثم منهم من قال الناس فى الصفات اما مثبت لها واما ناف لها واما اثباتها واتحادها فبخلاف الاجماع ، وممن اعترف بأن ليس له عنه جواب أبو حسن الآمدى وغيره من المحققين والمقصود ان النص القرآنى يبين فساد هذا القول فان قوله : « نزله روح القدس من ربك » يقتضى نزول القرآن من رب العالمين والقرآن اسم لهذا الكتاب العربى لفظه ومعناه بدليل قوله : « فاذا قرأت القرآن » فانه انما يقرأ القرآن العربى لا معانيه المجردة وأيضا فضمير المفعول فى قوله «نزله» عائد الى ما فى قوله تعالى : « والله أعلم بما ينزل » فالذى أنزله الله هو الذى أنزله روح القدس فاذا كان روح القدس نزل بالقرآن العربى لزم أن يكون نزله من الله فلا يكون شىء منه نزله من عين من الاعيان المخلوقة ولا نزله من نفسه وأيضا فانه قال تعالى عقب هذه الآية : (ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر لسان الذى يلحدون اليه وأعجمى وهذا لسان عربى مبين) وهذا ظاهر الدلالة على بطلان زعمهم فقد اشتهر فى التفسير ان بعض الكفار كانوا يزعمون أن محمدا صلى الله عليه وسلم تعلم القرآن من شخص كان بمكة أعجمى قيل انه كان مولى لابن الحضرمى فاذا كان الكفار جعلوا السدى يعلمه ما نزل به روح القدس بشرا والله جل وعز أبطل ذلك بان لسان ذلك أعجمى وهذا لسان عربى مبين علم ان روح القدس نزل باللسان العربى المبين وأن محمدا لم يؤلف نظم القرآن بل سمعه من روح القدس

وإذا كان روح القدس نزل به من الله علم انه سمعه منه تبارك وتعالى لم يؤلفه روح القدس وهذا بيان من الله تعالى ان القرآن الذى هو باللسان العربى المبين سمعه روح القدس من الله سبحانه وتعالى ونزل به منه وقد قال تعالى : (وهو الذى أنزل اليكم الكتاب مفصلا والذين آتيناكم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين) والكتاب اسم للقرآن العربى بالضرورة والاتفاق فان الكلاية أو بعضهم ومن وافقهم يفرقون بين كلام الله وكتاب الله ، فيقولون كلامه هو القائم بالذات وهو غير مخلوق وكتابه المنظوم المؤلف من الحروف العربى وهو مخلوق ، والقرآن يراد به هذا تارة وهذا تارة • وقد سمي الله تعالى نفس مجموع اللفظ والمعنى قرآنا وكتبا وكلاما فقال تعالى : (الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين) وقال (طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين) وقال (واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن) الى قوله تعالى (يا قومنا انا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى) فيبين ان الذى سمعوه هو القرآن وهو الكتاب وقال (بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ) (انه لقرآن كريم فى كتاب مكنون) والمقصود ان قوله تعالى (وهو الذى أنزل اليكم الكتاب مفصلا) يتناول نزول القرآن العربى على كل قول وقد أخبر تعالى (ان الذين آتيناكم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق) اخبار مستشهد بهم لا مكذب لهم وقال انهم يعلمون ذلك ولم يقل انهم يظنونه أو يقولونه والعلم لا يكون الا حقا مطابقا للمعلوم بخلاف القول والظن الذى ينقسم الى حق وباطل فعلم ان القرآن العربى منزل من الله تعالى لا من الهواء ولا من اللوح ولا من جسم آخر ولا من جبريل ولا من محمد عليهما السلام ولا من غيرهما فمن لم يقر بذلك من هذه الامة كان أهل الكتاب خيرا منه من هذا الوجه • فان قلت قد جاء عن ابن عباس رضى الله عنهما وغيره من السلف فى تفسير قوله تعالى : (انا انزلناه فى ليلة القدر) أنزل الى بيت العزة فى السماء الدنيا ثم أنزله بعد ذلك منجما مفرقا بحسب الحوادث وقد أخبر الله تعالى ان القرآن الكريم مكتوب فى اللوح المحفوظ قبل نزوله كما قال تعالى : (بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ) وقال تعالى : (انه

لقرآن كريم في كتاب مكنون لا يمسه الا المطهرون) وقال تعالى : (كلا انها تذكرة فمن شاء ذكره في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بأيدي سفرة كرام بررة) وقوله تعالى : (وانه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم) فالجواب أن كون القرآن العظيم مكتوبا في اللوح المحفوظ وفي الصحف المطهرة بأيدي الملائكة الكرام لا ينافي أن يكون جبريل نزل به من الله تعالى سواء كتبه الله قبل أن يرسل به جبريل أو بعد ذلك وإذا كان قد أنزله مكتوبا الى بيت العزة جملة واحدة ليلة القدر فقد كتبه كله قبل أن ينزله . قاله شيخ الاسلام ابن تيمية ، وقال والله تعالى يعلم ما كان وما يكون وما لا يكون لو كان كيف كان يكون وهو تعالى قدر مقادير الخلائق وكتب أعمال العباد قبل أن يعملوها كما ثبت ذلك في الكتاب والسنة وآثار السلف ، ثم انه يأمر الملائكة بكتابتها بعدما يعملونها فيقابل بين الكتابة المتقدمة على الوجود والكتابة المتأخرة عنه فلا يكون بينها تفاوت ، هكذا قال ابن عباس رضي الله عنهما وغيره من السلف ، وهو حق فاذا كان ما يخلقه باثنا عنه قد كتبه قبل أن يخلقه فكيف يستبعد أن يكون كلامه الذي يرسل به ملائكته مكتوبا قبل أن يرسلهم به . ومن زعم ان جبريل أخذ القرآن من الكتاب ولم يسمعه من الله تعالى كان هذا باطلا من وجوه منها ان الله تعالى قد كتب التوراة لموسى عليه السلام بيده فبنو اسرائيل أخذوا كلام الله من الكتاب الذي كتبه الله سبحانه فيه فان كان محمد أخذ عن جبريل وجبريل عن الكتاب كان بنو اسرائيل أعلى من محمد صلى الله عليه وسلم بدرجة ، وهكذا من قال انه ألقى الى جبريل معاني القرآن وان جبريل عبر عنها بالكلام العربي فقولوه يستلزم أن يكون جبريل الهمة الهاما وهذا الالهام لآحاد المؤمنين كما قال تعالى : (واذا أوحيت الى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي) (وأوحينا الى أم موسى أن أرضعيه) وقد أوحى الى سائر النبيين فيكون هذا الوحي الذي يكون لآحاد الانبياء والمؤمنين أعلى من أخذ محمد صلى الله عليه وسلم القرآن العظيم عن جبريل عليه السلام لان جبريل هو الذي علمه لمحمد بمنزلة الواحد من هؤلاء ، ولهذا زعم بعض الصوفية أن خاتم الاولياء أفضل من خاتم الانبياء ، وزعم انه يأخذ من

المعدن الذى يأخذ منه الملك الذى يوحى به الى الرسول ، فجعل أخذه .
وأخذ الملك الذى جاء الى الرسول من معدن واحد ، وادعى ان أخذه عن
الله أعلى من أخذ الرسول للقرآن . قال شيخ الاسلام ابن تيمية ومعلوم
ان هذا من أعظم الكفر قال وهذا القول من جنسه .

والآيات القرآنية تدل دلالة صريحة على أن القرآن منزل من الله لا من
غيره كقوله تعالى : (تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم) (حم تنزيل
الكتاب من الله العزيز العليم) (حم تنزيل من الرحمن الرحيم) وكذا
قوله : (بلغ ما أنزل اليك من ربك) وأيضا الكلاية يقولون انه معنى واحد
فان كان موسى سمع جميع المعنى فقد سمع جميع كلام الله وان سمع
بعضه فقد تبعض وكلاهما ينقض عليهم قولهم فانهم يقولون انه معنى واحد
لا يتعدده ولا يتبعض فان كان ما يسمعه موسى والملائكة هو ذلك المعنى كله
كان كل من موسى والملائكة سمع جميع كلام الله وكلامه متضمن لجميع
خبره وجميع أمره فيلزم أن يكون كل واحد ممن كلمه الله تعالى أو أنزل
عليه شيئا من كلامه عالما بجميع أخبار الله وأوامره وهذا معلوم الفساد
بالضرورة ، وان كان الواحد من هؤلاء انما يسمع بعضه فقد تبعض كلامه
وذلك مناقض لقولهم . وأيضا فقول الله تعالى : (وكلم الله موسى تكليما)
(ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه) (وناديناه من جانب الطور الايمن
وقربناه نجيا) (فلما أتاها نودى يا موسى انى أنا ربك فأخضع نفسك انك
بالوادي المقدس طوى وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى) الآيات دليل على
تكليم يسمعه موسى والمعنى المجرد لا يسمع بالضرورة ومن قال انه يسمع
نهو مكابر ، ودل الدليل على انه ناداه والنداء لا يكون الا صوتا مسموعا
فلا يعقل فى لغة العرب لفظ النداء لغير صوت مسموع لا حقيقة ولا مجازا
كما تقدم . وذكر الامام الموفق فى البرهان ن الله تعالى لما كلم موسى
عنه السلام فناده ربه يا موسى فأجاب سريعا استثناسا بالصوت ليك ليك ،
أسمع صوتك ولا أرى مكانك فأين أنت ؟ قال : « يا موسى أنا فوقك وعن
يمينك وعن شمالك وأمامك وعن ورائك » فعلم ان هذه الصفة لا تكون
الا لله تعالى قال فكذلك أنت يا الهى أفكلامك أسمع أم كلام رسولك ؟

فإن : بل كلامى يا موسى • كما فى الخبر • قال وجاء فى خبر آخر أن بنى اسرائيل قالوا يا موسى بم شبهت صوت ربك • قال انه لا شسبه له • قال وروى أن موسى عليه السلام لما كلمه ربه ثم سمع كلام الآدميين مقتهم لما وفر فى مسامعه من كلام الله تعالى • قال الامام الموفق وهذـه الاخبار ونحوها لم تنزل متداولة بين أهل العلم من الصحابة والتابعين يروونها بعضهم عن بعض لم ينكرها منكر فيكون اجماعا • كذا قال •

اعجاز القرآن

ولما بين الناظم أن القرآن العظيم الذى أنزله الله تعالى مع جبريل عليه السلام الى النبى الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم وأثبت أنه كلام الله وأنه قديم أعقب ذلك بعض نعوت هذا الكتاب المنزل على النبى المرسل فقال ((أعيا)) أى أعجز ((الورى)) أى جميع الخلق من الانس والجن قال فى القاموس الورى كفتى الخلق ((بالنص)) القرآنى والتنزيل الرحمانى ((ياعليم)) أى يا عالم (يعنى-١) المبالغ فى العلم فان العليم صفة مبالغة كما هو معروف قال تعالى (قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) فتحدى الخلق بالآيات بمثله وقال تعالى (أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون * فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين) فلما عجزوا عن الآيات بمثله تحداهم بعشر سور فقال جل شأنه (قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات) فلما عجزوا تحداهم بالآيات بسورة واحدة فقال تعالى (قل فأتوا بسورة من مثله) أى من مثل القرآن العظيم فعجزوا وفى قوله تعالى (أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين) غاية التحدى والتبكيـت والرد عليهم والتنكيـت أى ان كانوا صادقين فى زعمهم أن النبى صلى الله عليه وسلم تقول القرآن العظيم فليأتوا بحديث مثله فانه اذا كان محمد صلى الله عليه وسلم قادرا على أن يتقوله كما يقدر الانسان أن يتكلم بما يتكلم به من نظم ونثر كان هذا ممكنا للناس الذين هم من جنسه فيمكن الناس أن يأتوا بمثله ولما تحداهم الله تعالى بسورة واحدة فى قوله (قل فأتوا بسورة من مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين) بعد أن تحداهم بالآيات بعشر

سورهم ومن استطاعوا قال جل شأنه (فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا انما
أنزل بعلم الله وان لا اله الا هو فهل أنتم مسلمون) كما قال (لكن الله
يشهد بما أنزل اليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا)
أى هو سبحانه يعلم أنه منزل لا يعلم أنه مفترى كما قال (وما كان هذا
القرآن أن يفترى من دون الله) أى ما كان لأن يفترى ، يقول ما كان
ليفعل هذا فلم ينف مجرد فعله بل نفى احتمال فعله ، وأخبر بأن مثل هذا
لا يقع بل يمتنع وقوعه فيكون المعنى لا يمكن ولا يحتمل ولا يجوز أن
يفترى هذا القرآن من دون الله فان الذى يفتريه من دون الله مخلوق
(وليس فى طوق) أى ليس فى وسع ((الورى)) من جميع الخلق
وطاقتهم فالطوق الوسع والطاقة كما فى القاموس ، وفى حديث أبى قتادة
رضى الله عنه ومراجعتة النبى صلى الله عليه وسلم فى الصوم فقال النبى
عليه الصلاة والسلام « وددت انى طوقت ذلك » أى ليته جعل داخلا فى
طاقتى وقدرتى ، ولم يكن عاجزا عن ذلك غير قادر عليه لضعف فيه ولكن
يحتمل أنه خاف العجز عنه للحقوق التى تلزمه لنسائه فان ادامة الصوم
تخل بحظوظهن منه كما فى النهاية • ومنه حديث عامر بن فهيرة رضى الله
عنه : كل امرئ مجاهد بطوقه • أى أقصى غايته وهو اسم لمقدار مايمكن
أن يفعله بمشقة منه ، فالمعنى ليس فى قدرة الخلق ولا طاقتهم ولو بذلوا
جهدهم بغاية ما يمكنهم ولو مع تمام المشقة الحاصلة لهم ((من أصله))
أى الورى يعنى الخلق أى من أولهم الى آخرهم • ويحتمل وهو المراد انه
ليس فى طوق الخلق من الاصل ((أن يستطيعوا)) الاتيان بأقصر ((سورة))
من القرآن فليس فى طوق جميع الخلق من أصل خلقتهم وجبلتهم وقدرتهم
واستطاعتهم من غير أن يسلبهم الله تعالى ذلك الاتيان بأقصر سورة ((من
مثله)) أى القرآن كما تحدى الديان أهل الفصاحة والبلاغة واللسن وذوى
الرزانة والدراية والفظن فاعترفوا بالعجز عن الاتيان بمثل أقصر سورة
فى القرآن • قال الامام الحافظ ابن الجوزى رحمه الله تعالى لما تحيروا
عند سماع القرآن وأدهشهم أسلوبه نودى عليهم بالعجز عن مماثلته بقوله
(فاتوا بسورة من مثله) انتهى • هذا وهم مصابيح الكلام وبلغاء النشر والنظام

فعدلوا عن مصافحة اللسان الى مقارعة السنان • قال شيخ الاسلام ابن تيمية فى كتاب - الجواب الصحيح - وهذا التحدى كان بمكة فان سورة يونس وهود والطور من المكى ثم أعاد التحدى فى المدينة بعد الهجرة فقال فى سورة البقرة وهى مدنية (وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين) ثم قال (فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين) فذكر أمرين (أحدهما) قوله فان لم تفعلوا فاتقوا النار يقول اذا لم تفعلوا فقد علمتم أنه حق فخافوا الله أن تكذبوه فيحقيق بكم العذاب الذى وعدته المكذبين ، وهذا دعاء الى سبيل ربه بالوعظة الحسنة بعد أن دعاهم بالحكمة وهو جدالهم بالتي هى أحسن (والثانى) قوله ولن تفعلوا ولن لنفى المستقبل فنثبت أنهم فيما يستقبل من الزمان لا يأتون بسورة من مثله كما أخبر قبل ذلك وأمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقول فى سورة « سبحان » وهى مكية افتتحها بذكر الاسراء وهو كان بمكة بنص القرآن والخبر المتواتر (قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) فعم بأمره له أن يخبر بالخبر جميع الخلق معجزا لهم قاطعا بأنهم اذا اجتمعوا كلهم لا يأتون بمثل هذا القرآن ولو تظاهروا وتعاونوا على ذلك وهذا التحدى لجميع الخلق وقد سمعه كل من سمع القرآن وعرفه الخاص والعام ، وعلم مع ذلك انهم لم يعارضوه ولا أتوا بسورة من مثله ومن حين بعث صلى الله عليه وسلم والى اليوم الامر على ذلك مع ما علم من أن الخلق كانوا كلهم كفارا قبل أن يبعث ولما بعث انما تبعه قليل وكان الكفار من أحرص الناس على ابطال قوله مجتهدين بكل طريق يمكن ، تارة يذهبون الى أهل الكتاب فيسألونهم عن أمور من الغيب حتى يسألوه عنها كما سألوه عن قصة يوسف وأهل الكهف وذى القرنين ، ويجتمعون فى مجمع بعد مجمع على ما يقولونه فيه ، وصاروا يضربون له الامثال فيشبهونه بمن ليس بمثله لمجرد شبه ما مع ظهور الفرق فتارة يقولون مجنون وتارة ساحر وكاهن وشاعر الى أمثال ذلك من الاقوال التى يعلمون هم وغيرهم من كل عاقل يسمعها انها

افترأ عليه ، فاذا كان قد تحداهم بالمعارضة مرة بعد مرة وهي تبطل دعواهم فمعلوم انهم لو كانوا قادرين عليها لفعلوها فانه مع وجود هذا الداعى التام المؤكد اذا كانت القدرة حاملة وجب وجود المقدور . ثم هكذا القول فى سائر الارض فهذا يوجب علما بينا لكل أحد بعجز جميع أهل الارض عن أن يأتوا بمثل هذا القرآن بحيلة وبغير حيلة ، وهذا أبلغ من الآيات التى تكرر جنسها كاحياء الموتى فان هذا لم يأت أحد بنظيره فأقدمه صلى الله عليه وسلم فى أول الامر على هذا التحدى وهو بمكة واتباعه قليل على أن يقول خبرا يقطع به انه لو اجتمع الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله فى ذلك العصر وفى سائر الاعصار المتأخرة لا يكون الا مع جزمه بذلك وتقنه له ، والا فمع الشك والظن لا يقول ذلك من يخاف أن يظهر كذبه فيفتضح فيرجع الناس عن تصديقه ، واذا كان جازما بذلك متيقنا له لم يكن ذلك الا عن اعلام الله تعالى له بذلك وليس فى العلوم المعتادة أن يعلم الانسان ان جميع الخلق لا يقدرّون أن يأتوا بمثل كلامه الا اذا علم العالم انه خارج عن قدرة البشر والعلم بهذا يستلزم كونه معجزا . قال شيخ الاسلام رحمه الملك العلام : ونفس نظم القرآن وأسلوبه عجيب بديع ليس من جنس أساليب الكلام المعروفة ولم يأت أحد بنظير هذا الاسلوب فانه ليس من جنس الشعر والرجز ولا الرسائل والخطابة ولا نظمه نظم شيء من كلام الناس عربهم وعجمهم ، ونفس فصاحة القرآن وبلاغته عجيب خارق للعادة وليس له نظير فى كلام جميع الخلق - يعنى من لدن آدم والى الآن وهذا نهاية الاعجاز وبالله التوفيق

فوائد

معنى التحدى

(الاولى) التحدى المعارضة والتحدى هو الذى يتحدى الناس أى يدعوهم ويعبثهم الى أن يعارضوه فيقال فيه حدانى على هذا الامر أى بعثنى عليه ومنه سمي حادى العيس لانه بحدائه يبعثها على السير . قال شيخ الاسلام فى الجواب الصحيح وقد يريد بعض الناس بالتحدى دعوى النبوة ولكن أصله الاول انتهى . . . وفى القاموس : احدى تعمد شيئا كتحدها والحديا بالضم وفتح الدال المهملة المنازعة والمباراة

(الثانية) ما قد أشرت اليه في قولى وليس في طوق الورى من أصله الخ
أى ليس فى وسع البشر ولا سائر الخلق ولا فى أصل خلقتهم وجبلتهم
القدرة على أن يأتوا بمثل أقصر سورة من القرآن العظيم والذكر الحكيم
فانه معجز فى نفسه فليس فى وسع الخلق ولا قدرتهم على مضاهاته • قال
الحافظ أبو الفرج ابن الجوزى فى كتابه الوفاء : وكان المرتضى العلوى
يقول بالصرقة - يعنى أن الله تعالى صرف العرب عن الاتيان بمثله لا أنهم
عجزوا • قال الامام أبو الوفاء ابن عقيل : الصرف عن الاتيان بمثله دال
على أن لهم قدرة حاصله ، قال وان كان فى الصرف نوع اعجاز الا أن كون
القرآن فى نفسه ممتنعا عن الاتيان بمثله لمعنى يعود عليه آكد فى الدلالة
وأعظم لفضيلة القرآن ، قال وما قول من قال بالصرقة الا بمثابة من قال
بأن عيون الناظرين الى عصا موسى عليه السلام خيل لهم انها حية وبعبان
لا انها فى نفسها انقلبت ، قال فالتحدى للمصروف عن الشيء لا يحسن
كما لا يتحدى العجم بالعربية • قال الحافظ ابن الجوزى وأنا أقول انما
يصرفون عن الشيء بتغير طباعهم عند نزوله أن يقدروا على مثله فهل وجد
لأحد منهم قبل الصرقة منذ وجدت العرب كلام يقاربه مع اعتمادهم على
الفصاحة ؟ فالقول بالصرقة ليس بشيء • وقال شيخ الاسلال فى (الجواب
الصحيح) : كل ما ذكره الناس من الوجوه فى اعجاز القرآن حجة على
اعجازه و لاتناقض فى ذلك بل كل قوم تنبهوا لما تنبهوا له ، ثم قال ومن
أضعف الاقوال قول من يقول من أهل الكلام انه معجز بصرف الدواعى
مع قيام الموجب لها أو بسلب القدرة الجازمة وهو أن الله تعالى صرف قلوب
الامم عن معارضته مع قيام المقتضى التام أو سلبهم القدرة المعتادة فى مثله
سلبا عاما مثل قوله لذكريا (آيتك أن لا تكلم الناس ثلاث ليال سويا) فان
هذا يقال على سبيل التقدير والتنزيل وهو انه اذا قدر أن هذا الكلام يقدر
الناس على الاتيان بمثله فامتناعهم جميعهم عن هذه المعارضة مع قيام الدواعى
العظيمة الى المعارضة من أبلغ الآيات الخارقة للعادة بمنزلة من يقول انى
أخذ جميع أموال أهل هذا البلد العظيم وأضربهم جميعهم وأجوعهم وهم
قادرون على أن يشتكوا الى الله والى ولى الامر وليس فيهم مع ذلك من

يشتكى فهذا من أبلغ العجائب الخارقة للمادة ، ولو قدر أن أحدا صنف كتابا
يقدر أمثاله على تصنيف مثله أو قال شعرا يقدر أمثاله على أن يقولوا مثله
وتحداهم كلهم فقال عارضوني وان لم تعارضوني فأنتم كفار مأواكم
النار ودماؤكم حلال امتنع في العادة أن لا يعارضه أحد فاذا لم يعارضوه
كان هذا من العجائب الخارقة للعادة ، والذي جاء بالقرآن صلى الله عليه
وسلم قال للخلق كلهم أنا رسول الله اليكم جميعا ومن آمن بي دخل الجنة
ومن لم يؤمن بي دخل النار وقد أبيض لى قتل رجالهم وسبى ذراريهم وغنيمة
أموالهم ووجب عليهم كلهم طاعتي ومن لم يطعنى كان من أشقى الخلق
ومن آياتى هذا القرآن فانه لا يقدر أحد على أن يأتى بمثله وأنا أخبركم
أن أحدا لا يأتى بمثله • فانه لا يخلو اما أن يكون الناس قادرين على
المعارضة أو عاجزين فان كانوا قادرين ولم يعارضوه بل صرف الله دواعى
قلوبهم ومنعها أن تريد معارضته مع هذا التحدى العظيم أو سلبهم القدرة
التي كانت فيهم قبل تحديه فان سلب القدرة المعتادة أن يقول رجل معجزتى
انكم كلكم لا يقدر أحد منكم على الكلام ولا على الاكل والشرب فان المنع
من المعتاد كاحداث غير المعتاد فهذا من أبلغ الخوارق ، وان كانوا عاجزين
ثبت أنه خارق للعادة فثبت كونه خارقا للعادة على تقدير النقيضين النفسى
والاثبات فثبت أنه من العجائب الناقضة للعادة فى نفس الأمر • قال شيخ
الاسلام قدس الله سره فهذا غاية التنزل ، قال والا فالصواب المقطوع به أن
الخلق كلهم عاجزون عن معارضته لا يقدرون على ذلك • قال بل ولا
يقدر محمد نفسه صلى الله عليه وسلم من تلقاء نفسه على أن يبدل سورة
من القرآن بل يظهر الفرق بين القرآن وبين سائر كلامه لكل من له أدنى
تدبر كما أخبر به تعالى فى قوله (قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن
يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) •
قلت وفى شفاء أبى الفضل القاضى عياض بعض ميل للقول بالصرقة فانه
قال : وذهب الشيخ أبو الحسن - يعنى الأشعرى - الى أنه مما يمكن أن يدخل
مثله تحت مقدور البشر ويقدرهم الله عليه ولكنه لم يكن هذا ولا يكون
فمنعهم الله هذا وعجزهم عنه • قال وقال به جماعة من أصحابه • قال وعلى

الطريقين فجزج العرب عنه واقامة الحججة عليهم بما يصح أن يكون في مقدور البشر وتحداهم بأن يأتيوا بمثله قاطع . قال وهو أبلغ في التعجب وأحرى بالتقريع والاحتجاج بمجىء بشر مثلهم بشيء ليس من قدرة البشر لازم وهو ابهر آية وأقنع دلالة وعلى كل حال فما أتوا في ذلك بمقال بل صبروا على الجلاء والقتل وتجرعوا كأسات الصغار والذل وكانوا من شموخ الانف وابعاء الضيم بحيث لا يؤثرون ذلك اختيارا ولا يرضونه الا اضطرارا والا فالمعارضة لو كانت من قدرهم لاسرعوا بالحجج وقطع العذر وافحام الخصم لديهم هذا وهم ممن لهم قدرة على الكلام وقدوة بالمعرفة به لجميع الأنام وما منهم الا من جهد جهده واستنفد ما عنده في اخفاء ظهوره واطفاء نوره فما حلوا في ذلك بحجة من بنات شفاهم ولا أتوا بنقطة من معين مياهم مع طول الامد وكثرة العدد وتظاهر الوالد وما ولد بل أبلسوا فما نبسوا ، ومنعوا فانقطعوا . انتهى كلامه . وذكر الامام الحافظ ابن الجوزي في كتابه « الوفاء » عن الامام ابن عقيل انه قال حكى لي أبو محمد بن مسلم النحوى قال كنا نتذاكر اعجاز القرآن وكان ثم شيخ كثير الفضل فقال ما فيه ما يعجز الفضلاء عنه ، ثم ارتقى الى غرفة ومعه صحيفة ومجبرة ووعد أنه ييادئهم بعد ثلاثة أيام بما يعمل مما يضاهاى القرآن فلما انقضت الايام الثلاثة سعد واحد فوجده مستندا يابسا وقد جفت يده على القلم . قلت وبمثل هذه يحتج القائلون بالصرفة وليس بحجة لعدم حصر الهلاك فيها بل لما عجز أهلكه الله كمدا ولتجربته على ما ليس في وسعه وقدرته والله الموفق

(الثالثة) كون القرآن معجزة ليس هو من جهة فصاحته وبلاغته فقط أو نظمه وأسلوبه أو اخباره بالغيب والمغيسات ولا من صرف الدواعى والمعارضات بل هو آية ومعجزة ظاهرة ودلالة باهرة وحجة قاهرة من وجوه متعددة من جهة اللفظ ومن جهة النظم ومن جهة البلاغة فى دلالة اللفظ على المعنى ومن جهة معانيه التى أمر بها ومعانيه التى أخبر بها عن الله تعالى وأسمائه وصفاته وملائكته وغير ذلك ومن جهة معانيه التى أخبر بها عن الغيب الماضى والغيب المستقبل ومن جهة ما أخبر به عن المعاد ومن جهة

القرآن معجز من
عدة أوجه

ما بين فيه من الدلائل اليقينية والاقيسة العقلية التي هي الامثال المضروبة كما في قوله تعالى (ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل وكان الانسان أكثر شيء جدلا) • و (فأبى أكثر الناس الا كفورا) (ولعلمهم يتذكرون) (قرآنا عربيا غير ذى عوج لعلمهم يتقون) فكل ما ذكره الناس من وجوه الاعجاز في القرآن فهو حجة على اعجازه ولا تناقض في ذلك بل كل قوم تسبها لما تسبها له كما مر في كلام شيخ الاسلام

القرآن المعجزة انعظمى

(الرابعة) القرآن العظيم كلام الله القديم (١) ونوره المين وجبله المتين وفيه الحجة والدعوة فله بذلك اختصاص على غيره كما ثبت عنه في الصحيح انه صلى الله عليه وسلم قال « ما من نبي من الانبياء الا وقد أوتى من الآيات ما آمن على مثله البشر وانما كان الذى أوتيته وحيا أوحاه الله الى فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيمة » قال الحافظ ابن حجر فى الفتح يعنى ان معجزتى التى تحدت بها الوحى الذى أنزل على وهو القرآن لما اشتمل عليه من الاعجاز الواضح ، قال وليس المراد حصر معجزاته فيه ولا انه لم يؤت من المعجزات ما أوتى من تقدمه بل المراد انه المعجزة العظمى والآية الكبرى التى اختص بها دون غيره صلى الله عليه وسلم من الانبياء عليهم السلام • انتهى • ولا يخفى أن كون دعوة النبى صلى الله عليه وسلم التى هى شريعته المنوت بها فيها معجزته التى تحدى الخلق بها من أعظم الآيات وأبهر المعجزات وأظهر الدلالات ، ولهذا استمرت معجزته العظمى باستمرار شريعته الغراء وفيه اشارة وتنبه وايماء وتنويه الى أن هذا النبى الامين خاتم الانبياء والمرسلين فشريعته دائمة ما دام الملوان ومعجزته باقية ما كر الجديدان وبالله التوفيق •

مناسبة المعجزة للعصر الذى وقعت فيه

(الخامسة) كان الانبياء عليهم الصلاة والسلام يأتون بالمعجزات الباهرة والآيات الظاهرة لأقوامهم الكافرة وأمهم الفاجرة فكان كل نبى تقع معجزته مناسبة لحال قومه كما كان السحر فاشيا عند فرعون فجاء موسى بالعصا على صورة ما يصنع السحرة لكنها تلقفت ما صنعوا فبسوا وانصدعوا واحترأوا وانقمعوا وعلمو أن ما جاء به موسى هو الحق اليقين (فألقى

(١) مر ما فيه فى التعليق على المتن

السحرة ساجدين * قالوا آمنا برب العالمين * رب موسى وهارون) ولم يقع ذلك بعنه لغير موسى من الانبياء عليهم السلام . ولما كان الزمن الذى بعث فيه عيسى عليه السلام قد فشا فيه الاطباء والحكماء بين الأنام وكان أمرهم فى غاية الظهور والاعتناء بصناعتهم ظاهر مشهور جاء سيدنا المسيح باحياء الموتى وبراء الاكمه والأبرص من الداء العضال القبيح وخلق من الطين كهيئة الطير باذن الله فطاشت قلوب الحكماء وأذعنوا أنه من عند الله . ولما كانت العرب أرباب البلاغة وجرائم الفصاحة ورأس البيان وأرومة الوضاحة وفرسان الكلام وأرباب النظام قد خصوا من البلاغة والحكم ما لم يختص به غيرهم من سائر الامم وقد أوتوا من ذرابة اللسان ما لم يؤت مثله انسان، ومن فصل الخطاب ما يقيد الالباب ، جعل الله تعالى لهم ذلك طبعاً وسليقة وفيهم غريزة وحقيقة ، يأتون منه على البديهة بالعجب العجاب ويدلون به الى كل سبب من الأسباب ، فيخطبون بديهة فى المقامات الشديدة الخطب ويرتجزون به فى قسائل الحرب بين الطعن والضرب ، ويمدحون ويقدحون ويتوسلون ويتوصلون ويتدون(١) ويتصلون ويرفعون ويضعون، فيأتون من ذلك بالسحر الحلال ويطوقون من أوصافهم ما هو أجمل من سمط اللآل فيخدعون الالباب ويدللون الصعاب ويذهبون الاحن ويهيجون الدمن ، ويجرثون الجنان ويسطون من يد الجعد البنان ، ويصيرون الناقص كاملا ويتركون النيبه خاملا ، منهم البدوى ذو اللفظ الجزل والقول الفصل ، والكلام الفخم والطبع الجوهرى والمنزع القوى ، ومنهم الحضرى ذو البلاغة البارعة والالفاظ الناصعة والكلمات الجامعة ، والطبع السهل والتصرف فى القول ، القليل الكلفة الكثير الرنق الرقيق الحاشية ، وعلى كل حال لهم فى البلاغة الحجة البالغة والقوة الدامغة ، لا يشك أن الكلام طوع مرادهم والبلاغة ملك قيادهم ، فما راعهم الا والرسول الكريم قد أتى بهذا الكتاب العزيز العظيم ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد * قد أحكمت آياته وفصلت كلماته ، وبهرت بلاغته العقول وظهرت فصاحته على كل مقول ، وتضافر ايجازه واعجازه وتظاهرت

حقيقته ومجازه ، وهم أفسح ما كانوا فى هذا الباب مجالا وأوسع فى اللغة والغريب مقالا ، بلغتهم التى بها يتحاورون ومنازعتهم التى عنها يتناضلون ، صارخا بهم فى كل حين ومقرعا لهم بضعا وعشرين من السنين وموبخا لهم على رؤوس ملائهم أجمعين (أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله (١) وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين) فلم يزل النبى صلى الله عليه وسلم يقرعهم أشد القرع ويوبخهم غاية التوبيخ ، ويسفه أحلامهم ويشتت نظامهم ويذم آلهتهم وأبائهم ويستبيح أرضهم وأموالهم ونساءهم وأبنائهم ، وهم فى كل ذلك ناكسون عن معارضته محجمون عن مماثلته ، يخادعون أنفسهم بالتشغيب والتكذيب والاعتراء بالافتراء ، فيقولون تارة هذا سحر مفترى وأخرى أساطير الاولين وطورا يقولون اذا سمعوا آيات الكتاب : قلوبنا فى أكنة مما تدعونا اليه وفى آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب ، ومنهم من استحمق وهذى فقال بضرب من الدعوى : لو نشاء لقلنا مثل هذا ، ومن تعاطى شيئا من سخفائهم بدعوى المعارضة افترض وانكشف عواره وما نجح وظهر بواره ، ولما سمع الوليد بن المغيرة من النبى صلى الله عليه وسلم قوله تعالى (ان الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذى القربى) قال والله ان له لحلاوة وان غليه لطلاوة ، وان أسمله لمغدق وان أعلاه لثمر ما يقول هذا بشر . وذكر أبو عبيدأن اعرابيا سمع رجلا يقرأ (فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين) فسجد فليل له فى ذلك فقال سجدت لفصاحته . وسمع آخر رجلا يتلو (فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا) فقال أشهد أن مخلوقا لا يقدر على مثل هذا الكلام . وذكر القاضى عياض فى الشفاء أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يوما نائما فى المسجد اذا هو بقائم على رأسه يتشهد شهادة الحق فاستخبره فأعلمه أنه من بطارقة الروم ممن يحسن كلام العرب وغيرها وانه سمع قوما من أسرى المسلمين يقرءون آية من كتابكم فتأملتها فاذا هى قد جمع فيها ما أنزل على عيسى ابن مريم عليه السلام من أحوال الدنيا والآخرة وهى قوله تعالى : (ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون) . وحكى

(١) مخ « بعشر سمور مثله مفتريات » وهى آية أخرى أنظر سورة يونس

الاصمعي انه سمع كلام جارية (١) فقال لها قاتلك الله ما أفصحك فقالت أو يعد هذا فصاحة بعد قول الله تعالى (وأوحينا الى أم موسى أن أرضعيه) الآية فجمع في آية واحدة بين أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين • فهذا من أنواع اعجاز القرآن العظيم والذكر الحكيم وفوق كل ذي علم عليم : وبالله التوفيق

هل في بعض آية اعجاز ؟

(السادسة) قال علماؤنا وفي بعض آية من القرآن العظيم اعجاز وعلى التحقيق يتفاضل ثوابه ويتفاوت اعجازه كما في مختصر التحرير وغيره من كتب لاصول • قال الامام القاضي أبو يعلى ابن الفراء قدس الله روحه : في بعض آية من القرآن اعجاز لقوله تعالى (فليأتوا بحديث مثله) قال القاضي علاء الدين المرادوى في شرح التحرير : والظاهر أن القاضي أبا يعلى أراد ما فيه الاعجاز والا فلا يقول مثل قوله تعالى (ثم نظر) ونحوها ان في بعضها اعجازا أو فيها أيضا وهو واضح • وقال الامام أبو الخطاب الكلوزانى أحد اعلام المذهب والحنفية لا اعجاز في بعض آية بل في آية • وهذا ليس على اطلاقه فان بعض الآيات الطوال فيها اعجاز كما ان الآية القصيرة كقوله تعالى (ثم نظر) لا يلزم أن يكون فيها اعجاز • وقال بعض المحققين القرآن كله معجز لكن منه مالو انفرد لكان معجزا بذاته ومنه ما اعجازه مع الانضمام فان القرآن يتفاوت اعجازه ويتفاضل ثوابه فان الفرق يظهر بين آية الكرسي وآية الدين وبين سورة الاخلاص وسورة تبت فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى أنزل عليه القرآن وهو أعلم بجمله وتفصيله وبفضله وتفضيله : « ياسين قلب القرآن ، وفاتحة الكتاب أفضل سورة في القرآن ، وآية الكرسي أعظم آية في القرآن ، وقل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن » والاحاديث الواردة في فضائل القرآن وتخصيص بعض السور والآيات بالتفضيل وكثرة الثواب في تلاوتها كثيرة جدا • وذهب الامام

(١) بهامش مخ « روى أن الاصمعي قال رأيت في البادية جارية صغيرة لم تبلغ الحلم وهي تقول أستغفر لله • فقلت لها مم تستغفرين فانه لم يجز عليك فلم تكليف فقالت : أستغفر الله لذنبى كله ، قتلت انسانا بغير حل ، مثل غزال ناعم فى دله ، وانتصف الليل ولم اصله • فقلت لها ما أفصحك الخ •»

أبو الحسن الأشعري والقاضي الباقلاني وغيرهما الى المنع ويروى هذا القول عن الامام مالك رضى الله عنه ولذلك كره أن تردد سورة دون غيرها • قال بعض العلماء والمعجب ممن يذكر الخلاف فى ذلك بعد ورود النصوص عن صاحب الشريعة بالتفضيل • وقال العز بن عبد السلام كلام الله فى الله أى المتعلق بذاته وصفاته والثناء على نفسه ونحو ذلك أفضل من كلامه فى غيره فقل هو الله أحد أفضل من تبت يدا أبى لهب • وقال الحافظ جلال الدين السيوطى فى كتابه - الاتقان فى علوم القرآن - اختلف القائلون بالتفضيل فقال بعضهم التفضيل راجع الى عظم الاجر ومضاعفة الثواب بحسب انفعالات النفس وخشيتها وتدبرها وتفكرها عند ورود أوصاف العلى الاعلى وقيل بل يرجع لذات اللفظ وان ما تضمنه قوله تعالى (والهكم اله واحد) الآية وآية الكرسي وآخر سورة الحشر وسورة الاخلاص من الدلالات على وحدانية الله تعالى وصفاته ليس موجودا مثلا فى (تبت يدا أبى لهب) وما كان مثلها فالتفضيل انما هو بالمعاني العجيبة وكرامتها وبالله التوفيق (١)

« فصل »

فصل فى الصفات
التي ينفرد
بأبائنا السلفيون

فى ذكر الصفات التى يثبتها لله تعالى أئمة السلف وعلماء الأثر دون غيرهم من علماء الخلف وأهل الكلام فضلا عن فرق أهل الزيغ والفساد وأساطين الفلاسفة وأهل الالحاد ولما كان فى اثبات هذه الصفات ما يدر للعقول الفلسفية والأقيسة الكلامية والاخليلة الخلفية ما يوهم التجسيم قدم امام المقصود ما ينفى ذلك بقوله :

فولوليس ربنا
بجوهر الخ وما
أورد عليه

((وليس ربنا بجوهر ولا عرض ولا جسم تعالى ذو العلى))
((سبحانه قد استوى كما ورد من غير كيف قد تعالى أن يحد))
((وليس ربنا)) تبارك وتعالى ((بجوهر)) يراد به ما قابل العرض ويراد به ما فى اصطلاح أهل الكلام يعنى العين الذى لا يقبل الانقسام لا فعلا ولا وهما ولا فرضا وهو الجزء الذى لا يتجزأ ، وعند الفلاسفة وبعض

(١) بهامش مخ « بلغ قراءة على شيخنا الشيخ الاحل المجلد الاواه الشيخ عبد الله حفظه الله ونفعنا بعلومه والمسلمين وذلك فى ب ٩ - ١٢٥٩

محققى النظار لا وجود للجوهر الفرد أعنى الجزء الذى لا يتجزأ واليه ميل شيخ الاسلام ابن تيمية • قال المثبتون للجوهر الفرد بأنه لا شكل له لان الشكل هيئة أحاطة الحد الواحد أو الحدود فلو كان له شكل لكان محاطا لحد أو حدود وحينئذ يلزم انقسامه لأن ما يلاقى منه بجزء من المحيط يفاير الملاقى بآخر وهو الانقسام لانا لا نعنى بالتقسيم الا ما يفرض فيه شيء غير شيء فلا يكون ما فرضناه جوهرًا فردًا واذا لم يكن له شكل امتنع أن يكون مشاكلا لشيء لأن المشاكلة هى الاتحاد فى الشكل وليس للجوهر الفرد شكل كما علمت • ولسنا بصدد تقريره ولا ابطاله وانما نحن بصدد نفى كون البارى جل شأنه جوهرًا ((ولا)) ربنا جل شأنه وتعالى سلطانه بـ ((مرض)) وهو ما لا يقوم بذاته بل بغيره بأن يكون تابعا لذلك الغير فى التحيز أو مختصا به اختصاص النعت بالمنعوت لا بمعنى أنه لا يمكن تعقله بدون المحل كما قد يتوهم فان ذلك انما هو فى بعض الاعراض ((ولا)) هو سبحانه : ((جسم)) (١) وهو ما تركيب من جزئين فصاعدا وعند بعض

وجوب التحرز
عن اطلاقه ما لم
يطلقه الشرع

(١) بهامش مخ مالفظة :

« من له اطلاع على كلام الصحابة والتابعين وأئمة السلف علم انهم لم يتكلموا بلفظ الجسم والجوهر والعرض فى حق الرب سبحانه لا نفيا ولا اثباتا فيكون من الكلام المبتدع •

قال شيخ الاسلام تقي الدين ابن تيمية رحمه الله فى رسالته التدمرية فى اثناء كلام له : ولما كان الرد على من وصف الله بالنقائص بهذه الطريق طريقا فاسدا لم يسلكه أحد من السلف والأئمة فلم ينطق أحد منهم فى حق الله بالجسم لا نفيا ولا اثباتا ولا بالجوهر والتحيز ونحو ذلك لانها عبارات مجملة لا تحقق حقا ولا تبطل باطلا فهذا من الكلام المبتدع الذى أنكره السلف والأئمة • وقال رحمه الله فى موضع آخر فى بعض كتبه : ولهذا كره السلف والأئمة كالامام احمد وغيره أن ترد البدعة بالبدعة فكان احمد فى مناظرته للجهمية لما ناظره على أن القرآن مخلوق وألزمه برغوث وكان من أحقهم فى المناظرة انه اذا كان الكلام غير مخلوق يكون الله جسما ، وهذا منتف فلم يوافق احمد لا على نفى ذلك ولا على اثباته بل قال أقول هو أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد • فبين أنى لا أقول جسم ولا ليس بجسم لأن كلا الامرين بدعة • انتهى •

وقال القرطبي فى المفهم فى شرح حديث أبيض الرجال الى الله الالد الحصم قال قد قطع بعض الأئمة بأن الصحابة لم يخوضوا فى الجوهر والعرض وما يتعلق بذلك من مباحث المتكلمين فمن: رغب عن طريقتهم فكفاه ضلالا =

النظار لا بد من تركيبه من ثلاثة أجزاء لتتحقق الابعاد الثلاثة أعنى الطول والعرض والعمق وعند البعض من ثمانية ليتحقق تقاطع الابعاد على زوايا قائمة ، قال السعد : وليس هذا نزاعا راجعا الى الاصطلاح حتى يدفع بأن

= وفى تنبيه ابن سحمان ص ٧ فما بعدها

« أعلم وفقنى الله واياك للعلم النافع والعمل الصالح ان لفظ الجوهر والعرض والجسم ألفاظ مبتدعة مخترعة لم يرد بنفيها ولا اثباتها كتاب ولا سنة ولا قول صاحب ولا أحد من أئمة التابعين ولا من بعدهم من الأئمة المهتدين الذين يعتد بقولهم فى هذا الباب فاذا تحققت ذلك فهذه الالفاظ التى لم يرد نفيها ولا اثباتها لا تطلق حتى ينظر فى مقصود قائلها فان كان معنى صحيحا قبل لكن ينبغى التعبير عنه بالفاظ النصوص دون الالفاظ المجملة الا عند الحاجة مع قرائن تبين المراد مثل أن يكون الخطاب مع من لا يتم المقصود معه ان لم يخاطب بها ونحو ذلك ، فاذا تبين هذا فالواجب على من منحه الله العلم والمعرفة أن ينظر فى هذا الباب أعنى باب الصفات فما أثبتته الله ورسوله أثبتته وما نفاه الله ورسوله نفاه ، والالفاظ التى ورد بها النص يعتصم بها فى الاثبات والنفي ، فنثبت ما أثبتته الله ورسوله من الالفاظ والمعانى ونفى ما نفتته نصوصها من الالفاظ والمعانى وأما كون شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه وتلميذه ابن القيم مالا الى انه لا وجود للجوهر الفرد فحق ولكن المقصود بذلك الرد على من أثبت الجوهر الفرد وانه لا حقيقة لوجوده ولا يلزم من ذلك اذا رده ونفاه انه يرى ان اطلاق هذه الالفاظ على الله نفيا واثباتا جائز فقد ذكر رحمه الله فى بعض أجوبته ما نصه : فان ذكر لفظ الجسم فى أسماء الله تعالى وصفاته بدعة لم ينطق بها كتاب ولا سنة ولا قالها أحد من سلف الامة وأئمتها ولم يقل أحد منهم أن الله تعالى جسم ولا ان الله تعالى ليس بجسم ولا ان الله تعالى جوهر ولا ان الله تعالى ليس بجوهر . انتهى . وكما صرح بذلك فيما ذكرناه عنهما وفى بعض مواضع آخر خلافا لما ذكره الناظم وأقره الشارح

اذا تقرر هذا فلا بد من ذكر كلام أئمة أهل الاسلام على هذه الالفاظ المبتدعة المخترعة التى أدخلها بعض المنتسبين الى السنة من أهل الكلام وغيرهم فى العقائد ونسبها بعضهم الى مذهب السلف رضوان الله عليهم وذلك مثل لفظ الجوهر والجسم والأعراض والأغراض والابعاض والحدود والجهات وحلول الحوادث وغيرها قال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه : وكانت المعتزلة تقول ان الله منزه عن الاغراض والابعاض والحوادث والحدود . ومقصودهم نفي الصفات ونفى الافعال ونفى مباينته للخلق وعلوه على العرش وكانوا يعبرون عن مذهب أهل الاثبات أهل السنة بالعبارات المجملة التى تشعر الناس بفساد المذهب فانهم اذا قالوا ان الله منزه عن الأعراض لم يكن فى ظاهر العبارة ما ينكر لأن الناس يفهمون من ذلك انه منزه عن الاستحالة والفساد كالأعراض التى تعرض لبني آدم من الأمراض والاسقام ولا ريب أن الله منزه عن ذلك ولكن مقصودهم انه ليس له علم ولا قدرة ولا حياة ولا كلام قائم به ولا غير ذلك من الصفات

لكل واحد أن يصطلح على ما شاء بل هو نزاع في أن المعنى الذى وضع لفظ الجسم بازائه هل يكفى فيه التركيب من جزئين أم لا ؟ احتج الاولون بأنه يقال لأحد الجسمين اذا زيد عليه جزء واحد انه أجسم من الآخر

التي يسمونها هم أعراضا . وكذلك اذا قالوا : ان الله منزه عن الحدود والاحياز والجهات ، أو هموا الناس بأن مقصودهم بذلك أنه لا تحصره المخلوقات ، ولا تحوزه المصنوعات ، وهذا المعنى صحيح ومقصودهم به انه ليس مباينا للخلق ولا منفصلا عنه ، وأنه ليس فوق السموات رب ولا على العرش اله ، وأن محمدا لم يعرج به اليه ولم ينزل منه شيء ، ولا يصعد اليه شيء ، ولا يتقرب اليه بشيء ، ولا ترفع الايدي اليه فى الدعاء ، ولا غيره ، ونحو ذلك من معانى الجهمية . واذا قالوا انه ليس بجسم أو هموا الناس انه ليس من جنس المخلوقات ولا مثل أبدان الخلق وهذا المعنى صحيح ولكن مقصودهم بذلك أنه لا يرى ولا يتكلم بنفسه ولا تقوم به صفة ولا هو مباين للخلق وأمثال ذلك . واذا قالوا التحل الحوادث . أو هموا الناس أن مرادهم انه لا يكون محلا للتغيرات والاستحالات ونحو ذلك من الاحداث التي تحدث للمخلوقين فتحيلهم وتفسدهم ، وهذا المعنى صحيح ولكن مقصودهم بذلك انه ليس له فعل اختياري يقوم بنفسه ولا له كلام ولا فعل يقوم به يتعلق بمشيئته وقدرته وانه لا يقدر على استواء أو نزول أو اتيان أو مجيء ، وأن المخلوقات التي خلقها الله لم يكن منه عند خلقها فعل أصلا بل عين المخلوقات هي الفعل ليس هناك فعل ومفعول وخلق ومخلوق بل المخلوق عين الخلق والمفعول عين الفعل ونحو ذلك . انتهى . وقال ابن القيم رحمه الله تعالى في (الصواعق الغر المخدوع هذه الالفاظ والمعلقة) : ويقولون نحن ننزه الله تعالى عن الاعراض والاعراض والابغاض والحدود والجهات وحلول الحوادث ، فيسمع الغر المخدوع هذه الالفاظ فيتوهم منها أنهم ينزهون الله عما يفهم من معانيها عند الاطلاق من العيوب، والنقائص والحاجة فلا يشك أنهم يمجذونه ويعظمونه ، ويكشف الناقد البصير ما تحت هذه الالفاظ فيرى تحتها الالحاد وتكذيب الرسل وتعطيل الرب تعالى عما يستحقه من كماله - فتنزيههم عن الاعراض هو جحد صفاته كسمعه وبصره وحياته وعلمه وكلامه وارادته فان هذه أعراض له عندهم لا تقوم الا بجسم فلو كان متصفا بها لكان جسما وكانت أعراضا له وهو منزه عن الاعراض

وأما الاعراض فهي الغاية والحكمة التي لأجلها يخلق ويفعل ويأمر وينهى ويثيب ويعاقب وهي الغايات المحمودة المطلوبة من أمره ونهيه وفعله فيسمنونها أعراضا منه وعللا ينزهونه عنها

وأما الابغاض فمرادهم بتنزيهه عنها أنه ليس له وجه ولا يدان ولا يمسك السموات على أصبع والارض على أصبع والشجر على أصبع والماء على أصبع فان ذلك كنه أبعاض والله منزه عن الابغاض .

وأما الحدر والجهات فمرادهم بتنزيهه عنها أنه ليس فوق السموات رب ولا على العرش اله ولا يشار اليه بالاصابع الى فوق كما أشار اليه أعلم للخلق به ولا ينزل منه شيء ولا يصعد اليه شيء ولا تعرج الملائكة والروح

فلولا ان مجرد التركيب كاف فى الجسمية لما صار بمجرد زيادة الجزء
أزيد فى الجسمية . وفيه انه أفضل من الجسامة بمعنى الضخامة وعظم
المقدار يقال جسم الشيء اذا عظم فهو جسيم والكلام فى الجسم الذى هو

اليه ولا رفع المسيح اليه ولا عرج برسوله محمد صلى الله عليه وسلم اليه
اذ لو كان لذلك لزم اثبات الحدود والجهات هو منزه عن ذلك .
وأما حلول الحوادث فيريدون به أنه لا يتكلم بقدرته ومشيتته ولا ينزل
كل ليلة الى سماء الدنيا ولا يأتى يوم القيمة ولا يجيء ولا يغضب بعد
أن كان راضيا ولا يرضى بعد أن كان غضبان ولا يقوم به فعل البتة ولا أمر
مجدد بعد أن لم يكن ولا يريد شيئا بعد أن لم يكن مريدا له فلا يقول له كن
حقيقة ولا استوى على عرشه بعد أن لم يكن مستويا ولا يغضب يوم القيامة
غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ، ولا ينادى عباده يوم
القيامة بعد أن لم يكن مناديا لهم ، ولا يقول للمصلى اذا قال (الحمد لله
رب العالمين) حمدنى عبدى فاذا قال (الرحمن الرحيم) قال أثنى على عبدى
فاذا قال (مالك يوم الدين) قال مجدنى عبدى ، فان هذه كلها حوادث
وهو منزه عن حلول الحوادث .

الى أن قال : واعلم أن لفظ الجسم لم ينطق به الوحي اثباتا فيكون له
الاثبات ولا نفيا فيكون له النفي فمن أطلقه نفيا أو اثباتا سئل عما أراد
فان قال أردت بالجسم معناه فى لغة العرب وهو البدن الكثيف الذى لا يسمى
فى اللغة جسما سواه فلا يقال للهواء جسم لغة ولا للنار ولا للماء فهذه
اليلغة وكتبها بين أظهرنا فهذا المعنى منفى عن الله عقلا وسمعا وان أردتم
به المركب من المادة والصورة والمركب من الجواهر الفردة فهذا منفى عن
الله قطعاً والصواب نفية عن الممكنات أيضا فليس جسم المخلوق مركبا
من هذا . ولا من هذا ، وان أردتم بالجسم ما يوصف بالصفات ويرى
بالابصار ويتكلم ويكلم ويسمع ويبصر ويرضى ويغضب فهذه المعانى
ثابتة لله تعالى وهو موصوف بها فلا نفيا عنه بتسميتكم للموصوف بها
جسما . - الى أن قال : وان أردتم بالجسم ما يشار اليه اشارة حسية فقد
أشار أعرف الخلق به باصبعه رافعا بها الى السماء بمشهد الجمع الأعظم
مستشهدا له لا للقلبة . وان أردتم بالجسم ما يقال له أين ؟ فقد سأل أعلم الخلق
به عنه بأين منبها على علوه على عرشه وسمع السؤال بأين وأجاب عنه
ولم يقل هذا السؤال انما يكون عن الجسم وانه ليس بجسم ، وان أردتم
بالجسم ما يلحقه (من) و (الى) فقد نزل جبرائيل من عنده وعرج برسوله
اليه ، واليه يصعد الكلم الطيب ، وعبده المسيح رفع اليه . وان أردتم بالجسم
ما يتميز منه أمر غير أمر فهو سبحانه موصوف بصفات الكمال جميعها
من السمع والبصر والعلم والقدرة والحياة وهذه صفات متميزة متغايرة ومن قال
انها صفة واحدة فهو بالمجانيز، أشبه منه بالعقلاء ، وقد قال أعلم الخلق
به (أعوذ برضاك من سخطك) الحديث . قال وأما استعاذته صلى الله
عليه وسلم به منه باعتبارين مختلفين فان الصفة المستعاذ بها والصفة
المستعاذ منها صفتان لموصوف واحد ورب واحد فالمستعاذ بأحدى الصفتين
من الاخرى مستعاذ بالموصوف بهما منه . وان أردتم بالجسم ماله وجه

اسم لا صفه • انتهى • وقال الكرمانى فى شرح الجواهر : الجسم يطلق بالاشترك على معينين الاول الجسم الطبيعى المنسوب الى الطبيعة التى هى مبدأ الآثار وعرفه الحكماء بأنه جوهر يمكن أن يفرض فيه ابعاد ثلاثة

ويدان وسمع وبصر فنحن نؤمن بوجه ربنا الاعلى وبيديه وبسمعه وبصره وغير ذلك من صفاته التى أطنقها على نفسه ، وان أردتم بالجسم ما يكون فوق غيره ومستويا على غيره فهو سبحانه فوق عباده مستو على عرشه • وكذلك ان أردتم بالتشبيه والتركيب هذه المعانى التى دل عليها الوحي والعقل فنفيكم لها بهذه الالقب المنكرة خطأ فى اللفظ والمعنى وجناية على ألفاظ الوحي ، أما الخطأ اللفظى فتسميتكم الموصوف بذلك جسما مركبا مؤلفا مشبها بغيره وتسميتكم هذه الصفات تركيبا وتجسيما وتشبيها فكذبتم على القرآن وعلى الرسول وعلى اللغة ووضعتم لصفاته ألفاظا منكم بدأت واليكم تعود ، وأما خطاكم فى المعنى فنفيكم وتعطيلكم لصفات كماله بواسطة هذه التسمية والالقب فنفيتم المعنى الحق وتسميتوه بالاسم المنكر • الى أن قال : وكذلك اذا قال الفرعونى لو كان على السموات رب أو على العرش اله لكان مركبا ، قيل له : لفظ المركب فى اللغة هو الذى ركبته غيره فى محله كقوله تعالى (فى أى صورة ماشاء ركبك) وقولهم ركبت الخشبة والباب وما يركب من أخلاط أجزاء بحيث كانت أجزاءه مفرقة فاجتمعت وركبت حتى صار شيئا واحدا كقولهم ركب الدواء من كذا وكذا • وان أردتم بقولكم لو كان فوق العرش كان مركبا هذا التركيب المعهود وأنه كان متفرقا فاجتمع فهو كذب وفرية وبهت على الله وعلى الشرع وعلى العقل ، وان أردتم انه لو كان فوق العرش لكان عاليا على خلقه بائنا منهم مستويا على عرشه ليس فوقه شيء فهذا المعنى حق فكأنك قلت لو كان فوق العرش لكان فوق العرش فنفيتم الشيء بتغيير العبارة وقلبها الى عبارة أخرى وهذا شأنكم فى أكثر مطالبكم •

وان أردتم بقولكم كان مركبا أنه يتميز منه شيء عن شيء فقد وصفته أنت بصفات يتميز بعضها من بعض فهل كان عندك هذا تركيبا ؟ فان قلت هذا لا يقال لى وانما يقال لمن أثبت شيئا من الصفات فأما أنا فلا أثبت له صفة واحدة فرارا من التركيب ، قيل لك : العقل لم يدل على نفى المعنى الذى سميت به أنت مركبا وقد دل الوحي والعقل والفطرة على ثبوته أنتفیه بمجرد تسميتك الباطلة ؟ فان التركيب يطلق ويراد به خمسة معان

١ - تركيب الذات من الوجود والماهية عند من يجعل وجودها زائدا على ماهيتها فاذا نفيت هذا جعلته وجودا مطلقا انما هو فى الاذهان لا وجود له فى الاعيان •

٢ - تركيب الماهية من الذات والصفات فاذا نفيت هذا التركيب جعلته ذاتا مجردة عن كل وصف لا يسمع ولا يبصر ولا يعلم ولا يقدر ولا يريد ولا حياة له ولا مشيئة ولا صفة أصلا فكل ذات فى المخلوقات (٠٠٠٠) من هذه الذات فاستغدت بهذا التركيب كفرك بالله وجحدك لذاته ولصفاته وأفعاله •

٣ - تركيب الماهية الجسمية من الهولى والصورة كما يقوله الفلاسفة •

مقاطعة على زوايا قائمة ، فقوله يمكن مشعر بأن مناط الجسمية ليس فرض الابعاد بالفعل حتى يخرج الجسم عن الجسمية بأن لا يفرض فيه الابعاد بالفعل بل مجرد امكان الفرض وان لم تفرض أصلا كاف ، وتصوير فرض

٤ - التركيب من الجواهر الفردة كما يقوله كثير من أهل الكلام
٥ - تركيب الماهية من أجزاء كانت متفرقة فاجتمعت وتركبت فان أردت بقولك لو كان فوق العرش لكان مركبا كما يدعيه الفلاسفة والمتكلمون قيل لك : جمهور العقلاء عندهم ان الاجسام المحدثه المخلوقة ليست مركبه لا من هذا ولا من هذا فلو كان فوق العرش جسم مخلوق ومحدث لم يلزم أن يكون مركبا بهذا الاعتبار فكيف ذلك في حق خالق الفرد والمركب الذي يجمع المتفرق ويفرق المجتمع ويؤلف بين الاشياء فيركبها كما يشاء ؟ والعقل انما يدل على اثبات اله واحد ورب واحد لا شريك له ولا شبيه له لم يلد ولم يولد ، ولم يدل على أن ذلك الرب الواحد لا اسم له ولا صفة ولا وجه ولا يدين ولا هو خلقه ولا يصعد إليه شيء ولا ينزل منه شيء ، فدعوى ذلك على العقل كذب صريح عليه كما هي كذب صريح على الوحي . وكذلك قولهم ننزهه عن الجهة ان أردتم انه منزه عن جهة وجودية تحيط به وتحويه احاطة الظرف بالمظروف فنعم هو أعظم من ذلك وأكبر وأعلى ، ولكن لا يلزم من كونه فوق عرشه هذا المعنى :

وان أردتم بالجهة أمرا يوجب مباينة الخالق للمخلوق وعلوه على خلقه واستواءه على عرشه فنفيكم بهذا المعنى باطل وتسميته جهة وقلتم منزه عن الجهات وسميتم العرش حيزا وقلتم ليس بمتحيز وسميتم الصفات اعراضا وقلتم الرب منزه عن الاعراض ، وسميتم كلامه بمشيئته ونزوله الى سماء الدنيا ومجيئه يوم القيامة لفصل القضاء بمشيئته وارادته ونزوله لمرادها وادراكه المقارن لوجود المدرك وغضبه اذا عصى ورضاه اذا أطيع وفرحه اذا تاب الى العباد ونداءه لموسى حين أتى الشجرة ونداءه للأبوين حين أكلا من الشجرة ونداءه لعباده يوم القيامة ومحبته لمن كان يبغضه حال كفره ثم صار يحبه بعد ايمانه وربوبيته التي هو كل يوم هو في شأن « حوادث » وقلتم هو منزه عن حلول الحوادث وحقيقة هذا التنزيه أنه متنزه عن الوجود وعن الربوبية وعن الملك وعن كونه فعلا لما يريد بل عن الحياة والقيومية

فانظر ماذا تحت تنزيه المعطلة النفاة بقولهم ليس بجسم ولا جوهر ولا مركب ولا تقوم به الاعراض ولا يوصف بالابعاض ولا يفعل بالاعراض ولا تحله الحوادث ولا تحيط به الجهات ولا يقال في حقه أين وليس بمتحيز كيف كسوا حقائق أسمائه وصفاته وعلوه على خلقه واستوائه على عرشه وتكليمه لخلقه ورؤيتهم له بالأبصار في دار كرامته هذه الألفاظ ثم توسلوا الى نفيها بواسطتها وكفروا وضللوا من أثبتها واستحلوا منه مالم يستحلوه من أعداء الله من اليهود والنصارى ، فالله الموعد واليه التحاكم ، وبين يديه

* نحن واياهم نموت ولا * أفلح يوم الحساب من ندما *
انتهى =

الابعاد في الجسم بعد تأليف ما كان وهو الطول ، وبعد آخر مقاطع له على زوايا قائمة وهو العرض ، وبعد آخر مقاطع لهما كذلك وهو العمق ، فقوله على زوايا قائمة ليس للاحتراز بل بيان الواقع فان حقيقة الجسم لا يكون

- وقال شيخ الاسلام الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى في رسالته الى عبد الله بن سحيم وقد طلب منه أن يذكر له شيئا من معنى كتاب الموليس فقال رحمه الله في الجواب بعد كلام له وذلك أن كتابه مشتمل على الكلام في ثلاثة أنواع من العلوم (الأول) علم الاسماء والصفات الذي يسمى علم أصول الدين ويسمى أيضا العقائد (والثاني) الكلام على التوحيد والشرك (والثالث) الاقتداء بأهل العلم واتباع الأدلة وترك ذلك .

أما الأول فانه أنكر على أهل الوشم انكارهم على من قال ليس بجوهر ولا جسم ولا عرض وهذا الانكار جمع بين اثنتين احدهما انه لم يفهم كلام ابن عبدان وصاحبه «الثانية» انه لم يفهم صورة المسئلة وذلك أن مذهب الامام احمد وغيره من السلف انهم لا يتكلمون في هذا النوع . الا بما تكلم به الله ورسوله فما أثبتته الله لنفسه وأثبتته له رسوله أثبتوه مثل الفوقية والاستواء والكلام والمجيء وغير ذلك وما نفاه الله عن نفسه ونفاه عنه رسوله صلى الله عليه وسلم نفوه مثل المثل والند والسمي وغير ذلك ، وأما ما لا يوجد عن الله ورسوله اثباته ولا نفيه مثل الجوهر والعرض والجهة وغير ذلك لا يثبتونه فمن نفاه مثل صاحب الخطبة التي أنكرها ابن عبدان وصاحبه فهو عند احمد والسلف مبتدع ، ومن أثبتته مثل هشام ابن الحكم وغيره فهو عندهم مبتدع ، والواجب عندهم السكوت عن هذا النوع اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه . الى أن قال : وأنا أذكر نك كلام الحنابلة في هذه المسئلة .

قال الشيخ تقي الدين بعد كلام له على من قال انه ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض ككلام صاحب الخطبة قال رحمه الله تعالى : فهذه الالفاظ لا يطلق اثباتها ولا نفيها كلفظ الجوهر والجسم والتحيز والجهة ونحو ذلك من الالفاظ ولهذا لما سئل ابن سريج عن التوحيد فذكر توحيد المسلمين وقال وأما توحيد أهل الباطل فهو الخوض في الجواهر والاعراض وانما بعث النبي صلى الله عليه وسلم بانكار ذلك . وكلام السلف والائمة في ذم الكلام وأهله مبسوط في غير هذا الموضع . والمقصود أن الائمة كأحمد وغيره اذا ذكر لهم أهل البدع الالفاظ المجملة كلفظ الجسم والجوهر والحيز لم يوافقوهم لا على اطلاق الاثبات ولا على اطلاق النفي . انتهى كلام انشيخ تقي الدين

اذا تدبرت هذا عرفت أن انكار ابن عبدان وصاحبه على الخطيب الكلام في هذا هو عين الصواب وقد اتبعنا في ذلك امامهما احمد بن حنبل وغيره في انكارهم ذلك على المبتدعة ففهم صاحبكم انهما يريدان اثبات ضد ذلك وان الله جسم وكذا وكذا تعالى الله عن ذلك ، وظن أيضا أن عقيدة أهل السنة هي نفي أنه لا جسم ولا جوهر ولا كذا ولا كذا وقد تبين لكم الصواب أن عقيدة أهل السنة هي السكوت من أثبت بدعوه ، ومن نفي بدعوه ، فالذي يقول ليس بجسم ولا ولاهم الجهمية والمعتزلة والذين يشبتون ذلك

الا كذلك • ولما نفى كون البارى جل وعز جوهرًا أو عرضًا أو جسمًا لاتصاف الاول بالامكان والحقارة والثانى لاحتياجه الى محل يقوم به والثالث لأنه مركب فيحتاج الى الجزء فلا يكون واجبا لذاته ولا مستغنيا عن غيره وفى ضمن ما نفاه رد على بعض فرق الضلال من المجسمة كما تقدمت الاشارة الى ذلك فى صدر هذا الكتاب أعقب ذلك بقوله ((تعالى)) وتقدس ((ذو العلى)) فى ذاته العلية وصفاته القدسية عما يقول الظالمون علوا كبيرا • ثم ذكر بعد هذا التمهيد المذهب السلفى والاعتقاد الاثرى فقال ((سبحانه)) وانما صدر بالتسييح اشارة الى تنزيهه تعالى عن قول المعطلة

هو هشام وأصحابه والسلف بريئون من الجميع من أثبت بدعوه ، ومن نفى بدعوه ، فالوليس لم يفهم كلام الأحياء ولا كلام الاموات ، وجعل النفى الذى هو مذهب الجهمية والمعتزلة مذهب السلف وظهر أن من أنكر النفى انه يريد الاثبات كهشام واتباعه ولكن العجب من ذلك استدلاله على فهمه بكلام احمد المتقدم •

ومن كلام أبى الوفاء بن عقيل قال أنا أقطع ان أبا بكر وعمر ماتا وما عرفا الجوهر والعرض • فان رأيت أن طريقة أبى على الجبائى وأبى هاشم خير لك من طريقة أبى بكر وعمر فبئس ما رأيت • انتهى • وصاحبكم يدعى أن الرجل لا يكون من أهل السنة حتى يتبع أبا على وأبا هاشم بنفى الجوهر والعرض فمن أنكر الكلام فيهما مثل أبى بكر وعمر فهو عنده على مذهب هشام الرافضى • فظهر بما قررناه أن الخطيب الذى يتكلم بنفى العرض والجوهر أخذه من مذهب الجهمية والمعتزلة وأن ابن عبدان وصاحبه أنكرا ذلك مثل ما أنكروه احمد والعلماء كلهم على أهل البدع انتهى •

فتأمل رحمك الله ما تحت اطلاق هذه الالفاظ المبتدعة المخترعة التى خالف من وضعها سلف الامة وأيمتها واغتر بها من حسن ظنه بهؤلاء الذين قلدوا من ابتداعها من المتكلمين ، الذين ليس لهم قدم صدق فى العالمين حيث أرادوا بها التنزيه ، ووقعوا فى التعطيل والتشبيه ، فساروا على مناهجهم من غير دليل ولا برهان من الكتاب والسنة ، ولا كلام أحد من الأيمة فالله المستعان •

وتأمل ما ذكر شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب حيث قال فمن نفاه - مثل صاحب الخطبة التى أنكرها ابن عبدان وصاحبه - فهو عند احمد والسلف مبتدع والواجب عندهم السكوت عن هذا النوع اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه • الى أن قال : وقد تبين لكم الصواب أن عقيدة أهل السنة هى السكوت من أثبت بدعوه ، ومن نفى بدعوه ، فالذى يقول ليس بجسم ولا ولاهم الجهمية والمعتزلة والذين يثبتون ذلك هو هشام وأصحابه والسلف بريئون من الجميع ، من أثبت بدعوه ومن نفى بدعوه الى آخر كلامه رحمه الله تعالى

الاستواء على العرش والعلو

واعتماد المثلة ((قد استوى)) على عرشه من فوق سبع سمواته استواء يليق بذاته ((كما ورد)) فى الآيات القرآنية والاحاديث النبوية والنصوص السلفية مما لا يحصى ويتعذر أن يستقصى فهذا كتاب الله من أوله الى آخره وسنة رسول الله من أولها الى آخرها ثم عامة كلام الصحابة رضى الله عنهم والتابعين لهم باحسان رحمهم الله تعالى ثم كلام سائر أئمة الدين ممن تلوى على كلامهم الخناصر ولا ينازع فيه الا كل معاند ومكابى بأن الله تعالى مستو على عرشه بائن من خلقه • قال شيخ الاسلام ابن تيمية وتلميذه الامام المحقق ابن القيم فى كتابه الجيوش الاسلامية : هذا كتاب الله • وذكر مثل ما ذكرنا وقال ابن القيم فى قوله تعالى (الله الذى خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش مالكم من دونه من ولى ولا شفيع أفلا تتذكرون * يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون * ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم) تأمل ما فى هذه الآيات من الرد على طوائف المعطلين والمشركين ، فقوله خلق السموات والارض فى ستة أيام يتضمن ابطال قول الملاحدة القائلين بقدوم العالم وأنه لم يزل وان الله تعالى لم يخلقه بقدرته ومشيئته ، بل من أثبت منهم وجود الرب جعله لازما لذاته أزلا وأبدا كما يقول ابن سينا والنصير الطوسى وأتباعهما من الملاحدة الجاحدين لما اتفقت عليه الرسل والكتب وشهدت به العقول والفطر ، وقوله : ثم استوى على العرش : يتضمن ابطال قول المعطلة الجهمية الذين يقولون ليس على العرش سوى العدم وان الله ليس مستويا على عرشه ولا ترفع اليه الايدى ولا يصعد اليه الكلم الطيب ولا رفع المسيح اليه ولا عرج برسوله محمد صلى الله عليه وسلم اليه ولا تعرج الملائكة والروح اليه ولا ينزل من عنده جبريل بوحيه لمن يوحى اليه - الخ كلامه رحمه الله تعالى • وقال تعالى (هو الذى خلق لكم مافى الارض جميعا ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات) وقوله (ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا) وقوله (ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام ثم استوى على العرش

يدبر الامر ما من شفيح الا من بعد اذنه) الآية • وقوله (تنزيلا ممن خلق الارض والسماوات العلى * الرحمن على العرش استوى) وقوله (الذى خلق السماوات والارض وما بينهما فى ستة ايام ثم استوى على العرش الرحمن فاسأل به خيرا) وقوله (هو الذى خلق السماوات والارض وما بينهما فى ستة ايام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج فى الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير) فذكر عموم علمه وعموم قدرته وعموم احاطته وعموم رؤيته • وقال تعالى حاكيا عن فرعون (ياها مان ابن لى صرحا لعلى أبلغ الاسباب * اسباب السماوات فأطلع الى اله موسى وانى لأظنه كاذبا) قال فى الجيوش قال أبو الحسن الاشعري وقد احتج بهذه الآية على الجهمية فأكذب فرعون موسى عليه السلام فى قوله ان الله فوق السماوات • وأما الاحاديث فمنها قصة المعراج فهى متواترة وتجاوز النبى صلى الله عليه وسلم السماوات سماء سماء حتى انتهى الى ربه تعالى فقربه وأدناه وفرض عليه خمسين صلاة فلم يزل يتردد بين موسى عليه السلام وبين الله تعالى ينزل من عند ربه الى موسى فيسأله كم فرض ربك عليك فيخبره فيقول ارجع الى ربك فاسأله التخفيف (عن أمتك فيرجع الى ربه فيسأله التخفيف - ١) وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لما خلق الله الخلق كتب فى كتابه فهو عنده فوق العرش ان رحمتى تغلب غضبى » وفى لفظ « كتب فى كتابه على نفسه فهو موضوع عنده ان رحمتى تغلب غضبى » وفى لفظ « فهو مكتوب عنده فوق العرش » وكل هذه الالفاظ فى صحيح البخارى • وفى صحيح مسلم من حديث أبى موسى الاشعري رضى الله عنه قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس كلمات فقال « ان الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه ويرفع اليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل حجاب النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه » • وذكر الامام البخارى فى كتاب التوحيد من صحيحه

حديث أنس بن مالك رضى الله عنه حديث الاسراء وفيه « ثم علا به - يعنى جبريل - فوق ذلك بما لا يعلمه الا الله حتى جاوز سدره المنتهى ودنا من الجبار رب العزة فتدلى حتى كان قاب قوسين أو أدنى فأوحى اليه فيما أوحى خمسين صلاة كل يوم وليلة ثم هبط حتى بلغ موسى فاحتبسه موسى فقال يا محمد ماذا عهد اليك ربك قال عهد الى خمسين صلاة كل يوم وليلة قال ان أمتك لا تستطيع فارجع فليخفف عنك ربك وعنهم فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم الى جبريل كأنه يستشيريه فى ذلك فأشار اليه جبريل أن نعم ان شئت فعلا به الى الجبار تبارك وتعالى » الحديث وقال صلى الله عليه وسلم فى حكومة سعد بن معاذ فى بنى قريظة « لقد حكمت فيهم بحكم الملك من فوق سبعة ارقعة - وفى لفظ - من فوق سبع سموات » وأصل القصة فى الصحيحين • وفى صحيح مسلم من حديث معاوية بن الحكم السلمي رضى الله عنه قال لطمت لارية لى فأخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعظم ذلك على فقلت يا رسول الله أفلا أعتقها قال : « بلى اتنى بها • قال فجننت بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها أين الله ؟ فقلت : فى السماء • قال فمن أنا • قالت أنت رسول الله قال انها مؤمنة • وفى لفظ قال « أعتقها فانها مؤمنة » قال الامام الحافظ شمس الدين الذهبى فى كتابه (العرش) : رواه مسلم وأبو داود والنسائى وغير واحد من الأئمة فى تصانيفهم يدونونه كما جاء • وقال فى أول الحديث : من الاحاديث المتواترة الواردة فى العلو • وفى صحيح البخارى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال كانت زينب تفتخر على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وتقول : زوجكن أهاليكن وزوجنى الله من فوق سبع سموات • وقال صلى الله عليه وسلم فى حديث الاوعال « والعرش فوق ذلك والله فوق عرشه وهو يعلم ما أتم عليه » • رواه الامام احمد فى المسند وابن خزيمة فى كتاب التوحيد • وقول عبد لله بن رواحة الذى أنشده النبي صلى الله عليه وسلم

شهدت بأن وعد الله حق وان النار مثوى الكافرينا
وان العرش فوق الماء طاف وفوق العرش رب العالمينا
وقول أمية بن أبى لصلت الثقفى الذى أنشد للنبي صلى الله عليه وسلم

ولا يمكن أحدا أن ينقل عن واحد من هؤلاء انه نفى ذلك أو أخبر به ،
وأما نقل الإثبات عن هؤلاء فأكثر من أن يحصى ، فإن كان الحق هو النفى
دون الإثبات والكتاب والسنة والاجماع انما دل على الإثبات ولم يذكر
النفى أصلا لزم أن يكون الرسول والمؤمنون لم ينطقوا بالحق في هذا
الباب بل نطقوا بما يدل اما نصا واما ظاهرا على الضلال والخطأ المناقض
للهدى والصواب ، ومعلوم ان من اعتقد هذا في الرسول والمؤمنين فله
أوفر حظ من قوله تعالى : (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى
ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا) فإن
القاتل اذا قال : هذه النصوص أريد بها خلاف ما يفهم منها أو خلاف
ما دلت عليه أو انه لم يرد اثبات علو الله نفسه على خلقه وانما اريد به
علو المكانة ونحو ذلك ، فيقال له فكان يجب أن يبين للناس الحق الذى يجب
التصديق به باطنا وظاهرا ، بل ويبين لهم ما يدلهم على أن هذا الكلام لم
يرد به مفهومه ومقتضاه فانه غاية ما يقدر انه تكلم بالمجاز المخالف للحقيقة
والباطن المخالف للظاهر ومعلوم باتفاق العقلاء ان المخاطب المبين اذا تكلم
بمجاز فلا بد أن يقرن بخطابه ما يدل على ارادة المعنى المجازى ، فاذا كان
الرسول المبلغ المبين الذى بين للناس ما أنزل اليهم علم ان المراد بالكلام
خلاف مفهومه ومقتضاه كان عليه أن يقرن بخطابه ما يصرف القلوب
عن فهم المعنى الذى لم يرد لاسيما اذا كان باطلا لا يجوز اعتقاده فى الله
فانه عليه أن ينهاهم عن أن يعتقدوا فى الله ما لا يجوز اعتقاده اذا كان
ذلك مخوفا عليهم ولو لم يخاطبهم بما يدل على ذلك فكيف اذا كان خطابه
هو الذى يدلهم على ذلك الاعتقاد الذى يقول النفاة انه اعتقاد باطل ، فاذا
لم يكن فى الكتاب ولا السنة ولا كلام أحد من السلف والائمة ما يوافق
قول النفاة أصلا بل هم دائما لا يتكلمون الا بالاثبات امتنع حينئذ أن لا
يكون مرادهم الاثبات وأن يكون النفى هو الذى يعتقدونه ويعتمدونه وهم
لم يتكلموا به قط ولم يظهره وانما أظهروا ما يخالفه وينافيه . وهذا كلام
متين لا مخلص لأحد عنه . قال شيخ الاسلام روح الله روجه : لكن
للجهمية المتكلمة هنا كلام وللجهمية المتفلسفة كلام أما المتفلسفة والقرامطة

فيقولون ان الرسل كلموا الخلق بخلاف ما هو الحق وأظهروا لهم خلاف ما يظنون وربما يقولون انهم كذبوا لأجل مصلحة العامة فان مصلحة العامة لا تقوم الا باظهار الاثبات وان كان في نفس الامر باطلا . . هذا مع ما فيه من الزندقة البيئة والكفر الواضح قول متناقض في نفسه فانه يقال لو كان الامر كما تقولون والرسل من جنس رؤسائكم لكان خواص الرسل يطلعون على ذلك ولكنوا يطلعون خواصهم على هذا الامر فكان يكون النفي مذهب خاصة الامة وأكملها عقلا وعلما ومعرفة ، والامر بالعكس فان من تأمل كلام السلف والائمة وجد أعلم الامة عند الامة كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وابن مسعود ومعاذ بن جبل وعبد الله بن سلام وسلمان الفارسي وأبي بن كعب وأبي الدرداء وعبد الله بن عباس وعبد الله ابن عمر وعبد الله بن عمرو وأمثالهم من الصحابة رضى الله عنهم أجمعين هم أعظم الخلق اثباتا ، وكذلك أفاضل التابعين مثل سعيد بن المسيب والحسن البصري وعلي بن الحسين وأصحاب ابن مسعود وأصحاب ابن عباس وهم من أجل التابعين وأمثالهم ، بل المنقول عن هؤلاء في الاثبات يجبن عن اظهاره كثير من الناس ، وعلى ذلك تأول يحيى بن عمار وصاحبه شيخ الاسلام أبو اسماعيل الانصارى ما يروى ان من العلم كهيئة المكنون لا يعرفه الا أهل العلم بالله فاذا ذكروه لم ينكره الا أهل الغرة بالله . تأولوا ذلك على ما جاء من الاثبات لان ذلك ثابت عن الرسول والسابقين والتابعين لهم باحسان بخلاف النفي فانه لا يوجد عنهم ولا يمكن حمله عليه . وقد جمع علماء الحديث من المنقول عن السلف في الاثبات ما لا يحصى عدده الا رب السموات ولم يقدر أحد أن يأتي عنهم في النفي بحرف واحد الا أن يكون من الاكاذيب المختلفة التي ينقلها من هو أبعد الناس عن معرفة كلامهم . (قلت) وقد أكثر العلماء من التصنيف ، واجلبوا بخيلهم ورجلهم من التأليف ، في ثبوت العلو والاستواء ونهوا على ذلك بالآيات والحديث وما حوى ، فمنهم الراوى الاخبار بالاسانيد ، ومنهم الحاذف لها وأتى بكل لفظ مفيد ، ومنهم المطول المسهب ، ومنهم المختصر والمتوسط والمهذب ، فمن ذلك مسألة العلو لشيخ الاسلام ابن تيمية والعلو للامام

الموفق صاحب التصانيف السنية ، والجيوش الاسلامية للامام المحقق ابن قيم الجوزية (١) وكتاب العرش للحافظ شمس الدين الذهبي صاحب الانفاس العلية ، وما لا أحصى عددهم الا بكلفة والله تعالى الموفق .

قال العلامة الشيخ مرعي الكرمي الحنبلي في كتابه (أقاويل الثقات) في تأويل الاسماء والصفات) ومما احتج به أهل الاثبات بانه الذي طبع الله عليه أهل الفطرة العقلية السليمة من الاولين والآخرين الذين يقولون انه فوق العالم اذ العلم بذلك فطرى عقلى ضرورى لا يتوقف على سماع قالوا ولم يقل قائل يا الله الا وجد من قلبه ضرورة يطلب العلو بحيث لا يمكن رفع هذه الضرورة عن القلوب ولا يلتفت الداعي يمه ولا يسرة .

واما العلم بانه تعالى استوى على العرش بعد خلقه السموات والارض في ستة أيام فهذا سعى علم بالوحى على الانبياء فآخبروا عليهم الصلاة والسلام أممهم بذلك . قال سيدنا الشيخ الكبير (الشيخ عبد القادر الجيلي) الحنبلي قدس الله سره في كتاب (الغنية في الفقه) قال : وهو تعالى بجهة العلو مستو على العرش محتو على الملك محيط علمه بالاشياء « اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه - يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه » الآية ولا يجوز وصفه بأنه في كل مكان بل يقال انه في السماء على العرش استوى على العرش كما قال الله تعالى : (الرحمن على العرش استوى) . ثم قال : وينبغي اطلاق صفة الاستواء من غير تأويل وانه استواء الذات على العرش . ثم قال : وكونه (مستويا - ٢) على العرش مذكور في كل كتاب أنزل على كل نبي أرسل بلا كيف . وهذا نص كلامه قدس الله سره في الغنية .

وقال الامام القرطبي في تفسيره في سورة الاعراف : وقد كان السلف الاول رضى الله عنهم لا يقولون بنفى الجهة ولا ينطقون بذلك بل نطقوا هم والكافة بآياتها لله تعالى كما نطق كتابه وأخبرت رسله قال : ولم ينكر أحد من السلف الصالح الصالح انه تعالى استولى على عرشه حقيقة . انتهى . وقال أبو نعيم الحافظ في كتابه (محجة الواثقين) وأجمعوا أن الله فوق سمواته

(١) بهامش مخ « هي مدرسة أقامها والده بالقرب من باب العنبرانية باب القبلة في دمشق الشام »

(٢) من مخ وعليها «صح»

وانه عال على عرشه مستو عليه لا مستول كما تقول الجهمية • وقال ابن رشد المالكي في كتابه المسمى بالكشف : وأما هذه الصفة - يعنى القول بالجهة فلم تزل أهل الشريعة يشبونها حتى نفتها المعتزلة ومتأخرو الأشاعرة كأبى المعالى ومن اقتدى بقولهم • ثم قال : وقد ظهر ان اثبات الجهة واجب شرعا وعقلا - الخ كلامه •

الاشعري يثبت العلو الذاتى

وقيل للامام عبد الله بن المبارك : كيف نعرف ربنا ؟ قال : بانه فوق السماء السابعة على العرش بائن من خلقه • على أن نفس الامام أبى الحسن الاشعري في كتابه (الابانة) قال : ان الله مستو على عرشه كما قال (الرحمن على العرش استوى) وقال : (اليه يصعد الكلم الطيب) وقال : (لعلى أطلع الى اله موسى وانه لاظنه من الكاذبين) كذاب موسى في قوله ان الله فوق السموات • وقال : (أأنتم من فى السماء أن يخسف بكم الارض) فالسموات فوقها العرش فلما كان العرش فوق السموات وكان كل ما علا فهو سماء قال (أأنتم من فى السماء) وانما أراد العرش الذى هو أعلى السموات • قال ورأينا المسلمين جميعا يرفعون أيديهم اذا دعوا الى نحو السماء لان الله مستو على العرش الذى فوق السموات فلولا ان الله على العرش لم يرفعوا أيديهم نحو العرش • قال وقد قال قائلون من المعتزلة والجهمية والحرورية : ان معنى استوى استولى وملك وقهر وان الله فى كل مكان ، وجحدوا ان يكون على عرشه كما قال أهل الحق ، وذهبوا فى الاستواء الى القدرة ، فلو كان كما قالوا كان لافرق بين العرش والارض السابعة ، لان الله تعالى قادر على كل شىء والارض فالله قادر عليها وعلى الحشوش ، فلو كان مستويا على العرش بمعنى الاستيلاء لجاز أن يقال انه مستو على الاشياء كلها مع انه لم يجز عند أحد المسلمين أن يقال ان الله تعالى مستو على الحشوش والاخلية فبطل أن يكون الاستواء على العرش الاستيلاء • ثم بسط الادلة على هذه المسئلة من الكتاب والسنة والعقل بما يطول نقله •

وقال الاشعري أيضا فى كتابه (جمل المقالات) : قال أهل السنة وأصحاب الحديث : الله لس بجسم (١) ولا يشبه الاشياء وانه على العرش كما

قال عز وجل (الرحمن على العرش استوى) ولا تتقدم بين يدي الله في القول بل تقول استوى بلا كيف وانه نور كما قال (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام) • الى أن قال : ولم يقولوا شيئا الا ما وجدوه من الكتاب أو جاءت به الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم • قال : وقالت المعتزلة ان الله استوى على عرشه بمعنى استولى • هذا نص كلامه • فالاشعري انما حكى تأويل الاستواء بالاستيلاء عن المعتزلة والجهمية وصرح بخلافه وانه خلاف قول أهل السنة • وكذلك قال محيي السنة الحسين بن مسعود في تفسيره تابعا لابي الحسن الاشعري • وقال القاضي أبو بكر بن الباقلاني وهو من أفضل متكلمي الاشعرية : فان قال قائل فهل تقولون انه تعالى في كل مكان ؟ قيل له معاذ الله بل هو مستو على عرشه كما أخبر وقال : (اليه يصعد الكلم الطيب) • وساق الآيات المتقدمة • ثم قال : ولو كان في كل مكان لكان في بطن الانسان والحشوش ولصح أن يرغب اليه نحو الارض والى خلفنا ويمينا وشمالنا • قال وهذا قد أجمع المسلمون على خلافه وتخطئة قائله • وأطال في الاستدلال في كتابه (التمهيد في أصول الدين) وهو من أشهر كتبه •

والباقلاني ايضا

قال شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله روحه : وكثير من الناس صار منتسبا الى بعض طوائف المتكلمين متوهما انهم حققوا في هذا الباب ما لم يحققه غيرهم فلو أتى بكل آية ما تبعها حتى يؤتى بشيء من كلامهم ، ثم هم مع هذا مخالفون لاسلافهم غير متبعين لهم ، قال : ومن كان لا يقبل الحق الا من طائفة معينة ولا يتبع ما جاء من الحق ففيه شبهة من اليهود الذين قال الله فيهم : (واذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم) فكذلك من يتعصب لطائفة بلا برهان من الله • انتهى •

اذا علمت هذا فاعلم ان كثيرا من الناس يظنون ان القائل بالجهة او الاستواء هو من المجسمة لانهم يتوهمون ان من لازم ذلك التجسيم وهذا وهم فاسد وظن كاذب وحسد حائد لانا نقول أولا لمن ارتكب هذا المركب لازم المذهب ليس بمذهب عند أئمة أهل التحقيق وذوى النباهة والمعرفة

نفي استلزام القول بالاستواء والعلول للتجسيم

والتصديق فكيف يحسن ان ينسب الى المرء شيء من لوازم كلامه ، وهو من أبعد الناس عنه بقصده ومرامه • فان أهل الاثبات المتبعين للمنصوص من الاخبار والآيات ، ينزهون الله تعالى عن التكيف والحد(١) ويعتقدون ان من وصفه تعالى بالجسم أو كيف فقد زاغ وألحد • ولهذا قال لما أثبت له صفة الاستواء كما ورد في القرآن العظيم والذكر الحكيم نؤمن بانه عز وجل استوى على عرشه ((من غير كيف)) كما روى اللالكائى الحافظ فى كتابه (السنة) من طريق قره بن خالد عن الحسن البصرى عن أمه خيرة مولاة أم المؤمنين أم سلمة رضى الله عنها عن أم سلمة رضى الله عنها انها قالت فى قوله تعالى (الرحمن على العرش استوى) الاستواء معلوم والكيف مجهول والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة والبحث عنه كفر • وهذا له حكم المرفوع لان مثله لا يقال من قبل الرأى • وفى لفظ آخر قالت الكيف غير معقول والاستواء غير مجهول والاقرار به من الايمان والجحود به كفر • وروى يحيى بن آدم عن أبيه وابن عيينة قال سئل ربعة بن أبى عبد الرحمن - المشهور بربيعة الرأى وهو شيخ الامام مالك بن أنس رضى الله عنه - عن قوله تعالى (الرحمن على العرش استوى) كيف استوى؟ قال: الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول ومن الله الرسالة وعلى الرسول البلاغ وعلينا التصديق • وروى نحو ذلك أيضا عن الامام مالك رضى الله عنه فقد ذكر الامام يوسف بن عبد البر فى كتابه (التمهيد) قال أخبرنا عبد الله بن محمد بن عبد المؤمن قال حدثنا احمد بن جعفر بن حمدان قال حدثنا عبد الله بن احمد بن حنبل قال حدثنا أبى قال حدثنا سريج (١) بن النعمان قال حدثنا عبد الله بن نافع قال : قال الامام مالك بن أنس : الله فى السماء وعلمه فى كل مكان لا يخلو منه مكان • قال وقيل لمالك : الرحمن على العرش استوى كيف استوى ؟ فقال مالك رحمه الله : استواؤه معلوم وكيفيته مجهولة وسؤالك عن هذا بدعة وأراك رجل سوء • ويروى عن الشعبي انه سئل عن الاستواء فقال : هذا من متشابه القرآن نؤمن به ولا

ما نقل عن
بعض السلفى
الاستواء

(١) يأتى ما فيه فى التعليق على ص ٢٠١

(١) فى الاصلين « شريح » خطأ

تعرض لعناه • وروى عن الامام الشافعي رضى الله عنه انه سئل عن الاستواء فقال : آمنت بلا تشبيه وصدقت بلا تمثيل واتهمت نفسى فى الادراك وامسكت عن الخوض غايبة الامساك • وعن سيدنا الامام أحمد رضى الله عنه انه لما سئل عن الاستواء أجاب بقوله استوى كما ذكر لا كما يخطر للبشر •

فمعنى قول أم سلمة رضى الله عنها فى الحديث ومن نحا نحوها من الائمة: الاستواء معلوم أى وصفه تعالى بأنه تعالى على العرش (استوى) استواء معلوم بطريق النقل الثابت بالتواتر (١) وأما الوقوف على حقيقة أمر يعود الى الكيفية فمجهول والجهالة فيه من جهة انه لا سبيل لنا الى معرفة الكيفية لانها تبع للماهية ، وقولهم « والسؤال عند بدعة » لان الصحابة رضى الله عنهم لم يسألوا عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والتابعين لم يسألوا الصحابة ، ولان جوابه يتضمن الكيفية ، ولهذا قيل فى الجواب لمن دخلت عليهم الشبهة طالبين بسؤالهم التكييف : والكيف مجهول (٢) فالذى ثبت فيه بالشرع والعقل واتباع السلف انما هو علم العباد بالكيفية فعندها تنقطع الاطماع وعن دركها تقصر العقول • والوقوف على درج سلم التسليم منتهى هم الائمة الفحول ، ولهذا قال فى تمة نظمه ملوحا بالرد على الممثل والمعتل بقوله ((قد تعالى)) الله علا وجل ، ولسنا فى اتباع المأثور مع التسليم للمولى الحكيم على وجل ، فانا نفتى أثر المأثور ، ونشهر سيوف السنة لاعناق أهل البدع والنفى باتباع المشهور ، ونرد على كل من ألد

(١) بهامش منخ ما نصه :

« يشير الشارح رحمه الله الى أن معنى قول مالك رحمه الله الاستواء معلوم أى ورود هذا اللفظ معلوم وقد قال شيخ الاسلام رحمه الله تعالى فى أثناء كلام له على الاستواء : ومنه قول مالك الاستواء معلوم ، وليس المراد أن هذا اللفظ فى القرآن معلوم كما قال بعض الناس استوى أم لا وانه يسأل عن الكيفية ومالك جعله معلوما والسؤال عن نزول لفظ الاستواء ليس بدعة والكلام فيه فقد تكلم فيه الصحابة والتابعون وانما البدعة السؤال عن الكيفية • ثم قال : فقد أخبر مالك رضى الله عنه أن نفس الاستواء معلوم وأن كيفية الاستواء مجهولة قال ولم يرد مالك رحمه الله أن الاستواء معلوم فى اللغة دون الآية لانه سئل عن الاستواء فى الآية •

(٢) منخ « والكيف غير معقول »

القول بالحد

بأن الله تعالى وتقدس وتنزه من ((أن يحد)) أو يقاس بما يحد (١) ، وفيه إشارة الى رد زعم من زعم بأنه يلزم من كونه تعالى مستويا على عرشه أن

(٣) بهامش «مخ» مانصه :

قال شيخ الاسلام رحمه الله في قاعدة له قال علي بن الحسن بن شقيق قلت لعبد الله بن المبارك بماذا نعرف ربنا ؟ قال بأنه فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه . قلت يحد ؟ قال : يحد لا يعلمه غيره . وهذا مشهور عن ابن المبارك ثابت عنه من غير وجه وهو نظر صحيح ثابت عن احمد بن حنبل واسحق بن راهويه وغير واحد من الأئمة . انتهى . وقال القاضي أبو يعلى في كتاب ابطال التأويل : اذا ثبت استواؤه سبحانه وانه في جهة وان ذلك من صفات الذات فهل يجوز اطلاق الحد عليه ؟ قد أطلق احمد القول بذلك في رواية المروزي وذكر له قول ابن المبارك نعرف الله على العرش يحد ، فقال احمد : بلغني ذلك وأعجبه . وقال الاثرم قلت لأحمد يحكى عن ابن المبارك : نعرف ربنا في السماء السابعة على عرشه بحد . فقال أحمد : هكذا هو عندنا . ثم ذكر عن أبي داود قال جاء رجل الى أحمد بن حنبل فقال له : لله تبارك وتعالى حد ؟ قال نعم لا يعلمه الا هو قال الله تبارك وتعالى (وترى الملائكة حافين من حول العرش) يقول محدقين . فقد أطلق احمد القول باثبات الحد لله تعالى . وقد نفاه في رواية حنبل فقال نحن نؤمن بأن الله على العرش كيف شاء وكما شاء بلا حد ولا صفة يبلفها واصف أو يحده أحد فقد نفى الحد عنه على الصفة المذكورة وهو الحد الذي يعلمه خلقه

وفي تنبيه ابن سحمان ص ٤١ مالفظه :

« اعلم وفقك الله أن هذا الكلام الذي أورده الشارح في هذا المقام من الالفاظ المجملة الموهمة المطلقة المحتملة لمعنيين حق وباطل فلا ينفصل النزاع الا بتفصيل تلك المعاني وتنزيل الفاظها عليها كما قال ابن القيم رحمه الله تعالى على هذه الالفاظ المبتدعة المخترعة التي لم ينطق بها سلف الامة وأئمتها: ويقولون نحن ننزه الله تعالى عن الاعراض والاعراض والابعاض والحدود والجهات وحلول الحوادث ، فيسمع الغر المخدوع هذه الالفاظ فيتوهم منها انهم ينزهون الله عما يفهم من معانيها عند الاطلاق من العيوب والنقائص والحاجة فلا يشك انهم يمجذونه ويعظمونه ويكشف الناقذ البصير ما تحت هذه الالفاظ فيرى تحتها الالحاد وتكذيب الرسل وتعطيل الرب تعالى عما يستحقه من كماله - الى آخر كلامه . وقد تقدم . وقال شيخ الاسلام قدس الله روحه : وكذلك اذا قالوا ان الله منزّه عن الحدود والاحياز والجهات أو هموا الناس بأن مقصودهم بذلك انه لا تحصره المخلوقات ولا تحوزه المصنوعات وهذا المعنى صحيح ومقصودهم انه ليس مباينا للخلق ولا منفصلا عنه ، وأنه ليس فوق السموات رب ولا على العرش اله وأن محمدا لم يعرج به اليه ولم ينزل منه شيء ولا يصعد اليه شيء ولا يتقرب اليه بشيء ولا ترفع الايدي اليه في الدعاء ولا غيره ونحو ذلك من معاني الجهمية . انتهى . =

يحد • قال الامام القرطبي وابن ابي زيد والقاضي عبد الوهاب من المالكية
وجماعة من شيوخ الحديث والفقهاء وابن عبد البر والقاضي أبو بكر بن العربي
وابن فورك وغيرهم ممن لا يحصى عددهم انه سبحانه مستو على العرش

= فاذا تبين لك هذا فاعلم أن قول الشارح على هذه اللفظة المحتملة الموهمة
المطلقة حيث قال : تعالى الله أن يحد ، وتعالى الله عن ذلك اذ المحدود محدث والمحدث
مفتقر للخالق - الى آخر كلامه هو من كلام أهل البدع من الجهمية وغيرهم
ممن نحا نحوهم من المتكلمين فاذا كان هذا هو المفهوم من كلام الناظم
والشارح قطعاً ولا محيد عنه لاطلاقه ألفاظاً لم ينطق بها الكتاب والسنة
ولا نطق بها أئمة السلف رضوان الله عليهم بل المتكلم بها من هؤلاء
المبتدعة يوهمون الناس أن مقصودهم بذلك أنه لا تحصره المخلوقات ، ولا
تحوزها المصنوعات ، وهذا المعنى صحيح ، ولكن مقصودهم هو ما تقدم بيانه
عنهم من كلام شيخ الاسلام أنفاً واذا كان ذلك فنحن نسوق كلام أئمة
السلف رضوان الله تعالى عليهم في هذا المقام ليتبين لك خطأ الناظم
والشارح

قال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه في العقل والنقل بعد أن
ذكر كلاماً طويلاً قال : وقال حنبل في موضع آخر عن احمد قال (ليس
كمثله شيء) في ذاته كما وصف به نفسه قد أجمل تبارك وتعالى بالصفة
لنفسه فحد لنفسه صفة ليس يشبهه شيء فنعبد الله بصفاته غير محدودة
ولا معلومة الا بما وصف به نفسه • قال فهو سميع بصير بلا حد ولا تقدير
ولا يبلغ الواصفون صفته وصفاته منه وله ولا نتعدى القرآن والحديث ،
فنقول كما قال ونصفه كما وصف نفسه ولا نتعدى ذلك ولا تبلغه صفة
الواصفين ، نؤمن بالقرآن كله محكمه ومتشابهه ولا نزيل عنه صفة من
صفاته لشناعة شنعت وما وصف به نفسه من كلام ونزول وخلوة بعبد
يوم القيامة ووضع كنفه عليه هذا يدل على أن الله تبارك وتعالى يرى في
الآخرة ، والتحديد في هذا كله بدعة والتسليم لله بأمره بغير صفة ولا حد
الا ما وصف به نفسه ، سميع بصير لم يزل متكلماً عالماً غفورا ، عالم الغيب
والشهادة علام الغيوب ، فهذه صفات وصف بها نفسه لا تدفع ولا ترد ،
وهو على العرش بلا حد كما قال تعالى (ثم استوى على العرش) كيف شاء ،
المشيئة اليه عز وجل والاستطاعة ليس كمثله شيء وهو خالق كل شيء وكما
وصف نفسه سميع بصير بلا حد ولا تقدير قال ابراهيم لأبيه (يا أبت
لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر) فنثبت أن الله سميع بصير صفاته منه
لا نتعدى القرآن والحديث ، والخبر « يضحك الله » ولا نعلم كيف ذلك
الا بتصديق الرسول وبثبوت القرآن ، لا يصفه الواصفون ولا يحده أحد
تعالى الله عما تقول الجهمية والمشبهة • (قلت) والمشبهة ما يقولون ؟ قال
من قال بصر كبرى ويد كيدى ، وقدم كقدمى فقد شبه الله بخلقه وهذا
يحدّه - وهذا كلام سوء وهذا مخلود والكلام في هذا لا أحبه
وقال محمد بن مخلد قال احمد : نصّف الله بما وصف به نفسه وبما
وصفه به رسوله • =

بذاته وأطلقوا في بعض الاماكن فوق عرشه • قال القاضي أبو بكر وهو الصحيح الذي أقول به من غير تحديد ولا تمكن في مكان ولا مماسة • قال شيخ الاسلام ابن تيميه استوى على عرشه على الوجه الذي يستحقه

= وقال يوسف بن موسى ان أبا عبد الله قيل له ولا يشبه ربنا شيئاً من خلقه ؟ قال نعم (ليس كمثلته شيء) فقول احمد انه ينظر اليهم ويكلمهم كيف شاء واذا شاء وقوله وهو على العرش بلا حد كما قال (ثم استوى على العرش) كيف شاء المشيئة اليه والاستطاعة له ليس كمثلته شيء • بين ان نظره وتكليمه وعلوه على العرش واستواءه على العرش مما يتعلق بمشيئته واستطاعته ، وقوله بلا حد ولا صفة يبلغها واصف أو يحده أحد • نفى به احاطة علم الخلق به وأن يحدوه أو يصفوه على ما هو عليه الا بما أخبر به عن نفسه ليتبين أن عقول الخلق لا تحيط بصفاته كما قال الشافعي في خطبة الرسالة : الحمد لله الذي هو كما وصف به نفسه وفوق ما يصفه به خلقه • ولهذا قال أحمد لا تدركه الابصار بحد ولا غاية فنفي أن يدرك له حد أو غاية • فهذا أصح القولين في تفسير الادراك وقد بسط الكلام على شرح هذا الكلام في غير هذا الموضع •

وما في هذا الكلام من نفى تحديد الخلق وتقديرهم لربهم وبلوغهم صفته لا ينافي ما نص عليه أحمد وغيره من الأئمة كما ذكره الخلال أيضا قال حدثنا أبو بكر المروزي قال سمعت أبا عبد الله لما قيل له : روى علي بن الحسن بن شقيق عن ابن المبارك انه قيل له كيف نعرف الله عز وجل ؟ قال على العرش بحد • قال قد بلغني ذلك عنه - وأعجبه • ثم قال أبو عبد الله ، (هل ينظرون الا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام) ثم قال (وجاء ربك والملك صفا صفا) قال الخلال وأنبأنا محمد بن علي الوراق حدثنا أبو بكر الأثرم حدثني محمد بن ابراهيم القيسي قال قلت لاحمد بن حنبل يحكي عن ابن المبارك وقيل له (كيف) نعرف ربنا؟ قال: في السماء السابعة على عرشه بحد • فقال احمد هكذا هو عندنا • وأخبرني حرب بن اسماعيل قال قلت لاسحاق يعني ابن راهويه هو على العرش بحد ؟ قال نعم بحد ، وذكر عن ابن المبارك قال هو على عرشه بائن من خلقه بحد ، قال : وأخبرني المروزي قال : قال اسحاق بن ابراهيم بن راهويه قال الله تبارك وتعالى (الرحمن على العرش استوى) اجماع أهل العلم أنه فوق العرش استوى ويعلم كل شيء في أسفل الارض السابعة وفي قعر البحار ورؤوس الاكام وبطون الأودية وفي كل موضع كما يعلم علم ما في السموات السبع وما فوق العرش ، أحاط بكل شيء علما فلا تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة في ظلمات البر والبحر الا وقد عرف ذلك كله وأحصاه ، فلا تعجزه معرفة شيء عن معرفة غيره • فهذا بينوا أن ما ثبتوه له من الحد لا يعلمه غيره ، كما قال مالك وربيعة وغيرهما : الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، فتبين أن كيفية استوائه مجهولة للعباد فلم ينفوا ثبوت ذلك في نفس الامر ولكن نفوا علم الخلق به ، وكذلك مثل هذا في كلام عبد العزيز بن عبد الله ابن الماجشون وغير واحد من السلف والأئمة ينفون علم الخلق بقدره وكيفية ، وبنحو ذلك قال عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون

سبحانه من الصفات اللائقة به . قال فان قال قائل لو كان الله تعالى فوق العرش للزم اما ان يكون أكبر من العرش او أصغر أو مساويا وذلك كله

في كلامه المعروف وقد ذكره ابن بطة في الابانة وأبو عمر الطلمنكى في كتابه الاصول ورواه أبو بكر الاثرم قال حدثنا عبد الله بن صالح عن عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة أنه قال : أما بعد فقد فهمت ما سألت عنه فيما تتابعتم فيه الجهمية ومن خالفها في صفة الرب العظيم الذي فاتت عظمته الوصف والتقدير وكلت الألسن عن تفسير صفته ، وانحسرت العقول عن معرفة قدره . الى أن قال فانه لا يعلم كيف هو الا هو ، وكيف يعرف قدر من لا يموت ولا يبلى ؟ وكيف يكون لصفة شيء منه حد أو منتهى يعرفه عارف ، أو يحد قدره واصف ، الدليل على عجز العقول عن تحقيق صفته ، عجزها عن تحقيق صفة أصغر خلقه - ، الى أن قال : اعرف رحمك الله غناك عن تكلف صفة مالم يصف الرب من نفسه بعجزك عن معرفة قدر ما وصف منها ، اذا لم تعرف قدر ما وصف فما تكلفك علم مالم يصف؟ هل تستدل بذلك على شيء من طاعته ، أو تنزجر عن شيء من معصيته ؟ وذكر كلاما طويلا الى أن قال : فأما الذي جحد ما وصف الرب من نفسه تعمقا وتكلفا قد استهوته الشياطين في الارض حيران فصار يستدل بزعمه على جحد ما وصف الرب وسمى من نفسه بأن قال لا بد ان كان له كذا من أن يكون له كذا ، فعمى عن البين بالخفي يجحد ما سمي الرب من نفسه ويصف الرب بما لم يسم فلم يزل يملئ له الشيطان حتى جحد قول الله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) فقال لا يراه أحد يوم القيامة، فجحد والله أفضل كرامة الله التي أكرم بها أوليائه يوم القيامة من النظر في وجهه (في مقعد صدق عند مليك مقتدر) قد قضى انهم لا يموتون فهم بالنظر اليه ينظرون . وذكر كلاما طويلا كتب في غير هذا الموضع . ثم ذكر بعد هذا كلام الامام عثمان بن سعيد الدارمي في كتابه الذي سماه (رد عثمان بن سعيد على الكافر العنيد ، فيما افتراه على الله في التوحيد) فقال : - « باب الحد والعرش » قال أبو سعيد وادعى المعارض أيضا أنه ليس لله حد ولا غاية ولا نهاية ، قال وهذا هو الاصل الذي بنى عليه جهم جميع ضلالاته ، واشتق منها جميع أغلوطاته وهي كلمة لم يبلغنا انه سبق جهما اليها أحد من العالمين فقال له قائل ممن نحاوره قد علمت مرادك أيها الاعجمي تعنى أن الله لا شيء لان الخلق كلهم قد علموا أنه ليس شيء . يقع عليه اسم شيء الا وله حد وغاية وصفة ، وأن لا شيء ليس له حد ولا غاية ولا صفة ، فالشيء أبدا موصوف لا محالة ، ولا شيء يوصف بلا حد ولا غاية ، وقولك لا حد له تعنى أنه لا شيء ، قال أبو سعيد والله تعالى له حد لا يعلمه أحد غيره ولا يجوز لأحد أن يتوهم لحد غايته في نفسه ، لكن نؤمن بالحد ونكل علمه . انتهى .

اذا فهمت هذا وتحققته تبين لك منافاة مقاله الناظم والشارح لكلام أئمة السلف رضوان الله عليهم لأن مرادهم في قولهم بلا حد كما قال احمد وهو على العرش بلا حد ، وقوله : وكما وصف نفسه سميع بصير بلا حد ، وقوله لا يصفه الواصفون ولا يحده أحد . فرادهم بقول بلا حد معناه ما ذكره شيخ الاسلام قلس الله روحه بقوله بلا حد ولا صفة يبلغها

محال ونحو ذلك من الكلام ، والجواب أن يقال أن هذا لم يفهم من كون الله على العرش الا ما اثبت للاجسام فهذا اللازم تابع لهذا المفهوم واما

واصف أو يحده أحد نفى به احاطة علم الخلق به وأن يحدوه أو يصفوه على ما هو عليه إلا بما أخبر به عن نفسه ليتبين أن عقول الخلق لا تحيط بصفاته كما قال الشافعي في خطبة الرسامة : الحمد لله الذي هو كما ووصف به نفسه وفوق ما يصفه به خلقه . ولهذا قال احمد لا تدركه الابصار بحد ولا غاية فنفي أن يدرك له حد أو غاية وكذلك ما ذكره الامام عبدالعزيز ابن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون حيث قال وكيف يكون لصفة شيء منه حد أو منتهى يعرفه عارف أو يحد قدره واصف - الى آخر كلامه .

فهذا ما ذكره أئمة السلف رضوان الله عليهم في معنى قولهم بلا حد وهو خلاف ما فهمه الشارح في معنى قولهم بلا حد فإنه قال وفيه الرد على من زعم انه يلزم من كونه مستويا على عرشه أن يحد تعالى الله عن ذلك اذ المحدود محدث والمحدث مفتقر للخالق . وهذا يوافق ما قاله أهل البدع من أهل الكلام وغيرهم ممن أخذ بأقوال الجهمية المنكرين لعلوه على عرشه ومباينته لمخلوقاته كما ذكر ذلك عنهم الامام عثمان بن سعيد الدارمي في رده على بشر المريسي حيث قال : وادعى المعارض أيضا أنه ليس لله حد ولا غاية ولا نهاية . قال وهذا هو الاصل الذي بنى عليه جهم جميع ضلالاته واشتق منها جميع أغلوطاته وهي كلمة لم يبلغنا انه سبق جهما إليها أحد من العالمين ، فقال له قائل ممن يحاوره قد علمت مرادك أيها الاعجمي تعنى أن الله لا شيء لان الخلق كلهم قد علموا أنه ليس شيء يقع عليه اسم الشيء الا وله حد وغاية أو صفة وأن لا شيء ليس له حد ولا غاية ولا صفة فالشيء أبدا موصوف لا محالة ولا شيء يوصف بلا حد ولا غاية وقولك لا حد له تعنى أنه لا شيء . قال أبو سعيد والله تعالى له حد لا يعلمه أحد غيره ولا يجوز لأحد أن يتوهم لحد غايته في نفسه ولكن يؤمن بالحد ويكل علمه . انتهى .

فاذا كان ذلك كذلك تعين ما ذكره أئمة السلف حيث قالوا : كيف نعرف الله عز وجل ؟ قال : على العرش بحد ، كما رواه علي بن الحسن ابن شقيق عن عبد الله بن المبارك رضى الله عنه ، وكما رواه الخلال باسناده الى الامام احمد أنه قيل له يحكى عن ابن المبارك وقيل له : كيف نعرف ربنا ؟ قال : على عرشه بحد . قال أحمد : هكذا هو عندنا ، وذكر أيضا عن حرب بن اسماعيل قال : قلت لاسحاق يعنى ابن راهويه هو على العرش بحد ؟ قال : نعم بحد . وذكر عن ابن المبارك قال : هو على عرشه بائن من خلقه بحد . ثم قال شيخ الاسلام بعد أن ذكر أقوال أئمة السلف : أنه بحد قال رحمه الله بينوا أن ما أثبتوه له من الحد لا يعلمه غيره كما قال مالك وربيعة وغيرهما : الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، فبين أن كيفية استوائه مجهولة للعباد فلم ينفوا ثبوت ذلك في نفس الامر ، ولكن نفوا علم الخلق به . واعلم انى انما أعدت هذا الكلام وكررت ليتبين لك ما بين اللفظتين من قوله : بلا حد ، ومن قوله : بحد ، لتعلم الفسرق بين هاتين اللفظتين كما بينه شيخ الاسلام فيما تقدم والله أعلم .

استواء يليق بجلال الله ويختص بعظمته فلا يلزم شيء من اللوازم الباطلة التي يجب نفيها كما يلزم سائر الاجسام وحال هذا القائل مثل قول من يقول اذا كان للعالم صانع فاما ان يكون جوهرًا أو عرضًا وكلاهما محال اذ لا يعقل موجود الا كذلك . قال والقول الفصل هو ما عليه الامة الوسط من ان الله مستو على عرشه استواء يليق بجلاله ، فكما انه تعالى موصوف بالعلم والبصر والقدرة ولا يثبت لذلك خصائص الاعراض التي للمخلوقين فكذلك سبحانه هو فوق عرشه ولا يثبت لفوقيته خصائص فوقية المخلوقين على المخلوق تعالى الله عن ذلك . فلدفع هذا الوهم أشار في النظم لنفي التحديد ، المتحذلق به كل ملحد وعنيد . وقال الامام القرطبي أظهر الاقوال وان كنت لا أقول به ولا أختاره ما تظاهرت عليه الآي والاختبار والفضلاء الاخير ان الله سبحانه على عرشه كما أخبر في كتابه بلا كيف بائن من جميع خلقه . هذا جملة مذهب السلف الصالح . انتهى . والعجب من القرطبي حيث يقول وان كنت لا أقول به ولا أختاره ولعله خشي من تحريف الحسدة فدفع وهمهم بذلك قاله العلامة الشيخ مرعي . وبهذا قال جماهير الحنابلة لكن قالوا استوى على الوجه الذي يستحقه لذاته مما لا يشاركه فيه المحدث ولا يشابهه ولا يماثله ولا يدل على اثبات كمية ولا صفة كيفية بل على الوجه الذي يستحقه الله لنفسه . قالوا والى هذا الاشارة في حديث أم المؤمنين أم سلمة رضی الله عنها في الحديث المار : الاستواء معلوم والكيف مجهول - الحديث ، ورضی الله تعالى عن الامام مالك حيث قال : أو كلما جاءنا رجل أجدل من رجل تركنا ما جاء به جبريل الى محمد صلى الله عليه وسلم لجدل هؤلاء ؟ وكل من هؤلاء مخصوم بمثل ما خصم به الآخر فلم يبق الا الرجوع لما قاله الله ورسوله والتسليم لهما .

« تنبيهات »

« الاول » قال سيدنا الامام أحمد رضی الله عنه أكثر ما يخطيء الناس من جهة التأويل . والقياس فالتأويل في الأدلة السمعية والقياس في الأدلة العقلية . قال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه وهو كما قال والتأويل الخطأ انما يكون في الالفاظ المتشابهة والقياس الخطأ انما يكون في

خطا الناس من
جهة التأويل
والقياس

المعاني المتشابهة • قال شيخ الاسلام وقد وقع بنو آدم في عامة ما يتناوله هذا الكلام من أنواع الضلالات حتى آل الامر بمن يدعى التحقيق والتوحيد والعرفان منهم الى أن اشتبه عليهم وجود الرب بوجود كسل موجود وهذا غاية الضلال والبهديان • ثم قال شيخ الاسلام روح الله روحه ما أخبر به الرسول عن ربه فانه يجب الايمان به سواء عرفنا معناه أو لم نعرف لانه الصادق المصدوق ، فما جاء في الكتاب والسنة وجب على كل مؤمن الايمان به وان لم يفهم معناه ، وكذلك ما ثبت باتفاق سلف الامة وأئمتها مع ان هذا الباب يوجد عامته منصوصا في الكتاب والسنة متفقاً عليه بين سلف الامة ، وما تنازع فيه المتأخرون نفياً واثباتاً فليس على أحد بل ولا له أن يوافق أحداً على اثبات لفظ أو نفيه حتى يعرف مراده فان أراد حقاً قبل وان أراد باطلاً رد وان اشتمل كلامه على حق وباطل لم يقبل مطلقاً ولم يرد جميع معناه بل يوقف اللفظ وينفسر المعنى ، قال كما تنازع الناس في الجهة فلنفظ الجهة قد يراد به شيء موجود غير الله فيكون مخلوقاً كما اذا أريد بالجهة نفس العرش او نفس السموات وقد يراد به ما ليس بموجود غير الله تعالى كما اذا أريد بالجهة ما فوق العالم ومعلوم انه ليس في النص اثبات لفظ الجهة ولا نفيه كما فيه اثبات العلو والاستواء والنفوقية والعروج اليه ونحو ذلك وقد علم انه ماثم موجود الا الخالق والمخلوق ، والخالق مبين للمخلوق سبحانه وتعالى ليس في مخلوقاته شيء من ذاته ولا في ذاته شيء من مخلوقاته ، فيقال لمن نفى أتريد بالجهة انها شيء موجود مخلوق قاله ليس داخل في المخلوقات أم تريد بالجهة ما وراء العالم فلا ريب أن الله فوق العالم بائن من المخلوقات، وكذلك يقال لمن قال الله في جهة أتريد بذلك ان الله فوق العالم أو تريد به ان الله داخل في شيء من المخلوقات فان أردت الاول فهو حق وان اردت الثاني فهو باطل ، وكذلك لفظ التحيز ان أراد به ان الله تحوزه المخلوقات فالله أعظم وأكبر قد وسع كرسيه السموات والارض وقد قال تعالى : (وما فدروا الله حق قدره والارض جميعاً قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه) وقد ثبت في الصحاح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال :

« يقبض الله الارض ويطوى السموات بيمينه ثم يقول أنا الملك أين ملوك الارض » وفي حديث ابن عباس رضى الله عنهما : « ما السموات السبع والارضون السبع وما فيهن فى يد الرحمن الا كخردلة فى يد أحدكم » .
وفى حديث آخر : « وانه ليدحوها كما يدحو الصبيان بالكرة » . قال وان أراد به انه منحاز عن المخلوقات أى مباين لها ومنفصل عنها ليس حالا فيها فهو سبحانه كما قال أئمة السنة فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه . كما ذكره فى التدمرية . وقال شيخ الاسلام فى التدمرية أيضا :
أما علوه تعالى ومباينته للمخلوقات فيعلم بالعقل . وأما الاستواء على العرش فطريق العلم به هو السمع ، وليس فى الكتاب والسنة وصف له بأنه لا داخل العالم ولا خارجه ولا مباينه ولا مداخله ، فيظن المتوهم انه اذا وصف بالاستواء على العرش كان استواؤه كاستواء الانسان على ظهور الفلك والانعام كقوله : (وسخر لكم من الفلك والانعام ما يركبون لتستوا على ظهوره) فيتحيل انه اذا كان مستويا على العرش كان محتاجا اليه كحاجة المستوى على الفلك والانعام فتعالى الله وتقديس فهذا خطأ فى مفهوم استوائه تعالى على العرش حيث ظن انه مثل استواء الانسان فانه ليس فى اللفظ ما يدل على ذلك لانه تعالى أضاف الاستواء الى نفسه الكريمة كما أضاف اليه سائر أفعاله وصفاته فذكر أنه خلق ثم استوى ، كما ذكر أنه قدر فهدى ، فلم يذكر استواء مطلقا يصلح للمخلوق ولا عاما يتناول المخلوق كما لم يذكر مثل ذلك فى سائر صفاته ، وقد علم انه تعالى الغنى عن الخلق وانه الخالق للعرش ولغيره وان كل ما سواه مفتقر اليه وهو الغنى عن كل ما سواه ، فكيف يجوز أن يتوهم انه تعالى اذا كان مستويا على العرش كان محتاجا اليه ، تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا ، هل هذا الا جهل محض وضلال ممن فهم ذلك وتوهمه أو ظنه ظاهر اللفظ أو جوزه على رب العالمين الغنى عن الخلق المجيد المتعال .

(الثانى) قال الجلال الدوانى فى شرح العقائد العضية ما لفظه : ولا بن تسمية أبى العباس أحمد وأصحابه ميل عظيم الى اثبات الجهة ومبالغة فى القدح فى نفيها ، قال ورأيت فى بعض تصانيفه انه لا فرق عند بديهة العقل

عبارة للدوانى
فى شأن الجهة

بين أن يقال هو معدوم وبين أن يقال طلبته في جميع الامكنة فلم أجده
ونسب النافين الى التعطيل ، قال هذا مع علو كعبه في العلوم الثقيلة والعقلية
كما يشهد به من تتبع تصانيفه • قال ومحصل كلام بعضهم في بعض
المواضع ان الشرع ورد بتخصيصه تعالى بجهة الفوق كما خص الكعبه
بكونها بيت الله ولذلك يتوجه اليها في الدعاء • قال ولا يخفى انه ليس
في هذا القدر غائلة أصلا لكن بعض أصحاب الحديث من المتأخرين لم
برض بهذا القول وأنكر كون الفوق قبلة الدعاء بل قال قبلة الدعاء هو
بعينه نفسه كما ان نفس الكعبة قبلة الصلاة وصرح بكونه جهة الله حقيقة
من غير تجوز اه كلامه بحروفه • قلت ليس شيخ الاسلام بأول من نسب
النافين للتعطيل فهذا أبو محمد عبد الله بن سعيد بن كلاب وهو الذي تبع
ظريقتة ابو الحسن الاشعري وان خالفه في بعض الاشياء الا انه على نهجه
في اثبات الصفات والفوقية وعلو الله على عرشه ، قال ابن كلاب في كتبه
أخرج من الاثر والنظر من قال انه سبحانه لا داخل العالم ولا خارجه •
وحكى عنه أبو الحسن الاشعري انه كان يقول ان الله مستو على عرشه
كما قال وانه فوق كل شيء • هذا لفظ حكاية الاشعري وحكى عنه أبو بكر
ابن فورك فيما جمعه من مقالاته في كتاب المجرد : أخرج من النظر والخبر
قول من قال لا هو في العالم ولا خارجا عنه ففاه نفا مستويا لانه لو قيل
له صفه بالعدم ما قدر أن يقول أكثر من هذا • وقال ابن كلاب ان قالوا
لا فوق ولا تحت أعدموه لان ما كان لا فوق ولا تحت عدم • قال شيخ
الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه : ولما رجع الاشعري عن مذهب المعتزلة
سلك طريق ابن كلاب ومال الى أهل السنة والحديث وانتسب الى الامام
أحمد كما قد ذكر ذلك في كتبه كلها كالابانة والموجز والمقالات وغيرها •
وقال شيخ الاسلام في رسالته التدمرية بعد أن ذكر ان الذين لا يصفونه
الا بالسلوب لم يشبوا في الحقيقة الها محمودا بل ولا موجودا • قال وكذلك
من شاركهم في بعض ذلك كالذين قالوا انه لا يتكلم ولا يرى أو ليس
فوق العالم أو لم يستو على العرش ويقولون ليس بداخل العالم ولا خارجه
ولا مبين للعالم ولا محايث له ، اذ هذه الصفات يمكن أن يوصف بها

المعدوم وليست هي مستلزمة صفة ثبوت ، ولهذا قال محمود بن سبكتكين
لمن ادعى ذلك فى الخالق ميز لنا بين هذا الرب الذى تشبهه وبين المعدوم •
اتهى •

عبارة لعماد
الدين الواسطى
فى تقريب اثبات
الجملة

(الثالث) ذكر الامام أبو العباس عماد الدين أحمد بن ابراهيم الواسطى
الصوفى المحقق العارف تلميذ شيخ الاسلام بن تيمية قدس الله سرهما
الذى قال فيه شيخ الاسلام انه جنيد زمانه فى رسالته نصيحة الاخوان ما
حاصلة فى مسألة العلو والفوقية والاستواء هو أن الله عز وجل كان ولا
مكان ولا عرش ولا ماء ولا فضاء ولا هواء ولا خلاء ولا ملأ وانه كان
منفردا فى قدمه وأزليته متوحدا فى فردانيته لا يوصف بأنه فوق كذا اذ لا
شئ غيره هو تعالى سابق التحت والفوق للذين هما جهتا العالم وهو لا زمان
له تعالى وهو تعالى فى تلك الفردانية منزه عن لوازم الحدث وصفاته فلما
اقتضت الارادة المقدسة خلق الاكوان المحدثه المخلوقة المحدودة ذات
الجهات اقتضت الارادة أن يكون الكون له جهات من العلو والسفل وهو
سبحانه منزه عن صفات الحدث فكون الإكوان وجعل جهتى العلو والسفل
واقضت الحكمة الالهية ان يكون الكون فى جهة التحت لكونه مربوبا
مخلوقا واقضت العظمة الربانية أن يكون هو تعالى فوق الكون
باعتبار الكون لا باعتبار فردانيته اذ لا فوق فيها ولا تحت والرب سبحانه
وتعالى كما كان فى قدمه وأزليته وفردانيته لم يحدث له فى ذاته ولا فى
صفاته ما لم يكن له فى قدمه وأزليته فهو الآن كما كان ، لما أحدث
المربوب المخلوق ذا الجهات والحدود والحلا والملا ذا الفوقية والتحتية كان
مقتضى حكم العظمة الربوية أن يكون فوق ملكه وأن تكون المملكة تحته
باعتبار الحدوث من الكون لا باعتبار القدم من المكون فاذا أشير اليه بشئ
يستحيل أن يشار اليه من جهة التحتية أو من جهة اليمين أو من جهة
اليسرة بل لا يليق أن يشار اليه الا من جهة العلو والفوقية • ثم الاشارة
هى بحسب الكون وحدوثه واسفله فالاشارة تقع على أعلى جزء من الكون
حقيقة وتقع على عظمة الله تعالى كما يليق به لا كما يقع على الحقيقة
المحسوسة عندنا فى أعلى جزء من الكون فانها اشارة الى جسم وتلك

إشارة الى اثبات • اذا علم ذلك فالاستواء صفة كانت له سبحانه وتعالى في قدمه لكن لم يظهر حكمها الا بعد خلق العرش ، كما أن الحساب صفة قديمة لا يظهر حكمها الا في الآخرة ، وكذلك التجلي في الآخرة لا يظهر حكمه الا في محله ، قال فاذا علم ذلك فالامر الذي تهرب التأولة منه حيث أولوا الفوقية بفوقية المرتبة والاستواء بالاستيلاء فنحن أشد الناس هربا من ذلك وتنزيها للبارى تعالى عن الحد الذي يحصره فلا يحد بحد يحصره بل بحد تتميز به عظمة ذاته عن مخلوقاته ، والاشارة الى الجهة انما هو بحسب الكون واسفله اذ لا تمكن الاشارة اليه الا هكذا وهو في قدسه سبحانه منزّه عن صفات الحدوث وليس في القدم فوقية ولا تحتية وانما من هو محصور في التحت لا يمكنه معرفة بارئته الا من فوقه فتقع الاشارة الى العرش حقيقة اشارة معقولة وتنتهي الجهات عند العرش ويبقى ما وراءه لا يدركه العقل ولا يكيفه الوهم فتقع الاشارة عليه كما يليق به مجملا مثبتا لا مكيفا مثالا • (قال) فاذا علمنا ذلك واعتقدناه تخلصنا من شبهه التأويل وعماوة التعطيل وحمافة التشبيه والتمثيل وأثبتنا علو ربنا وفوقيته واستواءه على عرشه كما يليق بجلاله وعظمته ، والحق واضح في ذلك والصدر ينشرح له فان التحريف تأباه العقول الصحيحة مثل تحريف الاستواء بالاستيلاء وغيره ، والوقوف في ذلك جهل وغى مع كون الرب وصف نفسه بهذه الصفات لعرفه بها فوقونا عن اثباتها ونفيها عدول عن المقصود منه في تعريفنا اياها ، فما وصف لنا نفسه بها الا لثبت ما وصف به نفسه لنا ولا نفق في ذلك • قال وكذلك التشبيه والتمثيل حمافة وجهالة فمن وفقه الله للاثبات بلا تحريف ولا تكيف ولا وقوف فقد وقع على الامر المطلوب منه ان شاء الله تعالى-والله أعلم •

العرش كرى ام
لا وما يترتب
على ذلك

وذكر شيخ الاسلام في كتابه في العرش ما حاصله : اختلف في العرش هل هو كرى كالافلاك فيكون محيطا بها واما ان يكون فوقها وليس هو كريا فان كان الاول فمن المعلوم باتفاق من يعلم ان الافلاك مستديرة كرية الشكل ان الجهة العليا هي جهة المحيط وهو المحدد وان الجهة السفلى هي المركز وليس للافلاك الا جهتان العلو والسفل فقط • واما الجهات الست

فهى للحيوان وليس لها فى نفسها صفة لازمة بل هى بحسب الاضافة
فيكون يمين هذا ما يكون يسار هذا ويكون امام هذا ما يكون خلف هذا
ويكون فوق هذا ما يكون تحت هذا لكن جهة العلو والسفل للأفلاك لا
تتغير فالمحيط هو العلو والمركز هو السفلى مع ان وجه الارض التى وضعا
الله للانام وارساها بالجبال هو الذى عليه الناس والبهائم والشجر والنبات
والجبال والانهار الجارية فلما الناحية الاخرى من الارض فالبحر محيط
بها وليس هناك شئ من الآدميين وما يتبعهم ولو قدر أن هناك أحدا لكان على
ظهر الارض ولم يكن من فى هذه الجهة تحت من فى هذه ولا من فى
هذه تحت من فى هذه كما ان الأفلاك محيطة بالمركز وليس احد جانبي
الفلك تحت الآخر ولا القطب الشمالى تحت القطب الجنوبى ولا بالعكس
وان كان الشمالى هو الظاهر لنا فوق الارض وارتفاعه بحسب بعد الناس
عن خط الاستواء فما كان بعده عن خط الاستواء ثلاثين درجة مثلا كان
ارتفاع القطب عنده ثلاثون درجة وهو الذى يسمى عرض البلد ، فاذا قدر
ان العرش مستدير محيط بالمخلوقات كان هو أعلاها وسقفها وهو فوقها
مطلقا فلا يتوجه اليه والى ما فوقه الانسان الا من العلو لا من جهاته الباقية
أصلا ومن توجه الى الفلك التاسع او الثامن او غيره من غير جهة العلو كان
جاهلا باتفاق العقلاء فكيف بالتوجه الى العرش او الى ما فوقه ؟ وغاية ما
يقدر أن يكون كرى الشكل والله تعالى محيط بالمخلوقات كلها احاطة تليق
بجلاله فان السموات السبع والارض فى يده أصغر من الحمصة فى يد
أحدنا ، قال ابن عباس رضى الله عنهما : ما السموات السبع والارضون
السبع وما فيهن وما بينهن فى يد الرحمن الا كخردلة فى يد أحدكم .
وهذا الاثر وأمثاله معروفة فى كتب الحديث . قال شيخ الاسلام : ومن
المعلوم ان الواحد منا ولله المثل الاعلى اذا كان عنده خردلة ان شاء قبضها
فاحاطت بها قبضته وان شاء لم يقبضها بل جعلها تحته فهو فى الحالين مباين
لها والعرش سواء كان هذا الفلك التاسع الذى هو الفلك الاطلس عند
الفلاسفة ويسمونه الفلك الاعظم وفلك الأفلاك او كان جسما محيطا
بالفلك التاسع او كان فوقه من جهة وجه الارض غير محيط به فوجب

على كل حال ان يعلم ان العالم العلوى والسسى بالنسبة الى الخالق فى غاية الصغر كما قال تعالى (وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه) وفى ذلك من الاحاديث ما سيأتى ذكر بعضها عند ذكر يديه تعالى • وسواء قدر أن العرش محيط بالمخلوقات كاحاطة الكرة بما فيها أو قيل انه فوقها وليس محيطا بها كوجه الارض الذى نحن عليه بالنسبة الى جوفها وكالقبة بالنسبة الى ما تحتها او غير ذلك فعلى التقديرين يكون العرش فوق المخلوقات والخالق سبحانه وتعالى فوقه والعبد فى توجهه الى الله يقصد العلو دون التحت • ثم قال شيخ الاسلام فى آخر كتاب العرش : قد تبين انه سبحانه وتعالى أعظم وأكبر من ان تكون المخلوقات عنده بمنزلة داخل الفلك وانها أصغر عنده من الحمصة او الفللفة ونحو ذلك فى يد أحدنا ، فاذا كانت الحمصة أو الفللفة بل الدرهم والدينار أو الكرة التى يلعب بها الصبيان ونحو ذلك فى يد انسان أو تحته أو نحو ذلك هل يتصور عاقل اذا استشعر علو الانسان على ذلك واحاطته به أن يكون الانسان كالفلك فالله تعالى وله المثل الأعلى أعظم من أن يظن ذلك به وانما يظنه الذين لم يقدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون وبالله التوفيق •

((فلا يحيط علمنا بذاته كذاك لا ينفك عن صمبه))

((فكل ما قد جاء فى الدليل فثابت من غير ما تمثيل))

علم الخلق قاصر
عن الاحاطة
بالله تعالى

ولما كان الله سبحانه وتعالى بهذه المثابة من العظمة والكبرياء والجلالة وكان الناظم مستشعرا بهذا قال ((فلا يحيط علمنا)) معشر الخلق من الملائكة والانس والجن ولو بذلنا جهدنا فى تحصيل معرفته وأنفذنا أعمارنا فى الدأب فى التدقيق والامعان فى النظر فيما يوصل الى ادراك حقيقته فلا يمكن أن يحيط علمنا ولا أن تدرك عقولنا العلم ((بذاته)) المقدسة وحقيقته المعظمة • قال شيخ الاسلام فى التدمرية : ومثل هذا - يعنى عدم العلم بحقائق الصفات والذات - يوجد كثيرا فى كلام السلف والائمة ينفون علم العباد بكيفية صفات الله تعالى وانه لا يعلم كيف الله الا الله •

قال فلا يعلم ما هو الا هو ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم « لأحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك » وهذا في صحيح مسلم وغيره ، وقال في الحديث الآخر « اللهم اني أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابه أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك » والحديث في المسند وصحيح أبي حاتم وقد أخبر فيه أن لله من الاسماء ما استأثر به في علم الغيب عنده فمعاني هذه الاسماء التي استأثر بها في علم الغيب عنده لا يعلمها غيره ، ونحن نعلم أن أسماء الله تعالى كلها اتفقت في دلالتها على ذات الله مع تنوع معانيها ، فهي متفقة متواطئة من حيث الذات متباينة من جهة الصفات ، فهي مترادفة بحسب الذات متباينة بحسب الصفات . قال شيخ الاسلام ما أخبر الله به من الغيب أعظم مما يعلم في الشاهد ، وفي الغائب ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، فنحن اذا أخبرنا الله بالغيب الذي اختص به من الجنة والنار علمنا معنى ذلك وفهمنا ما أريد منا فهمه بذلك الخطاب وفسرنا ذلك ، وأما نفس الحقيقة المخبر عنها مثل التي لم تكن بعد وانما تكون يوم القيامة فذلك من التأويل الذي لا يعلمه الا الله . انتهى .

ولهذا قال بعض الناس ليس في الدنيا شيء مما في الجنة الا الاسم كما قاله ابن عباس رضي الله عنهما . قال ابن وهب قال عبد الرحمن بن زيد يعرفون أسماءه كما كانوا في الدنيا بالتفاح والرمان وليس هو مثله في الطعم . وقد أخرج عبد الله ابن الامام احمد رحمهما الله تعالى من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أهبط الله آدم من الجنة وعلمه صنعة كل شيء وزوده من ثمار الجنة فثماركم هذه من ثمار الجنة غير أنها تغير وتلك لا تغير ، فالله جل شأنه لا يعلم عباده الحقائق التي أخبر عنها من صفاته وصفات اليوم الآخر ولا يعلمون حقائق ما أراد بخلقه وأمره من الحكمة ولا حقائق ما صدرت عنه من المشيئة والقدرة فحقيقة ما دل عليه سبحانه وتعالى من حقائق الاسماء والصفات وماله من الجنود الذين يستعملهم في أفعاله فلا يعلمه الا هو (وما يعلم جنود ربك الا هو) وهذا من تأويل التشابه الذي لا يعلمه الا الله ،

وبهذا يتبين أن التشابه يكون في الالفاظ المتواطئة كما يكون في الالفاظ المشتركة التي ليست بمتواطئة ، وان زال الاشتباه بما يميز أحد المعنيين من اضافة أو تعريف كما اذا قيل فيها أنهار من ماء فهنا قد خص هذا الماء بالجنة فظهر الفرق بينه وبين ماء الدنيا لكن حقيقة ما امتاز به ذلك الماء غير معلومة لنا ، وهو مع ما أعده الله تعالى لعباده الصالحين مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر من التأويل الذي لا يعلمه الا الله ، وكذلك مدلول أسمائه وصفاته التي يختص بها التي هي حقيقته لا يعلمها الا هو ، ولهذا كان الائمة الكبار كالامام احمد وغيره ينكرون على الجهمية وأمثالهم من الذين يحرفون الكلم عن مواضعه . فالحقيقة التي استأثر الله بعلمها لا يعلمها الا هو كما بسط عليه الكلام شيخ الاسلام في التدمرية وغيرها . ثم قال : وقد افترق الناس في هذا المقام ثلاث فرق ، فالسلف والائمة وأتباعهم آمنوا بما أخبر الله به عن نفسه وعن اليوم الآخر مع علمهم بالمباينة التي بين ما في الدنيا وبين ما في الآخرة وان مباينة الله تعالى لخلقه أعظم (والفريق الثاني) الذين أثبتوا ما أخبر به في الآخرة من الثواب والعقاب ونفوا كثيرا مما أخبر به من الصفات مثل طوائف من أهل الكلام . (والفريق الثالث) نفوا هذا وهذا كالقرامطة الباطنية والفلاسفة اتباع المشائين ونحوهم من الملاحدة الذين ينكرون حقائق ما أخبر الله به عن نفسه وعن اليوم الآخر ، وهؤلاء الباطنية هم الملاحدة الذين أجمع المسلمون على أنهم أكفر من اليهود والنصارى . والله أعلم . ((كذلك)) أى كما أن علمنا لا يحيط بالذات المقدسة ((لايفك)) أى لا يخلص ولا يزول ((عن صفاته)) الذاتية وأفعاله الاختيارية فذاته المقدسة ليست مثل ذوات المخلوقين ، وصفاته كذاته ليست كصفات المخلوقين ، فسببة صفة المخلوق اليه كنسبة صفة الخالق اليه . وليس المنسوب كالمنسوب ولا المنسوب اليه كالمنسوب اليه ، وأراد الناظم بما ذكر الرد على المعتزلة ونحوهم من نفاة الصفات فانهم يزعمون ان كل من أثبت لله صفة قديمة وهو مشبه ممثل فمن قال لله تعالى علم قديم أو قدرة قديمة كان عندهم مشبها ممثلا لان القدم عند جمهورهم هو أخص وصف الاله فمن أثبت له

**اثبات الصفات
والرد على النفاة**

صفة قديمة فقد أثبت له مثلا قديما فيسمونه ممثلا بهذا الاعتبار • ومثبتو الصفات لا يوافقونهم على هذا بل يقولون أخص وصفه ما لا يتصف به غيره مثل كونه رب العالمين وأنه بكل شيء عليم وأنه على كل شيء قدير وأنه اله واحد ونحو ذلك والصفة لا توصف بشيء من ذلك ثم من هؤلاء الصفاتية من لا يقول في الصفات انها قديمة بل يقول الرب بصفاته قديم ومنهم من يقول هو قديم وصفته قديمة ولا يقول هو وصفته قديمان • ومنهم من يقول هو وصفاته قديمان ولكن يقول: ذلك لا يقتضى مشاركة الصفة له فى شيء من خصائصه فان القدم ليس من خصائص الذات المجردة بل هو من خصائص الذات الموصوفة بالصفات ، والا فالذات المجردة لا وجود لها عندهم فضلا عن أن تختص بالقدم • وقد يقولون الذات متصفة بالقدم والصفات متصفة بالقدم وليست الصفات الها ولا ربا كما أن النبي محدث وصفاته محدثة وليست الصفات نبيا • فهؤلاء المعتزلة اذا أطلقوا على الصفاتية اسم التشبيه والتمثيل كان هذا بحسب اعتقادهم الفاسد الباطل • وهب ان هذا المعنى قد يسمى فى اصطلاح بعض الناس تشبيها فهذا المعنى لم ينفه عقل ولا سمع وانما الواجب نفى ما نفته الادلة الشرعية والعقلية • والقرآن قد نفى مسمى المثل والكفاء والند ونحو ذلك والصفة فى لغة العرب ليست مثل الموصوف ولا كفاء ولا نده فلا تدخل فى النص ، وأما العقل فلم ينف مسمى التشبيه فى اصطلاح المعتزلة • وكذلك زعمهم ان الصفات لا تقوم الا بجسم فلو قامت به الصفات للزم أن يكون ممثلا لسائر الاجسام وهذا هو التشبيه ، وهذا باطل فان الله تعالى لا مثل له بل له المثل الاعلى فلا يجوز أن يشترك هو والمخلوق فى قياس تمثيل ولا فى قياس شمول تستوى أفراده ولكن يستعمل فى حقه تعالى المثل الاعلى وهو أن كل ما تصف به المخلوق من كمال فالخالق به أولى ، وكل ما ينزه عنه المخلوق فالخالق أنزه عنه وأعلى ، فالذى يعتمد عليه نفى النقص والعيب مما هو سبحانه مقدس عنه فهذه الطريق الصحيحة ، والمحجة الرجيحة ، فيثبت له من صفات الكمال ، ما يليق بعزة ذى الجلال ، وينفى مماثلة غيره له فيها فلا يشركه شيء من الاشياء فيما هو من خصائصه ، وكل صفة من صفات الكمال فهو

متصف بها على وجه لا يماثله فيه أحد • فمذهب السلف وأئمة الدين اثبات ما وصف الله به نفسه من الصفات ونفى مماثلته لشيء من لمخلوقات كما تقدم الكلام على الصفات بما لعل فيه كفاية لمن تبصر والله الموفق •

تبيينه

الصفات عين الذات أم غيرها؟

اختلف النظار في صفات الباري عز وجل هل هي عين ذاته تعالى أو غير ذاته المقدسة ، وبهذه الشبهة نفت المعتزلة الصفات عن الذات لانهم قالوا اما أن تكون الصفات حادثة فيلزم قيام الحوادث بذاته وخلوه تعالى في الازل عن العلم والقدرة والارادة والحياة وغيرها من الكمالات وصدورها عنه تعالى بالقصد والاختيار أو بشرائط حادثة والجميع باطل بالاتفاق ، واما أن تكون قديمة فيلزم تعدد القدماء ، وهو كفر باجماع المسلمين وقد كفر النصارى بثلاثة قدماء فكيف بالاكتر • والجواب انما المحذور في تعدد القدماء المغايرة ونحن نمنع تغاير الذات مع الصفات والصفات بعضها مع بعض فينتفى التعدد والتكثر ولئن سلم ما زعموا من تعدد القدماء فالممتنع تعدد القدماء اذا كانت ذوات مستقلة لا تعدد ذات وصفات لها ، فهذا مبين لقول النصارى كما لا يخفى على ذى بصيرة • قال شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله روحه في شرح العقيدة الاصفهانية : واسم الغير فيه اصطلاحان أحدهما أن الغيرين ماجاز العلم بأحدهما مع عدم العلم بالآخر ، والثاني ان الغيرين ماجاز مفارقة أحدهما للآخر ، وعرفا أيضا بأنهما الموجودان اللذان يمكن انفكاك أحدهما عن الآخر بوجود أو مكان أو زمان ، فالغيرية كون الموجودين يتصور انفكاك أحدهما عن الآخر ، والعينية هي الاتحاد في المفهوم بلا تفاوت أصلا • فلا يكونان تقيضين بل يتصور بينهما واسطة بأن يكون الشيء بحيث لا يكون مفهومه مفهوم الآخر ولا يوجد بدونه كالجزم مع الكل والصفة مع الذات العلية وبعض صفاتها مع بعض • قال شيخ الاسلام والاول - يعني ان حد الغيرين ماجاز العلم بأحدهما مع عدم العلم بالآخر - اصطلاح المعتزلة والكرامية ، والثاني وهوان حد الغيرين ماجاز مفارقة أحدهما للآخر كما تقدم اصطلاح طوائف من الكلابية والاشعرية ومن وافقهم من الفقهاء من أصحاب الأئمة الاربعة •

قال واما الأئمة كالامام احمد بن حنبل رضى الله عنه وغيره فان لفظ الغير عندهم يحتمل هذا وهذا ، ولهذا كان السلف لا يطلقون القول بأن صفات الله تعالى غيره ولا انها (١) ليست غيره ، فلا يقولون كلام الله غير الله ولا يقولون ليس غير الله ، بل يستفسرون القائل عن مراده فقد يريد الاول وقد يريد الثانى ، وهذه طريقة حذاق النظر فان أراد الاصطلاح الثانى فجزء الشيء اللازم وصفته اللازمة ليس بغير له فلا يكون ثبوته موجبا لافتقاره الى غيره ، وان تكلم بالاول فثبوت الغير بهذا التفسير لا بد منه فانه يمكن العلم بوجوده والعلم بأنه خالق والعلم بعلمه والعلم بارادته وهم يفسرون (٢) عن ذلك بالعقل والعناية وهذه المعانى أغيار على هذا الاصطلاح وثبوتها لازم لواجب الوجود ، واذا كان ثبوت هذه الاغيار لازما له لم يجز القول بنفيها لأن نفيها يستلزم نفى واجب الوجود . واعلم ان مثل هذا وان سمي تركيبا فليس منافيا لوجوب الوجود فاذا قيل واجب الوجود لا يقتقر الى غيره قيل لا يقتقر الى غير يجوز مفارقه له أم الى غير لازم لوجوده ؟ فالاول حق وأما الثانى اذا أريد بالافتقار انه مستلزم له فممنوع . وقال شيخ الاسلام أيضا قدس الله سره فى كتابه (الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح) ما ملخصه : من الناس من يقول كل صفة للرب عز وجل غير الاخرى ، ويقول الغيران ماجاز العلم بأحدهما مع الجهل بالآخر . ومنهم من يقول ليست هى غير الاخرى ولا هى لأن الغيرين ماجاز وجود أحدهما مع عدم الآخر أو ماجاز مفارقة أحدهما الآخر بزمان أو مكان أو وجود . قال والذى عليه سلف الأمة وأئمتها اذا قيل لهم علم الله وكلام الله هل هو غير الله أم لا لم يطلقوا النفى ولا الاثبات فانه اذا قيل هو غيره اوهم انه مباين له واذا قيل ليس غيره أو هم انه هو بل يستفصل السائل فان أراد بقوله غيره انه مباين له منفصل عنه فصفات الموصوف لا تكون مباينة له منفصلة عنه وان كان مخلوقا فكيف بصفات الخالق ؟ وان أراد بالغير انها ليست هى هو فليست الصفة هى الموصوف فهى غيره بهذا الاعتبار ، واسم

(١) فى الاصلين « لانها » كذا

(٢) الظاهر « يعبرون »

الرب اذا أطلق يتناول الذات المقدسة بما تستحقه من صفات الكمال فيمتنع وجود الذات عرية عن صفات الكمال فاسم (الله) جل وعز يتناول الذات الموصوفة بصفات الكمال ، وهذه الصفات ليست زائدة على هذا المسمى بل هي داخله في المسمى ولكنها زائدة على الذات المجردة التي تشبها نفاة الصفات . فأولئك لما زعموا أنه ذات مجردة قال هؤلاء الصفات زائدة على ما أنبتموه من الذات ، وأما في نفس الامر فليس هناك ذات مجردة تكون الصفات زائدة عليها بل الرب تعالى هو الذات المقدسة الموصوفة بصفات الكمال وصفاته داخله في مسمى أسمائه سبحانه وتعالى . انتهى . وهذا تحقيق لا مزيد عليه فاحفظه فانه مهم وباللله التوفيق .

ثم أخذ في ذكر الصفات التي يشبها السلف فقال ((فكل ما)) أى وصف ((قد جاء)) مضمونه ((فى الدليل)) الشرعى من الكتاب العظيم وسنه النبى الكريم ووصفه بعد السلف الصالح ((٥)) انه ((ثابت)) له سبحانه وتعالى وموصوف به ((من غير ما)) زائدة لمزيد النفى وتأكيد ((تمثيل)) بل ثبت له ما ورد ولا تعرض له بتأويل ولا رد فمذهب السلف فى آيات الصفات انها لا تؤول ولا تفسر بل يجب الايمان بها وتفويض معناها المراد منها الى الله تعالى فقد روى اللالكائى الحافظ عن محمد بن الحسن قال اتفق الفقهاء كلهم من المشرق الى المغرب على الايمان بالصفات من غير تفسير ولا تشبيه . قال العلامة الشيخ مرعى وغيره من علمائنا وغيرهم مضت أئمة السلف على الايمان بظاهر ما جاء فى الكتاب من آيات الصفات ، وكان الزهرى ومالك والاوزاعى وسفيان الثورى والليث بن سعد وعبد الله بن المبارك والامام احمد بن حنبل واسحاق ابن راهويه وغيرهم رحمهم الله ورضى عنهم يقولون فى آيات الصفات مروها كما جاءت وقال سفيان بن عيينة - وناهيك به علما وفهما وورعا وزهدا وامامة : وكل ما وصف الله نفسه فى كتابه فتفسيره قراءته والسكوت عنه ليس لأحد أن يفسره الا الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم . الى غير ذلك مما ذكرناه أولا ومما لم نذكره مما هو أضعاف اضعاف اضعافه

((من رحمة ونحوها كوجهه ويده وكل ما من نهجه))

- ((وعينه وصفة النزول وخلقه فاحذر من النزول))
((فسائر الصفات والأفعال قديمة لله ذى الجلال))
((لكن بلا كيف ولا تمثيل رغما لأهل الزيف والتعطيل))
((فمرها كما أتت في الذكر من غير تأويل وغير فكر)) (١)

(١) في التعليقات المنقولة عن الشيخ عبد الله بابطين ما لفظه تقدم الكلام على قول المؤلف رحمه الله في آيات الصفات أنها تمر كما جاءت عند قوله فكل ماجاء من الآيات . وأما قوله من غير تأويل وغير فكر فينبغي أن يعرف أن التأويل يقع على ثلاثة معان الاول ما اشتهر عند كثير من المتأخرين وهو أنه صرف اللفظ عن ظاهره وهو صحيح ان كان بدليل وباطل ان كان بغير دليل والمعنى الثاني انه ما يؤول اليه الامر ومنه قوله تعالى هل ينظرون الا تأويله وقوله عن يوسف قال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل والمعنى الثالث التفسير ومنه ما يقوله ابن جرير رحمه الله في مثل القول في تأويل قوله تعالى أى في تفسير قوله تعالى والمؤلف رحمه الله تعالى ان أراد بنفى التأويل المعنى الاول فصحيح فان أهل السنة لا يصفون نصوص الصفات عن معناها الظاهر منها بلا دليل وأما أن أراد المعنى الثالث فغير صحيح فان أهل السنة ما زالوا يفسرون أسماء الله تعالى ويبينوا أقسامها من غير تكييف ولا تمثيل وكم لهم من مصنف في شرح أسماء الله الحسنى وبيان معانيها دون كيفيتها واما أن أراد المعنى الثاني من التأويل وهو ما يتوول اليه الشيء فهذا فيه تفصيل فان أراد نفي معرفة ما يتوول اليه من الكيفية فصحيح فان أحدا لا يعلم كيفية صفات الباري وان أراد نفي (معرفة) ما تتوول اليه من المعنى فغير صحيح فاننا نعرف معاني أسماء الله وصفاته وان كنا لا نحيط بذلك وأما قوله وغير فكر فانه قد صرح في الشرح كما ترى بأن المراد وغير فكر في معناها فان أراد بالمعنى الكيفية وهو بعيد - فصحيح فاننا لن نفكر في الكيفية لان ذلك تفكير فيما لا سبيل الى الوصول اليه فان الشيء يستحيل معرفته الا بمشاهدته أو مشاهدة نظيره أو خبر الصادق عنه وأما ان أراد بمعناها الوصف اللائق بالله فغير صحيح فاننا نفكر في ذلك ونتأمله ونتعبد لله به انظر الى قوله تعالى (الحى) فاننا نفكر في كل معنى جليل ووصف كامل يمكن أن يدل عليه اسم الحى مطابقة أو تضمنا أو التزاما فنثبت لله تعالى ثم اذا نظرنا مرة أخرى الى مثل قوله تعالى العليم الخبير أوجب لنا أن نفهم ونفهم معنى العلم فينتج من ذلك مراقبة الله سرا وعلنا والخوف منه وان نخشاه سرا وعلنا كما أشار الى ذلك قوله تعالى (قل ان الموت الذى تفرون منه فانه ملائكم ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) فتأمل هذا التفريع وهو الاخبار المستلزم للمجازاة أو العفو اذا شاء الله وكان الذنب غير شرك حق تأمله تجده مفرعا على قوله عالم الغيب والشهادة يوجب لك أكبر المراقبة لله والحاصل أن التفكير في معاني أسماء الله وصفاته من غير كيف هو ما يعتنقه أهل السنة كما هو معلوم طفحت به كتبهم صفارها وكبارها متونها وشروحها والله أعلم

إذا علمت ذلك فمما يشته له تعالى السلف دون غيرهم صفة الرحمة وقد أشار إليها بقوله ((من رحمة)) وهي صفة قديمة قائمة بذاته تعالى تقتضى التفضل والانعام كما تقدم في أول الكتاب • قال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه في شرح العقيدة الاصفهانية : الذى اتفق عليه سلف الامة وأئمتها أن يوصف الله تعالى بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكيف ولا تمثيل ، فانه قد علم بالسمع مع العقل ان الله ليس كمثل شىء لا فى ذاته ولا فى صفاته ولا فى أفعاله كما قال (هل تعلم له سميا) (فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون) (ولم يكن له كفوا أحد) وقد علم بالعقل أن المثليين يجوز على أحدهما ما يجوز على الآخر ، ويجب له ما يجب له ويمتنع عليه ما يمتنع عليه ، فلو كان المخلوق مثلا للخالق للزم اشتراكهما فيما يجب ويجوز ويمتنع والخالق يجب وجوده وقدمه والمخلوق يستحيل وجوب وجوده وقدمه بل يجب حدوثه وامكانه ، فلو كانا متماثلين للزم اشتراكهما فى ذلك وهذا جمع بين النقيضين • قال اذا عرف هذا فقول ان الله تعالى سمي نفسه فى القرآن العظيم بالرحمن الرحيم ووصف نفسه بالرحمة كما قال (ربنا وسعت كل شىء رحمة وعلما) (ورحمتى وسعت كل شىء) • فال ومن الناس من جعل رحمة الله تعالى عبارة عما يخلقه من النعمة ، ومنهم من جعل رحمته ارادته لانهم زعموا ان الرحمة لغة رقة القلب وانعطافه وذلك من الكيفيات التابعة للمزاج والله تعالى منزه عنها ، فالمراد بها فى حقه ارادة الخير والاحسان الى من يرحمه ، فان أسماء الله تعالى تؤخذ باعتبار الغايات التى هى أفعال ، دون المبادئ التى هى انفعالات ، وقد مر فى أول الكتاب الكلام على الرحمة بما لعله يشفى ويكفى • قوله ((ونحوها)) أى نحو الرحمة من محبته تعالى ورضاه وغضبه ونحو ذلك قال تعالى «يجبهم ويحبونه - وأتقيت عليك محبة منى - ان الله يحب المحسنين - و : يجب المتقين - و : يجب الصابرين - و : يجب الذين يقاتلون فى سبيله صفا » قال شيخ الاسلام : ومن الناس من نفى أن تكون له صفة محبة أو رضا أو غضب غير الارادة ، قال علماء الخلف المحبة ميل القلب الى ما يلائم الطبع والله

المحبة والرضا
والغضب

منزه عن ذلك وحينئذ فمجة الله تعالى للعبد ارادة اللطف به والاحسان اليه ، ومجة العبد لله هي مجة طاعته في أوامره ونواهيه والاعتناء بتحصيل مرضيه ، فمعنى يحب الله أى يحب طاعته وخدمته أو يحب ثوابه واحسانه وهذا مذهب جمهور المتكلمين • قال الامام العلامة المحقق الاصولي الطوفي الحنبلي رحمه الله تعالى ذهب طوائف من المتكلمين والفقهاء الى أن الله تعالى لا يحب وانما محبته مجة طاعته وعبادته • وقالوا أيضا هو لا يحب عباده المؤمنين وانما محبته ارادته الاحسان اليهم • قال والذى دل عليه الكتاب والسنة واتفق عليه سلف الامة وأئمتها وجميع مشايخ الطريق ان الله تعالى يحب ويحب لذاته ، وأما حب ثوابه فدرجة نازلة • وهذا من كلام شيخ الاسلام فانه قال : للناس فى هذا الاصل العظيم ثلاثة أقوال (أحدها) أن الله تعالى يحب ويحب كما قال تعالى (فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه) فهو المستحق أن يكون له كمال المحبة دون ما سواه وهو سبحانه يحب ما أمر به ويحب عباده المؤمنين • قال شيخ الاسلام : وهذا قول سلف الامة وأئمتها وقول أئمة شيوخ المعرفة • (والقول الثانى) انه يستحق أن يحب لكنه لا يحب الا بمعنى أن يريد وهذا قول كثير من المتكلمين ومن وافقهم من الصوفية • (والثالث) انه لا يحب ولا يحب وانما مجة العباد له ارادتهم طاعته ، وهذا قول الجهمية ومن وافقهم من متأخرى أهل الكلام كالرازى - فيقال لمن نفى رحمة الله ومحبته وغضبه ورضاه ونحوها وأثبت له الارادة : لم نفيت تلك وأثبت له الارادة ؟ فان قيل لأن اثبات هذه الصفات تشبيهه لأن الرحمة رقة تلحق المخلوق ، والغضب غليان الدم لارادة الانتقام، ونحو ذلك، والرب منزّه عن مثل صفات المخلوقين، قيل له : وكذلك يقول لك منازعتك في الارادة ان الارادة المعروفة ميل الانسان الى ما ينفعه ودفع ما يضره، والله تعالى منزّه عن الاحتياج الى عباده وهم لا يبلغون ضره ولا نفعه بل هو الغنى عن خلقه كلهم • فان قيل الارادة التى نسبتها لله تعالى ليست مثل ارادة المخلوقين كما انا قد اتفقنا وسائر المسلمين على أنه حتى عليم قدير وليس هو مثل سائر الاحياء العلماء القادرين ، قال لك أهل الاثبات : وكذلك المحبة والرحمة ونحوهما التى نسبتها لله تعالى ليست مثل رحمة المخلوق

ومحبته . فان قلت لا أعقل من الرحمة والمحبة الا هذا ، قال لك النفاة ونحن لا نعقل من الارادة الا هذا ، ومعلوم عند كل عاقل ان ارادتنا ومحبتنا ورحمتنا بالنسبة الينا ، وارادته ومحبته ورحمته تعالى بالنسبة اليه ، فلا يجوز التفريق بين المتماثلين فيثبت له احدى الصفتين وينفى الاخرى وليس في العقل ولا في السمع ما يوجب التفريق . قال شيخ الاسلام في التدمرية : القول في بعض الصفات كالقول في بعض فان كان المخاطب ممن يقر بأن الله تعالى حي ب حياة عليم بعلم قدير بقدره هميع بسمع بصير بصير متكلم بكلام مرید بارادة ويجعل ذلك كله حقيقة وينازع في محبته تعالى ورضاه وغبه وكرهته فيجعل ذلك مجازا ويفسره اما بالارادة واما بعض المخلوقات من النعم والعقوبات ، قيل له لا فرق بين ما نفيته وبين ما أثبتته بل القول في أحدهما كالقول في الآخر ، فان قلت ان ارادته مثل ارادة المخلوقين فكذلك محبته ورضاه وغبه وهذا هو التمثيل ، وان قلت له ارادة تليق به كما ان للمخلوق ارادة تليق به ، قيل لك وكذلك له محبة تليق به وللمخلوق محبة تليق به ، وله تعالى رضا وغب يليق به وللمخلوق رضا وغب يليق به ، فان قال الغضب غليان دم القلب لطلب الانتقام، قيل له والارادة ميل النفس الى جلب منفعة أو دفع مضرة ، فان قلت هذه ارادة المخلوق ، قيل لك وهذا غضب المخلوق ، وكذلك يلزم بالقول في علمه وسمعه وبصره وقدرته ونحو ذلك ، فهذا المفرق بين بعض الصفات وبعض يقال له فيما نفاه كما يقوله هو لمنازعه فيما أثبتته ، فان قال تلك الصفات أثبتها بالعقل لأن الفعل دل على القدرة، والتخصيص دل على الارادة، والاحكام دل على العلم وهذه الصفات مستلزمة للحياة والحي لا يخلو عن السمع والبصر والكلام أو ضد ذلك ، قال له سائر أهل الاثبات لك جوابان (أحدهما) أن يقال عدم الدليل المعين لا يستلزم عدم المدلول المعين فهب ان ما سلكته من الدليل العقلي لا يثبت ذلك فانه لا ينفيه وليس لك أن تنفيه من غير دليل لأن النافي عليه الدليل كما على المثبت ، والسمع قد دل عليه ولم يعارض ذلك معارض عقلي ولا سمعي فيجب اثبات ما أثبتته الدليل

السالم عن المعارض المقاوم (الثانى) أن يقال يمكن اثبات هذه الصفات بنظير ما أثبت به تلك من العقلية فيقال نفع العباد بالاحسان اليهم وما يوجد في المخلوقات من المنافع للمحتاجين وكشف الضر عن المضرورين وأنواع الرزق والهدى والمسرات دليل على رحمة الخالق كدلالة التخصيص على الارادة والمشيئة ، والقرآن يثبت دلائل الربوبية بهذه الطريق تارة يدلهم بالآيات المخلوقة على وجود الخالق ويثبت علمه وقدرته وحياته ، وتارة يدلهم بالنعم والآلاء على وجود بره واحسانه المستلزم رحمته ، وهذا كثير في القرآن وان لم يكن مثل الاول أو أكثر منه لم يكن أقل منه بكثير ، واکرام الطائعين يدل على محبتهم وعقاب الكفار يدل على بغضهم كما قد ثبت بالشاهد والخبر من اكرام أوليائه وعقاب أعدائه ، والغايات الموجودة في مفعولاته وأموراته وهى ما تنتهى اليه مفعولاته وأموراته من العواقب الحميدة تدل على حكمته البالغة كما يدل التخصيص على الارادة وأولى لقوة العلة الغائية ، ولهذا كان ما في القرآن من بيان مخلوقاته من النعم والحكم أعظم مما في القرآن من بيان ما فيها من الدلالة على محض المشيئة . قال شيخ الاسلام طيب الله مضجعه : ومما يوضح ذلك أن وجوب تصديق كل مسلم بما أخبر به الله ورسوله من صفاته تعالى ليس موقوفا على أن يقوم دليل عقلى على تلك الصفة بعينها فان مما يعلم بالاضطرار من دين الاسلام ان الرسول اذا أخبرنا بشيء من صفات الله تعالى وجب علينا التصديق به وان لم نعلم ثبوته بعقولنا ومن لم يقر بما جاء به الرسول حتى يعلمه بعقله فقد أشبه الذين قال الله عنهم (وقالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتى رسل الله الله أعلم حيث يجعل رسالاته)^(١) ومن سلك هذا السبيل فهو في الحقيقة ليس مؤمنا بالرسول ولا متلقيا عنه الأخبار بشأن الربوبية ولا فرق عنده بين ان يخبر الرسول بشيء من ذلك أو لم يخبر به فان ما أخبر به اذا لم يعلمه بعقله لا يصدق به بل يتأوله أو يفوضه ومالم يخبر به ان علمه بعقله آمن به ، فلا فرق عند من سلك هذه السبيل

بين وجود الرسول واخباره وبين عدم الرسول وعدم اخباره وكان ما يذكر من القرآن والحديث والاجماع عديم الاثر عنده . قال شيخ الاسلام في شرح الاصفهانية : وقد صرح بهذا أئمة هذا الطريق . قال : ثم أهل الطريق الثبوتية فيهم من يحيل على القياس وفيهم من يحيل على الكشف وكل من الطريقين فيها من الاضطراب والاختلاف ما لا ينضب وليست واحدة منهما تحصل المقصود بدون الطريق النبوية ، والطريق النبوية بها يحصل الايمان النافع في الآخرة ، ثم ان حصل قياس أو كشف يوافق ما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم كان حسنا مع أن القرآن قد نبه على الطريق الاعتبارية التي بها يستدل على مثل ما في القرآن كما قال تعالى (سنريهم آياتنا في الأفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق) فاخبر أنه يرى عباده من الآيات المشهودة التي هي أدلة عقلية ما يبين ان القرآن حق ، وليس لقائل أن يقول انما خصت هذه الصفات بالذكر لأن السمع موقوف عليها دون غيرها ، فان الأمر ليس كذلك لأن التصديق بالسمعية ليس موقوفا على اثبات السمع والبصر ونحو ذلك ، ثم قال شيخ الاسلام قدس الله روحه : والمقصود هنا التنبيه على أن ما يجب اثباته لله تعالى من الصفات ليس مقصورا على ما ذكره هؤلاء مع اثباتهم بعض صفاته بالعقل وبعضها بالسمع . فان من عرف حقائق أقوال الناس بطرقهم التي دعتهم الى تلك الأقوال حصل له العلم والرحمة فعلم الحق ورحم الخلق وكان من الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين وهذه خاصة أهل السنة المتبعين للرسول صلى الله عليه وسلم فانهم يتبعون الحق ويرحمون من خالفهم باجتهاده حيث عذره الله ورسوله ، وأما أهل البدع فيستدعون بدعة باطلة ويكفرون من خالفهم فيها . انتهى وبالله التوفيق .

ذكر وجه الله
تبارك وتعالى

ثم ذكر من صفات الله التي يثبتها السلف دون غيرهم عدة وبدأ بصفة الوجه له تعالى فقال ((كوجهه)) أى من الصفات الثابتة له تعالى صفة الوجه اثبات وجود لا اثبات تكليف وتحديد وهذا الذى نقل الخطابى وغيره انه مذهب السلف والأئمة الأربعة وبه قال الحنفية والحنابلة وكثير من الشافعية وغيرهم وهو اجراء آيات الصفات وأحاديثها على ظاهرها مع نفى

الكيفية والتشبيه عنها محتجين بأن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات فإذا كان اثبات الذات اثبات وجود لا اثبات تكيف فكذلك اثبات الصفات ، وقالوا انا لا نلتفت في ذلك الى تأويل لسنا منه على ثقة ويقين ، لاحتمال أن يكون المراد غيره لانه مأخوذ بالظن والتخمين ، لا بالقطع واليقين ، فلا نبني اعتقادنا عليه ، ولا نرجع عن النص الثابت اليه^(١) . فان هذا عند السلف مذموم وناهج هذا المنهج معيب ملوم . قال بعض المحققين : صفات الرب تعالى معلومة من حيث الجملة والثبوت ، غير معقولة من حيث التكيف والتحديد ، فالؤمن مبصر بها من وجه أعمى من وجه ، مبصر من حيث الاثبات والوجود أعمى من حيث التكيف والتحديد ، قال الله تعالى في محكم كتابه « ويبقى وجه ربك - فأينما تولوا فثم وجه الله - انما نطمعكم لوجه الله - كل شيء هالك الا وجهه » وفي الحديث : من بنى مسجدا يتقى به وجه الله ، وفي آخر : أعوذ بوجهك ، والاحاديث كثيرة شهيرة . قال أهل التأويل المراد بالوجه الذات المقدسة فأما كونه صفة الله فلا ، وهو قول المعتزلة وجمهور المتكلمين وزعموا انه يروى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال : الوجه عبارة عنه عز وجل كما قال (ويبقى وجه ربك) . وقال ابن فورك : قد تذكر صفة الشيء ويراد بها الموصوف توسعا كما يقول القائل رأيت علم فلان ونظرت الى علمه والمراد نظرت الى العالم . وقال القرطبي قال الحذاق : الوجه راجع الى الوجود والعبارة عنه بالوجه من مجاز الكلام اذ كان الوجه أظهر الاعضاء في المشاهدة . ومذهب السلف الاول والرعيلى الذى عليه المعول ان الوجه صفة ثابتة لله تعالى ورد بها السمع فتلقى بالقبول . ويبطل مذهب أهل التأويل ما قاله الامام الحافظ البيهقي والخطابي في قوله تعالى (ويبقى وجه ربك) فأضاف الوجه الى الذات وأضاف النعت الى الوجه فقال (ذو الجلال) ولو كان ذكر الوجه صلة ولم يكن صفة للذات لقال ذى الجلال فلما قال ذو الجلال علمنا أنه نعت للوجه وان الوجه صفة للذات . وقال علماءنا قد ثبت في الخطاب العربى الذى أجمع عليه أهل اللغة ان تسمية الوجه في أى محل وقع من

الحقيقة والمجاز يزيد على قولنا ذات فأما الحيوان فذلك مشهور حقيقة لا يمكن دفعه ، وأما في مقامات المجاز فكذلك أيضا لانه يقال فلان وجه القوم لا يراد به ذات القوم اذ ذوات القوم غيره قطعا ، ويقال هذا وجه الثوب لما هو أجوده ، ويقال هذا وجه الرأى أى أصحه وأقومه ، ويقال أتيت بالخبر على وجهه أى على حقيقته - الى غير ذلك مما يقال فيه الوجه ، فاذا كان هذا هو المستقر في اللغة وجب أن يحمل الوجه في حق البارى على وجه يليق به وهو أن يكون صفة زائدة على تسمية قولنا ذات • فان قيل يلزم أن يكون عضوا وجارحة ذات كمية وكيفية وهو باطل ، فالجواب هذا لا يلزم لان ما توهمه المعارض انما هو بالاضافة الى ذات الحيوان المحدث لا من خصيصية صفة الوجه ولكن من جهة نسبة الوجه الى جملة الذات فيما ثبت لها من الماهية المركبة وذلك أمر مدرك بالحس في جملة الذات فكانت الصفات الحادثة مساوية للذات المحدثة بطريق كونها منها ومتسبة اليها نسبة الجزء من الكل ، فأما الوجه (المضاف-١) للبارى تعالى يهسب اليه نسبة الذات اليه وقد ثبت ان الذات في حق البارى لا توصف بأنها جسم مركب تدخله الكمية وتتسلط عليها الكيفية ولا نعلم لها ماهية ، فصفته تعالى التي هي الوجه كذلك لا يوصل لها الى ماهية ولا يوقف لها على كيفية ولا تدخلها التجزئة المأخوذة من الكمية لان هذه انما هي صفات الجواهر المركبة أجساما والله تعالى منزه عن ذلك • ولو جاز هذا الاعتراض في الوجه لقليل بمثله في السمع والبصر والقدرة والعلم ونحوها فان العلم في حق المخلوق في الشاهد عرض قائم بقلب يشتم بطريق ضرورة أو اكتساب ولا كذلك في حق البارى جل وعلا لانه مخالف للشاهد في الداية وغير مشارك في اثبات ماهية أو كمية أو كيفية ، قال أبو الحسن الاشعري : لله تعالى وجه بلا كيف كما قال (ويبقى وجه ربك) قال ونصدق بجميع الروايات التي يشتمها أهل النقل • وقال القاضى أبو بكر (١) بن الباقلانى : فان قال قائل فما الدليل على أن لله تعالى وجهها قيل له قوله تعالى (ويبقى وجه ربك) • وقال الامام أبو حنيفة وله تعالى يد ووجه ونفس • فما ذكر

الله تعالى في القرآن من ذكر الوجه واليد والنفس فهو له صفات بلا كيف .
وقد روى مسلم في صحيحه وابن ماجه في سننه حديث : ان الله لا ينام ولا
ينبغى له ان ينام حجابہ النور لو كشفه لاحرقت سبحات وجهه ما انتهى
اليه بصره من خلقه . قال الامام لنووي : معناه انه تعالى لا ينام وانه
مستحيل في حقه النوم فان النوم انعام وغلبة على العقل يسقط به الاحساس
والله تعالى منزه عن ذلك ، وسبحات وجهه نوره وبهاؤه وجلاله بضم السين
المهملة والباء الموحدة ، وقيل سبحات الوجه محاسنه لانه يقال سبحان الله
عند رؤيتها ، وأصل الحجاب في اللغة المنع والستر والمراد به هنا المانع من
رؤيته وسمى ذلك المانع نورا لانه يمنع في العادة من الادراك كشعاع
الشمس . قال : والمراد بالوجه الذات والمراد بما انتهى اليه بصره جميع
المخلوقات لان بصره تعالى محيط بجميع الكائنات الخ كلامه . وقوله المراد
بالوجه الذات يعني على طريقة الخلف . وقالوا في قوله تعالى (فاينما
تولوا فثم وجه الله) أى فثم رضاه وثوابه . وقالوا في قوله (انما
نظعمكم لوجه الله) أى لرضاه وطلب ثوابه وقيل فثم الله والوجه صلته .
وقيل المراد بالوجه في قوله تعالى فثم وجه الله الجهة التي وجهنا الله اليها
أى القبلة . والحق التحقيق مذهب سلف الامة وما عليه الأئمة من اثبات
الوجه ونحوه ولهذا قال ((و)) ك ((يده)) تعالى الثابت بها النص
القرآني والحديث النبوي العرفاني كقوله تعالى « يد الله فوق أيديهم -
لما خلقت يدي - بل يدها مبسوطتان - قل ان الفضل بيد الله » ، فقد
أعلمنا في محكم تنزيله انه خلق أبانا آدم عليه السلام بيديه ، وكذب جل
شأنه اليهود في قولهم يد الله مغلولة فقال (بل يدها مبسوطتان) وأعلمنا في
محكم الذكر أن الأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه
وقال (فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء واليه ترجعون) وقال « تعز
من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير - أو لم يروا
انا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما » وفي الصحيحين من حديث عمر بن
الخطاب رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : التقى آدم وموسى
فقال موسى أنت الذي خلقك الله بيده وأسجد لك ملائكته ونفخ فيك من

ذكر السيدين
والأصابع

روحه : الحديث - وفي حديث أبي هريرة رضى الله عنه مرفوعا نحوه - فقال آدم : يا موسى أنت الذى اصطفاك الله بكلامه وخط لك التوراة يده . الحديث • وفي حديث أبي هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لما خلق الله الخلق - وفي رواية لما خلق الله آدم - كتب يده على نفسه ان رحمتى تغلب غضبى ، وفي حديث النزول من حديث ابن مسعود رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم وفيه : فيسقط يديه فيقول ألا عبد يسألنى فأعطيه - الحديث ، وفي حديث أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان أحدكم ليتصدق بالتمره من طيب - ولا يقبل الله الا طيبا - فيجعلها الله فى يده اليمين ثم يربها كما يربى أحدكم فلوله أو فصيله حتى تصير مثل أحد • وفي رواية فيجعلها الله فى كفه فيربها كما يربى أحدكم مهرة أو فصيله حتى تعود فى يده مثل الجبل • ومعنى تعود هنا تصير • وفي رواية من حديث أبي هريرة مرفوعا من تصدق بصدقة من كسب طيب - ولا يقبل الله الا طيبا ولا يصعد الى السماء الا طيب - فتقع فى كف الرحمن • وفي لفظ - الا هو يضمها فى يد الرحمن أو فى كف الرحمن - وفي رواية وان كانت مثل تمره فتربو له فى كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل كما يربى أحدكم فلوله أو فصيله • وفي لفظ وان الرجل ليتصدق باللقمة فتربو فى يد الله أو قال فى كف الله حتى تكون مثل الجبل • وفي حديث أبي هريرة أيضا رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لما خلق الله تعالى آدم ونفخ فيه الروح عطس فقال الحمد لله ، فحمد الله باذن الله فقال له ربه رحمتك ربك يا آدم - الحديث ، وفيه فقال الله له ويدها مقبوضتان : اختر أيهما شئت ، قال اخترت يمين ربي وكلتا يدي ربي يمين مباركة - الحديث ، وفي حديث أبي هريرة رضى الله عنه أيضا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : يمين الله مألوى لا يغيضها نفقة سحاء بالليل والنهار ، رأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والارض ، فانه لم يفض ما فى يمينه ، وعرشه على الماء وبيمينه الاخرى القبض يرفع ويخفض • وفي حديث أبي موسى الأشعري رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : قال « ان الله يسقط

يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده - يعنى بالنهار - ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها ، وفي القرآن العظيم (وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه) الآية . وفي الصحيحين (من حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال : يقبض الله تبارك وتعالى الارض يوم القيامة ويطوى السماء بيمينه ثم يقول أنا الملك ، أين ملوك الأرض • وفي الصحيحين - ١) أيضا واللفظ لمسلم عن أبى عبد الرحمن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يطوى الله السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون ، ثم يطوى الارضين بيده الاخرى ثم يقول أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون • وفي لفظ في الصحيح عن عبيد الله^(١) بن مقسم انه نظر الى عبد الله بن عمر كيف يحكى النبى صلى الله عليه وسلم قال : يأخذ الله سمواته وأرضه بيده ويقول أنا الملك - ويقبض أصابعه ويبسطها - أنا الملك حتى نظرت الى المنبر يتحرك من أسفل شيء منه حتى انى أقول أساقط هو برسول الله صلى الله عليه وسلم • وفي لفظ قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر وهو يقول : يأخذ الجبار سمواته وأرضه - وقبض بيده وجعل يقبضها ويبسطها - ويقول أنا الرحمن أنا الملك أنا السلام أنا المؤمن أنا المهيمن أنا العزيز أنا الجبار أنا المتكبر أنا الذى بدأت الدنيا ولم تك شيئا أنا الذى أعيدها أين الملوك أين الجبابرة - وفي لفظ أين الجبارون أين المتكبرون - ويتميل رسول الله صلى الله عليه وسلم على يمينه وعلى شماله حتى نظرت الى المنبر يتحرك من أسفل شيء منه حتى انى لأقول أساقط هو برسول الله صلى الله عليه وسلم • والحديث مروى في الصحيح والمسند وغيرها بألفاظ يصدق بعضها بعضا • وفي بعض ألفاظه قال : قرأ على المنبر (وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة) الآية قال : مطوية في كفه يرمى بها كما يرمى الغلام بالكرة • وفي لفظ يأخذ الجبار سمواته وأرضه بيده فيجعلهما في كفه ثم يقول بهما هكذا

(١) من مخ •

(١) فى الأصلين « عبد الله » خطأ

كما يقول الصبيان بالكرة : أنا الله الواحد • وقال ابن عباس رضى الله عنهما يقبض عليهما فما يرى طرفاهما بيده ، وفي لفظ عنه : ما السموات السبع والارضون السبع وما فيهن وما بينهن في يد الرحمن الا كخردلة في يد أحدكم • قال شيخ الاسلام في كتاب العرش : وهذه الآثار معروفة • وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل من اليهود فقال يا محمد ان الله يجعل السموات على أصبع والارضين على أصبع والجبال والشجر على أصبع والماء والترى على أصبع وسائر الخلق على أصبع فيهن فيقول أنا الملك أنا الملك • قال فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه تصديقا لقول الجبر ثم قال (وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة) الآية • قال شيخ الاسلام ابن نيمية روح الله روحه : ففى هذه الآية والأحاديث الصحيحة المفسرة لها المستفيضة التى اتفق أهل العلم على صحتها وتلقيها بالقبول ما يبين ان السموات والارض وما بينهما بالنسبة الى عظمة الله عز وجل أصغر من أن تكون مع قبضته لها الا كالشئ الصغير في يد أحدنا حتى يدحوها كما يدحى بالكرة •

إذا استحضرت ما ذكرناه وفهمت معنى ما تلوناه فاعلم ان مذهب السلف الصالح وعلماء الحنابلة ومن وافقهم من أهل الأثر ان المراد باليدين اثبات صفتين ذاتيتين تسميان يدين تزيدان على النعمة والقدرة محتجين بما مر من الآيات القرآنية والأخبار النبوية فان الله تعالى أثبت لآدم عليه السلام من المزية والاختصاص ما لم يشب مثله لابليس بقوله (لما خلقت بيدي) والا فكان ابليس يقول وأنا خلقتى بيدك فلا مزية لآدم ولا تشريف • فان قيل انما أضيف ذلك الى آدم ليوجب له تشريفا وتعظيما على ابليس ومجرد النسبة فى ذلك كاف فى التشريف كناقاة الله وبيت الله فهذا كاف فى التشريف وان كانت النوق والبيوت كلها لله • فالجواب : التشريف بالنسبة اذا تجردت عن اضافة الى صفة اقتضى مجرد التشريف فأما النسبة اذا اقترنت بذكر صفة أو جب ذلك اثبات الصفة التى لولاها ما تمت النسبة فان قولنا خلق الله الخلق بقدرته لما نسب الفعل الى تعلقه بصفة الله اقتضى

ذلك اثبات الصفة ، وكذا أحاط بالخلق بعلمه يقتضى احاطته بصفة هي العلم ،
فكذلك هنا لما كان ذكر التخصيص مضافا الى صفة وجب اثبات تلك الصفة
على وجه يليق بجلال الله وعظمته لا بمعنى العضو والجراحة والجسمية
والبعضية والكمية والكيفية تعالى الله عن ذلك • قال الامام الحافظ البغوى
في قوله تعالى (بيدى) في تحقيق الله تعالى التثنية فى اليد دليل على انها
ليست بمعنى القدرة والقوة والنعمة وانهما صفتان من صفات ذاته • وقال
اليهقى في كتاب « الأسماء والصفات » باب ما جاء في اثبات اليدين صفتين
لا من حيث الجراحة - فذكر الآيات ثم قال الحافظ اليهقى : قال بعض أهل
النظر قد تكون اليد بمعنى القوة كقوله (داود ذا الايد) أى ذا القوة
وبمعنى الملك والقدرة والنعمة وتكون صلة أى زائدة • ثم أبطل اليهقى
ذلك كله وأثبت أن اليدين صفتان تعلقتا بخلق آدم تشريفا له دون خلق
ابليس تعلق القدرة بالمقدور لا من طريق المباشرة ولا من حيث المماسية
وليس لذلك التخصيص وجه غير ما بينه الله تعالى في قوله (لما خلقت يدي)
انتهى • وقال أبو الحسن الأشعري : اليد صفة ورد بها الشرع والذى يلوح
من معنى هذه الصفة انها قريبة من معنى القدرة الا أنها أخص منها
والقدرة أعم كالمحبة مع الارادة والمشيئة فان في اليد تشريفا لازما • وذهبت
المعتزلة وطائفة من الاشعرية الى أن المراد باليدين معنى النعمتين، وطائفة من
الاشعرية أيضا ان المراد باليدين القدرة لان اليد يعبر بها فى اللغة عن
القدرة كقول الشاعر :

* فقتم ومالى فى الامور يدان *

وقالوا في قوله تعالى (بل يدها مبسوطتان) انما نى اليد مبالغة في الرد على
اليهود ونفى البخل عنه واثباتا لغاية الجود ، قالوا فان غاية ما يبذل السخى
من ماله أن يعطيه يديه وتبنيها على منح الدنيا والآخرة • قالوا أو المراد
بالتثنية باعتبار نعمة الدنيا ونعمة الآخرة أو باعتبار قوة الثواب وقوة العقاب،
ولا يخفى ما في هذا من الاعراض والانصراف ، والعدول عن الحق
والانصاف ، بل الصواب اثبات ما أثبتته الله لنفسه ووصفه به نبيه حسبما
ورد ، من غير الحاد ولا رد ، فهو اثبات وجود بلا تكييف كما مر • قال

الحافظ البيهقي : المتقدمون من هذه الامة لم يفسروا ما ورد من الآي والابخار في هذا الباب مع اعتقادهم بأجمعهم بأن الله واحد لا يجوز عليه التبويض^(١) قال وذهب بعض أهل النظر الى أن اليمين يراد به اليد واليد لله صفة بلا جارحة فكل موضع ذكرت فيه من الكتاب أو السنة فالمراد بذكرها تعلقها بالمكان المذكور معها من الطي والخذ والقبض والبسط والقبول والانفاق وغير ذلك تعلق الصفة الذاتية بمقتضاها من غير مباشرة ولا مماسة وليس في ذلك تشبيه بحال ، وهذا مذهب السلف والحنابلة ومن وافقهم • قال الخطابي وليس معنى اليد عندي الجارحة وانما هي صفة جاء بها التوقيف فحن نطقها على ما جاءت ولا نكيفها وننتهى الى حيث انتهى بها الكتاب والابخار الصحيحة وهو مذهب أهل السنة والجماعة • انتهى •

وقال أهل التأويل كما في تفسير البيضاوي وغيره في الآية هو تنبيه على عظمته وكمال قدرته على الافعال العظام التي تتحير فيها الافهام ودلت على أن تخريب العالم أهون شيء عليه على طريقة التمثيل والتخييل من غير اعتبار القبضة واليمين لا حقيقة ولا مجازا • وقال بعضهم هو لبيان تصوير عظمة الله وجلاله وقدرته وان الملكوتات كلها منقادة لارادته ومسخرات بأمره • وذهب بعضهم الى أن القبض قد يكون بمعنى الملك والقدرة كقولهم ما فلان الا في قبضتي أى قدرتي ويقولون الأشياء في قبضة الله أى في ملكه وقدرته قالوا وعلى هذا التأويل تخرج الآية والآحاد كحديث مسلم وغيره «ان المقسطين عند الله يوم القيامة على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا» ورواه النسائي من حديث عبد الله بن عمرو بن العاصي رضى الله عنهما ، قال النووي : هو من أحاديث الصفات اما تؤمن بها ولا تتكلم بتأويل ونعتقد أن ظاهرها غير مراد وأن لها معنى يليق بالله أو تؤول على أن المراد بكونهم على اليمين على الحالة الحسنة والمنزلة الرفيعة ، وقوله وكلتا يديه يمين فيه تنبيه على أنه ليس المراد باليمين الجارحة وأن يديه تعالى بصفة الكمال لا نقص في واحدة منهما لأن الشمال تنقص عن اليمين • وقال بعضهم وقد تكون اليمين

(١) راجع التعليق على ص ١١٥ و ١٨٢ - ١٨٩ وما يأتي في التعليق على

بمعنى التججيل والتعظيم يقال فلان عندنا باليمين أى بالمحل الجليل ومنه قول الشاعر :

أقول لناقتي اذ بلغتني لقد أصبحت عندي باليمين
أى بالمحل الرفيع وأحسن منه قول بعضهم :
ألم أك في يمني يدك جعلتني فلا تجعلني بعدها في شمالكا

قال العلامة الشيخ مرعى في كتابه - القول البديع في علم البديع - أراد ان يقول ألم أكن قريبا منك فلا تجعلني بعيدا عنك فعدل عنه الى لفظ التمثيل لما فيه من زيادة المعنى لما تعطيه لفظتا اليمين والشمال من الاوصاف لأن اليمين أشد قوة فهي معدة للطعام والشراب والأخذ والاعطاء وكل ما شرف والشمال بالعكس واليمين مشتق من اليمن وهو البركة والشمال من الشؤم فكأنه قال ألم أكن مكرما عندك فلا تجعلني مهانا وقد كنت منك بالمكان الشريف فلا تجعلني في الوضع .

وفي بعض ألفاظ الحديث ذكر الشمال لله تعالى ، قال الحافظ البيهقي وقد ورد ذكر الشمال لله تعالى من طريقتين في أحدهما جعفر بن الزبير وفي الآخر يزيد الرقاشي وهما متروكان ، قال وكيف يصح ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم وقد صح عنه عليه الصلاة والسلام أنه سمي كلتا يديه يمينين(؟) وكان من قال ذلك أرسله من لفظه على ما وقع له أو على عادة العرب من ذكر الشمال في مقابلة اليمين . وقال الخطابي ليس فيما يضاف الى الله سبحانه من صفة اليدين شمال لان الشمال محل النقص والضعف . وقال الامام الحافظ أبو بكر محمد بن خزيمة في كتابه « السنة » مذهبا مذهب أهل الآثار ومتبعي السنن ولا نلتفت الى جهل من يسميهم مشبهة اذ الجهمية المعطلة جاهلون بالتشبيه فحن نقول : لله جل وعلا يدان كما أعلمنا الخالق البارئ في محكم تنزيله وعلى لسان نبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم ، ونقول كلتا يدي ربنا عز وجل يمين على ما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم ، ونقول ان الله عز وجل يقض الارض جميعا باحدى يديه ويطوى السماء بيده الاخرى وكلتا يديه يمينان لا شمال فيهما . ثم قال كيف يكون مشبها من يشب لله تعالى أصابع على ما بينه النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم

للخالق البارئ؟ ونقول ان الله جل وعلا يضع السماء على اصبع والارضين على اصبع - الى تمام الحديث • ثم قال فكيف يكون مشبها من يثبت لربه عز وجل يدين على ما أثبتته الله لنفسه وأثبتته له نبيه صلى الله عليه فكيف يكون مشبها يدي ربه يدي بنى آدم؟ نقول لله يدان مبسوطتان ينفق كيف يشاء بهما خلق آدم عليه السلام وكتب التوراة بيده ويداها قديمتان لم تزالا بافتين وأيدي المخلوقين مخلوقة محدثة غير قديمة فانية غير باقية بالية تصير مية ثم ريمما ثم ينشأ الله خلقا آخر تبارك الله أحسن الخالقين • ثم قال أى تشبيه يلزم أصحابنا أيها العقلاء اذا أثبتوا للخالق ما يشبهه لنفسه وما يشبهه له نبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم؟ ثم قال وقول هؤلاء المعطلة يوجب أن كل من يقرأ كتاب الله ويؤمن به اقرارا باللسان وتصديقا بالقلب فهو مشبه لان ما وصف الله تعالى به نفسه فى محكم تنزيله تزعم هذه الفرقة ان من وصفه به فهو مشبه • ثم سبهم ولعنهم ووصفهم بالكفر والتعطيل وأطال من التبيك والتنكيت على من أول النصوص وصرفها عن حقيقتها وبالله التوفيق • وفي صحيح مسلم وغيره من حديث عبد الله بن عمر وبن العاص رضى الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « ان قلوب بنى آدم كلها بين اصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصفه كيف يشاء » ثم قال عليه الصلاة والسلام « اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا الى طاعتك » روى هذا الحديث من عدة طرق عن عدد من الصحابة رضى الله عنهم منهم النواس بن سمران الكلابي قال رضى الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ما من قلب الا وهو بين اصبعين من أصابع الله تعالى ان شاء أقامه وان شاء أزاعه » وكان يقول « يا مقلب القلوب ثبت قلبى على دينك » رواه الامام أحمد والحاكم فى صحيحه • ومنهم أم المؤمنين أم سلمة رضى الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر فى دعائه « اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبى على دينك » قالت فقلت يا رسول الله وان القلوب لتتقلب؟ قال « نعم ، ما من خلق من بنى آدم الا وقلبه بين اصبعين من أصابع الله فان شاء أقامه وان شاء أزاعه » فنسأل الله تعالى ان لا يزيغ قلوبنا بعد اذ هدانا ونسأله ان يهب لنا من لدنه رحمة

انه هو الوهاب • ومنهم أبو ذر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان قلوب بنى آدم بين اصبعين من اصابع الله فاذا شاء صرفه واذا شاء بصره واذا شاء نكسه ولم يعط الله أحدا من الناس شيئا هو خير من أن يسلك في قلبه اليقين وعند الله مفاتيح القلوب فاذا أراد الله بعبد خيرا فتح له قفل قلبه واليقين والصدق وجعل قلبه وعاء واعيا لما سلك فيه وجعل قلبه سليما ولسانه صادقا وخليقته مستقيمة وجعل اذنه سمیعة وعينه بصيرة، ولم يؤت أحد من الناس شيئا - يعنى هو شر- من أن يسلك الله فى قلبه الریبة وجعل نفسه شره شره متعطله لا ينفعه المال وان أكثر له وغلق الله القفل على قلبه فجعله ضيقا حرجا كأنما يصعد فى السماء » كما روى ذكره الامام الحافظ أبو بكر بن خزيمة فى كتابه السنة •

وأما قول الخطابى ذكر الاصابع لم يوجد فى شيء من الكتاب والسنة المقطوع بصحتها فهو عجيب منه بل هو ثابت فى صحيح السنة المقطوع بصحتها ، وقال النووى فى شرح صحيح مسلم هذا من الاحاديث المتشابهات وفيها القولان الايمان بها من غير تعرض لتأويل ولا لمعرفة بل تؤمن بها وان ظاهرها غير مراد لقوله تعالى (ليس كمثله شيء) ثانيهما يتأول بحسب ما يليق قال فعلى هذا فالمراد المجاز كما يقال فلان فى قبضتى وفى كفى ، لا يراد انه حال فى كفه بل المراد تحت قدرتى ، ويقال فلان فى خصرى وبين اصبعى أقلبه كيف شئت يعنى انه هين على قهره والتصرف فيه كيف شئت فمعنى الحديث انه سبحانه يتصرف فى قلوب عباده وغيرها كيف شاء لا يتمتع عليه منها شيء ولا يفوته ما أراده كما لا يتمتع على الانسان ما كان بين اصبعيه ، (قال) خاطب العرب بما يفهمونه ومثله بالمعنى الحسية تأكيدا له فى نفوسهم ، وأجابوا عن تشنية الاصابع مع كون القدرة واحدة بان ذلك مجاز واستعارة واقعة موقع التمثيل بحسب ما اعتادوه غير مقصود به التشنية والجمع • وفى - نهاية ابن الاثير - اطلاق الاصابع عليه تعالى مجاز كاطلاق اليد واليمين والعين وهو جار مجرى التمثيل والكناية عن سرعة تقلب القلوب وان ذلك أمر معقود بمشيئة الله تعالى • قال وتخصيص ذكر الاصابع كناية عن اجراء القدرة والبطش لان ذلك باليد والاصابع • وقال القرطبي

وغيره الاصبغ قد تكون بمعنى القدرة على الشيء وسهولة قلبه كما يقول من استسهل شيئاً واستخفه مخاطباً لمن استقله أنا أحمله على اصبعي وأرفسه بأصبعي وأمسكه بخصرى فهذا مما يراد به الاستظهار في القدرة على الشيء فلما كانت السموات والارض أعظم الموجودات وكان امساكها بالنسبة الى الله كالشيء الحقير الذى نجعله بين أصابعنا ونهزه بأيدينا وتتصرف فيه كيف شئنا دل ذلك على قوته القاهرة وعظمته الباهرة لا اله الا هو سبحانه • وقال بعض المحققين هذا الحديث من جملة ما تنزه السلف عن تأويله كأحاديث السمع والبصر واليد فان ذلك يحمل على ظاهره ويجرى بلفظه الذى جاء به من غير أن يشبه بمشبهات الحس أو يحمل على معنى المجاز في الاتساع ، بل يعتقد انها صفات لله تعالى لا كيفية لها قال وانما تنزهوا عن تأويل هذا القسم لانه لا يلتئم معه ولا يحمل ذلك على وجه يرتضيه العقل الا ويمنع منه الكتاب والسنة من وجه آخر •

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله روحه فى رسالته التدمرية اذا قال قائل ظاهر النصوص مراد أو ليس بمراد؟ فانه يقال له لفظ الظاهر فيه اجمال واشتراك فان كان القائل يعتقد ان ظاهرها التمثيل بصفات المخلوقين أو ما هو من خصائصهم فلا ريب ان هذا غير مراد ولكن السلف والأئمة لم يكونوا يسمون هذا ظاهرها ولا يرتضون أن يكون ظاهر القرآن والحديث كفرا وباطلا والله أعلم وأحكم من أن يكون كلامه الذى وصف به نفسه لا يظهر منه الا ما هو كفر واضلال - الى أن قال قوله صلى الله عليه وسلم « قلوب العباد بين اصبعين من أصابع الرحمن » فقالوا قد علم ان ليس فى قلوبنا أصابع الحق فيقال لهم لو أعطيتهم النصوص حقها من الدلالة لعلمتم انها لم تدل الا على حق أما الواحد فقوله صلى الله عليه وسلم « الحجر الاسود يمين الله فى الارض فمن صافحه وقبله فكأنما صافح الله وقبل يمينه » صريح فى أن الحجر ليس هو صفة الله ولا هو نفس يمينه فانه قال فكأنما صافح الله وقبل يمينه فالمشبه ليس هو المشبه به الى أن قال قوله صلى الله عليه وسلم « قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن » فانه ليس فى ظاهره أن القلب متصل بالاصبع ولا مماس لها ولا انها فى

جوفه ولا في قول القائل هذا بين يدي ما يقتضى مباشرته ليديه ، واذا قيل السحاب المسخر بين السماء والارض لم يقتض أن يكون مماسا للسماء والارض ، ونظائر هذا كثيرة ، فمذهب السلف في هذا ونظائره من الأخبار المتشابهة الواردة في صفات الله عز وجل ما بلغنا وما لم يبلغنا مما صح عنه صلى الله عليه وسلم اعتقادنا فيه وفي الآى المتشابهة في القرآن ان نقبلها ولا نردها ولا نتأولها بتأويل المخالفين ولا نحملها على تشبيه المشبهين ولا نزيد عليها ولا نتقص منها (ولا نفسرها)^(١) ولا نكفيها فنطلق ما أطلقه الله ونفسر ما فسره رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعون والأئمة المرضيون من السلف المعروفين بالدين والامانة رضوان الله عليهم أجمعين فهذا مذهب سلف الامة وسائر الائمة ، والعدول عنه وصمة والاتفات الى سواه نقمة وبالله التوفيق • وقوله ((وكل ما)) أى كل شىء وارد من صفات الله تعالى ((من نهجه)) أى نهج اليد والوجه ونحوهما والنهج الطريق الواضح أى كل ما ورد من الاوصاف من الرجل والقدم والصورة^(٢) ((و)) من ((عينه)) عز وجل فهجه الواضح وسيله المبين

الصورة والعين

(١) ليس في مخ

(٢) فى تنبيه ابن سحمان ص ٥١ بعد حكاية نحو هذه العبارة : « اعلم ان ما ذكره الشارح من قوله والصورة ان أراد به ما أخبر به صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح كما فى البخارى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان الله خلق آدم على صورته » ورواه الثورى عن حبيب بن أبى ثابت عن عطاء عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلا ولفظة « خلق آدم على صورة الرحمن » قال شيخ الاسلام : ورواه الاعمش مسندا ، وكما ورد فى الحديث : « فيأتيهم على الصورة التى يعرفونها فيقول أنا ربكم » فما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم فى ذلك فهو الحق الذى لا ريب فيه • ولكن لا نقول الا ما ورد به النص عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يجوز لاحد أن يطلق على الله أنه صورة لان ذلك لم يرد فى الكتاب ولا فى السنة لا نفيًا ولا اثباتًا ، ولا سمي الله به نفسه • فاطلاق هذه الالفاظ على الله من أقوال أهل البدع التى تلقاها من خلف منهم عن سلف •

قال ابن القيم رحمه الله فى المدارج بعد أن ذكر كلا ما سبق : ان الفعل أوسع من الاسم ، ولهذا أطلق على نفسه أفعالا لم يتسم منها بأسماء الفاعل كأراد وشاء وأحدث ، ولم يسم بالمريد والمشيء (؟) والمحدث كما لم يسم نفسه بالصانع والفاعل والمنقن وغير ذلك من الاسماء التى أطلق أفعالها على نفسه فباب الافعال أوسع من باب الاسماء وقد أخطأ أفتيح خطأ من اشتق نه من كل فعل اسما وبلغ باسمائه زيادة على الالف فسماه الماكر والحادع

الإقرار بما ورد والايان بما صح من غير تشبيه ولا تمثيل ولا الحاد ولا تعطيل ، بل نقر ونذعن ونسلم ونؤمن بكل ذلك ونثبت اثبات وجود بلا تكييف ولا تحديد . فمن ذلك العين في قوله تعالى (ولتصنع على عيني) وقوله (فانك بأعيننا) وقوله (تجرى بأعيننا) فمذهب السلف اثبات ذلك صفة لله تعالى وفي الصحيحين وغيرهما لما ذكر الدجال عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم « ان الله ليس بأعور » ففي حديث ابن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الدجال بين ظهراني الناس فقال « ان الله تبارك وتعالى ليس بأعور الا أن المسيح الدجال أعور العين اليمنى كأن عينه عنبة طافية » هذا لفظ مسلم . ولفظ صحيح البخارى من حديث ابن عمر رضى الله عنهما قال ذكر الدجال عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال « ان الله لا يخفى عليكم ان الله ليس بأعور - وأشار بيده الى عينه - وان المسيح الدجال أعور العين اليمنى كأن عينه عنبة طافية » أخرجه البخارى في كتاب التوحيد من صحيحه في باب قوله تعالى (ولتصنع على عيني) وذكر البخارى في حجة الوداع من كتاب المغازى من صحيحه عن ابن عمر رضى الله عنهما قال كنا نتحدث بحجة الوداع والنبي صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا فلا ندرى ما حجة الوداع فحمد الله وأثنى عليه ثم ذكر المسيح الدجال فاطنّب في ذكره وقال « ما بعث الله من نبي الا أنذر أمّة الدجال أنذره نوح والنيون من بعده وانه يخرج فيكم

والفاتن والكائد ونحو ذلك ، وكذلك باب الاخبار عنه بالاسم أوسع من تسميته به فانه يخبر عنه بأنه شيء موجود ومذكور ومعلوم ومسرود ولا يسمى بذلك . انتهى

فاذا تبين لك هذا فاعلم ان من أدخل اسم الصورة في أسماء الله قد أخطأ أفتبح خطأ لان باب الافعال والاخبار عن الله أوسع من باب الاسماء ولفظ الصورة لم يذكره أحد من علماء أهل السنة والجماعة في عقائدهم وانما ذكر ذلك بعض من ينسب الى أهل السنة فمن اشتق من أفعال الله سبحانه وتعالى أسماء وأوصافا لم يذكرها الله ولا رسوله الا على سبيل الاخبار فنقول في ذلك ما قاله الله ورسوله وأخبر به في كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم لا تتجاوز القرآن والحديث والله أعلم .

وقد تقدم التنبيه على أن السلف رضوان الله عليهم قد فسروا آيات الصفات وأحاديثها وبينوا معانيها ونهوا عن تأويلات الجهمية وذكرنا ما ذكره شيخ الاسلام من أن مذهب أهل التفويض أشد المذاهب وأخبثها ونسبة ذلك الى السلف من الكذب عليهم والله أعلم .

فما خفى عليكم من شأنه فليس يخفى عليكم ان ربكم ليس بأعور وانه أعور العين اليمنى كأن عينه عنبة طافية ، والاحاديث كثيرة ، قال البيهقي والقرطبي وغيرهما : في هذا نفى نقص العور عن الله تعالى واثبات العين له صفة وعرفنا بقوله « ليس كمثلته شيء » انها ليست بحدقة • وقال علماؤنا قد ورد السمع باثبات صفة له تعالى وهي العين فتجرى مجرى السمع والبصر وليس المراد اثبات عين هي حدقة ماهيتها شحمة لان هذه العين من جسم محدث والله يتعالى عن ذلك وأما العين التي وصف بها البارئ جل وعلا فهي مناسبة لذاته في كونها غير جسم ولا جوهر ولا عرض فلا يعرف لها ماهية ولا كيفية ، قالوا وقد امتعت المعتزلة والاشعرية من أن يقال لله تعالى عين فأما المعتزلة فنفوا العين والبصر فهم على جادتهم وأما الاشعرية فنفوا صفة العين وأثبتوا صفة البصر فيضعف ذلك على قولهم لانهم يوافقون على انه يبصر ببصر وانما امتنعوا من تسمية عين لما استوحشوا من العين في الشاهد فقالوا بالتأويلات ، ومن المفاصد قياس الغائب على الشاهد • وقال أهل التأويل المراد من قوله تعالى (تجرى بأعيننا) أى بمرأى منا ونحن نراها ، قالوا أو المراد بأعيننا يحفظنا وكلاءتنا ، قالوا أو المراد به أعين الماء أى تجرى بأعين خلقها وفجرناها فهي اضافة ملك وخلق لا اضافة صفة ذاتية ، أو المراد تجرى بأولياننا وخيار خلقنا ، وقالوا في قوله تعالى « ولتصنع على عيني » أى تربي وتغذى على مرأى مني ، وكذا « فانك بأعيننا » أى بمرأى منا وفي حفظنا ، وقال بعضهم العين مؤولة بالبصر أو الادراك بل قيل انها حقيقة في ذلك خلافا لتوهم بعض الناس انها مجاز ، قال وانما المجاز في تسمية العضو بها • وذكر الشيخ ابراهيم الكوراني في شرح منظومة شيخه الشيخ (أحمد بن) محمد المقدسي القشاشي ما لفظه : ثم وقفت من كلام الشيخ الاشعري في - الابانة - الذي هو آخر مصنفاته والمعتمد في المعتقد على ما يشد أركان ما قررناه من مذهبه وذلك انه قال : وان له تعالى عينين بلا كيف وان لله علما وثبت لله السمع والبصر ولا ننفي ذلك كما نفتسه المعتزلة والجهمية والخوارج • انتهى • قال الكوراني فصرح باثبات العينين بلا كيف والحمد لله رب العالمين • انتهى • وقال سيدنا الامام أحمد

رضى الله عنه أحاديث الصفات تمر كما جاءت من غير بحث عن معانيها ونخالف ما خطر في خاطر عند سماعها ونفى التشبيه عن الله تعالى عند ذكرها مع تصديق النبي صلى الله عليه وسلم والايان بها وكل ما يعقل ويتصور فهو تكيف وتشبيه وهو محال - كما نقله عنه الامام ابن حمدان فى نهاية المبتدئين • انتهى • وهذا مذهب السلف الاثرية فهو الحق وبالله التوفيق •

(فائدة)

لمعة عن الدجال

ذكر الامام شيخ الاسلام تقي الدين ابن تيمية فى كتابه الجواب الصحيح ما نصه لما كان حلول اللاهوت فى البشر واتحاده به مذهباً ضل به طوائف كثيرون من بنى آدم النصارى وغيرهم وكان المسيح الدجال يأتى بخوارق عظيمة والنصارى احتجوا على الالهية المسيح بمثل ذلك ذكر النبي صلى الله عليه وسلم من علامات كذبه أموراً ظاهرة لا يحتاج فيها الى بيان موارد النزاع التى ضل فيها خلق كثير من الأدميين فان كثيراً من الناس بل أكثرهم تدهشهم الخوارق حتى يصدقوا صاحبها قبل النظر فى امكان دعواه واذا صدقوه صدقوا النصارى فى دعوى الهية المسيح وصدقوا أيضاً من ادعى الحلول والاتحاد فى بعض المشايخ أو بعض أهل البيت أو غيرهم من أهل الافك والفجور • قال شيخ الاسلام روح الله روحه وبهذا يظهر الجواب عما أورده بعض أهل الكلام كالرازى على هذا الحديث حيث قالوا دلائل كون الدجال ليس هو الله ظاهرة فكيف يحتج النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك بقوله : انه أعور وان ربكم ليس بأعور ؟ قال شيخ الاسلام وهذا السؤال يدل على جهل قائله بما يقع فيه بنو آدم من اضلال الادلة الينينة التى تبين فساد الاقوال الباطلة والا فاذ كان بنو اسرائيل فى عهد موسى عليه السلام ظنوا ان العجل هو اله موسى فقالوا هذا الهكم واله موسى وظنوا ان موسى نسيه والنصارى مع كثرتهم يقولون ان المسيح هو الله وفى المنتسبين الى القبلة خلق كثير يقولون ذلك فى كثير من المشايخ أو أهل البيت حتى ان كثيراً من أكابر شيوخ المعرفة أو التصوف يجعلون هذا نهاية التحقيق والتوحيد وهو أن يكون الموحد هو الموحد فكيف يستبعد مع

اظهار الدجال هذه الخوارق العظيمة ان يعتقد فيه انه الله ؟ وهو يقول :
أنا الله • وقد اعتقد ذلك في من لم يظهر فيه مثل خوارقه من الكذابين وفي
من لم يقل انا الله كالمسيح وسائر الانبياء والصالحين والله أعلم •

((و)) من ((صفة النزول)) أى ما يشته السلف ولا يتأولونه صفة
نزول البارى جل وعلا الى سماء الدنيا كما أخرجه الامام أحمد والترمذى
وابن ماجه عن عائشة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم قال
« ان الله ينزل ليلة النصف من شعبان الى سماء الدنيا فيغفر لأكثر من عدد
شعر غنم بنى كلب » ولحديث الامام أحمد ومسلم عن أبى سعيد وأبى
هريرة رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم « ان الله يمهل حتى
اذا كان ثلث الليل الاخير نزل الى السماء الدنيا فنادى هل من مستغفر هل
من تائب هل من سائل هل من داع - حتى ينفجر الفجر » ورواه البخارى
ولفظه - ينزل ربنا عز وجل الى السماء الدنيا - وروى أيضا من حديث
جابر بن عبد الله وحديث رفاعة بن عرابة الجهنى ومن حديث جبير بن
مطعم ومن حديث عثمان بن أبى العاص ومن حديث أبى الدرداء ومن
حديث القاسم بن محمد عن أبيه أو عمه عن جده وغيرهم رضى الله عنهم
أجمعين وذكر أحاديث هؤلاء الحفاظ أبو بكر بن خزيمة في كتاب -
السنة - له بأسانيده من أوجه متعددة • قال الحفاظ ابن حجر في كتابه
(فتح البارى في شرح صحيح البخارى) قد اختلف في معنى النزول على
أقوال فمنهم من حمله على ظاهره وحقيقته وهم المشبهة تعالى الله عن قولهم ،
ومنهم من أنكر صحة الاحاديث وهم الخوارج ، ومنهم من أجراه على
ما ورد مؤمنا به على طريق الاجمال منزاها لله تعالى عن الكيفية والتشبيه وهم
جمهور السلف ونقله البيهقى وغيره عن الائمة الاربعة والسفيانيين
والحمادين والاوزاعى والليث وغيرهم ، ومنهم من أول على وجه يليق
مستعمل فى كلام العرب ، ومنهم من أفرط في التأويل حتى كاد يخرج
الى نوع التحريف • قال الامام الحفاظ البيهقى وأسلمها الايمان بلا كيف
والسكوت عن المراد الا أن يرد ذلك عن الصادق فيصار اليه • قال ومن
الدليل على ذلك اتفاقهم على أن التأويل المعين غير واجب فحينئذ التفويض

ذكر نزول الله
تعالى الى السماء
الدنيا

أسلم • انتهى • وقال العلامة الطوفى فى (قواعد الاستقامة والاعتدال) المشهور عند أصحاب الامام أحمد رضى الله عنه انهم لا يتأولون الصفات التى من جنس الحركة كالمجىء والائتان والنزول والهبوط والدنو والتدلى كما لا يتأولون غيرها متابعة للسلف الصالح ، قال وكلام السلف فى هذا الباب يدل على اثبات المعنى المتنازع فيه ، قال الاوزاعى لما سئل عن حديث النزول : يفعل الله ما يشاء • وقال حماد بن زيد : يدنو من خلقه كيف يشاء • وهو الذى حكاه الاشعري عن أهل السنة والحديث ، وقال الفضيل بن عياض اذا قال لك الجهمى أنا أكفر برب يزول عن مكانه فقل أنا أؤمن برب يفعل ما يشاء • وقال أبو الطيب حضرت عند أبى جعفر الترمذى وهو من كبار فقهاء الشافعية وأنتى عليه الدار قطنى وغيره فسأله سائل عن حديث «ان الله ينزل الى سماء الدنيا» وقال له فالنزول كيف يكون يبقى فوجه علو ؟ فقال أبو جعفر الترمذى النزول معقول والكيف مجهول والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة ؟ فقد قال فى النزول كما قال مالك فى الاستواء ، وهكذا القول فى سائر الصفات • وقال أبو عبد الله أحمد بن سعيد الرباطى حضرت مجلس الامير عبد الله بن طاهر وحضر اسحاق بن راهويه فسئل عن حديث النزول أصحيح هو ؟ قال : نعم • فقال له بعض قواد الامير يا أبا يعقوب أتزعم ان الله ينزل كل ليلة ؟ قال : نعم • قال وكيف ينزل ؟ قال له اسحاق اثبت الحديث حتى أصف لك النزول • فقال له الرجل أثبتته • فقال اسحاق (وجاء ربك والملك صفا صفا) فقال الامير عبد الله بن طاهر يا أبا يعقوب هذا يوم القيامة • فقال اسحاق أعز الله الامير ومن يجيء يوم القيامة من يمنعه اليوم ؟ ذكره أبو عبد الله الحاكم^(١) • وروى باسناده

(١) بهامش مخ ما نصه : « قال الشيخ ابو عثمان الصابونى شيخ الاسلام فى رسالته بحر السنة سمعت ابا عبد الله الحاكم • يقول سمعت أبا زكريا يحيى بن محمد العنبرى يقول سمعت ابراهيم بن أبى طالب يقول سمعت أحمد بن سعيد أبا عبد الله الرباطى يقول حضرت مجلس الامير عبد الله بن طاهر ذات يوم وحضر اسحاق بن ابراهيم يعنى ابن راهويه فسئل عن حديث النزول أصحيح هو ؟ قال : نعم • فقال له بعض قواد عبد الله بن طاهر يا أبا يعقوب أتزعم أن الله ينزل كل ليلة ؟ قال : نعم • قال : كيف ينزل ؟ فقال له اسحاق أثبتته فوق • فقال الرجل أثبتته فوق • فقال اسحاق قال الله عز وجل : (وجاء ربك والملك صفا صفا) فقال الامير

أيضا عن اسحاق بن راهويه قال قال لى الامير عبد الله بن طاهر يا أبا يعقوب هذا الحديث الذى تروونه عن النبى صلى الله عليه وسلم « ينزل ربنا كل ليلة الى سماء الدنيا » كيف ينزل؟ قال قلت أعز الله الامير لا يقال لأمر الرب كيف ينزل، انما ينزل بلا كيف • وقال اسحاق لا يجوز الخوض فى أمر الله كما يجوز الخوض فى أمر المخلوقين لقوله تعالى (لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون) ولا يجوز أن يتوهم على الله بصفاته وأفعاله يفهم ما يجوز التفكير والنظر فى أمر المخلوقين وذلك انه يمكن أن يكون الله موصوفا بالنزول كل ليلة اذا مضى ثلثها الى السماء الدنيا كما شاء ولا يسئل كيف نزوله لأن الخالق يصنع ما يشاء كما شاء • وذكر شيخ الاسلام فى (شرح الاصفهانية) عن الامام عبد الله بن المبارك رضى الله عنه انه سأله سائل عن النزول ليلة النصف من شعبان فقال يا ضعيف ليلة النصف من شعبان وحدها؟ ينزل فى كل ليلة • فقال الرجل كيف ينزل؟ أليس يخلو ذلك المكان؟ فقال عبد الله بن المبارك ينزل كيف شاء • وقال أبو عثمان النيسابورى : لما صح خبر النزول عن النبى صلى الله عليه وسلم أقربه أهل السنة وقبلوا الحديث وأثبتوا النزول على ما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يعتقدوا تشبيها بنزول خلقه وعلموا وعرفوا واعتقدوا وتحققوا ان صفات الرب لا تشبه صفات الخلق كما ان ذاته لا تشبه ذوات الخلق سبحانه وتعالى عما يقول المشبهة والمعطلة علوا كبيرا • وروى البيهقى باسناده عن اسحاق بن راهويه قال جمعنى وهذا مبتدع - يعنى ابراهيم بن صالح - مجلس الأمير عبد الله بن طاهر فسألنى الأمير عن أخبار النزول فثبتها فقال ابراهيم بن صالح كفرت برب ينزل من سماء الى سماء • فقلت آمنت برب يفعل ما يشاء • فرضى عبد الله كلامى وأنكر على ابراهيم • وقال شيخ الاسلام وقال أبو عثمان النيسابورى الملقب بشيخ الاسلام فى رسالته المشهورة فى السنة : ويثبت أهل الحديث نزول الرب سبحانه فى

عبد الله يا أبا يعقوب هذا يوم القيامة • فقال اسحاق : أعز الله الامير ومن يجىء يوم القيامة من يمنعه اليوم • انتهى
وذكره الشيخ تقي الدين ابن تيمية رحمه الله بهذا اللفظ فى كلامه على حديث النزول وانما يحصل الزام الخصم اذا أثبت فوقية الرب مع الايمان بمجيئه يوم القيامة •

كل ليلة الى السماء الدنيا من غير تشبيه له بنزول المخلوقين ولا تمثيل ولا
تكيف بل يشبتون ما أثبتته له رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتهون فيه
اليه ويمرون الخبر الصحيح الوارد بذكره على ظاهره ويكلمون علمه الى
الله ، وكذلك يشبتون ما أنزل الله في كتابه من ذكر المجيء والاتيان في ظلل
من الغمام والملائكة وقوله عز وجل (وجاء ربك والملك صفا صفا) • وقال
الامام عثمان بن سعيد الدارمي في كتابه المعروف (بتقص عثمان بن سعيد*
على المريسي الجهمي العنيد* فيما افترى على الله في التوحيد) ما لفظه :
وادعى المعارض ان قول النبي صلى الله عليه وسلم ان الله ينزل الى السماء
الدنيا حين يمضي من الليل الثلث (؟) فيقول هل من مستغفر هل من تائب هل
من داع ، قال فادعى ان الله لا ينزل بنفسه انما ينزل أمره ورحمته وهو
على العرش وكل مكان من غير زوال لانه الحي القيوم والقيوم بزعمه من
لا يزول ، قال فيقال لهذا المعارض : وهذا أيضا من حجج النساء والصبان
ومن ليس عنده بيان ولا لمذهبه برهان لان أمر الله ورحمته تنزل في كل
ساعة ووقت وأوان فما بال النبي صلى الله عليه وسلم يحد لنزوله الليل
دون النهار ويوقت من الليل شطره أو الاسحار أفأمره ورحمته يدعوان
العباد الى الاستغفار أو يقدر الامر والرحمة أن يتكلما بونه فيقولوا : هل من
داع فأجيب له هل من مستغفر فأغفر له هل من سائل فأعطيه ؟ فان قررت
مذهبك لزمك أن تدعى ان الرحمة والامر هما اللذان يدعوان الى الاجابة
والاستغفار بكلامهما دون الله ، وهذا محال عند السفهاء فكيف عند الفقهاء ،
قد علمتم ذلك ولكن تكابرون ، وما بال أمره ورحمته ينزلان من عنده
الليل ثم يمكنان الى طلوع الفجر ثم يرفعان لأن رفاة برويه يقول في حديثه
حتى ينفجر الفجر وقد علمتم ان شاء الله أن هذا التأويل أبطل باطل ولا
يقبله الا كل جاهل - الى أن قال : ثم أجمل المعارض جميع ما أنكروه
الجهمية من صفات الله تعالى المسماة في كتابه وآثار رسوله صلى الله عليه
وسلم - فعد منها بضعة وعشرين صفة نفسا واحدا يتكلم عليها ويفسرها
بما حكى بشر بن غياث المريسي وفسرها وتأولها حرفا حرفا خلاف ما عني
الله ورسوله (وخلاف ما تأولها الفقهاء والصالحون لا يعتمد في أكثرها

الا على المريسى - ١) فبدأ منها بالوجه ثم بالسمع والبصر والغضب والرضا والحب والبغض والفرح والكره والضحك والعجب والسخط والارادة والمشية والاصابع والكف والقدم واليد واليمين والعين والياتين والمجىء والنفس والتكليم - قال عمد المخالف الى هذه الصفات فنسقتها ونظم بعضها الى بعض ثم قررها أبوابا في كتابه وتلطف بردها بالتأويل كتلطف الجهمية معتمدا فيها على المريسى ويدلس عند الجهال بالتشنيع بها على قوم يؤمنون بالله ويصدقون الله ورسوله فيها بغير تكييف ولا تمثيل فزعم ان هؤلاء المؤمنين بها يكيفونها ويشبهونها بذوات أنفسهم وان العلماء قالوا بزعمه ليس شيء منها اجتهاد رأى ليدرك كيفية ذلك أو يشبه شيء منها بشيء مما هو في الخلق، قال وهذا خطأ كما أن الله ليس كمثل شيء فكذلك ليس كصفاته شيء . قال أبو سعيد عثمان بن سعيد فقلنا للمعارض المدلس بالتشنيع ان قوله كيفية هذه الصفات وتشبيهاها بما هو في الخلق خطأ فانا لا نقول كما قلت فنحن لا نكيفها ولا نشبهها ولا نكفر بها ولا نكذبها ولا نبطلها بتأويل الضلال كما أبطلها المريسى ، وأما ما ذكرت من اجتهاد الرأى في تكييف صفات الله فانا لا نجيز اجتهاد الرأى فى كثير من الفرائض والاحكام التى نراها بأعيننا ونسمعها بأذناننا فكيف فى صفات الله تعالى التى لم ترها العيون وقصرت عنها الظنون غير أنا لا نقول فيها كما قال المريسى ان هذه الصفات كلها شيء واحد وليس السمع منه غير البصر وان الرحمن بزعمكم ليس يعلم لنفسه سمعا من بصر ولا بصرا من سمع ولا وجها من يدين ولا يدين من وجه وهو كله بزعمكم سمع وبصر ووجه ويد ونفس وعلم ، وقد قال تعالى (اننى معكما أسمع وأرى) وقال (ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم) وقال تعالى (قد سمع الله قول التى تجادلن فى زوجها) ولم يقل رأى وقال (اعملوا فسيرى الله عملكم) ولم يقل يسمع الله فلم يذكر الرؤية فيما يسمع ولا السمع فيما يرى - الى آخر كلامه الذى رد به على المريسية . وقال الامام الحافظ أبو بكر بن خزيمة : باب ذكر أخبار ثابتة السند صحيحة القوام رواها علماء الحجاز والعراق عن النبى صلى الله

عليه وسلم في نزول الرب جل وعلا الى سماء الدنيا كل ليلة فنشهد شهادة مقر بلسانه مصدق بقلبه مستيقن بما في هذه الاخبار من ذكر نزول الرب من غير أن نصف الكيفية لأن نبينا المصطفى لم يصف لنا كيفية نزول خالقنا الى سماء الدنيا وأعلمنا انه ينزل والله جل وعلا ولي نبيه عليه السلام يسان ما بالمسلمين اليه الحاجة من أمر دينهم فنحن قائلون ومصدقون بما في هذه الأخبار من ذكر النزول غير متكلفين للعقول بصفة الكيفية اذ النبي صلى الله عليه وسلم لم يصف لنا كيفية النزول • ثم ذكر الاخبار بأسانيده •

(تنبيهات)

الاول الذى يلزم من قال باثبات صفة النزول يلزم مثله من قال بصفة الحياة والسمع والبصر والعلم والكلام والقدرة والارادة له تعالى لانه لا يعقل من هذه الصفات الا الاعراض التى لا تقوم الا بجوارحنا فكما نقول نحن واياهم حياته وسمعه وبصره ليست بأعراض بل هى صفات كما تليق به لا كما تليق بنا فنقول نحن أيضا بمثل ذلك بعينه نزوله وفوقته واستواؤه ونحو ذلك فكل ذلك ثابت معلوم غير مكيف بكيفية ولا انتقال يليق بالمخلوق بل هو كما أخبر هو ورسوله سيد البشر مما يليق بجلال عظمته وباهر كبريائه لان ذاته وصفاته معلومة من حيث الجملة ثبوت وعلم وجود بلا كيفية ولا تحديد فكل ما ورد في الكتاب وصح عن رسول الملك الوهاب فسييله واحد من النزول واليد والقدم والوجه والغضب والرضا وغيرها فاحفظه وبالله التوفيق • ولهذا قال شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله روحه في رسالته الحموية : واعلم انه ليس في العقل الصريح ولا في النقل الصحيح ما يوجب مخالفة الطريقة السلفية أصلا وقد علم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بهذه الامور بالاضطرار كما انه جاء بالصلوات الخمس وصوم شهر رمضان فالتأويل الذى يحيلها عن هذا بمنزلة تأويلات القرامطة والباطنية في الحج والصوم والصلاة وسائر ما جاءت به النبوة ، ثم ان العقل الصريح يوافق ما جاءت به النصوص وان كان في النصوص من التفصيل ما يعجز العقل عن درك تفصيله على أن الاساطين من هؤلاء والفحول معترفون بأن العقل لا سبيل له الى اليقين في عامة المطالب الالهية واذا كان هكذا

فالواجب تلقى علم ذلك من النبوات على ما هو عليه ، ومن المعلوم للمؤمنين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم من غيره بذلك وأنصح للامة وأفصح من غيره عبارة وبيانا بل هو أعلم الخلق بذلك وأنصح الخلق للامة وأفصحهم فقد اجتمع في حقه صلى الله عليه وسلم كمال العلم والقدرة والارادة ، ومن المعلوم ان المتكلم اذا كمل علمه وقدرته و ارادته كمل كلامه وفعله وانما يدخل النقص اما من نقص علمه وأما من عجزه عن بيان علمه واما لعدم ارادة البيان والرسول صلى الله عليه وسلم هو الغاية في كمال العلم والغاية في ارادة كمال البلاغ المبين والغاية في قدرته على البلاغ ومع وجود القدرة التامة والارادة الجازمة يجب وجود المراد ، فعلم قطعا أن ما بينه من الايمان بالله واليوم الآخر حصل به مراده من البيان وان ما أرادته من البيان هو المطابق لعلمه وعلمه بذلك هو أكمل العلوم فكل من ظن أن غير الرسول صلى الله عليه وسلم أعلم بهذا منه فهو من الملحدين لا من المؤمنين ، والصحابة رضی الله عنهم والتابعون لهم باحسان رحمة الله عليهم ومن سلك سبيل السلف هم في هذا الباب على الاستقامة دون سواهم • وتقدم في صدر الكتاب ما لعله يشفى ويكفى •

(الثانى) قال أهل التأويل ان العرب تنسب الفعل الى من أمر به كما تنسبه الى من فعله وباشره بنفسه ، قالوا والمعنى هنا ان الله تعالى يأمر ملكا بالنزول الى السماء الدنيا فينادى بأمره ، وقال بعضهم أن قوله وينزل راجع الى أفعاله لا الى ذاته المقدسة فان النزول كما يكون في الاجساد يكون في المعانى ، أو راجع الى الملك الذى ينزل بأمره ونهيه تعالى ، فان حمل النزول في الاحاديث على الجسم فتلك صفة الملك المبعوث بذلك ، وان حمل على المعنوى بمعنى انه لم يفعل ثم فعل سمي ذلك نزولا عن مرتبة الى مرتبة فهى عربية صحيحة ، والحاصل ان تأويله على وجهين أما بان المراد ينزل أمره أو الملك بأمره واما انه استعارة بمعنى التلطف بالداعين والاجابة لهم ونحو ذلك كما يقال نزل البائع في سلمته اذا قارب المشتري بعد ما باعده وأمكنه منها بعد منعه ، والمعنى هنا ان العبد في هذا الوقت أقرب الى رحمة الله منه في غيره من الاوقات وانه تعالى يقبل عليهم بالتحنن والعطف في هذا

الوقت بما يليق في قلوبهم من التنبية والتذكير الباعين لهم على الطاعة • وقد حكى ابن فورك ان بعض المشايخ ضبط رواية البخارى بضم أوله على حذف المفعول أى ينزل ملكا قالوا ويقويه ما روى النسائي وغيره عن أبى هريرة وأبى سعيد رضى الله عنهما قالوا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان الله عز وجل يمهل حتى يمضى شطر الليل الاول ثم يأمر مناديا يقول هل من داع يستجاب له هل من مستغفر يغفر له هل من سائل يعطى » قال القرطبي صححه عبدالحق • قالوا وهذا يرفع الاشكال ويزيل كل احتمال والسنة يفسر بعضها بعضا وكذا الآيات • قالوا ولاسيلا الى حمله على صفات الذات المقدسة فان الحديث فيه التصريح بتجدد النزول واختصاصه ببعض الاوقات والساعات وصفات الرب جل شأنه يجب اتصافها بالقدم وتنزيهاها عن التجدد والحدوث • قالوا وكل ما لم يكن فكان أو لم يثبت فثبت من أوصافه تعالى فهو من قبيل صفة الافعال قالوا فالنزول والاستواء من صفات الافعال^(١) والله أعلم •

بهامش مخ ما لفظه :

« عجباً للمصنف رحمه الله كيف أورد شبه المعطلة ولم يجب عنها فأما الحديث الذى احتجوا به : ثم يأمر مناديا الخ فقال أبو القاسم عبد الرحمن بن أبى عبد الله ابن منده : هو حديث موضوع • وقال الشيخ تقي الدين ابن تيمية رحمه الله : نزول الرب تبارك وتعالى الى سماء الدنيا فى كل ليلة استفاضت به السنة عن النبى صلى الله عليه وسلم واتفق سلف الامة وأئمتها وأهل العلم بالسنة والحديث على تصديق ذلك وتلقيه بالقبول والنبى صلى الله عليه وسلم قال ذلك علانية وبلغه الامة تبليغا عاما لم يخص به أحدا دون أحد وكانت الصحابة والتابعون تذكره وتأثره وتبلغه وترويه فى المجالس الخاصة والعامة وهو فى جميع كتب أهل الاسلام كصحيحى البخارى ومسلم وموطأ مالك ومسند الامام أحمد وسنن أبى داود والنسائي وأمثال ذلك من كتب المسلمين - الى أن قال فان قلت الذى ينزل ملك ، قيل هذا باطل من وجوه منها ان الملائكة لا تنزل بالليل والنهار الى الارض - وذكر أحاديث متضمنة ذلك ، ثم قال الوجه الثانى انه قال من يسألنى فأعطيه من يستغفرنى فأغفر له وهذه العبارة لا يجوز أن يقولها ملك غير الله فالملك اذا نادى عن الله لا يتكلم بصيغة المخاطب بل يقول ان الله أمر بكذا أو قال كذا • الى أن قال ولا يمكن ملكا من الملائكة أن يقول من يدعونى فأستجيب له من يسألنى فأعطيه من يستغفرنى فأغفر له ، ولا يقول لا يسأل عن عبادى غيرى كما رواه النسائي وابن ماجه وغيرهما وسنده صحيح انه يقول لا يسأل عن عبادى غيرى - وهذا أيضا مما يبطل حجة بعض الناس فانه احتج بما رواه النسائي فى بعض طرق الحديث انه

(الثالث) قال ابن حمدان في نهاية المتدئين نقول بحديث النزول مما سنده صحيح ولفظه صريح قال التميمي في اعتقاد سيدنا الامام احمد النزول حق نقول به من غير انتقال ولا حلول في الامكنة . وقال ابن البنا في اعتقاد الامام أحمد لا يقال بحركة ولا انتقال . وقال القاضي قد وصفه النبي صلى الله عليه وسلم بالنزول الى السماء الدنيا لا على جهة الانتقال والحركة كما جازت رؤيته تعالى وتجلي للجبل لا على وجه الحركة والانتقال . وقال لا تثبت نزولا عن علو وزوال بل نزولا لا يعقل معناه ولا يعقل ذلك في الشاهد . وقال ابن عقيل ليس بنزول ولا انتقال ولا كنزولنا . وقال القاضي أيضا اجماع الامة أنه بائن من خلقه وهو على ما يشته لنفسه في ذاته وصفاته ومن شبهه بخلق كافر . وخطأ ابن عقيل وغيره من الأئمة من قال نزوله بحركة وانتقال^(١) وقال القاضي النزول صفة ذات والحق انه صفة فعل . قال الشيخ عماد الدين الواسطي نزوله ثابت معلوم غير مكيف بحركة وانتقال يليق بال مخلوق بل نزول كما يليق بعظمته وجلاله فصفاته تعالى معلومة من حيث الجملة والثبوت غير معقولة من حيث التكيف والتحديد فيكون المؤمن مبصرا بها من وجه أعمى من وجه مبصرا من حيث الاثبات والوجود أعمى من حيث التكيف والتحديد وبالله التوفيق

يأمر مناديا فينادى فان هذا ان كان ثابتا عن النبي صلى الله عليه وسلم فان الرب يقول ذلك ويأمر مناديا بذلك لا أن المنادى يقول من يدعوني فاستجيب له ومن روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ان المنادى يقول ذلك فقد علمنا انه يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه مع انه خلاف اللفظ المستفيض المتواتر الذي نقلته الامة خلفا عن سلف فاسد في المعقول يعلم انه من كذب بعض المبتدعين كما روى بعضهم ينزل بالضم ، وكما قرأ بعضهم وكلم الله موسى تكليما ونحو ذلك من تحريفهم اللفظ والمعنى . وفوق هذه الحاشية بخط آخر ما لفظه : « هذا خط شيخنا الشيخ عبد الله حفظه الله فلله دره ما أصوب فهمه وأوفر حفظه جزاه الله عن المسلمين خيرا »

(١) بهامش مخ بخط الشيخ عبد الله بابطين فيما يظهر ما لفظه : « سمع الامام أحمد شخصا يروي حديث النزول ويقول ينزل بغير حركة ولا انتقال ولا تغير . قال فانكر عليه أحمد ذلك وقال قل كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو كان نمير على ربه منك ، وسياتي زيادة في هذا المعنى .

صفة الخلق أى
التكوين

((و)) مما اختلف فيه فأثبتته السلف والماتريدية دون غيرهم من المعتزلة والكلابية والأشعرية صفة ((خلقته)) لكن الأشعرية ونحوهم يثبتون له تعالى الصفات السبع المتقدمة ، وأما المعتزلة فتنفى قيام الصفات والأفعال به وتسمى الصفات اعراضا والأفعال حوادث ويقولون لا تقوم به تعالى الاعراض ولا الحوادث فيتوهم من لم يعرف حقيقة قولهم انهم ينزهون الله تعالى عن النقائص والعيوب والآفات ولا ريب أن الله تعالى يحب تنزيهه عن كل عيب ونقص وآفة فانه القدوس السلام الصمد الكامل فى كل نعت من نعوت الكمال كاملا لا يدرك الخلق حقيقته منزها عن كل نقص تنزيها لا يدرك الخلق كماله وكل كمال يثبت لموجود من غير استلزام نقص فالخالق تعالى أحق (به وأكمل فيه منه ، وكل نقص تنزه عنه مخلوق فالخالق أحق-١) بتنزيهه عنه وأولى ببراءته منه . قال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله سره فى مسألة حسن ارادة الله تعالى لخلق الخلق وانشاء الانام : رويانا من طريق غير واحد كعثمان بن سعيد الدارمي وأبى جعفر الطبرى والبيهقى وغيرهم فى تفسير على بن أبى طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى (الصمد) قال : السيد الذى كمل فى كل سؤدده والشريف الذى قد كمل فى شرفه والعظيم الذى قد كمل فى عظمته والحكيم الذى قد كمل فى حكمته والغنى الذى قد كمل فى غناه والجبار الذى قد كمل فى جبروته والعالم الذى قد كمل فى علمه والحليم الذى قد كمل فى حلمه وهو الذى كمل فى أنواع الشرف والسؤدد وهو الله عز وجل هذه صفته لا تنبغى الا له ليس له كفؤ وليس كمثلته شئ سبحانه الله الواحد القهار . قال وهذا التفسير ثابت عن عبد الله ابن صالح (عن معاوية بن صالح-١) عن على بن أبى طلحة الوالى لكن يقال انه لم يسمع التفسير من ابن عباس لكن مثل هذا الكلام ثابت عن السلف، وقد روى عن سعيد بن جبیر أيضا أنه قال : الصمد الكامل فى صفاته وأفعاله، وثبت عن أبى وائل شقيق بن سلمة انه قال الصمد السيد الذى انتهى سؤدده . وهذه الاقوال وما أشبهها لا تنافى ما قاله كثير من السلف كسعيد بن

المسيب وابن جبير ومجاهد والحسن والسدى والضحاك وغيرهم من أن الصمد هو الذى لا جوف له ، وهذا منقول عن ابن مسعود رضى الله عنه وعن عبد الله بن بريدة عن أبيه موقوفا أو مرفوعا فان كلا القولين حق . قال ولفظ الاعراض فى اللغة قد يفهم منه ما يعرض للانسان من الامراض ونحوها ، وكذلك لفظ الحوادث والمحدثات قد يفهم منه ما يحدثه الناس من الافعال المذمومة والبدع التى ليست مشروعة أو ما يحدث بالانسان من نحو الامراض والله تعالى يجب تنزيهه عما هو فوق ذلك مما فيه نوع نقص ، ولكن لم يكن مقصود المعتزلة بقولهم : منزه عن الاعراض والحوادث الانفى صفاته الذاتية وأفعاله الاختيارية فعندهم لا يقوم به علم ولا قدرة ولا مشيئة ولا رحمة ولا حب ولا رضا ولا فرح ولا خلق ولا احسان ولا عدل ولا اتيان ولا مجيء ولا نزول ولا استواء ولا غير ذلك من صفاته وأفعاله ، وجماهير المسلمين يخالفونهم في ذلك ، ومن الطوائف من ينازعهم فى الصفات دون الافعال ومنهم من ينازعهم فى بعض الصفات دون بعض ، ومن الناس من ينازعهم فى الفعل القديم فيقول ان فعله تعالى قديم وان كان المفعول محدثا . انتهى

وقال الوزنى من الحنفية فى كتابه الذى سماه (مرقاة المبتدئين * فى أصول الدين) وهو شرح المنظومة المعروفة بالجواهر ما ملخصه : التخليق صفة الله تعالى وهو فعل الله لاقتضاء المفعول فعلا لاستحالة مفعول بلا فعل فعله تعالى صفة له فاستحال دخوله تحت قدرته وازادته . ثم قال واعلم أن الائمة الاربعة ونظائرهم من أئمة أهل السنة وأكثر رجال الصوفية الذين كانت كراماتهم ظاهرة مثل مالك بن دينار وابراهيم بن أدهم والفضيل بن عياض وذى النون المصرى والسرى السقطى ومعروف الكرخى وسهل بن عبد الله التستري ومن نشر علم الاشارة الجنييد البغدادي وأبو بكر الشبلي وغيرهم كانوا يصفون الله بالفعل والكلام والرؤية والسمع كما يصفونه بالحياة والعلم والقدرة . ثم حط على الاشعري وانه أتى بخلاف مذهب أهل السنة . انتهى

وقال النسفى فى عقائده المشهورة : والتكوين صفة لله أزلية وهو

تكوينه للعالم ولكل جزء من أجزائه وهو غير المكون عندنا • قال شارحها المحقق التفتازاني التكوين هو المعنى المعبر عنه بالفعل والخلق والتخليق والايجاد والاحداث والاختراع ونحو ذلك ، ويفسر باخراج المعدوم من العدم الى الوجود صفة لله تعالى لاطباق العقل والنقل على أنه خالق للعالم مكون له وامتناع اطلاق الاسم المشتق على الشيء من غير أن يكون مأخذ الاشتقاق وصفا قائما به أزلية لوجوه (الاول) انه يتمتع قيام الحوادث بذاته تعالى (الثاني) انه وصف ذاته في كلامه الازلى بأنه الخالق فلو لم يكن في الازل خالقا للزم الكذب أو العدول الى المجاز - أى الخالق في ما يستقبل أو القادر على الخلق - من غير تعذر الحقيقة ، على أنه لو جاز اطلاق الخالق عليه بمعنى القادر لجاز اطلاق كل ما يقدر عليه من الاعراض (الثالث) انه لو كان حادثا فاما بتكوين آخر فيلزم التسلسل وهو محال ويلزم منه استحالة تكون (العالم) مع أنه مشاهد ، واما بدونه فيستغنى الحادث عن المحدث والاحداث وفيه تعطيل الصانع (الرابع) انه لو حدث لحدث اما في ذاته تعالى فيصير محلا للحوادث أو في غيره كما ذهب اليه أبو الهذيل من أن تكوين كل جسم قائم به فيكون كل جسم خالقا ومكونا لنفسه ولا خفاء في استحالته • ومبنى هذه الادلة على أن التكوين صفة حقيقية كالعلم والقدرة • قال والمحققون من المتكلمين على أنه من الاضافات والاعتبارات العقلية مثل كون الصانع تعالى وتقدس قبل كل شيء ومعاه وبعده ومذكورا بألسنتنا ومعبودا لنا ومميتا ومحيا ونحو ذلك • قال والحاصل في الازل هو مبدأ التخليق والترزيق والامانة والاحياء وغير ذلك ولا دليل على كونه صفة أخرى سوى القدرة والارادة (فان القدرة-١) وان كانت نسبتها الى وجود المكون وعدمه على السواء لكن مع انضمام الارادة بتخصيص أحد الجانبين ، قال ولما استدل القائلون بحدوث التكوين بأنه لا يتصور بدون المكون كالضرب بدون المضروب فلو كان قديما لزم قدم المكونات وهو محال أشار النسفي الى الجواب بقوله وهو أى التكوين تكوينه للعالم ولكل جزء من أجزائه لا في الازل بل لوقت وجوده على حسب علمه وارادته فالتكوين باق ازلا

(١) من شرح العقائد وكذا ما يأتي بين قوسين من المنقول عنه •

وأبدا والمكون حادث بحدوث التعلق كما فى العلم والقدرة وغيرهما من الصفات القديمة التى لا يلزم من قدمها قدم متعلقاتها لكون تعلقاتها حادثا ، وهذا تحقيق ما يقال أن وجود العالم ان لم يتعلق بذات الله تعالى أو صفة من صفاته لزم تعطيل الصانع واستغناء الحوادث عن الموجد وهو محال ، وأن تعلق فاما أن يستلزم ذلك قدم ما يتعلق وجوده به فيلزم قدم العالم وهو باطل ، أولا فليكن التكوين أيضا قديما مع حدوث المكون المتعلق به ، وما يقال من ان القول بتعلق وجود المكون بالتكوين قول بحدوثه اذ القديم مالا يتعلق وجوده بالغير والحادث ما يتعلق به فمنظور فيه لان هذا معنى القديم والحادث بالذات على ما يقول به الفلاسفة وأما عند المتكلمين فالحادث ما لوجوده بداية أى يكون مسبوقا بالعدم والقديم بخلافه ومجرد تعلق وجوده بالغير لا يستلزم حدوثه بهذا المعنى لجواز أن يكون محتاجا الى الغير صادرا عنه دائما بدوامه كما ذهب اليه الفلاسفة فيما ادعوا قدمه من الممكنات كالهولى مثلا ، نعم اذا أثبتنا صدور العالم من الصانع بالاختيار دون الايجاب بدليل لا يتوقف على حدوث العالم كان القول بتعلق وجوده بتكوين الله تعالى قولا بحدوثه ، ومن هنا يقال ان التنصيص على كل جزء من أجزاء العالم اشارة الى الرد على زعم قدم بعض الاجزاء كالهولى والا فهم انما يقولون بقدمها بمعنى عدم المسبوقية بالعدم لا بمعنى عدم تكونه بالغير، والحاصل انا لا نسلم انه لا يتصور التكوين بدون (وجود) المكون وان وزانه معه وزان الضرب مع المضروب فان الضرب صفة اضافية لا يتصور بدون المتضايقين أعنى الضارب والمضروب وقد بينا أن التكوين صفة حقيقية هى مبدأ الاضافة التى هى اخراج المعدوم من العدم الى الوجود لا عينها حتى لو كانت عينها على ما وقع فى عبارة بعض المشايخ لكان القول بتحققها بدون المكون مكابرة وانكارا للضرورة فلا يندفع بما يقال من أن الضرب مستحيل البقاء فلا بد لتعلقه بالمفعول ووصول الالم اليه من وجود المفعول معه اذ لو تأخر لانعدم كذا قيل وهذا بالنسبة لفعل المخلوق وهو بخلاف فعل البارى فانه أزلى (واجب) الدوام يبقى الى وقت وجود المفعول فالتكوين غير المكون عندنا لان الفعل يغير المفعول بالضرورة كالضرب مع المضروب

والأكل مع المأكول ، ولأنه لو كان نفس المكون لزم ان يكون المكون مكونا مخلوقا بنفسه ضرورة انه مكون بالتكوين الذى هو عنه فيكون قديما مستغنيا عن الصانع وهو محال ، وأن لا يكون للخالق تعلق بالعالم سوى أنه أقدم منه وقادر عليه من غير صنع وتأثير فيه ضرورة تكونه بنفسه وهذا لا يوجب كونه خالقا والعالم مخلوقا فلا يصح القول بأنه خالق العالم وصانعه ، هذا خلف ، وأن لا يكون الله مكونا للأشياء ضرورة انه لا معنى للمكون الا من قام به التكوين والتكوين اذا كان عين المكون لا يكون قائما بذات الله تعالى ، وأن يصح القول بأن خالق سواد هذا الحجر أسود وهذا الحجر خالق السواد اذ لا معنى للخالق والاسود الا من قام به الخلق والسواد وهما واحد فمحلها واحد ، هذا كله تنبيه على كون الحكم بتغاير الفعل والمفعول ضروريا

ثم قال السعد التفتازانى وهذا - يعنى ابطال القول بأن الفعل هو المفعول - لا يتم الا باثبات أن تكون الاشياء وصدورها عن البارئ تعالى يتوقف على صفة حقيقية قائمة بالذات مغايرة للقدرة والارادة ، قال والتحقيق أن تعلق القدرة على وفق الارادة بوجود المقدور لوقت وجوده اذا نسب الى القدرة يسمى ايجابها له واذا نسب الى القادر يسمى الخلق والتكوين ونحو ذلك ، فحقيقته كون الذات بحيث تعلق قدرته بوجود المقدور لوقته ثم يتحقق بحسب خصوصيات المقدورات خصوصيات الافعال كالترزيق والتصوير والاحياء والاماتة وغير ذلك الى ما لا يكاد يتناهى (١) . قال وأما كون كل من ذلك صفة حقيقية أزلية فمما تفرد به بعض علماء ما وراء النهر وفيه تكثير للقدماء جدا وان لم تكن متغايرة . قال والاقرب ما ذهب اليه المحققون منهم وهو أن مرجع الكل الى التكوين فانه ان تعلق بالحياة سمى احياء وبالموت اماتة وبالصورة تصويرا وبالرزق ترزيقا الى غير ذلك فالكل تكوين وانما الخصوص بخصوصية التعلقات . انتهى . ومراده بقوله مما تفرد به بعض علماء ما وراء النهر يعنى علماء الكلام والا فهو مذهب السلف الذى لا يعدل عنه الا الى آراء متهافنة وتخيلات متفاوتة ونحاتة

(١) منح « الى ما لا نهاية له »

أذهان قد انحرفت عن جادة المأثور وزبالات أنظار قد انفتلت عن المنهج المشهور الى التهافقات الفلسفية والتخيلات الكلامية ولهذا قال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه في شرح (العقائد الاصفهانية) الصواب أن الخلق غير المخلوق • قال والذين يقولون الخلق هو المخلوق قولهم فاسد وبين وجه فساده وذكر من الآيات القرآنية والاخبار النبوية الدالة على هذا الاصل شيئا كثيرا مثل (كل يوم هو في شأن) (واتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم) وقوله (ان تكفروا فان الله غنى عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وان تشكروا يرضه لكم) فأخبر أن طاعته سبب لمحبه ورضاه ومعصيته سبب لسخطه وغضبه ، وقال تعالى (فاذكروني أذكركم) وجواب الشرط مع الشرط كالمسبب مع سببه • وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه سلم فيما يروى عن ربه تبارك وتعالى أنه قال : من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه ومن تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا ومن تقرب الى ذراعا تقربت اليه باعا ومن أتاني يمشي أتيته هرولة » وفي الصحيحين وغيرهما « لله أشد فرحا بتوبة عبده المؤمن ممن أضل راحلته بأرض دوية مهلكة عليها طعامه وشرابه فنام تحت شجرة ينتظر الموت فلما استيقظ اذا هو بدابته عليها طعامه وشرابه فالله أشد فرحا بتوبة عبده من هذا براحلته » وفي الصحيح « يضحك الله الى رجلين يقتل أحدهما الآخر كلاهما يدخل الجنة » وفي الصحاح والسنن والمسانيد من هذا شيء كثير يتعذر أو يتعسر احصاؤه وقد ذكر من ذلك شيئا كثيرا • ثم قال وبهذا الاصل العظيم الذي دلت عليه الكتب المنزلة من الله تعالى القرآن والتوراة والانجيل وكان عليه سلف الامة وأئمتها بل وعليه جماهير العقلاء وأكابرهم من جميع الطوائف حتى من الفلاسفة يظهر بطلان مذهب القائلين بالقدماء الخمسة •

قال شيخ الاسلام وهذا المذهب منسوب الى ديمقراطيس وهى العلة والنفس والهوى - وهى فى لغتهم بمعنى المحل - والحلاء والدهر فزعم هؤلاء ومن وافقهم بأن هذه الخمسة قديمة أزلية وأن سبب حدوث العالم أن النفس التفتت الى الهوى وامتنع على الرب تخليصها أو رأى أنه لا يخلصها (حتى تذوق)

مرارة تعلقها بالهيولى ثم يخلصها أو لتستفيد بذلك كمالات ثم يخلصها بعد ذلك، قال ولهذا يقول محمد بن زكريا الرازى من فلاسفة الاسلام لا اذة الا عدم الألم وغاية سعادة النفس خلاصها من الألم الحاصل بتعلقها بالهيولى • وأبو عبد الله بن الخطيب الرازى - يعنى الفخر - وبعض من يأتى به يرجحون هذا القول وبه يجيب هؤلاء عن الحجة المشهورة للفلاسفة ويسمونه - الجواب الباهر - قال في محصله - وذكر ما هو شبيه بالخرافة وهو بمعزل عن كلام أهل الشرائع والدين والنبوات ومناهج المرسلين • قال شيخ الاسلام روح الله روحه وهذا المذهب من أفسد مذاهب العالم ، قال وهو يشبه من بعض الوجوه مذهب المجوس القائلين بالاصلين القديمين النور والظلمة ، قال والرسل عليهم السلام وأتباعهم أهل الملل متفقون على أن الله تعالى خالق لكل ما سواه فليس معه شيء قديم بقدمه لا نفس ولا عقل ولا غير ذلك من الاعيان سواء سمي خلاء أو دهرًا أو غير ذلك وبالله التوفيق •

ولما كان أهل الملة مختلفة فمنهم من نفى الصفات من أصلها وأثبت الاسماء وهم المعتزلة ، ومنهم من نفى الصفات الخبرية والافعال الاختيارية أن تقوم بذاته تعالى وأثبت السبع الصفات كالاشعرية ومن وافقهم ، وكان مذهب السلف وسائر الائمة وجمهور الامة اثبات الصفات الذاتية والاسماء الحسنى والصفات الخبرية وصفات الافعال الاختيارية لله تعالى حثك على الاتباع لسلف الامة وحذر من الابتداع ومخالفة السنة وأعيان الائمة فقال ((فاحذر من النزول)) من ذروة الايمان وسام الدين والايقان وأوج الرفعة والعرفان الى حضيض الابتداع وقاذورات الاختراع فان السلامة كل السلامة فى اتباع الرعيل الاول والسرب الذى عليه المعول لاما ابتدغته فروخ الجهمية وانتحلته أساطين الفلاسفة من فرق المشائية والاشراقية (١) ((فسائر الصفات)) الذاتية من الحياة والقدرة والارادة والسمع والبصر والعلم والكلام وغيرها وسائر الصفات الخبرية من الوجه واليدين والقدم والعينين ونحوها ((و)) سائر صفات ((الافعال)) من الاستواء

(١) بهامش مخ بالفظه « بلغ قراءة امرار على شيخنا المحقق الفقيه والمدقق النبيه ذى الدين المتين والورع واليقين الشيخ عبد الله أبا بطين الحنبلى السلفى أمتعنا الله بحياته وذلك فى ٢٩ ش سنة ١٢٥٩

قوله ان صفات
الله تعالى قديمة
وما اورد عليه

والنزول والايان والمجيء والتكوين ونحوها ((قديمة لله)) أى هى صفات قديمة عند سلف الامة وأئمة الاسلام لله ((ذى الجلال))والاكرام ليس منها شيء محدث، والا لكان محلا للحوادث وما حل به الحادث فهو حادث تعالى الله عن ذلك^(١) . ولما كان ربما توهم متوهم أن ذلك

(١) فى تنبيه أى سحمان ص ٥٣ بعد حكاية نحو هذه العبارة ما لفظه : « أعلم أنا قد قدمنا فيما قبل من كلام شيخ الاسلام ابن تيمية وكلام تلميذه ابن القيم الذين هم سادات الحنابلة وأئمتهم ما فيه الكفاية ولكن لا بد من التنبيه على بعض ذلك ليتبين لك أن نسبة ذلك الى سلف الامة وأئمتها من الكذب عليهم وإنما هو كلام سلف أئمة أهل البدع والضلال الذين ينتسبون الى مذهب أهل السنة والجماعة . فمن ذلك أن شيخ الاسلام ابن تيمية وابن القيم ذكرا أن مذهب السلف وأئمتها أن أفعال الله سبحانه وتعالى قديمة النوع حادثة الآحاد وأن الله سبحانه لم يزل متكلمًا اذا شاء ولم يزل فاعلا اذا شاء أو لم تزل الارادات والكلمات تقوم بذاته شيئًا بعد شيء ونحو ذلك .

فاذا عرفت هذا تبين لك أن قول الشارح فى أفعال الله الاختيارية : ليس منها شيء محدث والا كان محلا للحوادث وما حلت به الحوادث فهو حادث تعالى الله عن ذلك - ليس هو من كلام السلف وأئمتها بل هو من كلام أهل البدع المخالفين للسلف كما قال ابن القيم رحمه الله تعالى : وأما حلول الحوادث فيريدون به أن لا يتكلم بقدرته ومشيتته ولا ينزل كل ليلة الى سماء الدنيا ولا يأتي يوم القيمة ولا يجيء ولا يغضب بعد أن كان راضيا ولا يرضى بعد أن كان غضبانا ولا يقوم به فعل ألبته ولا أمر مجدد بعد ان لم يكن ولا يريد شيئًا بعد أن يكن مريدا له فلا يقول له كن حقيقة ولا استوى على عرشه بعد أن لم يكن مستويا ولا يغضب يوم القيامة غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ولا ينادى عباده يوم القيامة بعد أن لم يكن مناديا ولا يقول للمصلى اذا قال (الحمد لله رب العالمين) حمدنى عبدى فاذا قال (الرحمن الرحيم) قال (أثنى على عبدى) فاذا قال (مالك يوم الدين) قال « مجدنى عبدى » فان هذه كلها حوادث وهو منزه عن حلول الحوادث . انتهى .

وقد تقدم كلام شيخ الاسلام وفيه الكفاية ، ثم ان من المعلوم عند من له المام بالمعارف والعلوم أن نزول الله سبحانه وتعالى الى سماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الآخر وكذلك مجيئه لفصل القضاء بين العباد يوم القيامة لم يكن قديما قبل أن يخلق السموات والارض فى الازل بل ذلك فيما لم يزل الى يوم القيمة بمشيئته وقدرته وادارته كما يشاء أن ينزل وكما يشاء أن يجيء ويأتي على ما يليق بعظمته وجلاله ، ومن تأمل كلام شمس الدين ابن القيم حق التأمل تبين له ما قاله أئمة السلف وتبين له أيضا ما يقوله أئمة أهل البدع وما تحت ألفاظهم المجملة التى لم ينطق بها كتاب ولا سنة ولم يتكلم بها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا التابعون ولا من بعدهم من الأئمة المهتدين والله أعلم . وكذلك ما قاله الشارح بعد هذا : قال سفيان بن عيينة كل ما وصف الله به نفسه فى

سلم للتشبيه والتمثيل المنفى في محكم النص استدرك ذلك فقال ((لكن))
باسكان النون ((بلا كيف ولا تمثيل)) واثبات ذلك والاعتراف به والاقرار
والاذعان بموجه لما دلت عليه النصوص القرآنية والاحاديث الثابتة

كتابه فتفسيره قراءته والسكوت عنه ليس لأحد أن يفسره الا الله ورسوله
صلى الله عليه وسلم . فأقول قد تقدم الكلام على ذلك وانما مقصود السلف
بذلك تأويله وصرفه عن ظاهره . وأما قوله : وسمع الامام أحمد رحمه الله
شخصا يروى حديث النزول ويقول ينزل بغير حركة ولا انتقال ، ولا تغير
حال ، فأنكر الامام أحمد عليه ذلك وقال قل كما قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم فهو كان أغير على ربه منك . فأقول نعم قد كان أحمد
ينكر هذه الالفاظ التي لم يأت بها كتاب ولا سنة ولا نطق بها أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا من بعدهم من التابعين وكان يحب
السكوت عن ذلك كما قدمنا ذلك عنه في الحد .

ولائمة السلف ومنهم أحمد كلام في الحركة والانتقال فنذكر من ذلك
ما يتبين به صحة مذهب السلف وبطلان ما خالفهم من كلام أهل البدع ،
قال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه في العقل والنقل بعد كلام
طويل قال فيه : والفعل صفة كمال لا صفة نقص كالكلام والقدرة وعدم
الفعل صفة نقص كعدم الكلام وعدم القدرة فدل العقل على صحة ما دل
عليه الشرع وهو المطلوب ، وكان الناس قبل أبي محمد بن كلاب صنفين
فأهل السنة والجماعة يشبثون ما يقوم بالله تعالى من الصفات والافعال التي
يشاؤها ويقدر عليها والجهمية من المعتزلة وغيرهم تنكر هذا وهذا فأثبت
ابن كلاب قيام الصفات اللازمة به ونفى أن يقوم به ما يتعلق بمشيئته
وقدرته من الافعال وغيرها ووافق على ذلك أبو العباس القلانسي وأبو الحسن
الاشعري وغيرهما وأما الحارث المحاسبي فكان ينتسب الى قول ابن كلاب
ولهذا أمر أحمد بهجره وكان أحمد يحذر عن ابن كلاب وأتباعه ثم قيل
عن الحارث انه رجع عن قوله وقد ذكر الحارث في كتاب فهم القرآن عن
أهل السنة في هذه المسألة قولين ورجح قول ابن كلاب وذكر ذلك في
قوله تعالى (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون) وأمثال
ذلك .

وأئمة السنة والحديث على اثبات النوعين وهو الذي ذكره عنهم من نقل
مذهبهم كحرب الكرمانى وعثمان بن سعيد الدارمي وغيرهما بل صرح
هؤلاء بلفظ الحركة وان ذلك هو مذهب أئمة السنة والحديث من المتقدمين
والمتأخرين ، وذكر حرب الكرمانى قول من لقيه من أئمة السنة كأحمد بن
حنبل واسحاق بن راهوية وعبد الله بن الزبير الحميدى وسعيد بن
منصور ، وقال عثمان بن سعيد وغيره : ان الحركة من لوازم الحياة فكل حى
متحرك وجعلوا نفى هذا من أقوال الجهمية نفاة الصفات الذين اتفق
السلف والائمة على تضليلهم وتبديعهم ، وطائفة أخرى من السلفيين
كنعيم بن حماد الحزاعى والبخارى صاحب الصحيح وأبى بكر بن خزيمة
 وغيرهم كأبى عمر بن عبد البر وأمثاله يشبثون المعنى الذى يشبثه هؤلاء
ويسمون ذلك فعلا ونحوه لكن يمنعون عن اطلاق لفظ الحركة لكونه غير

النبوية فاعتقدنا ذلك واعتمدناه متابعة للسلف وارتضيناه ((رعمال)) أى لأجل رغم أنوف ((أهل الزينغ)) أى الميل والانحراف عن نهج أهل الحق ، والشك والجور عن سبيل أهل الصدق يقال زاغ اذا مال وأزاغ غيره

مأثور ، وأصحاب أحمد منهم من يوافق هؤلاء كأبي بكر عبد العزيز وأبي عبد الله بن بطة وأمثالهما ومنهم من يوافق الأولين كأبي عبد الله ابن حامد وأمثاله - ثم ذكر كلاما طويلا - الى أن قال : وقال أبو محمد حرب بن اسماعيل الكرمانى فى مسائله المعروفة التى نقلها عن أحمد واسحاق وغيرهما وذكر معهما من الآثار عن النبي صلى عليه وسلم والصحابة وغيرهم ما ذكر الى أن قال : وأدركت من أدركت من علماء أهل العراق والحجاز والشام وغيرهم عليها فمن خالف شيئا من هذه المذاهب أو طعن فيها أو عاب قائلها فهو مبتدع خارج من الجماعة زائل عن منهج السنة وسبيل الحق وهو مذهب أحمد واسحاق بن ابراهيم بن مخلد وعبدالله بن الزبير الحميدى وسعيد بن منصور وغيرهم ممن جالسنا وأخذنا عنهم العلم . وذكر الكلام فى الايمان والقدر والوعيد والامامة وما أخبر به الرسول من أشرط الساعة وأمر البرزخ والقيامة وغير ذلك الى أن قال : وهو سبحانه بائن من خلفه لا يخلو من علمه مكان ولله عرش وللعرش حملة يحملونه ، وله حد الله أعلم بحدّه والله على عرشه عز ذكره وتعالى جده ولا اله غيره والله تعالى سميع لا يشك ، بصير لا يرتاب ، عليم لا يجهل ، جواد لا يبخل ، حلیم لا يعجل ، حفيظ لا ينسى ، يقظان لا يسهو ، رقيب لا يغفل ، يتكلم ويتحرك ويسمع ويبصر وينظر ويقبض ويبسط ويحب ويكره ويبغض ويرضى ويسخط ويبغض ويرحم ويعفو ويغفر ويعطى ويمنع وينزل كل ليلة الى سماء الدنيا كيف شاء وكما شاء (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) . الى أن قال : ولم يزل متكلمنا عالما (فتبارك الله أحسن الخالقين) اه .

والمقصود أنه ذكر عن أئمة السلف فى أفعال الله الاختيارية التى تتعلق بمشيئته وقدرته وازادته الحركة فليس لنا أن نعدل عن قولهم ونأخذ بمذاهب أهل البدع وآرائهم .

وقال شيخ الاسلام أيضا فى العقل والنقل : وقال عثمان بن سعيد الدارمى فى كتابه المعروف (بنقض عثمان بن سعيد ، على المريسي الجهمي العنيد ، فيما افترى على الله فى التوحيد) قال : وادعى المعارض أيضا ان قول النبي صلى الله عليه وسلم « ان الله ينزل الى سماء الدنيا حين يمضى ثلث الليل فيقول هل من مستغفر هل من تائب هل من داع » قال : وادعى ان الله لا ينزل بنفسه انما ينزل أمره ورحمته وهو على العرش وبكل مكان من غير زوال لانه الحى القيوم والقيوم بزعمه من لا يزول (قال) فيقال لهذا المعارض وهذا أيضا من حجج النساء والصبيان ، ومن ليس عنده بيان ، ولا مذهبه برهان ، لأن أمر الله ورحمته ينزل فى كل ساعة ووقت وأوان ، فما بال النبي صلى الله عليه وسلم يحد لنزوله الليل دون النهار ويوقت من الليل شطره والاسحار ، أفأمره ورحمته يدعوان العباد الى الاستغفار ، أو يقدر الامر والرحمة أن يتكلما دونه فيقولوا « هل من

إذا أماله ((و)) رغما لأنوف أهل ((التعطيل)) من الطوائف الضالة والفرق المائلة فمذهب السلف حق بين باطلين وسنة بين بدعتين فإن من الناس من حمل النصوص على التشبيه والتمثيل فضل وأضل ومنهم من حملها على التحريف والتعطيل فألحد وانفصل عن الحق وختل وأهل الحق أثبتوا النصوص واعتقدوها بلا تكيف فهم يقولون اثبات وجود لا اثبات تكيف وتحديد ولهذا قال ((فمرها)) أى آيات الصفات وأخبارها ولا تتعرض لمعانيها وأسرارها بل تفسيرها أن نمرها ((كما أتت في الذكر)) القرآنى والحديث الصحيح عن المعصوم العبدانى ((من غير تأويل)) لها ((وغير فكر)) فى معانيها فإن ذلك ليس فى طوق البشر أن يكلفوه ولا فى رسمعهم أن يعرفوه وعلى ذلك مضت أئمة السلف والحق من سلف فكان الزهرى والامام مالك والاوزاعى وسفيان الثورى والليث بن سعد وابن المبارك والامام احمد واسحاق بن راهويه وغيرهم رضى الله عنهم يقولون فى مثل هذه الآيات يعنى التى فيها مجيء الله ووجهه واتيانه والاخبار كخبر النزول « مروها كما جاءت » وقال سفيان بن عيينة كل ما وصف الله نفسه فى كتابه فتفسيره قراءته والسكوت عنه ليس لأحد أن يفسره الا الله ورسوله . وسمع الامام احمد رضى الله عنه شخصا يروى حديث النزول ويقول ينزل بغير حركة ولا انتقال ولا تغير حال

داع فأجيبه ؟ هل من مستغفر فأغفر له ؟ هل من سائل فأعطيه ؟ « فان أقررت مذهبك لزمك أن تدعى أن الرحمة والامر هما اللذان يدعوان العباد الى الاجابة والاستغفار بكلامهما دون الله وهذا محال عند السفهاء فكيف عند الفقهاء ؟ قد علمتم ذلك ولكن تكابرون ، وما بال رحمته وأمره ينزلان من عنده شطر الليل ثم يمكثان الى طلوع الفجر ثم يرفعان لأن رفاة راوية يقول فى حديثه « حتى ينفجر الفجر » قد علمتم ان شاء الله تعالى أن هذا التأويل باطل ، ولا يقبله الا جاهل ، وأما دعواك أن تفسير القيوم الذى لا يزول عن مكانه ولا يتحرك فلا يقبل منكم هذا التفسير الا بأثر صحيح مأثور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو عن بعض أصحابه أو التابعين لان الحى القيوم يفعل ما شاء ويتحرك اذا شاء ويهبط ويرتفع اذا شاء ، ويقبض ويبسط ويقوم ويجلس اذا شاء ، لان اشارة ما بين الحى والميت المتحرك . كل حى متحرك لا محالة وكل ميت غير متحرك لا محالة ومن يلتفت الى تفسيرك وتفسير صاحبك مع تفسير نبي الرحمة ، ورسول رب العزة ؟ اذ فسر نزوله مشروحا منصوصا ، ووقت لنزوله وقتا مخصوصا ، لم يدع لك ولا صاحبك فيه لعبا ولا عويصا . انتهى . والله أعلم .

فأنكر الامام احمد عليه ذلك وقال قل كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو كان أغير على ربه منك • وقال أبو حنيفة رضى الله عنه فى كتاب الفقه الاكبر : ما ذكر الله تعالى فى القرآن من ذكر الوجه واليد والنفس فهو له صفات بلا كيف ولا يقال ان يده قدرته ونعمته لان فيه أبطال الصفة وهو قول أهل القدر والاعتزال ولكن يده صفته بلا كيف وغضبه ورضاه صفتان من صفاته بلا كيف • وقال العلامة ابن الهمام ان الاصبع واليد صفة له تعالى لا بمعنى الجارحة بل على وجه يليق به هو سبحانه أعلم • وقال أبو حامد الغزالي فى كتابه « الجامع العوام » فى الباب الاول منه : اعلم ان الحق الصحيح الذى لا مرأى فيه عند أهل البصائر هو مذهب السلف أعنى الصحابة والتابعين رضى الله عنهم أجمعين • ثم قال : حقيقة مذهب السلف وهو الحق عندنا أن كل من بلغه حديث من هذه الاخبار من عوام الخلق يجب عليه سبعة أمور التقديس ثم التصديق ثم الاعتراف بالعجز ثم السكوت ثم الكف ثم الامساك ثم التسليم لاهل المعرفة (فالتقديس) تنزيه الرب عن الجسمية وتوابعها (١) (والتصديق) الايمان بقوله صلى الله عليه وسلم وان كل ما ذكر حق وهو فيما قاله صادق وانه حق على الوجه الذى قاله وأراد (والاعتراف بالعجز) أن يقر أن معرفة مراده ليس على قدر طاقته وان ذلك ليس من شأنه وحرفته (والسكوت) بأن لا يسأل عن معناه ولا يخوض فيه مخاطرا بدينه وانه يوشك أن يكفر لو خاض فيه من حيث لا يشعر • وأما (الامساك) فان لا يتصرف فى تلك الالفاظ بالتصريف والتبديل بلغة أخرى والزيادة فيها والنقصان منها والجمع والتفريق بل لا ينطق لا بذلك اللفظ وعلى ذلك الوجه من الايراد والاعراب والتصريف والصفة (واما الكف) فان يكف باطنه عن البحث عنه والتفكر فيه (واما التسليم) لاهل المعرفة فان لا يعتقد ان ذلك ان خفى عليه لمجزه فقد خفى على الرسول صلى الله عليه وسلم وعلى الانبياء أو على الصديقين والاولياء • انتهى • وقد مر أنه لا يعلم حقيقة ما هو تعالى غيره فعليه المعول والله تعالى أعلم ***

ولما فرغ من ذكر ما يجب له تعالى من الاسماء والصفات الذاتية والاحبارية
والفعلية أخذ في ذكر ما يستحيل في حقه تعالى فقال :

الأوصاف
المستحيلة
في حق الله تعالى

((ويستحيل الجهل والعجز كما قد استحال الموت حقا والعمى))
((فكل نقص قد تعالى الله عنه فيأشرف لمن والاه))
((ويستحيل)) في حق الله تعالى اضداد الصفات التي اتصف بها
البارى جل شأنه ، والمستحيل هو كما مر ما لا يتصور في العقل ثبوته فمما
يستحيل في حق مولانا عز وجل ((الجهل)) الذي هو ضد العلم ((والعجز))
الذي هو ضد القدرة ((كما)) أنه قد ((استحال)) في حقه تعالى ((الموت))
الذي هو ضد الحياة حق ذلك ((حقا)) فهو مصدر ((و)) يستحيل في حقه
تعالى ((العمى)) الذي هو ضد البصر وكذا الصمم الذي هو ضد السمع
والبكم الذي هو ضد الكلام والفناء الذي هو ضد البقاء والعدم الذي هو
ضد الوجود والفقر الذي هو ضد الغنى والمائلة للحوادث المنفى في قوله
تعالى ليس كمثلته شيء وتقدم انه ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض (١)
فهى من المستحيلة في حقه تعالى وما نفاه سبحانه وتعالى عن نفسه في محكم
الذكر كقوله « ليس كمثلته شيء - هل تعلم له سميا - فلا تضربوا لله
الامثال - فلا تجعلوا لله أندادا - لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد -
ولم يتخذ ولدا - ولم يكن له شريك في الملك » ونحو ذلك ، والنفي انما
يدل على عدم المنفى والعدم المحض ليس بشيء أصلا فضلا عن أن يكون
كمالا وانما يكون كمالا اذا استلزم أمرا وجوديا فلهذا لم يصف الرب
تعالى نفسه بشيء من النفى الا اذا تضمن ثبوتا كقوله تعالى (الله لا اله الا
هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم) فقوله لا تأخذه سنة ولا نوم يتضمن
كمال حياته وقبوميته فان النوم أخو الموت ومن تأخذه السنة والنوم لا يكون
ويوما قائما بنفسه مقيما لغيره فان السنة والنوم يناقض ذلك ثم قال تعالى
(له مافى السموات ومافى الارض من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه)
ففى شفاعة أحد عنده الا باذنه يتضمن كمال كونه له مافى السموات
ومافى الارض ليس له فى ذلك شريك ولا ظهير فان الشافع اذا شفع عند

غيره بغير اذنه كان شريكاً له فيما يشفع فيه وكان متصرفاً فيه اذ جملة مماثلاً بعد ان لم يكن فكان في نفى هذه الشفاعة قد بين انه لا شريك له بوجه من الوجوه ، والصمد الذي يحتاج اليه كل شيء ولا يحتاج الى شيء ولا يؤثر فيه غيره ، والحاصل ان كل ما كان ضداً لما ذكر من أوصافه أو نقيضاً أو خلافاً فهو تعالى منزّه عنه مطلقاً ولهذا قال ((فكل نقص)) من هذه الاوصاف المذكورة ونحوها ((قد تعالى)) وتنزه ((الله عنه)) لأن له الكمال المطلق فكل كمال لا يؤدي الى نقص ما فالله أولى به وكل نقص فالله منزّه عنه ((فيأشري)) نادى البشرى بشارة ((ل)) لكل ((من)) أى شخص من أهل السنة والجماعة قد ((والاه)) الله أو قد والى هو الله أى اتخذه ولياً معتمداً عليه ومفوضاً جميع أموره اليه مع اقتفائه المأثور واتباعه للرسول فكأنه يقول لنفسه ولسائر أهل السنة هذا أوان حصول البشرى لكم أو يا بشرى أقبلى وتعالى فهذا أوانك • وانما نوه بالبشرى لمن والاه الله تعالى لعظم ذلك وخطره ودخوله في حصن ولايته ومحل نظره ، وفي صحيح البخارى من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان الله تعالى قال من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب » الحديث ، وروى ابن أبى الدنيا من حديث أم المؤمنين عائشة الصديقة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم عن الله عز وجل انه قال « من آذى لى وليا فقد استحل محاربتى » ورواه الامام احمد بمعناه • وفى زواية يقول الله عز وجل « من أهان لى وليا فقد بارزنى بالمحاربة » وأخرج ابن ماجه من حديث معاذ بن جبل رضى الله عنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول « ان يسير الرثاء شرك وان من عادى لى وليا فقد بارز الله بالمحاربة وان الله يحب الابرار الاتقياء الاخفاء الذين اذا غابوا لم يفتقدوا وان حضروا لم يدعوا ولم يعرفوا ، مصابيح الهدى يخرجون من كل غبراء مظلمة » وقد قال الله تعالى فى محكم الذكر (ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون * الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم) فالناظم اقتبس من الآية البشارة لاهل الولاية ، وقد روى الامام احمد

فى كتاب الزهد باسناده عن وهب بن منبه قال : ان الله عز وجل قال لموسى عليه السلام حين كلمه اعلم أن من أهان لى وليا وأخافه فقد بارزنى بالمحاربة وبادانى وعرض نفسه ودعانى اليها وأنا أسرع شىء الى نصره أوليائى أفيظن الذى يحاربنى أن يقوم لى أو يظن الذى يعاجزنى أن يعجزنى أم يظن الذى يبارزنى أن يسبقنى أو يفوتنى وكيف وأنا الثائر لهم فى الدنيا والآخرة فلا أكل نصرتهم الى غيرى • واعلم أن كل من عصى الله فقد حاربه لكن كلما كان الذنب أقبح كان أشد محاربة لله تعالى ولهذا سمى الله تعالى أكلة الربا وقطاع الطريق محاربين لله ولرسوله لعظم ظلمهم لعباده وسعيهم بالفساد فى بلاده ، وكذلك معاداة أوليائه فانه سبحانه يتولى نصره أوليائه ويجهم ويؤيدهم فمن عاداهم فقد عادى الله وحاربه فاذا كان من والى الله تعالى بهذه المثابة من الحفظ والاعزاز والنصرة له من قبل العزيز القهار وتوعد من عاداه وآذاه بمعاداة القوى الجبار فله البشارة العظمى والمسرة والمنزلة العليا والمبرة • وقد قدمنا غير مرة أن الحق عز وجل موصوف بكل كمال منزله عن كل نقص وهو العزيز المتعال

« تبيينه »

المذاهب فى الصفات

قال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه جماع الامر ان الاقسام الممكنة فى آيات الصفات وأحاديثها ستة أقسام كل قسم عليه طائفة من أهل القبلة قسمان يقولان تجرى على ظاهرها ، وقسمان يقولان هى على خلاف ظواهرها ، وقسمان يسكتان ، فأما الاولان فأحدهما من يجريها على ظاهرها من جنس صفات المخلوقين فهؤلاء المشبهة ومذهبهم باطل أنكره السلف وعليهم توجه الرد بالحق ، الثانى من يجريها على ظاهرها اللائق بجلال الله تعالى وعظمته كما يجرى اسم العليم والقدير والرب والاله والموجود والذات ونحو ذلك على ظاهرها اللائق بجلال الله تعالى فان ظواهر هذه الصفات فى حق المخلوقين اما جوهر محدث واما عرض قائم فالعلم والقدرة والكلام والمشيئة والرحمة والرضا والغضب ونحو ذلك فى حق العبد اعراض والوجه واليدان والعين فى حقه أجسام فاذا كان الله

عز وجل موصوفا عند عامة أهل الاثبات بأن له علما وقدرة وكلاما ومشيئة ولم تكن في حقه تعالى اعراضا يجوز عليها ما يجوز على صفات المخلوقين فكذلك الوجه واليد والعين ونحوها صفات له تعالى لا كصفات المخلوقين ، وهذا هو المذهب الذى حكاه الخطابى وغيره عن السلف وعليه يدل كلام جمهورهم ، وكلام الباين لا يخالفه وهو أمر واضح فان الصفات كالذات فكما ان ذات الله ثابتة حقيقة من غير أن تكون من جنس ذوات المخلوقين فكذلك صفاته ثابتة من غير أن تكون من جنس صفات المخلوقين ، وتقدم نظير هذا ، فمن لم يفهم من صفات الرب الذى ليس كمثلته شىء الا ما يناسب المخلوق فقد ضل فى عقله ودينه وقد مر أنه لا يعلم ماهو الا هو وان صفاته لا يعلم كنهها وحقيقتها الا هو تعالى وانما تعلم الذات المقدسة والصفات من حيث الجملة على الوجه الذى يليق بعظمته وجلاله ، وقد تنازع الناس فى حقيقة الروح واختلفوا فيها اختلافا كثيرا مع القطع باتصالها بالبدن وانها تخرج منه وتخرج الى السماء وقد تخبط فيها الفلاسفة ومن وافقهم تخبط الذى به مس من الشيطان لكونهم رأوها من غير جنس البدن وعالمه وصفاته فعدم مماثلتها للبدن لا ينفى أن تكون الصفات الثابتة لها من الصعود والنزول والاتصال والانفصال حقا . قال شيخ الاسلام : وأما القسمان اللذان يقولان هى على خلاف ظواهرها فقسم يتأولونها ويعنون المراد منها مثل قولهم استوى بمعنى استولى أو بمعنى علو المكانة والقدر ، وقسم يقولون الله أعلم بمراده منها لكننا نعلم انه لم يرد اثبات صفة خارجة عما علمناه . قال : وأما القسمان الواقفان فقسم يقول بجواز أن يكون المراد ظاهرها اللائق بالله تعالى ويجوز أن لا تكون صفة لله وهذه طريقة كثير من الفقهاء وغيرهم ، وقسم يمسكون عن هذا كله ولا يزيدون على تلاوة القرآن وقراءة الحديث معرضين بقلوبهم وألسنتهم عن هذه التقديرات ، قال فهذه الاقسام الستة لا يمكن الرجل أن يخرج عن قسم منها ، قال والصواب فى كثير من الصفات وأحاديثها القطع بالطريقة الثانية . انتهى كلامه . والله تعالى الموفق

فصل فى ايمان
المقلد

((فصل))

فى ذكر الخلاف فى صحة ايمان المقلد فى العقائد وعدمها وفى جوازه وعدمه وقد أشار الناظم الى هذا المقام الذى هو مزلة أقدام فقال :

((وكل ما يطلب فيه الجزم فممنع تقليد بذاك حتم))
((لأنه لا يكفى بالظن لدى الحجى فى قول أهل الفن))
((وقيل يكفى الجزم اجماعا بما يطلب فيه عند بعض العلماء))
((فالجازمون من عوام البشر فمسلمون عند أهل الأثر))

((وكل ما)) أى حكم ومطلوب مما عنه الذكر الحكيمى وهو المعنى الذى يعبر عنه بالكلام الخبرى وهو ما أنبأ عن أمر فى نفسك من اثبات او نفي والمراد هنا كل اعتقاد ((يطلب فيه)) أى ذلك الاعتقاد من معرفة الله تعالى وما يجب له ويستحيل عليه ويجوز ((الجزم)) بأن يجزم به جزما لا يحتمل متعلقه التقيض عنده لو قدره فى نفسه فان طابق الواقع فهو اعتقاد صحيح والا ففساد فما كان من هذا الباب ((ممنع تقليد)) وهو لغة وضع الشيء فى العنق حال كونه محيطا به وذلك الشيء يسمى قلادة وجمعها قلائد وعرفا أخذ مذهب الغير يعنى اعتقاد صحته واتباعه عليه بلا دليل فان أخذه بالدليل فليس بمقلد له فيه ولو وافقه فالرجوع الى قوله صلى الله عليه وسلم ليس بتقليد • قال شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله روحه فى المسودة : التقليد قبول القول بغير دليل فليس المصير الى الاجماع بتقليد لأن الاجماع دليل ولذلك يقبل قول النبى صلى الله عليه وسلم ولا يقال تقليد وقد قال الامام احمد رضى الله عنه فى رواية أبى الحارث من فلد الخبر رجوت أن يسلم ان شاء الله تعالى فأطلق اسم التقليد على من صار الى الخبر وان كان حجة بنفسه • انتهى ملخصا ((بذاك)) أى بما يطلب فيه الجزم ولا يكفى فيه بالظن ((حتم)) بفتح الحاء المهملة وسكون التاء المثناة فوق أى لازم واجب ، قال علماؤنا وغيرهم يحرم التقليد فى معرفة الله تعالى وفى التوحيد والرسالة وكذا فى أركان الاسلام الخمس ونحوها مما تواتر واشتهر ، عند الامام احمد رضى الله عنه والاكثر وذكره أبو الخطاب عن عامة العلماء وذكر غيره انه قول الجمهور فله

فى شرح التحرير ، قال وأطلق الحلوانى من أصحابنا وغيره منع التقليد فى أصول الدين ، واستدلوا بتحريم التقليد بأمره سبحانه وتعالى بالتدبر والتفكر والنظر ، وفى صحيح ابن حبان لما نزل فى آل عمران (ان فى خلق السموات والارض) الآيات قال صلى الله عليه وسلم « ويل لمن قرأهن ولم يتدبرهن ويل له ويل له » والاجماع على وجوب معرفة الله تعالى ولا تحصل بتقليد لجواز كذب المخبر واستحالة حصولها كمن قلد فى حدود العالم وكمن قلد فى قدمه ، ولأن التقليد لو أفاد علماً فاما بالضرورة وهو باطل واما بالنظر فيستلزم الدليل والاصل عدمه والعلم يحصل بالنظر واحتمال الخطأ لعدم مراعاة القانون الصحيح ، ولأن الله تعالى ذم التقليد بقوله تعالى (انا وجدنا آباءنا على أمة) ولقوله تعالى (فاعلم انه لا اله الا الله) فألزم الشارع بالعلم ويلزمنا نحن أيضاً لقوله (فاتبعوه لعلمكم تهتدون) فتعين طلب اليقين فى الوجدانية ويقاس عليها غيرها والتقليد لا يفيد الا الظن ولهذا قال معللاً للمنع عنه بقوله ((لانه)) أى الشأن والامر والقصة ((لا يكفى)) فى أصول الدين ومعرفة الله رب العالمين ((بالظن)) الذى هو ترجيح أحد الطرفين على الآخر فالراجح هو الظن والمرجوح الوهم فلا يكفى به فى أصول الدين ((لذى)) أى لصاحب ((الحجبى)) كالى أى العقل والفتنة ((فى قول أهل الفن)) من الأئمة وعلماء المنقول والمعقول من الاصوليين والمتكلمة وغيرهم قال العلامة ابن حمدان فى نهاية المتدئين : كل ما يطلب فيه الجزم يتمتع التقليد فيه والاخذ فيه بالظن لانه لا يفيد وانما يفيد دليل قطعى . قال فى شرح مختصر التحرير وأجازه يعنى فى التقليد فى أصول الدين جمع ، قال بعضهم ولو بطريق فاسد ، قال العلامة ابن مفلح : وأجازه بعض الشافعية لاجماع السلف على قبول الشهادتين من غير أن يقال لقائلهما هل نظرت ؟ وسمعه الامام ابن عقيل عن أبى القاسم ابن التبان المعتزلى قال وانه يكفى بطريق فاسد ، وقال هذا المعتزلى اذا عرف الله وصدق رسوله وسكن قلبه الى ذلك واطمأن به فلا علينا من الطريق تقليداً كان أو نظراً أو استدلالاً والى هذا الاشارة بقوله ((وقيل يكفى)) فى أصول الدين ((الجزم))

ولو تقليدا ((اجماعيا)) ((ب)) كل ((ما)) أى حكم ((يطلب)) بضم أوله
مبني لما لم يسم فاعله ونائب الفاعل مضمّر يعود على الجزم ((فيه)) أى فى
ذلك المطلوب من أصول الدين ((عند بعض العلماء)) من علماء مذهبنا
والشافعية والمعتزلة وغيرهم ، قال العنبرى وغيره يجوز التقليد فى أصول
الدين ولا يجب النظر اكتفاء بالعقد الجازم لانه صلى الله عليه وسلم كان
يكتفى فى الايمان من الاعراب وليسوا أهلا للنظر بالتلفظ بكلمتى الشهادة
المنبىء عن العقد الجازم ويقاس غير الايمان من أصول الدين عليه . وقال
العلامة ابن حمدان فى نهاية المتدينين : وقيل يكفى الجزم يعنى بالظن
اجماعا بما يطلب فيه الجزم ((فالجازمون)) حيثئذ بعقدهم ولو تقليدا
((من عوام البشر)) الذين ليسوا بأهل للنظر والاستدلال بما لا يتم
الاسلام بدونه ((ف)) على الصواب هم ((مسلمون عند أهل الاثر))
وأكثر النظار والمحققين وان عجزوا عن بيان ما لا يتم الاسلام الا به . وقال
ابن حامد من علمائنا : لا يشترط أن يجزم عن دليل - يعنى بل يكفى
الجزم ولو عن تقليد وقيل الناس كلهم مؤمنون حكما فى النكاح والارث
وغيرهما ولا يدري ما هم عند الله . انتهى . وقال العلامة المحقق ابن
قاضي الجبل من علمائنا فى أصوله قال ابن عقيل : القياس النقلى حجة
يجب العمل به ويجب النظر والاستدلال به بعد ورود الشرع ، قال ولا
يجوز التقليد . والحق الذى لا محيد عنه ولا انفكاك لأحد منه صحة ايمان
المقلد تقليدا جازما صحيحا وان النظر والاستدلال ليسا بواجبين وان التقليد
الصحيح محصل للعلم والمعرفة ، نعم يجب النظر على من لا يحصل له
التصديق الجازم أول ما تبلغه الدعوة . قال بعض علماء الشافعية اعلم ان
وجوب الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر لا يشترط
فيه أن يكون عن نظر واستدلال بل يكفى اعتقاد جازم بذلك اذ المختار
الذى عليه السلف وأئمة الفتوى من الخلف وعامة الفقهاء صحة ايمان
المقلد . قال وأما ما نقل عن الامام الشيخ أبى الحسن الاشعري من عدم
صحة ايمان المقلد فكذب عليه كما قاله الاستاذ ابو القاسم القشيري .
ثم قال ومما يرد على زاعمى بطلان ايمان المقلد أن الصحابة رضوان الله

عليهم أجمعين فتحوا أكثر العجم وقبلوا ايمان عوامهم كاجلاف العرب وان كان تحت السيف أو تبعاً لكبير منهم أسلم ولم يأمرؤا أحدا منهم بترديد نظر ولا سألوه عن دليل تصديقه ولا أرجأوا أمره حتى ينظر، والعقل يجزم فى نحو هذا بعدم وقوع الاستدلال منهم لاستحاله حينئذ فكان ما أطقوا عليه دليلاً أى دليل على ايمان المقلد ، وقال ان التقليد أن يسمع من نشأ بقله جبل الناس يقولون للخلق رب خلقهم وخلق كل شىء من غير شريك له ويستحق العبادة عليهم فيجزم بذلك اجلالاً لهم عن الخطأ وتحسيناً للظن بهم فاذا تم جزمه بأن لم يجوز نقيض ما أخبروا به فقد حصل واجب الايمان وان فاته الاستدلال لانه غير مقصود لذاته بل للتوصل به للجزم وقد حصل . وقال الامام النووى : الآتى بالشهادتين مؤمن حقاً وان كان مقلداً على مذهب المحققين والجماهير من السلف والخلف لانه صلى الله عليه وسلم اكتفى بالتصديق بما جاء به ولم يشترط المعرفة بالدليل وقد تظاهرت بهذا الاحاديث الصحاح يحصل بمجموعها التواتر والعلم القطعى . انتهى . وبما تقرّر تعلم أن النظر ليس بشرط فى حصول المعرفة مطلقاً والأما وجدت بدونها لوجوب انتفاء المشروط بانتفاء الشرط لكنها قد توجد فظهر أن النظر لا يتعين على كل أحد وانما يتعين على من لا طريق له سواه بأن بلغته دعوة النبى صلى الله عليه وسلم ولم يحصل له العقد الجازم ابتداءً تقليداً فيجب عليه النظر حتى يظهر له حقيقة الاسلام اذ الاعراض غير جائز فمثل هذا الشخص النظر عليه واجب اجماعاً وأما المقلد الذى يؤمن بما جاء به النبى صلى الله عليه وسلم اول ما بلغته دعوته وصدق به تصديقاً جازماً بلا تردد فمع صحة ايمانه بالاتفاق لا يأتى بترك النظر وان كان ظاهر ما تقدم الاثم مع حصول الايمان لان المقصود الذى لأجله طلب النظر من المكلف وهو التصديق الجازم قد حصل بدون النظر فلا حاجة اليه ، نعم فى رتبته انحطاط وربما كان مترزلاً الايمان فالحق أنه يأتى بترك النظر وان حصل له الايمان ، ومن ثم نقل بعضهم الاجماع على تأييمه لان جزمه حينئذ لا ثقة به اذ لو عرضت له شبهة عكرت عليه وصار متردداً بخلاف الجزم الناشئ عن الاستدلال فانه لا يفوت بذلك والله تعالى الموفق

(تنبيهات)

الاول فى مسألة التقليد ثلاثة أقوال (أولها) النظر واجب وقد نقلناه
عن من النقل عنهم ورجحه الامام الرازى وأبو الحسن الأمدى (الثانى)
ليس بواجب والتقليد جائز وقد قدمنا كلام العسبرى وغيره فى ذلك
(الثالث) التقليد حرام ويأثم بترك النظر والاستدلال ومع ائمه بترك
النظر فايما انه صحيح وقد فهم كل هذا مما قرناه سابقا • وثم قول (رابع)
وهو أن النظر حرام لأنه مظنة الوقوع فى الشبه والضلال لاختلاف الازهان
بخلاف التقليد فيجب بأن يجزم المكلف عقده بما يأتى به الشرع من العقائد
الدينية ولكن قد علم مما مر أن الرجوع الى الكتاب والسنة ليس بتقليد
• وان سمي تقليدا فمجاز ، ومنه قول الامام أحمد رضى الله عنه : ومن قلد
الخبز رجوت أن يسلم ان شاء الله تعالى • وقد قال أبو حامد الغزالى فى
كتابه (فيصل التفرقة • بين الاسلام والزندقة) من ظن أن مدرك الايمان
الكلام والادلة المحررة والتقسيمات المرتبة فقد أبعد ، لا بل الايمان نور
يقذفه الله فى قلوب عباده عطية وهدية من عنده تارة بتبنيه فى الباطن
لا يمكن التعبير عنه وتارة بسبب رؤيا فى المنام وتارة بمشاهدة حال
رجل متدين وسراية نوره اليه عند صحبته ومجالسته وتارة بقرينة حال
فقد جاء اعرابى الى النبى صلى الله عليه وسلم جاحدا له منكرا فلما وقع
بصره على طلعتة البهية وغرته الفريدة فرآها يتلأأ منها نور النبوة قال
والله ما هذا وجه كذاب ، وسأل أن يعرض عليه الاسلام فأسلم • وجاء
آخر اليه فقال أشدك الله ، الله بعثك نبيا ؟ فقال « بلى والله الله بعثنى
نبيا » فصدقه بيمينه وأسلم • وأمثالهما أكثر من أن تحصى ولم يشغل
واحد منهم قط بالكلام وتعلم الادلة بل كان يبدو نور الايمان أولا بمثل
هذه القرائن فى قلوبهم لمعة بيضاء ثم لا يزال يزداد وضوحا واشراقا بمشاهدة
تلك الاحوال العظيمة وبتلاوة القرآن وتصفية القلوب- الى أن قال : والحق
الصريح ان كل من اعتقد أن كل ما جاء به الرسول واشتمل عليه القرآن
حق اعتقادا جازما فهو مؤمن وان لم يعرف أدلته • قال فالايمان المستفاد
من الادلة الكلامية ضعيف جدا مشرف على التزلزل بكل شبهة • انتهى

فان قيل ان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضى الله عنهم كانوا يعلمون أن العوام واجلاف العرب يعلمون الادلة اجمالا كما أجاب به الاعرابى الاصمعى عن دليل سؤاله : بم عرفت ربك ؟ فقال : البعرة تدل على البعير ، وأثر الاقدام يدل على المسير ، فسماء ذات أبراج وأرض ذات فججاج ألا تدل على اللطيف الخبير . فلذلك لم يلزموهم بالنظر ولا سألوهم عنه ولا أرجأوا أمرهم فلما كان كذلك لم يكن اكتفاؤهم بمجرد الاقرار دليلا على عدم وجوب النظر على الاعيان ولا على أن تاركه غير آثم . فالجواب : ما ذكروه دعوى بلا دليل وحكاية الاعرابى لا تدل على أن جميع الاجلاف والعوام كانوا عالمين بالادلة اجمالا فان المثال الجزئى لا يصحح القواعد الكلية ، والعقول مختلفة لأمزجة متفاوتة أشد تفاوت فوجود فرد من الاعراب قوى العقل نافذ البصيرة لا يدل على ان كل الاعراب والاجلاف كذلك بلا خفاء ، ويوضحه ان من الذين أسلموا فى عهدهم كانوا يكونون عجماء ونساء وقبلوا منهم الاسلام ولم يأمرهم بالنظر ولم يرجئوهم ، وأيضا كان أهل الشرك من قريش يجادلون ويناضلون عن آلهتهم و (اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون ويقولون أئنا لتاركو آلهتنا لشاعر مجنون) وقالوا (اجعل الآلهة الها واحدا ان هذا لشيء عجاب) ويقول أبو سفيان وهو من رؤسائهم وصناديدهم يوم أحد : اعل هبل اعل هبل . فمثل هذا المصمم على الشرك المتعجب معه من التوحيد وقد أسلم تحت ظل السيف كيف كان صلى الله عليه وسلم (يرى) ان مثل هذا كان يعلم دليلا اجماليا على التوحيد ، والنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه لم يسمعو ولم يعلموا منه قبل ذلك الا الشرك المصمم والكفر الصراح والاعتقاد الفاسد . هذا مما لا يدل عليه عقل ولا نقل .

(الثانى) قد قدمنا أن التقليد الصحيح محصل للعلم بمعنى أن المقلد تقليدا صحيحا لا يصدق بما ألقى اليه من العقائد الخفية الا بعد انكشاف صدقها عنده من غير أن يكون له دليل عليها ، وقد جاء فى محكم الذكر (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام) وأخرج ابن المبارك فى الزهد وعبد الرزاق والفريابى وابن أبى شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن

المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الاسماء والصفات عن
أبي جعفر المدائني رجل من بنى هاشم وليس هو محمد بن علي قال سئل
النبي صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية قال كيف يشرح صدره للاسلام
يا رسول الله؟ قال « نور يقذف فيه فينشرح له وينفسح » قالوا فهل لذلك
من امارات يعرف بها؟ قال «الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور
والاستعداد للموت قبل لقاء الموت » قال الحافظ السيوطي في هذا الحديث:
مرسل له شواهد كثيرة متصلة ومرسلة يرتقى بها الى درجة الصحة أو
الحسن . وكما كان قذف النور في القلب موجبا لانسراح الصدر
وانفساح القلب كان قذفه مستلزما لجعل النفس قابلة للحق مهية لحلولة
فيها مصفاة عما يمنعه وينافيه سواء كان ثم استدلال أولا وكلما
تصفت من كدوراتها واتصفت بالصفات المذكورة كان قبولها للعقائد الخفية
أشد واذعانها لها أحرى لكون ذلك النور المقذوف في القلب كاشفا لعين
البصيرة عن صدق ما أخبر به من العقائد كاشفا يحمله على الازعان والانقياد
والتصديق به وحسن الاعتقاد^(١) بحيث يصير ضروريا حتى لو رام الانفكاك
عنه لم يجد له اليه سبيلا وان لم يكن ثم نظر ولا استدلال

(الثالث) قد نقل عن أبي الحسن الأشعري انه لا بد من انبناء الاعتقاد
في كل مسألة من الاصول على دليل عقلي لكن لا يشترط الاقتدار على
التعبير عنه وعلى مجادلة الخصوم ودفع الشبهه، قال السعد التفتازاني في (شرح
المقاصد) هذا هو المشهور عن الأشعري حتى حكى عنه ان^(٢) من لم يكن
كذلك لم يكن مؤمنا . انتهى . قال في جمع الجوامع : وعن الأشعري
لا يصح ايمان المقلد . قال شارحه : وشنع عليه أقوام بأنه يلزمه تكفير
العوام وهم غالب المؤمنين ، وقال القشيري : مكذوب عليه . قال التاج
السبكي : والتحقيق انه ان كان التقليد أخذا لقول الغير بغير حجة مع
احتمال شك أو وهم بأن لا يجزم به فلا يكفي ايمان المقلد قطعا لانه لا
ايمان مع أدنى تردد فيه ، وان كان التقليد أخذا لقول الغير بغير حجة
لكن جزما فيكفي ايمان المقلد عند الأشعري وغيره خلافا لأبي هاشم

(١) في مخ « الانقياد » . (٢) مخ « حكى عنه انه قال »

المعتزلى فى قوله : لا يكفى بل لا بد لصحة الايمان من النظر • وقد وافق النقل عن الاشعرى جماعة منهم القاضى وأمام الحرمين وغيرهما ، قالوا قال الجمهور بعدم صحة الاكتفاء بالتقليد فى العقائد الدينية حتى زعم بعضهم انه مجمع عليه ، وعزاه ابن القصار للإمام مالك رضى الله عنه • والمشهور نقل بعضهم عن الجمهور عدم جواز التقليد فى العقائد الدينية وانهم اختلفوا فى المقلد ، منهم من قال انه مؤمن الا أنه عاص بترك المعرفة التى ينتجها النظر الصحيح ، ومنهم من فصل فقال هو مؤمن عاص ان كان فيه أهلية لفهم النظر الصحيح وغير عاص ان لم يكن فيه أهلية ذلك ، ومنهم من نقل عن طائفة ان من قلد القرآن والسنة القطعية صح ايمانه لاتباعه القطعى ، ومن قلد غير ذلك لم يصح ايمانه لعدم أمن الخطأ على غير المعصوم ، ومنهم من جعل النظر والاستدلال شرطاً للكمال ، ومنهم من حرم النظر كما مر ذلك • قال الجلال المحلى فى شرح (جمع الجوامع) وقد اتفقت الطرق الثلاث - يعنى الموجبة للنظر والمجوزة له والمحرمة - على صحة ايمان المقلد • انتهى • وعبارة الأمدى فى (الابكار) اتفق الاصحاب على انتفاء كفر المقلد وانه ليس للجمهور الا القول بعصيانه بترك النظر ان قدر عليه مع اتفاقهم على صحة ايمانه وانه لا يعرف القول بعدم صحة ايمان المقلد الا لأبى هاشم بن أبى على الجبائى من المعتزلة محتجاً بأن من لم يعرف الله سبحانه بالدليل فهو كافر • قال الأمدى : وأصحابنا مجمعون على خلافه • وقال الامام أبو منصور الماتريدى رئيس الطائفة الماتريدية : أجمع أصحابنا على أن العوام مؤمنون عارفون بربهم وانهم حشو الجنة كما جاءت به الاخبار وانعقد عليه الاجماع لكن منهم من قال لا بد من نظر عقلى فى العقائد وقد حصل لهم منه القدر الكافى فان فطرتهم جبلت على توحيد الصانع وقدمه وحدث ما سواه من الموجودات وان عجزوا عن التعبير باصطلاح المتكلمين • هذا حاصل ما أوجب به عن الاشعرى حتى قال بعض الاشاعرة عن الاشعرى لا يكاد يكون فى العوام مقلد • وعبارة (شرح المقاصد) ذهب كثير من العلماء وجميع الفقهاء الى صحة ايمان المقلد وترتيب الاحكام عليه فى الدنيا والآخرة ، ومنعه الشيخ

ابو الحسن والمعتزلة وكثير من المنكلمين ، احتج القائلون بالصحة بأن حقيقة الايمان التصديق وقد وجدت من غير اقترانه بموجب من موجبات الكفر ، فان قيل : لا يتصور التصديق بدون العلم لانه اما ذاتي للتصديق او شرط له ولا علم للمقلد لانه اعتقاد جازم مطابق مستند الى سبب من ضرورة أو استدلال ، فأجاب بأن المعتبر في التصديق هو اليقين أعنى الاعتقاد الجازم المطابق بل ربما يكفي بالمطابقة ويجعل الظن الغالب الذي لا يخطر معه النقيض بالبال في حكم اليقين • انتهى

(الرابع) قال السعد : اعلم بأن القائلين بعدم صحة ايمان المقلد أو ليس بنافع اختلفوا ، فمنهم من قال لا يشترط ابتناء الاعتقاد (على استدلال عقلي) في كل مسألة بل يكفي ابتناؤه على قول من عرفت رسالته بالمعجزة مشاهدة أو تواتر أو على الاجماع ، ومنهم من قال لا بد من ابتناء الاعتقاد في كل مسألة من الاصول على دليل عقلي لكن لا يشترط الاقتدار على التعبير عنه ولا على مجادلة الخصوم ، وتقدم الصحيح المعتمد من هذا قربا ، ومنهم من قال لا بد مع ابتناء الاعتقاد على الدليل العقلي من الاقتدار على مجادلة الخصوم وحل ما يورد عليه من الاشكالات - قال واليه ذهب المعتزلة فلم يحكموا بايمان من عجز عن شيء من ذلك بل يحكم أبو هاشم بكفره • وقد تقدم عن العنبري وغيره من شيوخ المعتزلة جواز التقليد في أصول الدين وانه لا يجب النظر اكتفاء بالعقد الجازم • فعليه المعول • واتضح أن المرجح صحة ايمان المقلد عند محققى كل طائفة بشرط الجزم وعدم التزلزل والشك على أنا نقول : المختار أن الراجع الى أخبار الرسول والكتاب المنزل والاجماع ليس بمقلد فمن شهد لله بالوحدانية ولمحمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة ونهج سبيل المسلمين (١) من فعل المأمور وترك المحذور ولم يأت بمكفر فهو مؤمن وباللله التوفيق • ويؤيد هذا ما أخرجه الامام الحافظ أبو القاسم بن عساكر في كتابه (تبيين كذب المفتري ، فيما نسب الى الامام أبي الحسن الأشعري) بسنده المتصل الى أبي حازم عمر بن

أحمد العبدوى^(١) الحافظ أنه قال سمعت أبا على طاهر بن أحمد السرخسى يقول : لما قرب حضور أجل أبى الحسن الأشعري رحمه الله تعالى فى دارى ببغداد دعانى فأتيته فقال : اشهد على انى لا أكفر أحدا من أهل القبلة لان الكل يشيرون الى معبود واحد وانما هذا كله اختلاف عبارات • انتهى بلفظه • فسأل الله التوفيق وحسن الخاتمة •

((الباب الثانى فى الافعال المخلوقة))

((وسائر الاشياء غير الذات وغير ما الاسماء والصفات))
((مخلوقة لربنا من العدم وذل من أتى عليها بالتقدم))
((وربنا يخلق باختيار من غير حاجة ولا اضطرار))
((لكنه لا يخلق الخلق سدى كما أتى فى النص فاتبع الهدى))

((وسائر)) أى بقية ((الاشياء)) جمع شىء ((غير الذات)) المقدسة ((وغير ما)) زائدة لتأكيد النفى ((الاسماء)) أى غير أسمائه تعالى فانها قديمة كالذات ((و)) غير ((الصفات)) الذاتية والخبرية التى ثبتت فى الكتاب والسنة والفعلية فكل شىء غير الذات العلية وأسمائها وصفاتها ((مخلوقة لربنا)) تبارك وتعالى ((من العدم)) مسبوقه به وتبين لك حكمة تعبير الناظم بسائر لانها بمعنى البقية قال فى القاموس والسائر الباقي لا الجميع كما توهم جماعات أو قد يستعمل له ومنه قول الاحـوص :
فجلتها لنا لبابة لما
وقد النوم سائر الحراس
قال وضاف اعرابى قوما فأمروا الجارية بتطيبه فقال :

بطنى عطرى وسائرى ذرى

فكل ما سواه سبحانه بأسمائه وصفاته محدث مسبوق بالعدم ، وهذا المنفق عليه عند سلف الأمة وأئمتها من أن الله تعالى خالق كل شىء وربّه ومليكه وأنه خالق كل شىء بقدرته ومشيئته وانه ماشاء كان ومالم يشأ لم يكن فهو سبحانه وتعالى خالق الممكنات المحدثات من الاجسام والاعراض القائمة بالحيوان والجماد والمعادن والنبات وغيرها • وهذا الذى دلت عليه الكتب المنزلة وأخبرت به الرسل المرسله وعليه سلف الامة وأئمتها بل وعليه جماهير العقلاء وأكابرهم

(١) فى الاصلين « العبدى » خطأ •

الباب الثانى
فى الافعال
المخلوقة

كل شىء غير
ذات الله تعالى
وصفاته وأسمائه
مخلوق

من جميع الطوائف خلافا لبعض الفلاسفة كإرسطو القائل بقدوم العالم
وخلافا لديمقراطيس القائل بقدوم العلة والنفس والهوى والخلاء والدهر .
قال شيخ الاسلام بن تيمية في (جواب المسائل الاسكندرية) : قد نقلوا عن
أساطين الفلاسفة المتقدمين أنهم كانوا يقولون بحدوث صورة الفلك ولكنهم
مضطربون في المادة ومتنازعون فيها نعم إرسطو وأتباعه قائلون بقدوم صورته .
قال وليس لهم دليل صحيح على قدم شيء من العالم^(١) ألبتة ولهذا قال
((وضل)) عن الصراط المستقيم والنهج اليبين القويم ((من)) أى
أى شخص وكل (انسان من كل - ٢) طائفة من طوائف العالم ((اثنى
عليها)) أى على سائر الاشياء سوى الذات المقدسة وصفاتها القديمة فسائر
ما عدا ذلك كل من أثنى على شيء منها ((بالقدم)) فقد ضل وأضل وقد
أخبر الله في محكم الذكر بأنه خلق السموات والارض وما بينهما في ستة
أيام ، وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال « ان الله قدر مقادير الخلائق قبل أن
يخلق السموات والارض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء » أى
مقادير الخلائق التى خلقها في ستة أيام الى أن يدخل أهل الجنة منازلهم
وأهل النار منازلهم كما في السنن عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال
« أول ما خلق الله القلم فقال اكتب وما أكتب ؟ قال ما هو كائن الى يوم
القيامة » فقد بين أن القلم الذى هو أول المخلوقات من هذا العالم انما كتب
ما هو كائن الى يوم القيامة ، وهذا هو التقدير المذكور في قوله قدر مقادير
الخلائق . وفي الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم خطب أصحابه فذكر
بدء الخلق حتى دخل أهل الجنة منازلهم وأهل النار منازلهم . وقد جاء عن
الصحابه والتابعين من الآثار والاخبار من هذا النهج شيء كثير . وفي التوراة
ما يوافق الكتاب والسنة من ذكر الماء الذى كان مخلوقا قبل أن يخلق
السموات والارض وأن الله خلق السماء من بخار ذلك الماء . وذلك
البخار هو الدخان المذكور في قوله تعالى (ثم استوى الى السماء وهى دخان
فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائمين) والعرش أيضا خلق

(٢) ليس فى مخ .

(١) مخ « على قدم صورته » .

قبل ذلك كما دل عليه الكتاب والسنة ، قال شيخ الاسلام في الاجوبة الاسكندرية : قد أخبرت الكتب الالهية أن الله خلق السموات والارض في ستة أيام فتلك الايام ليست مقدرة بحركة الشمس والقمر فانه فيها خلق الشمس والقمر والافلاك وسواء كانت بقدر هذه الايام أو كان كل يوم بقدر ألف سنة فعلى القولين ليس مقدار هذه حركات ما خلق فيها • والحاصل أن الكتب الالهية والسنة النبوية واجماع المسلمين على أن الله خالق كل شيء فان كل ما سوى الله مخلوق • قال شيخ الاسلام : وصفاته تعالى ليست خارجة عن مسمى اسمه • وتقدم • قال شيخ الاسلام : وليس بين أهل الملل خلاف في أن الملائكة جميعهم مخلوقون ، وفي صحيح مسلم وغيره من حديث عائشة رضى الله عنها عن النبي صلى الله عليه انه قال « خلقت الملائكة من نور وخلق ابليس من نار وخلق آدم مما وصف لكم » وقال الامام المحقق شمس الدين ابن القيم في كتابه (اغائة اللهقان) وشيخه شيخ الاسلام في (شرح الاصبهانية) : أول من عرف عنه القول بقديم العالم أرسطو وكان ضالاً مشركاً يعبد الاصنام - يعنى المصورات في هياكلهم على صور الكواكب السيارة • قال : وله في الهيات كلام كله خطأ قد تعقبه في الرد عليه طوائف المسلمين حتى الجهمية والمعتزلة والقدرية والرافضة وفلاسفة الاسلام أنكروه عليه • قال ابن القيم قد جاء فى كلامه بما يسخر منه العقلاء فانكر أن يكون الله تعالى يعلم شيئاً من الموجودات وقرر ذلك بأنه لو علم شيئاً لكمل بمعلوماته ولم يكن كاملاً فى نفسه وبأنه كان يلحقه التعب والكلال من تصور المعلومات • قال المحقق ابن القيم - يسخر به ويهزأ منه : فهذا غاية عقد هذا المعلم والاستاذ وقد حكى عنه ذلك أبو البركات البغدادى فيلسوف الاسلام وبالغ فى ابطال هذه الحجج وردها • قال ابن القيم : فحقيقة ما كان عليه هذا المعلم لاتباعه الكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، ودرج على أثره اتباعه من الملاحدة ممن يتستر باتباع الرسل وهو منحل من كل ما جاءوا به • قال واتباعه يعظمونه فوق ما يعظم به الانبياء عليهم السلام ويرون عرض ما جاءت به الانبياء على كلامه فما وافقه منها قبلوه وما خالفه لم يعبأوا به

شيئا ويسمونه المعلم الاول لأنه أول من وضع لهم التعاليم المنطقية ، والمعلم الثاني من الفلاسفة أبو نصر الفارابي الا أنه من فلاسفة الاسلام وهو الذى وضع لهم التعاليم الصوتية ووسع لهم في صناعة المنطق وبسطها وشرح فلسفة أرسطو وهذبها وبالغ في ذلك وكان على طريقة سلفه ، والمعلم الثالث أبو على ابن سينا فانه بالغ في تهذيب الفلسفة وقربها من شريعة الرسل ودين الاسلام بجهده وغاية ما أمكنه . قال الامام ابن القيم : وحسبك جهلا بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله من يقول أنه سبحانه لو علم الموجودات لحقه الكلال والتعب واستكمل بغيره ، وحسبك خذلانا وضلالا وعمى السير خلف هؤلاء واحسان الظن بهم ، وانهم ذوو العقول ، وحسبك عجبا من جهلهم وضلالهم ما قالوه في سلسلة الموجودات وصدور العالم عن العقول العشرة والنفوس التسعة الى أن أنهم اصدور ذلك الى واحد من كل جهة لا علم له بما صدر عنه ولا قدرة له عليه ولا ارادة وأنه لم يصدر عنه الا واحد . قال ابن القيم وصرح أفلاطون بحدوث العالم كما كان عليه الاساطين وحكى عنه ذلك تلميذه أرسطو وخالفه فيه فزعم أنه قديم وتبعه على ذلك ملاحدة الفلاسفة من المنتسبين الى الملل وغيرهم . قال شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله روحه : ليس لأرسطو ولا لأتباعه ولا غيرهم حجة واحدة تدل على قدم شيء من العالم^(١) أصلا وقد قدمنا قول شيخ الاسلام وغيره ان أول من قال بقدم العالم من الفلاسفة هو أرسطو ، قال شيخ الاسلام : وأما الاساطين قبله فلم يكونوا يقولون بقدم صورة الفلك وان كان لهم في المادة أقوال آخر . والحاصل أن الحق الذى لا ريب فيه ولا شك يعتريه أن الله تعالى خالق لكل ما سواه فليس معه شيء قديم بقدمه لا نفس ولا عقل ولا غيرهما . قال فى (اغائة اللهفان) والفلاسفة فرق شتى لا يحصيهم الا الله وأحصى المعتون بمقالات الناس منهم اثنتى عشرة فرقة مختلفة اختلافا كثيرا منهم أصحاب الرواق وأصحاب الظلة والمشؤون وهم شيعة أرسطو وفلسفتهم هى الدائرة اليوم بين الناس وهى التى يحكيها ابن سينا والفارابى وابن الخطيب وغيرهم ، ومنهم الفيثاغورية والافلاطونية ، قال ولا نجد منهم اثنين متفقين على رأى

(١) مخ « من المخلوقات » .

واحد باء قد تلاعب بهم الشيطان كتلاعب الصبيان بالكرة ، قال وبالجملة فملاحظتهم هم أهل التعطيل المحض فانهم عطلوا الشرائع وعطلوا المصنوع عن الصانع وعطلوا الصانع عن صفات كماله وعطلوا العالم عن الحق الذى خلق له وبه فعملوه عن مبدئه ومعاده عن فاعله في غايته ثم سرى هذا الداء منهم في الامم وفي فرق المعطلة أولا وآخرا • ولهذا قال (وضل من أتى عليها بالقدم) فهؤلاء هم الضلال ومن نحا نحوهم من الفرق الضالة والله على كل شىء قدير •

**ربنا يخلق
باختيار**

((وربنا)) تبارك وتعالى ((يخلق)) ما شاء ان يخلقه من سائر مخلوقاته ((باختيار)) منه فمذهب سلف الامة وأئمتها أن الله تعالى لم يزل فاعلا لما يشاء وأنه تقوم بذاته الامور الاختيارية. وأنه تعالى لم يزل متصفا بصفاته الذاتية والفعلية فلم يحدث له اسما من أسمائه ولا صفة من صفاته فيخلق سبحانه المخلوقات ويحدث الحوادث بعد أن لم تكن ، سواء كان ذلك على مثال سابق أولا ، والابداع احداث الشىء بعد أن لم يكن على غير مثال سابق ((من غير حاجة)) منه تعالى اليه أى يخلق الخلق لا لحاجة اليه ((ولا اضطرار)) عليه فالحاجة المصلحة والمنفعة والاضطرار الالجاء والاحوج والالزام والاكراه ، فلا حاجة باعثة له سبحانه على خلقه للخلق ولا مكره له عليه بل خلق المخلوقات وأمر بالمأمورات لمحض المشيئة وصرف الارادة ، وهذا قول جمهور من ثبت القدر وينتسب الى السنة من أهل الكلام والفقهاء وغيرهم ، وقال به طوائف من الحنبلية والمالكية والشافعية وغيرهم ، وهو قول أبى الحسن الأشعري وأصحابه ، وهو قول كثير من نفاة القياس فى الفقه من الظاهرية كابن حزم وأمثاله ، وحجة هذا أنه لو خلق الخلق لعله لكان ناقصا بدونها مستكملا بها فانه اما أن يكون وجود تلك العلة وعدمها بالنسبة اليه سواء أو يكون وجودها أولى به فان كان الاول امتنع أن يفعل لأجلها وان كان الثانى ثبت أن وجودها أولى به فيكون مستكملا بها فيكون قبلها ناقصا ، وأيضا فالعلة ان كانت قديمة وجب قدم المعلول لان العلة الغائية وان كانت متقدمة على المعلول فى العلم والقصد فهى متأخرة فى الوجود عن المعلول كما يقال - أول الفكرة آخر العمل •

**الكلام فى الحكمة
والتعليل**

وأول البغية آخر المدرك - ويقال ان العلة الغائية بها صار الفاعل فاعلا فمن فعل فعلا المطلوب يطلبه بذلك الفعل كان حصول المطلوب بعد الفعل، فإذا قدر أن ذلك المطلوب الذى هو العلة قديما (?) كان الفعل قديما بطريق الاولى ، فلو قيل انه يفعل لعله قديمة لزم أن لا يحدث شئ من الحوادث وهو خلاف المشاهدة ، وان قيل انه فعل لعله حادثة لزم محذوران (أحدهما) أن يكون محلا للحوادث فان العلة ان كانت منفصلة عنه فان لم يعد اليه منها حكم امتنع أن يكون وجودها أولى به من عدمها وان قدر أنه عاد اليه منها حكم كان ذلك حادثا (?) فتقوم به الحوادث • والمحذور الثانى أن ذلك يستلزم التسلسل من وجهين ، أحدهما أن تلك العلة الحادثة المطلوبة بالفعل هى أيضا مما يحدثه الله تعالى بقدرته ومشيتته فان كانت لغير علة لزم العبث كما تقدم وان كان لعله عاد التقسيم فيها فاذا كان كل ما يحدثه أحدثه لعله والعلة ما أحدثه لزم تسلسل الحوادث (الثانى) ان تلك العلة اما أن تكون مرادة لنفسها أو لعله أخرى فان كان الاول امتنع حدوثها لان ما أراد الله تعالى لذاته وهو قادر عليه لا يؤخر احداثه وان كان الثانى فالقول فى ذلك الغير كالقول فيها ويلزم التسلسل • فهذه الحجج من حجج من ينفى تعليل أفعال الله تعالى وأحكامه •

التقدير الثانى قول من يجعل العلة الغائية قديمة كما يجعل العلة الفاعلية قديمة كما يقوله الفلاسفة القائلون بقدم العالم وأصل قول هؤلاء أن المبدع للعالم علة تامة تستلزم معلولها فلا يجوز أن يتأخر عنها معلولها ، وأعظم حججهم قولهم ان جميع الامور المتبصرة فى كونه فاعلا ان كانت موجودة فى الازل لزم وجود المفعول فى الازل لان العلة التامة لا يتأخر عنها معلولها فانه لو تأخر لم تكن جميع شروط الفعل وجدت فى الازل فانا لا نعى بالعله التامة الا ما تستلزم المعلول فاذا قدر أنه تخلف عنها المعلول لم تكن تامة ، وان لم تكن العلة التامة التى هى جميع الامور المتبصرة فى الفعل وهى المقتضى التام لوجود الفعل وهى جميع شروط الفعل التى يلزم من وجودها وجود الفعل - وان لم تكن جميعها فى الازل فلا بد اذا وجد المفعول بعد ذلك من تجدد سبب حادث والا لزم ترجيح أحد طرفي الممكن بلا مرجح ، واذا

كان هناك سبب حادث فالقول في حدوثه كالقول في الحادث الاول ويلزم التسلسل ، قالوا فالقول بانتفاء العلة التامة المستلزمة للمفعول يوجب اما التسلسل واما الترجيح بلا مرجح • ثم أكثر هؤلاء يشتون علة غائية للفعل وهى بعينها الفاعلة لكنهم متناقضون فانهم يشتون له العلة الغائية ويشتون لفعله العلة الغائية ويقولون مع هذا ليس له ارادة بل هو موجب بالذات لا فاعل بالاختيار • وقولهم باطل من وجوه كثيرة مذكورة في محالها منها ما ذكره شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله روحه في كتابه (حسن الارادة) : هذا القول يستلزم أن لا يحدث شئ وان كل ما حدث حدث بغير احداث محدث ومعلوم أن بطلان هذا بين - وأطال في رد ذلك ، ومما ذكر أن يقال لهم حدوث حادث بعد حادث بلا نهاية اما أن يكون ممكنا في العقل أو ممتعا فان كان ممتعا لزم أن الحوادث جميعها لها أول كما يقوله أهل الحق وبطل قولهم بقدحركات الافلاك ، وان كان ممكنا أمكن أن يكون حدوث ما احده الله تعالى كالسماوات والارض موقوف (؟) على حوادث قبل ذلك كما تقولون أتم فيما يحدث في هذا العالم من الحيوان والنبات والمعادن والمطر والسحاب وغير ذلك فيلزم فساد حجتكم على التقديرين ، ثم يقال اما أن تثبتوا لمبدع العالم حكمة وغاية مطلوبة أولا ، فان لم تثبتوا بطل قولكم باثبات العلة الغائية وبطل ما تذكرونه من حكمة البارئ تعالى في خلق الحيوان وغير ذلك من المخلوقات ، وأيضا فالوجود يبطل هذا القول فان الحكمة الموجودة في الوجود أمر يفوت العد والاحصاء كاحدائه سبحانه لما يحدث من نعمته ورحمته وقت حاجة الخلق اليه كاحداث المطر وقت الشتاء بقدر الحاجة واحدائه للانسان الآلات التي يحتاج اليها بقدر حاجته وأمثال ذلك مما هو كثير جدا ، وان أثبتتم له تعالى حكمة مطلوبة وهى باصطلاحكم العلة الغائية لزم أن تثبتوا له المشيئة والارادة بالضرورة فان القول بأن الفاعل فعل كذا لحكمة كذا بدون كونه مريدا لتلك الحكمة المطلوبة جمع بين التقيضين • وهؤلاء المتفلسفة من أكثر الناس تناقضا ولهذا يجعلون العلم هو العالم والعلم هو الارادة والارادة هى القدرة وأمثال ذلك •

التقدير الثالث وهو انه سبحانه فعل المنعولات وأمر بالمأمورات لحكمة

محمودة قال شيخ الاسلام ابن تيمية : هذا قول أكثر الناس من المسلمين وغيرهم وقول طوائف من أصحاب أبي حنيفة والشافعي ومالك وأحمد رضى الله عنهم وقول طوائف من أهل الكلام من المعتزلة والكرامية والمرجئة وغيرهم وقول أكثر أهل الحديث والتصوف وأهل التفسير وأكثر قدماء الفلاسفة وكثير من متأخريهم كأبي البركات وأمثاله لكن هؤلاء على أقوال ، منهم من قال ان الحكمة المطلوبة مخلوقة ومنفصلة عنه تعالى وهم المعتزلة والشيعة ومن وافقهم ، قالوا الحكمة فى ذلك احسانه للخلق والحكمة فى الامر تعريض المكلفين للثواب قالوا فعل الاحسان الى الغير حسن محمود فى العقل فخلق الخلق لهذه الحكمة من غير أن يعود اليه من ذلك حكم ولا قام به نعت ولا فعل . فقال لهم الناس أنتم تتناقضون فى هذا القول لأن الاحسان الى الغير محمود لكونه يعود منه الى فاعله حكم يحمد لأجله اما لتكميل نفسه بذلك واما لقصد الحمد والثواب بذلك واما لرقه وألم يجده فى نفسه يدفع بالاحسان ذلك الالم واما للتداذه وسروره وفرحه بالاحسان فان النفس الكريمة تفرح وتسر وتلتذ بالخير الذى يحصل منها الى غيرها فالاحسان الى الغير محمود لكون المحسن يعود اليه من فعله هذه الامور ، أما اذا قدر أن وجود الاحسان وعدمه بالنسبة الى الفاعل سواء لم يقل (١) أن مثل هذا الفعل يحسن منه بل مثل هذا يعد عبثا فى عقول العقلاء ، وكل من فعل فعلا ليس فيه لنفسه لذة ولا مصلحة ولا منفعة بوجه من الوجوه لا عاجلة ولا آجلة كان عبثا ولم يكن محمودا على هذا ، وأتم علتم أفعاله تعالى فرارا من العبث فوقتم فيه فان العبث هو الفعل الذى لا مصلحة ولا منفعة ولا فائدة تعود على الفاعل ولهذا لم يأمر الله تعالى ولا رسوله ولا أحد من العقلاء أحدا بالاحسان الى غيره ونفعه ونحو ذلك الا لما له فى ذلك من المنفعة والمصلحة فأمر الفاعل بفعل لا يعود عليه منه لذة ولا سرور ولا منفعة ولا فرح بوجه من الوجوه لا فى العاجل ولا فى الآجل لا يستحسن من الأمر . ومن ثم قال ((لكنه)) تعالى وتقدس هذا استدراك من مفهوم قوله انه يخلق الخلق بالاختيار أى لا بالذات خلافا للمعتزلة ومن وافقهم

(١) مخ « لم يعلم » .

من غير حاجة اليه ولا اضطرار عليه غير أنه جل وعلا ((لا يخلق الخلق سدى)) أى هملا بلا أمر ولا نهى ولا حكمة ومعنى السدى المهمل وإبل سدى إذا كانت ترعى حيث شاءت بلا راع ((كما أتى في النص)) القرآنى والسنة النبوية والآثار مما هو كثير جدا أن الله تبارك وتعالى لا يفعل الا لحكمة وعلم وهو العليم الحكيم فما خلق شيئا ولا قضاء ولا شرعه الا بحكمة بالغة وان تقاصرت عنها عقول البشر ((فاتبع الهدى)) بإقتفاء المأثور واتباع السلف الصالح ولا تجحد حكمته كما لا تجحد قدرته فهو الحكيم القدير .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه : ونشأ من هذا الاختلاف نزاع بين المعتزلة وغيرهم ومن وافقهم في مسألة التحسين والتقيح العقلي فأثبت ذلك المعتزلة والكرامية وغيرهم ومن وافقهم من أصحاب أبي حنيفة ومالك والشافعى وأحمد وأهل الحديث وغيرهم رضى الله عنهم وحكوا ذلك عن الامام أبى حنيفة نفسه رضى الله عنه ونفى ذلك الاشعرية ومن وافقهم من أصحاب مالك والشافعى وأحمد وغيرهم ، واتفق الفريقان على أن الحسن والتقيح اذا فسر بكون الفعل نافعا للفاعل ملائما له وكونه ضارا للفاعل منافرا له انه تمكن معرفته بالعقل كما يعرف بالشرع ، وظن من ظن من هؤلاء وهؤلاء أن الحسن والتقيح المعلوم بالشرع خارج عن هذا ، وليس كذلك ، بل جميع الافعال التى أوجبها الله تعالى وندب اليها هى نافعة لفاعلها ومصلحة لهم ، وجميع الافعال التى نهى الله عنها هى ضارة لفاعلها ومفسدة في حقهم ، والحمد والثواب المترتب على طاعة الشارع نافع للفاعل ومصلحة له ، والذم والعقاب المترتب على معصيته ضار للفاعل مفسدة له . والمعتزلة أثبتت الحسن في أفعال الله تعالى لا بمعنى حكم يعود اليه من أفعاله تعالى .

قال الشيخ : ومنازعوهم لما اعتقدوا أن لا حسن ولا قبح في الفعل الا ما عاد الى الفاعل منه حكم نفوا ذلك وقالوا : القبيح في حق الله تعالى هو الممتنع لذاته وكل ما يقدر ممكنا من الافعال فهو حسن اذ لا فرق بالنسبة اليه عندهم بين مفعول ومفعول ، وأولئك يعنى المعتزلة أثبتوا حسنا وقبحا لا يعود الى الفاعل منه حكم يقوم بذاته وعندهم لا يقوم بذاته لا وصف ولا فعل ولا غير ذلك وان كانوا قد يتناقضون ، ثم أخذوا يقيسون ذلك على ما يحسن

من العبد ويقبح فجعلوا يوجبون على الله سبحانه من جنس ما يوجبون على العبد ويحرمون عليه من جنس ما يحرمون على العبد ويسمون ذلك العدل والحكمة مع قصور عقولهم عن معرفة حكمته فلا يثبتون له مشيئة عامة ولا قدرة تامة فلا يجعلونه على كل شيء قدير ولا يقولون ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ولا يقرون بأنه خالق كل شيء ، ويستون له من الظلم ما نزه نفسه عنه فإنه سبحانه قال (ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما) أي لا يخاف ان يظلم فيحمل عليه سيئات غيره ولا يهضم من حسناته وقال تعالى (ما يبدل القول لدى وما أنا بظلام للعبيد) وفي حديث البطاقة عند الترمذى وغيره « لا ظلم عليك اليوم » •

★ ★ ★

والحاصل ان فعل الله تعالى وتقدس وأمره لا يكون لعله في قول مرجوح اختاره كثير من علمائنا وبعض المالكية والشافعية وقاله الظاهرية والاشعرية والجهمية • والقول الثانى انهما لعله وحكمة اختاره الطوفى وهو مختار شيخ الاسلام ابن تيمية وابن القيم وابن قاضى الجبل وحكاه عن اجماع السلف وهو مذهب الشيعة والمعتزلة لكن المعتزلة تقول بوجوب الصلاح ولهم في الاصلاح قولان كما يأتى في النظم والمخالفون لهم يقولون بالتعليل لا على منهج المعتزلة • قال شيخ الاسلام : لأهل السنة في تعليل أفعال الله تعالى وأحكامه قولان والاكثرون على التعليل والحكمة ، وهل هى منفصلة عن الرب لا تقوم به أو قائمة مع ثبوت الحكم المنفصل ؟ لهم فيه أيضا قولان ، وهل تتسلسل الحكم أو لا تتسلسل أو تتسلسل في المستقبل دون الماضى ؟ فيه أقوال ، قال : احتج المثبتون للحكمة والعلة بقوله تعالى (من أجل ذلك كتبنا على بنى اسرائيل) وقوله (كيلا يكون دولة) وقوله (وما جعلنا القبلة التى كنت عليها الا لتعلم) ونظائرها ولانه تعالى حكيم شرع الاحكام لحكمة ومصالحة لقوله تعالى (وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) والاجماع واقع على اشتغال الافعال على الحكم والمصالح جوازا عند أهل السنة ووجوبا عند المعتزلة فيفعل ما يريد بحكمته • وتقدم ان النافين للحكمة والعلة احتجوا مما احتجوا به انه يلزم من قدم العلة قدم المعلول وهو محال ، ومن حدودها

افتقارها الى علة أخرى وانه يلزم التسلسل ، قال الامام الرازي : وهو مراد المشايخ بقولهم كل شيء صنعه ولا علة لصنعه ، وما أجاب به من قال بالحكمة وانه قديمة لا يلزم من قدم العلة قدم معلولها كالارادة فانها قديمة ومتعلقها حادث وتقدمت الاشارة في أول البحث الى محصل هذا كله .

والحاصل ان شيخ الاسلام وجمعا من تلامذته أثبتوا الحكمة والعلة في أفعال الباري جل وعلا وأقاموا على ذلك من البراهين ما لعله لا يبقى في مخيلة الفطين السالم من ربة تقليد الاساطين أدنى اختلاج وأقل تخمين .

وأما الامام المحقق شمس الدين ابن القيم فقد أجلب وأجنب وأتى بما يقضى منه العجب في كتابه (شرح منازل السائرين) و (مفتاح دار السعادة) وغيرهما فمما احتج به في مفتاح دار السعادة قوله تعالى (أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون) فدل على ان هذا حكم بشيء قبيح يتنزه الله عنه فأنكره من جهة قبحه في نفسه لا من جهة كونه انه لا يكون .

ومن هذا انكاره تعالى على من جوز أن يترك عباده سدى لا يأمرهم ولا ينهاهم ولا يثيبهم ولا يعاقبهم وان هذا الحسبان باطل والله متعال عنه لمنافاته لحكمته فقال تعالى (أيعسب الانسان ان يترك سدى) فأنكر سبحانه على من زعم انه يترك سدى انكار من جعل في العقل استقباح ذلك واستهجانه وانه لا يليق ان ينسب ذلك الى أحكم الحاكمين ومثله قوله تعالى (أفحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون* فتعالى الله الملك الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم) فنزه نفسه سبحانه وباعدها عن هذا الحسبان وانه متعال عنه فلا يليق به لقبه ومنافاته الحكمة وهذا يدل على اثبات المعاد بالعقل كما يدل على اثباته بالسمع . ثم ان ابن القيم بسط القول ووسع العبارة في أزيد من عشرة كراريس ثم قال : الكلام هنا في مقامين أحدهما في التلازم بين الحسن والقبح العقليين وبين الايجاب والتحريم شاهدا وغائبا ، والثاني في انتفاء اللازم وثبوتيه ، فأما المقام الاول فلمشتى الحسن والقبح فيه طريقان ، أحدهما ثبوت التلازم والقول باللازم، وهذا القول هو المعروف عن المعتزلة وعليه يناظرون وهو القول الذى نصب خصومهم

الخلافاً معهم فيه ، والقول الثاني اثبات الحسن والقبح وأربابه يقولون بآبائهم ويصرحون بنفي الإيجاب قبل الشرع على العبد وينفي إيجاب شيء على الله البتة كما صرح به كثير من الحنفية والحنابلة كأبي الخطاب وغيره والشافعية كسعد بن علي الزنجاني الإمام المشهور وغيره ، وهؤلاء في نفي الإيجاب العقلي في المعرفة بالله وثبوتها خلافه . قال : فالأقوال أربعة لا مزيد عليها (أحدها) نفي الحسن والقبح ونفي الإيجاب العقلي في العمليات دون العلميات كالمعرفة وهذا اختيار أبي الخطاب وغيره فعرف أنه لا تلازم بين الحسن والقبح وبين الإيجاب والتحرير العقليين فهذا أحد المقامين .

(وأما المقام الثاني) وهو انتفاء اللازم وثبوتها فللناس فيه هنا ثلاث طرق ، أحدها التزام ذلك والقول بالوجوب والتحرير العقليين شاهداً وغائباً وهذا قول المعتزلة ، وهؤلاء يقولون : يترتب الوجوب شاهداً ويترتب المدح والذم عليه . وأما الصفات فلهم فيها اختلاف وتفصيل فمن أثبتهم منهم يقولون إن العذاب الثابت بعد الإيجاب الشرعي نوع آخر غير العذاب الثابت على الإيجاب العقلي وبذلك يجيبون عن النصوص النافية للعذاب قبل البعثة وأما الإيجاب والتحرير العقليين غائباً فهم مصرحون بهما ويفسرون ذلك بالضرورة الذي أوجبه حكمته وأنه يستحيل عليه خلافه كما يستحيل عليه الحاجة والنوم والتعب واللغوب فهذا معنى الوجوب والامتناع في حق الله تعالى عندهم فهو وجوب اقتضاه ذاته وحكمته وامتناع مستحيل عليه الاتصاف به لمنافاته كماله وغناه ، قالوا وهذا في الأفعال نظير ما يقول أهل السنة في الصفات أنه يجب له كذا ويمتنع عليه كذا فكما أن ذلك وجوب وامتناع ذاتي يستحيل عليه خلافه فهكذا ما تقتضيه حكمته وتأباه يستحيل عليه الإخلال به وإن كان مقدوراً له لكنه لا يخل به لكمال حكمته وعلمه وغناه .

(الفرقة الثانية) منعت ذلك جملة وأحالت القول به وجوزت على الرب تعالى كل شيء ممكن وردت الاحالة والامتناع في أفعاله تعالى إلى غير الممكن من المحالات كالجمع بين النقيضين وبابه فقابلوا المعتزلة أشد مقابلةً واقتسما طرفي الإفراط والتفريط ورد هؤلاء الوجوب والتحرير الذي جاءت به النصوص إلى مجرد صدق الخبر فما أخبر أنه يكون فهو واجب لتصديق

خبره وما أخبر أنه لا يكون فهو ممتنع لتصديق خبره ، والتحرير عندهم راجع الى مطابقة العلم لمعلومه والمخبر لخبره ، وقد يفسرون التحريم بالامتناع عقلا كتحرير الظلم على نفسه فانهم يفسرونه بالمستحيل لذاته كالجمع بين النقيضين ، وليس عندهم في المقدور شيء هو ظلم ينتزه الله عنه مع قدرته عليه وحكمته وعدله فهذا قول الاشعرية ومن وافقهم •

(الفرقة الثالثة) هم الوسط بين هاتين الفرقتين فان الفرقة الاولى أوجبت على الله شريعة بعقولها حرمت عليه وأوجبت مالم يحرمه على نفسه ولم يوجهه على نفسه ، والفرقة الثانية جوزت عليه ما يتعالى ويتزهر عنه لمنافاته حكمته وكماله ، والفرقة الوسط أثبتت له ما أثبتت لنفسه من الايجاب والتحرير الذي هو مقتضى أسمائه وصفاته الذي لا يليق به نسبه الى ضده لانه موجب كماله وحكمته وعدله ولم تدخله تحت شريعة وضعتها بعقولها كما فعلت الفرقة الاولى ولم تجوز عليه ما نزه نفسه عنه كما فعلت الفرقة الثانية ، قالت الفرقة الوسط قد أخبر الله تعالى انه حرم الظلم على نفسه كما قال على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم « يا عبادى انى حرمت الظلم على نفسى » وقال (ولا يظلم ربك أحدا) وقال (وما ربك بظلام للعبيد) وقال (ولا تظلمون فيلأ) فاخبر بتحريمه على نفسه ونفى عن نفسه فعله وادارته ، وللناس في تفسير هذا الظلم الذى حرمه على نفسه تعالى وتزهر عن فعله وادارته ثلاثة أقوال بحسب أصولهم وقواعدهم (أحدها) انه نظير الظلم من الآدميين بعضهم لبعض فشبهوه في الأفعال ما يحسن منها وما لا يحسن بعباده فضربوا له من قبل أنفسهم الامثال فصاروا بذلك مشبهة ممثلة فى الأفعال وامتنعوا من اثبات المثل الا على الذى أثبتت لنفسه ثم ضربوا له الامثال ومثلوه فى أفعاله بخلقه كما أن الجهمية المعطلة امتنعت من اثبات المثل الاعلى الذى أثبتت لنفسه ثم ضربوا له الامثال ومثلوه فى صفاته بالجمادات الناقصة بل بالمعدومات ، وأهل السنة نزهوه عن هذا وهذا وأثبتوا ما أثبتت لنفسه من صفات الكمال ونعوت الجلال ونزهوه فيها عن الشبيه والمثال فأثبتوا له المثل الاعلى ولم يضربوا له الامثال فكأنوا أسعد الناس بمعرفته وأحقهم بولايته ومحبته وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء • ثم التزم أصحاب

هذا التفسير عنه من اللوازم الباطلة ما لا قبل لهم به فقالوا اذا أمر العبد ولم
يعنه بجميع مقدوره تعالى من وجوه الاعانة فقد ظلمه ، والتزموا انه لا يقدر
أن يهدى ضالا كما زعموا أنه لا يقدر أن يضل مهتديا ، وقالوا انه اذا أمر
اثنين بأمر واحد وخص أحدهما باعائه على فعل المأمور كان ظلما ، وأنه اذا
اشترك اثنان في ذنب يوجب العقاب فعاقب به أحدهما وعفا عن الآخر كان
ظالما ، الى غير ذلك من اللوازم الباطلة التي جعلوا لأجلها ترك تسويته بين
عباده في فضله واحسانه ظلما . فعارضهم أصحاب التفسير الثاني وقالوا :
الظلم المنزه عنه من الامور الممتعة لذاتها فلا يجوز أن يكون مقدورا له
تعالى ولا انه تركه بمشيئته واختياره ، وانما هو من باب الجمع بين الضدين
وجعل الجسم الواحد في مكانين وقلب القديم محدثا والمحدث قديما
ونحو ذلك ، والا فكل ما يقدره الذهن وكان وجوده ممكنا والرب قادر
عليه فليس يظلم سواء فعله أو لم يفعله ، وتلقى هذا القول عنهم طوائف من
أهل العلم وفسروا الحديث به وأسندوا ذلك وقووه بآيات وآثار زعموا
أنها تدل عليه كقوله تعالى (ان تعذبهم فانهم عبادك) يعنى لم تتصرف في غير
ملكك بل انما عذبت من تملك وعلى هذا فجوزوا تعذيب كل عبد له ولو
كان محسنا ولم يروا ذلك ظلما ، ويقوله تعالى (لا يسأل عما يفعل وهم
يسألون) ويقول النبي صلى الله عليه وسلم « ان الله لو عذب أهل سمواته
وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم ، وبما روى عن اياس بن معاوية قال :
ما ناظرت بعقلي كله أحدا الا القدرية قلت لهم ما الظلم ؟ قالوا : ان تأخذ
ما ليس لك وأن تتصرف فيما ليس لك . قلت : فله كل شيء . والتزم
هؤلاء عن هذا القول لوازم باطلة كقولهم ان الله تعالى يجوز عليه أن يعذب
أنبياءه ورسله وملائكته وأوليائه وأهل طاعته ويخلدهم في العذاب الاليم
ويكرم أعداءه من الكفار والمشركين والشياطين ويخصهم بجنته وكرامته
وكلاهما عدل وجائز عليه وأنه يعلم أنه لا يفعل ذلك بمجرد خبره فصار
ممتعا لاخباره أنه لا يفعله لا لمنافاة حكمته ولا فرق بين الامرين بالنسبة اليه
ولكن أراد هذا وأخبر به وأراد الآخر وأخبر به فوجب هذا لارادته وخبره
وامتنع ضده لعدم ارادته واخباره بأنه لا يكون . والتزموا أيضا أنه يجوز

أن يعذب الاطفال الذين لا ذنب لهم أصلا ويخلدتهم فى الجحيم وربما قالوا
بوقوع ذلك • فأنكر على الطائفتين معا أصحاب التفسير الثالث وقالوا : الصواب
الذى دلت عليه النصوص أن الظلم الذى حرمه الله على نفسه وتنزه عنه
فعلا واردة هو ما فسره به سلف الامة وأئمتها انه لا يحمل عليه سيئات
غيره ولا يعذب بما لا تكتسب يداه ولم يكن سعى فيه ولا ينقص من حسناته
فلا يجازى بها أو بعضها اذا قارنها أو طرأ عليها ما يقتضى ابطالها أو
اقتصاص المظلومين منها • وهذا الظلم الذى نفى الله تعالى خوفه عن العبد
بقوله (ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما)
قال السلف والمفسرون لا يخاف أن يحمل عليه سيئات غيره ولا ينقص من
حسناته ، فهذا هو المعقول من الظلم ومن عدم خوفه ، وأما الجمع بين
التقيضين وقلب القديم محدثا والمحدث قديما فمما يتنزه كلام آحاد العقلاء
عن تسميته ظلما وعن نفى خوفه عن العبد فكيف بكلام رب العالمين • قالوا
وأما استدلالكم بتلك النصوص الدالة على أنه سبحانه ان عذبتهم فانهم
عباده وانه غير ظالم وانه لا يسأل عما يفعل وان قضاءه فيهم عدل وبمناظرة
اياس للقدرية فهذه النصوص وأمثالها كلها حق يجب القول بموجبها ولا
تحرف معانيها والكل من عند الله ، ولكن أى دليل فيها يدل على انه يجوز
عليه تعالى ان يعذب أهل طاعته وينعم أهل معصيته ويعذب بغير جرم ويحرم
المحسن جزاء عمله ونحو ذلك بل كلها متفقة متطابقة دالة على كمال القدرة
وكمال العدل والحكمة فالنصوص التى ذكرناها تقتضى كمال عدله وحكمته
وغناه ووضع العقوبة والثواب مواضعهما وانه لم يعدل بهما عن مسيئتهما
والنصوص التى ذكرتموها تقتضى كمال قدرته وانفراده بالربوبية والحكم
وانه ليس فوقه أمر ولا ناه يتعقب أفعاله بسؤال ، وانه لو عذب أهل
سمواته وأرضه لكان ذلك تعذيبا لحقه عليهم وكانوا اذ ذاك مستحقين
للعذاب لان أعمالهم لا تفي بنجاتهم كما قال صلى الله عليه وسلم « لن
ينجى أحدا منكم عمله » قالوا ولا أنت يا رسول الله قال « ولا أنا الا أن
يتغمدنى الله برحمة منه وفضل » فرحمته لهم ليست فى مقابلة أعمالهم ولا
هى ثمن لها فانها خير منها كما قال فى الحديث نفسه « ولو رحمهم لكانت

رحمته لهم خيرا من أعمالهم « فجمع بين الامرين في الحديث انه لو عذبهم لعذبهم باستحقاقهم ولم يكن ظلما لهم وانه لو رحمهم لكان ذلك مجرد فضله وكرمه لا بأعمالهم اذ رحمته خير لهم من أعمالهم فطاعات العبد^(١) كلها لا تكون في مقابلة نعم الله عليهم ولا مساوية لها بل ولا للقليل منها فكيف يستحقون بها على الله النجاة وطاعة المطيع لا نسبة لها الى نعمة من نعم الله عليه فتبقى سائر النعم تتقاضاه شكرا والعبد لا يقوم بمقدوره الذي يجب لله عليه فجميع عبادته تحت عفوه ورحمته وفضله فما نجا منهم أحد الا بعفوه ومغفرته ولا فاز بالجنة الا بفضله ورحمته واذا كانت هذه حال العباد فلو عذبهم لعذبهم وهو غير ظالم لهم لا من حيث كونه قادرا عليهم وهم ملك له بل لاستحقاقهم ولو رحمهم لكان ذلك بفضله لا بأعمالهم. ويأتى لهذا مزيد تحرير والله أعلم :

أفعال العباد خلق
لله وكسب لهم

((أفعلنا مخلوقة لله لكنها كسب لنا يلاهي))
((وكل ما يفعله العباد من طاعة أو ضدها مراد))
((ايننا من غير ما اضطرار منه لنا فافهم ولا تمار))

((أفعالنا)) معشر الخلق جميعها خيرا وشرها كبيرها وصغيرها ((مخلوقة))
ومصنوعة ((لله)) تعالى خلقها وأوجدها كما قال تعالى « ذلكم الله ربكم خالق كل شيء - وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم * والله خلقكم وما تعملون » وكقوله تعالى « لا اله الا هو خالق كل شيء فاعبدوه - و - هل من خالق غير الله » قال العلماء اتفق أئمة السلف قبل ظهور البدع والاهواء على أن الخالق هو الله لا سواه وان الحوادث كلها حادثة بقدرة الله تعالى من غير فرق بين ما يتعلق بقدرة العبد وبين ما لا يتعلق بها فهي مقدورة بقدرة الله اختراعا وبقدرة العبد على وجه آخر واليه الاشارة بقوله ((لكنها)) أى أفعالنا التي تصدر عنا في بادى الرأي ((كسب لنا)) معشر الخلق والكسب في اصطلاح المتكلمين ما وقع من الفاعل مقارنا لقدرة محدثة واختيار، وقيل هو ما وجد بقدرة محدثة في المكتسب، وقال العلامة ابن حمدان من علمائنا الكسب هو ما خلقه الله في محل قدرة المكتسب على وفق ارادته في أكسبه،

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية في (شرح الاصفهانية) فسروا الكسب بما قارن القدرة المحدثه في محلها ، ومجرد المقارنة لا يميز القدرة عن غيرها فان الفعل يقارن العلم والارادة وغير ذلك . قالوا والقدرة هي التمكن من التصرف وقيل سلامة البنية . وقال القاضي الامام من علمائنا خلق الشيء بقوله « كن » وهو قائم بالله غير بائن منه ومراده . وقال شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله روحه فيما كتبه على حسن ارادة الله تعالى : الكسب عند القائل به عبارة عن اقتران المقدر بالقدرة الحاتة ، والخلق هو المقدر بالقدرة القديمة ، وقالوا أيضا الكسب هو الفعل القائم بمحل القدرة عليه ، والخلق هو الفعل الخارج عن محل القدرة عليه . وقوله ((يالاهي)) تكملة للبيت بالاتيان بالقافية واشارة الى الحث على المبادرة الى الدأب في الطاعة وعدم الخلود الى الراحة وقلب القلب عن اللهو واللعب يقال لها لهوا لعب كالتهي وألهاء ذلك والملاهي آلائه ، قال النسقي في عقائده كغيره من علماء السنة : وللعباد أفعال اختيارية يثابون بها ان كانت طاعة ويعاقبون عليها ان كانت معصية لا كما زعمت الجبرية انه لا فعل للعبد أصلا وان حركاته بمنزلة حركات الجمادات لا قدرة عليها ولا قصد ولا اختيار ، وهذا باطل لأننا نفرق بالضرورة بين حركة البطش وحركة الارتعاش ونعلم ان الاول باختياره دون الثاني ، ولأنه لو لم يكن للعبد فعل أصلا لما صح تكليف ولا يترتب استحقاق الثواب والعقاب على أفعاله ولا اسناد الأفعال التي تقتضى سابقة القصد والاختيار اليه على سبيل الحقيقة مثل صلى وصام وكتب بخلاف مثل طال واسود لونه ، والنصوص القطعية تنفي ذلك كقوله تعالى «جزاء بما كانوا يعملون* فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر» الى غير ذلك . قال المحقق السعد التفتازاني : فان قيل بعد تعميم علم الله تعالى وارادته : الجبر لازم قطعاً لانهما اما أن يتعلقا بوجود الفعل فيجب أو بعده فيمتنع . قلنا يعلم ويريد أن العبد يفعله أو يتركه باختياره فلا اشكال . فان قيل : فيكون فعله الاختياري واجبا أو ممتعا وهذا ينافي الاختيار . قلنا ممنوع فان الوجوب بالاختيار محقق للاختيار لا مناف ، وأيضا منقوض بأفعال الباري تعالى . فان قيل : لا معنى لكون العبد فاعلا بالاختيار الا كونه موجدا

لأفعاله بالقصد والارادة وقد سبق ان الله تعالى مستقل بخلق الأفعال وايجادها ، ومعلوم ان المقدور الواحد لا يدخل تحت قدرتين مستقلتين • قال التفتازاني : قلنا لا كلام في قوة هذا الكلام ومئاته الا أنه لما ثبت بالبرهان ان الخالق هو الله تعالى وبالضرورة ان لقدرة العبد وارادته مدخلا في بعض الأفعال كحركة البطش دون البعض كحركة الارتعاش احتجنا في التقصى عن هذا المضيق الى القول بأن الله تعالى خالق والعبد كاسب وايجاد الله تعالى الفعل عقيب ذلك خلق والمقدور الواحد داخل تحت قدرتين لكن بجهتين مختلفتين فان الفعل مقدور الله بجهة اليجاد ومقدور العبد بجهة الكسب وهذا القدر من المعنى الضرورى وان لم تقدر على أزيد من ذلك فى تلخيص العبارة المفصحة عن تحقيق كون العبد (كاسبا - ١) بخلق الله تعالى وايجادها مع ما للعبد من القدرة والاختيار^(٢) •

ومن جملة ما لهم في الفرق بين الكسب والخلق ان الكسب وقع بآلة والخلق لا بآلة ، والكسب لا يصح انفراد القادر به والخلق يصح • فان قيل : قد أثبت ما نسبتم الى المعتزلة من اثبات الشركة، قلنا الشركة ان يجتمع اثنان على شىء وينفرد كل منهما بما هو له دون الآخر كشركاء القرية والمحلة كما اذا جعل العبد خالقا لأفعاله والصانع خالقا لسائر الاعراض والاجسام بخلاف ما اذا أضيف أمر الى شيئين بجهتين مختلفتين كالارض تكون ملكا لله تعالى بجهة التخليق وللعباد بجهة ثبوت التصرف وكفعل العبد ينسب الى الله تعالى بجهة الخلق والى العبد بجهة الكسب • فان قيل فكيف كان كسب القبيح قبيحا سفها موجبا لاستحقاق الذم بخلاف خلقه ؟ قلنا لأنه قد ثبت ان الخالق حكيم لا يخلق شيئا الا وله عاقبة حميدة وان لم نطلع عليها فجزمنا بأن ما نستقبحه من الأفعال قد يكون له فيها حكم ومصالح كما في خلق الاجسام الخبيثة الضارة المؤلمة بخلاف الكاسب فانه قد يفعل الحسن وقد

(١) من مخ • (٢) نقل من خط العلامة الشيخ عبد الرحمن بن سعدى رحمه الله على هامش نسخة ما لفظه « لا يحتاج الى ما ذكره التفتازاني • فان المخلص من هذه الشبهة يعرف ببداهة العقل والشرع فانه من المعلوم أن الله تعالى خالق للعباد ولجميع صفاتهم التى من جملتها القدرة والارادة اللذين بهما يوجد العبد جميع أفعاله وخالق السبب التام • خالق لمسببه فان الله الخالق للقوى التى فى العبد ، والعبد هو الفاعل حقيقة لأفعاله بالقوة التى أعطاه اياها خالقه • اه •

يفعل القبيح فجعنا كسبه للقبيح مع ورود النهي عنه قبيحا سفها موجبا لاستحقاق الذم والعقاب ((وكل ما)) أى فعل أو الذى ((يفعله العباد من طاعة)) وهى ما تكون متعلق المدح في العاجل والثواب في الأجل ((أو)) أى وكل ما يفعلونه من ((ضدها)) أى ضد الطاعة وهى المعصية يعنى ما فيه ذم في العاجل والعقاب أو اللوم في الأجل ((مراد لربنا)) تعالى أى داخل تحت ارادته ومشيته^(١) فالله تعالى خالق كل شئ وربّه ومليكه

(١) فى تنبيه ابن سحمان ص ٦٠ فى الكلام على هذا الموضوع ما لفظه : « اعلم وفقك الله ان الشارح والناظم أطلقا لفظ الارادة من غير تفصيل ولا بيان وهو كلام مجمل موهم من جنس ما تقدم من الالفاظ التى نبهنا عليها من كلام أهل البدع فان الظاهر من هذا اللفظ الذى أطلقه الشارح والناظم انما يراد به الارادة الكونية القدرية وفى المسألة تفصيل قد ذكره المحققون من أهل العلم لان الارادة ارادتان ارادة كونية قدرية و ارادة دينية شرعية .

وبيان ذلك بما ذكره شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه فى منهاج السنة حيث قال (الوجه الثالث) طريقة الائمة الفقهاء وأهل الحديث وكثير من أهل النظر وغيرهم ان الارادة فى كتاب الله نوعان : ارادة تتعلق بالامر و ارادة تتعلق بالخلق ، فالارادة المتعلقة بالامر أن يريد من العبد فعل ما أمر به ، وأما ارادة الخلق فان يريد ما يفعله هو ، فارادة الامر هى المتضمنة للمحبة والرضا وهى الارادة الدينية ، والارادة المتعلقة بالخلق هى المشيئة وهى الارادة الكونية القدرية ، فالاولى كقوله تعالى (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) وقوله (يريد الله ليبين لكم) الى قوله (يريد أن يخفف عنكم) وقوله (ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم) الآية وقوله (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت) الآية والثانية كقوله تعالى (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا) وقوله (ولا ينفعكم نصحي ان أردت أن أنصح لكم ان كان الله يريد أن يفويكم) ومن هذا النوع قول المسلمين : ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ومن الاول كقولهم لمن يفعل القبائح هذا يفعل ما لا يريد الله منه فاذا كان كذلك فالكفر والفسوق والعصيان ليس مرادا للرب عز وجل بالاعتبار الاول والطاعة موافقة لتلك الارادة وموافقة للامر المستلزم لتلك الارادة فاما موافقة مجرد النوع الثانى فلا يكون به مطيعا وحينئذ فالنبي يقول له ان الله يبغض الكفر ولا يحبه ولا يرضاه لك أن تفعله ولا يريد به هذا الاعتبار والنبي صلى الله عليه وسلم بأمره بالإيمان الذى يحبه الله ويرضاه له ويريده بهذا الاعتبار . ثم ذكر كلاما طويلا فى منهاج السنة فى الجزء الثانى من المجلد الاول فى صفحة اثنين وعشرين فمن أراد الوقوف عليه فليراجعه فى محله .

وقال أيضا رحمه الله تعالى فى موضع آخر وقد قسم الارادة أربعة أقسام فقال رحمه الله : (الاول) ما تعلقت به الارادتان وهو ما وقع فى

ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وهو على كل شيء قدير وهو تعالى يجب المحسنين والمتقين ويرضى عن السابقين الاولين من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان ولا يجب الفساد ولا يرضى لعباده الكفر ومع كونه تعالى خالق كل شيء وربّه ومليكه فرق بين المخلوقات وميز بين أعيانها وأفعالها كما قال « أفجعل المسلمين كالمجرمين * أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون * أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض أم نجعل المتقين كالفجار » وقال تعالى (وما يستوى الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوى الاحياء ولا الاموات) الى غير ذلك من الآيات مما يبين الفرق بين المخلوقات وانقسام الخلق الى شقى وسعيد كما قال تعالى (هو الذى خلقكم فمنكم كافر

الوجود من الاعمال الصالحة فان الله تعالى أرادها ارادة دين وشرع فأمر به وأحبه ورضيه وأراده ارادة كون فوق وقوع ولولا ذلك لما كان (الثانى) ما تعلقت به الارادة الدينية فقط وهو ما أمر الله به من الاعمال الصالحة فعصى ذلك الامر الكفار والفجار فتلك كلها ارادة دين وهو يحبها ويرضاها لو وقعت ولم تقع (الثالث) ما تعلقت به الارادة الكونية فقط وهو ما قدره وشاءه من الحوادث التى لم يأمر بها كالمباحات والمعاصى فانه لم يأمر بها ولم يرضها ولم يحبها اذ هو لا يأمر بالفحشاء ولا يرضى لعباده الكفر ولولا مشيئته وقدرته وخلقته لما كانت ولما وجدت فان ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن (الرابع) من أقسام الارادة الذى لم تتعلق به هذه الارادة ولا هذه فهذا مالم يكن من أنواع المباحات والمعاصى . انتهى .

اذا تبين لك هذا فاعلم ان قول الناظم والشارح يوافق ما قالته القدرية الجبرية حين ردوا ما قالته القدرية النفاة لما أنكروا القدر وزعموا أن الامر أنف فقابلهم أولئك بالقول بالجبر وانهم لا يخرجون عن قدره وقضائه نظرا منهم الى أن الامر كائن بمشيئة الله وقدره وان ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وانه تعالى خالق كل شيء وربّه ومليكه ولا يكون فى ملكه شيء الا بقدرته وخلقته ومشيئته كما قال تعالى « أنا كل شيء خلقنا بقدر - وما كانوا ليؤمنوا الا أن يشاء الله - ولو شاء ربك ما فعلوه - وما تشاءون الا أن يشاء الله » ونحو ذلك من الآيات ولا ريب أن هذا أصل عظيم من أصول الايمان لا بد منه فى حصول الايمان ، وبأنكاره ضلت القدرية النفاة وخالفوا جميع الصحابة وأئمة الاسلام لكن لا بد معه من الايمان بالارادة الشرعية الدينية التى نزلت بها الكتب الايمانية ودلت عليها النصوص النبوية ، وأئمة المسلمين قد أثبتوا هذه وهذه وذكروا الجمع بينهما وآمنوا بكل من الاصلين فنظن فهذا الموضوع يزيل عنك اشكالات كثيرة والله سبحانه وتعالى أعلم .

ومنكم مؤمن) وقال تعالى (فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة) ونظائر هذا في القرآن كثير ((من غير ما)) زائدة لتأكيد النفي ((اضطرار)) افتعال من الضر وأصله مضطرر^(١) فأدغمت الراء وقلبت التاء طاء لاجل الضاد أى من غير الجاء وجبر واكراه فالحق سبحانه خلق الانسان من صلصال كالفخار وصرفه في ما شاء من توبة وأصرار وحبوبة واستغفار وثنى عنانه الى مراداته بقوة واقتدار من غير اكراه ولا اجبار ولا اضطهاد ولا اضطرار بل خلق له قدرة ونوع اختيار فيفعل الفعل ويوقعه باذن القادر الجبار ، وقوله ((منه)) أى من غير اضطرار من الله تعالى ((لنا)) معشر العباد بل خلق فينا قدرة وأقدرنا على ايقاع أفعالنا بالاذن منه والتمكين لنا من التوصل الى امتثال الاوامر والانكفاف عن مواقع الزواجر فلقدرة العبد تأثير في ايجاد فعله لا بالاستقلال والاستبداد بل بالاعانة والاذن والتمكين^(٢) من الفاعل المختار الجواد ((فافهم)) فهم اذعان وتحقيق وتحريير وتدقيق يقال فهم الشيء اذا علمه وعرفه بقلبه ((ولا تمارى - ٣)) في علمك ولا تجارى^(٣) في فهمك بل كن مع الحق حيث كان ولا تقتر بنحاة الافهام وزباله الازهان فما ثم الا النص الصريح والنقل الصحيح دون المحال وما بعد الحق الا الضلال فلا تكون امعة في هذا الباب وتخلد الى الدعة فيحقيق بك العذاب ، والمراء الجدال والمماراة المجادلة على مذهب الشك والريبة ويقال للمناظرة مماراة لان كل واحد يستخرج ما عند صاحبه ويمتريه كما يمتري الحالب اللبن من الضرع وروى أبو داود وابن حبان في صحيحه من حديث أبي هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « المراء في القرآن كفر » ورواه الطبراني وغيره من حديث زيد بن ثابت رضى الله عنه . قال فى النهاية قيل أراد المراء والجدال فى الآيات التى فيها ذكر القدر ونحوه من المعانى على مذهب أهل الكلام وأصحاب الأهواء والآراء دون ما تضمنته من الاحكام وأبواب الحلال والحرام فان ذلك قد جرى بين الصحابة فمن بعدهم

(١) هذا أصل كلمة مضطر . فأما اضطرار فأصلها اضترار .

(٢) الظاهر « والتمكين » .

(٣) هكذا أثبت الياء فى الاصلين وهو صحيح على أن تكون الواو الحالية

ولا نافية .

من العلماء وذلك فيما يكون الغرض منه والباعث عليه ظهور الحق ليتبع دون الغلبة^(١) وروى أبو داود والترمذى واللفظ له وابن ماجه والبيهقى وحسنه الترمذى من حديث أبي امامة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من ترك المرء وهو مبطل بنى له بيت فى ربض الجنة ومن تركه وهو محق بنى له فى وسطها ومن حسن خلقه بنى له فى أعلاها » ورواه الطبرانى فى الاوسط من حديث ابن عمر رضى الله عنهما ولفظه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنا زعيم بيت فى ربض الجنة لمن ترك المرء وهو محق وبيت فى وسط الجنة لمن ترك الكذب وهو مازح وبيت فى أعلى الجنة لمن حسنت سيرته » وربض الجنة بفتح الراء والباء الموحدة وبالضاد المعجمة ما حولها •

وهذا المقام زلت فيه أقدام وضلت فيه طوائف من أهل الكلام والتصوف وصاروا الى ما هو شر من قول المعتزلة ونحوهم • وحاصل ذلك ان الناس انقسموا الى طرفى تفریط وافرراط ووسط ، أما المقرطون فالقدريّة يعظمون الامر والنهى والوعد والوعيد وطاعة الله ورسوله ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر لكن ضلوا فى القدر واعتقدوا أنهم اذا أثبتوا مشيئة عامة وقدرة تامة وخلقاً متوالاً لكل شىء لزم من ذلك القدح فى عدل الرب تعالى وحكمته ، وغلطوا فى ذلك ، والقدريّة متفقون على أن العبد هو المحدث للمعصية كما هو المحدث للطاعة وعندهم ان الله تعالى ما أحدث هذا ولا هذا بل أمر بالطاعة ونهى عن المعصية وليس عندهم لله نعمة على عباده المؤمنين فى الدين الا وقد أنعم بمثلها على الكفار فعندهم ان على بن أبى طالب رضى الله عنه وأبأ لهب مستويان فى نعمة الله الدينية اذ كل منهما أرسل اليه الرسول وأقدر على الفعل لكن هذا فعل الايمان بنفسه من غير أن يخصه بنعمة آمن بها وهذا فعل الكفر بنفسه من غير أن يفضل الله عليه ذلك المؤمن ولا خصه بنعمة آمن لأجلها ، وعندهم ان الله تعالى حجب الايمان الى الكفار كأبى لهب وأمثاله كما حبه للمؤمنين كعلى رضى الله عنه وأمثاله

(١) قال مصحح مط : ان مذكرات الصحابة ومراجعاتهم فى الفهم لم تكن مرء وكانوا يطلقون لفظ المرء على الجدل لتأييد الرأى واتباع الهوى :

وزينه في قلوب الطائفتين وكره الكفر والفسوق والعصيان اليهما بالسواء لكن هؤلاء كرهوا ما كرهه الله اليهم بغير نعمة خصهم بها وهؤلاء لم يكرهوا ما كرهه الله اليهم . قال شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله روحه : من توهم منهم أو من نقل عنهم أن الطاعة من الله والمعصية من العبد فهو جاهل بمذهبهم فان هذا لم يقله أحد من علماء القدرية ولا يمكن أن يقولوه فان أصل قولهم ان فعل العبد للطاعة كفعله للمعصية كلتاها فعله بقدرة تحصل له من غير أن يخصه الله تعالى بإرادة خلقها فيه تختص بأحدهما ولا قوة جعلها فيه تختص بأحدهما فمن احتج منهم بقوله تعالى «ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك» على مذهبهم كان جاهلا بمذهبه وكانت الآية الكريمة حجة عليهم لالهم لانه تعالى قال «قل كل من عند الله» وعندهم ليس الحسنات المفعولة ولا السيئات المفعولة من عند الله بل كلاهما من العبد ، والله سبحانه وتعالى ذكر هذه الآية الكريمة ردا على من يقول الحسنات من الله والسيئات من العبد قال ولم يقل أحد من الناس ان الحسنات المفعولة من الله والسيئات المفعولة من العبد . قال شيخ الاسلام في شرح الاصفهانية : وأثبتت القدرية من المعتزلة ونحوهم ما في الحيوان من القدرة والاختيار والأفعال دون سائر القوى والطبائع والأفعال التي فيه أو في غيره من الاجسام وغلوا في أفعال الحيوان حتى جعلوها تحدث بلا سبب محدث لها كما زعمه الفلاسفة في الحركة الفلكية وجعل أكثرهم ما يحدث بسبب منه ومن غيره فعلا يسمونها الأفعال المتولدة كالشبع عن الأكل والرى عن الشرب وخروج السهم عن النزاع وحصول الموت عن الضرب ونحو ذلك ، وهؤلاء القدرية تارة يشبتون حادثا بلا محدث وممكنا يرجح وجوده على عدمه بلا مرجح كحدوث فعل الحيوان وتارة يضيفون الحادث الى بعض أسبابه دون سائر أسبابه كإضافة المتولدات الى فعل الانسان دون غيره وتارة ينكرون الأسباب كإنكارهم ما في الاحسام من القوة الطبيعية غير الارادية والاسباب ثابتة وهى حادثة بأحداث الله تعالى وهى مفتقرة الى أسباب أخر ولها موانع ، وهؤلاء ينفون بعضها ويجعلون بعضها حادثا بغير أحداث الله تعالى ويجعلون ذلك المحدث مستقلا لا يفتقر الى مشارك ، قال شيخ الاسلام

قدس الله روحه : وقول هؤلاء القدرية شر من قول الجبرية من بعض الوجوه فان قول الجبرية كما يأتي يتضمن ترجيح أحد التماثلين بلا مرجح وحدوث الحوادث بلا سبب أصلا وقول القدرية يتضمن ذلك ويزيد عليه بأنه يتضمن حدوث جميع الحوادث بلا محدث أصلا ويتضمن اضافتهم الحوادث الى ما لا يعلم ثبوته بل يعلم انتفاؤه من الاسباب ويتضمن انهم يجعلون السبب مستقلا بالاحداث مع افتقاره الى شريك يساونه ومانع يعارضه وافتقاره الى محدث يحدثه فلا يشتون لا محدثه ولا شريكه ولا مانعه بل يضيفون الى السبب المحدث الذي له شركاء وموانع وحصول الاثر به موقوف على فعل الله تعالى فيضيفون اليه مع هذا ما هو مخلوق للرب الذي لا شريك له ولا ضد له ولا رب سواه ولهذا كان الحاد هؤلاء ظاهرا عند أهل الملة بخلاف الاولين فانهم معدودون من أهل البدع . قال وهذا المقام من أعظم المقامات التي اضطرب فيها مبتدعة المتكلمين وملاحدة الفلاسفة حتى ان الرجل الواحد يصنف الكتب المتعددة فينصر قول هؤلاء في كتاب كما يقع في كتب الرازي والآمدى وأبي حامد وغيرهم .

(تنبيهات)

(الأول) أول من تكلم في القدر معبد الجهني وكان أولا يجلس الى الحسن البصري ثم سلك أهل البصرة بعده مسلكه لما رأوا عمرو بن عبيد ينتحلّه ، وقيل بل أول من تكلم فيه معبد بن عبد الله بن عويمر قاله السمعاني وبعض علماء الأشاعرة وغيرهم ، وقال شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله روحه في كتابه شرح الايمان : أول من ابتدعه بالعراق رجل من أهل البصرة يقال له سيسويه من أبناء المجوس وتلقاه عنه معبد الجهني . وقال العلامة الطوفي في شرح تائمية شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه : كان أول من تكلم في القدر بالبصرة سوسن رجل من أبناء المجوس ثم معبد الجهني وأخذ غيلان عن معبد ، ويقال أول ما حدث في الحجاز لما احترقت الكعبة فقال رجل احترقت بقدر الله تعالى فقال آخر لم يقدر الله هذا . ولم يكن على عهد الخلفاء الراشدين أحد ينكر القدر فلما ابتدع هؤلاء التكذيب بالقدر رد عليهم من بقي من الصحابة كعبد الله بن عمر وعبد الله

أول من تكلم
في القدر

ابن عباس ووائله بن الاسقع رضى الله عنهم وكان أكثره بالبصرة والشام وقليل منه بالحجاز فأكثر كلام السلف في ذم هؤلاء القدرية ، ولهذا قال وكيع بن الجراح : القدرية يقولون الامر مستقبل وان الله لم يقدر الكتابة والاعمال • والمرجئة يقولون : القول يجزى عن العمل • والجهمية يقولون المعرفة تجزى عن القول والعمل ، قال وكيع : هو كله كفر • قال شيخ الاسلام ولكن لما اشتهر الكلام في القدر ودخل فيه كثير من أهل النظر والعبادة صار جمهور القدرية يقرون بتقديم العلم وانما ينكرون عموم المشيئة والخلق وعن عمرو بن عبيد في انكار الكتاب المتقدم والسعادة روايتان •

القدرية فرقتان غلاة ودونهم

(الثانى) القدرية فرقتان (الاولى) تنكر ما ذكرنا من سبق العلم بالاشياء قبل وجودها وتزعم ان الله لم يقدر الامور ازلا ولم يتقدم علمه بها وانما يأتونها علما حال وقوعها وكانوا يقولون ان الله أمر العباد ونهاهم وهو لا يعلم من يطيعه ممن يعصيه ولا من يدخل الجنة ممن يدخل النار حتى فعلوا ذلك فعلمه بعد ما فعلوه ، ولهذا قالوا الامر أنف أى مستأنف يقال روض أنف اذا كانت وافية لم ترع قبل ذلك يعنى انه يستأنف العمل السعيد والشقى ويتدىء ذلك من غير أن يكون قد تقدم بذلك علم ولا كتاب فلا يكون العمل على ما قدر فيحتدى به حذو القدر بل هو أمر مستأنف مبتدأ والواحد من الناس اذا أراد أن يعمل عملا قدر في نفسه ما يريد عمله ثم يوقعه كما قدر في نفسه وربما أظهر ما قدره في الخارج بصورته ويسمى هذا التقدير الذى في النفس خلقا ومنه قول الشاعر :

ولأنت تفسرى ما خلقت وبه ض الناس يخلق ثم لا يفرى

يقول اذا قدرت أمرا أمضيته وأنفذته بخلاف غيرك فانه عاجز عن امضاء ما يقدره والرب تعالى أولى قال الله تعالى (انا كل شىء خلقناه بقدر) وهو سبحانه يعلم قبل ان يخلق الاشياء كل ما سيكون وهو يخلق بمشيئته فهو يعلمه ويريده وارادته تعالى قائمة بنفسه وقد يتكلم به ويخبر به كما في قوله تعالى (لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين) وقال (ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما وأجل مسمى) وقال (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين * انهم لهم المنصورون * وان جندنا لهم لهم الغالبون) وقال (ولقد

أتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ، ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم)
الآية وهو سبحانه كتب ما يقدره فيما يقدره فيه كما قال تعالى (ألم تر ان
الله يعلم ما في السماء والارض ان ذلك في كتاب ان ذلك على الله يسير)
قال ابن عباس رضى الله عنهما ان الله تعالى خلق الخلق وعلم ما هم
عاملون ثم قال لعلمه كن كتابا فكان كتابا ثم أنزل تصديق ذلك في هذه الآية
وفي الآية الاخرى (ما أصاب من مصيبة في الارض ولا فى أنفسكم الا فى
كتاب من قبل ان نبرأها ان ذلك على الله يسير) قال العلماء : والمنكرون
لهذا انقضوا وهم الذين كفرهم عليه الامام مالك والامام الشافعى والامام
أحمد وغيرهم من الائمة رضى الله عنهم وهم الذين قال فيهم الشافعى ان
سلم القدرية العلم خصموا • يعنى يقال لهم أيجوز ان يقع في الوجود خلاف
ما تضمنه العلم ؟ فان منعوا وافقوا أهل السنة وان أجازوا لزمهم نسبة
الجهل الى الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا • وقد قال الامام أحمد
رضى الله عنه في قوله تعالى (واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح)
هذه حجة على القدرية • قال الامام المحقق ابن القيم في (البدائع) أراد
القدرية المنكرة للعلم بالاشياء قبل كونها وهم غلاتها الذين كفرهم السلف
والا فلا تعرض فيها لمسألة خلق الافعال • انتهى • قال القرطبى قد انقض
هذا المذهب فلا نعرف أحدا ينسب اليه من المتأخرين (الثانية) من فرقتى
القدرية المقرون بالعلم ، قال الحافظ ابن حجر فى فتح البارى : القدرية اليوم
مطبقون على أن الله عالم بأفعال العباد قبل وقوعها وانما خالفوا السلف في
زعمهم بأن أفعال العباد مقدورة لهم وواقعة منهم على وجه الاستقلال وهو
مع كونه مذهباً باطلاً أخف من المذهب الاول ، قال : والمتأخرون منهم
أنكروا تعلق الارادة بأفعال العباد فرارا من تعلق القديم بالمحدث • قال
شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه : وأما هؤلاء - يعنى الفرقة الثانية -
فانهم مبتدعون ضالون لكنهم ليسوا بمنزلة أولئك ، قال وفي هؤلاء خلق
كثير من العلماء والعباد كتب عنهم وأخرج البخارى ومسلم لجماعة منهم
لكن من كان داعية لم يخرجوا له وهذا مذهب فقهاء الحديث كالامام أحمد
وغيره ومن كان داعية الى بدعة فانه يستحق العقوبة لدفع ضرره عن الناس

وان كان في الباطن مجتهدا فأقل عقوبته أن يهجر فلا يكون له مرتبة في الدين فلا يؤخذ عنه العلم ولا يستقضى ولا تقبل شهادته ونحو ذلك، ولهذا لم يخرج أصحاب الصحيح لمن كان داعية ولكن روواهم وسائر أهل العلم عن كثير ممن كان يرى في الباطن رأى القدرية والمرجئة والخوارج والشيعية ، وقال الامام احمد : لو تركنا الرواية عن القدرية لتركنا أكثر أهل البصرة • قال شيخ الاسلام ابن تيمية برد الله مضجعه : هذا لأن مسألة خلق أفعال العباد واردة الكائنات مسألة مشكلة ولهذا القدرية من المعتزلة وغيرهم أخطأوا فيها وقد أخطأ أيضا كثير ممن رد عليهم لأنهم سلكوا في ردهم عليهم مسلك جهنم بن صفوان وأتباعه فنفوا حكمة الله في خلقه وأمره ونفوا رحمته بعباده ونفوا ما جعله سبحانه من الاسباب خلقا وأمرنا وغير ذلك • وهؤلاء القدرية فرطوا غاية التفريط بحيث انهم نفوا أن يكون الله تعالى خالقا لأفعال عباده فأنبتوا خالقا غيره مستقلا بالخلق والامر دونه تعالى الله عن ذلك وباللغة التوفيق •

(الثالث) في بعض ما ورد في ذم القدرية من الآثار والخبار وما رده عليهم من الصحابة الاخير والائمة الابرار ، روى مسلم والنسائي وأبو داود والترمذي عن يحيى بن يعمر قال كان أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجهني فانطلقت أنا وحמיד بن عبد الرحمن الحميري حاجين أو معتمرين فقلنا لو لقينا أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر فوقف لنا عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما داخل المسجد فاكتفته أنا وصاحبي أحدا عن يمينه والآخر عن شماله فظننت أن صاحبي سيكل الكلام الى فقلت أبا عبد الرحمن انه قد ظهر قبلنا ناس يقرؤون القرآن ويتفقون ^(١) العلم - وذكر من شأنهم - وانهم يزعمون أن لا قدر وان الامر أنف ، فقال اذا لقيت أولئك فأخبرهم اني برىء منهم وانهم براء منى ، والذي يحلف به عبد الله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر - ثم ساق حديث جبريل عليه السلام وفيه «تؤمن بالقدر خيره وشره - زاد في رواية - وحلوه

(١) كذا والمحفوظ « يتفقون » •

ومره « الحديث ، وفي رواية أبي داود عن يحيى بن يعمر وحميد بن عبد الرحمن قالوا لقينا ابن عمر فذكرنا له القدر وما يقولون فيه فذكرنا نحوه ، وزاد قال وسأله رجل من مزينة أو جهينة فقال يا رسول الله فيم نعمل ؟ في شيء خلا ومضى أو شيء مستأنف ؟ قال « في شيء خلا ومضى . فقال الرجل أو بعض القوم : ففيم العمل ؟ قال « ان أهل الجنة يسرون لعمل أهل الجنة وان أهل النار يسرون لعمل أهل النار » وعند أبي داود أيضا من حديث أبي هريرة رضى الله عنه وأصله في الصحيحين وفيه قال يا محمد أخبرني عن الايمان قال « أن تؤمن بالله والملائكة والكتاب والنبين وتؤمن بالقدر » قال فاذا نعلت ذلك فقد آمنت ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « نعم » قال صدقت . وأخرج الترمذى من حديث على بن أبى طالب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربع يشهد أن لا اله الا الله وانى محمد رسول الله بعثنى بالحق ويؤمن بالموت ويؤمن بالبعث بعد الموت ويؤمن بالقدر » وفي صحيح مسلم عن أبى الاسود الدؤلى قال قال لى عمران بن حصين أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه شيء قضى عليهم ومضى عليهم من قدر قد سبق أو فيما يستقبلون به مما أتاهم به نبيهم وثبتت الحجة عليهم ؟ فقلت بل سئ قضى عليهم ومضى عليهم . قال فقال فلا يكون ظلما ؟ قال ففزع من ذلك فزعا شديدا وقلت : كل شيء خلق الله وملك الله فلا يسئل عما يفعل وهم يسئلون . فقال رحمتك الله انى لم أرد بما سألتك الا لأحزر عقلك ، ان رجلين من مزينة أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا يا رسول الله أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون أشياء قضى عليهم ومضى فيهم من قدر قد سبق أو فيما يستقبلون مما أتاهم به نبيهم وثبتت الحجة عليهم ؟ فقال « لا بل شيء قضى عليهم ومضى فيهم . وتصديق ذلك في كتاب الله تعالى (ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها) . وفي أوسط الطبرانى عن ابن عباس رضى الله عنهما مرفوعا « القدر نظام التوحيد فمن وحد الله وآمن بالقدر فقد استمسك بالعروة الوثقى » وأخرج أبو نعيم في الحلية من حديث ابن عمر رضى الله عنهما مرفوعا « القدر سر الله » وفي الجامع الكبير عن الحارث قال جاء

رجل الى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضى الله عنه فقال يا أمير المؤمنين أخبرنى عن القدر ، قال : طريق مظلم لا تسلكه ، قال يا أمير المؤمنين أخبرنى عن القدر ، قال : بحر عميق لا تلجه ، قال يا أمير المؤمنين أخبرنى عن القدر ، قال : سر الله خفى عليك فلا تفشه ، قال يا أمير المؤمنين أخبرنى عن القدر - وساق الكلام في جواب السائل الى أن قال أيها السائل تقول لا حول ولا قوة الا بمن ؟ قال : الا بالله العلى العظيم ، قال أفتعلم ما فى تفسيرها ؟ قال تعلمنى مما علمك الله يا أمير المؤمنين ، قال ان تفسيرها لا يقدر على طاعة الله ولا تكون له قوة في معصية الله في الامرين جميعا الا بالله ، أيها السائل ألك مع الله مشيئة أو فوق الله مشيئة أو دون الله مشيئة ؟ فان قلت ان لك دون الله مشيئة اكتفيت بها عن مشيئة الله ، وان زعمت ان لك فوق الله مشيئة فقد ادعيت ان قوتك ومشيئتك غالبتان على قوة الله ومشيئته ، وان زعمت أن لك مع الله مشيئة فقد ادعيت مع الله شركا في مشيئته - الاثر المروى بطوله • والاخبار والآثار في هذا الباب كثيرة جدا . وأما ذم القدرية فقد أخرج أبو داود في سننه والحاكم في مستدركه عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « القدرية مجوس هذه الامة » ورواه الترمذى وحسنه وصححه الحاكم ، قال الحافظ ابن حجر ورجاله من رجال الصحيحين لكن ذكر الحافظ المنذرى ان فى سنده انقطاعا وقد أجاب عنه بأن أبا الحسن ابن القطان القاسم^(١) الحافظ صحح سنده وقال ان أبا حازم عاصر ابن عمر وكان معه بالمدينة ومسلم يكتفى في الاتصال بالمعاصرة فهو صحيح على شرط مسلم • قلت وقد أخرج الحديث الامام الحافظ ابن الجوزى في كتابه الموضوعات من حديث أبي هريرة رضى الله عنه ولفظه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ان لكل أمة مجوسا ومجوس هذه الامة القدرية فلا تعودوهم اذا مرضوا ولا تصلوا عليهم اذا ماتوا » رواه ابن عدى • وحكم عليه بالوضع وتعقبه الجلال السيوطى بأن جعفر بن الحارث الذى أعله به قد وثقه ابن عدى فقال لم أر فى أحاديثه حديثا منكرا أرجو أنه لا بأس

(١) فى الاصلين « القابسى » كنه •

به وقال البخارى حفظه سيىء يكتب حديثه • والحديث ورد بهذا اللفظ من حديث حذيفة أخرجه أبو داود ، وجابر بن عبد الله أخرجه ابن ماجه ، وعبد الله بن عمر أخرجه الامام أحمد والبخارى في تاريخه والطبرانى في الاوسط واللالكائى في السنة بأسانيد بعضها على شرط الصحيح، وسهل بن عبد الله أخرجه الطبرانى في الأوسط واللالكائى أيضا وأنس أخرجه الطبرانى ، وابن عباس أخرجه اللالكائى ، وورد عن عمر موقوفا أخرجه اللالكائى • وأقول قد روى الطبرانى في الكبير وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال صحيح الاسناد قال الحافظ المنذرى ولا أعرف له علة عن أم المؤمنين عائشة الصديقة رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ستة لعنتهم ولعنهم كل نبى مجاب ، الزائد في كتاب الله عز وجل ، والمكذب بقدر الله ، والمتسلط على أمتى بالجبروت ليدل من أعز الله ويعز من أذل الله ، والمستحل حرمة الله ، والمستحل من عترتى ما حرم الله ، والتارك للسنة » وفي حديث أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعا « تكون قدرية ثم تكون زنادقة ثم تكون (١) مجوس (٢) وان لكل أمة مجوسا وان مجوس أمتى المكذبة بالقدر فان مرضوا فلا تعودوهم وان ماتوا فلا تشهدوهم ولا تتبعوا لهم جنازة » قال الخطابى انما جعلهم مجوسا لمضاهاة مذهبهم مذهب المجوس في قولهم بالاصلين وهما النور والظلمة يزعمون ان الخير من فعل النور والشر من فعل الظلمة فصاروا ثنوية وكذلك القدرية يضيفون الخير الى الله والشر الى غيره والله تعالى خالق الامرين معا • وكذا قال ابن الاثير في جامع الاصول : القدرية في اجماع أهل السنة والجماعة هم الذين يقولون ان الخير من الله والشر من الانسان وان الله لا يريد افعال العصاة وسموا بذلك لأنهم أثبتوا للعبد قدرة توجد الفعل بانفرادها واستقلالها دون الله تعالى ونفوا ان تكون الاشياء بقدر الله وقضائه ، قال وهؤلاء مع ضلالتهم يضيفون الاسم الى مخالفهم من أهل الهدى فيقولون أتم القدرية حين تجعلون الاشياء جارية بقدر من الله وانكم أولى بهذا

(١) فى مط « تكونون » فى المواضع الثلاثة وكذا كان فى منق فأصلح فيها « تكون » •
(٢) فى الاصلين « مجوسا » •

الاسم منا لأنكم تثبتون القدر ونحن نفيه ومثبه أحق بالنسبة اليه من نافية فأنتم الداخلون تحت وعيد الحديث دوننا • فأجابهم المثبتون بأنكم أولى بذلك لانكم تثبتون القدر لأنفسكم ونحن نفيه عن أنفسنا ومثبت الشيء لنفسه أولى بالنسبة اليه ممن نفاء عن نفسه ، وأيضا هذا الحديث يبطل ما قالوه فانه قال صلى الله عليه وسلم « القدرية مجوس هذه الامة » ومعنى ذلك انهم لمشابهتهم المجوس في مذهبهم وقولهم بالاسلين وهما النور والظلمة • وتقدم كلام شيخ الاسلام فلا يهمل وبالله التوفيق •

★ ★ ★

الجبرية

وأما المفرطون فالجبرية وهم الذين يزعمون انه لا فعل للعبد أصلا وان حركاته بمزلة حركات الجمادات لا قدرة له عليها ولا قصد ولا اختيار ، فآبثوا ان الله تعالى خالق كل شيء وربهم ومليكه وهذا جيد لكن نفوا تأثير الاسباب والحكم في الجماد والحيسوان وأنكروا أن يكون للحيوان من الانسان أو غيره فعل يفعله بقدرته ، وحققة قول هؤلاء ترجيح أحد التمانئين بلا مرجح وحدوث الحوادث بلا سبب أصلا، قال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه : قابل القدرية قوم من العلماء والعباد وأهل الكلام والتصوف فآبثوا القدر وآمنوا بأن الله خالق كل شيء وربهم ومليكه وانه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وهذا حسن ، لكنهم قصرُوا في الامر والنهي والوعد والوعيد وأفرطوا حتى غلا بهم الامر الى الالحاد فصاروا من جنس المشركين الذين قالوا (لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء) قال فأولئك القدرية وان كانوا يشبهون المجوس من حيث انهم أثبتوا فاعلا لما اعتقدوه شرا غير الله سبحانه فهؤلاء شابهوا المشركين الذين قالوا (لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء) فالمشركون شر من المجوس لأن المجوس يقرون بالجزية باتفاق المسلمين حتى ذهب بعض العلماء الى حل نسائهم وطعامهم وأما المشركون فاتفقت الامة على تحريم نكاح نسائهم ، ومذهب الامام احمد في المشهور عنه والشافعي وغيرهما أنهم لا يقرون بالجزية فجمهور العلماء على ان مشركى العرب لا يقرون بالجزية ، والمقصود أن من أثبت القدر واحتج به على ابطال الامر والنهي

فهو شر ممن أثبت الأمر والنهي ولم يثبت القدر ، قال شيخ الاسلام : وهذا متفق عليه بين المسلمين وغيرهم من أهل الملل بل بين جميع الخلق فان من احتج بالقدر وشهد الربوبية العامة لجميع المخلوقات ولم يفرق بين المأمور والمحذور والمؤمن والكافر وأهل الطاعة وأهل المعصية لم يؤمن بأحد من الرسل ولا شيء من الكتب وكان عنده آدم وابليس سواء ونوح وقومه سواء وموسى وفرعون سواء والسابقون الاولون وكفار مكة سواء ، وهذا الضلال قد كثر في كثير من أهل التصوف والزهد والعبادة ولا سيما اذا قرنوا به توحيد أهل الكلام المثبتين للقدر والمشيئة من غير اثبات المحبة والبغض والرضا والسخط الذين يقولون : التوحيد هو توحيد الربوبية وأما الالهية فهي عندهم القدرة على الاختراع ، وعندهم مجرد الاقرار بأن الله رب كل شيء كاف لا (٤) يدعون التحقيق والفناء في التوحيد ويقولون ان هذا نهاية المعرفة وان صاحب هذا المقام لا يستحسن حسنه ولا يستقبح سيئه لشهوده الربوبية العامة والقيومية الشاملة ، وهذا الموضع وقع فيه من الشيوخ الكبار من شاء الله ولا حول ولا قوة الا بالله ، وغاية توحيد هؤلاء توحيد المشركين الذين كانوا يعبدون الاصنام الذين قال الله تعالى فيهم (قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون * سيقولون لله قل أفلا تذكرون) الآيات ونحوها فان هؤلاء المشركين كانوا مقرين بأن الله خالق السموات والارض وبيده ملكوت كل شيء وكانوا مقرين بالقدر وهو معروف عنهم في النظم والنثر ومع هذا فلما لم يكونوا يعبدون الله وحده لا شريك له بل عبدوا غيره كانوا مشركين شرا من اليهود والنصارى ، فمن كان غاية توحيدته ومنتهى تحقيقه هذا التوحيد كان توحيدته من توحيد المشركين . قال شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله روحه وهذا المقام مقام وأى مقام زلت فيه أقدام وضلت فيه أفهام وبدل فيه دين الاسلام والتبس فيه أهل التوحيد بعباد الاصنام على من يدعى نهاية التوحيد والتحقيق والمعرفة والكلام ، ومعلوم عند كل من يؤمن بالله ورسوله ان المعتزلة والشيعه والقدرية المثبتين للأمر والنهي والوعد والوعيد خير ممن يسوى بين المؤمن والكافر والبر والفاجر والنبي الصادق والمتنبى الكاذب وأولياء الله وأعدائه ، بل هم

أحق من المعتزلة بالذم كما قال الامام أبو محمد الخلال في كتاب السنة عن المروزي قال قلت لأبي عبد الله - يعني الامام أحمد رضى الله عنه - رجل يقول ان الله أجبر العباد على المعاصي فقال هكذا لا نقول وأنكر ذلك وقال يضل الله من يشاء ويهدى من يشاء • وأنكر سفيان الثوري أيضا على من قال جبر وقال ان الله جبل العباد • وقال المروزي أراد قول النبي صلى الله عليه وسلم لأشج عبد القيس يعني قوله « ان فيك لخلقين يحبهما الله تعالى الحلم والاناة » فقال أخلقين تخلقت بهما أم خلقين جبلت عليهما ؟ فقال بل خلقين جبلت عليهما ، فقال « الحمد لله الذى جبلنى على خلقين يحبهما » وذكر عن أبي اسحاق الفزارى قال قال لى الاوزاعى أتانى رجلان فسألانى عن القدر فأحبيت أن آتيك بهما تسمع كلامهما وتجييها قلت رحمتك الله أنت أولى بالجواب قال فأتانى الاوزاعى ومعه الرجلان فقال تكلمما فقالا قدم علينا أناس من أهل القدر فنازعونا في القدر ونازعناهم حتى بلغ بنا وبهم الجواب الى أن قلنا ان الله تعالى جبرنا على ما نهانا عنه وحال بيننا وبين ما أمرنا به ورزقنا ما حرم علينا • فقلت يا هؤلاء ان الذين أتوكم بما أتوكم به قد ابتدعوا بدعة وأحدثوا حدثا وانى أراكم قد خرجتم من البدعة الى مثل ما خرجوا اليه • فقال يعنى الاوزاعى أصبت وأحسنست يا أبا اسحاق • وذكر الخلال عن بقية بن الوليد قال سألت الزبيدى والاوزاعى عن الجبر فقال الزبيدى : أمر الله أعظم وقدرته أعظم من أن يجبر أو يعضل ولكن يقضى ويقدر ويخلق ويحيل عبده على ما أحب • وقال الاوزاعى ما أعرف للجبر أصلا من القرآن ولا السنة فأهاب أن أقول ذلك ولكن القضاء والقدر والخلق والجبل فهذا يعرف في القرآن والحديث • قال شيخ الاسلام أدخل الخلال وغيره من علماء الاسلام القائلين بالجبر في مسمى القدرية وان كانوا لا يحتجون بالقدر على المعاصي فكيف بمن يحتج به على المعاصي ويدخل فى ذم أهل العلم من يحتج بالقدر على اسقاط الأمر والنهى أعظم مما يدخل فيه المنكر له فان ضلال هذا أعظم • قال شيخ الاسلام : ولهذا قرنت القدرية بالمرجئة في كلام غير واحد من السلف وروى في ذلك حديث مرفوع • قلت وهو ما روى من حديث أبي سعيد

الخدرى رضى الله عنه مرفوعا « ان الله لعن أربعة على لسان سبعين نبيا - قلنا من هم يا رسول الله ؟ قال « القدرية والجهمية والمرجئة والروافض » •
الحديث وفيه قلنا يارسول الله ما المرجئة قال الذين يقولون الايمان قول بلا عمل • ذكره ابن الجوزى في الموضوعات • ومن حديث أنس رضى الله عنه مرفوعا : « المرجئة والقدرية والروافض والخوارج يسلب منهم ربع التوحيد فسيلقون الله كفارا خالدين مغلدين في النار » أخرجه ابن حبان وقال فيه محمد بن يحيى بن رزين دجال يضع الحديث - وذكره ابن الجوزى في الموضوعات • لأن كلا من هاتين البدعتين تفسد الامر والنهى والوعد والوعيد فالارجاء يضعف الايمان بالوعيد ويهون أمر الفرائض والمحارم ، والقدرى يعنى الجبرى ان احتج بالقدر كان عوننا للمرجىء وان كذب به أى بالقدر كان هو والمرجىء متقابلين هذا يبالغ في التشديد حتى يجعل العبد لا يستعين بالله على فعل ما أمره به وترك ما نهى عنه ، وهؤلاء القدرية حقيقة ، وهذا يعنى المرجىء يبالغ في الناحية الأخرى ، ومن المعلوم ان الله تعالى أرسل الرسل وأنزل الكتب لتصدق الرسل فيما أخبرت وتطاع فيما أمرت كما قال تعالى (وما أرسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله) وقال (من يطع الرسول فقد أطاع الله) والايمان بالقدر من تمام ذلك ، فمن أثبت القدر وجعل ذلك معارضا للامر فقد أذهب الاصل • قال شيخ الاسلام : ومعلوم انه من أسقط الامر والنهى الذى بعث الله به رسله فهو كافر باتفاق المسلمون واليهود والنصارى ، بل هؤلاء قولهم متناقض ، لا يمكن أحدا منهم أن يعيش به ولا تقوم به مصلحة أحد من الخلق ولا يتعاشر عليه اثنان فان القدر ان كان حجة فهو حجة لكل أحد والا فليس هو حجة لأحد ، فاذا ظلم الانسان ظالم أو شتمه شاتم أو أخذ ماله وأفسد عياله فمتى لامه أو ذمه أو طلب عقوبته أبطل الاحتجاج بالقدر ، قال ومن ادعى ان العارف اذا شهد الارادة سقط عنه الامر كان هذا من الكفر الذى لا يرضاه أحد بل ذلك ممتنع في العقل محال في الشرع • وقال تلميذه المحقق ابن القيم في كتابه (شرح منازل السائرين) مشهد أصحاب الجبر وهم الذين يشهدون أنهم مجبرون على أفعالهم وانها واقعة بغير قدرتهم

واختيارهم بل لا يشهدون انها أفعالهم البتة ويقولون ان أحدهم غير فاعل في الحقيقة ولا قادر وان الفاعل فيه غيره والمحرك له سواء وانه آلة محضة وحر كاته بمنزلة هبوب الرياح وحركات الاشجار ، وهؤلاء اذا أنكرت عليهم أفعالهم احتجوا بالقدر وحملوا ذنوبهم عليه وقد يغلون في ذلك حتى يروا أفعالهم كلها طاعات خيرا وشرها لموافقته المشيئة والقدر ، ويقولون كما ان موافقة الامر طاعة فموافقة المشيئة طاعة كما حكى الله تعالى عن المشركين اخوانهم انهم جعلوا مشيئة الله لأفعالهم دليلا على أمره بها ورضاه بها ، قال : وهؤلاء شر من القدرية النفاة وأشد عداوة لله ومناقضة لكتبه ورسله ودينه حتى ان من هؤلاء من يعتذر عن ابليس لعنه الله ويتوجع له ويقيم عذره بجهده وينسب ربه الى ظلمه بلسان الحال والقال ويقول ما ذنبه وقد صان وجهه عن السجود لغير خالقه وقد وافق حكمه ومشيئته فيه وارادته منه ثم كيف يمكنه السجود وهو الذي منعه منه وحال بينه وبينه وهل كان في ترك سجوده لغيرك الا محسنا ولكن

اذا كان المحب قليل حظ فما حسناته الا ذنوب

قال ابن القيم رحمه الله وهؤلاء أعداء الله حقا وأولياء ابليس وأجابه واخوانه واذا ناح منهم نائح على ابليس رأيت من الكاء والحنين أمرا عجا و رأيت من تظلم الاقدار واتهام الجبار ما يبدو على فلتات ألسنتهم وصفحات وجوههم وتسمع من أحدهم من التظلم والتوجع ما تسمعه من الخصم المغلوب العاجز عن خصمه قال فهؤلاء الذين قال فيهم شيخ الاسلام ابن تيمية في تائيته :

وتدعى خصوم الله يوم معادهم الى النار طرا فرقة القدرية

يعنى الجبرية وتقدم ان شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه قال ان بدعة القدرية النفاة كانت في أواخر عصر الصحابة رضى الله عنهم ، قال وأما بدعة هؤلاء المحتجين بالقدر فلم يعرف لها امام ولم تعرف به طائفة من طوائف المسلمين معروفة ، قال وانما كثر ذلك في المتأخرين وسماوا هذا حقيقة وجعلوا الحقيقة تعارض الشريعة ولم يميزوا بين الحقيقة الشرعية التي تتضمن تحقيق أحوال القلوب كالالاخلاص والصبر وبين الحقيقة

الكونية القدرية التي نؤمن بها ولا نحتج بها على المعاصي ، وفيهم من يقول ان العارف اذا فنى في شهود توحيد الربوبية لم يستحسن حسنة ولم يستقبح سيئة ، ويقول بعضهم من شهد الارادة سقط عنه الامر والنهي ، ويقول بعضهم ان الخضر عليه السلام انما سقط عنه التكليف لانه شهد الارادة - الى غير ذلك من كلامهم . والحاصل ان هذه المقالة من أشنع المقالات وأفظع البدع المحدثات ، والمحتج بقدر الله على معاصي الله تعالى زنديق وخارج عن سواء السبيل وعدم التحقيق ومارق من الدين ومباين التوفيق ، والبارى جل شأنه قد أرسل الرسل قاطبة بتحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها وفي الاحتجاج على المعاصي بالقدر انعكاس ما جاءت به الرسل من تعظيم النهي والامر . وباللغة التوفيق .

قول أهل السنة في القدر

وأما المتوسطون فهم أهل السنة والجماعة فلم يفرطوا تفریط القدرية ، لئلا ولم يفرطوا افراط الجبرية المحتجين بالقدر على معاصي الله ، وهؤلاء على مذهبين ، مذهب الأشعري ومن وافقه من الخلف ، ومذهب سلف الأمة وأئمة السنة ، فمذهب أهل السنة كافة أن جميع أنواع الطاعات والمعاصي والكفر والفساد واقعة بقضاء الله وقدره لا خالق سواه فأفعال العباد مخلوقة لله تعالى خيرها وشرها حسنها وقبيحها ، والعد غير مجبور على أفعاله بل هو قادر عليها ، هذا القدر باتفاق أهل السنة ثم ان الأشعري ومن وافقه منهم أثبت للعبد كسبا ومعناه انه قادر على فعله وان كانت قدرته لا تأثير لها في ذلك كما مر ، قال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه : هذا قول الأشعري ومن وافقه من المثبتة للقدر من الفقهاء وطوائف من أهل السنة من أصحاب مالك والشافعي وأحمد حيث لا يشبتون في المخلوقات قوى ولا طبائع ، ويقولون ان الله تعالى فعل عندها لا بها ، ويقولون ان قدرة العبد لا تأثير لها في الفعل ، ويقول الأشعري : ان الله فاعل فعل العبد وان عمل العبد ليس فعلا للعبد بل كسبا له . قال شيخ الاسلام : وهذا قول من ينكر الاسباب والقوى التي في الاجسام وينكر تأثير القدرة التي للعبد التي يكون بها الفعل ويقول انه لا أثر لقدرة العبد أصلا في فعله لكن الأشعري يشب

للعبد قدرة محدثة واختيارا ويقول ان الفعل كسب للعبد لكن يقول لا تأثير
لقدره العبد في ايجاد المقدور ، وهو مقام دقيق حتى قال بعضهم ان هذا
الكسب الذي أثبتته الاشعري غير معقول ، قال : حتى قال جمهور العقلاء
ثلاثة أشياء لا حقيقة لها طفرة النظام وأحوال أبي هاشم وكسب الاشعري ،
وذلك أنه يلزم أن لا يكون فرق بين القادر والساجز اذ مجرد الاقتران
لا اختصاص له بالقدرة فان فعل العبد يقارن حياته وعلمه وارادته وغير
ذلك من صفاته فاذا لم يكن للقدرة تأثير الا مجرد الاقتران فلا فرق بين
(هذه - ١) القدرة وغيرها . ومن هذه الطائفة من يقول ان قدرة العبد
مؤثرة في صفة الفعل لا في أصله كما يقوله القاضي أبو بكر الباقلاني من
أئمة متكلمة الاشعرية ومن وافقه فانه أثبت تأثيرا بدون خلق الرب فلزم
أن يكون بعض الحوادث لم يخلقه الله وان جعل ذلك معلقا بخلق الرب
فلا فرق بين الاصل والصفة . قيل ومذهب الاشعري يقرب في هذه المسألة
من مذهب الجبرية الجهمية فانه يحكى عن الجهم بن صفوان وغلاة أتباعه
أنهم سلبوا العبد قدرته واختياره حتى قال بعضهم ان حركته حركة الاشجار
بالرياح كما تقدم . قال شيخ الاسلام ابن تيمية ان الجهم كان يقول لا أثر
لحركة العبد أصلا في فعله وكان يثبت مشيئة الله تعالى وينكر أن يكون له
حكمة ورحمة وينكر أن يكون للعبد فعل أو قدرة مؤثرة . قال وقد حكى
عنه انه كان يخرج الى الجذمي ويقول أرحم الراحمين يفعل هذا ؟ انكارا
لان يكون له تعالى رحمة يتصف بها سبحانه زعما منه أنه ليس الا مشيئة
محضة لا اختصاص لها بحكمة بل يرجح أحد المتماثلين بلا مرجح .

ومذهب سلف الامة وأئمتها وجمهور أهل السنة المثبتة للقدر من جميع
الطوائف يقولون ان العبد فاعل لفعله حقيقة وان له قدرة حقيقة واستطاعة
حقيقة ولا ينكرون تأثير الاسباب الطبيعية بل يقرون بما دل عليه الشرع
والعقل من أن الله تعالى يخلق السحاب بالرياح وينزل الماء بالسحاب وينبت
النبات بالماء ولا يقولون القوى والطبائع الموجودة في المخلوقات لا تأثير لها بل
يقرون بأن لها أثرا لفظا ومعنى لكن يقولون هذا التأثير هو تأثير الاسباب في

مسيباتها والله تعالى خالق السبب والمسبب ومع انه خالق السبب فلا بد للسبب من سبب آخر يشاركه ولا بد له من معارض يمانعه فلا يتم أثره الا مع خلق الله له بأن يخلق الله السبب الآخر ويزيل الموانع ، وقال شيخ الاسلام في موضع آخر : الاعمال والاقوال والطاعات والمعاصي هي من العبد بمعنى انها قائمة به وحاصلة بمشيئته وقدرته وهو المتصف بها والمتحرك بها الذي يعود حكمها عليه وهي من الله بمعنى انه خلقها قائمة بالعبد وجعلها عملا له وكسبا كما يخلق المسيبات بأسبابها فهي من الله مخلوقة له ومن العبد صفة قائمة به واقعة بقدرته وكسبه كما اذا قلنا هذه الثمرة من الشجرة وهذا الزرع من الارض بمعنى انه حدث منها - ومن الله بمعنى انه خلقه منها لم يكن بينهما تناقض . قال : فالحوادث تضاف الى خالقها باعتبار والى أسبابها باعتبار كما قال تعالى (هذا من عمل الشيطان) وقال (وما انسانيه الا الشيطان) مع قوله (كل من عند الله) وأخبر أن العباد يفعلون ويصنعون ويعملون ويؤمنون ويكفرون ويفسقون ويتقون ويصدقون ويكذبون . وقال في موضع آخر : ان أئمة أهل السنة يقولون ان الله خالق أفعال العباد كما ان الله خالق كل شيء وانه تعالى خالق الاشياء بالاسباب وانه تعالى خلق للعبد قدرة بها يكون فعله وان العبد فاعل لفعله حقيقة فقولهم في خلق فعل العبد ارادته وقدرته كقولهم في خلق سائر الحوادث بأسبابها وقد دلت الدلائل اليقينية على أن كل حادث فالله خالقه وفعل العبد من جملة الحوادث ، وكل ممكن يقبل الوجود والعدم فان شاء الله كان وان لم يشأ لم يكن ، وفعل العبد من جملة الممكنات . قال : وجمهور المسلمين وجمهور طوائفهم على هذا القول الوسط الذي ليس هو قول المعتزلة ولا قول جهنم بن صفوان وأتباعه الجبرية فمن قال ان شيئا من الحوادث أفعال الملائكة والجن والانس لم يخلقها الله تعالى فقد خالف الكتاب والسنة واجماع السلف والادلة العقلية ، ولهذا قال بعض السلف : من قال ان كلام الأدميين وأفعال العباد غير مخلوقة فهو بمنزلة من يقول ان سماء الله وأرضه غير مخلوقة . والحاصل ان مذهب السلف ومحققى أهل السنة ان الله تعالى خلق قدرة العبد و ارادته وفعله ، وان العبد فاعل لفعله حقيقة ومحدث لفعله والله

سبحانه جعله فاعلا له محدثا له قال تعالى (وما تشاءون الا أن يشاء الله)
فأثبت مشيئة العبد وأخبر انها لا تكون الا بمشيئة الله تعالى ، وهذا صريح
قول أهل السنة في اثبات مشيئة العبد وانها لا تكون الا بمشيئة الرب • قال
شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله روحه : وهذا قول جمهور أهل السنة
من جميع الطوائف وهو قول كثير من أصحاب الاشعري كآبي اسحاق
الاسفراينى وامام الحرمين وغيرهما فيقولون العبد فاعل لفعله حقيقة وله
قدرة واختيار وقدرته مؤثرة في مقدورها كما تؤثر القوى والطبائع والاسباب
كما دل على ذلك الشرع والعقل قال تعالى (فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من
كل الثمرات) وقال (فأحيا به الارض بعد موتها) وقال (يهدى به كثيرا)
وهذا كثير في الكتاب والسنة يخبر تعالى انه يحدث الحوادث بالاسباب ،
وكذلك دل الكتاب والسنة على اثبات القوى والطبائع للحيوان وغيره كما
قال تعالى (فاتقوا الله ما استطعتم) وقال (هو أشد منهم قوة) وقال فى
الجمادات (وأخرجت الارض أثقالها) وقال (اهتزت وربت وأنبتت من
كل زوج بهيج) وقال (تدمر كل شئ بأمر ربها) وقال (وأرسلنا الرياح
لواقح) (وان من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وان منها لما يشقق فيخرج
منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله) (وقيل يا أرض ابلعى ماءك
ويا سماء ألقى وغيض الماء وقضى الامر واستوت على الجودى) وقال تعالى
(كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه) وهذا فى القرآن
كثير جدا • وقال السعد التفتازانى فى شرح المقاصد بعد ما نقل الخلاف
ملخصا ما نصه : ثم المشهور فيما بين القوم المذكور فى كتبهم ان مذهب امام
الحرمين ان فعل العبد واقع بقدرته و ارادته ايجابا كما هو رأى الحكماء مع
قول الامام فى الارشاد : اتفق أئمة السلف قبل ظهور البدع والاهواء على
ان الخالق هو الله ولا خالق سواه ، وان الحوادث كلها حدثت بقدره الله
من غير فرق بين ما تعلق قدرة العبد به وبين ما لا يتعلق • قال العلامة
ابراهيم الكورانى فى شرح منظومة شيخه الشيخ محمد المقدسى القشاشى
ما نصه : مذهب الشيخ امام الحرمين الذى تفرد به فيما قيل عن الاصحاب
يعنى الاشعرية من أن أصل فعل العبد واقع منه بتأثير قدرته باذن الله قال

وهو المذكور في غير الارشاد وهو آخر قوله كما نقله عنه البقي فلا يقدر مخالفه ما في الارشاد وبقية كتبه التي وصلت الى التفازاني وغيره لما هو المنقول عنه في غير الارشاد وبقية كتبه في هذا الفن المرجوع عنها في هذه المسئلة . قال الكوراني : وهذا الكتاب الذي ذكر فيه آخر قوله هو كتابه المترجم بالنظامية فيما وقفت على كلامه منقولاً عنه بلفظه في كتاب (شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل) للعلامة شمس الدين ابن القيم في الباب السابع عشر منه ولفظه : اضطربت آراء اتباع الاشعري في الكسب اضطراباً عظيماً واختلفت عباراتهم فيه اختلافاً كثيراً وقد ذكر ذلك كله أبو القاسم سلمان بن ناصر الانصاري في شرح الارشاد ، ثم ساق عن تلميذ امام الحرمين شارح الارشاد هذا الانصاري كلاماً فيه ان امام الحرمين ذكر لنفسه مذهباً ذكره في الكتاب المترجم بالنظامية وانفرد به عن الاصحاب ، ثم قال صاحب كتاب شفاء العليل في آخر كلام شارح كتاب الارشاد المذكور : قلت الذي قاله الامام في النظامية أقرب الى الحق مما قاله الاشعري وابن الباقلاني ومن تابعهما ونحن نذكر كلامه بلفظه ، قال - يعنى امام الحرمين : قد تقرر عند كل حاظ بعقله مترق عن مراتب التقليد في قواعد التوحيد أن الرب سبحانه وتعالى مطالب عباده بأعمالهم وداعيهم اليها ومشيهم ومعاقبهم عليها ، وتبين بالنصوص التي لا تتعرض بالتأويلات انه أقدرهم على الوفاء بما طالبهم وممكنهم من التوصل الى امتثال الامر والانكفاف عن مواقع الزجر ، ولو ذهبت أتلو الآي المتضمنة لهذه المعاني لطل المرام ، ولا حاجة الى ذلك مع قطع اللبيب النصف به ، ومن نظر في كليات الشرائع وما فيها من الاستحاث والزواجر عن المعاصي الموبقات وما نيظ بعضها من الحدود والعقوبات ثم تلفت على الوعد والوعيد وما يجب عقده من تصديق المرسلين في الانبياء وقول الله لهم لم تعدتيم وعصيتم وأبيتيم وقد أرخيت لكم الطول وفسحت لكم المهل وأرسلت الرسل وأوضحت المحجة لئلا يكون للناس على الله حجة ، وأحاط بذلك كله ثم استراب في أن أفعال العباد واقعة على حسب ايتارهم واختيارهم واقدارهم فهو مصاب في عقله أو مستقر على تقليده

مذهب امام
الحرمين

مصمم على جهله ففى المصير الى أنه لا أثر لقدرة العبد فى فعله قطع طلبات الشرائع والتكذيب بما جاء به المرسلون ، فان زعم من لم يوفق لمنهج الرشاد انه لا أثر لقدرة العبد فى مقدوره أصلا واذا طوب بمتعلق طلب الله بفعل العبد تحريما وفرضا ذهب فى الجواب طولا وعرضا وقال : لله أن يفعل مايشاء ، ولا يتعرض المتعرضون (لا يسأل عما يفعل وهم يسألون) قيل له : ليس لما جئت به حاصل كلمة حق أريد بها باطل نعم يفعل الله مايشاء ويحكم ما يريد ولكن يتقدس عن الخلف ونقيض الصدق ، وقد فهمنا بضرورات المعقول من الشرع المنقول انه عزت قدرته طالب عباده بما أخبر انهم ممكنون من الوفاء به فلم يكلفهم الا مبلغ الطاقة والوسع فى موارد الشرع ، ومن زعم انه لا أثر للقدرة الحادثة فى مقدورها كما لا أثر للعلم فى معلومه فوجه مطالبة العبد بأفعاله عنده كوجه مطالته بأن يثبت فى نفسه ألوانا وادراكات وهذا خروج عن حد الاعتدال الى التزام الباطل والمحال ، وفيه ابطال الشرائع ورد ما جاء به النبيون عليهم الصلاة والسلام ، فاذا لزم المصير الى القول بأن العبد خالق أعماله فانه فيه الخروج عما درج عليه السلف الائمة واقتحام ورطات الضلال ولا سبيل الى الوقوع فى أن فعل العبد بقدرته الحادثة والقدرة القديمة فان الفعل الواحد يستحيل حدوثه بقادرين اذ الواحد لا ينقسم فان وقع بقدرة الله استقل بها ويسقط أثر القدرة الحادثة ويستحيل أن يقع بعضه بقدرة الله فان الفعل الواحد لا بعض له وهذه مهواة لا يسلم من غوائلها الا مرشد موفق اذ المرء بين أن يدعى الاستبداد وبين أن يخرج نفسه عن كونه مطالبا بالشرائع وفيه ابطال دعوة المرسلين ، وبين أن يثبت نفسه شريكا لله فى ايجاد الفعل الواحد وهذه الاقسام بجملتها باطلة ولا ينجى من هذا الملتطم ذكر اسم محض ولقب مجرد من غير تحصيل معنى وذلك أن قائلا لو قال ان العبد يكتسب وأثر قدرته الاكتساب والرب تعالى مخترع خالق لما العبد مكتسب له • قيل له فما الكسب ؟ وما معناه ؟ وأديرت الاقسام المذكورة على هذا القائل فلا يجد عنه مهربا • ثم قال -يعنى امام الحرمين- فنقول : قدرة العبد مخلوقة لله تعالى باتفاق القائلين بالصانع والفعل المقدور

بالقدرة الحادثة واقع بها قطعا لكنه يضاف الى الله سبحانه تقديرا وخلقاً فانه وقع بفعل الله وهو القدرة وليست القدرة فعلا للعبد وانما هي صفة له وهي ملك له تعالى وخلق له فاذا كان موقع الفعل خلقا لله فالواقع به مضاف خلقا الى الله تعالى وتقديرا وقد ملك الله العبد اختيارا يصرف به القدرة فاذا أوقع بالقدرة شيئا آل الواقع الى حكم الله من حيث أنه وقع بفعل الله • ولو اهدت الى هذا الفرقة الضالة لم يكن بيننا وبينهم خلاف ولكنهم أدعوا استبدادا بالاختراع وانفرادا بالخلق والابتداع فضلوا وأضلوا (قال) ونبين تميزنا عنهم بتفريع المذهبين فانا لما أضفنا فعل العبد الى تقدير الاله فلنا أحدث الله القدرة في العبد على أقدار أحاط بها علمه وهيا أسباب الفعل وسلب العبد العلم بالتفاصيل وأراد من العبد أن يفعل فأحدث فيه دواعي مستحسنة وخيرة وارادة وعلم أن الافعال ستقع على قدر معلوم بالقدرة التي اخترعها للعبد على ما علم وأراد فاختيارهم واتصافهم بالأقدار والقدرة خلق الله ابتداء ومقدورها مضاف اليه مشيئة وعلماء وقضاء وخلقاً وفعلا من حيث انه نتيجة ما انفرد بخلقه وهو القدرة ولو لم يرد وقوع مقدورها لما أقدره عليه ولما هيا أسباب وقوعه ومن هدى لهذا استمر له الحق المبين فالعبد فاعل مختار مطالب مأمور منهي وفعله تقدير لله مراد له خلق مقضى (قال) ونحن نضرب في ذلك مثلا شرعيا يستروح اليه الناظر في ذلك فقول : العبد لا يملك أن يتصرف في مال سيده ولو استبد بالتصرف فيه لم ينفذ تصرفه فان أذن له في بيع ماله فباعه نفذ والبيع في التحقيق معزو الى السيد من حيث أن سيبه اذنه ولولا اذنه لم ينفذ التصرف ولكن العبد يؤمر بالتصرف وينهى ويوبخ على المخالفة ويعاقب فهذا والله الحق الذي لا غطاء دونه ولا مرأء فيه لمن رعاه حق رعايته(وأما الفرقة الضالة) فانهم اعتقدوا انفراد العبد بالخلق ثم صاروا اذ أنه (١)عصى فقد انفرد بخلقه فعله والرب كاره • فكان العبد على هذا الرأي الفاسد مزاحما لربه في التدبير موقعا ما أراد ايقاعه شاء الرب أو كره ؟ الى هنا كلام امام الحرمين في النظامية بلفظه فيما نقله عنه كذلك الامام المحقق

ابن القيم فى شفاء العليل ونقله العلامة ابراهيم الكورانى الأشعرى فى شرح منظومة شيخه القشاشى • ولا يخفى على من نظر فى كلامه تصريحه فى غير موضع بأن العبد له تأثير فى فعله بالاختيار ومراده ان العبد ليس مستقلا فى ايقاع أفعاله بمجرد مشيئته وان لم توافق مشيئة الحق بل انما تؤثر قدرته اذا شاء الله ذلك ومكنه منه وهو المعبر عنه بالاذن • قال الكورانى : اختار هذا شيخنا وألف فيه سابقا رسالة سماها الانتصار لامام الحرمين فيما شنع فيه عليه بعض النظار • ثم اختصرها وزاد فيها نقولا وقف عليها فيما بعد وسماه اختصار الانتصار • ثم وقفنا على كتاب شفاء العليل لابن القيم المقول فيه كلام امام الحرمين فى النظامية فأعجبه ذلك وأمر بالحاقه بأخر اختصار الانتصار ليعلم الواقف عليه أن النقل عنه بالتأثير بالاذن صحيح خلافا لمن أنكر ثبوته عنه من المتأخرين • قال الكورانى : وقال شيخنا فى شرح المواهب اللدنية على قوله تعالى (ومارميت اذ رميت ولكن الله رمى) من غزوة بدر واعتقاد جماعة أن المراد بالآية سلب فعل النبى صلى الله عليه وسلم عنه واضافته الى الله وجعلهم ذلك أصلا فى الجبر وابطال نسبة الافعال الى العباد - فبسط الكلام فى اثبات الكسب على طريقة امام الحرمين وتأييده بدلائل الكتاب والسنة الى أن نقل عنه كلامه المذكور فى النظامية ثم قال وفى شفاء العليل قال الأشعرى رحمه الله وابن الباقلانى بالتدرة الحادثة هو كون الفعل كسبا دون كونه موجودا أو محدثا فكونه كسبا وصف للوجود بمثابة كونه معلوما - انتهى - وفهموا من ذلك أن لا تأثير لقدرة العبد - يعنى عند الأشعرى - فى مقدوره كما لا تأثير للعلم فى معلومه فقالوا فى قدرة العبد انها مصاحبة غير مؤثرة قصدا الى التوسط • قال وتفسير كلام الأشعرى بهذا ميل عن التوسط الذى هو الحق وانما التوسط المحصل للكسب النافى لطرفى الإفراط والتفريط من الاستقلال والجبر هو القول بأن لقدرة العبد تأثيرا (فى مقدوره - ١) ولكن باذن الله لاعلى الاستقلال فاللائق أن يفسر كلام الأشعرى بما يتنزل على هذا التوسط ، وكلامه قابل للتأويل لانه ليس

نصا في عدم التأثير فان أوله يدل على أن الكسب واقع بالقدرة الحادثة والوقوع فرع التأثير ، نعم آخِر كلامه يعطى أن لا تأثير لها حيث شبهه بتعلق العلم بالمعلوم ، على أن الأشعري نص في عامة كتبه على ما يدل على التأثير على ما نقله عنه صاحب شفاء العليل ، ثم حط القشاشي كلامه على أن الكسب عند الأشعري تحصيل العبد بقدرته المؤثرة باذن الله ما تعلقت به مشيئته الموافقة لمشيئة الله وتقرير كلامه على هذا الوجه موافق لما قال امام الحرمين من التوسط الذي يتحصل به مؤدى الامر والنهى من المكلف بلا تكلف . قال الكوراني : ثم رأيت من نصوص الشيخ الأشعري رحمه الله في كتابه الابانة الذي هو آخر تصانيفه كما ذكره الامام شيخ الاسلام ابن تيمية وهو أى كتاب الابانة المعول عليه في المعتقد من بين كتبه كما دل عليه كلام الحافظ ابن عساكر ما يدل على أنه أى الأشعري انما نفى الاستقلال لا أصل للتأثير باذن الله وتمكينه . وحيثذ يكون امام الحرمين موافقا للأشعري في التحقيق المعتمد عنده في الابانة . ثم قال الكوراني : وهذا قول أبي اسحاق الاسفراينى قال وهو الموافق لظاهر الكتاب والسنة قال وقول أبي اسحاق الاسفراينى وامام الحرمين هو الذى اختاره حجة الاسلام الغزالي فانه قال فى كتاب الشكر من الاحياء : ولا قادر الا الملك الجبار . وقال فى جواهر القرآن فى باب المحبة : لا قدر ولا قدرة ولا علم الا للواحد الحق وانما لغيره القدرة التى أعطاه الخ . وقال فى الاحياء : وما هو قادر عليه - يعنى الانسان - من نفسه أو غيره فليست قدرته من نفسه وبنفسه بل الله خالقه ومخالق قدرته وأسبابه والممكن له من ذلك ولو سلط بعوضة على أعظم ملك وأقوى شخص من الحيوانات لأهلكه فليس للعبد قدرة الا بتمكين مولاه . قال الكوراني فهو قائل ان للعبد قدرة مؤثرة بتمكين الله لا مستقلا ، وهذا التمكين هو المعبر عنه بالاذن فى قوله تعالى (وماهم بضارين به من أحد الا باذن الله) انتهى ملخصا . وانما ذكرت لك أقاويل هؤلاء مع أن عمدة المعتقد عندنا الغير المنتقد فى عقيدتنا مذهب السلف المقرر على الوجه المرضى المحرر لتعلم أن محققى الاشاعرة لهم موافقة على حقيقة مذهب السلف والاعضاء عما ينمقه الخلف وبالله التوفيق

ثم اشار في النظم الى مسألة عظيمة مبنية على أن أفعال الباري لا تحلل
فقال :

((وجاز للمولى يعذب الورى من غير ما ذنب ولا جرم جرى (١)))
((فلل ما منه تعالى يجمل لانه عن فعله لا يسئل))

الله تعالى تعذيب
جميع خلقه -
والكلام في ذلك

(١) فى تعليق على مخ كأنه من كلام الشيخ عبد الله بابطين رحمه الله
ما لفظه : « قول الناظم : وجاز للمولى تعذيب الورى من غير ما ذنب ولا
جرم جرى . اذ كل ما منه يجمل لو ترك ذلك لكان أولى لأن ذلك مخالفاً عليه
محرمو اهل السنه ولما دلت عليه ظواهر الكتاب والسنة موافق لما عليه
الاشعرية من أن لله سبحانه أن يعذب المطيع ويشيب العاصي وان ذلك
بانسبته اليه سواء قال شيخ الاسلام ابو العباس ابن تيمية رحمه الله
لما انجر كلامه على حديث أبى ذر عن النبى صلى الله عليه وسلم فيما
بروى عن ربه تبارك وتعالى انى حرمت الظلم على نفسى : أما قوله انى
حرمت الظلم على نفسى فقيه مسئلتان كبيرتان كل منهما ذات شعب وفروع
احدهما فى الظلم الذى حرمه الله على نفسه ونفاه عن نفسه بقوله : (وما
ظننهم) وقوله : (ولا يظلم ربك أحدا) وقوله : (وما أنا بظلام للعبيد)
وقوله : (ان الله لا يظلم مثقال ذرة) وقوله : (ولا يظلمون فتىلا) ونفى
ارادته بقوله : (وما الله يريد ظلما للعباد) وقوله : (وما الله يريد ظلما
للعالمين) ونفى خوف العباد له بقوله : (ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن
فلا يخاف ظلما ولا هضما) فان الناس تنازعوا فى معنى هذا الظلم تنازعا
صاروا فيه بين طرفين متباعدين ووسط بينهما وخير الامور اوسطها فذهب
المكذبون بالقائلون ان الله لم يخلق أفعال العباد ولم يرد أن يكون
الا ما أمر بأن يكون من المعتزلة وغيرهم الى ان الظلم منه تعالى هو نظير
الظلم من الآدميين بعضهم لبعض وشبهه ومثله فى الافعال بأفعال عباده
حتى كانوا هم ممثلة الافعال وضربوا له الامثال فأوجبوا عليه وحرموا ما
رأوا أنه يجب على العباد ويحرم بقياسه على العباد وقالوا عن هذا اذا أمر
العبد ولم يعنه بجميع ما يقدر عليه من وجوه الاعانة كان ظلما له فالتزموا
أنه لا يقدر أن يهدى ضالا كما قالوا انه لا يقدر ان يضل مهتديا - الى أن
قال : وهذا الموضوع زلت فيه أقدام وضلت فيه افهام فعارض هؤلاء آخرون
من أهل الكلام المثبتين للقدر وقالوا ليس الظلم منه حقيقة يمكن وجودها
بل هو من الامور الممتنعة لذاتها فلا يجوز أن يكون مقدورا ولا أن يقال انه
تارك له باختياره ومشيتته وانما هو من باب الجمع بين الضدين وجعل
الحسم الواحد فى مكانين وقلب القديم محدثا والمحدث قديما والا فمهما
قدر فى الذهن وكان وجوده ممكنا والله قادر عليه فليس بظلم سواء فعله
أو لم يفعله . فتلقى هذا القول عن هؤلاء من أهل الاثبات من الفقهاء وأهل
الحديث من أصحاب مالك والشافعي وأحمد وغيرهم ومن شراح الحديث ،
وقسروا الحديث بما يبنى على هذا القول - الى أن قال : وبالجملة فقوله
تعالى : (ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما)
قال أهل التفسير من السلف لا يخاف أن يظلم فيحتمل عليه سيئات غيره

((فان يشب فانه من فضله وان يعذب فبمحض عدله))
((فلم يجب عليه فعل الاصلح ولا الصلاح ويح من لم يفلح))
((فكل من شاء هداه يهتدى وأن يرد ضلال عبد يعقد))

ولا يهضم فينقص من حسناته ولا يجوز أن يكون هذا لا يظلم شيئا ممتنعا غير مقدور عليه فيكون التقدير لا يخاف ما هو ممتنع لذاته خارج عن الممكنات والمقدورات فان هذا اذا لم يكن وجوده ممكنا حتى يقولوا انه غير مقدور عليه ولو اراده كخلق المثل فكيف يعقل وجوده فضلا عن أن يتصور خوفه حتى ينفي خوفه ، ثم أى فائدة في نفي خوف هذا ؟ وقد علم من سياق الكلام ان المقصود بيان ان هذا العامل المحسن يجزى على حسناته بلا ظلم ولا هضم فعلم أن الظلم المنفي يتعلق بالجزاء كما ذكره أهمل التفسير - الى أن قال : فهذه النصوص النافية للظلم تثبت العدل في الجزاء وانه لا يبخس عمله ، وكذلك قوله فيمن عاقبهم : (وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم) وقوله : (وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين) بين أن عقاب المجرمين كان عدلا لذنبهم لا لانا ظلمناهم فعاقبناهم بغير ذنب ، وهذا يبين أن من الظلم عقوبة من لم يذنب ، والحديث الذي في السنن : لو عذب الله أهل سمواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم ، ولو رحمهم لكانت رحمته لهم خيرا لهم من أعمالهم ، يبين ان التعذيب لو وقع لكان لاستحقاقهم ذلك لا لكونه بغير ذنب وكذلك قوله تعالى : (وما الله يريد ظلما للعباد) يبين أن هذا العقاب لم يكن ظلما لاستحقاقهم ذلك وان الله لا يريد الظلم ، والامر الذي لا تمكن القدرة عليه لا يصلح أن يمدح المدوح بعدم ارادته وانما يكون المدح بترك الافعال اذا كان الممدوح قادرا عليها فعلم ان الله قادر على ما نزه نفسه عنه من الظلم وانه لا يفعله وبذلك يصح قوله : « اني حرمت الظلم على نفسي » فان التحريم هو المنع ، وهذا لا يجوز أن يكون فيما هو ممتنع لذاته فلا يقال حرمت المحالات وأكثر ما يقال في تأويل ذلك ما يكون معناه اني أخبرت عن نفسي بأن ما لا يكون مقدورا لا يكون مني وهذا المعنى مما يتيقن المؤمن انه ليس مراد الرب وانه يجب تنزيه الله ورسوله عن ارادة مثل هذا المعنى الذي لا يليق الخطاب بمثله اذ هو مع كونه شبه التكرير وايضاح الواضح ليس فيه مدح ولا ثناء ولا ما يستفيدة المستمع فعلم ان الذي حرمه على نفسه أمر مقدور عليه لكنه لا يفعله لانه حرمه على نفسه وهو سبحانه منزه عن فعله مقدس عنه . انتهى ملخصا . وذكر ابن القيم رحمه الله نحو كلام شيخه الى أن قال : فعلم انه سبحانه منزه عن فعل السوء مقدس عنه كما انه مقدس عن وصف السوء والوصف المغيب المنهوم وذلك كقوله سبحانه : (أفحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون) فانه سبحانه نزه نفسه عن خلق الخلق عبثا وأنكر على من حسب ذلك وهذا فعل ، وقوله : (أفنجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون) وقوله : (أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض أم نجعل المتقين كالفجار) وهذا انكار منه سبحانه على من جوز عليه ان يسوى بين هذا أو هذا ، وكذلك قوله : (أم حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين

((وجاز للمولى)) جل وعلا قال في النهاية المولى اسم يقع على جماعة كثيرة فهو الرب والمالك والسيد والمنعم والمعتق والناصر والمحب والتابع

آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساءما يحكمون) انكار منه سبحانه على من حسب أن يفعل هذا وأخبار بأن هذا الحكم سييء قبيح وهو مما ينزه الرب عنه ، والحديث الذي روى في السنن : لو أن الله عذب أهل سمواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم . فهذا يدل على قدر نعم الله على عباده وعدم قيامهم بحقوق نعمه عليهم اما عجزا واما جهلا واما تفریطا واما تقصيرا في المقدور من الشكر ولو من بعض الوجوه فلو وضع سبحانه عدله على أهل سمواته وأهل أرضه لعذبهم بعدله ولم يكن ظالما لهم فلا يسع الخلاق الا رحمته وعفوه ولا يبلغ عمل أحدهم ان ينجو به من النار أو يدخل به الجنة كما قال أطوع الناس لربه وأعظمهم عملا وأشدهم تعظيما لربه واجلالا له : « لن ينجى أحدا منكم عمله » قالوا ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : « ولا أنا ، الا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل » فان لم يتسع ذهنك لهذا فانظر الى وطأة النعم وما عليها من الحقوق ووازن بين شكرها وكفرها فحينئذ تعلم ان الله سبحانه لو عذب أهل سمواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم » .

وفي تعليق آخر : « قوله وجاز للمولى الخ هذا القول مبني على نفى الحكمة في أفعال الله وشرعه ولسنا بصدد التعرض لرد هذا القول لظهور فساده عقلا وشرعا وفطرة وقد تكاثرت النصوص وتنوعت في ابطاله ولله الحمد ولكننا نشير اشارة موجزة الى رد هذا الفرع الذي تفرع منه وهو القول بجواز تعذيب الخلق بلا ذنب فنقول وبالله الثقة استدل ارباب هذا القول بقوله تعالى : (لا يسأل عما يفعل وهم يسألون) ويقوله صلى الله عليه وسلم : ان الله لو عذب أهل سمواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم . والجواب عن الآية انها سيقت في بيان الرد على من اتخذ مع الله شريكا وانهم كيف يتخذون آلهة مربوبة مسئولة مع الباري الرب الفعال لما يريد الذي لا يسأل عن فعله لان له التصرف المطلق فوق كل تصرف ولا أحد يعترض عليه أو يناقشه فالآية فيها ذكر ما يفعله وانه لا يسأل عنه ونحن نقول ان الله لا يفعل تعذيب أحد بلا ذنب لا عجزا منه جل وعلا بل عدلا وحكمة ورحمة كما شهدت بذلك نصوص الكتاب والسنة الدالة على كرامة الطائعين وهو وعد صادق كريم قادر غني . وأما الحديث فلا دليل فيه لما قاله رحمه الله أيضا فان للحديث معنيين لا يحتمل سواهما ، الاول ان الله لو عذب أهل سمواته وأرضه لم يكن ذلك منه على وجه الظلم أبدا وانما يكون ذلك حيث استحقوا التعذيب فعملوا أسباب العذاب وحينئذ يكون تعذيبهم غير ظلم فيكون مطابقا للدالة الدالة على أن الله لا يعذب من يعذب الا بالذنب وليس على الله بواجب أن يمنع أحدا من تعاطي أسباب العذاب فانما ذلك تفضل منه من اقتضت حكمته أن يهديه من عليه تفضلا بالهداية ومن لم يقدر له الهداية فليس الله بظالم له فان الهداية فضله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم . وأما المعنى الثاني فهو ان أعمالهم الصالحة لا تفي بانقاذهم من العذاب فان من نوقش

والجبار وابن العم والحليف والعقيد والصره والعبد والمعقق والمنعم عليه وأكثرها قد جاءت في الحديث فيضاف كل واحد الى ما يقتضيه الحديث الوارد فيه والمراد به ها رب العالمين وانما اختير هنا المولى دون غيره من

الحساب عذب وفي الحديث لن يدخل أحد الجنة بعمله قالوا ولا أنت يا رسول الله . قال : ولا أنا الا أن يتغمدني الله برحمته ، ولذلك كان في آخر الحديث المشار اليه ولو رحمهم لكاتب رحمته خيرا لهم من أعمالهم فان أعمالهم اذا قوبلت بالنعم تلاشت وذهبت بل هي في الحقيقة نعم تحتاج الى شكر كما قيل :

اذا كان شكرى نعمة الله نعمة على له في مثلها يجب الشكر فكيف بلوغ الشكر الا بفضل ، وان طالت الايام واتصل العمر . لا يحتل الحديث على وجه يصح ويطلق النصوص الاخرى الا هذين المعنيين وأما ما يحتمله من سواهما فتبطله النصوص المتوافرة على أن الله لا يظلم من عمل صالحا بنقص شيء من حسناته كقوله تعالى : « من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها » ثم قال : « وما ربك بظلام للعبيد » . ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما « أى لا يخاف أن يظلم فيحمل عليه من سيئا غيره ولا يهضم فينقص مما عمله وأمثال ذلك من الآيات كثيرة ولو لم يكن من ذلك الا وعد الله الذى لا يخلف لمن عمل صالحا أن يوفيه أجره كاملا ومن أصدق من الله قيلا ، ومن المستحيل أيضا على حكمة أحكم الحاكمين ورحمة أرحم الراحمين أن يجعل من كان دائما في مرضاته مسارعا في طاعته لا يجد سبيلا يوصل اليه الا سلكه ولا بابا يدخل اليه منه الا ولجه لا يليق بحكمة الله ورحمته أن يجعله كمن هجر طاعته ودأب في معصيته يسارع فيها مسارعة الماء الى منحدره ويلازمها ملازمة الظل للجسم كل واحد منهما في النار خالدا فيها مخلدا هذا لا يليق أبدا وأدلة القرآن الصريحة تبطله قال تعالى : « أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستتورون أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى نزلا بما كانوا يعملون وأما الذين فسقوا فمأواهم النار » الآية . وقال جل ذكره : « أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساءما كانوا يحكمون » . « أفجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون » الى غير ذلك من النصوص الدالة على أن الله تعالى لم يسو ولن يسوى بين أوليائه وأعدائه أبدا ، ولا شك أن القول بجواز تعذيب من لم يذنب يلزم عليه من اللوازم الباطلة ما ينزه الله عنه كما هو ظاهر معلوم ، ولعل أصحاب هذا القول يرون أن تعذيب من لم يذنب جائز عقلا وان كان ممتنعا سمعا فان الله قد أخبر في آيات كثيرة بعدم تعذيب الطائعين بل بانابتهم والله أعلم » . وفي تنبيه ابن سحمان ص ٦٣ فى الكلام على هذا الموضع : « اعلم وفقك ان الله أن هذا الكلام الذى قاله الناظم ، والشارح يخالف ما قاله المحققون من أهل العلم ، بل هو من كلام أهل البدع الذين قابلوا باطلا بباطل المخالفين لائمة السلف رضوان الله تعالى عليهم . قال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه بعد كلام له سبق : وهذه النصوص النافية للظلم تثبت العدل فى الجزاء وانه لا يبغض عاملا عمله ، وكذلك قوله فيمن

سائر الاسماء لمناسبة المقام ((يعذب الورى)) كفتى الخلق والمراد به هنا ذوو العقول (أو) الحيوان من كل جسم نام متحرك بالارادة أو على عمومه و ارادة الاول اولى بدليل قوله ((من غير ما)) زائدة لمزيد تأكيد النفي

عاقبهم : « وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم فما أغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء » وقوله : « وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين » . بين ان عقاب المجرمين عدل لذنوبهم لا لانا ظلمناهم فعاقبناهم بغير ذنب والحديث الذى فى السنن : « لو عذب الله أهل سمواته وأرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم ، ولو رحمهم لكانت رحمته لهم خيرا من أعمالهم » يبين أن العذاب لو وقع لكان لاستحقاقهم ذلك لا لكونه بغير ذنب وهذا يبين ان من الظلم المنفى عقوبة من لم يذنب وكذلك قوله : « وقال الذى آمن يا قوم انى أخاف عليكم مثل يوم الاحزاب مثل داب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم وما الله يريد ظلما للعباد » يبين أن هذا العقاب لم يكن ظلما بل لاستحقاقهم ذلك وان الله لا يريد الظلم . والامر الذى لا يمكن القدرة عليه لا يصلح أن يمدح الممدوح بعدم ازادته ، وانما يكون المدح بترك الافعال اذا كان الممدوح قادرا عليها فعلم أن الله قادر على ما نزه نفسه عنه من الظلم وأنه لا يفعله وبذلك يصح قوله : « انى حرمت الظلم على نفسى » وان التحريم هو المنع . وهذا لا يجوز أن يكون فيما هو ممتنع لذاته فلا يصلح أن يقال حرمت على نفسى أو منعت نفسى من خلق مثلى أو جعل المخلوقات خالقة ونحو ذلك من المحالات وأكثر ما يقال فى تأويل ذلك ما يكون معناه انى أخبرت عن نفسى بأن ما لا يكون مقدورا لا يكون منى ، وهذا المعنى مما يتيقن المؤمن انه ليس مراد الرب وانه يجب تنزيه الله ورسوله عن ارادة مثل هذا المعنى الذى لا يليق الخطاب بمثله اذ هو مع كونه شبه التكرير وايضاح الواضح ليس فيه مدح ولا ثناء ولا ما يستفيد المستمع فعلم ان الذى حرمه على نفسه هو أمر مقدور عليه لكنه لا يفعله لانه حرمه على نفسه وهو سبحانه منزه عن فعله مقدس عنه ويبين أن ما قاله الناس فى حدود الظلم يتناول هذا دون ذلك كقول بعضهم : الظلم وضع الشيء فى غير موضعه . كقولهم : من أشبه أباه فما ظلم ، أى فما وضع الشبه غير موضعه . ومعلوم أن الله سبحانه حكم عدل لا يضع الاشياء الا مواضعها ، ووضعها غير مواضعها ليس ممتنعا لذاته بل هو ممكن لكنه لا يفعله لانه لا يريد بل يكرهه ويبغضه اذ قد حرمه على نفسه .

وكذلك من قال : الظلم اضرار غير مستحق ، فان الله لا يعاقب أحدا بغير حق . وكذلك من قال : هو نقص الحق ، وذكر أن أصله النقص كقوله : « كلنا الجنيتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئا » واما من قال : هو التصرف فى ملك الغير ، فهذا ليس بمطرد ولا منعكس فقد يتصرف الانسان فى ملك غيره بحق ولا يكون ظلما ، وقد يتصرف فى ملكه بغير حق فيكون ظلما . وظلم العبد نفسه كثير فى القرآن . وكذلك من قال : فعل المأمور خلاف ما أمر به ونحو ذلك . أتسلم صحة مثل هذا الكلام ؟ فالله سبحانه قد كتب على نفسه الرحمة وحرم على نفسه الظلم فهو لا يفعل

أى من غير ((ذنب)) أى اثم ((ولاجرم)) وهو بمعنى ما قبله قال فى النهاية الجرم الذنب وقد جرم واجترم وتجرم انتهى • وفى القاموس الجرم بالضم الذنب كالجريمة والجمع اجرام وجروم وانما حسن عطفه عليه

خلاف ما كتب ولا يفعل ما حرم • وليس هذا الجواب موضع بسط هذه الامور التى نهبنا عليها فيه ، وانما نشير الى النكت • وبهذا يتبين القول المتوسط وهو : ان الظلم الذى حرمه الله على نفسه مثل أن يترك حسنات المحسن فلا يجزيه بها ويعاقب البرىء على ما لم يفعل من السيئات ويعاقب هذا بذنب غيره ، أو يحكم بين الناس بغير القسط ونحو ذلك من الافعال التى ينزه الرب عنها لقسطه وعدله وهو قادر عليها ، وانما استحق الحمد والثناء لانه ترك هذا الظلم وهو قادر عليه • وكما أن الله منزه عن صفات النقص والعيب فهو أيضا منزه عن أفعال النقص والعيب ، وعلى قول الفريق الثانى ما ثم فعل يجب تنزيه الله عنه أصلا ، والكتاب والسنة واجماع سلف الامه وأئمتها يدل على خلاف ذلك - الى آخر كلامه رحمه الله تعالى فمن أراد لوقوف عليه فهو فى الجلد الاول من الفتاوى فى صفحة اثنتين وأربعين وثلاث مئة • اذا تحققت هذا وتبين لك من شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه أن الله سبحانه وتعالى لا يعذب أحدا من عباده بغير ذنب لانه نزه نفسه عن ذلك فلا يريد بل يكرهه ويبغضه لانه حرمه على نفسه وان كان قادرا عليه فتبين بهذا خطأ الناظم والشارح حيث توهما أن ذلك جائز بغير ذنب ولا جرم استحق به العقاب والعذاب فان هذا هو حقيقة قول الفريق الثانى الذين قابلوا باطلا بباطل حيث قالوا ما ثم فعل يجب تنزيه الله عنه أصلا •

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى فى شفاء العليل فى مناظرة جرت بين سنى وجبرى ، قال السنى فى جواب الجبرى ، وصرحت بأنه يجوز عليه أن يعذب أشد العذاب من لم يعصه طرفه عين فان حكمته ورحمته لا تمنع ذلك بل هو جائز عليه ولولا خبره عن نفسه بأنه لا يفعل ذلك لم تنزهه عنه ، وقلت ان تكليفه عباده بما كلفهم به بمنزلة تكليف الاعمى للكتابة والزمن للطيران ، فيغضب الرب الى من دعوته الى هذا الاعتقاد ونفرته عنه وزعمت أنك تقرر بذلك توحيدهم وقد قلعت شجرة التوحيد من أصلها • وأما منافاة الجبر للشرائع فأمر ظاهر لا خفاء به فان مبنى الشرائع على الامر والنهى أمر الامر لغيره بفعل نفسه لا بفعل المأمور ونهيه عن فعله لا فعل المنهى عبث ظاهر فان متعلق الامر والنهى فعل العبد وطاعته ومعصيته فمن لا فعل له كيف يتصور أن يوقعه بطاعته أو معصيته واذا ارتفعت حقيقة الطاعة والمعصية ارتفعت حقيقة الثواب والعقاب وكان ما يفعله الله بعباده يوم القيمة من النعيم والعذاب أحكاما جارية عليهم لمحض المشيئة والقدرة لا انها بأسباب طاعتهم ومعاصيهم • بل ها هنا أمر آخر وهو ان الجبر مناف للخلق كما هو مناف للامر فان الله سبحانه له الخلق والامر وما قامت السموات الا بعدله فالخلق قام بعدله وبعدله ظهر كما أن الامر بعدله وبعدله وجد ، فالعدل سبب وجود الخلق والامر وغايته فهو

فى هذا المحل لقصد البيان والايضاح والتعريف لشبهه بالخطابة ((جرى)) من العبد ولا صدر عنه ولا تمادى عليه فيجوز عليه تعالى عقلا أن يشب العاصى وأن يعاقب الطائع لولا ما أخبر به من ائابة المطيع فلا يجب عليه واحد من الامرين ((فكل ما)) أى شىء ((منه تعالى)) من ائابة وعقوبة وخلق خير وشر ((يجمل)) أى يحسن قال فى القاموس : الجمال الحسن فى الخلق والحلق يقال جمل ككرم فهو جميل كامير وغراب علية الفاعلية الغائبة والجبر لا يجامع العدل ولا يجامع الشرع والتوحيد انتهى .

والمقصود من هذا انه نفى تجويز عذاب الله عباده على ما لم يفعلوه من الذنوب والجرائم وقد نزه الله نفسه عن ذلك لانه لا يريد به بل يكـرـهه ويغضه والله سبحانه وتعالى أعلم .

وقال أيضا رحمه الله فى عدة الصابرين على قوله سبحانه : « ما يفعل الله بعذابكم أن شكرتم وآمنتم وكان الله شاكرا عليما » كيف تجد فى ضمن هذا الخطاب ان شكره تعالى يأبى تعذيب عباده سدى بغير جرم كما يأبى اضاعة سعيهم باطلا فالشكور لا يضيع أجر محسن ولا يعذب غير مسيء وفى هذا رد لقول من زعم انه يكلف عبده ما لا يطيقه ثم يعذبه على ما لا يدخل تحت قدرته ، تعالى الله عن هذا الظن الكاذب والحسبان الباطل علوا كبيرا فشكره سبحانه اقتضى أن لا يعذب المؤمن الشكور ولا يضيع عمله وذلك من لوازم هذه الصفة فهو منزه عن خلاف ذلك كما تنزه عن سائر العيوب والنقائص التى تنافى كماله وغناه وحمده . انتهى .

وأما قول الشارح واستدل بقوله تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام : « ان تعذبهم فانهم عبادك » فأقول هذه الآية لا تدل على ما توهمه الشارح من أنه جائز لله أن يعذب عباده من غير ما ذنب ولا جرم استحقوا به بل الآية تدل على خلافه كما تقدم بيانه مبينا مفصلا .

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى فى مدارج السالكين على هذه الآية فى صفحة مائتين واحدى عشر : وهذا من أبلغ الأدب مع الله فى مثل هذا المقام أى شأن السيد رحمة عبده والاحسان اليهم وهؤلاء عبيدك ليسوا عبيدا لغرك فاذا عذبتهم مع كونهم عبيدك فلولا انهم عبيد سوء من أنجس العبيد وأعتاهم على سيدهم وأعصاهم له لم يعذبهم لان قربة العبودية تستلعى احسان السيد الى عبده ورحمته له فلماذا يعذب أرحم الراحمين وأجود الاجودين وأعظم المحسنين احسانا عبده لولا فرط عتوهم واثامهم عن طاعته وكمال استحقاقهم للعذاب . وقد تقدم قوله : « انك أنت علام الغيوب » أى هم عبادك وأنت أعلم بسرهم وعلانيتهم فاذا عذبتهم عذبتهم على علم منك بما تعذبهم عليه فهم عبادك وأنت أعلم بما جنوه واكتسبوه ، فليس فى هذا استعطاف لهم كما يظنه الجهال ولا تفويض الى محض المشيئة والملك المجرد عن الحكمة كما تظنه القدرية وانما هو اقرار واعتراف وثناء عليه بحكمته وعدله وكمال علمه بحالهم واستحقاقهم للعذاب - الى آخر كلامه رحمه الله تعالى .

ورمان • وفى النهاية الجمال يقع على الصور والمعاني ومنه ان الله تعالى جميل يحب الجمال أى حسن الافعال كامل الاوصاف فكل ما يصدر عن البارى جل شأنه من الامر والخلق بالنسبة اليه حسن جميل حتى اثابة العاصى وعقوبة المطيع ((لأنه)) تعالى ((عن فعله)) الذى يصدر عنه ((لايسئل)) كما قال تعالى ((لايسئل عما يفعل وهم يسئلون)) ((فان يشب)) عباده المطيعين وخلقهم المتقين والثواب الجزاء ومنه حديث ابن التيهان «اشيوا أخاكم» أى جازوه على صنيعه يقال اثابه يشبه اثابة والاسم الثواب ويكون فى الخير والشر الا أنه فى الخير أخص وأكثر استعمالا وهو المراد هنا ((فانه)) أى اثابه بالخير والجزاء الحسن ((من فضله)) تعالى الزائد وكرمه الجزيل لان اتقى الناس واعبدهم لا تعادل عبادته وتقواه نعمه ايجاده من العدم الى الوجود فضلا عن سائر نعمه تعالى على عبده من البصر والسمع وغيرهما ، والفضل العطاء عن اختيار لا عن ايجاب كما تزعمه الحكماء ولا عن وجوب كما تقوله المعتزلة ((وأن يعذب)) عباده ولو المطيعين منهم ((فمحص)) أى خالص ((عدله)) تعالى والمحض بالحاء المهملة والضاد المعجمة فى اللغة اللبن الخالص غير مشوب بشيء ومنه الحديث «بارك لهم فى محضها ومخضها» أى الخالص والمخوض - يعنى انه لو عذبهم لعذبهم بعدله الخالص من شائبة الظلم لانه تعالى تصرف فى ملكه والعدل وضع الشيء فى محله من غير اعتراض على الفاعل عكس الظلم الذى هو وضع الشيء فى غير محله مع الاعتراض على الفاعل فطاعات العبد وان كثرت لا تقى بشكر بعض ما أنعم الله به عليه ولا بنعمة الاقدار على الطاعة والتوفيق لها فكيف يتصور استحقاقه عوضا عليها واستدل لهذا بقوله (ان تعذبهم فانهم عبادك) يعنى لم تصرف فى غير ملكك بل ان عذبت عذبت من تملكه وبقوله تعالى (لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون) ويقول النبى صلى الله عليه وسلم : ان الله لو عذب أهل سمواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم ، ولو رحمهم لكانت رحمته خيرا لهم من أعمالهم • وبقوله صلى الله عليه وسلم فى دعاء الهم والحزن : اللهم انى عبدك ابن عبدك ناصيتى بيدك ماض فى حكمك عدل فى قضاؤك • وبما روى عن اياس بن معاوية قال : ما ناظرت بعقلى كله

احدا الا القدرية ، قلت لهم ما الظلم ؟ قالوا أن تأخذ ما ليس لك وان
تصرف فيما ليس لك . قلت فله كل شيء . وتقدم هذا في شرح
قوله * لكنه لا يخلق الخلق سدى * فليراجع فان الامام المحقق ابن القيم
كشّخ الاسلام وجمع لم يرتضوا بهذا ونقبوا عليه وبرهنوا وأثبتوا الحكمة
والعلة في أفعاله تعالى على الوجه الذي شرحناه فيما تقدم . ومذهب
الاشاعرة ان أفعال الباري تعالى ليست معللة بالاعراض والمصالح . والغرض
ما لأجله يصدر الفعل عن الفاعل ويقولون أن الله تعالى يفعل هذه الحوادث
عند الاسباب المقارنة لها وان ذلك عادة محضة ويجعلون اللام في أفعاله
لام العاقبة لا لام التعليل كما هو مقرر محرر . ومذهب الماتريدية امتناع
خلق فعله عن المصلحة . قال السعد : والحق أن تعليل بعض الأفعال
لاسيما الاحكام الشرعية بالحكم والمصالح ظاهر . ومذهب سلف الائمة
على ما حكاه شيخ الاسلام ابن تيمية في شرح الاصفهانية وانه القول الوسط
الجامع للحق الموافق لصحيح المنقول وصريح المعقول وعليه أشهر
الطوائف اتسبا الى السنة هم مثبتة القدر الذين يقرون بما اتفق عليه سلف
الامة وأئمتها من أن الله تعالى خالق كل شيء وربّه ومليكه وانه ما شاء
كان وما لم يشأ لم يكن وانه خالق كل شيء بقدرته ومشيئته ويشتون لله
تعالى حكمة يفعل لاجلها قائمة به تعالى لا منفصلة عنه ويشتون له رحمة
ومحبة ورضا وسخطا ويشتون للحوادث أسبابا تقتضى التخصيص
ويشتون ما خلقه الله من الاسباب والموانع ، قال وهذا هو الموافق لصحيح
المنقول وصريح المعقول وهو الذي يجمع مافي الأقوال المختلفة من الصواب
ويجتنب ما فيها من الخطأ ، قال فهذه طريقة سلف الامة وأئمة الدين
وهي التي يدل عليها الكتاب والسنة واجماع السلف فان الله تعالى بين في كتابه الحق
وأدلته بما ضربه فيه من الامثال وسنه من الرايين العقلية . انتهى . قال
بعض متكلمي الاشاعرة ان الاشاعرة يقولون بالحكمة والمصلحة في نفس
الامر لانهم يمنعون العبث في أفعاله تعالى كما يمنعون الغرض ولذلك كان
التعبدى من الاحكام ما لا يطلع على حكمته لا ما لا حكمة له على أن بعضهم
نقل عن الاشاعرة انهم انما يمنعون وجوب التعليل لانهم يحيلونه كما
صرح به الامام ابن عقيل الحنبلي واستعبره بعض الاشاعرة وبالله التوفيق

الكلام في الصلاة
والاصلاح

فاذا علمت ذلك وفهمته ((فلم يجب عليه)) سبحانه وتعالى ((فعل
الاصلاح)) أى الانفع ((ولا)) يجب عليه أيضا فعل ((الصلاح)) لعباده
خلافًا للمعتزلة فمعتزلة البصرة قالوا بوجوب الاصلاح فى الدين وقالوا
تركه بخل وسفه يجب تنزيه البارى عنه ومنهم الجبائى ، وذهب معتزلة
بغداد الى وجوب الاصلاح فى الدين والدنيا معا لكن بمعنى الاوفق فى
الحكمة والتدبير . وهذه المسئلة مترجمة فى كتب القوم بمسئلة وجوب الصلاح
والاصلاح وحاصلها ان المعتزلة قالوا بوجوب ما هو الاصلاح للعباد عليه
تعالى . وتفصيل ذلك انهم اتفقوا بعد القول بوجوب الاصلاح للعباد عليه
تعالى وعلى وجوب الاقدار والتمكين وأقصى ما يمكن فى معلوم الله تعالى
مما يؤمن عنده الكافر ويطيع العاصى وانه تعالى فعل بكل أحد غاية مقدوره
من الاصلاح ، قالوا وليس فى مقدوره - تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا -
لطف لو فعل بالكفار لآمنوا جميعا والا لكان تركه بخلا وسفها . ثم اختلفوا
فيما يجب مراعاة الاصلاح بالنسبة اليه كما نبهنا عليه من جهة الدين والدنيا
أو الدين فقط على ما مر ، ثم اختلفوا فى تفسير الاصلاح هل هو الاوفق
فى الحكمة والتدبير أو الانفع كما تقدم آنفا، ثم اختلفت معتزلة البصرة فمنهم
من اعتبر الانفع فى علم الله تعالى فأوجب ما علم الله نفعيته ، ومن هؤلاء
الجبائى ، ومنهم من لم يعتبر ذلك فزعم أن من علم الله منه الكفر على تقدير
تكليفه اياه يجب تعريضه للثواب بأن يقيه الى أن يبلغ عاقلا قادرا على
اكتساب الخيرات ، والبغدادية وان لم يلزمهم فيها شيء لكن الالتزام
عليهم فى تخليد الفساق فى النار أشد قبحا وشناعة ، وتمسكوا على ذلك
بقولهم نحن نقطع بأن الحكيم اذا أمر بطاعته أحدا وقدر على أن يعطى
المأمور ما يصل به الى الطاعة من غير تضرر بذلك ثم لم يفعل كان مذموما
عند العقلاء معدودا فى زمرة الخلاء ، وكذلك من دعا عدوه الى الموالة
والرجوع الى الطاعة والمصافاة لا يجوز أن يعامله من الغلظ واللين الا بما
هو أنجع فى حصول المراد وادعى الى ترك العناد . قالوا : وأيضا من اتخذ
ضيافة لرجل واستدعاه الى الحضور وعلم انه لو تلقاه ببشر وطلاقة وجه
لدخل وأكل والا لم يدخل فالواجب عليه عند العقلاء البشر والطلاقة
والملاطفة لا اضدادها . وأجلبوا وأجنبوا من هذا التمويه الذى لا يصدر

الا من ضال سفيه ولهذا قال ((ويح)) هذه كلمة ترحم وتوجع تقال لمن وقع في هلكة لا يستحقها وهي منصوبة على المصدر وقد ترفع وتضاف كما هنا ، وضدها ويل فانها تقال للحنن والهلاك والمشقة من العذاب وكل من وقع في هلكة دعا بالويل ، وقيل وى كلمة مفردة ولامة مفردة وهي كلمة تفجع وتعجب . فان قلت كان المناس هنا الاتيان بكلمة ويل لاقتضاء المقام . قلت بل الانسب كلمة ويح لانه يتوجع ويترحم لآخوانه من الملة الاسلامية كيف استزلهم الشيطان وتلاعب بهم تلاعب الصيوان بالكرة والصولجان مع ظهور أدلة القرآن والسنة لمذهب أهل السنة ، فعلى عقولهم الدمار وعلى فهو مهم البوار ((من)) أى شخص بالغ عاقل ((لم يفلح)) أى لم يفز بمتابعة الحق وموافقة الشرعة ورفض الباطل ومجانبة البدعة ، والفلاح من الكلمات الجوامع وهو عبارة عن أربعة أشياء بقاء بلا فناء وغنى بلا فقر وعز بلا ذل وعلم بلا جهل قالوا فلا كلمة فى اللغة أجمع للخيرات منها . ولمذهب المعتزلة لوازم فاسدة تدل على فساده منها أن القربات من النوافل صلاح فلو كان الصلاح واجبا وجبت وجوب الفرائض . ومنها أن خلود أهل النار يجب أن يكون صلاحا لهم دون أن يردوا فيعتبوا ربهم ويتوبوا اليه ، ولا ينفعكم اعتذاركم عن هذا بأنهم لو ردوا لعادوا فان هذا حق ولكن لو أماتهم وأعدمهم فقطع عتابهم كان أصلح لهم ولو غفر لهم وأخرجهم من النار كان أصلح من اماتهم واعدامهم ولم يتضرر سبحانه بذلك . ومنها أن عدم خلق ابليس وجنوده أصلح للخلق وأنفع وقد خلقه البارى جل شأنه . وأيضاً انظاره وتمكينه وتمكين جنوده وجريانهم من الأدمى مجرى الدم فى ايشارهم ينافى مذهبهم فكان يلزمهم أن لا يكون شىء من ذلك والواقع خلافه . ومنها ما ألزمه الامام أبو الحسن الاشعري للجبائى وقد سأله عن ثلاثة أخوة أمات الله أحدهم صغيرا وأحيا الآخرين فاختر أحدهما الايمان والآخر الكفر فرفع الله درجة المؤمن البالغ على أخيه الصغير فى الجنة بعمله فقال أخوه الصغير يا رب لم لا بلغتنى منزلة أخى ؟ فقال انه عاش وعمل عملا استحق به هذه المنزلة . فقال يارب فهلا أحييتنى حتى اعمل مثل عمله فأبلغ منزلته ؟ فقال كان الاصلح لك ان توفيتك صغيرا لانى علمت انك أن

بلغت اخترت الكفر فكان الاصلح في حقتك ان أمتك صغيرا • قال الاشعري
فان قال الثاني يا رب لم لم تمتي صغيرا لثلا أعصى فلا أدخل النار ، ماذا
يقول الرب ؟ فبهت الجبائي وكان الاشعري على مذهب أبي على الجبائي
فترك مذهبه • قال ابن خلكان كان أبو الحسن الاشعري أولا معتزليا ثم
تاب من القول بالعدل وخلق القرآن فقام في المسجد الجامع بالبصرة يوم
الجمعة فرقى كرسيه ونادى بأعلى صوته من عرفني فقد عرفني ومن لم
يعرفني فأنا أعرفه بنفسى أنا فلان بن فلان كنت أقول بخلق القرآن وان
الله تعالى لا يرى بالابصار وان أفعال الشر أنا أفعالها ، وأنا تائب مقلع
معتقد للرد على المعتزلة مخرج لفضائحهم ومعاييرهم • قال ابن خلكان :
مولد الاشعري سنة سبعين وقيل ستين ومائتين بالبصرة وتوفي سنة نيف
وثلاثين وثلاثمائة ودفن بين الكرخ وباب البصرة • انتهى • قال ابن القيم في
مفتاح دار السعادة فاذا علم الله سبحانه انه لو احترم العبد قبل البلوغ
وكمال العقل لكان ناجيا ولو أمهله وسهل عليه النظر لعند وكفر وجحد
فكيف يقال ان الاصلح في حقه ابقاؤه حتى يبلغ ، قال والمقصود عندكم
- يعنى المعتزلة القائلين بالاصلح - بالتكليف الاستصلاح والتفويض
بأسنى الدرجات التى لا تنال الا بالاعمال • وأيضا قال القائلون بوجوب
الاصلح : الرب تعالى قادر على التفضل بمثل الثواب ابتداء بلا واسطة
عمل فأى غرض له فى تعريض العباد للبلوى والمشاق ؟ وكونه تعالى قادرا
على ذلك حق ثم كذبوا وافتروا فقالوا الغرض فى التكليف ان استيفاء
المستحق حقه هنا وألذ من قبول التفضل واحتمان المنة • وهذا كلام أجهل
الخلق بالرب تعالى وبحقه وعظمته ومساواة بينه وبين آحاد الناس وهو
من أقبح التشبيه وأخبثه تعالى عن ضلالهم وأفكهم علوا كبيرا • وأيضا
يلزم القائلين بوجوب الاصلح ن يوجبوا على الله عز وجل أن يमित كل
من علم من الاطفال انه لو بلغ لكفر وعاند فان احترامه هو الاصلح له
بلا ريب أو أن يجحدوا علمه سبحانه بما سيكون قبل كونه التزمه سلفهم
الخيث الذين اتفق سلف الامة على تكفيرهم ولا خلاص لهم عن أحد
هذين الالزامين الا بالتزام مذهب أهل السنة والجماعة من أن أفعال الله
لا تدخل تحت شرائع عقولهم القاصرة ولا تقاس بأفعالهم الخاسرة بل

أفعاله تعالى لا تشبه أفعال خلقه ولا صفاته صفاتهم ولا ذاته ذواتهم
اذ ليس كمثلته شيء وهو السميع البصير . وأيضا يلزمهم ان من علم الله
عالى اذا بلغ من الاطفال يختار الايمان والعمل الصالح ان لا يميته طفلا
فان الاصلح في حقه ان يحييه حتى يبلغ ويؤمن ويعمل صالحا فينال
بذلك الدرجات العالية ، وهذا مما لا جواب لهم عنه ، وأيضا يلزمهم أن
يقولوا ليس في مقدور الله تعالى لطف لو فعله تعالى بالكفار لآمنوا وقد
التزمه المعتزلة القدرية وبنوه على أصلهم الفاسد انه يجب على الله تعالى أن
يفعل في حق كل عبد ما هو الاصلح له فلو كان في مقدوره ما يؤمن
العبد عنده لوجب عليه أن يفعله به ، والقرآن من أوله الى آخره يرد
هذا القول ويكذبه ويخبر سبحانه وتعالى انه لو شاء لهدى الناس جميعا
ولو شاء لأمن من في الارض كلهم جميعا . وأيضا يلزمهم وقد التزموه
أن لطفه تعالى ونعمته وتوفيقه بالمؤمن كلطفه بالكافر وان نعمته عليهما
سواء لم يخص المؤمن بفضل عن الكافر ، وكفى بالوحي وصريح المعقول
رفطرة الله والاعتبار الصحيح واجماع الامة ردا لهذا القول وتكديبا له .
وأيضا ما من أصلح الا وفوقه ما هو أصلح منه والاقْتصار على رتبة واحدة
كالاقتصار على الصلاح فلا معنى لقولكم يجب مراعاة الاصلح اذ لا نهاية له
فلا يمكن في الفعل رعايته - الى غير ذلك مما يلزم القائلين بالصلاح
والاصلاح فانه تعالى خلق الكافر الفقير المعذب في الدنيا بالفقر وفي الآخرة
بعذاب الكفر المخلد المستمر ولا سيما المبتلى في الدنيا بالاسقام والآلام
والمحن والآفات مع الكفر والهفوات وكيف ينهض لهم دليل وخلود الكفار
في النار ليس بأصلح لهم من غير تفصيل

(تنبيه)

مذهب القول بالصلاح والاصلاح مبنى فيما قاله متكلمو الاشاعرة وغيرهم
على قاعدتين احدهما تحسين العقل وتقييحه في الاحكام الشرعية ، الثانية
استلزام الامر للارادة ، فان قلت قد أسلفت عن اسلافك مثل شيخ الاسلام
ابن تيمية وتلميذه المحقق ابن القيم وغيرهما الميل والاستدلال لاثبات
التعليل والحكمة في الخلق والامر وذلك من أصول القول بالصلاح

الكلام في الحسن
والقبح

والاصلاح ثم هنا ابطلت هذا القول وذكرت من لوازمه ما لا جواب عنه فما تصنع في هذه اللوازم التي ألزمت بها المعتزلة وما الجواب عنها اذا وجهت اليهم؟ قلت لا ريب اننا نثبت لله ما أثبتته لنفسه وشهدت به الفطرة والعقول من الحكمة في خلقه وأمره فكل ما خلقه وأمر به فله فيه حكمة بالغة وآية قاهرة لاجلها خلقه وأمر به ولكن نقول ان لله في خلقه وأمره كله حكمة ليست مماثلة للمخلوق ولا مشابهة له بل الفرق بين الحكمتين كالفرق بين الفعلين وكالفرق بين الوصفين والذاتين فليس كمثلته شيء في وصفه ولا في فعله ولا في حكمة مطلوبه له من فعله بل الفرق بين الخالق والمخلوق في ذلك كله أعظم فرق وأبينه وأوضحه عند العقول والفطـر وعلى هذا فجميع ما ألزمت به الفرقة القائلة بالصلاح والاصلاح بل واضعاف ما ذكر من الالزامات لله فيه حكمة يختص بها لا يشاركه فيها غيره ولأجلها حسن منه ذلك وقبح من المخلوقين لانتفاء تلك الحكمة في حقهم وهذا كما يحسن منه تعالى مدح نفسه والثناء عليها وان قبح من أكثر خلقه ذلك ، ويليق بجلاله الكبرياء والعظمة ويقبح من خلقه تعاطيهما كما روى عنه صلى الله عليه وسلم انه حكى عن الله تعالى انه قال « الكرياء ازارى والعظمة ردائي فمن نازعني واحدا منهما عذبتة » وكما يحسن منه اماتة خلقه وابتلاؤهم وامتحانهم بأنواع المحن ويقبح ذلك من خلقه ، وهذا أكثر من أن تذكر أمثلته فليس بين الله وبين خلقه جامع يوجب أن يحسن منه ما حسن منهم ويقبح منه ما قبح منهم وانما تتوجه تلك الالزامات على من قاس أفعال الله تعالى بأفعال عباده دون من أثبت له حكمة يختص بها لا تشبه ما للمخلوقين من الحكمة فهو عن تلك الالزامات بمعزل ومنزله منها أبعد منزل ، ونكتة الفرق ان بطلان الصلاح والاصلاح لا يستلزم بطلان الحكمة والتعليل كما أن التعليل الذي نشبهه غير الذي تشبهه المعتزلة كما مر فان المعتزلة أثبتوا لله شريعة عقلية وأوجبوا عليه فيها وحرموا بمقتضى عقولهم فالمعتزلة يوجبون على الله ويحرمون بالقياس على عباده ولا ريب أن هذا من أفسد القياس وأبطله كما نبه عليه وبينه الامام المحقق ابن القيم في كتابه مفتاح دار السعادة . وأما زعم المعتزلة استلزام الامر للارادة الكونية فاطل لا يعول عليه وبالله التوفيق

((فكل من)) أى أى آدمى من خلقه ((شاء)) أى الله تعالى ((هداه)) المراد بالهدى هنا التوفيق والالهام وهذه الهداية هى المستلزمة للاهتداء فلا يتخلف عنها وهى المذكورة فى قوله تعالى (يضل من يشاء ويهدى من يشاء) وفى قوله تعالى (ان تحرص على هداهم فان الله لا يهدى من يضل) وفى قول النبى صلى الله عليه وسلم « من يهد الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادى له » وفى قوله تعالى (انك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء) فنفى عنه هذه الهداية وأثبت له هداية الدعوة والبيان فى قوله (وانك لتهدى الى صراط مستقيم) والمشيئة ترادف الارادة فكل من شاء الله تعالى هدايته من جميع خلقه ((يهتدى)) الهداية المطلوبة فى قوله تعالى (اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم) من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين

أنواع الهداية

واعلم أن أنواع الهداية أربعة أحدها الهداية العامة المشتركة بين الخلق المذكورة فى قوله تعالى (الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى) أى أعطى كل شىء صورته التى لا يشبه فيها غيره وأعطى كل عضو شكله وهياته وأعطى كل موجود خلقه المختص به ثم هداه الى ما خلقه له من الاعمال ، وهذه الهداية تعم هداية الحيوان المتحرك بارادته الى جلب ما ينفعه ودفع ما يضره ، وهداية الجماد المسخر لما خلق له ، فله هداية تليق به كما ان لكل نوع من الحيوان هداية تليق به وان اختلفت أنواعها وضروبها وكذلك لكل عضو هداية تليق به فالرجلان للمشى واليدان للبطش والعمل واللسان للكلام والاذن للاستماع والعين لكشف المرئيات وكل عضو لما خلق له وهدى الزوجين من كل حيوان للازدواج والتناسل وتربية الولد وهدى الولد الى التقام الثدي عند وضعه وطلبه • ومراتب هدايته سبحانه لا يحصيها الا هو فتبارك الله رب العالمين وقد هدى النحل ان تتخذ من الجبال بيوتا ومن الشجر ومن الابنية ثم تسلك سبل ربها مذلة لها لا تستعصى عليها ثم تأوى الى بيوتها وهداها الى طاعة يعسوبها ثم هداها الى بناء البيوت العجيبة الصفة المحكمة البناء ومن تأمل بعض هدايته المبتوتة فى العالم شهد له بأنه الله الذى لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم •

(النوع الثانى) هداية البيان والدلالة والتعريف لنجدى الخير والشر وطريقى الهلاك والنجاة وهذه لا تستلزم الهدى التام فانها سبب وشرط لا موجب ولهذا ينتفى الهدى معها كقوله تعالى (واما ثمود فهديناهم فاستجبوا العمى على الهدى) أى بينا لهم وأرشدناهم ودللناهم فلم يهتدوا ومنها قوله تعالى (وانك لتهدى الى صراط مستقيم) (الثالث) هداية التوفيق والالهام المستلزمة للاهتداء التى ذكرناها آنفاً .

(الرابع) غاية هذه الهداية وهى الهداية الى الجنة والنار اذا سيق أهلها اليهما قال تعالى (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم تجرى من تحتهم الانهار فى جنات النعيم) وقال أهل الجنة فيها (الحمد لله الذى هدانا لهذا) وقال تعالى عن أهل النار (احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم الى صراط الجحيم) وتفصيل أنواع الهداية وأسبابها ومتعلقاتها كثيرة جدا ذكرها الامام المحقق ابن القيم فى كتابه بدائع الفوائد وقد لخصت لك منه ما لعله يحصل به أصل المقصود والله أعلم (تنبيه) المشهور عند المعتزلة ومن مذهبهم ان الهداية هى الدلالة الموصلة الى المطلوب فان لم تكن موصلة الى المطلوب فليست بهداية عندهم وعند أهل الحق ان الهداية مجرد الدلالة على طريق يوصل الى المطلوب سواء حصل الوصول والاهتداء أولم يحصل كما ذكرنا ذلك فى النوع الثانى من أنواع الهداية وقوله تعالى (واما ثمود فهديناهم فاستجبوا العمى على الهدى) وبالله التوفيق .

((وان يرد)) الله سبحانه وتعالى ((ضلال عبد)) من خلقه بترك المأمور وارتكاب المحذور ((يعتد)) بارتكاب ذلك وانتهاك المحارم واقتحام المهالك ، والضلال ضد الهدى يقال عدا عدوا وعدوانا محركة وتعدى وأعدى أحضر وعدا عليه عدوانا بالظلم ظلمه كعدى واعتدى . قال الامام ابن القيم فى شرح منازل السائرین ان العدوان أن يتعدى ما أبيض منه الى القدر المحرم كالاعتداء فى أخذ الحق ممن هو عليه اما ان يعتدى على ماله أو بدنه أو عرضه فاذا أتلّف انسان عليه شيئاً أتلّف عليه أضعافه واذا قال فيه كلمة قال فيه أضعافها فهذا كله عدوان وتمد للعدل . قال وهو نوعان عدوان فى

حق الله تعالى وعدوان في حق العبد فالذى في حق الله كما اذا تعدى ما أباح له من الوطاء الحلال في الأزواج والملوكات الى ما حرم عليه من سواهما كما قال تعالى (والذين هم لفروجهم حافظون * الا على أزواجهم أو ما ملكت ايماهم فانهم غير ملومين * فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون *) وكذلك لو تعدى ما أباح له من زوجته وأمه الى ما حرم عليه منها كوطئها في حيضها أو نفاسها أو في احرام أحدهما أو صيامه الواجب ، وكذا كل ما أباح له منه قدر معين فتعداه الى أكثر منه فهو من العدوان ، وكذلك العدوان في حق العبد تجاوز القدر الذى أباح له منه فتمت تجاوز القدر المحدود كان معتديا وباغيا وظالما فارتكاب الاثم والعدوان والفحشاء والمنكر والخطايا والذنوب من الضلال ومن أعظمها القول على الله بلا علم فهو أشد المحرمات تحريما وأعظمها اثما ولهذا ذكر في المرتبة الرابعة من مراتب المحرمات التى اتفقت عليها الشرائع والاديان ولا تباح بحال بل لا تكون الا محرمة وهى المذكورة في قوله تعالى (قل انما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغى بغير الحق وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وان تقولوا على الله ما لا تعلمون) وفي قوله تعالى (قل تعالوا أتت ما حرم ربكم عليكم ان لا تشركوا به شيئا) الآيات والحاصل ان الله تعالى اذا شاء هداية عبده يهتدى واذا أراد ضلاله وهلاكه يعتدى فهو سبحانه موفق لمن أراد له السعادة والخاذل من شاء ابعاده فالتوفيق والخذلان من الحكيم المنان • قال الامام ابن القيم فى شرح منازل السائرين : قد أجمع العارفون بالله ان التوفيق ان لا يكلتك الله الى نفسك والخذلان أن يخلى بينك وبينها ، فالعباد متقلبون بين توفيقه وخذلانه ، بل العبد في الساعة الواحدة ينال نصيبه من هذا وهذا فيطيعه ويرضيه ويذكره ويشكره بتوفيقه ثم يعصيه ويخالفه ويسخطه ويفضل عنه بخذلانه له فهو دائر بين توفيقه وخذلانه فان وفقه ففضله ورحمته وان خذله فبعده وحكمته ، وهو تعالى المحمود فى هذا وهذا له أتم حمد وأكمله ولم يمنع العبد شيئا هو له وانما منه ما هو مجرد فضله وعطائه وهو أعلم حيث يضعه وأين يجعله ، فاذا علم العبد هذا المقام وشهده وأعطاه حقه علم ضرورته وفاقتة الى التوفيق والهداية في كل نفس ولحظة وطرفة عين ، وعلم ان توحيده وايمانه ممسك

يد غيره لو تخلى عنه طرفه عين لثل عرشه ولخرت سماء ايمانه على الارض وان المسك له من يمسك السماء ان تقع على الارض الا باذنه فدأب هذا المشاهد لهذا المقام أن يقول بقلبه ولسانه يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك يا مصرف القلوب صرف قلبي الى طاعتك ، ودعواه يا حي يا قيوم يا بديع السموات والارض يا ذا الجلال والاكرام لا اله الا أنت برحمتك أستغيث أصلح لى شأنى كله ولا تكننى الى نفسى طرفه عين ولا الى أحد من خلقك • ثم قال : والتوفيق ارادة الله من نفسه أن يفعل بعبده ما يصلح به العبد بأن يجعله قادرا على فعل ما يرضيه مريدا له مجبا له مؤثرا له على غيره ويغض اليه ما يسخطه ويكرهه وهذا مجرد فعله والعبد محل له قال تعالى (ولكن الله حب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون * فضلا من الله ونعمة والله عليم حكيم) فهو سبحانه عليم بمن يصلح لهذا الفضل ومن لا يصلح له حكيم يضعه في مواضعه وعند أهله فلا يمنعه أهله ولا يضعه عند غير أهله • ولم يرتض بتفسير التوفيق بأنه خلق الطاعة ، والخذلان خلق المعصية، لان ذلك مبنى على مذهب الجبر وانكار الاسباب والحكم ، وقابلهم القدرية ففسروا التوفيق بالبيان العام والهدى العام والتمكن من الطاعة والاقدار عليها وتهية أسبابها وهذا حاصل لكل أحد كافر ومشرك بلغته الحججة وتمكن من الايمان فالتوفيق عندهم أمر مشترك بين الكفار والمؤمنين اذ الاقدار والتمكين والدلالة والبيان قد عم به الفريقين ولو أفرد المؤمنين عندهم بتوفيق وقع به الايمان منهم والكفار بخذلان امتنع به الايمان منهم لكان ذلك عندهم محاباة وظلما والتمروا لهذا الاصل لوازم قامت بها عليهم سوق الشناعة من العقلاء ولم يجدوا بدا من التزامها فظهر فساد مذهبهم وتناقضه لمن أحاط به علما وتصوره حق تصوره وعلم انه من أردأ مذهب في الدنيا وأبطله وهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم فأثبتوا القضاء والقدر وعموم مشيئة الله للكائنات وأثبتوا الاسباب والحكم والغايات والمصالح كما مر ونزهوا الله عز وجل أن يكون في ملكه ما لا يشاء وان يقدر خلقه على ما لا يدخل تحت قدرته ومشيئته وان يكون شىء من أفعالهم واقعا بغير اختياره وبدون مشيئته ، ومن قال ذلك

فلم يعرف ربه ولم يثبت له كمال الربوبية • والتوفيق في اللغة التأليف وجعل الأشياء متوافقة ، ونقل السعد التفتازاني عن امام الحرمين أن العصمة هي التوفيق بعينه فان عمت كانت توفيقا عاما وان خصت كانت توفيقا خاصا وأن اللطف هو التوفيق أيضا وأن الموفق لا يعصى اذ لا قدرة له على المعصية كما أن المخذول لا يطيع • والحاصل أن مذهب السلف على ماقرره الامام المحقق ان الهداية والتوفيق ارادة الله من نفسه ان يفعل بعده ما يصلح العبد كما تقدم ومن أسمائه تعالى الهادي وهو الذي بصر عباده وعرفهم طريق معرفته حتى أقروا بربوبيته وهدى كل مخلوق الى ما لا بد له منه في بقائه ودوام وجوده وبالله التوفيق •

(تنبيه)

فهم من النظم ان الباري جل وعلا يريد من العبيد ما لا يرضاه ولا يحبه فان الارادة والمشية مترادفتان وهي لا تستلزم الامر والرضا والمجة كما تقدم في بحثها ، وقالت المعتزلة يمتنع عليه تعالى ارادة الشرور والمعاصي والقبايح وقالوا يريد ما لا يقع ويقع ما لا يريد ، فرغموا انه تعالى أراد من الكافر الايمان وان لم يقع لا الكفر وان وقع ، وكذا أراد من الفاسق الطاعة لا الفسق ، حتى زعموا ان أكثر ما يقع من عباده على خلاف مراده تعالى الله عن ذلك وزعموا ان ارادة القبيح قبيحة والله تعالى منزه عن القبايح ورد بأنه تعالى لا يقبح منه شيء وان خفى علينا وجه حسنه وتقدم هذا في قوله :

وكل ما يفعله العباد من طاعة أو ضدها مراد

الآيات المارة آنفا ، والحاصل أن الامر والرضا والمجة لا تكون الا في الخير والارادة قد تكون في الخير وقد تكون في غيره فهي تتعلق بكل ممكن كما تقدم قال الله تعالى « ولا يرضى لعباده الكفر - ان الله لا يأمر بالفحشاء » فان قلت قد قال الله تعالى (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) وقال تعالى (واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها) فالجواب ان الارادة التي نعنيها هي الارادة الكونية ، وأما الارادة الدينية فهي ترادف الرضا والمجة ، وكذلك الامر الذي نعنيه أو نتكلم عليه الامر الديني وأما

تقسيم الارادة
الى كونية
ودينية

الامر الكوني فهو يرادف الارادة كما في عدة آيات قرآنية على أن أظهر تفاسير قوله تعالى « أمرنا مترفيها » أي أمرناهم بطاعتنا والانقياد لأمرنا على السنة رسلنا ففسقوا بمخالفة رسلنا • ومما يحكى أن القاضي عبد الجبار الهمداني المعتزلي دخل على الصاحب بن عباد وكان معتزليا أيضا وكان عنده الاستاذ أبو اسحاق الاسفرايني من أئمة أهل السنة ومحققى الاشاعرة فقال عبد الجبار على الفور سبحان من تنزه عن الفحشاء • فقال أبو اسحاق فورا سبحان من لا يقع في ملكه الا ما يشاء • فقال له عبد الجبار - وفهم انه قد عرف مراده : أيريد ربنا أن يعصى ؟ فقال أبو اسحاق : أيعصى ربنا قهرا ؟ فقال له عبد الجبار : أرأيت أن منعى الهدى وقضى على بالردى أحسن الى أم أساء ؟ فقال له الاستاذ أبو اسحاق : ان كان منعك ما هو لك فقد أساء وان كان منعك ما هو له فيختص برحمته من يشاء • فانصرف الحاضرون وهم يقولون والله ليس عن هذا جواب • وقد قدمنا ما لعله يشفى ويكفى والله الموفق •

فان قيل كيف يريد الله سبحانه أمرا لا يرضاه ولا يحبه وكيف يشاؤه ويكونه وكيف تجتمع ارادته له وبغضه وكرهته ؟ فالجواب اعلم أن هذا السؤال أصل الافتراق والأضلال الواقع بين طوائف المسلمين وفرق الموحدين ، واعلم ان المراد نوعان مراد لنفسه ومراد لغيره فالمراد لنفسه مطلوب محبوب لذاته وما فيه من الخير فهو مراد ارادة الغايات والمقاصد ، والمراد لغيره قد لا يكون في نفسه مقصودا للمريد ولا فيه مصلحة له بالنظر الى ذاته وان كان وسيلة الى مقصوده ومراده ، فهو مكروه له من حيث نفسه وذاته مراد له من حيث افضاؤه وايصاله الى مراده فيجتمع فيه الامران بغضه وارادته من غير تناف لاختلاف متعلقهما كالدواء المتناهي في الكراهة اذا علم متناوله ان فيه شفاء ، وقطع العضو المتأكل اذا علم أن في قطعه بقاء جسده ، وقطع المسافة الشاقة جدا اذا علم أنها توصل الى مراده ومحبوبه ، بل العاقل يكتفى في ايثار هذا المكروه وارادته بالظن الغالب وان خفيت عنه عاقبته وطويت عنه مغبته فكيف بمن لا تحفى عليه العواقب ؟ فهو سبحانه يكره الشيء ويبغضه في ذاته ولا ينافي ذلك ارادته لغيره وكونه سببا لأمر هو أحب اليه من فوته ،

من ذلك خلق ابليس الذى هو مادة لفساد الاديان والاعمال والاعتقادات والارادات وهو سبب شقاء العبيد وعملهم بما يفضب الرب المريد وهو الساعى في وقوع مساخط الله ومناهيه بكل طريق وحيلة فهو مسخوط للبارى مبغوض قد لعنه وأبعده وغضب عليه وطرده ، ومع هذا فهو وسيلة الى محاب كثيرة للبارى جل وعلا ترتب وجودها على خلقه وايجاده ، ووجودها أحب الى الله من عدمها لحكمة جرت منه في عباده على وفق مراده (منها) اظهار القدرة على خلق المتضادات المتقابلات كخلق هذه الذات التى هى أخبث الذوات وشرها وهى سبب كل شر فى مقابلة ذات جبريل التى هى من أشرف الذوات وأطهرها وازكاها وهى مادة كل خير فتبارك الله خالق الاضداد وكما ظهرت قدرته التامة في خلق الليل والنهار والضيء والظلام والداء والدواء والحياة والموت والحر والبرد والحسن والقبح والارض والسماء والماء والنار والخير والشر وكل ذلك ونظائره من دلائل كمال قدرته وعزته فانه خلق هذه المتضادات وقابل بعضها ببعض وسلط بعضها على بعض وجعلها محال تصرفه وتدييره وحكمته فخلو الوجود عن بعضها بالكلية تعطيل لحكمته وكمال تصرفه وتديير مملكته •

(ومنها) ظهور آثار أسمائه القهرية كالقهار والمنتقم والعدل والضار ونحوها وظهور آثار أسمائه المتضمنة لحلمه وعفوه ومغفرته وستره وتجاوزه عن حقه وعقته لمن شاء من عبيده فلولا خلق ما يكرهه من الاسباب المفضية الى ظهور هذه الاسباب لتعطلت هذه الحكم والفوائد وفى الحديث « لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بكم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم » (ومنها) ظهور آثار أسماء الحكمة والخبرة فانه الحكيم الخبير الذى يضع الاشياء مواضعها وينزلها منازلها اللائقة بها فلا يضع الشيء في غير موضعه ولا ينزله غير منزلته التى يقتضيها كمال علمه وحكمته وخبرته من المنع والعتاء والثواب والعقاب والخفض والرفع والعز والذل ونحوها (ومنها) حصول العبودية المتنوعة التى لولا خلق ابليس لما حصلت وكان الحاصل بعضها لا كلها فعبودية الجهاد سببها الكفر والعداى الناشئ عن تلبس ابليس ، وعبودية التوبة المحبوبة الى الله تعالى وعبودية مخالفة أعدائه ومرامتهم

ومنها عبودية الاستعاذة من الشيطان الرجيم ونفس اتخاذ ابليس عدوا من أكبر أنواع العبودية وأجلها ، الى غير ذلك من الحكم والفوائد التي أبدأها الامام المحقق ابن القيم في شرح منازل السائرين فلوخصت منها ما لعله يدل الفطن على ما لا يدخل تحت الاحصاء فان وجودها مترتب على وجود ابليس ترتيب وجود المسبب على سببه والملزوم على لازمه .

ثم قال : فان قلت فاذا كانت هذه الاسباب مرادة لما تفضى اليه من الحكم فهل تكون مرضية محبوبة من هذا الوجه أم هي مسخوطة من جميع الوجوه ؟ فأجاب بأن هذا السؤال يرد على وجهين أحدهما من جهة الرب سبحانه وهل يكون مجبا لها من جهة افضائها الى محبوبه وان كان يبغضها لذواتها ؟ والثاني من جهة العبد وهو انه هل يتسرع له الرضا بها من تلك الجهة أيضا ؟ فاعلم ان الشر كله يرجع الى العدم أعنى عدم الخير وأسبابه المفضية اليه وهو من هذه الجهة شر وأما من جهة وجوده المحض فلا شر فيه ، مثاله ان النفوس الشريرة وجودها خير من حيث هي موجودة وانما حصل لها الشر بقطع مادة الخير عنها ، فانها خلقت في الاصل متحركة لا تسكن فان أعينت بالعلم والهام الخير تحركت به وان تركت تحركت بطبعها الى خلافه وحركتها من حيث هي حركة خير وانما تكون شرا بالاضافة لا من حيث هي حركة والشر كله ظلم وهو وضع الشيء في غير موضعه فلو وضع في موضعه لم يكن شرا ، فعلم ان جهة الشر فيه نسبة اضافية ولهذا كانت العقوبات الموضوعة في مجالها خيرا في نفسها وان كانت شرا بالنسبة الى المحل الذي حلت به لما أحدثت فيه من الالم الذي كانت الطبيعة قابلة لضده من اللذة مستعدة له فصار ذلك الالم شرا بالنسبة اليها وهو خير بالنسبة الى الفاعل حيث وضعه موضعه فانه سبحانه لا يخلق شرا محضا من جميع الوجوه والاعتبارات فان حكمته تأبى ذلك بل قد يكون ذلك المخلوق شرا ومفسدة ببعض الاعتبارات وفي خلقه مصالح وحكم باعتبارات آخر أرجح من اعتبارات مفسده بل الواقع منحصر في ذلك فلا يمكن في جناب الحق جل جلاله أن يريد شيئا يكون فسادا من كل وجه وبكل اعتبار لا مصلحة في خلقه بوجه ما ، هذا من أبين المحال فانه سبحانه بيده

الخير، والشر ليس اليه بل كل ما اليه فخير، والشر انما حصل لعدم هذه الاضافة والنسبة اليه فلو كان اله لم يكن شرا فتأمله فانقطاع نسبته اليه هو الذى صيره شرا •

فان قلت لم تقطع نسبته اليه خلقا ومشيئة، قلت هو من هذه الجهة ليس بشر والشر الذى فيه من عدم امداده بالخير وأسبابه والعدم ليس بشئ • حتى ينسب الى من بيده الخير • فان أردت مزيد ايضاح في ذلك فاعلم ان أسباب الخير ثلاثة الايجاد والاعداد والامداد فهذه هى الخيرات وأسبابها فيجاد هذا السبب خير وهو الى الله ، واعداده خير وهو اليه أيضا وامداده خير وهو اليه أيضا فاذا لم يحدث فيه اعدادا ولا امدادا حصل فيه الشر بسبب هذا العدم الذى ليس الى الفاعل وانما اليه ضده • فان قلت فهلا أمده اذ أوجده ؟ قلت ما اقتضت الحكمة ايجاده وامداده فانه سبحانه يوجد ويمده ، وما اقتضت الحكمة ايجاده وترك امداده أوجده بحكمته ولم يمده بحكمته فيجاد خير والشر وقع من عدم امداده •

فان قلت فهلا أمد الموجودات كلها ؟ فالجواب هذا سؤال فاسد يظن مورده ان (•••) الموجودات أبلغ في الحكمة ، وهذا عين الجهل ، بل الحكمة كل الحكمة فى هذا التفاوت العظيم الواقع بينها وليس فى خلق كل نوع منها تفاوت فكل نوع منها ليس فى خلقه من تفاوت والتفاوت انما وقع بأمور عدمية لم يتعلق بها الخلق والا فليس فى الخلق من تفاوت • قال رحمه الله تعالى فان اعتاص ذلك عليك ولم تفهمه حق الفهم فراجع قول القائل اذا لم تستطع شيئا فدعه وجاوزه الى ما تستطيع

وسر المسئلة ان الرضا بالله يستلزم الرضا بصفاته وأفعاله وأسمائه وأحكامه ولا يستلزم الرضا بمفعولاته كلها بل حقيقة العبودية ان يوافق عبده فى رضاه وسخطه فيرضى منها بما رضى ويسخط منها ما سخطه • فان قيل هو سبحانه يرضى عقوبة من يستحق العقوبة فكيف يمكن العبد ان يرضى بعقوبته له فالجواب لو وافقه فى رضاه بعقوبته لانقلب لذة وسرورا ولكن لا يقع منه ذلك فان لم يوافق فى محبة طاعته التى هى سرور النفس ورة العين وحياة القلب فكيف يوافق فى محبة العقوبة التى هى أكره شئ •

اليه وأشق شيء عليه بل من كان كارها لما يجبه من طاعته وتوحيده فلا يكون راضيا بما يختاره من عقوبته ولو فعل ذلك لارتفعت عنه العقوبة • ويأتى لهذا تتمه فى الرضا بالقضاء ان شاء الله تعالى •

((فصل))

فصل فى الكلام
على الرزق

فى الكلام على الرزق وهو اسم لما يسوقه الله تعالى الى الحيوان فى أكله قال فى القاموس الرزق بالكسر ما ينتفع به كل مرتزق والجمع ارزاق وبالفتح المصدر وقد أشار الناظم الى ذكره بقوله :

((والرزق ما ينفع من حلال أو ضده فحل عن المحال))

((لأنه رازق كل الخلق وليس مخلوق بغير رزق))

((ومن يمته بقتله من البشر أو غيره فى القضاء والقدر))

((ولم يفت من رزقه ولا الاجل شيء فدع أهل الضلال والحطل))

((والرزق ما ينفع)) المرتزق أى ينتفع^(١) المرتزق بحصوله سواء كان

(١) بهامش مط قوله : ينتفع : وللشيخ تقي الدين تفصيل نفيس نصه « والرزق يراد به شيان أحدهما بيان ما ينتفع به العبد والثانى ما يملكه العبد فالثانى هو المذكور فى قوله تعالى : « ومما رزقناهم ينفقون - وانفقوا مما رزقناكم » وهذا هو الحلال الذى ملكه الله اياه وأما الاول فهو المذكور فى قوله تعالى : « وما من دابة » الآية وقوله صلى الله عليه وسلم : « وان نفسا » الآتى فى كلام المصنف والعبد قد يأكل الحلال والحرام فهو رزق بالاعتبار الاول لا الثانى اه عبد الوهاب (كذا فى هامش الاصل) وفى تعليق ينسب الى الشيخ عبد الله بابطين ما لفظه :

لا ريب أن ما ذكره المؤلف رحمه الله أولى بالصواب لكن ينبغى أن يعرف أن رزق الله تعالى على نوعين أحدهما خاص وهو الرزق الحلال للمؤمنين وهذا هو الرزق النافع الذى لا تبعة فيه كما قال تعالى : « ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وآمنوا و عملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا » • وقال تعالى : « قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة » • وأما النوع الثانى فهو رزق عام يكون فيه قوام البدن فقط وان كان قد يكون فيه تبعة وهذا هو رزق البهائم والرزق الحرام ومنه رزق الكفار فان الكفار لا يرفعون لقمة الى أفواههم ولا يتجرعون جرعة ماء الا حوسبوا عليها كما يفيد قوله تعالى : « قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة » وقوله : « ليس على الذين آمنوا و عملوا الصالحات جناح » فان مفهوم الآيتين يدل على أن الكفار عليهم تبعة فيما يطعمونه ويلبسونه وليس بخالص لهم ولان الله تعالى انما أباح لنا الاكل والشرب واللباس لنستعين بها على طاعته لا على معصيته • وبهذا التفصيل يتضح المعنى ولله الحمد • والله أعلم •

ذلك المتفجع به ((من حلال)) وهو ما انحلت عنه التبعات وهو ضد الحرام ولهذا قال ((أو ضده)) أى ضد الحلال وهو الحرام وهو ما منع منه شرعا اما لصفة في ذاته ظاهرة كالسم والخمر أو خفية كالربا ومذكى المجوس ونحوه لأنه في حكم الميتة ، واما لخلل في تحصيله كالربا والغصب ونحو ذلك فكل ذلك رزق لأن الله يسوقه للحيوان فيتناوله ويتغذى به ، وخالفت المعتزلة في ذلك فقالوا الحرام ليس برزق وفسروه تارة بمملوك يأكله المالك وتارة بما لا يمنع عن الانتفاع به وذلك لا يكون الا حلالا فيلزمهم على التفسير الاول ان ما يأكله الدواب ليس برزق مع ظاهر قوله تعالى (وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها) فيكون مصادما للقرآن لانه يقتضى أن تكون كل دابة مرزوقة ، ولا يفهم زعمهم ان تسمية ما يأكله الدواب رزقا مبنى على تشبيهه بما هو مملوك الانسان فياكله فيكون لفظ الرزق مجازا عما تأكله الدواب فلا يلزم أن تكون كل دابة مرزوقة حقيقة . لانا نقول هذا التأويل مخالف لظاهر القرآن وهو خلاف المتعارف في اللغة فلا يصح ارتكابه من غير ضرورة ثم ان تفسيرهم الرزق بذلك ليس بمطرد ولا منعكس لدخول ملك الله تعالى وخروج رزق الدواب والعبيد والاماء ويلزمهم أيضا على الوجهين ان من أكل الحرام طول عمره لم يرزقه الله تعالى أصلا وهو خلاف الاجماع الحاصل من الامة قبل ظهور المعتزلة أن لا رازق الا الله وان استحق العبد الذم واللوم على أكل الحرام . والاضافة الى الله تعالى معتبرة في مفهوم الرزق وكل أحد مستوف رزق نفسه حلالا كان أو حراما ولا يتصور أن لا يأكل انسان رزقه أو يأكل غير رزقه لان ما قدر الله تعالى غذاء لشخص يجب أن يأكله ويمتنع ان يأكله غيره ولهذا قال ((فحل)) أى زل وارجع ((عن المحال)) وجه كونه محالا أنه لا أحد يبقى بلا رزق ولا يمكن الا أن يأكل رزقه فاذا تغذى طول عمره بالحرام يكون ما رزقه الله تعالى وهو محال وعلى كل حال ما ذهب اليه المعتزلة ضرب من المحال ولهذا أوضح كون ذلك محالا بقوله ((لأنه)) سبحانه وتعالى ((رازق كل الخلق)) كما في الأدلة القرآنية والاحاديث النبوية مما

لا يحصى الا بكلفة كقوله تعالى « وما من دابة في الأرض الا على الله رزقها - واكلوا من رزقه - ان الله هو الرزاق » ((وليس)) يوجد ((مخلوق)) من سائر الحيوانات ويبقى ((بغير رزق)) فظهر فساد مذهب المعتزلة وحقيقة^(١) مذهب أهل الحق فان الله تعالى قسم بين الخلق معاشهم في الحياة الدنيا ومعلوم أن الحرام معيشة لبعض الانام والله الفعال لما يريد ((ومن يموت)) من سائر الحيوانات ((بقتله)) من سائر أنواع القتل ((من البشر)) محرمة الانسان ذكرا كان أو أنثى واحدا أو جمعا وقد يشي ويجمع ابشارا وقدمه للاعتناء به والاهتمام بأحواله ولأنه المقصود بالذكر وانما قال ((أو غيره)) من سائر الحيوانات لدفع توهم ان ما قتل منها ليس كذلك ((ف)) موته ((بالقضاء)) أى بقضاء الله تعالى وهو لغة الحكم وعرفا ارادة الله الازلية المتعلقة بالاشياء على ما هى عليه فيما لا يزال ((والقدر)) بتحريك الدال وتسكن مصدر قدرت الشيء بفتح الدال مخففة اذا أحطت بمقداره وأل فيه وفي القضاء عوض عن مضاف اليه أى بتقدير الله تعالى لذلك ، وهو عند الماتريديّة تحديده تعالى أزلا كل مخلوق بحدده الذى يوجد به من حسن وقبح ونفع وضر وما يحويه من زمان ومكان وما يترتب عليه من طاعة وعصيان وثواب وعقاب وغفران ، وعند الاشاعرة ايجاد الله تعالى الأشياء على قدر مخصوص وتقدير معين في ذواتها وأحوالها طبق ما سبق به العلم وجرى به القلم ، قال الخطابي رحمه الله تعالى قد يحسب كثير من الناس ان معنى القدر من الله تعالى والقضاء معنى الاجبار والقهر للعبد على ما قضاه وقدره ويتوهم ان قوله صلى الله عليه وسلم « فحج آدم موسى » من هذا الوجه وليس كذلك وانما معناه الاخبار عن تقدم علم الله تعالى بما يكون من أفعال العباد واكتسابهم وصدورها عن تقدير منه تعالى وخلق لها خيرا وشرها ، قال والقدر اسم لما صدر مقدرًا عن فعل القادر كالهدم والنشر والتبض أسماء لما صدر عن فعل الهادم والناشر والقابض ، يقال قدرت الشيء وقدرت خفيفة وثقيلة بمعنى واحد ، قال والقضاء معناه في هذا الخلق كقوله تعالى (فقضاهن

موت القتل
بالقضاء والقدر

معنى القضاء
والقدر

سبع سموات في يومين) أى خلقهن واذا كان الامر كذلك فقد بقى عليهم من وراء علم الله فيهم أفعالهم واكتسابهم ومباشرتهم تلك الامور وملابستهم اياها عن قصد وتعمد وتقديم ارادة واختيار والحجة انما تلزمهم بها واللائمة تلحقهم عليها ، قال وجماع القول في هذا انهما أمران لا ينفك أحدهما عن الآخر لأن أحدهما بمنزلة الاساس والآخر بمنزلة البناء فمن رام الفصل بينهما فقد رام هدم البناء ونقضه ، وانما كان موضع الحججة لآدم على موسى عليهما السلام ان الله سبحانه وتعالى كان قد علم من آدم انه يتناول الشجرة ويأكل منها فكيف يمكنه أن يرد علم الله فيه وان يبطله بعد ذلك ، وبيان هذا في قوله تعالى (واذا قال ربك للملائكة اني راجع في الأرض خليفة) فاخبر قبل كون آدم انما خلقه للأرض وانه لا يتركه في الجنة حتى ينقله عنها اليها ، وانما كان تناوله سببا لوقوعه الى الارض التي خلق لها ليكون فيها خليفة واليا على من فيها ، فانما أدلى آدم بالحجة على موسى لهذا المعنى ودفع لائمة موسى عن نفسه ، ولذلك قال أتلومنى على أمر قد قدره الله على من قبل أن يخلقنى قال فقول موسى وان كان في النفوس منه شبهة وفي ظاهره متعلق لاحتجاجه بالسبب الذى جعل امارة لخروجه من الجنة فقول آدم في تعلقه بالسبب الذى هو بمنزلة الأصل أرجح وأقوى والفلج قد يقع مع المعارضة بالترجيح كما يقع بالبرهان الذى لا معارض له انتهى •

حديث حج آدم موسى

والحديث الذى احتج فيه آدم على موسى رواه البخارى ومسلم وغيرهما من حديث أبي هريرة ، وروى أيضا باسناد جيد من حديث ابن عمر رضى الله عنهم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « احتج آدم وموسى » وفي لفظ ان موسى قال يارب أرنا آدم الذى أخرجنا من الجنة بخطيئته فقال موسى يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأسجد لك ملائكته لماذا أخرجتنا ونفسك من الجنة ؟ فقال له آدم أنت موسى الذى اصطفاك الله بكلامه وكتب لك التوراة بيده فبكم تجد فيها مكتوبا : وعصى آدم ربه فغوى - قبل أن أخلق ؟ قال بأربعين سنة ، وفي لفظ قال أتلومنى على أمر قد قدر على قبل أن أخلق بأربعين سنة ؟ قال

فحج آدم موسى ، قال شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله روحه ظن طوائف في هذا الحديث ان آدم احتج بالقدر على الذنب وانه حج موسى بذلك ، وطائفة من هؤلاء يدعون التحقيق والعرفان يحتجون بالقدر على الذنوب مستدلين بهذا الحديث ، وطائفة يقولون الاحتجاج به سائغ في الآخرة لا في الدنيا ، وطائفة يقولون هو حجة للخاصة المشاهدين للقدر دون العامة ، وطائفة كذبت به كالجائي وغيره ، وطائفة تأولته تأويلات فاسدة مثل قول بعضهم انما حجه لأنه كان قد تاب ، وقول آخر كان أباه والابن لا يلوم أباه ، وقول آخر كان الذنب في شريعة واللوم في أخرى ، قال وهذا كله تعريج عن مقصود الحديث . وظاهر ما يؤخذ من كلام شيخ الاسلام ومن مفهوم الحديث ان آدم انما حج موسى عليهما السلام لكونه قد كان تاب من الذنب الصوري واستسلم للمصيبة التي لحقت الذرية بسبب أكله المقدر عليه فالحديث تضمن التسليم للقدر عند المصائب لا عند الذنوب والمعائب فيصبر على المصائب ويستغفر من الذنوب كما قال تعالى (فاصبر ان وعد الله حق واستغفر لذنبك) وقال تعالى (ما أصاب من مصيبة الا باذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه) قالت طائفة من السلف كان ابن مسعود رضى الله عنه يقول هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم انها من عند الله فيرضى ويسلم . فالإيمان بالقدر والرضا بما قدره الله من المصائب ، والتسليم لذلك هو من حقيقة الايمان ، وأما الذنوب فليس لأحد أن يحتج على فعلها بقدر الله تعالى ، بل عليه أن لا يفعلها واذا فعلها فعليه أن يتوب منها كما فعل آدم عليه السلام . وقال العلامة ابن مفلح في الآداب قال شيخ الاسلام تقي الدين ابن تيمية قدس الله روحه : موسى قال لماذا أخرجتنا ونفسك من الجنة فلما على المصيبة التي حصلت بسبب فعله لا لأجل كونها ذنبا ، ولهذا احتج عليه آدم عليه السلام بالقدر ، وأما كونه لأجل الذنب كما يظنه طوائف من الناس فليس مرادا بالحديث فان آدم عليه السلام كان قد تاب من الذنب والتائب من الذنب كمن لا ذنب له ولا يجوز لوم التائب باتفاق الناس ، قال ولأن آدم عليه السلام احتج بالقدر وليس لأحد أن يحتج بالقدر على الذنب باتفاق المسلمين وسائر أهل الملل وسائر العقلاء . وقال شيخ الاسلام أيضا

في كتابه الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان : وهذا الحديث قد ضلت به طائفتان طائفة كذبت به لما ظنوا انه يقتضى رفع الذم والعقاب عن عصي الله عز وجل لأجل القدر ، وطائفة شر من هؤلاء جعلوه حجة لأهل الحقيقة الذين شهدوه أو الذين لا يرون أن لهم فعلا - وذكر نحو ما قدمنا من الطوائف ، ثم قال : وكل هذا باطل ولكن وجه الحديث ان موسى عليه السلام لم يلم أباه الا لأجل المصيبة التي لحقته من أجل أكله من الشجرة فقال لماذا أخرجتنا ونفسك من الجنة ؟ لم يلمه لمجرد كونه أذنب وتاب منه فان موسى عليه السلام يعلم ان التائب من الذنب لا يلام ولو كان آدم عليه السلام يعتقد رفع الملام عنه لأجل القدر لم يقل (ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) والمسلم مأمور عند المصائب ان يصبر ويسلم وعند الذنوب يستغفر ويتوب والله أعلم •

اذا علمت هذا مع ما قدمناه تحت قوله* وكل ما يفعله العباد* البيتين والتهيئات التي ذكرناها في أثناء ذلك علمت أن القدر عند السلف ما سبق به العلم وجرى به القلم مما هو كائن الى الأبد • وانه عز وجل قدير مقادير الخلائق وما يكون من الأشياء قبل أن تكون في الازل وعلم سبحانه وتعالى انها ستقع في أوقات معلومة عنده تعالى وعلى صفات مخصوصة فهي تقع على حسب ما قدرها • قال شيخ الاسلام ابن تيمية أغدق الله الرحمة على ضريحه: • ان علم الله السابق محيط بالأشياء على ما هي عليه ولا محو فيه ولا تغيير ولا زيادة ولا نقص فانه سبحانه يعلم ما كان وما يكون وما لا يكون لو كان كيف كان يكون كما تقدم ، قال وأما ما جرى به القلم في اللوح المحفوظ فهل يقع فيه محو واثبات ؟ على قولين للعلماء ، قال وأما الصحف التي بيد الملائكة فيحصل فيها المحو والاثبات • انتهى • وتقدم • اذا علمت هذا فقوله ومن يميت بقتله النخ ان المراد ان المقتول يميت بأجله أى الوقت المقدر لموته لا كما يزعم بعض المعتزلة من ان الله تعالى قد قطع عليه الأجل ، والحق عند أهل الحق ان المقتول يميت فى الوقت الذى قدره الله تعالى له وعلم انه يموت فيه لا كما زعمت المعتزلة انه قد قطع عليه الاجل ، يعنى لم يوصله اليه وانه لو لم يقتل لعاش الى أمد هو أجله الذى علم الله تعالى موته فيه لولا

القتل ، فهم يقطعون بامتداد العمر لولا القتل • وحاصل النزاع ان المراد بالاجل المضاف زمان تبطل فيه الحياة قطعاً من غير تقدم ولا تأخر فهل يتحقق ذلك في المقتول أم المعلوم في حقه انه ان قتل مات وان لم يقتل فيعيش الى وقت هو أجل له ، فعندهم القاتل قد قطع عليه الاجل وانه لو لم يقتل لعاش الى أمد هو أجله الذي علم الله تعالى موته فيه لولا القتل ، وزعم أبو الهذيل منهم انه لو لم يقتل لمات في ذلك الوقت البتة ، وقول غيره لو لم يقتل لجاز أن يموت في ذلك الوقت وان لا يموت ، وهو مذهب أهل السنة يعنى الى أجله الذي اذا جاء لا يتأخر عنه ولا يتقدم كما قال تعالى (اذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) وادعى أبو الحسين ومن تابعه من المعتزلة بأن المسألة بديهية يعنى موت المقتول من فعل القاتل وبقاؤه لولا القتل ضرورية يدرك من غير استدلال بل بمجرد البديهية ، والجمهور منهم كانوا يقولون ان المسألة استدلالية ، وقال الكعبي منهم ان المقتول تبطل حياته بأجل القتل وليس المقتول بميت فيخص الموت بما لا يكون على وجه القتل على ما يشعر به قوله تعالى (أفان مات) الآية لكن المعنى مات حتف أنفه فمجرد بطلان الحياة موت ، والحاصل ان المقتول مات بأجله الذي أجله الله تعالى الذى لا يتقدم موته عليه لحظة ولا يتأخر عنه لحظة فانه عز وجل حكم بأجال العباد على علم من غير تردد فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون • وأما الاحاديث التى فيها ان بعض الطاعات تزيد في العمر مثل صلة الرحم ونحو ذلك مما جاء انه يقصر العمر فهذا في الصحف التى يقع فيها المحو والاثبات وعلم الله تعالى لا يقع فيه تغيير ولا زيادة ولا نقصان كما مر آنفاً • والحق ان الاجل واحد لا كما زعم الكعبي ان للمقتول أجلين القتل والموت وانه لو لم يقتل^(١) لعاش الى أجله الذى هو الموت ولا كما

(١) بهامش مط ما لفظه : قوله ولو لم يقتل الخ وللشيخ هنا كلام نفيس نصه : المقتول يموت بأجله عندعامة المسمين الا فرقة من القدرية قالوا ان القاتل قطع أجل المقتول ثم تكلم الجمهور لو لم يقتل فقال بعضهم كان يموت لأن اجله فرغ وقال بعضهم لا يموت لانتهاء اسبب ، وكلا القوين قال من ينتسب الى السنة وكلاهما خطأ فان القدر سبق بأنه يموت بهذا السبب لا بغيره فاذا قدر انتهاء هذا السبب كان فرض خلاف ما فى المقدور ولو كان المقدور انه لا يموت بهذا أمكن أن يكون المقدر انه يموت بغيره وأمکن أن

زعمت الفلاسفة ان للحيوان أجلا طبيعيا قيل هو في الانسان ان يبلغ مائة وعشرين سنة وموته عندهم يتحلل رطوبته وانطفاء حرارته الغريزيتين وأجل آخر غير الطبيعي اختراجه بحسب الآفات والامراض • ولرد هذه المذاهب الباطلة والعقائد الفاسدة العاطلة أشير بقوله ((ولم يفت)) على المقتول ولا غيره ((من رزقه)) المقسوم له في علم الملك الحي القيوم شيء قل ولاجل ((ولا)) فانه أيضا من ((الاجل)) المحتوم ((شيء)) ولا لحظة واحدة ((فدع)) أى اترك وجانب ((أهل الضلال)) من طوائف الاعتزال فانهم ضلوا الطريق القويم وأضلوا عن الصراط المستقيم ((و)) دع أهل ((الخطل)) وهو بفتح الخاء المعجمة والطاء المهملة الخفة والسرعة والكلام الفاسد الكثير وهذا مناسب لحال الفلاسفة لسرعة كلامهم وتعميقه وخفته وتزويقه مع ما فيه من الاضطراب وكثرة الخطأ وقلة الصواب والتناقض والتحكم بالعقول والخوض فيما لا يعلم حقيقته الا بالتلقى عن الرسول فكم لهم من هفوة باردة ومقالة فاسدة فدع نحاته أفكارهم ونخالة آرائهم وابتكارهم واكرع من المنهل العذب الزلال الصافى وتضلع من الغذاء الهنيء المرىء الشافى الذى جاء به الرسول عن جبريل عن رب العالمين لا ما قذفه الأفكار من الوسوس ووحى الشياطين •

احاديث في القضاء والقدر

(تمة) في ذكر بعض ما ورد في هذا الفصل من الاخبار عن النبي المختار صلى الله عليه وسلم ما تعاقب الليل والنهار روى ابن جبان في صحيحه والحاكم وصححه من حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا تستبطؤا الرزق فانه لم يكن عبد ليموت حتى يبلغ آخر رزق هو له فأجملوا في الطلب أخذ الحلال وترك الحرام » وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا أيها الناس اتقوا الله وأجملوا في الطلب فان نفسا لن تموت حتى تستوفي رزقها وان أبطأ عنها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب خذوا ما حل ودعوا ما حرم » رواه ابن ماجه

يكون المقدر انه لا يموت فالجزم بأحدهما جهل فما تعددت أسبابه لم يجزم بعدمه عند عدم بعضها ولم يجزم بثبوتها ان لم يعرف له سبب آخر بخلاف ما ليس له الا سبب واحد مثل دخول النار فانه لا يدخلها الا من عصى الله اه ع ب (كذا فى هامش الاصل) •

واللفظ له والحاكم وقال على شرط مسلم • وأخرج الحاكم من حديث ابن مسعود رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس من عمل يقرب من الجنة الا وقد أمرتكم به ولا عمل يقرب من النار الا وقد نهيتكم عنه فلا يستبطن أحد منكم رزقه فان جبريل ألقى في روعي ان أحدا منكم لن يخرج من الدنيا حتى يستكمل رزقه فاتقوا الله أيها الناس وأجلوا في الطلب فان استبطن أحد منكم رزقه فلا يطلبه بمعصية الله تعالى فان الله لا ينال فضله بمعصيته » وفي حديث حذيفة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هذا رسول رب العالمين جبريل عليه السلام نثت في روعي انه لا تموت نفس حتى تستكمل رزقها • رواه البزار • وفي حديث ابن مسعود رضى الله عنه قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق « ان أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما نطفة ، ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات يكتب رزقه وأجله وعمله وشقى أو سعيد » الحديث رواه البخارى ومسلم وغيرهما • وقد روى عن محمد بن يزيد الاسفاطى قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرى النائم فقلت يا رسول الله حديث ابن مسعود الذى حدث عنك فقال حدثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق ؟ فقال صلى الله عليه وسلم « والذى لا اله الا هو حدثته به أنا » يقولها ثلاثا ثم قال غفر الله للأعمش كما حدث به وغفر الله لمن حدث به قيل الأعمش ولمن حدث به بعده • وفي الصحيحين من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « وكل الله بالرحم ملكا يقول أى رب نطفة أى رب علقة أى رب مضغة فاذا أراد الله أن يقضى خلقا قال يارب اذكر أم أنثى ؟ أشقى أم سعيد ؟ فما الرزق ؟ فما الأجل ؟ فيكتب كذلك في بطن أمه » وفي مسلم من حديث حذيفة بن أسيد رضى الله عنه يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم : ويكتب عمله وأثره وأجله ورزقه ثم تطوى الصحف فلا يزداد فيها ولا ينقص • وقد روى انه يكتب على جبهته أو بطن كفه أو ورقة تعلق في عنقه • وفي رواية بين عينيه • قال الحافظ ابن رجب في شرح الاربعين النووية : وبكل حال فهذه الكتابة التى

تكتب للجنين في بطن أمه غير كتابة المقادير السابقة لخلق الخلائق المذكورة في قوله تعالى (ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم الا في كتاب من قبل ان نبرأها) كما في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ان الله تعالى قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة ، كما تقدم • قال علماء الحديث يكتب رزقه قليلا كان أو كثيرا ، وصفته حلالا كان أو حراما أو مكروها ، ويكتب أجله طويلا كان أو قصيرا • وبالله التوفيق •

((الباب الثالث

في الأحكام والكلام على الايمان ومتعلقات ذلك))

الباب الثالث
في الاحكام
والايمان

علة التكليف

اعلم وفقنى الله واياك وسائر المسلمين لمرضاته ان طرق الناس قد اختلفت في علة التكليف وحكمته مع كون الله سبحانه وتعالى لا يتنفع بطاعة ولا تضره معصية فسلكت الجبرية ومن وافقهم مسلكتهم المعروف وان ذلك صادر عن محض المشيئة وصرف الارادة وأنه لا علة ولا حكمة له ولا ما يحث عليه سوى محض الارادة ، وسلكت القدرية مسلكتها المعروف وهو أن ذلك استتجار منه لعبيده لينالوا أجرهم بالعمل فيكون الذنب اقتضاؤهم الثواب بلا عمل لما فيه من تكدير المنة، والمسلطان فاسدان كما ترى، وتقدم ذلك، وحسبك ما يدل عليه العقل الصريح والنقل الصحيح من بطلان هذين المذهبين وفسادهما ، وليس عند الناس غير هذين المسلكتين الا مسلكت من هو خارج عن الديانات واتباع الرسل ممن يرى ان الشرائع وضعت نواميس تقوم عليها مصلحة الناس ومعايشهم وان فائدتها تكميل قوة النفس العملية وارتياضها لتخرج عن شبه الانعام فتصير مستعدة لأن تكون محلا لقبول الفلسفة العليا والحكمة • وهذا مسلكت خارج عن مناهج الانبياء وأمهم • وأما أتباع الرسل الذين هم أهل البصائر فحكمة الله عز وجل في تكليفهم ما كلفهم به أعظم وأجل عندهم مما يخطر بالبال أو أعرب به المقال فيشهدون

له سبحانه في ذلك من الحكم الباهرة والاسرار العظيمة أكثر مما يشهدونه في مخلوقاته وما تضمنته من الاسرار والحكم، ويعلمون مع ذلك انه لا نسبة لما أطلعهم سبحانه عليه من ذلك الى ما طوى علمه عنهم واستأثر به دونهم وان حكمته في أمره ونهيه لأنه جل وعلا أهل ان يعبد، والى هذا المقام أشار بقوله :

وجوب عبادة
الله تعالى

((وواجب على العباد طرا ان يعبدوه طاعة وبرا))
((ويفعلوا الفعل الذى به أمر حتما ويتركوا الذى عنه زجر))

((وواجب على العباد طرا)) أى جميعا وفى حديث قس بن ساعدة الايادى : ومرادا لمحشر الخلق طرا - قال فى النهاية أى جميعا وهو منصوب على المصدر أو الحال ((ان يعبدوه)) سبحانه وتعالى ((طاعة)) أى لأجل الطاعة وامتنال الامر لما ندب الخلق من التكليف على السنة الرسل عليهم الصلاة والسلام ((وبرا)) أى لأجل البر والاحسان الناشء عنهما المحبة قال فى النهاية البر بالكسر الاحسان والتقرب الى الله تعالى . فهو سبحانه أهل ان يعبد وأهل أن يكون الحب كله له والعبادة له حتى لو لم يخلق جنة ولا ناراً ولا وضع ثوابا ولا عقابا لكان جل شأنه أهلا ان يعبد أقصى ما تناله قدرة خلقه من العبادة ، وفى بعض الآثار الالهية « لو لم أخلق جنة ولا ناراً ألم أكن أهلا ان أعبد » وفى الفطرة والعقل ما يقتضى شكره وافراده بالعبادة كما فيهما ما يقتضى تناول المنافع واجتناب المضار فان الله تعالى فطر خلقه على محبته والاقبال عليه وابتغاء الوسيلة اليه وانه لا شىء على الاطلاق أحب الى العباد منه وان فسدت فطر أكثر الخلق بما طرأ عليها بما اقتطعها واجتالها عما خلق فيها قال تعالى (فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها) فبين سبحانه ان اقامة الوجه وهو اخلاص القصد وبذل الوسع لدينه المتضمن محبته وعبادته حنيفا مقبلا عليه معرضا عما سواه هو فطرته التى فطر عليها عباده فلو خلوا ودواعى فطرهم لما مالوا عن ذلك ولا اختاروا سواه ولكن غيرت الفطر وأفسدت كما قال النبي صلى الله عليه وسلم « ما من مولود الا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما تنتج

البهيمة بهيمة جمعاء^(١) هل تحسون فيها من جدعاء حتى تكونوا أنتم تجدعونها » ثم يقول أبو هريرة رضى الله عنه أقرؤا « فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون* منيين اليه » ومنيين نصب على الحال من المفعول أى فطرهم منيين اليه ، والابانة اليه تتضمن الاقبال عليه بمحبته وحده والاعراض عما سواه • وفى صحيح مسلم من حديث عياض بن حمار - بكسر الحاء المهملة - عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ان الله أمرنى أن أعلمكم ما جهلتم مما علمنى فى مقامى هذا انه قال كل ما نحلته عبدا فهو له حلال وانى خلقت عبادى حنفاء فأنتهم الشياطين فاستجالتهم عن دينهم وأمرتهم ان يشركوا بى ما لم أنزل به سلطانا وحرمت عليهم ما أحللت لهم » فأخبر سبحانه انه انما خلق عباده على الحنيفية المتضمنة لكمال حبه والخضوع له والذل له وكمال طاعته وحده دون غيره ، وهذا من الحق الذى خلقت له وبه قامت السموات والارض وما بينهما وعليه قام العالم ولا أجله خلقت الجنة والنار ولا أجله أرسل رسله وأنزل كتبه ولأجله أهلك القرون التى خرجت عنه وآثرت غيره ، فكونه سبحانه أهلا أن يعبد ويحب ويشئ عليه أمر ثابت له لذاته فهو سبحانه الاله الحق المين ، والاله هو الذى يستحق أن يؤله محبة وتعظيما وخشية وخضوعا وتذلا وعبادة فهو الاله الحق ولو لم يخلق خلقه ، وهو الاله الحق ولو لم يعبدوه ، فهو المعبود حقا الاله حقا المحمود حقا ولو قدر أن خلقه لم يعبدوه ولم يحمده ولم يألوه ، لم يستحدث تعالى بخلقه لهم ولا بأمره اياهم استحقاق الالهية والحمد بل الهية وحمده ومجده وغناه أو صاف ذاتية له سبحانه يستحيل مفارقتها له كحياته ووجوده وقدرته وعلمه وسائر صفات كماله • وقد جاءت الرسل وأنزلت الكتب بتقرير ما استودع سبحانه فى الفطر والعقول من ذلك وتكميله وتفصيله وزيادته حسنا الى حسنه فاتتقت شريعته وفطرته وتطابقا وتوافقا، فعبده عباده وأحبوه ومجدوه بداعى الشرع وداعى الفطرة والعقل ، فاجتمعت لهم الدواعى ودعتهم الى وليهم والههم وفاطرهم فأقبلوا اليه بقلوب سليمة لم يعارض خبره عندها شبهة

توجب ربيا وشكيا ولا أمره شهوة توجب رغبته عنه وايثارها سواء ، وقد قام النبي صلى الله عليه وسلم حتى تظفرت قدماه فقيل له تفعل هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك، وما تأخر؟ قال « أفلا أكون عبدا شكورا » واقتصر صلى الله عليه وسلم من جوابهم على ما تدركه عقولهم وتنااله افهامهم والا فمن المعلوم أن باعته على ذلك الشكر أمر يجلب عن الوصف ولا تحيط به العبارة والاذهان فأين هذا الشهود من شهود طائفتي القدرية والجبرية •

واعلم انه لا يمكن أحدا من خلقه قط أن يعبدته تعالى حق عبادته ولا يوفيه حقه من المحبة والحمد ، ولهذا قال أكمل خلقه وأفضلهم وأعرفهم به وأحبهم اليه وأطوعهم له : « لا أحصى ثناء عليك » وأخبر صلى الله عليه وسلم أن عمله لا يستقل بالنجاة فقال « لن ينجى أحدا منكم عمله » قالوا ولا أنت يا رسول الله؟ قال « ولا أنا الا أن يتغمدني الله برحمته منه وفضل » وفي الحديث المرفوع المشهور أن من الملائكة من هو ساجد لا يرفع رأسه منذ خلق ومنهم راكم لا يرفع رأسه من الركوع منذ خلق الى يوم القيامة وانهم يقولون يوم القيامة سبحانك ما عبدناك حق عبادتك •

ولما كانت عبادته سبحانه وتعالى تابعة لمحبه واجلاله وكانت المحبة نوعين محبة تنشأ عن الانعام والاحسان فتوجب شكرا وعبودية بحسب كمالها ونقصانها ومحبة تنشأ عن جمال المحبوب وكماله فتوجب عبودية وطاعة أمر واجتنب نهى أكمل من الاولى وكان الباعث على الطاعة والعبودية ان لا يخرج عن هذين النوعين قال الناظم عاطفا امثال الامر والانتهاه عما عنه الزجر ((ويفعلوا)) يعنى العباد ((الفعل الذى به أمر)) سبحانه وتعالى أى الفعل الذى أمر به فان كان على سبيل الحتم والتأكيد فعلوه على الوجوب وان كان على سبيل الندب والارشاد فعلى الندب ولهذا قال ((حتما)) أى لازما مصدر حتم يعنى انهم يفعلون ما أمر الله به أمرا على سبيل الحتم واللزوم وأما اذا كان الامر لا على سبيل الحتم ففعله غير لازم بل هو مندوب ومرغوب فيه ومستحب ، قال فى النهاية الحتم اللازم الواجب الذى لا بد من فعله ((و)) ان ((يتركوا)) الشئ ((الذى عنه زجر)) ولا يخفى ان الزجر يفيد التحريم لأن معنى الزجر المنع قال فى القاموس زجره منعه

ونهاه كأزجره فانزجر وازدجر • فان لم يكن على سبيل الزجر والتجريم فيكون للكراهة وخلاف الاولى وتركه على سبيل الندب والاستحباب • فنكون الطاعة تارة تقع عن محبة وشوق وأخرى عن خوف مقرون بحب ، وأما من أتى بصورة الطاعة خوفا مجردا عن الحب فليس بمطيع ولا عابد وانما هو كالمكره أو كأجير السوء الذى ان أعطى عمل وان لم يعط كفر وأبق فالعبادة والطاعة الناشئة عن محبة الكمال والجلال أعظم من الطاعة الناشئة عن رؤية الانعام والأفضال والاحسان فان الذوق السليم يدرك الفرق بين ما تعلق بالحى القيوم الذى لا يموت وبين ما تعلق بالمخلوق من رغبة فى جنة أو خوف من نار وان شمل النوعين اسم المحبة لان من يحبك لذاتك وأوصافك وجمالك أتم وأكمل وأعظم ممن يحبك لخيرك ودينارك، وأسماء الله الحسنى والصفات العلى مقتضية لأنارها من العبودية والأمر اقتضاءها لأنارها من الخلق والتكوين ، فأمره سبحانه وتعالى ونهيه هو موجب أسمائه وصفاته فى العالم وآثارها ومقتضاها من غير أن يتزين تعالى بطاعة ولا يشان بمعصية وتأمل قوله تعالى فى الحديث القدسى « عبادى انكم لن تبلغوا ضرى فتضرونى ولن تبلغوا نفعى فتنفعونى » الحديث، فبين سبحانه ان ما أمرهم به من الطاعات وما نهاهم عنه من السيآت لا يتضمن استجلاب نفعهم ولا اندفاع ضرهم كأمر السيد عبده والوالد ولده والامام رعيته بما ينفع الأمر والمأمور به ونهيهما عما يضر الناهى والمنهى ، بل هو سبحانه المنزه عن حقوق نفعهم وضرهم به فى احسانه اليهم بما يفعله بهم وبما يأمرهم به من اجابة الدعوات وغفران الزلات وتفريج الكربات فليس ذلك لاستجلاب منفعة ولا لدفع مضرة فانه الغنى الحميد، ولكن له سبحانه فى تكليف عباده وأمرهم ونهيهما من الحكم البالغة ما يقتضيه ملكه التام وحمده وحكمته ولو لم يكن من ذلك الا أنه يستوجب من عباده شكر نعمه التى لا تحصى ومنه التى لا تستقصى بحسب قواهم وطاقتهم لا بحسب ما ينبغى له فانه أعظم وأجل من أن يقدر خلقه عليه لكان كافيا ، فلا شئ أحسن فى العقول والفطر من شكر المنعم ولا أنفع للعبد منه ، فهذان مسلكان آخران فى التكليف والأمر والنهى أحدهما يتعلق بذاته تعالى وصفاته وانه أهل لذلك ، والثانى يتعلق

باحسانه وانعامه ولا سيما مع غناه عن عباده وانه انما يحسن اليهم رحمة منه وجودا وكرما لا لمعاوضة ولا لاستجلاب منفعة ولا لدفع مضرة، فأى المسلمين سلكه العبد أوقعه على محبته وبذل الجهد في مرضاته • ذكر ذلك في مفتاح دار السعادة وأطال جدا فلخص منه هذا وبالله التوفيق • قال ابن حمدان في نهاية المبتدئين : يجب امتثال أمره تعالى واجتناب نهيه الجازمين ويستحب في غيرهما ويلزم به الطاعة والخضوع والاخلاص في الكل • قال والامر بالشيء نهى عن ضده معنى والنهى عنه أمر بضده معنى ان كان ضده واحدا أو أحدها ان كانت أكثر من واحد والامر والنهى المطلقان للفور والتكرار الممكن شرعا كما هو مذكور في محاله من أصول الفقه •

فصل

((فصل))

في الكلام على القضاء والقدر غير ما تقدم قال

((وكل ما قدر أو قضاه فواقع حتما كما قضاه))
((وليس واجب(?) على العبد الرضا بكل مقضى ولكن بالقضاء))
((لأنه من فعله تعالى وذاك من فعل الذى تعالى))

بحث الرضا
بالقضاء

((وكل ما)) أى كل شيء ((قدر)) الله سبحانه وتعالى ((أو قضاه)) من سائر الأشياء وتقدم تعريف القضاء والقدر قريبا ((ف)) هو ((واقع حتما)) لازما ((كما قضاه)) أى كما حكم به وقدره حسبما سبق به علمه وجرى به القلم في الكتاب الذى كتبه قبل أن يخلق السموات والارض والخلائق بخمسين ألف عام المذكور في قوله تعالى (ما أصاب من مصيبة في الارض ولا في أنفسكم الا في كتاب من قبل ان نبرأها) قال في النهاية قد تكرر في الحديث ذكر القدر وهو عبارة عما قضاه الله وحكم به من الامور • وقال في القضاء انه الفصل والحكم • وقال وقد تكرر في الحديث ذكر القضاء وأصله القطع والفصل يقال قضى قضاء فهو قاض اذا حكم وفصل وقضاء الشيء احكامه وامضاؤه والفراغ منه فيكون بمعنى الخلق • وقال الازهرى القضاء في اللغة على وجوه مرجعها انقطاع الشيء واتمامه وكلما أحكم عمله أو أتم أو ختم أو أدى أو أوجب أو أعلم أو انفذ أو

معانى القضاء

امضى « قال وقد جاءت هذه الوجوه كلها في الاحاديث ومنه القضاء المقرون بالقدر فالقضاء والقدر أمران متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر لأن أحدهما بمنزلة الاساس وهو القدر والآخر بمنزلة البناء وهو القضاء فمن رام الفصل بينهما فقد رام هدم البناء ونقضه - وتقدم • وذكر الحافظ ابن حجر العسقلاني في فتح الباري في أول تفسير سورة الاسراء ان اسماعيل ابن أحمد النيسابورى قد استوعب الواجه في القضاء في كتابه (الوجوه والنظائر) فقال : لفظه « قضى » فى الكتاب العزيز جاءت على خمسة عشر وجهها الفراغ (فاذا قضيتم مناسكتكم) والامر (اذا قضى أمرا) والاجل (فمنهم من قضى نحبه) والفصل (لقضى الامر بينى وبينكم) والمضى (ليقضى الله أمرا كان مفعولا) والهلاك (لقضى اليهم أجلهم) والوجوب (لما قضى الامر) والابرام (فى نفس يعقوب قضاها) والاعلام (وقضينا الى بنى اسرائيل) والوصية (وقضى ربك أن لا تعبدوا الاياه) والموت (فوكره موسى فقضى عليه) والنزول (فلما قضينا عليه الموت) والخلق (فقضاهن سبع سموات) والفعل (كلا لما يقض ما أمره) يعنى حقا لم يفعل ما أمره ، والعهد (اذ قضينا الى موسى الامر) • وذكر غيره القدر المكتوب فى اللوح المحفوظ كقوله تعالى (وكان أمرا مقضيا) والفعل (فاقض ما أنت قاض) أى وجب لهم العذاب • والوفاء بغاية العبادة والكفاية « ولن يقضى عن أحد بعدك » وبعض هذه الوجوه متداخل ، ويرد القضاء بمعنى الانتهاء (فلما قضى زيد منها وطرا) وبمعنى الاتمام (ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده) وبمعنى كتب (اذا قضى أمرا) وبمعنى الاداء وهو ما ذكره بمعنى الفراغ ومنه قضى دينه ، وتفسيره (وقضى ربك ان لاتعبدوا) بمعنى وصى منقول من مصحف أبى بن كعب أخرجه الطبرى وأخرجه أيضا من طريق قتادة قال هى فى مصحف ابن مسعود « ووصى » ومن طريق مجاهد فى قوله تعالى وقضى قال وأوصى ، ومن طريق الضحاك انه قرأ ووصى وقال لصقت الواو بالصاد فصارت قافا فقرئت وقضى • كذا قال واستكروه منه • انتهى ملخصا • فقوله فى النظم « فواقع حتما كما قضاء » اشارة الى ما قدمنا ذكره من ان الله تعالى قدر الاشياء فى

الازل وعلم سبحانه انها ستقع في اوقات معلومة عنده على صفات مخصوصة فهي تقع على حسب ما قدرها وقضاها من غير زيادة ولا نقص . وقصد بذلك الرد على المعتزلة القدرية المنكرة لسبق العلم بالاشياء قبل وجودها وزعمهم ان الله تعالى لم يقدر الامور ازلا ولم يكتبها ولم يتقدم له علم بها وانما يأتفها علما حال وقوعها ، وهؤلاء انقضوا كما مر ، وأما القدرية المثبتة لسبق العلم بالاشياء انما خالفوا السلف في زعمهم ان أفعال العباد مقدورة لهم واقعة منهم على جهة الاستقلال لا اذن ولا صنع للبارى في ذلك كما مر الكلام على ذلك بما فيه غنية فراجعه ان شئت ((وليس واجب (?) على العبد)) المكلف ((الرضا)) وهو سكون القلب وطمأنينته الى قدم اختيار الله للعبد انه اختار له الافضل فيرضى به ، وقال الجنيد قدس الله روحه : الرضا صحة العلم الواصل الى القلب فاذا باشر القلب حقيقة العلم أداء الى الرضا . وليس الرضا والمحبة كالرجاء والخوف فان الرضا والمحبة حالان من أحوال أهل الجنة لا يفارقان في الدنيا ولا في الآخرة ولا في البرزخ بخلاف الخوف والرجاء فانهما يفارقان أهل الجنة بحصول ما كانوا يرجونه وأمنهم مما كانوا يخافونه وان كان رجاءهم لما ينالون من كرامته دائما لكنه ليس رجاء مشوبا بشك بل رجاء واثق بوعد صادق من حبيب قادر، فهذا لون ورجاءهم في الدنيا لون، وقد قيل ليحيى بن معاذ رحمه الله متى يبلغ العبد الى مقام الرضا ؟ فقال اذا أقام نفسه على أربعة أصول في ما يعامل به ربه فيقول ان أعطيتني قبلت وان منعتني رضيت وان تركتني عبدت وان دعوتني أجبت . قال الامام المحقق ابن القيم في كتابه شرح منازل السائرين : الرضا بالله أعلى من الرضا بما من الله ، قال وليس من شرط الرضا أن لا يحس بالالم والمكاره بل ان لا يعترض على الحكم ولا يتسخطه ولهذا أشكل على بعض الناس الرضا بالمكروه وطمعوا فيه وقالوا هذا ممتنع على الطبيعة وانما هو الصبر والا فكيف يجمع الرضا والكراهة وهما ضدان . والصواب انه لا تناقض بينهما وان وجود التأم وكراهة النفس له لا ينافي الرضا كرضا المريض بشرب الدواء الكريه ورضا الصائم في اليوم الشديد الحرمانه من ألم الظمأ والجوع ورضى المجاهد بما يحصل له في سبيل الله من ألم الجراح وغيرها

وقال : أجمع العلماء على أن الرضا مستحب مؤكد استحبابه واختلفوا في وجوبه على قولين • قال وسمعت شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه يحكيهما قولين لأصحاب الامام أحمد رضى الله عنه وكان - يعنى شيخ الاسلام - يذهب الى القول باستحبابه ، قال ولم يجيء الامر به كما جاء بالصبر وانما جاء الثناء على أصحابه ومدحهم • قال وأما ما يروى من الاثر: من لم يصبر على بلائى ولم يرض بقضائى فليخذ ربا سوائى • فهذا اثر اسرائيلى ليس يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم • قال ابن القيم ولا سيما عند من يرى أن الرضا من جملة الاحوال التى ليست مكتسبة وانه موهبة محضة فكيف يؤمر به وليس مقدورا ، وهذه مسألة اختلف فيها أرباب السلوك على ثلاث طرق فالخراسانيون قالوا : الرضا من جملة المقامات وهو نهاية التوكل ، فعلى هذا يمكن أن يتوصل اليه العبد بالاكتساب • والعراقيون قالوا هو من جملة الاحوال وليس كسبا للعبد هو نازلة تحل بالقلب كسائر الاحوال • وحكمت طائفة ثالثة بين الطائفتين منهم القشيري فقالوا : بداية الرضا مكتسبة للعبد فهى من جملة المقامات • ونهايته من جملة الاحوال فأوله مقام ونهاية حال ، والفرق بين المقامات والاحوال ان المقامات عندهم من المكاسب ، والاحوال من مجرد المواهب • قال المحقق ابن القيم : هنا ثلاثة أمور الرضا بالله والرضا عن الله والرضا بقضاء الله ، فالرضا بالله فرض ، والرضا عنه وان كان من أجل الامور وأشرف أنواع العبودية فلم يطالب به العموم لعجزهم عنه ومشقة عليهم وأوجبه طائفة كما أوجبوا الرضا به • وأما الرضا بقضاء الله فهو المشار اليه بقوله لا يجب الرضا ((بكل مقضى)) بل حكم المقضى لا بد فيه من التفصيل لأنه اما أن يكون مقضيا دينيا شرعيا فالواجب على العبد ان لا يختار في هذا النوع غير ما اختاره له ربه وسيده كما قال تعالى (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم) فاختيار العبد خلاف ذلك مناف لايمانه وتسليمه ورضاه بالله ربا وبالاسلام ديناً وبمحمد رسولا ، واما أن يكون كونيا قدريا وهذا منه ما لا يسخطه الله كالمصائب التى يتلى عبده بها فهذا لا يراه فراره منها الى القدر الذى يرفعها عنه ويكشفها وليس فى ذلك منازعة

للربوبية وان كان فيه منازعة للقدر بالقدر فهذا تارة يكون واجبا ، وتارة يكون مستحبا ، وتارة يكون مباحا مستوى الطرفين ، وتارة يكون حراما ، وتارة يكون مكروها ، فالمقضى الذى لا يحبه الرب ولا يرضاه مثل المعاييب والذنوب فالعبد مأمور بسخطه ومنهى عن الرضا به وهذا هو التفصيل الواجب بالرضا بالقضاء المشار اليه بقوله ((ولكن)) يجب الرضا ((بالقضاء)) فان لفظ الرضا بالقضاء لفظ محمود مأمور به وهو من مقامات الصديقين فصار له حرمة أوجبت لطائفة قبوله من غير تفصيل وظنوا ان كل ما كان مقتضيا للرب تعالى مخلوقا له ينبغى الرضا به ثم انقسموا فرقتين فقالت فرقة اذا كان القضاء والرضا متلازمين فمعلوم انا مأمورون بتغيير المعاصى والكفر والظلم فلا تكون مقتضية مقدره - وهم القدريه ، وقالت فرقة قد دل العقل والشرع على انها واقعة بقضاء الله وقدره فنحن نرضى بها - كالمرجئة والجبرية ، وكل من الفريقين على سبيل ضلال وانحراف عن نهج الحق وطريق الصواب ، والحق فى ذلك التفصيل فرضى بقضاء الله الذى هو خلقه الذى أمرنا أن نرضى به ولا نرضى من ذلك بالمقضى مما نهانا عن الرضا به فرضى بالقضاء ونسخط من المقضى ما لا يحبه الله تعالى ويرضاه ولهذا قال ((لأنه)) أى القضاء ((من فعله)) أى من فعل الله سبحانه و ((تعالى)) وهذا أحد الاجوبة عن الرضا بالقضاء فرضى بفعله تعالى دون المعصية الصادرة من العبد ، وهذا ونحوه لا يتمشى على أصول من يجعل محبة الرب ورضاه ومشيتته واحدة فان من قال كل ما شاء الله تعالى وقضاه فقد أحبه ورضيه لا يحسن منه ولا عنده هذا التفصيل كما لا يخفى ، وأيضا هذا انما يصح عند من جعل القضاء غير المقضى والفعل غير المفعول وهو مذهب السلف ، وأما من لم يفرق بينهما فكيف يصح هذا عنده ؟ قال الامام المحقق ابن القيم فى شرح منازل السائرين : انما نشأ الاشكال من جعلهم المشيئة نفس المحبة ثم زاد بجعلهم الفعل نفس المفعول والقضاء عين المقضى فنشأ من ذلك الزامهم بكونه تعالى راضيا محبا لذلك والتزام رضاهم به ، والذى يكشف هذه الغمة وينجى من هذه الورطة التفريق بين ما فرق الله بينه وهو المشيئة والمحبة فليسا واحدا ولا هما متلازمان بل قد يشاء ما لا يحبه ويحب ما لا يشاء كونه ،

فالأول كمشيئته وجود ابليس وجنوده ، ومشيئته العامة لجميع ما في الكون مع بغضه لبعضه ، والثاني كمحبة ايمان الكفار وطاعات الفجار وعدل الظالمين وتوبة الفاسقين ولو شاء ذلك لوجد كله فانه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، فاذا تقرر هذا فالاصل ان الفعل غير المفعول والقضاء غير المقضى وان الله جل شأنه لم يأمر عباده بالرضا بكل ما خلقه وشاءه وقد زالت الشبهات وانحلت الاشكالات • اذا عرف هذا فالرضا بالقضاء الديني الشرعي واجب وهو أساس الاسلام وقاعدة الايمان فيجب على العبد أن يكون راضيا به بلا حرج ولا منازعة ولا معارضة ولا اعتراض قال تعالى (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) فاقسم تعالى انهم لا يؤمنون حتى يحكموا رسوله ويرفع الحرج من نفوسهم من حكمه ويسلموا لحكمه وهذا حقيقة الرضا بحكمه ، فالتحكيم في مقام الاسلام وانتفاء الحرج في مقام الايمان والتسليم في مقام الاحسان ، ومتى خالط القلب بشاشة الايمان واكتحلت بصيرته بحقيقة اليقين وحيى بروح الوحي وتمهدت طبيعته وانقلبت النفس الامارة مطمئنة راضية وادعة وتلقى الاسلام بصدر منشرح فقد رضى كل الرضا بهذا القضاء المحبوب لله ورسوله ((وذلك)) أى المقضى المبعوض لله ورسوله من المعاصى والظلم والعدوان ونحوها لا يرضى به العبد لأنه ((من فعل)) الشخص ((الذى تقالى)) تفاعل من قلاه كرماء رفضه وأبغضه أى من فعل الذى أتى بما يبغضه الله باتيانه به وملابسته له وفعله الذى فعله من المظالم والمعاصى والأشياء المبعوضة للبارى سبحانه وتعالى فأتى بما يوجب بغضه ويكرهه اليه غاية الكراهة فهذا لا يسوغ الرضا به ، وسر المسألة ان الذى الى الرب منها غير مكروه وانما المكروه المسخوط ما للعبد منها • قال الحافظ ابن عبد الهادى رحمه الله تعالى : القضاء يراد به ثلاثة أشياء أحدها الامر والنهى فهذا الرضا به واجب ، والثانى الكفر والمعاصى فهذا الرضا به ليس بواجب ، والثالث المصائب التى تصيب العبد فهل الرضا بها واجب أو مستحب ؟ قال ثم يقال : القضاء الذى هو صفة الله الرضا به واجب ، وأما المقضى وهو الكفر والمعاصى التى هى أفعال العباد فالرضا بها ليس بواجب • انتهى • ومقصوده ولا جائز • وفى تائيه

شيخ الاسلام ابن تيمية :

وقال فريق نرتضى بقضاءه ، ولا نرتضى المقضى لاقبح خلقه
وقال فريق نرتضى باضافة اليه وما فينا فلنقى بسخطة
فترضى من الوجه الذى هو خلقه ونسخط من وجه اكتساب بحيلة

قال الطوفي في شرح التائبة المذكورة : (الثالث) قول من قال نرضى بالقضاء الذى هو تقديره ولا نرضى بالمقضى الذى هو أفعالنا القبيحة ، قال وبهذا أجاب بعض أهل السنة للمعتزلة عن قولهم لو كان الكفر بقضاء الله لوجب الرضا به لان الرضا بالقضاء واجب ولكن الرضا بالكفر كفر فلا يكون بقضاء الله تعالى فأجابهم بالفرق بين القضاء والمقضى . قال : الرابع قول من قال نرضى بالمقضى من حيث انه خلق الله ومراده ونسخطه من حيث هو مكتسب لنا ، وهذا من باب اختلاف الجهتين كما قال الفقهاء في الموضوع من آية الذهب والفضة ونحو ذلك والله أعلم . فان قلت ليس الى العبد شيء منها قلنا هذا هو الجبر الباطل الذى لا يمكن صاحبه التخلص من هذا المقام الضيق ، والقدرى أقرب الى التخلص منه من الجبرى ، وأهل السنة المتوسطون بين القدرية والجبرية هم أسعد بالتخلص منه من الفريقين . والرضا بالقضاء من السعادة كما في مسند الامام أحمد وسنن الترمذى من حديث سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من سعادة ابن آدم استخارة الله عز وجل ، ومن سعادة ابن آدم رضاه بما قضى الله ، ومن شقوة ابن آدم سخطه بما قضى الله ، ومن شقاوة ابن آدم ترك استخارة الله » فالرضا بالقضاء من أسباب السعادة ، والسخط على القضاء من أسباب الشقاوة . وروى ابن أبى الدنيا بسنده عن عمر بن ذر قال بلغنا ان أم الدرداء رضى الله عنها كانت تقول ان الراضين بقضاء الله الذى ما قضا الله لهم رضوا به لهم في الجنة منازل يغبطهم بها الشهداء يوم القيامة . وقال سيدنا الامام على بن أبى طالب رضى الله عنه لعدي بن حاتم وقد رآه كئيبا حزينا لقتل ابنه وفقء عينه « يا عدى من رضى بقضاء الله كان له أجر ومن لم يرض بقضاء الله حبط عمله » رواه ابن أبى الدنيا والله أعلم .

((فصل في الكلام على الذنوب ومتعلقاتها))

فصل في
الذنوب
ومتعلقاتها

اعلم وفقك الله تعالى ان فرقة المعتزلة من أول فرقة أسسوا قواعد الخلاف لما ورد به ظاهر السنة وجرى عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين لهم باحسان رضى الله عنهم في باب العقائد ، وذلك ان رئيسهم واصل بن عطاء اعتزل مجلس الحسن البصرى يقرر أن مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن ولا كافر ويثبت المنزلة بين المنزلتين فقال له الحسن اعتزل عنا فسموا المعتزلة وهم سموا أنفسهم أصحاب العدل والتوحيد لقولهم بوجود ثواب الصلاح والاصلاح وثواب المطيع وعقاب العاصى على الله تعالى ونفى الصفات القديمة عنه كما تقدم ذلك . قال الحافظ العلامة شمس الدين محمد بن عبد الهادى الحنبلى من بنى قدامة في مناقب شيخه شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه : أول خلاف حدث في الملة في الفاسق الملى هل هو كافر أو مؤمن ؛ فقالت الخوارج انه كافر وقالت الجماعة انه مؤمن وقالت طائفة المعتزلة هو لا مؤمن ولا كافر منزلة بين منزلتين وخلدوه في النار واعتزلوا حلقة الحسن البصرى وأصحابه فسموا معتزلة ، وأما أهل السنة فلم يخرجوه من الاسلام ولم يحكموا عليه بخلود في النار وانما هو فاسق بكبيرته مؤمن بايمانه وهو تحت مشيئة الله تعالى ولهذا قال :

الخلاف في
مرتكب الكبيرة

- | | |
|---------------------------------|--------------------------------|
| ((ويسق المذنب بالكبيره)) | ((اذا أصر بالصغيره)) |
| ((لا يخرج المرء من الايمان)) | ((بموبات الذنب والعصيان)) |
| ((وواجب عليه أن يتوب)) | ((من كل ما جر عليه حوبا)) |
| ((ويقبل المولى بمحض الفضل)) | ((من غير عبد كافر منفصل)) |
| ((مالم يتب من كفره بضده)) | ((فيرتجع عن شركه وصدده)) |
| ((ومن يمت ولم يتب من الخطا)) | ((فأمره مفوض لدى العطا)) |
| ((فان يشأ يعف وان شاء انتقم)) | ((وان يشأ أعطى وأجزل النعم)) |

((ويسق)) المسلم المكلف ((المذنب ب)) آتيانه للمعصية ((الكبيرة))
أسل الفسوق الخروج عن الاستقامة والجور وبه سمى العاصى فاسقا وفي الحديث « خمس فواسق يقتلن في الحل والحرم الحية والغراب الأبقع

والفارة والكلب العقور والحدأة » وسميت فواسق لخروجها بالايداء والافساد عن طريق معظم الدواب ، وسمى الرجل الفاسق لخروجه عن أمر الله ، والمذنب هو المقترف للذنب وهو الاثم كما في القاموس والجمع ذنوب وجمع الجمع ذنوبات قال تعالى (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان) قال في شرح منازل السائرين : الاثم والعدوان كل منهما اذا افرد تضمن الآخر فكل اثم عدوان اذ هو فعل ما نهى الله عنه أو ترك ما أمر الله به فهو عدوان على أمره ونهيه وكل عدوان اثم فانه يَأثم به صاحبه ، لكن عند اقترانها فهما شيآن بحسب متعلقهما ووصفهما فالاثم ما كان محرماً الجنس كالكذب والزنا وشرب الخمر ونحو ذلك والعدوان ما كان محرماً القدر والزيادة بأن يتعدى ما أبيض منه الى القدر المحرم كالاعتداء في أخذ الحق ممن هو عليه بأن يعتدى على ماله أو بدنه أو عرضه • والكبيرة كل معصية فيها حد في الدنيا أو وعيد في الآخرة ، وزاد شيخ الاسلام : أو ورد فيها وعيد بنفى ايمان أو لعن ونحوهما • وقيل ما لحق صاحبها وعيد شديد بنص كتاب أو سنة • قال ابن عبد السلام الشافعي : لم أفق للكبيرة على ضابط سالم من الاعتراض ، وعدل أمام الحرمين عن تعريفها الى حد السالب للعدالة فقال : كل جريمة تؤذن بقله اكتراث مرتكبها بالدين ورقة الديانة فهي مبطله للعدالة ، وكل جريمة لا تؤذن بذلك بل يبقى حسن الظن بصاحبها لا تحبط العدالة • وقد ذهب بعض العلماء الى أن كل محرّم كبيرة منهم الاستاذ أبو اسحاق الاسفراينى والقاضى أبو بكر الباقلانى وامام الحرمين الجوينى بل حكاه ابن فورك عن الاشاعرة ، والصواب تقسيم الذنوب الى كبيرة وصغيرة ، ويقال انه لا خلاف بين الفريقين في المعنى بل في التسمية والاطلاق لاتفاق الجميع على أن من المعاصى ما يقدح في العدالة ومنها ما لا يقدح ، والحامل لمن أطلق على الجميع اسم الكبيرة تعظيم الحضرة الالهية من أن يكون العاصى له تعالى مرتكباً الا معصية كبيرة ، فبالنظر للمعصية فمنها الكبائر ومنها الصغائر وبالنظر الى المعصى فالجميع كبائر • وفي شرح البخارى للبدر العيني عن سعيد بن جبير رحمه الله قال رجل لابن عباس رضى الله عنهما الكبائر سبع ؟ فقال ابن عباس رضى الله عنهما : هي الى السبعائة

تعريف الكبيرة

أقرب منها الى السبع ، غير أنه لا كبيرة مع استغفار ولا صغيرة مع اصرار . وقد أوصلها علماؤنا الى نيف وسبعين كبيرة كما في الاقناع وغيره . وقوله ((كذا)) أى مثل اتياته الكبيرة ((اذا أصر)) على الجريمة الصغيرة يقال أصر يصير على الشيء اصرارا اذا لزمه وداومه وثبت عليه ، وأكثر ما يستعمل في الشر والذنوب ، وأما من أتبع الذنب الصغير بالاستغفار فليس بمصر عليه وأن تكرر منه وفي الحديث « ما أصر من استغفر » وفيه أيضا « ويل للمصرين الذين يصرون على ما فعلوا وهم يعلمون » فمن أصر فانه يفسق حتى ((ب)) الجريمة ((الصغيرة)) لأن الاصرار يصير الصغيرة فى حكم الكبيرة . قال بعض العلماء : تصير الصغيرة كبيرة بخمسة أشياء الاصرار عليها وانتهاون بها والفرح بها والافتخار بها وصدورها عن عالم فيقتدى به فيها . ثم ذكر ما عليه أهل السنة من أن اتيان الجريمة وان كانت كبيرة لا يخرج بها الشخص المؤمن عن الايمان بقوله ((لا يخرج المرء)) هو بتلث الميم الانسان أو الرجل ولا يجمع من لفظه أو سمع مروون قاله فى القاموس وهى بهاء ويقال مرة وامرأة ، وفي امرىء مع ألف الوصل ثلاث لغات فتح الراء دائما واعرابها دائما وتقول هذا امرؤ ومرء ورأيت امرأ ومرأ ومررت بامرئ وبمرء معربا من مكاتين . كله من القاموس ((من الايمان)) الآتى تعريفه فيما بعد ((بموبات الذنب)) متعلقة بقوله لا يخرج ، والموبات بموحدة وقاف المهلكات جمع موبقة سميت الجريمة الكبيرة بذلك لانها سبب لاهلاك مرتكبها فى الدنيا بما يترتب عليها من العقاب وفى الآخرة من العذاب . قال الحافظ ابن حجر : والمراد بالموبقة الكبيرة وفى الصحيحين وسنن أبى داود والنسائى وغيرها من حديث أبى هريرة رضى الله عنه « اجتنبوا السبع الموبات الشرك بالله والسحر وقتل النفس التى حرم الله الا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولى يوم الزحف وقذف المحصنات المؤمنات » وثبت فى حديث أبى هريرة أيضا من وجه آخر : الكبائر الشرك بالله - الحديث . وأخرج الطبرانى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قيل له الكبائر سبع ؟ قال هن أكثر من سبع وسبع . وفى رواية عنه هى الى السبعين أقرب . وفى رواية الى السبعمائة - كما تقدم يعنى باعتبار

أصناف أنواعها • والحكمة في الاقتصار على السبع المذكورة في الحديث مع ورود ما يزيد على السبعين في أحاديث متفرقة ان هذه موصوفة بصفة زائدة على مجرد الكبيرة وهي الموبقة أى المهلكة • فان قيل قد ورد في عدة أحاديث «الكبائر سبع» ففي حديث عمرو بن العاصى رضى الله عنه عند الامام أحمد في المسند وصحيح البخارى والترمذى والنسائى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « الكبائر الاشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس التى حرم الله الا بالحق وقذف المحصنة والفرار من الزحف وأكل (الربا وأكل - ١) مال اليتيم والرجوع الى الاعرابية بعد الهجرة » فعد في هذا الحديث ثمانية في بادية الرأى وكأنه عد الاكل للربا ولمال اليتيم واحدة • وفي حديث ابن عباس رضى الله عنهما مرفوعا عند البزار باسناد حسن « الكبائر الشرك بالله والاياس من روح الله والقنوط من رحمة الله » وفي حديث ابن عمر رضى الله عنهما عند البيهقى باسناد صحيح مرفوعا «الكبائر الاشراك بالله وقذف المحصنة وقتل النفس المؤمنة والفرار يوم الزحف وأكل مال اليتيم وعقوق الوالدين المسلمين والحاد بالبيت قبلتكم أحياء وأمواتا » الى غير ذلك من الاحاديث التى وصف فيها الذنوب بالكبر مما يزيد عن السبعين • الجواب ان هذا مما يؤيد ان العدد لا مفهوم له أو انه صلى الله عليه وسلم علم أولا بالسبع المذكورات ثم علم بما زاد فيجب الاخذ بالزائد، أو ان الاقتصار على السبع وقع بحسب المقام بالنسبة للسائل أو من وقعت له واقعة ، والاقوى ان التنصيص على السبع فى كل حديث لزيادة عظمتها • ومن الكبائر الزنا وبحليلة الجار أشد وبالمحارم أشد وأشد فان الجريمة الصغيرة قد تنقلب كبيرة بقرينة تضم اليها وتنقلب الكبيرة فاحشة فان قتل النفس بغير حق كبيرة فان قتل أصلا له أو فرعا أو ذا رحم أو بالحرم أو في الاشهر الحرم أو في رمضان فهو فاحشة، وكذا الزنا ، وتفصيل ذلك كثيرة جدا • والمراد ان الانسان لا يخرج من الايمان بملاسته واتيانه بموبقات الذنوب التى هى أكبر الكبائر ، وأل فى الذنب للجنس أو الاستتراق فيشمل كل الذنوب ((والعصيان)) دون الشرك بالله تعالى والكفر به بأى

أنواع المكفرات فان ذلك يخرج من الدين بيقين • والعصيان ضد الطاعة وهو يرادف الذنب • والاثم والجرم وكذا البغى والعدوان والظلم ولكن قد يفهم من هذه تجاوز الحد المباح الى ما وراءه ، وكذا الفحشاء والمنكر فالفحشاء صفة لموصوف قد حذف تجريدا لقصد الصفة وهي الفعلة الفحشاء والخصلة الفحشاء وهي ما ظهر قبحها لكل أحد واستخبثها كل ذى عقل سليم ولهذا فسر بالزنا واللواط وقد سماه الله فاحشة لتناهي قبحه وكذلك القبيح من القول يسمى فحشا وهو ما ظهر قبحه جدا من السب القبيح والقذف ونحوه ، وكذا المنكر صفة لموصوف محذوف أى الفعل المنكر وهو ما أنكرته العقول السليمة والفطر المستقيمة •

والحاصل ان الشخص المؤمن لا يخرج من الايمان بملاسة كبائت الذنوب والعصيان • وقد اختلف الناس في هذه المسألة على طرق فطريق الخواارج ان من ارتكب كبيرة من الذنوب - بل والصغيرة لان عندهم كل ذنب كبيرة نظرا لعظمة من عصى - وكل كبيرة كفر يخرج من الايمان ويدخل الكفر ويخلد في النار قالوا لأنه لا يخلد في النار الا الكفار • وطريق المعتزلة انه يخرج من الايمان ولا يدخل في الكفر فهو في منزلة بين الكفر والايمان ، ومن أصول المعتزلة اثبات المنزلة بين المنزلتين كما مر ومع ذلك هو خالد مخلد في النار مع قولهم ان مرتكبي الكبائر ليسوا بكفار بل هم فساق مخلدون في النار ، هذا كله عند الطائفتين اذا لم يتوبوا قبل معاناة الموت • والحق مذهب أهل الحق من أهل السنة ان مرتكبي الكبيرة في مشيئة الله تعالى وعموه لأن أصل الايمان من التصديق بالله والمعرفة والاذعان بوجوده ، ونصوص الكتاب والسنة لا تدل الا على هذا كقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى) الآيتين وفي ذلك يقول (فمن عفى له من أخيه شيئا) فسماه أخا وقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا) وقوله (وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا) الى قوله تعالى : (انما المؤمنون أخوة) الآية وفي الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم من حديث عبادة بن الصامت رضى الله عنه انه قال وحوله عصابة من أصحابه • بايعونى على أن لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا

أولادكم ولا تأتوا بهتاناً تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصوني في معروف ، فمن وفي منكم فأجره على الله ، ومن أصاب من ذلك فعوقب به في الدنيا فهو كفارة له ، ومن أصاب من ذلك شيئاً ثم ستره الله فهو الى الله ان شاء عفا عنه وان شاء عاقبه ، قال فبايعناه على ذلك • وقال صلى الله عليه وسلم فيما يروى عن ربه تعالى « ابن آدم لو لقيتني بقراب الارض خطايا ثم أتيتني لا تشرك بي شيئاً أتيتك بقرابها مغفرة » أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح • وأخرجه الطبرانى من حديث ابن عباس وأبو عوانة في مسنده من حديث أبي ذر وأيضاً الامام أحمد في مسنده من حديث أبي ذر أيضاً • وأخرج مسلم في صحيحه عن أبي ذر رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تعالى « من تقرب منى شبراً تقربت منه ذراعاً ومن تقرب منى ذراعاً تقربت منه باعاً ومن أتانى يمشى أتيته هرولة ومن لقينى بقراب الارض خطيئة لا يشرك بي شيئاً لقيته بقرابها مغفرة » وأخرج الامام أحمد من رواية اخشن السدوسى قال دخلت على أنس رضى الله عنه فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « والذى نفسى بيده لو أخطأتم حتى تملأ خطاياكم ما بين السماء والارض ثم استغفرتم الله لغفر لكم » وقال صلى الله عليه وسلم « من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة » وقال « من كان آخر كلامه لا اله الا الله دخل الجنة » وقال « ان الله حرم على النار من قال لا اله الا الله يبتغى بذلك وجه الله » وفي حديث الشفاعة « أخرجوا من النار من في قلبه مثقال حبة من خردل من ايمان » وفيه يقول الله عز وجل « وعزتى وجلالى لأخرجن من النار من قال لا اله الا الله » فالتوحيد من أعظم بل أعظم أسباب المغفرة فهو السبب الاعظم فمن فقد المغفرة ومن جاء به فقد أتى بأعظم أسباب المغفرة قال الله تعالى : (ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) فدلّت الآية مع حديث أنس ان من جاء مع التوحيد بملء الارض خطايا لقيه الله بملئها مغفرة مع مشيئة الله تعالى فان شاء غفر له وان شاء واخذ به بذنوبه ثم كان عاقبته ان لا يدخل في النار بل يخرج منها ثم يدخل الجنة • قال بعض المحققين الموحد لا يلقى في النار كما يلقى الكفار ولا يبقى فيها كما يبقى (م - ٢٤)

من يقتل مؤمنا
متعمدا

الكفار • والنصوص على قول أهل الحق والادلة كثيرة جدا فدل الكتاب
والسنة واتفاق الفرقة الناجية على انه لا يخلد في النار أحد من أهل التوحيد •
وأما آية النساء (ومن يقتل مؤمنا متعمدا) فلها نظائر أمثالها من نصوص
الوعد كقوله تعالى (ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها
أبدا) وقوله (ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم
نارا وسيصلون سعيرا) وكذلك ما ورد من السنة كقوله صلى الله عليه وسلم
« من قتل نفسه بحديدة فحديده في يده يتوجأ بها خالدا مخلدا في نار
جهنم » ونظائره كثيرة فقالت فرقة : الوعيد في حق المستحل لها لأنه كافر
وأما من فعلها غير مستحلها لم يلحقه وعيد الخلود وان لحقه وعيد الدخول •
وقد أنكر الامام أحمد رضي الله عنه هذا القول وقال لو استحل ذلك ولم
يفعله كان كافرا والنبي صلى الله عليه وسلم انما قال من فعل كذا وكذا
(وقالت فرقة أخرى) : الاستدلال بنصوص الوعيد هذه مبنى على ثبوت
العموم ، قالوا وليس في اللغة ألفاظ عامة ، وقصدهم تعطيل هذه الادلة عن
استدلال المعتزلة والخوارج بها لكن ذلك يستلزم تعطيل جملة الشرع فهم
ردوا باطلا بأبطل منه وبدعة بأبجح منها فكانوا كمن رام أن يبنى قصرا
فهدم مصرا • (وقالت فرقة أخرى) : في الكلام اضمار - فمنهم من قال باضمار
الشرط والتقدير فجزاؤه كذا ان جزاه أو ان شاء - ومنهم من قال باضمار
الاستثناء والتقدير فجزاؤه كذلك الا أن يعفو • (وقالت فرقة أخرى) هذا
وعيد واخلاف الوعيد لا يذم بل يمدح فيجوز على الله تعالى اخلاف الوعيد
لا اخلاف الوعد ، والفرق بينهما ان الوعيد حقه فاخلافه عفو وهبة واسقاط
ذلك موجب كرمه وجوده واحسانه ، والوعد أوجب على نفسه بوعده والله
لا يخلف الميعاد ولهذا مدح به كعب بن زهير رضي الله عنه رسول الله صلى
الله عليه وسلم حيث قال :

نبئت أن رسول الله أوعدني والعفو عند رسول الله مأمول

وتناظر في هذه المسألة أبو عمرو بن العلاء وعمرو بن عبيد المعتزلي صاحب
واصل بن عطاء فقال عمرو بن عبيد يا أبا عمرو لا يخلف الله وعده وقد
قال تعالى (ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله

عليه) فقال أبو عمرو ويحك يا عمرو من العجبة أتيت ان العرب لا تعد
اخلاف الوعيد ذما بل جودا وكرما أما سمعت قول الشاعر :

ولا يرهب ابن العمم ما عشت صولتي ولا يخشى من صولة المهتدد
واني وان أوعدته أو وعدته لمخلف ايعادى ومنجز موعدى

وعلى كل حال قد قام الدليل على ذكر الموانع من انفاذ الوعيد بعضها
بالاجماع وبعضها بالنص فالتوبة مانع بالاجماع والتوحيد مانع بالنصوص
المتواترة التي لا مدفع لها ، والحسنات العظيمة الماحية مانعة، والمصائب المكفرة
مانعة، واقامة الحدود في الدنيا مانع بالنص فلا تعطل هذه النصوص وأصعاف
أضعافها فلا بد من أعمال النصوص من الجانبين ، ومن ثم قامت الموازنة بين
الحسنات والسيئات اعتبارا لمقتضى العقاب ومانعه أعمالا لأرجحهما ، وعلى هذا
بناء مصالح الدارين ومفاسدهما وبناء الاحكام الشرعية والاحكام القدرية وهو
مقتضى الحكمة السارية في الوجود وبه ارتباط الاسباب ومسبباتها خلقا وأمرا،
وقد جعل تعالى لكل ضد ضدا يدافعه ومانعا يمانعه ويكون الحكم للأغلب
منهما • والحاصل والله أعلم كون المذنب الملى وان كثرت ذنوبه وعظمت
خطاياها فى مشيئة مولاه ان شاء عذبه وان شاء عافاه وعلى كل حال خلود أهل
اتوحيد في النار من المحال فالصواب اجتنابه وعدم الالتفات اليه والتعويل
على مذهب أهل الحق والركون اليه وبالله التوفيق •

ولما كان من متعلقات الذنوب التوبة وكانت واجبة على كل من تلبس
بذنب ذكر ذلك بقوله ((وواجب)) وجوب لزوم لا بد منه ((عليه)) أى
المذنب ((ان يتوبا)) بألف الاطلاق للوزن أى ان يرجع فالتوبة أصل كل
مقام ومفتاح كل حال فمن لا توبة له لا مقام له ولا حال ، وهى لغة الرجوع
من شىء الى آخر ، وقال الامام النووى : أصل التوبة لغسة الرجوع يقال
تاب وتاب بالمثلثة وآب وأتاب رجع والمراد بالتوبة هنا الرجوع عن الذنب •
انتهى • فهى الرجوع عن الذنب بأن يقلع عنه ويندم عليه ويعزم على ان
لا يعود اليه ويرضى الأدمى عن ظلامته ان تعلقت به • وقال بعضهم التوبة

أركان التوبة

الواجبة الرجوع عما كان مذموما في الشرع من ترك واجب أو فعل محرم الى ما هو محمود في الشرع . قال النووي : أركانها ثلاثة^(١) الاقلاع والندم على فعل تلك المعصية والعزم على أن لا يعود اليها أبدا وان لا يفرغر . انتهى . فان كانت المعصية لآدمي فلها ركن رابع وهو التحلل من صاحب ذلك الحق . وأصلها الندم وهو ركنها الاعظم وقد فسرت الصحابة رضى الله عنهم كأمرى المؤمنين عمر وعلى وابن مسعود التوبة بالندم ، ومنهم من فسرها بالعزم على ان لا يعود وقد روى ذلك مرفوعا من وجه فيه ضعف لكن لا يعلم مخالف من الصحابة في هذا وكذلك التابعون ومن بعدهم كعمر بن عبدالعزيز والحسن وغيرهما . وفي قوله ((من كل ما)) أى شئ أو الذى ((جر)) أى قاد وجذب ((عليه)) أى المذنب ((حوبا)) أى اثما وفي القاموس الحوب الاثم يقال حاب بكذا اثم حوبا ويضم والحوب الحزن والوحشة ويضم فيهما . وفي القاموس أيضا : الحوب بالضم الهلاك والبلاء والتحوب التوجع وترك الحوب كالتأثم . ومراد الناظم من ذلك من كل ما جر عليه الهلاك والبلاء اشعارا بوجوب التوبة من كل ذنب كبير أو صغير ، وهذا مما اتفق عليه العلماء فانهم اتفقوا على أن التوبة من كل معصية واجبة على الفور لا يجوز تأخيرها سواء كانت صغيرة أو كبيرة وانها من مهمات الاسلام وقواعد الدين المتأكدة ، ووجوبها عند أهل السنة بالشرع وعند المعتزلة بالعقل ، وظاهر النصوص القرآنية والاحاديث النبوية والآثار السلفية على ان من تاب لله توبة نصوحا واجتمعت شروط التوبة في حقه انه يقطع بقبول توبته كرما منه وفضلا . وعرفنا قبولها بالشرع والاجماع خلافا للمعتزلة أما فى حق قبول توبة الكافر بالاسلام فهذا بالاجماع كما نقله غير واحد ، قال النووي فى شرح مسلم وغيره : توبة الكافر من كفره قبولها مقطوع به ، وفي كلام ابن عقيل من أئمة علمائنا

(١) هامش مط : نظم أركان التوبة الشيخ عثمان بن قائد الحنبلي رحمه الله تعالى فى ثلاثة أبيات وسماها شروطا وهى :

شروط توبتهم ان شئت عدتها	ثلاثة عرفت فاحفظ على مهل
اقلاعه ندم وعزمه أبدا	ان لا يعود لما منه جرى وقل
ان كان توبته من ظلم صاحبه	لا بد من رده الحق على عجل

ما يخالف ذلك فانه قال انه لا يجب ويجوز ردها • انتهى • وأما قبول توبة المذنب النصوح بشروطها فقول الجمهور وكلام الامام ابن عبد البر يدل على انه اجماع ، ومن الناس من قال لا يقطع بقبول التوبة بل يرجي ، وصاحبها تحت المشيئة منزه امام الحرمين • قال القرطبي من استقرأ الشريعة علم ان الله يقبل توبة الصادقين قطعا • نقله في الفتح وأقره • والى قبول التوبة فضلا وكرما أشار بقوله ((ويقبل المولى)) الذى هو رب العالمين وخالق الخلق وباسط الرزق ذو الكرم الواسع والفضل العظيم ((بمحض)) أى خالص ((الفضل)) والكرم من غير وجوب عليه تعالى ولا الزام ((من)) كل عبد مذنب تاب الى الله توبة نصوحا بشروطها المذكورة من الندم والاقلاع والعزم ان لا يعود وان يرد ما أمكن من المظالم من حقوق الأدميين أو يستحلهم مما أمكن ، فاذا اجتمعت الشروط قبلت التوبة فضلا من الله تعالى ، ولا بد أن تكون من شخص مسلم ((غير عبد كافر)) بالله ورسوله ((منفصل)) عن الدين اما بردة أو كان كافرا أصليا فلا تقبل توبته من الذنوب ((مالم يتب)) أى يرجع ((من كفره)) فيسلم ويقر لله بالوحدانية ولنبيه محمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة ويقر ويدعن بجميع ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ويؤمن بالكتاب وبما جاء به الكتاب فيتصف من بعد رجوعه عن الكفر ((بضده)) من الاسلام فان كان مرتدا بانكار ما علم من الدين بالضرورة ايجابا وتحريما فيرجع عن انكاره ذلك ويقر ويدعن حسبما جاء به النبي الكريم وكلام الله القديم وان كان مشركا أو معتقدا ان لله شريكا يستقل بالنفع والضرر وعلم الغيب مما استأثر الله بعلمه ((فلا)) يقبل منه مالم ((يرتجع عن شركه)) الذى كان متصفا به ((وصدّه)) أى اعراضه عن الدين واتباع سيد العالمين بأن يدعن وينقاد لشريعة خير العباد مسلما خاضعا مقبلا بقلبه وقالبه خالعا ما كان عليه من ترهاته ومطالبه فهذا يقبل اسلامه اجماعا ، وأما المذنب فزعم بعض الناس انه لا يقطع بقبول توبته مع استيفاء الشروط متعللا بقوله تعالى (ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) فجعل كل الذنوب تحت المشيئة وربما تعلقوا بمثل قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا عسى ربكم

ان يكفر عنكم سيئاتكم) ويقولوه (وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون) ويقولوه (فأما من تاب وآمن وعمل صالحا فمسي أن يكون من المفلحين) ويقولوه (وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم) والظاهر أن هذا في حق التائب لأن الاعتراف يقتضى الندم • وفي حديث عائشة رضى الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « ان العبد اذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه » والصحيح قول الجمهور • وهذه الآيات لا تدل على عدم القطع فان الكريم اذا أطمع لم يقطع من رجائه المطمع ، ومن هنا قال ابن عباس رضى الله عنهما ان عسى من الله واجبة • نقله عنه على بن أبى طلحة ، وقد ورد جزاء الايمان والعمل الصالح بلفظ عسى أيضا فلم يدل ذلك على انه غير مقطوع به كما فى قوله (انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر) الآية وأما قوله تعالى (ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) فان التائب ممن يشاء ان يغفر له كما أخبر بذلك في مواضع كثيرة من كتابه •

((تنبيهات))

تنبيهات

(الأول) اختلف الناس هل تكفر الاعمال الصالحة الكبائر والصغائر أم لا تكفر سوى الصغائر فروى عن عطاء وغيره من السلف في الوضوء انه يكفر الصغائر ، وقال سلمان الفارسي رضى الله عنه الوضوء يكفر الجراحات الصغائر ، والمشي الى المساجد يكفر أكبر من ذلك ، والصلاة تكفر أكبر من ذلك • خرجه محمد بن نصر المروزي • وأما الكبائر فلا بلا لها من التوبة لأن الله أمر العباد بها وجعل من لم يتب ظالما فقال (ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون) وانفتحت الأمة^(١) على أن التوبة فرض والفرائض لا تؤدى الا بنية وصد ولو وقعت الكبائر مكفرة بالوضوء والصلاة أو اداء بقية أركان الاسلام لم يحتاج الى التوبة - وهذا باطل بالاجماع ، وأيضا فلو كثرت الكبائر بفعل الفرائض لم يبق لأحد ذنب يدخل به النار اذا أتى بالفرائض • قال الحافظ

الأولى تكفير
الحسنات
للسيئات

ابن رجب وهذا يشبه قول المرجئة وهو باطل • وكما ذكره ابن عبد البر في التمهيد وحكى اجماع المسلمين على ذلك واستدل عليه بأحاديث منها قوله صلى الله عليه وسلم « الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر » متفق عليه من حديث أبي هريرة رضى الله عنه • وقد حكى ابن عطية في تفسيره قولين في معنى هذا الحديث أحدهما عن جمهور أهل السنة ان اجتناب الكبائر شرط لتكفير هذه الفرائض للصغائر فان لم يجتنب لم تكفر هذه الفرائض شيئا بالكلية ، والثاني انها تكفر الصغائر مطلقا ولا تكفر الكبائر وان وجدت لكن بشرط عدم الاصرار عليها ، مراده انه اذا أصر عليها صارت كبيرة فلم تكفرها الاعمال • وفي صحيح مسلم من حديث عثمان بن عفان رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ما من امرئ مسلم يحضر صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها وخشوعها الا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب ما لم تؤت كبيرة وذلك الدهر كله » وفي هذا المعنى أحاديث كثيرة • قال الحافظ ابن رجب وقد ذهب قوم من أهل الحديث الى أن هذه الاعمال تكفر الكبائر منهم الامام أبو محمد على بن حزم الظاهري ، وایاه عنی الامام ابن عبد البر في كتاب التمهيد بالرد عليه وقال قد كنت أرغب بنفسى عن الكلام في هذا الباب لولا قول ذلك القائل وخشيت ان يغتر به جاهل فينهمك في الموبقات اتكالا على انها تكفرها الفرائض من الصلوات ونحوها دون الندم والاستغفار والتوبة والله نسأله العصمة والتوفيق • قال الحافظ ابن رجب وقد وقع مثل هذا في كلام طائفة من أهل الحديث في الوضوء ونحوه ووقع مثله في كلام ابن المنذر في قيام ليلة القدر قال يرجى لمن قامها ان يغفر له جميع ذنوبه كبيرها وصغيرها قال فان كان مرادهم ان من أتى بفرائض الاسلام وهو مصر على الكبائر انها تغفر له قطعا فهذا باطل قطعا يعلم بالضرورة من الدين بطلانه وقد قال صلى الله عليه وسلم « من أساء في الاسلام أخذ بالأول والآخر » يعنى بعمله في الجاهلية والاسلام • قال وهذا أظهر من أن يحتاج الى بيان • قال وان أراد هذا القائل أن من ترك الاصرار على الكبائر وحافظ على الفرائض من غير توبة ولا ندم على ما سلف منه كفرت ذنوبه كلها بذلك واستدل بظاهر قوله

تعالى (ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم) تشمل الكبائر والصغائر^(١) فكما ان الصغائر تكفر باجتنب الكبائر من غير قصد ولا نية فكذلك الكبائر ، وقد يستدل لذلك بأن الله وعد المؤمنين والمتقين بالمغفرة وتكفير السيئات ، وهذا مذكور في غير موضع من القرآن وقد صار مثل هذا من المتقين فانه فعل الفرائض واجتنب الكبائر واجتناب الكبائر لا يحتاج الى نية وقصد فهذا القول^(٢) يمكن أن يقال في الجملة والصحيح قول الجمهور ان الكبائر لا تكفر بدون التوبة لانها فرض لازم على العباد ، وأما النصوص المتضمنة مغفرة الذنوب وتكفير السيئات للمتقين فانه سبحانه لم يبين في الآيات خصال التقوى ولا العمل الصالح فان من جملة ذلك التوبة النصوص وأما من لم يتب فهو ظالم غير متق ، ومما يبين أن الكبائر لا تكفر بدون التوبة منها أو العقوبة عليها حديث عبادة بن الصامت المار وهو في الصحيحين « فمن وفي فأجره على الله ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب به فهو كفارة له ومن أصاب من ذلك شيئاً فستره الله عليه فهو الى الله ان شاء عذبه وان شاء غفر له » وفي لفظ لمسلم « من أتى منكم حدا فأقيم عليه فهو كفارته » قال الحافظ ابن رجب قوله فعوقب به يعم العقوبات الشرعية وهي الحدود المقدرة أو غير المقدرة كالتعزيرات ويشمل العقوبات القدرية كالمصائب والاسقام والآلام فانه صح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « لا يصيب المسلم نصب ولا هم ولا حزن حتى الشوكة يشاكها الا كفر الله بها من خطاياها » وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضى الله عنه الحد كفارة لمن أقيم عليه . وذكر ابن جرير الطبرى في هذه المسألة اختلافا بين الناس ورجح ان اقامة الحد بمجرد كفاة ، ووهن القول بخلاف ذلك جدا . قال الحافظ ابن رجب : وقد روى عن سعيد بن المسيب وصفوان بن سليم ان اقامة الحد ليس بكفاة ولا بد معه من التوبة ، ورجحه طائفة من المتأخرين منهم البغوى وأبو عبد الله ابن تيمية في تفسيريهما وهو قول أبي محمد بن حزم والاول قول مجاهد وزيد بن أسلم والثورى والامام أحمد . وأما حديث أبي هريرة

الحدود كفارات

(١) بهامش مط : يقول مصحح النسخ ربما كان فى الكلام حذف هنا .
(٢) هذا جواب الشرط فى قوله « فان أراد هذا القائل » .

المرفوع « لا أدري الحدود طهارة لأهلها أم لا ؟ » فقد خرج الحاكم وغيره وعلله البخاري وقال لا يثبت وإنما هو من مراسيل الزهري وهي ضعيفة وغلط عبد الرزاق فوصله • وقد صح عن النبي صلى عليه وسلم ان الحد كفارة • وأما قول النبي صلى الله عليه وسلم لمن قال أصبت حدا فأقمه على فتركه حتى صلى ثم قال « ان الله قد غفر لك حدك » فليس صريحا في أن المراد به شيء من الكبائر لأن حدود الله محارمه كما قال تعالى (وتلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه) فكل من أصاب شيئا من محارم الله فقد أصاب حدوده وارتكبها وتعداها وعلى فرض كونه كبيرة فهذا الرجل جاء نادما تائبا وأسلم نفسه الى اقامة الحد عليه والندم توبة والتوبة تكفر الكبائر بغير تردد • ثم قال الحافظ ابن رجب : والظاهر والله أعلم في هذه المسألة - يعنى مسألة تكفير الكبائر بالاعمال - انه ان أريد أن الكبائر تمحى بمجرد الاتيان بالفرائض وتقع مكفرة بذلك كالصغائر باجتناب الكبائر فهذا باطل ، وان أريد أنه قد يوازن يوم القيمة بين الكبائر وبين بعض الاعمال فتمحى الكبيرة بما يقابلها من العمل ويسقط العمل فلا يبقى له ثواب فهذا قد يقع ، وفي صحيح مسلم عن ابن عمر رضى الله عنهما انه ضرب عبدا له فاعتقه وقال ليس لي فيه من الاجر مثل هذا - وأخذ عودا من الارض - انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من لطم مملوكه أو ضربه فان كفارته ان يعتقه » فجعل ابن عمر رضى الله عنهما ان عقبه كفارة لذنبه ولم يكن ذنبه من الكبائر فكيف بما كان من الاعمال المنافية لها كما يبطل المن الصدقة وتبطل المعاملة بالربا ثواب الجهاد كما قالت عائشة رضى الله عنها لام ولد زيد بن أرقم انه قد أبطل جهاده مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الا أن يتوب • وقال حذيفة رضى الله عنه : قذف المحصنة يهدم عمل مائة سنة • وروى عنه مرفوعا أخرجه البزار • وكما يبطل ترك صلاة العصر العمل فلا يستنكر أن يبطل ثواب العمل الذى يكفر الكبائر ، وقد أخرج البزار فى مسنده والحاكم فى مستدرکه من حديث ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « يؤتى بحسنات العبد وسيئاته يوم القيامة فيقص - أو يقضى - بعضها من بعض فان بقيت له

هل نجبط
بعض الحسنات
ببعض
السيئات ؟

حسنة وسع له بها في الجنة ، وقال سعيد بن جبير في قوله تعالى (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره * ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره *) كان المسلمون يرون انهم لا يؤجرون على الشيء القليل اذا أعطوه فيستقلون ان يعطوا المسكين تمرة أو كسرة أو جوزة ونحو ذلك فيردونه ويقولون ما هذا بشيء .
انما تؤجر على ما نعطى ونحن نجبه ، وكان آخرون يرون انهم لا يلامون على الذنب اليسير كالكذبة والنظرة والغيبة وأشباه ذلك يقولون انما أوعد الله النار على الكبائر فرغبهم الله في القليل من الخير أن يعطوه فانه يوشك ان يكثر ، وحذرهم اليسير من الشر فانه يوشك ان يكبر فنزلت ، والذر اصغر النمل (خيرا يره) يعنى في كتابه ويسره ذلك قال يكتب لكل بر وفاجر بكل سيئة سيئة واحدة وبكل حسنة عشر حسنات فاذا كان يوم القيامة ضاعف الله حسنات المؤمن أيضا بكل واحدة عشرا فيمحو عنه بكل حسنة عشر سيئات فمن زادت حسناته على سيئاته مثقال ذرة دخل الجنة .
فظاهر هذا انه يقع المقاصة بين الحسنات والسيئات ثم تسقط الحسنات المقابلة للسيئات وينظر الى ما يفضل منها بعد المقاصة ، وهذا يوافق من قال بأن من رجحت حسناته على سيئاته بحسنة واحدة أثيب بتلك الحسنة خاصة وتسقط باقى حسناته في مقابلة سيئاته ، خلافا لمن قال يثاب بالجميع وتسقط سيئاته كأنها لم تكن ، وهذا في الكبائر ، وأما الصفائر فانها قد تمحى بالاعمال الصالحة مع بقاء ثوابها كما قال صلى الله عليه وسلم « ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات ؟ اسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطى الى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة » فأثبت صلى الله عليه وسلم لهذه الاعمال تكفير الخطايا ورفع الدرجات ، وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم « من قال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو على كل شيء قدير مائة مرة كتب الله له مائة حسنة ومحا عنه مائة سيئة وكانت له عدل عشر رقاب » فهذا يدل على ان الذكر يمحو السيئات ويبقى ثوابه لعامله مضاعفا ، وكذلك سيئات التائب توبة نصوحا تكفر عنه وتبقى له حسناته كما قال تعالى « حتى اذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة - الى قوله - وانى من المسلمين » قال تعالى (أولئك الذين يتقبل عنهم أحسن

ما عملوا ويتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة وعد الصدق الذي كانوا
يوعدون) وفي هذا المعنى أخبار كثيرة • والحاصل انه يوجد في بعض الاعمال
كفارة للذنوب ورفع درجات وفي كلام بعض السلف انه يحصى بازاء السيئة
الواحدة ضعف واحد من أضعاف ثواب الحسنة ويبقى له تسع حسنة ،
قال الحافظ ابن رجب : والظاهر ان هذا مختص بالصغائر وأما في الآخرة
فيوازن بين الحسنات والسيئات ويقص بعضها من بعض فمن رجحت
حسناته على سيئاته فقد نجا ودخل الجنة قال سواء في هذا الصغائر والكبائر
وهكذا من كان له حسنات وعليه مظالم فاستوفى المظلومون حقوقهم من
حسناته وبقي له حسنة دخل بها الجنة ، قال ابن مسعود رضى الله عنه ان
كان وليا لله ففضل له مثقال ذرة ضاعفها الله حتى يدخل الجنة وان كان شقيا
والملك : رب فئت حسناته وبقي له طالبون كثير قال « خذوا من سيئاتهم
فأضيفوها الى سيئاته ثم صكوا له صكا الى النار » أخرجه ابن أبي حاتم وغيره •
قال الحافظ ابن رجب والمراد التفضيل من مثقال الذرة من الحسنات انما هو
بفضل الله عز وجل لمضاعفته لحسنات المؤمن وبركته فيها وهكذا حال من
كانت له حسنات وسيئات وأراد الله رحمته فصل له من حسناته ما يدخله
الجنة وكله من فضل الله ورحمته فانه لا يدخل أحد الجنة الا بفضل الله
ورحمته • وأخرج أبو نعيم بإسناده عن علي رضى الله عنه مرفوعا: أوحى الله
الى نبي من أنبياء بنى اسرائيل « قل لأهل طاعتي من أمتك لا يتكلموا على
أعمالهم فاني لا أقاص عبدا الحسنات يوم القيامة أشاء أن أعذبه الا عذبه ، وقل
لأهل معصيتي من أمتك لا يلقوا بأيديهم فاني أغفر الذنب العظيم ولا أبالي ،
ومصادقه قول نبينا صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح « من نوقس
الحساب عذب - وفي رواية - هلك »

(تمة) روى الامام أحمد رضى الله عنه في المسند عن النبي صلى الله عليه
وسلم « ما من يوم الا والبحر يستأذن ربه ان يفرق بنى آدم ، والملائكة
تستأذنه ان تعاجله وتهلكه والرب تعالى يقول : دعوا عبدي فانا أعلم به اذ
أنشأته من الارض ان كان عبدكم ففسأنكم به وان كان عبدي فمنى الى عبدي
وعزتى وجلالى ان أتانى ليلا قبلته وان تقرب منى شبرا تقربت منه ذراعا

وان تقرب منى ذراعا تقربت منه باعا وان مشى الى هرولت اليه وان استغفرنى
غفرت له وان استقالتى أقلته وان تاب الى تبت عليه ، من أعظم منى جودا
وكرما وأنا الجواد الكريم ، عيى بيتون يبارزوننى بالعظام وأنا أكلوهم
في مضاجعهم وأحرسهم على فرشهم، من أقبل الى تلقيته من بعيد ومن ترك
لأجلى أعطيته فوق المزيد ومن تصرف بحولى وقوتى ألت له الحديد ومن
أراد مرادى أردت ما يريد ، أهل ذكرى أهل مجالستي وأهل شكرى أهل
زيادتى وأهل طاعتى أهل كرامتى وأهل معصيتى لا أفنطهم - وفي لفظ -
لا اوئسهم من رحمتى، ان تابوا فأنا حبيهم فانى أحب التوابين وأحب المتطهرين
وان لم يتوبوا فأنا طيبهم أبتليهم بالمصائب لاطرهم من المعاييب، والله الموفق .

((التنبيه الثانى))

التنبيه الثانى
هل تجب
التوبة من
الصغائر ؟

تقدم ان الصحيح المعتمد وجوب التوبة حتى من الصغائر كالكبائر ، وقيل
لا تجب من الصغائر توبة لانها تقع مكفرة باجتناى الكبائر لقوله تعالى (ان
تجنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما)
قال الحافظ ابن رجب أوجب أصحابنا وغيرهم من الفقهاء والمتكلمين وغيرهم
التوبة من الصغائر كالكبائر، وقد أمر الله سبحانه عقيب ذكر الصغائر والكبائر
بالتوبة في قوله تعالى (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم
وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن) الى قوله
(وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون) الآية وأمر بالتوبة من الصغائر
بخصوصها بقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم) الى
قوله (ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون) قال الحافظ ومن الناس من لا يوجب
التوبة من الصغائر وحكى عن طائفة من المعتزلة . ومن المتأخرين من أوجب
أحد أمرين اما التوبة منها أو الايمان ببعض المكفرات للذنوب من الحسنات.
وحكى ابن عطية في تفسيره في تكفير الصغائر بامثال الفرائض واجتناى
الكبائر قولين أحدهما وحكاة عن جماعة من الفقهاء وأهل الحديث انه يقطع
بتكفيرها بذلك قطعا لظاهر الآية والحديث، وحكى عن الاصوليين انه لا يقطع

بتكفيرها بل يحمل على غلبة الظن وقوة الرجاء وهو في مشيئة الله تعالى اذ لو قطع بتكفيرها لكانت الصفائر في حكم المباح الذى لا تبعه فيه وذلك نقض لعرى الشريعة . قال الحافظ لا يقطع بتكفيرها لان احاديث التكفير المطلقة بالاعمال جاءت مقيدة بتحسين العمل كما ورد ذلك في الوضوء والصلاة وحينئذ فلا يتحقق وجود حسن العمل الذى يوجب التكفير ، وعلى هذا الاختلاف ينبنى وجوب التوبة من الصفائر وقد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال : لا صغيرة مع اصرار ولا كبيرة مع استغفار . وروى مرفوعا من وجوه ضعيفة . واذا صارت الصفائر كبائر بالمدوامه عليها فلا بد للمحسنين من اجتناب المدوامه على الصفائر حتى يكونوا مجتنبين لكبائر الاثم والفواحش وقد قال تعالى (وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون * والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش واذا ما غضبوا هم يغفرون * والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون * والذين اذا اصابهم البغي هم ينتصرون * وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله) فهذه الآيات تضمنت وصف المؤمنين بقيامهم بما أوجب الله عليهم من الايمان والتوكل وقيام الصلاة والانفاق مما رزقهم الله والاستجابة لله فى جميع طاعاته ومع هذا هم مجتنبون كبائر الاثم والفواحش فهذا تحقق التقوى ، ووصفهم فى معاملتهم للخلق بالمغفرة عند الغضب وندبهم الى العفو والاصلاح . وأما قوله تعالى (والذين اذا اصابهم البغي هم ينتصرون) فليس منافيا للعفو فان الانتصار يكون باظهار القدرة على الانتقام ثم يقع العفو بعد ذلك فيكون اثم وأكمل قال النخعي فى هذه الآية كانوا يكرهون أن يستدلوا فاذا قدروا عفوا ، وقال مجاهد كانوا يكرهون للمؤمن أن يذل نفسه فيجترىء عليه الفساق فالمؤمن اذا بغى عليه يظهر القدرة على الانتقام ثم يعفو بعد ذلك وبالله التوفيق .

((الثالث))

التنبيه الثالث
هل يبلغ العبد
حالا لا تقبل
توبته فيها

تنازع الناس فى العبد هل يصير الى حال يمتنع عليه فيه قبول التوبة اذا ارادها فصوب شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه ان التوبة ممكنة من

كل ذنب لمن أرادها ويمكن أن الله يغفر له ، قال وهذا الذي عليه أهل السنة والجمهور وقد فرض بعض الناس ان من توسط أرضا مفضوبة ومن توسط جرحى فكيف ما تحرك قتل بعضهم فليل هذا لا طريق له الى التوبة، قال والصحيح ان هذا وغيره اذا تاب قبل الله توبته فان خروج من توسط أرضا مفضوبة بنية تخلية المكان وتسليمه الى مستحقه ليس بمنهى عنه ولا محرم بل الفقهاء متفقون على ان من غصب دارا وترك فيها قماشه وماله اذا أمر بتسليمها الى مستحقها فانه يؤمر بالخروج منها وبإخراج أهله وماله منها وان كان ذلك نوع تصرف فيها لكنه لأجل اخلائها وقد قال تعالى (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم * وأنبئوا الى ربكم واسلموا له من قبل ان يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون * واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم) الآيات فهذه في حق التائبين واما آية النساء وهي قوله (ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) فلا يجوز أن تكون في حق التائبين كما يقوله من يقول من المعتزلة فان التائب من الشرك يغفر له الشرك أيضا بنصوص القرآن واتفاق المسلمين وقد خصص الله تعالى في هذه الآية الشرك بأنه لا يغفره وما عداه لم يجزم بمغفرته بل علقه بالمشيئة فقال (ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) وفي هذه الآية رد على الخوارج والمعتزلة كما ان فيها ردا على المرجئة والجبرية لانه سبحانه علق المغفرة بالمشيئة فلو كان يغفر لكل أحد بطل قوله : لمن يشاء ، ولو كان لا يغفر لأحد بطل قوله : ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ، فدللت الآية على وقوع المغفرة العامة مما دون الشرك لكنها لبعض الناس وحيث أن غفر له لم يعذب ومن لم يغفر له عذب وهذا مذهب الصحابة وسلف الامة وسائر الائمة وهو القطع بأن من عصاة الامة من يدخل النار ومنهم من يغفر له . والمقصود أن الآية الاولى فيها النهي عن القنوط من رحمة الله وان عظمت الذنوب وكثرت فليس لأحد أن يقنط من رحمة الله وان كثرت ذنوبه وعظمت ولا أن يقنط الناس من رحمة الله ، قال بعض السلف ويروى عن أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضی الله عنه : الفقيه كل الفقيه الذي لا يؤيس الناس من رحمة الله ولا يجرتهم على

معاصي الله • والقنوط بأن يعتقد ان الله لا يغفر له اما لكونه اذا تاب لا يقبل الله توبته ولا يغفر له ذنوبه واما ان نفسه لا تطاوعه على التوبة بل هو مغلوب والشيطان ونفسه قد استحوذا عليه فيأس من توبة نفسه وان علم بأنه اذا تاب غفر له ، وهذا يعتري كثيرا من الناس والقنوط يحصل بهذا تارة وبهذا تارة ، فالاول كالراهب الذي أفتى قاتل تسع وتسعين نفسا ان الله لا يغفر له فقتله وكمل به المائة ثم دل على عالم فسأله فأفتاه بأن الله يقبل توبته والحديث في الصحيحين ، والثاني كالذي يرى للتوبة شروطا كثيرة أو يقال له ان للتوبة شروطا كثيرة يتعذر عليك فعلها والايان بها فيأس من أن يتوب وقد نهى الله عن ذلك وأخبر انه يغفر الذنوب جميعا والمراد ان الله يغفر الذنوب ولم يخبر سبحانه انه يغفر لكل مذنب بل أخبر تعالى انه لا يغفر لمن مات كافرا فقال (ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم) وقال في حق المنافقين (سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم) وليس في الوجود ذنب لا يغفره الرب بحال بل ما من ذنب الا والله يغفره في الجملة وهذه الآية عظيمة جامعة من أعظم الآيات نفعا وفيها رد على طوائف كما سنوضحه فيما يأتي ان شاء الله تعالى •

((الرابع))

التنبيه الرابع
تصح التوبة
من ذنب مع
الاصرار على
آخر

تصح التوبة في المعتمد من ذنب مع الاصرار على اخر عند السلف والخلف ، وقالت طائفة من متكلمي المعتزلة كأبي هاشم بن أبي علي الجبائي لا تصح التوبة الا من الجميع ، وحكى القاضي وابن عقيل رواية عن الامام أحمد رضى الله عنه تدل على مثل هذا ، والمعروف من مذهبه هو الاول وما روى عنه محمول على أنها ليست توبة تجعله تابيا مطلقا فان الذى ذكره المروذى عنه انه سئل عن تاب عن الفاحشة ولم يتب عن النظر فقال أى توبة ذه ؟ وهذا لا يعطى ما قالوه عنه وانما أراد انها ليست توبة عامة ، فان نصوصه المتواترة عنه خلاف ذلك فحمل كلامه على ما توافقه أولى لا سيما اذا كان القول الآخر مبتدعا لا يعرف له سلف كما قاله شيخ الاسلام فى

فتاويه ، قال والامام أحمد رضى الله عنه من أشد الناس توصية بالسنة والاتباع وتوصية باتباع السلف وترك الابتداع ، قال شيخ الاسلام ومن تاب من بعض ذنوبه فالتوبة تقتضى مغفرة ما تاب منه فقط ، قال وماعلمت فيه نزاعا الا في الكافر اذا أسلم فان اسلامه يغفر له الكفر وهل يغفر له الذنوب التي فعلها في حال كفره ولم يتب منها في الاسلام ؟ على قولين معروفين ، الصحيح انه اذا لم يتب من الذنب بقى على حكمه ولا يغفر الا بمشيئة الله تعالى كغيره من المسلمين الذين عملوا في الاسلام . انتهى . واذا تاب الانسان توبة عامة فهي تناول كل ما رآه ذنبا لان التوبة العامة تتضمن عزا عاما لفعل المأمور وترك المحظور ، وكذلك تتضمن ندما عاما على كل محظور . والندم سواء قيل انه من باب الاعتقادات أو من باب الارادات أو من باب الآلام التي تلحق النفس بسبب فعل ما يضرها ، فاذا استشعر القلب انه فعل ما يضره حصل له معرفة بأن الذى فعله كان من السيئات وهذا من باب الاعتقادات ، وكرهه ما كان فعله وهو من جنس الارادات ، وحصل له أذى وغم لما كان فعله وهذا من باب الآلام كالغموم والاحزان ، وعلى كل فمن تاب توبة عامة كانت مقتضية لغفران الذنوب كلها وان لم يستحضر أعيان الذنوب الا أن يكون بعض الذنوب لو استحضره لم يتب منه لقوة ارادته أو لاعتقاده انه حسن فلا يدخل في التوبة . وقال الامام النووي انها تصح من ذلك الذنب عند أهل الحق وهو الذى ذكره القرطبي انه خلاف قول المعتزلة يعنى صحة التوبة من بعض الذنوب دون بعض . قال العلامة ابن مفلح في الآداب : أما صحة التوبة عن بعض الذنوب فهي أصل السنة وانما يمنع صحتها المعتزلة القائلون بالاجباط وانه لا تنفع طاعة مع معصية فأما من صحح الطاعة مع المعاصي صحح التوبة من بعض المعاصي . وقال ابن عقييل في الفنون قال بعض الأصوليين لا تصح التوبة من ذنب مع الاصرار على غيره فان الانسان لو قتل ، لانسان ولدا وأحرق له بيدرا ثم اعتذر عن احراق البيدر دون قتل الولد لم يعد اعتذارا وهذا أحد الروايتين عن الامام أحمد رضى الله عنه والمعتمد الصحة وبالله التوفيق .

((الخامس))

التنبية الثالث
التوبة من
مظالم العباد

من اغتاب انسانا أو قذفه ونحوه هل يشترط لصحة توبته اعلامه بذلك واستحلاله من ذلك؟ أما المال وما يجوز أن يعقاض عنه بمنله أو قيمته فلا بد من الرد ان قدر، قال في الهداية : مظالم العباد تصح التوبة منها على الصحيح في المذهب وهو قول ابن عباس ومن مات نادما عليها كان الله عز وجل المجازى للمظلوم عنه - يعني حيث لم يقدر على رد المظلمة- وفي الخبر « لا يدخل النار تائب من ذنوبه » وفي الرعاية يرد ما أثم به وتاب بسببه يبذله الى مستحقه وينوى ذلك اذا أمكنه أو تعذر رده في الحال ، فالشهور عند الجمهور لا يجب الاعلام ولا الاستحلال ، قال شيخ الاسلام ابن نيمية انه قول الاكثرين وانه ان تاب من قذف انسان أو غيبته قبل علمه به لا يشترط لتوبته اعلامه والتحلل منه ، واختاره القاضي لما روى أبو محمد الخلال بإسناده عن أنس بن مالك رضى الله عنه مرفوعا « من اغتاب رجلا ثم استغفر له بعد غفر له غيبته ، وبإسناده أيضا عن أنس مرفوعا « كفارة من اغتیب أن يستغفر له » ولان في اعلامه ادخال غم عليه ، قال الشيخ عبدالقادر قدس الله سره في الغيبة ان كفارة الاغتياب ما روى أنس رضى الله عنه - وذكره . وخبر أنس المذكور ذكره الحافظ ابن الجوزى في الموضوعات وفيه عنبة بن عبد الرحمن متروك، وذكر مثله من حديث سهل بن سعد وفيه سليمان بن عمرو كذاب . ومن حديث جابر وفيه حفص بن عمر الأبلى متروك . وذكر ابن الجوزى أيضا حديث أنس في كتابه الحدائق وقال انه لا يذكر فيها الا الحديث الصحيح . قلت وقد ذكر في مختصر الموضوعات ان حديث أنس ذكره البيهقى في الدعوات وقال : في هذا الاسناد ضعف . وله شاهد عن الامام عبد الله بن المبارك من قوله أخرجه البيهقى في الشعب وأورد له شاهدا حديث حذيفة : كان في لسانى ذرب على أهلى فسألت النبى صلى الله عليه وسلم فقال « أين أنت من الاستغفار » ثم أوله على أن الامر بالاستغفار رجاء أن يرضى عنه خصمه يوم القيامة ببركة استغفاره . وذكر الامام ابن القيم في كتابه الكلم الطيب والعمل الصالح ما لفظه : يذكر عن النبى صلى الله عليه وسلم ان كفارة الغيبة ان تستغفر لمن اغتبه تقول

اللهم اغفر لنا وله وذكره البيهقي في الدعوات الكبير وقال ابن عبد البر في كتاب بهجة المجالس قال حذيفة رضى الله عنه كفارة من اغتبه ان تستغفر له ، وقال عبد الله بن المبارك لسفيان بن عيينة التوبة من الغيبة ان تستغفر لمن اغتبه ، قال سفيان بل تستغفره مما قلت فيه ، فقال ابن المبارك لا تؤذه مرتين • ومثل قول ابن المبارك اختار شيخ الاسلام ابن تيمية وابن الصلاح الشافعى • قال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه بعد أن ذكر الروايتين فى المسألة : فكل مظلمة فى العرض من اغتياب صادق وبهت كاذب فهو فى معنى القذف اذ القذف قد يكون صادقا فيكون غيبة وقد يكون كاذبا فيكون بهتا ، قال واختار أصحابنا انه لا يعلمه بل يدعو له دعاء يكون احسانا اليه فى مقابلة مظلمته فان تضرر الانسان بما علمه من شتمه أبلغ من تضرره بما لا يعلم ، ثم قد يكون الاعلام سبب العدوان على الظالم أولا اذ النفوس لا تقف غالبا عند العدل والانصاف ، وأيضا فيه زوال ما كان بينهما من كمال الالفة والمحبة أو تجدد القطيعة والبغضة والله تعالى أمر بالجماعة ونهى عن الفرقة • فعلى هذا لو سأل المقذوف والمسبوب قاذفه هل فعل ذلك أم لا لم يجب عليه الاعتراف على الصحيح من الروايتين اذ توبته صحت فى حق الله تعالى بالندم وفى حق العبد بالاحسان اليه بالاستغفار ونحوه • وهل يجوز الاعتراف أو يستحب أو يكره أو يحرم ؟ الاشبه ان ذلك يختلف باختلاف الاحوال • وعلى هذا لو استحلف على ذلك جاز له أن يحلف ويعرض لانه مظلوم بالاستحلاف فاذا كان تاب وصحت توبته لم يبق لذلك عليه حق فلا تجب اليمين عليه • قال شيخ الاسلام ابن تيمية طيب الله ثراه قد سئلت عن نظير هذه المسألة وهو رجل تعرض لامرأة غيره فزنى بها ثم تاب من ذلك وسأله زوجها عن ذلك فأنكر فطلب استحلافه فان حلف على نفى الفعل كانت يمينه غموسا وان لم يحلف قويت التهمة وان أقر جرى عليه وعليها من الشر أمر عظيم قال فأفتيته أن يضم الى التوبة فيما بينه وبين الله تعالى الاحسان الى الزوج بالدعاء والاستغفار أو الصدقة عنه ونحو ذلك مما يكون بازاء ايذائه له فى أهله فان الزنا بها تعلق به حق الله تعالى وحق زوجها من جنس حقه فى عرضه وليس هو مما يجبر بالمثل كالدماء والاموال بل هو من جنس

القذف الذى جزاؤه من غير جنسه فتكون توبة هذا كتوبة القاذف وتعريضه كتعريضه وحلفه على التعريض كحلفه • وأما لو ظلمه في دم أو مال فلا بد من ايفاء الحق فان له بدلا وقد نص الامام أحمد رضى الله عنه على الفرق بين توبة القاتل وتوبة القاذف • قال العلامة ابن مفلح : وفي هذا خلاص عظيم وتفريج كربات النفوس من آثار المعاصي والمظالم فان الفقيه كل الفقيه الذى لا يؤيس الناس من رحمة الله عز وجل ولا يجرئهم على معاصيه وجميع النفوس لا بد أن تذب فتعريف النفوس ما يخلصها من الذنوب من التوبة والحسنات الماحيات كالكفارات والعقوبات من أعظم فوائد الشريعة وبالله التوفيق •

حال من مات
ولم يتب

((ومن)) أى امرئ مذنب ((يمت)) أى يدركه الموت وهو مصر على ذنوبه ومنهك في شهواته ((ولم يتب من الخطأ)) الذى ارتكبه والاثم الذى اكتسبه لم نحكم عليه بالكفر كما زعمت الخوارج، ولم نقل انه خرج من الاسلام بارتكابه كبائر الآثام ولم يدخل في الكفر بل هو في منزلة بين منزلتي الكفر والاسلام كما زعمت المعتزلة، ولا نحكم عليه بالخلود في النار بل ولا بدخولها بل نقول في من مات مصرا على كبائر الذنوب والخطايا ((فأمره)) الذى يؤل اليه ((مفوض)) أى موكل ومردود ((لذى)) أى صاحب ((العطا)) الواسع والكرم والجود والنعم والعطا ويمد النوال وفي الاسماء الحسنى المعطى أى يعطى من يريد ما يريد ومن ثم قال ((فان يشأ)) سبحانه وتعالى ((يعف)) أى يتجاوز عمن مات مرتكباً لذنوبه ولم يتب منها والعفو هو التجاوز عن الذنب وترك العقاب عليه وأصله المحو وذهب الاثر وفي الاسماء الحسنى العفو هو فعل من العفو الذى هو التجاوز ((وان شاء انتقم)) منه فان علمه بالفضل عفا وأنعم وان عامله بالعدل انتقم وآلم، والانتقام ان يبلغ في العقوبة حدا وفي الاسماء الحسنى المنتقم وهو المبالغ في العقوبة لمن يشاء وهو مقتل من نقم ينقم اذا بلغت به الكراهة حد السخط ((وان يشأ أعطى)) النوال السهل ((وأجزل)) أى أكثر وأعظم لهم ((النعم)) بكسر النون المشددة وفتح العين المهملة جمع نعمة بكسر النون وسكون العين المهملة والاسم بالفتح قال في القاموس النعمة بالكسر

المسرة واليد البيضاء الصالحة كالنعمى بالضم والنعماء بالفتح ممدودة واجمع
أنعم ونعم ونعمات بكسرتين وبفتح العين ونعيم الله عطيته • قال الامام المحقق
ابن القيم فى كتابه الجيوش الاسلامية : النعمة نعمتان نعمة مطلقة ونعمة مقيدة
فالنعمة المطلقة هى المتصلة بسعادة الابد وهى نعمة الاسلام وهى التى أمرنا
الله سبحانه وتعالى ان نسأله فى صلاتنا ان يهدينا صراط أهلها ومن خصهم
بها وجعلهم أهل الرفيق الاعلى حيث يقول (ومن يطع الله والرسول
فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين
وحسن أولئك رفيقا) فهؤلاء الاصناف الاربعة هم أهل هذه النعمة المطلقة
وهم المعنيون بقوله تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى
ورضيت لكم الاسلام دينا) واذا قيل ليس لله على الكافر نعمة بهذا الاعتبار
فهو صحيح ، والنعمة الثانية هى النعمة المقيدة كنعمة الصحة والغنى وعافية
الجسد وبسط الجاه وكثرة الولد والزوجة الحسنة وأمثال ذلك فهذه
مشتركة بين البر والفاجر والمؤمن والكافر واذا قيل لله على الكافر نعمة بهذا
الاعتبار فهو حق ، فلا يصح اطلاق السلب ولا الايجاب الا على وجه واحد
وهو ان النعم المقيدة لما كانت استدرجا للكافر وما آلتها الى العذاب والشقاء
فكانها لم تكن نعمة وانما كانت بلية كما سماها الله تعالى فى كتابه كذلك
فقال (فأما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه) الآيتين ولهذا قال (كلا)
أى ليس كل من أكرمه فى الدنيا ونعمته فيها فقد أنعمت عليه وانما ذلك
ابتلاء منى واختبار ، ولا كل من قدرت عليه رزقه فجعلته بقدر حاجته من
غير فضلة أكون قد أهنته بل أتلى عبدى بالنعم كما أتليه بالمصائب •

والحاصل ان مذهب أهل الحق من أهل السنة والجماعة ان من مات
مذنبا ولو مصرا على كبائر الذنوب ولم يتب منها لعلام الغيوب لم تقطع له
بخروج من الدين بل ثبت انه من المؤمنين ولم تقطع له بدخول النار بل
نقوض أمره الى الحليم^(١) الغفار فان شاء عذبه غير أنه لا يخلده فى النار وان
شاء عفا عنه ابتداء اما بشفاعة مقبولة أو بدعوة صالح أو بمصيبة من تشديد
عند الموت أو غيره من مصائب البرزخ والصدقة عند الموت والاعمال الصالحة

التي يهدبها غيره له أو يرحمه أرحم الراحمين ونحو ذلك ، وان شاء رفع عنه العذاب وأجزل له الثواب ورفع له الدرجات وبدل الله سيئاته حسنات .

تنبيهان

تنبيهان
الاول يقال
لهذه المسألة
مسألة وعيد
الفساق

هذه المسألة يترجمها بعض القوم بمسألة وعيد الفساق وبعضهم بمسألة عقوبة العصاة وبعضهم بمسألة انقطاع عذاب أهل الكباثر، وضابطها ان يرتكب المؤمن كبيرة غير مكفرة بلا استحلال ويموت بلا توبة، وقد اختلف الناس في حكمه كما تقدم فأهل السنة لا يقطعون له بالعقوبة ولا بالعضو بل هو في مشيئة الله تعالى وانما يقطعون بعدم الخلود في النار بمقتضى ما سبق من وعده وثبت بالدليل خلافا للمعتزلة في قولهم نقطع له بالعذاب الدائم والبقاء المخلد في النار لكنه عندهم يعذب عذاب الفساق لا عذاب الكفار ، وأما الخوارج فعندهم انه يعذب عذاب الكفار لكفره عندهم ، والدليل لمذهب أهل الحق الآيات والاحاديث الدالة على أن المؤمنين يدخلون الجنة فان كان بعد العذاب ودخول النار فهي مسألة انقطاع العذاب وان كان قبل ذلك فهي مسألة العضو التام قال تعالى « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره * - ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة » وقال صلى الله عليه وسلم « من قال لا اله الا الله دخل الجنة » وقال « من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة وان زنى وان سرق » وكقوله صلى الله عليه وسلم « يخرج من النار قوم بعد ما امتحشوا وصاروا حمما وفحما فيفرقون على أنهار الجنة ويرش عليهم من مائها فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل فيحيون ويعودون لحالهم الاولى وأحسن » وقوله صلى الله عليه وسلم « يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من ايمان » وسيأتى تمام هذا بعد ان شاء الله تعالى .

((الثاني))

التنبيه الثاني
لا بد من نفوذ
الوعيد
في الجملة

ذكر بعض المحققين انعقاد الاجماع على أنه لا بد سمعا من نفوذ الوعيد في طائفة من العصاة أو طائفة من كل صنف منهم كالزناة وشربة الخمر

وقتلة الانفس وأكلة الربا وأهل السرقة والغصب اذا ماتوا على غير توبة فلا بد من نفوذ الوعيد في كل طائفة من كل صنف لا لفرد معين لجواز العفو وأقل ما يصدق عليه نفوذ الوعيد واحد من كل صنف والادلة قاضية بقصر العصاة على عصاة الموحدين وقد رتب بعض الناس على ذلك امتناع سؤال العفو لجميع المسلمين لمنافاته لذلك وهذا ساقط الا اذا قصد العفو ابتداء لكل فرد من أفراد الامة على أن العفو يصدق بما بعد العذاب والتعذيب فمن قال بمنع المنع فهو المصيب وبالله التوفيق •

((فصل في ذكر من قيل بعدم قبول اسلامه

من طوائف أهل العناد والزندقة والالحاد))

فصل فيما
قيل من عدم
قبول اسلام
الزنديق
ونحوه

أعلم وفقضى الله واياك ان علماءنا ذكروا تحتم قتل جماعة من الزنادقة وأهل الالحاد لعدم قبول اسلامهم بحسب الظاهر كالزنديق ومن تكررت رده أو كفر بسحره أو سب الله أو رسوله أو تنقصه ، واما حكمهم في الآخرة فان صدقوا قبل بلا خلاف وعن الامام أحمد رضى الله عنه رواية ثانية ان توبتهم تقبل كغيرهم وهذا الذى نختره ولهذا قال .

- | | |
|-----------------------------|--------------------------------|
| ((وقيل في الدرور والزنادقة | وسائر الطوائف المنافقة) |
| ((وكل داع لابتداع يقتل | كمن تكرر نكته لا يقبل)، |
| ((لأنه لم يبد من ايمانه | الا الذى أذاع من لسانه)) |
| ((كملحد وساحر وساحره | وهم على نياتهم في الآخرة)) |
| ((قلت وان دلت دلائل الهدى | كما جرى للعلبوني اهتدى)) |
| ((فانه أذاع من أسرارهم | ما كان فيه الهتك عن استارهم)) |
| ((وكان للدين القويم ناصرا | فصار منا باطنا وظاهرا)) |
| ((فكل زنديق وكل مارق | وجاحد وملحد منافق)) |
| ((اذا استبان نصحه للدين | فانه يقبل عن يقين)) |

لمحة عن
الاسماعيلية

((وقيل)) وهو المذهب فقها^(١) ((في)) طوائف ((الدرزي)) من الحمزاوية اتباع حمزة المدعو عندهم بهادى المستجيبين والبرذعى والدرزى وغيرهم من الحاكمين القائلين بالهية الحاكم العيىدى وكان أخصهم بالحاكم وأعجبهم اليه حمزة المدعو بهادى المستجيبين وهو حمزة اللباد وكان أعجيبا من الزورى فأظهر الدعاء الى عبادة الحاكم وزعم ان الاله حل فيه واجتمع اليه جماعة من غلاة الاسماعيلية وكثر جمعه ومن دخل في دعوته وشاع ذلك فظهر وكان الحاكم اذا ركب الى تلك الجهة التى هو بها فانه كان مقيما في المسجد الذى عند سقاية زيدان بظاهر باب النصر من مصر خرج اليه من المسجد وانفرد به ويقف الحاكم له راكبا فيحادثه ويفاوضه وارتفع شأن هذا الملعون واتخذ لنفسه خواصا لقبهم بألقاب منهم رجل لقبه بسفير القدرة وجعله رسولا فكان يرسله لأخذ البيعة على مايعتقده الحاكم ، ثم نبغ شايب من موالى الأتراك اسمه أنوشكين البخارى ويعرف بالدرزى فسلك طريق الزورى فكثر تبعه والمتابون اليه واليه تنسب طائفة الدرزي وكان أيضا يقف للحاكم ويخلو به ويقرر معه ما يفعله وسمى نفسه سيد الهادين وحياة المستجيبين ، وهؤلاء وأتباعهم ومن نجانحوهم هم الطائفة الموسومة بالاسماعيلية . قال الامام شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله روحه : الاسماعيلية كانوا ملوك مصر القاهرة وكانوا يزعمون انهم خلفاء علويون فاطميون وهم عند أهل العلم من ذرية عبيد الله القداح وقال فيهم الامام أبو حامد الغزالي في كتابه الذى صنفه عليهم : ظاهر مذهبهم الرفض وباطنه الكفر المحض . وقد جزم شيخ الاسلام بكفر الاسماعيلية في محلات متعددة من مصنفاته وانهم من القرامطة النصيرية وانهم أشد كفرا من الغالية الذين يقولون بالهية أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه ونبوته . وعبيد الله هو الملقب بالمهدى أول العبيديين والمحققون ينكرون دعواه فى نسبته لآل البيت ويقولون ان اسمه سعيد ولقبه عبيد الله وزوج أمه الحسين بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن ميمون القداح وسمى قداحا لانه كان كحالا يقده العين التى ينزل فيها الماء وسموا بالاسماعيلية نسبة الى عبيد الله بن محمد بن اسماعيل

(١) منح « وهو مذهب فقهاثنا » .

ابن جعفر • وهو (؟) أبو طاهر المتصور بن القائم بن المهدي صاحب افريقية وهم أهل هذه البدعة ، ويقال إن جدهم كان يهوديا ولا مزيد على ما هم عليه من الكفر والالحاد والزندقة والعناد وقد فشت نحلتهم وانتشرت بدعتهم وكثرت وعظم ضررها واستفحل كفرها وشررها ولا سيما في شوف^(١) ابن معن ونواحي كسروان وفي الكرمل ونواحي عكا وتلك البلدان والله المستعان • ((والزنادقة)) جمع زنديق قال في المطلع الزنديق فارسي معرب وجمعه زنادقة قال سيويه الهاء في زنادقة بدل من (ياء) زناديق • قال الجوهرى وقد تزندق والاسم الزندقة • قال ثعلب ليس زنديق ولا فرزين من كلام العرب انما يقولون زندق وزندقى اذا كان شديد البخل • وفي القاموس الزنديق بالكسر من الثنوية أو القائل بالنور والظلمة أو من لا يؤمن بالأخرة وبالربوبية أو من يبطن الكفر ويظهر الايمان أو معرب زن دين أى دين المرأة قال والجمع زنادقة أو زناديق • انتهى • قال الامام الموفق في المعنى : الزنديق هو الذى يظهر الاسلام ويخفى الكفر كان يسمى منافقا ويسمى اليوم زنديقا • ومن ثم قال ((وسائر)) أى بقية ((الطوائف)) جمع طائفة وهى القطعة أو الواحد فصاعدا أو الى الالف أو أقلها رجلان أو رجل فيكون بمعنى النفس - كله من القاموس • وقال في النهاية الطائفة الجماعة من الناس ويقع على الواحد كأنه أراد نفسا طائفة ، قال وسئل اسحاق بن راهويه عنه فقال : الطائفة دون الالف ((المنافقة)) من النفاق وهو ابطان الكفر واظهار الايمان قال في النهاية قد تكرر في الاحاديث ذكر النفاق وما تصرف منه اسما وفعلا ، قال وهو اسم اسلامى لم تعرفه العرب بالمعنى المخصوص به - وهو الذى يستتر كفره ويظهر ايمانه - وان كان أصله فى اللغة معروفا يقال نافق ينافق منافقة ونفاقا وهو مأخوذ من النافقاء احدى جحرة اليربوع اذا طلب من واحد هرب الى الآخر وخرج منه ، وقيل هو من النفق وهو السرب الذى يستتر فيه لستره كفره • قال الامام أبو حامد الغزالي في كتابه التفرقة بين الايمان والزندقة: فأما ما يتعلق بهذا الجنس - يعنى التأويلات البعيدة بأصول العقائد المهمة - قال : وأصول الايمان ثلاثة الايمان بالله وبرسوله وباليوم

الآخر ، وما عداه فروع فيجب تكفير من يغير الظاهر بغير برهان قاطع كالذي ينكر العقوبات الحسية في الآخرة بظنون وأوهام واستبعادات من غير برهان قاطع فيجب تكفيره قطعاً . ويجب تكفير من قال منهم ان الله عز وجل لا يعلم الا نفسه أو لا يعلم الا الكليات فأما الامور الجزئية المتعلقة بالاشخاص فلا يعلمها ، لأن ذلك تكذيب للرسول صلى الله عليه وسلم قطعاً وليس من قبيل الدرجات التي يسوغ فيها التأويل اذ أدلة القرآن والاخبار على تفهيم حشر الاجساد وتفهم علم الله تعالى لكل ما يجرى على الانسان مجاوزة حدا لا يقبل التأويل وهم معترفون بأن هذا ليس من التأويل ، قالوا ولكن لما كان صلاح الخلق في أن يعتقدوا حشر الاجساد لقصور عقولهم عن (١) فهم المعاد العقلي وكان صلاحهم في أن يعتقدوا أن الله عالم بما يجرى عليهم ورفيب عليهم ليورث ذلك رغبة ورهبة في قلوبهم جاز للرسول صلى الله عليه وسلم أن يفهمهم ذلك قالوا وليس بكاذب من أصلح غيره فقال ما فيه صلاحه وان لم يكن كما قاله ، قال الغزالي وهذا القول باطل قطعاً لانه تصريح بالتكذيب ويجب اجلال منصب النبوة عن هذه الرذيلة ففي الصدق واصلاح الخلق به مندوحة عن الكذب ، قال وهذه أول درجات الزندقة وهي رتبة بين الاعتزال وبين الزندقة المطلقة فان المعتزلة تقرب مناهجهم من مناهج الفلاسفة الا في هذا الامر الواحد وهو أن المعتزلي لا يجوز الكذب على الرسول صلى الله عليه وسلم بمثل هذا بل يؤول الظاهر مهما ظهر له بالبرهان خلافه والفلسفي لا يقتصر مجاوزته للظواهر على ما يقبل التأويل على قرب أو بعد ، قال وأما الزندقة المطلقة فهو أن ينكر أصل المعاد عقلياً أو حسباً وينكر الصانع للعالم أصلاً ورأساً ، قال وأما اثبات المعاد بنوع عتلى مع نفى الآلام واللذات الحسية واثبات الصانع مع نفى علمه بتفاصيل الامور فهي زندقة مقيدة بنوع اعتراف بصدق الانبياء ، وظاهر ظني - قال والعلم عند الله تعالى - ان هؤلاء المرادون بقوله صلى الله عليه وسلم « ستفترق أمتي نيفا وسبعين فرقة كلهم في الجنة الا الزنادقة وهي فرقة » قال وهذا لفظ الحديث في بعض الروايات قال وظاهر الحديث يدل على أنه أراد الزنادقة من أمته اذ قال

(١) في الاصلين : عر .

ستفترق أمتي ومن لم يعترف بنبوته فليس من أمته والذين ينكرون أصل المعاد وأصل الصانع فليسوا معترفين بنبوته اذ يزعمون ان الموت عدم محض وان العالم لم يزل كذلك موجودا لنفسه من غير صانع ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر وينسبون الانبياء الى التليس فلا يمكن نسبتهم الى الامة فاذا لا معنى لزندقه هذه الامة الا ما ذكرناه . انتهى . أقول أما هذا الحديث الذي ذكره فلا أصل له وتقدم الكلام عليه في صدر الكتاب وقول شيخ الاسلام ابن تيمية طيب الله مثواه بأنه موضوع باتفاق أهل العلم بالحديث ولم يروه أحد من أهل الحديث المعروفين بهذا اللفظ بل الحديث الذي في كتب السنن والمسائيد عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه انه قال « ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة ، واحدة في الجنة واثنان وسبعون في النار » وروى عنه انه قال « هي الجماعة » وفي حديث آخر « هي من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي » وتقدم الحديث والكلام عليه مستوفى عند قوله :

بان ذى الأمة سوف تفترق بضما وسبعين اعتقادا والمحق

الآيات . قال شيخ الاسلام ابن تيمية وأيضا لفظ الزندقه لا يوجد في كلام النبي صلى الله عليه وسلم كما لا يوجد في القرآن وهو لفظ أعجمي معرب من كلام الفرس بعد ظهور الاسلام وقد تكلم به السلف والأئمة في توبة الزنديق ونحو ذلك ، قال والزنديق الذى تكلم الفقهاء في قبول توبته في الظاهر المراد به عندهم المنافق الذى يظهر الاسلام ويبطن الكفر وان كان مع ذلك يصلى ويصوم ويحج ويقرأ القرآن ، وسواء كان في باطنه يهوديا أو نصرانيا أو مشركا أو وثنيا ، وسواء كان معطلا للصانع وللنبوة أو للنبوة فقط أو لنبوة نبينا صلى الله عليه وسلم فقط فهذا زنديق وهو منافق ، وما في القرآن والسنة من ذكر المنافقين يتناول مثل هذا باجماع المسلمين وقد قال تعالى (ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا * الا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فأولئك مع المؤمنين وسوف يؤتى الله المؤمنين أجرا عظيما) قال ومثل هؤلاء المنافقين كفار في الباطن باتفاق المسلمين وان كانوا مظهرين للشهادتين

والاقرار بما جاء به الرسول ومؤدين للواجبات الظاهرة فان ذلك لا ينفعهم في الآخرة اذا لم يكونوا مؤمنين بقلوبهم باتفاق المسلمين . قال شيخ الاسلام وبهذا يظهر ضعف ما ذكره الغزالي من أنه لا معنى لزندق هذه الأمة الا ما ذكره من الزندقة المقيدة التي هي مذهب الفلاسفة المشائين فان الزندقة في هذه الامة وغيرها باتفاق أئمة المسلمين أعم من هذا كما ذكره الفقهاء كلهم في باب توبة الزندق وسائر أحكامه وان لم يكن لفظ الزندق واردا في الكتاب والسنة بل معناه عندهم المنافق ، وجميع من بلغته دعوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ثلاثة أصناف مؤمن وكافر ومنافق والمنافق كفر في الباطن مسلم في الظاهر وقد أنزل الله تعالى وصف الاصناف الثلاثة في أول سورة البقرة فأنزل أربع آيات في المؤمنين وآيتين في الكافرين وبضع عشرة آية في المنافقين . قال شيخ الاسلام قدس الله روحه وعامة ما يوجد النفاق في أهل البدع فان الذي ابتدع الرفض كان منافقا زنديقا وكذلك يقال عن الذي ابتدع التجهم وكذلك رؤوس القرامطة وأمثالهم لا ريب انهم من أعظم المنافقين وهؤلاء لا يتنازع المسلمون في كفرهم . ولهذا قال :

توبة المبتدع الداعية

((وكل داع ل)) انتحال ((ابتداع)) مكفر من بدع الضلال ، ذكر القاضى وأصحابه من علماء المذهب رواية عن الامام أحمد رضى الله عنه : لا تقبل توبة داعية الى بدعة مضلة ، واختارها أبو اسحاق ابن شاقلا ، وفي الرعاية من كفر ببدعة قبلت توبته على الاصح ، وقيل ان اعترف بها ، وقيل لا تقبل من داعية ، والمذهب تقبل توبة من كفر ببدعة ولو داعية خلافا لابن حمدان والبليانى في عقيدتهما . قال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه قد بين الله تعالى انه يتوب على أئمة الكفر الذين هم أعظم من أئمة البدع . قال شيخ مشايخنا بدر الدين البليانى فى مختصر عقيدة ابن حمدان : ولا تقبل معنى التوبة ظاهرا من داعية الى بدعته المضلة ولا من ساحر وزندق وهو المنافق ولا ممن تكررت رده ولذا قال ((يقتل)) الداعية لبدعته المضلة لعدم قبول توبته ظاهرا كالدرزى والزندق وسائر طوائف المنافقين ((كمن)) أى كمكلف ((تكرر نكته)) أى نقضه للاسلام بأن تكررت رده واتجه العلامة الشيخ مرعى فى غايته ان أقل التكرار ثلاث . قال فى النهاية : النكت

نقض العهد والاسم النكت بالكسر ((لا يقبل)) منه بعد تكرار رده منه
الاسلام على ظاهر المذهب لظاهر قوله تعالى (ان الذين آمنوا ثم كفروا ثم
آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا)
وقوله (ان الذين كفروا بعدا يمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم)
والازدياد يقتضى كفرا متجددا أو لا بد من تقديم ايمان عليه . ولما روى الاثر
باسناده عن ظبيان بن عمارة ان ابن مسعود رضى الله عنه أتى برجل فقال له
انه قد أتى بك مرة فزعمت انك تبت وأراك قد عدت فقتله ولان تكرار الردة
منه يدل على فساد عقيدته وقله مبالاة بالدين . والسبب فى عدم قبول توبة
نحو المنافق ((لانه لم يبد)) للعيان ظاهرا ((من ايمانه)) الذى زعم أنه أتى
به ودخل به الى الاسلام والدين القويم ((الا الذى أذاع)) أى أظهر ونشر
قبل توبته ((من لسانه)) مع عدم اعتقاده للاسلام فلم يزد على ما كان يقوله
ويأتى به ويذيعه فى حال كفره وكتمانه للعقيدة الفاسدة والنحلة الباطلة
والكفر المستور شيئا وقد قال تعالى (الا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا)
وهؤلاء لا يظهر منهم على ما يتبين به رجوعهم فلا يظهر منهم بالتوبة خلاف
ما كانوا عليه فانهم كانوا ينفون عنهم الكفر قبل ذلك وقلوبهم لا يطلع عليها
فلا يكون لما قاله حكم لأن الظاهر من حال هؤلاء انهم انما يستدفعون عنهم
القتل باظهار التوبة اذا بدا منهم ما يؤاخذون به ((ك)) ما لا يقبل ايمان
((ملحد)) مأخوذ من الالحاد وهو الميل والعدول عن الشيء ومنه حديث
طهفة « لا يلطط في الزكاة ولا يلحد في الحياة » أى لا يجرى منكم ميل
عن الحق ما دتم أحياء، قال في النهاية ورواه القتيبي لا تلتط ولا تلحد على
النهى للواحد قال ولاوجه له لانه خطاب للجماعة ، وذكره الزمخشري لا
نلتط ولا تلحد بالنون قال والوجه بالياء التحتية مبني لما لم يسم فاعله ، واللت
المنع وفى حديث أنشأت تلطها أى تمنعها حقها ، وفى كلام الاعشى الحرمازى
فى شأن امرأته (اخلفت الوعد ولطت بالذنب) أراد منعه بضعها من لطت الناقة
بذنبها اذا سدت فرجها به اذا أرادها الفحل . قال فى كثر الاسرار: الملاحظة
والزنادقة هم الذين يسبون الله عز وجل أو واحدا من أنبيائه وكذلك من
سب النبى صلى الله عليه وسلم أو عابه أو ألحق به نقصا فى نفسه أو نسبه

حكم من سب
الله أو أحد
أنبيائه

أو دينه أو خصلة من خصاله أو شبهه بشيء على طريق التشويه أو الأضرار عليه أو التصغير لشأنه ، قال في الفروع ويقتل من سب الله أو رسوله ، نقل حنبل عن الامام احمد رضى الله عنه : أو تقتضه ولو تعريضا . وقال من عرض بشيء من ذكر الرب فعليه القتل مسلما كان أو كافرا . قال وهو مذهب أهل المدينة . وسأله ابن منصور ما الشتيمة التي يقتل بها ؟ قال نحن نرى في التعريض الحد . وفي فصول ابن عقيل عن الاصحاب لا تقبل توبته ان سب النبي صلى الله عليه وسلم لانه حق آدمى لم يعلم اسقاطه وأما ان سب الله فتقبل توبته لانه يقبل التوبة في خالص حقه .

((و)) ك ((ساحر وساحرة)) ممن يكفر بسحره من ذكر أو أنثى لما روى جندب بن عبد الله رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « حد الساحر ضربه بالسيف » رواه الترمذى والدارقطنى . وعن بجالة ابن عبدة قال كنت كاتباً لجزء بن معاوية عم الاخنف بن قيس فأتانا كتاب عمر قبل موته بسنة ان اقتلوا كل ساحر وساحرة وفرقوا بين كل ذى رحم محرم من المجوس وأنهبهم عن الزمزمة - فقتلنا ثلاث سواحر وجعلنا نفرق بين الرجل وحريمه . رواه الامام أحمد وأبو داود والبخارى منه التفريق بين ذى المحارم . وروى الامام مالك في الموطأ عن محمد بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة انه بلغه أن حفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم رضى الله عنها قتلت جارية لها سحرتها وكانت قد دبرتها فأمرت بها فقتلت . وكل من قلنا ان اسلامه لا يقبل بل حكمه ان يقتل يعنى بحسب الظاهر في الدنيا ((وهم)) يعنى الزنادقة والدروز والمنافقة ونحوهم يبعثون ((على نياتهم في)) الدار ((الآخرة)) فمن صدق منهم في توبته قبلت باطنا ونفضه ذلك بلا خلاف كما ذكره الامام ابن عقيل وموفق الدين ابن قدامة وغيرهما ، وقيل يقبل الاسلام والتوبة من كل من ذكر حتى فى الدنيا . قال الامام ابن عقيل التوبة من سائر الذنوب مقبولة خلافا لاحدى الروايتين عن الامام أحمد رضى الله عنه: لا تقبل توبة الزنديق . قال ابن عقيل اذا أظهر لنا الزنديق التوبة والرجوع عن زندقته يجب أن نحكم بايمانه ظاهرا وان جاز أن يكون عند الله عز وجل كافرا ، قال ولان الزندقة نوع كفر فجاز أن تحبط بالتوبة كسائر

الكفر من التوثن والتمجس والتهود والتنصر اذ ليس علينا معرفة الباطن جملة وانما الماخوذ علينا حكم الظاهر فاذا بان لنا فى الظاهر حسن طريقته وتوبته وجب قبولها ولم يجز ردها لما بينا وان جميع الاحكام تتعلق بها .
والولم أجد لهم - يعنى القائلين بعدم القبول - شبهة أو ردها الا أنهم حكوا عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه انه قتل زنديقا ولا أمنع من ذلك وان الامام اذا رأى قتله لانه ساع فى الارض بالفساد ساع له ذلك وأما ان تكون توبته لا تقبل بدلالة ان قطاع الطريق لا يسقط الحد عنهم بعد القدرة ويحكم بصحتها عند الله عز وجل فى غير اسقاط الحد عنهم فليس من حيث لم يسقط القتل لا تصح التوبة ، ولعل الامام أحمد رضى الله عنه عنى بقوله لا تقبل فى اسقاط القتل فيكون ما قبله هو مذهبه رواية واحدة ، قال وكمن قال لا تقبل توبة المتبدع فانا لا نمنع أن يكون مطالبا بمظالم الأدميين ولكن لا يمنع هذا صحة التوبة كالتوبة من السرقة وقتل النفس وغضب الاموال صحيحة مقبولة والاموال والحقوق للأدمى لا تسقط ويكون الوعيد راجعا الى ذلك ويكون نفى القبول عائدا الى القبول الكامل . وقال شيخ الاسلام ابن تيمية رضى الله عنه رادا قول من قال الداعية الى البدعة لا يغفر له ولا تقبل توبته قال : ويحتجون بحديث الاسرائيلى وفيه انه قيل له : فكيف بمن أضللت ؟ وهذا تقوله طائفة ممن ينسب الى السنة والحديث وليسوا من العلماء بذلك كأبى على الاهوازى وأمثاله ممن لا يميزون بين الاحاديث الصحيحة والموضوعة وما يحتج به بل يروون كل ما فى الباب محتجين به وقد حكى هذا طائفة قولاً فى مذهب الامام أحمد ورواية عنه ، وظاهر مذهبه مع سائر مذاهب أئمة المسلمين انه تقبل توبة الداعية الى الكفر وتوبة من فتن الناس عن دينهم وقد تاب قادة الاحزاب مثل أبى سفيان بن حرب والحارث بن هشام وسهيل بن عمرو وصفوان بن أمية وعكرمة بن أبى جهل وغيرهم بعد أن قتل على الكفر بدعائهم وحضهم عليه من قتل وكانوا من أحسن الناس اسلاما وغفر الله لهم كما قال تعالى (قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف) وكذلك عمرو بن العاص كان من أعظم الدعاة الى الكفر والايذاء للمسلمين وقد قال له النبى صلى الله عليه

وسلم لما أسلم « يا عمرو أما علمت ان الاسلام يجب ما قبله » فالداعى الى الكفر والبدعة وان كان أضل غيره فذلك الغير يعاقب على ذنبه لكونه قبل من هذا وتبعه وهذا عليه وزره ووزر من تبعه الى يوم القيامة مع بقاء أوزار أولئك عليهم فاذا تاب هذا من ذنبه غفر له ذنبه فلم يبق عليه وزره ولا وزر من تبعه ولا ما حمله هو لأجل اضلالهم وأما هم فسواء تاب من أضلهم أو لم يتب حالهم واحدا ولكن توبة مثل هذا تحتاج الى ضد ما كان هو عليه من الضلال الى الهدى كما تاب كثير من الكفار وأهل البدع وصاروا دعاة الى الاسلام والسنة ، وسحرة فرعون كانوا أئمة في الكفر وتعليم السحر وتعلموا ثم أسلموا وختم لهم بخير ، وكذا قاتل النفس ، والجمهور على أن توبته مقبولة وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما : لا تقبل ، وعن الامام أحمد في ذلك روايتان وحديث قاتل المائة في الصحيحين يرد ذلك فهو دليل على قبول توبته وآية (ان الله يغفر الذنوب جميعا) تدل على ذلك وآية النساء انما فيها وعيد قاتل النفس اذا لم يتب كسائر وعيد القرآن ، وقال وكل وعيد فى القرآن فهو مشروط بعدم التوبة باتفاق الناس فبأى وجه يكون وعيد القاتل لاحقا به وان تاب ، هذا في غاية الضعف ولكن قد يقال لا تقبل توبته بمعنى لا تسقط حق المظلوم بالقتل وانما التوبة تسقط حق الله ، والمقتول له مطالبته بحقه فهذا صحيح في جميع حقوق الأدميين حتى الدين ، وفي الصحيحين « الشهيد يغفر له كل شيء الا الدين » وحق الأدمى يعطاه من حسنات من ظلمه فمن تمام التوبة ان يستكثر العبد من الحسنات ليوفي غرماءه وتبقى له بقية يدخل بها الجنة . قال ولعل ابن عباس رضى الله عنهما رأى ان القتل أعظم الذنوب بعد الكفر فلا يكون لصاحبه حسنات تقابل حق المقتول فلا بد أن يبقى له سيئات يعذب بها ، وهذا الذى رآه يقع في بعض الناس فيبقى الكلام فيمن تاب وأصلح وعجز عن حسنات تعادل حق المظلوم هل يجعل عليه من سيئات المظلوم ما يعذب به ؟ هذا موضع دقيق على مثله يحمل حديث ابن عباس لكن هذا كله لا ينافى موجب قوله تعالى (قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا) الآيات

فهى تدل على أن الله تعالى يغفر كل ذنب من الشرك وغيره من حيث الجملة فهى عامة في الافعال مطلقة في الاشخاص مختصة بالتائبين بدليل قوله تعالى (وأنسيوا الى ربكم وأسلموا له من ان يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون) فاخبر انه تعالى يغفر جميع الذنوب ولم يخبر انه يغفر لكل مذنب بل قد أخبر في غير موضع انه لا يغفر لمن مات كافرا فمن تاب من الكفر قبلت توبته حيث كانت التوبة قبل مجيء العذاب وقبل الغرغرة وبالله التوفيق •

والحاصل ان شيخ الاسلام ومن نحا منحاه لم يمنع توبة تائب من زندق ومناق وساحر وداعية بدعة ضلالة وقاتل نفس ولا من تكررت رده فانه قال في قوله تعالى (ثم ازدادوا كفرا) أى ثبتوا عليه حتى ماتوا وذلك لان التائب راجع عن الكفر وغيره ومن لم يتب فانه مستمر يزداد كفرا بعد كفر فقله ثم ازدادوا كفرا بمنزلة قول القائل ثم أصروا على الكفر واستمروا عليه فهم كفروا بعد اسلامهم ثم ازدادوا كفرا أى ازداد كفرهم فهـؤلاء لا تقبل توبتهم يعنى عند الموت وأما من تاب قبل حضور الموت فقد تاب من قريب ورجع عن كفره فلم يزدد كفرا بل نقص بخلاف المصر على الكفر والمعاصى الى حين المعاينة فانه في ازدياد من ذلك وما بقى له زمان مخفف لبعض كفره فضلا عن هدمه والله أعلم •

وقد سئل سيدنا الامام أحمد رضى الله عنه عما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل احتجز التوبة عن صاحب بدعة وحجز التوبة أى شىء معناه؟ فقال لا يوفق ولا ييسر صاحب بدعة لتوبة • وقال النبي صلى الله عليه وسلم لما قرأ هذه الآية (ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شىء) فقال صلى الله عليه وسلم هم أهل البدع والاهواء ليست لهم توبة • قال شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله روحه لأن اعتقاد المبتدع الفاسد يدعوه الى أن لا ينظر نظرا تاما الى دليل خلافه فلا يعرف الحق ولهذا قال السلف ان البدعة أحب الى ابليس من العصية؛ وقال أيوب السخيتانى وغيره ان المبتدع لا يرجع • وقال شيخ الإسلام أيضا : التوبة من الاعتقاد الذى كثر ملازمة صاحبه له ومعرفة بحججه تحتاج الى ما يقابل ذلك من المعرفة والعلم والادلة ومن هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم

« اقتلوا شيوخ المشركين واستبقوا شبابهم ، قال الامام أحمد وغيره لأن الشيخ قد عسا في الكفر فاسلامه بعيد بخلاف الشاب فان قلبه لين فهو قريب الى الاسلام والله أعلم . والحاصل ان الشيخ وغيره من المحققين بل وجمهور الامة وأكثر الائمة جزموا بقبول توبة كل زنديق ومناق وملاحد ومارق ظاهرا ووكلوا سريرته الى الله تعالى والمشهور فقها عدم توبتهم كما مر وقد توسطت في المسألة في ما أشير اليه بقوله :

((قلت وان دلت)) من الشخص التائب والمسلم الأيب ((دلائل الهدى))
وقرائن الاحوال ((كما جرى ل)) لمرجل الصالح الفاضل حسن
((لعيلبوني)) نسبة الى بلدة عيلبون وهي بلدة ما بين قرية حطين
وديرخا كانت لطائفة من الدروز ومسكنا لهم من أعمال صفد، وكان هودرزبا
من جملتهم قتاب ورجع عن كفره والحجاده وزندقته وعناده وحسن حاله
وصلحت أعماله وأقبل بقلبه وقلبه على دين الاسلام ورفض ما كان عليه من
الكفر والضلال والاوهام ، فمن ظهرت منه قرائن الاحوال واتباع الهدى
ورفض الضلال والاضلال كما جرى لهذا الرجل الصالح فقد ((اهتدى))
وأنقذه الله من الضلال والردى ((فانه)) أى العيلبوني ((أذاع)) أى
نشر وأظهر ((من أسرارهم)) أى من أسرار طائفة الدروز وما هم عليه
من الكفر الذى لا مزيد عليه وانتحالهم ما لا يجوز عند أحد من سائر
أهل الملل من الوقوع على المحارم من البنات والاخوات وأكلهم الخنزير
ورفضهم العادات وانكارهم الشرائع وارتكابهم الضلالات ((ما)) أى شيئا
كثيرا ((كان فيه)) أى ذلك المذاع ((الهتك)) أى الكشف والظهور
والابانة ((عن استارهم)) التى كانوا يكتمونها ويستترون باظهارهم الاسلام
تقية مع عكوفهم على الكفر الصراح واعتقادهم ان كل ما حرمته الشريعة
فهو مباح ، ولهم من الاصطلاحات التى يريدون لها معان فيما بينهم غير
ظواهرها ما هو معروف عند كل من أطلع على عقائدهم وأظهره العيلبوني من
مقاصدهم فيجعلون الصلاة معرفة أسرارهم ويريدون بالصوم كتمان
أسرارهم وبالحج قصدهم عقالهم ومن نحو هذا الهذيان ما يخالفون به جميع
الاديان ، فمن ظهرت قرائن اسلامه ودلائل صدقه والتزامه فانه يقبل منه

الاسلام عند الخاص والعام ((وكان)) العيلبوني ومن نحا منحاه ((للدين القويم)) والهدى المستقيم ((ناصرا)) باتباعه والعكوف عليه وذم من خالفه وكشف فضائحهم واطهار قبائحهم ((فصار منا)) معشر المسلمين أهل السنة والجماعة والفرقة الناجية من أهل الايمان والطاعة ((باطنا)) أى في الباطن ((وظاهرا)) فهو مسلم مقبول الاسلام في الظاهر والباطن • وكان حسن العيلبوني شاعرا لبيبا فائقا وكان حسن المطارحة طيب العشرة ارتحل الى مصر وأخذ بها عن الشمس البابلي والشيخ سلطان والنور الشيراملسي وغيرهم ودخل دمشق الشام وجاور بها فى الخانقاه السمساطية وله شعر كثير منه القصيدة النونية التى هجا بها الدروز وهى طويلة تبلغ ثلاثمائة بيت يذكر فيها مذاهبهم الفاسدة وضلالاتهم الباردة وله غير ذلك قاله أمين حلبى فى تاريخه خلاصة الاثر فى أعيان المائة الحادية عشرة قال وأجود ما ظفرت له من شعره قوله :

حكى دخان علا ما خوق وجنته من مص غليونه اذ هزه الطرب
غйма على بدر تم قد تقطع من أيدى النسيم فولى وهو ينسحب
فقلت والنار فى قلبى لها لهب لقد حكيت ولكن فاتك الشنب

قال المحبى فى التاريخ المذكور : ثم ارتحل العيلبوني من دمشق الى عكا فأقام بها مدة وبها توفي سنة خمس وثمانين وألف رحمه الله وعفا عنه • فالذى نختاره وندين الله به ما أشرنا اليه بقولنا ((فكل زنديق)) لا يتدين بدين ((وكل مارق)) من أهل البدع والضلالات وانتحال الاهواء وارتكاب المحالات ((و)) كل ((جاحد)) من درزى ودهرى وفيلسوفى وبرهمى ومعتل وعابد وثن وشمس ونار وغيرها ((و)) كل ((ملحد)) فى آيات الله ومنكر لشرائع الله وكافر برسول الله وهو مع ذلك ((منافق)) أى ذى نفاق يبطن الكفر الذى منطو عليه ويظهر الاسلام الذى لا ركون له اليه ((اذا)) تاب مما هو عليه من الكفر والالحاد والضلال والعناد و ((استبان)) أى امتحن حاله وطلب بيانه فظهر صحة ايمانه و ((نصحه للدين)) القويم وصدق ايقانه ((فانه)) أى هذا التائب الناصح والراجع الصالح ((يقبل)) منه ذلك الرجوع والتوبة عن تلك الترهات وهو مقبول

لدى من يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ((عن يقين)) وهو حكم
الذهن الجازم المطابق للواقع وانما كان كذلك لقوله تعالى (الا الذين تابوا
وأصلحوا وبنوا فأولئك أوتوب عليهم) الآية •

((تبيينه))

دخل في عموم ما ذكرنا الحلولية والاباحية ومن يفضل متبوعه على
الانبياء ومن يزعم انه اذا حصلت له المعرفة والتحقيق سقط عنه الامر والنهي
ومن يزعم ان العارف المحقق يجوز له التدين بدين اليهود والنصارى وبأى
دين شاء وانه لا يجب عليه الاعتصام بالكتاب والسنة - وأمثال هؤلاء الطوائف
المارقين فمن صدقت توبته وصلحت سريرته ومدحت سيرته ودلت قرائن
الاحوال على رجوعه عما كان مرتكبه من الافك والضلال فمقبول عند ذى
المنة والافضال وبالله التوفيق •

((فصل))

((في الكلام على الايمان واختلاف الناس فيه))

وتحقيق مذهب السلف في ذلك))

اعلم وفقك الله تعالى ان الناس اختلفوا في حقيقة الايمان لغة واصطلاحا
والمشهور أن الايمان لغة التصديق واصطلاحا تصديق الرسول صلى الله
عليه وسلم فيما جاء به عن ربه وهذا القدر متفق عليه، ثم وقع الاختلاف هل
يشترط مع ذلك مزيد أمر من جهة ابداء هذا التصديق باللسان المعبر عما في
القلب اذ التصديق من أفعال القلوب - أو من جهة العمل بما صدق به من
ذلك كفعل الأمور وترك المحظورات ، وهذا هو الذى اشتهر من مذهب
السلف ولذا قال :

((ايماننا قول وقصد وعمل تزيدته التقوى وينقص بالزلل))

تبيينه في
طوائف تدخل
في الحكم
السابق

فصل
في الايمان
والخلاف فيه
وحول السلفاته
قول وعمل

((ايماننا)) معشر الاثرية من أهل السلف ما يأتي ذكره وهو فيما قيل مشتق من الامن وفيه نظر لتباين مدلولي الامن والتصديق الا أن لوحظ معنى مجازى فيقال آمنه اذا صدقه أى آمنه التكذيب وفي الآية الكريمة (وما أنت بمؤمن لنا) أى بمصدق لنا وقد اعترض على ذلك جماعة فقالوا بل الايمان في اللغة الاقرار وعند محققى السلف ان الايمان وان قلنا هو التصديق الا أنه تصديق خاص مقيد بقيود اتصل اللفظ بها وهذا ليس نقلا للفظ عن أصل اللغة ولا تمييزا له فان الله لم يأمرنا بايمان مطلق بل بايمان خاص وصفه وبينه وهو تصديق تام قائم بالقلب مستلزم لما وجب من الاعمال القلبية وأعمال الجوارح فان هذه لوازم الايمان التام وانتفاء اللازم دليل على انتفاء الملزوم ولهذا قال ((قول)) باللسان فمن لم يقر ويصدق بلسانه مع القدرة لا يسمى مصدقا فليس بمؤمن كما اتفق على ذلك سلف الامة من الصحابة والتابعين لهم باحسان ((وقصد)) أى عقد بالجنان فمن تكلم بكلمة التوحيد غير معتقد لها بقلبه فهو منافق وليس بمؤمن خلافا للكرامية الزاعمين بأن الايمان هو القول الظاهر، واذا كان مصدقا بقلبه غير ناطق بلسانه مع القدرة فليس بمؤمن عند سلف الامة خلافا للجهمية ومن وافقهم من المتكلمة قال الله تعالى (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين) فنفى الله الايمان عن المنافقين وهذا يرد مذهب الكرامية فان المنافق ليس بمؤمن وقد ضل من سماه مؤمنا وكذلك من قام بقلبه علم وتصديق وهو يجحد الرسول وما جاء به ويعاديه كاليهود وغيرهم ممن سماه الله كافرا ولم يسمهم مؤمنين قط ولا دخلوا في شىء من أحكام الايمان فهم كفار خلافا للجهمية في زعمهم انهم اذا كان العلم في قلوبهم فهم مؤمنون كاملو الايمان حتى قالوا ان ايمانهم كايان النيين والصدّيقين ، وفي الآيات القرآنية مما يرد هذا ما لا يحصى الا بكلفة كقوله (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا) الآية « الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم - ولما جاءهم ما عرفوا كفروا به » ((وعمل)) بالاركان وهذا هو اللفظ الوارد عن السلف قال البخارى في صحيحه الايمان قول وعمل • قال الحافظ ابن حجر في شرح البخارى وهو اللفظ الوارد عن السلف

الذين أطلقوا ذلك وقد روى مرفوعا باسناد ضعيف ، قال والمراد بالقول النطق بالشهادتين ، وأما العمل فالمراد به ما هو أعم من عمل القلب والجوارح ليدخل الاعتقاد والعبادات ، ومراد من أدخل ذلك في تعريف الايمان ومن نفاه انما هو بالنظر الى ما عند الله فالسلف قالوا هو اعتقاد بالقلب ونطق باللسان وعمل بالاركان ، وأرادوا بذلك ان الاعمال شرط في كماله ، ومن هنا نشأ لهم القول بزيادة الايمان ونقصه كما سيأتى ، والمرجئة قالوا هو اعتقاد ونطق فقط ، والكرامية قالوا هو نطق فقط ، والمعتزلة قالوا هو العمل والنطق والاعتقاد ، والفرق بينهم وبين السلف انهم جعلوا الاعمال شرطافى صحته والسلف جعلوها شرطا في كماله ، وهذا بالنظر الى ما عند الله تعالى، أما بالنظر الى ما عندنا فالايان هو الاقرار فقط فمن أقر أجرته عليه الاحكام في الدنيا ولم يحكم عليه بكفر الا أن اقترن باقراره فعل يدل على كفره كالسجود للصنم فان كان الفعل لا يدل على الكفر كالفسق فمن اطلق عليه الايمان فبالنظر الى اقراره ومن نفى عنه الايمان فبالنظر الى كماله ومن أطلق عليه الكفر فبالنظر الى أنه فعل فعل الكافر ومن نفاه عنه فبالنظر الى حقيقته ، وأثبتت المعتزلة الوسطة كما مر فقالوا : الفاسق لا مؤمن ولا كافر . انتهى . وقال الحافظ ابن رجب في شرح الاربعين وغيره : المشهور عن السلف وأهل الحديث ان الايمان قول وعمل ونية وان الاعمال كلها داخلة في مسمى الايمان ، وحكى الشافعى رضى الله عنه اجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم ممن أدركهم على ذلك . قال الحافظ ابن رجب : أنكر السلف على من أخرج الاعمال عن الايمان انكارا شديدا ومن أنكر ذلك على قائله وجعله قولاً محدثاً سعيد بن جبير وميمون بن مهران وقتادة وأيوب السخيتانى والنخعى والزهرى ويحيى بن أبى كثير وغيرهم ، وقال الثورى هو رأى محدث أدركنا الناس على غيره . وقال الاوزاعى كان من مضى من السلف لا يفرقون بين الايمان والعمل فمن استكملها استكمل الايمان ومن لم يستكملها لم يستكمل الايمان . ذكره الامام البخارى في صحيحه . وقد دل على دخول الاعمال في الايمان قوله تعالى (انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم

يتوكلون * الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون * أولئك هم المؤمنون (حقاً) وفي الصحيحين من حديث ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لوفد عبد القيس « أمركم بأربع الأيمان بالله وهل تدرون ما الأيمان بالله ؟ شهادة ان لا اله الا الله وأقام الصلاة وإيساء الزكاة وصوم رمضان وان تعطوا من المغنم الخمس ، وفي الصحيحين أيضا من حديث أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « الأيمان بضع وسبعون - أو بضع وستون - شعبة فأفضلها قول لا اله الا الله وأدناها إمطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الأيمان ، ولفظه لمسلم وقال شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه في كتابه الأيمان والإسلام قال أبو القاسم الأنصارى شيخ الشهرستاني في شرح الإرشاد لأبي المعالى بعد أن ذكر قول أصحابه الأشاعرة من انه مجرد التصديق : وذهب اهل الأثر الى أن الأيمان جميع الطاعات فرضها ونقلها وعبروا عنه بأنه اتيان ما أمر الله فرضا ونفلا والانتها عما نهى عنه تحريما وأدبا . قال وبهذا كان يقول أبو على الثقفى من متقدمى أصحابنا وأبو العباس القلانسى ، وقد مال الى هذا المذهب أبو عبد الله ابن مجاهد ، وهذا قول مالك بن أنس أمام دار الهجرة ومعظم أئمة السلف رضوان الله عليهم أجمعين فكانوا يقولون الأيمان معرفة بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالأركان . وبعض السلف من أهل السنة زاد واتباع السنة لان ذلك لا يكون محبوبا لله تعالى الا باتباع السنة . ومنهم من اقتصر على أنه قول وعمل وأراد قول القلب واللسان وعمل القلب والجوارح ، ومن زاد الاعتقاد أى المعرفة والتصديق رأى ان لفظ القول لا يفهم منه الا القول الظاهر أو خاف ذلك فزاد الاعتقاد بالقلب ، ومن قال منهم انه قول وعمل ونية قال القول يتناول الاعتقاد وقول اللسان وأما العمل فقد لا تفهم منه النية فزاد ذلك ، ومن قال منهم انه قول وعمل لم يرد كل قول وعمل انما أراد ما كان مشروعا من الأقوال والأعمال . قال شيخ الإسلام ابن تيمية كان مقصودهم الرد على المرجئة الذين جعلوه قولا فقط فقالوا بل هو قول وعمل والذين جعلوه أربعة فسروا مرادهم كما سئل سهل بن عبد الله التستري عن الأيمان ما هو ؟ فقال قول وعمل ونية وسنة

لان الايمان ان كان قولاً بلا عمل فهو كفر واذا كان قولاً وعملاً بلا نية فهو نفاق واذا كان قولاً وعملاً ونية بلا سنة فهو بدعة . ثم قال شيخ الاسلام ابن نيمية روح الله روحه : الايمان الذي أصله في القلب لا بد فيه من شيئين تصديق القلب واقراءه ومعرفة ويقال لهذا قول القلب ، قال الجنيد بن محمد رحمه الله تعالى : التوحيد قول القلب والتوكل عمل القلب . فلا بد فيه من عمل القلب وقوله ثم قول البدن وعمله لا بد فيه من عمل القلب مثل حب الله ورسوله وخشية الله ويحب ما يحبه الله ورسوله واخلاص العمل لله وحده وغير ذلك من أعمال القلوب التي أوجبها الله ورسوله وجعلها من الايمان . ثم القلب هو الاصل فاذا كان فيه معرفة و ارادة سرى ذلك الى البدن بالضرورة لا يمكن أن يتخلف البدن عما يريد القلب ، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث « الا وان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح لهما سائر الجسد (واذا فسدت فسد الجسد كله - ١) الا وهي القلب » وقال أبو هريرة رضى الله عنه : القلب ملك والاعضاء جنوده فاذا طاب الملك طابت جنوده واذا خبث الملك خبثت جنوده - قال شيخ الاسلام قدس الله روحه قول أبي هريرة تقريب وقول النبي صلى الله عليه وسلم أحسن بيانا فان الملك وان كان صالحا فان الجند لهم اختيار قد يعصون به ملكهم وبالعكس فقد يكون فيهم صلاح مع فساده أو فساده مع صلاحه بخلاف القلب فان الجسد تابع له لا يخرج عن ارادته قط ، قال فلا بد في ايمان القلب من حب الله ورسوله وان يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما قال تعالى (ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله) أى من المشركين وفي الآية قولان قيل يحبونهم كحب المؤمنين لله والذين آمنوا أشد حبا (منهم لاوثانهم ، وقيل يحبونهم كما يحبون الله والذين آمنوا أشد حبا - ١) لله منهم وهذا هو الصواب فان المشركين لا يحبون الانداد مثل محبة المؤمنين لله ، والمحبة تستلزم ارادة والارادة التامة مع القدرة تستلزم الفعل فيمتنع أن يكون الانسان محبا لله ورسوله مريدا لما يحبه الله ورسوله ارادة جازمة مع قدرته على ذلك وهو

لا يفعله فاذا لم يتكلم بالايان مع قدرته دل على أنه ليس فى قلبه الايمان الواجب الذى فرضه الله عليه ، ومن هنا يظهر خطأ قول جهم بن صفوان ومن اتبعه حيث ظنوا أن الايمان مجرد تصديق القلب وعمله ثم جعلوا ايمان القلب من الايمان وظنوا انه قد يكون الانسان مؤمنا كامل الايمان بقلبه وهو مع هذا يسب الله ورسوله ويعادى أولياء الله ويوالى أعداء الله ويقتل الأبياء ويهدم المساجد ويهين المصاحف يكرم الكفار ويهين المؤمنين ، قالوا وهذه كلها معاصى لا تنافى الايمان الذى فى قلبه بل يفعل هذا وهو فى الباطن عند الله مؤمن ، قالوا وانما ثبت له فى الدنيا أحكام الكافر لان هذه الاقوال والافعال امارة على الكفر فيحكم بالظاهر كما يحكم بالاقرار والشهود وان كان الباطن قد يكون بخلاف ما أقر به وبخلاف ما شهد به ، فاذا أورد عليهم الكتاب والسنة والاجماع على أن الواحد من هؤلاء كافر فى نفس الامر معذب فى الآخرة قالوا فهذا دليل على انتفاء التصديق والعلم من قلبه • والكفر عندهم شىء واحد وهو الجهل ، والايمان شىء واحد وهو العلم أو تكذيب القلب وتصديقه فانهم متنازعون هل تصديق القلب شىء غير العلم أو هو هو • قال شيخ الاسلام وهذا القول مع انه أفسد قول قيل فى الايمان فقد ذهب اليه كثير من أهل الكلام وقد كفر السلف كوكيع بن الجراح والامام أحمد وأبى عبيد وغيرهم من يقول بهذا القول وقالوا فابليس كافر بنص القرآن وانما كفره باستكباره وامتناعه من السجود لآدم لا لكونه كذب خبرا ، وكذلك فرعون وقومه قال الله تعالى فيهم (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا) وقال موسى عليه السلام لفرعون (لقد علمت ما أنزل هؤلاء الارب السموات والارض بصائر وانى لأظنك يا فرعون مشبورا) فموسى هو الصادق المصدوق يقول لقد علمت ما أنزل هؤلاء يعنى الآيات البينات الارب السموات والارض بصائر فدل على أن فرعون كان عالما بأن الله تعالى أنزل هذه الآيات وهو من أكثر خلق الله عنادا وبغيا لفساد ارادته وقصده لا لعدم علمه ، وقال تعالى فى أهل الكتاب (الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم) وكذلك كثير من المشركين الذين قال الله تعالى فيهم (فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون)

قال شيخ الاسلام فهؤلاء غلطوا في أصلين (أحدهما) انهم ظنوا ان
الايان مجرد تصديق وعلم فقط ليس معه عمل وحال وحركة واردة
ومحبة وخشية في القلب ، وهذا من أعظم غلط المرجئة مطلقا فان أعمال
القلوب التي يسميها بعض الصوفية أحوالا ومقامات ومنازل السائرين الى الله
أو مقامات العارفين أو غير ذلك كل ما فيها مما فرضه الله ورسوله فهو من
الايان الواجب وكل ما فيها مما أحبه الله ولم يفرضه فهو من الايمان المستحب
فالاول لا بد لكل مؤمن منه ومن اقتصر عليه فهو من الابرار أصحاب اليمين
والثاني للمقربين (السابقين - ١) (والأصل الثاني) الذي غلطوا فيه
ظنهم أن كل من حكم الشارع بأنه كافر مخلد في النار فانما ذلك لانه لم يكن
في قلبه شيء من العلم والتصديق وهذا أمر خالفوا فيه الحس والعقل والشرع
وما أجمع عليه طوائف بنى آدم السليمة الفطرة وجماهير النظار فان الانسان
قد يعرف الحق مع غيره ومع هذا يجحد ذلك لحسده اياه أو لطلب علوه
عليه أو لهوى النفس ويحملة ذلك الهوى على أن يعتدى عليه ويرد ما يقول
بكل طريق وهو في قلبه يعلم ان الحق معه • وعامة من كذب الرسل علموا
ان الحق معهم وانهم صادقون لكن الحسد واردة العلو والرياسة وجههم لما
هم عليه والفهم لما ارتكبوا أو جب لهم التكذيب والمعادة لهم ، وجميع من كذب
الرسل لم يأت بحجة صحيحة تقدر في صدقهم وانما يعتمدون على مخالفة
أهوائهم كقولهم لنوح عليه السلام (أنؤمن لك واتبعك الارذلون) وقول
فرعون (أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون) وقوله لموسى (ألم نربك
فينا وليدا) الآيتين وقول مشركى العرب لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم
(ان تتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا) قال الله تعالى رادا عليهم (أولم
نمكن لهم حرما آمنا يجيبى إليه ثمرات كل شيء) بل أبو طالب وغيره كانوا
مع محبتهم للنبي صلى الله عليه وسلم ومحبتهم لعلو كلمته من عدم حسدهم
له وعلمهم بصدقه وحملهم الفهم لدين قومهم وكراهتهم لفراقه وذم قريش
لهم على عدم اتباعه على دينه القويم وهديه المستقيم فلم يتركوا الايمان لعدم
العلم بل لهوى الانفس ، فكيف يقال مع هذا ان كل كافر انما كفر لعدم
علمه بالله ؟

فان قيل اذا كان الايمان المطلق يتناول جميع ما أمر الله به ورسوله فمتى ذهب بعض ذلك بطل الايمان فيلزم تكفير أهل الذنوب كما تقوله الخوارج أو تخليدهم في النار وسلبهم اسم الايمان بالكلية كما تقوله المعتزلة وكل هذين القولين شر من قول المرجئة فان من المرجئة جماعة من العباد والعلماء المذكورين عند الامة بخير ، وأما الخوارج والمعتزلة فأهل السنة والجماعة من جميع الطوائف مطبقون على ذمهم (فالجواب) أولاً مما ينبغي ان يعرف ان القول الذي لم يوافق الخوارج والمعتزلة عليه أحد من أهل السنة هو القول بتخليد أهل الكبائر في النار فان هذا القول من البدع المشهورة ، وقد اتفق الصحابة والتابعون لهم باحسان وسائر أئمة المسلمين على أنه لا يخلد في النار أحد ممن في قلبه مثقال ذرة من ايمان . واتفقوا أيضاً على أن نبينا صلى الله عليه وسلم يشفع في من يأذن الله له بالشفاعة فيه من أهل الكبائر من أمته كما يأتي في ذكر الشفاعة ان شاء الله تعالى . ومن بدع الخوارج الخارجة تكفيرهم للمسلم بالذنب ، وسلب المعتزلة له اسم الايمان فهو عندهم ليس بمؤمن ولا كافر كما تقدم ، وكل هذه بدع قبيحة مخالفة للصحابة والتابعين ولأئمة السلف من أهل السنة والجماعة ، والحق ما عند أهل الحق انه مؤمن ناقص الايمان فهو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته فلا يعطى الاسم المطلق من الايمان ولا يسلب مطلق الاسم ، وما نقل عن ابن عباس رضى الله عنهما ان القاتل لا توبة له وانه يخلد في النار فغلط فانه لم يقل أحد من الصحابة ان النبي صلى الله عليه وسلم لا يشفع لاهل الكبائر ولا قال انهم يخلدون في النار ولكن ابن عباس في احدى الروايتين عنه قال ان القاتل لا توبة له . والنزاع في التوبة غير النزاع في التخليد لما يتعلق بالقتل من حق الأدمى ، وتقدم الجواب عنه في الفصل الذى قبل هذا . وأما قول القائل ان الايمان اذا ذهب بعضه ذهب كله فممنوع وهذا هو الاصل الذى تفرعت منه البدع في الايمان فانهم ظنوا انه متى ذهب بعضه ذهب كله ثم قالت الخوارج والمعتزلة الايمان هو مجموع ما أمر الله به ورسوله وهو الايمان المطلق كما قاله أهل الحديث قالوا فاذا ذهب شيء منه لم يبق مع صاحبه من الايمان شيء فيخلد في النار ، وقالت المرجئة على اختلاف فرقهم

كما يأتي لا يذهب من الايمان بالكبائر ويترك الواجبات الظاهرة شيء منه
اذ لو ذهب منه شيء لم يبق منه شيء فيكون شيئاً واحداً يستوى فيه البر
والفاجر .

الايمن يزيد وينقص

ومذهب أهل الحق من السلف ومن وافقهم أن الايمان يتفاضل فيزيد
وينقص ولهذا قال ((تزديه)) أى الايمان المطلق عند الاثرية من السلف
((التقوى)) هى لغة الحاجز بين الشيثين والتاء فيه مبدلة من الواو لأن أصلها
من الوقاية ، واصطلاحاً التحرز بطاعة الله عن مخالفته وامتنال أمره واجتناب
نهيهِ وقوله تعالى (هو أهل التقوى) أى أهل ان يتقى عقابه ((وينقص))
الايمن ((ب)) ارتكاب ((الزلل)) وتعاطيه بفتح الزاى المشددة واللام من
زلت تزل زلا وزليلاً ومزلة بكسر الزاى وزلولاً وأزله غيره واستزله
والمزلة موضعه والاسم الزلة وهى الخطيئة والسقطه . والحاصل ان الايمان
عند السلف ومن وافقهم من أئمة أهل السنة والعرفان يزيد بالطاعة وينقص
بالعصيان . قال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه في كتابه الايمان
والاسلام : مذهب أهل السنة والحديث على ان الايمان يتفاضل وجمهورهم
يقولون يزيد وينقص ، ومنهم من يقول يزيد ولا يقول ينقص كما يروى
عن الامام مالك في احدى الروايتين ، ومنهم من يقول يتفاضل كالامام عبدالله
ابن المبارك . قال شيخ الاسلام وقد ثبت لفظ الزيادة والنقصان فيه عن
الصحابة ولم يعرف فيه مخالف منهم فروى الناس من وجوه كثيرة مشهورة
عن حماد بن سلمة عن أبى جعفر عن جده عمير بن حبيب الخطمى وهو
من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : الايمان يزيد وينقص
قيل له وما زيادته ونقصانه قال اذا ذكرنا الله ووحدناه وسبحناه فتلک زيادته
واذا غفلنا ونسيناها فذلك نقصانه . وروى اسماعيل بن عياش عن حريز بن
عثمان عن الحارث بن محمد عن أبى الدداء رضى الله عنه قال الايمان يزيد
وينقص . وقال الامام أحمد حدثنا يزيد حدثنا حريز بن عثمان قال سمعت
أشياخنا أو بعض أشياخنا ان أبا الدرداء قال ان من فقه العبد أن يتعاهد ايمانه
وما نقص منه ، ومن فقه العبد أن يعلم أيزداد ايمانه أم ينقص ، وان من
فقه الرجل ان يعلم نزعات الشيطان أنى يأتيه . وروى اسماعيل بن عياش

عن أبي هريرة رضى الله عنه انه قال : الايمان يزيد وينقص . وروى الامام أحمد عن أبي ذر رضى الله عنه قال كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول لأصحابه هلموا نزدد ايمانا - فيذكرون الله عز وجل . وقال أبو عبيد فى الغريب فى حديث على رضى الله عنه ان الايمان يبدو لمظة فى القلب كلما ازداد ايمانا ازدادت اللمظة . قال الاصمعى اللمظة مثل النكتة أو نحوها . وفى نهاية ابن الاثير فى حديث على الايمان يبدو فى القلوب لمظة - اللمظة بالضم مثل النكتة من البياض ومنه فرس ألمظ اذا كان بجحفلته بياض يسير . والجحفلة بتقديم الجيم على الحاء بمنزلة الشفة للخيل والبغال والحمير . وروى الامام أحمد عن عبد الله بن عكيم قال سمعت ابن مسعود رضى الله عنه يقول فى دعائه اللهم زدنا ايمانا وبقينا وفقها . وصح عن عمار بن ياسر رضى الله عنه انه قال ثلاث من كن فيه فقد استكمل الايمان انصاف من نفسه والانفلاق من الاقتار وبذل السلام للعالم . ذكره البخارى فى صحيحه . وقال جندب بن عبد الله وابن عمر وغيرهما تعلمنا الايمان ثم تعلمنا القرآن فازددنا ايمانا . وقال شيخ الاسلام : والآثار فى هذا كثيرة جدا رواها المصنفون فى هذا الباب لآثار الصحابة والتابعين فى كتب كثيرة .

والزيادة قد نطق بها القرآن فى عدة آيات كقوله (انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون) قال شيخ الاسلام : وهذا أمر يجده المؤمن اذا تليت عليه الآيات ازداد قلبه بفهم القرآن ومعرفة معانيه من علم الايمان مالم يكن حتى كأنه لم يسمع الآية الا حيثئذ ويحصل فى قلبه من الرغبة فى الخير والرهبة من الشر مالم يكن فيزداد علمه بالله ومحبة لطاعته وهذا زيادة الايمان وقال تعالى (الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل) فهذه الزيادة عند تخويفهم بالعدو لم تكن عند آية نزلت فازدادوا يقينا وتوكلا على الله وثباتا على الجهاد وتوحيدا بأن لا يخافوا المخلوق بل يخافون الله الخالق وحده وقال تعالى (واذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول ايكم زادته هذه ايمانا) وهذه الزيادة ليست مجرد التصديق بأن الله أنزلها بل زادتهم بحسب مقتضاها فان كانت أمرا بالجهاد

أو غيره ازدادوا رغبة فيه وان كانت نهيا عن شيء انتهوا عنه فكرهوه ولهذا قال (وهم يستبشرون) والاستبشار غير مجرد التصديق • وقال تعالى (وما جعلنا أصحاب النار الا ملائكة وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا ايمانا) الآية وهذه نزلت لما رجع النبي صلى الله عليه وسلم من الحديبية وأصحابه فجعل السكينة موجبة لزيادة الايمان ، والسكينة هي طمأنينة في القلب ، وقوله تعالى (يهد قلبه) هداة لقلبه لزيادة في ايمانه كما قال تعالى (والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم) وقال (انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى)

أوجه زيادة
الايمان أولها

قال شيخ الاسلام قدس الله روحه زيادة الايمان الذي أمر الله به والذي يكون من عبادة المؤمنين من وجوه (أحدها) الاجمال والتفصيل فيما أمروا به فانه وان وجب على جميع الخلق الايمان بالله ورسوله ووجب على كل أمة التزام ما يأمر به رسولهم مجملا فمعلوم أنه لا يجب في أول الامر ما وجب بعد نزول اقرآن كله ولا يجب على كل عبد من الايمان المفصل ما أخبر به الرسول ما يجب على من بلغه خبره فمن عرف القرآن والسنة ومعانيهما لزمه من الايمان المفصل بذلك ما لم يلزم غيره ، ولو آمن الرجل بالله وبالرسول باطنا وظاهرا تم مات قبل أن يعرف شرائع الدين مات مؤمنا بما وجب عليه من الايمان ، وليس ما وجب عليه ولا ما وقع منه مثل ايمان من عرف الشرائع فأمن بها وعمل بها بل ايمان هذا أكمل وجوبا ووقوعا فان ما وجب عليه من الايمان أكمل وما وقع منه أكمل وقوله تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم) أى فى التشريع بالامر والنهى لا أن كل واحد من الامة وجب عليه ما يجب على سائر الامة وانه فعل ذلك بل الناس متفاضلون فى الايمان أعظم تفاضل •

(الثانى)

الثانى

الاجمال والتفصيل فى ما وقع منهم فمن طلب علم التفصيل وعمل به فإيمانه أكمل ممن عرف ما يجب عليه والتزمه وأقر به ولم يعمل بذلك كله ، وهذا المقر المقصر فى العمل ان اعترف بذنبه وكان خائفا من عقوبة ربه على ترك العمل أكمل ايمانا ممن لم يطلب معرفة ما أمر به الرسول

ولا عمل بذلك ولا هو خائف ان يعاقب بل هو في غفلة عن تفصيل ما جاء به الرسول مع انه مقر بنبوته باطنا وظاهرا، فكل ما عمل القلب بما أخبر به الرسول فصدقه وما أمر به فالتزمه كان ذلك زيادة في ايمانه على من لم يحصل له ذلك وان كان معه اقرار عام والتزام ، وكذلك من عرف أسماء الله تعالى ومعانيها فأمن بها كان ايمانه أكمل ممن لم يعرف تلك الاسماء بل آمن بها ايمانا مجملا أو عرف بعضها ، وكلما ازداد الانسان معرفة بأسماء الله تعالى وصفاه وآياته كان ايمانه أكمل .

(الثالث)

الثالث

ان العلم والتصديق يكون بعضه أقوى من بعض وأثبت وأبعد عن الشك والريب وهذا أمر يشهده كل واحد من نفسه كما ان الحس الظاهر بالشيء الواحد مثل رؤية الناس الهلال وان اشتركوا فيها فبعضهم تكون رؤيته أتم من بعض ، وكذلك سماع الصوت وشم الرائحة الواحدة وذوق النوع الواحد من الطعام ، فكذلك معرفة القلب وتصديقه يتفاضل أعظم من ذلك من وجوه متعددة للمعاني التي يؤمن بها من معاني أسماء الله تعالى وكلامه يتفاضل الناس في معرفتها أعظم من تفاضلهم في معرفة غيرها .

(الرابع)

الرابع

ان التصديق المستلزم لعمل القلب أكمل من التصديق الذي لا يستلزم عمله فالعلم الذي يعمل به صاحبه أكمل من العلم الذي لا يعمل به ، واذا كان شخصان يعلمان أن الله حق والرسول حق والجنة حق والنار حق وهذا علمه أوجب له محبة الله وخشيته والرغبة في الجنة والهرب من النار ، والآخر علمه لم يوجب له ذلك ، فعلم الاول أكمل ، فان قوة المسبب تدل على قوة السبب وقد نشأت هذه الامور عن العلم فالعلم بالمحبوب يستلزم طلبه والعلم بالخوف يستلزم الهرب منه فاذا لم يحصل اللازم دل على ضعف الملزوم ، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم « ليس الخبير كالعائنة » فان موسى عليه السلام لما أخبره ربه أن قومه عبدوا العجل لم يلق الألواح فلما رأهم قد عبدوه ألقاها ، وليس ذلك لشك موسى في حبر

الله لكن المخبر وان جزم بصدق المخبر فقد لا يتصور المخبر به في نفسه كما يتصوره اذا عاينه بل قد يكون قلبه مشغولا عن تصور المخبر به وان كان مصدقا به ، ومعلوم انه عند المعاينة يحصل له من تصور المخبر (به) ما لم يكن عند الخبر فهذا التصديق أكمل من ذلك التصديق .

الخامس

(الخامس)

ان أعمال القلوب مثل محبة الله ورسوله وخشية الله تعالى ورجائه ونحو ذلك هي كلها من الايمان كما دل على ذلك الكتاب والسنة واتفاق السلف وهذه يتفاضل الناس فيها تفاضلا ظاهرا .

السادس

(السادس)

الأعمال الظاهرة مع الباطنة هي أيضا من الايمان والناس يتفاضلون فيها

السابع

(السابع)

ذكر الانسان بقلبه ما أمر به واستحضاره بحيث لا يكون غافلا عنه أكمل ممن صدق به وغفل عنه فان الغفلة تنقصه وكمال العلم والتصديق وانذكر والاستحضار يكمل العلم واليقين ولهذا قال عمير بن حبيب رضي الله عنه اذا ذكرنا الله وحمدناه وسبحناه فثلك زيادته واذا غفلنا ونسينا وضيعنا ثلك نقصانه .

الثامن

(الثامن)

قد يكون الانسان مكذبا ومنكرا لامور لا يعلم ان الرسول أخبر بها وأمر بها ولو علم ذلك لم يكذب ولم ينكر بل قلبه جازم بأنه لا يخبر الا بصدق ولا يأمر الا بحق ثم يسمع الآية والحديث أو يتدبر ذلك أو يفسر له معناه أو يظهر له ذلك بوجه من الوجوه فيصدق بما كان مكذبا به ويعرف ما كان منكرا له ، وهذا تصديق جديد وايمان جديد ازداد به ايمانه ولم يكن قبل ذلك كافرا بل جاهلا ، وهذا وان أشبه المجمل والمفصل لكن صاحب المجمل قد يكون قلبه سليما عن تكذيب وتصديق شيء من

التفاصيل وعن معرفة وانكار شيء من ذلك فيأتيه التفصيل بعد الاجمال على قلب ساذج ، وأما كثير من الناس بل من أهل العلم والعبادة فيقوم بقلوبهم من التفصيل أمور كثيرة تخالف ما جاء به الرسول وهم لا يعرفون انها تخالف فاذا عرفوا رجعوا ، وكل من ابتدع في الدين قولاً أخطأ فيه وهو مؤمن بالرسول أو عمل عملاً أخطأ فيه وهو مؤمن بالرسول لو (١) عرف ما قاله وآمن به لم يعدل عنه هو من هذا الباب ، وكل مبتدع قصده متابعة الرسول فهو من هذا الباب ، فمن علم ما جاء به الرسول وعمل به أكمل ممن أخطأ ذلك ، ومن علم الصواب بعد الخطأ وعمل به فهو أكمل ممن لم يكن كذلك .

تقرير ابن عبد البر

إذا علمت هذا فاعلم أن مذهب سلف الأمة وجل الائمة ان الايمان قول وعمل ونية يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ، قال الامام ابن عبد البر في التمهيد : أجمع أهل الفقه والحديث على أن الايمان قول وعمل ولا عمل الابنية ، قال والايمان عندهم يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية والطاعات كلها عندهم ايمان الا ما ذكر عن أبي حنيفة وأصحابه فانهم ذهبوا الى أن الطاعات لا تسمى ايمانا قالوا انما الايمان التصديق والاقرار ، ومنهم من زاد المعرفة - وذكر ما احتجوا به الى أن قال : وأما سائر الفقهاء من أهل الرأي والآثار بالحجاز واندلس واندلس ومصر منهم مالك بن أنس والليث ابن سعد وسفيان اشوري والاوزاعي والشافعي وأحمد بن حنبل واسحاق ابن راهويه وأبو عبيد القاسم بن سلام وداود بن علي والطبري ومن سلك سبيلهم قالوا الايمان قول وعمل ، قول باللسان وهو الاقرار واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح مع الاخلاص بالنية الصادقة ، وقالوا كل ما يطاع الله به من فريضة ونافلة فهو من الايمان ، قالوا والايمان يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي ، قال وأهل الذنوب عندهم مؤمنون غير مستكملوا الايمان من أجل ذنوبهم وانما صاروا ناقصي الايمان بارتكابهم الكبائر ألا ترى الى قوله صلى الله عليه وسلم « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن » الحديث يريد مستكمل الايمان ولم يرد به نفي جميع الايمان عن فاعل ذلك بدليل الاجماع على توريت الزاني والسارق وشارب الخمر اذا صلوا الى القبلة

واتحلوا دعوة المسلمين من قراباتهم المؤمنين الذين ليسوا بتلك الاحوال
ثم قال : وعلى ان الايمان يزيد وينقص يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية جماعة
أهل الآنار والفقهاء أهل القيا في الامصار وهذا مذهب الجماعة من أهل
الحديث والحمد لله •

ثم رد على المرجئة وعلى الخوارج والمعتزلة بالموارثة وبحديث عبادة بن
الصامت « من أصاب من ذلك شيئاً فموجب به في الدنيا فهو كفارة » وقال
الايمان مراتب بعضها فوق بعض فليس ناقص الايمان ككامله قال الله تعالى
(انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته
زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون) الى قوله (حقا) أى هم المؤمنون حقا ،
ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم في عدة أحاديث « أكمل المؤمنين
ايمانا » ومعلوم أن هذا لا يكون أكمل حتى يكون غيره أنقص وقوله « أوثق
عري الايمان الحب في الله » وقوله « لا ايمان لمن لا أمانة له » يدل على أن
بعض الايمان أوثق وأكمل من بعض ، وكذلك ذكر أبو عمر الطلمنكى
اجماع أهل السنة على أن الايمان قول وعمل ونية • قال الامام شيخ الاسلام
ابن تيمية قدس الله روحه لما صنف الفخر الرازى مناقب الامام الشافعى
رضى الله عنه ذكر قوله في الايمان انه قول باللسان وعقد بالجنان وعمل
بالاركان - كقول الصحابة والتابعين وقد ذكر الامام الشافعى أنه اجماع من
الصحابة والتابعين ومن لقيه ، استشكل الرازى قول الامام الشافعى جدا
لانه كان انعقد في نفسه شبهة أهل البدع في الايمان من الخوارج والمعتزلة
والجهمية والكرامية وسائر المرجئة وهو أن الشيء المركب اذا زال بعض
أجزائه لزم زواله كله لكن هو لم يذكر الا ظاهر شبهتهم • قال شيخ
الاسلام والجواب عما ذكره سهل فانه يسلم له ان الهيئة الاجتماعية لم تبق
مجتمعة كما كانت لكن لا يلزم من زوال بعضها زوال سائر الاجزاء -
يعنى كبدن الانسان اذا ذهب منه أصبع أو يد أو رجل ونحوه لم يخرج
عن كونه انسانا بالاتفاق وانما يقال له انسان ناقص • والشافعى مع الصحابة
والتابعين وسائر السلف يقولون ان الذنب يقدر في كمال الايمان ولهذا
نفى الشارع الايمان عن هؤلاء - يعنى عن الزانى والسارق وشارب الخمر

حل شبهة
المخالفين

ونحوهم فذلك المجموع الذى هو الايمان لم يبق مجموعا مع الذنوب لكن يقولون بقى بعضه اما أصله واما أكثره واما غير ذلك فيعود الكلام الى أنه يذهب بعضه ويبقى بعضه ، ولهذا كانت المرجئة تنفر من لفظ النقص أعظم من نفورها من لفظ الزيادة لانه اذا نقص لزم ذهابه كله عندهم ان كان متبعضا متعددا عند من يقول بذلك وهو الخوارج والمعتزلة ، وأما الجهمية فهو واحد عندهم لا يقبل التعدد فيثبتون واحدا لا حقيقة له كما قالوا مثل ذلك في وحدانية الرب عز وجل ووحدانية صفاته عند من أبتها منهم •

قال شيخ الاسلام روح الله روحه ومن العجب ان الاصل الذى أوقفهم في هذا اعتقادهم أنه لا يجتمع في الانسان بعض الايمان وبعض الكفر أو ما هو ايمان وما هو كفر واعتقدوا أن هذا متفق عليه بين المسلمين كما ذكر ذلك أبو الحسن الاشعري وغيره ولأجل اعتقادهم هذا الاجماع وقموا في ما هو مخالف للاجماع الحقيقى اجماع السلف الذى ذكره غير واحد من الائمة بل وصرح غير واحد بكفر من قال بقول جهم فى الايمان ، ولهذا نظائر متعددة يقول الانسان قولا مخالفا للنص والاجماع القديم حقيقة ويكون معتقدا انه متمسك بالنص والاجماع ، وهذا اذا كان مبلغ علمه واجتهاده فالله يشبهه على ما أطاع الله فيه من اجتهاده ويغفر له ما عجز عن معرفته من الصواب الباطن • (قال شيخ الاسلام) وقد قال لى بعضهم مرة : الايمان من حيث هو ايمان لا يقبل الزيادة والنقصان • فقلت له قولك من حيث هو كقولك من حيث هو انسان ومن حيث هو حيوان ومن حيث هو وجود فثبتت لهذه المسميات وجودا مطلقا مجردا عن جميع القيود والصفات وهذا لا حقيقة له في الخارج وانما هو شيء يقدره الانسان في ذهنه كما يقدر موجودا لا قديما ولا حادثا ولا قائما بنفسه ولا بغيره ، والماهيات من حيث هي هي شيء يقدر فى الازهان لا فى الاعيان ، وهكذا تقدير ايمان لا يتصف به مؤمن بل هو مجرد عن كل قيد بل ما تم ايمان في الخارج الامع المؤمنين كما ما تم انسانية في الخارج الا ما اتصف بها الانسان فكل انسان له انسانية تخصه وكل مؤمن له ايمان يخصه فانسانية زيد تشبه انسانية عمرو وليست هي هي والاشترك انما هو في أمر كلى مطلق يكون

في الذهن ولا وجود له في الخارج الا في ضمن أفراده فاذا قيل ايمان زيد مثل ايمان عمرو فايمان كل واحد يخصه معين وذلك الايمان يقبل الزيادة والنقصان ، ومن نفى التفاضل انما يتصور في نفسه ايمانا مطلقا كما يتصور انسانا مطلقا (ووجودا مطلقا - ١) عن جميع الصفات المعينة له ثم يظن ان هذا هو الايمان الموجود في الناس وذلك لا يقبل التفاضل بل لا يقبل في نفسه التعدد اذ هو تصور معين قائم في نفس متصوره ، ولهذا يظن كثير من هؤلاء ان الامور المشتركة في شيء واحد هي واحدة في الشخص والعين حتى انتهى الامر بطائفة من علمائهم علما وعبادة الى أن جعلوا الوجود كذلك فتصوروا ان الموجودات مشتركة في مسمى الوجود وتصوروا هذا في أنفسهم فظنوه في الخارج كما هو في أنفسهم ثم ظنوا انه الله تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا فجعلوا رب العالمين هو هذا الوجود الذي لا يوجد قط الا في نفس متصوره لا يكون في الخارج أبدا . وهكذا كثير من الفلاسفة تصوروا أعدادا مجردة وحقائق مجردة ويسمونها المثل الأفلاطونية ، وزمانا مجردا عن الحركة والمتحرك وبعدا مجردا عن الاجسام وصفتها ثم ظنوا وجود ذلك في الخارج ، وهؤلاء كلهم اشتبه عليهم ما في الاذهان بما في الالعيان وتولد من هذا بدع ومفاسد كثيرة والله المستعان .

وقال الحافظ ابن حجر في شرح البخارى : ذهب السلف الى أن الايمان يزيد وينقص وأنكر ذلك أكثر المتكلمين ، قال الامام النووي والظاهر المختار ان التصديق يزيد وينقص بكثرة النظر ووضوح الأدلة ولهذا كان ايمان الصديق أقوى من ايمان غيره بحيث لا تعتريه الشبهة . وقال ويؤيده ان كل واحد يعلم ان ما في قلبه يتفاضل حتى انه يكون في بعض الاحيان أعظم يقينا واخلاصا وتوكلا منه في بعضها وكذلك في التصديق والمعرفة بحسب ظهور البراهين وكثرتها . وما نقل عن السلف - يعني ان الايمان يزيد وينقص - صرح به عبد الرازق في مصنفه عن سفيان الثوري ومالك بن أنس والاوزاعي وابن جريج ومعمر وغيرهم وهؤلاء فقهاء الامصار في عصرهم ، وكذا نقله أبو القاسم اللالكائي في كتاب السنة عن

كلام النووي

الشافعي وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وأبي عبيد وغيرهم من الأئمة ، ويروى بسند صحيح عن البخاري قال لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء بالامصار فما رأيت أحدا منهم يختلف ان الايمان قول وعمل ويزيد وينقص . وأطنب ابن أبي حاتم واللالكائي في نقل ذلك بالاسانيد عن جمع كثير من الصحابة والتابعين وكل من يدور عليه الاجماع من الأئمة . وحكاه فضيل بن عياض ووكيع عن أهل السنة . وقال الحاكم في مناقب الامام الشافعي ثنا أبو العباس الاصم أنا الربيع قال سمعت الشافعي رضى الله عنه يقول الايمان قول وعمل ويزيد وينقص . وأخرجه أبو نعيم في ترجمة الشافعي من الحلية من وجه آخر عن الربيع ، وزاد : يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية وتلا (ويزداد الذين آمنوا ايمانا) الآية . انتهى . وقد روى الامام أحمد في المسند من حديث معاذ بن جبل رضى الله عنه مرفوعا « الايمان يزيد وينقص » وأخرجه الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي هريرة رضى الله عنه مرفوعا أيضا ، والآثار عن الصحابة والتابعين لهم باحسان وأئمة الدين من أهل السنة والجماعة المعتبرين وأئمة أهل الحديث وأعلام علماء الصوفية أكثر من أن تذكر بأن الايمان قول باللسان وعقد بالجان وعمل بالاركان يزيد بالطاعة ويضعف بالعصيان ، وقد ذكرنا من ذلك ما لعله يحصل به المقصود والله ولى الاحسان .

(تنبيهات)

(الاول) قال جمهور الاشاعرة والماتريدية : الايمان هو التصديق بالنبي صلى الله عليه وسلم وبكل ما علم مجيئه به من الدين بالضرورة أى الاذعان والقبول مع الرضا والتسليم وطمأنينة النفس لذلك تفصيلا فيما علم تفصيلا واجمالا فيما علم اجمالا ، قالوا ولا ينحط الايمان الاجمالى عن التفصيلى من حيث الخروج عن عهدة التكليف به وان كان التفصيلى أكمل من الاجمالى ، وهذا قاله بعض متأخري الاشاعرة والافق قد قال القاضى أبو بكر الباقلانى فى التمهيد : الايمان هو التصديق بالله وهو العلم ، والتصديق يوجد بالقلب ، قال فان قيل فما الدليل على ما قلتم ؟ قلنا اجماع أهل اللغة

تنبيهات
الاول قال
جمهور
الاشاعرة الخ

قأطبة على أن الايمان قبل نزول القرآن وبعثة النبي صلى الله عليه وسلم هو التصديق لا يعرفون فى اللغة ايمانا غير ذلك ، ويدل على ذلك قوله تعالى (وما أنت بمؤمن لنا) أى بمصدق لنا فوجب ان الايمان فى الشريعة هو الايمان فى اللغة لان الله ما غير اللسان ولا قلبه • وتقدم انه نوقش فيما قاله ، قال شيخ الاسلام ابن تيمية : وهذا حقيقة قول جهم فى مسألة الايمان وقد نصر أبو الحسن الأشعري هذا القول مع انه نصر المشهور عن السلف من انه يستثنى فى الايمان ، وكذلك مشى على هذا أكثر أصحابه ، وأما أبو العباس القلانسى وأبو على الثقفى وأبو عبد الله بن مجاهد شيخ القاضى أبى بكر الباقلانى صاحب أبى الحسن فانهم نصرُوا مذهب السلف • وقال عبد الله بن سعيد بن كلاب نفسه وهو متأخر فى زمن محنة الامام أحمد رضى الله عنه والحسين بن الفضل البجلي ونحوهما كانوا يقولون هو التصديق والقول جميعا موافقة لمن قاله من فقهاء الكوفيين كحماد بن أبى سليمان ومن أتبعه وقد أنكروا على ابن كلاب ومن وافقه علماء السنة وعلماء البدعة جميعا وبدعوه فكيف بمن قال بالتصديق بقلبه ولم يتكلم بلسانه فانه لا يعلق به شىء من أحكام الايمان لا فى الدنيا ولا فى الآخرة ولا يدخل فى خطاب الله لعباده بقوله (يا أيها الذين آمنوا) • والحاصل أن الايمان عند المرجئة التصديق والقول ، وعند الجهمية مجرد التصديق ، وعند الكرامية انه مجرد قول اللسان فقط ، وهم يقولون المنافق مؤمن وهو مخلد فى النار لأنه آمن ظاهرا لا باطنا وانما يدخل الجنة من آمن باطنا وظاهرا ، قالوا والدليل على شمول الايمان له انه يدخل فى الأحكام الدينوية المتعلقة باسم الايمان • وهذا القول وان كان من أقبح البدع وأفظعها ولم يسبقهم إليه أحد فقول الجهمية أبطل منه وأبعد من الاستدلال باللغة والقرآن والعقل • والكرامية توافق المرجئة والجهمية فى (أن) ايمان الناس كلهم سواء ولا يستثنون فى الايمان بل يقولون هو مؤمن حقا لمن أظهر الايمان واذا كان منافقا فهو مخلد فى النار عندهم فانه لا يدخل الجنة الا من آمن باطنا وظاهرا ، ومن حكى عنهم أنهم يقولون المنافق يدخل الجنة فقد كذب عليهم بل يقولون المنافق مؤمن لأن الايمان هو القول الظاهر عندهم كما يسميه

قول الكرامية

غيرهم مسلما اذ الاسلام هو الاستسلام الظاهر كما حكاه شيخ الاسلام ،
ثم قال ولا ريب ان قول الجهمية أفسد من قولهم من وجوه متعددة
شرعا ولغة وعقلا ، واذا قيل قول الكرامية قول خارج عن اجماع المسلمين
قيل له بل السلف كفروا من يقول بقول جهم في الايمان ، وقد احتج
الناس على فساد قول الكرامية بحجج صحيحة والحجج من جنسها على
فساد قول الجهمية أكثر ففي القرآن والسنة من نفى الايمان عن لم يأت
بالعمل مواضع كثيرة كما فيهما من نفى الايمان عن المنافقين . وأما الايمان
بقوله مع المعادة المخالفة الظاهرة فهذا لم يسم قط مؤمنا ، وعند الجهمية اذا
كان العلم في قلبه فهو مؤمن كامل الايمان ايمانه كايمن الصديقين ولا
يتصور عندهم أن ينتفى عنه الايمان الا اذا زال ذلك العلم من قلبه ، وأما
المرجئة المتكلمون منهم والفقهاء يقولون ان الاعمال قد تسمى ايمانا
مجالا لان العمل نمرة الايمان ومقتضاه ولانها دليل عليه ، ويقولون قوله
صلى الله عليه وسلم « الايمان بضع وستون أو بضع وسبعون شعبة أفضلها
قول لا اله الا الله وأدناها امانة الاذى عن الطريق » مجاز ، قال شيخ
الاسلام ابن تيمية في كتابه (الايمان والاسلام) : المرجئة ثلاثة أصناف
الذين يقولون الايمان مجرد ما في القلب ، ثم من هؤلاء من يدخل فيه
أعمال القلوب وهم أكثر فرق المرجئة كما ذكر أبو الحسن الأشعري
أقوالهم في كتابه وذكر فرقا كثيرة يطول ذكرهم لكن ذكرنا جمل أقوالهم ،
ومنهم من لا يدخلها كالجهنم بن صفوان ومن أتبعه كالصنابحي (؟) وهذا
الذي نصره هو وأكثر أصحابه (الثاني) من يقول هو مجرد قول اللسان
وهذا لا يعرف لأحد قبل الكرامية (الثالث) تصديق القلب وقول اللسان
وهذا هو المشهور عن أهل الفقه والعبادة منهم ، قال شيخ الاسلام : وهؤلاء
غلطوا من وجوه (أحدها) ظنهم أن الايمان الذي فرضه الله على العباد
متماثل في حق العباد وان ماوجب على شخص يجب مثله على كل شخص ،
وليس الأمر كذلك بل ذلك يتفاوت ويتفاضل أشد تفاوت وتفاضل كما
نبهنا على ذلك فيما مر فالايمن الواجب متنوع ليس شيئا واحدا في حق
جميع الناس (الثاني) من غلط المرجئة ظنهم أن ما في القلب من الايمان

قول الجهمية

اصناف
المرجئة

بيان خطأ
المخالفين

ليس الا التصديق فقط دون أعمال القلوب كما تقدم عن جهمية المرجئة (الثالث) ظنهم ان الايمان الذى فى القلب يكون تاما بدون شىء من الاعمال ولهذا يجعلون الاعمال ثمرة الايمان ومقتضاه بمنزلة السبب مع المسبب ولا يجعلونها لازمة له ، والتحقيق ان الايمان التام يستلزم العمل الظاهر بحسبه لا محالة ، ويمتنع ان يقوم بالقلب ايمان تام بدون عمل ظاهر ، قال شيخ الاسلام ابن تيمية : ولهذا صاروا يقدرّون مسائل يمتنع وقوعها لعدم تحقق الارتباط الذى بين البدن والقلب مثل قولهم رجل فى قلبه من الايمان مثل ما فى قلب أبى بكر وعمر رضى الله عنهما وهو لا يسجد لله سجدة ولا يصوم رمضان ويبنى بأمه وأخته ويشرب الخمر نهار رمضان ، يقولون هذا مؤمن تام الايمان فيبقى سائر المؤمنين ينكرون ذلك غاية الانكار ، قال سيدنا الامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه ثنا خلف بن حيان ثنا معقل بن عبيد الله العيسى قال قدم سالم الافطس بالارجاء فنفر منه أصحابنا نفورا شديدا منهم ميمون بن مهران وعبدالكريم ابن مالك فانه عاهد الله أن لا يأويه وایاه سقّف بيت الا المسجد ، قال معقل فحججت فدخلت على عطاء بن أبى رباح فى نفر من أصحابى وهو يقرأ (حتى اذا استیأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا) قلت ان لنا حاجة فاخل لنا ففعل فأخبره بالارجاء وان ناسا أتوا به وان الصلاة والزكاة ليستا من الدين ، فقال أو ليس الله تعالى يقول (وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين خفاء وقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة) فالصلاة والزكاة من الدين ، وذكر من أقوالهم وزعموا أنهم انتحلوك ؟ فقبراً منهم ، وكذلك نافع تبرأ منهم ، وكذلك الزهرى فقال : سبحان الله قد أخذ الناس فى هذه الخصومات قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن » والجميع تبرءوا منهم وقالوا ليس ايمان من أطاع الله كايمن من عصاه . قال شيخ الاسلام المرجئة كلهم يقولون الصلاة والزكاة ليستا من الايمان واما من الدين فحكى عن بعضهم انه يقول ليستا من الدين ولا نفرق بين الايمان والدين ، قال شيخ الاسلام هذا المعروف من أقوالهم ولم أر فى كتاب أحد منهم انه قال

ان الاعمال ليست من الدين بل يقولون ليست من الايمان وكذلك حكى أبو عبيد عن ناظره منهم فان أبا عبيد وغيره يحتجون بأن الاعمال من الدين فذكر قوله تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم) انها نزلت في حجة الوداع قال أبو عبيد فأخبر تعالى انه أكمل الدين في آخر الاسلام في حجة النبي صلى الله عليه وسلم ، قال وزعم هؤلاء انه كان كاملا قبل ذلك بعشرين سنة من أول ما أنزل عليه الوحي بمكة حين دعا الناس الى الاقرار . قال حتى لقد اضطر بعضهم حين أدخلت عليه الحججة الى أن قال ان الايمان ليس بجميع الدين ولكن الدين ثلاثة أجزاء فالإيمان جزء والفرائض جزء والنوافل جزء . قال شيخ الاسلام قدس الله روحه : هذا الذى قاله هو مذهب القوم . قال أبو عبيد وهذا غير ما نطق به الكتاب ألا تسمع الى قوله تعالى (ان الدين عند الله الاسلام - ومن يتبع غير الاسلام دينا فلن يقبل منه - ورضيت لكم الاسلام دينا) فأخبر أن الاسلام هو الدين برمته وهؤلاء يزعمون انه ثلث الدين . وسيأتى تحرير ذلك ان شاء الله تعالى .

ولما كان الامام أحمد وكذا أبو ثور وغيرهما من الائمة قد عرفوا قول المرجئة وهو أن الايمان لا يذهب بعضه ويبقى بعضه فلا يكون ذا عدد اثنين أو ثلاثة فانه اذا كان له عدد أمكن ذهاب بعضه وبقاء بعضه بل لا يكون الا شيئا واحدا قال لهم الامام أحمد من زعم أن الايمان الاقرار فما يقول في المعرفة ؟ هل يحتاج الى المعرفة مع الاقرار ؟ وهل يحتاج أن يكون مصدقا بما عرف ؟ فان زعم انه يحتاج الى المعرفة مع الاقرار فقد زعم انه من شيئين ، وان زعم انه يحتاج أن يكون مقرا ومصدقا بما عرف فهو من ثلاثة أشياء ، وان جحد وقال لا يحتاج الى المعرفة والتصديق فقد قال قولاً عظيماً . قال ولا أحسب أحدا يدفع المعرفة والتصديق وكذلك العمل مع هذه الاشياء . انتهى . قال شيخ الاسلام قالت الجهمية الايمان شيء واحد في القلب ، وقالت الكرامية هو شيء واحد على اللسان ، كل ذلك فرارا من تبعض الايمان وتعدد فاحتج أبو ثور عليهم بما اجتمع عليه فقهاء المرجئة من أنه تصديق وعمل ، ولم يكن بلغه قول

ارجاء بعض
الفقهاء

متكلميهم وجهميتهم أو لم يعد خلافهم خلافاً ، ولهذا دخل في أرجاء
الفقهاء جماعة هم عند الأئمة أهل علم ودين ولم يكفر أحد من السلف
أحداً من مرجئة الفقهاء بل جعلوا هذا من بدع الأقوال والأفعال لا من
بدع العقائد فإن كثيراً من النزاع فيها لفظي ، نعم اللفظ المطابق للكتاب
والسنة هو الصواب فليس لأحد أن يقول بخلافه ولا سيما وقد صار ذلك
ذريعة إلى بدع أهل الكلام من أهل الأرجاء وغيرهم إلى ظهور الفسوق
فصار ذلك الخطأ اليسير في اللفظ سبباً لخطأ عظيم في العقائد والأعمال
فهذا أعظم أقوال في ذم الأرجاء حتى قال إبراهيم النخعي لفتنتهم يعني
المرجئة أخوف على هذه الأمة من فتنة الأزارقة . يعني الخوارج . وقال
أزهري : ما ابتدع في الإسلام بدعة أضر على أهله من الأرجاء . وقال
الأوزاعي كان يحيى بن أبي كثير وقتادة يقولان : ليس شيء من الأهواء
أخوف عندهم على الأمة من الأرجاء . وقال شريك القاضي المرجئة أخبت
قوم ، حسبك بالرافضة خبيثاً ، ولكن المرجئة يكذبون على الله . وقال
سفيان الثوري تركت المرجئة الإسلام أرق من ثوب سابري . وقال
وكيع المرجئة الذين يقولون الأقرار يجزى عن العمل ومن قال هذا
فقد هلك ومن قال النية تجزى عن العمل فهو كافر وهو قول جهم . وكذا
قال الإمام أحمد رضي الله عنه انه كافر . وقال قتادة انما حدث الأرجاء
بعد فرقة ابن الأشعث . وقال أيوب السخيتاني : أول من تكلم في الأرجاء
رجل من أهل المدينة من بنى هاشم يقال له الحسن . وقال زاذان مر بنا
الحسن بن محمد (١) فقلنا ما هذا الكتاب الذي وضعت ؟ وكان هو الذي
أخرج كتاب المرجئة فقال لي يا أبا عمر لو ددت اني كنت مت قبل أن أخرج
هذا الكتاب أو أضع هذا الكتاب . فان الخطأ في اسم الايمان ليس كالخطأ
في اسم محدث ولا كالخطأ في غيره من الاسماء اذ كانت أحكام الدنيا
والآخرة متعلقة باسم الايمان والاسلام والكفر والنفاق . وحاصل قول
غلاة المرجئة انه كما لا ينفع مع الكفر طاعة لا يضر مع الايمان معصية .

انكار السلف
قول المرجئة

قول غلاة
المرجئة

(١) يعني الحسن بن محمد بن علي بن أبي طالب وراجع ترجمته في
تهذيب التهذيب .

وهذا شر قول قيل في الاسلام والله تعالى الموفق .

وحاصل ذلك قوله ان للناس في الايمان أقوالا خمسة منها ثلاثة بسيطة واثان مركب فاما البسيطة فالتصديق وحده أو القول وحده أو العمل وحده ، الاول مذهب جهم ومن وافقه من الاشاعرة وغيرهم ، والثاني قول الكرامية والثالث عزاه الكرمانى في شرح البخارى للمعتزلة ولعله لبعضهم . وأما المركب فقسمان ثنائى وهو قول الحنفية ومن وافقهم فانهم قالوا انه مركب من التصديق والقول ، وثلاثى التصديق بالجنان والاقرار باللسان والعمل بالاركان وهذا مذهب سلف الامة .

الاقوال في
الايمان خمسة

(التنبيه الثانى)

الكلام على الايمان والاسلام هل هما شىء واحد أو شيان ؟
قد ثبت فى القرآن اسلام بلا ايمان فى قوله تعالى (قالت الاعراب آما قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان فى قلوبكم) وثبت فى الصحيحين من حديث سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال أعطى النبى صلى الله عليه وسلم رهطاً وفى رواية قسم قسماً - وترك فيهم من لم يعطه وهو أعجبهم الى فقلت يا رسول الله مالك عن فلان فوالله انى لأراه مؤمناً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أو مسلماً » أقولها ثلاثاً ويردها علي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثاً ثم قال انى لأعطي الرجل وغيره أحب الي منه مخافة ان يكبه الله فى النار . فهذا الاسلام الذى نفى الله عن أهله دخول الايمان فى قلوبهم هل هو اسلام يثابون عليه أم من جنس اسلام المنافقين ؟ فيه قولان مشهوران للسلف والخلف (أحدهما) انه اسلام يثابون عليه ويخرجهم من الكفر والنفاق ، وهذا يروى عن الحسن البصرى وابن سيرين وابراهيم النخعى وأبى جعفر الباقر وهو قول حماد بن زيد والامام احمد بن حنبل وسهل بن عبد الله التستري وأبى طالب المكى وكثير من أهل الحديث والسنن والحقائق (الثانى) ان هذا الاسلام هو الاستسلام خوف السبى والقتل مثل اسلام المنافقين ، قالوا وهؤلاء كفار فان الايمان لم يدخل فى قلوبهم ومن لم يدخل الايمان

التنبيه الثانى
الايمان
والاسلام شىء
ام شيان

البحث فى حال
الاعراب الذين
قالوا آما

في قلبه فهو كافر ، وهذا اختيار الامام البخارى ومحمد بن نصر المروزي . قال شيخ الاسلام والسلف مخلصون في ذلك ، وحقيقة الامر أن من لم يكن من المؤمنين يقال فيه انه مسلم ومعه ايمان يمنعه من الخلود في النار، وهذا متفق عليه بين أهل السنة لكن هل يطلق عليه اسم الايمان ؟ هذا هو الذى تنازعوا فيه فقيل يقال انه مسلم ولا يقال مؤمن ، وقيل بل يقال مؤمن . قال والتحقيق انه يقال مؤمن ناقص الايمان مؤمن بايمانه فاسق بكبيرته فلا يعطى الاسم المطلق ولا يسلب مطلق الاسم . قال وعلى هذا فالخطاب بالايمان يدخل فيه ثلاث طوائف ، المؤمن حقا ، والمنافق في أحكامه الظاهرة وان كان المنافق في الآخرة في الدرك الاسفل من النار وهو في الباطن ينفى عنه الاسلام والايمان وفي الظاهر يشبان له ظاهرا . ويدخل فيه الذين أسلموا ولم تدخل حقيقة الايمان في قلوبهم لكن معهم جزء منه واسلام يثابون عليه ثم قد يكونون مفرطين فيما فرض عليهم وليس معهم من الكبائر ما يعاقبون (عليه كاهل الكبائر لكن يعاقبون - ١) على ترك المفروضات وهؤلاء كالأعراب المذكورين في الآية وغيرهم فانهم قالوا آمنة من غير قيام منهم بما أمروا به باطنا وظاهرا فلا دخلت حقيقة الايمان الى قلوبهم ولا جاهدوا وقد كان دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم الى الجهاد وقد يكونون من أهل الكبائر وهؤلاء لا يخرجون من الاسلام بل هم مسلمون ولكن بين السلف فيهم نزاع لفظي هل يقال انهم مؤمنون ؟ قال الشاننجي سألت الامام أحمد عن الايمان والاسلام فقال : الايمان قول وعمل والاسلام اقرار . وبه قال أبو خيثمة . وقال ابن أبي شيبة لا يكون اسلام الا بايمان ولا ايمان الا باسلام . قال شيخ الاسلام قدس الله روحه : الامام أحمد رضى الله عنه لم يرد عنه قط انه سلب من يقال انه مسلم - يعنى من زنى وسرق وشرب الخمر ونحوهم - جميع الايمان فلم يبق معه شيء كما تقوله الخوارج والمعتزلة فان الامام أحمد قد صرح في غير موضع بأن أهل الكبائر معهم ايمان يخرجون به من النار واحتج بقول النبي صلى الله عليه وسلم « أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من ايمان » وليس هذا -

يعنى سلبهم اسم الايمان جميعه - قوله ولا قول أحد من أئمة السنه بل كلهم متفقون على أن الفساق الذين ليسوا منافقين معهم شيء من الايمان يخرجون به من النار هو الفارق بينهم وبين الكفار المنافقين ، لكن اذا كان معه بعض الايمان لم يلزم أن يدخل في الاسلام (١) المطلق المدوح وصاحب الشرع قد نفى الاسم عن هؤلاء فقال « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن » والمعتزلة ينفون عنه اسم الايمان والاسلام بالكلية ويقولون يخلد في النار لا يخرج منها لا بشفاعه ولا غيرها ، وهذا هو الذى أنكر عليهم وكل أهل السنه متفقة انه قد سلب كمال الايمان الواجب فزال بعض ايمانه الواجب ، وانما ينازع في ذلك من يقول الايمان لا يتبعض كالجهمية والمرجئة فيقولون عن مثل هذا انه كامل الايمان لكنه من أهل الوعيد . قال شيخ الاسلام وحقيقة الفرق بين الاسلام والايمان والدين ان الاسلام دين والدين مصدر دان يدين دنبا اذا خضع وذل ودين الاسلام الذى ارتضاه الله وبعث به رسوله هو الاستسلام لله وحده ، فأصله في القلب وهو الخضوع لله وحده بعبادته وحده دون ما سواه فمن عبده وعبد معه الها آخر لم يكن مسلما ، ومن لم يعبده بل استكبر عن عبادته لم يكن مسلما ، والاسلام هو الاستسلام لله وهو الخضوع له والعبودية له . هكذا قال رحمه الله وعزاه لاهل اللغة ، فالاسلام في الاصل من باب العمل عمل القلب والجوارح ، وأما الايمان فأصله تصديق واقرار ومعرفة فهو من باب قول القلب المتضمن عمل القلب والاصل فيه التصديق والعمل تابع له فلهذا فسر النبي صلى الله عليه وسلم الايمان بايمان مخصوص وهو الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله ، وفسر الاسلام باسلام مخصوص وهو المباني الخمس ، وهكذا فى سائر كلامه صلى الله عليه وسلم . قال شيخ الاسلام قدس الله روحه : ومما يسئل عنه انه اذا كان مما أوجه الله من الاعمال الظاهرة أكثر من هذه الخمس فلماذا قال الاسلام هذه الخمس ؟ وقد أجاب بعض الناس بأن هذه أظهر شرائع الاسلام وأعظمها وبقيامه بها يتم استسلامه وتركه لها يشعر بانحلال قيد انقياده ، قال والتحقيق أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر الدين الذى هو استسلام

الفرق بين
الاسلام
والايمان
والدين

سر حصر بناء
الاسلام على
الخمس

العبد لربه مطلقا الذي يجب لله عبادة محضة على الاعيان فيجب على كل من كان قادرا عليه ليعبد الله بها مخلصا له الدين ، وهذه هي الخمس وما سوى ذلك فانما يجب بأسباب المصالح فلا يعم وجوبها جميع الناس بل اما ان تكون فرضا على الكفاية كالجهاد والامر بالمعروف وانهى عن المنكر وما يتبع ذلك من امارة وحكم وفتيا واقراء وتحديث وغير ذلك ، وأما أن تجب بسبب حق للآدميين يختص به من وجب له وعليه وقد يسقط باسقاطه ، وكذلك ما يجب من صلة الارحام وحقوق الزوجية والاولاد والجيران واشركاء والفقراء ، وكذا قضاء الديون ورد القسوب والعواري والودائع والانصاف من المظالم من الدماء والاموال والاعراض انما هي حقوق الآدميين واذا أبرؤا منها سقطت وتجب على شخص دون شخص في حال دون حال لم تجب عبادة محضة لله تعالى على كل عبد قادر ، ولهذا يشترك في أكثرها المسلمون واليهود والنصارى بخلاف الخمسة ، والزكاة وان كانت حقا ماليا فهي واجبة لله والاصناف الثمانية مصارفها ولهذا وجب فيها النية ولم يجز أن يفعلها الغير عنه بلا اذنه ولم تطلب من الكفار ، وحقوق العباد لا يشترط لها نية ولو أداها عنه غيره ولو بغير اذنه برئت ذمته ويطلب بها انكفار . وفي كتاب الايمان والاسلام للإمام شيخ الاسلام ابن تيمية قال ابو طالب المكي : مثل الاسلام من الايمان كمثل الشهادتين احدهما من الاخرى في المعنى والحكم فشهادة الرسول غير شهادة الوحداية فهما شيان في الاعيان واحدهما مرتبطة بالآخرى في المعنى والحكم كشيء واحد ، كذلك الايمان والاسلام أحدهما مرتبط بالآخر فهما كشيء واحد لا ايمان لمن لا اسلام له ولا اسلام لمن لا ايمان له اذ لا يخلو المسلم من ايمان به يصحح اسلامه ولا يخلو المؤمن من اسلام به يحقق ايمانه . ثم قال وقد أجمع أهل القبلة على أن كل مؤمن مسلم وكل مسلم مؤمن بالله وكتبه . وقال الحافظ ابن رجب اذا أفرد كل من الاسلام والايمان بالذكر فلا فرق بينهما حيثذ وان قرن بين الاسمين كان بينهما فرق ، والتحقيق في الفرق بينهما أن الايمان هو تصديق القلب واقراءه ومعرفته والاسلام هو الاستسلام لله والخضوع والانقياد له وذلك يكون بالعمل وهو الدين كما سمي الله تعالى في كتابه الاسلام دينا وفي

حديث جبريل سمي النبي صلى الله عليه وسلم الايمان والاسلام والاحسان ديننا فالايمان والاسلام كاسم الفقير والمسكين اذا اجتمعا افترقا واذا افترقا اجتمعا فاذا افرد أحدهما دخل فيه الآخر واذا قرن بينهما احتاج كل واحد منهما الى تعريف يخصه فاذا قرن بين الايمان والاسلام فالمراد بالايمان جنس تصديق القلب والاسلام جنس العمل •

واعلم ان مسائل الاسلام والايمان والكفر والنفاق مسائل عظيمة جدا فان الله تعالى علق بهذه الاسماء السعادة والشقاوة واستحقاق الجنة والنار ، والاختلاف في مسمياتها أول اختلاف وقع في هذه الامة وهو خلاف الخوارج للمصحابة حيث أخرجوا عصاة الموحدين من الاسلام بالكليّة وأدخلوهم في دائرة الكفر وعاملوهم معاملة الكفار واستحلوا بذلك دماء المسلمين وأموالهم ، ثم حدث بعدهم خلاف المعتزلة وقولهم بالمنزلة بين المنزلتين ، ثم حدث خلاف المرجئة وقولهم ان الفاسق مؤمن كامل الايمان ، وقد أكثر الائمة من التصنيف في هذا الباب ، وحاصل ذلك ان الدين وأهله كما أخبر خاتم النبيين وامام المرسلين ثلاث طبقات أولها الاسلام وأوسطها الايمان وأعلها الاحسان فمن وصل الى العليا فقد وصل الى التي نلها فالمحسن مؤمن والمؤمن مسلم وأما المسلم فلا يجب أن يكون مؤمنا وهكذا جاء القرآن فجعل الامة على هذه الاصناف الثلاثة قال الله تعالى (ثم أوردنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير) فالمسلم الذي لم يقم بواجب الايمان هو الظالم لنفسه والمقتصد الذي أدى الواجب وترك المحرم هو المؤمن المطلق والسابق بالخيرات هو المحسن الذي عبد الله كأنه يراه ، وقد ذكر الله تقسيم الناس في المعاد الى هذه الثلاثة في سورة الواقعة والمطففين(١) وبالله التوفيق •

(الثالث)

هل قبول الايمان للزيادة والنقص مختص بقول السلف ومن تبعهم من أن الايمان تدخل فيه الاعمال وذبح اليه جماعة من محققي الاشاعرة كالقلاسي وغيره وهو مذهب الفقهاء والمحدثين ونقل الشافعي على ذلك

الثالث
التصديق
يحتمل الزيادة
والنقص

الاجماع وقال البخارى لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء بالامصار فما رأيت أحدا منهم يختلف في ان الايمان قول وعمل ويزيد وينقص كما تقدم وقد قدمنا من الاحتجاج لذلك من العقل والنقل ما لعله يشفى ويكفى لمن لم تتحكم به علة التقييد ونزع من عنقه ربة التقليد اذ لو لم تتفاوت حقيقة الايمان وتتفاضل لكان ايمان آحاد الامة المنهمكين في الفسوق والمعاصي مساويا لايمان الانبياء والصديقين والملائكة المقربين وتصور هذا المذهب ولو ازمه يغنى عن اقامة البرهان على رده مع ما في الآيات الصريحة والأحاديث الصحيحة من التفاضل والتفاوت فدع عنك هذا التماضى والتهافت - أو يعم القول بأن الايمان التصديق أيضا؟ الحق كما قاله الامام النووى وجماعة محققون من علماء الكلام ان الزيادة والنقصان تدخل الايمان ولو قلنا انه التصديق والاذعان لان التصديق القلبي يزيد وينقص أيضا بكثرة النظر ووضوح الادلة وعدم ذلك كما تقدم في كلام شيخ الاسلام وما اعترض عليه به من أنه متى قبل ذلك كان شكاً فمدفوع بأن مراتب اليقين متفاوتة الى علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين مع انها لا شك معها ، وفي القرآن العظيم ما حكى عن ابراهيم خليله بقوله (ولكن ليطمئن قلبى) وتقدمت قصة موسى لما رأى قومه عاكفين على عبادة العجل مع ما كان أخبر الله تعالى بذلك أولا ، وقال الامام أبو حنيفة وأصحابه ومن تبعهم من المتكلمين الايمان لا يزيد ولا ينقص محتجين بأنه اسم التصديق البالغ بحد الجزم والاذعان ، والمعلوم من النقل والعقل خلافه وبالله التوفيق .

((ونحن فى ايماننا نستثنى من غير شك فاستمع واستبن))

((ونحن)) معشر الاثرية ومن وافقنا من الاشعرية وغيرهم ((فى ايماننا)) الذى تقدم تعريفه ((نستثنى)) فيقول أحدنا أنا مؤمن ان شاء الله ((من غير شك)) منا فى ذلك والشك التردد بين طرفين لا مزية لأحدهما على الآخر والمراد هنا ما يعم الظن وكل ما ليس بجزم موافقة للسلف الصالح فى ذلك ((فاستمع)) أى اطلب سماع ذلك واستقباله ((واستبن)) أى اطلب بيانه واطهاره بأدلة الثقلية والعقلية تظهر لك فيه

قولنا
مؤمن ان شاء
الله

الحقيقة ، واعلم ان الناس في ذلك على ثلاثة أقوال منهم من يوجبـه
ومنهم من يحرمه ومنهم من يجوز الامرين باعتبارين وهذا الاخير أصح
الاقوال ، فالذين يحرمونه هم المرجئة والجهمية ومن وافقهم ممن يجعل
الايمان شيئاً واحداً يعلمه الانسان من نفسه كالتصديق بالرب ونحو ذلك
مما في قلبه فيقول أحدهم أنا أعلم انى مؤمن كما أعلم انى تكلمت
بالشهادتين وكما أعلم انى قرأت الفاتحة وكما أعلم انى أحب رسول الله
صلى الله عليه وسلم وانى أبغض اليهود والنصارى فقولى أنا مؤمن كقولى
أنا مسلم ونحو ذلك من الامور الحاضرة التى أنا أعلمها وأقطع بها
وكما انه لا يجوز أن يقال أنا قرأت الفاتحة ان شاء الله كذلك لا يقول
أنا مؤمن ان شاء الله لكن اذا كان يشك في ذلك فيقول فعلته ان شاء الله ،
قالوا فمن استثنى في ايمانه فهو شاك فيه وسموهم الشاكة . والذين أوجبوا
الاستثناء لهم مأخذان أحدهما ان الايمان هو ما مات عليه الانسان والانسان
انما يكون عند الله مؤمناً وكافراً باعتبار الموافاة وما سبق في علم الله انه
يكون عليه وما قبل ذلك لا عبرة به ، قالوا والايمان الذى يتعقبه الكفر
يموت صاحبه كافراً ليس بايمان كالصلاة التى يفسدها صاحبها قبل
الكمال وكالصيام الذى يفطر صاحبه قبل الغروب فصاحب هذا هو عند
الله كافر بعلمه بما يموت عليه ، وكذلك قالوا في الكفر ، وهذا المأخذ
لكثير من المتأخرين من الكلابية وغيرهم ممن يريد أن ينصر أهل الحديث
فى قولهم أنا مؤمن ان شاء الله ويريد مع ذلك أن يجعل الايمان لا يتفاضل
والانسان لا يشك في الموجود منه وانما يشك في المستقبل ، وبهذا قال
كثير من المتكلمين ومن أتباع المذاهب من الحنابلة والشافعية والمالكية
وغيرهم قالوا يجب في ازله من كان كافراً اذا علم انه يموت مؤمناً
ما زالوا مجبوين لله وان كانوا قد عبدوا الاصنام مدة من الدهر ،
وابليس ما زال يبغضه وان كان لم يكفر بعد ، يعنى ما زال الله يريد أن
يثيب هؤلاء بعد ايمانهم ويعاقب ابليس بعد كفره ، وهذا معنى صحيح
فان الله يريد أن يخلق كل ما علم ان سيخلقه ، وعند هؤلاء لا يرضى
عن أحد بعد أن كان ساخطاً عليه فمن علم انه يموت كافراً لم يزل مريداً

لعقوبته والايمان الذى كان معه باطل لا فائدة فيه بل وجوده كعدمه ، واذا علم أنه يموت مؤمنا مسلما لم يزل مريدا لانابته ، والكفر الذى فعله وجوده كعدمه فلم يكن هذا كافرا عندهم أصلا . فهؤلاء يستنون فى الايمان بناء على المأخذ وكذلك بعض محققهم يستنون فى الكفر مثل أبى منصور الماتريدي كما نقله عنه شيخ الاسلام ، نعم جماهير الائمة لا يستثنى فى الكفر والاستثناء فيه بدعة لم يعرف عن أحد من السلف ولكن هؤلاء لازم لهم ، والذين فرقوا من هؤلاء قالوا نستثنى فى الايمان رغبة الى الله فى أن يثبتنا عليه الى الموت والكفر لا يرغب فيه أحد ، قال شيخ الاسلام وعند هؤلاء لا يعلم أحد أحد مؤمنا الا اذا علم أنه يموت عليه ، وهذا القول قاله كثير من أهل الكلام ووافقهم على ذلك كثير من أتباع الائمة . قال لكن ليس هذا قول أحد من السلف لا الائمة الاربعة ولا غيرهم ولا كان احد من السلف الذين يستنون فى الايمان يعللون بهذا لا الامام أحمد ولا من كان قبله ، قال ومأخذ هذا القول طرد طائفة ممن كانوا فى الاصل يستنون فى الايمان اتباعا للسلف وكانوا قد أخذوا الاستثناء عن السلف وكان أهل اشام شديدين على المرجئة وكان محمد بن يوسف الفريابى صاحب الثورى مرابطا بعسقلان لما كانت عامرة وكانت من خيار ثغور المسلمين وكانوا يستنون اتباعا للسلف واستنوا أيضا فى الاعمال الصالحة كقول الرجل صليت ان شاء الله ونحو ذلك يعنى القبول لما فى ذلك من الآثار عن السلف ، ثم صار كثير من هؤلاء يستنون فى كل شىء فيقول : هذا ثوبى ان شاء الله ، وهذا جبل ان شاء الله فاذا قيل لأحدهم هذا لا شك فيه ، قال نعم لا شك فيه لكن اذا شاء الله أن يغيره غيره فيريدون بقولهم ان شاء الله جواز تغييره فى المستقبل وان كان فى الحال لا شك فيه كأن الحقيقة عندهم التى لا يستثنى فيها ما لم (؟) تتبدل كما يقوله أولئك فى الايمان أن الايمان ما علم الله أنه لا يتبدل حتى يموت صاحبه عليه ، قال وهذا القول قاله قوم من أهل العلم والدين باجتهاد ونظر ، وهؤلاء للذين يستنون فى كل شىء تلقوا ذلك عن بعض أتباع شيخهم وشيخهم الذى ينتسبون اليه يقال له أبو عمرو

عثمان بن مرزوق لم يكن ممن يرى هذا الاستثناء بل كان في الاستثناء على طريقة من قبله ولكن أحدث ذلك بعض أصحابه وكان شيخهم منتسبا الى الامام أحمد رضى الله عنه وهو من أتباع عبد الوهاب ابن الشيخ أبي الفرج المقدسى وأبو الفرج من تلامذة القاضى أبى يعلى .

(قلت) وهو الذى نشر مذهب أحمد في نواحي جبل نابلس وهو الامام أبو الفرج الشيرازى قدس الله روحه اسمه عبد الوهاب الفقيه الزاهد الانصارى السعدى العبادى الخزرجى شيخ الشام في وقته ، وهذا البيت يعرف بيت الحنبلى ، وكان أبو الفرج اماما عالما بالفقه والاصول شديدا في السنة زاهدا عارفا عابدا متألها ذا أحوال وكرامات ظاهرة وكان قد صحب القاضى أبا يعلى سنة نيف وأربعين وأربعمائة وتردد الى مجلسه سنين عدة وعلق عنه أشياء في الاصول والفروع ثم قدم الشام وحصل له الاتباع والتلاميذ والعلماء وكان ناصرا لمذهبنا متجردا لنشره وله تصانيف في الفقه والوعظ والاصول توفي يوم الاحد ثامن عشر ذى الحجة سنة ست وثمانين وأربعمائة بدمشق ودفن بمقبرة باب الصغير والى جنبه الحافظ ابن رجب وقد زرتهما كثيرا رحمهما الله ورضى عنهما . وهؤلاء الذين يستثنون في كل شيء كلهم وان كانوا منتسبين الى الامام أحمد رضى الله عنه فهم يوافقون ابن كلاب على أصله الذى كان الامام أحمد ينكره عليه وعلى سائر أتباعه الكلابية وأمر بهجر الامام الحارث المحاسبى صاحب الرعاية من أجله كما يوافق على أصله طائفة من أصحاب الامامين مالك وانشافى رضى الله عنهما بل وأصحاب الامام أبى حنيفة رضى الله عنه كأبى المعالى الجوينى الشافعى وأبى الوليد الباجى المالكى وأبى منصور الماتريدى الحنفى وغيرهم ، وهذه الطائفة المتأخرة تنكر أن يقال «قطعا» فى شيء من الأشياء مع غلوهم فى الاستثناء حتى صار هذا اللفظ -يعنى قطعا- منكرا عندهم وان جزموا بالمعنى فيجزمون بأن محمدا صلى الله عليه وسلم نبيهم وان الله ربهم ولا يقولون : قطعا . قال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه في كتابه شرح الايمان والاسلام : وقد اجتمع بى طائفة منهم فأنكرت عليهم ذلك وامتنعت من فعل مطلوبهم حتى يقولوا : قطعا :

وأحضروا لى كتابا فيه أحاديث عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه نهى أن يقول الرجل : قطعا ، وهى أحاديث موضوعة مختلفة قد افتراها بعض المتأخرين .

وهؤلاء واضرابهم ظنوا أن ما هم عليه هو قول السلف وليس كذلك مع ان هذا لم يقله أحد من السلف وانما حكاه هؤلاء عنهم بحسب ظنهم . والذين قالوا بالموافاة جعلوا الثبات على الايمان الى العاقبة والوفاء به فى المآل شرطا فى الايمان شرعا لا لغة ولا عقلا حتى ان الامام محمد بن اسحاق بن خزيمة كان يغلو فى هذا ويقول من قال أنا مؤمن حقا فهو مبتدع . قال شيخ الاسلام ومذهب أصحاب الحديث كابن مسعود وأصحابه والثورى وابن عيينة وأكثر علماء الكوفة ويحيى بن سعيد القطان فيما يرويه عن علماء البصرة والامام أحمد بن حنبل وغيره من أئمة السنة كانوا يستثنون فى الايمان وهذا متواتر عنهم لكن ليس فى هؤلاء من قال انما استثنى لاجل الموافاة وإن الايمان انما هو اسم لما يوافقى به بل صرح أئمة هؤلاء بأن الاستثناء انما هو لان الايمان يتضمن فعل جميع الواجبات فلا يشهدون لانفسهم بذلك كما لا يشهدون لها بالبر والتقوى فان ذلك مما لا يعلمونه وهو تركية لانفسهم بلا علم . قال شيخ الاسلام وأما الموافاة فما علمت أحدا من السلف علل بها الاستثناء نعم كثير من المتأخرين يعلل بها من أصحاب الحديث من أصحاب الامام أحمد والشافعى ومالك وغيرهم رضى الله عنهم . قال شيخ الاسلام وأكثر الناس يقولون بل هو اذا كان كافرا فهو عدو الله ثم اذا آمن واتقى صار وليا لله . فمأخذ سلف الامة فى الاستثناء ان الايمان المطلق فعل جميع المأمورات وترك جميع المحظورات فاذا قال الرجل أنا مؤمن بهذا الاعتبار فقد شهد لنفسه بأنه من الأبرار المتقين القائمين بفعل جميع مأمروا به وترك كل ما نهوا عنه فيكون من أولياء الله تعالى وهذا تركية الانسان لنفسه وشهادته لها بما لا يعلم ولو كانت هذه الشهادة صحيحة لساغ أن يشهد لنفسه بالجنة ان مات على هذه الحال ولا أحد يسوغ له

بدلك فهذا مأخذ عامة السلف الذين كانوا يستشرون وان جوروا ترك الاستثناء ، قال الخلال فى كتاب السنة ثنا سليمان بن الأشعث - يعنى الامام الحافظ أبا داود صاحب السنن - قال سمعت أبا عبد الله - يعنى الامام احمد رضى الله عنه - قال له رجل قيل لى مؤمن أنت ؟ قلت : نعم ، هل على فى ذلك شىء ؟ هل الناس الا مؤمن أو كافر ؟ فغضب الامام احمد وقال هذا كلام الارزاء قال الله تعالى (وآخرون مرجون لأمر الله) من هؤلاء ؟ ثم قال الامام احمد أليس الايمان قولاً وعملاً ؟ قال له الرجل : بلى ، قال فجننا بالقول ؟ قال نعم ، قال فجننا بالعمل ؟ قال : لا ، فكيف تعيب أن يقول ان شاء الله ويستثنى ؟ قال أبو داود أخبرنى احمد بن أبى شريح ان الامام احمد رضى الله عنه كتب اليه فى هذه المسئلة أن الايمان قول وعمل فحننا بالقول ولم نجىء بالعمل ونحن نستثنى فى العمل • وكان سليمان بن حرب يحمل هذا على التقبل يقول نحن نعمل ولا ندرى يقبل منا أم لا ؟ قال شيخ الاسلام : والقول متعلق بفعله كما أمر فمن فعل كما أمر فقد تقبل منه لكن هو لا يجزم بالقبول لعدم جزمه بكمال الفعل كما قال الله تعالى (والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجله) قالت عائشة رضى الله عنها يارسول الله هو الرجل يزنى ويسرق ويشرب الخمر ويخاف ؟ قال : « لا يا بنت الصديق بل هو الرجل يصلى ويصوم ويتصدق ويخاف أن لا يتقبل منه » وقال الامام احمد : أذهب الى حديث ابن مسعود فى الاستثناء فى الايمان لان الايمان قول وعمل والعمل الفعل فقد جننا بالقول ونخشى أن نكون فرطنا فى العمل فيعجبني أن يستثنى فى الايمان يقول أنا مؤمن ان شاء الله • وقال فى رواية الميمونى أقول مؤمن ان شاء الله ومؤمن ارجو ، لأنه لا يدرى كيف البراءة للأعمال على ما-افترض عليه أم لا • ومثل هذا كثير فى كلام الامام احمد رضى الله عنه وفى كلام أمثاله من أئمة السلف ، وهذا مطابق لما تقدم من أن المؤمن المطلق هو القائم بالواجبات المستحق للجنة اذا مات على ذلك وان المفرط بترك المأمور أو فعل المحظور لا يطلق عليه انه مؤمن مطلق وان المؤمن المطلق هو البر التقى ولى الله فاذا قال انا مؤمن قطعاً كان كقوله أنا بر تقى ولى الله قطعاً ، وقد كان الامام احمد وغيره من السلف مع هذا

يكرهون سؤال الرجل لغيره أمؤمن ان شاء الله (١) ويكرهون الجواب لان هذه بدعة أحدثتها المرجئة ، ولهذا كان الصحيح انه يجوز أن يقول أنا مؤمن بلا استثناء اذا أراد ذلك لكن ينبغي أن يقرن كلامه بما يبين انه لم يرد الايمان المطلق الكامل ، ولهذا كان الامام احمد رضى الله عنه يكره أن يجيب عن المطلق بلا استثناء تقدمه . وقال المروذى قيل لأبى عبد الله نقول نحن المؤمنون ؟ فقال نحن المسلمون . ومع هذا فلم يكن ينكر على من ترك الاستثناء اذا لم يكن قصده فعل المرجئة ان الايمان مجرد القول بل يتركه لما يعلم ان فى قلبه ايمانا وان كان لا يجزم بكل ايمانه . وقال الخلال أخبرنى احمد بن اصرم المزنى ان أبا عبد الله قيل له اذا سألتى الرجل فقال أمؤمن أنت ؟ قال قل له سؤالك اياى بدعة ولا شك فى ايمانى أو قال لا نشك فى ايماننا . قال المزنى وحفظى ان أبا عبد الله قال أقول كما قال طاووس آمنت بالله وملائكته ورسله . فقد أخبر الامام احمد انه قال لا نشك فى ايماننا وان السائل لا يشك فى ايمان المسؤل وهذا أبلغ وهو انما يجزم بأنه مقرر مصدق بما جاء به الرسول لا انه قائم بالواجب ، فلم ان الامام احمد وغيره من السلف كانوا يجزمون ولا يشكون فى وجود ما فى القلوب من الايمان فى هذه الحال ويجعلون الاستثناء عائدا الى الايمان المطلق المتضمن فعل المأمور ويحتجون أيضا بجواز الاستثناء فى ما لا شك فيه وهذا مأخذ ثان وان كنا لا نشك فى ما فى قلوبنا من الايمان فالاستثناء فى ما يعلم وجوده مما قد جاءت به السنة لما فيه من الحكمة قال تعالى (لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله) وقال صلى الله عليه وسلم لأصحابه « انى لأرجو أن أكون اتقاكم الله » وقال فى الميت « وعليه يبعث ان شاء الله » وقال صلى الله عليه وسلم لما وقف على المقابر « وانا ان شاء الله بكم لاحقون » وقوله « انى اختبأت دعوتى وهى نائلة ان شاء الله من لا يشرك بالله شيئا » وهذا كثير ، وفى الصحيحين ان سليمان بن داود عليهما السلام قال لأطوفن الليلة على مائة امرأة كل منهن تأتى بفارس يقاتل فى سبيل الله . فقال له صاحبه قل ان شاء الله ، فلم يقل فلم يحمل منهن الا امرأة جاءت بشق رجل قال النبى صلى الله عليه وسلم « والذى نفسى

(١) الذى فى كتاب الايمان « أمؤمن انت »

بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا اجمعون ، فاذا قال ان شاء الله لم يشك في طلبه وارادته بل لتحقيق الله ذلك له اذ الامور لا تحصل الا بمشيئة الله فاذا تألى العبد على الله من غير تعليق بمشيئته لم يحصل مراده فانه من يتألى على الله يكذبه ، ولهذا يروى « لا أتممت لمقدر أمرا ، وقيل لبعضهم بما عرفت ربك ؟ قال بفسح العزائم ونقص الهمم • وقد قال تعالى (ولا تقولن لشيء انى فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله) • وفى شرح مختصر التحرير يجوز الاستثناء فى الايمان بأن يقول أنا مؤمن ان شاء الله نص على ذلك الامام احمد والامم الشافعى وحكى عن ابن مسعود رضى الله عنهم ، وقال ابن عقيل يستحب ولا يقطع لنفسه ومنع ذلك الامام أبو حنيفة وأصحابه والاكثرون والله أعلم

تمة

هل الاسلام مثل الايمان يدخله الزيادة والنقصان ويدخله الاستثناء أم لا ؟ خلاف مشهور قال فى شرح مختصر التحرير : وأما الاسلام فلا يجوز الاستثناء فيه بأن يقول أنا مسلم ان شاء الله بل يجزم به - قال ابن حمدان فى نهاية المتبتئين ، وقيل يجوز ان شرطنا فيه العمل • انتهى • واعلم ان الناس فى الاسلام والايمان على ثلاثة أقوال فالمرجئة يقولون الاسلام أفضل من الايمان قالوا فانه يدخل فيه الايمان ، وآخرون يقولون الايمان والاسلام سواء وهم المعتزلة والخوارج وطائفة من أهل الحديث والسنة بل حكاه محمد بن نصر عن جمهورهم ، والقول الثالث ان الايمان أكمل وأفضل وهذا هو الذى دل عليه الكتاب والسنة فى غير موضع وهم المناور عن الصحابة والتابعين لهم باحسان كما فى شرح الايمان والاسلام لشيخ الاسلام ، وقال : الصحيح ان الاسلام هو الاعمال الظاهرة كلها . قال : والامام احمد رضى الله عنه انما منع الاستثناء فيه على قول الزهرى مو الكلمة هكذا نقل الأثرم والميمونى وغيرهما عنه ، وأما على جوابه الآخر الذى لم يختر فيه قول من قال الاسلام الكلمة فيستثنى فى الاسلام كما يستثنى فى الايمان فان الاسلام لا يجزم بأنه قد فعل كل ما أمر به من الاسلام ولذا

تمة فى الاسلام
ايزيد وينقص
ويدخله
الاستثناء

المفاضلة بين
الايمان
والاسلام

قال النبي صلى الله عليه وسلم « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده » و « بنى الاسلام على خمس » فجزمه بأنه فعل الخمس بلا قصص كما أمر كجزمه بايمانه فقد قال تعالى (ادخلوا في السلم كافة) أى فى الاسلام كافة أى فى جميع شرائع الاسلام . قال شيخ الاسلام قدس الله روحه : وتعليل الامام احمد وغيره من السلف فى اسم الايمان يحىء فى اسم الاسلام فاذا أريد بالاسلام الكلمة فلا استثناء فيه كما نص عليه الامام احمد وغيره واذا أريد به فعل الواجبات الظاهرة فالاستثناء فيه كالاستثناء فى الايمان . قال شيخ الاسلام ولما كان كل من أتى بالشهادتين صار مسلماً متميزاً عن اليهود والنصارى تجرى عليه أحكام الاسلام التى تجرى على المسلمين كان هذا مما يجزم به بلا استثناء فيه . قلت والزيادة والتقصان يترنبان على ذلك وبالله التوفيق . وقد علمت ما عليه السلف وأئمة الدين وهو اعتقاد الطائفة الاثرية من أهل الفرقة الناجية بلامين (١) ولهذا قال :

لا يقال
الايمان
مخلوق ولا
غير مخلوق

((تتابع الاخير من أهل الاثر ونقتضى الأثار لا أهل الاشر))
 ((ولا نقل ايماننا مخلوق ولا قديم هكذا مطلق))
 ((فانه يشمل للصلاة ونحوها من سائر الطاعات))
 ((فعلنا نحو الرجوع محدث وكل قرآن قديم فابحثوا))

(١) فى تنبيه ابن سحمان ص ٦٩ ما نصه :
 « اعلم وفقك الله انه لا يكفي فى الايمان بالله مجرد الاعتقاد بالقلب فقط فان هذا هو مذهب الجهمية ومن تبعهم من أهل الكلام بل لا بد مع ذلك من نطق اللسان واعتقاد الجنان والعمل بالاركان فان اعتقاد القلب وحده لا يكفي فى النجاة بل هو مخالف لما عليه أهل السنة والجماعة وأئمة الحديث وغيرهم .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه فى كتاب الايمان : ومن هذا الباب أقوال السلف وأئمة السنة فى تفسير الايمان فتارة يقولون هو قول وعمل وتارة يقولون هو قول وعمل ونية وتارة يقولون قول وعمل ونية واتباع السنة وتارة يقولون قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح وكل هذا صحيح فاذا قالوا قول وعمل فانه يدخل فى القول قول القلب واللسان جميعاً وهذا هو المفهوم من لفظ القول والكلام ونحو ذلك - الى أن قال : والمقصود هنا أن من قال من السلف الايمان قول وعمل أراد قول القلب واللسان وعمل القلب والجوارح ومن أراد أن لفظ القول لا يفهم

((تابع)) فى اعتقادنا الجازم وسيرنا الحازم ((الاخير من)) الصحابة والتابعين لهم باحسان وأئمة ((أهل الاثر)) على نهج سيد ولد عدنان على مقتضى محكم القرآن ((ونقتفى)) أى تتبع يقال قفوته وقفوا اتبعته كتفتيته كما فى القاموس . وفى النهاية يقال قفوته وقفيته واقفيته اذ اتعته واقفيتها به

منه الا القول الظاهر أو خاف ذلك فزاد الاعتقاد بالقلب ، ومن قال قول وعمل ونية قال القول يتناول ذلك ، ومن زاد اتباع السنة فلان ذلك كله لا يكون محبوبا لله الا باتباع السنة وأولئك لم يريدوا كل قول وعمل وانما أرادوا ما كان مشروعاً من الأقوال والأعمال ولكن كان مقصودهم الرد على المرجئة الذين جعلوه قولاً فقط ، فقالوا بل هو قول وعمل ، والذين جعلوه أربعة فسروا مرادهم كما سئل سهل بن عبد الله التستري عن الايمان ما هو فقال قول وعمل ونية وسنة لأن الايمان اذا كان قولاً بلا عمل فهو كفر واذا كان قولاً وعملًا بلا نية فهو نفاق واذا كان قولاً وعملًا ونية بلا اتباع سنة فهو بدعة .

قال ابن القيم رحمه الله تعالى فى كتاب الصلاة وههنا أصل آخر وهو أن حقيقة الايمان مركبة من قول وعمل والقول قسمان قول القلب وهو الاعتقاد وقول اللسان وهو التكلم بكلمة الاسلام والعمل قسمان عمل القلب وهو نية وإخلاص وعمل الجوارح فاذا زالت هذه الاربعة زال الايمان بكماله واذا زال تصديق القلب لم تنفع بقية الاجزاء فان تصديق القلب شرط فى اعتقادها وكونها نافعة . الى آخر كلامه رحمه الله اذ المقصود بهذا التنبيه فمن أراد الكلام بتمامه فليراجع هناك .

وقال شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى فى كشف الشبهات ما ذكره بقوله : ولنختتم الكلام ان شاء الله بمسألة عظيمة مهمة جدا - فذكر كلاماً ثم قال : فنقول لا خلاف أن التوحيد لا بد أن يكون بالقلب واللسان والعمل فان اختل شيء من هذا لم يكن الرجل مسلماً فان عرف التوحيد ولم يعمل به فهو كافر معاند كفرعون وإبليس وأمثالهما قال : فان عمل بالتوحيد عملاً ظاهراً وهو لا يفهمه ولا يعتقد

بقلبه فهو منافق وهو شر من الكافر الخالص - الى آخر كلامه . وكذلك الكفر بالطاغوت لا يكفى فى ذلك مجرد اعتقاد القلب فقط كما قال شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب فى كتاب التوحيد :

باب ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الاوثان وقول الله تعالى (ألم ترالى الذين أتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت) قال فى المسائل فى معنى الطاغوت (الرابعة) وهى من أهمها ما معنى الايمان بالجبت والطاغوت ؟ هل هو اعتقاد القلب أو هو موافقة أصحابها مع بغضها ومعرفة بطلانها ؟ انتهى .

فاذا تبين لك هذا فاعلم أن اعتقاد بطلان عبادة غير الله لا يكفى فى النجاة وحده بل لا بد مع ذلك من تكفيرهم والبراءة منهم ومن دينهم

((الآثار)) المأثورة عن الكتاب المنزل والنبى المرسل والصحابة والتابعين لهم باحسان وأئمة الدين من أهل التحقيق والعرفان بالنقل الصحيح والمعنى الصريح فهم أهل الدراية والرواية وأحق الناس بالاصابة والهداية

والتصريح لهم بذلك واطهار العداوة والبغضاء لهم كما قال شيخنا الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن علي ما ذكر شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب بقوله : أصل الاسلام وقاعدته أمران : (الاول) الامر بعبادة الله وحده لا شريك له والتحريض على ذلك والموالة فيه وتكفير من تركه (الثانى) الانذار عن الشرك في عبادة الله والتغليظ في ذلك والمعادة فيه وتكفير من فعله ، فذكر كلاما طويلا ثم قال رحمه الله تعالى :

وقد وسم أهل الشرك بالكفر فيما لا يحصى من الآيات فلا بد من تكفيرهم وأبضا هذا هو مقتضى لا اله الا الله كلمة الاخلاص فلا يتم معناها الا بتكفير من جعل لله شريكا في عبادته كما في الحديث الصحيح « من قال : لا اله الا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله » فقوله وكفر بما يعبد من دون الله - تأكيد للنفي فلا يكون معصوم الدم والمال الا بذلك فلو شك أو تردد لم يعصم دمه وماله فهذه الامور هي تمام التوحيد لان لا اله الا الله قيدت في الاحاديث بقيود ثقال بالعلم والاخلاص والصدق واليقين وعدم الشك فلا يكون المرء موحدا الا باجتماع هذا كله واعتقاده وقبوله ومحبته والمعادة فيه والموالة انتهى .

ونسوق هنا بقيسة ما فى تنبيه ابن سحمان وهى تتعلق بموضع سابق من الكتاب وفاتننا أن نعلقها هناك فنستدركها هنا .

قال فى ص ٧٣ :

« (قوله) فى البصر ولا على سبيل تأثر حاسة :

فأقول اعلم أن هذه اللفظة من جملة الالفاظ المخترعة المبتدعة التى لم ينطق بها السلف رضوان الله عليهم لا نفيا ولا اثباتا فاعلم ذلك

وكذلك ما ذكره الشارح بقوله فى السمع والبصر انهما صفتان زائدتان على الذات وهذا القول الذى ذكره الشارح من أقوال أهل البدع كالأشاعرة وغيرهم وكما ذكره شيخ الاسلام عن ابن رشد وغيره واذا كان من المعلوم بالاضطرار أن السمع والبصر من الصفات اللازمة القائمة بذات الرب سبحانه وتعالى فكيف يجوز أن يقال انهما صفتان زائدتان على الذات وهذا من أمحل المحال وأبطل المحال وأبطل الباطل فان ما كان من الصفات زائدا على الذات لا يكون منها بل يكون مفارقا لها ومن المعلوم ان ما كان مفارقا للذات لا يكون من الصفات القائمة بذاته بل يكون مخلوقا من مخلوقاته تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

وقد قال الشيخ الامام عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى فى رده على الزيدية لما أثبت الصفات اللازمة القائمة بذات الله . قال الزيدى فان ترد انها تدل على صفات زائدة على الذات لزمك ما لزم الاشاعرة وهو أن يكون مع الله قدماء وهى المعانى التى لحقت ذاته تعالى

فهما بذلنا مجهودنا في النظر والتحرير لا يكون الا دون ما سلكوه من التحقيق والتتقير ((لا)) تابع ونقتدى وننحو في سيرنا ((أهل الاشر)) بفتح الهمزة وسكون الشين (؟) المعجمة فراء الفرح والمرح من كل متحذلق

بالوصف ونحن نبرأ من هذا نحن وأنت ، قال الشيخ عبد الله في جوابه فيقال أهل السنة والجماعة يقولون ان الله تبارك وتعالى موجود كامل بجميع صفاته فاذا قال القائل دعوت الله أو عبدت الله كان اسم الله متناولا للذات المتضمنة لصفاتها ليس اسم الله اسما لذات مجردة عن صفاتها اللازمة لها وحقيقة ذلك انه لا يكون نفسه الا بنفسه ولا تكون ذاته الا بصفاته ولا يكون نفسه الا بما هو داخل في مسمى اسمها ولكن قول القائل انه يذم أن يكون مع الله قدما ، تلبيس - فان ذلك يشعر أن مع الله قدما منفصلة عنه وهذا لا يقوله الا من هو من أكفر الناس وأجهلهم بالله كالفلاسفة لان لفظ الغير يراد به ما كان مفارقا له بوجود أو زمان أو مكان ويراد به ما أمكن العلم به دونه فالصفة لا تسمى غيرا له فعلى المعنى يمتنع أن يكون معه غيره وأما المعنى الثاني فلا يمتنع أن يكون وجوده مشروطا بصفات وأن يكون مستلزما لصفات لازمة له واثبات المعاني القائمة التي يوصف بها الذات لا بد منها لكل عاقل ولا خروج من ذلك الا بجحد وجود الموجودات مطلقا وأما من جعل وجود العلم هو وجود القدرة ووجود القدرة هو وجود الارادة فطرد هذه المقالة يستلزم أن يكون وجود كل شيء هو عين وجود الخالق تعالى وهذا منتهى الاتحاد وهو مما يعلم بالحس والعقل والشرع أنه في غاية الفساد ، ولا مخلص من هذا الا بانبات الصفات ، مع نفي مماثلة المخلوقات وهو دين الذين آمنوا وعملوا الصالحات - ثم ذكر كلاما طويلا تركناه خشية الاطالة .

وقال الامام أحمد في الرد على الزنادقة : فقالت الجهمية لنا - لما وصفنا الله : هذه الصفات ان زعمتم أن الله ونوره والله وعظمته والله وقدرته فقد قلتم بقول النصارى حين زعمتم أن الله لم يزل ونوره ولم يزل وقدرته فقلنا لا نقول ان الله لم يزل وقدرته ونوره ولكن نقول لم يزل بقدرته وينور لا متى قدر ولا كيف قدر ؟ وقالوا لا تكونوا موحدين أبدا حتى تقولوا كان الله ولا شيء فقلنا نحن نقول كان الله ولا شيء ، ولكن اذا قلنا ان الله لم يزل بصفاته كلها أليس انما نصفها واحدا بجميع صفاته وضربنا لهم في ذلك مثلا فقلنا : أخبرونا عن هذه النخلة أليس لها جذوع وكرب وليف وسعف وخص وجمار واسمها اسم شيء واحد نخلة سميت نخلة بجميع صفاتها فكذلك الله سبحانه وتعالى وله المثل الاعلى بجميع صفاته اله واحد ، ولا نقول انه كان في وقت من الاوقات ولا قدرة حتى خلق القدرة والذي ليس له قدرة هو عاجز ، ولا نقول قد كان في وقت من الاوقات ولا علم له حتى خلق العلم والذي لا يعلم هو جاهل ولكن نقول لم يزل الله عالما قادرا مالكا لا متى ولا كيف ، وقد سمي الله رجلا كافرا اسمه الوليد بن المغيرة المخزومي فقال : (ذرني ومن خلقت وحيدا) وقد

ومتشدد ومتعمق ومتودق من فروخ الجهمية وشيوخ المرجئة واتباع الكرامية فهم في طرف ونحن في طرف فيينا وبينهم من البون كما بين الحركة والسكون .

كان هذا الذي سماه الله وحيدا وله عينان واذنان ولسان وشفتان ويدان ورجلان وجوارح كثيرة فقد سماه الله وحيدا بجميع صفاته فكذلك الله تعالى وله المثل الاعلى هو بجميع صفاته اله واحد انتهى .

فتبين بما ذكره الامام أحمد أن الله سبحانه وتعالى اله واحد بجميع صفاته اللازمة القائمة بذاته ولم يقل ان من هذه الصفات صفة زائدة على ذاته كالسمع والبصر كما ان النخلة بجذوعها وكربها وليفها وسعفها وخصوصها نخلة واحدة بجميع هذه الصفات لها ولا يمكن في العقل أن السعف والليف زائد ان على مسمى النخلة اذ جعل هذه المسميات من مسمى واحد وليس منها شيء زائد على ذاته والله أعلم .

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى في بدائع الفوائد بعد كلام سبق : حلوا لنا شبه من قال باتحادهما ليتم الدليل فانكم أقمتم دليلا وعليكم الجواب عن المعارض فمنها ان الله وحده هو الخالق وما سواه مخلوق فلو كانت أسماؤه غيره لكانت مخلوقة وللزم ألا يكون له اسم في الازل ولا صفة لأن أسماء صفات وهذا هو السؤال الاعظم الذي قاد متكلمي الاثبات الى أن يقولوا الاسم هو المسمى فما عندكم في دفعه ؟

والجواب ان منشأ الغلط في هذا الباب من اطلاق ألفاظ مجملة محتملة لمعنيين حق وباطل فلا ينفصل النزاع الا بتفصيل تلك المعاني وتنزيل ألفاظها عليها ولا ريب أن الله تبارك وتعالى لم يزل ولا يزال موصوفا بصفات الكمال المشتقة أسماؤه منها فلم يزل بصفاته وأسمائه وهو اله واحد له الاسماء الحسنى والصفات العلى وصفاته وأسمائه داخلية في مسمى اسمه وان كان لا يطلق على الصفة وحدها انها اله يخلق ويرزق فليست صفاته وأسمائه غيره وليست هي نفس الاله . وبلاء القوم من لفظة الغير فانها يراد بها معنيين أحدهما المغاير لتلك الذات المسماة بالله وكل ما غير الله مغايرة محضة بهذا الاعتبار فلا يكون الا مخلوقا ، ويراد به مغايرة الصفة للذات اذا جردت عنها . فاذا قيل علم الله وكلام الله غيره بمعنى أنه غير الذات المجردة عن العلم والكلام كان المعنى صحيحا ولكن الاطلاق باطل فاذا أريد أن العلم هو الكلام (؟) المغاير لحقيقته المختصة التي امتاز بهما عن غيره كان باطلا لفظا ومعنى وبهذا أجاب أهل السنة المعتزلة القائلين بخلق القرآن قالوا كلامه تعالى داخل في مسمى اسمه فالله تعالى اسم للذات الموصوفة بصفات الكمال ومن تلك الصفات صفة الكلام كما ان علمه وقدرته وحياته وسمعه وبصره غير مخلوق ولا يقال انه غير الله فكيف يقال ان بعض ما تضمنه وهو أسماؤه مخلوقة وهي غيره فقد حصص الحق بحمد الله وانحسم الاشكال وان أسماءه

ولما انتهى الكلام على الايمان وما يتعلق به وذكر خلاف الناس في حقيقته وما يترتب عليه من الزيادة والنقصان والاستثناء ختم الكلام عليه بذكر مسألة عظيمة فقال ((ولا تقل)) أيها الاثرى من الحنابلة ومن وافقهم

الحسنى التى فى القرآن من كلامه وكلامه غير مخلوق ولا يقال هو غيره ولا هو هو وهذا المذهب مخالف للمذهب المعتزلة الذين يقولون أسماؤه تعالى غيره وهى مخلوقة والمذهب من رد عليهم ممن يقول أسماؤه نفس ذاته لا غيره وبالتفصيل تزول الشبهة ويتبين الصواب والحمد لله . انتهى .

إذا تبين هذا فقد كان معلوماً بالاضطرار أن أسماء الله وصفاته من الله وانها داخله فى مسمى اسمه لا مغابرة له ولا منفصلة عنه . وقال الشيخ عبد الله بن شيخ الاسلام محمد أيضاً فى رده على الزيدية بعد كلام ذكره عن أهل البدع فى لفظ الغير : ولهذا أطلق كثير من مشبهة الصفات عليها انها اغيار للذات وقالوا يقولون (؟) انها غير الذات ولا يقول انها غير الله فان لفظ الذات لا يتضمن الصفات بخلاف اسم الله فانه يتناول الصفات ولهذا كان الصواب على قول أهل السنة أن لا يقال فى الصفات انها زائدة على اسم الله بل من قال ذلك فقد غلط عليهم ، وإذا قيل هل هى زائدة على الذات أم لا ؟ كان الجواب أن الذات الموجودة فى نفس الامر مستلزمة للصفات فلا يمكن وجود الذات مجردة عن الصفات بل ولا يوجد شيء من الذوات مجرداً عن جميع الصفات بل لفظ الذات تانيث (ذو) ولفظ (ذو) مستلزم للاضافة وهذا اللفظ مولد واصله أن يقال ذات علم وذات قدرة وذات سمع كما قال الله تعالى (فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم) ويقال فلانة ذات مال وجمال ثم لما علموا أن نفس الرب ذات علم وقدرة وسمع وبصر رداً على من نقي صفاتها عرفوا لفظ الذات وصار التعريف يقوم مقام الاضافة بحيث اذا قيل لفظ الذات فهو ذات كذا فالذات لا يكون الا ذات علم قدرة ونحوه من الصفات لفظاً ومعنى وانما يريد محققو أهل السنة بقولهم الصفات زائدة على الذات انها زائدة على ما أثبتته نفاة الصفات من الذات فانهم أثبتوا ذاتاً مجردة لا صفات لها فأثبت أهل السنة الصفات زائدة على ما أثبتته هؤلاء فهى زائدة فى العلم والاعتقاد والخبر لا زيادة على نفس الله جل جلاله بل نفسه المقدسة متصفة بهذه الصفات لا يمكن ان تفارقها ولا توجد الصفات بدون الذات ولا الذات بدون الصفات والمقصود هنا بيان بطلان كلام هذا المعترض .

اذ تأملت هذا فاعلم ان ما قاله محققو أهل السنة حيث قالوا ان الصفات زائدة على الذات انما مرادهم بذلك انها زائدة على ما أثبتته نفاة الصفات من الذات فانهم أثبتوا ذاتاً مجردة لا صفات لها ومقصود أهل السنة انها زائدة على ما أثبتته هؤلاء النفاة فهى زيادة فى العلم والاعتقاد والخبر لا زيادة على نفس الله جل جلاله بل نفس مقدسة متصفة بهذه الصفات لا يمكن أن تفارقها ولا توجد الصفات بدون الذات ولا الذات بدون الصفات كما تقدم بيانه . اذا تحققت هذا فتخصيص الشارح السمع والبصر بأنهما

((ايماننا)) الذى هو قول باللسان وعقد بالجان وعمل بالاركان ((مخلوق))
يدخول الاعمال فه التى من جملتها الصلاة المشملة على فاتحة الكتاب،
القديم ولدخول الاقوال التى من جملتها لا آله الا الله كلمة الاخلاص
التى هى من كلام الله تعالى (فاعلم انه لا آله الا الله) ((ولا)) تقل أيها
الانرى ايماننا ((قديم هكذا مطلق)) عن القيود لدخول أفعالنا من الركوع
والسجود والقيام والقعود وأعمال القلوب ونحو ذلك ((فانه)) أى الايمان
((يشمل للصلاة)) المشروعة فرضا كانت أو نفلا ((و)) يشمل ((نحوها))
أى نحو الصلاة ((من سائر)) أى بقية ((الطاعات)) التى يتقرب العبد بها
الى ربه وسائر العبادات التى يأتى بها لغفران ذنبه وانارة قلبه • والطاعات
جمع طاعة مأخوذة من طاع بطوع اذا انقاد وهى فى اصطلاح الفقهاء عبادة
غير واجبة والمراد هنا كل عبادة والعبادة ما أمر به شرعا من غير اطراد
عرفى ولا اقتضاء عقلى وحيثذ يجب التفصيل وهو ما أشير اليه بقوله
((ففعلنا)) معشر الخلق ((نحو الركوع)) والسجود فى الصلاة من
القيام والقعود وسائر أفعال الخلق ((محدث)) لانه مسند اليه ومنسوب
ومضاف الى فعله والله خالق لأفعال العباد ، وللمعد فعل ينسب اليه ومنسوب
تقدم ((وكل)) ما كان من ((قرآن)) فهو ((قديم)) (١) غير مخلوق لان

صفتان زائدتان على الذات تخصيص لا أدرى ما مقصوده بذلك وأهل
السنة أطلقوا لفظ الصفات ولم يخصوا السمع والبصر فتأمل ذلك مع أن
الاجمال والاطلاق فى هذا الموضع وغيره من غير تفصيل ولا تبين لما
أرادوه من اثبات الصفات الزائدة على ما أثبتته النفاة من الذات يوهم من
لا معرفة له بكلام أهل السنة رضوان الله عليهم أن المقصود بذلك انها
زائدة على نفس الله جل جلاله وهذا من أبطل الباطل وأمحل المحال وقد
قال ابن القيم رحمه الله فى الكافية الشافية :
فعليك بالتبيين والتفصيل فال

اطلاق والاجمال دون بيان

كم أفسدا هذا الوجود وخطا ال

آراء والاذهان كل زمان

ثم لا يخفى عن المحب أن أهل السنة لم يقولوا أن الصفات زائدة على
الذات فقط كما توهمه الشارح وانما قالوا انها زائدة على ما أثبتته النفاة
من الذات لانهم انما أثبتوا ذاتا مجردة عن الصفات فتأمل ذلك والله أعلم .

(١) راجع التعليق على بحث القرآن

كلام الله قديم كما مر البحث فيه في محله مستوفيا ، وقوله ((فابحثوا))
أنى به لتتمة البيت والبحث التفتيش والطلب والتنقيب والتقصى عن
دقائق المعانى ، فكل من ادخل الاعمال فى الايمان فلا يسوغ له اطلاق اسم
الحدوث ولا القدم على الايمان بل لا بد من هذا التفصيل ، وأما من لم يدخل
الاعمال فيه كالاشاعرة فيقولون الايمان عندهم مخلوق وهذا لا يتمشى على أصولنا . قال
سيدنا الامام احمد رضى الله عنه : من قال الايمان مخلوق كفر ومن قال غير
مخلوق ابدع . فقبل بالوقف مطلقا وقيل أقواله قديمة وأفعاله مخلوقة .
قال ابن حمدان فى نهاية المتدين وهو أصبح ، ونقله عن ابن أبى موسى
وغيره . ونقل الامام الحافظ ابن رجب فى طبقات الاصحاب فى ترجمة
الحافظ عبد الغنى المقدسى قدس الله روحه ما لفظه قال روى عن امامنا احمد
رضى الله عنه انه قال من قال الايمان مخلوق فهو كافر ومن قال قديم فهو
مبتدع . قال الحافظ عبد الغنى وانما كفر من قال بخلقه لان الصلاة من
الايمان وهى تشتمل على قراءة وتسييح وذكر الله عز وجل ومن قال
بخلق ذلك كفر ، وتشتمل على قيام وقعود وحركة وسكون ومن قال بقدم
ذلك ابدع . انتهى . بحروفه والله تعالى الموفق

((تتمة)) ألحق علماؤنا فى آخر هذا الباب ذكر الملكين الموكلين بالعبد
يكتبان أفعاله وكأنهم نظروا لمناسبة ذلك للأحكام وكونه مما يجب الايمان
به والا فكان الانسب ذكر ذلك فى الباب الأنى فى السمعيات لانه منها
فهذا قال :

تتمة فى
الكرام
الكانيين

((ووكل الله من الكرام اثنين حافظين لآلانام))
((فيكتبان كل أفعال الورى كما أتى فى النص من غير امتراء))

((ووكل الله)) سبحانه وتعالى ((من)) الملائكة ((الكرام)) وصفهم
بالكرم لما جاء فى الكتاب والسنة كما سيأتى ، والحق ان الملائكة عليهم
السلام ذوات قائمة بأنفسها قادرة على التشكل بالقدرة الالهية كما ثبت
فى الاحاديث الصحيحة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال العلامة ابن
حمدان فى نهاية المتدين وتغير صور الملائكة والجن والشياطين الى الله

تعالى لا اليهم • وقد حكى غير واحد من محققى العلماء الاتفاق على أن
الملائكة لا يأكلون ولا يشربون ولا ينكحون يسبحون الليل والنهار
لا يفترون ((اثنين)) مفعول وكل ((حافظين للأنام)) كسحاب وبالمسد
والانثيم كأمر الخلق من الجن والانس وجميع ما على وجه الارض والمراد
هنا من الانس ((فيكتبان)) يعنى الملكين الحافظين ((كل أفعال الورى))
كفتى الخلق ((كما أتى فى النص)) القرآنى كما فى قوله تعالى (وان
عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون) وقال تعالى (عن اليمين وعن
الشمال قعيد * ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد) ((من غير امترا))
أى من غير شك وهو مشتق من المارة والمرية بالضم والكسر الشك
والجدل يقال ماراه مارة ومرأه ، وامترى فيه وتمارى شك كما فى القاموس
وامترأه حقه جحده • وفى نهاية ابن الاثير فى الحديث « لاتماروا فى
القرآن فان مرأه فيه كفر » قال المرأه الجدل والتمارى والمارة المجادلة
على مذهب الشك والريبة ويقال للمناظرة مارة لان كل واحد منهما
يستخرج ما عند صاحبه ويمتره كما يمتري الحالب اللبن من الضرع •
قال أبو عبيد فى توجيه الحديث المذكور ليس وجه الحديث عندنا على
الاختلاف فى التأويل ولكنه على الاختلاف فى اللفظ وهو أن يقرأ الرجل
على حرف فيقول الرجل ليس هو كذا ولكنه على خلافه ، وكلاهما منزل
مقروءة فيهما فاذا جحد كل منهما قراءة صاحبه لم يؤمن أن يكون ذلك
يخرجه الى الكفر لانه نفى حرفاً أنزله الله على بيه • والتكثير فى المرأه فى
الحديث ايذاناً بأن شيئاً منه كفر فضلاً عما زاد عليه • وقيل انما أراد الجدل
والمرأه فى الآيات التى فيها ذكر القدر ونحوه من المعانى على مذاهب أهل
الكلام وأصحاب الاهواء والآراء دون ماتضمنته من الاحكام وأبواب الحلال
والحرام فان ذلك قد جرى بين الصحابة فمن بعدهم من العلماء وذلك فيما
يكون الغرض منه والباعث عليه ظهور الحق ليتبع دون العلبة والتعجيز
والله أعلم •

قال علماؤنا - منهم ابن حمدان فى نهاية المتدينين : الرقيب والعنيد ملكان
موكلان بالعبد يجب أن تؤمن بهما ونصدق بأنهما يكتبان أفعاله كما قال

تعالى (عن اليمين وعن الشمال تعيد * ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد) وقوله (وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون) ولا يفارقان العبد بحال وقيل بل عند الخلاء ، وقال الحسن ان الملائكة يجتنبون الانسان على حالين عند غائطه وعند جماعه ، ومفارقةتهما للمكلف حينئذ لا تمنع من كتبهما ما يصدر منه في تلك الحال كالاتقاد القلبي يجعل الله لهما اماراة على ذلك ، قال سيدنا الامام احمد رضى الله عنه : للعبد ملائكة يحفظونه بأمر الله تعالى - يشير الى قوله تعالى (له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله) قال العلامة الشيخ عبد الرحمن العليمي العمري الحنبلي في تفسيره للقرآن العظيم المسمى بفتح الرحمن في تفسير القرآن ، العظيم المسمى بفتح الرحمن في تفسير القرآن : التعقيب العسود بعد البدء وانما ذكر بلفظ التأنيث لان المراد الجماعات التي يعقب بعضها بعضا . وقوله « يحفظونه من أمر الله » من المضار ويراقبون أحواله من أجل أمر الله فاذا جاء القدر خلوا عنه . وقال البيضاوي يحفظونه من أمر الله من بأسه متى اذنب بالامهال والاستغفار أو يحفظونه من المضار أو يراقبون أحواله من أجل أمر الله وقد قرىء به وقيل « من » بمعنى الباء . وقال في فوله معقبات : التاء للمبالغة أو لان المراد بالمعقبات جماعات وقرىء معاقب جمع معقب أو معقبة على تعويض الباء من أحد القافين . انتهى . وفي صحيح البخارى : معقبات ملائكة حفظة تعقب الاولى منهما الاخرى ومنه قبل المعقب أى عقيب فى أثره . قال ابو عبيدة أى ملائكة تعقب بعد ملائكة حفظة بالليل تعقب بعد حفظة النهار وحفظة النهار تعقب بعد حفظة الليل . وروى الطبري باسناد حسن عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى (له معقبات من بين يديه ومن خلفه) قال ملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه فاذا جاء قدره خلوا عنه . وأخرج من طريق ابن أبى طلحة عن ابن عباس فى قوله (من أمر الله) أى ناذن الله . فالمعقبات هى من أمر الله وهى الملائكة . ومن طريق سعيد بن جبير عنه قال : حفظهم اياه بأمر الله . ومن طريق ابراهيم النخعي قال : يحفظونه من الجن . ومن طريق كعب الاحبار قال لولا ان الله و لئ بكل ملائكة

يذبون عنكم في مطعمكم ومشربكم وعوراتكم لتخطفتهم • وأخرج الطبراني من طريق كنانة العدوي أن عثمان سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن عدد الملائكة الموكلة بالآدمي فقال : لكل آدمي عشرة بالليل وعشرة بالنهار واحد عن يمينه وآخر عن شماله واثنان من بين يديه ومن خلفه واثنان على جنبه وآخر قابض على ناصيته فان تواضع رفعه وان تكبر وضعه واثنان على شفتيه ليس يحفظان عليه الا الصلاة على محمد والعاشر يحرسه من الحية أن تدخل فاه - يعني اذا نام • قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري وجاء في تأويل ذلك قول آخر رجحه ابن جرير فاخرج باسناد صحيح عن ابن عباس رضى الله عنهما في قوله تعالى (له معقبات) قال ذكر ملكا من ملوك الدنيا له حرس ومن دونه حرس • ومن طريق عكرمة في قوله له معقبات : قال : المواكب • وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « يتعاقبون فيكم : ملائكة بالليل وملائكة بالنهار » • وفي بعض التفاسير في قوله تعالى (ان كل نفس لما عليها حافظ) وكل المؤمن مائة وستون ملكا يذبون عنه ما لم يقدر عليه ، للبصر من ذلك سبعة أملاك يذبون عنه كما يذب عن قصعة العسل الذباب ، ولو وكل العبد الى نفسه طرفة عين لاخطفتسه الشياطين ، وذكره في كنز الاسرار من حديث أبي امامة رضى الله عنه مرفوعا • قال العلامة الشيخ مرعى في بهجته : واما الملائكة الكاتبون فقبل أربعة اثنان بالليل واثنان بالنهار ، وقيل خمسة واحد لا يفارق في ليل ولا نهار • انتهى • والمشهور انهما اثنان لكل واحد ، قال الضحاك مجلس الملكين تحت الشعر على الحنك • ومثله عن الحسن • وكان الحسن يعجبه ان ينظف عنفتيه • وعنه عليه السلام « مقعد ملكيك على شفتيك ولسانك قلمهما وريقك مدادهما وأنت تجرى فيما لا يعينك ولا تستحي من الله ولا منهما » • وعنه عليه الصلاة والسلام « كاتب الحسنات عن يمين الرجل - يعنى الشخص - وكاتب السيئات عن يساره وكاتب الحسنات أمير على كائب السيئات فاذا عمل الشخص حسنة كتبها صاحب اليمين عشرا ، واذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح أو يستغفر ، • ونقل الحافظ ابن رجب في شرح الاربعين النووية عن شويس

العدوى وكان من قدماء التابعين أن صاحب اليمين أمير - أو ذال أمين - على صاحب الشمال فإذا عمل ابن آدم سيئة فأراد صاحب الشمال أن يكتبها قال له صاحب اليمين لا تعجل لعله يعمل حسنة ، فإن عمل حسنة ألقى واحدة بواحدة وكتب له تسع حسنات فيقول الشيطان يا ويله من يدرك تضعيف ابن آدم • وقال واحد وهو المشهور أن أحد الملكين على عاتق الانسان الايمن وهو كاتب الحسنات والآخر على عاتقه الايسر ، وان كاتب الحسنات له اماراة على كاتب السيئات فلا يمدنه من كتبها الا بعد مضي ست ساعات من غير توبة من المكلف أو استغفار أو فعل مكفر لها مع مبادرته بكتب الحسنات فوراً ، والذي رواه البغوى من حديث أبى أمامه رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « كاتب الحسنات على يمين الرجل وكاتب السيئات على يسار الرجل وكاتب الحسنات أمير على كاتب السيئات : دعه سبع ساعات لعله يسبح لله او يستغفر •

فوائد (الاولى)

اختلف فيما يكتب الملكان فقال عكرمة لا يكتبان الا ما يؤجر عليه أو يوزر عليه • انتهى • وظاهر النص أنهما يكتبان أفعال العباد من خير أو شر أو غيرهما قولاً كان أو عملاً أو اعتقاداً هما كانت أو عزمًا أو تقريراً فلا يهملان من أفعال العباد شيئاً في كل حال وعلى كل حال ، ولهذا قال مجاهد يكتبان عليه حتى أتينه في مرضه • فقوله تعالى (ما يلفظ من قول الا لديه) أى عنده (رقيب) أى حافظ يرقب أعماله ويحفظها (عتيد) أى حاضر معه أين ما كان • قال الامام مالك يكتبان على العبد كل سىء حتى أتينه في مرضه - كقول مجاهد - محتجاً بقوله تعالى (ما يلفظ من قول) فافادة العموم بطريق وقوع النكرة في سياق النفي ، وحينئذ يدخل في العبد الكافر لانه تضبط عليه أعماله وأنفاسه • قال الامام النووى الصواب الذى عليه لماحقون بل نقل فيه بعضهم الاجماع أن الكافر اذا فعل أفعالا جميلة كالصدقة وصلة الرحم ثم أسلم ومات على الاسلام أن ثواب ذلك يكتب له ، ودعوى كونه مخالفاً للقواعد غير مسلم • انتهى • قال بعضهم وضابط

فوائد الاولى
فيما يكتبه
الملكان

ذلك الطاعات التي لا تتوقف صحتها على نية وقد سلم ذلك له ابن حجر وابن المنير وابن بطل وغيرهم . ومن نص على أن للكافر حفظه بعض المالكية ، قال بعضهم : وهو الذي لا يصح غيره . وهو الجارى على القول بتكليفهم بفروع الشريعة وهو معتمد الثلاثة خلافا لابي حنيفة . والصحيح من مذهبنا كالمالكية كتب حسنات الصبي ، قال علماؤنا يكتب له ولا يكتب عليه فيكون عليه حفظه بخلاف المجنون لانه لا يكتب له ولا عليه . والصحيح كتبهم الصغائر المغفورة وان غفرت باجتناب الكبائر ، قال الحافظ ابن رجب رحمه الله : لا تمحى الذنوب من صحائف الاعمال بتوبة ولا غيرها بل لا بد أن يوقف عليها صاحبها ويقرأها يوم القيامة . واستدل بقوله تعالى (ووضعت الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه) الآية وبقوله تعالى (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره * ومن يعمل مثقال ذرة برا يره) (وقالوا يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها) . وقد ذكر بعض المفسرين أن هذا القول هو الصحيح عند المحققين وقد روى هذا القول عن الحسن البصرى وبلال بن سعد الدمشقى ، قال الحسن فى العبد يذنب ثم يتوب ويستغفر : يغفر له ولكن لا يمحاه من كتابه دون أن يقفه عليه ثم يسأله عنه ، ثم بكى الحسن بكاء شديدا وقال لو لم نبك الا للحياء من ذلك المقام لكان ينبغي لنا أن نبكى . وقال بلال بن سعد ان الله يغفر الذنوب ولكن لا يمحاه من الصحيفة حتى يوقفه عليها يوم القيامة وان تاب

الفائدة الثانية
إذا رفع الملك
صحيفة بدئت
وختمت بخير

(الثانية) جاء فى حديث أبى هريرة وأنس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال « ما من حافظين برفعان الى الله تعالى ما حفظا فيرى الله تعالى فى أول الصحيفة خيرا وفى آخرها خيرا الا قال للملائكة اشهدوا انى قد غفرت لعبدى ما بين طرفى الصحيفة » أخرجه الطبرانى وغيره قال الحافظ ابن رجب : وهو موجود فى بعض نسخ كتاب الترمذى . وفى حديث آخر مرفوع « ابن آدم اذكرنى من اول النهار ساعة ومن آخر النهار ساعة أغفر لك ما بين ذلك الا الكبائر أو تتوب منها » وقال ابن المبارك : من ختم نهاره بذكر الله كتب نهاره كله ذكرا يشير الى أن الاعمال

بالخواتيم • قال الحافظ ابن رجب : فاذا كان البداية والختم ذكرا فهو أولى أن يكون حكم الذكر شاملا للجميع • انتهى •

الثالثة هل
يكتب انين
المريض

(الثالثة) قوله في الخبر حتى أنينه في مرضه ربما أشعر بأنه مما يكتبه كاتب السيئات لانه يكتب كل ما أهمله كاتب الحسنات ، ويدل له قول علمائنا يكره الانين قال في الفروع : على الاصح لانه يترجم عن الشكوى مالم يغلبه مع انه جاء في حديث « المريض أنينه تسبيح وصياحه تكبير ونفسه صدقة ونومه عبادة وتقلبه من جنب الى جنب جهاد في سبيل الله » لكن قال الحافظ ابن حجر انه ليس بثابت • وقد روى الامام احمد في الزهد عن طائوس انه قال أنين المريض شكوى • قال ابن حجر في شرح البخارى وقد جزم أبو الطيب ابن الصباغ وجماعة من الشافعية ان انين المريض وتأووه مكروه ، وتعقبه الامام النووي فقال : هذا ضعف أو باطل فان المكروه ما ثبت فيه نهى مقصود وهذا لم يثبت فيه ذلك • ثم قال فلعلهم أرادوا بالكراهة خلاف الاولى فانه لا شك أن اشتغاله بالذكر أولى • انتهى • قال الحافظ ابن حجر ولعلهم أخذوه بالمعنى من كون كثرة الشكوى تدل على ضعف اليقين وتشعر بالتسخط للقضاء وتورث شماتة الأعداء • انتهى •

(الرابعة) جاء في الاحاديث ان الحافظين يقيمان على قبر المؤمن يسبحان الله تعالى ويهللانه ويكبران ويكتب ثوابه للميت الى يوم القيامة وانهما يلغنان الكافر ، ففي حديث أبي بكر الصديق رضى الله عنه مرفوعا « اذا قبض العبد المؤمن صعد ملكاه الى السماء فقال الله لهما وهو أعلم ماجاء بكما؟ فيقولان رب قبضت عبدك ، فيقول لهما ارجعا الى قبره فسبحاني واحمداني وهللاني الى يوم القيامة فاني قد جعلت مثل أجر تسبيحكما وتحميدكما وتهليلكما له ثوابا منى ، فاذا كان العبد كافرا فمات صعد ملكاه الى السماء فيقول الله لهما ماجاء بكما؟ فيقولان رب قبضت عبدك وجئتك ، فيقول لهما ارجعا الى قبره فالغناه الى يوم القيامة فانه كذبنى وجحدنى وانى جعلت لعتكما عذابا أعذبه به يوم القيامة » وروى أيضا من حديث أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه مرفوعا وفيه « فاذن لنا أن نسكن السماء فيقول سمائي مملوءة من ملائكتى يسبحونى فيقولان أئذن لنا نسكن الارض

الرابعة
اذا مات
الانسان بقى
حافظاه على
قبره

فيقرل ارضى مملوءة من خلقى يسبحونى ولكن قوما على قبره فسبحانى
واحمدانى وهللانى واكتباه لعبدى الى يوم القيامة » وروى أيضا من حديث
أنس رضى الله عنه كلفظ حديث أبى سعيد ، وقد أورده الحافظ ابن
الجوزى فى كتابه الموضوعات بطرقه الثلاثة وحكم عليه بالوضع وتعقبه
جلال الدين السيوطى بما حاصله ان الحديث قد أخرجه البيهقى فى
كتابه شعب الايمان وقال : فيه ابن مطر ليس بالقوى • ثم انه لم ينفرد
به فقد تابعه عن ثابت البناتى حماد وأخرجه أيضا البيهقى والهيثم بن حماد
وأخرجه ابن أبى الدنيا فى ذكر الموت ، قال الحافظ البيهقى : وله شاهد آخر
عن أنس ، تم روى باسنادين عنه نحوه مرفوعا • وقال الشيخ ولى الدين
العراقى فى فتاويه المكية فى حديث أبى سعيد : فيه عطية العوفى ضعيف
لكن ليس بكذاب ، وقد رواه عنه مسعر وهو امام جليل فان وجد له شاهد قوى
عنده • انتهى • (فها أنت ترى له شواهد عدة • انتهى - ١) وقد ذكرت
مافيه فى مختصر الموضوعات وبالله التوفيق

خاتمة الطبع

قد تم طبع الجزء الاول من كتاب لوامع الانوار البهية وسواطع الاسرار
الاثرية لشرح الدرّة المضية في عقد الفرقة المرضة ، كلاهما للشيخ العلامة
محمد بن احمد السفاريني ويليه الجزء الثاني اوله الباب الرابع في ذكر

بقية السمعيات الخ •

والحمد لله رب العالمين

فهرس الجزء الاول

من لوائح الانوار البهية ، وسواطع الاسرار الاثرية لشرح الدررة المضية ،
في عقد الفرقة المرضية ، للعالم الطويل الباع الواسع الاطلاع صاحب
البرهان الجلي ، الشيخ محمد بن احمد السفاريني الاثرى الحنبلي أكرمه الله
بلطفه الخفى والجلي آمين

صفحة	
٢	ديباجة الشرح وسبب تأليف المنظومة وشرحها
٤	الأقدمة المشتملة على عشرة تعريفات ، التعريف الاول فى تقسيم الملة المحمدية الى اعتقادات وعمليات
٤	تعريف علم الكلام وموضوعه واستمداده ومسائله وغاياته ومنفعته
٦	التعريف الثانى ، تنازع الصحابة فى كثير من مسائل الاحكام ولم يتنازعوا فى شىء من مسائل الصفات
٦	اهل الايمان اذا تنازعوا فى شىء ردوه الى الله ورسوله
٨	التعريف الثالث فى الراى وتفسيره وبيان ما يحمد منه وما يدم
٩	كان سبب انتشار البدع المأمون ، وترجمة حاله
٩	ترجمة كتب الأوائل والقول بخلق القرآن
١٢	اول من صنف فى علم الكلام ونصب الخلاف للسنة واصل بن عطاء وبيان حاله وانه راس المعتزلة وبسببه سموا معتزلة
١٣	التعريف الرابع : الخبر صدق أو كذب
١٣	تقسيم الخبر الى معلوم صدقه وغيره ، وبيان الانواع
١٤	الخلاف فى مدلول الخبر
١٥	التعريف الخامس ذكر المتواتر والآحاد
١٥	تعريف المتواتر لغة واصطلاحا
١٥	العلم الحاصل به ضرورى أم نظرى ؟
١٥	المتواتر لا يولد العلم بل يقع العلم عنده بفعل الله تعالى
١٥	المتواتر قسمان لفظى ومعنوى ، وبيان كل منهما
١٦	المعتمد عدم حصر المتواتر فى عدد
١٦	المعتمد حصول العلم بالمتواتر لكل من بلغه
١٦	تفاوت العلم
١٧	لا يشترط فى المخبرين بالمتواتر اسلام ولا عدالة ولا ان يحويهم بلد او يحصيهم عدد خلافا لقوم
١٧	الآحاد ، وهو ما عدا المتواتر فدخل المستفيض المشهور والعزیز
١٧	الخلاف فيما يفيد ، العلم أم الظن ؟ وذكر تفصيل فى ذلك

صفحة

- ١٨ احاديث الصحيحين والنظر في افادتها العلم
- ١٩ التعريف السادس يعمل بخبر الواحد في اصول الدين
- ١٩ النظر في تكفير الجاحد لما ثبت بخبر الواحد
- ٢٠ التعريف السابع بيان المراد بمذهب السلف
- ٢١ الكتب المشتملة على بيان عقائد السلف من كتب التفسير والسنة والرد على المتدعة
- ٢٢ سرد أسماء جماعة من الائمة كلهم على مذهب السلف منهم الائمة الاربعة اصحاب المذاهب المشهورة
- ٢٢ كتاب الابانة للاشعري وموافقته لمذهب السلف
- ٢٣ التعريف الثامن بيان اول البدع ظهورا وذكر الجعد بن درهم استاذ جهم بن صفوان رأس الجهمية
- ٢٣ سلسلة الجهمية ترجع الى اليهود والصابئين والمشركين
- ٢٤ بشر الميرسي الجهمي وكتابه في التاويلات هو مادة من بعده من الخارجين عن مذهب السلف
- ٢٥ التعريف التاسع بيان ان مذهب السلف هو الحق ، والانكار على من خالفه
- ٢٧ التعريف العاشر بيان المؤلف لاصطلاحه في شرحه هذا واعتماده على الاستدلال بالكتاب والسنة
- ٢٨ تفسير بسملة المتن ، ذكر الباء والاسم واشتقاقه ولغاته
- ٢٩ الاسم عين المسمى ام غيره ؟
- ٢٩ الكلام في لفظ الجلالة
- ٣٠ القائلون بالاشتقاق اختلفوا في ماخذه
- ٣١ الكلام في الرحمن الرحيم
- ٣٣ فوائد ، الاولى في بدء الكتب بالبسملة
- ٣٤ الثانية هل يبدأ بها كتاب كله شعر ؟
- ٣٤ الثالثة الخلاف في البسملة اوائل امن كل سورة هي ام لا ؟
- ٣٤ الرابعة في بعض فضائل البسملة
- ٣٥ الاسم الاعظم اهو البسملة ام الجلالة فقط ام غيرها ؟
- ٣٧ معنى الحمد والشكر والنسبة بينهما
- ٣٨ القديم من صفات الله تعالى وهل يقال انه من اسمائه ؟ وبيان الفرق ، ويبان ان اسماءه تعالى توقيفية
- ٣٨ اقسام القدم والفرق بين القديم والازلي
- ٣٩ الباقي من صفات الله تعالى وهل يقال انه من اسمائه ؟ وهل البقاء صفة نفسية او معنوية الخ
- ٣٩ قول المتن « مسبب الاسباب » وبيان معنى السبب
- ٤٠ لا يطلق على الله تعالى اسم او صفة الا بتوقيف فاما باب الاخبار فواسع
- ٤٠ لعة عن الاقدار والاجال
- ٤١ تفسير (هي عليم قادر موجود)
- ٤٢ الكلام في الوجود
- ٤٣ شرح (دلت على وجوده الحوادث) ومعنى الدلالة والدليل البرهاني والاقناعي
- ٤٣ البرهان الذي تضمنه المتن وايضاحه
- ٤٤ معنى الحكيم واثبات الحكمة الالهية

صفحة	
٤٦	الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وبيان معناها ورد ما اشتهر من تفسيرها بمطلق الرحمة
٤٩	معنى السلام ولزنه بالصلاة
٤٩	النبي والرسول والفرق بينهما
٥٠	تفسير الهدى
٥١	معنى الآل
٥٢	معنى الصحابي وتقسيم الصحبة الى ثلاث مراتب
٥٤	تنبهات ، الاول الجمع بين الآل والصحب
٥٤	الثاني عدد الصحابة
٥٤	الثالث حكم الصلاة على غير الانبياء
٥٥	قول المتن « وبعد » والكلام عليها وعلى أصلها « أما بعد »
٥٦	كل العلوم كالفرع للتوحيد
٥٧	معنى لفظ التوحيد وعلة كونه كالأصل لغيره
٥٨	الواجب والجائز والمحال
٥٨	التعريف بالارجوزة المتن وترتيبها
٦٠	الاعتقاد والعلم والظن والوهم
٦١	الامام احمد - نسبه وبيان مكانته
٦٢	معنى الرباني وبعض فضائل الامام
٦٤	الامام احمد امام أهل الاثر ومن ينسب اليه يقال له « اثرى »
٦٥	مذهبه هو مذهب السلف
٦٦	بيان كتابه في الرد على الجهمية والزنادقة
٦٧	كلام الاشعري في انكاره على المعتزلة والقدرية وانتسابه الى الامام احمد
٦٨	تاريخ مولد الامام ووفاته
٦٩	فوائد ، الاولى لا بد لكل طالب علم ان يتصوره ويعرف موضوعه وغايته
٧٠	حد هذا العلم وموضوعه وغايته
٧١	ثمرته ومسائله واستمهاده
٧١	الفائدة الثانية ، المقصود من ترتيب قواعد هذا العلم دفع شبه الخصوم لا اخذ العقائد الاسلامية منها
٧١	الثالثة اول بدعة ظهرت القدر والارجاء والتشيع والخوارج ثم الاعتزال
٧٢	الخلاف في الفاسق وبدء امر المعتزلة
٧٣	الرابعة أهل السنة والجماعة ثلاث فرق • والتعقب على هذا
٧٤	المقدمة في ترجيح مذهب السلف
٧٥	حديث الفراق الامة على بضع وسبعين فرقة
٧٦	تنبيهات ، الاول اصول البدع خمسة في خمس فرق كبرى (١)
٧٦	الفرقة الاولى المعتزلة تشتمل على عشرين فرقة
٧٧	(١) الواصلية (٢) العمرية (٣) الهذلية (٤) النظامية
٧٨	(٥) الاسوارية (٦) الاسكافية (٧) الجعفرية (٨) البشرية (٩) المرادية (١٠) الهشامية

٧٩	(١١) الصالحية (١٢) العائنية (١٣) الحدية (١٤) المعمرية (١٥) الثمامية (١٦) الخياطية (١٧) الجاحظية
٨٠	(١٨) الكمية (١٩) الجبائية (٢٠) الهاشمية
٨٠	الفرقة الثانية الشيعة افرقت الى اثنتين وعشرين ترجع الى ثلاث فرق غلاة وامامية وزيدية
٨٠	فرق الغلاة ثمان عشرة (١) السبائية
٨١	(٢) الكاملية (٣) البيانية (٤) القيرية (٥) الجناحية
٨٢	(٦) المنصورية (٧) الخطابية (٨) الزمنية (٩) الغرايبة (١٠) الهشامية (١١) الزرارية
٨٣	(١٢) اليونسية (١٣) النعمانية (١٤) الرزامية (١٥) المفوضة (١٦) البسدائية (١٧) النصيرية (١٨) الاسماعيلية
٨٥	واما الزيدية فتلاث فرق (١) الجارودية (٢) السليمانية (٣) البترية
٨٥	واما الامامية . . .
٨٦	الفرقة الثالثة الخوارج وهم عشرون فرقة ترجع الى سبع فرق
٨٧	(١) المحكمة (٢) البيهسية (٣) الازارقة (٤) النجدية (٥) الاصفرية
٨٨	(٦) الاباضية ، وهم حفصية ، ويزيدية ، وحارثية ، والقائلون بطاعة لا يراد بها الله .
٨٨	(٧) المعجاردة وهم ميمونية ، وحمزية ، وشعبية ، وحازمية ، وخلفية ، واطرافية ، ومعلومية ، ومجهولية ، وصلتية وتغالبة
٨٩	والتغالبة فرق اخنسية ، ومعيدية ، وشيبانية ، ومكرمية
٨٩	الفرقة الرابعة المرجئة وهم خمس فرق (١) اليونسية (٢) العبدية (٣) الفسانية (٤) الثوبانية (٥) التومنية
٩٠	(٦) النجارية (١) ، وتشعبوا الى البرغوثية ، والزعفرانية ، والمستدركة
٩٠	الفرقة الخامسة الجبرية ، منهم متوسطة ، وخالصة
٩١	الفرقة السادسة المشبهة ، وهم ثلاث ، مشبهة غلاة الشيعة ، ومشبهة الحشوية ، والكرامية
٩٢	التنبية الثانى كلام الغزالي ان فى رواية « كلها فى الجنة الا واحدة . ورد هذه الرواية
٩٣	مذهب اهل السنة فى النصوص وتحقيق انهم يفسرونها بمعانيها الواضحة لكن لا يتجاوزون ذلك الى ما لم يثبت
٩٤	الخلاف فى تفسير المائنة
٩٥	هل نصوص الصفات من المتشابهة ؟
٩٩	كلام يتعلق برحمته تعالى ومحبته ورضاه وغضبه وارادته
١٠٢	حال المؤلفين
١٠٢	اطلاق الذات فى شان الله سبحانه وكذلك اطلاق « شىء »
١٠٤	تنبيهات ، الاول لا خلاف فى انه تعالى متصف بالكمال منزه عن النقص ، ولكن ثم خلاف فى معنى الكمال والنقص
١٠٥	قصور الفكر عن الاستقلال ، وذكر الايمان بالمشابهة
١٠٦	ضرب عمر لصبيغ ونفيه والامر بهجره
١٠٧	التنبية الثانى ، مذهب الحنابلة مذهب السلف

- ١٠٨ ذم الخوض في الكلام
- ١١٠ اعتذار المؤلف وقوله إن الكلام الذي ألف فيه ليس هو المدموم
- ١١٢ (الباب الاول اول الواجبات معرفة الله)
- ١١٢ صفاته تعالى ومن اطلق انها قديمة ومن فصل
- ١١٣ اول نعم الله الدينية على المؤمن
- ١١٥ (الواحد) في صفة الله تعالى وتفسير اهل الحق له بخلاف ما يقوله اهل الكلام
- ١١٦ حقيقته تعالى غير معلومة في الدنيا وهل تعلم في الآخرة ؟
- ١١٦ طوائف المتحرفين وانهم اهل تخييل ، واهل تاويل واهل تجهيل
- ١١٧ تنبيه النزاع في صفات الله تعالى بين اثبات ونفي
- ١١٨ فصل في بحث اسمائه جل وعلا
- ١١٨ مذهب المعتزلة فيها ورده
- ١١٩ اسماءه تعالى ثابتة عظيمة ، وهي غير مخلوقة خلافا للمعتزلة
- ١١٩ الاسم عين المسمى ام غيره ؟
- ١٢٠ شبهة وحلها
- ١٢٣ تنبيهات ، الاول ما يجري صفة او خيرا عليه تعالى اقسام
- ١٢٤ الثاني ما يدخل في باب الاخبار عنه تعالى اوسع مما يدخل في باب الاسماء والصفات
- ١٢٤ الثالث الاسماء الحسنی اعلام واوصاف والوصف لا ينافي العلمية
- ١٢٤ اسماءه تعالى توقيفية
- ١٢٥ تنبيهات ، احدها اذا كانت الصفة منقسمة الى اكمال ونقص لم تدخل بمطلقها في اسمائه تعالى
- ١٢٦ الثاني اطلاق الاسم يجيز اطلاق المصدر والفعل
- ١٢٦ الثالث احصاء الاسماء الحسنی والعلم بها اصل العلم
- ١٢٧ الرابع اسماءه تعالى كلها حسنى والعاله كلها خير
- ١٢٧ الخامس اختلف في مراتب احصاء الاسماء الحسنی
- ١٢٨ السادس معنى الالحاد في اسمائه تعالى
- ١٢٨ فصل في بحث صفاته تعالى
- ١٢٨ التوحيد ثلاثة اقسام
- ١٣٠ الصفات الثبوتية
- ١٣٠ اطلاق ان كلام الله تعالى قديم والنظر في ذلك وتحقيق الحق
- ١٣١ الصفة الاولى الحياة
- ١٣٢ الثانية الكلام
- ١٣٤ كلامه تعالى صفة ذات وفعل
- ١٣٤ قول ابن كلاب ومن وافقه
- ١٣٥ قول طائفة ان كلامه تعالى حروف قديمة ، وقول بعضهم : واصوات قديمة ، وقول آخرين القديم المعنى فقط
- ١٣٦ هل يمكن وجود حروف بدون اصوات ؟
- ١٣٦ القائلون بقدوم الاصوات اختلفوا في المسموع من القارى
- ١٣٦ القائلون انه صفة فعل (فقط) قالوا انه مخلوق
- ١٣٦ قول الكرامية

صفحة	
١٣٧	مذهب السلف في الكلام
١٣٨	كلام الشيخ الموفق في تقرير مذهب السلف ورد ما اعترض به عليه
١٤٠	يتكلم الله تعالى بصوت
١٤١	من الاحاديث في اثبات الصوت
١٤١	رحلة جابر الى مصر او الشام لسماع حديث واحد
١٤١	احاديث في اثبات الحرف والصوت
١٤٣	الصفتان الثالثة والرابعة السمع والبصر ، وبيان انهما غير العلم
١٤٥	الصفة الخامسة الارادة
١٤٥	الصفة السادسة العلم
١٤٦	من الدليل على زيادة الصفات على ما يشبهه النفاة من ذات مجردة
١٤٦	فساد قول الفلاسفة : الواحد لا يكون مؤثرا وقابلا
١٤٧	منشا ضلال الفلاسفة والمعتزلة
١٤٨	ادلة عقلية على ثبوت صفة العلم لله تعالى
١٥٠	الصفة السابعة القدرة
١٥٠	الدليل على قدرته تعالى ايجاده الاشياء
١٥٢	السلف وجهور المسلمين الذين يشبون القدرة يقولون ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وان الله فاعل قادر مختار ، والله خالق فعله وقدرته ومشيبته
١٥٣	تعلق القدرة بالممكن دون الواجب والمستحيل
١٥٣	تنبيهان ، الاول ، قيل للقدرة تعلقان صلوحى وتنجزى
١٥٤	الثانى من طوائف الضلال القائلين بعدم شمول القدرة لجميع الممكنات ..
١٥٤	مذهب اهل الحق انه لا خالق غير الله خلافا للمعتزلة
١٥٥	متعلق الارادة
١٥٥	تنبيهان : الاول التعلقات التنجزية للقدرة والارادة مترتبة
١٥٦	الكلام في قدرة العبد على خلاف المعلوم لله ، وفي امر الله تعالى بما لا يريد ، وفي تأثير قدرة العبد
١٥٧	متعلق العلم والكلام ، واثبات عموم تعلق العلم سمعا وعقلا وانه واحد لا تعدد فيه
١٥٩	تنبيهات ، الاول جحد الفلاسفة علم الله تعالى بالجائيات وتفنيد قولهم
١٥٩	الثانى فرق المخالفين فى شمول العلم
١٦٠	الثالث معنى تعلق علمه تعالى بالمستحيل
١٦٠	الرابع لا معو فى علم الله تعالى ولا تغيير ، وانما المعو فى الصحف التى بيد الملكية واختلف فى اللوح المحفوظ
١٦٠	معنى الغلة
١٦١	متعلق السمع والبصر
١٦١	فصل فى مبحث القرآن العظيم وبيان اختلاف الناس فيه ومذهب السلف
١٦٢	مذهب الشافعى وفقهاء الامصار ان القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق ، وانه هذا الكتاب الذى انزله الله وامر بتلاوته وترتيبه واستماعه
١٦٤	فى قوله تعالى (منزل من ربك) دلالة على امور منها ابطال قول الجهمية
١٦٤	كان السلف يسمون من نفى الصفات وقال بخلق القرآن وان الله لا يرى فى الآخرة جهما
١٦٤	جهم هو الذى ابتدع هذه البدع

- صفحة
- ١٦٥ استأذنه الجعد بن درهم الذي ضحى به خالد القسرى
- ١٦٥ المعتزلة يوافقون جهما في شيء ويخالفونه في شيء
- ١٦٥ في قوله تعالى (منزل من ربك) ابطال قول من يجعل ليضا من العقل الفعال او غيره وابطال القول بخلق القرآن
- ١٦٥ موافقة الاشاعرة للمعتزلة ومخالفتهم لهم
- ١٦٥ الحاصل اتفاق الفرقتين على خلق القرآن الذي بين الدختين
- ١٦٦ منهم من قال الناس في الصفات مثبت وناف فلما القول باتحادها فخلافا للاجماع
- ١٦٦ قول الله تعالى « ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر » الآية ودلالاتها
- ١٦٦ دلالة القرآن على انه قرآن عربي منزل من الله لا من الهوا، ولا اللوح المحفوظ ولا جسم آخر ولا جبريل ولا محمد
- ١٦٧ تفرقة الكلاية بين كلام الله وكتابه
- ١٦٧ قوله تعالى (انا انزلناه في ليلة القدر) ودلالاتها
- ١٦٨ زعم بعضهم ان جبريل لم يسمع القرآن من الله تعالى وانما اخذه من الكتاب او القيت اليه معانيه فقط ، وابطال ذلك بوجوه
- ١٦٨ قول الكلاية القرآن معنى واحد . وبيان فساد قولهم بالضرورة
- ١٦٩ تكليم الله تعالى لموسى
- ١٧٠ اعجاز القرآن وتحدى الله للخلق بان ياتوا بسورة من مثله
- ١٧٠ تحديه لاهل الفصاحة والبلاغة واللسن
- ١٧٣ فواتد ، الاولى معنى التحدى
- ١٧٤ الثانية جهة اعجاز القرآن ، والرد على من قال بالصرفة
- ١٧٦ الثالثة القرآن معجز من عدة اوجه - وبيانها
- ١٧٧ الرابعة القرآن المعجزة العظمى
- ١٧٧ الخامسة مناسبة المعجزة للمصر الذي وقعت فيه
- ١٨٠ السادسة هل في بعض آية اعجاز ؟
- ١٨١ فصل في الصفات التي يثبتها السلفيون ويجردها غيرهم
- ١٨١ قوله (وليس ربنا بجوهر - الخ) وما اورد عليه
- ١٨٢ الكلام في الجوهر والجسم والعرض
- ١٨٢ وجوب التحرز عن اطلاق ما لم يطلقه الشرع اثباتا ونفيا
- ١٨٢ لا يجوز رد البدعة ببدعة
- ١٨٢ عادة اهل البدع اطلاق عبارات مقبولة الظاهر ويريدون بها معاني باطلة يفسرون الناس بذلك
- ١٨٣ ذكر بعض عباراتهم وكشف ما يعااولون بها مما يخالف الحق
- ١٨٨ كلام نفيس لشيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب
- ١٩٠ استواء الرب على عرشه وعلوه على خلقه وذكر الآيات المثبتة لذلك
- ١٩٠ واما الاحاديث فمنها قصة المعراج
- ١٩٢ ذكر الله استواءه على عرشه في سبعة مواضع من كتابه
- ١٩٣ قول الجهمية وتفنيد
- ١٩٤ للجهمية التكلمة هنا كلام والمجهمية المتفلسفة كلام ، والرد عليهم
- ١٩٥ اعلم الامة من الصحابة والتابعين والائمة هم اعظم الخلق اثباتا
- ١٩٥ فد اكثر العلماء من التصنيف في ثبوت الملوك والاستواء . وذكر بعض مؤلفاتهم

صفحة	وعباراتهم
١٩٧	الاشعري يثبت العلو الذاتي وذكر عبارته
١٩٨	والبافلاني ايضا
١٩٨	نفي استلزام القول بالاستواء والعلو للتجسيم
١٩٩	بعض عبارات السلف في الاستواء
٢٠٩	القول في الحد لله تعالى وتحقيق مذهب السلف
٢٠٦	تنبيهات ، الاول اكثر ما يخطئ الناس من جهة التاويل والقياس ، وتفسير ذلك وما يراد بالجهة والتحيز
٢٠٨	الثاني عبارة للدواني في مسألة الجهة
٢٠٩	لما رجع الاشعري عن الاعتزال انتسب الى الامام احمد
٢١٠	الثالث عبارة لعلماد الدين الواسطي في العلو والاستواء وكيف ألجم بين التنزيه والتصديق وبين البعد عن التمثيل والتعطيل
٢١١	العرش كرى ام لا ؟ وما يترتب على ذلك
٢١٢	الله تعالى محيط بالخلوقات احاطة تليق به
٢١٣	علم الخلق قاصر عن الاحاطة بالله تعالى
٢١٤	ما اخبرنا الله به من الغيب علمنا معنى ذلك وفهنا ما اريد منا فهمه
٢١٥	افترق الناس في هذا المقام ثلاث فرق
٢١٥	اثبات الصفات والرد على النفاة
٢١٦	اختلاف مثبتى الصفات
٢١٧	تنبيه ، الصفات عين الذات ام غيرها ؟
٢١٧	اسم (الغير) فيه اصطلاحان
٢١٨	السلف ينفون الغيرية باعتبار احد الاصطلاحين ويشبونها باعتبار الآخر
٢١٩	صفات الله غير زائدة على مسماه ولكنها زائدة على الذات المجردة التي يشبها النفاة (وانظر حاشية ص ٤٤١)
٢١٩	تعداد الصفات
٢١٩	التعقيب على قول المؤلف (من غير تاويل وغير فكر)
١٢١	الرحمة صفة الله تعالى ومعناها
٢٢١	المحبة والرضا والغضب
٢٢٢	للناس في هذا الاصل العظيم ثلاثة اقوال
٢٢٣	القول في بعض الصفات كالقول في بعض - ومحاجة النفاة
٢٢٤	الطريق الصحيح للاثبات تصديق الله ورسوله
٢٢٥	من المثبتين من يحيل على القياس او الكشف وفي كلا الطرفين اضطراب
٢٢٥	اثبات الوجه لله تبارك وتعالى
٢٢٦	قول المؤولين وبطلاله
٢٢٧	اعتراض وجوابه
٢٢٨	ذكر اليدين والاصابع بالنصوص من الكتاب والسنة
٢٣١	مذهب السلف ان المراد باليدين اثبات صفتين ذاتيتين
٢٣٢	قول البغوى في تفسير قوله تعالى (بيدي)
٢٣٢	قول الاشعرية والمعتزلة في تاويل اليدين ، وردة
٢٣٣	كلام المؤولين في قوله تعالى (والارض جميعا قبضته) وردة

	صفحة
الكلام فى حديث « كلنا يديه يمين »	٢٣٣
ليس فيما يضاف الى الله تعالى شمال	٢٣٤
قول ابن خزيمة : مذهبنا مذهب اهل الآثار ومتبعى السنن	٢٣٤
الكلام فى حديث « ان قلوب بنى آدم بين اصبعين من اصابع الله »	٢٣٦
قال شيخ الاسلام : اذا قال قائل ظاهر النصوص مراد او غير مراد ؟	٢٣٧
فمذهب السلف فى هذا ونظائره ان تقبلها ولا تناولها بتاويل المخالفين ولا نعملها على تشبيه المشبهين	٢٣٨
اثبات الصورة والعين	٢٣٨
لا يجوز ان يطلق على الله تعالى انه صورة	٢٣٨
امتنتعت المعتزلة ولاشعرية من ان يقال : لله تعالى عين	٢٤٠
قال اهل التاويل المراد من قوله تعالى (تجرى باعيننا)	٢٤٠
قول الاشعري « وان له تعالى عينين بلا كيف »	٢٤٠
لمعة عن الدجال وكلام نفيس لشيخ الاسلام	٢٤١
ذكر نزول الله تعالى الى السماء الدنيا	٢٤٢
قول الحافظ ابن حجر « قد اختلف فى معنى النزول الخ	٢٤٢
المشهور عن اصحاب الامام احمد انهم لا يتاولون الصفات التى من جنس الحركة	٢٤٣
كلام من كتاب عثمان بن سعيد الدارمى المسمى « نقض عثمان بن سعيد على المريسي الجهمى العنيد	٢٤٥
كلام لابن خزيمة فى اثبات النزول	٢٤٦
تنبيهات ، الاول ما يلزم من اثبات النزول يلزم من اثبات الحياة والسمع والبصر	٢٣٧
ليس فى العقل الصريح ولا فى النقل الصحيح ما يوجب مخالفة الطريقة السلفية	٢٤٧
التاويل الذى يعجل هذه النصوص بمنزلة تاويلات القرامطة والباطنية فى الحج والصوم والصلاة	٢٤٧
التنبيه الثانى قال اهل التاويل .. ورد كلامهم	٢٤٨
الثالثة نصوص لمشايع الحنابلة تتعلق بالنزول	٢٥٠
صفة الخلق اى التكوين	٢٥١
كلام لشيخ الاسلام فى مسألة حسن ارادة الله تعالى لخلق الخلق	٢٥١
الاستدلال على اثبات ان الخلق غير المخلوق	٢٥٢
بطلان قول القائلين بقدماء خمسة	٥
قول المؤلف (فسائر الصفات والافعال قديمة لله ذى الجلال) وتعقب ابن سحمان له	٢٥٧
كلام للغزالي فى الجام العوام ، فيه وفيه	٢٦٢
ذكر ما يستحيل فى حقه تعالى	٢٦٣
لم يصف الرب تعالى نفسه بشئ من النفى الا اذا تضمن ثبوت كمال	٢٦٣
فكل نقص قد تعالى الله عنه	٢٦٤
تنبيه الاقسام الممكنة فى آيات الصفات واحاديثها ستة ...	٢٦٥
فصل فى ايمان المقلد	٢٦٧
التقليد لغة وعرفا	٢٦٧
يحرم التقليد فى معرفة الله تعالى وفى التوحيد والرسالة ... ونحوها مما تواتر ...	٢٦٧
عند الامام احمد والاكثر	٢٦٨
الاستدلال على حرمة التقليد	٢٦٨

	صفحة
اجازة بعض العلماء التقليدي في اصول الدين	٢٦٨
المختار صحة ايما المقلد ، وما نقل عن الاشعري من عدم صحته فكذب عليه	٢٦٩
تبيينان ، الاول في التقليد ثلاثة اقوال بل اربعة	٢٧١
الثالث تحقيق ما نقل عن الاشعري من عدم صحة ايمان المقلد	٢٧٣
الثاني التقليد الصحيح محصل للمعلم ..	٢٧٢
الرابع اختلاف القائلين بهدم صحة ايمان المقلد	٢٧٥
(الباب الثاني في الالفعال المخلوقة)	٢٧٦
كل شيء غير ذات الله تعالى وصفاته واسماؤه مخلوق	٢٧٦
تقدير المقادير واول ما خلق الله تعالى	٢٧٧
اخبرت الكتب الالهية ان الله خلق السموات والارض في ستة ايام	٢٧٨
اول من عرف عنه القول بقدم العالم ارسطو	٢٧٨
صرح افلاطون بخلق العالم ، والفلاسفة فرق شتى	٢٧٩
وربنا يخلق باختيار من غير حاجة ولا اضطرار	٢٨٠
الكلام في الحكمة والتعليل	٢٨٠
قول نفاة التعليل (وهو التقدير الاول)	٢٨١
التقدير الثاني قول من يجعل العلة الغائية قديمة .. كما يقوله الفلاسفة ..	٢٨١
ابطال قول الفلاسفة	٢٨٢
التقدير الثالث انه سبحانه فعل المفعولات وامر بالمأمورات لحكمة ..	٢٨٢
بيان أن الثالث هو الحق قال الناظم (لكنه لا يخلق الخلق سدى)	٢٨٣
منشأ الخلاف بين المعتزلة وغيرهم في مسألة التحسين والتقييح	٢٨٤
تفصيل الخلاف وان من اثبت الحكمة والتعليل من اهل السنة له منهج غير منهج المعتزلة	٢٨٥
كلام طويل لابن القيم قال فيه « الكلام هنا في مقامين احدهما في التلازم»	٢٧٦
واما المقام الثاني وهو انتفاء اللازم وثبوته فللناس فيه ههنا ثلاث طرق ...	٢٨٧
الفرقة الثانية ..	٢٨٧
الفرقة الثالثة هم الوسط	٢٨٨
للناس في تفسير الظلم الذي حرمه الله على نفسه ... ثلاثة اقوال احدها	٢٨٨
التفسير الثاني	٢٨٩
مناظرة القاضي ايباس للقدرية	٢٨٩
التفسير الثالث	٢٩٠
افعالنا مخلوقة لله كسب لنا	٢٩١
تفسير الكسب	٢٩١
الرد على الجبرية	٢٩٢
ومن الفرق بين الكسب والخلق	٢٩٣
كل ما يفعل العباد من طاعة او ضدها مراد لربنا	٢٩٤
تعقب ابن سحمان وبيان ان الارادة في كتاب الله نوعان	٢٩٤
ذم المرء	٢٩٦
انقسام الناس في القدر الى الفراط وتفريط وتوسط	٢٩٧
فالمفراطون القدرية	٢٩٧
قولهم شر من قول الجبرية من بعض الوجوه	٢٩٩

- صفحة
- ٢٩٩ تنبيهات ، الاول اول من تكلم في القدر معيد الجهني
- ٣٠٠ الثاني القدرية فرقتان ، الاول تجدد سبق علم الله تعالى
- ٣٠١ الثانية المقرون بسبق علمه سبحانه
- ٣٠٢ التنبيه الثالث في بعض ما ورد في ذم القدرية
- ٣٠٦ واما المفرطون فالجبرية
- ٣٠٧ قابل القدرية قوم من العلماء والعباد ٠٠ وفرطوا حتى غلب بهم الامر الى الالحاد
- ٣١١ واما المتوسطون فهم اهل السنة ٠٠٠
- ٣١١ مذهب الاشعري ومن رافقه
- ٣١٢ مذهب سلف الامة
- ٣١٤ قول امام الحرمين
- ٣١٥ نص كلامه
- ٣١٧ تفرقة بين قوله وقول القدرية
- ٣١٨ حمل بعضهم كلام الاشعري على ما يوافق قول امام الحرمين
- ٣٢٠ قول الناظم : وجاز للمولى يعلب الورى من غير ما ذنب . والتعقيب عليه
- ٣٢٢ معانى المولى
- ٣٢٧ فضل البارى بالانابة وعدله بالتعذيب
- ٣٢٨ مذهب الاشاعرة والماقرية
- ٣٢٨ مذهب سلف الامة
- ٣٢٩ الكلام فى الصلاح والاصح
- ٣٣٠ لمذهب المعتزلة لوازم فاسدة
- ٣٣١ ترك الاشعري لمذهب المعتزلة
- ٣٣٢ القول بالصلاح والاصح مبنى على امرين الاول الحسن والقبح ، والثانى استلزام الامر للارادة .
- ٣٣٣ ما يشته السلفيون من الحكمة والتعليل لا تلزمه اللوازم الفاسدة
- ٣٣٤ انواع الهداية
- ٣٣٥ الهداية عند المعتزلة
- ٣٣٥ الضلال والمذون وهو نوعان
- ٣٣٧ التوفيق والغدلان
- ٣٣٨ العصمة واللفظ
- ٣٣٨ تنبيه قد يريد الله تعالى ما لا يحبه خلافا للمعتزلة
- ٣٣٨ قد تكون الارادة فى الخير وقد تكون فى غيره فاما الامر والرضا والحجة فى الخير فقط
- ٣٣٨ تقسيم الارادة الى كونية ودينية وكذا الامر
- ٣٣٩ مناقرة بين ابي اسحاق الاسفراني والقاضى عبد الجبار المعتزلى
- ٣٣٩ توجيه ارادة الله تعالى ما لا يحبه وبيان ان المراد اما مراد لنفسه واما مراد لغيره
- ٣٤٠ من الحكمة فى خلق ابليس
- ٣٤٠ منها اظهار القدرة على خلق التضادات
- ٣٤٠ ومنها ظهور آثار الاسماء القهرية والاسماء المتضمنة للحلم والنفو ونحو ذلك
- ٣٤٠ ومنها حصول العبودية المتنوعة ومنها عبودية الاستعاذة

	صفحة
اذا اراد الله تعالى ما يكرهه فانما ذلك لوجه حكمة فيه فهل يقال انه سبحانه يحبه ويرضاه من ذاك الوجه ؟	٣٤١
انقطاع نسبة الشر الى الله تعالى	٣٤٢
اسباب الخير ثلاثة	٣٤٢
قد يراد بالرزق ما ينتفع به وقد يراد به ما يملكه العبد	٣٤٣
الحرام ما منع منه شرعا لصفة في ذاته او خلل في تحصيله ، وهو داخل في الرزق خلافا للمعتزلة	٣٤٤
موت القتل بالقضاء والقدر	٣٤٥
معنى القضاء والقدر وقول الماتريدية والاشاعرة ونفى الجبر	٣٤٥
حديث : حج آدم موسى	٣٤٦
ظن طوائف في هذا الحديث ان آدم احتج بالقدر	٣٤٧
القدر عند السلف	٣٤٨
علم الله لا يتغير والمحو والانباء في صحف الملائكة وهل يقع في اللوح المحفوظ ؟	٣٤٨
اقوال الناس في اجل القتل وتحقيق انه يموت لاجله	٣٤٨
(الباب الثالث في الاحكام والايمان ومتعلقات ذلك)	٣٥٢
علة التكليف	٣٥٢
وجوب عبادة الله تعالى	٣٥٣
ما يتعلق بفطرة الله التي فطر الناس عليها	٣٥٣
اقسام الطاعة بحسب الوقوع	٣٥٦
فصل في الكلام على القضاء والقدر غير ما تقدم	٣٥٧
معاني القضاء	٣٥٧
بحث الرضا بالقضاء	٣٥٩
ليس الرضا والمحبة كالرجاء والخوف	٣٥٩
الرضا مؤكدا استحبابه وقيل واجب	٣٦٠
امقام هو ام حال ؟ والفرق بين هذين	٣٦٠
القضاء يراد به ثلاثة اشياء لكل منها حكمه	٣٦٢
يجب الرضا بالقضاء	٣٦١
فصل في الكلام على الذنوب ومتعلقاتها	٣٦٤
الخلاف في مرتكب الكبيرة	٣٦٤
معنى الاثم والعدوان عند الانفراد وعند الاقتران	٣٦٥
تعريف الكبيرة	٣٦٥
لا يكفر مرتكب الكبائر والاحتجاج على ذلك بالكتاب والسنة	٣٦٦
لا يخلد في النار موحد	٣٦٩
الكلام فيمن قتل مؤمنا متعمدا	٣٧٠
وجوب التوبة	٣٧١
اركان التوبة	٣٧٢
وجوبها بالشرع خلافا للمعتزلة	٣٧٢
قبول التوبة	٣٧٣
تنبيهات الاول في تكفير الحسنات للسيئات	٣٧٧
اما الكبائر فلا بد لها من التوبة ، والنظر في ذلك	٣٧٤

	صفحة
الحدود كفارات	٣٧٦
هل تحبب بعض الحسنات ببعض السيئات ؟	٣٧٧
تمة في سعة رحمة الله	٣٧٩
التنبه الثاني : الصحيح وجوب التوبة من الصفائر	٣٨٠
هل يبلغ العبد حالا لا تقبل فيها توبته	٣٨١
الكلام في آية (ان الله لا يفر أن يشرك به ويفر ما دون ذلك لمن يشاء)	٣٨١
التنبه الرابع تصح التوبة من ذنب مع الاصرار على غيره	٣٨٢
الاسلام يجب ما قبله وهل يشمل ذلك الذنوب التي لم يتب منها ؟	٣٨٤
التنبه الخامس ، التوبة من مظالم العباد وهل يشترط اعلام المظلوم بمظلمة لم يعلمها ؟ فيه تفصيل	٣٨٥
حال من مات ولم يتب	٣٨٧
النعمة اما مطلقة واما مقيدة	٣٨٨
تنبيهان الاول يقال لهذه المسألة مسألة وعيد الفساق الخ	٣٨٩
الثاني لا بد من نفوذ الوعيد في الجملة	٣٨٩
فصل في ذكر من قيل بعدم قبول اسلامه	٣٩٠
لمحة عن الدرود وغيرهم من الاسماعيلية	٣٩١
قول الغزالي يجب تكفير من يغير الظاهر بغير برهان قاطع الخ	٣٩٣
تحقيق شيخ الاسلام لمعنى كلمة « زنديق » وحكمه	٣٩٤
قوله جميع من بلغته الدعوة ثلاثة اصناف مؤمن وكافر ومنافق الخ	٣٩٥
حكم المبتدع الناعية ومن تكرر ارتكاده	٣٩٥
حكم الملحد ومن سب الله أو احد انبيائه	٣٩٦
حكم الساحر والساحرة	٣٩٧
بيان ان عدم قبول التوبة انما هو عندنا فلما ما عند الله تعالى فهم على نياتهم	٣٨٧
كلام ابن عقيل في مسألة قبول التوبة وعدمه	٣٩٧
كلام شيخ الاسلام	٣٩٨
شيخ الاسلام ومن نحا منحاه لا يمنعون قبول التوبة من احد	٤٠٠
تفسير الامام احمد ماروى ان الله احتجز التوبة عن صاحب بدعة	٤٠٠
اختيار المؤلف قبول توبة من ظهر صدقه	٤٠١
تنبيه . دخل في عموم ما ذكرنا الحلولية والاباحية الخ	٤٠٣
فصل في الكلام على الايمان والاسلام	٤٠٣
الايمان قول وقصد وعمل عند السلف	٤٠٣
اقوال المرجئة والكرامية والمعتزلة والفرق بينهم	٤٠٣
اقوال المرجئة والكرامية والمعتزلة والفرق بينهم	٤٠٥
ما يتعلق بدخول الاعمال في الايمان وبزيادته	٤٠٥
القلب هو الاصل فاذا كان فيه معرفة واردة ظهرت آثار ذلك على البدن حتما	٤٠٧
اذا لم يتكلم بالايمان مع قدرته دل على ذلك انه لا ايمان في قلبه	٤٠٨
قول شيخ الاسلام : فهؤلاء (يعنى الجهمية ومن وافقهم) غلطوا في اصلين	٤٠٩
فان قيل . . يلزم تكفير اهل الذنوب . . فالجواب . .	٤٣٠
ما روى عن ابن عباس أن القاتل لا توبة له ، والنظر في ذلك	٤١٠
مذهب اهل الحق أن الايمان يتفاضل فيزيد وينقص	٤١١

	صفحة
نطق القرآن بزيادة الايمان في عدة آيات	٤١٢
زيادة الايمان من اوجه احدها الاجمال والتفصيل فيما امروا به	٤١٣
الثانى الاجمال والتفصيل فيما وقع منهم	٤١٣
الثالث ان العلم وللتصديق يتفاوت	٤١٤
الرابع ان التصديق المستلزم لعمل انقلب اكمل من تصديق لا يستلزم	٤١٤
الخامس ان اعمال القلوب كالمحبة والخشية تتفاوت	٤١٥
السادس ان الاعمال الظاهرة من الايمان وهى تتفاوت	٤١٥
السابع الذكر بالقلب يتفاوت من حيث حضوره والغفلة عنه	٤١٥
الثامن قد يكذب الانسان امرا ثم يعلم ان الشرع ورد به فيؤمن به وهذه زيادة في الايمان	٤١٦
تقرير ابن عبد البر لمذهب السلف ان الايمان قول وعمل ونية يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية	٤١٦
حديث لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن	٤١٦
رده على المرجئة وغيرهم وقوله : الايمان مراتب الخ	٤١٧
نص الشافعى على مذهب السلف وانه اجماع	٤١٧
استشكال الفخر الرازى لذلك وجواب شيخ الاسلام وحل شبهة المخالفين	٤١٧
قول شيخ الاسلام : ومن العجب ان الاصل الذى اوقعهم الخ وذكر مناظرته لبعضهم	٤١٨
قول النووى ان التصديق يتفاوت	٤١٩
تنبيهات الاول قال جمهور الاشاعرة والماتريدية	٤٢٠
حاصل الخلاف وقول الكرامية	٤٢١
قول الجهمية	٤٢٢
اصناف المرجئة	٤٢٢
بيان خطأ المخالفين	٤٢٢
الايمان التام يستلزم العمل الظاهر بحسبه لا معاملة	٤٢٣
المرجئة كلهم يقولون الصلاة والزكاة ليست من الايمان والمعروف عنهم انها مسن الدين	٤٢٣
مناظرة الامام احمد للمرجئة	٤٢٤
ارجاء بعض الفقهاء	٤٢٥
انكار السلف قول المرجبة	٤٢٥
اول من تكلم فى الارجاء	٤٢٥
قول غلاة المرجئة	٤٢٥
الاقوال فى الايمان خمسة	٤٢٦
التنبيه الثانى الايمان والاسلام شئ ام شيان ؟	٤٢٦
البحث فى حال الاعراب الذى قالوا آمتنا	٤٢٦
الفرق بين الاسلام والايمان والدين	٤٢٨
سر حصر بناء الاسلام على الخمس	٤٢٨
قول ابنى طالب المكى مثل الاسلام من الايمان كممثل الشهادتين احدهما من الاخرى	٤٢٩
قول ابن رجب اذا افرد كل من الايمان والاسلام بالذكر فلا فرق بينهما ، وان قرنا كان بينهما فرق	٤٢٩
مسائل الايمان والاسلام والكفر والتفارق عظيمة	٤٣٠

- ٤٣٠ الدين واهله ثلاث طبقات
٤٣٠ التنبية الثالث هل القول بزيادة الايمان وتقصانه مبنى على ان الاعمال مه ام التصديق نفسه يتفاوت ؟
٤٣١ بحث الاستثناء ، قول انا مؤمن ان شاء الله
٤٣٢ للناس في ذلك ثلاثة اقوال
٤٣٣ من الناس من يستثنى في الكفر
٤٣٣ الاستثناء في الاعمال الصالحة
٤٣٤ ابو الفرج الشيرازى الذى نشر مذهب الامام احمد فى نابلس
٤٣٤ طائفة ينكرون ان يقال فى شىء « قطعاً »
٤٣٥ ماخذ السلف فى الاستثناء
٤٣٦ ماخذ ثان
٤٣٨ تنمة فى الاسلام ايزيد وينقص ويدخله الاستثناء ؟
٤٣٨ المفاضلة بين الايمان والاسلام
٤٣٩ تقرير مذهب السلف فى الايمان (ونقل مبسوط فى العاشية)
٤٣٩ لا يقال الايمان مخلوق ولا غير مخلوق
٤٤٦ تنمة فى الكرام الكاتبين
٤٤٧ المرء فى القرآن
٤٤٨ للعبد ملائكة يحفظونه وقول الله تعالى (له معقبات من بين يديه) الآية
٤٤٩ عدد الملائكة الموكلين بالانسان واحوالهم
٤٥٠ فوائد ، الاولى فيما يكتبه الملكان وهل للكافر حفظة ؟
٤٥١ تكتب حسنات الصبي لا المجنون
٤٥١ الذنوب وان غفرت تبقى ثابتة فى الصحيفة
٤٥١ الفائلة الثانية اذا رفع الملكان صحيفة بدنت وختمت بخير
٤٥٢ الثانية هل يكتب ابن المريض ، وما قيل فى كراهيته وعدمه
٤٥٢ الرابعة اذا مات الانسان بقى حافظاه على قبره

استدراك ما وقع في طبع الجزء الاول من شرح العقيدة السفارينية من
الخطأ :

صفحة	سفر	في المطبوع	الصواب
٢٣	١٣	الصائبة	الصواب
٢٧	بالحامش	اصلاح	اصطلاح
٣٧	١٠	باللسان	باللسان
٤٩	١٣	ان	ان
٥٠	١٦	لقائها	لقائلها
٥٧	٢٣	(١)	(٤)
٦٤	٣	عند الله	عبد الله (١)
٦٤	٣	(١ -	(٢ -
٦٤	٦	باصليه	باصليه
٦٤	١٢	اى انسان	اى اى انسان
٦٤	تعليق	(١) ليس	(كذا وقال غيره صنيه بنت ميمونة بنت عبد الملك (٢) ليس
٧٠	٢٣	يجوز	يجوز
٧٣	١	بن عطاء.	ابن عطاء.
٩٩	٣	سفيان	سفيان
١٠٥	هامش	عل	عن
١١٢	١٩	اذلا	ازلا
١١٦	(٤)	ذلك	ذلك (١)
١١٦	تعليق		راجع التعليق على ص ١١٢
١١٨	٢	اعلم	اعلم
١٢٠	٦	الجميع	الجميع
١٤٥	١٥	حادثة	حادثة
١٤٥	١٨	لكلام	الكلام
١٤٧	١٩	فان	ان
١٥٥	١٠	لزوم	لزوم
١٥٥	١٨	والنتخصيص	والتخصيص
١٥٩	٩	لمتزلة	المعتزلة
١٦١	١٠	منحدبا	متحدتا
١٦٢	١٢	نزلوا	نزلنا
١٦٢	١٧	اليه	اليك
١٦٥	١٤	اثبت	اثبتت
١٦٦	٢١	واعجمي	اعجمي
١٦٧	٩	وهذ	وهذا
١٧٤	١٦	الاسلال	الاسلام
١٧٥	١	للمادة	للمادة
١٧٧	١٧	المنعوت	المنعوت (٢)

الاصواب	سطر	صفحة
المتن (٢) لعملة المبعوث	المتن	١٧٧
قوله	فولد	١٨١
واني	وانه	١٩٧
عنه	عند	٢٠٠
تركبون	يركبون	٢٠٨
به	بعد	٢١٩
١	(١)	٢٢٧
الصحيحين	الصحيحين	٢٥٦
العادة	العادة	٢٩٢
شيء	سئ	٣٠٣
وفطرة	رفطرة	٢٣٢
الذنب والائتم	الذنب • والائتم	٣٦٨
التوحيد	اتوحيد	٣٧١
بالله	بالله	٤١٢
والذكر	واذكر	٤١٥
وهو	وهم	٤٣٨
الاسماء	الاسماء	٤٤٣
بكم	بكل	٤٤٨
	الاخير	

« ترجمة الشيخ محمد السفاريني الحنبلي مؤلف هذا الكتاب »

جاء في حرف الميم من كتاب سلك الدرر في اعيان القرن الثاني عشر ما نصه : هو محمد بن أحمد بن سالم بن سليمان السفاريني الشهرة والمولد النابلسي الحنبلي الشيخ الامام والحبر البحر التحرير الكامل الهمام الأواحد العلامة العالم العامل الفهامة صاحب التأليف الكثيرة والتصانيف الشهيرة أبو العون شمس الدين ولد بقرية سفارين من قرى نابلس سنة اربع عشرة ومائة وألف (١١١٤) ونشأ بها وتلا القرآن العظيم ثم رحل الى دمشق لطلب العلم فأخذ بها عن الاستاذ الشيخ عبد الغنى بن اسماعيل النابلسي وشيخ الاسلام الشمس محمد بن عبد الرحمن الغزى وأبي الفرج عبد الرحمن بن محيي الدين المجلد وأبي المجد مصطفى بن مصطفى السوارى والشهاب احمد بن علي الميمني وأخذ الفقه عن ابي التقى عبد القادر بن عمر التغلبى وأبي الفضائل عواد بن عبيد الله الكورى ومصطفى بن عبد الحق اللبدي وغيرهم وحصل لصاحب الترجمة في طلب العلم ملاحظات ربانية حتى حصل في الزمن اليسير ما لم يحصله غيره في الزمن الكثير ورجع الى بلده ثم توطن نابلس واشتهر بالفضل والذكاء ودرس وأفتى وأفاد وألف تأليف عديدة (فمن) تأليفه شرح ثلاثيات مسند الامام احمد في مجلد ضخم وقد طبع في دمشق عام ١٣٨٠ ، وشرح نونية الصرصى سماها معارج الانوار في سيرة النبي المختار في مجلدين ، وتجبير الوفاء في سيرة المصطفى ، وغذاء الالباب في شرح منظومة الآداب (وقد طبع بمطبعة النجاح بمصر عام ١٣٢٤) والبحور الزاخرة في علوم الآخرة ، وكشف اللثام في شرح عمدة الأحكام) ونتائج الأفكار في شرح حديث سيد الاستغفار ، والجواب المحرر في الكشف على حال الحضرة والاسكندر ، وعرف الزرنب في شرح السيدة زينب ، والقول العلي في شرح اثر أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ، وشرح منظومة الكبائر الواقعة في الاقناع ، ونظم الخصائص الواقعة فيه أيضا ، والدر المنظم في فضل شهر الله المحرم ، وقرع السياط في قمع أهل اللواط ، والمنح الغرامية في شرح منظومة ابن فرح الالامية ، والتحقيق في بطلان التلفيق ، ولواقح الأفكار السنوية في شرح منظومة الامام الحافظ أبي بكر بن داؤد الحائية مجلد ، وتحفة النساك في فضل السواك ، والدرة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية وشرحها المسمى بسواطع الآثار الاثرية شرح منظومتنا المسماة بالدرة المضية (وقد طبع في عام ١٣٢٣ والآن طبع للمرة الثانية عام ١٣٨٠) وتفاضل العمال بشرح حديث فضائل الأعمال ، والدر المصنوعات في الأحاديث الموضوعات ، ورسالة في بيان الثلاث والسبعين فرقة والكلام عليها ، واللمعة في فضائل الجمعة ، والأجوبة النجدية على الأسئلة النجدية ، والأجوبة الوهبية عن الأسئلة الزعمية ، وشرح على دليل الطالب لم يكمل وتعزية اللبيب بأحب حبيب ، وغير ذلك وأما الفتاوى التي كتب عليها الكراس والاقبل فكثيرة ولو جمعت لبلغت مجلدات (وله) رحمه الله تعالى من الأشعار في المراسلات والغزليات والوعظيات والمرثيات شيء كثير وبالجملة فقد كان غرة عصره وشامة مصره لم يظهر في بلده بعده مثله وكان يسعى للملمات ويقصد لتفريغ المهمات ذا رأى صائب وفهم ثاقب جسور على ردع الظالمين وزجر المفتريين اذا رأى منكرا أخذته رعدة وعلا صوته من شدة الحدة واذا سكن غيظه وبرد قيظه يقطر رقة ولطافة وحلاوة وظرافة وله

تقرير صاحب المنار

من مجلة المنار المجلد العاشر الجزء الثاني صفر سنة ١٣٢٥

١٣ ابريل سنة ١٩٠٧ صحيفة ١٤٥

شرح عقيدة السفاريني

للشيخ محمد بن احمد السفاريني الاثري الحنبلي (رحمه الله تعالى)
عقيدة منظومة اسمها « الدررة المضية في عقد الفرقة المرضية » بلغنى أن
الشيخ حسنا الطويل (عليه الرحمة) قال لما اطلع عليها ما معناه أن هذه
اول عقيدة اسلامية اطلعت عليها . ولناظرها شرح مطول عليها سماه «لوائح
الانوار الالهية وسواطع الاسرار الأثرية » جمع فيه المؤلف أقوال السلف
والخلف ومذاهب الفرق في مسائل الاعتقاد وبين رجحان مذهب السلف
على غيره مؤيدا ذلك بالدلائل النقلية وكذا العقلية فيما يستدل على مثله
بالعقل واقتبس جل تحقيقاته فيه من كلام الامامين الجليلين شيخ الاسلام
ابن تيمية وتلميذه المحقق ابن القيم عليهما الرحمة والرضوان . فچاء
كتابا حافل الرأي ، جامعا لما لم يجمعه غيره من المآثور والمروي ، كثير
الفوائد ، جم الأوابد والشوارد ، لا يكاد يستغنى عنه طالب السعة والتحقيق
في العقائد الاسلامية ، أو يحيط بما في كتب ابن تيمية وابن قيم الجوزية .
نعم انه ينكر عليه كثرة الروايات والاقوال المآثورة في اشرط الساعة
ونحوها من المسائل التي ليست من العقائد الدينية ومنها ما لا يصح له سند
ولكن من يعلم أنه لا يجب عليه أن يعتقد ما لا يقوم عليه البرهان لا يضره
ايراد ذلك وقد ينفعه الاطلاع على تلك الاقوال فيستخرج من مجموعها ما يحق
الحق ويطل الباطل .

وجملة القول أن هذا الكتاب لا يستغنى عنه بشيء من كتب العقائد
التي يتداولها طلاب العلم وكلها من وضع المتكلمين الذين جروا على طريقة
فلاسفة اليونان ، ليس فيها بيان لمذهب السلف يجلي حقيقته . ويوضح
طريقته ، بل فيها ما يشعر بأن مذهب السلف هو التمسك بالظواهر من
غير فهم ثاقب ، ولا علم دراسي ، وان الخلف أعلم منهم وهيئات هيئات لذلك بل
السلف أفهم وأعلم وأحكم وما خالف المتكلمون فيه السلف فهو جهل مبین
أو نزغات شياطين وبمثل هذا الكتاب تعرف ذلك .

رغب في نشر هذا الكتاب بعض مجيبي العلم والدين من العرب الكرام
المخلصين الشيخ مقبل بن عبد الرحمن الذكير من تجار نجد رحمه الله آمين
فأرسل الينا نسخة خطية منه فطبعنا له عنها عددا معيننا جعله وقفا لله تعالى
يوزع على طلاب العلم السلفيين في بلاد مختلفة وطبعنا منه على نفقتنا طائفة
من النسخ زيادة عن النسخ الموقوفة بأذن الطابع الواقف وهي تباع بمكتبة
المنار بشارع درب الجماميز بثمن قليل بالنسبة لحجم الكتاب وحسن ورقه
وطبعه .

جعل الكتاب جزءين صفحات الاول ٣٨٨ والثاني ٤٤٨ ووضعنا له فهرسا
مرتبنا على حروف المعجم لتسهيل مراجعة فوائده الكثيرة العلوية في مباحثه
المختلفة وجدولا للخطأ والصواب فدخل ذلك مع ترجمة المؤلف في ٢٨ صفحة
فمجموع صفحات الكتاب ٨٦٤ ورقة كورق المنار وثمن النسخة منه غير
مجلة عشرون قرشا صحيحا ماعدا اجرة البريد

صاحب مجلة المنار الاسلامية بمصر

السيد محمد رشيد رضا

الباع الطويل في علم التاريخ وحفظ وقائع الملوك والامراء والعلماء والادباء
وما وقع في الازمان السالفة وكان يحفظ من اشعار العرب العرباء والمولدين
شيئا كثيرا وله شعر لطيف منه قوله :

خشف بليل معتكر
كالضمير المستتر

من الى بان انظر الى
واضحه من غير شف

وقوله :

والنفس أمست في بلا
والقلب في الشجوى غلا
شكواه لا حول ولا

الصبر عيل من القلا
والجفن جف من البكاء
وشكا اللسان فقال في

وقوله :

صحيح فان كنتم كما تزعموا زوروا
والا فدعوى حبكم كلها زور

أحبه قلبي تزعموا ان حبكم
واحيوا فتى فت الغرام فواده

وله غير ذلك من الاشعار والنظام والنتار مما هو مشهور في ايدي الناس
وكانت وفاته في شوال سنة ثمان وثمانين ومائة وألف بنا بلس ودفن بتربتها
الشمالية رحمه الله تعالى آمين . انتهى بحروفه من تاريخ سلك الدرر في
ايعان القرن الثاني عشر في حرف الميم جزاه الله خيرا آمين .

وفي كتاب السحب الوايلة على ضرائح الحنابلة تأليف الشيخ محمد بن
حميد مفتي الحنابلة سابقا بمكة المشرفة قال : محمد بن احمد بن سالم
ابن سليمان السفاريني أبو العون شمس الدين العلامة الفهامة المسند
الحافظ المتقن نقلت من خط شيخ مشايخي الشيخ محمد بن سلوم مانصه
(ولد) سنة ١١١٤ بقرية سفارين فقرأ القرآن صغيرا وحفظه وأتقنه ثم
قدم دمشق فقرأ العلم في الجامع الاموي على مشايخ فضلاء وائمة نبلاء
ما بين مكين ومدنين وشاميين ومصريين ذكرهم في اجازته الكبرى للسيد
محمد مرتضى فمنهم في الحديث والفقه والفرائض والاصلين العلامة خاتمة
المحققين شيخ المذهب في عصره ومصره الشيخ عبد القادر التغلبي والشيخ
مصطفى بن الشيخ عبد الحق اللبدي والشيخ عواد بن عبيد الكوري والشيخ
طه بن احمد اللبدي والشيخ مصطفى بن الشيخ يوسف الكرمي والشيخ
عبد الرحيم البكري والمعمر السيد هاشم الحنيليوني ، وفي أنواع الفنون
للعلمة الفهامة الشيخ عبد الغني النابلسي صاحب البديعات المشهورة
والتأليف الجليلة والعلامة الشيخ احمد الميني وشيخ الطريقة السيد
مصطفى البكري والعلامة حامد افندي مفتي الشام والحافظ محمد حياة
السندي ثم المدني والمعمر الشيخ عبد الرحمن المجلة الحنفي والملا الياس
الكردي والعلامة اسماعيل جراح العجلوني والعلامة الشيخ احمد المغربي
مفتي الشافعية وقريه الشيخ محمد المغربي الذي تولى الافتاء بعده والشيخ
عبد الله البصري والشيخ سلطان المحاسني خطيب الجامع الاموي وغيرهم
وأجازوه باجازات مطولة ومختصرة وبرع في فنون العلم وجمع بين الامامة
والفقه والديانة والصيانة وفنون العلم والصدق وحسن السمات والخلق
والتعبد وطول الصمت عما لا يعني وكان محمود السيرة نافذ الكلمة رفيع
المنزلة عند الخاص والعام سخي النفس كريما بما يملك مهاجا معظما عليه

أنوار العلم بادية وصنف تصانيف جلييلة في كل فن فمنها العقيدة الفريدة وشرحها الحافل العظيم الفوائد الجم العوائد مجلد ضخم ، شرح فضائل الاعمال للضياء المقدسي ، نفثات الصدر المكمد بشرح ثلاثيات المسند وعددها ٣٦٣ مجلدان ، شرح عمدة الاحكام مجلدان ، شرح نونية الصرصرى فى السيرة مجلدان ، الملح الغرامية شرح منظومة ابن فرح الالامية ، شرح الدليل فى الفقه وصل فيه الى الحدود ، والبحور الزاخرة فى علوم الآخرة مجلدان ، أودع فيه من غرائب الفوائد ما لا يوجد فى كتاب ، درارى الذخائر شرح منظومة الكبائر ، تنجز الوفاء فى سيرة المصطفى ، غذاء الالباب فى شرح منظومة الآداب مجلدان أودع فيه من غرائب الفوائد ما لا يوجد فى كتاب ، قرع السياط فى قمع أهل اللواط ، الجواب المحرر فى كشف حال الخضر والاسكندر ، تحفة النسك فى فضل السماك ، التحقيق فى بطلان التلغيق رد بها جواز التلغيق فى العبادات وغيرها للشيخ مرعى ، الدر المنثور فى فضائل يوم عاشوراء المأثور ، اللهعة فى فضل يوم الجمعة ، القول العلى شرح أثر سيدنا على ، نتائج الافكار شرح حديث سيد الاستغفار أودع فيه غرائب نحو سبع كراريس ، رسالة فى بيان تارك الصلاة ، رسالة فى ذم الوسواس ، رسالة فى شرح حديث الايمان بضع وسبعون شعبة ، رسالة فى فضل الفقير الصابر ، منتخب الزهد للامام احمد حذف منه المكرر والاسانيد ، تعزية اللبيب ، قصيدة فى الخصائص النبوية ، وغير ذلك من التحريرات والفتاوى الحديثة والفقهية والاجوبة على المسائل العديدة ، والتراجم لبعض أصحاب المذهب وبالجملة فتأليفه نافعة مفيدة مقبولة سارت بها الركبان وانتشرت فى البلدان كان اماما متقنا جليل القدر وظهرت له كرامات عظيمة وكان حسن التقرير والتحرير لطيف الاشارة بليغ العبارة حسن الجمع والتأليف لطيف الترتيب والترصيف زينة أهل عصره ونفاوة أهل مصره صواما قواما ورده كل ليلة ستون ركعة وكان متين الديانة لا تأخذه فى الله لومة لائم محبا للسلف وآثارهم بحيث انه اذا ذكرهم أو ذكروا عنده لم يملك عينه من البكاء وتخرج به وانتفع خلق كثير من النجدين والشاميين وغيرهم وكانت وفاته عام ١١٨٨ أو عام ١١٨٩ انتهى .

قال فى سلك الدرر توفى بنابلس ودفن بتربتها الشمالية ثم قال وبالجملة فقد كان غرة عصره وشامة مصره لم يظهر بعده مثله فى بلاده الخ ما تقدم وذكره تلميذه الكمال محمد العامرى العربى فى كتابه الورد الأنسى بترجمة الشيخ عبد الغنى النابلسى قال وقد ترجمته فى معجمى المسمى باتحاف ذوى الرسوخ وفى طبقات الحنابلة المسمى بالنعى الاكمل فى تراجم أصحاب الامام أحمد بن حنبل ترجمة طويلة . قلت أخبرنى بعض العلماء الصلحاء النابلسيين انه لما أراد الرحلة الى دمشق اتى به والده الى الشيخ زيد المشهور فى بلاد نابلس المنتسب الى الشيخ عبد القادر الجيلانى ليدعو له وكان معتقدا فى تلك الجهات فلما أخبراه بمطلوبهما ودعا له وأوصاه وقال له اذا وصلت دمشق تجد فى الجامع الاموى على يمينك من الباب الفلانى شخصا صفته كيت وكيت قبله منى السلام وقل له يقول لك آخوك زيد ادع لى فحين وصل رأى الشخص وعرفه بالصفة وقال ما وصاه به الشيخ فقال الشخص زيد لاحقنى بتوصياته فى كل بلد احبها - ودعا له كثيرا وبشره بالفتوح العظيمة . ومما ذكره المترجم فى اجازته للسيد

محمد مرتضى ان شيخه الشيخ سلطان المحاسنى وشى اليه بعض الوشاة بانى
سئلت من افضل الشيخ المحاسنى او الشيخ المنينى فرعم الأواشى انى فضلت
المنينى عليه فكتب لى بهذه الابيات :

وتحط قدرا من أولى المقدار
ينشئ القريض بدقة الانظار
كى ترتقى درج العلا بفخار
لا زلت تكشف مشكل الاخبار

لا تزدري العلماء بالأشعار
أنظن سفارين تخرج عالما
هلا أخذت على الشيوخ ناديا
واللين منك لاح فى مرءاته

فاجبته بقول :

مشى القريض ومسند الاخبار
ياذا الحجا يا عالى المقدار
أزرى بأهل الفضل والآثار
يصغى لقبول مفسد مكار
فقبلته من غير ما انكار
جن الظلام بكى من الاكدار
للناس بالتحقير والاصغار
ذا فطنة بنتائج الاكدار
شرع النبى المصطفى المختار
تنشى القريض بهيبة ووقار
صدح الحمام ونفحة العزاز

قل للامام مذهب الاشعار
تفديك نفسى يا اديب زماننا
من قال عنى يا هممام بانى
عجبا لمن اضحى فريدا فى الورى
مقصوده وشى الحديث ووضعه
وغدوت مفتخرا على صب اذا
ورشقته بسهام نظم مزدر
هب ان سفارين لم تخرج فنى
ايباح عجب المرء يا مولاي فى
لا زلت فى أوج المكارم راقيا
ما حرك الشوق التليد صبابة

فجاء واعتذر وظن انى لم اقبل عذره وجاء يوما بابنه وقال له قم قبل
يد عمك يسمح لأبيك عما بدر منه فقلت أنا أرجو منك السماح فقال
سبحان الله قد استجزت علماء الشام واهملتنى مع مزيد الصحة فطلبت
منه اجازة فاحتفل فى اجازة مطولة فاخترته المنية قبل وصولها الينا رحمة
الله تعالى ورضى عنه آمين .

تقريظ الكتاب

قال الشيخ محمد بن قاسم المشهور بالقصبي مادحا لهذا الشرح المسمى بلوامع الانوار البهية للامام المحقق الشيخ محمد بن احمد السفاريني الاثرى الحنبلي ما نصه قال :

يا من يريد سلوك نهج المصطفى
ان كنت تطلب للسلامة منهجا
كن في امورك كلها مستمسكا
وصن اعتقادك واعتمد ما قد حوى
فيه يزول الشك عن سبيل الهدى
من يعتقده مسلما لنصوصه
فقد اهتدى سبيل السلام حقيقة
قد فاق كل مصنف في فنه
أضحت مناهله لنا لما صفت
فلك يدور وقطبه ما جاء من
من لا يدين بما عليه قد انطوى

ومن اقتفاه من الطراز الاول
وتكون لست من الغواة الضلل
بالوحي لا بزخارف المتقول
هذا الكتاب وعنه لا تتحول
وهو الشفاء لكل داء معضل
من غير تحريف وغير تناول
ويفوز في عقباه بالفخر الجلي
فنظيره أبدا اذا لم يحصل
أحلى وأعذب من رحيق السلسل
رب السماء الى النبي المرسل
أضحى عن الحق المبين بمعزل

أقول أنا محمد بن حسين نصيف من أهالي جدة الحجاز لما اشتريت كتاب
غذاء الألباب منظومة الآداب للسفاريني من الاستاذ الشيخ عبد الفتاح
الحجاوي النابلسي من علمائها لما جاء حاجا في عام ١٣٢٥ هـ جرى ذكر
المؤلف السفاريني وأنه كان صادعا بالحق قال ومما يذكر من شجاعته انه
قال لأمير نابلس في عصره لما تولى بعد أبيه وجاء أهل العلم لتنهئته بالامارة
وطلبوا منه الغناء الضرائب الزائدة عن الزكاة الشرعية فان المزارعين جائعين
لا يشبعون من غلة أراضيهم من الضرائب الفاحشة فقال الامير لا أغير
شيئا مما كان في عهد والدي المرحوم فقال له الشيخ السفاريني ومن ادراك
انه مرحوم ؟ زل الضرائب والناس يدعون لك وله ، فالامير شكك للشيخ
حاجة الدولة للمال الكثير وأزال كثيرا من الضرائب وأخذ منه كتابة بازالة
الضرائب الفاحشة ودعوا له بالتوفيق .

جدة الحجاز - محمد نصيف



لوامع الانوار البهية وسواطع الاسرار الاترية

لشرح

الدرة المنصية في عقد الفرقة المرضية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا

ترجمہ: اے اللہ! تو مجھے علم عطا فرما

پہلے

ترجمہ: اے اللہ! تو مجھے علم عطا فرما

جميع الحقوق محفوظة للناشر

الطبعة الثانية

١٤٠٢ ب. هـ - ١٩٨٢ ب. م

منشورات

مؤسسة الخافقين ومكاتبها

محمد مفيد الخيمي

دمشق - طريق الجامعة - هاتف ١١٥٣٧٦

ص. ب : ١١١٢٢

بسم الله الرحمن الرحيم
وقل رب زدني علماً

إِنَّ اللَّهَ مُحَمَّدٌ، وَنَسْتَعِينَهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ سُورِ وَأَنْفُسِنَا وَمِنْ
سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مِنْ عَجْدِ اللَّهِ فَلَا مَنَئِلَ لَهَا، وَمِنْ رَيْبِهَا فَلَا هَاوِيَ
لَهَا، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ
وَرَسُولُهُ . وبعد :

إِنَّ كِتَابَ لَوَاعِظِ الْخَوَالِقِ الْبَهِيَّةِ وَكَوَالِغِ الْأَسْرَارِ لِلْأَثَرِيَّةِ السُّرُوحِ الدَّرَجَاتِ
وَالْمُنْتَهِيَةِ فِي عَقْدِ الْفَرْقَةِ الْمُرَضِيَّةِ مَوْلَفِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ السَّفَارِيِّ
لِلْأَثَرِيِّ الْكُنْبَائِيِّ السَّابِقِ مِنْ أَجْلِ الْكُنْبِ الْبَقِيَّةِ أَطْلَعْتُ عَلَيْهَا، وَهُوَ عَزِيمٌ
وَالْفَائِدَةُ جَمِيلٌ وَالنَّفْعُ فَظَمٌ فِيهِ مَوْلَفُهَا أَمَامَ مَسَائِلِ عَقَائِدِ الْأَهْلِ
وَالْفُقَرَاءِ مِنَ السَّافِرِ الْأَصْحَابِ الرَّضِيَّةِ وَاللَّهِ عَنْهُمْ فَطَانَتْ مَنِينٌ وَصِنْفَةٌ عَشْرٌ
بَيْتًا فَقَالَ :

فَنظِمْتُ أَمَامَ مَسَائِلِ عَقَائِدِ السَّافِرِ فِي سَمَطِ عَقْدِ أَبِيهِ مِنَ اللَّهِ إِلَى الْإِثْمَةِ
وَسَمِيَّتِهَا الدَّرَجَةُ الْمُنْتَهِيَّةُ فِي عَقْدِ الْأَهْلِ الْفَرْقَةِ الْمُرَضِيَّةِ .
تَمَّ شَرْحُهَا شَرْحًا سَفَاةً بِالسُّورِ مِنْ كُلِّ زَيْغٍ وَرَيْبٍ، وَأَبْرَى بِهِ الْعُقُولَ
مِنْ كُلِّ بَرَعَةٍ وَجَمَلَلَتِهَا، وَصَوَّغَ بِهَا أَهْلَ الشُّرَاكِ مِنَ الْمُقْبُوضَاتِ وَالْمُبْتَدِعَاتِ
فَطَانَ الْكُنْبَائِيُّ سَفَاءً لِمَا فِي السُّورِ، وَصَلَّحًا لِمَا فِي الْقُلُوبِ .
وَلَا تَنْوِيسَةُ الْخَافِقِينَ وَمُنْتَهِيَةُ الْفَرْقَةِ فَتَجْعَلُ هَذَا الْكُنْبَائِيَّ فِي عِبَادِ مَنْسُورَاتِهَا
وَهِيَ تَوْجِيهٌُ إِلَى اللَّهِ الْعَلِيِّ الْقَدِيرِ بِالرَّحْمَاءِ أَلَمْ يَجْعَلْ نَسْمَهُ هَذَا الْكُنْبَائِيَّ مِنْ
الرَّحْمَةِ الَّذِي يَنْقَعُ بِهَا .
وَاللَّهُ مِنْ ذُرَى الْعَقَدِ، وَهُوَ هَاوِيٌ إِلَى سُورِ السَّبِيلِ، وَالْفَرْقَةُ وَاللَّهُ لِيَكُونَ الْعَالِمِينَ .

الناشر

محمد مفيد بن عترة النخعي

الرياض ١٤٢٩ / ٤ / ٢٩ هـ

٩

كتاب

لؤلؤ الأضواء البهية وسواطع الأسرار الأثرية

لشرح

الدرة المضية في عقد الفرق المرضية



تأليف

العالم الطويل الباع الواسع الاطلاع صاحب البهان الجملى
الشيخ محمد بن احمد السفاريني الاثرى الحنبلى

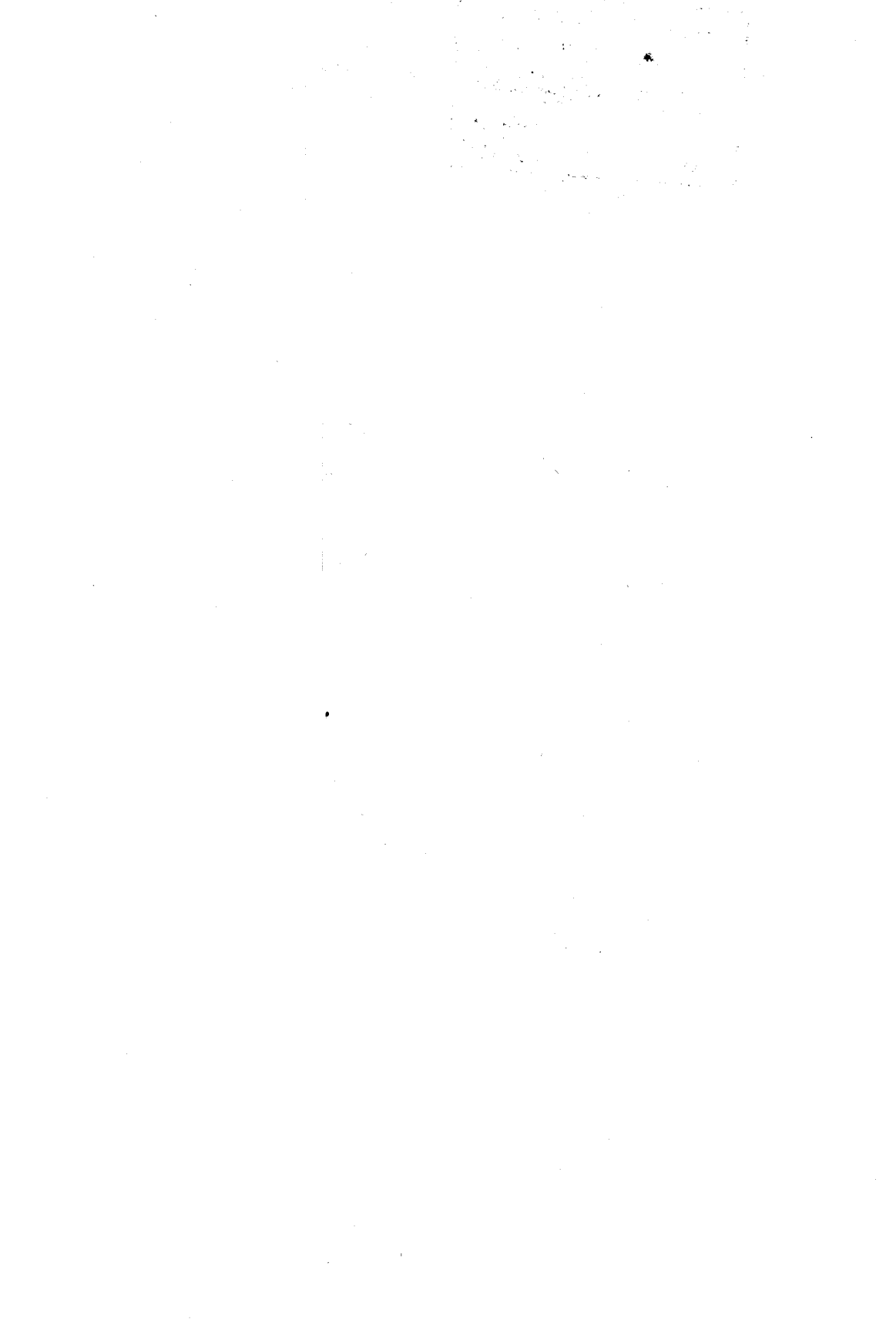
رحمه الله تعالى



الجزء الثانى

أضرت تعليقات هذا الكتاب من التعليقات التى علو بها على النسخة المخطوطة
مضى الديار البغوية الشيخ عبدالله بن عبد الرحمن أبا بطين التوفى عام ١٢٨٢ هجرية
والشيخ سليمان بن سمان وغيرهما من أهل العلم ..





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الباب الرابع

الباب الرابع في بعض السمعيات

((في ذكر بعض السمعيات من ذكر البرزخ والقبور

وأشرطة الساعة والحشر والنشور))

المراد بها
ما طريق العلم
به النصوص
الشرعية

اعلم ان المراد بالسمعيات ما كان طريق العلم به السمع الوارد في الكتاب أو السنة والآثار مما ليس للعقل فيه مجال ، ويقابله ما يثبت بالعقل وان وافق (١) النقل، فما كان طريق العلم به العقل يسمى العقليات والنظريات ولهذا يقال لعلماء هذا الشأن النظار ، وقد اشار الى ذكر المقصود من ذلك بقوله :

((وكل ما صح من الأخبار أو جاء في التنزيل والآثار

((من فتنه البرزخ والقبور وما أتى في ذا من الأمور))

((وكل ما)) أي حكم من الاحكام أو خبر عن خير الأنام صلى الله عليه وسلم ولهذا قال ((صح من الاخبار)) أي ثبت من الاخبار النبوية وقدمه لمزيد الاهتمام به ولثلا يظن ظان ان ما لم يثبت في التنزيل ليس عليه مزيد تعويل ((أو جاء في التنزيل)) أي القرآن المنزل على النبي المرسل صلى الله عليه وسلم ((و)) كل ما صح في ((الآثار)) السلفية عن الصحابة الكرام مما ليس للعقل فيه مرام فانه يشعر بأنهم انما تلقوه عن النبي صلى الله عليه وسلم ((من فتنه)) الفتنه الامتحان والاختبار قال في القاموس الفتنه بالكسر الخبرة والفتانان الدرهم والدينار ومنكر ونكير والفتانان الشيطان لانه يفتن الناس عن الدين وفتان من أبنية المبالغة من الفتنه وفي حديث الكسوف : وانكم تفتنون في القبور : يريد مسألة منكر ونكير وقد كثرت الاحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم باستعاذته من فتنه القبر

تفسير الفتنه

وفتنة الدجال وفتنة المحيا والممات وغير ذلك ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم « فبى تفتنون وعنى تسألون » اى تمتحنون بى فى قبوركم ويتعرف (١) ايمانكم بنبوتى « البرزخ » قال فى القاموس البرزخ الحاجز بين الشيئين ومن وقت الموت الى القيامة من مات دخله • وفى النهاية البرزخ ما بين كل شيئين من حاجز ومنه حديث عبدالله وسئل عن الرجل يجد الوسوسة فقال تلك برازخ الايمان - يريد ما بين اوله وآخره فأولها الايمان بالله ورسوله وأدناها اماطة الاذى عن الطريق ، وقيل اراد ما بين اليقين والشك • والبرازخ جمع برزخ وفى الآية الكريمة (بينهما برزخ لا يبغيان) اى حاجز يمنعهما من ان يختلط احدهما بالآخر ووجه تسمية ما هنا برزخا لكونه يحجز بين الدنيا والآخرة « و » فتنة « القبور » جمع قبر وهو من عطف الخاص على العام لأن احوال البرزخ تشتمل على ذلك فالقبور جمع قبر جمع كثرة وجمعه أقبر فى القلة ويقال لمدفن الموتى مقبر قال الشاعر :

معنى البرزخ

القبر واول من
سنه

لكل أناس مقبر فى فنائهم فهم يتقصون والقبور تزيد والمقبرة موضع دفن الموتى وتضم باؤها وتفتح • قال القرطبي اختلف فى أول من سن القبر فقيل الغراب لما قتل قابيل هايل وقيل ان قابيل كان يعلم الدفن ولكن ترك أخاه استخفافا به فبعث الله الغراب ليلسح فى الارض يعنى التراب على هايل ليدفنه - كذا فى التذكرة فقال عند ذلك (يا ويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأوارى سواة أخى فاصبح من النادمين) حيث رأى كرامة الله لهايل بأن قبض الله الغراب حتى واره ولم يكن ذلك ندم توبة • وقيل كان ندمه على عدم معرفة الدفن ولذا قال ابن عباس رضى الله عنهما لو كان ندمه على قتله لكان ندمه توبة • وقيل انه لما قتله قعد يبكى على رأسه فأقبل غرابان فاقتلا فقتل أحدهما الآخر ثم حفر له حفرة فدفنه ففعل قابيل بأخيه كذلك فكان ندمه لعدم هدايته ان يفعل كما فعل الغراب فصار الدفن سنة فى بنى آدم • وفى التنزيل (ثم أماته فأقبره) أى جعل له قبرا يوارى فيه اكراما له ولم يجعل مما يلقي على وجه الارض

تأكله الطير والعواقي • وقوله « وما » اى وفي الذى او الاشياء اى والهول الذى « أئى » عن الصادق المصدوق « في ذا » اسم اشارة يرجع الى ما تقدم من فنة البرزخ والقبور « من الامور » المهولة العجيبة والاشياء الصعبة الغريبة فانه حق لا يرد •

امور ما بعد
الموت الامر الاول
سؤال منكر
ونكير وبيان
ذلك

(منها) سؤال الملكين منكر ونكير فالايان بذلك واجب شرعا لثبوته عن النبي صلى الله عليه وسلم في عدة اخبار يبلغ مجموعها مبلغ التواتر وقد استنبط ذلك واستدل عليه بقوله تعالى (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء) وأخرج الشيخان من حديث البراء بن عازب رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال في قوله تعالى (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت) نزلت في عذاب القبر - زاد مسلم « يقال له من ربك فيقول ربي الله ونبي محمد » فذلك قوله (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت) وفي رواية للبخارى « اذا اقمع المؤمن في قبره أئى ثم شهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فذلك قوله يثبت الله » الآية • وفي الطبرانى عن البراء ايضا مرفوعا « يقال للكافر من ربك فيقول لا أدري فهو تلك الساعة أصم أعمى أبكم فيضرب بمرزبة (١) لو ضرب بها جبل لصار ترابا » الحديث • وعند أبى داود « يأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك ؟ فيقول ربي الله ، فيقولان له ما دينك فيقول دينى الاسلام ، فيقولان له ما هذا الرجل الذى بعث فيكم ؟ فيقول قرأت كتاب الله تعالى فأمنت به وصدقت ، فينادى مناد من السماء ان صدق عبدى فأفرشوه من الجنة وافتحوا له بابا الى الجنة وألبسوه من الجنة ، ويفسح له فيه مد بصره » وقال في الكافر فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك ؟ فيقول هاه هاه لا أدري - الى ان

(١) - جاء فى هامش الاصل ما نصه : فى النهاية ما نصه فى حديث أبى جهل فاذا رجل أسود يضربه بمرزبة فيغيب فى الارض • المرزبة بالتخفيف المطرقة الكبيرة التى للحداد ومنه حديث الملك وييده مرزبة ويقال لها أيضا الارزبة بالهمز والتشديد • انتهى • وفى القاموس والارزبة والمرزبة مشددتان أو الاولى فقط عصية من حديد • انتهى •

قال فينادى مناد من السماء ان كذب عبدى فأفرشوه من النار وافتحوا له بابا الى النار قال فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه اضلاعه . وفي الصحيحين من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ان العبد اذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه انه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فيقولان ما كنت تقول في هذا الرجل - لمحمد صلى الله عليه وسلم - فاما المؤمن فيقول اشهد انه عبدالله ورسوله فيقال له انظر الى مقعدك من النار وقد أبدلك الله مقعدا من الجنة ، قال فيراها جميعا - يعنى المقعدين - قال قتادة ذكر لنا انه ينسح له في قبره - واما المنافق والكافر فيقال له ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ فيقول لا أدري ، كنت أقول ما يقول الناس ، فيقال لا دريت ولا تليت ويضرب بمطراق من حديد ضربة فيصيح صيحة يسمعه من يليه من غير الثقلين . زاد أبو داود ان المؤمن يقال له ما كنت تعبد ؟ فان هداه الله تعالى قاله كنت أعبد الله ، فيقال ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ فيقول هو عبدالله ورسوله ، قال فما يسئل عن شيء غير هذا . وزاد ايضا فيقول دعونى حتى أبشر اهلى فيقال له اسكن ، وذكر الكافر انه يسئل عما كان يعبد ثم عن هذا الرجل . وفي الصحيحين أيضا عن أسماء بنت الصديق رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في خطبته يوم كسفت الشمس « ولقد أوحى الى انكم تفتنون في قبوركم مثل أو قريبا ^(١) من فتنة الدجال يؤتى أحدكم فيقال له ما عليك بهذا الرجل ؟ فاما المؤمن أو الموقن فيقول محمد رسول الله جاءنا بالبينات والهدى فأجبنا وآمنا واتبعنا ، فيقال له نم صالحا فقد علمنا ان كنت لموقنا ، واما المنافق والمرتاب فيقول لا أدري سمعت الناس يقولون شيئا فقلته » وأخرجه الامام أحمد بلفظ « ولقد رأيتم تفتنون في قبوركم يسئل الرجل ما كنت تقول وما كنت تعبد ، نحو ما سبق . وقد روى أيضا من حديث أبى هريرة رضى الله عنه أخرجه الترمذى وابن حبان في صحيحه وأخرجه ايضا الامام احمد وابن ماجه وأخرجه الطبرانى أيضا وفيه « أتاه » منكر ونكير أعينهما مثل قدور النحاس وأنيابهما مثل صياصي

(١) فى الاصلين « قريب » .

البقر - أى قرونها - وأصواتهما مثل الرعد القاصف » وروى أيضا من حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنهما أخرجه الامام أحمد ومن حديث أبى سعيد رضى الله عنه أخرجه الامام احمد أيضا ومن حديث أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه أخرجه أبو بكر الخلال في كتاب السنة وفيه انه صلى الله عليه وسلم قال له « كيف أنت يا عمر اذا كنت من الارض في أربعة أذرع في ذراعين وأريت منكرا ونكيرا » قلت يا رسول الله وما منكر ونكير ؟ قال « فتانا القبر يبحثان الارض بأنيابهما ويطآن في أشعارهما أصواتهما كالرعد القاصف وأبصارهما كالبرق الخاطف ومعهما مرزبة لو اجتمع عليها أهل منى لم يطيقوا رفعها هي أيسر عليهما من عصاي هذه » قلت يا رسول الله وأنا على حالى هذه ؟ قال نعم ، فقلت اذا أكفيكهما • وفي رواية « فامتحناك فان التويت ضرباك بها ضربة صرت رمادا » وأخرجه الاسماعيلي من وجه آخر ، وروى أيضا من حديث عبد الله ابن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أخرجه الامام أحمد وابن حبان في صحيحه وفيه قال عمر أترد علينا عقولنا يا رسول الله ؟ فقال صلى الله عليه وسلم « نعم كهياتكم اليوم » فقال عمر رضى الله عنه بفيه الحجر • ومن حديث ابى موسى رضى الله عنه رواه الامام أحمد وغير هؤلاء وروى عن مجاهد ان الموتى يفتنون في قبورهم سبعا فكانوا يستجيبون ان يطعم عنهم تلك الايام • وقد ذكرنا في كتابنا البحور الزاخرة في علوم الآخرة ما لعله يشفى ويكفى •

(تنبيهات)

تنبيهات الأول
الجمع بين روايتى
ملك وملكين

(الأول) جاء في رواية سؤال ملكين وفي أخرى سؤال ملك واحد قال القرطبي لا تعارض في ذلك بالنسبة الى الاشخاص فرب شخص يأتيه اثنان معا فيسألانه معا عند انصراف الناس ليكون أهول في حقه وأشد بحسب ما اقترب من الأثام وآخر يأتيه قبل انصراف الناس عنه تخفيفا عليه لحصول أسسه بهم وآخر يأتيه ملك واحد فيكون أخف عليه وأقل في المراجعة لما قدمه من العمل الصالح • قال ويحتمل أن يأتي اثنان ويكون السائل أحدهما وان اشتركا في الاتيان فتحمل رواية الواحد على هذا •

وصوبه الحافظ السيوطى في شرح الصدور فان ذكر الملكين هو الموجود في غالب الاحاديث • وقد ذكر بعض العلماء ان الملائكة الذين ينزلون على الميت في قبره أربعة منكر ونكير وناكور ورومان وقد أشار الجلال السيوطى الى هذا في ارجوزته التثيت في التثيت بقوله :

وقد أتى في مرسل مضعف ان السؤال من ثلاثة لفى
أو أربع أولئك الاثنان وألحقوا ناكور مع رومان
وقد أشار الى أن الخبر به علتان الضعف والارسال •

الثانى تسمية
الملكين بمنكر
ونكير

(الثانى)

الملكان اسمهما منكر ونكير نص على ذلك الامام أحمد رضى الله عنه قال الحكيم الترمذى وانما سميا فتانى القبر لأن في سؤالهما انتهارا وفي خلقهما صعوبة قال وسميا منكرا ونكيرا لأن خلقهما لا يشبه خلق آدميين ولا خلق الملائكة ولا خلق البهائم ولا خلق الهوام بل هما خلق بديع وليس في خلقهما أس للناظرين اليهما جعلهما الله تعالى تكرمة للمؤمن لتثبته وتبصره وهتكنا لستر المنافق في البرزخ من قبل أن يبعث • قال الجلال السيوطى وهذا يدل على أن الاسم منكر بفتح الكاف وهو المجزوم به في القاموس • قلت وكذا في نهاية ابن الاثير قال ومنكر ونكير اسما الملكين منغل وفعل • وذكر ابن يونس من الشافعية ان اسم ملكى المؤمن مبشر وبشير قلت وهذا يحتاج الى دليل مأثور وانى به فان الاحاديث ليس فيها سوى منكر ونكير وقد أشار الى ذلك السيوطى في ارجوزته بقوله :

وضبط منكر بفتح الكاف فلسنت أدرى فيه من خلاف
وذكر ابن يونس من صحبنا ان اللذين يأتيان المؤمنا
اسمهما البشير والمبشر ولم أقف في ذا على ما يؤثر

وقال الامام المحقق ابن القيم في كتاب الروح قال كثير من المعتزلة لا يجوز تسمية ملائكة الله بمنكر ونكير وانما المنكر ما يبدو من تلجلجه اذا سئل والنكير تقرير الملكين له ، قال الامام أحمد رضى الله عنه تؤمن بعذاب القبر وبمنكر ونكير • وروجع في منكر ونكير فقال هكذا هو • يعنى انهما منكر ونكير •

(الثالث)

الثالث اختلفت
الروايات في
كيفية السؤال

قال القرطبي اختلفت الاحاديث في كيفية السؤال ، والجواب عن ذلك انه يختلف باختلاف الاشخاص فمنهم من يسئل عن بعض اعتقاداته ومنهم من يسئل عن كلها ، ويحتمل أن يكون الاقتصار على بعضها من بعض الرواة وأتى به غيره تاما • وصوبه السيوطي لاتفاق أكثر الاحاديث عليه، نعم يؤخذ منها - خصوصا من رواية ابي داود عن أنس المارة : فما يسئل عن شيء بعدها وعند ابن مردويه : فما يسئل عن شيء غيرها - انه لا يسئل عن شيء من التكليفات غير الاعتقاد خاصة وصرح به في رواية البيهقي من طريق عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة) قال الشهادة يسئلون عنها في قبورهم بعد موتهم ، قيل لعكرمة ما هو ؟ قال يسئلون عن الايمان بمحمد وأمر التوحيد • وقد ذكر الجلال السيوطي انه ورد في رواية عن أنس رضى الله عنه ان الميت يسئل في المجلس الواحد ثلاث مرات ، وباقي الروايات ساكتة عن ذلك فتحمل على ذلك أو يختلف الحال بالنسبة الى الاشخاص • وعن طاوس ان الموتى يسئلون سبعة أيام • قلت وتقدم عن مجاهد أن الموتى يقتنون في قبورهم سبعا وانهم كانوا يستحبون ان يطعم عنهم تلك الايام - رواه الامام أحمد في الزهد وكذا أبو نعيم في الحلية باسناد صحيح الا انه مرسل ، وروى من وجه متصل أيضا وحكمه الرفع لأنه ليس للرأى فيه مجال •• وقد روى كل ذلك الامام الحافظ ابن رجب في كتابه أهوال القبور وذكر عن مجاهد أيضا أن الارواح تمكث في قبورها سبعة أيام • وقد روى عن عبيد بن عمير فيما أخرجه عنه ابن جريح ان المؤمن يقفن سبعة أيام والمنافق يقفن أربعين يوما •

(الرابع)

الرابع من لم
يدفن يناله
السؤال ونحوه

من لم يدفن من مصلوب ونحوه يناله نصيبه من فتنه السؤال وضغطة القبر قال الامام المحقق في كتاب الروح : مما ينبغي أن يعلم أن عذاب القبر هو عذاب البرزخ فكل من مات وهو مستحق للعذاب ناله نصيبه منه قبر أم لم يقبر ، فلو أكلته السباع أو حرق حتى صار رمادا أو نسف في الهواء أو غرق في البحر وصل الى روحه وبدنه من العذاب ما يصل من القبور •

(الخامس)

الخامس
يختص السؤال
بغير الكافر
الصريح وبهذه
الامة

قال ابن عبد البر لا يكون السؤال الا للمؤمن أو منافق كان منسوباً الى دين الاسلام بظاهر الشهادة بخلاف الكافر • كذا قال وخالفه في ذلك الجمهور، وقال الامام المحقق ابن القيم رحمه الله تعالى في الروح : القرآن والسنة تدل على خلاف هذا القول بل السؤال للكافر والمسلم قال الله تعالى (يثبت الله الذين آمنوا! بالقول الثابت) وقد ثبت في الصحيحين وغيرهما انها نزلت في عذاب القبر كما تقدم فان في الاحاديث الكافر والفاجر واسم الفاجر في عرف القرآن والسنة يتناول الكافر قطعاً ومنه قوله تعالى (كلا ان كتاب الفجار

لفى سجين) • ونحو هذا في كتاب العاقبة للحافظ عبد الحق الاشبيلي وصوبه القرطبي في التذكرة ، وانتصر الجلال السيوطي لابن عبد البر وفيما قاله نظر • ومثل هذا ما اختاره المحقق ابن القيم والحافظ عبد الحق الاشبيلي وغيرهما من ان سؤال القبر ليس بخاص بهذه الامة بل غيرها تساويها في ذلك وجزم به أيضاً القرطبي في التذكرة ، وقال الحكيم الترمذي انه خاص بهذه الامة ، وتوقف ابن عبد البر وانتصر السيوطي في هذا للحكيم الترمذي ، قال الامام المحقق ابن القيم في الروح بعد ذكره الاقوال الثلاثة : والظاهر والله أعلم ان كل نبي مع أمته كذلك - يعنى يسئل عنه كنيينا صلى الله عليه وسلم مع أمته - وانهم يعذبون في قبورهم بعد السؤال لهم واقامة الحجّة عليهم كما يعذبون في الآخرة بعد السؤال واقامة الحجّة • واستدل الحكيم الترمذي على عدم السؤال أن الامم قبل هذه الامة كانت الرسل تأتيهم بالرسالة فاذا أبوا كفت الرسل واعتزلوهم وعوجلوا بالعذاب ، قال فلما بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم بالرحمة أمسك عنهم العذاب وأعطى السيف حتى يدخل في دين الاسلام من دخل لمهابة السيف ثم يرسخ الايمان في قلبه ، فمن هنا ظهر النفاق فكانوا يسرون الكفر ويعلنون الايمان وكانوا بين المؤمنين في ستر فلما ماتوا قبض الله لهم فتانى القبر ليستخرج أمرهم بالسؤال وليميز الله الخبيث من الطيب • وفيما قاله مقال من عدة أوجه نيهت على بعضها في البحور الزاخرة منها ما ذكره شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله روحه في كتابه الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ان

المعروف عند أهل العلم انه بعد نزول التوراة لم يهلك تعالى مكذبي الامم بعذاب سماوى يعمهم كما أهلك قوم نوح وعاد وئمود وقوم لوط وغيرهم بل أمر المؤمنين بجهاد الكفار كما أمر بنى اسرائيل على لسان موسى بقتال الجابرة ، وقال يوشع للكفار مشهور وكذا داود وسليمان وغيرهم من الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين •

(السادس)

السادس قيل
ان السؤال يكون
بالسريانية ولا
دليل عليه

ذكر الحافظ جلال الدين السيوطى انه وقع فى فتاوى شيخه علم الدين البلقينى ان الميت يجيب السؤال باللغة السريانية ، قال ولم أقف لذلك على مستند انتهى • قال فى التذكرة ان قيل كيف يخاطب الملكان جميع الموتى فى الاماكن المتباعدة فى الوقت الواحد ؟ فالجواب ان عظم خلقهما يقتضى ذلك فيخاطبان الخلق الكثير فى الجهة الواحدة فى المرة الواحدة مخاطبة واحدة بحيث يخيل لكل من المخاطبين انه المخاطب دون من سواه ويمنعه الله من سماع جواب بقية الموتى • وقال السيوطى ويحتمل تعدد الملائكة لذلك كما فى الحفظه ونحوهم • وقاله الحلیمی من الشافعية ولا يخفى ما فى هذا (١) وبالله التوفيق •

تمتة بعض
الناس لا تنالهم
فتنة القبر

(تممة) ورد فى صحيح الاخبار أن بعض الناس من الموتى لا تنالهم فتنة القبر ولا يأتيهم الفتانان وذلك على ثلاثة أنحاء - مضاف الى عمل ومضاف الى حال ابتلاء نزل بالميت ومضاف الى زمان كالشهداء ومن لقي العدو فصبر حتى يقتل أو يغلب والمرابطين فى سبيل الله ، والمراد ان من مات مرابطا لم كفتن فى قبره • وروى أن سورة تبارك من قرأها كل ليلة عصم من فتنة القبر ، ومن مات يوم الجمعة أو ليلة الجمعة كفى فتنة القبر • وأخرج أبو نعيم فى

(١) بهامش مط ما لفظه :

قوله ولا يخفى ما فيه أى فى كلام الحلیمی وبعده الجلال من النظر لأن هذه أمور لا تثبت الا بصحيح السنة والتنزيل وليس فى ذلك للاحتمال مجال وكنت سئلت عن ذلك فنقلت ما نقله الجلال عن الحلیمی فى ذلك فى الجواب وتعقيبه من غير وقوف على ما هنا فالحمد لله ا ه ع ب ا ه من هامش الاصل •

الحلية ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « من قرأ قل هو الله أحد في مرضه الذي مات فيه لم يقفن في قبره وأمن من ضغطة القبر وحملته الملائكة يوم القيامة بأكفها حتى تجيزه الصراط الى الجنة » وممن لا يسئل الملائكة والانبيا عليهم الصلاة والسلام • وأما الجن فالادلة تعممهم ويسئلون لانهم مكلفون في الجملة كما نص عليه علماؤنا وغيرهم وبالله التوفيق •

الامر الثاني
عذاب القبر
وذكره في القرآن

(ومنها) اى الامور التى يجب الايمان بها وانها حق لا ترد عذاب القبر قال الحافظ جلال الدين السيوطى في كتابه « شرح الصدور في احوال الموتى والقبور » قد ذكر الله عذاب القبر في القرآن في عدة أماكن كما بينه في الاكليل في اسرار التنزيل • انتهى • قال الحافظ ابن رجب في كتابه احوال القبور في قوله تعالى (فلولوا اذا بلغت الحلقوم - الى قوله - ان هذا لهو الحق اليقين) عن عبد الرحمن بن ابي ليلي قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآيات قال « اذا كان عند الموت قيل له هذا فان كان من اصحاب اليمين أحب لقاء الله وأحب الله لقاءه وان كان من اصحاب الشمال كره لقاء الله وكره الله لقاءه » وأخرج الامام أحمد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه » فأكب القوم يبكون قال « ما يبكيكم » قالوا اننا نكره الموت قال • ليس ذلك ولكنه اذا حضر فاما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم ، فاذا بشر بذلك أحب لقاء الله والله للقاءه أحب ، وأما ان كان من المكذبين فنزل من حميم وتصليه جحيم ، فاذا بشر بذلك كره لقاء الله والله للقاءه اكره • وقال الامام المحقق ابن القيم فى كتاب الروح فول السائل ما الحكمة في أن عذاب القبر لم يذكر في القرآن صريحا مع شدة الحاجة الى معرفته والايمان به ليحذره الناس ويتقى ؟ فاجاب عن ذلك بوجهين مجمل ومفصل أما المجمل فان الله تعالى أنزل على رسوله وحين فأوجب على عباده الايمان بهما والعمل بما فيهما وهما الكتاب والحكمة قال تعالى (وأنزل عليك الكتاب والحكمة) وقال تعالى (هو الذى بعث في الاميين رسولا منهم - الى قوله - ويعلمهم الكتاب والحكمة) وقال تعالى (واذكرن ما يتلى في بيوتكن) الآية والحكمة هى السنة باتفاق السلف ، وما أخبر به

الرسول عن الله فهو في وجوب تصديقه والايمان به كما أخبر به الرب على لسان رسوله ، فهذا أصل متفق عليه بين أهل الاسلام لا ينكره الا من ليس منهم ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم « انى أوتيت الكتاب ومثله معه » قال المحقق وأما الجواب المفصل فهو ان نعيم البرزخ وعذابه مذكور فى القرآن فى مواضع (منها) قوله تعالى (ولو ترى اذ الظالمون فى غمرات الموت) الآية وهذا خطاب لهم عند الموت قطعاً وقد اخبرت الملائكة وهم الصادقون انهم حينئذك يجزون عذاب الهون ، بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون ، ولو تأخر عنهم ذلك الى انقضاء الدنيا لما صح ان يقال لهم اليوم تجزون عذاب الهون ، وقوله تعالى (فوقاه الله سيئات ما مكروا - الى قوله - يعرضون عليها غدوا وعشيا) الآية فذكر عذاب الدارين صريحا لا يحتمل غيره . ومنها قوله تعالى (فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذى فيه يصعقون * يوم لا يغنى عنهم كيدهم شيئا ولا هم ينصرون) انتهى كلامه . وأخرج البخارى من حديث ابى هريرة رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو « اللهم انى اعوذ بك من عذاب القبر » وأخرج الترمذى عن على رضى الله عنه انه قال ما زلنا فى شك من عذاب القبر حتى نزلت (الهالك التكاثر حتى زرتم المقابر) . وقال ابن مسعود اذا مات الكافر أجلس فى قبره فيقال له من ربك وما دينك فيقول لا أدري فيضيق عليه قبره - ثم قرأ ابن مسعود (فان له معيشة ضنكا) قال المعيشة الضنك هى عذاب القبر . وقال البراء بن عازب رضى الله عنهما فى قوله تعالى (عذابا دون ذلك) قال لعذاب القبر . وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى (ولنذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر) (قال عذاب القبر) . وكذلك قال قتادة والربيع ابن أنس فى قوله تعالى (سنعذبهم مرتين) أحدهما فى الدنيا والاخرى عذاب القبر . قال الحافظ ابن رجب وقد تواترت الاحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم فى عذاب القبر فى الصحيحين عن ام المؤمنين عائشة الصديقة بنت الصديق رضى الله عنهما انها قالت سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن عذاب القبر قال « نعم عذاب القبر حق » . وفى صحيح مسلم عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يعلمهم

هذا الدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن « اللهم انى اعوذ بك من عذاب جهنم وأعوذ بك من عذاب القبر وأعوذ بك من فتنة المحيا والمات وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال » • وأخرج مسلم ايضا وابن ابى شيبة عن زيد بن ثابت رضى الله عنه قال بينما النبي صلى الله عليه وسلم فى حائط لبني النجار على بغلة له ونحن معه اذ حادت به فكادت أن تلقيه واذا أقبر ستة أو خمسة أو أربعة فقال « من يعرف اصحاب هذه الأقبير ؟ » فقال رجل انا فقال « متى مات هؤلاء » فقال ماتوا فى الاشرار فقال النبي صلى الله عليه وسلم « ان هذه الامة تبلى فى قبورها فلولا ان لاتدانفوا لدعوت الله ان يسمعكم من عذاب القبر الذى أسمع منه » ثم اقبل علينا بوجهه فقال « تعوذوا بالله من عذاب اقبير » الحديث • وفى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان اهل القبور يعذبون فى قبورهم عذابا تسمعه البهائم • وفى الباب عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه رواه الامام احمد وأبو يعلى والآجرى ، وعن ابى هريرة رضى الله عنه رواه أبو يعلى والآجرى (وابن منده - ١) وعن أنس رضى الله عنه رواه مسلم ، وعن أبى أيوب الانصارى رضى الله عنه رواه الشيخان ، وعن ابن عباس رضى الله عنهما أخرجاه ، وعن أبى بكر الصديق رضى الله عنه رواه ابن ماجه • وفيه أيضا عن ابن عمر وعبد الرحمن بن حسنة وأبى امامة وميمونة مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعلى ابن سبابة ويعلى ابن مده وأم بشير وابن مسعود وغيرهم رضى الله عنهم اجمعين •

الامر الثالث ضغطة القبر

(الامر الثالث - ٢) ما ورد فى ضغطة القبر وظلمته لكل واحد - أخرج الامام احمد فى المسند والحكيم الترمذى فى نواتر الاصول والبيهقى فى كتاب عذاب القبر عن حذيفة رضى الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جنازة فلما انتهينا الى القبر قعد على شفيره فجعل يردد بصره فيه ثم قال « يضغط فيه المؤمن ضغطة تزول منها حمائله » قال فى النهاية القبر •

(٢) من مخ ، والامر الاول هو سؤال المسكين ، والامر الثانى هو عذاب

(١) من مخ •

الحمائل هنا عروق الانثيين قال ويحتمل أن يكون يراد هنا موضع حمائل
السيف أى عواتقه وأضلاعـه وصدره . وأخرج الامام أحمد
والبيهقى عن عائشة رضى الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ان
المقبر ضغطة لو كان أحد منها ناجيا نجا منها سعد بن معاذ » رضى الله
عنه . وأخرج الامام أحمد والترمذى (والطبرانى - ١) والبيهقى عن
جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال لما دفن سعد بن معاذ رضى الله عنه
سبح رسول الله صلى الله عليه وسلم وسبح الناس معه طويلا ثم كبر وكبر
الناس ثم قالوا يا رسول الله لم سبحت ؟ قال « لقد تضايق عن هذا الرجل
الصالح قبره حتى فرج الله عنه » . وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم دفن سعد بن معاذ وهو قاعد على قبره
قال « لو نجا من ضمة القبر أحد لنجا سعد بن معاذ ولقد ضم ضمة ثم أرخى
عنه » رواه سعيد بن منصور والحكيم الترمذى والطبرانى والبيهقى . وأخرج
انسائى والبيهقى عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « هذا الذى تحرك له العرش وفتحت
له أبواب السماء وشهده سبعون ألفا من الملائكة لقد ضم ضمة ثم فرج عنه »
يعنى سعد بن معاذ . قال الحسن البصرى تحرك له العرش فرحا بروحه .
أخرجه البيهقى في الدلائل . وأخرج الحكيم الترمذى والبيهقى من طريق
ابن اسحاق حدثني ابن أمية أو ابن عبد الله انه سأل بعض أهل سعد ما
بلغكم من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا ؟ فقالوا ذكر لنا أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن ذلك قال « كان يقصر في بعض
الظهور من البول » . والاحاديث في هذا كثيرة مشهورة ، قال ابن ابى
مليكة ما أجبر من ضغطة القبر أحد ولا سعد بن معاذ الذى منديل من
مناديله في الجنة خير من الدنيا وما فيها . وقال مجاهد أشد حديث سمعناه
عن النبي صلى الله عليه وسلم « ما عفى أحد من ضغطة القبر الا فاطمة بنت
أسد » فقيل يا رسول الله ولا القاسم ابنك ؟ قال « ولا ابراهيم » وكان
أصغرهما . قال أبو القاسم السعدى في كتاب الروح له لا ينجو من ضغطة

القبر صالح ولا طالح • والمراد غير من استثناء النبي صلى الله عليه وسلم وهو فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف أم علي بن أبي طالب رضى الله عنه وذلك لأنها ضمت المصطفى ولما ماتت سكب عليها الماء الذى به الكافور وألبسها قميصه واضطجع في قبرها وقال « الحمد لله الذى يحيى ويميت وهو حي لا يموت اللهم اغفر لأمي فاطمة بنت أسد ولقنها حجتها ووسع عليها مدخلها » وكانت وفاتها في المدينة ودفنت شمال قبة عثمان في موضع يقال له الحمام وعليها قبة صغيرة كما في زبدة الاعمال مختصر تاريخ الازرقى • قال أبو القاسم السعدى والفرق بين المسلم والكافر في ضمة القبر دوامها للكافر وحصول هذه الحالة للمؤمن في أول نزوله الى قبره ثم يعود الانساح له فيه ، قال والمراد بضغطة القبر التقاء جانبيه على جسد الميت • قال الحكيم الترمذى سبب هذه الضغطة انه ما من أحد الا وقد ألم بخطيئة ما وان كان صالحا فجعلت هذه الضغطة جزاء لها ثم تدركه الرحمة ولذلك ضغط سعد ابن معاذ رضى الله عنه • قال وأما الانبياء فلا نعلم ان لهم في القبور ضمة ولا سؤالاً لصمتهم - أى لأن السؤال عن الانبياء وما جاءوا به فكيف يسألون عن أنفسهم ؟ وقد ذكر الامام الحافظ ابن الجوزى في مناقب سيدنا الامام أحمد رضى الله عنه انه رآه المروزي رحمه الله بعد موته في منامه فقال له ما فعل الله بك ؟ فذكر ان الملكين سألاه وقالوا له من ربك ؟ فقال سبحان الله أو مثلى يسئل عن ربه ؟ فقال لا تؤاخذنا بذا أمرنا ثم انصرفا • فكيف بأنبياء الله وهم المخرون عنه الدالون عليه المحتهدون في انتقاد عبادته من عقابه وغضبه اى مرصاته باذنه • قال محمد التميمي • ضمة القبر انما أصلها أن الارض أمهم ومنها خلقوا فغابوا عنها الغيبة الطويلة فلما ردوا اليها وهم أولادها ضمتهم ضمة الوالدة اذا غاب عنها ولدها ثم قدم فمن كان مطيعا ضمته برأفة ورفق ومن كان عاصيا ضمته بعنف سخطا لربها عليه • وقد أخرج البيهقي وابن منده والديلمى وابن النجار عن عائشة رضى الله عنها انها قالت يارسول الله انك منذ حدثتني بصوت منكر ونكير وضغطة القبر ليس ينفعنى شيء ، قال « يا عائشة ان أصوات منكر ونكير في سماع المؤمنين كاتمد في العين ، وان ضغطة القبر على المؤمن كالام الشقيقة يشكو اليها ابنها الصداع فتغمر

سبب الضغطة
وهل تنال
الانبياء ؟

رأسه غمزا رفيقا ولكن يا عائشة ويل للشاكين في الله كيف يضغطون في قبورهم كضغطة الصخرة على البيضة »

(فـوائـد)

فوائد الاولى اول
بدل الآخرة
نساوى القبور

(الأولى) ذكر الديلمي في الفردوس عن علي رضي الله عنه رفعه « أول عدل الآخرة القبور فلا يعرف شريف من وضع » وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما ان الله أرحم ما يكون لعبده اذا دخل قبره وتفرق عنه الناس وأهله • وأخرج انديلمي عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أرحم ما يكون الله بالعبد اذا وضع في حنوته » . وأخرج ابن أبي الدنيا عن أبي عاصم الجبلي يرفعه « ان أول ما يتحفظ به المؤمن في قبره يقال له أبشر فقد غفر لمن تبع جنازتك » • وأخرجه البزار وعبد (١) في مسنديهما والبيهقي في الشعب عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان أول ما يجازى به المؤمن بعد موته أن يغفر لجميع من تبعه » • وفي ابواب عن جابر بن عبد الله أخرجه ابن أبي الدنيا ، وسلمان الفارسي أخرجه أبو الشيخ في الشواب ، وأبي هريرة أخرجه الحاكم في التاريخ والبيهقي في الشعب والديلمي ، وأنس أخرجه الحكيم الترمذي •

الثانية تدفع
عقوبة السيئة
بأحد عشرة
أسباب

(الثانية) قال بعضهم من فعل سيئة فان عقوبتها تدفع عنه بأحد عشرة أسباب ان يتوب فيتاب عليه ، أو يستغفر فيغفر له ، أو يعمل حسنات فتمحوها فان الحسنات يذهبن السيئات ، أو يتلى في الدنيا بمصائب فيكفر عنه ، أو في البرزخ بالضغطة والفتنة فيكفر عنه ، أو يتلى في عرصات اقامة بأهوال تكفر عنه ، أو تدركه شفاعة نبيه صلى الله عليه وسلم ، أو رحمة ربه تبارك وتعالى • وتقدم في التوبة طرف صالح من هذا وبالله التوفيق •

الثالثة بيان
سبب عذاب
القبر جملاً
ومفصلاً

(الثالثة) الأسباب التي يعذب بها أصحاب القبور على قسمين مجمل ومنفصل ، أما المجمل فانهم يعذبون على جهلهم بالله واضاعتهم لأمره وارثكابهم معاصيه فلا يعذب الله روحا عرفته وأحبته وامثلت أمره واجتبت نهيها ولا بدنا كانت فيه أبدا فان عذاب القبر بل وعذاب الآخرة اثر غضب

(١) هو عبد بن حميد ، ووقع في الاصلين « عبيد »

الله وسخطه على عبده فمن أغضب الله وأسخطه في هذه النار بارتكاب مناهيه ولم يتب ومات على ذلك كان له من عذاب البرزخ بقدر غضب الله وسخطه عليه فمستقل ومستكثر ومصدق ومكذب . وأما المفصل فقد اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجلين المذنبين رأهما يعذبان في قبورهما أن أحدهما كان يمشى بالنميمة بين الناس والآخر كان لا يستتر من البول ، والحديث في الصحيحين وغيرهما ولفظه مر النبي صلى الله عليه وسلم بقبرين فقال « انهما ليعذبان وما يعذبان في كبير أما أحدهما فكان لا يستتر من البول وأما الآخر فكان يمشى بالنميمة » ثم أخذ جريدة رطبة فشقها بانتين ثم غرز على كل قبر منهما واحدة ، قالوا لم فعلت هذا يا رسول الله ؟ قال لعله يخفف عنهما ما لم تيسر . قال الحافظ ابن رجب في كتابه أهوال القبور وقد روي هذا عن النبي صلى الله عليه وسلم بهذا المعنى من وجوه متعددة من حديث أبي بكر وعائشة وأبي هريرة وأنس وابن عمر وأبي أمامة وغيرهم من الصحابة رضى الله عنهم أجمعين . قال المحقق ابن القيم في الروح فهذا ترك الطهارة الواجبة وذلك ارتكب السبب الموقوع المعداوة بين الناس بلسانه وان كان صادقا وفيه تنبيه على أن الموقوع بينهم العداوة بالكذب والزور والبهتان أعظم عذابا كما ان في ترك الاستبراء من البول تنبيه على ان من ترك الصلاة التي الاستبراء من البول بعض شروطها أشد عذابا . وفي حديث شعبة «أما أحدهما فكان يأكل لحوم الناس» فهذا مغتاب وذاك نمام . وفي صحيح البخارى في تعذيب من يكذب الكذبة قبل بلغ الآفاق ، وفي حديث ابن مسعود في انذى ضرب في قبره سوطا امتلا القبر عليه نارا لكونه صلى صلاة واحدة بغير طهور ومر على مظلوم فلم ينصره ، وتعذيب من يقرأ القرآن ثم ينام عنه بالليل ولا يعمل به في النهار ، وتعذيب الزناة والزواني ، وتعذيب آكل الربا كما شاهدهم النبي صلى الله عليه وسلم في البرزخ ، وحديث أبي هريرة وفيه رضى رؤوس أقوام بالصخر لتثاقل رؤوسهم عن الصلاة ، والذين يأكلون الزقوم والضريع لتركهم الزكاة ، والذين يأكلون اللحم المتن اعخيت لزناتهم ، والذين تقرض شفاهمهم بمقاريض من حديد لقيامهم في الفتن بالكلام والخطب .

ومن الذين يعذبون في قبورهم وأخبر عنهم النبي صلى الله عليه وسلم الجبارون والمتكبرون والمراءون والهمازون والممازون والطعانون على السلف والذين يأتون الكهنة والمنجمين والعرافين فيسألونهم ويصدقونهم وأعوان الظلمة الذين باعوا آخرتهم بدنيا غيرهم ونحو هؤلاء ممن يشتغل بذنوب الناس عن ذنبه وبعيوبهم عن عيبه فكل هؤلاء وأمثالهم يعذبون في قبورهم بهذه الجرائم بحسب كثرتها وقتلها وصغرها وكبرها ، ولما كان أكثر الناس كذلك كان أصحاب القبور معذبين والفائز منهم قليل ، فظواهر القبور تراب وبواطنها حشرات وعذاب ففسأل الله تعالى العافية والرحمة والعفو والغفران وبالله الاعانة والعون •

الرابعة اسباب النجاة منه جملة ومفصلة

(الرابعة) الاسباب المنجية من عذاب القبر على قسمين أيضا مجمل ومفصل ، أما المجمل فهو بحسب تلك الاسباب التي تقتضى العذاب ومن أنفعها ان يجلس عند ما يريد النوم لله ساعة يحاسب نفسه فيها على ما خسره وربحه في يومه ثم يجدد له توبة نصوحا بينه وبين الله فينام على تلك التوبة ويعزم على أن لا يعود الى الذنب اذا استيقظ ويفعل هذا كل ليلة فان مات من ليلته مات على توبة وان استيقظ مستقبلا للعمل مسرورا بتأخير الاجل ، وليس للمعبد أنفع من هذه التوبة ولا سيما اذا عقب ذلك بذكر الله واستعمال السنن التي وردت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عند النوم حتى يغلبه النوم فمن أراد الله به خيرا وفقه لذلك ولا قوة الا بالله • وأما المفصل فمنها ما رواه مسلم في صحيحه من حديث سلمان الفارسي رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « رباط يوم في سبيل الله خير من صيام شهر وقيامه وان مات أجرى عليه عمله الذى كان يعمله وأجرى عليه رزقه وأمن القتان » • وفي سنن الترمذى من حديث فضالة بن عبيد رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « كل ميت يختم على عمله الا الذى مات مرابطا في سبيل الله فانه يجرى عليه عمله الى يوم القيامة ويأمن من فتنة القبر » قال الترمذى حديث حسن صحيح • وتقدم ذكر الشهداء ، والذى يقرأ تبارك الملك فعن ابن عباس رضى الله عنهما قال ضرب رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خباءه على قبر

وهو لا يحسب انه قبر فاذا قبر انسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها فأتى
النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ضربت خبائي على قبر أنا لا
أحسب انه قبر فاذا قبر انسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها • فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم « هي المانعة هي المنجية تنجيه من عذاب القبر » قال
الترمذى حديث حسن غريب • قال الامام المحقق ابن القيم في كتاب الروح
روينا في مسند عبد بن حميد عن ابراهيم بن الحكم عن أبيه عن عكرمة عن
ابن عباس رضى الله عنهما انه قال لرجل ألا أتحنك بحديث تفرح به ؟ قال
الرجل بلى قال اقرأ (تبارك الذى بيده الملك) احفظها وعلمها أهلكت
وولدك وصبيان بيتك وجيرانك فانها المنجية والمجادلة تجادل أو تخاصم يوم
القيامة عند ربها لقارئها وتطلب له الى ربها أن ينجيه من عذاب القبر - قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم « لو ددت انها في قلب كل انسان من أمتى » .
قال أبو عمر بن عبد البر وصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
« ان سورة ثلاثين آية شفعت في صاحبها حتى غفر له - تبارك الذى بيده
الملك »

(تنبيهات)

تنبيهات، الأول
انكار الملاحدة
عذاب القبر
وأحواله

الأول أنكرت الملاحدة والزنادقة عذاب القبر وسعته وضيقه وكونه
حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة وانكروا جلوس الميت فى
قبره ، قالوا وقد وضعوا على صدر الميت زيبقا فكشفوا عنه فوجدوه بحاله ولم
يجدوا فيه ملائكة يضربون الموتى بمطارق الحديد ولا وجدوا حيات ولا
عقارب ولا نيرانا وأجنبوا وأجلبوا من مثل هذه الوسواس والترهات ، وقال
اخوانهم من أهل البدع والضلال كل حديث يخالف مقتضى العقول نقطع
بتخطئة ناقله ، قالوا ونحن نرى المصلوب على الخشبة المدة الطويلة لا يسئل
ولا يجيب ولا يتحرك ولا يتوقد جسمه نارا ، قالوا ومن افترسته السباع
ونهبته الطير وتفرقت أجزاءه فى حواصل الطيور وأجواف السباع وبطن
الحيات ومدارج الرياح كيف يسئل ؟ وكيف يصير القبر على مثل هذا
روضة أو حنرة ؟ وكيف يتسع قبره أو يضيق ؟ وأكثروا من هذا الهديان •

الرد عليهم
بوجوه هو ممكن
أخبرت به
الرسول فوجب
الايان به

وأجاب عن ذلك أئمة الحق من علماء السنة وأمناء الامة بما يقمع
المقترين ويقلع عن الشاكين ، منهم الامام المحقق ابن القيم في كتاب الروح
فانه أجاب عن ذلك بعدة أجوبة (منها) ان الرسل عليهم الصلاة والسلام
لم تخبر بما تحيله العقول بل أخبرهم قسمان أحدهما ما يشهد العقل
والفطرة السليمة به والثاني ما لا تدركه العقول بمجرد ما كالغيوب التي
أخبروا بها عن تفاصيل البرزخ واليوم الآخر والثواب والعقاب فلا يكون
خبرهم محالا في العقول أصلا ، والحاصل ان الانبياء لا تأتي بمحالات
العقول بل بمحاراتها فكل خبر يظن ان العقل يحيله فلا يخلو من أحد
أمرين اما خطأ في النقل أو فساد في العقل فتكون شبهة خيالية ظن صاحبها
انها أمر عقلي صريح والحال انه خيال وهمي غير صحيح قال تعالى (ويرى
الذين أتوا العلم الذي أنزل اليك من ربك هو الحق) وأما الذين في قلوبهم
زيغ فلا يزدادون الا رجسا على رجسهم (ومنها) ان يضم الى خبر الرسول
مراده من غير غلو ولا تقصير ولا يحمل كلامه على ما لا يحتمله ولا يقصر
به عن مراده وعمما قصده من الهدى والبيان وباهمال ذلك حصل ما حصل
من الضلال والعدول عن نهج الصواب (ومنها) ان الله سبحانه جعل الدور
ثلاثة ، دار الدنيا ودار البرزخ ودار القرار ، وجعل لكل دار أحكاما تختص
بها ، وركب هذا الانسان من بدن ونفس وجعل أحكام الدنيا على الابدان ،
والارواح تبع لها ، ولهذا جعل أحكام الشريعة مرتبة على ما يظهر من
حركات الانسان والجوارح وان اضمرت النفوس خلافه ، فالعقوبات
الدينيوية تقع على البدن الظاهر وتتألم الروح بالتبعية ، وجعل أحكام البرزخ
على الارواح ، والابدان تبع لها ، فكما تبعت الارواح الابدان في أحكام
الدنيا فتألمت بألمها والتذت براحتها ولذتها وكانت هي المباشرة لاسباب النعيم
والعذاب فكذلك تبعت الابدان الارواح في نعيمها وعذابها وكان العذاب
والنعيم على الروح ولها بالاصالة والبدن تابع للروح في ذلك عكس دار
الدنيا ، فاذا كان يوم حشر الاجساد وقيام الناس من قبورهم لدار القرار
والمعاد صار الحكم من النعيم والعذاب وغيرهما على الارواح والاجساد باديا
ظاهرا أصلا وما اخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم من عذاب القبر

يجب أن لا تحمل
النصوص ما لا
تحتمله

احوال البرزخ
والآخرة لا تقاس
باحوال الدنيا

جعل الله أمر
الآخرة غيبا ،
والحكمة في ذلك

ونعيمه من هذا القليل فاذا ظهر اللذوق السليم طابق العقل المستقيم (ومنها)
ان الله تعالى جعل أمر الآخرة وما كان متصلا بها غيبا وحجبا عن ادراك
العقول في هذه الدار وذلك من كمال حكمته ولتتميز الدين آمنوا بالغيب
من غيرهم ، فأول ذلك الملائكة تنزل على المحتضر وتجلس قريبا منه ويشاهدهم
عيانا وتحدثون عنده ومعه وربما كلمهم ورد أجوبة لهم وتكون معهم
الاكفان والحنوط اما من الجنة واما من النار • ويؤمنون على دعاء الحاضرين
بالخير والشر وقد يسلمون على المحتضر ويرد عليهم السلام تارة بلغظه
وتارة بشاره وتارة بقلبه اذا لم يتمكن من النطق والاشارة وقد سمع
بعض المحتضرين يقول أهلا وسهلا ومرحبا بهذه الوجوه • ومن ذلك حكايات
كثيرة وقد شاهدنا من ذلك ما لم يخطر بالبال ولا يتصوره الخيال (ومنها)
ان النار التي في القبر ليست من نار الدنيا فيشاهدها من شاهد نار الدنيا وانما
هي من نار الآخرة فهي وان كانت أشد من نار الدنيا الا أن شدتها على من
هي له وعليه دون من مسها من أهل الدنيا بل ربما دفن الرجلان في قبر
واحد فيكون أحدهما في روضة ونعيم والآخر في حفرة وعذاب اليم وقدره
الرب أعظم وأعجب من ذلك ولكن الكافرون لا يشعرون (ومنها) أن الله
سبحانه وتعالى يحدث في هذه الدار ما هو أعجب من ذلك فهذا جبريل
عليه السلام كان ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم ويتمثل له رجلا
فيكلمه بكلام يسمعه ومن الى جانب النبي صلى الله عليه وسلم لا يراه
وكذلك غيره من الانبياء ، وكانت الملائكة تضرب الكفار بالسياط وتضرب
رقابهم وتصيح بهم والمسلمون معهم لا يرونهم ولا يسمعون كلامهم ، والله
سبحانه وتعالى حجب ابن آدم عن كثير مما يحدث في الارض وهو بينهم
فهذا جبريل كان يدارس النبي صلى الله عليه وسلم القرآن والحاضرون
لا يسمعون • وكيف يستنكر من عرف الله وأقر بقدرته أن يحدث
حوادث يصرف عنها أبصار خلقه وأسماعهم حكمة منه ورحمة بهم لانهم
لا يطيقون رؤيتها وسماعها والعبء أضعف بصرا وسمعا من أن يشب
لمشاهدة عذاب القبر وكثير ممن أشهده الله ذلك ضعف وغشى عليه ولم
يتفجع بالعيش زما ، وبعضهم كشف قناع قلبه فمات • وسر المسئلة أن

نار القبر مخالفة
لنار الدنيا

يحدث الله في
الدنيا ما هو
أعجب

توسعة القبر وضيقه واضاءته وخضرته وناره ليس من جنس المعهود في هذا العالم والله سبحانه انما أشهد عباده هذه الدار وما كان فيها ومنها واما ما كان من أمر الآخرة فقد أسبل عليه الغطاء ليكون الاقرار به والايان سببا لسعادتهم ولو كشف عنه الغطاء لكان مشاهدا عيانا وفاته نتيجة الايمان بالغيب وما يترتب على ذلك من الثواب • قلت وحاصل ذلك ان ما أخبر به الصادق المصدوق وجب الايمان به وقد تواتر عنه ذلك كما قدمنا ولم تحله العقول وحيث كان ممكنا فمعارضة صحيح الاخبار الحاد ، وهو كما انه مقتضى السنة الصحيحة متفق عليه بين أهل السنة قال المروذي قال أبو عبد الله الامام أحمد رضى الله عنه عذاب القبر حق لا ينكره الاضال مصل • وقال حنبل قلت لأبي عبد الله في عذاب القبر فقال هذه أحاديث صحاح تؤمن بها ونقر بها ، كلما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم اسناد جيد أقررنا به ، اذا لم نقر بما جاء به الرسول ودفعناه ورددناه ردنا على الله أمره ، قال الله تعالى (وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) . قلت وعذاب القبر حق ؟ قال : حق يعذبون في القبور • قال وسمعت أبا عبد الله يقول : تؤمن بعذاب القبر وبمنكر ونكير (وان العبد يسأل في قبره فيثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة في القبر • وقال أحمد بن القاسم قلت يا أبا عبد الله نقر بمنكر ونكير - ١) وما يروى في عذاب القبر ؟ فقال سبحانه الله نعم نقر بذلك ، قلت هذه اللفظة تقول : منكر ونكير هكذا أو نقول ملكين ؟ قال : منكر ونكير • قلت يقولون ليس في حديث منكر ونكير ؟ قال هو هكذا - يعنى انهما منكر ونكير • قال الامام ابن القيم في كتابه الروح واما أئمة أهل البدع والضلال فقال أبو الهذيل وبشر المريسي : من خرج عن سنة الايمان فانه يعذب بين النفتين ، قالوا والمسئلة في القبر انما تقع في ذلك الوقت • قال ابن القيم واثبت الجبائي وابنه والبخي عذاب القبر لكنهم نفوه عن المؤمنين وأثبتوه لأصحاب التخليد من الكفار والفساق على أصولهم وبالله التوفيق •

عذاب القبر حق

(التنبيه الثانى)

التنبيه الثانى
عذاب القبر على
النفس والبدن
وقيل غير ذلك

الحق عند أهل السنة ان عذاب القبر على النفس والبدن قال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه العذاب والتعذيب على النفس والبدن جميعا باتفاق أهل السنة والجماعة تنعم النفس وتعذب منفردة عن البدن ، وتنعم وتعذب متصله بالبدن والبدن متصل بها فيكون النعيم والعذاب عليهما في هذه الاحوال مجتمعين كما يكون على الروح منفردة عن البدن ، وهل يكون العذاب والتعذيب المبدن بدون الروح ؟ فيه قولان مشهوران لأهل الحديث والسنة وأهل الكلام . قال شيخ الاسلام وفي المسئلة أقوال شاذة ليست من أقوال أهل السنة والحديث ، أحدها قول من يقول ان النعيم والعذاب لا يكون الا على الروح وان البدن لا ينعم ولا يعذب . قال وهذا تقوله الفلاسفة المنكرون لمعاد الابدان ، وهؤلاء كفار باجماع المسلمين ، ويقولون كثير من أهل الكلام من المعتزلة وغيرهم الذين يقرون بمعاد الابدان لكن يقولون لا يكون ذلك في البرزخ وانما يكون عند القيام من القبور ، وهؤلاء ينكرون عذاب البدن في البرزخ فقط ، ويقولون ان الارواح هى المنعمة والمعذبة في البرزخ فاذا كان يوم القيامة عذبت الروح والبدن معا ، قال وهذا فانه طوائف من المسلمين من أهل الكلام والحديث وغيرهم وهو اختيار ابن حزم وابن ميسرة (١) ، قال وهذا ليس من الاقوال الشاذة بل هو مضاف الى قول من يقر بعذاب القبر ويقر باقيامة ويثبت معاد الابدان والارواح ، ولكن هؤلاء لهم في عذاب القبر ثلاثة أقوال ، على الروح فقط ، عليها وعلى البدن بواسطتها ، على البدن فقط ، وقد (٢) يضم الى ذلك انقول الثانى وهو قول من يثبت عذاب القبر ويجعل الروح هى الحياة - ويجعل الشاذ (٣) قول منكر عذاب الابدان مطلقا وقول من ينكر عذاب البرزخ (٤) مطلقا ؟ فاذا جعلت الاقوال الشاذة ثلاثة (فانقول الثانى) الشاذ قول من يقول ان الروح بمفردها لا تنعم ولا تعذب وانما الروح هى الحياة ، وهذا

(١) فى الاصلين « مرة » والتصويب من كتاب الروح - مخطوط - وكذا ما يأتى .

- (٢) فى الاصلين « وهل » .
- (٣) فى الاصلين « الفساد » .
- (٤) فى الاصلين « الروح » .

يقوله طوائف من أهل الكلام من المعتزلة والاشعرية كالقاضي أبي بكر الباقلاني وغيره وينكرون أن الروح تبقى بعد فراق البدن ، وهو قول باطل ، وقد خالفه أصحابه أبو المعالي الجويني وغيره ، بل قد ثبت بالكتاب والسنة واتفاق الامة أن الروح تبقى بعد فراق البدن وانها منعمة أو معذبة . قال والفلاسفة الالهيون يقولون بذلك لكن ينكرون معاد الابدان وهؤلاء يقولون بمعاد الابدان لكن ينكرون معاد الارواح ونعيمها وعذابها بدون الابدان ، وكلا القولين خطأ وضلال نعم قول الفلاسفة أبعد عن أقوال أهل الاسلام وان وافقهم عليه من يعتقد أنه يتمسك بدين الاسلام بل يظن انه من أهل المعرفة والتصوف و (التحقيق في - ١) الكلام . (القول الثالث) من الشواذ قول من يقول أن البرزخ ليس فيه نعيم ولا عذاب بل (لا - ١) يكون ذلك حتى تقوم الساعة الكبرى كما يقول ذلك بعض المعتزلة وغيرهم ممن ينكر عذاب القبر ونعيمه بناء على ان الروح لا تبقى بعد فراق البدن وان البدن لا ينعم ولا يعذب ، فجميع هؤلاء الطوائف ضلال في أمر البرزخ الا أنهم خير من الفلاسفة لانهم مقرون بالقيامة الكبرى . انتهى . فاذا علمت هذه الاقوال وعرفت بطلانها فاعلم أن مذهب سلف الامة وأئمتها أن الانسان اذا مات يكون في نعيم أو عذاب وأن ذلك يحصل لروحه وبدنه وان الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة أو معذبة وانها تنصل بالبدن أحياناً فيحصل له معها النعيم والعذاب ثم اذا كان يوم القيامة الكبرى أعيدت الارواح الى الاجساد وتاموا من قبورهم الى رب المعاد ، قال ابن القيم : والذين قالوا ان عذاب القبر يجري على الميت من غير رد الارواح الى الاجساد وان الميت يجوز أن يألم ويحس بالآلم ويعلم بلا روح هم جماعة من الكرامية ومن وافقهم ، وقال جماعة من المعتزلة ان الله سبحانه يعذب الموتى في قبورهم ويحدث فيهم الآلام وهم لا يشعرون فاذا حشروا وجدوا تلك الآلام وأحسوا بها ، قالوا وسبيل المعذبين من الموتى سبيل السكران والمغمى عليه لو ضربوه لم يجدوا الآلام فاذا عاد اليهم العقل أحسوا بالآلم الضرب ، وأنكر جماعة منهم عذاب القبر رأساً مثل (ضرار - ١) بن عمرو ويحيى

ابن كامل وهو قول المريسي فهذه أقوال أهل الحيرة والضلال وقد علمت
مذهب سلف الامة وأعيان الائمة والله أعلم •

(الثالث)

تقدم ان عذاب القبر هو عذاب البرزخ فكل من مات وهو مستحق
للعذاب ناله نصيبه منه قبر أو لم يقبر ، وفي صحيح البخارى من حديث
سمرة بن جندب رضى الله عنه في ذكر منام النبي صلى الله عليه وسلم
الطويل ورؤيته للمعذبين كيف يعذبون فانه نص في عذاب البرزخ ، ورؤيا
الانبياء وحي مطابق لما في نفس الامر وبالله التوفيق •

(الرابع)

زعم أبو محمد بن حزم في كتاب الملل والنحل له أن من ظن الميت
يحيا في قبره قبل يوم القيامة فقد أخطأ قال لأن الآيات تمنع من ذلك يعنى
قوله تعالى (ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين) وقوله تعالى (كيف تكفرون
بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم) قال ولو كان الميت يحيا في
قبره لكان الله تعالى قد أماتنا ثلاثا وأحيانا ثلاثا ، قال وهذا باطل وخلاف
القرآن الا من أحياه الله تعالى آية لنبي من الانبياء والذين خرجوا من ديارهم
وهي ألوفا حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم والذي مر على قرية
وهي خاوية على عروشها من خصه نص ، وكذلك قوله تعالى (الله يتوفى
الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت
ويرسل الاخرى الى أجل مسمى) قال فصح بنص القرآن ان ارواح سائر
من ذكرنا لا ترجع الى أجسادهم الا الى أجل مسمى وهو يوم القيامة ، وذكر
من مثل هذا تخيلات وهي !يات محكمات حملها على غير محاملها ، ثم قال :
ولم يأت قط عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في خبر صحيح ان ارواح
الموتى ترد الى أجسادهم عند المسألة ولو صح ذلك لقلنا به ، قال وانما تفرد
بهذه الزيادة من رد الارواح الى الاجساد في القبور المنهال ابن عمرو وليس
بالتقوى تركه شعبة^(١) وغيره وقال فيه المغيرة بن مقسم الضبي - وهو أحد الأئمة - :

التنبيه الثالث
عذاب القبر
لا يختص بمن
يقبر

التنبيه الرابع
قول ابن حزم
لا يحيا الميت في
قبره

(١) فى الاصلين « سعيد » •

تعقد ابن القيم

ما جازت للمنهال بن عمرو قط شهادة في الاسلام - على ما قد نقل وسائر الاخبار الثابتة على خلاف ذلك ، قال وهذا الذي قلناه هو الذي صح أيضا عن الصحابة ، وذكر آثارا يزعم انها تدل على ما قال . قال الامام المحقق ابن القيم : ان أراد ابن حزم بقوله من ظن أن الميت يحيا في قبره الحياة المعهودة في الدنيا التي تقوم فيها الروح بالبدن وتصرفه وتدبره ويحتاج معها الى الطعام والشراب واللباس فهذا خطأ كما قال والحس والعقل يكذبه كما يكذبه النص وان أراد به حياة أخرى غير هذه الحياة بل تعاد الروح اليه اعادة غير الاعادة المأووفة في الدنيا ليستل ويمتحن في قبره فهذا حق ونفيه خطأ وقد دل عليه النص الصحيح الصريح وهو قوله « فتعاد روحه في جسده » في حديث البراء بن عازب رضى الله عنهما قال كنا في جنازة في بقيع الغرقد فأثانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقعد وقعدنا حوله كأن على رؤوسنا الطير وهو يلحد فقال « أعوذ بالله من عذاب القبر » ثلاث مرات ثم قال « ان العبد المؤمن اذا كان في اقبال من الآخرة وانقطع من الدنيا نزلت اليه ملائكة كأن وجوههم الشمس فجلسوا منه مد البصر ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول أيتها النفس المطمئنة اخرجي الى مغفرة من الله ورضوان قال فتسيل كما تسيل القطرة من في السقاء فأخذها فاذا أخذها لم يدعها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحوط ويخرج منها كأطيب نمنحة مسك وجدت على وجه الارض قال فيصعدون بها - الحديث - وفيه : فيقول الله تعالى اكتبوا كتاب عبدى في عليين وأعيدوه الى الارض فاني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى ، فتعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك ؟ فيقول ربى الله ، فيقولان له ما دينك ؟ فيقول ديني الاسلام ، فيقولان له ما هذا الرجل الذي بعث فيكم ؟ فيقول هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيقولان له وما علمك ؟ فيقول قرأت كتاب الله فأمنت به وصدقت - الحديث - وكذلك في حق الكافر وفيه : فتعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه - الحديث - رواه الامام أحمد وأبو داود وروى النسائي وابن ماجه وأوله ورواه أبو عوانة الاسفرائنى .

للروح خمس
تعلقات بالبدن

قال ابن القيم ان قوله « ثم تعاد روحه في جسده » لا يدل على حياة مستقرة وانما يدل على اعادة لها الى البدن وتعلق به والروح لم تنزل متعلقة ببدنها وان بلى وتمزق ، وسر ذلك ان الروح لها بالبدن خمسة أنواع من التعلق متغايرة الاحكام (أحدها) تعلقها به في بطن الأم جنينا (الثاني) تعلقها به بعد خروجه الى وجه الارض (الثالث) تعلقها به في حال النوم فلها به تعلق من وجه ومفارقة من وجه (الرابع) تعلقها به في البرزخ فانها وان فارقت وتجردت عنه فانها لم تفارقه فراقا كلياً بحيث لا يبقى لها اليه انتفات البتة ، وقد ذكرنا من الاحاديث ما يدل على ردها اليه ، وكذلك ثبت انها ترد اليه عند سلام المسلم وهذا الرد اعادة خاصة لا توجب حياة إبدن قبل يوم القيامة (الخامس) تعلقها به يوم بعث الاجساد وهو أكمل تعلقاتها بالبدن ولا نسبة لما قبله من أنواع التعلق اليه اذ هو تعلق لا يقبل البدن معه موتا ولا نوماً ولا فساداً . وقول ابن حزم في المنهال ما قال تحامل منه بارد فللمنهال ابن عمرو أحد اثقات العدول ، قال الامام يحيى بن معين : المنهال ثقة . وقال العجلي : كوفي ثقة . وأعظم ما قيل فيه انه سمع من بيته صوت غناء ، وهذا لا يوجب القدح في روايته . وتضعيف ابن حزم له غير معتبر فانه لم يذكر موجبا لتضعيفه غير تفرد به بقوله « فتعاد روحه في جسده » وقد استدرك عليه زعمه تفرد به الامام المحقق ابن القيم وبين انه لم يتفرد بها بل رواها غيره ، وقد روى ما هو أبلغ منها ونظيرها كقوله « فررد اليه روحه » وقوله « فيستوى جالسا » وقوله « فيجلسانه » وقوله « فيجلس في قبره » وكلها أحاديث صحاح لا مغز فيها والاحاديث الصحيحة صريحة بخلاف ما زعم ابن حزم وأطال ابن القيم في ذلك بما يشفى ويكفي وبالله التوفيق .

((فصل))

في ذكر الروح والكلام عليها وقد أشار الى قطرة من بحر لحي من متعلقاتها فقال :

فصل في الكلام
في الروح والخلاف
في حقيقتها

((وإن أرواح الورى لم تعدم مع كونها مخلوقة فاستفهم))

((و)) مما ينبغى العلم به ((ان أرواح)) بنى آدم جمع روح ، قد اختلف في حقيقتها وهل هى النفس أو غيرها ؟ وهل هى جزء من البدن

أو عرض من أعراضه أو جسم مساكن له مودع فيه أو جوهر مجرد؟ قد تكلم الناس في هذه المسائل من سائر الطوائف واضطربت فيها أقوالهم وكثر فيها خطأهم ، ومن الناس من أمسك عن الكلام والخوض فيها لقوله تعالى (ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي) الآية وهدى الله أتباع الرسول وسلف الأمة وأهل السنة لما اختلفوا فيه من الحق باذنه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم . قال الامام ابن القيم بعد ما ساق أقوال الناس في حقيقة الروح على اختلاف مذاهبهم وتباين آرائهم وذكر عدة مذاهب وزيفها ثم قال : والصحيح ان الروح جسم مخالف بالماهية لهذا الجسم المحسوس وهو جسم نوراني علوي خفيف حي متحرك ينفذ في جوهر الاعضاء ويسرى فيها سريان الماء في الورد وسريان الدهن في الزيتون والنار في الفحم فما دامت هذه الاعضاء سالحة لقبول الأثار الفائضة عليها من هذا الجسم اللطيف بقي هذا الجسم اللطيف متشابكا بهذه الاعضاء وأفادها هذه الأثار من الحس والحركة والارادة، واذا فسدت هذه الأعضاء سبب استيلاء الا-فلاط الغليظة عليها وخرجت عن قبول تلك الأثار فارق الروح البدن وانفصل الى عالم الارواح . قال وهذا انقول هو الصواب في المسئلة وهو الذي لا يصح غيره وكل الأقوال سواء باطلة وعليه دل الكتاب والسنة واجماع الصحابة وأدلة العقل والفطرة . وذكر له مائة دليل وخمسة عشر دليلا وأجاد وأفاد وزيف كلام ابن سينا وابن حزم وأمثالهما ونحوهما .

(فائدة)

ذكر بعض المتكلمين ان محل الروح انقلب واستدل له بحديث ابن عساكر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « أما النفس ففي القلب وانقلب بالنياط والنياط يسقى العروق فاذا هلك القلب انقطع العرق » وهذا حديث مرسل وقال الحافظ ابن حجر في الاصابة : فيه غريب كثير وأسائده ضعيفة جدا والله أعلم . وأما اختلاف الناس في الروح وهل هي النفس أو غيرها؟ فمن الناس من قال هما اسمان لمسمى واحد، وهذا قول الجمهور ، وقيل بل هما متغايران ، قال الامام المحقق ابن القيم في كتابه الروح : النفس

معاني النفس

تطلق على أمور (أحدها) الروح قال الجوهري النفس الروح يقال خرجت
نفسه قال أبو خراش :

نجا سلما والنفس منه بشدقه ولم ينبج الاجفن سيف ومثزر

أى بجنن سيف ومثزر والنفس الدم يقول سالت نفسه ، وفي الحديث
« مالنفس له سائلة لا ينجس الماء اذا مات فيه » ، والنفس الجسد قال
الشاعر :

نبئت ان بنى تميم ادخلوا أبياتهم تامور نفس المنذر

والتامور الدم ، والنفس العين يقال أصابت فلانا نفس أى عين . قال ابن
القيم : ليس كما قال فالنفس ها هنا الروح ونسبة الاصابة الى العين توسع
لانها تكون بواسطة النظر والذي أصابه انما هو نفس العائن . وتطلق النفس
على الذات كقوله تعالى (فسلموا على أنفسكم - ولا تقولوا أنفسكم - يوم
تأبى كل نفس تجادل عن نفسها - كل نفس بما كسبت رهينة) وتطلق
النفس على الروح وحدها كقوله تعالى (يا أيها النفس المطمئنة - وأخرجوا
أنفسكم - ونهى النفس عن الهوى) وقوله (ان النفس لامارة بالسوء - ولا
اقسم بالنفس اللوامة) ، وأما الروح فلا تطلق على البدن لا بانفراده ولا مع
النفس ، وتطلق الروح على القرآن كقوله تعالى (وكذلك أوحينا اليك روحا
من أمرنا) ، وعلى الوحي كقوله تعالى (يلقي الروح من أمره على من يشاء
من عباده لينذر يوم التلاق) وقال (وينزل الملائكة بالروح من أمره على من
يشاء من عباده ان أنذروا انه لا اله الا أنا فاتقون) وانما سمي ذلك روحا
لما يحصل به من الحياة النافعة فان الحياة بدونه لا تنفع صاحبها البتة بل حياة
الحيوان البهيم خير منها وأسلم عاقبة . وسميت الروح روحا لأن بها حياة
البدن وكذلك سميت الريح ريحا لما يحصل بها من الحياة وهي من ذوات
انواو ولهذا تجمع على أرواح قال الشاعر :

معاني الروح

اذا هبت الارواح من نحو أرضكم وجدت لسراها على كبسدى بردا

ومنها الروح والريحان والاستراحة ، فسميت النفس روحا لحصول
الحياة بها وسميت نفسا اما من الشيء النفس لنفستها وشرفها واما من تنفس
الشيء اذا خرج فلكثره خروجها ودخولها في البدن سميت نفسا، ومنه النفس

الفرق بين
النفس والروح
بالصفات لا
بالذات

بالتحريك ، فان العبد كل ما نام خرجت منه فاذا استيقظ رجعت اليه فاذا مات خرجت خروجا كليا فاذا دفن عادت اليه فاذا سئل خرجت فاذا بعث عادت اليه أي رجعت له • قال الامام ابن القيم فالفرق بين النفس والروح فرق بالصفات لا فرق بالذات وانما سمي الدم نفسا لان خروجه الذي يكون مع الموت يلزم خروج النفس وأن الحياة لا تتم الا به كما لا تتم الا بالنفس فلهذا المعنى قال السحؤل :

تسيل على حد انطبات نفوسنا وليست على غير الطبقات تسيل

ويقال فاضت نفسه وخرجت نفسه وفارقت كما يقال خرجت روحه وفارقت ولكن الفيض الاندفاع بكثرة وسرعة يقال أفاض اذا دفع باختياره وارادته وفاض اذا دفع قهرا وقسرا فالله سبحانه هو الذي يفيضها عند الموت فتفيض هي • وقالت فرقة من أهل الحديث والفقه والتصوف:الروح غير النفس ، قال مقاتل بن سليمان للانسان حياة وروح ونفس فاذا نام خرجت نفسه التي يعقل بها الاشياء ولم تفارق الجسد بل تخرج كجبل ممشد له شعاع فيرى الرؤيا بالنفس التي خرجت منه وتبقى الحياة والروح في الجسد فيه ينقلب ويتنفس فاذا حرك رجعت اليه الروح (?) أسرع من طرفة عين فاذا أراد الله تعالى أن يميته في المنام أمسك تلك النفس التي خرجت • وقال أيضا : اذا نام خرجت نفسه وصعدت الى فوق فاذا رأت الرؤيا رجعت فاخبرت الروح وتخبر الروح القلب فيصبح ويعلم انه قد رأى كيت وكيت • وقال أبو عبد الله ابن منده من علمائنا : ثم اختلفوا في معرفة الروح والنفس فالنفس طينية نارية والروح نورية روحانية • وزعم بعضهم أن الروح لاهوتية والنفس ناسوتية وأن الخالق بها ابتلى • • وقال طائفة من أهل الاثر أن الروح غير النفس والنفس غير الروح وقوام النفس بالروح ، والنفس صورة العبد والهوى والشهوة والبلاء معجون فيها ولا عدو أعدى لابن آدم منها ، فالنفس لا تريد الا الدنيا ولا تحب الا اياها ، والروح تدعو الى الآخرة وتؤثرها ، وجعل الهوى تبعا للنفس والشيطان مع النفس واهوى ، وجعل الملك مع العقل والروح والله سبحانه وتعالى يمدهما بالهامه وتوفيقه • وقال بعضهم الارواح من أمر الله أخفى حقيقتها وعلمها عن

الخلق • وقال بعضهم الارواح نور من نور الله وحياء من حياة الله • وقالت طائفة للمؤمن ثلاث أرواح ولكافر والمنافق روح واحدة • وقال بعضهم للانباء والصدقيين خمس أرواح • وقال بعضهم الارواح روحانية خلقت من الملكون فان صفت رجعت الى الملكوت • ذكر هذا كله الامام ابن القيم في كتابه الروح ثم قال قلت الروح التي تتوفي وتفيض روح واحدة وهى النفس وأما ما يؤيد الله به أولياءه من الروح فهى روح أخرى غير هذه الروح كما قال تعالى (أولئك كتب في قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه) وكذا التى أيد بها عيسى بن مريم عليه السلام في قوله تعالى (اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك اذ أيدتك بروح القدس) وكذلك الروح التى يليها على من يشاء من عباده هى غير الروح التى فى البدن ، وأما القوى التى فى البدن وان أطلق عليها أرواحاً^(١) كما يقال الروح الباصرة والروح السامعة والروح الشامة فهى قوى مودعة فى الابدان تموت بموت الابدان وهى غير الروح التى لا تموت بموت البدن ولا تبلى كما يبلى ، قال وتطلق الروح على أخص من هذا كله وهو قوة المعرفة بالله تعالى والانابة اليه ومحبه وانبعث الهمة الى طلبه وارادته ونسبة هذا الى الروح كنسبة الروح الى البدن فاذا فقدتها الروح كانت بمنزلة البدن اذا فقد روحه وهى الروح التى يؤيد بها أهل ولايته ، ولهذا يقال فلان فيه روح وفلان ما فيه روح ، والممجة روح ، وللانابة روح ، ولتوكل والصدق روح ، واناس متفازتون فى هذه الارواح أعظم تفاوت فمنهم من تغلب عليه هذه الارواح فيصير روحانيا ومنهم من يفقدها أو أكثرها فيصير أرضيا بهيميا والله المستعان ((الورى)) محله جر بالاضافة الى الارواح أى أرواح الورى ، قال فى القاموس : والورى كفتى الخلق • والمراد بنو آدم ومثلهم الجن فيما يظن لان التكليف والمعاد والحساب يشملهم ((لم تعدم)) بموت الابدان التى كانت فيها ولا تموت هى ولا تنفى ، وزعمت طائفة انها تموت وتذوق الموت لأنها نفس وكل نفس ذائقة الموت ، قالوا : ودات الادلة على انه لا يبقى الا الله

(١) قوله وان أطلق عليها أرواحاً الخ الذى فى كتاب الروح • فانها تسمى أيضا أرواحاً ، الخ ولا يخلو كثير نقله من مثل هذا التصرف ولا نتعرض له ا هـ مصححه

تعالى وحده كما قال تعالى (كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام) وقال تعالى (كل شيء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون) قالوا واذا كانت الملائكة تموت فالنفوس البشرية أولى والدليل على عدمها عدم قدمها ولهذا قال الصواب عدم عدمها ((مع كونها)) أى الارواح ((مخلوقة)) لله تعالى ومحدثه ومربوبة أوجدتها بعد أن لم تكن ((فاستفهم)) أى اطلب علم ذلك من مظانه واستكشفه من مكانه، يقال فهم كفرح فهما ويحرك وهى أفصح وفهامة وفهامية علم الشيء وعرفه بالقلب وهو فهم ككنف سريع الفهم واستفهمنى طلب منى فهم المطلوب فأفهمته وفهمته ، فالفهم قوة من شأنها ان تعد النفس لاكتساب الآراء، والذكاء جودة تلك القوة، والذهن قيل يرادف الفهم وقدمه في القاموس فقال: الذهن بالكسر الفهم والعقل وحفظ القلب والفضة . وقال غيره الذهن هو نفس القوة والفهم استعمالها . وانما حث على طلب الفهم في ذلك وامعان التدقيق لادراك تلك المدارك لاختلاف مقالات الناس في هذا المقام ولانه مزلة أقدم ومظنة أوهام . وحاصل ذلك انه ذكر مسألتين عظيمتين الأولى أن الروح مخلوقة ومحدثه والثانية ان عدم لا يدركها والفناء لا يلحقها، ولذا ذكر أدلة كل مسألة وحكمها وما فيها من الخطأ والصواب على حديتها، ولتقدم أولا ما آخره في النظم نظرا للواقع فتقول :

الفهم والذكاء
والذهن

مسألتان الأولى
الروح مخلوقة
باجماع الرسل

اعلم رحمك الله ان هذه المسئلة زل فيها عالم وضل فيها طوائف من بنى آدم وهدى الله اتباع رسله فيها للحق المبين والصواب المستبين فأجمعت الرسل صلوات الله وسلامه عليهم على ان روح الانسان محدثة مخلوقة مصنوعة مربوبة مدبرة وهذا معلوم بالاضطرار من دين الرسل صلوات الله وسلامه عليهم كما يعلم بالاضطرار من دينهم ان العالم حادث وان معاد الابدان واقع وان الله تعالى وحده الخالق وكل ما سواه مخلوق له ، وقد انطوى عصر الصحابة والتابعين وتابعيهم وهم القرون المفضلة على ذلك من غير اختلاف بينهم في حدوثها وانها مخلوقة حتى نبغت نابغة ممن تصرفهم في الكباب والسنة فزعم انها قديمة غير مخلوقة واحتج لذلك انها من أمر الله وأمر الله غير مخلوق وبأن الله أضافها اليه كما أضاف اليه علمه وكتابه

وقدرته وسمعته وبصره ويده • وتوقف آخرون فقالوا لا نقول مخلوقة ولا غير مخلوقة •

كلام ابن منده
فى خلق الروح

وقد سئل عن ذلك حافظ اصبهان أبو عبد الله ابن منده من أعيان علمائنا فقال : أما بعد فإن سائلا يسأل عن الروح التى جعلها الله سبحانه قوام أنفس الخلق وأبدانهم وذكر أقواما تكلموا فى الروح وزعموا أنها غير مخلوقة وخص بعضهم منها أرواح القدس وانها من ذات الله، قال وأنا أذكر أقاويل متقدميهم وأبين ما يخالف أقاويلهم من الكتاب والائثر وأقاويل الصحابة والتابعين وأهل العلم وأوضح به خطأ المتكلم فى الروح بغير علم وان كلامهم يوافق قول جهم بن صفوان وأصحابه • فذكر أن الناس اختلفوا فى معرفة الارواح ومحلها من النفس فقال بعضهم الارواح كلها مخلوقة ، قال وهذا مذهب أهل الجماعة والائثر واحتجت بقول النبى صلى الله عليه وسلم «الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف» رواه الامام أحمد ومسلم وأبو داود من حديث ابى هريرة رضى الله عنه، ورواه البخارى من حديث عائشة رضى الله عنها ، ورواه الطبرانى من حديث ابن مسعود رضى الله عنه ، وروى أيضا من حديث سلمان الفارسى وعبدالله بن عباس وأمير المؤمنين على بن أبى طالب وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس رضى الله عنهم أجمعين ، والجنود المجندة لا تكون الا مخلوقة • وقال بعضهم الارواح من أمر الله أخفى الله حقيقتها وعلمها عن الخلق واحتجت بقوله تعالى (قل الروح من أمر ربي) وقال بعضهم الارواح نور من الله تعالى وحياة من حياته واحتجوا بقول النبى صلى الله عليه وسلم «ان الله خلق خلقه فى ظلمة ثم ألقى عليهم من نوره - وتنام الحديث - فمن أصابه من ذلك النور يومئذ اهتدى ومن أخطأه ضل » رواه الامام أحمد والترمذى والحاكم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما • وقال محمد بن نصر المروزى فى كتابه تأول صنف من الزنادقة وصنف من الروافض فى روح ابن آدم متأولته النصارى فى روح عيسى وما تأوله قوم من أن الروح انفصل من ذات الله تعالى وتقدست اسماؤه فصار فى المؤمن فعبد صنف من النصارى عيسى ومريم جميعا لان عيسى عندهم

أقوال المخالفين

روح الله فصار في مريم فهو غير مخلوق عندهم • وقال صنّف من الزنادقة وصنّف من الروافض ان روح آدم عليه السلام مثل ذلك انه غير مخلوق وتأولوا قوله (ونفخت فيه من روحي) وقوله (ثم سواه ونفخ فيه من روحي) فزعموا ان روح آدم ليس بمخلوق كما تأول من قال ان النور من الرب غير مخلوق ، قالوا ثم صار بعد آدم في الوصي بعده ثم هو في كل نبي ووصى الى ان صار في علي بن أبي طالب رضى الله عنه ثم في ابنه الحسن والحسين رضى الله عنهما ثم في كل وصى وامام فيه يعلم الامام كل شيء لا يحتاج ان يتعلم من أحد • قال ولا خلاف بين المسلمين ان الارواح في آدم وبنيه عيسى ومن سواه من بنى آدم كلها مخلوقة لله خلقها وأنشأها وكونها وأخير عنها ثم أضافها الى نفسه كما أضاف اليه سائر خلقه قال تعالى (وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه)

كلام شيخ الاسلام

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله روحه : روح الأدمى مخلوقة مبتدعة باتفاق الامة وأئمتها وسائر أهل السنة ، وقد حكى اجماع العلماء على انها مخلوقة غير واحد من أئمة المسلمين مثل محمد بن نصر المروزي الامام المشهور الذى هو من أعلم أهل زمانه بالاجماع والاختلاف وكذلك أبو محمد ابن قتيبة • وقال الامام أبو اسحق ابن شاقلا من أئمة علمائنا وهذا - يعنى كون الروح مخلوقة - مما لا يشك فيه من وفق للصواب ان الروح من الاشياء المخلوقة •

كلام ابن القيم

قال الامام المحقق ابن القيم في كتابه الروح ، قد تكلم في هذه المسئلة طوائف من أكابر العلماء والمشايخ وردوا على من يزعم انها غير مخلوقة وصنّف الحافظ أبو عبد الله ابن منده في ذلك كتابا كبيرا وقبله الامام محمد ابن نصر المروزي وغيره والشيخ أبو سعيد الخراز وأبو يعقوب النهرجورى والقاضى أبو يعلى وقد نص على ذلك الائمة الكبار واشتد تكبيرهم على من يقول ذلك في روح عيسى بن مريم عليه السلام فكيف بروح غيره كما ذكره

رد الامام احمد على الزنادقة والجهمية

الامام أحمد رضى الله عنه في ما كتبه في مجبسه في الرد على الزنادقة والجهمية - قال : ثم ان الجهمى ادعى أمرا فقال انا أجد آية في كتاب الله مما يدل على ان القرآن مخلوق قول الله تعالى (انما المسيح عيسى بن مريم

رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه) وعيسى مخلوق • قلنا له ان الله منعك الفهم للقرآن ان عيسى تجرى عليه ألقاها لا تجرى على القرآن لانا نسميه مولودا وطفلا وصيبا وغلاما يأكل ويشرب وهو مخاطب بالامر والنهي ويجرى عليه الخطاب والوعد والوعيد ثم هو من ذرية نوح ومن ذرية ابراهيم فلا يحل لنا ان نقول في القرآن ما نقول في عيسى - الى ان قال - والكلمة التي ألقاها الى مريم حين قال له كن فكان عيسى بكن وليس عيسى هو كن ولكن كان بكن فكن من الله قولاً وليس كن مخلوقاً ، وكذبت النصارى والجهمية على الله في أمر عيسى ، وذلك ان الجهمية قالوا روح الله وكلمته الا أن كلمته مخلوقة ، وقالت النصارى عيسى روح الله وكلمته فالكلمة من ذاته كما يقال هذه الخارقة من هذا الثوب ، قلنا نحن ان عيسى بالكلمة كان وليس هو الكلمة وانما الكلمة قول الله وقوله تعالى (وروح منه) يقول من أمره كان الروح فيه كقوله (وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعاً منه) يقول من أمره ، وتفسير روح الله انما معناها بكلمة الله كما يقال عبد الله وسماء الله وأرض الله • فقد صرح بأن روح المسيح مخلوقة فكيف بسائر الارواح وقد أضاف الله اليه روح الذي أرسله الى مريم وهو عبده ورسوله ولم يدل ذلك على انه قديم غير مخلوق فقال تعالى (فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً * قالت أنى أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقياً * قال إنما أنا رسول ربك) فهذا الروح هو روح الله وهو عبده ورسوله •

الإضافة الى الله نوعان

ومما ينبغي ان يعلم ان المضاف الى الله سبحانه نوعان صفات لا تقوم بأنفسها كالعلم والقدرة والكلام والسمع والبصر وهذه اضافة صفة الى الموصوف بها فالعلم والقدرة الخ صفات له تعالى غير مخلوقة وكذا وجهه ويده ونحو ذلك من الصفات الخيرية والذاتية وكذا الفعلية من التكوين والمحبة والرضا ونحوها ، في مذهب السلف كما مر (والثاني) اضافة أعيان منفصلة كبيت الله وناقية الله وعبد الله ورسول الله وكذلك روح الله فهذه اضافة مخلوق الى خالقه وموضوع الى صانعه لكنها تقتضى تخصيصاً أو تشريفاً يتميز به المضاف اليه عن غيره كبيت الله وان كانت كل البيوت له

ملكا له وكذلك ناقة الله والنوق كلها ملكه وخلقها ولكن هذه اضافة الى الهيته تقتضى محبته لها وتكريمه وتشريفه بخلاف الاضافة العامة الى ربوبيته حيث تقتضى خلقه وايجاده فالاضافة العامة تقتضى الخلق والايجاد والخاصة تقتضى الاختيار (والله يخلق ما يشاء ويختار) فاضافة الروح اليه تعالى من هذه الاضافة الخاصة لا من العامة ولا من باب اضافة الصفات فتأمل هذا الموضوع فانه نفيس ويخلصك من ضلالات كثيرة وقع فيها من شاء الله من الناس كما أوضحه وبرهن عليه وبينه الامام المحقق ابن القيم في كتابه الروح وقال ان الروح توصف بالوفاة والقبض والامساك والارسال وهذا من شأن المحدث المربوب وأطال في الاحتجاج ودفع مقالات أهل البدع واللجاج وثمره ذلك كون الروح مخلوقة بالاجماع والله تعالى الموفق .

المسألة الثانية

المسألة الثانية فى عدم فناء الروح

مما ذكر في أصل العقيدة بقاء الأرواح وانه لا يلحقها عدم ولا فناء ولا اضمحلال لانها خلقت للبقاء وانما تموت الابدان وقد دلت على هذا الاحاديث الدالة على نعيم الأرواح وعذابها بعد مفارقتها لابدانها الى أن يرجعها الله تعالى اليها ولو ماتت الأرواح لانقطع عنها النعيم والعذاب وقد قال الله تعالى (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون * فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم) مع القطع بأن أرواحهم قد فارقت أجسادهم وقد ذاق الموت، قال المحقق ابن القيم : الصواب ان موت النفوس هو مفارقتها لأجسادها وخروجها منها فان اريد بموتها هذا القدر فهي ذائقة الموت وان أريد انها تعدم وتضمحل وتصير عدما محضاً فانها لا تموت بهذا الاعتبار بل هي باقية بعد خلقها في نعيم أو عذاب ، وقد نظم أحمد بن الحسين الكندي هذا الاختلاف في قوله : تنازع الناس حتى لا اتفاق لهم الا على شجب والخلف في الشجب فقيل تخلص نفس المرء - مسألة - وقيل تشرك جسم المرء في العطب اشجب بالشين المعجمة والجيم فموحدة محركا الحزن والعنت يصيب من مرض أو قتال كما في القاموس . فان قيل فبعد النفخ في الصور هل تبقى الأرواح حية كما هي أو تموت ثم تحيا ؟ فالجواب قد قال الله تعالى (ونفخ

هل تموت عند
النفخ فى
الصور ؟

في الصور فصعق من السموات ومن في الارض الا من شاء الله) فقد استثنى الله تعالى بعض من في السموات ومن في الارض من هذا الصعق فقليل هم الشهداء ، وهذا قول أبي هريرة وابن عباس رضى الله عنهم وسعيد بن جبير رحمه الله وقيل هم جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت ، وهو قول مقاتل وغيره ، وقيل هم الذين في الجنة من الحور العين وغيرهم ومن في النار من أهل العذاب وخزنتها ، قال الامام أبو اسحاق ابن شاقلا من أصحابنا ، وقد نص امامنا الامام أحمد رضى الله عنه على ان الحور العين والولدان لا يموتون عند النفخ في الصور ، وقد أخبرنا سبحانه ان أهل الجنة (لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى) وهذا نص على انهم لا يموتون غير تلك الموتة الاولى فلو ماتوا مرة ثانية لكانت موتان ، وأما قول أهل النار (ربنا أمنا اثنتين وأحييتنا اثنتين) فتفسر هذه الآية الآيه التي في سورة البقرة وهى قوله تعالى (كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم فكانوا أمواتا وهم نطف في أصلاب آبائهم وفي أرحام أمهاتهم ثم أحياهم بعد ذلك ثم أماتهم ثم يحييهم يوم النشور وليس في ذلك أماتة ارواحهم قبل يوم القيامة والا كانت ثلاث موتات • وصعق الأرواح عند النفخ في الصور لا يلزم منه موتها ففي الحديث الصحيح « ان الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من ينفق فاذا موسى آخذ بقائمة العرش فلا ادري أفاق قبلى أم جوزى بصعقة يوم الطور» فهذا صعق في موقف القيامة اذا جاء الله لفصل القضاء وأشرقت الارض بنوره فحينئذ يصعق الخلائق كلهم قال تعالى (فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذى فيه يصعقون) ولو كان هذا الصعق موتا لكانت موتة أخرى • قال الامام المحقق ابن القيم في كتاب الروح : وقد تنبه لهذا جماعة من الفضلاء فقال ابو عبد الله القرطبي : ظاهر هذا الحديث ان هذه صعقة غشى تكون يوم القيامة لا صعقة الموت الحادثة عند نفخ الصور ، قال وقد قال شيخنا أحمد بن عمرو : ظاهر حديث النبى صلى الله عليه وسلم يدل على ان هذه الصعقة انما هى بعد النفخة الثانية نفخة البعث ونص القرآن يقتضى ان ذلك الاستثناء انما هو بعد نفخة الصعق ، ولما كان هذا قال بعض العلماء يحتمل

ان يكون موسى عليه السلام ممن لم يمت من الانبياء . وهذا باطل . وقال
القاضي عياض يحتمل أن يكون المراد بهذه صعقة فزع بعد النشور حين
تنشق السموات والارض قال فتتسق الاحاديث والآثار . ورد عليه
أبو العباس القرطبي فقال يرد هذا قوله في الحديث الصحيح انه حين يخرج
من قبره يلقى موسى آخذا بقائمة العرش ، قال وهذا انما هو عند نفخة
الفزع . قال أبو عبد الله القرطبي قال شيخنا أحمد بن عمرو الذي يزيح
هذا الاشكال ان شاء الله تعالى ان الموت ليس بعدم محض وانما هو انتقال
من حال الى حال ويدل على ذلك ان الشهداء بعد موتهم وقتلهم أحياء عند
ربهم يرزقون فرحين وهذه صفة الأحياء في الدنيا ، واذا كان هذا في
الشهداء كان الانبياء بذلك أحق وأولى ، مع انه قد صح عن النبي صلى الله
عليه وسلم ان الارض لا تأكل أجساد الانبياء وانه صلى الله عليه وسلم
اجتمع بالانبياء ليلة الاسراء في بيت المقدس وفي السماء وخصوصا بموسى
عليه وعليهم السلام ، وقد أخبر نبينا صلى الله عليه وسلم انه ما من مسلم
يسلم عليه الا رد الله عليه روحه حتى يرد عليه السلام الى غير ذلك مما
يحصل من جملته القطع بأن موت الانبياء انما هو راجع الى أنهم غيبوا
عنا بحيث لا ندرکہم وان كانوا موجودين أحياء وذلك كالحال في الملائكة
فأنهم أحياء موجودون ولا نراهم ، واذا تقرر أنهم أحياء فاذا نفخ في الصور
نفخة الصعق صعق كل من في السموات والارض الامن شاء الله فاذا صعق غير
الانبياء موت ، وأما صعق الانبياء فالأظهر انه غشية فاذا نفخ في الصور نفخة
البعث فمن مات حيي ومن غشى عليه أفاق ، ولذلك قال النبي صلى الله
عليه وسلم في الحديث المتفق على صحته « فأكون أول من يفيق » فنبينا
صلى الله عليه وسلم أول من يخرج من قبره قبل جميع الناس الا موسى فانه
حصل فيه تردد هل بعث قبله من غشيته أو بقى على الحالة التي كان عليها
قبل نفخة الصعق ميقا لانه حوسب بصعقة يوم الطور ، وهذه فضيلة عظيمة
لموسى عليه السلام ، ولا يلزم من فضيلة واحدة فضيلة موسى عليه السلام
على نبينا مطلقا لأن الشيء الجزئي لا يوجب أمرا كلياً . انتهى . قال
أبو عبد الله القرطبي ان حمل الحديث على صعقة لخلق يوم القيامة فلا

اشكال وان حمل على صعقة الموت عند النفخ في الصور فيكون ذكر يوم القيامة مرادا به أوائله فالمعنى اذا نفخ في الصور نفخة البعث كنت أول من يرفع رأسه فاذا موسى أخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدري أفاق قبلي أم جوزى بصعقة الطور • قال المحقق ابن القيم وحمل الحديث على هذا لا يصح لانه صلى الله عليه وسلم تردد هل أفاق موسى قبله أو لم يصعق • بل جوزى بصعقة الطور ، فالمعنى لا أدري أصعق أم لم يصعق ، وقد قال في الحديث فأكون أول من ينيق ، وهذا يدل على انه صلى الله عليه وسلم يصعق فيمن يصعق ، ولو كان المراد به الصعقة الاولى وهى صعقة الموت لكان قد جزم بموته وتردد هل مات موسى أو لم يموت ، وهذا باطل لوجوه كثيرة ، فعلم انها صعقة فزع لا صعقة موت ، وحينئذ فلا تدل الآية على أن الارواح تموت عند النفخة الاولى ، نعم تدل على موت الخلائق عند النفخة الاولى وكل من لم يذق الموت قبلها فانه يذوقه حينئذ وأما من ذاق الموت أو لم يكتب عليه الموت فلا تدل الآية على انه يموت مودة ثانية والله أعلم (١) .

(تمتة)

(مسائل مما نحن بصدده من أمر الروح)

تتمة في مسائل

(الاولى) اختلف في خلق الارواح هل كان قبل الاجساد أو تأخر عنها؟ فلنأس فيها قولان معروفان حكاهما شيخ الاسلام ابن تيمية وتلميذه المحقق ابن القيم وغيرهما وممن ذهب الى تقدم خلق الارواح على الاجساد محمد بن نصر المروزي وأبو محمد ابن حزم بل حكاها ابن حزم اجماعا ، واحتج من قال بذلك بحجج منها قوله تعالى (ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا) وثم للترتيب والمهلة فقد تضمنت الآية الكريمة ان خلقنا مقدم على أمر الله للملائكة بالسجود لآدم ومن المعلوم قطعا ان أبداننا حادثة بعد ذلك فعلم انها الارواح ، قالوا ويدل عليه قوله تعالى (واخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى) وهذا الاستطاق والاشهاد انما كان (١) راجع كتاب الروح فان فيه كلاما فى الاحاديث وان رواية « أم كان ممن استثنى الله » خطأ • والصواب رواية « أم جوزى بصعقة يوم الطور » .

الأولى الأرواح
خلقت قبل أم
الاجساد ؟
الدلائل تقدم
الأرواح

آية (واذا أخذ
ربك) وتفسيرها

لأرواحنا اذ لم تكن الابدان حينئذ موجودة ، ففى موطأ الامام مالك أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه سئل عن هذه الآية (واخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم) فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسئل عنها فقال « خلق الله آدم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذريته فقال خلقت هؤلاء للنار ويعمل أهل النار يعملون وخلقت هؤلاء للجنة ويعمل أهل الجنة يعملون » فقال رجل يا رسول الله فقيم العمل ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان الله اذا خلق الرجل للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخل به الجنة ، واذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخله به النار » قال الحاكم هذا حديث على شرط مسلم . وروى الحاكم من حديث أبي هريرة مرفوعا « لما خلق الله آدم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها الى يوم القيامة أمثال الذر ثم جعل بين عيني كل انسان منهم ويصا من نور ثم عرضهم على آدم فقال من هؤلاء يا رب ؟ فقال : هؤلاء ذريتك ، فرأى رجلا منهم اعجبه ويص ما بين عينيه فقال يا رب من هذا ؟ فقال : هذا ابنك داود يكون في آخر الامم ، قال كم جعلت له من العمر ؟ قال ستين سنة ، قال يا رب زده من عمرى أربعين سنة ، فقال الله اذا يكتب فيحتم فلا يبدل ، فلما انقضى عمر آدم جاءه ملك الموت قال : أو لم يبق من عمرى أربعون سنة ؟ فقال : أو لم تجعلها لابنك داود ؟ قال فجحد فجحدت ذريته ، ونسى فنسيت ذريته ، وخطيء فخطئت ذريته » قال الحاكم : هذا على شرط مسلم . ورواه الترمذى وقال : هذا حديث حسن صحيح . ورواه الامام أحمد من حديث ابن عباس رضى الله عنهما قال : لما نزلت آية الدين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أول من جحد آدم عليه السلام » وزاد ابن سعد : ثم أكمل الله لآدم ألف سنة ولد داود مائة سنة . وفي صحيح الحاكم أيضا عن أبي بن كعب رضى الله عنه في قوله تعالى (واخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم) الآية قال جمعهم له يومئذ جميعا ما هو كائن الى يوم القيامة فجعلهم أرواحا ثم صورهم واستنطقهم فتكلموا وأخذ عليهم العهد والميثاق وأشهدهم على

أنفسهم ألسنت بربكم قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين . قال : فاني أشهد عليكم السموات السبع والارضين السبع وأشهد عليكم أبابكم آدم أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين فلا تشركوا بى شيئا فاني أرسل اليكم رسلا يذكرونكم عهدي وميثاقى وانزل عليكم كتيبى . فقالوا انا نشهد انك ربنا والهنال رب لنا غيرك . ورفع لهم أبوهام آدم فرأى فيهم الغنى والفقير وحسن الصورة وغير ذلك فقال رب لو سويت بين عبادك ، فقال اى احب أن أشكر ، ورأى فيهم الانبياء مثل السرج وخصوا بميثاق آخر بالرسالة والنبوة فذلك قوله تعالى (واذا أخذنا من النبيين ميثاق ومنك ومن نوح) وهو قوله (فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله) وهو قوله (هذا نذير من النذر الاولى) وقوله (وما وجدنا لأكثرهم من عهد وان وجدنا أكثرهم لفاسيقين) قال وكان روح عيسى من تلك الارواح التى أخذ عليها الميثاق فأرسل ذلك الروح الى مريم حين انتبذت من أهلها مكانا شرقيا فدخل من فيها . وهذا اسناد صحيح . وأخرجه اسحاق بن راهويه ، ورواه محمد بن نصر المروزي من حديث عبد الله بن سلام ، وقد روى ذلك من وجوه متعددة عن جماعة من الصحابة متعددة وفيه انه أخرجهم مثل الذر ومثل اللؤلؤ بيضا . وروى اسحاق ثنا روح بن عباد ثنا موسى بن عبيدة الربذي قال سمعت محمد بن كعب القرظي يقول فى هذه الآية اقروا له بالايمان والمعرفة الارواح قبل أن تخلق أجسادها . قال وثنا الفضل بن موسى عن عبد الملك عن عطاء فى هذه الآية قال أخرجوا من صلب آدم حين اخذ الميثاق ثم ردوا فى صلبه . وأخرج عن الضحاك قال ان الله اخرج من ظهر آدم يوم خلقه ما يكون الى يوم القيامة فأخرجهم مثل الذر فقال ألسنت بربكم قالوا بلى قالت الملائكة شهدنا ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين ، ثم قبض قبضة يمينه فقال : هؤلاء فى الجنة ، وقبض أخرى وقال : هؤلاء فى النار . واحتجوا أيضا بما أخرجه الامام (ابو) عبد الله ابن منده من حديث عمرو بن عيسى رضى الله عنه مرفوعا ان الله خلق ارواح العباد قبل العباد بألفى عام فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف

دلائل تاخر
الأرواح

وقال الآخرون بل خلقت الاجساد قبل الارواح واحتجوا بحجج منها قوله تعالى (يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى) وهذا خطاب للانسان الذى هو روح وبدن فدل ان جملته مخلوقة بعد خلق الابوين واصرح منه قوله (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء) وهذا صريح في ان خلق جملة النوع الانسانى بعد خلق اصله • وأيضا فخلق أبى البشر وأصلهم كان هكذا فان الله أرسل جبريل فقبض قبضة من الارض ثم خمرها حتى صارت طينا ثم صوره ثم نفخ فيه الروح بعد أن صوره فلما دخلت الروح فيه صار لحما ودما حيا ناطقا ففى تفسير ابى مالك وأبى صالح عن ابن عباس رضى الله عنهما وعن مرة عن ابن مسعود رضى الله عنه وعن ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم : لما فرغ الله من خلق ما أحب استوى على العرش فجعل ابليس على ملك السماء الدنيا وكان من قبيلة من الملائكة يقال لهم الجن وانما سموا الجن لانهم خزان الجنة وكان ابليس مع ملكه خازنا فوقع فى صدره وقال ما أعطانى الله هذا الامزية لى ، وفي لفظ الامزية لى على الملائكة • فلما وقع ذلك الكبر فى نفسه اطلع الله على ذلك منه فقال الله تعالى للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة - وذكر الاثر الى ان قال : فبعث جبريل الى الارض ليأتيه بطين منها فقالت الارض انى أعوذ بالله منك ان تقبض منى ، فرجع ولم يأخذ وقال : رب انها عاذت بك فأعذتها ، فبعث ميكائيل فعادت منه فأعادها ، فبعث ملك الموت فعادت منه فقال : وأنا أعوذ بالله أن أرجع ولم انفذ أمره ، فأخذ من وجه الارض وخلط فلم يأخذ من مكان واحد ، فأخذ من تربة حمراء وبياض وسوداء ، فلذلك خرج بنو آدم مختلفين ، فصعد به قبل الرب حتى عاد طينا لازبا واللازب هو الذى يلزق بعضه ببعض ثم قال للملائكة (انى خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقموا له ساجدين) فخلقه الله بيده لكيلا يتكبر ابليس عنه ليقول له تتكبر عما عملت يدي ولم أتكبر أنا عنه ، فخلقه بشرا فكان جسدا من طين أربعين سنة فمرت به الملائكة ففرغوا منه لما رأوه وكان أشدهم فرعا منه ابليس فكان يمر به فيضربه فيصوت الجسد كما يصوت

الفخار يكون له صلصلة فذلك حين يقول (من صلصال كالفخار) ويقول
لامر ما خلقت ودخل من فيه وخرج من دبره فقال للملائكة لا ترهبوا من
هذا فان ربكم صمد وهذا أجوف ثثن سلطت عليه لأهلكنه، فلما بلغ الحين
الذى يريد الله جل ثناؤه ان ينفخ فيه الروح قال للملائكة اذا نفخت فيه
الروح فاسجدوا له ، فلما نفخ فيه الروح فدخل الروح في رأسه عطس فقالت
الملائكة قل الحمد لله فقال الحمد لله فقال الله يرحمك ربك، فلما دخل الروح في
عينه نظر الى ثمار الجنة فلما دخل في جوفه اشتهى الطعام قبل أن يبلغ
الروح رجله فنهض عجلان الى ثمار الجنة فذلك حين يقول الله تعالى
(خلق الانسان من عجل) - وذكر باقى الحديث • فانقرآن والحديث
والآثار تدل على انه سبحانه نفخ فيه من روحه بعد خلق جسده فمن تلك
النفخة حدثت فيه الروح ولو كانت روحه مخلوقة قبل بدنه مع جملة
أرواح ذريته لما عجبت الملائكة من خلقه ، ولا تعجبوا من خلق النار في
حديث ابن زيد « ان الله لما خلق النار ذعرت منها الملائكة ذعرا شديدا
وقالوا ربنا لم خلقت هذه النار ولاى شىء خلقتها؟ قال لمن عصانى من خلقى
ولم يكن لله خلق يومئذ الا الملائكة والارض ليس فيها خلق انما خلق
آدم بعد » - الحديث • فلو كانت الارواح مخلوقة يومئذ لما تعجبت الملائكة
من خلق النار وقالت لآى شىء خلقتها وهى ترى أرواح بنى آدم فيهم المؤمن
والكافر والطيب والخبث • ولأن النبي صلى الله عليه وسلم اخبر في
الحديث الصحيح الذى في الصحيحين وغيرهما من حديث ابن مسعود رضى
الله عنه « ان خلق ابن آدم يجمع في بطن أمه أربعين يوما نطفة ثم يكون
علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل اليه الملك فينفخ فيه
الروح » فالملك وحده يرسل اليه فينفخ فيه فاذا نفخ فيه كان ذلك سبب
حدوث الروح فيه ولم يقل يرسل الملك اليه بالروح فيدخلها في بدنه ،
وانما أرسل اليه الملك فأحدث فيه الروح بنفخته فيه لا انه تعالى أرسل اليه
الروح التى كانت موجودة قبل ذلك بالزمن الطويل مع الملك ففرق بين ان
يرسل اليه ملك ينفخ فيه الروح وبين ان يرسل اليه روح مخلوقة قائمة
بنفسها مع الملك ، وتامل ما دل عليه النص قال ابن القيم في كتابه الروح

واخبار أن خلق الجسد مقدم على خلق الروح وزيف كلام ابن حزم وغيره بما يطول ذكره ، وحاصل ما ذكر أن الذي استدلوا به من أخذ الله الميثاق على ذرية آدم والعهد والشهاد لا يدل على تقدم خلق الارواح قبل الاجساد خلقا مستقرا وانما غايتها ان تدل على اخراج صورهم وأمثالهم في صور الذر واستنطاقهم ثم ردهم الى اصلهم ان صح الخبر بذلك ، والذي صح انما هو القدر السابق وتقسيمهم الى شقى وسعيد ، واما استدلال أبي محمد ابن حزم بقوله تعالى (ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) فلائق هذا الاستدلال بظاهريته لترتب الامر بالسجود لآدم على خلقنا وتصويرنا . والخطاب للجملة المركبة من البدن والروح وذلك متأخر عن خلق آدم عليه السلام ، ولهذا قال ابن عباس رضى الله عنهما (ولقد خلقناكم) يعنى ادم (ثم صورناكم) في ظهر آدم . وانما قال خلقناكم بلفظ الجمع وهو يريد آدم كما يقال ضربناكم وانما ضربت سيدهم . قال وأما حديث خلق الارواح قبل الاجساد بألفى عام فلا يصح اسناده فان فيه عتبه بن السكن قال الدارقطنى متروك ، وفيه ايضا ارطاة بن المنذر بعض أحاديثه غلط . والحاصل ان الذى ذهب اليه ابن القيم تبعاً لشيخه وجموع ان خلق الاجساد مقدم على خلق الارواح . وذهب محمد بن نصر المروزي وأبو محمد ابن حزم والامام اسحاق بن راهويه الى تقدم خلق الارواح وبالله التوفيق .

فائدتان الاولى
ميثاق عالم الدر
أخذ بعرفة

(فائدتان)

(الاولى) روى الامام أحمد من حديث ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « أخذ الله عز وجل الميثاق من ظهر آدم بنعمان - يعنى عرفه - فأخرج من صلبه كل ذرية ذراً فشرهم بين يديه كالذر ثم كلمهم قبلاً قال ألسنت بربكم قالوا بلى شهدنا ، قال الحافظ ابن الجوزى في كتابة مشير الغرام الساكن الى اشرف الاماكن : هذا الحديث يدل على أن ذلك المكان أول وطن والنفس أبداً تنازع الى الوطن الاول . (الثانية) ذكر الامام ابو الفرج ابن الجوزى في الكتاب المذكور أن الله

الثانية ابداع
الميثاق الحجر
الاسود

عز وجل لما اخذ الميثاق كتب كتابا على الذرية فألقمه هذا الحجر - يعنى الحجر الاسود - فهو يشهد للمؤمن بالوفاء وعلى الكافر بالنجود . قال وهذا مروى عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه ، وقال العلماء ولهذه العلة يقول لامسه : ايماننا بك ووفاء بعهدك . انتهى .

(المسألة الثانية)

المسألة الثانية
أين مستقر
الارواح فى
البرزخ ؟

من مسائل متعلقات الروح أين مستقر الارواح ما بين الموت الى يسوم القيامة ؟ هل فى السماء أم فى الارض ؟ وهل هى فى الجنة والنار ام لا ؟ وهل تودع فى أجساد أم تكون مجردة ؟ فهذه من المسائل العظام قد تكلم فيها الناس واختلفوا فى ذلك وهى انما تتلقى من السمع فقط ، ومع ذلك فقد اختلفت فيها أقوال العلماء ، وتباينت فى مجالها آراء الفضلاء ، فقال قوم : أرواح المؤمنين عند الله فى الجنة شهداء كانوا أو غير شهداء اذا لم يحبسهم عن الجنة كبيرة ولا دين وتلقاهم ربهم بالقبول والرحمة لهم ، وهذا مذهب ابى هريرة وعبد الله بن عمرو رضى الله عنهم ومن نحنا نحوهم . وقالت طائفة هم ببناء الجنة على بابها يأتيهم من روحها ونعيمها ورزقها . وقالت طائفة الارواح على أفنية قبورها . وقال الامام مالك بلغنى ان الروح مرسله تذهب حيث شاءت . وقال الامام احمد فى رواية ابنه عبد الله أرواح الكفار فى النار وأرواح المؤمنين فى الجنة . وقال ابو عبد الله ابن منده قالت طائفة من الصحابة والتابعين أرواح المؤمنين عند الله عز وجل - ولم يزيدوا على ذلك ، قال وروى عن جماعة من الصحابة والتابعين أن أرواح المؤمنين بالجابية وأرواح الكفار بئر برهوت بحضرموت . وقال صفوان بن عمرو سألت عامر بن عبد الله أبا اليمان هل لأنفس المؤمنين مجتمع ؟ فقيل ان الارض التى يقول الله (ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الارض يرثها عبادى الصالحون) قال هى الارض التى تجتمع اليها أرواح المؤمنين حين يكون البعث ، وقالوا هى الارض التى يورثها الله المؤمنين فى الدنيا ، وقال كعب : أرواح المؤمنين فى عليين فى السماء السابعة ، وأرواح الكفار فى سجين فى الارض السابعة تحت خد (١) ابليس وقالت طائفة أرواح المؤمنين

(١) مثله فى كتاب الروح ووقع فى منح « حذاء » .

بشرزمزم وأرواح الكفار بشر برهوت . وقال سلمان الفارسي رضى الله عنه أرواح المؤمنين في برزخ من الارض تذهب حيث شاءت . وهذا مثل قول الامام مالك بل هو مستند له . وقالت طائفة ارواح المؤمنين عن يمين آدم وأرواح الكفار عن شماله . وقال ابن حزم ومن وافقه مستقرها حيث كانت قبل خلق أجسادها . بناء على مذهبه الذى اختاره وهو أن الارواح مخلوقة قبل الاجساد ، وتقدم ما فيه . قال الامام المحقق ابن القيم : جمهور الناس على ان الارواح خلقت بعد الاجساد والذين قالوا خلقت قبل الاجساد ليس معهم على ذلك دليل من كتاب ولا سنة ولا اجماع الا ما فهموه من نصوص لا تدل على ذلك ، والحاصل ان مدار حججهم على أخبار غير صحيحة أو نصوص صحيحة ولكن دلالتها على ما زعموه غير صريحة ، وقوله مستقرها بعد مفارقة أبدانها في البرزخ الذى كانت فيه قبل خلق أجسادها مبنى على ما ذكر من اعتقاده وان أرواح السعداء عن يمين آدم عليه السلام وأرواح الاشقياء عن يساره ، وزعمه ان ذلك عند منقطع العناصر لا دليل عليه من كتاب ولا سنة ولا يشبه أقوال أهل الاسلام ، والاحاديث الصحيحة تدل على ان الارواح فوق العناصر في الجنة ، وأدلة القرآن تدل على ذلك ، وقد وافق ابن حزم الجمهور على أن أرواح الشهداء في الجنة ، ومعلوم ان الصديقين أفضل منهم فكيف تكون روح أبى بكر الصديق وعبد الله بن مسعود وأبى الدرداء وحذيفة بن اليمان وأشباهم عند منقطع العناصر وذلك تحت هذا العالم الادنى تحت السماء الدنيا وتكون أرواح شهداء زماننا فوق العناصر وفوق السموات . وأما زعم أبى محمد ابن حزم ان الامام اسحاق بن راهويه ذكر ما قاله وذهب اليه بعينه وقال وعلى هذا جميع أهل الاسلام - باطل ، فان اسحاق لم يقل ان مستقر الارواح عند انقطاع العناصر وانما قال محمد بن نصر المروزي في كتابه الرد على ابن قتيبة في تفسير قوله تعالى (واذا أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم) الآية فذكر الآثار التى ذكرها السلف من استخراج ذرية آدم من صلبه ثم اخذ الميثاق عليهم وردهم في صلبه وأنه أخرجهم مثل الذر وانه قسمهم اذ ذاك الى شقى وسعيد وكتب آجالهم

وأرزاقهم وأعمالهم وما يصيهم من خير وشر ، ثم قال اسحاق أجمع أهل العلم انها الارواح قبل الاجساد استنطقهم وأشهدهم على أنفسهم ألسنت بربكم الآية ان تقولوا انا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا انما أشرك آبائنا من قبل . هذا نص كلامه وهو كما ترى لا يدل على ان مستقر الارواح ما ذكر ابن حزم حيث منقطع العناصر بوجه من الوجوه بل ولا يدل على ان الارواح كانت قبل الاجساد بل انما يدل على انه سبحانه أخرجها حينئذ فخطبها ثم ردها الى صلب آدم . وهذا وان كان قد قاله جماعة من السلف والخلف كما مر فالذى صححه ابن القيم والجمهور خلافه . ولو سلم ان خلق الارواح قبل الاجساد لم يكن فيه دليل على ان مستقر الارواح حيث منقطع العناصر ولا ان ذلك الموضع كان مستقرا أولا .

وقالت طائفة مستقر الارواح بعد مفارقة أبدانها العدم المحض ، وهذا ايضا باطل لا يلتفت اليه فان صاحب هذا القول يزعم ان الروح عرض من أعراض البدن وهو الحياة وبه قال ابن الباقلاني ومن وافقه وكذا قال أبو الهذيل العلاف المعتزلي النفس عرض من الاعراض ولم يعنيه انه الحياة كما عينه ابن الباقلاني بل قال الروح عرض كسائر أعراض الجسم ، وهؤلاء عندهم ان الجسم اذا مات عدت روحه فلا تعذب ولا تنعم وانما يعذب وينعم الجسد اذا شاء الله تعذيبه وتنعيمه رد اليه الحياة في وقت يريد تنعيمه وتعذيبه والا فلا روح هناك قائمة بنفسها البتة . وقال بعض أرباب هذا القول ترد الحياة الى عجب الذنب ، قال الامام ابن القيم وهذا قول يردده الكتاب والسنة واجماع الصحابة وأدلة العقول والفطر ، قال وهو قول من لم يعرف روحه فضلا عن روح غيره والله أعلم .

وقالت طائفة أخرى مستقر الارواح بعد الموت أبدان آخر غير هذه الابدان فهذا فيه حق وباطل فحقه ما أخبر به الصادق المصدوق عن أرواح الشهداء انها في حواصل طير خضر تأوى الى قتاديل معلقة بالعرش هي لها كالواكار للطائر ، وقد صرح بذلك في قوله جعل أرواحهم في أجواف طير خضر ، وأما قوله صلى الله عليه وسلم « نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة » يحتمل أن يكون هذا الطائر مركبا للروح كالبدن لها ويكون ذلك

أرواح الشهداء
في حواصل طير
خضر

لبعض المؤمنين والشهداء ، ويحتمل أن تكون الروح صورة طائر وهذا اختيار ابن حزم وابن عبد البر ، قال ابن حزم معنى ذلك ان نسمة المؤمن طائر يعلق يعنى انها تطير في الجنة لا انها تمسخ في صورة الطير ، قال ابن حزم وأما الزيادة التى فيها انها في حواصل طير خضر فانها صفة تلك القناديل التى تأويها ، قال والحديثان معا حديث واحد ، قال المحقق ابن القيم وهذا الذى قاله في غاية الفساد لفظا ومعنى فان حديث « نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة » غير حديث أرواح الشهداء في حواصل طير خضر ، والذى ذكره محتمل في الاول وأما الثانى فلا يحتمله بوجه فانه صلى الله عليه وسلم أخبر أن أرواحهم في حواصل طير ، وفي لفظ آخر : في أجواف طير خضر ، وفي لفظ بيض ، وان تلك الطير تسرح في الجنة فتأكل من ثمارها وتشرب من أنهارها ثم تأوى الى قناديل تحت العرش هى لها كالإوكار للطائر ، وقوله ان حواصل تلك الطير هى صفة تلك القناديل التى تأوى اليها خطأ قطعاً بل تلك القناديل مأوى لتلك الطير ، فهنا ثلاثة أمور وشرح بها الحديث أرواح وطير هى في أجوافها وقناديل مأوى لتلك الطير والقناديل مستقرة تحت العرش لا تسرح والطير تسرح وتذهب وتجيء والأرواح في أجوافها . فان قيل يحتمل ان تجعل نفسها في صورة طير لا انها تتركب في بدن طير كما قال تعالى (في أى صورة ما شاء ركبك) ويدل عليه قوله في اللفظ الآخر أرواحهم كطير خضر كما رواه ابن أبى شيبة قال أبو عمر بن عبد البر : الا شبه عندى والله أعلم ان يكون القول قول من قال كطير أو صورة طير لمطابقته لحديث نسمة المؤمن . وقد أجاب المحقق بان هذا الحديث قد روى بهذين اللفظين والذى في صحيح مسلم من حديث الاعمش عن مسروق « أرواحهم في جوف طير خضر » وقد رواه ابن عباس وكعب بن مالك فلم يختلف حديثهما في انها في أجواف طير خضر . قال المحقق ولا محذور في هذا ولا يبطل قاعدة من قواعد الشرح ولا يخالف نصا من كتاب الله ولا سنة عن رسول الله بل هذا من تمام اكرام الله للشهداء ان أعضاهم من أبدانهم التى مزقوها لله تعالى أبدانا آخر خيرا منها تكون مركبا لارواحهم ليحصل بها كمال تعميمهم فاذا كان يوم

لامحذور في هذا
وليس ممن
التناسخ الباطل

القيامة رد أرواحهم الى تلك الابدان التى كانت فيها في الدنيا . فان قيل هذا هو القول بالتناسخ وحلول الارواح في أبدان غير أبدانها التى كانت فيها ، فالجواب هذا معنى دلت عليه السنة الصحيحة الصريحة حق يجب اعتقاده ولا يبطله تسمية المسمى له تناسخا كمنظأره مما دل عليه النقل ولم يحله العقل من صفات الله تعالى وحقائق أسمائه الحسنى حق لا يبطله تسمية المعطلين لها تركيا وتجسيما ، قال سيدنا الامام أحمد رضى الله عنه لا نزيل عن الله عز وجل صفة من صفاته لأجل شناعة المشنعين . فان هذا شأن أهل البدع يلقبون أهل السنة وأقوالهم بالالاقاب التى ينفرون عنها الجهال ويسمونهم حشوا وتركيبا وتجسيما ، ويسمون عرش الرب تبارك وتعالى حيزا وجهة ليتوصلوا بذلك الى نفى استوائه وعلوه على خلقه ، وكما تسمى الرافضة موالاة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم ومحبتهم والدعاء لهم نصبا ، وأمثال ذلك ، والمقصود أن (تسمية - ١) ما دلت عليه السنة الصريحة من جعل أرواح الشهداء في أجواف طير خضر تناسخا لا يبطل هذا المعنى .

بطلان التناسخ

وأما ما اشتمل عليه من الباطل فالتناسخ الباطل الذى يقوله أعداء الرسل من الملاحدة وغيرهم الذين ينكرون المعاد ويزعمون ان الارواح تصير بعد مفارقة الابدان الى أجناس الحيوان والحشرات والطيور التى كانت تناسبها وتشاكلها فاذا فارقت هذه الابدان انتقلت الى أبدان تلك الحيوانات فتتم فيها وتعذب ثم تفارقها وتحل في أبدان آخر تناسب أعمالها وأخلاقها وهلم جرا ، فهذا معادها عندهم ونعيمها وعذابها لا معاد لها عندهم غير ذلك ، فهذا هو التناسخ الباطل المخالف لما اتفق عليه الرسل والانبياء من أولهم الى آخرهم وهو كفر بالله وباليوم الآخر ، فهذه الطائفة تقول ان مستقر الارواح بعد مفارقة أبدانها الاصلية أبدان الحيوانات التى تناسبها وهو أبطل قول وأخبثه .

ويليه قول من يزعم ان الارواح تعدم جملة بالموت ولا يبقى هناك روح تتم ولا تعذب بل النعيم يقع على أجزاء الجسد أو على جزء منه أما عجب

وقول من يزعم ان الارواح تعدم

الذنب أو غيره فيخلق الله فيه الالم واللذة أما بواسطة رد الحياة كما قاله بعض أرباب هذا القول أو بدون رد الحياة كما قاله آخرون منهم فهؤلاء عندهم لا عذاب في البرزخ الا على الاجساد • ويقابله من يقول ان الروح لا تعاد الى الجسد بوجه ولا تتصل به والعذاب والنعيم على الروح فقط • والصحيح خلاف هؤلاء وهؤلاء فالسنة الصحيحة المتواترة تبين ان العذاب على الروح والجسد مجتمعين ومتفرقين •

النظر في الأقوال المختلفة

وأما قول من قال ان أرواح المؤمنين تجمع ببئر زمزم فلا دليل على هذا من كتاب ولا سنة يجب التسليم لها ولا قول صحابي يجب ان يوثق به • وأما قول من قال ان أرواح المؤمنين بالجابية وأرواح الكفار ببئر برهوت بحضرموت فقال ابن حزم هذا من قول الرافضة ، قال الامام المحقق : وليس كما قال بل قاله جماعة من أهل السنة، قال الحافظ ابو عبد الله ابن منده روى عن جماعة من الصحابة والتابعين أن أرواح المؤمنين بالجابية - ثم روى بسنده عن سعيد بن المسيب عن عبد الله بن عمرو انه قال أرواح المؤمنين تجتمع بالجابية وأن أرواح الكفار تجتمع في سبخة بحضرموت يقال لها برهوت • ثم روى بسنده عن شهر بن حوشب أن كعباً رأى عبد الله بن عمرو وقد تكاب الناس عليه يسألونه فقال له رجل (؟) سله أين أرواح المؤمنين وأرواح الكفار ؟ فسأله فقال : أرواح المؤمنين بالجابية وأرواح الكفار ببرهوت قال ابن منده ورواه ابو داود وغيره • ثم ساق بسنده عن ابي الطفيل عن علي قال : خير بئر في الارض زمزم وشر بئر في الارض برهوت بئر في حضرموت وخير واد في الارض وادى مكة والوادى الذى اهبط فيه آدم في الهند منه طيبكم وشر واد في الارض الاحقاف وهو في حضرموت ترده أرواح الكفار • وروى عن ابن عباس عن علي رضى الله عنهم قال ابغض بقعة في الارض واد بحضرموت يقال له برهوت فيه أرواح الكفار وفيه بئر ماؤها بالنهار أسود كأنه قيح تأوى اليه الهوام • ثم ساق ابن منده من طريق ابن اسحاق القاضى حدثنا علي بن عبد الله ثنا سفيان ثنا ابان بن تغلب قال قال رجل بت فيه - يعنى وادى برهوت - فكأنما حشرت فيه اصوات الناس وهم يقولون يا دومة يا دومة ، قال ابان فحدثنا رجل من أهل الكتاب أن

دومة هو الملك الذى على أرواح الكفار ، قال سفيان وسألنا الحضرميين فقالوا : لا يستطيع احد بييت فيه بالليل •

قال الامام المحقق ابن القيم فى كتابه الروح فهذه جملة ما علمته فى هذا القول فان أراد عبد الله بن عمرو بالجابية التمثيل والتشبيه وانها تجتمع فى مكان فسيح يشبه الجابية لسعته وطيب هواه فهذا قريب وان أراد نفس الجابية دون سائر الارض فهذا لا يعلم الا بالتوقيف ولعله مما تلقاه عن بعض أهل الكتاب وبالله التوفيق •

وأما قول من قال انها تجتمع فى الارض التى قال فيها (ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الارض يرثها عبادى الصالحون) فهذا ان كان قوله تفسيرا للآية فليس هو تفسيرا لها ، وقد اختلف الناس فى الارض المذكورة فى الآية الكريمة فقال سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما هى أرض الجنة ، وهذا قول أكثر المفسرين ، وعن ابن عباس رضى الله عنهما قول آخر انها الدنيا التى فتحها الله على أمة محمد صلى الله عليه وسلم • قال المحقق وهذا القول هو الصحيح ، ونظيره قوله تعالى فى سورة النور (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم) وفى الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال « زويت لى الارض مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتى ما زوى لى منها » • وقالت طائفة من المفسرين المراد بذلك فى الآية أرض بييت المقدس • وهى من الارض التى أورثها عباده الصالحين وليست الآيـة مختصة بها • وأما قول سلمان الفارسى رضى الله عنه ومن وافقه ان أرواح المؤمنين فى برزخ من الارض يذهب حيث شاءت فالبرزخ هو الحاجز بين شيئين وكان سلمان أراد انها فى ارض بين الدنيا والآخرة مرسله هناك حيث شاءت • قال المحقق هذا قول قوى فانها قد فارقت الدنيا ولم تلج الآخرة بل هى فى برزخ بينهما فهى فى برزخ واسع فيه الروح والريحان والنعيم ، وأما أرواح الكفار فهى فى برزخ ضيق فيه الغم والعذاب قال الله تعالى (ومن ورائهم برزخ الى يوم يعثون)

وأما من قال أرواح المؤمنين فى عليين فى السماء السابعة وأرواح الكفار

في سجين في الارض السابعة ، فهذا قد قاله جماعة من السلف والخلف ويدل عليه قول النبي صلى الله عليه وسلم عند موته «اللهم الرفيق الاعلى» • وحاصل هذا ان ارواح المؤمنين في عليين بحسب منازلهم وأرواح الكفار في سجين بحسب منازلهم وما تؤول اليه •

وأما قول من قال ان ارواح المؤمنين عن يمين آدم عليه السلام وأرواح الكفار عن يساره - قال المحقق ابن القيم هذا قول يؤيده الحديث الصحيح وهو حديث الاسراء فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في الحديث « فاذا رجل قاعد على يمينه أسودة وعلى يساره أسودة ، اذا نظر قبل يمينه ضحك واذا نظر قبل شماله بكى ، قلت لجبريل من هذا ؟ قال هذا آدم وهذه الاسودة عن يمينه وشماله نسم بنيه فأهل اليمين منهم أهل الجنة والأسودة التي في شماله أهل النار » قال القسطلاني في المواهب : الأسودة بوزن أزمنة هي الاشخاص ، والنسم بالنون والسين المهملة المفتوحين جمع نسمة وهي الروح • قال القاضي عياض جاء ان ارواح الكفار في سجين وان ارواح المؤمنين منعمة في الجنة : يعنى فكيف تكون مجتمعة فى سماء الدنيا ؟ فأجاب بأنه يحتمل انها تعرض على آدم أحيانا فوافق عرضها مرور النبي صلى الله عليه وسلم ، ويدل على كون ارواح الكفار في النار في أوقات دون أوقات قوله تعالى (النار يعرضون عليها غدواً وغشياً) • واعترض بأن ارواح الكفار لا تفتح لهم أبواب السماء كما هو نص القرآن ، والجواب ما أبداه احتمالاً ان الجنة كانت من جهة يمين آدم والنار في جهة شماله فكان يكشف له عنهما ولا يلزم من رؤية آدم لها وهو في السماء ان تفتح لها أبواب السماء ولا تلجها ، قال وفي حديث أبي هريرة رضى الله عنه عند البزار « فاذا عن يمينه باب يخرج منه ريح طيبة وعن شماله باب يخرج منه ريح خبيثة اذا نظر عن يمينه استبشر واذا نظر عن شماله حزن » قال الحافظ ابن حجر وهذا لو صح لكان المصير اليه أولى من جميع ما تقدم ولكن سنده ضعيف • انتهى • وقال المحقق ابن القيم في الروح : لا تدل رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لهم كذلك على تعادلهم في اليمين والشمال بل يكون هؤلاء عن يمينه في العلو والسعة وهؤلاء عن يساره في السفلى

والسجن • وقال ابن حزم ان ذلك البرزخ الذى رآها فيه رسول الله صلى عليه وسلم ليلة أسرى به عند سماء الدنيا ذلك عند منقطع العناصر • قال : هذا يدل على انها عنده تحت السماء حيث تقطع العناصر ، وهى الماء والهواء والتراب والنار • قال ابن القيم : وهو - يعنى ابن حزم - دائما يشنع على من قال قولاً لا دليل عليه فأى دليل له على هذا القول من كتاب أو سنة ؟

قال المحقق اذا كانت أرواح أهل السعادة عن يمين آدم في سماء الدنيا وقد ثبت ان ارواح الشهداء في ظل العرش فوق السماء السابعة فكيف تكون عن يمينه وكيف يراها النبي صلى الله عليه وسلم ؟ فأجاب عن ذلك من وجوه (أحدها) انه لا يتمتع كونها عن يمينه في جهة العلو كما ان أرواح الاشقياء عن يساره في جهة السفلى (الثانى) انه غير ممتنع ان تعرض على النبي صلى الله عليه وسلم في سماء الدنيا وان كان مستقرها فوق ذلك (الثالث) لم يخبر أنه رأى أرواح السعداء جميعاً هناك بل قال فاذا عن يمينه أسودة وعن يساره أسودة ومعلوم قطعاً ان روح ابراهيم وموسى فوق ذلك في السماء السادسة والسابعة وكذلك الرفيق الاعلى أرواحهم فوق ذلك وأرواح السعداء بعضها أعلى من بعض بحسب منازلهم كما ان أرواح الاشقياء بعضهم أسفل من بعض بحسب منازلهم والله أعلم •

قال الامام المحقق ابن القيم فان قيل قد ذكرتم أقوال الناس في مستقر الارواح ومأخذهم فما هو الراجح من هذه الأقوال حتى يعتقد ؟ فأجاب بأن الارواح متفاوتة في مستقرها في البرزخ أعظم تفاوت (فمنها) أرواح في عليين في الملا الاعلى وهى أرواح الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم وهم متفاوتون في منازلهم كما رآهم النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء (ومنها) أرواح في حواصل طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت وهى أرواح بعض الشهداء لا جميعهم بل من الشهداء من تجسروا روحه عن دخول الجنة لدين عليه أو غيره كما في مسند الامام أحمد عن محمد بن عبدالله ابن جحش ان رجلاً جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما لي ان قتلت في سبيل الله ؟ قال : الجنة ، فلما ولى قال « الا الدين سارني به جبريل آنفا » (ومنهم) من يكون محبوساً على باب الجنة كما في حديث

الجمع بين
ما استدل به
المختلفون من
الادلة الصحيحة

آخر رأيت صاحبكم محبوبا على باب الجنة (ومنهم) من يكون محبوبا في قبره كحديث صاحب الشملة التي غلها ثم استشهد فقال الناس هنيئا له الجنة فقال النبي صلى الله عليه وسلم « كلا والذي نفسى بيده ان الشملة التي غلها لتشتعل عليه نارا في قبره » (ومنهم) من يكون مقره باب الجنة كما في حديث ابن عباس رضى الله عنهما « الشهداء على بارق نهر بباب الجنة في قبة خضراء يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشية » رواه الامام أحمد . وهذا بخلاف جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه حيث أبدله الله من يديه بجناحين يطير بهما في الجنة حيث شاء (ومنهم) من يكون محبوبا في الارض لم تغل روحه الى الملائكة الاعلى فانها كانت روحا سفلية أرضية فان النفس الارضية لا تتجامع النفس السماوية كما لا تتجامعها في الدنيا والنفس التي لم تكتسب في الدنيا معرفة ربها ومحبهه وذكره والانس به والتقرب اليه بل هي أرضية سفلية لا تكون بعد المفارقة لبدنها الا هناك كما ان النفس العلوية التي كانت في الدنيا عاكفة على محبة الله تعالى وذكره والتقرب اليه والانس به تكون بعد المفارقة مع الارواح العلوية المناسبة لها ، فالمرء مع من أحب في البرزخ ويوم القيامة ، والله تعالى يزوج النفوس بعضها ببعض في البرزخ ويوم المعاد كما في حديث « ويجعل روحه - يعنى المؤمن - مع النسيم الطيب » أى الارواح الطيبة المشاكلة لروحه فالروح بعد المفارقة تلتحق بأشكالها واخوانها وأصحاب عملها تكون معهم هناك (ومنها) أرواح تكون في تنور الزناة والزواني ، وأرواح في نهر الدم تسبح فيه وتلثم الحجارة ، فليس للارواح شقيها وسعيدها مستقر واحد بل روح في أعلى عليين وروح أرضية سفلية لا تصعد من الارض .

ومن تأمل السنن والآثار في هذا الباب وكان له فضل اعتناء عرف صحة ذلك فكل الآثار الصحيحة حق وصدق يصدق بعضها بعضا لكن الشأن في فهمها وفهم المقصود منها ومعرفة النفس وأحكامها وأن لها شأنا غير شأن البدن وانها مع كونها في الجنة فهى في السماء وتتصل بفناء القبر وبالبدن فيه وهى أسرع شىء حركة وانتقالا وصعودا وهبوطا ، وتنقسم الى مرسله ومحبوسة وعلوية وسفلية ، ولها بعد المفارقة صحة ومرض ولذة ونعيم

وألم وعذاب أعظم مما كان لها حال ايصالها بالبدن بكثير ، فهناك الحبس والالم والعذاب والمرض والحسرة ، وهناك اللذة والراحة والتعيم والاطلاق • (ثم قال المحقق ابن القيم) وما أشبه حالها بهذا البدن بحال البدن في بطن أمه وحالها بعد المفارقة بحاله بعد خروجه من البطن الى هذه الدار فلهذه الانفس أربع دور كل دار أعظم من التي قبلها (الدار الاولى) بطن أمه وذلك الحصر والضيق والغم والظلمات الثلاث (الدار الثانية) هذه الدار التي نشأت فيها وألفتها واكتسبت الخير أو الشر وأسباب السعادة والشقاوة فيها (الدار الثالثة) دار البرزخ وهي أوسع من هذه الدار وأعظم بل نسبتها اليها كسببة هذه الدار الى الاولى (الدار الرابعة) دار القرار وهي الجنة أو النار فلا دار بعدها ، والله تعالى ينقل الروح في هذه الدور طبقا بعد طبق حتى يبلغها الدار التي لا يصلح لها غيرها ولا يليق بها سواها وهي التي خلقت لها وهيئت للعمل الموصل اليها ، ولها في كل دار من هذه الدور شأن غير شأن الدار الاخرى فتبارك الله فاطرها ومنشئها ومميتها ومسعدا ومشقيا ، وبالله التوفيق •

الأنفس أربع دور

(المسألة الثالثة)

من المسائل المتعلقة بالروح هل تتلاقى أرواح الموتى وتزاور وتتذاكر وتتلاقى أرواح الاحياء والاموات أيضا ؟ وهذا يعلم مما مر من حيث الجملة لان الارواح قسمان معذبة ومنعمة فالمعذبة في شغل شاغل لها بما هي فيه من العذاب عن التزاور والتلاقى ، وأما الارواح المنعمة المرسله غير المحبوسة فهذه تتلاقى وتزاور وتتذاكر ما كان منها في الدنيا وما يكون من أهل الدنيا فتكون كل روح مع رفيقها الذي على مثل عملها ، وروح نبينا سبل الله عليه وسلم في الرفيق الاعلى قال تعالى (ومن يطع الله ورسوله أتتكم مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا) قال الامام ابن القيم وهذه المعية ثابتة في الدنيا وفي دار البرزخ وفي دار الجزاء ، والمرء مع من أحب في هذه الدور الثلاثة ، وقد تواترت المرائى بتلاقى الارواح ، بعضها مع بعض ، قال الامام عبد الله بن المبارك رأيت سفيان الثوري في النوم فقلت له ما فعل الله بك ؟ قال لقيت محمدا

المسألة الثالثة
هل تتلاقى أرواح
الموتى ؟

وحزبه • وقد جاءت سنة صحيحة بتلاقي الارواح وتعارفها فروى ابن ابى الدنيا قال لما مات بشر بن البراء بن معرور وجدت عليه أم بشر وجدا شديدا فقالت يا رسول الله انه لا يزال الهالك يهلك من بنى سلمة فهل يتعارف الموتى فأرسل الى بشر بالسلام ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « نعم والسدى نفسى بيده يا أم بشر انهم ليتعارفون كما تتعارف الطيور في رعوس الشجر » فكان لا يهلك هالك (١) من بنى سلمة الا جاءته أم بشر فقالت يا فلان عليك السلام فيقول وعليك فتقول اقرأ على بشر السلام ، وذكر ابن أبى الدنيا أيضا من حديث سفيان عن عمرو بن دينار عن عبيد بن عمير قال : أهل القبور يتوكفون الاخبار فاذا أتاهم الميت قالوا ما فعل فلان؟ فيقول : صالح ، ما فعل فلان ؟ فيقول : صالح ، ما فعل فلان ؟ فيقول ألم يأتكم ؟ أما قدم عليكم؟ فيقولون لا ، فيقولون انا لله وانا اليه راجعون سلك به غير سبيلنا • وقال عبيد بن عمير أيضا : اذا مات الميت تلتقنه الارواح يستخبرونه كما يستخبر الراكب : ما فعل فلان ؟ ما فعل فلان ؟ فاذا قال توفي ولم يأتهم قالوا ذهب به الى أمه الهاوية • وقال سعيد بن المسيب اذا مات الرجل استقبله ولده كما يستقبل الغائب • وقال عبيد بن عمير لو أنى آيس من لقاء من مات من أهلى لالفانى قد مت كمدا • وذكر معاوية بن يحيى عن عبد الله بن سلمة ان أبا رهم السمعى حدثه أن أبا أيوب الأنصارى رضى الله عنه حدثه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ان نفس المؤمن اذا قبضت تلقاها أهل الرحمة من عند الله كما يتلقى البشير في الدنيا فيقول انظروا أخاكم حتى يستريح فانه كان في كرب شديد ، فيسألونه ماذا فعل فلان ؟ وماذا فعلت فلانة ؟ وهل تزوجت فلانة ؟ فاذا سألوه عن رجل مات قبله قال انه قد مات قبلى ، تالوا انا لله وانا اليه راجعون ذهب به الى أمه الهاوية فبشت الام وبشت المريية » ورواه ابن ابى الدنيا والطبرانى في الاوسط وقال « ان أعمالكم ترد على أقاربكم وعشائركم من أهل الآخرة فان كان خيرا فرحوا واستبشروا وقالوا اللهم هذا فضلك ورحمتك فأتهم

(١) بهامش مخ ما لفظه « قوله فكان لا يهلك هالك » أى اذا احتضر وكاد أن يهلك فهو مجاز مرسل كقوله صلى الله عليه وسلم من قتل قتيلا فله سلبه •

نعمتك عليه وأتمه عليها ، ويعرض عليهم عمل المسيء فيقولون اللهم ألهمه عملاً صالحاً ترضى به وتقربه إليك » • وأخرج ابن ماجه عن محمد بن المنكدر قال دخلت على جابر بن عبد الله وهو يموت فقلت اقرأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم منى السلام • وأخرج الادم أحمد والحكيم الترمذى في نواتر الاصول عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان روحى المؤمنين لتلتقيان على مسيرة يوم وما رأى أحدهما صاحبه » قط • وأخرج ابن أبى الدنيا في كتاب القبور قال حدثنا محمد بن الحسين ثنى يحيى بن بسطام ثنى مسمع ثنى رجل من آل عاصم الجحدرى قال رأيت عاصماً الجحدرى في منامى بعد موته بستين فقلت أليس قدمت ؟ قال : بلى ، قلت فأين أنت ؟ قال أنا والله في روضة من رياض الجنة أنا ونفر من أصحابى نجتمع كل ليلة جمعة وصيحتها الى بكر (١) بن عبد الله المزنى فتلقى أخباركم • قال قلت أجسامكم أم أرواحكم ؟ قال هيئات بليت الاجسام وانما تتلاقى الارواح •

والمرائى وان لم تصلح بمجرد الائبات أحكام فضلاً عن اثبات اعتقاد لكنها على كثرتها وانها لا يحصيها الا الله تعالى وتواطؤها مما يستأنس بها وقد قال صلى الله عليه وسلم « أرى رؤياكم قد تواطأت على انها - يعنى ليلة القدر - في العشر الاخير » فلما تواطأت رؤيا المؤمنين على تلاقى الارواح وتعارفها كان ذلك مما يستأنس به ويصلح للاستشهاد به ، على أنها لم تثبت بمجرد الرؤيا بل بما ذكرناه من الاخبار عن النبى المختار من تلاقى أرواح الموتى بعضهم لبعض وتلاقى أرواح الاحياء لأرواح الموتى أيضاً • ثم ان الحس والواقع من أعدل الشهود وقد قال تعالى (الله يتوفى الانفس حين موتها والتي ام تمت في منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى أجل مسمى ان في ذلك آيات لقوم يتفكرون) روى أبو عبد الله ابن منده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما في هذه الآية قال بلغنى أن أرواح الاحياء والاموات تلتقى في المنام فيتساءلون بينهم فيمسك الله أرواح الموتى ويرسل أرواح الاحياء الى أجسادها • وكذا أخرج ابن أبى حاتم عن السدى قال يتوفاها في منامها فتلتقى روح الحى وروح الميت

تفسير آية (الله يتوفى الانفس)

فيتذاكران ويتعارفان قال فترجع روح الحى الى جسده في الدنيا الى بقية
أجلها وتريد روح الميت أن ترجع الى جسده فتحبس . وهذا أحد
القولين في تفسير الآية وهو أن المسكنة من توفيت وفاة الموت أولاً والمرسلة
من توفيت وفاة النوم ، والمعنى على هذا انه يتوفي نفس الميت فيمسكها ولا
يرسلها قبل يوم القيامة ويتوفي نفس النائم ثم يرسلها الى جسده الى بقية
أجلها فيتوفاها الوفاة الاخرى . وانقول الثانى في الآية ان المسكنة والمرسلة
كلاهما متوفي وفاة النوم فمن استكملت أجلها أمسكها عنده فلا يردها الى
جسدها ومن لم تستكمل أجلها ردها الى جسدها لتستكمله ، وهو الذى
اختره شيخ الاسلام ابن تيمية ، ومال تلميذه المحقق الى ترجيح الاول ، ثم
قال : والتحقق أن الآية تتناول النوعين فانه تعالى ذكر وفاتين وفاة نوم ووفاة
موت ، وذكر امساك المتوفاة وارسال الاخرى ، ومعلوم انه تعالى يمسك
نفس كل ميت سواء مات في النوم أو في اليقظة ويرسل نفس من لم يموت ،
وقد قال سعيد بن المسيب التقى عبد الله بن سلام وسلمان الفارسي رضى الله
عنهما فقال أحدهما للآخر ان مت قبلى فالقنى فأخبرنى ما لقيت من ربك ،
وان أنسا مت قبلك لقيتك فأخبرتكم . فقال الآخر وهل يلتقى الاموات
والاحياء ؟ قال : نعم ، أرواحهم في الجنة تذهب حيث شاءت . قال فمات
فلان فلقية في المنام فقال له توكل وأبشر فلم أر مثل التوكل قط . وقال
العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه كنت اشتهى أن أرى عمر بن الخطاب
رضى الله عنه في المنام فما رأيته الا عند قريب احول فرأيتيه يمسح العرق
عن جبينه وهو يقول : هذا أوان فراغى ان كاد عرشى ليهد لولا انى لقيت
رءوفا رحيمًا . ولما حضرت شريح بن عائد الشمالى (١) الوفاة دخل عليه
غضيف بن الحارث وهو يجود بنفسه فقال له يا أبا الحجاج ان قدرت على
أن تأتيني بعد الموت فتخبرنى بما ترى فافعل . قال وكانت كلمته مقبولة
في أهل الفقه فمكث زمانا لا يراه ثم رآه في منامه فقال له أليس قدمت ؟ قال :
بلى ، قال فكيف حالك ؟ قال تجاوز ربنا عنا الذنوب فلم يهلك منا الا
الاخراص (٢) قلت وما الاخراص (٢) قال الذين يشار اليهم بالاصابع .

(١) في الاصلين « اليماني » كذا .

(٢) من معانى الاخراص الجبال فكأنه يعنى المشهورين .

وقال قبيصة بن عقبة رأيت سفیان الثوري في المنام بعد موته فقلت ما فعل الله بك ؟ فقال :

نظرت الى ربي عيانا فقال لي هنيئا رضاي عنك يا ابن سعيد
لقد كنت قواما اذا الليل قد دجا بعبرة محزون وقلب عميد
فدونك فاختر أي تصر تريده وزرني فاني منك غير بعيد

وهذا باب طويل جدا فان لم تسمح نفسك بتصديقه وقلت هذه منامات وهي غير معصومة فتأمل من رأى صاحبها له أو قريبا أو غيره فأخبره بأمر لا يعلمه الا صاحب الرؤيا ، أو أخبره بمال دفنه هو أو غيره ، أو حذره من أمر يقع ، أو بشره بأمر يوجد فوجد كما قال ، أو أخبر بأنه يموت هو أو بعض أهله الى كذا وكذا فيقع كما أخبره ، أو أخبره بنخب أو جذب أو عدو أو نازلة أو مرض له فوقع كما أخبره والواقع من ذلك لا يحصيه الا الله تعالى والناس مشتركون فيه وقد رأينا نحن وغيرنا من ذلك عجائب ، وبه يعلم بطلان قول من زعم ان هذه كلها علوم وعقائد في النفس تظهر لصاحبها عند انقطاع نفسه عن اشواغل البدنية بالنوم ، فهذا عين الباطل والمحال فان النفس لم يكن فيها قط معرفة هذه الامور التي يخبر بها الميت ولا خطر ببالها ولا عندها علامة عليها ولا اشارة بوجه ما كما قاله الامام المحقق ابن القيم في الروح . قال ونحن لا ننكر ان الامر قد يقع كذلك وأن من الرؤيا ما يكون من حديث النفس وصور الاعتقاد بل أكثر مرأى الناس انما هي من مجرد صور اعتقادهم المطابق وغير المطابق فان الرؤيا على ثلاثة أنواع رؤيا من الله ورؤيا من الشيطان ورؤيا من حديث النفس . والرؤيا الصحيحة أقسام (منها) الهام يلقيه الله سبحانه في قلب العبد وهو كلام يكلم به الرب عبده في المنام كما قال عبادة بن الصامت رضى الله عنه وغيره (ومنها) مثل يضربه له ملك الرؤيا الموكل بها (ومنها) التقاء روح النائم بأرواح الموتى من أهله وأقاربه وأصحابه وغيرهم كما ذكرنا (ومنها) عروج روحه الى الله سبحانه وخطابها له (ومنها) دخول روحه الى الجنة ومشاهدها وغير ذلك . فالتقاء أرواح الاحياء بأرواح الموتى نوع من أنواع الرؤيا الصحيحة التي هي عند الناس من جنس المحسوسات . وهذا موضع اضطربت فيه الناس فمن قابل

الرؤيا ثلاثة
أنواع والصحيح
منها أقسام

ان العلوم كلها كامنة في النفس وانما اشتغالها بعالم الحس يحجب عنها مطالعتها فاذا تجردت بالنوم رأت منها بحسب استعدادها ولما كان تجردها بالموت أكمل كانت علومها ومعارفها هناك أكمل . قال المحقق ابن القيم في كتاب الروح : وهذا فيه حق وباطل فلا يرد كله ولا يقبل كله فان تجرد النفس يطلعها على علوم ومعارف لا تحصل بدون التجرد لكن لو تجردت كل التجرد لم تطلع على علم الله الذي بعث به رسوله ولا على تفاصيل ما أخبر به عن الرسل الماضية والامم الخالية وتفاصيل المعاد واشراط الساعة وتفاصيل الامر والنهي والاسماء والصفات والافعال وغير ذلك مما لا يعلم الا بالوحي ، لكن تجرد النفس عون لها على معرفة ذلك وتلقيه من معدنه أسهل وأقرب وأكثر مما يحصل للنفس المنعمة في الشواغل البدنية . ومن قال من الناس ان هذه المراتبي علوم يخلقها الله تعالى في النفس ابتداء بلا سبب فعلي نهج قول منكر الاسباب والحكم والقوى ، قال المحقق وهو قول مخالف للشرع والعقل والفطرة . ومن قال ان الرؤيا فمرة يكون مثلا مضروبا ومرة بحسب استعداده وألفه على يد ملك الرؤيا فمرة يكون مثلا مضروبا ومرة يكون نفس ما رآه الرائي فيطبق الواقع مطابقة العلم لمعلومه ، وهذا أقرب من القولين قبله ، ولكن الرؤيا ليست مقصورة عليه بل لها أسباب أخر كما تقدم من ملافاة الارواح وأخبار بعضها بعضا ومن القاء الملك الذي في القلب والروح ومن رؤية الروح للاشياء مكافحة بلا واسطة .

سؤال عمر عليا
عن ثلاثة اشياء
وجوابه

وقد ذكر الحافظ أبو عبد الله ابن منده في كتابه (النفس والروح) بسنده عن ابن عمر رضی الله عنهما قال لقي عمر بن الخطاب علي بن ابي طالب رضی الله عنهما فقال له يا أبا الحسن ربما شهدت وغبنا وربما شهدنا وغبت ، ثلاث أسألك عنهن فهل عندك منهن علم ؟ فقال علي بن ابي طالب وما هن ؟ قال : الرجل يحب الرجل ولم ير منه خيرا ، والرجل يبغض الرجل ولم ير منه شرا ، فقال علي : نعم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « الارواح جنود مجندة تلتقى في الهواء فتشام فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف » فقال عمر « واحدة » قال عمر : والرجل يحدث الحديث اذ نسيه فبينما هو وما نسيه اذ ذكره ؟ فقال : نعم سمعت رسول الله

صلى الله عليه وسلم يقول « ما في القلوب قلب الا وله سحابة كسحابة القمر بينا القمر يضىء اذ تجللتها سحابة فنى اذ انحلت عنه فيذكر » . قال عمر « اثنتان » قال : والرجل يرى الرؤيا فمنها ما يصدق ومنها ما يكذب ؟ فقال : نعم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ما من عبد ينام يمتلىء نوما الا عرج بروحه الى العرش فالذى لا يستيقظ دون العرش فذلك الرؤيا التي تصدق والذى يستيقظ دون العرش فهي التي تكذب » فقال عمر رضى الله عنه * ثلاث كنت في طلبهن فالحمد لله الذى أصبتهن قبل الموت . وروى ان عمر بن الخطاب قال عجبت لرؤيا الرجل يرى الشيء لم يخطر له على بال فيكون كأخذ بيد ، ويرى الشيء فلا يكون شيئا . فقال على رضى الله عنه : يا أمير المؤمنين يقول الله تعالى (الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى أجل مسمى) قال والارواح يعرج بها في منامها فما رأت وهى في السماء فهو الحق فاذا ردت الى أجسادها تلتقتها الشياطين في الهواء فكذبتها فما رأت من ذلك فهو الباطل . قال الحافظ ابن عمر رضى الله عنه يتعجب من قول على رضى الله عنه . قال الحافظ ابن منده هذا خبر مشهور عن صفوان بن عمرو وغيره ، وروى عن ابى الدرداء . وروى ابن منده عن ابن مسعود رضى الله عنه انه قال « ان الارواح جنود مجندة تتلاقى فتشام كما تتشام الخيل فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف » قال الامام ابن القيم ولم تزل الناس قديما وحديثا تعرف هذا وتشاهده قال جميل بن معمر العذرى :

أظلم نهارى مستهما وتلتقى مع الليل روحى في المنام وروحها

فان قيل فالنائم يرى غيره من الاحياء يحدثه ويخاطبه وربما كان بينهما مسافة بعيدة ويكون المرء يقظان روحه لم تفارق جسده فكيف التقت روحهما ؟ فالجواب على هذا اما أن يكون مثلا مضروبا ضربه ملك الرؤيا للنائم أو يكون حديث نفس من الرائي تجرد له في منامه قال حبيب بن أوس :

سقىا لطيفك من زور آتاك به حديث نفسك عنه وهو مشغول

والمقصود أن ارواح الاجباء تتلاقى في النوم كما تتلاقى ارواح الاجباء والاموات ، قال بعض السلف أن الارواح تتلاقى في الهواء فتتعارف وتتذاكر فيأتيها ملك الرؤيا بما هو لاقبها من خير أو شر ، قال وقد وكل الله تعالى بالرؤيا الصادقة ملكا علمه وألهمه معرفة كل نفس بعينها واسمها ومقلبها في دينها ودنياها وطبعها ومعارفها لا يشبهه عليه منها شيء ولا يغلط فيها فيأتيه نسخة من علم غيب الله من أم الكتاب بما هو مصيب لهذا الانسان من خير أو شر في دينه ودنياه ويضرب له الامثال والاشكال على قدر عادته فارة يبشره بخبر قدمه او يقدمه وينذره من معصية ارتكبها أو هم بها ويحذره من مكروه انعدت أسبابه ليعارض تلك الاسباب بأسباب تدفعها وتغير ذلك من الحكام والمصالح التي جعلها الله تعالى في الرؤيا نعمة منه ورحمة واحسانا وتذكيرا وتعريفا وجعل أحد طرق ذلك تلاقى الارواح وتذاكرها وتعارفها وكم ممن كانت توبته وصلاحه وزهده واقباله على الآخرة عن منام رآه او رعى له وكم ممن استغنى وأصاب كنزا أو دفينا عن منام ، وهذا عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه وسلم دل في المنام على زمزم وأصاب الكنز الذي كان هناك ، وفي مثل ذلك حكايات كثيرة وبالله التوفيق .

((فكل ما عن سيد الخلق ورد من أمر هذا الباب حق لا يرد))

((فكل ما)) أى شيء أو الذى ((عن سيد الخلق)) ورسول الحق نبيا محمد صلى الله عليه وسلم ، قال في المطلع : السيد الذى يفوق في الخير قومه قاله الزجاج ، وقيل التقى وقيل الحلیم وقيل الذى لا يغلبه غضبه وجميع ذلك في نبينا صلى الله عليه وسلم . وقال في القاموس سيد القوم أجلهم . وهو صلى الله عليه وسلم أجل خلق الله وأعظم خلق الله وأكرم خلق الله وأكمل خلق الله صلى الله عليه وسلم . قال الامام المحقق ابن القيم في كتابه بدائع الفوائد : اختلف الناس في جواز اطلاق السيد على البشر فمنعه قوم ونقل عن الامام مالك واحتجوا بانه صلى الله عليه وسلم لما قيل له يا سيدنا قال « انما السيد الله » وجوزوه قوم واحتجوا بقول النبي صلى الله عليه وسلم للانصار « قوموا الى سيدكم » وهذا أصح من الحديث الاول . قلت وكذا حديث « ان ابني هذا - يعنى الحسن - سيد » وحديث

معنى السيد

هل يطلق على البشر ؟

« انا سيد ولد آدم ولا فخر » وغير ذلك مما لا يحصى الا بكلفة • قال في البدائع : السيد احد ما يضاف اليه فلا يقال لتسمى انه سيد كندة ولا يقال لملك انه سيد البشر ، قيل وعلى هذا لا يجوز ان يطلق على الله هذا الاسم ، قال في البدائع : وفي هذا نظر فان السيد اذا أطلق عليه تعالى فهو بمعنى المالك والمولى والرب لا بمعنى الذى يطلق على المخلوق ((ورد)) بالاسانيد المقبولة ودونه أهل العلم في الكتب المنقولة المشهورة ((من أمر)) أى من أمور ((هذا الباب)) الذى مناطه السمع من الكتاب والسنة واجماع السلف فكل ذلك ((حقي)) يجب اعتقاده والايمان به لانه صحف به النقول ولم ترده العقول وان عجزت العقول عن ادراكه فان الانبياء عليهم الصلاة والسلام تأتى بمحارات العقول لا بمحالاتها ، والفرق بينهما بين لا يخفى على ذى تبصر ((لا يرد)) من ذلك شئ لثبوتها عن المعصوم وصحته عن رسول الحى القيوم فمن تصدى لرد شئ من هذا الباب فقد اخطأ الصواب وضل وخاب وكان من أهل البدع والارتياب، فان الرسل صلوات الله وسلامه عليهم جعلهم الله وسائط بينه وبين عباده في تعريفهم ما ينفعهم وما يضرهم وتكميل ما يصلحهم في معاشهم ومعادهم وبعثوا جميعا بالدعوة الى الله وتعريف الطريق الموصل اليه وبيان حالهم بعد الوصول اليه • فالاصل الاول اثبات التوحيد والصفات والقدر وذكر ايام الله في أولياته واعدائه وهى القصص التى قصها الله تعالى على عباده والامثال التى ضربها لهم • والاصل الثانى يتضمن تفصيل الشرائع والامر والنهى والاباحة وبيان ما يجب به ويكرهه • والاصل الثالث يتضمن الايمان باليوم الآخر والجنة والنار والثواب والعقاب • قال شيخ الاسلام ابن تيمية في قاعدة له في وجوب الاعتصام بالرسالة : على هذه الاصول الثلاثة مدار الخلق والامر والسعادة والصلاح موقوفة عليها ولا سبيل الى معرفتها الا من جهة الرسل فان العقل لا يهتدى الى تفاصيلها ومعرفة حقائقها وان كان قد يدرك وجه الضرورة اليها من حيث الجملة كالمريض الذى يدرك وجه الحاجة الى الطب ومن يداويه ولا يهتدى الى تفاصيل المرض وتنزيل الدواء عليه ، وحاجة العبد الى الرسالة اعظم بكثير من حاجة المريض الى الطبيب فان آخر ما يعذب

الأصول الثلاثة
التي عليها مدار
الخلق والامر
والسعادة •

يعدم الطيب موت الابدان ، وأما اذا لم يحصل للعبد نور الرسالة وحياتها مات قلبه موتا لا ترجى الحياة معه أبدا وشقى شقاوة لا سعادة معها أبدا ، فلا فلاح الا باتباع الرسول والايمان بما جاء به صلى الله عليه وسلم ومن جملة ما ورد عن سيد الخلق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وانه حق لا يرد اشراط الساعة وعلاماتها ولهذا قال •

((فصل))

في اشراط الساعة وعلاماتها الدالة على اقترابها ومجيئها

قال تعالى (اقتربت الساعة) وقال (فهل ينظرون الا الساعة أن تأتيهم بغتة فقد جاء اشراطها) أى إماراتها وعلاماتها واحداها شرط ، قال الامام البغوى وكان النبي صلى الله عليه وسلم من اشراط الساعة قال تعالى (وما يدريك لعل الساعة قريب) وقال (فهل ينظرون الا الساعة ان تأتيهم بغتة وهم لا يشعرون) والآيات فى ذلك كثيرة ، وأما الاحاديث فلا تكاد تحصى • فإن قيل كيف يوصف بالاقتراب ما قد مضى قبل وقوعه ألف ومائة ونيف وسبعون عاما ؟ فالجواب أن الاجل اذا مضى أكثره وبقي أقله حسن أن يقال فيه اقترب الاجل ، ولا ريب أن أجل الدنيا قد مضى أكثره وبقي أقله ، ولتقرب قيام الساعة عنده تعالى جعلها كغد الذى بعد يومك فقال (ولتنظر نفس ما قدمت لغد) وقال تعالى (انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا) وروى الترمذى وصححه من حديث أنس مرفوعا « بعثت أنا والساعة كهاتين » وأشار بالسبابة والوسطى فأفضل احدهما على الاخرى • وفى الصحيحين من حديث سهل بن سعد رضى الله عنه قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم قال باصبعيه هكذا بالوسطى والتي تلي الابهام « بعثت والساعة كهاتين » وفى الصحيحين عن ابن عمر رضى الله عنهما مرفوعا « انما أجلكم فيمن مضى قبلكم من الامم من صلاة العصر الى مغرب الشمس - وفى لفظ - انما بقاؤكم فيما سلف قبلكم من الامم ما بين صلاة العصر الى غروب الشمس »

ولما كان أمر الساعة شديدا وهولها مزيدا وأمرها بعيدا كان الاهتمام

بشأنها أكثر من غيرها ولهذا أكثر النبي صلى الله عليه وسلم من بيان
أشراطها وأماراتها وأخبر عما بين يديها من الفتن البعيدة والقريبة ونبه أمته
وحذرهم ليتأهبوا لتلك العقبة الشديدة .

ثم اعلم ان وقت مجيء الساعة مما انفرد الله بعلمه وانما أخفاه تعالى
لانه أصلح للعباد لئلا يتباطؤوا عن التأهب والاستعداد كما ان اخفاء وقت
الموت أصلح لهم وأنفع وقد انتدب جماعة من العلماء على تعيين قربها وزمن
كونها ومجيئها واستدلوا بأحاديث غير صحيحة وما صح منها فدلاتها غير
صريحة ، وذكر الحافظ جلال الدين السيوطي ذلك في جزء له سماه
الكشف وذكر هو تقريبا انها تقوم على رأس الخمسمائة بعد الالف أو
أزيد ، قال الشيخ العلامة مرعي في (بهجة الناظرين) وهذا أيضا مردود
لان كل من تكلم بشيء من ذلك فهو ظن وحسبان لا يقوم عليه برهان .

ثم أعلم ان أشراط الساعة وأماراتها تنقسم الى ثلاثة أقسام قسم ظهر
وانقضى وهي الامارات البعيدة ، وقسم ظهر ولم ينقض بل لا يزال في
زيادة حتى اذا بلغ الغاية ظهر القسم الثالث وهي الامارات القريبة الكبيرة
التي تعقبها الساعة وانها تتابع كنظام خرزات انقطع سلكها (فالاولى) أعني
التي ظهرت ومضت وانقضت (منها) بعثة النبي صلى الله عليه وسلم وموته
وفتح بيت المقدس (ومنها) قتل أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه
قال حذيفة أول الفتن قتل عثمان (ومنها) وقعة الجمل (ومنها) وقعة صفين
فقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تقوم الساعة حتى تقتل
فئتان عظيمتان تكون بينهما مقتلة عظيمة دعواهما واحدة (ومنها) واقعة
النهر وان فأخرج ابن جرير عن مخنف بن سليم قال أتينا أبا أيوب الانصاري
رضي الله عنه فقلت يا أبا أيوب قاتلت المشركين بسيفك مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم ثم جئت تقاتل المسلمين ؟ فقال ان رسول صلى الله عليه وسلم
أمرنا بقتال ثلاثة الناكثين والقاسطين والمارقين فقد قاتلت الناكثين والقاسطين
وأنا مقاتل ان شاء الله المارقين . وفي رواية عنه : عهد لنا رسول الله صلى
الله عليه وسلم أن نقاتل مع علي الناكثين فقد قاتلناهم - يعني في وقعة الجمل
وذلك لان طلحة والزبير رضي الله عنهما نكثا بيعة علي رضي الله عنه -

اشراط الساعة
واماراتها ثلاثة
اقسام

الاولى ما قد
مضى وانقضى

وعهد الينا أن نقاتل معه القاسطين - يعنى الظالمين وأراد بهم أصحاب معاوية لانهم ظلموا علينا ونازعوه أمرا هو أحق الناس به عند كل منصف والقاسطون هم العادلون عن الحق الى الباطل - وعهد الينا أن نقاتل معه المارقين - وأراد بهم الخوارج فانهم مرقوا من الدين • وفى الخوارج أحاديث كثيرة جدا فى الصحيحين وغيرهما (ومنها) نزول أمير المؤمنين وخاتمة الخلفاء الراشدين سبط رسول رب العالمين سيدنا الامام أبى محمد الحسن بن علي وأخى الحسين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم « ان ابنى هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين » الحديث ، شهد جماعة من الصحابة رضى الله عنهم أنهم سمعوا ذلك من النبى صلى الله عليه وسلم (ومنها) ملك بنى أمية وما جرى على أهل البيت فى أيامهم من الاذية كقتل الحسين بعد ما سم الحسن وواقعة الحرة وما جرى فيها من المحن وقتل ابن الزبير ورمى الكعبة بالمنجنيق وما جرى فى ذلك مما لا يحسن ولا يلىق (ومنها) ملك بنى العباس وما جرى فى أيامهم من المحن والباس (ومنها) نار الحجاز التى أضاءت منها أعناق الابل ببصرى (ومنها) ظهور الرفض واستبداد الرافضة بالملك واطهار الطعن واللعن على السلف الصالح من الصحابة الكرام رضوان الله عليهم وقد أخرج الامام احمد وأبو يعلى والطبرانى عن ابن عباس رضى الله عليهم مرفوعا « يكون فى آخر الزمان قوم يسمون الرافضة يرفضون الاسلام فاذا رأيتموهم فاقتلوهم فانهم مشركون » ولفظ الطبرانى باسناد حسن عنه كنت عند النبى صلى الله عليه وسلم وعنده علي فقال النبى صلى الله عليه وسلم « سيكون من أمتى قوم ينتحلون حب أهل البيت لهم نيز يسمون الرافضة فاقتلوهم فانهم مشركون » (ومنها) خروج كذايين دجالين كل منهم يدعى أنه نبى (ومنها) زوال ملك العرب رواه الترمذى (ومنها) كثرة المال رواه الشيخان وغيرهما (ومنها) كثرة الزلازل والمسخ والقذف وغير ذلك مما أخبر عنه النبى صلى الله عليه وسلم انه من أمارات الساعة فظهر ومضى وانقضى •

(الثانية)

الثانية ما ظهر
واستمر

الامارات المتوسطة وهي التي ظهرت ولم تنقض بل تزايد وتكثر وهي كثيرة جدا (منها) قوله صلى الله عليه وسلم « لا تقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس بالدنيا لكع ابن لكع » رواه الامام أحمد والترمذى والضياء المقدسى من حديث حذيفة رضى الله عنه . واللكع العبد والاحمق والمثيم . والمعنى لا تقوم الساعة حتى يكون اللثام والحمقى ونحوهم رؤساء الناس (ومن الامارات) قوله صلى الله عليه وسلم « يأتي على الناس زمان الصابر على دينه كالقابض على الجمر » رواه الترمذى عن أنس . وقوله صلى الله عليه وسلم « لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس في المساجد » رواه الامام أحمد وأبو داود وابن ماجه وابن حبان عن أنس رضى الله عنه وقوله صلى الله عليه وسلم

يكون في آخر الزمان عباد جهال وقراء فسقة - وفي لفظ - فساق » رواه أبو نعيم والحاكم عن أنس (ومنها) أن يرى الهلال ساعة يطلع فيقال ليلتين لا تتفاخه وكبره روى معناه الطبرانى عن ابن مسعود وفي لفظ « من أشراط الساعة اتفاخ الأهلة » بالخاء المعجمة أى عظمها وروى بالجيم (ومنها) اتخاذ المساجد طرقا (ومنها) ما أخرجه أبو نعيم فى الحلية عن أنس رضى الله عنه مرفوعا « من اقترب الساعة اثنتان وسبعون خصلة اذا رأيتم الناس أماتوا الصلاة وأضاعوا الامانة وأكلوا الربا واستحلوا الكذب واستخفوا بالدماء واستعلوا البناء وباعوا الدين بالدنيا وتقطعت الارحام ويكون الحلم ضعفا والكذب صدقا والحريز لباسا وظهر الجور وكثر الطلاق وموت الفجأة واثمن الخائن وخون الامين وصدق الكاذب وكذب الصادق وكثر القذف وكان المطر قيظا والولد غيظا وفاض اللثام فيضا وغاض الكرام غيضا وكان الامراء والوزراء والامناء خونة والعرفاء ظلما والقراء فسقة ، اذا لبسوا مسوك الضأن قلوبهم اتنن من الجيفة وأمر من الصبر يغسيهم الله فتنة يتهاوكون فيها تهلوك اليهود والظلمة وتظهر الصفراء وتطلب البيضاء يعنى الذهب والفضة وتكثر الخطباء ويقل الامر بالمعروف وحليت المصاحف وصورت المساجد وطولت المنابر وخربت

القلوب وشربت الخمر وعطلت الحدود وولدت الامة ربها وترى الحفاة العراة صاروا ملوكا وشاركت المرأة زوجها في التجارة وتشبه الرجال بالنساء والنساء بالرجال وحلف بغير الله وشهد المرء من غير أن يستشهد وسلم للمعرفة وتفقه لغير الله وطلبت الدنيا بعمل الآخرة واتخذ المغنم دولا - وهو بضم الدال المهملة وفتح الواو ما يتداول من المال ومعناه اذا اختص الاغنياء وأرباب المناصب بأموال الفقيء ومنعوها مستحقها كما في النهاية - والامانة مغنما والزكاة مغرما وكان زعيم القوم أرذلهم وعق الرجل أباه وجفا أمه وبر صديقه وأطاع امرأته وعلت أصوات الفسقة في المساجد واتخذت القيآن وللمعازف وشربت الخمر في الطرق واتخذ الظلم فخرا وبيع الحكم وكثرت الشرط واتخذ القرآن مزامير وجلود السباع صفافا - أي بأن تجعل على السروج كما يفعله أمراء زماننا - ولعن آخر هذه الامة أولها ، فليرتقبوا عند ذلك ريحا حمراء وخسفا ومسحبا وقذفا وآيات « (ومنها) ما رواه الامام أحمد وعبد بن حميد وابن أبي حاتم عن سلمان موقوفا والحسن بن سفيان وابن عساكر مرفوعا « اذا ظهر القول وخزن العمل واثقلت اللسان واختلفت القلوب وقطع كل ذى رحم رحمه فعند ذلك لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم » (ومنها) ما أخرجه الامام أحمد أيضا والحاكم وابن ماجه عن أنس رضى الله عنه مرفوعا « اذا كانت الفاحشة في كباركم والمملك في صغاركم والعلم في مرداكم والمداهنة في خياركم » يعنى فتقرب اقامة الساعة • وأخبار من هذه كثيرة جدا ذكرت منها طرفا صالحا فى كتابى البحور الزاخرة فى علوم الآخرة (منها) ما فى صحيح البخارى وغيره من حديث أنس رضى الله عنه انه قال ألا أحدثكم بحديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحدثكم به أحد غيرى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ان من اشراط الساعة ان يرفع العلم ويكثر الجهل ويكثر الزنا ويكثر شرب الخمر ويقل الرجال ويكثر النساء حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد » وفى الصحيح من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال بينما النبى صلى الله عليه وسلم فى مجلس يحدث القوم جاءه أعرابى قال متى الساعة ؟ فمضى رسول الله صلى الله عليه ويحدث وقال بعض القوم

سمع ما قال فكره ما قال ، وقال بعضهم بل لم يسمع حتى اذا قضى حديثه :
قال أين السائل عن الساعة ؟ فقال ها أنا يا رسول الله قال « فاذا ضيقت
الامانة فانتظر الساعة » قال كلف أضعافها ؟ قال « اذا وسد الامر الى غير
أهله فانتظر الساعة » والله أعلم •

(الاشراف والامارات الثالثة)

الثالثة العلامات الكبرى

العلامات العظام والاشراط الجسام التي تعقبها الساعة وهي
المقصودة في النظم والتي تكلم عليها أهل العلم وليها الاشارة بقوله :
((وما أتى في النص من اشراط فكله حق بلا شطاط))
((وما)) أي وما ورد عن سيد الخلق وهو حق يجب اعتقاده ولا يسوغ
رده الذي ((أتى)) أي ورد وجاء ((في النص)) القرآني أو الحديث
النبوي ((من اشراط)) الساعة بأقسامها الثلاثة مما ذكرنا ومما لم نذكر
والمراد بالساعة يوم القيامة وسميت الساعة لقبها ، أو لأنها تأتي بفترة (أو)
في ساعة ، أو لأن بعث الموتى من قبورهم يكون في أسرع من اللبنة ، أو
لأن فصل القضاء في ذلك اليوم في قدر ساعة • ويروى عن علي رضي الله عنه أنه
سئل عن محاسبة الخلق فقال كما يرزقهم في غداة واحدة كذلك يحاسبهم
في ساعة واحدة • وتقدم ان الاشراف جمع شرط وانها أماراتها وعلاماتها
((فكله)) أي الذي أتى في النص من اشراط الساعة وفي نسخة كلها
أي الاشراف ((حق)) واقع ويقين ليس له مدافع ((بلا شطاط)) كسحاب
وكتاب أي من غير طول وبعد يقال رجل شطاط بين الشطاط والشطاطة
والشطاط بالكسر وهو البعيد ما بين الطرفين وقرىء (ولا تشطط) ولا
تشاطط أي لا تبعد عن الحق والمعنى ان الذي جاء في النص من اشراط
الساعة حق كله لا بعد فيه ولا عقد ينافيه • ثم أخذ في تعداد تلك الاشراف
فقال :

((منها الامام الخاتم الفصيح محمد المهدي والمسيح))

المهدي

((منها)) أي من أشراط الساعة التي وردت بها الاخبار وتواترت في
مضمونها الآثار أي من العلامات العظمى وهي أولها ان يظهر ((الامام))
المقتدى بأقواله وأفعاله ((الخاتم)) للائمة فلا امام بعده كما أن النبي صلى

الله عليه وسلم هو الخاتم للنبوة والرسالة فلا نبى ولا رسول بعده ((الفصح))
اللسان لانه من صميم العرب أهل الفصاحة والبلاغة ، والفصاحة فى
اصطلاح أهل المعانى والبيان خلوص الكلام من ضعف التأليف وتنافر
الكلمات والتعقيد مع فصاحة مفرداته ، والفصاحة فى المفرد خلوصه عن
تنافر الحروف والغرابة ومخالفة القياس ، والفصاحة فى المتكلم ملكة يقدر
معها على التمييز المقصود بلفظ فصيح ، والبلاغة فى الكلام مطابقتة لمقتضى
الحوال مع فصاحته ، وفى المتكلم ملكة يقدر بها على تأليف كلام بليغ ،
وقوله ((محمد المهدي)) هذا اسمه وأشهر أوصافه فأما اسمه فمحمد
جاء ذلك فى عدة أخبار وفى بعضها أن اسمه أحمد واسم أبيه عبد الله^(١)
فقد صح عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال « يواطىء اسمه اسمى
واسم أبيه اسم أبى » رواه أبو نعيم من حديث أبى هريرة ولفظه أنه صلى
الله عليه وسلم قال « لو لم يبق من الدنيا الا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى
يلى رجل من أهل بيتى يواطىء اسمه اسمى واسم أبيه اسم أبى يملؤها
قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا » وروى نحوه الترمذى وأبو داود
والنسائى والبيهقى وغيرهم من حديث ابن مسعود رضى الله عنه ، وفى رواية
من حديث ابن مسعود أيضا « لا تذهب الدنيا حتى يملك رجل من أهل
بيتى يواطىء اسمه اسمى يملأ الارض عدلا وقسطا كما ملئت جورا
وظلما » أخرجه الطبرانى فى معجمه الصغير ، وأخرجه الترمذى ولفظه:
حتى يملك العرب رجل من أهل بيتى • وقال : حديث حسن صحيح •
وكذلك أخرجه أبو داود فى سننه • وروى ابن مسعود أيضا رضى الله عنه
رفعه : اسم المهدي محمد • وفى مرفوع حذيفة : محمد بن عبد الله ويكنى
أبا عبد الله • ومن أسمائه أيضا أحمد بن عبد الله كما فى بعض
الروايات •

الرد على الامامية

وأما زعم الشيعة ان اسمه محمد بن الحسن وانه محمد بن الحسن
العسكرى فهذيان فان محمد بن الحسن هذا قد مات وأخذ عمه جعفر
ميراث أبيه الحسن • قلت هو أبو القاسم محمد بن الحسن العسكرى بن على
الهادى بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق

ابن محمد الباقر بن زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضوان الله عليهم ومحمد بن الحسن العسكري هذا ثاني عشر الأئمة الاثني عشر على اعتقاد الامامية ويعرف بالحجة وهو الذي تزعم الشيعة انه المنتظر والقائم والمهدي وهو صاحب السرداب عندهم ، وأقوالهم فيه كثيرة وهم ينتظرون ظهوره في آخر الزمان من السرداب بسر من رأى كانت ولادته في منتصف شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين ، والشيعة تزعم انه دخل السرداب في دار أبيه وأمه تنظر اليه فلم يعد يخرج اليها وذلك في سنة خمس وستين ومائتين وعمره يومئذ تسع سنين وقيل غير ذلك، وكل ذلك ضرب من الجنون والهذيان وأما ذاك فقد مات رضوان الله عليه وعلى آبائه .

لم قيل له المهدي

وأما تسميته ووصفه بالمهدي فقد ثبت له هذه الصفة في عدة أخبار ، وعن كعب الاحبار قال انما سمي المهدي لانه يهدي الى أمر خفي وسيخرج التوراة والانجيل من أرض يقال لها انطاكية . أخرجه نعيم في كتاب الفتن . وفي بعض رواياته عن كعب قال انما سمي مهديا لانه يهدي الى أسفار التوراة فيستخرجها من جبال الشام يدعو اليها اليهود فيسلم على تلك الكتب جماعة كثيرة . وذكر الامام أبو عمرو الداني قال انما سمي المهدي لانه يهدي الى جبل من جبال الشام يستخرج منها أسفار التوراة يحتاج بها اليهود فيسلم على يده جماعة منهم . وأما لقبه فالجابر لانه يجبر قلوب أمة محمد صلى الله عليه وسلم ولانه يجبر أي يقهر الجبارين والظالمين ويقصمهم . وأما كنيته فأبو عبد الله . وأما نسبه فانه من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم ان الروايات الكثيرة والاخبار الغزيرة ناطقة انه من ولد فاطمة البتول ابنة النبي الرسول صلى الله عليه وسلم ورضي عنها وعن أولادها الظاهرين ، وجاء في بعض الاحاديث انه من ولد العباس والاول أصح . قال ابن حجر في كتابه القول المختصر واماما روى « ان المهدي من ولد العباس عمي » فقال الدارقطني حديث غريب تفرد به محمد بن الوليد مولى بنى هاشم . قال ولا ينافيه خبر الرافي عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا « الا أبشرك يا عم ان من ذريتك الاصفياء

نسيه

ومن عترتك الخلفاء ومنك المهدي في آخر الزمان به ينشر الله الهدى
ويطفىء نيران الضلالة ان الله فتح بنا هذا الامر وبذريتك يختم « وخبر
هيثم بن كليب وابن عساكر عن ابن عباس ورجاله ثقات « اللهم انصر
العباس وولد العباس ثلاثا يا عم أما علمت ان المهدي من ولدك موقفا راضيا
وخبر أبي نعيم في الحلية عن أبي هريرة رضى الله عنه « ألا أبشرك يا أبا
الفضل ان الله عز وجل افتتح بي هذا الامر وبذريتك يختم « وخبر
الديلمي عن أم المؤمنين أم سلمة رضى الله عنها عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه قال « لن تزال الخلافة في ولد عمى وصنو أبى حتى يسلموها
الى الدجال « وخبر الخطيب عن ابن عباس عن أمه أم الفضل رضى الله
عنهم « يا عباس أنت عمى وصنو أبى وخير من أخلف بعدى من أهلى اذا
كانت خمس وثلاثون ومائة فهى لك ولولدك منهم السفاح ومنهم المنصور
ومنهم المهدي « وخبر الخطيب وابن عساكر عن علي رضى الله عنه انه صلى
الله عليه وسلم قال للعباس « يا عم ألا أخبرك أن الله افتتح هذا الامر بى
ويختمه بولدك « فهذه الاخبار كلها لا تنافى ان المهدي من ذرية رسول
الله صلى الله عليه وسلم من ولد فاطمة الزهراء لان الاحاديث التى فيها
ان المهدي من وادها أكثر وأصح بل قال بعض حفاظ الامة وأعيان الائمة
أن كون المهدي من ذريته صلى الله عليه وسلم مما تواتر عنه ذلك فلا يسوغ
العدول ولا الالتفات الى غيره وقال ابن حجر يمكن الجمع بأن يكون من
ذريته صلى الله عليه وسلم وللعباس فيه ولادة من جهة ان فى أمهاته
عبادية • والحاصل ان للمحسن فى المهدي الولادة العظمى لان أحاديث
كونه من ذريته أكثر وللحسين فيه ولادة أيضا وللعباس فيه ولادة أيضا
ولا مانع من اجتماع ولادات متعددت فى شخص واحد من جهات مختلفة
وبالله التوفيق •

(فوائد)

فوائد فى شأن
المهدي

الأولى حليته
وصفته

(منها) فى حليته وصفته ، قال ابن عباس رضى الله عنهما : المهدي اسمه
محمد بن عبد الله وهو رجل ربة مشرب بحمرة يفرج الله به عن هذه
الامة كل كرب ويصرف بعدله كل جور • وعن حذيفة بن اليمان رضى الله

عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « المهدي رجل من ولدي وجهه كالكوكب الدرّي اللون لون عربي والجسم جسم اسرائيلي يملأ الارض عدلا كما ملئت جورا يرضى في خلافته أهل الارض وأهل السماء والطير في الجوّ يملك عشرين سنة » أخرجه أبو نعيم في مناقب المهدي والطبراني في معجمه • وأخرج أبو داود والبيهقي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « المهدي مني أجلى الجبهة أقمى الأنف يملأ الارض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا يملك سبع سنين » وأخرج أبو نعيم من حديث عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليعثن الله في عترتي رجلا أفرق الثنايا أجلى الجبهة يملأ الارض عدلا ويفيض المال فيضا » وفي مرفوع عمران بن حصين انه حين ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا رسول الله كيف لنا بهذا حتى نعرفه ؟ قال « هو رجل من ولدي كأنه من رجال بني اسراييل عليه عباةان قطوانيتان كان في وجهه الكوكب الدرّي في اللون في خده الايمن خال أسود ابن أربعين سنة » أخرجه الامام أبو عمرو الداني في سننه • وأخرج أبو نعيم من حديث أبي امامة رضي الله عنه مرفوعا « المهدي من ولدي ابن أربعين سنة كان وجهه كوكب دري في خده الايمن خال اسود عليه عباةان قطوانيتان كأنه من رجال بني اسراييل يستخرج الكنوز ويقطع مدائن الترك » وفي حديث أبي وائل عن علي رضي الله عنه قال نظر الى الحسن وقال ان ابني هذا سيد كما سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيخرج من صلبه رجل باسم نبيكم يخرج على حين غفلة من الناس وامانة الحق واظهار الجور يفرح بخروجه أهل السماء وسكانها ، وهو رجل أجلى الجبين أقمى الأنف ضخم الطن أزيل الفخذين بفخذه الايمن شامة أفليج الثنايا يملأ الارض عدلا كما ملئت ظلما وجورا • وعن أبي جعفر محمد الباقر قدس الله سره قال سئل أمير المؤمنين علي رضي الله عنه عن صفة المهدي قال : هو شاب مربوع حسن الوجه يسيل شعره على منكبيه يعلو نور وجهه سواد شعره ولحيته ورأسه • وفي رواية أخرى عن علي رضي الله عنه ان المهدي كثر اللحية أكحل

العينين براق الثنايا في وجهه خال أفنى أجلى في كنفه علامة النبي صلى الله عليه وسلم . وفي بعض الروايات المهدي أزج أبلج أعين يجيء من الحجاز حتى يستوى على مسجد دمشق . أخرجه أبو نعيم . وفي رواية لابي نعيم بكنفه اليمنى خال . وفي حديث علي مرفوعا انه كثر اللحية أكحل العينين براق الثنايا في وجهه خال وفي كنفه علامة . وقال كعب الاحبار اني لأجد المهدي مكتوبا في أسفار الانبياء ما في حكمه ظلم ولا عيب . أخرجه أبو عمرو والمقرئ في سننه ونعيم بن حماد . وأخرج أبو نعيم عن طاووس قال علامة المهدي انه يكون شديدا على العمال جوادا بالمال رحيفا بالمساكين . ورأيتني قد وصفته في كتابي البحار الزاخرة بأنه آدم أي أسمر ، ضرب من الرجال أي خفيف اللحم ، مشقوق مستدق ، ربة أي لا بالطويل ولا بالتقصير ، أجلى الجبهة أي خفيف شعر النزعتين عن الصدغين وهو الذي انحسر الشعر عن جبهته ، أفنى الانف أي طويلة مع دقة أرنبته ، أشم أي رفيع العينين ، أزج أي حاجبه فيه تقويس مع طول في طرفه أو امتداده ، أبلج أعين أكحل العينين واسع العين - والكحل بفتح الحين سواد في أجفان العين خلقة من غير احتحال ، براق الثنايا أي لثناياه بريق ولمعان ، أفرقها أي ليست متلاصقة أزيل الفخذين أي منفرج الفخذين متباعدهما . وفي رواية في لسانه ثقل واذا أبطأ عليه ضرب فخذة الايسر بيده اليمنى ، ابن أربعين سنة - وفي رواية ما بين ثلاثين الى أربعين - خاشع لله خشوع النسر بجناحيه عليه عباءتان قطوانيتان . قال في النهاية هي عباءة بيضاء قصيرة الخمل والنون زائدة .

(الفائدة الثانية في سيرته)

قال أهل العلم يعمل بسنة النبي صلى الله عليه وسلم لا يوقظ نائما ، ويقا تل على السنة لا يترك سنة الا أقامها ولا بدعة الا رفعها ، يقوم بالدين آخر الزمان كما قام به النبي صلى الله عليه وسلم أوله ، يملك الدنيا كلها كما ملك ذو القرنين وسليمان بن داود عليهما السلام ، يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويرد الى المسلمين انفتهم ونعمتهم ، يملأ الارض قسما وعدلا كما ملئت ظلما وجورا ، يحثو المال حثوا ولا يعده عدا ، يقسم المال صحايا بالسوية ، يرضى عنه ساكن السماء وساكن الارض والطير في الجو

والوحش في القفر والحيتان في البحر ، يملأ قلوب أمة محمد صلى الله عليه وسلم غنى حتى انه يأمر مناديا ينادى : ألا من له حاجة في المال ؟ فلا يأتيه الا رجل واحد فيقول انا فيقول انت السادن -أى الخازن- فقل له المهدي يأمرك ان تعطينى مالا فيقول له احث حتى اذا جعله فى حجره وأبرزه ندم فيقول كنت أجشع أي أحرص أمة محمد صلى الله عليه وسلم أعجز غنى ما وسعهم ؟ قال فيرده فلا يقبل منه فقال له انا لا تأخذ شيئا أعطيناها الامة .
تعم أمة محمد برها وفاجرها في زمانه نعمة لم يسمعوا بمثلها قط وترسل السماء عليهم مدرارا لا تدخر شيئا من قطرها ، وتؤتى الارض أكلها لا تدخر عنهم شيئا من بذرها ، تجرى على يديه الملاحم ، يستخرج الكنوز ويفتح المدائن ما بين الخافقين ، يؤتى اليه بملوك الهند مغللين وتجعل خزائنهم لبيت المقدس حليا ، يأوي اليه الناس كما يأوى النحل الى يسوبه حتى يكون الناس على مثل أمرهم الاول ، يمدد الله بثلاثة آلاف من الملائكة يضربون وجوه مخالفه وأدبارهم جبريل على مقدمته وميكائيل على ساقته، ترعى الشاة والذئب في زمانه في مكان واحد ، وتلعب الصبيان بالحيات والعقارب لا تضرهم شيئا ، ويزرع الانسان مدا فيخرج له سبعمائة مد ، ويرفع الربا والزنا وشرب الخمر ، وتطول الاعمار وتؤدى الامانة وتهلك الاشرار ولا يبقى من يبغض آل محمد صلى الله عليه وسلم ، محبوب - يعنى المهدي - فى الخلائق يطفىء الله به الفتنة العمياء وتأمّن الارض حتى أن المرأة تحج في خمس نسوة ما معهن رجل ولا يخفن شيئا الا الله ، مكتوب فى شعائر الانبياء ما فى حكمه ظلم ولا عيب .

(الثالثة فى علامات ظهوره)

قال العلامة الشيخ مرعى فى كتابه (فوائد الفكر فى المهدي المنتظر) اعلم ان لظهور المهدي علامات جاءت بها الآثار ودلت عليها الاحاديث والابحار ، فمن علامات ظهوره على ماورد كسوف الشمس والقمر ونجم الذئب والظلمة وسماع الصوت بمرضان وتحارب القبائل بنى القعدة وظهور الخسف والقسن ومعه قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيفه ، ورايته من مرط مخملة معلمة سوداء فيها حجر لم تنشر منذ

الثالثة - علامات ظهوره

توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تنشر حتى يخرج المهدي مكتوب على رأسها « البيعة لله » كذا في الاشاعة للعلامة السيد محمد البرزنجي المدني ، ويفرس قضييا يابسا في أرض يابسة فيخضر ويورق ، ويطلب منه آية فيومي الى طير في الهواء بيده فيسقط على يده وينادي مناد من السماء : أيها الناس ان الله قطع عنكم الجبارين والمنافقين وأشياهم وولاكم خير أمة محمد صلى الله عليه وسلم فألحقوه بمكة فانه المهدي واسمه محمد بن عبد الله ، وتخرج الارض أفلاذ كبدها مثل الاسطوانات من الذهب ويخرج كنز الكعبة المدفون فيها فيقسمه في سبيل الله . رواه أبو نعيم عن علي رضي الله عنه . ويستخرج تابوت السكينة من غار نطاكية أو من بحيرة طبرية فيخرج حتى يحمل فيوضع بين يديه بيت المقدس فإذا نظر اليه يهود أسلموا الا قليل منهم ، وتأتيه الرايات السود من خراسان فيرسلون اليه البيعة ، وتنشف الفران فتحسر عن جبل من ذهب . وذكروا أنه ينكسف القمر أول ليلة من رمضان والشمس ليلة النصف . ونظر في هذا الشيخ مرعى بأن العادة انكساف القمر ليالي الابداروالشمس أيام الاسرار ، ولكن من الممكن أن يكون ذلك آية لظهوره وفيها خرق للعادة . وروى أبو نعيم في الفتن قال شريك بلغني أن القمر قبل خروجه ينكسف مرتين برمضان . وذكر الكسائي عن كعب الاحبار أن القمر ينكسف ثلاث ليال متواليات . وروى عن كعب الاحبار يطلع نجم بالشرق وله ذنب يضيء كما يضيء القمر ينعطف حتى يلتقي طرفاه أو يكاد . وفي الديلمي مرفوعا تكون هدة في رمضان توقظ النائم وتفرع اليقظان . ومن وجه آخر يكون صوت في رمضان في نصف الشهر يصعق منه سبعون ألفا ويعمى مثلها ويخرس مثلها ويصم مثلها وينفتق من الابكار مثلها . ومن علامات المهدي أيضا خسف قرية ببلاد الشام يقال لها حرستا كما في الاشاعة وغيرها .

(الرابعة)

الرابعة بعض ما يسبقه من الفتن

(في الإشارة الى بعض الفتن الواقعة قبل خروج المهدي وخروج خوارج قبل ذلك)

(منها) ما ذكره في الاشاعة انه يحسر الفرات عن جبل من ذهب كما

تقدم فإذا سمع به الناس ساروا اليه واجتمع عليه ثلاثة كلهم ابن خليفة يقتلون عنده ثم لا يصبر الى أحد منهم فيقول كل واحد والله لئن تركت الناس يأخذون منه ليذهبن بكله فيقتلون عليه حتى يقتل من كل مائة تسعة وتسعون ، وفي رواية فيقتل تسعة أعشارهم ، وفي رواية من كل تسعة سبعة ، فيقول كل رجل لعلى أكون أنا أنجو . وقد قال صلى الله عليه وسلم « من حضر فلا يأخذ منه شيئا » وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من حضر فلا يأخذ منه شيئا » وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تقوم الساعة حتى يخرج المهدي من ولدى ولا يخرج المهدي حتى يخرج ستون كذابا كلهم يقول أنا نبي » وعن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون قريبا من ثلاثين كلهم يزعم انه رسول الله » رواه مسلم في صحيحه ورواه البخارى بمعناه وتام الحديث في مسلم « وحتى يقبض العلم وتكثر الزلازل ويتقارب الزمان وتظهر الفتن ويكثر الهرج » وهو القتل - الحديث . وهو في صحيح البخارى الا أن قوله وتكثر الزلازل في البخارى دون مسلم . . . وفي مسلم عن جابر بن سمرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ان بين يدي الساعة كذا بين » زاد في طريق أخرى قال جابر فاحذروهم . وقال جعفر الصادق بن محمد الباقر لا يظهر المهدي الا على خوف شديد من الناس وزا: ال وفتنة وبلاء يصيب الناس والطاعون قبل ذلك وسيف قاطع بين العرب واختلاف شديد فى الناس وشتت فى دينهم وتغيير فى حالهم حتى يتمنى المتمنى الموت صباحا ومساء من عظيم ما يرى من كلب الناس وأكل بعضهم بعضا فحينئذ يخرج فى طوبى لمن أدركه وكان من أنصاره والويل كل الويل لمن خالفه وخالف أمره . وقال محمد بن الصامت قلت للحسين ابن علي رضى الله عنهما أما من علامة بين يدي هذا الامر - يعنى ظهور المهدي - قال : قال : بلى ، قلت وماهى قال : هلاك بنى العباس وخروج السفينانى والخسف بالبيداء . قلت جعلت فداك أخاف أن يطول هذا الامر ، فقال انما هو كنظام يتبع بعضه بعضا .

وعن أمير المؤمنين على رضى الله عنه قال : تكون فى الشام رجفة يهلك فيها أكثر من مائة ألف يجعلها الله رحمة للمؤمنين وعذابا على المنافقين فإذا كان كذلك فانظروا الى أصحاب البراذين الشهب والرايات الصفراء تقبل من المغرب حتى تحل بالشام وذلك عند الجوع الأكبر والموت الأحمر فإذا كان ذلك فانظروا خسف قرية من قرى دمشق يقال لها حرسنا فإذا كان ذلك خرج ابن آكلة الأكباد من الوادى اليابس حتى يستوى على منبر دمشق فإذا كان ذلك فانظروا خروج المهدي .

ومن أقوى علامات خروج المهدي خروج من يتقدمه من الخوارج السفيناني والابقع والأصهب والاعرج والكندي .

أما السفيناني فاسمه عروة واسم أبيه محمد وكنيته أبو عبسة ، قال العلامة الشيخ مرعى فى فوائد الفكر وفى عقد الدرر ان السفيناني من ولد خالد بن يزيد بن أبى سفين ملعون فى السماء والارض وهو أكثر خلق الله ظلما قال على رضى الله عنه : السفيناني من ولد خالد بن يزيد بن أبى سفينان رجل ضخم الهامة بوجهه أثر جدرى بعينه نكته بياض يخرج من ناحية دمشق وعامة من يتبعه من كلب فيقتل حتى يقرر بطون النساء ويقتل الصبيان ويخرج اليه رجل من أهل بيتى فى الحرم فيبلغ السفيناني فيبعث اليه جندا من جنده فيهزمهم فيسير اليه السفيناني بمن معه حتى اذا جاز ببدء من الارض خسف بهم فلا ينجو الا المخبر عنهم . اخرج الحاكم فى مستدركه وقال : هذا حديث صحيح الاسناد على شرط البخارى ومسلم ولم يخرجاه .

خروج الابقع
والاصهب

والأبقع يخرج من مصر ، والاصهب يخرج من بلاد الجزيرة ، ثم يخرج الجرهمي من الشام قال كعب الاحبار : أول من يخرج ويفلب على البلاد الاصهب يخرج من بلاد الجزيرة ، ثم يخرج من بعده الجرهمي من الشام ، ويخرج القحطاني من بلاد اليمن . قال كعب : فينما هؤلاء الثلاثة قد تغلبوا على مواضعهم واذا قد خرج السفيناني من دمشق من واد يقال له وادى اليابس يؤتى فى منامه فيقال له قم فاحرج فيقوم فلا يجد أحدا ثم يؤتى الثانية ثم الثالثة ويقال له فيها فانظر الى باب دارك

فينحدر في الثالثة الى باب داره فاذا بسبعة أنفار أو تسعة معهم لواء فيقولون نحن أصحابك ومع رجل منهم لواء معقود لا يرى ذلك اللواء أحد الا انهزم فيخرج اليه صاحب دمشق ليقاتله فاذا نظر الى رايته انهزم فيدخل دمشق الشام في ثلثمائة وستين راكبا وما يمضى عليه شهر حتى يجتمع عليه ثلاثون ألفا من كلب وهم أخواله وعلامة خروجه خسف بقرية حرسا ويسقط جانب مسجدها الغربي ، ثم يخرج الابقع والاصهب فيخرج السفيناني من الشام والابقع من مصر والاصهب من جزيرة العرب ويخرج الاعرج الكندي بالمغرب ويدوم القتال بينهم سنة ثم يغلب السفيناني على الابقع والاصهب ويسير صاحب الغرب فيقتل الرجال ويسبي النساء ثم يرجع حتى ينزل الجزيرة في قيس الى السفيناني فيظهر السفيناني عليه ويحوز ما جمعوا من الاموال ويظهر على الرايات الثلاث ثم يقاتل الترك فيظهر عليهم ثم يفسد في الارض ويدخل الزوراء فيقتل من أهلها •

خروج الاعرج الكندي

ثم يخرج وراء النهر خارج يقال له الحارث على مقدمته رجل يقال له المنصور يمكن لآل محمد واجب على كل مؤمن نصره • وهذا الرجل يحتمل أن يكون هو الهاشمي الآتي ذكره ويلقب بالحارث كما يلقب المهدي بالجابر ويحتمل أن يكون غيره • ويشور أهل خراسان بفساكر السفيناني فتكون بينهم وقعات فاذا طال عليهم قتاله بايعوا رجلا من بني هاشم بكفه اليمنى خال سهل الله أمره وطريقه هو أخو المهدي من أبيه أو ابن عمه وهو حينئذ بآخر المشرق بأهل خراسان وطانقان ومعه الرايات السود الصغار وهي غير رايات بني العباس على مقدمته رجل من بني تميم الموالي ربة أصفر قليل اللحية كوسج واسمه شعيب بن صالح التميمي يخرج اليه في خمسة آلاف فاذا بلغه خروجه صيره على مقدمته لو استقبلته الجبال الرواسي لهدا يمهده الارض للمهدي فيلتقي الهاشمي بخيل السفيناني فيقتل منهم مقتلة عظيمة بيضاء اصطرخ حتى تطأ الخيل الدماء الى ارساغها ثم تأتيه جنود من قبل سجستان عليهم رجل من بني عدى فيظهر الله أضارته وجوده ثم يجتمع مع المهدي وبياحه وبالله التوفيق •

خروج الحارث والمنصور

ذكر شعيب بن صالح

الفائدة الخامسة
في أحوال المهدي

(الخامسة في مولده وبيعته ومدة ملكه ومتعلقات ذلك)

أخرج نعيم بن حماد عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه قال : المهدي مولده بالمدينة من أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم واسمه اسم نبي ومهاجره بيت المقدس • وفي مرفوع عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما عند أبي نعيم وأبي بكر بن المقرئ في معجمه : يخرج المهدي من قرية يقال لها كريمة •

بيعته وما يتصل
بها

وأما بيعته فيبايع بمكة المشرفة بين الركن والمقام ليلة عاشوراء ، وإذا هاجر المهدي من المدينة الى بيت المقدس تخرب المدينة بعد هجرته وتصير مأوى للوحوش ، وقد ورد : عمران بيت المقدس خراب يثرب • وفي حديث قتادة : يخرج المهدي من المدينة الى مكة • وفي حديث ابن عباس : يستخرجوه من بطن مكة من دار عند الصفا • وفي خبر أبي جعفر : يظهر المهدي بمكة عند العشاء • وفي الخبر : يبعث السفيناني جيشا الى مكة فيأمر بقتل من كان فيها من بني هاشم فيقتلون ويتفرقون هارين الى البراري والجبال حتى يظهر أمر المهدي بمكة فإذا ظهر اجتمع كل من شذ منهم اليه بمكة ويأتى سبعة علماء من آفاق شتى على غير ميعاد قد بايع لكل منهم ثلاثمائة وبضعة عشر فيجتمعون بمكة ويقول بعضهم لبعض ما جاء بكم فيقولون جئنا في طلب هذا الرجل الذي ينبغي أن تهدأ على يديه الفتن وتفتح له قسطنطينية قد عرفناه باسمه واسم أبيه وأمه - ولم نقف على اسم أم المهدي بعد الفحص والتتبع ولعلمهم يعرفون اسم أمه بالكشف كما ذكره في الاشاعة فيقف السبعة على ذلك - فيطلبونه فيصيرونه بمكة فيقولون أنت فلان ؟ فيقول بل أنا رجل من الانصار ، فينفلت منهم فيصفونه لأهل الخبرة والمعرفة به فيقولون هو صاحبكم الذي تطلبونه وقد لحق بالمدينة ، فيطلبونه بالمدينة فيخالفهم الى مكة ، وهكذا ثلاث مرات ، فيصيرونه بمكة في الثالثة عند الركن فيقولون : ائمتنا عليك ودماؤنا في عنقك ان لم تمد يدك بنايكت ، وقد أقبل عسكر السفيناني في طلبنا ، فيجلس بين الركن والمقام فيمد يده فيبايع له فيلقى الله محبته في قلوب الخلق فيصير مع قوم أسد بالنهار رهبان بالليل • أخرجه نعيم بن حماد عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه •

وأخرج أيضا عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : بيعت المهدي بعد أياس حتى يقول الناس لا مهدي وأضاراه من أهل الشام عددهم ثلاثمائة وخمسة عشر رجلا عدد أصحاب بدر يصيرون اليه من الشام حتى يستخرجوه من بطن مكة من دار عند الصفا فيبايعوه كرها فيصلى بهم ركعتين عند المقام . وأخرج عن أبي هريرة رضى الله عنه قال يبايع المهدي بين الركن والمقام لا يوقظ نائما ولا يهريق دما . والله أعلم .

وقد تكاثرت الروايات والآثار بأمر المهدي وقد ذكر العلماء ان أول ظهوره يكون شابا ثم يخاف على نفسه من القتل فيفر الى مكة مخفيا ثم يرجع الى مكة فيرويه بالمطاف عند الركن فيقهرونه على المبايعه بالامامة ثم يتوجه الى المدينة ومعه المؤمنون ثم يسيرون الى جهة الكوفة ثم يعوّد منهزما من جيش السفيناني فيخرج الله على السفيناني من أهل المشرق وزير المهدي فيهزم السفيناني الى الشام فيقصده المهدي فيذبحه عند عتبة بيت المقدس كما تذبج الشاة ويفنمه ومن معه من أخواله الذين هم جنده من بنى كلب ولا أكثر من تلك الغنيمة . وفي رواية انه يخرج رجلا من كلب يقال له كنانة يعينه كوكب في رهط من قومه حتى ياتي الصخري يعنى السفيناني فيبعث اليه المهدي راية وأعظم راية في زمانه مائة رجل فصف كلب خيلها ورجلها وابلها وغنمها فاذا تسامت الخيلان ولت كلب أدبارها فيقتلونهم ويسبونهم حتى تباع الذراء منهم بثمانية دراهم ويؤخذ الصخري فيؤتى به أسيرا الى المهدي فيذبح على الصخرة المعترضة على وجه الارض عند الكنيسة التي ببطن الوادى على درج طور زيتا المقنطرة التي على الوادى كما تذبج الشاة . وفي رواية ثم يؤخذ عروة السفيناني على أعلى شجرة على بحيرة طبرية - قال صلى الله عليه وسلم « والخائب يومئذ من خاب من قتال كلب ولو بكلمة أو بتكبيرة أو بصيحة والخائب من خاب يومئذ من غنيمة كلب ولو بقال » فقال حذيفة يا رسول الله كيف يحل قتلهم وتغنم أموالهم وهم مسلمون ؟ فقال صلى الله عليه وسلم « يكفرون باستحلابهم الخمر والزنا » . وفي الحديث : لا تحشر أمتي حتى يخرج المهدي يمدد الله بثلاثة آلاف من الملائكة ويخرج اليه الابدال من الشام

والنجباء من مصر وعصائب أهل الشرق حتى يأتوا مكة فيبايع له بين الركن والمقام ثم يتوجه الى الشام وجبريل على مقدمته وميكائيل على يساره ومعه أهل الكهف أعوان له فيفرح به أهل السماء والارض والطير والوحش والحيتان في البحر وتزيد المياه في دولته وتمتد الانهار وتضعف الارض أكلها فيقدم الى الشام فيأخذ السفينى فيذبح تحت الشجرة التى أعصانها الى بحيرة طبرية • والذي يظهر في الجمع بين روايات ذبح السفينى انه يذبح تحت الشجرة هو أو وزيره والذي يذبح على العتبة هو نفسه ان كان المذبوح تحت الشجرة وزيره أو وزيره ان كان هو المذبوح • ثم تمهد الارض للمهدى ويدخل في طاعته ملوك الارض كلهم ويبعث بعضا الى الهند فتفتح ويؤتى بملوك الهند اليه مقلين وتنقل خزائنها الى بيت المقدس فتجعل حلية لبيت المقدس ويمكث في ذلك سنين •

مدة ملك المهدي

وقد اختلفت الروايات في مدة ملك المهدي ففي بعضها يملك خمسا أو سبعا أو سنا - بالترديد ، وفي بعضها : تسع عشرة سنة أو شهرا ، وفي بعضها : عشرين ، وفي بعضها : ثلاثين ، وفي بعضها : أربعين منها تسع سنين يهادن الروم فيها • ويمكن الجمع على تقدير صحة الكل بأن ملكه متفاوت الظهور وانقوة فيحمل الاكثر باعتبار جميع مدة الملك منذ البيعة والاقبل على غاية الظهور والاوسط على الاوسط ، قال في الاشاعة : وهذا الذى تقتضيه بشارة النبى صلى الله عليه وسلم بالمهدى وان الله تعالى يعوضهم عن الظلم والجور قسطا وعدلا ، والاتق بكرم الله تعالى أن تكون مدة ذلك بقدر ما ينسون فيها الظلم والجور والفتن ، والسبع والتسع أقل من ذلك مع أنه في مدته تفتح الدنيا كلها كما فتحها ذو القرنين وسليمان ويدخل جميع الآفاق كما في بعض الروايات ويبنى المساجد والبلدان ويحلى بيت المقدس ، وهذا يقتضى مدة طويلة مع ما ورد أن الاعمار تطول في زمانه فطولها مستلزم لطول مدته والتسع ونحوها ليست من الطول في شيء ولا سيما مهادنته للروم تسع سنين ثم فتح القسطنطينية ورومية المدائن وغيرها وهذا يقتضى طول مدته وبالله التوفيق •

(تنبيه)

تنبيهه في ان
المهدي غير
عيسى

قد كثرت الاقوال في المهدي حتى قيل لا مهدي الا عيسى والصواب
الذي عليه أهل الحق أن المهدي غير عيسى وانه يخرج قبل نزول عيسى
عليه السلام ، وقد كثرت بخروجه الروايات حتى بلغت حد التواتر المعنوي
وشاع ذلك بين علماء السنة حتى عدمن معتقداتهم وقد روى الامام الحافظ
ابن الاسكاف بسند مرضي^(١) الى جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم « من كذب بالدجال فقد كفر ومن كذب
بالمهدي فقد كفر » وفي حديث حذيفة رضى الله عنه عن النبي صلى الله
عليه وسلم : « يا حذيفة لو لم يبق من الدنيا الا يوم واحد لطول الله ذلك
اليوم حتى يملك رجل من أهل بيتي تجرى الملاحم على يديه ويظهر
الاسلام ولا يخلف الله وعده وهو سريع الحساب » أخرجه الحافظ أبو نعيم
الاصفهانى ، وأخرج نحوه أبو عمرو المقرئ من حديث أبي هريرة مرفوعاً ،
ومن حديث قيس بن جابر عن أبيه عن جده مرفوعاً وفيه « ثم يخرج المهدي
من أهل بيتي يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً » رواه أبو نعيم في فوائده
وأخرجه الطبرانى في معجمه ، ومن حديث أبى سعيد الخدرى أخرجه
أبو نعيم ومن حديث ابن عباس أخرجه ابن الجوزى فى تاريخه ، ومن
حديث على أخرجه أبو داود والترمذى والنسائى فى سننهم ، وقد روى عن
ذكر من الصحابة وغير من ذكر منهم رضى الله عنهم بروايات متعددة وعن
التابعين من بعدهم ما يفيد مجموعه العلم القطعى فالإيمان بخروج المهدي
واجب كما هو مقرر عند أهل العلم ومدون فى عقائد أهل السنة والجماعة
وكذا عند أهل الشيعة أيضاً لكنهم زعموا انه محمد بن الحسن السكرى
كما تقدم • وزعمت الكيسانية أن المهدي هو محمد ابن الحنفية وانه حى مقيم
بجبل رضوى وانه بين أسدين يحفظانه وعنده عيان نضاختان تجريان بماء
وعسل فزعموا انه دخل اليه ومعه أربعون من أصحابه ولم يوقف لهم على
خبر ، قالوا وهم أحياء يرزقون ويقولون أنه يعود بعد الغيبة ويملاً الأرض

قول الامامية
والكيسانية

(١) كلا ليس بمرضى عند أئمة الحديث •

عدلا كما ملئت جورا ، قالوا وانما عوقب بهذا الحبس لخروجه الى عبدالملك
ابن مروان وقيل الى يزيد بن معاوية . والى هذا الاعتقاد أشار كثير عزرة
بقوله :

وسبـط لا يذوق الموت حتى يقود الخيل يقـدمها اللواء
تغيب لا يرى فيهم زمانا برضوى عنده غسل وماء

وكان السيد الحميري على هذا المذهب وهو القائل :

الأقل للإمام فـدتك نفسى أطلت بذلك الجيل المقاما

وجبل رضوى بفتح الزاء وبعدها ضاد معجمة وبعد الواو ألف كسكرى
هو جبل جهينة في عمل ينبع بينهما مسيرة يوم واحد وهو من المدينة
على سبع مراحل وميامنه طريق المدينة وميأسره طريق البر لمن كان مصعدا
الى مكة وهو على ليلتين الى البحر ، وكان المختار بن أبي عبيد الثقفي
الخيث المشهور يدعو الى امامة محمد ابن الحنفية رضى الله عنه وعن أبيه
علي بن أبي طالب وكان المختار يزعم ان محمدا هذا هو المهدي ، قال
الجوهري في الصحاح كيسان لقب المختار المذكور . واقتصر عليه في القاموس
أيضا ، وقال غيرهما كيسان مولى علي رضوان الله عليه . وقيل ان كيسان
تلميذ علي ، وهؤلاء الكيسانية احدى فرق الضلال كما مر في تعداد الفرق
فعلى عقولهم الدمار وعلى أفعالهم البوار ما أضل علومهم وأبلد فهمهم .
وبالله التوفيق .

تتمة للمهدى
فضل دون فضل
الصحابة

(تتمه) جاء عن ابن سيرين ان المهدي خير من أبي بكر وعمر قد كاد
يفضل الانبياء . وجاء عنه أيضا لا يفضل عليه أبو بكر وعمر ، وهو وان
كان أخف من الاول فليس بصحيح فان الامة مجتمعة على أفضليتهما عليه
بل وعلى جميع الصحابة خلافا للرافضة خذلهم الله تعالى كما سيأتى بيان
ذلك بل غيرهما من الصحابة أفضل من المهدي . ثم يستمر سيدنا المهدي
حتى يسلم الامر لروح الله عيسى بن مريم عليه السلام ويصلى المهدي
بعيسى عليه السلام صلاة واحدة وهي صلاة الفجر ثم يستمر المهدي على
الصلاة خلف سيدنا عيسى عليه السلام بعد تسليمه الامر اليه ثم يموت المهدي
ويصلى عليه روح الله عيسى ويدفنه في بيت المقدس ، وبمقتضى ما مر يعلم

قدر سنه لانه يخرج ويباع له وهو ابن أربعين أو خمسة وثلاثين سنة
وتقدم الخلاف في مدة ملكه والله تعالى أعلم •

خاتمة ما قيل
ان المهديين ثلاثة

(خاتمة) أخرج نعيم عن الوليد بن مسلم قال سمعت رجلا يحدث
قوما فقال : المهديون ثلاثة مهدي الى الخير عمر بن عبد العزيز ، ومهدي
الدم وهو الذي يسكن على يديه الدماء ، ومهدي الدين عيسى بن مريم عليه
السلام • وأخرج أيضا عن كعب قال : مهدي الخير بعد السفينى • وأخرج
أيضا عن ارطاة قال بلغنى أن المهدي يعيش أربعين عاما ثم يموت على فراشه
ثم يخرج رجل من قحطان مثقوب الاذنين على سيرة المهدي بقاؤه عشرون
سنة ثم يموت قتلا بالسلاح ، ثم يخرج رجل من أهل بيت النبي صلى الله
عليه وسلم مهدي حسن السيرة يغزو مدينة قيصر وهو آخر أمير من أمة
محمد صلى الله عليه وسلم يخرج في زمانه الدجال وينزل عيسى بن مريم •
ونقل العلامة الشيخ مرعي في كتابه فوائد الفكر عن أبي الحسن محمد بن
الحسين انه قال قد تواترت الاحاديث واستفاضت بكثرة روايتها عن المصطفى
صلى الله عليه وسلم بمجيء المهدي وانه من أهل بيته صلى الله عليه وسلم
وانه يملك سبع سنين وانه يملأ الارض عدلا وانه يخرج مع عيسى
فيساعده على قتل الدجال بباب لد بأرض فلسطين وانه يؤم هذه الامة وعيسى
يصلى خلفه • بغنى صلاة واحدة وهى الفجر كما مر وبالله التوفيق •

(العلامة الثانية خروج الدجال وما يتعلق به)

العلامة الثانية
الدجال

وما أدراك ما الدجال منبع الكفر والضلال وينبوع الفتن والاورجال قد
أنذرت به الانبياء قومها وحذرت منه أممها ونعتته بالنعوت الظاهرة ووصفته
بالاوصاف الباهرة وحذر منه المصطفى وأنذر ونمته لأمة نعموتا لا تخفى على
ذى بصر • وقد قيل انه صافي ابن صياد أو صائد وان مولده المدينة كما في
الحديث الوارد ، وقيل بل هو شيطان موثق في بعض الجزائر أو انه من
أولاد شق الكاهن أو هو شق نفسه وان أمه كانت جنية عشقت أباه فأولدها
اياها وكانت الشياطين تعمل له العجائب فحبسه سليمان بن داود عليهما السلام
وهذا القول ليس بصائب ، وقال كعب الاحبار : الدجال تلده أمه بقوص من

ما جاء في صفته

أرض مصر بين مولده وخروجه أربعون سنة • وفي الترمذى انه يخرج من خراسان • وفي صحيح مسلم عن أنس رضى الله عنه مرفوعا « يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفا عليهم الطيالة » • وفي مستدرک الحاكم عن ابن عمر رضى الله عنهما مرفوعا « يخرج الدجال من يهودية أصبهان ثم يخلق له عين (؟ - ١) والاخرى كأنها كوكب ممزوجة بدم يشوى في الشمس سمكا ويتناول الطير من الجو له ثلاث صيحات يسمعا أهل المشرق والمغرب » • ومن حديثه انه شاب وفي رواية شيخ وسندهما صحيح جسيم أحمر وفي رواية أبيض أمهق وفي رواية آدم ، قال الحافظ ابن حجر في شرح البخارى يمكن أن تكون أدمته صافية وقد يوصف ذلك بالحمرة لان كثيرا من الأدم قد تحمر وجنتاه ، جعد الرأس قشط أعور العين اليمنى كأنها عنبه طافية ، وفي رواية : أعور العين اليسرى ، وجاء في رواية انه أعور العين مطموسة وليست ججرا • وهذا معنى طافئة مهموزة ، قال في فتح البارى نقلا عن القاضى عياض : الذى روينا عن الاكثر وصححه الجمهور وجزم به الاخفش طافية بغير همز ومعناه انها ناتئة تتوء العنبه ، قال وضبطه بعض الشيوخ بالهمزة وأنكره بعضهم ، قال ولا وجه لانكاره ، ثم جمع القاضى بين الروايات بأن عينه اليمنى طافية بغير همزة (٢-٩) وممسوحة أي ذهب ضوءها وهو معنى حديث أبى داود مطموس العين ، ليست بناتئة ولا ججرا أي ليست بعالية ولا عميقة كما في الرواية الاخرى عنه وهى الجاحظة التى كأنها كوكب وكأنها نخاعة في حائط وهى الخضراء كما جاء ذلك في الاحاديث ، قال وعلى هذا فهو أعور العينين معا فكل واحدة من عينيه عوراء وذلك ان العور العيب والأعور من كل شىء المعبى وكلتا عينى الدجال معيبة أحدهما بذهاب نورها والاخرى بنتوها وخضرتها • قال الامام النووى وهذا في غاية الحسن • انتهى • وقد ورد أن على عينيه ظفرة غليظة وهى لحمه تنبت عند الماق وقيل لحمه تخرج في العين في الجانب الذى على الانف وهما متقاربان • قال الحافظ ابن حجر في فتح البارى : وقد ورد في كلتا عينيه أن عليهما ظفرة ، وفي بعض الروايات عن أبى سعيد الخدرى رضى الله

عنه عند الامام أحمد : جاحظة لا تخفى كأنها نخاعة في حائط محصص وعينه اليسرى كأنها كوكب درى ، وفي حديث أبي رضى الله عنه عند الامام أحمد أيضا والطبرانى : احدى عينيه كأنها زجاجة خضراء ، قال والذى يتحصل من مجموع الاخبار ان الصواب في طافية بغير همزة وصرح في حديث عبد الله بن معقل وسمرة وأبى بكره رضى الله عنهم بأن عينه اليسرى ممسوحة ، والطافية غير المسوحة ، وأما الظفرة فجائز أن تكون في كل من عينيه لانه لا ينفى الطمس ولا التتو أو تكون التى ذهب ضوءها هي المطموسة يعنى اليسرى والمعيبة مع بقاء حدتها هي البارزة . انتهى .

ومن أوصاف الدجال انه قصير أفحج كما في سنن أبى داود وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال ان « المسيح الدجال قصير أفحج جعد أعور مظموس العين - أى متباعد ما بين الساقين وقيل هو التدانى ما بين صدور القدمين مع تباعدهما وقيل هو الذى في رجله اعوجاج - جفال الشعر - بضم الجيم وتخفيف الفاء أى كثيرة - هجان - بكسر أوله وتخفيف الجيم - أبيض - أقر - أى شديد البياض - ضخم فيلمانى - بفتح الفاء وسكون التحتية أى عظيم النجته قال ابن الاثير في نهايته في صفة الدجال أقر فيلم وفي رواية فيلمانيا الفيلم العظيم الجثة والفيلم الامر العظيم والياء زائدة والفيلمانى منسوب اليه بزيادة الالف والنون للمبالغة انتهى - كأن رأسه أعصان شجرة - أى شعر رأسه كثير متفرق قائم ، وفي رواية ان رأسه من ورائه جبك أى شعر منكس من الجعود كالماء الساكن والرمل اذا هبت عليهما الريح ، قال في النهاية وهذا معنى ما مر انه جعد ققط - مكتوب بين عينيه كفر - حروفا مقطعة - يقرؤها كل مسلم كاتب وغير كاتب - ولا يقرؤها الكافر - لا يولد له ولا يدخل المدينة ولا مكة تتبعه أقوام كأن وجوههم المجان المطرقة وسبعون ألفا من يهود أصبهان عليهم التيجان وكلهم ذو سيف محلى . ومن صفاته أيضا انه تنام عيناه ولا ينام قلبه وأبوه طوال ضرب اللحم كان أنفه منقار وأمه امرأة فرساحية أى كثيرة اللحم طويلة الشفتين . وقال في النهاية وفي حديث الدجال وان أمه كانت فرساحية أى ضخمة عظيمة الثديين يقال رجل فرساح وامرأة فرساحية والتاء للمبالغة (؟) له . أى الدجال حمار

وهو المشعر الغليظ يعنى كثير الشعر - ما بين أذنيه أربعون ذراعا يضع خطوه عند منتهى طرفه • وقال أبو الطفيل عن بعض الصحابة رضى الله عنهم : يخرج الدجال على حمار رجس • رواه ابن أبي شيبة • وقال علي رضى الله عنه : يخرج الدجال ومعه سبعون ألفا من الحاكة - زعم بعضهم ان الحاكة اسم موضع - على مقدمته أشعر - أي رجل كثير الشعر - يقول بدو بدو • وهذا لفظ فارسى معناه أسرع أسرع • وفي مسند أبي بكر بن أبي شيبة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الدجال عريض المنخر فيه رفا (?) أى انحناء • وفي صحيح مسلم من حديث هشام بن عامر رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ما بين خلق آدم الى قيام الساعة خلق أكبر من الدجال » وفي رواية أمر أكبر من الدجال •

قيل انه شيطان
لا انسان

واعلم ان العلماء قد اختلفوا في الدجال فقيل انه ليس بانسان وانما هو شيطان موثق بسبعين حلقة في بعض جزائر اليمن لا يعلم من أوثقه أهو سليمان بن داود عليه السلام أو غيره فاذا أراد الله ظهوره فك عنه كل عام حلقة واذا أبرز آتته اتان عرض ما بين أذنيه أربعون ذراعا فيضع على ظهرها منبرا من نحاس فيقعد عليه وتتبعه قبائل الجن يخرجون اليه بخزائن الارض وأول خروجه يدعى الايمان والصلاح ويدعو الى الدين فيتبع ويظهر فلا يزال حتى يقدم الكوفة فيظهر الدين ويعمل به فيتبع ويحب على ذلك ، ثم يدعى الالهية فيقول انا الله فتغشى عينه وتقطع أذناه ويكتب بين عينيه كافر فلا يخفى على مسلم فيفارقه كل أحد من الخلق في قلبه مثقال ذرة من الايمان • هكذا رواه الطبرانى • وقال كعب الاحبار : يتوجه الدجال فينزل عند باب دمشق اشرقى ابتداء قبل خروجه ، ثم يلتمس فلا يقدر عليه ثم يرى عند المياه التى عند نهر الكسوة فيطلب فلا يدرى أين توجه ، ثم يظهر بالمشرق فيعطى الخلافة ثم يظهر السحر ثم يدعى النبوة فينصرف الناس عنه يعنى المسلمين فيأتى النهر فيأمره ان يسيل فيسيل ثم يأمره أن يرجع فيرجع ثم يأمره أن يبس فيبس - الحديث • رواه نعيم بن حنادة • وبعث الله له شياطين فيقولون له استعن بنا على ما تريد فيقول لهم نعم اذهبوا للناس فقولوا أنا ربهم فيبتهم في الآفاق ويدعى الالهية ، ويخرج من أرض

المشرق من نواحي خراسان ومعه اليهود من أصبهان وغيرها ، وقيل انه يخرج من يهودية أصبهان كما تقدم ، وقيل من كونا بالكوفة وأكثر من يتبعه اليهود والنساء والاعراب . وفي الترمذى انه يخرج من خراسان . وفي صحيح مسلم عن أنس رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم « يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفا عليهم الطيالة » . وفي الطبرانى يخرج الدجال من قبل أصبهان المشرق معه قومه وجوهمهم كالمجان فيفتن الناس به فتنة عظيمة ففي الحديث : ما كانت ولا تكون فتنة حتى تقوم الساعة أعظم من فتنة الدجال وما من نبى الا وحذر قومه الدجال - الحديث رواه الحاكم عن جابر رضى الله عنه مرفوعا . وفي الحديث ان قبل خروجه ثلاث سنين أول سنة تمسك السماء ثلث قطرها والارض ثلث نباتها ، والسننة الثانية تمسك السماء ثلثى قطرها والارض ثلثى نباتها ، والسنة الثالثة تمسك السماء ما فيها ويهلك كل ذى ضرس وظلف ، ويسير ومعه جبلان أحدهما فيه أشجار وأثمار وماء ، وأحدهما فيه دخان ، فيقول هذه الجنة وهذه النار . رواه الحاكم عن ابن عمر مرفوعا . وعن حذيفة ان معه جنة ونارا ورجالا يقتلهم ثم يحييهم ومعه جبل ثريد ونهر ماء . وفي صحيح مسلم عن حذيفة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الدجال أعور العين اليسرى جفال الشعر معه جنة ونار فناره جنة وجنته نار » وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لأنأ أعلم بما مع الدجال منه ، معه نهران يجريان أحدهما رأي العين ماء أبيض والآخر رأي العين نار تأجج ، فأما ان أدرك ذلك أحد منكم فليأت النهر الذى يراه نارا وليغمض ثم ليطأ رأسه فيشرب فانه ماء بارد ، وان الدجال ممسوح العين عليها ظفرة غليظة مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب » وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في الدجال : ان معه ماء ونارا فناره ماء بارد وماؤه نار فلا تهلكوا . قال أبو مسعود وأنا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم . كل هذه الروايات في صحيح مسلم واتفق البخارى ومسلم من حديث حذيفة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم على هذه الرواية وهي قوله ان الدجال يخرج وان معه ماء

ونارا قاما الذي يراه الناس ماء فانار تحرق وأما الذي يراه الناس نارا فماء بارد عذب فمن أدرك ذلك منكم فليقع في الذي يراه نارا فإنه ماء عذب طيب . قال أبو مسعود وأنا قد سمعته تصديقا لحذيفة . وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ألا أخبركم عن الدجال حديثا ما حدثه نبي قومه ، انه أعور وانه يجي معه مثل الجنة وانار فاتى يقول انها الجنة هي النار واني أنذرتكم به كما أنذر به نوح قومه » وأخرج مسلم من حديث النواس بن سميان الكلابي رضي الله عنه قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال ذات غداة فحفض فيه ورفع حتى ظنناه في طائفة النخل فلما رحنا اليه عرف ذلك فينا فقال ما شأنكم ؟ قلنا يا رسول الله ذكرت الدجال غداة فحفضت فيه ورفعت حتى ظنناه في طائفة النخل ، فقال غير الدجال أخوفني عليكم ان يخرج وأنا فيكم فانا حجيجه دونكم وان يخرج ولست فيكم فكل امرئ حجيح نفسه والله خديمتي على كل مسلم ، انه شاب قطط عينه طافية كأنى أشبهه بعبد العزى بن قطن فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتيح سورة الكهف ، انه خارج خلة - أي انه يخرج قصدا وطريقا والتخلل الدخول الشيء - بين الشام والعراق فعات يمينا وعات شمالا يا عباد الله فانتبوا ، قلنا يا رسول الله فما لبثه في الارض ؟ قال : أربعون يوما يوم كسنة ويوم كشهرا ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم ، قلنا يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة تكفينا فيه صلاة يوم ؟ قال لا ، أقدروا له قدره ، قلنا يا رسول الله وما اسرعه في الارض ؟ قال كأنه استدبرته الريح فيأتي على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبيون له فيأمر السماء فتمطر والارض فتنبت فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذرى وأصبغه ضروعا وأمدته خواصر ، ثم يأتي القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله فينصرف عنهم فيصبحون محجلين ليس بأيديهم شيء من أموالهم ، ويمر بالخربة فيقول أخرجني كنوزك فتبعه كنوزها كيما يسب النحل ثم يدعو رجلا شابا ممثلا^(١) فيضربه بالسيف فيقطعه

طول بعض أيامه
وكيف الصلاة
فيها

جزلتين رمية الغرض ثم يدعو فقبل يتهلل وجهه يضحك ، فينما هو كذلك اذ بعث الله المسيح بن مريم عليه السلام فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين واضعا كفيه على أجنحة ملكين اذا طأطأ رأسه قطر واذا رفع رأسه تحدر منه جمان كاللؤلؤ فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه الا ما تونفسه ينتهى حيث ينتهى طرفه - الحديث •

وقد ذكر غير واحد من العلماء أن لذي معه من صورة الجنة والنار ونحوهما على طريق التخيل لا الحقيقة منهم ابن حبان في صحيحه واستدل بحديث المغيرة بن شعبة في الصحيحين وغيرهما انه قال كنت أكثر من سؤال لنبي صلى الله عليه وسلم عن آية الدجال فقال لى وما يضرك ؟ قلت انهم يقولون ان معه جبل خبز ؟ قال « هو أهون من ذلك » قال فمضاه انه أهون على الله من أن يكون معه ذلك حقيقة بل يرى ذلك وليس بحقيقة ، ويدل له أيضا الرواية السابقة أحدهما في رأي العين أبيض - الحديث • وقال جماعة منهم ابن العربي : بل هي على ظاهرها امتحانا من الله تعالى لعباده • وحملوا قوله هو أهون الخ أي من أن يخاف منه أو ان يضل الله به من يجبه • قال في الاشاعة كالعلامة الشيخ مرعى ، والتحقيق الاول ، ويدل له ما تقدم من قوله صلى الله عليه وسلم « فمن أدرك ذلك منكم فليقع بالذى يراه انها نار فانه عذب بارد » وبما في رواية : فالنار روضة خضراء ، وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما حديثا طويلا عن الدجال فكان فيما حدثنا قال « يأتى وهو محرم عليه ان يدخل نقاب المدينة فينتهى الى بعض السباخ التى تلى المدينة فيخرج اليه يومئذ رجل هو خير الناس أو من خير الناس فيقول له أشهد انك الدجال الذى حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثه ، فيقول الدجال أرأيتم ان قلت هذا ثم أبحيته أتشكون في الأمر ؟ فيقولون لا ، قال فيقتله ثم يحييه ، فيقول الرجل حين يحييه : والله ما كنت فيك قط أشد بصيرة منى الآن ، قال فيريد الدجال ان يقتله فلا يسلط عليه ، وأخرج مسلم عنه أيضا في هذا الحديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يخرج الدجال فيتوجه قبله رجل من المؤمنين

مع الدجال
ما يسميه جنة
ونار أفهل ذلك
تخييل ؟

ذكر المؤمن الذى
يكذب الدجال
وما يجرى له

فيلقاه المسالحة مسالحة الدجال - أى وهو جمع مسلحة قوم معهم سلاح
والمسلحة كالثغر والمرقب وهو الذى يكون فيه قوم يرقبون العدو لئلا
يهجم عليهم - فيقولون له أين تعمد؟ فيقول أعمد الى هذا الرجل الذى
خرج ، قال فيقولون له أو ما تؤمن برينا؟ فيقول : ما برينا خفاء ، فيقولون
أقتلوه فيقول بعضهم لبعض أليس قد نهاكم ربكم ان تقتلوا أحدا دونه ،
قال فينطلقون به الى الدجال فاذا رآه المؤمن قال : يا أيها الناس هذا الدجال
الذى ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ، قال فيأمر به الدجال فيشج فيقول
خذوه وشجوه فيوسع ظهره وبطنه ضربا ، قال فيقول : أما تؤمن بى؟ قال
فيقول : أنت المسيح الكذاب ، قال فيؤمر به فينشر بالمشار من مفرقه حتى
يمرق بين رجله قال ثم يمشى الدجال بين القطعتين ، ثم يقول له قم
فيستوى قائما - وفي رواية قم حيا باذنى فيعود حيا - قال فيقول له أتؤمن بى؟
فيقول ما ازددت فيك الا بصيرة ، قال ثم يقول يا أيها الناس انه لا يفعل
بعدى بأحد من الناس ، قال فيأخذ الدجال ليذبحه فيجعل ما بين رقبته الى
ترقوته نحاس ، فلا يستطيع اليه سيلا ، قال فيأخذ بيديه ورجليه فيقذف
به فيحسب الناس انه قذفه الى النار وانما ألقى في الجنة ، فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم هذا أعظم الناس شهادة عند رب العالمين . قال القرطبي
في تذكرته يقال ان هذا الخضر عليه السلام . قال العلامة الشيخ مرعى في
بهجته ثبت ان الدجال لا يسلط على أحد بالقتل الا على رجل واحد يخرج
اليه وهو شاب حسن فيقول له الدجال أتؤمن بى وبألوهيتى فيقول له انك
اللعين الكذاب أو الدجال فيقتله ويشقه نصفين ويمشى الدجال بحماره بين
الشقين ويقول له قم حيا باذنى فيعود حيا ثم يقول له بعد ذلك أتؤمن بى؟
فيقول ما ازددت فيك الا يقينا ، انك اللعين ، قال ابراهيم بن محمد بن
سفيان يقال ان هذا الرجل هو الخضر عليه السلام . وقد توهم القرطبي
فزعم ان القائل ذلك ابراهيم (٩-١) أبو اسحق السيعى وليس كذلك وقال
بعضهم ان الرجل المذكور من أصحاب الكهف وقد مر أنهم يكونون من
أصحاب المهدي .

فان قلت كيف يقال انه لا يسلط الا على واحد مع ما ورد عن حذيفة

رضى الله عنه ان مع الدجال رجالا يقتلهم ثم يحييهم فاجواب ان هؤلاء
الرجال انما هم شياطين وقتله اياهم واجياؤه لهم انما هو في رأي العين
لا على الحقيقة وأما قتل ذلك الرجل فعلى الحقيقة •

فائدة في عدد من
سلم من فتنة
الدجال

(فائدة) وزد انه لم يبق من الناس بلا غنة من الدجال الا اثنا عشر
ألف رجل وسبعة آلاف امرأة والله المستعان • وأخرج مسلم من حديث
عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم « يخرج الدجال فى أمتى فيمكت أربعين - لا أدري أربعين
يوما أو أربعين شهرا أو أربعين عاما - فيبعث الله عيسى ابن مريم عليه
السلام كأنه عروة بن مسعود فيطلبه فيهلكه » الحديث •

* * *

((و)) منها أي من علامات الساعة العظمى العلامة الثالثة ان ينزل من
السماء السيد ((المسيح)) عيسى بن مريم عليه السلام ونزوله ثابت بالكتاب
والسنة واجماع الامة أما الكتاب فقوله (وان من أهل الكتاب لا ليؤمنن به
قبل موته) أى ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى وذلك عند نزوله من السماء
آخر الزمان حتى تكون الملة واحدة ملة ابراهيم حنيفا مسلما • ونوزع في
الاستدلال بهذه الآية الكريمة وان الضمير في قوله قبل موته ليهود (?) ويؤيده
قراءة أبى رضى الله عنه قبل موتهم • وأما السنة ففى الصحيحين وغيرهما
عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
« والذي نفسى بيده ليوشكن ان ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا فيكسر
الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية » الحديث • وفي مسلم عنه « والله
لينزلن ابن مريم حكما عدلا فليكسرن الصليب » بنحوه • وأخرج مسلم
أيضا عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم « لا تزال طائفة من أمتى يقاتلون على الحق ظاهرين الى يوم
القيامة فينزل عيسى بن مريم فيقول أميرهم تعال صل بنا فيقول : لا ان
بعضكم على بعض أمراء تكرمه الله هذه الامة » وأما الاجماع فقد أجمعت
الامة على نزوله ولم يخالف فيه أحد من أهل الشريعة ، وانما أنكر ذلك
الفلاسفة والملاحدة ممن لا يعتد بخلافه ، وقد انعقد اجماع الامة على

العلامة الثالثة
نزل عيسى عليه
السلام دل عليه
الكتاب والسنة
والاجماع

أنه ينزل ويحكم بهذه الشريعة المحمدية وليس ينزل بشريعة مستقلة عند نزوله من السماء وان كانت النبوة قائمة به وهو متصف بها ، ويتسلم الامر من المهدي ويكون المهدي من أصحابه وأتباعه كسائر أصحاب المهدي حتى أصحاب الكهف الذين هم من أتباع المهدي كما مر • وتقدم ان عيسى عليه السلام يصلى وراء المهدي صلاة الفجر ولا يقدر ذلك في نبوته وكذلك يسلم اليه تابوت بنى اسرائيل وكل ما معه من آيات الامر •

(فوائد في متعلقات السيد المسيح عليه السلام)

فوائد تتعلق به
الاولى حليته
وسيرته

(الاولى) في حليته وسيرته أما حليته فعند البخارى من حديث عقيل بن خالد انه أحمر جعد عريض الصدر • وفي رواية آدم كأحسن ما أنت راء من آدم الرجال سبط ينظف - بكسر الطاء المهملة أى يقطر - زاد في رواية : له لمة - أى بكسر اللام وتشديد الميم - أحسن ما أنت راء من اللمم قد رجلها - بتشديد الجيم أى سرحها - وفي رواية - لته بين منكيه رجل الشعر يقطر رأسه ماء • وفي حديث ابن عباس رضى الله عنهما مرفوعا ورأيت عيسى بن مريم عليه السلام مربع الخلق الى الحمرة والبياض سبط الرأس - زاد فى حديث أبى هريرة بنحوه : كأنما خرج من ديماس - يعنى الحمام - ولا منافاة بين الحمرة والادمة لجواز أن تكون ادمته صافية كما مر : لا يجد ريح نفسه كافر الامات •

وأما سيرته فيكسر الصليب ويقتل الخنزير كما تقدم ويقتل القرد ويضع الجزية ولا يقبل الا الاسلام ويتحد الدين فلا يعبد الا الله ، ويترك الصدقة أى الزكاة لعدم من يقبلها ، وتظهر الكنوز في زمنه ولا يرغب في اقتناء المال ، ويرفع الشحناء والتباغض وينزع الله سم كل ذى سم حتى تلعب الاولاد بالحيات والعقارب فلا تضرهم ، وترعى الشاه مع الذئب فلا يضرها ، وتملاً الارض سلما - وينعدم القتال ، وتنبت الارض نبتها كعهد آدم حتى يجتمع النفر على القطف من العنب فيشبعهم ، وكذا الرمانة ، وترخص الخيل لعدم القتال ، ويفلو اشور لان الارض تحرث كلها • ويكون مقررا لشريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لا انه رسول لهذه الامة كما مر ، ويكون

قد علم أحكام هذه الشريعة بأمر الله تعالى وهو في السماء قبل أن ينزل •
وزعم بعض العلماء أن بنزول سيدنا عيسى بن مريم عليه السلام يرفع
التكليف • وهذا مردود للاخبار الواردة انه يكون مقررا لأحكام هذه
الشريعة ومجددا لها اذ هي آخر الشرائع ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم
آخر الرسل ، والدنيا لا تبقى بلا تكليف ، فان بقاء الدنيا انما يكون بمقتضى
التكليف الى أن لا يقال في الارض الله الله ، ذكره القرطبي في تذكرته •
وفي الحديث انه قال صلى الله عليه وسلم : وتسلب قريش ملكها ، قال
الحافظ السخاوي في كتابه القناعة وابن حجر في القول المختصر : معنى ذلك
لا يبقى لقريش اختصاص بشيء دون مراجعته فلا يعارض ذلك خبر «لا يزال
هذا الامر في قريش ما بقي من الناس اثنان » • قال البرزنجي في الاشاعة :
ويدل لهذا حديث جابر عند مسلم « فيقول أميرهم تعال صل لنا فيقول لا
ان بعضكم على بعض أمراء تكربة الله هذه الامة » وعلى هذا فلا منافاة أن
يكون المهدي أميرا حتى في زمن عيسى عليه السلام ويكون مراجعته في
الامور لعيسى عليه السلام للتبرك والتمين به •

فان قلت كيف يصح خبر لا يزال هذا الامر في قريش مع مشاهدتنا
انفصال قريش عن الملك منذ أزمان ، فالجواب استحقاقها لهذا الامر وان
ظلمها ظالم • وأما عيسى فيظهر كمال العدل فلا يأخذ حقهم وربما أن
يكون بقاء الامر في قريش ولو مراجعة ، ولا شك أن قريشا يراجعون ،
على أن ملوك زماننا يزعمون انهم انما يملكون بالنيابة عن قريش ويعملون
صورة نيابة عن نقيب السادة الاشراف على ان لبني هاشم استقلال بالامر في
محلات كالحجاز واليمن والمغرب وغيرها •

خبر لا يزال هذا
الامر في قريش
وما يشمك عليه

ثم انه لا يخفى انه لا يحسن أن يقول ان الامر في أيام عيسى يكون
للمهدي مع كون عيسى رسولا من أولى العزم معصوما والمهدي رجل
مجتهد ، نعم يكون المهدي من خواص السيد عيسى بل وزيره والمقرب لديه
يراجعه في الامور وتصدر عنه الشورى وبالله التوفيق •

الفائدة الثانية
وقت نزوله ومحلّه
وما يجرى على
يديه

(الفائدة الثانية)

في وقت نزوله من السماء ومحلّه وما يجرى على يديه من الملاحم

أما محل نزوله فعند المنارة البيضاء شرقي دمشق واضعا كفيه على
أجنحة ملكين ، ففي صحيح مسلم من حديث النّوّاس بن سمعان رضي الله
عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال « فينما هو أي الدجال كذلك اذ بعث
الله المسيح بن مريم عليه السلام فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق
بين مهرودتين واضعا كفيه على أجنحة ملكين اذا طأطأ رأسه قطر واذا رفع
رأسه تحدر منه جمان كاللؤلؤ فلا يحل للكافر يجد ريحه الامات ، ونفسه
ينتهي حيث ينتهي طرفه » قوله مهرودتين قال في جامع الاصول رويت هذه
اللفظة بالمهملة والمعجمة يقال للثوب اذا صبغ بالورس ثم بالزعفران جاء
لونه مثل زهرة الحوذانة فذلك الثوب مهرود ، وقيل أراد بالمهرود
الثوب المصبوغ بالهرد وهو صبغ أصفر قيل انه الكركم ، وقيل أراد في
شقتين من الهرد وهو القطع • انتهى •

وقال في النهاية : في حديث عيسى عليه السلام انه ينزل بين مهرودتين أي
في شقتين أو حلتين ، وقيل الثوب المهرود الثوب الذي يصبغ بالورس ثم
بالزعفران فيجىء لونه مثل لون زهرة الحوذانة ، قال القتيبي هو خطأ
من النقلة وأراه مهرودتين أي صفراوين يقال هربت العمامة اذا لبستها
صفراء وكان فعلت منه هروت فان كان محفوظا بالدال فهو من الهرد
الشق • وخطيء ابن قتيبة في استدراكه واشتقاقه • قال ابن الانباري القول
عندنا في الحديث بين مهرودتين يروى بالدال والذال أي بين مصرتين
على ما جاء في الحديث ولم نسمعه الا فيه ، وكذلك أشياء لم نسمع الا في
الحديث ، والممصرة من الثياب التي فيها صفرة خفيفة ، وقيل المهرود الثوب
الذي يصبغ بالعروق والعروق يقال لها الهرد ، وفي حديث ذاب جبريل
عليه السلام حتى صار مثل الهردة جاء تفسيره في الحديث انها العدسة •
انتهى • والجمان حب الفضة •

ويكون نزول سيدنا عيسى بن مريم عليه السلام لست ساعات مضت من

النهار حتى يأتى مسجد دمشق يقعد على المنبر فيدخل المسلمون المسجد وكذا
النصارى واليهود كلهم يرجونه حتى لو ألقى شيء لم يصب الا رأس انسان
من كترتهم ويأتى مؤذن المسلمين وصاحب بوق اليهود وناقوس النصارى
فيقرعون فلا يخرج الا سهم المسلمين وحينئذ يؤذن مؤذنه ويخرج اليهود
والنصارى من المسجد ويصلى بالمسلمين صلاة العصر ثم يخرج بمن معه من
أهل دمشق في طلب الدجال كما سيأتى بيان ذلك •

(الفائدة الثالثة في مقدار مدته ووفاته)

الفائدة الثالثة
مقدار مدته
ووفاته

أما مدته ووفاته فقد ورد في حديث أبى هريرة رضى الله عنه عند
الطبرانى وابن عساكر انه صلى الله عليه وسلم قال « ينزل عيسى بن مريم
في مكة في الناس أربعين سنة » وعند الامام أحمد وابن أبى شيبة ، وأبى
داود وابن جرير وابن حبان عنه انه يمكث أربعين سنة ثم يتوفى ويصلى
عليه المسلمون ويدفونه عند نبينا محمد صلى الله عليه وسلم • وأخرج
الامام أحمد وابن أبى شيبة وابن عساكر وأبو يعلى عن عائشة رضى الله
عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ينزل عيسى بن مريم فيقتل
الدجال ثم يمكث عيسى في الارض أربعين سنة اماما عادلا حكما مقسطا »
وأخرج الامام أحمد أيضا في الزهد عن أبى هريرة رضى الله عنه قال
« يلبث عيسى بن مريم أربعين سنة لو يقول للبطحاء سبلى عسلا لسالت »
وفي المنتظم الامام الحافظ ابن الجوزى عن ابن عمر رضى الله عنهما ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ينزل عيسى بن مريم فيتزوج ويولد
له » ذكر بعضهم ولدين أحدهما يسميه موسى والآخر محمد وان أمهما
من اليزد ، قال ويمكث خمسا وأربعين سنة ثم يموت ويدفن معى في قبرى
فأقوم أنا وعيسى من قبر واحد بين أبى بكر وعمر » وعلى هذا روايات
أربعين وردت بالغاء الكسر • وورد في رواية انه انما يمكث سبع سنين •
وجمع بعضهم ان سيدنا عيسى حين رفع كان عمره ثلاثا وثلاثين سنة
وينزل سبعا فهذه أربعون سنة • وهذا والله أعلم ليس بشيء لما مر من
حديث عائشة عند الامام أحمد وغيره « فيقتل الدجال ثم يمكث عيسى في

الارض أربعين سنة » وقد قال الحافظ جلال الدين السيوطي كنت أفقت بأن ابن مريم يمكث في الارض بعد نزوله سبع سنين ، قال واستمررت على ذلك مدة من الزمان حتى رأيت الامام الحافظ البيهقي اعتمد أن مكثه في الارض أربعين سنة معتمدا ما أفاده الامام أحمد في روايته بلفظ نم يمكث ابن مريم في الارض بعد قتل الدجال أربعين سنة . وهذا هو المرجح لان زيادة الثقة يحتاج بها ، ولانهم يأخذون برواية الاكثر ويقدمونها على رواية الاقل لما معها من زيادة العلم ولانه مثبت والمثبت مقدم . انتهى .
والى قتل سيدنا عيسى بن مريم للدجال أشار بقوله :

((وانه يقتل للدجال باب لدخل عن جدال))
قتله للدجال

((وانه)) أي المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ((يقتل)) بأمر الله له ومعونته وتأيدته ((للدجال)) أي الكذاب وهو اسم لهذا الشخص المشار اليه في الشرائع وقيل انما سمي دجالا لانه يقطع الارض ويسير في أكثر نواحيها يقال دجل الرجل اذا فعل ذلك . وقيل سمي به لتمويهه على الناس وتلميسه يقال دجل اذا لبس وموه . وقيل مأخوذ من الدجل وهو ظلي الجرب بالقطران وتغطيته فكأن الرجل يغطي الحق ويستتره .

(تنبيهه)

تنبيهه في لفظ
المسيح وانه
يقال لعيسى عليه
السلام ويقال
للدجال

انما سمي الدجال مسيحا لان احدى عينيه مسوحة لا يبصر بها والاعور يسمى مسيحا كما في جامع الاصول ، وأما تسمية سيدنا عيسى بن مريم مسيحا فقيل لمسح زكريا عليه السلام اياه ، وقيل لانه كان يمسخ ذا العاهة فيبرأ ، وقيل لانه كان يمسخ الارض أى يقطعها في سياحته ، وقيل المسيح الصديق . فسيدنا عيسى مسيح الهدى وأما الدجال فمسيح الضلالة ، وضبطه فيهما بفتح الميم وكسر السين مخففة وبالحاء المهملة ، وسمع مسيح بالتشديد على وزن فعيل قاله الازهرى ، فرقا بينه وبين عيسى فيشدد في الدجال ويخفف في سيدنا عيسى . قال الغنيمي الشافعي في رسالته «الاجوبة المفيدة على الاسئلة العديدة» ما لفظه : قال ابن دحية عن شيخه أبي القاسم عن أبي عمر ان موسى بن عبد الرحمن قال سمعت الحافظ أبا عمر بن

عبد البر يقول ومنهم من قال ذلك بالخاء المعجمة وذلك عند أهل العلم خطأ ولذا ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه نطق به بالخاء المهملة ونقله الصحابة المبلغون عنه وقال الراجز * اذا المسيح قتل المسيحا * يعنى عيسى عليه السلام يقتل الدجال . انتهى . وقال في المطلع : المسيح اثنان نبي الله عيسى بن مريم عليه السلام والدجال ، ولم يختلف في ضبط المسيح عيسى على ما هو في القرآن وانما اختلف في معناه ، فقيل سمي مسيحا لمسحه الارض فعيل بمعنى فاعل - وذكر نحو ما تقدم ، وزاد : قيل انما سمي مسيحا لانه كان ممسوح القدمين لا أخصص له ، وقيل لان الله تعالى مسحه أي خلقه خلقا حسنا ، وهذا تقدم - والمسحة الجمال والحسن ، وقيل لانه خرج ممسوحا بالدهن . قال : وأما الدجال فهو مثل عيسى في اللفظ عند عامة أهل المعرفة والرواية ، وعن أبي مروان بن سراج وغيره كسر الميم وتشديد السين ، وأنكره الهروي وجعله تصحيفا ، وقال بعضهم كسرت الميم للتفرقة بينه وبين عيسى عليه السلام ، وقال الحربى : بعضهم يكسرها في الدجال ويفتحها في عيسى وكل سواء . قال أبو الهيثم والمسيح بالخاء المهملة ضد المسيح بالخاء المعجمة مسحه الله اذ خلقه خلقا حسنا ومسح الدجال اذ خلقه ملعونا . وقال أبو عبيد : المسيح المسحوح العين وبه سمي الدجال ، وقيل المسيح الاعور وبه سمي الدجال ، وقيل أصله مشيح فيهما معرب وعلى هذا اللفظ ينطق به العبرانيون . انتهى . وذكر نحوه في النهاية ثم قال في الدجال وقيل انه الذى مسح خلقه أى شوه وليس بشيء . انتهى .

تقدم ان سيدنا عيسى عليه السلام يصلى بالمسلمين صلاة العصر بمسجد دمشق ثم يخرج بمن معه من أهلها في طلب الدجال ويمشى وعليه السكينة والارض تقبض له وما أدرك نفسه من كافر الا وقتله ويدرك حيث ما أدرك بصره حتى يدرك بصره حصونهم وقرياتهم الى أن يأتى بيت المقدس فيجده مغلقا قد حصره الدجال فيصادف ذلك صلاة الصبح . وفي رواية عند الامام أحمد من حديث جابر مرفوعا : فيفر المسلمون - يعنى من الدجال - الى جبل الدخان بالشام فيأتيهم فيشتد حصارهم ويجهدهم جهدا شديدا . ثم ان الناس يشكون في أمر الدجال حين لم يقدر على قتل ذلك الرجل ثانيا

صلاة عيسى
بالمسلمين العصر
بمسجد دمشق

كما تقدم ويبادر الى بيت المقدس فاذا صعد عقبة فيق رفع ظلة على المسلمين فيوترون قسيهم لقتاله فأقواهم من برك حتى اذا طال الحصار قال رجل : الى متى هذا الحصار ؟ أخرجوا الى هذا العدو حتى يحكم الله بيننا اما بالشهادة واما الفتح فهل أتم الابين احدى الحسينين ؟ فيتبايعون على القتال بيعة يعلم الله انها الصدق عن أنفسهم وذلك بعد ثلاث سنين شداد يصيب الناس فيها الجوع الشديد وان قوت المؤمن التهليل والتسييح والتحميد ثم تأخذهم ظلمة لا يبصر أحدهم كفه فينزل ابن مريم عليه السلام فيحسر عن أبصارهم وبين أظهرهم رجل عليه لامة فيقولون من أنت ؟ فيقول أنا عبد الله وكلمته عيسى اختاروا احدى ثلاث ان بيعت الله على الدجال وجنوده عذابا جسيما أو يخسف بهم الارض أو يرسل عليهم سلاحكم ويكف سلاحهم • فيقولون هذا يا رسول الله أشقى لصدورنا فيومئذ ترى اليهودى العظيمة الطويل الاكول الشراب لا تقل يده سيفه من الرعب فينزلون اليهم فيسلطون عليهم • هكذا في هذه الرواية وفي رواية أخرى : فينما أمامهم - أي المهدي - قد تقدم يصلى بهم الصبح اذ نزل عليهم نبي الله عيسى بن مريم عليه السلام للصبح فيرجع المهدي قهقرى ليتقدم عيسى عليه السلام ليصلى بالناس ويقال له يا روح الله تقدم - أي يقول ذلك بعض من لم يحرم بالصلاة اذن - فيقول عليه السلام ليتقدم أمامكم فيصلى لكم ويضع عيسى عليه السلام يده بين كفتي المهدي فيقول له تقدم فانها لك أقيمت فيصلى بهم أمامهم فاذا انصرف قال عيسى افتح فيفتح ووراء أي وراء الباب الدجال معه سبعون ألف يهودى كلهم ذو سيف محلى وساج فاذا نظر اليه الدجال ذاب كما يذوب الملح في الماء وانطلق هاربا فيقول عليه السلام ان لى فيك ضربة لن تسبقنى بها فيدركه عند باب لد • ولذا قال ((باب)) متعلق بقتل الدجال أى يقتله باب ((لد)) بضم اللام فدال مهملة بوزن مد بلد مشهورة بينها وبين رملة فلسطين مقدار فرسخ الى جهة الشمال متصل شجرها بشجرها - فيقتله هناك • وفي رواية ثم ينزل عيسى عليه السلام فينادى (مناد) من السحر فيقول يا أيها الناس ما يمنعكم أن تخرجوا الى الكذاب الخبيث ، ويسمعون النداء : جاءكم الفوئ • فيقولون هذا كلام

رجل شعبان ، وتشرق الارض بنور ربها وينزل عيسى بن مريم فيقول يا معشر المسلمين أحمدا ربكم وسبحوه - أي فان التحميد والتسبيح قوتهم كما مر - فيفعلون ويريد أصحاب الدجال الفرار فيضيق الله عليهم الارض فاذا أتوا باب لد في نصف ساعة يوافقون عيسى فاذا نظر الدجال عيسى يقول أقيموا الصلاة خوفا منه - أي من عيسى - ويقول يا نبي الله قد أقيمت الصلاة ، فيقول عيسى يا عدو الله زعمت انك رب العالمين فلمن تصلى ؟ فيضربه بمقرعته ، وفي رواية بحرته التي نزل بها من السماء ، وفي رواية يذبحه بالسكين • ولا منافاة في ذلك اذ كل ذلك سلاح لسيدنا عيسى عليه السلام - فيقتله • رواه الامام أحمد عن جابر رضى الله عنه مرفوعا ولفظه : ثم ينزل عيسى بن مريم فينادى من السحر يا أيها الناس ما يمنعكم ان تخرجوا الى هذا الكذاب الخيث ، فيقولون هذا رجل حي فينطلقون فاذا هم بعيسى عليه السلام فتقام الصلاة فيقال له تقدم يا روح الله فيقول ليتقدم امامكم فليصل بكم ، فاذا صلوا صلاة الصبح خرجوا اليه فحين يراه الكذاب ينمات كما ينمات الملح في الماء فيمشى اليه فيقتله حتى ان الشجر والحجر ينادى يا روح الله هذا يهودى فلا يتركن أحد ممن كان تبعه أحدا الا قتله •

الجمع بين الروايات

وحاصل وجه الجمع بين الروايات أن سيدنا عيسى عليه السلام ينزل أولا بدمشق الشام على المنارة البيضاء لست ساعات من النهار ثم يأتي الى بيت المقدس غوثا للمسلمين ويلحقهم في صلاة الصبح وقد أحرم المهدي والناس كلهم أو بعضهم لم يحرم بعد فيخرج اليه من لم يحرم بالصلاة فيأتي والمهدي في الصلاة فيقهقر ويقال لعيسى تقدم أي يقول له ذلك من لم يحرم من المسلمين لما رأى المهدي تقهقر فيضع عيسى يده على كتف المهدي ان تقدم ويقول للقائل امامكم فيجيب المهدي بالفعل والقائل بالقول ليكون جواب كل على طبق قوله ثم اذا أصبحوا شرد أصحاب الدجال فضيق عليهم الارض فيدركهم باب لد فيصادف ذلك صلاة الظهر فيتحيل الدجال الى الخلاص من سيدنا عيسى بالصلاة فلما عرف هدم التخلص ذاب خوفا منه كما يذوب الملح بالماء فأدركه فقتله ، أو أن الدجال ينشئ صلاة

في غير وقتها وهو أدل على ضلاله وجهالته بالله كما في الاشاعة . ثم قال
وهنا وجه آخر وهو أقرب الى التحقيق وهو ان الصلاة في الايام القصار
التي هي آخر أيام الدجال تقدر فيحتمل أن يصادف التقدير ذلك الوقت
وعلى هذا فلا اشكال بين كونه ينزل بدمشق لست ساعات مضين من النهار
وبين كونه يصلى بالناس صلاة العصر .

ولي على هذا الجمع استشكال ذكرته في البحور الزاخرة وحاصله ان
الروايات ثابتة ان نزول عيسى عليه السلام مع الفجر على منارة دمشق
الشرقية ويكون المهدي قد جمع الناس لقتال الدجال فتعمهم ضبابة من غمام
ثم تنكشف عنهم مع الصبح فيرون عيسى عليه السلام قد نزل ويكون نزوله
على المنارة البيضاء والناس يريدون صلاة الصبح ثم بعد الصلاة يتبعون
الدجال وقد فر ، فهذا كالصريح ان عيسى ينزل على منارة دمشق الصبح
فكيف يقال لست ساعات مضت من النهار ؟ وفيه أيضا أن الناس لم يكونوا
أحرموا بالفجر بعد بل يريدون ذلك ، وأيضا المعروف عند أهل العلم أن
عيسى عليه السلام انما يصلى وراء المهدي صلاة الصبح لا العصر فأول صلاة
عيسى بالناس الظهر . وربما يجاب عن هذا بأن يكون قد جمع بين صلاتي
الظهر والعصر تأخيرا لاشتغاله في طلب الدجال فالاولى التسليم لما ورد على
ما ورد والاذعان للاخبار الثابتة فلا تقابل بالمعارضـة والرد^(١) ولهذا قال
((خل)) أي اترك وتتح وتفرغ ((عن جدال)) في ذلك فانه أمر سمعي
أخبر به المعصوم والعقل لا يحيله فوجب اعتقاده والتسليم والانقياد والاذعان
لما أخبر به خير العباد ورسول رب العالمين صلى الله عليه وسلم .

والجدل لغة اللدد في الخصومة والقدرة عليها يقال جادل يجادل فهو
جدل ككتف ومجدل كمنبر ومجدال كمحراب ، وجدلت الجبل أجدله
جدلا مثل قتلته أقتله قتلا أي قتلته قتلا محكما ، والجدالة الارض يقال
طعنه فجدله أي رماه على الارض ومنه حديث « كنت نبينا وآدم منجدل في
طينته » والجدال في اصطلاح النظار والفقهاء قتل الخصم عن قصده لطلب
صحة قوله وابطال قول غيره ، وهو وان كان مأمورا به على وجه الاضاف
واظهار الحق لانه لا يستغنى عنه لان به تتبين صحة الدليل من فساده

معنى الجدل

بحريرا وتقريراً وتتضح الاسئلة الواردة من المرودة اجمالاً وتفصيلاً الا ان الغالب فيه انما يكون على وجه الغلبة والخصومة والغضب والمراء ، وهو يعنى المراء استخراج غضب المجادل عن طريق الحق ، واليه ينصرف النهى عن قيل وقال • قال البربهارى من علمائنا واسمه الحسن بن علي في كتابه شرح السنة : ليس في السنة قياس ولا يضرب لها الامثال ولا يتبع فيها الاهواء بل هي التصديق بآثار الرسول صلى الله عليه وسلم بلا كيف فلا يقال لم ؟ ولا كيف ؟ قال والكلام والخصومة والجidal والمراء محدث يقدر انشك في القلب وان اصاب صاحبه السنة والحق • انتهى مختصراً • وروى الامام أحمد والترمذى وصححه عن أبى امامة مرفوعاً « ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه الا أوتوا الجدل - ثم تلا - ما ضربوه لك الا جدل » وللإمام أحمد عن مكحول عن أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعاً « لا يؤمن العبد الايمان كله حتى يترك المراء وان كان محققاً » وللترمذى عن ابن عباس رضى الله عنهما مرفوعاً « لا تمار أخاك » ولأبى داود باسناد حسن عن أبى امامة رضى الله عنه مرفوعاً « أنا زعيم بيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وان كان محققاً » وعند ابن ماجه والترمذى وحسنه عن أنس مرفوعاً « من ترك المراء وهو محقق بنى له بيت في وسط الجنة » وروى أبو داود والترمذى واللفظ له وابن ماجه والبيهقى وقال الترمذى حديث حسن عن أبى امامة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من ترك الجidal وهو مبطل بنى له بيت في ربض الجنة ، ومن تركه وهو محقق بنى له في وسطها ، ومن حسن خلقه بنى له في أعلاها » والله الموفق •

(تنبيهات)

(الاول) اذا قتل سيدنا عيسى بن مريم عليه السلام الدجال انهزم جنوده الذين هم اليهود ومن معهم فلا يبقى شيء مما خلق الله يتوارى به يهودى الا أنطق الله ذلك الشيء لا شجر ولا حجر ولا حائط ولا دابة الا قال يا عبد الله هذا يهودى وفي لفظ هذا دجالى فتعال اقله الا الغرقد فانها من شجر اليهود لا ينطق ، ففي صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون

**تنبيهات الاول
في قتل المسلمين
لاتباع الدجال
من اليهود**

اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي من وراء الشجر والشجر فيقول الحنجر والشجر يا مسلم هذا يهودي خلفي فاقتله الا الفرق قد فانه شجر اليهود » وفي صحيح البخارى نحوه .

(الثانى في قدر لبثه في الارض وكيفية النجاة منه)

الثانى في قدر
لبث الدجال
وكيف النجاة
منه

أما قدر لبثه في الارض فتقدم في خير النواس بن سمان عند مسلم والترمذى انه يمكث أربعين يوما يوم كسنة ويوم كشهرا ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم ، وفي رواية عند الامام أحمد ومسلم من حديث ابن عمر رضى الله عنهما مرفوعا « يخرج الدجال فى أمتى فيمكث أربعين فيعت الله عيسى بن مريم عليه السلام كأنه عروة بن مسعود الثقفى فيطلبه فيهلكه » وفي حديث أبى امامة رضى الله عنه عند ابن ماجه وابن خزيمة والحاكم والضياء « ان أيامه أربعون سنة السنة كصيف السنة والسنة كالشهر والسنة كالجمعة وآخر أيامه كالشجرة ، يصبح أحدكم على باب المدينة فلا يبلغ بابها الآخر حتى يمسى » وقد اختلف العلماء في تأويل هذا الحديث فمنهم من قال هو كناية عن اشتغال الناس بأنفسهم من القتن حتى لا يدروا كيف يمضى النهار فيكون مضى النهار عندهم كمضى الساعة والشهر كاليوم والسنة كالشهر ، ومنهم من قال بل هو على ظاهره فقد ورد من حديث أسس رضى الله عنه عند الامام أحمد والترمذى في اشراط الساعة حتى يتقارب الزمان فتكون السنة كالشهر ويكون الشهر كالجمعة وتكون الجمعة كاليوم ويكون اليوم كالساعة وتكون الساعة كالضربة بالنار^(١) . وذكر بعض العلماء ان الصلاة تقدر في هذه الايام أيضا على قياس ما مر . واختلف الجواب عن اختلاف الحديثين فمنهم من مال الى الترجيح فعلى هذا حديث النواس بن سمان رواه الامام أحمد في المسند ومسلم في صحيحه والترمذى في سننه فهو أقوى لانه أصح وان كان الثانى أيضا صحيحا فيقدم عليه ، ومنهم من مال الى الجمع وطريقه ان أيامه أربعون سنة وتسمى السنين أياما مجازا كما يقال أيام ابن الزبير وأيام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وأيام بنى أمية، ثم ان أول أيام السنة الاولى كسنة وثانيها كشهرا وثالثها كجمعة وباقي أيامه

كأيماننا ثم تتخلص أيام السنة الثانية حتى تكون السنة كنصف سنة وهكذا الى أن تكون السنة كشهري والشهر كجمعة والجمعة كيوم حتى يكون آخر أيامه بحيث يصبح أحدهم على باب المدينة فلا يبلغ بابها الآخر حتى يمسي . فتكون السنة الاولى مشتملة على مقدار سنين من سنينا وسنوه الاخرة مقدار سنة من سنينا ، ويقرب هذا الجمع رواية الحاكم ونعيم عن ابن مسعود رضى الله عنه مرفوعا انه يقول يعنى الدجال انا رب العالمين وهذه الشمس تجرى بأذننى أفتريدون ان أحبسها فيحبس الشمس حتى يجعل اليوم كالشمس وكالجمعة ، ويقول أنريدون ان أسيرها فيجعل اليوم كالساعة الحديث (١) .

وأما كيفية النجاة منه فمعلوم أنه مخلوق يأكل الطعام ويشرب الشراب ثم انه لخشته وعجزه أعور وهو جسم مرثى وهذه كلها لا تجوز على البارى ، وقد صح عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال « من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال » وفي رواية من آخر الكهف رواه مسلم في صحيحه عن أبى الدرداء رضى الله عنه مرفوعا . وورد عن أبى امامة مرفوعا من لقيه منكم فليتنقل في وجهه رواه الطبرانى . وروى الترمذى من حديث أبى الدرداء رضى الله عنه مرفوعا « من حفظ ثلاث آيات من أول سورة الكهف عصم من فتنة الدجال » قال الترمذى حديث حسن صحيح . ومما ينبغى المسؤ من أن يكثر من ذكر الله تعالى من التهليل والتسبيح والتكبير فإنه فونه .

(الثالث)

مما ينبغى لكل عالم ان يثبت أحاديث الدجال بين الاولاد والنساء والرجال ، وقد قال ابن ماجه سمعت الطائفى يقول سمعت المحاربى يقول ينبغى أن يرفع هذا الحديث يعنى حديث الدجال الى المؤدب حتى يعلمه الصبيان في الكتاب . وقد ورد ان من علامات خروجه نسيان ذكره على المنابر ، وقد أخرج الامام أحمد وابن خزيمة وأبو يعلى والحاكم عن جابر رضى الله عنه مرفوعا : يخرج الدجال في خفة من الدين وادبار من العلم . فينبغى لكل عالم ولا سيما في زماننا هذا الذى اشرأبت فيه الفتن وكثرت فيه المحن

الثالث ينبغى
بث الأحاديث
المنيرة بالدجال

واندرست فيه معالم السنن وصارت السنة فيه كالبدع والبدعة شرع يتبع
ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم •

الرابع في
ابن صياد وهل هو
هو الدجال ؟

(الرابع)

اختلف الناس الصحابة فمن بعدهم قديما وحديثا في الدجال هل هو
صافي بن صياد أو غيره ؟ قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في شرح
البخارى : مما يدل على ان ابن صياد هو الدجال ما أخرج مسلم في صحيحه
عن محمد بن المنكدر قال رأيت جابر بن عبد الله يحلف بالله ان ابن
صياد الدجال ، فقلت له أتحلف على ذلك ؟ قال انى سمعت عمر يحلف على
ذلك عند النبي صلى الله عليه وسلم فلم ينكره النبي صلى الله عليه وسلم •
وأخرجه أبو داود في سننه • وفي تذكرة القرطبي عن نافع قال كان ابن عمر
رضى الله عنهما يقول والله ما أشك ان المسيح الدجال ابن صياد • أخرجه
أبو داود واسناده صحيح • وفي ذلك عدة أحاديث وآثار صحيحة الا أنها
ليست صريحة ولا نصا في ان ابن صياد هو الدجال ، وقد أخرج الامام أحمد
بسند صحيح عن أنس بن مالك رضى الله عنه مرفوعا : يخرج الدجال من
يهودية أصبهان - قال أبو نعيم كانت اليهودية من جملة قرى أصبهان وانما
سميت اليهودية لانها كانت تختص بسكنى اليهود ولم تنزل كذلك الى زمن
أيوب بن زياد أمير مصر في زمن المهدي بن المنصور العباسي فسكنها
المسلمون وبقيت لليهود منها قطعة • وحاصل كلام الحافظ ابن حجر ان
الاصح ان الدجال غير ابن صياد ووافقه في الاشاعة ، وان وافقه ابن صياد في
كونه أعور ومن اليهود وانه ساكن في يهودية أصبهان ففى خبر ابن عمر
رضى الله عنهما قال : لقيت ابن صياد مرتين فذكر المرة الاولى ثم قال لقيته
لقيه أخرى وقد نفرت عينه قال فقلت متى فعلت عينك ما أرى؟ قال لا أدري؟
قال قلت لا تدري وهى في رأسك؟ قال ان شاء الله خلقها في عصاك هذه •
فال فنخر كأشد نخر حمار سمعت ، فزعم بعض أصحابى أنى ضربته
بعضا كانت معى حتى تكسرت وأما أنا فوالله ما شعرت • قال وجاء ابن عمر
ودخل على أم المؤمنين حنصة رضى الله عنها فحدثها فقالت ما تريد اليه ؟
اما أنه قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان أول ما يبعثه على الناس

عضب يفضبه » وقد كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذرنى يا رسول الله اضرب عنقه فقال صلى الله عليه وسلم ان يكن هو فلن تسلط عليه وان لم يكن هو فلا خير لك في قتله • ذكره في التذكرة وغيره • وأخرج أبو نعيم في تاريخ أصبهان عن حسان بن عبد الرحمن عن أبيه قال لما فتحت أصبهان كان بين عسكرنا وبين عسكر اليهودية فرسخ فكنا نأتيها ونمتار منها فأتيها يوما فاذا اليهود يضطربون فسألت صديقا لى منهم فقال ملكنا الذى نستفتح به على العرب يدخل فبت عنده على سطح فصليت فلما طلعت الشمس اذا الوهج من قبل العسكر فنظرت فاذا هو ابن صياد فدخل المدينة يعنى اليهودية فلم يعد حتى الساعة • قال الحافظ ابن حجر : وحسان بن عبد الرحمن ما عرفته وباقي سنده ثقات • وقد أخرج أبو داود عن جابر رضى الله عنه قال فقدنا ابن صياد يوم الحرة • وأخرج الترمذى من حديث أبى بكره رضى الله عنه مرفوعا « يمكث أبو الدجال وأمه ثلاثين عاما لا يولد لهما ولد ثم يولد لهما غلام أعور أضر شىء وأقله منفعة تنام عيناه ولا ينام قلبه » قال أبو بكره ثم نعت له رسول الله صلى الله عليه وسلم أبويه فقال « أبوه طوال ضرب اللحم كأن أنفه منقار وأمه فراضاخية طويلة اليدى » قال أبو بكره فسمعنا بمولود في اليهود بالمدينة فذهبت أنا والزبير بن العوام حتى دخلنا على أبويه فاذا نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهما فقلنا هل لكما ولد ؟ فقالا : مكثنا ثلاثين عاما لا يولد لنا ولد ثم ولد لنا غلام أعور^(١) أضر شىء وأقله منفعة تنام عيناه ولا ينام قلبه • قال فخرجنا من عندهما فاذا هو منجدل في الشمس في قطيفة وله همهمة^(٢) فكشف عن رأسه فقال ما قلتما ؟ قلنا : وهل سمعت ما قلنا ؟ قال : نعم تنام عيناى ولا ينام قلبى • قال الترمذى هذا حديث حسن غريب ولا نعرفه الا من حديث حماد بن سلمة • وأخرجه أبو داود الطيالسى • والحاصل أن كون الدجال هو ابن صياد بعيد بل ضعيف وحديث أبى داود الذى رواه عن جابر أن ابن صياد فقد يوم الحرة صحيح السند ورواه غيره بسند حسن فهو يضعف خبر انه مات بالمدينة وانهم صلوا عليه لانه

(١) كلمة « أعور » ثبتت فى الاصلين وليست فى جامع الترمذى وفى الروايات ما يدفعها • (٢) فى الاصلين « جمجمة » •

أسلم وانهم كشفوا عن وجهه ولا يلتئم أيضا مع خبر حسان بن عبد الرحمن المار لان فتح أصبهان كان في خلافة عمر كما أخرجه أبو نعيم في تاريخها وبين شهادة سيدنا عمر رضى الله عنه ووقعة الحرة نحو أربعين سنة . وحاصل كلام الحافظ ابن حجر في فتح البارى وكلام غيره ان الاصح ان الدجال غير ابن صياد كما تقدم ويؤيده ما أخرجه نعيم بن حماد من طريق جبير ابن نفيير وشريح بن عبيد وعمرو بن الاسود وكثير بن مرة قالوا جميعا الدجال ليس باسان وانما هو شيطان موثق بسبعين حلقة في بعض جزائر اليمن كما تقدم . قال الحافظ بن حجر وهذا لا يمكن مع كون الدجال هو ابن صياد . وأما ما أخرجه أبو داود في خبر الجساسة من حديث أبي سلمة بن عبد الرحمن قال شهد جابر أن الدجال هو ابن صياد قلت فانه قد مات . قال : وان مات ، قلت فانه قد أسلم ، قال وان أسلم . قلت فانه قد دخل المدينة ، قال وان دخل المدينة . فان صح ذلك فهي شهادة على حسب ظنه وما وقر في صدره من اعتقاده انه ابن صياد . وأما ما ذكره سيف ابن عمر في كتاب الفتوح والردة من انه لما نزل المسلمون على سوس وأحاطوا بها وناشبوها القتال أشرف عليهم يوما الرهبان والقيسيون فقالوا يا معشر العرب ان مما عهد الينا علماؤنا وأولياؤنا انه لا يفتح السوس الا الدجال أو قوم فيهم الدجال فان كان الدجال فيكم ففتحنوها والا فلا تعنوا بالحصار قال وصافي بن صياد يومئذ مع النعمان بن بشير رضى الله عنه في جنده فأتى صافي بن صياد باب السوس غضبان فدقه برجله وقال انفتح فتقطعت السلاسل وتكسرت الانفاق وفتحت الابواب ودخل المسلمون . فالصحح خلافه . قال الحافظ ابن حجر وغاية ما يجمع به بين ما تضمنه حديث تميم وخبر الجساسة وبين أحاديث كون الدجال هو ابن صياد أن الدجال هو الذى رآه تميم موثقا بعينه وان ابن صياد شيطان ظهر في صورة الدجال تلك المدة التى قدر الله خروجه فيها ثم ذهب وهذا ممكن والله أعلم .

(الخامس)

في ذكر قصة تميم الدارى وحديثه الذى رواه عنه النبى صلى الله عليه وسلم وهو حديث صحيح رواه أبو هريرة أخرجه الامام أحمد وأبو داود

الخامس قصة
تميم الدارى
حديث الجساسة

وابن ماجه وأبو يعلى وعائشة رضى الله عنها وهو في حديث فاطمة بنت قيس وروى أيضا من حديث جابر أخرجه أبو داود بسند صحيح . وأما حديث فاطمة الذى هو عمدة الباب وأشهر ما اشتهر من هذا الحديث فأخرجه مسلم في صحيحه وأبو داود بمعناه والترمذى وابن ماجه ، قال الترمذى حديث حسن صحيح ولفظ رواية مسلم قالت فاطمة رضى الله عنها سمعت منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادى : الصلاة جامعة : فخرجت الى المسجد فصليت مع النبى صلى الله عليه وسلم فليما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاته جلس على المنبر وهو يضحك فقال « ليلزم كل انسان مصلاه .. ثم قال -أتدرون لم جمعتمكم ؟ » قالوا الله ورسوله أعلم قال « انى والله ما جمعتمكم لرغبة ولا لرهبة ولكن جمعتمكم لأن تميما الدارى كان رجلا نصرانيا فجاء وبايع وأسلم وانه حدثنى حديثنا وافق الذى كنت أحدثكم عن المسيح الدجال حدثنى انه ركب في سفينة بحرية مع ثلاثين رجلا من اخم وجذام فلعب بهم الموج شهرا في البحر ثم أرفؤا (أي بفتح الهمزة وسكون الراء فهزمة مضمونة أى لجؤا) الى جزيرة في البحر حين مغرب الشمس فجلسوا في أقرب السفينة (وهى بضم الراء جمع قارب بفتح الراء وكسرهما سفينة صغيرة مع الكبيرة معدة لقضاء الحوائج) قال - فدخلوا الجزيرة فلقيتهم دابة أهلب (أى كثير الشعر غليظه وعند أبى داود : فاذا أنا بامرأة تجر شعرها -وفى رواية مسلم - دابة أهلب) كثير الشعر لا يدرون ما قبله من دره من كثرة الشعر فقالوا ويلك ما أنت ؟ قالت أنا الجساسة ، قالوا وما الجساسة (وهى بفتح الجيم وتشديد السين المهملة الاولى سميت بذلك لانها تجس الاخبار وقد روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أن هذه هى دابة الارض التى تخرج آخر الزمان فتكلم الناس كما يأتى) قالت أيها القوم انطلقوا الى هذا الرجل فى الدير فانه الى خبركم بالاشواق ، قال فلما سمع لنا رجلا فرقنا منها ان تكون شيطانة ، قال فانطلقنا سراعا حتى دخلنا الدير فاذا فيه أعظم انسان رأيناه قط خلقا وأشدّه وثاقا مجموعة يده الى عنقه ما بين ركبته الى كعبه بالحديد ، قلنا : ويلك ما أنت قال قدرتم على خبرى فأخبرونى ما أتمم ؟ قالوا نحن أناس من العرب

ركبنا في سفينة بحرية فصادفنا البحر حين اغتلم (أي هاج واضطربت أمواجه) فلعب بنا الموج شهرا ثم أرفينا الى جزيرتك هذه فجلسنا في أقربها فدخلنا الجزيرة فلقينا ذابة أهلب كثيرة الشعر لا ندرى ما قبله من دبره من كثرة الشعر فقلنا ويحك ما أنت فقالت أنا الجساسة قلنا وما الجساسة قالت اعمدوا الى هذا الرجل في الدير فانه الى خبركم بالاشواق فأقبلنا اليك سراعا وفزعنا منها ولم نأمن أن تكون شيطانة • قال أخبروني عن نخل بيسان (وهي بفتح الباء الموحدة قرية بالشام جنوبى طبرية وأيضا ناحية باليمامة واعلها المرادة في الحديث بدليل ذكر النخل) هل يثمر ؟ قلنا نعم ، قال أما انها يوشك ان لا تثمر ، ولفظ مسلم أخبروني عن نخل بيسان قلنا عن أى شأنها تستخبر قال أسألكم عن نخلها هل يثمر ؟ قلنا نعم قال أما انها يوشك ان لا تثمر • قال أخبروني عن بحيرة طبرية قلنا عن أى شأنها تستخبر ؟ قال هل فيها ماء ؟ قالوا هي كثيرة الماء قال ان ماءها يوشك أن يذهب • قال أخبروني عن عين رغر (أى بضم الزاء وفتح العين المعجمة على وزن صرد بليدة من الجانب القبلى من الشام بينها وبين بيت المقدس ثلاثة فراسخ على طريق البحيرة وزغر اسم ابنة لوط عليه السلام قال في القاموس وزغر قرية بانشام سميت بذلك لان ابنة لوط نزلت بها قال وبها عين غور مائها علامة خروج الدجال) قالوا عن أى شأنها تستخبر ؟ قال هل في العين ماء وهل يزرع أهلها بماء العين ؟ قلنا نعم هي كثيرة الماء وأهلها يزرعون من مائها • قال أخبروني عن نبي الاميين ما فعل ؟ قال قد خرج من مكة ونزل يشرب ، قال أفألمه العرب ؟ قلنا له : نعم ، قال كيف صنع بهم ؟ فأخبرناه انه قد ظهر على من يليه من العرب وأطاعوه ، قال أما ان ذلك خير لهم ان يطيعوه ، وانى مخبركم عنى انى أنا المسيح وانى أوشك أن يؤذن لى في الخروج فأخرج فأسير في الارض فلما أدع قرية الاهبطها في أربعين ليلة غير مكة وطيبة هما محرمتان علي كلاتهما كلما أردت أن أدخل واحدة - أو واحد - منهما استقبلنى ملك بيده السيف صلنا يصدنى عنها وان على كل نقب منها ملائكة يحرسونها • قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وطمع بمخضرتة في المنبر هذه هي طيبة هذه طيبة هذه طيبة (يعنى المدينة)

ألا هل كنت حدثتكم؟ فقال الناس نعم، قال فانه أعجبني حديث تسميه انه وافق الذي كنت أحدثكم عنه وعن المدينة ومكة . الا أنه في بحر الشام أو بحر اليمن ، لا بل من قبل المشرق ما هو ، من قبل المشرق ما هو ، من قبل المشرق ما هو ، بنت قيس رضى الله عنها فحفظت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم . أخرجه مسلم من عدة أوجه وأخرجه غيره أيضا . قال القاضي عياض في قوله صلى الله عليه وسلم من قبل المشرق ما هو لفظه ما زائدة صلة الكلام ليست نافية والمراد اثبات انه من قبل المشرق . وفي بعض طرق الحديث عند البيهقي انه شيخ وسنده صحيح . قال البيهقي فيه أن الدجال الأكبر الذي يخرج في آخر الزمان غير ابن صياد وان كان ابن صياد واحمد الدجالين الكذابين الذين أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بخروجهم .

(السادس)

اسم الدجال عند اليهود المسيح بن داود قالوا يخرج آخر الزمان فيبلغ سلطانه البر والبحر وتسير معه الأنهار قالوا وهو ايه من آيات الله قال ويرد الملك الينا وقد كذبوا في زعمهم بل هو مسيح الضلالة الدجال الكذاب وأما مسيح الهدى فيسمى بن مريم عليه السلام والله أعلم .

(التثية السابع)

أعلم ان سيدنا المسيح عيسى بن مريم عليه السلام بعد قتله للدجال يذهب الى المدينة فيزور قبر النبي صلى الله عليه وسلم ويحج البيت الحرام ويتوفى بالمدينة المنورة فيدفن هناك فقد أخرجه الامام أحمد وابن جرير وابن عساکر من حديث أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ينزل عيسى بن مريم فيقتل الخنزير ويمحو الصليب ويجمع الصلاة ويعطى المال حتى لا يقبل ويضع الخراج وينزل الروحاء فيحج منها أو يعتمر أو يجمعهما » وعند مسلم في صحيحه وابن أبي شيبة عن أبي هريرة رضى الله عنه أيضا « ليهلن عيسى بن مريم بفتح الروحاء بالحج أو العمرة أو ليهلنهما جميعا » قوله بفتح أى طريق والروحاء مكان

السادس اسم
الدجال عند
اليهود وزعمهم
فيه

السابع ان عيسى
عليه السلام بعد
قتله الدجال يزور
المدينة

بين المدينة ووادي الصفراء في طريق مكة ، قال ابن قرقول في المطالع والروحاء من عمل الفرع على نحو من أربعين ميلا من المدينة ، وفي مسلم ستة وثلاثين ، وابن أبي شيبة على ثلاثين . وأخرج الحاكم وصححه وابن عساكر من حديث أبي هريرة أيضا رضى الله عنه « ليهبطن ابن مريم حكما عدلا واما ما مقسطا ويسلكن فجا حاجا أو معتمرا وليأتين قبرى حتى يسلم علي ولا رذن عليه » قال أبو هريرة رضى الله عنه أي بنى أخي اذا رأيتموه فقولوا أبو هريرة يقرئك السلام . وأخرج الحاكم عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أدرك عيسى منكم فليقرئه منى السلام » وأخرج البخارى في تاريخه والطبرانى : يدفن ابن مريم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهما وصاحبيه رضى الله عنهما فيكون قبره رابعا . وفي المواهب اللدنية للقسطلانى رحمه الله بقى من البيت موضع قبر يدفن فيه عيسى بن مريم عليه السلام ويكون قبره الرابع . ومر حديث ابن عمر عند ابن الجوزى في المنتظم . قال العلامة الشيخ مرعى في بهجته قال بعض مشايخنا وذكر رابع القبور لا ينافى قوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث المار معى فى قبرى فانه صلى الله عليه وسلم عبر بذلك لشدة القرب اذ هو لقربه كأنه معه ، أو بتقدير مضاف أي فى جانب قبرى لينطبق الكلام ويتسق . فدل مجموع ما ذكرنا ان المسيح عيسى بن مريم عليه السلام يموت بالمدينة المنورة . قال بعضهم ولعل موته عند حجه وزيارته النبى صلى الله عليه وسلم . واعلم ان الكلام على المهدي والدجال وعيسى ابن مريم عليه السلام طويل شهير أفردت فى ذلك الكتب المبسوطة والمختصرة وذكرنا فى كتابنا البحور الزاخرة من ذلك طرفا صالحا يعنى من أحصاه علما عن مراجعة أكثر كتب هذا الباب والله أعلم بالصواب .

(العلامة الرابعة)

خروج يأجوج ومأجوج واليهما أشار بقوله :

((وأمر يأجوج ومأجوج أثبت فانه حق كهدم الكعبة

((وأمر يأجوج ومأجوج)) يهزان ولا يهزان لقتان وقرىء بهما فمن

همزهما جعلها من أجاج النار وهو ضوءها وحرارتها وسموا بذلك لكثرتهم

العلامة الرابعة
خروج يأجوج
ومأجوج

اشتمت
الاسمين

قبيل هم من
اولاد يافث

وشدتهم وقيل من الاجاج وهو الماء الشديد الملوحة وقيل هما اسمان أعجبيان غير مشتقين . قال مقاتل هم من ولد يافث بن نوح عليه السلام . وقال كعب احتلم آدم عليه السلام فاختلط ماؤه بالتراب فأسف فخلقوا من ذلك . وفيه نظر لان الانبياء لا يحتلمون على ان امناء النائم لا يتوقف على الحلم الذى يقتضى أن يتراعى له في منامه ما يكون سببا لانزاله كما لا يخفى . وقد روى الطبرانى من حديث حذيفة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « يأجوج أمة لها أربعمائة أمير وكذلك مأجوج ولا يموت أحدهم حتى ينظر الى ألف فارس من ولده » قال أهل التاريخ أولاد نوح ثلاثة سام وحام ويافث فسام أبو العرب والعجم والروم ، وحام أبو الحبشة والزنج والنوبة ، ويافث أبو الترك والصقالبة ويأجوج ومأجوج . وقال الكسائى في العرائس ان يافث سار الى المشرق فولد له هناك جوهر ونبرش وأشار واسقويل ومياشح وهى أسماء أعجمية ، فمن جوهر جميع الصقالبة والروم وأجناسهم ، ومن مياشح جميع أصناف العجم ، ومن أشار يأجوج ومأجوج وأجناسهم . قال ابن عباس رضى الله عنهما هم عشرة أجزاء وولد آدم كلهم جزء لانهم لا يموت أحدهم حتى ينظر الى ألف ذكر من صلبه يحملون السلاح ، فمنهم من طوله مائة وعشرون ذراعا أو خمسون ، ومنهم من طوله وعرضه كذلك ، ومنهم من يلتحف باحدى أذنيه ويفترش الاخرى . وقال على رضى الله عنه منهم من طوله شبر ومنهم من هو مفرط في الطول لهم مخالب في موضع الاظفار من أيدينا وأسياب وأضراس كأضراس السباع ولهم شعر في أجسادهم . والمراد بأمرهم خروجهم وهو ثابت بالكتاب والسنة واجماع الامة فلماذا قال ((أثبت)) أى اعتقد ثبوته .

اثبات وجودهم
وخروجهم ،
بالكتاب والسنة

أما الكتاب فقولته تعالى (حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون) وأما السنة ففى صحيح مسلم من حديث النواس بن سمعان رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « ان الله تعالى يوحى الى عيسى بن مريم عليه السلام بعد قتله الدجال انى قد أخرجت عبادا الى لا يدان لاحد بقائلهم فحرز عبادى الى الطور ، ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيمر أولهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها

ويسمى آخرهم فيقولون لقد كان بهذه ماء ، ويحصررون عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيرا من مائة دينار ، الحديث وقال صلى الله عليه وسلم « لا تقوم الساعة حتى يكون عشر آيات طلوع الشمس من مغربها والدخان والدابة ويأجوج ومأجوج ونزول عيسى ابن مريم وثلاث خسوفات ونار تخرج من قعر عدن ايبن » الحديث رواه ابن ماجه من حديث حذيفة بن أسيد قلت وهو في مسلم من حديث أبي الطفيل عن حذيفة بن أسيد الغفاري ولفظه قال اطلع النبي صلى الله عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر فقال ما تذكرون ؟ قالوا نذكر الساعة ، قال « انها لن تقوم حتى ترى قبلها عشر آيات » فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم عليه السلام ويأجوج ومأجوج وثلاث خسوف خسف بالشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس الى محشرهم • ورواه من وجه آخر وكفى حذيفة بأبي سريجة وقال فيه : نار تخرج من قعر عدن ترحل الناس • وفي حديث حذيفة عند الطبراني ويمنعهم الله من مكة والمدينة وبيت المقدس • وفي خبر علي رضي الله عنه لهم مخالب وأنياب السباع وتداعى الحمام وتسافد البهائم. وعواء الذئب وشعور تقيهم الحر والبرد وآذان عظام احدهما وبرة يشتون فيها والآخرة جلدة يصيفون فيها •

سئل الامام النووي هل يأجوج ومأجوج من ولد حواء وكم تثبت أنه يعيش كل واحد منهم؟ فأجابهم من ولد آدم وحواء عليهما السلام عند أكثر العلماء وقيل انهم من آدم دون حواء قال النووي كما حكاه عنه الحافظ ابن حجر عند جماهير العلماء قال النووي فيكونون أخوتنا من الاب • قال الحافظ ابن حجر لم يرد هذا عن أحد من السلف الا عن كعب الاحبار ويرده الحديث المرفوع انهم من ذرية نوح ونوح من ذرية حواء قطعا والا فآين كانوا حين الطوفان ولم يثبت في قدر أعمارهم شيء • انتهى وقد ذكر الامام ابن عبد البر الاجماع على أنهم من ولد يافث بن نوح عليه السلام وان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن يأجوج ومأجوج هل بلغتهم دعوتك فقال « جزت ليلة أسرى بي فدعوتهم فلم يجيبوا » فلنص القرآني والاحاديث

ما قيل انه
ليسوا من اولاد
حواء وما حكى
في صفتهم

خروجهم حق

الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم مما ذكرنا ومما لم نذكر قال ((فانه)) أي أمر يأجوج ومأجوج يعني خروجهم من وراء السد على الناس ((حق)) ثابت لوروده في الذكر وثبوته عن سيد البشر ولم يحله عقل فوجب اعتقاده فقد روى الجماعة الا أبا داود من حديث زينب بنت جحش رضى الله عنهما قالت خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فزعا محمرا وجهه يقول « لا اله الا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه » وحلق بأصبعيه الابهام والتي تليها قالت قلت يا رسول الله انهلك وفينا الصالحون؟ قال « نعم اذا كثر الخبث » اشارة بذلك الى أن الذى فتحوا من السد قليلا وهم مع ذلك لم يلهمهم الله تعالى ان يقولوا عند نقبه وحضره غدا نفتحه ان شاء الله فاذا قالوها خرجوا • وقد روى عبد الرزاق عن أبى قتادة قال : يأجوج ومأجوج ثنتان وعشرون قبيلة بنى ذو القرنين السد على احدى وعشرين وكانت قبيلة منهم غائبة في الغزو وهم الترك فبقوا دون السد • وأخرج ابن جرير وابن مردويه من طريق السدي من أثر قوي : الترك سرية من سرايا يأجوج ومأجوج خرجت فجاء ذو القرنين فبنى السد فبقوا خارجا عنه • وسئل على رضوان الله عليه عن الترك فقال هم سبارة ليس لهم أصل ، هم من يأجوج ومأجوج خرجوا يغيرون على الناس فجاء ذو القرنين فسد بينهم وبين قومهم فذهبوا سبارة في الارض • رواه ابن المنذر • وأخرج الامام أحمد والطبراني عن خالد بن عبد الله بن حرملة عن خالته مرفوعا « انكم لتقولون لا عدو وانكم لا تزالون تقاتلون عدوا حتى تقاتلوا يأجوج ومأجوج عراض الوجوه صفار العيون صهب الشعور من كل حدب ينسلون كأن وجوههم المجان المطرقة » قوله صهب الشعور أى شعرهم بين الحمار والسواد • وقال الزهرى يأجوج ومأجوج ثلاث أمم منسك وتاويل وتأريس • وأخرج الطبراني وابن مردويه والبيهقى وعبد بن حميد عن ابن عمر رضى الله عنهما أن يأجوج ومأجوج من ذرية آدم وراهم ثلاث أمم تاويل وتأريس ومنسك • وأخرج عبد بن حميد بسند صحيح عن عبد الله بن سلام نحوه • وفي حديث حذيفة لا يمرون بفيل ولا وحش ولا طير ولا جمل ولا خنزير الا أكلوه ومن

قبائلهم ومنها
الترك وصفتهم

مات منهم أكلوه ، وذكر بعضهم في صفتهم ان فيهم من له قرن وذنب وأنياب بارزة يأكلون اللحوم نيئة . وأخرج ابن حبان في صحيحه عن ابن مسعود رضى الله عنه رفعه ان يأجوج ومأجوج أقل ما يترك أحدهم من صلبه ألفا من الذرية . وعند النسائي من رواية عمرو بن أوس عن أبيه رضى الله عنه رفعه ان يأجوج ومأجوج يجامعون ما شاءوا ولا يموت رجل منهم الا ترك من ذريته ألفا فصاعدا . وأخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه أن يأجوج ومأجوج لهم نساء يجامعونهن ما شاءوا . وأخرج ابن أبي حاتم عن عبد الله ابن عمرو انه قال : الجن والانس عشرة أجزاء فتسعة أجزاء يأجوج ومأجوج وجزء سائر الناس ^(١) . وقال مكحول الارض مسيرة مائة عام ثمانون منها بأجوج ومأجوج وهى أمتان كل أمة أربعمائة ألف أمة لا تشبه الامة الاخرى . وعند أبى الشيخ عن أبى أمامة : الدنيا سبعة أقاليم فإجوج ومأجوج ستة والباقي أقليم واحد . وقال خالد الأشبج ان بنى آدم وبنى ابليس ثلاثة أثلاث فثلثان بنو ابليس وثلث بنو آدم ، وبنو آدم ثلاثة أثلاث ثلثان يأجوج ومأجوج وثلث سائر الناس ، والناس بعد ذلك ثلاثة أثلاث ثلث الاندلس وثلث الحبشة وثلث سائر الناس العرب والعجم . وعند الحاكم وعبد الرزاق من قول ابن عمر رضى الله عنهما ان الله تعالى جزأ الملائكة والجن والانس عشرة أجزاء تسعة منهم الكروبيون والذين يسبحون الليل والنهار لا يفترون ، وجزأ الانس والجن عشرة أجزاء فتسعة من الجن لا يولد من الانس ولد الا ولد من الجن تسعة ، وجزأ الانس عشرة فتسعة منه يأجوج ومأجوج - الحديث .

مقدماتهم في
جملة الجن
والانس

(تمة في سبب خروجهم وفسادهم واهلاكهم)

تمة في سبب
خروجهم
واهلاكهم

اعلم أولا ان الاسكندر بنى الردم الذى سد به على يأجوج ومأجوج كما ذكر الله تعالى ذلك في محكم الذكر في قوله سبحانه (قالوا ياذا القرنين ان يأجوج ومأجوج مفسدون فى الارض) بالقتل والتخويف واهلاك الزرع وفعل الخيبت (فهل نجعل لك خراجا) أى جعلنا نخرجه لك من أموالنا وقرأ حمزة والكسائي وخلف (خراجا) بفتح الراء وألف بعدها وهو المال المضروب على الارض يؤدى فى كل عام (على أن تجعل بيننا وبينهم سدا)

سد ذى القرنين
وصفته ومكانه
وحكايات من
ادعى رؤيته

أي حاجزا فلا يصلون إلينا (قال) ذو القرنين (ما مكنى فيه ربي) من القوة والعلم وطلب ثوابه والمال ونفوذ المقال (خير) أي أفضل مما تعطونني أتم (فأعينوني بقوة) أي آلة اتقوى بها وفعل منكم (اجعل بينكم وبينهم ردما) هو أكبر وأعظم من السد فجاءوه بذلك فحفر ما بين الصدفين يبنى الناحيتين من الجبلين لأنهما يتصادفان أي يتقابلان حتى بلغوا الماء ثم قال (آتوني زبر الحديد) أي القطع التي أعدها لذلك فجعل الأساس من الصخر والنحاس المذاب والنيان من زبر الحديد بعضها فوق بعض وجعل بينهما الحطب والفحم (حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفضخوا) فنفضخوا النار (حتى إذا جعله) أي الحديد (نارا) أي كالنار (قال آتوني أفرغ عليه قطرا) أي أصب عليه نحاسا مذابا فجعلت النار تأكل الحطب وتصير النحاس مكان الحطب حتى لزم الحديد النحاس وكان طوله مائة فرسخ وعرضه خمسون ذراعا وارتفاعه مائتي ذراع وطول الجبلين اللذين بنى بينهما مائة فرسخ (فما استطاعوا أن يظهره) أي يعلوه من فوقه لملاسته ورفقته (وما استطاعوا له نقبا) أي خرقا لصلابته وسمكه ثم قال (هذا رحمة من ربي فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقا) وقد روى البزار من حديث يوسف بن مريم الخنفي قال بينما أنا قاعد مع أبي بكر رضي الله عنه إذ جاء رجل فسلم عليه فقال أما تعرفني ؟ فقال له أبو بكر أنت هو ؟ قال نعم ، فقال اجلس حدثنا فقال : انطلقت الى أرض ليس لأهلها الا الحديد يعملونه فدخلت بيتا فاستلقيت على ظهري وجعلت رجلي على جداره فلما كان عند غروب الشمس سمعت صوتا لم أسمع مثله فرعبت فقال لي رب البيت لا تدعرن فإن هذا لا يضرك ، هذا صوت قوم ينصرفون هذه الساعة من عند هذا السد أفسرك أن تراه ؟ قلت نعم ، قال فصدوت فإذا لبنه من حديد كل واحدة مثل الصخرة وإذا كأنه البارد المحبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم . « من سره أن ينظر الى رجل قد أتى الردم فلينظر الى هذا ، قال أبو بكر صدقت . وذكر أهل التاريخ ان الإسكندر وجد هناك معدنين فاستخرج منهما ما كفاه من الحديد والنحاس وكان مكان السد جبلان متقابلان أملسان كالحائط يزلق عنهما

كل شيء لا يرتقى فيهما لعلوهما وملاستهما فأمر الاسكندر الصانع فضربوا لبن الحديد طول كل لبنة ذراع ونصف وسمكها شبر . وقد ذكر سلام الترجمان قال بعنى الواثق العباسى الى السد وضم الي خمسين رجلا وأعطانا مالا فما زلنا نتقل في البلاد وتبعث الملوك معنا الادلة الى أن صرنا الى أرض سوداء منتنة الريح فصرنا فيها عشرة أيام ثم صرنا الى مدن خراب فصرنا فيها سبعا وعشرين يوما وهى التى كانت يأجوج ومأجوج يطرقونها ثم صرنا الى حصون بالقرب من السد وفيها قوم يتكلمون بالعربية والفارسية مسلمون يقرءون القرآن فسألونا من أين آبلتم ؟ قلنا نحن رسل أمير المؤمنين قالوا : ما سمعنا بهذا قط ، ثم صرنا الى جبل أملس وفيه السد وهناك باب حديد مصراعان مغلقتان عرض كل مصراع خمسون ذراعا فى ارتفاع خمسين فى ثخن خمسة أذرع وقائمتهما فى دواره ، على الباب قفل طوله سبعة أذرع فى غلظ ذراع وارتفاع القفل من الارض خمسة وعشرون ذراعا ونوق القفل بقدر خمسة أذرع غلق طوله أكثر من طول القفل وعلى الغلق مفتاح معلق فى سلسلة طولها ثمانية أذرع فى استدارة أربعة أشبار وعتبة الباب عشرة أذرع ورئيس تلك الحصون يركب فى كل جمعة فى عشرة فوارس مع كل فارس مرزبة من حديد فيضربون القفل بتلك المرزبات ليسمعوا الصوت فيعلموا الصوت أن هناك حفظة (١) .

حديث
السد
حفرهم

وقد أخرج الامام أحمد والترمذى وحسنه وابن حبان والحاكم وصححه من حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال « ان يأجوج ومأجوج ليحفرن السد كل يوم حتى اذا كادوا يخرقونه قال الذى عليهم ارجعوا فتحرقونه غدا ، فيعيده الله أشد ما كان حتى اذا بلغ مدتهم وأراد الله أن يعيئهم على الناس قال الذى عليهم ارجعوا فتحرقونه غدا ان شاء الله تعالى - واستثنى قال فيرجعون فيجدونه كهيشته حين تركوه فيخرقونه فيخرجون على الناس » قال الحافظ ابن حجر أخرجه الترمذى وابن ماجه والحاكم وعبد بن حميد وابن حبان كلهم عن قيادة ورجال بعضهم رجال الصحيح . قال ابن العربى فى هذا الحديث ثلاث آيات الاولى ان الله تعالى منعهم ان يوالوا الحفر ليلا ونهارا ، الثانية منعهم أن يحتالوا

فى الحديثيات

للرقى على السد بنحو السلم والآلة فلم يلهمهم ذلك ولا علمهم اياه مع انه ورد ان لهم أشجارا وزروعا ، الثالثة ان صدهم ان يقولوا ان شاء الله حتى مجيء الوقت المحدود . قلت وأخل بالآية الرابعة وهى أعظمها وهى عود السد بعد الحفر حتى اذا كادوا ان يروا شعاع الشمس الى أشد ما كان الى أن يبلغ الكتاب أجله . وقد يقال ان فيهم من يعرف الله تعالى ويقر بقدرته ومشئته ، ويحتمل أن تكون كلمة المشيئة جرت على لسان ذلك الوالى من غير أن يعرف معناها فيحصل المقصود ببركتها ، ويدل لهذا ما روى عبد بن حميد من طريق كعب الاحبار نحو حديث أبى هريرة وفيه فاذا جاء الأمر ألقى الله على بعض ألسنتهم نأتى غدا ان شاء الله فنفرغ منه . وروى ابن مردويه من حديث حذيفة نحو حديث أبى هريرة وفيه يغدون فيجيئون عليه فيفتح - الحديث وسنده ضعيف . والحاصل انه يحتمل أن تلقى كلمة المشيئة على لسان أحدهم وهو أقوى ، ويحتمل أن يسلم واحد منهم بالهام من الله فيقول ان شاء الله تعالى . وفي صحيح مسلم من حديث النواس ابن سعيان رضى الله عنه مرفوعا بعد ذكر الدجال وقتل عيسى عليه السلام له قال نم يأتية - يعنى عيسى - قوم وقد عصمهم الله من الدجال فيمسح وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة فينماهم كذلك اذ أوحى الله الى عيسى ان قد أخرجت عبادا لى لا يدان لأحد بقتالهم فحرز عبادى الى الطور ، ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حذب ينسلون - الحديث . وفي رواية لمسلم ثم يسيرون حتى ينتهوا الى جبل الخمر وهو جبل بيت المقدس فيقولون لقد قتلنا من فى الارض هلم فنقتل من فى السماء فيرمون بنشابهم الى السماء فيرد الله عليهم نشابهم مخضوبة دما فيرغب نبي الله عيسى عليه السلام وأصحابه الى الله تعالى فيرسل الله تعالى عليهم النصف - بفتح النون والغين المعجمة ففاء ، وفي رواية دودا كالنصف فى أعناقهم ، وهو دود يكون فى أنوف الابل والغنم الواحدة نغفة عن الاصمعى وعن أبى عبيدة هو الدود الابيض يكون فى النوى وما سوى ذلك من الدود فليس بنغف وقيل هو دود طوال سود وخضر وغبر يقطع الحوت فى بطن الارض - فيصبحون موتى كموت نفس واحدة - معناه قتلى لا يسمع لهم حس - فيقول المسلمون الا رجل يشرى لنا نفسه فينظر ما فعل هذا العدو ؟ فيتجرد رجل منهم محتسبا نفسه

قد وطنها على انه مقتول فينزل فيجدهم موتى بعضهم على بعض فينادى يا معشر المسلمين الا أبشروا ان الله عز وجل قد كفاكم عدوكم ، فيخرجون من مدائنهم وحصونهم ويسرحون مواشيهم فما يكون لها مرعى الا لحومهم فتشكر منه - بفتح الكاف أى تسمن - أحسن ما شكرت عن شيء وحتى ان دواب البحر تسمن وتشكر شكرا من لحومهم ودمائهم ، ويهبط نبي الله عيسى عليه السلام وأصحابه الى الارض فلا يجدون في الارض موضع شبر الا ملاء زهمهم وتنتهم أي ريحهم من الجيف فيؤذون الناس بتنتهم أشد من حياتهم ، فيستغيثون بالله فيبعث الله ريحا يمانية غرباء فصير على الناس غما ودخانا ويقع عليهم الزكمة ويكشف ما بهم بعد ثلاثة أيام وقد قذفت الارض جيفهم في البحر • ولفظ صحيح مسلم فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه الى الله فيرسل الله تعالى طيرا كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله ثم يرسل الله مطرا لا يكن معه بيت مدر ولا وبر فيغسل الارض حتى يتركها كالزلفة ثم يقال للارض أنتى ثمرك وردى بركتك فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة ويستظلون بحفها ويبارك في الرسل - يعنى اللبن - حتى ان الملقحة من الابل لتكفى القمام من الناس - أي الجماعة منهم - واللقحة من البقر لتكفى القليلة من الناس واللقحة من الغنم لتكفى الفخذ من الناس - الحديث • وفي رواية فيرسل طيرا كأعناق البخت فتحملهم فترميهم الى البحر • وفي رواية في النار ، ويوقد المسلمون من قسي يأجوج ومأجوج ونشابهم وأترستهم سبع سنين • قوله في الحديث كالزلفة يروى بالفاء وبالقاف قال انقاضي عياض في مشارق الانوار ضبطناه بالوجهين عن متقني شيوخنا وبهما ذكره أهل اللغة وفسرها ابن عباس رضى الله عنهما بالمرأة وقاله ثعلب وأبو زيد وقال بعضهم هو بالفاء الاجانة الخضراء ، وقيل الصنخفة وتفسير ابن عباس رضى الله عنهما أظهر وبالله التوفيق ، قال النواس بن سمرعان رضى الله عنه كما في صحيح مسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فينما هم يعنى عيسى بن مريم وأصحابه كذلك أى في ذلك العيش الرغد وقد هلك عدوهم اذ بعث الله تعالى ريحا طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار الناس يتهاجون فيها تهاجر الحمر فعليهم تقوم الساعة • والله أعلم •

(العلامة الخامسة)

العلامة الخامسة
هدم الكعبة

من العلامات العظمى هدم الكعبة المشرفة والقبلة العظمة واليها أشار بقوله ((ك)) ما ان أمر يأجوج ومأجوج حق ثابت يجب اعتقاده ووقوعه فكذا يجب اعتقاد وقوع ((هدم الكعبة)) العظمة والقبلة المكرمة وسلب حليها واخراج كنزها لما أخرج البخارى ومسلم والنسائي من حديث أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة » وفي لفظ « ذو السويقتين من الحبشة يخرب بيت الله » وأخرج الامام أحمد من حديث ابن عمر رضى الله عنهما نحوه وزاد « ويسلبها حليها ويجردها من كسوتها فلكتاني أنظر اليه أصيلع أفيدع يضرب عليها بمسحاته أو معوله » وأخرج الازرقى عنه « يجيش البحر عن فته من السودان ثم يسيلون سيل النمل حتى ينتهى الى الكعبة فيخربونها والذي نفسى بيده انى لكتاني أنظر الى صفته في كتاب الله تعالى أفيجح أصيلع أفيدع قائما بهدمها بمسحاته أو معوله » وفي الصحيحين كأتى به اسود أفجح بهدمها حجرا حجرا « أي ويتداولها أصحابه بينهم حتى يطرحوها في البحر كما ورد في حديث حذيفة مرفوعا « كأتى أنظر الى حبشى أحمر الساقين أزرق العينين أفضس الانف كبير البطن وقد صف قدميه على الكعبة هو وأصحاب له ينقضونها حجرا حجرا ويتداولونها حتى يطرحوها في البحر » الحديث • قوله ذو السويقتين أي صاحبهما وهما تصغير ساقين أي دقيق الساقين وقوله أصيلع تصغير الاصلع وهو من ذهب شعر مقدم رأسه والافيدع تصغير أفدع وهو من فى يده اعوجاج في وفي القاموس الفدع محركة اعوجاج الرسغ من اليد أو الرجل حتى ينقلب الكف أو القدم أو هو المشى على ظهر القدم أو ارتفاع أخمص القدم حتى لو وطىء الأفدع عصفورا ما آذاه أو هو عوج في المفاصل لانها قد زالت عن موضعها • وأكثر ما يكون في الارساغ خلقة وجاء في بعض روايات الحديث أصلع أى صغير الرأس؟ وفي بعضها أصمع أى صغير الاذنين وقيل كبير الاذن ، والا فيجح تصغير أفجح المتباعد الفخذين • وأخرج الامام أحمد من حديث أبي هريرة رضى الله عنه مرفوعا يبايع لرجل بين الركن والمقام ولن يستحل هذا البيت الا أهله فاذا استحلوه فلا تسأل عن هلكة العرب ثم تجىء الحبشة

يحربونه خرابا لا يعمر بعده أبدا وهم الذين يستخرجون كنزه • رواه بهذا اللفظ أيضا الأزرقى فى تاريخ مكة والحاكم وصححه

من السنن
يستخرج كنز
الكعبة

فان قلت قد ورد وتقدم ان المهدي هو الذى يخرج كنز الكعبة وفى هذا الحديث ان ذا السويقتين هو لاذى يخرج كنزها ولعمري انه لسؤال وارد واستشكال مضاد ولم أر من تقدمنى ممن نقب عن هذا السؤال وفى يمه خاض ولا من أجاب هذا السؤال ولا من تعرض لهذا الاعتراض ولعل الجواب أن المهدي يستخرج الكنز المذكور ثم بعد ذلك يجتمع فى خزانه الكعبة فى مدة المهدي ومدة سيدنا عيسى الى أن يخربها ذو السويقتين مال كثير سيما مع كثرة المال وانكباب أهل ذلك الوقت على أنواع القربات مع كثرة الحجاج وهذا ممكن أو يكون المهدي كشفه وظهر عليه وأخذ منه عوزه وترك باقيه والله أعلم

كون الحرم آمنا
لا ينفي ما صحت
به الاخبار

فان قلت تسلط هذا العدو الخبيث على هدم بيت الله المعظم يناهى قوله تعالى (أو لم يروا أنا جعلنا حرما آمنا) الآية (ومن يرد فيه بالحاد بظلم) الآية وقد حماه سبحانه من أصحاب الفيل وجيرانه حينئذ كفار مشركون فكيف يسلط عليه الحبشة وهو قبلة المسلمين وهم جيرانه (فالجواب) ما ذكره الحافظ ابن حجر فى فتح البارى وهو ان يقال قد أشار النبى صلى الله عليه وسلم للجواب فى الحديث بقوله ولن يستحل هذا البيت الا أهله ففى زمن الفيل ماكانوا قد استحلوه فمنعه منهم وأما الحبشة فلا يهدمونه الا بعد استحلال أهله مرارا وقد استحله جيش يزيد بن معاوية بأمره ثم الحجاج زمن عبد الملك بن مروان بأمره فسلط الله عليه القرامطة فقتلوا من المسلمين فى المطاف مالا يحصى وقلعوا الحجر ونقلوه لبلادهم فلما وقع استحالته من أهله مرارا مكن غيرهم من ذلك عقوبة لهم على أنه ليس فى الآية استمرار الامن المذكور فيه • انتهى • ملخصا (قلت) والذى يظهر لى ان هذا العالم مشعر بالاضمحلال وكما ورد الشرع بالامن ورد بصمحلل هذا العالم ودماره فأشعر أن الامن مغيا الى غاية أشار الشارع إليها فوجب تصديق الامرين كل واحد زمنه حسبما هو مقتضى الشرع وبالله التوفيق •

هدم الكعبة في
زمن عيسى أم
بعده ؟

فان قلت هل هدم الكعبة من ذى السويقتين المذكور زمن سيدنا المسيح عيسى بن مريم عليه السلام أو بعده عند قيام الساعة حيث لا يبقى فى الارض أحد يقول الله (فالجواب) ان هذا مما اختلف فيه العلماء فمن كعب الاحبار انه زمن عيسى عليه السلام ، وقيل زمنه وبعد هلاك أجوج ومأجوج فيحج الناس ويعتمرون كما ثبت ذلك وان عيسى عليه السلام يحج أو يعتمر أو يجمع بينهما كما تقدم فالظاهر أن هدم البيت بعد موت سيدنا المسيح وهبوب الريح التى يموت بها من فى قلبه ذرة من ايمان وذكر الحافظ ابن حجر انه وجد فى كتاب التيجان لابن هشام ان عمر بن عامر كان ملكا متوجا وكان كاهنا معمرا وانه قال لأخيه عمرو بن عامر المعروف بمزيقيا لما حضرته الوفاة ان بلادكم ستخرب وان لله فى أهل اليمن سخطين ورحمتين فالسخرطة الاولى هدم سد مارب وخراب البلاد بسببه ، والثانية غلبة الحبشة على اليمن ، والرحمة الاولى بعثة نبي من تهامة اسمه محمد يرسل بالرحمة ويغلب أهل الشرك ، والثانية اذا خرب بيت الله يبعث الله رجلا يقال له شعيب بن صالح فيهلك من خربه ويخرجهم حتى لا يكون بالدنيا ايمان الا بأرض اليمن • قال الحافظ ابن حجر ان ثبت هذا علم منه اسم القحطاني وسيرته وزمانه • واعترضه البرزنجي فى الاشاعة بأن ليس فيما ذكر ما يقتضى ان ذلك هو القحطاني ولم لا يجوز أن يكون شعيب بن صالح هو التميمي القادم بالرايات السود الى المهدي وانه يرسل عيسى عليه السلام اليه حين يأتيه الصريخ ويؤيده كونه لقبه المنصور وبتقدير أن يكون هو اياه فجائز أن يكون قبل خلافته ويكون فى من أرسله عيسى عليه السلام أميرا عليهم فانه ورد أن الصريخ يأتي عيسى بذلك فيبعث اليه طائفة ما بين الثمانية الى التسعة فيكون هو أميرهم ، وليس فى كونه رحمة لاهل اليمن ما يقتضى انه منهم ، ويكفى من كونه رحمة لهم انه يدفع الحبشة عنهم بحيث لا يبقى ايمان الا فى أرض اليمن • ثم ان الحجاز من اليمن ولذا يقال الكعبة يمانية ، ولعل زمن اختصاص اليمن ببقاء الايمان بعد قبض المسيح وهبوب الريح ، ولا ينافي ما ذكر حديث « آخر ما يوجد الايمان فى المدينة » لانها من اليمن والله أعلم

وقيل ان هدم الكعبة بعد خروج الدابة وقيل بعد الآيات كلها قرب قيام الساعة حين ينقطع الحاج ولا يبقى في الارض من يقول الله ويؤيد هذا ان زمن عيسى عليه السلام كله زمن سلم وبركة وأمان وخير وهذا ألقى بكرم الله ، والذي تقتضيه الحكمة فان البيت قبله الاسلام والحج اليه أحد أركان الدين ومبانيه فالحكمة تقتضى بقاءه بقاء الدين فاذا جاءت الرياح الباردة الطيبة وقبضت المؤمنين فبعد ذلك يهدم البيت ويرتفع القرآن • قال العلامة الشيخ مرعى فى بهجته جاء عن الثقات الحفاظ يمكث الناس ماشاء الله تعالى فى الخصب والدعة بعد هلاك يأجوج ومأجوج وطلوع الشمس وخروج الدابة ، قال ثم يخرج الحبشة وعليهم ذو السويقتين فيخربون مكة ويهدمون الكعبة ثم لا تعمر بعدها أبدا ، وهم الذين يستخرجون كنوز مصر • قال ثم يجتمع بقايا المسلمين فيقاتلونهم فيقتلونهم ويسبونهم حتى يباع الحبشى بعباءة • فبين أن هدم الكعبة بعد الآيات كلها وان كان لا يخلو من تأمل والله أعلم

(فوائد)

فوائد احداها فيما جاء فى خراب المدينة

(احداها) تقدم ان عمران بيت المقدس خراب يشرب • رواه أبو داود من حديث معاذ مرفوعا • وروى الطبرانى انه صلى الله عليه وسلم قال « سيلغ البناء سلعا ثم يأتي على المدينة زمان يمر السفر على بعض أقطارها فيقول قد كانت هذه مرة عامرة من طول الزمان وغفو الانر » وأخرج الامام احمد نحوه باسناد حسن • وفى الصحيحين « لتتركن المدينة على خير ما كانت مذلة ثمارها لا يغشاها الا العوافى الطير والسباع » الحديث وسبب خرابها والله أعلم أن خيار أهلها يخرجون مع المهدي الى الجهاد ثم ترجف بعد ذلك بمنافقيها وترميهم الى الدجال ولم يبق الا المؤمنون المخلصون فيهاجرون الى بيت المقدس عند امامهم وقد ورد ستكون هجرة وخيار الناس يومئذ ألزمهم مهاجر ابراهيم • ومن بقى منهم تقبض روحه الريح الطيبة • وقد روى المرحانى فى أخبار المدينة عن جابر مرفوعا ليعودن هذا الامر الى المدينة كما بدأ منها حتى لا يكون ايمان الابها » وأخرج النسائى من حديث أبى هريرة مرفوعا « آخر قرية من قرى الاسلام خرابا المدينة » ورواه

الترمذى بنحوه وقال حسن غريب • ورواه ابن حبان بلفظ « آخر قرية في الاسلام خرابا المدينة » وصح « ان الدين ليأرز الى المدينة كما تأرز الحية الى جحرها » فظاهر هذه الاخبار التعارض ووجه الجمع ان الفتن تعم الدنيا كلها كما مر في خروج المهدي ويبقى أهل المدينة مع المهدي فيأرز الدين أي ينحسر ويدخل الى المدينة حينئذ لانهم المؤمنون الكاملون التابعون للخليفة الحق ثم انها تنفى خشها زمن الدجال ويبقى فيها الايمان الخالص بخلاف غيرها من بيت المقدس وغيرها من البلدان فيبقى فيهم أهل ذمة ومنافقون لانهم انما يؤمنون بعد نزول عيسى عليه السلام ، وكذلك مكة تقذف بمنافقيها الى الدجال أيضا • وقد قيل أن الريح الطيبة تأتي من الشام فيكون أهل الشام يقبضون قبل أن تصل المدينة أو من اليمن فكذلك أو من كليهما كما جمع به والامر ظاهر فيصدق انه آخر من يقبض من المؤمنين أهل المدينة وهذا محط حديث أبي هريرة فبمجرد موتهم تخرب المدينة لأنه ليس فيها سوى المؤمنين بخلاف غيرها فانها تبقى عامرة بشرار الناس كما أشار اليه في الاشاعة وهو حسن وباللله التوفيق

(الثانية)

(في ذكر خروج القحطاني والجهجاه والهيثم والمقعد وهؤلاء بعد موت المهدي) أخرج أبو الشيخ من حديث أبي هريرة رضى الله عنه مرفوعا « ينزل عيسى بن مريم عليه السلام فيقتل الدجال ويموت ، فيستخلفون - يعنى بعد وفاة سيدنا عيسى عليه السلام بأمره - رجلا من بنى تميم يقال له المقعد ، فاذا مات المقعد لم يأت على الناس ثلاث سنين حتى يرفع القرآن من صدور الرجال » ويبدأ النقص ليوافق ما يأتي من بقاء الدين مدة مديدة بعد سيدنا عيسى عليه السلام • والظاهر والله أعلم أن هذا التميمي الملقب بالمقعد هو شعيب بن صالح أحد الامراء والوزراء للمهدي بل هو أحد المهديين ، والظاهر أنه يبقى أميرا في نواحي الشرق ثم يستدعيه عيسى عليه السلام بعد وفاة المهدي عند خروج ذى السويقتين على مكة ونواحيها فيقتلهم ويسبيهم حتى يباع الحبشي بالعباءة ، ثم عند وفاة سيدنا المسيح يوصى له بالامر لما يرى فيه من الكفاءة لذلك والقيام بأعباء الدين • ولم أر هذا

الثانية خروج
القحطاني
والجهجاه والهيثم
والمقعد

التحرير لغيرى فان لم يكن هو شعيب بن صالح والا فهو أحد الامراء الذين كان يلقي عليهم أعباء الامر ، أو الذي يلي اماراة الشرق من بعد شعيبان كان هو قد مات ويكون هذا يلقب بالمقدم . وأخرج مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعا « لا تذهب الايام والليالى حتى يملك الناس رجل يقال له الجهجاه » وأخرج البخارى ومسلم وغيرهما عنه مرفوعا « لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسونق الناس بعصاه » وأخرج الطبرانى فى معجمه الكبير وابن منده وأبو نعيم وابن عساكر عن قيس بن جابر عن أبيه عن جده ان النبى صلى الله عليه وسلم قال « ستكون من بعدى خلفاء ومن بعد الخلفاء أمراء ومن بعد الامراء ملوك جابرة ثم يخرج من أهل بيتى المهدي يملأ الارض عدلا كما ملئت جورا ثم يؤمر القحطاني فوالذى بعثنى بالحق ما هو دونه » وأخرج نعيم بن حماد عن سليمان بن عيسى قال بلغنى أن المهدي يملك أربعة عشر سنة بيت المقدس ثم يموت ثم يكون من بعده رجل من قوم تبع يقال له المنصور يعنى القحطاني يمكث بيت المقدس احدى وعشرين سنة . قلت هذا لا يلتئم أن يكون هو شعيب بن صالح التميمي لان بنى تميم ليسوا من اليمن ولا من قحطان وان وافقه فى تلقيه بالمنصور . ثم يقتل هذا القحطاني ثم يملك المولى يعنى الجهجاه ويمكث ثلاث سنين ثم يقتل ثم يملك بعده الهيثم المهدي ثلاث سنين وأربعة أشهر وعشرة أيام . وهذا المهدي غير الاول وكأنه لقب بذلك لحسن سيرته وصفاء سريره . والحاصل أن الواجب اعتقاده من ذلك ما دلت عليه الاخبار والآثار الصريحة من وجود المهدي المنتظر الذى يخرج الدجال وسيدنا عيسى بن مريم فى زمنه ويصلى عيسى عليه السلام خلفه صلاة الفجر وهو المراد حيث أطلق المهدي . وأما المذكورون قبله فلم يصح فيهم شيء والذين من بعده فأمرأ صالحون لكن ليسوا مثله فهو آخرهم فى الوجود وأمامهم وخيرهم وأفضلهم فى الحقيقة والمراد غير سيدنا عيسى بن مريم عليه السلام فانه رسول كريم من أولى العزم وهو آية وعلامة وحده . فيجب الايمان بنزوله ، ويجب الايمان أيضا بخروج الدجال اللعين وان سيدنا عيسى عليه السلام يقتله باب لد عند بئر الزئبق ، ويجب الايمان بخروج

يأجوج ومأجوج وبأن الكعبة يهدمها ذو السويقتين في آخر الزمان والله تعالى المستعان

(الثالثة)

الثالثة حديث
حجوا قبل ان لا
تحجوا

جاء في الحديث الشريف انه صلى الله عليه وسلم قال « حجوا قبل أن لا تحجوا فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة ليرفعن هذا البيت من بين أظهركم حتى لا يدري أحدكم أين مكانه بالامس » وقد روى الحاكم والبيهقي من حديث علي رضي الله عنه مرفوعا « حجوا قبل أن لا تحجوا فكأنني أنظر الى حبشي أصمع أفدع بيده معول يهدمها حجرا حجرا » قوله أفدع هو بقاء ودال مهملة بوزن أفلع يمشى على ظهور قدميه ، وتقدم أن الاصمع بالصاد المهملة صغير الأذن . وأخرج البيهقي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا « حجوا قبل أن لا تحجوا » تقعد اغرابها على أذنان أوديتها فلا يصل الى الحج أحد » وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « استمتعوا بهذا البيت فقد هدم مرتين ويرفع في الثالثة » رواه البزار والطبراني في الكبير وابن حبان في صحيحهما والحاكم وقال صحيح الاسناد . قال ابن خزيمة قوله يرفع في الثالثة يريد بعد الثالثة وروى أبو القاسم الاصبهاني عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا « تعجلوا الى الحج - يعني الفريضة - فان أحدكم لا يدري ما يعرض له » والله تعالى أعلم .

(العلامة السادسة)

العلامة
السادسة
الدخان

من علامات الساعة واشراطها العظمى ما أشار اليه بقوله :

((وان منها آية الدخان))

((وان منها)) أي من اشراط الساعة التي ورد النص بها وانها حق يجب الايمان به ((آية)) أي علامة وأصلها أوية بفتح الواو وموضع العين واو والنسبة اليه أووى ، وقيل أصلها فاعلة فذهبت منها اللام أو العين تخفيفا ولو جاءت تامة لكانت آية . ومعنى الاي من كتاب الله تعالى جماعة حروف وكلمات من قولهم خرج القوم بآيتهم أي بجماعتهم لم يدعوا وراءهم شيئا واما في غيره فهي العلامة أي من اشراط الساعة علامة ((الدخان)) كرمز

وغراب لغتان والجمع أدخنة ودواخن ودواخين ، قال العلماء آية الدخان ثابتة بالكتاب والسنة اما الكتاب فقوله سبحانه وتعالى (فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين) قال ابن عباس وابن عمر رضى الله عنهم والحسن وزيد بن علي رحمهم الله تعالى هو دخان قبل قيام الساعة يدخل في أسماع الكفار والمنافقين ويعترى المؤمن كهيئة الزكام وتكون الارض كلها كبيت أوقد فيه ولم يأت بعد وهو آت • واما السنة فأخرج مسلم من حديث حذيفة بن اسيد رضى الله عنه قال طلع علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نتذاكر فقال « ما تذاكرون » قالوا الساعة يا رسول الله قال « انها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات » فذكر منها الدخان • ورواه الترمذى وابن ماجه وانه يمكث فى الارض أربعين يوما • وفى حديث حذيفة بن اليمان رضى الله عنه ان من اشراط الساعة دخانا يملأ ما بين المشرق والمغرب يمكث فى الارض أربعين يوما فأما المؤمن فيصيبه منه شبه الزكام وأما الكافر فيكون بمنزلة السكران يخرج الدخان من فيه ومنخره وعينه وأذنيه ودبره رواه الطبرانى ، ورواه البغوى ولفظه قال حذيفة بن اليمان رضى الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « أول الآيات الدخان ونزول عيسى بن مريم ونار تخرج من قعر عدن آيين تسوق الناس الى المحشر ثقيل معهم اذا قالوا « قال حذيفة يا رسول الله وما الدخان فتلا هذه الآية يوم (تأتي السماء بدخان مبين) يملأ ما بين المشرق والمغرب - الحديث • وفى صحيح مسلم من حديث أبى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « بادروا بالاعمال ستة طلوع الشمس من مغربها والدخان والدجال والدابة أو خاصة أحدكم (١) أوامر العامة » وفى رواية وأمر العامة وخويصة أحدكم •

وقيل ان الدخان مروانه الجوع الذى كان حال بين أبصار قريش وبين السماء ففى الصحيحين والترمذى عن مسروق قال كنا جلوسا عند عبد الله ابن مسعود وهو مضطجع بيننا فأتاه رجل فقال يا أبا عبد الرحمن ان قاصا عند أبواب كندة يقص ويزعم ان آية الدخان تجيء فتأخذ بأنفاس الكفار

(١) قوله أو خاصة أحدكم أى موته كما فى المطالع • اهـ مؤلف

ويأخذ المؤمن منها كهيئة الزكام فقال عبد الله وجلس وهو غضبان يا أيها الناس اتقوا الله من علم منكم شيئاً فليقل بما يعلم ومن لا يعلم فليقل الله أعلم فانه أعلم لأحدكم ان يقول لما لا يعلم الله أعلم فان الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم (قل لا أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلمين) ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأى من الناس ادباراً قال « اللهم سبع كسبع يوسف » وفي رواية لما دعا قريشا كذبوه واستصصوا عليه فقال اللهم أعنى عليهم سبع كسبع يوسف فأخذتهم سنة حصت كل شيء حتى أكلوا الجلود والميتة من الجوع وينظر أحدهم الى السماء فيرى كهيئة الدخان فأتاه أبو سفيان فقال يا محمد انك جئت تأمر بطاعة الله وبصلة الرحم وان قومك قد هلكوا فادع الله عز وجل لهم قال الله عز وجل (فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين) الى قوله (انكم عائدون) قال عبدالله أيكشف عذاب الآخرة ؟ (يوم نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون) فالبطشة يوم بدر وفي رواية قال عبد الله انما كان هذا لأن قريشا لما استصصوا على النبي صلى الله عليه وسلم دعا عليهم بسنين كسنى يوسف فأصابهم تحط وجهه حتى أكلوا العظام فجعل الرجل ينظر الى السماء فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد فأنزل الله عز وجل (فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين * يغشى الناس هذا عذاب أليم) قال فأنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل يا رسول الله استسقى لمضر فأتاهم هلكة . قال لمضر؟ انك لجرىء واستسقى لهم فسقوا فنزلت (انكم عائدون) فلما أصابهم الرفاهية عادوا الى حالهم حين أصابتهم الرفاهية فأنزل الله تعالى (يوم نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون) يعنى يوم بدر . وفي رواية فقيل له انا ان كشفنا عنهم عادوا فدعا ربه فكشف عنهم فعادوا فانتقم الله منهم يوم بدر فذلك قوله (فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين) الى قوله (انا منتقمون) وفي رواية الترمذى كقوله ربنا اكشف عنا العذاب فهل يكشف عذاب الآخرة ؟ قد مضى البطشة واللزام والدخان ، واللزام يوم بدر . وفي البخارى ومسلم قال عبد الله يعنى ابن مسعود رضى الله عنه : خمس قد مضى الدخان واللزام والروم والبطشة والقمر . قال في النهاية في حديث اشراط الساعة ذكر اللزام وفسر بأنه يوم بدر . انتهى . وكذا البطشة يوم بدر ، والروم

إشارة الى قوله (غلبت الروء) ، والقمر إشارة الى قوله (اقتربت الساعة وانشق
القمر) . قال العلامة الشيخ مرعى فى بهجته كغيره : كلام ابن مسعود رضى
الله عنه موافق لظاهر الآية فلا دليل فيها لما ذهب الجمهور وانما دليلهم
السنة وكان ذلك لم يبلغ ابن مسعود رضى الله عنه حين أنكر ذلك مع أنه
ورد عنه أيضا انه كان يقول : هما دخانان مضى واحد والذى بقى يملأ ما بين
السماء والارض ولا يجد المؤمن منه الا كالزكمة وأما الكافر فيشق مسامعه
فيبعث الله عند ذلك الريح الجنوب من اليمن فتقبض روح كل مؤمن ويبقى
شرار الناس . والذى أنكره ابن مسعود قد جاء عن علي بن أبى طالب
رضى الله عنه فأخرج عبد الرزاق وابن أبى حاتم من طريق الحارث عن
أمير المؤمنين علي بن أبى طالب رضى الله عنه قال قال : آية الدخان لم
تمض بعد يأخذ المؤمن منها كهيئة الزكام وينفخ الكافر حتى ينقد . وقد
أخرج الطبرانى من حديث أبى مالك الأشعري رضى الله عنه : ان ربكم
أنذركم ثلاثا الدخان يأخذ المؤمن كالزكمة - الحديث . وورد ذلك من
عدة طرق عن جماعة من الصحابة مرفوعا وموقوفا . قال الحافظ ابن حجر
فى فتح البارى : وتضافر هذه الاحاديث يدل على أن لذلك أصلا . وقد قيل ان
القاص الذى أنكر عليه ابن مسعود هو حذيفة بن اليمان رضى الله عنه
وهذا ليس بشيء فلا ينظر اليه ولا يعول عليه وبالله التوفيق .

(العلامة السابعة)

العلامة
السابعة رفع
القرآن

من علامات الساعة واشراطها رفع القرآن العظيم والذكر الحكيم من
الصدور ومن السطور واليه الإشارة بقوله :

((وانه يذهب بالقرآن))

((وانه)) أي الشأن والامر ((يذهب)) بضم التحتية مبني لما لم يسم
فاعله أي يذهب الله تعالى ((بالقرآن)) العظيم وكلام الله المنزل على النبي
الكريم من المصاحف والصدور وهي من أشد معضلات الامور ، فأخرج
الديلمى من حديث أبى هريرة وحذيفة رضى الله عنهما مرفوعا «يسرى
على كتاب الله ليلا فيصبح الناس وليس منه آية ولا حرف في جوف الا
نسخت » قال فى البهجة قرر الائمة انه يرفع أولا من المصاحف وذلك انهم

يبتون فيصبحون وليس فيها حرف مكتوب ثم يرفع من الصدور عقب ذلك لأعجل زمن حتى لا يكون شيء منه محفوظ حتى يقول الحافظ للآخر وقد سأله الآخر كنت أحفظ شيئاً نسيته لا أدري ما هو ، وفي الحديث « أكثروا من الطواف بالبيت قبل أن يرفع وينسى الناس مكانه وأكثروا تلاوة القرآن من قبل أن يرفع » قيل وكيف يرفع ما في صدور الرجال ؟ قال « يسرى عليهم ليلاً فيصبحون منه فقراء وينسون قول لا آله الا الله » وعند الديلمي من حديث ابن عمر رضى الله عنهما « لا تقوم الساعة حتى يرجع القرآن من حيث جاء له دوى حول العرش كدوى النحل فيقول الله عز وجل مالك؟ فيقول منك خرجت واليك أعود أتلى فلا يعمل بى » • وتقدم في مسألة الكلام على الكلام ما حكاه شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه عن السلف من أن القرآن العظيم كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ واليه يعود، وان معنى واليه يعود ما جاء في الآثار أن القرآن يسرى به حتى لا يبقى في المصاحف منه حرف ولا في القلوب منه آية • وأخرج ابن ماجه من حديث حذيفة رضى الله عنه مرفوعاً « يدرس الاسلام حتى لا يدري ما صيام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة ، ويسرى على كتاب الله تعالى في ليلة فلا يبقى في الارض منه آية » الحديث • وأخرج السجزي عن ابن عمر رضى الله عنهما مرفوعاً « لا تقوم القيامة حتى يرفع الركن والقرآن » وأخرج ابن ماجه بسند قوى والحاكم والبيهقى والضياء عن حذيفة رضى الله عنه قال : يدرس الاسلام كما يدرس وشى الثوب حتى لا يدري ما صيام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة ، ويسرى على كتاب الله في ليلة فلا يبقى في الارض منه آية ، ويبقى طوائف من الناس الشيخ والعجوز ويقولون أدركنا أباءنا على هذه الكلمة لا اله الا الله فنحن نقولها • والله أعلم

(العلامة الثامنة)

العلامة الثامنة
طلوع الشمس
من مغربها

من علامات الساعة واشراطها طلوع الشمس من مغربها وأشار إليها بقوله :

((طلوع شمس الافق من دبور))

ومنها ((طلوع شمس الافق)) قال الله تعالى (وسخر لكم الشمس

والقمر دائمين) وقال (وجعل الشمس سراجا) وأخرج الطبراني في الاوسط وأبو الشيخ وابن مردويه عن أنس رضى الله عنه قال حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الشمس والقمر والنجوم خلقن من نور العرش . وأخرج أبو الشيخ عن سلمان الفارسي رضى الله عنه قال خلق الله الشمس من نور عرشه وكتب في وجهها انى أنا الله لا اله الا أنا رضاي كلام وغضبي كلام ورحمتي كلام وعذابي كلام . وخلق القمر من نور حجابته الذى يليه وكتب في وجهه انى أنا الله لا اله الا أنا صنعت القمر وخلقنا الظلمات والنور فالظلمة ضلالة والنور هدى . أي أضل من شئت وأهدى من شئت . وكتب في بطنه انى أنا الله لا اله الا أنا خلقت الخير والشر بقدرتى وعزتى أتلى بهما من شئت من خلقى . وقد أخرج ابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن عكرمة قال : الشمس قدر الدنيا وزيادة ثلث، والقمر على قدر الدنيا . وأخرج من وجه آخر بلفظ سعة الارض بدل قدر الدنيا في الموضعين . وزعم أهل الهندسة ان الشمس أضعاف الارض مائة وستون مرة أو مائتين . والافق بالضم وبضمين الناحية والجمع آفاق والافق أيضا ما ظهر من نواحي الفلك وهو المراد هنا وقوله ((من دبور)) يضح الدال المهملة وضم الموحدة مخففة فراء بعد الواو جهة المغرب لانها تدابر باب الكعبة ، وتسمى الريح التى مهبها من جهة المغرب دبور قال النبي صلى الله عليه وسلم « نصرت بالصبا وهلكت عاد بالدبور » رواه الامام أحمد والشيخان من حديث ابن عباس رضى الله عنهما . وفي القاموس : دبرت الريح تحولت دبورا وهى ريح تقابل الصبا . قال الامام النووي الصبا بفتح الصاد المهملة مقصورا هى الريح الشرقية . قال العلماء رحمهم الله تعالى طلوع الشمس من مغربها ثابت بالسنة الصحيحة والاخبار الصريحة بل وبالكتاب المنزل على النبي المرسل قال تعالى (يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في ايمانها خيرا) الآية أجمع المقسرون أو جمهورهم على انها طلوع الشمس من مغربها . وقد خبط بعض العلماء في تفسير الآية الكريمة ولبط ولم يهتد لمقصودها الذى عليه المحط ، وحاصل ذلك المقصود من الآية الكريمة ان من لم يكن ايمانه متحققا اذا طلعت الشمس من مغربها لم ينفعه تجديد الايمان ولم ينفعه

نبوته بالسنة
والكتاب

تفصيل حال
الناس حين ذلك
فى الايمان
والعمل

فعل بر من جميع الاعمال لأنه فقد الايمان الذى هو الاساس لما عداه من تلك الاعمال فلا ينفعه ايمانه الحادث حيثذ ولا ما صدر منه قبل ذلك من الاحسان وعمل البر من صلة الارحام واعتاق الرقاب وقرى الاضياف وغير ذلك مما هو من مكارم الاخلاق لانها على غير أساس قال تعالى (والذين كفروا أعمالهم كرماد اشتدت به الريح) الآية والايمان الحادث في ذلك الوقت ليس مقبولا حتى يكون من باب «أسلم على ماسلف من الخير» فهؤلاء لا ينفعهم لا بانضمام الافعال اللاحقة ولا بانضمام أعمالهم السابقة لفقده الاساس الذى هو الايمان ، وأما من تحقق اتصافه بالايمان الشرعى من قبل ذلك الوقت واستمر ايمانه الى طلوع الشمس من مغربها فهو لا يخلو اما ان يكون مؤمنا مقيما على المعاصى لم يكسب في ايمانه خيرا أو مؤمنا مخلطا أو مؤمنا ثابا عن المعاصى كاسبا في ايمانه خيرا ما استطاع (فالأول) ينفعه الايمان السابق المجرد عن الاعمال لاصل النجاة فلا يخلد في النار وان دخلها بذنوبه ، فالايان السابق ينفعه وينفعه الايمان يومئذ أيضا لانه نور على نور ولكن لا تنفعه التوبة عن المعاصى ولا يقبل منه حسنة يعملها بعد ذلك (والثانى) ينفعه ايمانه السابق لأصل نجاته وينفعه ما قدمه من الحسنات لدرجاته وينفعه ايمان يومئذ أيضا لما مر ولكن لا تنفعه توبة حيثذ من التخليط ولا حسنة يعملها بعد ذلك ما لم يكن عملها من قبل واستمر على عملها من نحو صلاة وقراءة وذكر كان يعمله (والثالث) ينفعه ايمانه السابق لأجل نجاته وتنفعه أعماله السابقة الصالحة لدرجاته وينفعه ايمانه ذلك اليوم أيضا وينفعه ما يعمله بعد ذلك من الحسنات التى سبق منه أمثالها

وهذا التفصيل مما دلت عليه الآية الكريمة وبينته الاحاديث الواردة فى تفسير قوله تعالى (يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى ايمانها خيرا) من ذلك ما أخرج الشيخان وغيرهما من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فاذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون فذلك حين لا ينفع نفسا ايمانها » الآية وأخرج

ابن مردويه وابن أبي حاتم من حديث ابن عباس رضى الله عنهما قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عشية من العشيات فقال « يا عباد الله توبوا الى الله - مرات - فانكم توشكون ان تروا الشمس من المغرب فاذا فعلت ذلك حبست التوبة وطوى العمل وختم الايمان » الحديث وأخرج ابن أبي حاتم عن السدى فى قوله (أو كسبت فى ايمانها خيرا) يقول كسبت فى تصديقها عملا هؤلاء أهل القبلة ، وان كانت مصدقة لم تعمل قبل ذلك خيرا فعملت بعد أن رأت الآية لم يقبل منها ، وان عملت قبل الآية خيرا قبل منها • ومن ذلك ما أخرجه الامام احمد وابن مردويه والبيهقى فى الشعب من طريق مالك بن يخامر السكسكى عن عبد الرحمن بن عوف ومعاوية ابن أبى سفيان وعبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « الهجرة خصلتان احدهما ان تهجر السيئات والاخرى ان تهاجر الى الله ورسوله ، ولا تنقطع الهجرة ما تقبل التوبة ولا تزال التوبة مقبولة حتى تطلع الشمس من مغربها فاذا طلعت طبع على كل قلب بما فيه وكفى الناس العمل » وأخرج الامام احمد وعبد بن حميد ومسلم والحاكم وابن مردويه من حديث أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « بادروا بالاعمال ستا طلوع الشمس من مغربها والدجال والدخان ودابة الارض وخويصة أحدكم وأمر العامة » قال قتادة خويصة أحدكم الموت ، وأمر العامة الساعة ، وأخرج ابن مردويه من حديث ابن عباس رضى الله عنهما مرفوعا « خلق الله بابا للتوبة - وفيه - فذلك الباب مفتوح منذ خلقه الله الى صبيحة تلك الليلة عند طلوع الشمس والقمر من مغربهما - الى أن قال - فاذا أغلق باب التوبة لم يقبل لعبد بعد ذلك توبة ولم تنفعه حسنة يعملها بعد ذلك الا ما كانت قبل ذلك فانه يجرى لهم وعليهم بعد ذلك ما كان يجرى لهم قبل ذلك فذلك قوله تعالى (يوم يأتى بعض آيات ربك - الى قوله خيرا - » الحديث بطوله • وهذا الحديث وان كان سنده واهيا كما قاله بعض الحفاظ لكن له شواهد من الأحاديث الصحاح ، ويوضحه ما نقله العلامة المدقق ابن هشام فى معنى اللبيب عن ابن عطية وابن الحاجب ان الآية من حذف المعطوف أى لا ينفع نفسا ايمانها

وكسبها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا ، والآية من اللف والنشر ومفهومه انها اذا كانت كسبت ينفعها كسبها المائل للسابق وهو المطلوب

فيتلخص من مجموع الاحاديث المذكورة وما في معناها مما هو مسطر في الدر المتثور للحافظ جلال الدين السيوطي ان الشمس اذا طلعت من مغربها لا ينفع الايمان المحدث في ذلك اليوم لمن كان كافرا أو مشركا ، ولا التوبة المحدثه فيه لمن كان مخلطا ، ولا أعمال البر المحدثه فيه لمن لم يكن يعملها قبل ذلك اليوم ، وأما من كان قبل ذلك اليوم مؤمنا فان الايمان المجرد عن الاعمال الصالحة السابقة على ذلك اليوم ينفع صاحبه لأجل نجاته ، وإيمانه المتجدد يومئذ ينفعه أيضا لأنه نور على نور وان لم تقبل توبته عن سيئاته ، وان الايمان السابق مع التخليط ينفعه مع ما تقدم له من الاعمال الصالحة التي كان يعملها وانما الممنوع قبول توبته عن تخليطه وقبول مالم يكن متصفا به من الايمان وأعمال البر قبل ذلك اليوم . والضابط ان كل بر محدث يكون السبب في احداثه رؤية الآية ولم يسبق من صاحبه مثله لا ينفع ، سواء كان من الاصول أو الفروع ، وكل بر ليس كذلك لكون صاحبه كان عاملا به قبل رؤية الآية ينفع . وهذا التحقيق نبه على مثله الامام المحقق العلامة ابن مفلح في الآداب الكبرى قال في قوله صلى الله عليه وسلم « اذا طلعت الشمس من مغربها طبع الله عز وجل على كل قلب بما فيه وكفى الناس العمل » ليس المراد بهذا الخبر ترك ما كان يعمله من الفرائض أى وكذا من النوافل قبل طلوع الشمس من المغرب فيجب الاتيان بما كان يعمله من الفرائض قبل ذلك وينفعه ما يأتي به من الايمان الذى كان يأتي به قبل ذلك وكفى الناس العمل أى عملا لم يكونوا يفعلونه . قال وقد ذكر ابن حامد أن المذهب لا ينقطع التكليف خلافا للمعتزلة . وحكى ابن الجوزى عن الضحاك ان من أدركه بعض الآيات وهو على عمل صالح مع ايمانه قبل منه كما يقبل منه قبل الآية . قال ابن مفلح فالعمل الصالح الذى سببه ظهور الآية لا ينفع لأن الآية اضطرتة اليه ، واما ما كان يعمله فظهور الآية لا تأثير لها فيه فبقى الحكم كما قبل الآية . ونبه على مثله السيد

لا ينقطع
التكليف خلافا
للمعتزلة

محمد البرزنجي في كتابه الاشاعة في اشراط الساعة وشيخ مشايخنا العلامة ابراهيم الكوراني في شرح منظومة الشيخ محمد المقدسي القشاشي • وأشار اليه سابقا الحافظ ابن حجر في فتح الباري والحافظ السيوطي في الدر المنثور وغيرهم من المحققين فهو المعول عليه دون ما زعمه بعض المتحذلقين وبالله التوفيق

اذا فهمت ذلك فاعلم انه قد ورد في طلوع الشمس من مغربها عدة أحاديث منها ما أخرجه مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى وأيتهما كانت قبل صاحبتهما فالأخرى على أثرها قريبا منها • وفيه أيضا من حديث أبي هريرة رضى الله عنه « لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فاذا طلعت من مغربها آمن الناس كلهم أجمعون فيومئذ لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا » ورواه البخارى أيضا وفيه « حتى تطلع الشمس من مغربها فاذا رآها الناس آمن من عليها» - الحديث • وأخرج مسلم من حديث أبي ذر الغفارى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوما « أتدرون أين تذهب هذه الشمس ؟ » قالوا الله ورسوله أعلم « قال ان هذه تجرى حتى تنتهى الى مستقرها تحت العرش فتخر ساجدة فلا تزال كذلك حتى يقال لها ارجعى من حيث جئت فترجع طالعة من مطلعها تجرى لا يستنكر الناس منها شيئا حتى تنتهى الى مستقرها ذلك تحت العرش فيقال لها ارجعى ارتفعى أصبحى طالعة من مغربك • فتصبح طالعة من مغربها - فقال عليه السلام -- أتدرون متى ذلكم ؟ حين لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل» الآية • وأخرج الامام احمد وعبد بن حميد وعبد الرزاق والستة غير الترمذى وابن المنذر وأبو الشيخ وابن مردويه والبيهقى من حديث أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فاذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون وذلك حين لا ينفع نفسا إيمانها » ثم قرأ الآية • وتقدم قريبا • وأخرج ابن مردويه عن حذيفة رضى الله

عنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم ما آية طلوع الشمس من مغربها؟ فقال « طول تلك الليلة حتى تكون قدر ليلتين » وهو وابن أبي حاتم عن ابن عباس رضى الله عنهما مرفوعا « قدر ثلاث ليال » وعند البيهقي من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما مرفوعا « قدر ليلتين أو ثلاث فيستيقظ الذين يخشون ربهم فيصلون ويعملون كما كانوا ولا يرون الا قد قامت النجوم مكانها ثم يرقدون ثم يقومون ثم يقضون صلاتهم والليل كأنه لم ينقص فيضطجعون حتى اذا استيقظوا والليل مكانه حتى يتناول عليهم الليل فاذا رأوا ذلك خافوا أن يكون ذلك بين يدي أمر عظيم فيفزع الناس وهاج بعضهم فى بعض فقالوا ما هذا؟ فيفزعون الى المساجد فاذا أصبحوا طال عليهم طلوع الشمس بينما هم ينظرون طلوعها من المشرق اذا هى طالعة عليهم من مغربها فيضج الناس ضجة واحدة حتى اذا صارت فى وسط السماء رجعت وطلعت من مطلعها » وأخرج ابن مردويه وغيره من حديث أنس رضى الله عنه مرفوعا « صبيحة تطلع الشمس من مغربها يصير فى هذه الامة قرودة وخنازير تطوى الدواوين وتجف الاقلام لايزاد فى حسنة ولا ينقص من سيئة ولا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى ايمانها خيرا » وعند البيهقي « فيذهب الناس فيتصدقون بالذهب الاحمر فلا يقبل منهم ويقال لو كان بالأمس » وأخرج ابن مردويه من حديث ابن عباس رضى الله عنهما مرفوعا « لا تزال الشمس تجرى من مشرقها الى مغربها حتى يأتى الوقت الذى جعل الله لتوبة عباده فتستأذن الشمس من أين تطلع ويستأذن القمر من أن يطلع فلا يؤذن لهما فيحسبان مقدار ثلاث ليال للشمس وليلتين للقمر فلا يعرف مقدار جسهما الا قليل من الناس وهم بقية أهل الارض وحملة القرآن يقرأ كل رجل منهم وردة فى تلك الليلة حتى اذا فرغ منه نظر فاذا ليلته على حالها فيعود ويقرأ وردة فاذا فرغ نظر فاذا ليلته على حالها فلا يعرف ذلك الا حملة القرآن فينادى بعضهم بعضا فيجتمعون فى مساجدهم بالتضرع والبكاء والصراخ بقية تلك الليلة ومقدار تلك الليلة ثلاث ليال ثم يرسل الله جبريل الى الشمس والقمر فيقول ان الرب تعالى يأمر كما أن ترجعا الى مغربكما

فتطلعا منه فانه لا ضوء لكما عندنا ولا نور فتبكي الشمس والقمر خوف يوم القيامة وخوف الموت فترجع الشمس والقمر فيطلعان من مغربهما فينما الناس كذلك يتضرعون الى الله والغافلون في غفلاتهم اذ نادى مناد ألا ان باب التوبة قد أغلق وانشمس والقمر طلعا من مغاربهما فنظر الناس فاذا بهما أسودان كالعكمين لا ضوء لهما ولا نور فذلك قوله تعالى : (وجمع الشمس والقمر) « قوله كالعكمين تشية عكم بالكسر وهو الفرارة أي كالغرازين العظيمين ومنه يقال لمن شد الغرائر على الجمل : العكام ، وفي حديث أم زرع « عكوما رداح » يعنى غرائرها التي تكون فيها الامتعة وغيرها - فيرتفعان أي الشمس والقمر مثل البعيرين المقرونين ينازع كل منهما صاحبه استباقا ويتصايح أهل الدنيا وتذهل الامهات عن أولادها وتضع كل ذات حمل حملها فاما الصالحون والابرار فينفعهم بكاؤهم يومئذ ويكتب لهم عبادة ، وأما الفاسقون والفجار فلا ينفعهم بكاؤهم يومئذ ويكتب عليهم حسرة ، فاذا بلغت الشمس والقمر سره السماء وهو منتصفها جاءهما جبريل فأخذ بقرونهما فردهما الى المغرب فلا يغربهما في مغاربهما أي مغارب طلوعهما ذلك اليوم وهي جهة المشرق ولكن يغربهما في مغاربهما اللذين في باب التوبة ، فان الله تعالى خلق باب التوبة فهو من أبواب الجنة له مصراعان من ذهب مكللان بالدر والجوهر ما بين المصراع الى المصراع مسيرة أربعين عاما للمراكب المسرع فذلك الباب مفتوح منذ خلق الله خلقه الى صبيحة تلك الليلة عند طلوع الشمس والقمر من مغاربهما ولم يتب عبد من عباد الله توبة نصوحا من لدن آدم الى ذلك اليوم الا واجت تلك التوبة في ذلك الباب ثم ترفع الى الله - فيغير بهما جبريل في ذلك ثم يرد المصراعين فيلتشم ما بينهما ويصيران كأنهما لم يكن فيهما صدع قط ولا خلل فاذا أغلق باب التوبة لم يقبل لعبد بعد ذلك توبة ولم ينفعه حسنة يعملها بعد ذلك الا ما كان يجرى لهما قبل ذلك فذلك قوله تعالى (يوم يأتي بعض آيات ربك) الآية فقال : أبي بن كعب يا رسول الله فكيف باشمس والقمر بعد ذلك وكيف بالناس والدنيا ؟ قال ان الشمس والقمر يكسيان بعد ذلك ضوء النور ثم يطلعان على الناس ويغربان كما كانا قبل ذلك ، وأما الناس فانهم حيث رأوا

ما رأوا من تلك الآية وعظمتها يلحون على الدنيا فيعمرونها ويجرون فيها
الأنهار ويفرسون فيها الأشجار وينون فيها البنيان ، وأما الدنيا فلو أنتج
رجل مهرا لم يركبه حتى تقوم الساعة من لدن طلوع الشمس من مغربها
الى يوم ينفخ في الصور • وقد ذكر نحو ذلك القرطبي في تذكرته عن
الثعلبي وغيره من المفسرين عن أبي هريرة •

(تنبيهات)

تنبيهات الأول
في حال الناس
بعد طلوع
الشمس من
مغربها

(الأول) قد ورد عن ابن عمرو رضى الله عنهما : يمكث الناس بعد
طلوع الشمس من مغربها عشرين ومائة سنة • وروى عبد بن حميد عنه :
يبقى شرار الناس بعد طلوع الشمس من مغربها عشرين ومائة سنة •
وأخرج نعيم عن ابن عمرو : لا تقوم الساعة حتى تعبد العرب ما كان يعبد
آبؤها عشرين ومائة سنة بعد نزول عيسى بن مريم وبعد الدجال • وروى
عبد بن حميد من حديث أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : لا تقوم الساعة حتى يلتقى الشيخان الكبيران فيقول
أحدهما للآخر متى ولدت فيقول زمن طلعت الشمس من مغربها • وأخرج
ابن أبي شيبة وابن المنذر عن أبي هريرة رضى الله عنه : الآيات كلها في
ثمانية أشهر • وعن أبي العالية : في ستة أشهر • ومر : لو أن رجلا نتج
مهرا لم يركبه حتى ينفخ في الصور • وجمع الحافظ ابن حجر في فتح
البارى وتبعه السخاوي في القناعة والبرزنجي في الاشاعة بما حصله ان المدة
كما في الروايات الاولى عشرون ومائة سنة لكنها تمر مرا سريعا كمقدار
عشرين ومائة شهر كما في صحيح مسلم عن أبي هريرة مرفوعا « لا تقوم
الساعة حتى تكون السنة كالشهر » الحديث وفيه اليوم كالساعة • وعلى
هذا يكون تقارب الزمان وتقصير الايام مرتين مرة زمن الدجال ثم ترجع
بركة الارض وطول الايام الى حالها ، ثم تتناقص بعد موت سيدنا عيسى
عليه السلام الى أن تصير في آخر الزمان الى ما ذكر • قلت وأحسن من
هذا ما ذكره الطيبي أن الآيات على قسمين قسم يدل على
قرب الساعة وقسم يدل على حصولها ، وان من الأول الدجال ونزول
عيسى عليه السلام وخروج يأجوج ومأجوج والخسوف ، ومن الثاني

الدخان وطلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة والنار التي تخرج من
قعر عدن تحشر الناس ، فيكون المراد بالمدّة الطويلة باعتبار الاول والقصيرة
باعتبار الثاني اكن يعكر عليه بأن الخبر ناطق بأن العشرين ومائة سنة بعد
طلوع الشمس من مغربها ولهذا مال الكوراني الى الاول أو أن خبر عشرين
ومائة سنة غير صحيح ، واستدل لعدم صحة ذلك مع ما مر بقول السخاوي
ثبت أن الآيات العظام مثل السلك اذا انقطع تناثر الخرز سرعة . وفي
مرسل لأبي العانية أن بين أول الآيات وأخرها ستة أشهر يتابعن كتتابع
الخرزات في النظام . وتقدم قريبا . . ويشهد لتواليها خرزات منظومات في
سلك اذا انقطع السلك تبع بعضها بعضا . وفي رواية بين يدي الساعة
عشر آيات كالنظم في الخيط اذا سقط منها واحدة توالى

(الثاني)

الثاني ما جاء ان
طلوعها من
مغربها أول
الساعات وما
يخالفه والنظر
في ذلك

في حديث مسلم ان أول الآيات طلوع الشمس من مغربها . وقد
استشكل بأنه لو كان كذلك لم ينفع الكفار ايمانهم بعد نزول عيسى عليه
السلام ولا الفساق توبتهم لانغلاق باب التوبة ، وقد جاء النص بأنه ينفعهم
ذلك جزما والا لما صار الدين واحدا ولا كان في نزوله كبير فائدة ، وقد
اضطرب كلام العلماء من المحدثين والمفسرين في الجواب عن ذلك والجمع
بين الأحاديث ، وحاصل ذلك أنه أوجب بجوابين أحدهما للحافظ البيهقي
قال ان كان في علم الله تعالى ان طلوع الشمس سابق احتمل أن يكون
المراد نفى قبول توبة الذين شاهدوا طلوع الشمس من مغربها فاذا انقضوا
وتطاول الزمن وعاد بعضهم الى الكفر عاد تكليف الايمان بالغيب ، قال وان
كان في علم الله تعالى ان طلوع الشمس بعد نزول عيسى احتمل أن يكون
المراد بالآيات في حديث ابن عمرو آيات أخر غير الدجال ونزول عيسى-
يعنى وخروج المهدي . قال العلامة الشيخ مرعى عن الاخير هو المعتمد لما
مر من أن باب التوبة يعلق من حين طلوع الشمس من مغربها الى يوم
القيامة

الجواب الثاني ان خروج الدجال أول الآيات العظام المؤذنة بتغير انتظام
الاحوال العامة في معظم الارض وينتهي ذلك بموت سيدنا عيسى بن مريم

عليه السلام ، وطلوع الشمس من مغربها هو أول الآيات العظام المؤذنة بتغير انتظام العالم العلوى وينتهى ذلك بقيام الساعة ، وأما خروج الدابة فانه يقع فى ذلك اليوم الذى تطلع فيه الشمس من المغرب • قال الحاكم أبو عبد الله الذى يظهر أن طلوع الشمس يسبق خروج الدابة فى ذلك اليوم أو الذى يقرب منه والحكمة فى ذلك ان عند طلوع الشمس من المغرب يغلق باب التوبة فتخرج الدابة تميز المؤمن من الكافر تكميلا للمقصود من اغلاق باب التوبة • قال العلامة الشيخ مرعى وهذا كلام فى غاية التحقيق • قال بعضهم والحكمة فى طلوع الشمس من مغربها ان ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام لما قال للنمرود (ان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذى كفر) وان السحرة والمنجمين عن آخرهم ينكرون ذلك ويقولون هو غير كائن أطلعها الله تعالى يوما من المغرب ليرى المنكرين عظيم قدرته وباهر حكمته وان الشمس فى ملكه ان شاء أطلعها من المشرق أو المغرب أولا ولا • وقال الحلیمی من الشافعية : أول الآيات الدجال ثم نزول عيسى عليه السلام ثم طلوع الشمس من مغربها • (قلت) والذى يظهر والله أعلم أن أول الآيات خروج المهدي ثم الدجال ثم نزول عيسى ثم خروج يأجوج ومأجوج ثم هدم الكعبة ثم الدخان ثم ارتفاع القرآن ثم طلوع الشمس من مغربها ويحتمل ان طلوع الشمس متقدم على رفع القرآن وخروج الدابة عقب طلوع الشمس من مغربها فى يومها أو قريبا منها • وهذا هو النسق الذى مشينا عليه واخترناه والله أعلم • وأما خروج السفيناتي فانه وان كان قبل خروج المهدي الا أنه لم يعد خروجه آية وانما هو علامة لخروج المهدي والله أعلم

ترتيب الآيات

(التبيه الثالث)

قد ورد من حديث أنس رضى الله عنه عند ابن مردويه وغيره أن الدواوين تطوى والاقلام تجف ولا يزداد فى حسنة ولا ينقص من سيئة • وفى كلامهم بعضهم ولا يكتب عمل بعد ذلك وانهم اذا عملوا عملا فأجسامهم تشهد عليهم كما ورد عن عائشة رضى الله عنها : اذا خرجت أول الآيات تعنى طلوع الشمس من المغرب طرحت الاقلام وطويت الصحف وخلصت

الثالث فى طي
الدواوين
وجفاف الاقلام

الحفظة وشهدت الاجساد على الاعمال • رواه عبد بن حميد والطبري
سند صحيح • وعند نعيم بن حماد عن ابن حماد عن ابن عمرو فيناديهم
ناد : يا أيها الذين آمنوا قد قبل منكم ، ويا أيها الذين كفروا قد أغلق
عنكم باب التوبة وجفت الاقلام وطويت الصحف • وروى من طريق يزيد
ابن شريح وكثير بن مرة : اذا طلعت الشمس من المغرب يطبع على القلوب
بما فيها وترفع الحفظة وتؤمر الملائكة أن لا يكتبوا عملا • وعن ابن مسعود
رضى الله عنه انه قال الآية التي تختم الاعمال بها طلوع الشمس من
مغربها • فهذه آثار يشد بعضها بعضا متفقة على انه اذا طلعت الشمس من
المغرب أغلق باب التوبة ولم يفتح بعد ذلك ولا يختص ذلك بيوم طلوعها
بل يمتد الى يوم القيامة خلافا لمن زعم من العلماء انه انما يمتنع قبول الايمان
والتوبة وقت طلوع الشمس من المغرب أى فى تلك الحالة ، قالوا واما
من تاب بعد ذلك أو أسلم قبل ذلك منه • قال الحافظ ابن حجر فى فتح
البارى ما ملخصه : الذى دلت عليه الاحاديث الثابتة الصحاح والحسان
ان قبول التوبة مغييا بطلوع الشمس من مغربها ومفهومها انها بعد ذلك
لا تقبل بل قد جاء فى بعض الروايات التصريح بعدم القبول كما عند الامام
احمد والطبرى والطبرانى عن مالك بن يخامر ومعاوية وعبد الرحمن بن
عوف وعبد الله بن عمرو • رفعوه : لا تزال التوبة مقبولة حتى تطلع الشمس
من مغربها فاذا طلعت طبع على كل قلب بما فيه وكفى الناس العمل • وقد
مر من الاخبار والآثار ما يفيد ذلك افادة صريحة لا تحتمل التأويل ، ويؤيد
ذلك ما يأتى من أن ابليس يخسر ساجدا وان الدابة تقتله فانه لا يموت الا
عند الفراغ من العمل وبالله التوفيق •

((العلامة التاسعة))

العلامة التاسعة
دابة الارض

خروج دابة الارض واليها أشار بقوله

((كذات أجياد على المشهور))

((كذات)) أى صاحبة ((أجياد)) وأجياد كما فى القاموس اسم أرض
بمكة أو جبل بها قال سمي بذلك لكونه موضع خيل تبع • انتهى • قلت
وفيه نظر فان تسميته بأجياد متقدمة على تبع وخيله ففى تفسير القرطبي

وروه الحكيم الترمذى عن ابن عباس رضى الله عنهما لما أذن الله لابراهيم واسماعيل برفع القواعد من البيت قال الله تبارك اسمه أنى معطيكما كنزا ادخرته لكما ثم أوحى الى اسماعيل ان اخرج الى أجياد فادع يأتك الكنز فخرج الى أجياد ولا يدري ما الدعاء ولا الكنز فألهمه الله الدعاء فلم يبق على وجه الارض فرس الا جاءته وأمكنته من ناصيتها وذللها له . وفى حياة الحيوان للدميرى أول من ركب الخيل اسماعيل عليه السلام ولذلك سميت العرب وكانت قبل ذلك وحشا كسائر الوحوش فلما أذن الله تعالى الى ابراهيم واسماعيل عليهما السلام برفع القواعد من البيت قال الله عز وجل انى معطيكما كنزا ادخرته لكما ثم أوحى الله عز وجل الى اسماعيل - الحديث وفيه ولذلك قال نبينا صلى الله عليه وسلم « اركبوا الخيل فانها ميراث أبيكم اسماعيل » . قلت ولعل تسمية المحل المذكور لمجيء الخيل الجياد اليه مجيبة سيدنا اسماعيل عليه السلام ويقال له جياد أيضا بغير ألف قبل الجيم وقوله ((على)) القول ((المشهور)) من اضافتها الى اجياد لكونها تخرج منه ففي حديث أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعا « تخرج دابة الارض من أجياد فيبلغ صدرها الركن اليمانى ولم يخرج ذنبها بعد وهى دابة ذات قوائم » وعن أبى هريرة رضى الله عنه أيضا أنه أراه النبى صلى الله عليه وسلم المكان الذى تخرج منه الدابة . وعن أبى هريرة أيضا رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « بشس الشعب شعب أجياد » قالها مرتين أو ثلاثا قالوا وما ذاك يا رسول الله ؟ قال « تخرج منه الدابة فتصرخ ثلاث صرخات فيسمعها من فى الخافقين » رواه الطبرانى فى الاوسط . وفى حديث بريدة رضى الله عنه قال ذهب بى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى موضع بالبادية قريب من مكة فاذا بأرض يابسة حولها رمل فقال صلى الله عليه وسلم « تخرج الدابة من هذا الموضع » والحاصل ان فى المحل الذى تخرج منه الدابة أقوالا من أشهرها أجياد كما أشرنا اليه ، قال الحافظ السخاوى فى القناعة وخروجها فى آخر الزمان من مكة اما من صدع الصفا وبه جزم غير واحد أو من المروة أو من شعب أجياد أو من بعض أودية تهامة أو من وراء مكة أو من مدينة قوم لوط . انتهى .

اختلاف المنقول
فى محل خروجها
وما قيل من
تكرره

وقيل بل أول خروجها من أقصى اليمن ، وهذا أخرجه الحاكم في المستدرک عن أبي الطفيل عن أبي سريحة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « يكون للدابة ثلاث خرجات في الدهر تخرج في أول خرجة في أقصى اليمن منتشرا ذكرها بالبادية ولا يدخل ذكرها القرية - یعنی مكة ، ثم تمكث زمانا طويلا تخرج خرجة أخرى دون تلك فيملو ذكرها في أهل البادية ويدخل ذكرها القرية ، ثم بينما الناس في أعظم المساجد حرمة وأجها الى الله وأكرمها على الله - یعنی المسجد الحرام - لم يرعهم الا وهى فى ناحية المسجد من الركن الاسود وباب بنى مخزوم فيرفض الناس عنها وثبت عصابة من المسلمين عرفوا انهم لن يعجزوا الله فتنفض عن رأسها التراب فتجلو عن وجوههم حتى كأنهم الكواكب الدرية - الحديث

وقد جمع بعضهم بين الروايات بأن للدابة ثلاث خرجات ففي بعض خرجاتها تخرج من مدينة قوم لوط ويصدق عليها انها من أقصى البادية ، وفي بعضها تخرج من بعض أودية تهامة ويصدق عليها انها من وراء مكة وانها من اليمن لان الحجاز يمانية ومن ثم قيل الكعبة يمانية ، والمرة الثالثة تخرج من مكة وهى من كبرها وعظم جنتها وطولها يمكن أن تخرج من بين الصفا والمروة واجباد فانها تمتد مقدار ثلاثة أيام وأكثر وحينئذ يصدق عليها أنها خرجت من المروة ومن الصفا ومن أجباد ومن المسجد ومن البادية التى يقرب مكة كما فى حديث بريدة • وجمع بعضهم أيضا بوجه آخر وهو أنها تخرج من جميع تلك الاماكن فى آن واحد خرقا للعادة فى صور متباينة على أنه وود فى رواية كما فى حياة الحيوان أنه يخرج من كل بلد دابة مما هو مبثوث نوعها فى الارض فليست بواحدة فيكون قوله دابة اسم جنس • وذكر الكوراني انه حيث ورد فى المرفوع لها ثلاث خرجات من ثلاث محلات ، ومن المذكور فى الاصول ان العدد لا مفهوم له ومن ثم قال أهل الاصول : والتخصيص بالعدد لا يدل على الزائد والناقص ، فجاز أن يكون لها أكثر من ثلاث خرجات كل خرجة من محل فيصح خروجها من كل محل ذكره ، وكذلك الاختلاف فى طولها وغيره فان الاقل لا ينافى الاكثر بناء على أن العدد لا مفهوم له • انتهى • وورد أن خروجها ليل جمع

والناس سائرون الى منى فيتصدع الصفا فتخرج منه ، وقيل تخرج من الحجر ، وقيل من ارض الطائف ، ومعها عصا موسى وخاتم سليمان عليهما السلام لا يدركها طالب ولا يعجزها هارب

**خروجها ثابت
بالكتاب والسنة
وصفتها وعملها**

اذا علمت ذلك فخرج الدابة المذكورة ثابت بالكتاب والسنة ، أما الكتاب فقوله تعالى : (واذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم ان الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون) وأما السنة فكثيرة منها ما فى حديث حذيفة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « دابة الارض طولها ستون ذراعا لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب » وفى حديث أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعا « تخرج دابة الارض من اجياد فيبلغ صدرها الركن اليمانى ولم يخرج ذنبها بعد وهى دابة ذات قوائم » وفى حديث حذيفة يرفعه « أول ما يبدو منها رأسها معلمة ذات وبر وريش » وقال أمير المؤمنين على رضى الله عنه تخرج ثلاثة أيام والناس ينظرون فلا يخرج الا ثلثها • وروى فلا يخرج الا رأسها فيبلغ عنان السماء وتبلغ السحاب • وقال أبو هريرة رضى الله عنه فيها من كل لون وما بين قرنيها فرسخ للراكب • وقال وهب : وجهها وجه رجل وسائر خلقها كخلق الطير • وقال ابن جرير : رأسها رأس الثور ، وعينها عين خنزير ، وأذنها أذن فيل ، وقرنها قرن ابل ، وعنقها عنق نعامة ، وصدرها صدر أسد ، ولونها لون نمر ، وخاصرتها خاصرة هر ، وذنبها ذنب تيس ، وقوائمها قوائم بعير ، بين كل مفصلين اثني عشر ذراعا بذراع آدم عليه السلام • وقال كعب صوتها صوت حمار • وأخرج الامام احمد والترمذى وابن ماجه والحاكم من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تخرج الدابة ومعها خاتم سليمان وعصا موسى فتجلو وجه المؤمن بالمصا وتخطم أنف الكافر بالخاتم حتى أن أهل الخوان ليجتمعون فيقول هذا يا مؤمن ويقول هذا يا كافر » وأخرج الامام احمد أيضا من حديث أبى أمامة رضى الله عنه مرفوعا « تخرج الدابة فتسم الناس على خراطيمهم ثم يعمرن فيكم ثم يشتري الرجل الدابة فيقول ممن اشترت فيقول من الرجل المخطم » وقال ابن عباس رضى الله عنهما ان لها عنقا مشرفاى طويلا

يراهما من بالشرق كما يراها من بالمغرب ، ولها وجه كوجه الانسان ، ومنقار
كمنقار الطير ، ذات وبر وزغب . وعن ابن عباس رضى الله انها ذات زغب
وريش فيها من ألوان الدواب كلها وقلها من كل أمة سيمة وسيمائها من هذه
الامة أنها تكلم الناس بلسان عربى ميين وتكلمهم بكلامهم ، (قوله) ذات
زغب أى عليها زغب وهو صفار الريش أول ما يطلع كما فى النهاية ،
والايل بفتح الهمزة وكسر التحيّة مشددة وبضم وفتح (الواو وكسر)
العين وهو تيس الجبل والسيمة العلامة .

وعن أمير المؤمنين علي بن أبى طالب رضى الله عنه انه قيل له ان ناسا
يزعمون انك دابة الارض فقال : والله ان لدابة الارض ريشا وزغبا ومالى
ريش ولا زغب ، وان لها حافرا وانها لتخرج حضر الفرس الجواد ثلاثا
وما خرج ثلاثها . وفي الميزان للحافظ الذهبى عن جابر الجعفى انه كان
يقول : دابة الارض علي بن أبى طالب . قال الذهبى : وكان جابر الجعفى
شيعيا يرى الرجعة - أى ان عليا يرجع الى الدنيا . قال الامام أبو حنيفة
ما لقيت أحدا أكذب من جابر الجعفى ولا أفضل من عطاء بن أبى رباح . وقال
اشافعى أخبرنى سفيان بن عيينة قال كنا في منزل جابر الجعفى فتكلم بشيء
فنزلنا خوفا ان يقع علينا السقف . ومع ذلك روى له أبو داود والترمذى
وابن ماجه ومات سنة ست وستين ومائة (١) عفا الله عنه . وقال ابن الاثير فى
جامع الاصول : جابر بن يزيد الجعفى ويقال أبو محمد من أهل الكوفة
مشهور ، وكان من أصحاب عبد الله بن سبأ ، وكان يقول ان علي بن أبى
طالب يرجع الى الدنيا - وذكر ما قاله أبو حنيفة رضى الله عنه فيه ، قال :
ومات سنة ثمان وعشرين ومائة . وقال الحافظ المنذرى فى آخر كتابه
الترغيب والترهيب : جابر بن يزيد الجعفى الكوفى عالم الشيعة ترك يحيى
القطان حديثه ، وقال النسائى وغيره : متروك ، ووثقه شعبة وسفيان الثورى ،
وقال وكيع : ما شككتم فى شيء فلا تشكوا أن جابرا الجعفى ثقة . والله
أعلم .

قال العلماء رحمهم الله تعالى كما فى الاحاديث ان مع الدابة عصا موسى

(١) كذا والمعروف سنة ثمانى وعشرين ومائة .

وخاتم سليمان عليهما السلام وتنادى بأعلى صوتها (أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون) وتسم الناس المؤمن والكافر فأما للمؤمن فيرى وجهه كأنه كوكب درى ويكتب بين عينيه مؤمن ، وأما الكافر فتنتك بين عينيه نكتة سوداء ويكتب بين عينيه كافر ، فلا يبقى مؤمن الا نكتت في مسجده بعضا موسى نكتة بيضاء فتفשו تلك النكتة حتى يبيض لها وجهه ، ولا يبقى كافر الا نكتت في وجهه نكتة سوداء بخاتم سليمان فتفשו تلك النكتة حتى يسود لها وجهه . وفي رواية فتلقي المؤمن قسمه في وجهه نكتة فيبيض لها وجهه ، وتسم الكافر نكتة يسود لها وجهه . وفي أخرى فتجلو وجه المؤمن بالعصا وتخطم أنف الكافر بالخاتم حتى ان أهل الخوان ليجتمعون فيقولون لهذا يا مؤمن ولهذا يا كافر ويتعوذ بعض الناس منها بالصلاة فتأتيه من خلفه فتقول يا فلان الآن تصلى فيقبل عليها فتسمه في وجهه ثم تنطلق ، ويشترك الناس في الاموال ويصطحبون في الامصار يعرف المؤمن الكافر وبالعكس حتى ان المؤمن ليقول للكافر يا كافر اقض حقي ، وتستقبل المشرق فتصرخ صرخة تنفذها ، ثم تستقبل الشام فتصرخ صرخة تنفذها ، ثم المغرب واليمن كذلك . وأخرج نعيم بن حماد في الفتن والحاكم في المستدرک عن ابن مسعود رضی الله عنه قال : لا يلبثون - یعنی الناس بعد يأجوج ومأجوج حتى تطلع الشمس من مغربها ، وجفت الاقلام وطويت الصحف ولا يقبل لأحد توبة ، ويخر ابليس ساجدا ينادى الهی مرني اسجد لمن شئت ، وتجتمع اليه الشياطين تقول يا سيدنا الى من نفرع فيقول انما سألت ربي ان ينظرني الى يوم البعث فانظرني الى يوم الوقت المعلوم وقد طلعت الشمس من مغربها فهذا يوم الوقت المعلوم ، وتصير الشياطين ظاهرة في الارض حتى يقول الرجل هذا قريني الذي كان يغيثني فالحمد لله الذي أخزاه ، ولا يزال ابليس ساجدا باكيا حتى تخرج الدابة فقتله وهو ساجد . قال العلماء في سؤال ابليس ان ينظر ليوم البعث مكر منه وخداع وجهل برب العالمين فانه انما حاول ان لا يدوق الموت لان يوم البعث ليس بيوم موت وانما هو يوم بعث وتنشور واحياء وبعثرة لمن في القبور فاذا كان الامر كذلك فكيف يقبض اد ذاك ابليس أو غيره وانما ذلك يوم الجزاء فأجابه العليم الحكيم بأنه منظر الى يوم الوقت المعلوم . وهذا أصح من قول كعب الاجبار بأن

ابليس انما يذوق الموت يوم الحشر كما ذكره الكعائى في المرائس وبالله التوفيق .

(فائدة)

فائدة قيل انها
الجساسة وقيل
انها الثعبان
الذى كان يبشر
الكعبة

روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما ان الدابة هى الجساسة المذكورة في قصة تميم الدارى رضى الله عنه . وعن ابن عباس رضى الله عنهما انها الثعبان الذى كان في بئر الكعبة فاخطفته العقاب حين ارادت قريش بناء البيت الحرام وان الطائر حين اختطفها ألقاها بالحجون . وفي التمهيد لابن عبد البر عن عمرو بن دينار انه رمى بها في اجياد فالتقتها الارض فهى الدابة التى تخرج تكلم الناس وتخرج عند الصفا . وفي حياة الحيوان جاء عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما انها أى الجساسة دابة الارض المذكورة في القرآن قال وهى بجزيرة بحر القلزم والله أعلم .

(العلامة العاشرة)

العلامة العاشرة
خروج نار من
قعر عدن أو غيره

خروج النار التى تخرج من قعر عدن تحشر الناس الى محشرهم واليها أشار بقوله :

((و آخر الآيات حشر النار كما أتى في محكم الاخبار))

((و آخر الآيات)) العظام والعلامات الجسام ((حشر النار)) للناس من المشرق الى المغرب ومن اليمن الى مهاجر ابراهيم عليه السلام وهو أرض الشام ((كما أتى)) ذلك مصرحا به ((في محكم الاخبار)) وصحيح الآثار كما ستقف على جملة من ذلك . فان قلت في قولك و آخر الآيات مصادمة للحديث الصحيح والخبر الثابت الصريح عن سيد البشر و خلاصة العالم وأصدق من أخبر وصفوة بنى آدم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فقد أخرج الامام أحمد في مسنده والبخارى في صحيحه والنسائى في سننه عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اما أول اشراط الساعة فان تخرج من المشرق فتحشر الناس الى المغرب » الحديث . قلت تقدم في حديث حذيفة بن أسيد الغفارى انه صلى الله عليه وسلم قال لن تقوم الساعة حتى ترى قبلها عشر آيات فذكر الدخان والدجال

والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم عليه السلام
وخروج يأجوج ومأجوج وثلاث خسوف خسف بالشرق وخسف بالمغرب
وخسف بجزيرة العرب ، قال وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد
الناس الى محشرهم . وفي لفظ أن الساعة لا تكون حتى تكون عشر آيات
فعلها وفي آخرها نار تخرج من قعر عدن ترحل الناس . قال شعبة وأحسه
قال تنزل معهم اذ انزلوا وتقبل معهم حيث قالوا . رواه مسلم في صحيحه بعدة
طرق ، ورواه الامام أحمد وأصحاب السنن الاربعة . وقد جمع بعض العلماء
بينهما بأن آخريه خروج النار باعتبار ما ذكر معها من الآيات وأوليها بأنها
من أول الآيات التي لا شيء بعدها من أمور الدنيا أصلا بل يقع بانتهاؤها
الفتح في الصور بخلاف ما ذكر معها فانه يبقى بعد كل آية منها أشياء من
أمر الدنيا . ذكره الحافظ السخاوي . وذكر غيره من العلماء بأن النار
ناران احدهما تحشر الناس من المشرق الى المغرب ، والثانية تخرج من
اليمن فتطرد الناس الى المحشر الذي هو أرض الشام ، فلعل احدي النارين
في أول الآيات والاخرى في آخرها ، وحيث فلا حاجة الى الجمع الذي
ذكره الحافظ السخاوي ، وان لم يكن في علم الله الا نار واحدة فجمع
السخاوي موجه وعليه فالجمع بين حديث نار تخرج قبل يوم القيامة من
حضر موت فسوق الناس ، وفي لفظ تخرج نار من قعر عدن ترحل الناس
الى المحشر ، وحديث نار تحشر الناس من المشرق الى المغرب ، فأن يقال ان
الشام الذي هو المحشر مغرب بالنسبة الى المشرق فيكون ابتداء خروجها
قعر عدن من اليمن فاذا خرجت انتشرت الى المشرق فتحشر أهله الى المغرب
الذي هو الشام وهو المحشر ، ولفظة أبين بوزن أحمر اسم الملك الذي
بناها ، وفي نهاية ابن الاثير عدن أبين مدينة معروفة باليمن أضيفت الى أبين
بوزن أبيض وهو رجل من حمير عدن بها أي أقام . انتهى . وفي القاموس
عدن أبين محرقة جزيرة باليمن أقام بها ، وعدن لاعة قرية بقرية . وأخرج
الامام أحمد عن ابن عمرو رضى الله عنهما : ستكون هجرة بعد هجرة
فخيار أهل الارض ألزمهم مهاجر ابراهيم عليه السلام ويبقى في الارض
شرار أهلها تلفظهم أرضهم وتقدرهم نفس الله وتحشرهم النار مع القردة
والخنازير تبيت معهم اذا باتوا وتقبل معهم اذا قالوا وتاكل من تخلف .

ورواه أبو داود والحاكم وأبو نعيم (قوله) تقذره نفس الله هو من المشابهة والايمان به واجب كما أخبر لا كما يتوهمه البشر . وأخرج الامام أحمد أيضا والترمذي وقال حسن صحيح عن ابن عمرو أيضا رضى الله عنهما مرفوعا : ستخرج نار من حضرموت أو بحضرموت قبل يوم القيامة تجسر الناس . قالوا يا رسول الله فما تأمرنا ؟ قال : عليكم بالشام . يعنى وهو المراد بمهاجر ابراهيم . وأخرج الطبراني وابن عساکر عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه مرفوعا : لتقصدنكم نار هى اليوم خادمة في واد يقال له برهوت يغشى الناس فيها عذاب أليم تأكل الانفس والاموال تدور الدنيا كلها في ثمانية أيام ، تطير طير الريح والسحاب ، حرها بالليل أشد من حرها بالنار ، ولها بين السماء والارض دوى كدوى الرعد القاصف . هى من رعوس الخلائق أدنى من العرش . قيل يا رسول الله أسليمة يومئذ على المؤمنين والمؤمنات ؟ قال وأين المؤمنون والمؤمنات يومئذ ؟ شر من الحمر يتساقدون كما تتسافد البهائم وليس فيهم رجل يقول مومه . وأخرج البغوى والبارودى وابن قانع وابن حبان : يوشك ان تخرج نار من حبس سيل تسير سير بطيئة الابل ، تسير بالنتهار وتقيم بالليل ، تغدو وتروح ، يقال غدت النار أيها الناس فأغدوا ، قالت أيها الناس فقللوا ، راحت النار أيها الناس فروحوا ، من أدركته أكلته ،

اختلاف المنقول
في موضع
خروجها والجمع
بين الاوجه

فإذا قيل ما وجه الجمع بين كونها تخرج من قعر عدن ومن برهوت ومن حبس سيل ؟ فالجواب انها تخرج أولا من برهوت ويقال له وادى النار وهو في قعر عدن وعدن على ساحل البحر فالعبارات ما آلتها واحد وتمر بحبس سيل أيضا والخطاب لأهل المدينة وحبس سيل قريب من المدينة فوصول النار اليه يكون قبل وصولها الى المدينة فصح ان يقال لهم تخرج نار من حبس سيل . فان قيل ما وجه الجمع بين كونها تطير طير الريح والسحاب وتدور الدنيا كلها في ثمانية أيام ، وبين كونها تسير سير بطيئة الابل ؟ فالجواب ان لها حالات فتارة هكذا وتارة هكذا ، وان ثبت تعدد النار زال أصل الاستشكال . والله أعلم .

تتمة في عموم
الكفر آخر الزمان

(تتمه) ثبت بالسنة الصحيحة ان أهل الارض يكفرون ويعبدون الاوثان

وانه لا تقوم الساعة الا على شرار الناس ، فقد أخرج الامام أحمد ومسلم من حديث ابن عمرو رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تجيء بعد موت عيسى عليه السلام ريح ياردة من قبل الشمام فلا تبقى على وجه الارض أحدا فى قلبه مثقال ذرة من ايمان الا قبضته حتى لو أن أحدكم دخل فى كبد جبل لدخلت عليه حتى تقبضه فيبقى شرار الناس فى خفة الطير وأحلام السباع لا يعرفون معروفًا ولا ينكرون منكرا فيمثل لهم الشيطان ؟ فيقولون ما تأمرنا ؟ فيأمرهم بعبادة الاوثان ، فيعبدونها وهم فى ذلك دار رزقهم حسن عيشهم ثم ينفخ فى الصور » • فان قلت أليس قد ذكرت ان الدابة تقتل ابليس ؟ فالجواب انه ليس فى الحديث ان الذى يظهر لهم ابليس بل يجوز أن يكون شيطانا آخر غير ابليس من ذريته • وأخرج الامام أحمد ومسلم أيضا والترمذى من حديث النواس بن سمران « فينما هم كذلك اذ بعث الله ريحا طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون تهارج الحمر - أي يتسافدون تسافد الحمر جمع حمار - فعليهم تقوم الساعة » • وفى حديث أبى هريرة مرفوعا عند الحاكم « ان الله يبعث ريحا من اليمن ألين من الحرير فلا تدع أحدا فى قلبه مثقال حبة من ايمان الا قبضته » • وقد جاءت رواية بأن الريح تأتي من قبل الشام وهنا انها من قبل اليمن ؟ والجواب انها ريحان شامية وبمانية • وأخرج الامام أحمد بسند قوى عن أنس رضى الله عنه مرفوعا « لا تقوم الساعة حتى لا يقال فى الارض لا آله الا الله » ورواه مسلم بلفظ « حتى لا يقال فى الارض الله الله » فان قيل كيف هذا مع ما صح عنه صلى الله عليه وسلم من قوله « لا تزال طائفة من أمتى ظاهرة على الحق الى يوم القيامة حتى يأتي أمر الله » (فالجواب) هذا غير مصادم للحديث لأن معناه انهم لا يزالون على الحق حتى تأتيهم هذه الريح اللينة قرب القيامة وعند تظاهر اشراتها ، فاطلق فيه بقاءهم الى قيام الساعة مريدا اشراتها وذنوها المتناهى فى القرب ، ومثله قول بعضهم أمر الله هو هبوب تلك الريح الآتى بعد وقوع الآيات العظام التى بعضها(١) قيام الساعة ولا يتخلف عنها الا شيئا يسيرا

الريح التي
تقبض بقية
المؤمنين وهل
هما ريحان ؟

حديث لا تزال
طائفة من أمتى
واجمع بينه
وبين الاحاديث
الآخري

(١) بهامش مط « لعل الصواب يعقبها » وبها مش مخ « لعله بعدعاه »

واس فيهم يعنى من يبقى بعد هبوب الريح مؤمن وعليهم تقوم الساعة • وعلى هذا فآخر الآيات المؤذنة بقيام الساعة هبوب تلك الريح كما في القنائة للحافظ السخاوى • وفي المستدرک بسند صحيح عن عائشة رضى الله عنها مرفوعا « لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى ويبعث الله ريحا طيبة فتتوفي من كان في قلبه مثقال حبة خردل من خير فيبقى من لا خير فيه فيرجعون على دين آبائهم » وفي مرفوع ابن عمرو رضى الله عنهما « لا تقوم الساعة حتى يبعث الله ريحا لا تدع أحدا في قلبه مثقال ذرة من خير الا قبضته ويلحق كل قوم بما كان . يعبد آباؤهم في الجاهلية ويبقى عجاج من الناس لا يأمرؤن بمعروف ولا ينهون عن منكر يتناكحون في الطرق فاذا كان ذلك اشتد غضب الله على أهل الارض فأقام الساعة » وفي مستدرک الحاكم من مرفوع أبى هريرة « وحتى تؤخذ المرأة جهازا نهارا تنكح وسط الطريق لا ينكر ذلك أحد » وفي لفظ « حتى ينكح أحدكم أمه فيكون أمثلهم يومئذ الذى يقول لو نحيثها عن الطريق قليلا، فذلك فيهم مثل أبى بكر وعمر فيكم » قال القرطبي فى تذكرته عن بعض العلماء : اذا أراد الله انقراض الدنيا وتمام ليلها وقربت النفخة خرجت نار من قعر عدن تسوق الناس الى المحشر تبيت معهم وتقبل حتى يجتمع الخلق بالمحشر الانس والجن والدواب والوحش والسباع والطيور والهوام وخشاش الارض وكل ذى روح • ثم ذكر النفخة

((فكلها صحت بها الاخبار وسطرت آثارها الاخبار))

((فكلها)) أى اشرط الساعة المذكورة وعلاماتها المسطورة ((صحت بها الاخبار)) عن النبى المختار وأصحابه الابرار صلوات الله وسلامه عليه وعليهم ما تعاقب الليل والنهار ((و)) كلها قد ((سطرت)) أى كتبت وأصل السطر الصف من الشيء والكتاب والشجر وغيره والجمع أسطر وسطور وأسطار وجمع الجمع أساطير ويطلق السطر أيضا على الخط والكتابة ويحرك فى الكل كما فى القاموس ((آثارها)) مفعول سطرت أى الآثار الدالة عليها والمتضمنة لاثباتها ومجيئها فى أوقاتها وعلاماتها المشيرة الى اقترابها ((الاخبار)) فاعل سطرت وانما أنت الفعل لان الجمع مؤنث فى

المعنى اذ معناه الجماعة وهو جمع خير وخير ككيس والمؤنثة خيرة ، ويجمع
خير أيضا على خيار من غير ألف قبل الخاء المعجمة ، وقيل ان المخففة
مختصة بما فى الجمال والميسم والمشددة فى الدين والصلاح . والخير
ضد الشر والاخيار ضد الاشرار . والمراد بهم هنا علماء الامة من التابعين
ونابغهم وأئمة السلف ومقلديهم . وقد روى أبو نعيم فى الحلية والخطيب
فى التاريخ من حديث أبى هريرة رضى الله عنه والقضاعى من حديث ابن
عمر رضى الله عنهما أنه صلى الله عليه وسلم قال « خيار أمتى علماءؤها
وخيار علمائها رحماؤها ألا وان الله تعالى ليغفر للعالم أربعين ذنبا قبل أن
يفغر للجاهل ذنبا واحدا ، ألا وأن العالم الرحيم يضىء يوم القيامة وان نوره
قد أضاء يمشى فيه ما بين المشرق والمغرب كما يضىء الكوكب الدرى) واسناده
ضعيف . وقد عزونا كل قول لقائله وكل حديث لناقله غالبا لتخرج من
تبعته . وليعلم من أنعم النظر وأمعن الفكر فى ما حررته انه زبدة ما مخضه
المتقدمون وثمره ما غرسه المحررون وبالله التوفيق .

(تنبيهان)

(الاول) ذكر القرطبى فى تذكرته ان الحشر أربع حشران فى الدنيا
وحشران فى الآخرة فاللذان فى الدنيا المذكور فى سورة الحشر وهو حشر
اليهود الى الشام قال لهم النبى صلى الله عليه وسلم اخرجوا قالوا الى أين
قال الى أرض المحشر ثم أجلى آخرهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه من
جزيرة العرب . والحشر الثانى المذكور فى اشراف الساعة أنار تحشر
الناس من المشرق الى المغرب كما فى حديث أنس وعبد الله بن سلام وفى
حديث ابن عمرو رضى الله عنهم اياكم مرفوعا « تبعت على أهل المشرق
نار فتحشرهم الى المغرب تبيت معهم حيث باتوا وتقبل معهم حيث قالوا ويكون
لها ما سقط منهم وتخلف وتسوقهم سوق الجمل » قال الحافظ ابن حجر
وكونها تخرج من قعر عدن لا ينافى حشرها الناس من المشرق الى المغرب
لان ابتداء خروجها من عدن فاذا خرجت انتشرت فى الارض كلها والمراد
تعميم الحشر لا خصوص المشرق والمغرب ، أو أنها بعد الانتشار أول ما
تحشر أهل المشرق . قال القرطبى : واما اللذان فى الآخرة فحشر الاموات

تنبيهان الاول
ما قيل ان الحشر
أربعة

من قبورهم بعد البعث جميعا قال تعالى (وحشرناهم فلم نعادر منهم أحدا) وحشرهم الى الجنة والنار . وقال الحافظ ابن حجر عن الاول المذكور فى أول سورة الحشر ليس حشرا مستقلا لأنه انما وقع لفرقة مستقلة مخصوصة وهذا وقع كثيرا كما وقع لبنى أمية حين أخرجهم عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما من المدينة الى جهة الشام . والجواب عن ذلك بأن المراد مسمى حشرا على لسان الشارع وقد سمي الله ذلك حشرا

(الثانى)

الثانى حشر
الناس من
المشرق الى
المغرب يوم
القيامة أم قبله

اختلف العلماء فى حشر الناس من المشرق المغرب هل هو يوم القيامة أو قبله ؟ فقال القرطبي والخطابي وصوبه القاضى عياض ان هذا الحشر يكون قبل يوم القيامة ، وأما الحشر من القبور فهو على ما فى حديث ابن عباس رضى الله عنهما مرفوعا كما فى الصحيحين وغيرهما « انكم تحشرون حفاة عراة غرلا » وقال الحكيم الترمذى وأبو حامد الغزالى هو يوم القيامة ويدل له حديث أبى هريرة رضى الله عنه فى الصحيحين وغيرهما مرفوعا « يحشر الناس على ثلاث طرائق راغبين راهبين اثنان على بعير وثلاثة وعشرة على بعير وتحشر بقتهم النار ثقيل معهم حيث قالوا وتبيت معهم حيث باتوا وتصبح معهم حيث أصبحوا وتسمى معهم حيث أسسوا » قال أهل هذا القول ان هذا الحديث كالتفسير لقوله تعالى (وكنتم أزواجا ثلاثة) قال الحافظ ابن حجر ويؤيده حديث أبى ذر عند الامام احمد والنسائى والبيهقى حدثنى الصادق المصدوق ان الناس يحشرون يوم القيامة على ثلاثة أفواج فوج يحشرون طاعمين كاسين راكبين ، وفوج تسحبهم الملائكة - الحديث . وفى حديث ابن عباس رضى الله عنهما ما يباين حديث أبى ذر (والجمع) ان الحشر يعبر به عن النشر أيضا لاتصاله به ، وهو أى النشر اخراج الناس من قبورهم كما يأتى فيخرجون حفاة عراة يساقون ويجمعون الى الموقف للحساب ، ثم يحشر المتقون ركبانا على الابل والمجرمون على وجوههم . وقال بعضهم يخرجون من القبور على ما فى حديث أبى هريرة وان الحشر اذا أطلق يراد به شرعا الحشر من القبور مالم يخصه دليل (وأيضا) التقسيم المذكور فى الخبر لا يستقيم فى الحشر الى أرض الشام لأن المهاجر

لا بد أن يكون راغبا أو راهبا أو جامعا بين الصفتين (وأيضاً) حشر بقية الناس والجهنم النار لهم الى تلك الجهة وملازمتها حتى لا تفارقهم قول لم يرد به التوقيف وليس لنا أن نحكم بتسليط النار على أهل الشقوة من غير توقيف (وأيضاً) الحديث يفسر بعضه بعضاً وقد وقع في طريق الحديث أبي هريرة بلفظ ثلثا على الدواب وثلثا ينسلون على أقدامهم وثلثا على وجوههم قال ونرى هذا التقسيم نظير التقسيم الذي في سورة الواقعة (وكنتم أزواجا ثلاثة) فقوله في الحديث راغبين راهبين يريد عموم المؤمنين المخلطين عملا صالحا وآخر سيئا وهم أصحاب الميمنة وقوله اثنان على بعير النخ يريد السابقين وهم أفضل المؤمنين ركبانا وقوله وتحشر بقيتهم النار • يريد أصحاب المشأمة • ويحتمل أن البعير يحمل العشرة دفعة واحدة لان ذلك يكون من بديع قدرة الله فيقوى على ما يقوى عليه عشرة أبعرة من بعزان الدنيا • ويحتمل أن يتعاقبه • انتهى ملخصا •

واتصر القاضي عياض لقول الخطابي والقرطبي بأن حديث أبي هريرة ثقيل معهم وتبيت وتصبح وتسمى يؤيدان الحشر في الدنيا الى الشام لأن هذه الاوصاف مختصة بالدنيا ، وقوله اثنان على بعير الى عشرة - يريد أنهم يمتقبون البعير الواحد يركب بعض ويمشي بعض وذلك لقلّة الظهر كما في بعض الاحاديث انتهى ملخصا • ورجح هذا الطيبي وتعقب ذلك البعض وأجاب عما استدل به بما يطول (ثم قال الطيبي) بعد ما انتصر للخطابي والقرطبي وزيف كلام ذلك البعض بما حاصله : ثم رأيت في صحيح البخارى في باب الحشر: يحشر الناس يوم القيامة على ثلاث طرائق • فعلمت من ذلك أن الذي ذهب اليه التور بشتى من أن ذلك في الآخرة هو الحق الذي لا محيد عنه • انتهى •

قال الحافظ ابن حجر في فتح البارى بعد نقله ما تقدم عن الطيبي قلت لم أقف في شيء من طرق الحديث الذي خرجه البخارى على لفظ يوم القيامة في صحيحه ولا في غيره وكذا هو عند مسلم والاسماعيلي وغيرهما ليس فيه يوم القيامة • ثم اختار هو انه يتعين كون ذلك في الدنيا لما وقع فيه ان الظهر يقل لما يلقي عليه من الآفة وان الرجل يشتري الشارف الواحد بالحديقة المعجبة فان ذلك ظاهر جدا في أنه من أحوال الدنيا • قال في

- الاشاعة ثبتت أن الحق أن النار قبل يوم القيامة • قلت وهو كما قال •
- وبالله التوفيق •

((فصل في أمر المعاد))

فصل في أمر
المعاد

اعلم أن المعاد الجسماني حق واقع وصدق صادق دل عليه النقل الصحيح ولم يمنعه العقل فوجب الايمان به والتصديق بموجبه لأنه جاء في السماع الصحيح المنقول ودل عليه عند الجمهور صريح المعقول ، وهو أن يبعث الله تعالى الموتى من القبور بأن يجمع أجزاءهم الاصلية ويعيد الارواح اليها لقوله تعالى (قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم) الى غير ذلك من النصوص القرآنية القطعية والاحاديث الساطعة النبوية ، وقد أنكروه الطبايعيون والدهرية والملحدة وفيه تكذيب للنقل الصريح والعقل الصحيح على ما قرره المحققون من أهل الملة • وأنكرت الفلاسفة المعاد الجسماني بناء على امتناع اعادة المدوم بعينه ، ووافق المعتزلة أهل الحق على المعاد الجسماني بناء منهم على أن المدوم عندهم شيء فلو لم يقولوا به لأحالوه لأن المدوم قبل الوجود عندهم قابل للوجود فكذلك اذا انعدم بعد الوجود ، وعند أهل السنة المدوم نفى محض وهم مع ذلك قائلون بجواز اعادته • وللمتكلمين في جواز اعادة الاعراض قولان جواز اعادتها وهو الحق لانه تعالى على كل شيء قدير والثاني قول الفلاسفة ومن وافقهم من المعتزلة كأبي الحسين البصري والخوارزمي وانكرامية قال :

((واجزم بأمر البعث والنشور والحشر جزما بعد نفخ الصور))

((واجزم)) جزم ايقان واذعان واعتقاد وعرفان ((بأمر البعث)) بعد الموت ((والنشور)) من القبور ((والحشر)) لأجل الجزاء وفصل القضاء ((جزما)) مصدر مؤكد لقوله واجزم وذلك كله واقع ((بعد نفخ الصور)) المراد نفخة البعث وحاصل ما ذكر في هذا البيت أربعة أشياء ، البعث والنشور والحشر والنفخ في الصور ، أما البعث فالمراد به المعاد الجسماني فانه المتبادر عند الاطلاق اذ هو الذي يجب اعتقاده ويكفر منكره ، قال الامام المحقق ابن القيم في كتابه الروح كشيخه وغيرهما : معاد الابدان متفق عليه بين

المسلمين واليهود وانصارى • وقال الجلال الدواني هو باجماع أهل الملل وبشهادة نصوص القرآن بحيث لا يقبل التأويل كقوله تعالى (أو لم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين * وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم * قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم) وقد أخرج ابن جرير وابن المنذر وأبو حاتم والاسماعيلي في معجمه والحافظ الضياء في المختارة وابن مردويه والبيهقي في البعث عن ابن عباس رضى الله عنهما قال جاء العاص بن وائل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعظم حائل فتمته بيده فقال يا محمد يحيى الله هذا بعد ما أرم ؟ قال « نعم يبعث الله هذا ثم يميئك ثم يحييك ثم يدلك نار جهنم » فنزلت الآيات من آخر يس (أو لم ير الانسان) الى آخر السورة • وهذا نص صريح في الحشر الجسماني يقلع عرق التأويل بالكلية • ولهذا قال الامام الرازى : الاضاف انه لا يمكن الجمع بين الايمان بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم وبين نفى الحشر الجسماني ، فانه قد ورد في عدة مواضع من القرآن المجيد التصريح به بحيث لا يقبل التأويل أصلا • انتهى • وكذلك لا يمكن الجمع بين القول بقدم العالم على ما يقول الفلاسفة وبين الحشر الجسماني لأن النفوس الناطقة على هذا التقدير غير متناهية فستدعى جميعا أبدانا غير متناهية وأمكنة غير متناهية ، وقد ثبت تناسخ الابعاد بالبرهان وباعترافهم والله تعالى أعلم • و « ثم » في الحديث في قوله صلى الله عليه وسلم « نعم يبعث الله هذا ثم يميئك » للترتيب الاخبارى لا للترتيب الحكيمى كقولهم بلغنى ما صنعت اليوم ثم ما صنعت أمس أعجب أي أخبرك ان ما صنعته أمس أعجب •

وأما النشور فهو يرادف البعث في المعنى يقال نشر الميت ينشر نشور اذا عاش بعد الموت ، وأشره الله أي أحياء ، ومنه قولهم يوم البعث والنشور • وأما الحشر فهو في اللغة الجمع تقول حشرت الناس اذا جمعتهم ، والمراد به جمع أجزاء الانسان بعد التفرقة ثم احياء الابدان بعد موتها •

واعلم انه يجب الجزم شرعا ان الله تعالى يبعث جميع العباد ويعيدهم بعد ايجادهم بجميع أجزائهم الاصلية وهي التي من شأنها البقاء من أول العمر الى آخره ويسوقهم الى محشرهم لفصل القضاء ، فان هذا حق ثابت بالكتاب

والسنة واجماع سلف الامة مع كونه من الممكنات التى أخبر بها الشارع .
وكل ما هو كذلك فهو ثابت والاخبار عنه مطابق . والاصل فيما لا دليل
على وجوبه ولا على امتناعه الا مكان كما يقوله الحكماء والمتكلمون من أن
كل ما قرع سمعك من الغرائب قدره في حيز الامكان ما لم يردك عنه قائم
البرهان . فمن زعم عدم اعادة المدوم ألزم بالمبدأ فان المعاد مثل المبدأ بل
هو عينه أو أيسر كما لا يخفى . وتقدم ان الانبياء تأتى بما تدرسه العقول أو
تتحير فيه ولا تأتى بما تحيله العقول أبدا فتأتى بمحارات العقول لا بمحالات
العقول ، وامكان المعاد لأنه اما ايجاد ما انعدم أو جمع ما تفرق أر حيبى بعد
ما أميت ، وهذه كلها ممكنة لا احالة في شىء من ذلك أصلا مع ما واطر من
أخبار الانبياء وانكتب السماوية ولا سيما في القرآن العظيم والذكر الحكيم
ما لا مزيد عليه مثل (واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت -
قل بلى وربى لتبعثن - ثم انكم يوم القيامة تبعثون - فاذا هم من الاجداث
الى ربهم ينسلون* فسيقولون من يعيدنا قل الذى فطركم أول مرة - أيعسب
الانسان ان لن نجعل عظامه بلى قادرين على أن نسوى بنانه* يوم تشقق
الارض عنهم سراعا ذلك حشر علينا يسير* - كما بدأكم تعودون - كما
بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا - أوليس الذى خلق السموات والارض
بقادر على أن يخلق مثلهم - ويحيى الارض بعد موتها وكذلك تخرجون)
والآيات في ذلك كثيرة جدا . وأما الاحاديث فكثيرة جدا ففي البخارى ومسلم
وعيرهما عن ابن عباس رضى الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يخطب على المنبر يقول « انكم ملاقو الله حفاة عراة غرلا » زاد
في رواية - مشاة - وفي رواية فيها قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه
وسلم بموعظة فقال « يا أيها الناس انكم تحشرون الى الله حفاة عراة غرلا
(كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين) (الحديث . الغرل
بضم الغين المعجمة واسكان الراء جمع اغرل وهو الاقلف . ومثله في
الصحيحين من حديث عائشة رضى الله عنها ، قالت فقلت : الرجال والنساء
جميعا ينظر بعضهم الى بعض ؟ قال : الامر « أشد من أن يهمهم ذلك » وروى
نحوه من حديث أم سلمة أخرجه الطبرانى في الاوسط بسند صحيح وفيه
فقلت أم سلمة رضى الله عنها : فقلت يا رسول الله واسوأناه ، ينظر بعضنا

الى بعض ؟ فقال : شغل الناس ، قلت ما شغلهم ؟ قال « نشر الصحائف فيها
مناويل الذر ومناويل الخردل » وروى من حديث أم المؤمنين سودة بنت زمعة
رضي الله عنها أيضا ولفظه « يبعث الناس حفاة عراة غرلا قد ألجمهم العرق
ويبلغ شحوم الآذان » قالت فقلت : يبصر بعضنا بعضا ؟ فقال : شغل الناس
(لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه) رواه الطبراني ورواه ثقات •

(تنبيهان)

(الاول) اختلف الناس هل البعث اعادة بعد تفريق أو ايجاد معدوم ، قال
عكرمة رحمه الله ان الذين يفرقون في البحر وتقسّم لحومهم الحيتان ولا
يبقى منهم شيء الا العظام فتلقىها الامواج الى الساحل فتمكث حينا ثم تصير
نخرة ثم تمر بها الابل فتأكلها ثم تسير الابل فتبعر ثم يجيء قوم فينزلون
فيأخذون ذلك البعر فيوقدونه ثم تخدم تلك النار فجيء الريح فتلقى ذلك
الرماد على الارض فاذا جاءت النفخة فاذا هم قيام ينظرون يخرج أولئك
وأهل القبور سواء • قال العلامة الشيخ مرعي رحمه الله تعالى قال العلماء
ان الله تعالى يجمع ما تفرق من أجساد الناس من بطون السباع وحيوانات
الماء ويطن الارض وما أصاب النيران منها بالحرق والمياه بالفرق وما أبلته
الشمس وذرتة الرياح فاذا جمعها وأكمل كل بدن منها ولم يبق الا الارواح
نفخ اسرافيل عليه السلام في الصور فأرسلها بنفخة من ثقب الصور فترجع
كل روح الى جسدها فاذا هم قيام يتنكرون • والحاصل ان اعادة الاجسام
حق يجب الايمان به ، ثم هذه الاعادة هل هي للعدم المحض أو التفريق المحض
والمشهور انه جمع متفرق والاصح انه ايجاد بعد عدم ونص عليه علماء
السنة وكذا المعتزلة وهو مذهب المحققين وبالله التوفيق •

(الثاني)

اختلف في اعادة الاعراض التي كانت قائمة بالاجسام في الدنيا فمذهب
الاكثرين انها تعاد بأشخاصها التي كانت قائمة بالجسم حال الحياة واليه
ميل أبي الحسن الأشعري من غير فرق فيها بين الاعراض التي يطول بقاء
نوعها كاليأس وبين غيرها كالاصوات وسواء كان مقدورا للعبد كالضرب
أولا كالعلم والجهل لأن نسبتها الى قدرته تعالى كسبة الاعيان وقد قام

تنبيهان الاول
البعث اعادة بعد
تفرق أم بعد
عدم ؟

الثاني هل تعاد
الاعراض ؟

الدليل على اعادتها فكذا اعراضها. وما قيل يلزم عليه قيام العرض يعنى الاعداد
بالعرض المعاد وهو محال فباطل لامكان تعلق الاعداد بالاعيان أولا وبالذات
وبالاعراض ثانيا وبالعرض ، هذا كله ان لو قلنا باستحالة قيام العرض
بالعرض فكيف ونحن بمعزل عن ذلك وقد شاهدنا قيام العرض بالعرض
بالمحسوس وغيره كليل حالك وحركة بطيئة واحمر قان وغير ذلك •
وقيل بمنع اعادة الاعراض مطلقا كما ذهب اليه بعض الاشاعرة • وذهب
أكثر المعتزلة الى امتناع اعادة الاعراض التى لا تبقى كالاصوات والارادات
لاختصاصها عندهم بالاوقات وقسموا الباقية الى ما يكون مقدورا للعبد
فمنعوا اعادتها والى ما لا يكون مقدورا للعبد فجازوا اعادتها • وقد قال ابن
العربى في سراج المريدين والقرطبي في تذكرته : الذى عند أهل السنة
ان تلك الاجساد الدنياوية تعاد بأعيانها وبأعراضها بلا خلاف بينهم - مع ان
الخلاف منقول عند متكلمي الاشعرية كالسعد واليضاوى وغيرهما • قلت
وقد نقل الاجماع غير واحد من العلماء من آخرهم الشيخ مرعى وغيره عن
أهل السنة ان الاجساد الدنياوية تعاد بأعيانها وأعراضها والله أعلم •

النفخ في الصور ثلاث الاولى نفخة الفزع

وأما النفخ في الصور فالمراد به نفخة البعث والنشور ، واعلم ان النفخ
في الصور ثلاث نفخات نفخة الفزع وهى التى يتغير بها هذا العالم ويفسد
نظامه وهى المشار اليها فى قوله تعالى (وما ينظر هؤلاء الا صيحة واحدة
مالها من فواق) أى من رجوع ومرد وقوله تعالى (ونفخ في الصور ففزع
من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله) فسر الزمخشري فى
كشفافه المستثنى فى هذه الآية بمن ثبت الله قلبه من الملائكة وهم جبريل
وميكائيل واسرافيل وملك الموت وقيل غير ذلك • وانما يحصل الفزع
لشدة ما يقع من هول تلك النفخة فقد أخرج ابن جرير فى تفسيره
والطبرانى فى المطولات وأبو يعلى فى مسنده واليهقى فى البعث وأبو موسى
المدينى فى المطولات وعلي بن معبد فى كتاب الطاعة والعصيان وعبد بن حميد
وأبو الشيخ فى كتاب العظمة عن أبى هريرة رضى الله عنه قال حدثنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان الله لما فرغ من خلق السموات والارض خلق
الصور فأعطاه اسرافيل فهو واضعه على فيه شاخصا بضره الى العرش ينتظر
متى يؤمر • قلت يا رسول الله وما الصور ؟ قال : القرن ، قلت أى شىء

هو؟ قال: عظيم ان عظم دارة فيه كعرض السماء والارض فينفخ فيه ثلاث نفخات الاولى نفخة الفزع، والثانية نفخة الصق، والثالثة نفخة القيام لرب العالمين، فيأمر الله اسرافيل بالنفخة الاولى فيقول انفخ نفخة الفزع، فينفخ فيفزع أهل السماء والارض الا من شاء الله، فيأمره فيمدها ويطيئها ولا يفتر وهي التي يقول الله تعالى (وما ينظر هؤلاء الا صيحة واحدة ما لها من فواق) فيسير الله الجبال فتمر مر السحاب فتكون سرايا وترتج الارض بأهلها رجا فتكون كالسفينة الموقرة في البحر تضربها الامواج وكالتدليل المعلق بالعرش ترجحه الارواح وهي التي يقول الله (يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة) فتميل الارض بالناس على ظهرها فتذهل المراضع وتضع الحوامل وتشيب الولدان وتطير انشياطين هاربة من الفزع حتى تأتي الاقطار فتتلقاها الملائكة فتضرب وجوهها فترجع ويولى الناس مدبرين ينادى بعضهم بعضا وهو الذي يقول الله تعالى (يوم التناد يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم) فينما هم على ذلك اذ تصدعت الارض فاصدعت من قطر الى قطر فراوا امرا عظيما ثم نظروا الى السماء فاذا هي كالمهل ثم انشقت فانتشرت نجومها وانخسفت شمسها وقمرها - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - والأموات يومئذ لا يعلمون بشيء من ذلك . قلت يا رسول الله من استثنى الله تعالى في قوله (الا من شاء الله)؟ قال: أولئك اشهداء، وانما يتصل انفزع الى الاحياء وهم احياء عند ربهم يرزقون وقاهم الله فزع ذلك اليوم وآمنهم منه وهو عذاب يعثه الله على شرار خلقه يقول الله (يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم* يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد) فيمكنون في ذلك ماشاء الله، الحديث . وفي البغوى عن أبي بن كعب رضى الله عنه قال: ست آيات قبل يوم اقيامه بينما اناس في أسوافهم اذ ذهب ضوء الشمس، فينما هم كذلك اذ تانتت النجوم، فينما هم كذلك اذ وقعت الجبال على وجه الارض فتحررت واضطربت وفزعت الجن الى الانس والانس الى الجن واختلطت الدواب والطيور والوحش وماج بعضهم في بعض فذلك قوله (واذا اوحوش حشرت) اختلطت (واذا العشار

عظمت (أهملت) واذا البحار سجرت) قال ابن عباس رضى الله عنهما
أوقدت فصار ناراً تضرهم • قال أبى قالت الجن للانس نحن نأتيكم بالخبر
فانطلقوا الى البحر فاذا هو نار تأجج ، فينما هم كذلك اذ تصدعت الارض
صدعة واحدة الى الارض السابقة السفلى وانشقت السماء انشقاقة واحدة الى
السماء السابعة العليا ، فينما هم كذلك اذ جاءتهم الرياح فأماتهم • انتهى •
(النفخة الثانية) نفخة الصعق وفيها هلاك كل شىء قال تعالى (ونفخ في
النصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله) وقد فسر
الصعق بالموت وفي الحديث المتقدم الذى رواه ابن جرير وما عطف عليه من
حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ثم
يأمر الله اسرافيل فينفخ نفخة الصعق فيصعق أهل السموات والارض الا
الا من شاء الله فيقول الله وهو أعلم فمن بقى ، فيقول أي رب بقيت أنت
الحى القيوم انذى لا يموت وبقيت حملة العرش وبقي جبريل وميكائيل
وبقيت أنا ، فيقول الله تعالى فليمت جبريل وميكائيل ، فيموتان ثم يأتى
ملك الموت الى الجبار فيقول قد مات جبريل وميكائيل ، فيقول الله تعالى
فليمت حملة العرش ، فيموتون ، ويأمر الله العرش ان يقبض الصور من
اسرافيل ، فيموت ثم يأتى ملك الموت الى الجبار فيقول رب قد مات حملة
العرش ، فيقول وهو أعلم فمن بقى ؟ فيقول بقيت أنت الحى القيوم الذى
لا يموت وبقيت أنا ، فيقول : أنت خلق من خلقى خلقتك لما رأيت فمت ،
فيموت فاذا لم يبق الا الله الواحد القهار طوى السماء والارض كطى
السجل للكتب وقال « أنا الجبار لمن الملك اليوم » ثلاث مرات فلم يجبه
أحد ثم يقول لنفسه « لله الواحد القهار » وتبدل الارض غير الارض
والسموات فيسطها ويسطحها ويمدها مد الاديم لا ترى فيها عوجا ولا أمتا»
الحديث • وأخرج أبو الشيخ عن وهب قال : هؤلاء الاربعة أملاك جبرائيل
وميكائيل واسرافيل وملك الموت أول من خلقهم الله من الخلق وآخر من
يُميتهم وأول من يحييهم هم المدبرات أمرا والمقسمات أمرا •

الثانية نفخة الصعق وهلاك الخلق

قال أبو عبد الله القرطبي : والصور قرن من نور يجعل فيه أرواح
الخلائق • وقال مجاهد كالبوق • ذكره البخارى • وأخرج الترمذى عن
عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما : جاء اعرابي الى النبي صلى

الله عليه وسلم فقال ما الصور؟ قال « قرن ينفخ فيه » ، قال الترمذى حديث حسن • وأخرج الترمذى أيضا وحسنه عن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « كيف أنعم وصاحب الصور قد التقم القرن واستمع الاذن متى يؤمر بالنفخ » فكان ذلك ثقل على رسول أصحاب الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم « قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل » • وأخرج الامام عبد الله بن المبارك ومؤمل بن اسمعيل وعلي بن معبد عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه حديثا مرفوعا فيه « ثم يقوم ملك الصور بين السماء والارض فينفخ فيه والصور قرن فلا يبقى خلق في السموات والارض الا مات الا من شاء ربك » • الحديث • وأخرج الشيخان وغيرهما عن أبي هريرة رضى الله عنه مرفوعا « يقبض الله الارض يوم القيامة ويطوى السماء يمينه ثم يقول أنا الملك ابن الملوك » • وأخرج مسلم من حديث ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يطوى الله السموات يوم الصيام ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول أنا الملك ابن الجبارون ابن المتكبرون؟ ثم يطوى الله الارض بشماله ثم يقول انا الملك ابن الجبارون ابن المتكبرون؟ » وسياتى ان من لم يخلق للفناء لم يفن كالجنة وما فيها من الحور العين والولدان وكذا النار وما فيها من الحيات والعقارب والخزان والله أعلم •

(النفخة الثالثة) نفخة البعث والنشور وقد جاء في الكتاب العزيز آيات تدل عليها وأخبار تشير اليها كقوله تعالى (ونفخ في الصور فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون) وقوله (ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون - فاذا نقر في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير) قال الكلبي وغيره هى نفخة البعث والناقور فاعول من النقر وقوله تعالى (واستمع يوم يناد المناد من مكان قريب* يوم يسمعون الصيحة بالحق) الآية قال المفسرون المنادى هو اسرافيل عليه السلام ينفخ في الصور وينادى أيتها العظام البالية والاولصال المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يأمركن ان تجتمعن لفصل القضاء • وقيل ينفخ اسرافيل وينادى جبريل ، والمكان القريب صخرة بيت المقدس • قاله جماعة من المفسرين • وبين النفختين أربعون عاما - قال بعض العلماء انفقت الروايات على ذلك • وفي

الثالثة نفخة
لبعث

مسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه مرفوعا : ما بين النفختين أربعون •
قالوا يا أبا هريرة أربعون يوما ؟ قال : أبيت ، قالوا : أربعون شهرا ؟ قال :
أبيت ، قالوا : أربعون عاما ؟ قال : أبيت - الحديث ، وقول أبي هريرة
رضى الله عنه « أبيت » فيه ثلاث تأويلات أولها امتنع من بيان ذلك لكم ،
وقيل أبيت أسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، وقيل نسيت ، وقيل
ان سر ذلك لا يعلمه الا الله لانه من أسرار الربوبية • وفى حديث ان
بين النفختين أربعين عاما • وفى تفسير الثعلبى عن أبي هريرة رضى الله عنه
في تفسير سورة الزمر مرفوعا « ان الله يرسل مطرا على الارض فيسنزل
عليها أربعين يوما حتى يكون فوقهم اثني عشر ذراعا فيأمر الله تعالى الاجساد
ان تنبت كنبات البقل حتى اذا تكاملت أجسادهم كما كانت قال الله تعالى
ليحي حملة العرش ليحي جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل ثم يأمر
الله تعالى اسرافيل فيأخذ الصور فيضعه علي فيه ثم يدعو الارواح فيؤتى
بها تتوهج أرواح المؤمنين نورا والاخرى ظلمة فيقبضها جميعا ثم يلقياها في
في الصور ثم يأمره ان ينفخ نفخة البعث فتخرج الارواح كلها كأنها النحل
فدملأت ما بين السماء والارض ثم يقول الله تعالى : وعزتي وجلالى لترجعن
كل روح الى جسدها ، فتدخل الارواح من الخياشيم ثم تمشى مشى السم
فى اللديع ، ثم تشقق الارض عنهم سراعا فانا أول من نشق عنه الارض
فتخرجون منها الى ربكم تنسلون » وأخرج الشيخان من حديث أبي هريرة
رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما بين النفختين
أربعون » قيل أربعون يوما ؟ قال أبو هريرة أبيت ، قال أربعون شهرا ؟
قال أبيت ، قال أربعون سنة ؟ قال أبيت ، « ينزل من السماء ماء فيبتون كما
ينبت البقل وليس من الانسان شيء الا يبلى الاعظم واحد وهو عجب الذنب
منه يركب الخلق يوم القيامة » • وفى رواية لمسلم « ان فى الانسان عظما
لا تأكله الارض أبدا فيه يركب الخلق يوم القيامة • قالوا أي عظم هو
يا رسول الله ؟ قال عجب الذنب • ورواه الامام مالك وأبو داود والنسائي
باختصار قال « كل ابن آدم تأكله الارض الا عجب الذنب ، منه خلق وفيه
يركب » • قال الحافظ المنذرى كغيره : عجب الذنب بفتح العين المهملة

واسكان الجيم بعدهما باء موحدة أو ميم وهو العظم الحديد الذى يكون في أسفل الصلب وأصل الذنب من ذوات الاربع • وقد روى الامام أحمد وابن حبان في صحيحه من حديث أبى سعيد رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يأكل التراب كل شيء من الانسان الا عجب ذنبه » قيل وما هو يا رسول الله ؟ قال « مثل حبة خردل منه تنبتون » وفي الثعلبى في تفسير سورة الاعراف وتفسير ابن عطية عن أبى هريرة رضى الله عنهم : اذا مات الناس كلهم في النفخة الاولى يعنى نفخة الصعق أمطر عليهم أربعين عاما كمنى الرجال من ماء تحت العرش يدعى ماء الحيوان فينبتون من قبورهم بذلك المطر كما ينبت الزرع من الماء حتى اذا استكملت أجسادهم نفخ فيهم الروح ثم يلقى عليهم نومة فينامون في قبورهم فاذا نفخ في الصور النفخة الثانية قاموا وهم يجدون طعم النوم في أعينهم كما يجده النائم اذا استيقظ من نومه فعند ذلك يقولون يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا • وأخرج مسلم في صحيحه من حديث أبى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « انا سيد ولد آدم وأول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفع » • وفي صحيح البخارى « أنا أول من يرفع رأسه بعد النفخة الآخرة فاذا بموسى عليه السلام متعلق بالعرش فلا أدري أكذلك كان أم بعد النفخة » - وفي بعض ألفاظ البخارى - فاذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدري أفاق قبل أم جوزى بصعقة الطور » وأخرج الحكيم والترمذى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال خرج النبى صلى الله عليه وسلم ويمينه على أبى بكر وشماله على عمر فقال : هكذا نبث يوم القيامة • وفي الصحيحين من حديث أنس رضى الله عنه ان رجلا قال يا رسول الله قال الله تعالى (الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم) أيحشر الكافر على وجهه ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أليس الذى أمشاه على الرجلين في الدنيا قادرا على أن يمشيه على وجهه • وقال قتادة حين بلغه : بلى وعزة ربنا • وروى النسائى والترمذى وحسنه عن عمرو بن شعيب عن أبىه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يحشرون المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الرجال يغشاهم الذل من كل مكان يساقون الى سجن في جهنم يقال له بولس تملوهم نار الانيار يسقون

من عصارة أهل النار طينة الخبال » • وروى البزار من حديث جابر رضى الله عنه مرفوعا « يبعث الله يوم القيامة نادا في صور الذر يطوهم الناس بأقدامهم فيقال ما هؤلاء في صور الذر؟ فيقال : هؤلاء المتكبرون في الدنيا - وروى الامام أحمد في الزهد عن أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعا « يجاء بالجبارين والمتكبرين يوم القيامة رجال في صورة الذر تطوهم الناس من هوانهم على الله حتى يقضى بين الناس قال ثم يذهب بهم الى نار الانيار » قيل يا رسول الله وما نار الانيار؟ « قال عصارة أهل النار » وروى عن أبى سعيد رضى الله عنه انه لما حضره الموت دعا بشياب جدد فلبسها ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « الميت يبعث في ثيابه التى يموت فيها » رواه أبو داود وابن حبان فى صحيحه وفى اسناده يحيى بن أيوب وهو العافقى المصرى احتج به البخارى ومسلم وغيرهما وله مناكير ، قال أبو حاتم لا يحتج به وقال الامام أحمد سىء الحفظ ، وقال النسائى : ليس بالقوى ، وقد نال كل من وقفت على كلامه من أهل اللغة ان المراد في ثيابه التى قبض فيها أى في أعماله قال الهروى ، وهذا كحديثه الآخر : يبعث العبد على ما مات عليه • قال وليس قول من ذهب الى الاكفان بشيء لأن الميت انما يكفن بعد الموت • انتهى • قال الحافظ المنذرى وفعل أبى سعيد راوى الحديث يدل على اجرائه على ظاهره وان الميت يبعث في ثيابه التى قبض فيها ، وفي الصحاح وغيرها ان الناس يبعثون عراة فالله أعلم وحمل كثير من العلماء الحديث على الشهداء الذين أمر ان يدفنوا في ثيابهم التى قتلوا فيها وان أبا سعيد سمع الحديث في الشهداء فحمله على العموم • قال البيهقى : يجمع بأن بعضهم يحشر عاريا وبعضهم بشيابه أو يخرجون من قبورهم بشيابهم التى ماتوا فيها ثم تتناثر عنهم عند ابتداء الحشر • وقد روى محمد بن نصر المروزى باسناده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : يحشر الناس يوم القيامة على قدر صنيعهم في الصلاة • وفسره بعضهم بقبض شماله يمينه والانحناء هكذا • وباسناده عن أبى صالح السمان قال : يبعث الناس يوم القيامة هكذا - ووضع احدى يديه على الاخرى • نقله الحافظ ابن رجب في كتابه الذكر والانكسار والله أعلم :

يحشر الناس
عرايا ودفع
« يخالف ذلك »

الوقوف
للحساب

((كذا وقوف الخلق للحساب والصحف والميزان للثواب))

((كذا)) أي كما يجب الجزم بالبعث والنشور والحشر بعد النفخ في الصور يجب أن نجزم جزماً باتاً بأمر ((وقوف الخلق)) من الأنس والجن والدواب والطيور وغيرهم ، قال تعالى (وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا) وقال (ليجمعنكم الى يوم القيامة لا ريب فيه) وقال (يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا) أي زمرا زمرا • قال أبو هريرة رضي الله عنه ان الله تعالى يحشر الخلق كلهم من دابة وطائر وانسان • وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى (واذا الوحوش حشرت) يحشر كل شيء حتى الذباب ليحشر • والحاصل ان الله تعالى يجمع في ذلك اليوم الأولين والآخريين حتى لا يدري الشخص أين يضع قدمه لشدة الزحام • وفي تفسير مكي يحشر الخلق كلهم من دابة وطائر وانسان • وقال ابن عباس رضي الله فهم في ضيق مقامهم فيها كضيق سهام اجتمعت في كنانتها فالسعيد يومئذ من يجد لقدمه مقاما • قال وأكثر الأقدام يومئذ بعضها على بعض • وقد ذكر أبو نعيم الحافظ بإسناده عن وهب بن منبه قال : اذا قامت الساعة صرخت الحجارة صراخ النساء وقطرت العضاء (١) دما •

اهوال الموقف

واعلم ان ليوم الوقوف اهوالا عظيمة وشدائد جسيمة تذيب الاكباد وتذهل المراضع وتشيب الاولاد وهو حق ثابت ورد به الكتاب والسنة وانعقد عليه الاجماع وهو يوم القيامة • وقد اختلف في تسمية ذلك اليوم بيوم القيامة ، قيل لكون الناس يقومون من قبورهم قال تعالى (يوم يخرجون من الاجداث سراعا) • وقيل لوجود أمور المحشر والوقوف ونحوهما فيه • وقيل لقيام الناس لرب العالمين كما روى مسلم في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعا (يوم يقوم الناس لرب العالمين) قال يقوم الناس أحدهم في رشحه الى نصف أذنيه • قال ابن عمر رضي الله عنهما يقومون مائة سنة • ويروى عن كعب يقومون ثلاثمائة سنة • وروى أبو يعلى بإسناد صحيح وابن حبان في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « (يوم يقوم الناس لرب العالمين) مقدار صف يوم من خمسين ألف فيهون ذلك على المؤمن كندى الشمس للغروب

(١) هي الشجر •

الى أن تغرب » • وروى الامام أحمد وأبو يعلى وابن حبان في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال (يوما كان مقداره خمسين ألف سنة) فقيل ما أطول هذا اليوم ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم « والذي نفسى بيده انه ليخفف على المؤمن حتى يكون عليه أخف من صلاة مكتوبة » • وروى ابن أبي الدنيا والطبراني من طرق أحدها صحيح والحاكم وقال صحيح الاسناد عن عبد الله ابن مسعود رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « يجمع الله الاولين والآخرين لميقات يوم معلوم قيما أربعين سنة شاحصة أبصارهم ينتظرون فصل القضاء » الحديث • وعن أبي هريرة يقومون سبعين سنة • وقيل مقداره ألف سنة رواه الطبراني من حديث ابن عمر رضى الله عنهما مرفوعا ، ولفظه « اما مقام الناس بين يدي رب العالمين فأنف سنة لا يؤذن لهم » • وأخرج السهقي عنه : يمكنون ألف عام في الظلمة يوم القيامة لا يتكلمون •

وقيل انما سمي يوم القيامة بلقيام الملائكة والروح فيه صفا قال تعالى (يوم يقوم الروح والملائكة صفا) قال القرطبي : القيامة قيامتان ، صغرى وكبرى ، فالصغرى ما تقوم على كل انسان في خاصته من خروج روحه وانقطاع سعيه وحصوله على عمله ، والكبرى هي التي تعم الناس وتأخذهم أخذة واحدة ، والدليل على ان كل من مات قامت قيامته قول النبي صلى الله عليه وسلم لقوم من الاعراب سألوه عن الساعة فنظر الى أحدث انسان منهم فقال « ان يعيش هذا حتى يدركه الهرم قامت عليكم ساعتكم » رواه مسلم وغيره وقال الشاعر :

خرجت من الدنيا وقامت قيامتى غداة أقل الحاملون جنازتى
وعجل أهلى حنر قبرى وصيروا خروجى وتعجلى اليه كرامتى
(لطيفة) سئل ابن عباس رضى الله عنهما عن يوم القيامة أهو من الدنيا أم من الآخرة ؟ قال صدر ذلك اليوم من الدنيا وآخره من الآخرة •
وقد أخرج الامام أحمد عن محمد بن أبى عميرة وكان من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والطبراني عن عتبة بن عبد الله رضى الله عنه مرفوعا « لو أن رجلا يبخر على وجهه من يوم ولد الى يوم يموت هرما في

مرضاة الله تعالى لحرقه يوم القيامة » وأخرج ابن المبارك عن كعب قال لو أن رجلا كان له مثل عمل سبعين نبيا لخشى أن لا ينجو من ذلك اليوم . وأخرج الشيخان عن أبي هريرة رضى الله عنه مرفوعا « يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم في الارض سبعين ذراعا ويلجمهم حتى يبلغ آذانهم » وفي بعض ألفاظ الصحيح « سبعين باعا » وأخرج مسلم عن المقداد رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « اذا كان يوم القيامة ادنيت الشمس من العباد حتى تكون قدر ميل أو ميلين - قال - فتصهرهم الشمس فيكونون في العرق كقدر أعمالهم منهم من يأخذه الى عقبه ومنهم من يأخذه الى حقويه ومنهم من يلجمه الجاما » وفي رواية له « تدنى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون كمقدار ميل » قال سليم بن عامر ما أدري ما يعنى بالميل مسافة الارض أو الميل الذى تكحل به العين قال « فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق فمنهم من يكون الى كعبه ومنهم من يكون رلى ركبتيه ومنهم من يكون الى حقويه ومنهم من يلجمه العرق الجاما » وأشار رسول الله صلى الله عليه وسلم الى فيه . وأخرج الامام أحمد والطبرانى وابن حبان في صحيحه والحاكم وصححه من حديث عقبة بن عامر رضى الله عنه مرفوعا نحوه وزاد بعد قوله « ومنهم من يبلغ وسط فيه » وأشار بيده ألتجمها فاه ، وقال أرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يشير هكذا « ومنهم من يغطيه عرقه » وضرب بيده وأشار ومر بيده فوق رأسه من غير أن يصيب الرأس دور راحته يمينا وشمالا . وقال ابن مسعود رضى الله عنه الارض كلها نار يوم القيامة والجنة من ورائها كواعبها وأكوابها والذى نفس عبد الله بيده ان الرجل ليفيض عرقا حتى يسيخ في الارض قامته ثم يرتفع حتى يبلغ أنفه وما مسه الحساب . قالوا مم ذاك يا أبا عبد الرحمن ؟ قال مما يرى الناس . رواه الطبرانى باسناد جيد قوى . وروى الطبرانى أيضا باسناد جيد عن ابن مسعود أيضا رضى الله عنه مرفوعا « ان الرجل ليلجمه العرق يوم القيامة فيقول يا رب أرحنى ولو الى النار » ورواه أبو يعلى وابن حبان بلفظ « ان الكافر ليلجمه العرق » الحديث . وأخرج الحاكم وصححه عن جابر رضى الله

عنه مرفوعا « ان العرق ليلزم المرء في الموقف حتى يقول يا رب أرسلك بى الى النار أهون على مما أجد » وهو يعلم ما فيها من شدة العذاب .

فائدة يدخل
الفقراء الجنة
قبل الأغنياء

(فائدة) قال الحنظل قد صح أن الفقراء يدخلون الجنة قبل الاغنياء بخمسمائة عام فيكونون قد سلموا من تلك الاهوال ونجوا من ذلك النكال والوبال ففي مسند الامام أحمد عن اسامة بن زaid رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « قمت على باب الجنة فاذا عامة من يدخلها الفقراء الا أن أصحاب الجد - أي الحظ والثروة والمال محبوسون - الا أن أهل النار فقد أمر بهم الى النار » الحديث متفق عليه وفي صحيح مسلم عن عبدالله ابن عمرو بن العاص رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « ان فقراء المهاجرين يسبقون الاغنياء الى الجنة بأربعين خريفا » وروى أبو هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « يدخل فقراء المؤمنين الجنة قبل أغنيائهم بخمسمائة عام »

وحاصل ذلك ان الخلق يقفون المقدر الذى مر وتدنو الشمس من رؤوس الخلائق مقدار ميل ويصيبهم من العرق من شدة الهول وعظم حر الشمس يومئذ أمر عظيم ، قال بعض السلف لو طلعت الشمس على الارض كهنتها يوم القيامة لأحرقت الارض وأذابت الجوامد ونشفت الانهار .

وهذا الوقوف مع دا مر ((المحساب)) اثابت بالسنة والكتاب واجماع أهل الحق بلا ارتياب قال تعالى (فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون) وتال في حق أعدائه (أوئك لهم سوء الحساب - قالوا يا ويلتنا دا لهذا انكا بلا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا - فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) قال اشعبي الحساب تعريف الله عز وجل الخلائق مقادير الجزاء على أعمالهم وتذكيره اياهم ما قد نسوه من ذلك يدل على هذا قواه تعالى (يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه) وقال بعضهم معنى كونه محاسبا لخلقه انه تعالى يعلمهم ما لهم وما عليهم . والحساب مصدر حاسب . وحسب الشيء يحسبه بالضم اذا عده سماعا وهو معنى قول من قال الحساب لغد العد ، واصطلاحا توقيف الله عباده

قبل الانصراف من المحشر على أعمالهم خيرا كانت أو شرا تفصيلا لا بالوزن
الا من استثنى منهم • وقد اختلف في معنى محاسبته تعالى عباده على ثلاثة
أقوال (أحدها) انه يعلمهم مالهم وعليهم كما تقدم ، قال بعض العلماء بأن
يخلق الله في قلوبهم علوما ضرورية بمقادير أعمالهم من الثواب والعقاب
(الثاني) ونقل عن ابن عباس رضى الله عنهما أن يوقف الله تعالى عباده
بين يديه ويؤتيهم كتب أعمالهم فيها سيئاتهم وحسناتهم فيقول هذه سيئاتكم
وقد تجاوزت عنها وهذه حسناتكم وقد ضاعفتها لكم (الثالث) ان يكلم الله
عباده في شأن أعمالهم وكيفية مالها من الثواب وما عليها من العقاب وفي
هذا من صحيح الاخبار وصريح الآثار ما يقلع شروش (?) من في قلبه نوع
اختلاج أصل كل شبهة وبدعة ، فقد أخرج الترمذى من حديث أبى برزة
رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا تزول قدما عبد
يوم القيامة حتى يسئل عن أربع ، عن عمره فيم أفناه ، وعن علمه ما عمل
به ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه ، وعن جسمه فيما أبلاه » قال
الترمذى : حديث حسن صحيح • ورواه البزار والطبرانى باسناد صحيح
من حديث معاذ بن جبل رضى الله عنه ولفظه « ان تزول قدما عبد يوم
القيامة حتى يسئل عن أربع خصال ، عن عمره فيم أفناه ، وعن شبابه فيم
أبلاه ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيه أنفق ، وعن علمه ماذا عمل فيه » وفي
الصحيحين من حديث عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم « من نوقش الحساب عذب » فقلت أليس يقول الله (واما من
أوتى كتابه يمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا وينقلب الى أهله مسرورا)
فقال « انما ذلك العرض وليس أحد يحاسب يوم القيامة الا هلك (١) •
ورواه أبو داود والترمذى وغيرهما • ورواه البزار والطبرانى في الكبير
باسناد صحيح من حديث ابن الزبير رضى الله عنهما ولفظه قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : من نوقش الحساب هلك • وفي صحيح مسلم وسنن
الترمذى من حديث أبى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال « لتؤذن الحقوق الى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء
من الشاة القرناً » • ورواه الامام أحمد ولفظه « يقتص للخلق بعضهم من
بعض حتى للجماء من القرناء ، وحتى للذرة من الذرة » ورواه رواة

الصحيح ، الجلحاء والجماء التي لا قرن لها • وأخرج الامام أحمد أيضا عن أبي هريرة أيضا رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليختصن كل شيء يوم القيامة حتى الشاتان فيم انتطحا » واسناده حسن • ورواه الامام أحمد أيضا وأبو يعلى من حديث أبي سعيد • وفي حديث عبد الله بن أنيس رضى الله عنه انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول « يحشر الله العباد يوم القيامة - أو قال الناس - عراة غرلا بهما - قال قلنا وما بهما ؟ قال ليس معهم شيء ثم يناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب : انا الديان ، أنا الملك ، لا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل النار وله عند أحد من أهل الجنة حق حتى أقضيه منه ، ولا ينبغي لأحد من أهل الجنة ان يدخل الجنة ولأحد من أهل النار عنده حق حتى أقضيه منه ، حتى اللطمة » قال قلنا كيف وانما نأتى عراة غرلا بهما ؟ قال « الحسنات والسيئات » رواه الامام أحمد باسناد حسن وفي صحيح مسلم وغيره من حديث أبي هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « المفلس من أمتى من يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتى وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا ، فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته ، فان فئت حسناته قبل ان يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار » وفي هذا أحاديث كثيرة وبالله التوفيق •

تنبهات الاول وجه تقديم ذكر الحساب

(تنبيهات)

(الاول) انما قدم الحساب بعد الحشر والوقوف على أخذ الصحف مع انه مؤخر عن أخذ الصحف في الوقوع لأن الحساب من المقاصد وأخذ الصحف من الوسائل فقدتم المقاصد على الوسائل مع مراعاة قافية النظم والله أعلم •

الثاني كيفية الحساب

(الثاني)

كيفية الحساب مختلفة وأحواله متباينة فمنه العسير ومنه اليسير ومنه العدل والجهد ومنه التكريم ومنه التوبيخ والتبكيك ومنه الفضل والصفح ومتولى ذلك أكرم الاكرمين وأرحم الراحمين •

(الثالث)

الثالث أول من
يحاسب وأول
ما يحاسب عليه

أول من يحاسب العلماء والمغازون وأرباب الاموال والسعة ، وأول ما يحاسب عليه العبد الصلاة كما أخرج الامام عبد الله بن المبارك وأبو داود والترمذى وحسنه والحاكم وصححه والنسائى وابن ماجه من حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال « أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة يقول الله تعالى للملائكة انظروا لصلاة عبدى أم نقصها ؟ فان كانت تامة كتبت له تامة ، وان كان نقص منها شيئاً قال الله انظروا هل لعبدى من تطوع ؟ فان كان له تطوع قال أتّموا لعبدى فريضته من تطوعه ، ثم تؤخذ الاعمال على ذلك » وأخرج النسائى عن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال « أول ما يحاسب عليه العبد صلاته ، وأول ما يقضى بين الناس في الدماء » فان قيل قد ورد في التنزيل ان الناس لا يسئلون قال تعالى (فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان) فالجواب انه معارض بقوله تعالى (فوربك لسألهم أجمعين عما كانوا يعملون) ويجاب عن الآية الكريمة بأنهم لا يسئلون سؤال استفهام لانه تعالى عام بكل أعمالهم وانما يسئلون سؤال تقرير فيقال لهم فعلتم كذا . قال في البهجة كغيره قال الحسن وقادة لا يسئلون عن ذنوبهم لأن الله تعالى حفظها عليهم وكتبها الملائكة . وقيل يسئلون في موطن دون موطن رواه عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما . ونظير هذا قوله تعالى (هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون) وفي الآية الاخرى (ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون) فللناس يوم القيامة حالات والآيات مخرجة باعتبار تلك الحالات ومن ثم قال الامام أحمد في أجوبته القرآنية : أول ما تبعث الخلائق على مقدار ستين سنة لا ينطقون ولا يؤذن لهم في الاعتذار فيعتذرون ثم يؤذن لهم في الكلام فيتكلمون فذلك قوله تعالى (ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا) الآية فاذا أذن لهم في الكلام تكلموا واختصموا فذلك قوله تعالى (ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون) عند الحساب واعطاء المظالم ، ثم يقال لهم بعد ذلك (لا تختصموا لى وقد قدمت اليكم بالوعيد) يعنى في الدنيا فان العذاب مع هذا القول كائن . انتهى .

(الرابع)

الرابع اختلف
في السؤال عنه
والمسؤول

اختلف عن المسؤول عنه والمسؤول ، فقال ابن عباس رضى الله عنهما :
عن لا آله الا الله • وقال الضحاك : عن خطاياهم • وقال القرطبي : عن
جميع أقوالهم وأفعالهم (ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه
مسئولا - فوركك لسائلهم أجمعين عما كانوا يعملون) قال الفخر الرازى :
ولا معنى لقول من يقول ان السؤال انما يكون عن الكفر والايمان ، بل
السؤال واقع عنهما وعن جميع الاعمال لان اللفظ عام فيتناول الكل ،
والضمير في قوله تعالى لسائلهم عائد على جميع المكلفين الانبياء وغيرهم ،
ويدل على سؤالهم صريحا قوله تعالى (فلنسئلكم الذين أرسل اليهم ولنسألن
المرسلين) فهذه الآية تدل على انه يحاسب كل عباده لانهم لا يخرجون عن
ان يكونوا مرسلين أو مرسلا اليهم ، ويبطل قول من زعم انه لا حساب على
الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولا الكفار • انتهى • والجواب انه لا حساب
على الانبياء عليهم السلام على سبيل المناقشة والتفريع ، قال النسفى في بحر
الكلام : الانبياء لا حساب عليهم ، وكذلك أطفال المؤمنين ، وكذلك العشرة
المبشرون بالجنة • هذا حساب المناقشة ، وعموم الآيات الكريمة مخصوص
بأحاديث من يدخل الجنة بغير حساب ، ولهذا قال علماؤنا في عقائدهم :
ويحاسب المسلمون المكلفون الا من شاء الله ان يدخل الجنة بغير حساب ،
وكل مكلف مسئول يسأل من شاء من الرسل عن تبليغ الرسالة ومن شاء
من الكفار عن تكذيب الرسل • قال شيخ مشايخنا البدر البلبانى في عقيدته :
فالكفار لا يحاسبون بمعنى ان صحائف أعمالهم لا توزن وان فعل كافر
قربة من نحو عتق أو صدقة أو ظلمه مسلم رجونا له ان يخفف عنه العذاب •
انتهى • ولعل مراده غير عذاب الكفر • وقال شيخ الاسلام ابن تيمية
في عقيدته الواسطية : يحاسب الله تعالى الخلق ويخلو بعبده المؤمن ويقرره
بذنوبه كما وصف ذلك في الكتاب والسنة • قال : وأما الكفار فلا يحاسبون
محاسبة من توزن حسناته وسيئاته فانهم لا حسنات لهم ولكن تعد أعمالهم
وتحصى فيوقفون عليها ويقررون بها • انتهى • وعن عبدالله بن مسعود رضى
الله عنه ما من عبد يخطو خطوة الا ويسأل عنها ما أراد بها وعن أبى

هريرة رضى الله عنه مرفوعا « ان أول ما يسئل عنه يوم القيامة أن يقال له ألم أصحح جسمك وأرويك الماء البارد ؟ والذى نفسى بيده من النميم الذى تسئلون عنه يوم القيامة ظل بارد ورطب وماء بارد » أخرجه الترمذى وابن حبان والحاكم والبغوى • وأخرج الامام أحمد والبيهقى وأبو نعيم عن الحسن مرفوعا « ثلاث لا يحاسب بهن العبد ظل خص يستظل به وكسرة يشد بها صلبه وثوب يوارى به عورته » وأخرج البزار والطبرانى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « ثلاثة ليس عليهم حساب فيما طعموا ان شاء الله اذا كان حلالا الصائم والمتسحر والمرابط فى سبيل الله » وأخرج البزار أيضا وأبو نعيم بسند حسن عن ابن عباس أيضا رضى الله عنهما قال قال النبى صلى الله عليه وسلم « ما فوق الازار وجلف الخبز وظل الحائط وجر الماء فضل يحاسب به العبد يوم القيامة او يسأل عنه » وأخرج الامام أحمد بسند جيد عن أبى عسيب رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم دخل حائطا لبعض الانصار ومعه أبو بكر وعمر فجاء صاحب الحائط بعذق فوضعه فأكل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، ثم دعا بماء بارد فشرب فقال « لتسئلن عن هذا يوم القيامة » فقليل يا رسول الله انا لمسئولون عن هذا يوم القيامة ؟ قال « نعم الا من ثلاث خرقة يكف بها عورته وكسرة يسد بها جوعته وجحر يدخل فيه من الحر والقر » واخرج الطبرانى والبزار والحاكم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ثلاث من كن فيه حاسبه الله حسابا يسيرا وأدخله الجنة برحمته - قالوا وما هى ؟ قال - تعطي من حرملك وتصل من قطعك وتعفو عمن ظلمك » وفى ترغيب الأصبهاني عن أنس مرفوعا « ان استطعت أن تمسى وتصبح وليس فى قلبك غش لأحد فافعل فانه أهون عليك فى الحساب » وأخرج البيهقى عن أبى هريرة رضى الله عنه انه قال اعزأبى يا رسول الله من يحاسب الخلق يوم القيامة ؟ قال : الله ، قال : نجونا ورب الكعبة ، قال : وكيف يا اعزأبى ؟ قال : لان الكريم اذا قدر عفا • وما أحسن ما قيل من الحكم المدونة : الكريم اذا قدر غفر ، واذا زللت معه ستر • ومنها ليس من عادة الكرام سرعة الغضب والانتقام •

فائدة : يكلم
الله المسلمين
بغير ترجمان

(فائدة)

ذكر القرطبي كغيره أن الله تعالى يكلم المسلمين عند الحساب من غير ترجمان اكراما لهم ، ولا يكلم الكافرين بل تحاسبهم الملائكة اهانة لهم وتمييزا لأهل الكرامة . وأخرج الشيخان عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « ثلاثة لا يكلمهم الله تعالى يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم ، رجل على فضل ماء بالطريق يمنع منه ابن السبيل ، ورجل بايع اماما ما يبايعه الا لدنيا فان أعطاه ما يريد وفى له والا لم يف له ، ورجل يبايع رجلا بعد العصر فحلف بالله لقد أعطى كذا وكذا - فصدقه ولم يعط بها »

الخامس فيمن
يدخل الجنة
بغير حساب

(الخامس)

ثبت فى عدة أخبار عن النبي المختار صلى الله عليه وسلم ما كر الليل على النهار أن طائفة من هذه الأمة بلا ارتياب يدخلون الجنة بغير حساب فيدخلون جنات النعيم قبل وضع الموازين وأخذ الصحف بالشمال واليمين ، فقد أخرج الشيخان وغيرهما عن ابن عباس رضى الله عنهما قال خرج الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال « عرضت على الامم يمر النبي معه الرجل والنبي معه الرجلان والنبي ليس معه أحد والنبي معه الرهط ، فرأيت سوادا كثيرا فرجوت أن تكون أمتى فليل لى هذا موسى وقومه ، ثم قيل لى انظر فرأيت سوادا كثيرا قد سد الافق فليل هكذا وهكذا فرأيت سوادا كثيرا فليل لى هؤلاء أمتك ومع هؤلاء سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب » ففرق الناس ولم يبين لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتذاكر ذلك أصحابه فقالوا مقالوا اما نحن فى الشرك ولكن قد آمنّا بالله ورسوله ، هؤلاء أبناؤنا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « هم الذين لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون » فقام عكاشة بن محصن فقال أنا منهم ؟ وفى لفظ ادع الله ان أكون منهم يا رسول الله ، قال : نعم ، ثم قام آخر فقال أنا منهم ؟ فقال « سبقك بها عكاشة » قال الامام المحقق ابن القيم فى كتابه (الداء والدواء) قوله صلى الله عليه وسلم : سبقك بها عكاشة ، لم يرد أن عكاشه وحده

أحق بذلك ممن عدها من الصحابة ولكن لو دعا له لقام آخر وآخر وانفتح الباب وربما قام من لم يستحق أن يكون منهم فكان الامساك اولى • وأخرج الترمذى وحسنه عن أبى امامة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « وعدنى ربي أن يدخل الجنة من أمتى سبعين ألفا لا حساب عليهم ولا عذاب مع كل ألف سبعون ألفا وثلاث حثيات من حثيات ربي » ويروى « حفات » بالفتح وهو الغرف ملء اليمين وقيل الحثية باليد والحفنة باليمين • وأخرج الامام أحمد والطبرانى عن أبى أيوب رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج ذات يوم اليهم فقال « ان ربي خيرنى بين سبعين ألفا يدخلون الجنة عفوا بغير حساب وبين الخبيثة عنده لامتى » فقال له بعض اصحابه أيجب ذلك ربك ؟ فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خرج وهو يكبر فقال : « ان ربي زادنى مع كل ألف سبعين ألفا والخبيثة عنده » فقيل يا ابا ايوب وما نظن خبيثة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فأكله الناس بأقواهم فقالوا : ما انت وخبيثة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال أبوأيوب دعوه أخبركم عن خبيثة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ان خبيثة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقول رب من شهد ان لا آله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسول مصدقا لسانه قلبه فأدخله الجنة ، الخبيثة بخاء معجمة فموحدة وهمزة بوزن خطيئة • وأخرج البيهقى من حديث ابى هريرة مرفوعا « سألت ربي فوعدنى أن يدخل من أمتى ائمة سبعين ألفا على صورة القمر ليلة البدر ، فاستزدته فزادنى مع كل ألف سبعين ألفا فقلت اى رب رأيت ان لم يكن هؤلاء مهاجرى أمتى قال اذن أكملهم لك من الاعراب » وأخرج الطبرانى والبيهقى عن عمرو بن حزم الانصارى رضى الله عنه قال تغيب عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا لا يخرج الا لصلاة مكتوبة ثم يرجع فلما كان يوم الرابع (؟) خرج الينا فقلنا يا رسول الله احتبست عنا حتى ظننا أنه قد حدث حدث ، قال « لم يحدث الا خيران ربي وعدنى وعدنى أن يدخل من أمتى الجنة سبعين ألفا لا حساب عليهم وانى سألت ربي فى هذه الثلاثة أيام (؟) المزيد فوجدت ربي ماجدا كريما فأعطانى

مع كل واحد من السبعين ألفا سبعين ألفا قلت يا رب وتبلغ أمتي هذا ؟ قال أكمل لك العدد من الأعراب . وأخرج الامام أحمد وأبو يعلى عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اعطيت سبعين ألفا يدخلون الجنة بغير حساب وجوههم كالقمر ليلة البدر وقلوبهم على قلب رجل واحد واستزدت ربي فزادني مع كل واحد سبعين ألفا » قال أبو بكر فرأيت أن ذلك يأتي على أهل القرى ويصيب من حلفات البوادي . وأخرج الامام أحمد والطبراني عن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ان ربي أعطاني سبعين ألفا من أمتي يدخلون الجنة بغير حساب » فقال عمر يا رسول الله فهلا استزدته؟ قال « قد استزدته فأعطاني مع كل رجل سبعين ألفا » قال عمر فهلا استزدته؟ قال « قد استزدته فأعطاني هكذا - وفرج بين يديه وبسط باعيه وحثا » قال هشام هذا من الله ما يدري ما عدده . واخرج البزار عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفا بغير حساب » فقال أبو بكر يا رسول الله زدنا ، قال « وهكذا » فقال عمر يا أبا بكر ان شاء الله ادخلهم الجنة بحفنة واحدة . وأخرج الامام احمد بسند حسن عن حذيفة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ان ربي استشارني في أمتي ماذا أفعل بهم ؟ فقلت ما شئت يا رب هم خلقك وعبادك ، فقال لا نخزيك في أمتك ، واخبرني أن أول من يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفا مع كل ألف سبعون ألفا ليس عليهم حساب » واخرج هناد عن أسما بنت يزيد رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يجمع الله يوم القيامة الناس في صعيد واحد يسمعون الداعي وينفذهم البصر فيقوم مناد ينادي : أين الذين كانوا يحمدون الله على السراء والضراء؟ فيقومون وهم قليل فيدخلون الجنة بغير حساب ، ثم يعود فينادي اين الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع ؟ فيقومون وهم قليل فيدخلون الجنة بغير حساب ، ثم يعود فينادي ليقم الذين كانوا لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ، فيقومون وهم قليل فيدخلون الجنة بغير حساب ، ثم يقوم سائر الناس

فيحاسبون » ورواه ابن ابى الدنيا وغيره • وذكر الحافظ ابن رجب فى كتابه لطائف المعارف فقال قد روى ان المتجهدين يدخلون الجنة بغير حساب • وذكر عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد عن النبى صلى الله عليه وسلم « اذا جمع الله الاولين والآخرين يوم القيامة جاء مناد ينادى بصوت يسمع الخلائق : سيعلم الخلائق اليوم من أولى بالكرم » فذكر الحديث ، قال الحافظ ابن رجب : ويروى أيضا عن شهز بن حوشب عن ابن عباس رضى الله عنهما من قوله ، ويروى نحوه من حديث ابن اسحاق عن عبد الله بن عطاء عن عقبة بن عامر مرفوعا وموقوفا ، ويروى نحوه أيضا عن عبادة بن الصامت وربيعة الجرشي والحسن وكعب من قولهم • قال الحافظ قال بعض السلف قيام الليل يهون طول قيام يوم القيامة • فال واذا كان أهله يسبقون الى الجنة بغير حساب فقد استراح أهله من طول الوقوف للحساب والله أعلم •

الصحف

ولما أنهيانا الكلام على الحساب بحسب ما يليق بهذا الكتاب ثنا العطف على شرح الصحف والميزان المشار الى ذلك فى قوله ((و)) كذا وقوف الخلق لاخذ ((الصحف)) جمع صحيفة وهى الكتب كتبها الملائكة وأحصوا ما فعله كل انسان من سائر أعماله فى الدنيا القولية والفعلية ، وقيل هى صحف تكتبها العباد فى قبورها قال تعالى (واذا الصحف نشرت) قال الثعلبى أى التى فيها أعمال بنى آدم نشرت للحساب وانما يؤتى بالصحف الزاما للعباد ورفعا للجدل والعناد • وقال تعالى (وكل انسان أَلزَمناه طائره فى عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا) قال العلماء معنى طائره عمله ، وقال مقاتل والكلبى خيره وشره معه لا يفارقه ، وهو معنى الاول • وقال تعالى (وأما من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا) وفى الآية الاخرى (فأولئك يقرءون كتابهم ولا يظلمون قتيلا) والقتيل هو القشر الذى فى شق النواة وهذا يضرب مثلا للشئ الحقيق • وذكر مجاهد عن ابن عباس رضى الله عنهما أن المراد بالقتيل الوسخ الذى يظهر بقتل الانسان ابهامه بسببته • قال العلامة الشيخ مرعى وانما خص القراءة بمن أوتى كتابه بيمينه دون من أوتيه بشماله لان اهل الشمال اذا طالعوا

كتابهم وجدوه مشتتلا على المهلكات العظيمة والقبايح الكاملة فيتولى الخوف والدهش على قلوبهم وينقل لسانهم فيعجزون عن القراءة الكاملة بخلاف أصحاب اليمين فانهم اذا طالعوا صحف حسناتهم وجدوها على السكامل فيقرونها كتابهم على أحسن الاحوال وأتمها ثم لم يقنع احد بقراءته حتى يقول لأهل المحشر : هاؤم اقرءوا كتابيه - كما قال الفخر وغيره • وقال تعالى (وأما من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا وينقلب الى أهله مسرورا* وأما من أوتى كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثبورا ويصلى سعيرا)

والحاصل أن نشر الصحف وأخذها باليمين والشمال مما يجب الايمان به وعقد القلب بأنه حق لتبوته بالكتاب والسنة والاجماع فقد اخرج العقيلي عن أنس رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « الكتب كلها تحت العرش فاذا كان يوم القيامة يبعث الله ريحا فطيرها بالايمن والشمال » أول خط فيها (اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسييا) « قال قتادة سيقراً يومئذ من لم يكن قارئاً في الدنيا • وأخرج الديلمي عن أبي هريرة رضى الله عنه مرفوعاً « عنوان كتاب المؤمن يوم القيامة حسن تناء الناس عليه » • وقال ابن مسعود رضى الله عنه • وأخرج الترمذى من حديث ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات فاما عرضتان فجدال ومعاذير فعند ذلك تطير الصحف فى الايدي فأخذ بيمينه وأخذ بشماله » ورواه ابن ماجه من حديث أبى موسى الأشعري رضى الله عنه ولفظه « وأما الثالثة فتطير الصحف فى الايدي فأخذ بيمينه وأخذ بشماله » وأخرجه البيهقي من حديث ابن مسعود رضى الله عنه ولفظه : « وأما العرضة الثالثة فتطير الكتب فى الايمان والشمال » • قال الحكيم الترمذى الجدال للاعداء يجادلون لانهم لا يعرفون ربهم فيظنون انهم اذا جادلوه نجوا أو قامت حجبتهم ، والمعاذير لله يعتذر الى آدم والى أنبيائه ويقيم حجته عندهم على الاعداء ثم يبعث بهم الى النار ، والعرضة الثالثة للمؤمنين وهو العرض الأكبر يخلو بهم فيعاتب من يريد عتابه فى تلك الخلوات حتى يذوق وبال

الحياء والخجل ثم يغفر لهم ويرضى عنهم • وأخرج ابن المبارك عن أبي عثمان النهدي قال ان المؤمن ليعطى كتابه في ستر من الله فيقرأ سيئاته فيتغير لونه ، ثم يقرأ حسناته فيرجع اليه لونه ، ثم ينظر فاذا سيئاته قد بدلت حسنات فعند ذلك يقول هاؤم اقرؤا كتابيه • وأخرج مكى فى تفسيره عن أم المؤمنين عائشة الصديقة رضى الله عنا قالت يا رسول الله كيف يحاسب حسابا يسيرا ؟ قال « يؤتى العبد كتابه بيمينه فيقرأ سيئاته ويقرى الناس حسناته ثم يحل الصحيفة فيحول الله حسناته فيقرأها الناس فيقولون ما كان لهذا العبد من سيئة » فهذا تفسير قوله تعالى (وأما من أتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا وينقلب الى اهله مسرورا) أهله هم أهل الجنة كما فى البهجة • وأخرج الترمذى وحسنه وابن حبان والبيهقى والبخارى وابن أبي حاتم عن أبي هريرة رضى الله عنه مرفوعا فى قوله تعالى (يوم ندعو كل أناس بامامهم) قال يدعى الرجل فيعطى كتابه بيمينه ويمد له فى جسمه ستون ذراعا ويبيض وجهه ويجعل على رأسه تاج من لؤلؤ يتلأأ فينطلق الى أصحابه فيرونه من بعيد فيقولون اللهم اتنا بهذا وبارك لنا فى هذا حتى يأتيهم فيقول أبشروا فان لكل واحد منكم مثل هذا ، وأما الكافر فيسود وجهه ويمد فى جسمه ستون ذراعا ويجعل على رأسه تاج من نار فيراه أصحابه فيقولون اللهم انا نعوذ بك من هذا ، اللهم لا تأتنا بهذا ، فيأتيهم فيقولون اللهم اخزه فيقول أبعدم الله فان لكل رجل منكم مثل هذا • وأخرج الامام احمد عن عائشة رضى الله عنها قالت قلت رسول الله هل يذكر الحبيب حبيبه يوم القيامة ؟ قال « أما عند ثلاث فلا ، عند الميزان حتى يعلم أىثقل أم يخف ، وعند تطاير الكتب فاما ان يعطى بيمينه أو بشماله ، وحين يخرج عنق من النار » الحديث

((فوائد))

(الاولى) قال سعيد بن المسيب الذى يأخذ كتابه بشماله تلوى يده خلف ظهره ثم يعطى كتابه • وقبل تنزع من صدره الى خلف ظهره • وقال مجاهد فى قوله تعالى (وأما من أتى كتابه وراء ظهره) قال تجعل شماله وراء ظهره فيأخذ بها كتابه •

فوائد الاولى
كيفية اخذ
الصحف

الثالثة الفرق بين
أخذ المسلم
العاصي وأخذ
الكافر

(الثانية) يعطى الكافر كتابه بشماله من وراء ظهره بأن تخلع أو يدخلها من صدره أو تلوى ، ويعطى المؤمن العاصي كتابه بشماله من أمامه ويعطى المؤمن الطائع كتابه بيمينه من أمامه . وقد جزم الماوردي بأن المشهور أن الفاسق الذى مات على فسقه دون توبة يأخذ كتابه بيمينه ثم حكى قولاً بالوقوف قال ولا قال بأنه يأخذه بشماله . وقال يوسف بن عمر من المالكية اختلف فى عصاة الموحدين ف قيل يأخذون كتبهم بأيمانهم وقيل بشمائلهم وعلى القول بأنهم يأخذونها بأيمانهم قيل يأخذونها قبل الدخول فى النار فيكون ذلك علامة على عدم خلودهم فيها وقيل يأخذونها بعد الخروج منها والله أعلم

الثالثة أول من
يعطى كتابه
بيمينه وأول من
يعطى بشماله

(الثالثة) ورد أن أول من يأخذ كتابه بيمينه أو سلمة بن عبد الاسد واسمه عبد الله وهو أول من يدخل الجنة من هذه الامة بعد نبينا صلى الله عليه وسلم وهو أول من هاجر من مكة الى المدينة . وقال بعض علماء المالكية اول من يعطى كتابه بيمينه وله شعاع كشعاع الشمس عمر بن الخطاب رضى الله عنه وبعده أبو سلمة . انتهى

وروى ان أول من يأخذ كتابه بشماله اخو ابي سلمة بن عبد الاسد الاسود روى انه يمد يده لياخذه بيمينه فيجذبه ملك فيخلع يده فيأخذه بشماله من وراء ظهره وذلك لأنه كان خلع يد سلمة لما أراد أن يهاجر فمنع بنو المغيرة أم سلمة أن تسير مع ابي سلمة ونزعوا خظام البعير من يده فأخذوها منه فغضب رهط أبي سلمة وهم بنو عبد الاسد فاجتذبوا ابنه سلمة المذكور من أمه حيث اخذها رهطها ولم يدعوا تسير مع ابي سلمة فخلعوا يد الغلام - القصة ، فجوزى الاسود بخلع يده فالجزء من جنس العمل . قال القرطبي فى تذكرته اذا وقف الناس على أعمالهم من الصحف التى يؤمر بعد البعث حوسبوا بها . وأخرج ابن المبارك عن رجل من بنى أسد قال قال عمر رضى الله عنه لكعب حدثنا من حديث الآخرة ، قال نعم يا أمير المؤمنين اذا كان يوم القيامة رفع اللوح المحفوظ فلم يبق أحد من الخلائق الا وهو ينظر الى عمله ثم يؤتى بالصحف التى فيها اعمال العباد فتشمر حول العرش ثم يدعى المؤمن فيعطى كتابه بيمينه فينظر فيه

((و)) كذا وقوف الخلق لأجل ((الميزان)) اعلم أن مراتب المعاد البعث والنشور ثم المحشر ثم القيام لرب العالمين ثم العرض ثم تطاير الصحف وأخذها باليمين وأخذها بالشمال ثم السؤال والحساب ثم الميزان ((للثواب)) أى ثواب الاعمال الصالحة وعن السيئات الفاضحة قال علماءنا كغيرهم نؤمن بأن الميزان الذى توزن به الحسنات والسيئات حق ، قالوا وله لسان وكفتان توزن به صحائف الاعمال ، قال ابن عباس رضى الله عنهما توزن الحسنات فى أحسن صورة والسيئات فى أفسح صورة . قال العلامة الشيخ مرعى فى بهجته : الصحيح ان المراد بالميزان الميزان الحقيقى لامجرد العدل خلافا لبعضهم . وقال القرطبى فى تذكرته قال العلماء اذا انقضى الحساب كان بعده وزن الاعمال لأن الوزن للجزاء فينبغى ان يكون بعد المحاسبة لتقرير الاعمال والوزن لظهار مقاديرها ليكون الجزاء بحسبها قال الله تعالى (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين) وقال تعالى (فأما من ثقلت موازينه فهو فى عيشة راضية . وأما من خفت موازينه فأمه هاوية . وما أدريك ماهيه . نار حامية)

والحاصل ان الايمان بالميزان كأخذ الصحف ثابت بالكتاب والسنة والاجماع فالكتاب ما ذكرناه وقوله تعالى (ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم) الى غير ذلك من الآيات وروى ان داود عليه السلام سأل ربه أن يريه الميزان فلما رآه غشى عليه فلما أفاق قال الهى من ذا الذى يقدر بملا كفة حسناته ؟ فقال اذا رضيت عن عبدى ملأتها بتمرة ذكره الرازى والتعلبى . وقال عبد الله بن سلام رضى الله عنه أن ميزان رب العالمين ينصب للجن والانس يستقبل به العرش احدى كفتيه على الجنة والاخرى على جهنم لو وضعت السموات والارض فى احدهما لوسعتهن وجبريل آخذ بعموده ينظر الى لسانه . قال فى البهجة فى هذا ان اعمال الجن توزن كما توزن أعمال الانس وهو كذلك ارتضاء الائمة . قال القرطبى فى تذكرته المتقون توضع حسناتهم فى الكفة النيرة وصغارهم فى الكفة الاخرى فلا يجعل الله لتلك الصغار وزنا وتثقل الكفة النيرة حتى

لا ترتفع وترفع المظلمة ارتفاع الفارغة الخالية ، قال وأما الكفار فيوضع كفرهم واوزارهم في الكفة المظلمة وان لهم أعمال بر وضعت في الكفة الاخرى فلا تقاومها اظهارا لفضل المتقين وذل الكافرين ، والحق ان الكفار لا يقيم الله لهم وزنا لقوله تعالى (فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا) ومن قال توزن أعمالهم لو روده في ظواهر عموم الايات والاحاديث يجيب عن الآية الكريمة بأنه تعالى لا يقيم لهم وزنا نافعا كما في قوله (وقدما الى ماعملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا) اي كالهباء في عدم نفعه وحصول فائدته • والحق ان مؤمنى الجن كالانس في الوزن وكافرهم ككافرهم • وأخرج الحاكم وصححه من حديث سلمان الفارسي رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « يوضع الميزان يوم القيامة فلو وزن فيه السموات والارض لوسعهن فتقول الملائكة يارب لمن يزن هذا فيقول لمن شئت من خلقى فتقول الملائكة سبحانك ماعبدناك حق عبادتك » وأخرجه الامام عبد الله بن المبارك فى الزهد والآجرى فى الشريعة عن سلمان موقوفا • وأخرج البزار والبيهقى فى البعث عن أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « يؤمى بادن آدم بوم القيامة فيوقف بين كفتى الميزان ويوكل به ملك فان ثقل ميزانه نادى الملك بصوت يسمع الخلائق : سعد فلان بن فلان سعادة لايشقى بعدها أبدا ، وان خف ميزانه نادى الملك بصوت يسمع الخلائق : أالشقى فلان شقاوة لايسعد بعدها أبدا » وذكر الثعلبى وغيره وابن جرير فى تفسيره وابن أبى الدنيا عن حذيفة رضى الله عنه انه قال : صاحب الميزان يوم القيامة جبريل عليه السلام • وقال الحسن هو ميزان له كفتان ولسان وهو بيد جبريل عليه السلام • واخرج أبو الشيخ بن حيان فى تفسيره من طريق الكلبي عن ابى صالح عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : الميزان له لسان وكفتان • فقد دلت الآثار على انه ميزان حقيقى ذو كفتين ولسان كما قال ابن عباس والحسن البصرى وصرح بذلك علماؤنا والاشعرية وغيرهم وقد بلغت أحاديثه مبلغ التواتر وانعقد اجماع أهل الحق من المسلمين عليه • وأخرج ابن أبى حاتم عن ابن عباس رضى الله عنها قال : يحاسب الناس يوم القيامة

فمن كانت حسناته أكثر من سيئاته بواحدة دخل الجنة ومن كانت سيئاته أكثر من حسناته بواحدة دخل النار • قال وان الميزان يخف بمشقال حبة ويرجح ، ومن استوت حسناته وسيئاته كان من اصحاب الاعراف فوقفوا على الصراط • وأخرج الامام أحمد في انزهه من طريق رباح بن زيد عن أبي الجراح عن رجل يقال له حازم ان النبي صلى الله عليه وسلم نزل عليه جبريل وعنده رجل يبكي فقال « من هذا ؟ قال : فلان ، قال جبريل انا ازن أعمال بنى آدم كلها الا البكاء فان الله يطفىء بالدمعة بحورا من نيران جهنم » واخرج البيهقي عن مسلم بن يسار قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما اغرورقت عين بمائها الا حرم الله ذلك الجسد على النار ، ولا سالت قطرة على خدها فيرهق ذلك الوجه قترا ولاذلة ، ولو ان باكيا بكى فى أمة من الامم لرحموا وما من شىء الا له مقدار وميزان الا الدمعة فانها يطفأ بها بحار من النار » واخرج الترمذى وحسنه من حديث أنس رضى الله عنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يشفع لى يوم القيامة فقال « انا فاعل ان شاء الله » قلت أين أطلبك ؟ قال « أول ما تطلبنى على الصراط » قلت فان لم القك على الصراط قال « فاطلبنى عند الميزان » قلت فان لم القك عند الميزان قال « فاطلبنى عند الحوض فانى لا اخطىء هذه الثلاث مواطن » ورواه البيهقى فى البعث وغيره

(تنبيهات)

(الاول) اختلف فى الميزان هل هو واحد أو أكثر فلاشهر أنه ميزان واحد لجميع الامم ولجميع الاعمال كفتاه كاطباق السموات والارض كما مر ، وقيل انه لكل امة ميزان • وقال الحسن البصرى : لكل واحد من المكلفين ميزان • قال بعضهم الاظهر اثبات موازين يوم القيامة لاميزان واحد لقوله تعالى (ونضع الموازين) وقوله (فمن ثقلت موازينه) قال وعلى هذا فلا يبعد أن يكون لأفعال القلوب ميزان ولأفعال الجوارح ميزان ولما يتعلق بالقول ميزان • أورد هذا ابن عطية وقال : الناس على خلافه وانما لكل واحد وزن مختص به والميزان واحد • وقال بعضهم انما جمع الموازين فى الآية الكريمة لكثرة من توزن أعمالهم • وهو حسن

تنبيهات الاول
الميزان واحد ام
متعدد ؟

(الثاني)

الثاني : العبد
يوزن أم صحفه
أم العمل ؟

اختلف فى الموزون قيل يوزن العبد مع عمله ، وقيل توزن نفس الاعمال فتصور الاعمال الصالحة بصورة حسنة نورانية ثم تطرح فى كفة النور وهى اليمنى المعدة للحسنات فتثقل بفضل الله سبحانه ، وتصور الاعمال السيئة بصورة قبيحة ظلمانية ثم تطرح فى الكفة المظلمة وهى الشمال المعدة للسيئات فتخفف بعدل الله سبحانه كما جاء به الحديث ، فامتاع قلب الحقائق فى مقام خرق العادات غير ملتفت اليه كما لا يخفى ، وقيل أن الله تعالى يخلق اجساما على عدد تلك الاعمال من غير قلب لها . والحق ما قدمناه ان الموزون صحف الاعمال وصححه ابن عبد البر والقرطبي وغيرهما وصوبه الشيخ مرعى فى بهجته وذهب اليه جمهور من المفسرين ، وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عما يوزن يوم القيامة فقال : « الصحف » ذكره الفخر الرازى وغيره وحكاه ابن عطية عن أبى المعالى ، ويؤيد ذلك حديث البطاقة والسجلات رواه الترمذى وحسنه وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه والحاكم والبيهقى وقال الحاكم : على شرط مسلم . عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ان الله يستخلص رجلا من أمتى على رؤوس الخد لا ترق يوم القيامة فينشر له تسعة وتسعون سجلا كل سجل مثل مد البصر ثم يقول اتنكر من هذا شيئا ؟ أظلمك كتبتي الحافظون ؟ فيقول لا يارب ، فيقول افلك عذر أو حسنة ؟ فيقول لا يارب ، فيقول الله : بلى ان لك عندنا حسنة فانه لا ظلم عليك اليوم فتخرج بطاقة فيها أشهد أن لا اله الا الله واشهد أن محمدا عبده ورسوله فيقول : احضر وزنك ، فيقول يارب ماهذه البطاقة مع هذه السجلات ؟ فيقال : فانك لاتظلم ، وتوضع السجلات فى كفة والبطاقة فى كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة فلا يثقل مع اسم الله شيء ، قال العلامة الشيخ مرعى فى بهجته ثبت بهذا الحديث الصحيح ان الموزون صحائف الاعمال ، وهو الحق ، فان قيل قد اخرج الشيخان عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال « انه ليأتى الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح

بعوضة » فقد صرح بأن الموزون نفس بدن الانسان فالجواب ان هذا ضربه
النبي صلى الله عليه وسلم مثلا للذى يعتر بعض الاجسام وهو كناية عن
اكثر الله بالاجسام فان الله لا ينظر للصور وانما ينظر للاعمال والقلوب
فكم من جسم وسيم وهو عند الله من اصحاب الجحيم فهذا محمل الحديث
الصحيح والله اعلم

(الثالث)

الثالث : هل
يوزن الايمان ؟

قال النسفى فى بحر الكلام ان الايمان لا يوزن لانه ليس له ضد يوضع
فى كفة الميزان الاخرى لان ضده الكفر ، والايمان والكفر لا يكونان فى
الانسان الواحد • قلت هذا وزن كلمة الاخلاص وهى أس الايمان ،
واتصر القرطبي للنسفى كالحكيم الترمذى واجاب عن كلمة الاحلاص
بأنها انما تكون ايمانا أول مرة وبعد ذلك تكون من حسناته • قال ويدل
عليه قوله صلى الله عليه وسلم : بلى ان لك عندنا حسنة : ولم يقل ان لك
عندنا ايمانا وقد سئل صلى الله عليه وسلم عن لا اله الا الله من الحسنات
هى ؟ « من أعظم الحسنات » رواه البيهقى وغيره • قلت وفيه نظر لا يخفى •
(فان قيل) ما الحكمة فى الوزن مع ان الله عالم بكل شىء فيعلم خاتمة الاعين
وماتخفى الصدور ؟ (اجاب) الثعلبى بأن الحكمة فى ذلك تعريف الله عدده
مالهم عنده من الجزاء من خير أو شر • وقال العلامة الشيخ مرعى بل
الحكمة فيه اظهار العدل وبيان الفضل حيث انه يزن مناقيل الذر من خير أو
شر (وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما)

(الرابع)

الرابع : الكفة
الثقيلة تهبط ام
ترتفع ؟

ظواهر الآثار وافوال العلماء ان كيفية الوزن فى الآخرة خفة وثقلا
مثل كيفيته فى الدنيا ماقل نزل الى اسفل ثم يرفع الى عليين وماخف طاش
الى اعلى ثم نزل الى سجين وبه صرح جموع منهم القرطبي • وقال بعض
المتأخرين بل الصفة مختلفة وان عمل المؤمن اذا رجح سعد وسفلت
سيئته ، والكافر تسفل كفته لخلو الاخرى عن الحسنات ، ثم تلا قوله تعالى
(والعمل الصالح يرفعه) • وذكر بعضهم فى صفة الوزن ان تجعل جميع

اعمال العباد فى الميزان فى مرة واحدة الحسنات فى كفة النور وهى يمين العرش جهة الجنة والسيئات فى كفة الظلمة وهى عن يساره جهة النار ويخلق الله لكل انسان علما ضروريا يدرك به خفة اعماله وثقلها • وقيل بل علامة الرجحان عمود نور يقوم فى كفة الحسنات حتى يكسو كفة السيئات ، وعلامة الخفة عمود ظلمة يقوم من كفة السيئات حتى يكسو كفة الحسنات لكل احد وبالله التوفيق

ولما انتهى الكلام على الوقوف والحساب وتطير الصحف والميزان للثواب اعقب ذلك بذكر الصراط فقال :

الصراط

((كذا الصراط ثم حوض المصطفى

فيا هنا لمن به نال الشـفا))

((كذا)) اجزم بثبوت ((الصراط)) فانه حق ثابت بلا شطاط وهو فى

اللغة الطريق الواضح ومنه قول جرير

أمير المؤمنين على صراط اذا اعوج الموارد مستقيم

وقول الآخر

* فصد عن نهج الطريق الواضح * والصراط بالصاد والسين المهملتين وبالزاي على نزاع فى اخلاصها ومضارعتها بين الصاد والزاي من سرطت الشيء بكسر الراء اذا ابتلغته لانه يتلغ المارة كما أن الطريق كذلك أى يغيثهم ، وفى الشرع جسر ممدود على متن جهنم يرده الأولون والآخرون فهو قنطرة جهنم بين الجنة والنار وخلق من حين خلقت جهنم • قال القرطبي فى تذكرته : اعلم رحمتك الله تعالى ان فى الآخرة صراطين أحدهما مجاز لاهل المحشر كلهم ثقلهم وخفيفهم الامن دخل الجنة بغير حساب والامن يلتقطه عنق من النار، فاذا خلص من خلص من هذا الصراط الاكبر الذى ذكرناه ولايخلص عنه الا المؤمنون الذين علم الله منهم ان القصاص لا يستفد حسناتهم حبسوا على صراط خاص لهم ولايرجع الى النار من هؤلاء احد ان شاء الله تعالى لانهم قد عبروا الصراط الاول المضروب على متن جهنم التى يسقط فيها من اوبقته ذنوبه وزاد على الحساب

هل وراء الصراط
صراط آخر ؟

جرمه وعيوبه فقد أخرج البخارى والاسماعيلي فى مشيخته واللفظ له عن
أبى سعيد الخدرى رضى لله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم فى هذه
الآية (ونزعنا ما فى صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين) قال
« يخلص المؤمنون من النار فيحسبون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص
بعضهم من بعض مظالم كانت بينهم فى الدنيا حتى اذا هذبوا ونقوا اذن لهم فى
دخول الجنة فو الذى نفس محمد بيده لأحدهم أهدى بمنزله فى الجنة منه
بمنزله فى الدنيا » قال قتادة كان يقال ما يشبه بهم الا أهل الجمعة انصرفوا
من جمعتهم ، قال القرطبى هذا فى حق من لم يدخل النار من عصاة
الموحدين اما من دخلها ثم أخرج فانهم لا يجسبون بل اذا خرجوا بثوا
على انهار الجنة • وقال الحافظ ابن حجر قوله : يخلص المؤمنون من النار
اى ينجون من السقوط فيها بمجاوزة الصراط فيها ، قال واختلف فى
القنطرة المذكورة فقيل انها من تنمة الصراط وهى طرفه الذى يلي الجنة وقيل
انها صراط آخر وبه جزم القرطبى • قال الحافظ جلال الدين السيوطى
فى كتابه البدور السافرة فى علوم الآخرة • والاول يعنى انه طرف
الصراط الذى يلي الجنة هو المختار الذى دلت عليه احاديث القنطرة
والحساب على الصراط • انتهى

صفة الصراط والمرور عليه

قال العلماء : الصراط أدق من الشعرة وأحد من السيف واحمى من
الجمرة فقد أخرج الطبرانى باسناد حسن عن عبد الله بن مسعود رضى
الله عنه قال : يوضع الصراط على سواء جهنم مثل حد السيف المرهف
مدحضة - اى مزلقة أى لا تثبت عليه قدم بل تزل عنه الا من يشبهه الله
تعالى - عليه كلاليب من نار تخطف اهلها فتمسك بهواذها ويستبقوز عليه
بأعمالهم فمنهم من شده كالبرق فذاك الذى لا يشب أن ينجو ، ومنهم من
شده كالريح ، ومنهم من شده كالفرس الجواد ، ومنهم من شده كهرولة
الرجل ، ثم كرمل الرجل ، ثم كمشى الرجل ، وآخر من يدخل الجنة
رجل قد لوحته النار فيقول الله له : سل وتمن ، فاذا فرغ قال : لك ما
سألت ومثله معه • وأخرج ابن منيع فى مسنده عن ابى هريرة رضى الله
عنه مرفوعا « الصراط كحد السيف دحض مزلة ذا حسك وكلاليب »

وأخرج الامام احمد عن عائشة رضی الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لجهنم جسر ادق من الشعر وأحد من السيف عليه كلاليب وحسك تأخذ من شاء الله والناس عليه كالطرف والبرق والرياح وكأجاويد الخيل والركاب ، والملائكة يقولون رب سلم سلم ، فاج مسلم ومخدوش مسلم ومكور في النار على وجهه » وأخرج مسلم عن أبي سعيد البخدرى قال بلغنى ان الجسر أدق من الشعر وأحد من السيف . وأخرج ابن ماجه عن ابى سعيد ايضا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « وضع الصراط بين ظهرائى جهنم عليه حسك كحسك السعدان ثم يستجيز الناس فجاج مسلم ومخدوش به ثم ناج ومحتبس به ومنكوس فيها » وأخرج ابن جرير والبيهقى فن ابن مسعود رضی الله عنه قال : الصراط على جهنم مثل حد السيف فتمر الطبقة الاولى كالبرق ، والثانية كالرياح ، والثالثة كأجود الخيل ، والرابعة كأجود البهائم ، يمرون والملائكة يقولون اللهم سلم اللهم سلم . وأخرج البيهقى عن أنس رضی الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « الصراط كحد السيف وان الملائكة ينجون المؤمنين والمؤمنات وان جبريل يأخذ بحجزتى وانى لأقول يا رب سلم سلم فالزالون والزالات يومئذ كثير » وأخرج ابن عساكر عن الفضيل ابن عياض رحمه الله تعالى قال بلغنا أن الصراط مسيرة خمسة عشر ألف سنة ، خمسة آلاف صعود ، وخمسة آلاف هبوط ، وقمسة آلاف مستوى ، أدق من الشعرة وأحد من السيف على متن جهنم لا يجوز عليه الا ضامر مهزول من خشية الله تعالى . وفى بعض الآثار أن طول الصراط مسيرة ثلاثة آلاف سنة ألف منها صعود وألف منها هبوط وألف منها استواء . وفى بعض الروايات أن جبريل فى أوله وميكائيل فى وسطه يسألون الناس عن عمرهم فيما أفنوه وعن شبابهم فى ما ابلوه وعن علمهم ماذا عملوا به . وفى بعض الآثار أن فيه سبع قاطر يسئل كل عبد عند كل قنطرة منها عن أنواع من التكليف . (قلت) وقد ذكر القرطبى فى تذكرته عن بعض أهل العلم انه قال لن يجوز احد الصراط حتى يسأل على سبع قاطر فأما القنطرة الاولى فيسأل عن الايمان بالله وهى شهادة ألا اله الا الله فان جاء

بها مخلصا - والاخلاص قول وعمل - جاز ، ثم يسأل في الفطرة الثانية عن الصلاة فان جاء بها تامة جاز ، ثم يسأل في القنطرة الثالثة عن صوم رمضان فان جاء به تامة جاز ، ثم يسأل في الرابعة عن الزكاة فان جاء بها تامة جاز ، ثم يسأل في الخامسة عن الحج والعمرة فان جاء بهما تامين جاز ، الى القنطرة السادسة ، فيسأل عن الغسل والوضوء فان جاء بهما تامين جاز الى السابعة ، وليس في القناطر أصعب منها فيسأل فيها عن ظلمات الناس وتبعات الخلق . وجاء في الحديث الشريف انه اذا صار الناس على طرف الصراط نادى ملك من تحت الحرش : يا فطرة الملك الجبار جوزوا على الصراط وليقف كل عاص منكم وظالم . واخرج الحاكم وصححه والطبراني عن أم الدرداء قالت قلت لابي الدرداء ألا تبتغي لاضياك ما تبتغي الرجال لاضيافهم ؟ فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ان أمامكم عقبة كؤدا لا يجوزها المثقلون فأحب أن أتخفف لتلك العقبة » قوله كؤود هي بفتح الكاف وهمزة مضمومة الصعبة . وأخرج البزاز بلفظ « ان بين أيديكم عقبة كؤودا لا ينجو منها الا كل مخف » وأخرج الطبراني عن أنس رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ان بين ايدينا عقبة كؤودا لا يصعدھا الا المخفون » فقال رجل يا رسول الله أمن المخفين أنا أم من المثقلين ؟ قال « عندك طعام يوم ؟ قال : نعم ، وطعام غد ؟ قال : لا ، قال لو كان عندك طعام ثلاث كنت من المثقلين » وأخرج الامام احمد بسند صحيح عن ابي ذر رضى الله عنه قال ان خليلي صلى الله عليه وسلم عهد الى أن دون جسر جهنم طريقا ذا دخض ومزلة ، وأنا ان نأتى عليه وفي أحمالنا اقتدار واصطبار أخرى أن تنجو من أن نأتى عليه ونحن موافقير

(تنبيهات)

(الاول) اتفقت الكلمة على اثبات الصراط في الجملة لكن اهل الحق يشبثونه على ظاهره من كونه جسرا ممدودا على متن جهنم أحد من السيف وأدق من الشعر ، وأنكر هذا الظاهر القاضي عبد الجبار المعتزلى وكثير من أتباعه زعما منهم انه لا يمكن عبوره ، وان أمكن ففيه تعذيب ولا عذاب على

تنبيهات الاول
بعضهم يتاول
الصراط

المؤمنين والصلحاء يوم القيامة وانما المراد طريق الجنة المشار اليه بقوله تعالى (سيهديهم ويصلح بالهم) وطريق النار المشار اليه بقوله تعالى (فاهدوهم الى صراط الجحيم) . ومنهم من حمله على الادلة الواضحة والمباحات والاعمال الرديئة ليسأل عنها ويؤاخذ بها . وكل هذا باطل وخرافات لوجود رد (١) النصوص على حقايقها ، وليس العبور على الصراط بأعجب من المشي على الماء أو الطيران في الهواء والوقوف فيه . وقد أجاب صلى الله عليه وسلم عن سؤال حشر الكافر على وجهه بأن القدرة سالحة لذلك . وأنكر العلامة القرافي كون الصراط أدق من الشعر وأحد من السيف وسبقه الى ذلك شيخه العز بن عبد السلام ، والحق أن الصراط وردت به الاخبار الصحيحة وهو محمول على ظاهره بغير تأويل كما ثبت في الصحيحين والمسانيد والسنن والصحاح مما لا يحصى الا بكلفة من أنه جسر مضروب على متن جهنم يمر عليه جميع الخلائق وهم في جواره متفاوتون . وقال المنكر لكون الصراط أدق من الشعر وأحد من السيف: هذا ان ثبت حمل على غير ظاهره لمنافاته للاحاديث الاخر من قيام الملائكة على جنبتيه وكون الكلاب والحسك فيه واعطاء كل من المارين عليه من النور قدر موضع قدميه . قال القرافي : والصحيح أنه عريض ، وقيل طريقان يمشى ويسرى فأهل السعادة يسلك بهم ذات اليمين وأهل الشقاوة يسلك بهم ذات الشمال وفيه طاقات كل طاقة تنفذ الى طبقة من طبقات جهنم وجهنم بين الخلق وبين الجنة والجسر على ظهرها منصوب فلا يدخل احد الجنة حتى يمر على جهنم وهو معنى قوله تعالى (وان منكم الا واردها) على أحد الأقوال . ثم قال القرافي تبعا للحافظ البيهقي : كون الصراط أدق من الشعر وأحد من السيف لم أجده في الروايات الصحيحة وانما يروى عن بعض الصحابة فيؤول بأن أمره أدق من الشعر ، فان يسر الجواز عليه وعسره على قدر الطاعات والمعاصي ولا يعلم حدود ذلك الا الله تعالى ، وقد جرت العادة بضرب دقة الشعر مثلا للفاضل الخفي وضرب حد السيف لاسراع الملائكة في المضي لامثال أمر الله واجازة الناس عليه . ورد هذا

(١) مع «لوجوب رده والظاهر» لوجوب حمل ،

الامام القرطبي وغيره من أئمة الآثار • وقد أخرج مسلم تلك الزيادة في صحيحه عن ابن سعيد بلاغا وليست مما للرأى والاجتهاد فيه مجال فهي مرفوعة وقد مر من الاخبار ما يوجب الايمان بذلك ، ثم ان القادر على امساك الطير في الهواء قادر على أن يمسك عليه المؤمن ويجريه ويمشيه ، على أنه أخرج الامام عبد الله بن المبارك وابن ابى الدنيا عن سعيد بن ابى هلال قال بلغنا أن الصراط يوم القيامة يكون على بعض الناس أدق من الشعر وعلى بعض مثل الوادى الواسع • وأخرج أبو نعيم عن سهل بن عبد الله التستري قال من دق الصراط عليه فى الدنيا عرض عليه فى الآخرة ، ومن عرض عليه الصراط فى الدنيا دق له فى الآخرة •

الثانى : الصراط مخلوق الآن

(الثانى) تقدم ان الصراط مخلوق الآن ونقل فى كنز الاسرار عن بعض أهل العلم انه يجوز أن يخلقه الله تعالى حين يضرب على متن جهنم ويجوز أن يكون خلقه حين خلق جهنم • ونحوه فى كلام القاضى عياض قال الحلیمی من الشافعية : لم يثبت انه يبقى الى خروج عصاة الموحدين من النار فيجوزونها عليه الى الجنة • ويحتمل انه يزال ثم يعاد لهم أو لا يعاد أو تصعد به الملائكة الى السور الذى فى الاعراف • قال البدر الزركشى : ومن الحكمة فى الصراط ورفعها ان يظهر للمؤمنين من عظيم فضل الله تعالى النجاة من النار ولتنصير الجنة اسر لقلوبهم بعد وليتحسر الكافر بفوز المؤمنين بعد اشتراكهم فى العبور •

الثالث بردماويل انه شعرة

(الثالث) من الخرافات الباردة زعم من زعم أن ماهية الصراط شعرة من شعر جنون مالك خازن النار فهو كلام تنبو عنه المسامع ويكذبه كل سامع وان نقله الحافظ برهان الدين الحلبي فلا ينبغي أن يلتفت اليه ولا يعول عليه • والله تعالى أعلم •

((ثم)) اجزم بعد البعث والنشور وأخذ الصطف والمرور بشبوهه ((حوض)) النبى ((المصطفى)) نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فانه حق ثابت باجماع اهل الحق وقال تعالى (انا أعطيناك الكوثر) قال الحافظ جلال الدين السيوطى فى كتابه البدور السافرة ورد ذكر الحوض من رواية بضعة وخمسين صحابيا منهم الخلفاء الاربعة الراشدون وحفاظ

الحوض

الصحابه المكثرون وغيرهم رضوان الله عليهم أجمعين ثم ذكر الاحاديث عنهم واحدا واحدا والله أعلم •

الحوض قبل الصراط أم بعده؟

قال القرطبي ذهب صاحب القوت الى أن الحوض بعد الصراط • قال والصحيح أنه قبله • وكذا قال الغزالي : ذهب بعض السلف الى أن الحوض يورد بعد الصراط وهو غلط من قائله • قال القرطبي والمعنى يقتضى تقديم الحوض على الصراط فان الناس يخرجون من قبورهم عطاشا فناسب تقديمه لحاجة الناس اليه • قال ابن عباس رضى الله عنهما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الوقوف بين يدي الله تعالى هل فيه ماء؟ قال « أى والذى نفسى بيده ان فيه ماء وان أوليا الله ليردون الى حياض الانبياء عليهم السلام » ورجح القاضى عياض أن الحوض بعد الصراط وان الشرب منه يقع بعد الحساب والنجاة من النار • وقال ابن حمدان فى عقيدته يشرب منه المؤمنون قبل دخول الجنة وبعد جواز الصراط • انتهى • وقال الحافظ ابن حجر : ظاهر الاحاديث ان الحوض بجانب الجنة لينصب فيه الماء من النهر الذى داخلها فلو كان قبل الصراط لحالت النار بينه وبين الماء الذى يصب من الكوثر فيه ، قال واما ما أورد عليه من أن جماعة يدفعون عن الحوض بعد أن يرووه ويذهب بهم الى النار فجوابه انهم يقربون من الحوض بحيث يرونه ويرون الجنة فيدفعون فى النار قبل أن يخلصوا من بقية الصراط • وقال القرطبي فى التذكرة ان للنبي صلى الله عليه وسلم حوضين احدهما فى الموقف قبل الصراط والثانى فى الجنة وكلاهما يسمى كوثرًا والكوثر فى كلام العرب الخير الكثير • قال الجلال السيوطى وقد ورد التصريح فى حديث صحيح عند الحاكم وغيره بأن الحوض بعد الصراط فان قيل اذا خلصوا من الموقف دخلوا الجنة فلم يحتاجوا الى الشرب منه فالجواب بل يحتاجون الى ذلك لانهم محوسون هناك لأجل المظالم فكان الشرب فى موقف القصاص ، ويحتمل الجمع بأن يقع الشرب من الحوض قبل الصراط لقوم وتأخيره بعده لآخرين بحسب ما عليهم من الذنوب والاوزار حتى يهذبوا منها على الصراط ولعل هذا أقوى • انتهى • قال العلامة الشيخ مرعى فى بهجته وهذا فى غاية التحقيق جامع للقولين

وهو دقيق • انتهى • قال القرطبي في التذكرة ولا يخطر ببالك او يذهب
وهمك الى أن هذا الحوض يكون على وجه هذه الارض وانما يكون وجوده
على الارض المبذلة على مسافات هذه الاقطار وفي المواضع التي تكون بدلا
من هذه المواضع في هذه الارض وهي ارض بيضاء كالفضة لم يسفك عليها
دم ولم يظلم على ظهرها احد قط • اخرج الشيخان وغيرهما من حديث
عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم « حوضى مسيرة شهر مأؤه أبيض من اللبن وريحه أطيب
من المسك وكيزانه كنجوم السماء من شرب منه لا يظمأ أبدا » وفى رواية
« حوضى مسيرة شهر وزواياه سواء ومأؤه أبيض من الورق » وهى عندهما
أيضا • وأخرج الامام أحمد بسند صحيح وابن حبان فى صحيحه واللفظ
للإمام أحمد عن ابى أمامة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال « ان الله وعدنى ان يدخل من أمتى الجنة سبعين ألفا بفسير
حساب » فقال يزيد بن الاخنس : والله ما اولئك فى أمتك الا كالذباب
الاصهب فى الذباب ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قد وعدنى
سبعين ألفا مع كل ألف سبعين ألفا وزادنى ثلاث حثيات » قال فما سعة
حوضك يا رسول الله ؟ قال « كما بين عدن الى عمان وأوسع وأوسع »
يشير بيده قال فيه متعبان بضم الميم والعين المهملة بينهما مثلثة وآخره
موحدة هو مسيل الماء من ذهب وفضة • قال فمأه حوضك يا نبي الله ؟ قال
« اشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل وأطيب رائحة من المسك من شرب
منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا ولم يسود وجهه أبدا » ومن ثم قال ((فيا هنا))
قال فى القاموس : الهنىء والمهنأ ما أتاك بلا مشقة وقد هنىء وهنؤهناء وهنأنىء
ولى الطعام يهنأ ويهنىء ويهنوء هنا وهنأ وهنأء وهنأنىء العافيه وهو هنىء
سائغ ، كأنه يقول أيها الشراب السائغ الهنىء الآتى بلا مشقة اقبل ((لن))
أى على شخص من ذكر او أنثى ((به)) أى بسبب الشرب منه ((نال))
أى أعطى يقال ناله ينوله اذا أعطاه قال فى القاموس النوال والنال والنائل
العطاء ونلته ونلت له وبه أنوله به وأنلته اياه ونولته ونولت عليه ولسه
أعطيته • فيه متعلق بنال و ((الشفا)) من ظمأ ذلك اليوم، والشفاء هو

الدواء والجمع أشفيه وجمع الجمع أشاف يقال شفاء برأه وطلب له الشفاء كأشفاه كما فى القاموس ، ففى حديث ابى بن كعب رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل له : ما الحوض ؟ قال «والذى نفسى بيده أن شرابه ابيض من اللبن وأحلى من العسل وأبرد من الثلج وأطيب ريحا من المسك وأنيته أكثر عددا من النجوم لا يشرب منه انسان فيظما أبدا ولا يصرف عنه انسان فيروى ابدا » رواه ابن ابى عاصم وغيره ، ففى هذا الحديث ان من لم يشرب من حوضه صلى الله عليه وسلم من أمته لا يزال متصفا بقاء الظما أبدا • وروى نحوه البزار والطبرانى من حديث أنس مرفوعا وفيه من شرب منه شربة لم يظما أبدا ومن لم يشرب منه لم يرو ابدا • وأخرج الطبرانى أيضا نحوه فى الاوسط من حديث ابى سعيد الخدرى مرفوعا وفى ذلك عدة أحاديث •

((عنه يناد المقترى كما ورد ومن نحاسبل السلامة لم يرد))

قوم ينادون عن
الحوض

((عنه)) اى عن حوض النبى صلى الله عليه وسلم وعن الشرب منه ((يناد)) بضم التحتية وفتح الذال المعجمة فдал مهملة قبلها ألف مبنى للمالم يسم فاعله أى يطرد ويساق ويدفع دفعا عنيفا قال فى القاموس السذود السوق والطرود والدفع كالذياد ((المقترى)) نائب الفاعل من الفرية بكسر الفاء الكذب يقال فرى فرى فريا واقترى يقترى افتراء اذا كذب وهو افتعال منه ومنه (ولا يأتين بهتان يقترينه) وفى الحديث « من افرى الفرى أن يرى الرجل عينيه ما لم تريا » فالقرى جمع فرية وهى الكذبة وأقرى أفعال منه للتفضيل اى أكذب الكذبات أن يقول رأيت فى النوم كذا ولم يكن رأى شيئا لانه كذب على الله لانه هو الذى يرسل ملك الرؤيا ليريه المنام • والحاصل أن من الذين ينادون عن الحوض جنس المقترين على الله تعالى وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم من المحدثين فى الدين من الروافض والخوارج وسائر اصحاب الاهواء والبدع المضلة ، وكذلك المسرفون من الظلمة المفرطون فى الظلم والجور وطمس الحق كذلك المتهتكون فى ارتكاب المناهى والمعلنون فى اقتراف المعاصى فقد أخرج مسلم فى صحيحه عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال اغفى رسول الله

صلى الله عليه وسلم اغفاه ثم رفع رأسه مبتسماً فقال « انه انزلت على أنفا سورة فقراً (بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك الكوثر) حتى ختمها قال « هل تدرون ما الكوثر ؟ قالوا الله ورسوله اعلم ، قال - هو نهر أعطانيه ربي فى الجنة عليه خير كثير ترد عليه امتى يوم القيامة آنيته عدد الكواكب يختلج العبد منهم فأقول يا رب انه من أمتى فيقال انك لا تدري ما أحدث (١) بعدك ، وأخرج الطبرانى عنه مرفوعاً « أعطيت الكوثر - قلت يا رسول الله وما الكوثر ؟ قال - نهر فى الجنة عرضه وطوله ما بين المشرق والمغرب لا يشرب منه احد فيظماً ولا يتوضأ منه احد فيشعث لا يشربه من اخضر ذمتى ولا من قتل أهل بيتى ، وأخرج مسلم فى صحيحه من حديث حذيفة بن اليمان رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ليردن على الحوض أقوام فيختلجون دونى فأقول رب أصحابى رب أصحابى فيقال انك لا تدري ما أحدثوا بعدك ، واخرج ابن أبى عاصم فى السنة عن ريحانة رسول الله صلى الله عليه وسلم أمير المؤمنين الحسن بن على رضى الله عنه انه قال لمعاوية أنت السباب لعلى اما والله لتردن على الحوض وما أراك ترده فتجده مشمر الأزار على ساق يذود عنه لا يأتي المنافقون ذود غزية الابل قول الصادق المصدوق وقد خاب من افترى • وأخرج الطبرانى وابن حبان والحاكم وصححه عن خباب رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « سيكون امراء من بعدى فلا تصدقوهم بكذبهم ولا تعينوهم على ظلمهم فمن فعل لم يرد على الحوض » وأخرج البخارى ومسلم وغيرهما من طريق ابى حازم عن سهل بن سعد الساعدى رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « انا فرطكم على الحوض من ورد شرب ومن شرب لم يظماً أبداً وليردن على أقوام أعرفهم ويعرفونى ثم يحال بينى وبينهم » قال ابو حازم فسمع النعمان بن ابى عياش وأنا أحدث هذا الحديث فقال هكذا سمعت سهلاً يقول؟ قلت : نعم • فقال وأنا أشهد على أبى سعيد الخدرى سمعته يزيد « انهم منى فيقال انك لا تدري ما عملوا بعدك فأقول سحقاً لمن بدل بعدى »

وأخرج الامام احمد والطبراني والبخاري عن ابن عباس رضى الله عنهما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « أنا فرطكم على الحوض فمن ورد أفلح ويجاء بأقوام فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول يا رب فيقال ما زالوا بعدك مرتدين على أعقابهم » وأخرج الحكيم فى نوادر الاصول عن عثمان بن مظعون رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « يا عثمان لا ترغب عن سنتي فمن رغب عن سنتي ثم مات قبل ان يتوب ضربت الملائكة وجهه عن حوضي يوم القيامة » وأخرج الترمذى والحاكم عن كعب بن عجرة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج عليهم وقال « انه سيكون بعدى أمراء فمن دخل عليهم فصدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه وليس بوارى على الحوض ومن لم يدخل عليهم ولم يعنهم على ظلمهم ولم يصدقهم بكذبهم فهو مني وأنا منه وهو وارد على الحوض » وأخرج الطبراني من حديث ابن مسعود رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ليرفعن لى رجال من أصحابى اذا رأيتهم اختلجوا دونى فأقول أصحابى فيقال انك لا تدري ما أحدثوا بعدك » فهذا معنى قوله ((كما ورد)) ذلك فى الاحاديث النبوية مما ذكرنا مما لم نذكر وقد اخرج البخارى ومسلم حديث ابن مسعود رضى الله عنه بلفظ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنا فرطكم على الحوض وليرفعن الى رجال منكم اذا هويت اليهم لاناولهم اختلجوا دونى فأقول اى رب أصحابى فيقال انك لا تدري ما أحدثوا بعدك » وفيهما من حديث انس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليردن على الحوض رجال ممن صاحبني حتى اذا رفعوا الى اختلجوا دونى فلاقولن اى رب أصحابى فليقالن لى انك لا تدري ما أحدثوا فأقول سحفا لمن بدل بعدى » وفى الصحيحين من حديث ابى هريرة رضى الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال « يرد على يوم القيامة رهط من أصحابى - أو قال من أمتى فيحلون عن الحوض فأقول يا رب أصحابى فيقول انه لا علم لك بما أحدثوا بعدك انهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى » وفى رواية فيجعلون، قال فى جامع الاصول اختلجوا اذا استلبوا وأخذوا بسرعة وقوله فيحلون

يعنى مبنيا للمجهول أى يدفعون عن الماء ويطردون عن وروده اذا كان بالحال المهيمة ، ومن رواه بالجيم فهو من الجلاء وهو النفي عن الوطن وهو راجع الى الطرد . وفي رواية عند البخارى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « بنا أنا قائم على الحوض اذا زمرة حتى اذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال هلم فقلت الى أين ؟ فقال الى النار والله ، فقلت ما شأنهم ؟ فقال انهم قد ارتدوا على أديارهم القهقري ، ثم اذا زمرة أخرى حتى اذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال هلم ، قلت الى أين ؟ قال الى النار والله ، قلت ما شأنهم ؟ قال انهم ارتدوا على أديارهم ، فلا أراه يخلص منهم الا مثل همل النعم » وفي رواية لمسلم « وليضدن عنى طائفة منكم فلا يصلون فأقول يا رب هؤلاء اصحابي فيجيبني ملك فيقول وهل تدري ما أحدثوا بعدك » وعند مسلم أيضا من حديث عائشة رضى الله عنها انه صلى الله عليه وسلم قال « فوالله ليقطنن دوني رجال فلاقولن اى رب منى ومن أمتي فيقول انك لا تدري ما أحدثوا بعدك ، ما زالوا يرجعون على اعقابهم » وفي الصحيحين من حديث اسماء بنت الصديق رضى الله عنهما قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « انى على الحوض انظر من يرد على منكم وسيؤخذ ناس دوني فأقول يارب منى ومن أمتى - وفي رواية فأقول أصحابي - فيقال هل شعرت ما عملوا بعدك ؟ فوالله ما برحوا يرجعون على اعقابهم » وفي ذلك أحاديث كثيرة جدا . قال القرطبي قال علماؤنا كل من ارتد عن دين الله أو احدث فيه ما لا يرضاه الله ولم يأذن به فهو من المطرودين عن الحوض وأشدهم طردا من خالف جماعة المسلمين كالخوارج والروافض والمعتزلة على اختلاف فرقهم فهؤلاء كلهم مبدلون وكذا الظلمة المسرفون فى الجور والظلم وطمس الحق واذلال أهله والمعلنون بكبائر الذنوب المستخفون بالمعاصي وجماعة اهل الزيغ والبدع . ثم الطرد قد يكون فى حال ويقربون بعد المغفرة ان كان التبديل فى الاعمال ولم يكن فى العقائد . قال وقد يقال ان أهل الكبائر يردون ويشربون واذا دخلوا النار بعد ذلك لم يعذبوا بالعطش . انتهى . فأهل البدع مطرودون عن حوض النبي صلى الله عليه وسلم ومردودون عن الشرب، منه ((ومن)) أى

وأى شخص من هذه الامة من ذكر وأثنى ((نحا)) أى قصد يقال نحاه ينحوه وينحاه قصده كاتنحاه ((سبل)) بضم السين المهملة ككتب جمع سبيل وهو الطريق وما وضح منه وجمعه ان الطريق الحق واحد باعتبار خصاله وشعبه المتوصل منه اليها ((السلامة)) من الكلمات الجامعة لخيرى الدنيا والآخرة قال فى القاموس السلامة البراءة من العيوب يعنى أن من نهج منهج الحق وسلك طريق السنة وسلم من البدع وكبائر الذنوب فانه يرد على حوض النبى صلى الله عليه وسلم ويشرب منه و ((لم يرد)) عن الشرب منه ولم يطرد عن الورود عليه كما يفهم من الاحاديث المارة وبالله التوفيق

(تنبيهات)

تنبيهات الاول مقدار الحوض

(الاول) اختلفت الروايات فى تحديد الحوض وتقديره اختلافا كثيرا ففى حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما انه مسيرة شهر وزواياه سواء ، وفى رواية عند الامام احمد أن الحوض كما بين عندن وعمان ، وفى رواية فى الصحيحين ما بين صنعاء والمدينة ، وفى رواية لهما ايضا ما بين المدينة وعمان ، وفى رواية ما بين ايلة ومكة ، وعند ابن ماجه ما بين المدينة الى بيت المقدس ، وفى رواية ما بين جرباء واذرح ، وفى رواية ما بين ايلة وصنعاء اليمن ، وهو فى الصحيحين • قال فى جامع الاصول عن كون حوضه صلى الله عليه وسلم ما بين جنبيه كما بين جرباء واذرح رواه البخارى ومسلم وابو داود ، وقال بعض الرواة هما قريتان بالشام بينهما مسيرة ثلاث ليال ، وفى لفظ ثلاثة أيام • قال فى القاموس وجرباء قرية بجنب أذرح وغلط من قال بينهما ثلاثة أيام ، وانما الوهم من رواة الحديث من اسقاط زيادة ذكرها الدارقطى وهى : ما بين ناحيتى حوضى كما بين المدينة وجرباء واذرح انتهى • وفى مسلم والترمذى مثل ما بين عدن الى عمان البلقاء • قال بعض العلماء وهذا الاختلاف والاضطراب لا يوجب الضعف لانه من اختلاف التقدير والتحديد لا من الاختلاف فى الرواية لان ذلك لم يقع فى حديث واحد فيعد اضطرابا وانما جاء فى أحاديث مختلفة عن غير واحد من الصحابة وقد سمعوه فى مواطن متعددة وكان النبى صلى الله عليه وسلم يمثل لكل قوم الحوض بحسب ما يعلم

التكلم ويفهم السائل وبحسب ما يسنح له صلى الله عليه وسلم من العبارة ويحدد الحوض بحسب ما يفهم الحاضرون من الاشارة . قال الحافظ ابن حجر هذا الاختلاف المتباعد الذى يزيدتارة على ثلاثين يوما وينقص الى ثلاثة أيام لا يصلح أن يكون من ضرب المثل فى التقدير لانه انما يكون بما يتقارب . ورد عليه بأن رواية ثلاثة أيام اعترف هو نفسه بأنها غلط فلا يتوجه الاعتراض بها . وقال النووى ليس فى ذكر المسافة القليلة ما يدفع المسافة الكثيرة فالأكثر ثابت بالحديث الصحيح فلا معارضة . وقال بعضهم يحمل القصير على العرض والطويل على الطول . قلت ويرد هذا: زواياه سواء ، وأوضح من هذا ما فى رواية: طولوه وعرضه سواء . وقال بعضهم بل سبب الاختلاف ملاحظة سرعة السير وعدمها فقد عهد فى الناس من يقطع مسافة عشرة ايام فى ثلاثة ايام وعكسه وأكثر من ذلك وأقل والله أعلم .

الثانى انكر بعضهم الحوض

(الثانى) خالفت المعتزلة فلم تقل باثبات الحوض مع ثبوته بالسنة الصحيحة الصريحة فكل من خالف فى اثباته فهو مبتدع ، وأما ثبوته بالقرآن فاحتمال وليس بصريح ، وأما قوله تعالى (انا أعطيناك الكوثر) ففيه اختلاف هل الحوض أو الخير الكثير أو النهر الذى فى الجنة لكن الحوض ثابت بالسنة المتواترة وظاهر الكتاب فمنكره زائغ عن الصواب مستحق للطرد والعذاب ويكفيه من الخزي والنكال أنه يذاد عنه ويطرد ، ويمنع من الشرب منه ويرد ، وقد اخرج أبو داود عن ابى طلوت قال شهدت ابا برزة رضى الله عنه دخل على عبيد الله بن زياد فحدثنى فلان سماه مسلم وكان فى السماط فلما رآه قال أن محمديكم هذا لدحاح ففهمها الشيخ فقال ما كنت أحسب انى ابقى فى قوم يعيرونى بصحبة محمد صلى الله عليه وسلم . فقال عبيد الله أن صحبة محمد لكم زين غير شين . ثم قال : انما بعثت اليك لآسالك عن الحوض هل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر فيه شيئا ؟ قال أبو برزة رضى الله عنه لا مرة ولا مرتين ولا ثلاثا ولا أربعا ولا خمسا فمن كذب به فلا سقاء الله منه ثم خرج مغضبا .

الثالث لكل نبي حوض

(الثالث) جاء فى الاخبار أن لكل نبي حوضا فأخرج الترمذى من حديث

سمرة بن جندب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
• ان لكل نبى حوضا ترده أمته وانهم يتباهون أيهم أكثر وارده وانى أرجو
أن أكون أكثرهم وارده « وورد فى بعض الاخبار أن لكل نبى حوضا الا
سالحا عليه السلام فان حوضه ضرع ناقته والله أعلم •

((فكن مطيعا واقف أهل الطاعة فى الحوض والكوتر والشفاعة))

((فكن)) ايها الناظر لنظامى السامى لكلامى ((مطيعا)) لما جأت به
الاخبار وصحت بمقتضاه الأثار من صريح المنقول وصحيح المعقول ((واقف))
أمر من قفونه قفوا وقفوا تبعته كتفئته واقفئته اى اتبع فى اعتقادك واقصد
فى نهجك وارتدادك ((أهل الطاعة)) من فرقة أهل السنة والجماعة فانها
الفرقة الناجية والعصابة التى لكل فوز راجية ، والطاعة اسم من أطاعه يطعها
فهو مطيع وطاع له يطوع ويطيع فهو طائع أى أذعن وانقاد والاسم الطاعة
وقيل طاع اذا انقاد وأطاع اذا اتبع الامر ولم يخالفه ((فى)) اعتقاداتها
((الحوض)) الذى تقدم ذكره بالاحاديث الصحيحة والنصوص الصريحة
وتقدم دعاء الصحابى على من كذب به ان الله لا يسقيه منه • ومر فى
الاحاديث أن من احدث فى هذا الدين لا يسقى منه ، وكفى بانكار السنة
الصحيحة الصريحة حدثا وبدعة ((و)) أقف أهل السنة والجماعة فى
اثبات ((الكوتر)) وهو فوعل من الكثرة والواو زائدة ومعناه الخير الكثير
قال النبى صلى الله عليه وسلم وقد سئل ما الكوتر « ذاك نهر أعطانيه الله
عز وجل - يعنى فى الجنة - أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل فيه طير
أعناقها كأعناق الجزر » قال عمر رضى الله عنه ان هذه لناعمة قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم « أكلتها أنعم منها » رواه الترمذى وقال حديث
حسن • وفى صحيح البخارى عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال « بينا أنا أسير فى الجنة اذا أنا بنهر حافتاه قباب اللؤلؤ
المجوف فقلت ما هذا يا جبريل ؟ قال هذا الكوتر الذى أعطاك ربك ، قال
فضرب الملك بيده فاذا طينه مسك اذفر » وفى صحيح مسلم من حديث
المختار بن فلفل عن أنس أيضا رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه

وسلم قال « الكوثر نهر في الجنة وعدنيه ربي عز وجل » وفي الترمذى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الكوثر نهر في الجنة حافظاه من ذهب ومجراه على الدر والياقوت تربته اطيب من المسك وماؤه احلى من العسل وأبيض من الثلج » قال الترمذى هذا حديث حسن صحيح • قال الامام المحقق ابن القيم فى كتابه (حادى الارواح الى منازل الافراح) عن مجاهد فى قوله تعالى (انا أعطيناك الكوثر) قال الخير الكثير قال وقال أنس بن مالك رضى الله عنه نهر فى الجنة وقالت عائشة رضى الله عنها نهر فى الجنة ليس أحد يدخل أصبعيه فى أذنيه الا سمع خريز ذلك النهر • قال الامام ابن القيم : وهذا معناه والله أعلم ان خريز ذلك النهر شبه الخريز الذى يسمعه حين يدخل أصبعيه فى أذنيه • انتهى • وجاء فى التفسير أن الكوثر القرآن والنبوة والكوثر فى غير هذا الرجل الكثير انعاء كما فى النهاية •

الشفاعة

((و)) أقف أهل الطاعة واتبع أهل السنة والجماعة فى ((الشفاعة)) وهى لغة الوسيلة والطلب وعرفا سؤال الخير للغير كذا عرفها بعضهم والحق انها مشتقة من الشفع الذى هو ضد الوتر فكأن الشافع ضم سؤاله الى سؤال المشفوع له من شفع يشفع بفتح العين المهمة شفاعة فهو شافع وشفيع والمشفع بكسر الفاء الذى يقبل الشفاعة والمشفع الذى تقبل شفاعته •

للنبي ص شفاعات

وأعلم أن للنبي صلى الله عليه وسلم شفاعات (الاولى) الشفاعة التى يشفع فيها لاهل الموقف حتى يقضى بينهم بعد أن يتدافعها الانبياء اصحاب الشرائع آدم الى نوح وابراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام وهى المقام المحمود وقد وردت من حديث الصديق الاعظم وأنس وأبى هريرة وابن عباس وابن عمر وحذيفة وعقبة بن عامر وأبى سعيد الخدرى وسلمان الفارسى ، هؤلاء ورد أمر الشفاعة فى أحاديثهم مطولا ، وورد مختصرا من حديث ابى بن كعب وعبادة بن الصامت وجابر بن عبد الله وعبد الله بن سلام وغيرهم رضى الله عنهم ، فأخرج الامام احمد والبخارى ومسلم وغيرهم من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « يجتمع المؤمنون يوم القيامة فيلهمون لذلك اليوم فيقولون لو استشفعنا الى ربنا

حتى يريحنا من مقامنا هذا فيأتون آدم فيقولون يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده وأسجد لك ملائكته وعلمك أسماء كل شيء فاشفع لنا الى ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا ، فيقول لهم آدم لست هناكم - ويذكر ذنبه الذي أصاب فيستحيى بوجه من ذلك ويقول - ولكن اتوا نوحا فانه اول رسول بعثه الله الى اهل الارض فيأتون نوحا فيقول لست هناكم - ويذكر خطيئته سؤال ربه ما ليس له علم فيستحيى ربه من ذلك - ولكن اتوا ابراهيم خليل الرحمن ، فيأتونه فيقول لست هنا كم ولكن اتوا موسى عبدا كلمه الله وأعطاه التوراة ، فيأتون موسى فيقول لست هناكم ويذكر لهم النفس التي قتل بغير حق فيستحيى ربه من ذلك ولكن اتوا عيسى عبدالله ورسوله وكلمته وروحه ، فيأتون عيسى فيقول لست هناكم ولكن اتوا محمدا عبدا غفر الله له ماتقدم من ذنبه وما تأخر ، فيأتونى فأقوم فأمشى بين سماطين من المؤمنين حتى استأذن على ربي فاذا رأيت ربي وقعت ساجدا فدعنى ماشاء الله أن يدعنى ثم يقال ارفع محمد قل يسمع واشفع تشفع وسل تعطه، فأرفع راسي فأحمده بتحميد يعلمنيه ثم أشفع « الحديث • وأخرج الامام احمد بسند صحيح عن انس رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « انى لقائم أنتظر متى يعبر الصراط اذ جاءتى عيسى فقال هذه الانبياء قد جاءتك يا محمد يسألونك ويدعون الله ان يفرق بين جميع الامم الى حيث يشاء الله الى غير ما هم فيه فالخلق ملجمون بالعرق ، فأما المؤمن فهو عليه كالزكمة وأما الكافر فيغشاه الموت ، فقال انتظر حتى أرجع اليك فذهب نبي الله صلى الله عليه وسلم فقام تحت العرش فلقى مالم يلق ملك مصطفى ولا نبي مرسل فواجى الله الى جبريل أن اذهب الى محمد وقل له ارفع رأسك سل تعطه واشفع تشفع « الحديث • وأخرج الترمذى والبيهقى عن انس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنا اول الناس خروجا اذا بعثوا وخطيبهم اذا أنصتوا وقائدهم اذا وفدوا وشافهم اذا حبسوا ومبشرهم اذا أسوا الكرم بيدي ومفاتيح الجنة يومئذ بيدي وأنا أكرم ولد آدم يومئذ على ربي ولا فخر يطوف على الف خدام كأنهم اللؤلؤ المكنون » وروى الامام أحمد والبخاري وأبو يعلى وابن حبان فى صحيحه من

حديث الصديق الاعظم رضى الله عنه نحو حديث انس فى مراجعتهم
الانبياء عليهم الصلاة والسلام قال اسحاق بن ابراهيم — يعنى الامام ابن
راهويه هذا أشرف الحديث • وقد روى هذا الحديث عدة عن النبي صلى
الله عليه وسلم • وعند البخارى ومسلم وغيرهما من حديث أبى هريرة رضى
الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال « انا سيد الناس يوم القيامة وهـل
تدرون مم ذاك ؟ يجمع الله الاولين والآخرين فى صعيد واحد
يسمعهم الداعى وينفذهم البصر وتدنو منهم الشمس فيبلغ الناس من النعم
والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون فيقول الناس الا ترون الى ما أنتم فيه الى
ما قد بلغكم ؟ الا تنظرون الى من يشفع لكم الى ربكم ؟ فيقول بعض الناس
لبعض : أبوكم آدم ، فيأتونه فيقولون يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده
ونفخ فىك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك وأسكنك الجنة الا تشفع
لنا الى ربك الا ترى ما نحن فيه وما بلغنا ؟ فيقول ان ربي غضب اليوم
غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله وانه نهانى عن الشجرة
فصيت ، نفسى نفسى ، اذهبوا الى غيرى ، اذهبوا الى نوح ، فيحيلهم على
ابراهيم ، وابراهيم على موسى ، وموسى على عيسى ، وعيسى يقول اذهبوا الى
غيرى ، اذهبوا الى محمد ، فيأتون فيقولون يا محمد أنت رسول الله وخاتم
الانبياء وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر اشفع لنا الى ربك الا ترى
ما نحن فيه ؟ فأنطلق فأتى تحت العرش فأقع ساجدا لربي ثم يفتح الله على
من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتح على أحد قبلى ، ثم يقال يا محمد
ارفع رأسك سل تعطه واشفع تشفع ، فأرفع رأسى فأقول أمتى يارب ، فيقال
يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الايمن من أبواب الجنة
وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الابواب ، ثم قال والذى نفسى بيده
ان ما بين المصرعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وهجر ، أو كما بين مكة
وبصرى • وأخرج الامام احمد وأبو يعلى من حديث ابن عباس رضى الله
عنهما مرفوعا نحوه وفيه انهم يأتون عيسى بعد آدم ونوح وابراهيم وموسى
عليهم السلام فيقولون لعيسى عليه السلام اشفع انا الى ربك فليقض بيننا
فيقول انى لست هناكم انى اتخذت الها من دون الله وانى لا يهمنى اليوم الا

نفسى ولكن ان كل متاع فى وعاء مختوم عليه أكان يقدر على ما فى جوفه حتى يفيض الخاتم ؟ فيقولون لا ، فيقول ان محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين قد حضر اليوم وقد غفر له ماتقدم من ذنبه وما تأخر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأتوننى فيقولون يا محمد اشفع لنا الى ربك فليقض بيننا ، فيقول انالهاحتى يأذن الله لمن يشاء ويرضى فاذا أراد الله أن يصدع بين خلقه نادى مناد أين أحمد وأمه ؟ فنحن الآخرون الاولون نحن آخر الامم وأول من يحاسب فنفرج لنا الاسم عن طريقنا فنمضى محجلين من اثر الطهور فتقول الامم كادت هذه الامة ان تكون انبياء كلها فتأتى باب الجنة فأخذ بحلقة الباب فأقرع الباب فيقال من أنت فيقول انا محمد ، الحديث وفيه يا محمد ارفع رأسك وسل تعطه وقل يسمع واشفع تشفع . وفى صحيح البخارى من حديث ابن عمر رضى الله عنهما ان الناس يصيرون يوم القيامة جثى كل امة تتبع نبيها يقولون يا فلان اشفع لنا حتى تنتهى الشفاعة الى النبي صلى الله عليه وسلم فذلك يوم يعنه الله مقاما محمودا

(فوائد)

فوائد الاولى
هذه الشفاعة
العامه

(الاولى) هذه الشفاعة العامة التى خص بها نبينا صلى الله عليه وسلم من بين سائر الانبياء هى المرادة بقوله صلى الله عليه وسلم ، لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته وانى اختبأت دعونى شفاعة لامتى وهذه الشفاعة لأهل الموقف انما هى لاجل حسابهم ويراحوا من الموقف كما قاله القرطبى فى تذكرته ، قال وقوله فى حديث أبى هريرة يا محمد أدخل من أمتك من لاحساب عليهم من الباب الايمن يدل على انه شفع فيما طلب من تعجيل حساب أهل الموقف فانه لما أمر بادخال من لاحساب عليه من أمته فقد شرع فى حساب من عليه حساب من أمته وغيرهم وكان طلب هذه الشفاعة من الناس غلط (؟) ثم يلهمون . وذكر ابن برجان فى الارشاد ان الذى يدلهم على ذلك رؤس المحشر وهم رؤساء اتباع الرسل . قال الحافظ السيوطى وحديث لكل نبي دعوة الخ متواتر ورد من حديث أبى هريرة رضى الله عنه أخرجه الشيخان ، ومن حديث انس وجابر رضى الله عنهما أخرجهما مسلم وعبد الله بن عمرو وعبادة بن الصامت وأبى سعيد الخدرى رضى

الله عنهم أخرجها الامام احمد، وعبدالرحمن بن أبي عقيل رضى الله عنه
أخرجه البزار والبيهقى ، وحكمة الهام الناس التردد الى غير النبي صلى
الله عليه وسلم قبله ولم يلهموا المجيء اليه من اول وهلة لظهار فضله
وشرفه صلى الله عليه وسلم . واما ما ذكره أبو حامد الغزالي فى كتابه كشف
علوم الآخرة ان بين اتيان أهل الموقف آدم واتيانهم نوحا ألف سنة وكذا
بين كل نبي ونبي فقال الحافظ ابن حجر فى شرح البخارى لم أقف لذلك
على أصل . قال وقد اكثر فى هذا الكتاب من ايراد احاديث لا اصل لها فلا
يفتر بشيء منها . انتهى .

الثانية هذه
الشفاعة مجمع
عليها

(الثانية) شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم نوع من السمعات وردت
بها الآثار حتى بلغت مبلغ التواتر المعنوى وانعقد عليها اجماع اهل الحق
من السلف الصالح قبل ظهور المبتدعة لكن هذه الشفاعة العظمى مجمع
عليها لم ينكرها احد ممن يقول بالحرش اذ هى للاراحة من طول الوقوف
حين يتمنون الانصراف من موقفهم ذلك ولو الى النار

الثالثة حكم
السجود فى
المحشر

(الثالثة) سئل القاضى جلال الدين البلقينى عن حكم سجود النبي صلى
الله عليه وسلم من حيث الوضوء فأجاب بأنه باق على طهارة غسل الموت
ويحتمل وهو الاصح بأن أمور الآخرة ليست كأحكام الدنيا اذ الآخرة ليست
بدار تكليف فلا يتوقف السجود فيها على وضوء والله أعلم

((فانها ثابتة للمصطفى كغيره من كل أسباب الوفا))

((من عالم كالرسل والابرار سوى التي خصت بنى الانوار))

((فانها)) أى الشفاعة العظمى وغيرها من سائر الشفاعات الآتى ذكرها

(ثابتة) بالنقل الصحيح بل المتواتر ((لـ)) لمبى ا ((للمصطفى)) محمد صلى

الله عليه وسلم ((ك)) ما انها ثابتة ل ((غيره)) أى غير نبينا محمد المصطفى

صلى الله عليه وسلم ((من كل ارباب)) أى اصحاب ((الوفا)) بامتثال

الوامر والالتفاء عن الزواجر . ثم أخذ فى بيان ما أجمل من ارباب الوفا

بقوله ((من عالم)) عامل بعلمه معلم لغيره وهم الزبانيون وهؤلاء ورثة الانبياء

فهؤلاء كما نفعوا الناس فى الدنيا بالدلالة والتعليم كذلك ينفعونهم بالشفاعة

لهم عند المولى الجواد الكريم فيقبل شفاعاتهم ويعلى درجاتهم ((كالرسل))

جمع رسول وهو من أوحى اليه بشرع من بنى آدم وأمر بتبليغه وكذا
الانبياء وهم يعنى الرسل والانبياء خواص الخلق من بنى آدم ((والابرار))
جمع بار وهم الاتقياء الاخيار .

شفاعة الانبياء وغيرهم

والحاصل أنه يجب أن يعتقد أن غير النبي صلى الله عليه وسلم من سائر
الرسل والانبياء والملائكة والصحابة والشهداء والصديقين والاولياء
على اختلاف مراتبهم ومقاماتهم عند ربهم يشفعون وبقدر جاههم ووجاهتهم
يشفعون لثبوت الاخيار بذلك وترادف الآثار على ذلك وهو أمر جازم غير
مستحيل فيجب تصديقه والقول بموجبه لثبوت الدليل فقد قال صلى الله
عليه وسلم « أنا أول شافع وأول مشفع » روى هذا اللفظ ابو هريرة رضى
الله عنه أخرجه مسلم، وجابر بن عبد الله رضى الله عنهما أخرجه البيهقى ،
وعبد الله بن سلام رضى الله عنه أخرجه البيهقى أيضا . وأما حديث ابن
مسعود رضى الله عنه عند البيهقى قال يشفع نيكم رابع أربعة جبريل ثم
ابراهيم ثم موسى أو عيسى ثم نيكم لا يشفع أحد فى أكثر مما يشفع فيه
نيكم ثم الملائكة ثم النبيون ثم الصديقون ثم الشهداء . قال البخارى كذا قال
أبو الزعراء عن ابن مسعود ولا يتابع عليه والمشهور أنه صلى الله عليه وسلم
أول شافع ، وكذا قال غير البخارى من أئمة الحفاظ والله أعلم

وأخرج ابن ماجه والبيهقى عن عثمان بن عفان رضى الله عنه عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال « يشفع يوم القيامة الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء »
وأخرجه البزار وفى آخره « ثم المؤذنون » وأخرج الطبرانى فى الكبير والبيهقى
عن ابن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
« ليدخلن الجنة قوم من المسلمين قد عذبوا فى النار - برحمة الله وشفاعة
الشافعين » وأخرج الامام أحمد والبيهقى من حديث حذيفة نحوه . وأخرج
الطبرانى فى الاوسط عن أس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم « يشفع الله آدم يوم القيامة من جميع ذريته فى مائة الف
ألف وعشرة آلاف ألف » وأخرج ابن أبى عاصم والاصبهبانى عن أبى
امامة رضى الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يجاء بالمعالم
والعابد فيقال للعابد ادخل الجنة ، ويقال للمعالم قف حتى تشفع للناس »

واخرج البيهقي من حديث جابر مثله وزاد في آخره « بما أحسنت أديهم »
واخرج الديلمي من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعا « يقال للعالم
اشفع في تلامذتك ولو بلغ عددهم نجوم السماء » واخرج أبو داود وابن
حبان عن ابى الدرداء سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « الشهيد
يشفع في سبعين من أهل بيته » وأخرج الامام احمد والطبراني مثله من
حديث مقدم بن معدى كرب • وأخرج البزار والبيهقي بسند صحيح عن
أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل
« ليشفع في الرجلين والثلاثة يوم القيامة » وأخرج الترمذى
والحاكم وصحاحه والبيهقي عن عبد الله بن أبى الجداء ، سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول « ليدخلن الجنة بشفاعة رجل من أمتى أكثر
من بنى تميم » قالوا سواك يا رسول الله ؟ قال « سواى » قال الفريابي يقال
انه عثمان بن عفان رضي الله عنه • وأخرج البيهقي عن الحسن مرفوعا
« ليدخلن الجنة بشفاعة رجل من أمتى أكثر من ربيعة ومضر » والحاكم
وصححه والبيهقي عن الحارث بن قيس مرفوعا « أن من أمتى من يدخل
الجنة بشفاعته أكثر من مضر وان من أمتى من سيعظم للنار حتى يكون
زوارها » وأخرج الامام احمد مثله من حديث ابى برزة • وهناد مثله من
حديث ابى هريرة • واخرج الامام أحمد والطبراني والبيهقي بسند
صحيح عن أبى أمامة رضي الله عنه انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم
يقول « ليدخلن الجنة بشفاعة رجل ليس بنبي مثل الحيين ربيعة ومضر »
واخرج الترمذى وحسنه والبيهقي عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان من امتى لرجالا يشفع
الرجل منهم فى القمام من الناس فيدخلون الجنة بشفاعته ، ويشفع الرجل
منهم للقبيلة فيدخلون الجنة بشفاعته ، ويشفع الرجل منهم للرجل وأهل
بيته فيدخلون الجنة بشفاعته » واخرج الطبراني عن ابن مسعود رضي الله
عنه قال : لانزال الشفاعة بالناس وهم يخرجون من النار
حتى أن ابليس الابليس ليتناول لها رجاء ان تصيبه • واخرج البزار عن
أبى موسى الأشعري رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال

« الحاج يشفع في اربعمائة من أهل بيته »

والحاصل ان للناس شفاعات بقدر اعمالهم وعلو مراتبهم وقربهم من الله تعالى والقرآن يشفع لأهله والاسلام يشفع لأهله والحجر الاسود يشفع لمستلمه ، ولكن لا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون • من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه • وبالله التوفيق ((سوى)) الشفاعات ((التى خصت بدى)) اى بصاحب ((الأنوار)) نبينا المختار صلى الله عليه وسلم مادارت الادوار وتعاقب الليل والنهار فلا يشاركه فيها نبي مرسل ولا ملك مقرب ولا صديق ولا شهيد لانها مختصة بجنابه الرفيع وقدره المجيد ، والشفاعات المختصة به صلى الله عليه وسلم عدة (أولها) وهى اعظمها واعمها شفاعته صلى الله عليه وسلم لفصل القضاء بين الورى بعد التردد الى الانبياء وتدافعها بين أخيار الملائ الى أن تصل لصاحب الحوض المورد وهى المقام المحمود وقد عم العالم زيادة القلق وتصاعد العرق وقاسوا من ذلك ما يذيب الاكباد وينسى الاولاد وهذه مجمع عليها لم ينكرها أحد (ثانيا) يشفع عند ربه فى ادخال قوم من أمته الجنة بغير حساب فان هذه خاصة به ايضا صلى الله عليه وسلم كما قال القاضى عياض والامام النووى وتردد ابن دقيق العيد فى الاختصاص وتبعه الحافظ ابن حجر قال فان الاختصاص انما يثبت بالدليل ولا دليل عليه وقد روى حديث هذه الشفاعة مسلم فى صحيحه وجزم بالاختصاص الحافظ السيوطى فى انموذج الليب (ثالثا) شفاعته صلى الله عليه وسلم فى قوم استوجبوا النار بأعمالهم فيشفع فيهم فلا يدخلونها وهذه جزم القاضى وابن السبكي بعدم اختصاصها به صلى الله عليه وسلم وتردد النووى فى ذلك • قال السبكي لانه لم يرد نص صريح بثبوت الاختصاص ولا بنيه • وجزم فى الانموذج بانها من خصائصه صلى الله عليه وسلم (رابعا) فى رفع درجات ناس فى الجنة وهذه لانكرها المعتزلة كالاولى الا أن النووى جزم اختصاصها به عليه الصلاة والسلام وجزم فى كتاب الانتقاد له باختصاصها به • قال فى الانموذج جوز النووى اختصاص هذه التى قبلها به ووردت الأحاديث فى التى قبل وصرح به القاضى عياض وابن دحية (خامسا)

الشفاعات
الخاصة بالنبي
ص

الشفاعة في اخراج عموم أمته من النار حتى لا يبقى منهم أحد ذكره السبكي وبالشفاعة في جماعة من صلحاء المسلمين ليتجاوز عنهم في تقصيرهم في الطاعات ذكره القزويني في العروة الوثقى

(تنبيهات)

تنبيهات الاول
الشفاعة التي
تنكرها المعتزلة

(الاول) الشفاعة التي تنكرها المعتزلة وتجحد بها هي فيمن استحق النار من المؤمنين ان لا يدخلها وفيمن دخلها منهم ان يخرج منها ، فكذبت بها المبتدعة ونفتها مع ثبوت ادلتها وتضافر حججها مما يتعسر احصاؤه ويتعذر استقصاؤه فأخرج البخاري عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه خطب فقال « انه سيكون في هذه الأمة قوم يكذبون بالرجم وبالذجال ويكذبون بطلوع الشمس من مغربها ويكذبون بعذاب القبر ويكذبون بالشفاعة ويكذبون بقوم يخرجون من النار بعد ما امتحسوا ، وأخرج سعيد بن منصور والبيهقي وهناد عن أنس رضى الله عنه قال : من كذب بالشفاعة فلا نصيب له فيها ، ومن كذب بالحوض فليس له فيها نصيب . وأخرج البيهقي عنه أنه قيل له أن قوما يكذبون بالشفاعة قال لا تجالسوا أولئك . وأخرج أيضا عنه قال : يخرج قوم من النار ولا نكذب بها كما يكذب بها أهل حروراء . وأخرج أيضا عن شبيب بن أبي فضالة المكي قال ذكروا عند عمران بن حصين الشفاعة فقال رجل يا أبا نجيد انكم لتحدثوننا احاديث لم نجد لها أصلا في القرآن . فغضب عمران وقال للرجل : أقرأت القرآن ؟ قال : نعم ، قال فهل وجدت صلاة العشاء أربعاً وصلاة المغرب ثلاثاً والغداة ركعتين والظهر أربعاً والعصر أربعاً ؟ قال : لا ، قال فعمن أخذتم هذا ؟ أستمعنا أخذتموه وأخذنا عن نبي الله صلى الله عليه وسلم ، وفي كل أربعين درهما درهم ، وفي كل كذا شاة ، وفي كل كذا بعير ، أوجدتم في القرآن هذا ؟ قال : لا ، قال ووجدتم في القرآن (وليطوفوا بالبيت العتيق) أوجدتم طوفوا سبعا واربعوا ركعتين خلف المقام ؟ أوجدتم هذا في القرآن ؟ عم من أخذتموه ؟ أستمعنا أخذتموه عنا واخذناه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالوا : بلى ، قال اوجدتم في القرآن : لاجلب ولاحنب ولاشغار في الاسلام ؟ قالوا : لا ، قال فان الله

تعالى قال فى كتابه (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) وانا قد أخذنا عن نبى الله صلى الله عليه وسلم أشياء لم يكن لكم بها علم • وفى صحيح مسلم عن ابن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قول ابراهيم (رب انهن اضللن كثيرا من الناس فمن تبغنى فاته منى ومن عصانى فانك غفور رحيم) وقول عيسى (ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم) ورفع يديه وقال أمتى أمتى ثم بكى ، فقال الله يا جبريل اذهب الى محمد فقل له انا سترضيك فى أمتك ولا نسوءك • وأخرج الشراز والطبرانى فى الاوسط وابو نعيم بسند حسن عن أمير المؤمنين على بن ابى طالب رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أشفع لأمتى حتى ينادى ربي تبارك وتعالى أَرْضِيَتْ بِأَمَحْمَدِ؟ فَأَقُولُ أَى رَبِّ رَضِيَتْ، وَأَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ وَالْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ وَابْنُ حَبَانَ وَالْبَيْهَقِيُّ وَالطَّبْرَانِيُّ عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكِ الْأَشْجَعِيِّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « إِنْ رَبِّى خَيْرِنِى بَيْنَ أَنْ يَدْخُلَ نِصْفَ أُمَّتِى الْجَنَّةَ - وَفِى لَفْظٍ بَيْنَ أَنْ يَدْخُلَ ثَلَاثِى أُمَّتِى بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ - وَبَيْنَ الشَّفَاعَةِ لِأُمَّتِى فَأَخْتَرْتُ الشَّفَاعَةَ ، قَالَ وَهِيَ لِكُلِّ مُسْلِمٍ » وَرَوَى نَحْوَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَالطَّبْرَانِيُّ أَيْضًا وَابْنُ بَيْهَقٍ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ مِنْ حَدِيثِ مَعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَفِيهِ « وَعَلِمْتُ أَنَّهَا أَوْسَعُ لَهُمْ وَهِيَ لِمَنْ مَاتَ لَا يَشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا » وَأَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ مِثْلَهُ عَنْ أَنَسٍ • وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَالطَّبْرَانِيُّ أَيْضًا وَابْنُ بَيْهَقٍ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ ابْنِ عَمْرِو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « خَيْرٌ بَيْنَ الشَّفَاعَةِ وَبَيْنَ أَنْ يَدْخُلَ نِصْفَ أُمَّتِى الْجَنَّةَ فَأَخْتَرْتُ الشَّفَاعَةَ لِأَنَّهَا أَعْمُ وَأَكْفَى ، أَتَرَوْنَهَا لِلْمُتَّقِينَ ؟ وَلَكِنِهَا لِلْمُذْنِبِينَ الْخَطَايَا الْمُتَلَوِّثِينَ » وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَابْنُ بَيْهَقٍ وَالطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ عَنْ بَرِيدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ « إِنِّى لَا شَفَعَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِأَكْثَرِ مَا عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مِنْ شَجَرٍ وَمَدْرٍ » وَأَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ عَنْ أَنَسِ بْنِ الْإِنصَارِيِّ وَلَفْظُهُ « أَكْثَرُ مَا عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مِنْ حَجَرٍ وَمَدْرٍ » وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حَصِينٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : يُخْرِجُ قَوْمٌ مِنَ النَّارِ بِشَفَاعَةِ

محمد صلى الله عليه وسلم ويدخلون الجنة ويسمون الجهنميين « وأخرج
الشيخان عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول « ان الله يخرج قوما من النار بالشفاعة فيدخلهم
الجنة » وأخرج ابو داود والترمذى والحاكم والبيهقى وصححوه عن أنس
رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « شفاعتى لأهل
الكبائر من أمتى » وأخرج الطبرانى عن عبد الله بن بسر رضى الله عنه أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « شفاعتى فى أمتى المذنبين المثقلين »
وأخرج الطبرانى أيضا وأبو نعيم عن أبى أمامة رضى الله عنه عن النبى صلى
الله عليه وسلم قال « نعم الرجل انا لشرار أمتى » قيل كيف يا رسول الله
قال « أما شرار أمتى فيدخلهم الله الجنة بشفاعتى ، وأما خيارهم فيدخلهم
الله الجنة بأعمالهم » وأخرج أيضا عن ابن عباس رضى الله عنهما عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى »
قال ابن عباس : السابق بالخيرات يدخل الجنة بغير حساب ، والمقتصد
يدخل الجنة برحمة الله ، والظالم لنفسه وأهل الاعراف يدخلون الجنة
بشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم . وفى أوسط الطبرانى عن ابن عمر
رضى الله عنهما مرفوعا « انى ادخرت شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى »
وفى الكبير عن أم سلمة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم « اعملى ولا تتكى فان شفاعتى للمهاكين من أمتى » وأخرج الترمذى
والحاكم والبيهقى عن جابر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم « شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى » قال جابر رضى الله عنه من
زادت حسناته على سيئاته فذلك الذى يدخل الجنة بغير حساب ، ومن
استوت حسناته وسيئاته فذلك الذى يحاسب حسابا يسيرا ثم يدخل الجنة ،
وانما شفاعت رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن أوبق نفسه وأغلق ظهره .
وأخرج عن أنس رضى الله عنه قال قلنا يا رسول الله لمن تشفع ؟ قال
لأهل الكبائر من أمتى وأهل العظام وأهل الدماء » وأخرج عن كعب بن
عجرة رضى الله عنه مرفوعا « شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى » وأخرج
طاووس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « شفاعتى لأهل الكبائر

من أمتي « قال البيهقي : هذا مرسل حسن يشهد ليكون هذه اللفظة شائعة .
وأخرج ابن أبي عاصم عن أنس رضى الله عنه مرفوعا « ما زلت أشفع الى
ربى ويشفعنى واشفع ويشفعنى حتى أقول اى رب شفعبنى فيمن قال لا اله
الا الله ، فيقول : هذا ليس لك يا محمد ولا لأحد ، هذا لى ، وعزتى
وجلالى ورحمتى لا أدع فى النار أحدا يقول لا اله الا الله »

الثانى فى الاعمال الموعود عليها الشفاعة

(الثانى) فى ذكر الاعمال الموجبة لشفاعته صلى الله عليه وسلم أخرج
البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قلت يا رسول الله من أسعد
الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟ قال « ظننت أن لا يسألنى عن هذا الحديث
أحد أول منك لما رأيت من حرصك على الحديث ، أسعد الناس بشفاعتى
يوم القيامة من قال لا اله الا الله خالصا من قبل نفسه » وأخرج أيضا عن
جابر رضى الله عنه « من قال حين يسمع النداء
اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا
الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذى وعدته حلت له شفاعتى يوم
القيامة » وأخرج مسلم نحوه من حديث ابن عمرو . وفى سنن سعيد بن
منصور من طريق أيوب السخيتانى عن فقيه من فقهاء الكوفة قال ما من
مسلم يسمع النداء فيقول اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة المفترضة
أعط محمدا سؤله يوم القيامة الا أدخله الله فى شفاعته . وأخرج مسلم
عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم « لا يثبت أحد على لأواء المدينة وجديها الا كنت له شفيعا أو شهيدا
يوم القيامة » وأخرجه مسلم من حديث أبى سعيد الخدرى وابن عمر وأبى
هريرة رضى الله عنهم ، والطبرانى من حديث زيد بن ثابت وأبى أيوب ،
والبزار من حديث عمر . وأخرج الترمذى وابن ماجه وابن حبان والبيهقى
عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من
استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها فانى أشفع لمن يموت بها » وأخرج
الطبرانى عن سلمان رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال
« من مات فى أحد الحرمين استوجب شفاعتى وكان يسوم القيامة من
الآمين » وأخرج الطبرانى بسند جيد عن ابى الدرداء رضى الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صلى على حين يصبح عشرا

وحين يمسى عشرا أدركته شفاعتى يوم القيامة » والترمذى وابن حبان عن ابن مسعود رضى الله عنه مرفوعا « اولى الناس بى يوم القيامة أكثرهم على صلاة » وابن ابى عاصم فى السنة والبخارى والطبرانى بسند حسن عن روى عن ابن ثابت رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صلى على محمد وقال اللهم أنزله المقعد المقرب عندك يوم القيامة وجبت له شفاعتى » وأخرج الامام أحمد بسند صحيح عن زياد بن ابى زياد مولى نبي مخزوم عن خادم النبي صلى الله عليه وسلم قال كان النبي صلى الله عليه وسلم مما يقول للخادم ألك حاجة ؟ حتى كان ذات يوم قال : يا رسول الله حاجتى أن تشفع لى يوم القيامة ، قال فأعنى بكثرة السجود . وأخرج البخارى عن ابن عمر رضى الله عنهما مرفوعا « من زار قبرى وجبت عليه شفاعتى (١) » وأخرجه الطبرانى لفظ « من جاءنى زائرا لا تعمله حاجة الا زيارتى كان حقا على أن أكون له شفيعا يوم القيامة » والبيهقى عن عمر رضى الله عنه مرفوعا « من زارنى كنت له شفيعا أو شهيدا ومن مات فى أحد الحرمين بعثه الله من الآمنين يوم القيامة »

الثالث فيمن لا تدركهم الشفاعة

(الثالث) فى من لا تدركهم الشفاعة ويحرمون شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم لانصافهم بالبدع وسوء البضاعة فأخرج ابو نعيم عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « صنفان من أمتى لا تنالهما شفاعتى يوم القيامة المرجئة والقدرية » واخرج البيهقى عن عثمان بن عفان رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من غش العرب لم يدخل فى شفاعتى . قال فى النهاية العرب اسم لهذا الجيل المعروف من الناس ولا واحد له من لفظه وسواء أقام بالبادية أو المدن . انتهى . والمراد بهم هنا بنو اسماعيل . وأخرج البيهقى والطبرانى بسند جيد عن معقل ابن يسار رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « رجلان لا تنالهما شفاعتى يوم القيامة أمام ظلوم غشوم عسوف وآخر غال فى دين الله مارق منه » واخرج الطبرانى عن أبى الدرداء وغيره من الصحابة رضى الله عنهم قالوا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ذروا المرء فان المارى لا أشفع له يوم القيامة »

(١) هذا الخبر وناليه بين الأئمة ضعفها وصرح بعضهم بوضعها

الرابع شبهه
نفاة الشفاعة
وردها

(الرابع) مما احتجت المعتزلة لمذهبهم فى نفى الشفاعة بقوله تعالى (واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة) وقوله (ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع وزعموا أن من دخل جهنم يخلد فيها لانه اما كافر أو صاحب كبيرة مات بلا توبة ، هذا رأيهم ومن وافقهم وهو رأى فاسد ومذهب باطل ترده الاخبار الصحيحة والآثار الصريحة واجماع أهل الحق أيدهم الله تعالى وأجابوا عن الآية الكريمة أن المراد بقوله تعالى (لا تجزى نفس عن نفس شيئا) الكفار للآيات السواردة والاخبار الثابتة فى الشفاعة قال القاضى البيضاوى تمسكت المعتزلة بهذه الآية على نفى الشفاعة لاهل الكبائر ، وأجيب بأنها مخصوصة بالكفار ، ويؤيد هذا أن مساق الخطاب معهم • والآية نزلت ردا لما كانت اليهود تزعم أن آباءهم تشفع لهم • انتهى • وعن قوله تعالى (ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع) المراد بالظالمين الكفار فان الظالم على الاطلاق هو الكافر ، وقالت المعتزلة فى قوله تعالى (انك من تدخل النار فقد أخزيتيه - ولا يشفعون الا لمن ارتضى - وكم من ملك فى السموات لا تغنى شفاعته شيئا الا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى) ومن أخزاه الله لا يرتضيه ومن ارتضاه لا يخزيه قال تعالى « يوم لا يخزى الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبايمانهم) الآية والجواب عن الآية الاولى ما قال سيدنا أس بن مالك رضى الله عنه خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم معنى (من تدخل النار) من تخلد • وقال قتادة تدخل مقلوب تخلد • ولا نقول كما قالت اهل حروراء « يعنى الخوارج » فعلى هذا قوله (قد اخزيتيه) على بابه من الهلاك أى اهلكته وأبعدته ومقته ولهذا قال سعيد بن المسيب الآية جاءت خاصة فى قوم لا يخرجون من النار دليله قوله فى آخر الآية (و ما للظالمين من أنصار) أى الكفار وان سلم أن الآية فى عصاة الموحدين فالمراد بالخزى الحياء يقال خزى يخزى خزاية اذا استحى فهو خزيان وامرأة خزيفخزى المؤمنين يومئذ استحيواؤهم من دخول النار ودار البوار مع اهل الشرك والكفار ثم يخرجون بشفاعة النبي الكريم ورحمة الرؤوف الرحيم ، ونفى النصره لا يستلزم نفى الشفاعة لانها طلب مع خضوع والنصره ربما بنى على المدافعة والممانعة والاستعلاء ، على أنا نقول لا يسلم لهم زعمهم ان الفاسق

غير مرضى مطلقا بل هو مرضى من جهة الايمان والعمل الصالح وان كان مبعوضا من جهة الذنوب والعصيان وارتكاب القبائح بخلاف الكافر فانه ليس بمرضى مطلقا لعدم الاساس الذى تبنى عليه الحسنات والاعتداد بالكمالات وهو الايمان . والحاصل أن الايمان بالشفاعة واجب وقد قدمنا من النصوص ما لعله يقلع شروش الاختلاج من خواطر من اذعن لها وخلع من عنقه ربة تقليد اهل الزيغ والاعوجاج كيف والنصوص متواترة والآثار متوافرة والعقل الصحيح لا يحيل ذلك والنقل الصريح ناطق بما هنالك فدع عنك نحلة فلانة وفلان واعقد قلبك على ما صح عن سيد ولد عدنان وأصحابه والتابعين لهم باحسان فانه الحق الذى لا عقل يحيله ولا نقل يزيله والله تعالى الموفق .

فصل فى الجنة والنار

((فصل فى الكلام على الجنة والنار))

ولما انتهى الكلام على الشفاعة وأقسامها وتفصيلها وأحكامها بحسب ما يليق بالمقام أعقب ذلك بذكر العظيمنتين دار القرار للاخيار ودار البوار للكفار وهما الجنة والنار فقال

((وكل انسان وكل جنة

فى دار نار او نعيم جنة))

((هما مصير الخلق من كل الورى

فالنار دار من تعدى واقترى))

((ومن عصى بدنبه لم يخلد

وان دخلها يا بوار المعتدى))

((وكل انسان)) من بنى آدم فالانس والانسان من البشر والواحد انسى وأنسى والجمع أناسى والمرأة انسان وبالها عامية كما فى القاموس قال وسمع فى شعر كأنه مولد

لقد كستنى فى الهوى ملابس الصب الغزل اسنانة فتانة

بدر الدجى منها خجل اذا زنت عيني بها فبالدموع تفتسل

((وكل جنة)) بكسر الجيم وتشديد النون مفتوحة طائفة الجن والجان اسم للجن أى كل واحد من الثقيلين اللذين هما الانس والجن لا بد أن

يكون ((فى)) احدى الدارين اما فى ((دار نار)) وهى دار البوار ومقر الكفار وهى جسم لطيف محرق يطلب العلو تذكر وتؤنت وألفها منقلبة عن واو بدليل تصغيره على نويرة وتجمع جمع قلة على نيرة وأنور وجمع كثرة على نيران ونور والنور ضوءها وضوء كل نير وهو ضد الظلمة ، والنار سبع طباق أعلاها جهنم فلظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية وباب كل واحدة منها من داخل الاخرى على الاستواء كما قاله ابن عطية وغيره ((أو)) فى دار ((نعيم)) مقيم فى ((جنة)) المولى الكريم الرؤوف الرحيم فكل واحدة من الجنة والنار حق ثابت بالكتاب والسنة واجماع الامة وكل ما هو كذلك فالايمان به واجب واعتقاد وجوده حق لازب ، والمراد من الجنة دار الثواب ومن النار دار العقاب ((هما)) أى الجنة والنار ((مصير الخلق)) من الانس والجن أى لا بد لكل واحد ((من كل الورى)) كفتى الخلق من الانس والجن بل ومن الملائكة فانهم يكونون فى الجنة كما يأتى أن يصير اما الى الجنة واما الى النار واما اهل الاعراف فان مصيرهم الى الجنة كما يأتى ((فالنار التى هى دار الهوان والبوار فهى ((دار من)) أى كل شخص من أنس وجن ((تعدى)) طوره وخالف مولاه فكفر به أو بأحد من رسله أو بكتاب من كتبه أو شرع شرعه على لسان نبي بعثه ولم ينسخه ((وافترى)) فيما عبد واجترأ بما قصد فلم يقف عند الحدود ولم يف بالعهد المعهود ، فكل من حكم الشرع بكفره من كافر اصلى من أهل الشرك وعبدة الاوثان والكواكب والنيران وأهل الشرائع المنسوخة بعد النسخ والتبديل من أهل التوراة والانجيل فهم خالدون مخلدون فى النار ودار الخزي والبوار ((ومن)) اى وكل عبد مؤمن بالله ورسوله ولو مبتدعا لم يحكم الشرع بكفره ((عصى)) بمخالفة ربه وتعدى حدوده ((بذنبه)) ولو كان ذنبه من أكبر الكبائر كالقتل والزنا وأكل الربا ومات على الايمان ولو لم يتب ((لم يخلد)) فى النار ((وان دخلها)) ليتطهر من الاوزار فانه يخرج منها اما بشفاعة الشافعين او رحمة أرحم الراحمين كما تقدم ((يا بوار)) اى يا هلاك ((المعتدى)) اشارة الى تقييح ما ذهبت اليه المعتزلة من زعمهم ان من دخل النار فهو خالد فيها لانه اما كافر او صاحب كبيرة

مات بلا توبة اذ المعصوم والتائب وصاحب الصغيرة اذا اجتنب الكبائر ليسوا من أهل النار على ما سبق من أصولهم والكافر مخلص بالاجماع بخلاف العاصي وتقدم الكلام على ذلك بما فيه كفاية ، وان مرتكب الكبيرة اذا مات ولم يثب في مشيئة الله ان شاء عفا عنه ولم يعذبه وان شاء عذبه ثم يخرج ، وأما خلود المؤمن المصر فهو مذهب الخوارج والمعتزلة ، واهل الحق على خلافه وهو الحق الذي لا مرية فيه والله اعلم .

(تنبيهات)

تنبيهات الاول في الجن

(الاول) قال الجوهري الجن ابو الجن . قال الامام ابو الوفاء ابن عقيل انما سمي الجن جناً لاجتنانهم واستتارهم عن العيون ، قال والشياطين عصاة الجن وهم من ولد ابليس ، والمردة أعتاهم وأغواهم . وقال ابن عبد البر الجن عند أهل الكلام والعلم باللسان على مراتب فاذا ذكروا الجن خالصا قالوا جنى ، فان أرادوا انه ممن يسكن مع الناس قالوا عامر والجمع عمار ، فان كان ممن يعرض للصبيان قالوا أرواح ، فان خبت وتعرض قالوا شيطان ، فان زاد على ذلك وقوى أمره قالوا عفريت . وقال شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله روحه : لم يخالف احد من طوائف المسلمين في وجود الجن ، وكذا جمهور الكفار ، لان وجودهم تواترت به اخبار الانبياء تواترا معلوما بالاضطرار يعرفه الخاصة والعامة ، قال ولم ينكر الجن الا شرذمة قليلة من جهال الفلاسفة ونحوهم . وقال القاضي أبو بكر الباقلاني: كثير من القدرية يشتون وجود الجن قديما وينفون وجودهم الآن ، ومنهم من يقر بوجودهم ويزعم أنهم لا يرون لرقة أجسامهم ونفوذ الشعاع فيها ، ومنهم من زعم أنهم لا يرون لانهم لا ألوان لهم . وقد ذكر اسحاق بن بشر في المبتدأ عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما خلق الجن قبل آدم بألفى سنة . وقال اسحاق عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما لما خلق الله تعالى سوما أبو الجن ؟ وهو الذى خلق من مارج من نار قال له تعالى تمن ، قال أتمنى أن نرى ولا نرى وان نغيب فى الثرى ويصير كهلنا شابا . فاعطى ذلك فهم يرون ولا يرون واذا ماتوا غيبوا فى الثرى ولا يموت كهلهم حتى يعود شابا يعنى مثل الصبي يرد الى ارضل العمر . وأخرج

مسلم عن أم المؤمنين عائشة الصديقة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من مارح من نار وخلق آدم مما وصف لكم » وأخرج الفريابي وعبد بن حميد عن مجاهد في قوله (وخلق الجان من مارح من نار) قال اللهب الاصفر والاخضر الذي يعلو النار اذا أوقدت . وقال ابن عباس رضي الله عنهما خلقت الجن الذين ذكروا في القرآن من مارح من نار . وأخرج ابن ابي حاتم عن عمرو بن دينار قال خلق الجان والشياطين من نار الشمس . انتهى

وقال أبو الوفا بن عقيل في الفنون : سأل سائل عن الجن فقال اخبر الله عنهم انهم من نار وأخبر ان الشهب تضرهم وتحرقهم فكيف تحرق النار النار ؟ قال والجواب أن الله تعالى أضاف الشياطين والجان الى النار حسما أضاف الانسان الى التراب والطين والفخار والمراد به في حق الانسان أن أصله الطين وليس الأدمى طينا حقيقة ولكنه كان طينا كذلك الجان كان نارا في الاصل . قال القاضي عبد الجبار المعتزلى الدليل على أن أصل الجن النار السمع دون العقل . وقال الامام القاضي أبو يعلى بن الفراء : الجن أجسام مؤلفة وأشخاص ممثلة ، ويجوز أن تكون رقيقة وأن تكون كيفية خلافا للمعتزلة في قولهم انهم أجسام رقيقة ولرقتها لا تراها . قال القاضي أبو يعلى : ولا قدرة للشياطين على تغيير خلقهم والانتقال في الصور وانما يجوز أن يعلمهم الله كلمات ضربا من ضروب الافعال اذا فعله وتكلم به نقله الله من صورة الى صورة فيقال انه قادر على التصوير والتخييل على معنى أنه قادر على قول اذا قاله وفعله نقله الله عن صورة الى صورة أخرى لجرى العادة ، واما أن يصور نفسه فذلك محال لان انتقالها عن صورة الى صورة انما يكون بنقض البنية وتفريق الاجزاء واذا انتقلت بطلت الحياة واستحال وقوع الفعل من الجملة وكيف تنقل نفسها ؟ قال والقول في تشكيل الملائكة مثل ذلك ، والذي روى أن ابليس تصور في صورة سراقه وان جبريل تمثل في صورة دحية محمول على ما ذكرنا وهو أنه أقدره الله على قول قاله فنقله الله عن صورة الى صورة أخرى قال القاضي : الجن يأكلون ويشربون ويتناكحون كما يفعل الانس .

وظاهر العمومات أن جميع الجن كذلك وهو رأى قوم ، ثم اختلفوا فزعم بعضهم أن **أكلهم** يشربهم تشتم استرواح لا مضغ وبلع ، وهذا لا دليل عليه وقال **الاكثرون** أنهم يأكلون بمضغ وبلع ، وزعم قوم أن جميع الجن لا يأكلون ولا يشربون ، وهذا ساقط ، وقيل أن صنفا يأكلون ويشربون وصنف لا يأكلون ولا يشربون . وسئل وهب بن منبه عن الجن هل يأكلون ويشربون ؟ وهل يموتون ويتناكحون ؟ فقال : هم أجناس فاما خالص الجن فهم ربيح لا يأكلون ولا يشربون ولا يموتون ولا يتوالدون ، ومنهم أجناس يأكلون ويشربون ويتوالدون ويتناكحون ويموتون ، قال وهى هذه التى منها السعالى والغول وأشباه ذلك . أخرجه ابن جرير . وحدث علقمة عن ابن مسعود عند الامام احمد ومسلم والترمذى : لما أتى النبى صلى الله عليه وسلم داع من الجن فذهب معه فقرا عليهم القرآن وانه صلى الله عليه وسلم انطلق بأصحابه فأراهم آثارهم وآثار نيرانهم يدل على أنهم كانوا كالانس فى الجملة ، وفيه انهم سألوه الزاد وكانوا من جن الجزيرة فقال لهم صلى الله عليه وسلم : لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه - ولفظ الترمذى : لم يذكر اسم الله عليه - يقع فى أيديكم أوفر ما كان لهما ، وكل بكرة علف لدوابكم . قال النبى صلى الله عليه وسلم « لا تستنجوا بهما فانهما طعام اخوانكم من الجن » وقد جمع بعض العلماء بين رواية الترمذى لم يذكر اسم الله عليه وبين رواية الامام احمد ومسلم بان ما فى المسند وصحيح مسلم فى حق المسلم من الجن ، وما فى رواية الترمذى فى حق غير المؤمنين منهم ، وصححه السهلبى وقال هذا يعضد الاحاديث . وقد استدلوا على مناكحهم بقوله تعالى (أفنتخذونه وذريته أولياء من دونى وهم لكم عدو) وبقوله تعالى (لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان) وهذا يدل على انه يتأتى منهم الجماع وفى الحديث ان الجن يتوالدون كما يتوالد بنو آدم وهم أكثر عددا . رواه ابن ابى حاتم وأبو الشيخ فى العظمة عن قتادة .

(الثانى) فى ذكر تكليف الجن ولواحق ذلك - قال العلامة شمس الدين محمد بن مفلح فى كتابه الفروع : الجن مكلفون فى الجملة اجماعا يدخل

**الثانى فى
تكليف الجن**

كافرهم النار اجماعا ويدخل مؤمنهم الجنة وفاقا للملك والشافعي رضى الله
عنهما لا انهم يصيرون ترابا كالبهائم وان ثواب مؤمنهم النجاة من النار خلافا
لابى حنيفة والليث بن سعد ومن وافقهما ، قال وظاهر الاول يعنى قول
الامام أحمد ومالك والشافعي رضى الله عنهم انهم فى الجنة كغيرهم بقدر
توابهم خلافا لمن قال لا يأكلون ولا يشربون فيها كمجاهد ، أو أنهم فى
ربض أى حول الجنة كعمر بن عبد العزيز ، قال ابن حامد فى كتابه :
الجن كالانس فى التكليف والعبادات • انتهى كلام الفروع • وقال ابن
عبد البر ، الجن عند الجماعة مكلفون مخاطبون لقوله تعالى (يا معشر الجن
والانس) وكقوله (فبأى آلاء ربكما تكذبان) • قال الفخر الرازى أطبق
الكل على أن الجن كلهم مكلفون • قال القاضى عبد الجبار المعتزلى : لا تعلم
خلافا بين اهل النظر ان الجن مكلفون •

الثالث فى البعثة الى الجن

(الثالث) قال ابن مفلح فى فروعه : ولم يبعث اليهم يعنى الجن نبي قبل
نبينا صلى الله عليه وسلم ، قال : وليس منهم رسول ، ذكره القاضى ابو يعلى
وابن عقيل وغيرهما ، وأجابوا عن قوله تعالى (يا معشر الجن والانس ألم
يأتكم رسل منكم) انها كقوله تعالى (يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان) وانما
يخرج من أحدهما (١) وكقوله (وجعل القمر فيهن نورا) وانما هو فى
سماء واحدة • قال وللمفسرين قولان والقول بأن منهم رسلا قول الضحاك
 وغيره • قال الامام الحافظ ابن الجوزى : وهو ظاهر الكلام • وقال الحافظ
السيوطى فى (لفظ المرجان) جمهور العلماء سلفا و خلفا على انه لم يكن
من الجن قط رسول ولا نبي ، كذا روى عن ابن عباس رضى الله عنهما
ومجاهد والكلبى وابى عبيد ، وقد أخرج عبد بن حميد وابن المنذر وابن ابى
حاتم عن مجاهد فى قوله تعالى (يا معشر الجن والانس ألم يأتكم رسل
منكم) قال ليس فى الجن رسل انما الرسل فى الانس والندارة فى الجن
وقرأ (فلما قضى ولوا الى قومهم منذرين) وأخرج ابن المنذر عن ابن
جريج قوله رسل منكم قال : رسل الرسل وقرأ الآية • قال ابن جرير واما

(١) هذا زعم المفسرين الذين أخرجوا القرآن عن ظاهره لجهلهم بأن
اللؤلؤ والمرجان يخرجان من الانهار وهو ثابت لاريب فيه اهـ محمد رشيد

الذين قالوا بقول الضحاك فاحتجوا بأن الله أخبر أن من الجن رسلا أرسلوا اليهم قالوا لو جاز أن يكون خبره عن رسل الجن بمعنى رسل الانس لجاز أن يكون خبره عن رسل الانس بمعنى انهم رسل الجن ، وفي فساد هذا المعنى ما يدل على أن الخبرين جميعا بمعنى الخبر عنهم انهم رسل الله لانه المعروف في الخطاب دون غيره • وقال ابو محمد بن حزم : لم يبعث الى الجن نبي من الانس البتة قبل محمد صلى الله عليه وسلم لانه ليس الجن من قوم الانس وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم « وكان النبي يبعث الى قومه خاصة » قال وباليقين ندرى انهم قد أئذروا وأفصح انهم كان لهم أنبياء منهم في قوله (ألم يأتكم رسل منكم) انتهى • وتأول الجمهور كل ما ورد من ذلك ولا يخفى أن ظاهر القرآن مع ما قاله الضحاك ، والاكثر على خلافه ، وتحقيق ذلك والبحث فيه مما لا فائدة فيه لعدم ترتب شيء عليه غير أنا نقطع بأنهم سمعوا ببعثة رسل الانس لقوله تعالى (انا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى) وظاهر هذا أنهم كانوا مؤمنين بشريعة موسى عليه السلام ، والظاهر أن الشياطين الذين سخرهم الله لسليمان كانوا يأترون في الشرائع بقوله وهو كان من أنبياء بنى اسرائيل ، وهل كان على شرع مستقل أو على شرع موسى ؟ قلت الظاهر كما يفهم من كلام شيخ الاسلام ابن تيمية في الجواب الصحيح وغيره أنه كان على شرع موسى لان شريعة التوراة استمرت من عهد موسى الى أن بعث عيسى فنسخ بعضها وأمر باتباع بعض وهذا ظاهر في أنه كان على شريعة موسى بل صريح والله أعلم •

(الرابع) (١) قال في الفروع قال شيخنا - يعني شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه - : ليس الجن كالانس في الحد والحقيقة فلا يكون ما أمروا به وما نهوا عنه مساويا لما على الانس في الحد والحقيقة لكنهم شاركوهم في جنس التكليف بالامر والنهي والتحليل والتحرير بلا نزاع أعلمه بين العلماء فقد يدل ذلك على مناكحتهم وغيرها • قال في الفروع وقد يقتضيه اطلاق أصحابنا • وفي المعنى وغيره أن الوصية لا تصح لجنى لانه لا يملك بالتملك كالهبة • قال في الفروع فيتوجه من انتفاء التملك

منا منع الوطاء لانه في مقابلة مال قال الله تعالى (والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا) وقال (ومن آياته أن جعل لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها) قال وقد جعل أصحابنا هذا المعنى في شروط الكفاة فهنا أولى قال ومنع منه غير واحد من متأخري الحنفية وبعض الشافعية وجوزه منهم ابن يونس في شرح الوجيز . قال في مسائل حرب : باب مناقحة الجن ثم روى عن الحسن وقتادة والحكم واسحاق كراهتها ، وروى من رواية ابن لهيعة عن يونس عن الزهري : نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن نكاح الجن . وعن زيد العمي : اللهم ارزقني جنية تزوجها تصاحبني حيث ما كنت . قال في الفروع : ولم يذكر حرب عن الامام احمد شيئا ، وعن مالك لا بأس به في الدين ولكنني اكره اذا وجدت امرأة حامل فقيل من زوجك ؟ قالت من الجن ، فيكثر الفساد . انتهى . وذكر الحافظ السيوطي آثارا وأخبارا عن السلف والعلماء تدل على وقوع التناكح بين الجن والانس . وقد حدثني بوقوعه جماعة معهم أنفسهم فالله أعلم بصحة ذلك وان ظهر مخايل ثبوته فأنا على شك منه والله الموفق .

((وجنة النعيم للابراير مصونة عن سائر الكفار))

وجنة النعيم
للابراير

((وجنة النعيم)) اعلم أن للجنة عدة أسماء باعتبار صفاتها ، ومسامها واحد باعتبار الذات فهي مترادفة من هذا الوجه ، وتختلف باعتبار الصفات فهي متباينة من هذا الوجه ، وهكذا أسماء الرب تعالى وأسماء كتابه وأسماء رسوله وأسماء اليوم الآخر وأسماء النار ، فالاسم العام الجنة المتناول لتلك الدار وما اشتملت عليه من أنواع النعيم واللذة والبهجة والسرور وقرة العين ، وأصل اشتقاقها من الستر والتغطية ومنه الجنين لاستتاره في البطن والجان لاستتارهم عن العيون والمجن لستره ووقايته الوجه والمجنون لاستتار عقله وتواريه والجان وهي الحية الصغيرة الدقيقة ، ومنه تسمية البستان جنة لانه بستر داخله بالاشجار ويفطيه فلا يستحق هذا الاسم الا موضع الاماير كثير الشجر مختلف الأنواع ، والجنة بالضم ما يستجن به من ترس أو غيره ومنه قوله تعالى (اتخذوا ايمانهم جنة) يترسون بها من انكار المؤمنين عليهم ، ومنه الجنة بالكسر وهم الجن كما تقدم ومنه قوله

تعالى (من الجنة والناس)

وذهبت طائفة من المفسرين الى أن الملائكة يسمون جنة واحتجوا بقوله تعالى (وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا) وقالوا هذا النسب قولهم : الملائكة بنات الله ، ورجحوه بوجهين أحدهما أن النسب الذي جعلوه انما زعموا انه بين الملائكة وبينه لا بين الجن وبينه ، الثاني قوله تعالى (ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون) أى علمت الملائكة أن الذين قالوا هذا القول محضرون العذاب . قال الامام المحقق شمس الدين ابن القيم فى كتابه (حادى الارواح الى منازل الافراح) والصحيح أن الجنة هم الجن أنفسهم كما قال تعالى (من الجنة والناس) وعلى هذا فمضى الآية الكريمة قولان ، أحدهما قول مجاهد قال قالت كفار قريش الملائكة بنات الله فقال لهم أبو بكر الصديق رضى الله عنه فمن أمهاتهم قالوا سروات الجن ، وقال الكلبى تزوج من الجن فخرج من بينهما الملائكة ، وقال قتادة قالوا صاهر الجن ، والقول الثانى قول الحسن قال اشركوا الشياطين فى عبادة الله فهو النسب الذى جعلوه . قال ابن القيم والصحيح قول مجاهد ، وأما قوله تعالى (ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون) فالضمير يرجع الى الجنة أى قد علمت الجنة انهم محضرون الحساب قاله مجاهد أى لو كان بينه وبينهم نسب لم يحضرهم الحساب كما قال تعالى (وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم) فجعل سبحانه عقوبتهم بذنوبهم واحضارهم للعذاب مبطلا لدعواهم الكاذبة ، وهذا التقدير فى الآية أبلغ فى ابطال قولهم من التقدير الاول . انتهى . ومن أسماء الجنة جنات النعيم قال تعالى (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم) قال فى حادى الارواح وهذا أيضا اسم جامع لجميع الجنان لما تضمنته من الانواع التى يتنعم بها من الماكول والمشروب والملبوس والصور والرائحة والمنظر البهيج والمساكن الواسعة وغير ذلك من النعيم الظاهر والباطن . وقوله فى النظم ((للابرار)) اشارة الى أن هذه اللام لام الاختصاص والاستحقاق فلا يدخلها ويسكنها غيرهم ، والابرار جمع بار وهو كثير البر ، والبراسم جامع للخير وقيل فى قوله تعالى (لن تناولوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) أن البر الجنة،

وفى القاموس البر الصلة والحسنة والخير والصدق والطاعة كال تبرر وضد العقوق كالمبرة • والبر بالفتح من أسماء الله الحسنى والصادق والكثير البر ، ويجمع البار أيضا على بررة وقد ذكر الله فى كتابه عدة آيات يخص الجنة بأهل الايمان والتقوى كقوله تعالى فى الجنة (أعدت للمتقين) وقال تعالى (وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى) وقال تعالى (وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار) وقال (والذين آمنوا وعملوا الصالحات فى روضات الجنات لهم ما يشاءون عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير) (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم) وهذا فى القرآن كثير ومداره على ثلاث قواعد ايمان وتقوى وعمل خالص لله عز وجل على موافقة السنة ، فأهل هذه الثلاثة هم الأبرار وهم أهل البشرى دون من عداهم من سائر الخلق وعلى هذه الثلاثة أشياء دارت بشارات القرآن والسنة جميعها ، وهى تجتمع فى أصلين ، اخلاص فى طاعة الله واحسان الى خلقه ، وترجع الى خصلة واحدة وهى موافقة الرب تعالى فى محابه ، ولا طريق الى ذلك الا بتحقيق القدوة ظاهرا وباطنا برسول الله صلى الله عليه وسلم • وأما الاعمال التى هى تفاصيل هذا الأصل فهى بضعة وسبعون شعبة أعلاها قول لا اله الا الله وأدناها اماطة الأذى عن الطريق ، وبين هاتين الشعبتين سائر الشعب التى مرجعها الى تصديق الرسول فى كل ما أخبر به وطاعته فى جميع ما أمر به إيجابا واستحبابا واجتناب ما نهى عنه تحريما وكراهة • وفى حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قال الله عز وجل أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر • فاقروا ان شئتم (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قوة أعين) رواه البخارى ومسلم وغيرهما • وفى حديث أبى هريرة أيضا رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « حجبت النار بالشهوات وحجبت الجنة بالمكاره » أخرجه البخارى ومسلم • وفى رواية لمسلم : حفت ، بدل حجبت • وفى حديث أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم «حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات ،

رواه مسلم والترمذى • وقد ثبت أن مفتاح الجنة كلمة الاخلاص وهي شهادة ان لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله ، فقد أخرج الامام احمد عن معاذ بن جبل رضى الله عنه مرفوعا «مفتاح الجنة شهادة ان لا اله الا الله ، قال الحافظ ابن رجب فى كتابه (التوحيد) فى سنده انقطاع ، وفى صحيح البخارى عن وهب بن منبه انه قيل له أليس مفتاح الجنة لا اله الا الله ؟ قال : بلى ، ولكن ليس مفتاح الا وله أسنان فان أتيت بمفتاح له أسنان فتح لك والا لم يفتح • وفى صحيح البخارى عن جابر رضى الله عنه قال جاءت ملائكة الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم أنه نائم وقال بعضهم العين نائمة والقلب يقظان فقالوا ان لصاحبكم هذا مثلا فاضربوا له مثلا فقالوا : مثله مثل رجل بنى دارا وجعل فيها مائدة وبمث داعيا فمن أجاب الداعى دخل الدار وأكل من المائدة ومن لم يجب الداعى لم يدخل الدار ولم يأكل من المائدة ، فقالوا : أولوها يفقهها فقال بعضهم العين نائمة والقلب يقظان ، الدار الجنة والداعى محمد فمن أطاع محمدا فقد أطاع الله ومن عصى محمدا فقد عصى الله ، ومحمد فرق بين الناس • ورواه الترمذى عنه بلفظ : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « انى رأيت فى المنام كأن جبريل على رأسى وميكائيل عند رجلى ، فذكر نحو ما تقدم وفيه فالله هو الملك والدار الاسلام والبيت الجنة وأنت يا محمد رسول فمن أجابك دخل الاسلام ومن دخل الإسلام دخل الجنة وأكل مما فيها ((مصونة)) أى جنة النعيم محفوظة ومحمية ((عن سائر)) أى جميع ((الكفار)) سواء كان كفرهم بالشرك أو الجحود أو انكار النبوات أو انكار أحد من الأنبياء أو استحلال ما علم تحريمه أو تحريم ما علم حله من الدين بالضرورة أو جحود ما علم محىء النبى صلى الله عليه وسلم به بالضرورة أو انكار المعاد الجسمانى أو جحود الكتاب المنزل أو شيئا منه أو ملكا من الملائكة أو انتقاص ملك أو نبى ونحو ذلك ، فالجنة لا تدخلها الا نفس مؤمنة باجماع أهل الحق ، وأما أهل الكفر والجحود فهم فى نار جهنم كلما مر عليهم زمن أولد لهم الخلود فلا يفتر عنهم العذاب ولا ينقطع ولا ان يكأ أحدهم واستغاث ينتفع فعذابهم متواصل فى دار الهوان بما كانوا يكفرون

كما قال تعالى (ان المجرمين في عذاب جهنم خالدون * لا يقتر عنهم وهم فيه
مبلسون) وقال تعالى (والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا
ولا يخفف عنهم من عذابها) وقال (لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون)
والآيات في مثل هذا كثيرة وسأل الحسن البصرى أبا برزة عن أشد آية
في كتاب الله تعالى على أهل النار قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم قرأ (فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا) فقال « هلك القوم بمعاصيهم
لله عز وجل » أخرجه ابن أبي حاتم وفيه ضعف وكذا البيهقي وقال لم
أعرفه . وفي القرآن العظيم (ان الله اشترى من المؤمنين وأموالهم بأن لهم
الجنة - الى قوله تعالى (فذلك هو الفوز العظيم) فأشعرت الآية الكريمة
بخطر النفس الانسانية وعظم مقدارها عند ربها فان السلعة اذا خفى عليك
قدرها فانظر المشتري لها من هو وانظر الى الثمن المبذول فيها ما هو وانظر
الى من جرى على يده عقد التبائع ، فالسلعة النفس والله تعالى المشتري لها
والثمن جنات النعيم والسفير في هذا العقد خير خلقه من الملائكة وأكرمهم
عليه وخيرهم من البشر وأكرمهم عليه . وفي جامع الترمذى من حديث أبى
هريرة رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من خاف أدلج
ومن أدلج بلغ المنزل الا ان سلعة الله غالية الا ان سلعة الله الجنة »
قال الترمذى حديث حسن غريب . وفي الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله
عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بلالا ينادى فى الناس أنه لا يدخل
الجنة الا نفس مسلمة ، وفى لفظ مؤمنة . وفى مسلم عن ابن عباس عن (١)
عمر بن الخطاب رضى الله عنهما وذكر الحديث وفيه « يا ابن الخطاب
اذهب فناد فى الناس أنه لا يدخل الجنة الا المؤمنون » وفى البخارى معناه .
وفى كتاب صفة الجنة لأبى نعيم من حديث أبان عن أنس رضى الله عنه قال
جاء اعرابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما تمن الجنة ؟ قال
لا اله الا الله . قال الامام المحقق ابن القيم فى كتابه (حادى الارواح)
وشواهد هذا الحديث كثيرة جدا . وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة
رضى الله عنه أن اعرابيا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
يا رسول الله دلنى على عمل اذا عملته دخلت الجنة ، قال « تعبد الله

خطر النفس
الانسانية

لا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة المكتوبة وتؤتي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان ، قال والذي نفسى بيده لا أزيد على هذا شيئاً أبداً ولا أنقص منه ، فلما ولى قال صلى الله عليه وسلم « من سره أن ينظر الى رجل من أهل الجنة فلينظر الى هذا » وفي مسلم عن جابر رضى الله عنه قال أنى النعمان ابن قوقل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أرأيت اذا صليت المكتوبة وحرمت الحرام وأحللت الحلال أدخل الجنة ؟ • فقال النبي صلى الله عليه وسلم : نعم • وفي صحيح مسلم أيضا عن عثمان بن عفان رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من مات وهو يعلم أنه لا اله الا الله دخل الجنة » وفي مسند الامام احمد وسنن أبى داود عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من كان آخر كلامه لا اله الا الله دخل الجنة » وفي الصحيحين عن أبى ذر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أتانى آت من ربي فأخبرتنى - أو قال فبشرنى - انه من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة ؟ قلت وان زنى وان سرق ؟ قال : وان زنى وان سرق » وفي الصحيحين أيضا عن عتبان بن مالك الانصارى رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « ان الله حرم على النار من قال لا اله الا الله يبتغى وجه الله » وفي هذا عدة أحاديث تزيد على حد التواتر

((واجزم بأن النار كالجنة فى وجودها وانها لم تلتف))

خلود الجنة والنار

((واجزم)) جزم ايقان وعرفان وتصديق واذعان ((بأن النار)) وما فيها من أنواع العذاب والهوان والبوار والزبانية والاغلال والعقارب كالبغال ونحوها موجود الآن ومن قبل الآن ((ك)) ما أن ((الجنة)) وما فيها من الولدان والحدود والنعم والحبور والحلل والتيجان والفواكه والدور والفرش والقصور وجميع ما اشتملت عليه من أنواع الملاذ والسرور موجود الآن وقبل الآن فالنار ((فى وجودها)) الآن كالجنة فهما موجودتان ، قال الامام المحقق فى كتابه (حادى الارواح) لم يزل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى عنهم والتابعون وتابعوهم وأهل السنة والحديث قاطبة وفقهاء الاسلام وأهل التصوف والزهد على اعتقاد ذلك واثباته

مستندين في ذلك الى نصوص الكتاب والسنة وما علم بالضرورة من أخبار الرسل كلهم من أولهم الى آخرهم فانهم دعوا الامم اليها وأخبروا بها ، الى أن نبغت نابغة من القدرية والمعتزلة فأنكرت أن تكون الجنة كالنار الآن مخلوقة وقالوا بل الله ينشئها يوم المعاد ، وحملهم على ذلك أصلهم الفاسد الذي وضعوا به شريعة فيما يفعله الله وانه ينبغي له أن يفعل كذا ولا ينبغي له أن يفعل كذا وقاسوه سبحانه على خلقه في أفعاله فهم مشبهة في الأفعال ، ودخل التجهم فيهم فصاروا مع ذلك معطلة في الصفات وقالوا خلق الجنة والنار قبل الجزاء عبث فانهما يصيران معطلتين مددا متطاولة ليس فيهما سكانهما ، قالوا ومن المعلوم أن ملكا لو اتخذ دارا وأعد فيها الألوان والاطعمة والآلات والمصالح وعطلها من الناس ولم يمكنهم من دخولها قرونا متطاولة لم يكن ما فعله واقعا على وجه الحكمة ووجد العقلاء سبيلا الى الاعتراض عليه . فحجروا على الرب تعالى بعقولهم الفاسدة وآرائهم الباطلة وشبهوا أفعاله بأفعالهم وردوا من النصوص ما خالف هذه الشريعة الباطلة التي وضعوها وحرفوها عن مواضعها وضيعوها وضللوا كل من خالف بدعتهم هذه القبيحة وبدعوا من انصرف عن شرعتهم هذه الفضيحة والتزموا لها لوازم أضحكوا عليهم فيها العقلاء وقبح عليهم رأيهم بسببها النبلاء ، ولهذا صار السلف الصالح ومن نحا نحوهم يذكرون في عقائدهم أن الجنة والنار مخلوقتان ، ويذكر من صنف في المقالات أن هذه مقالة أهل السنة والحديث قاطبة لا يختلفون فيها منهم الامام أبو الحسن الأشعري امام كل أشعري في كتابه (مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين) وفيه وان الجنة والنار مخلوقتان ، وقد رأى النبي صلى الله عليه وسلم سدرة المنتهى ورأى عندها الجنة كما في الصحيحين من حديث أنس رضى الله عنه في صفة الاسراء وفي آخره « ثم انطلق بى جبريل حتى أتى سدرة المنتهى فمشيها ألوان ما أدري ما هي قال ثم دخلت الجنة فاذا فيها حنايذ اللؤلؤ واذا ترابها المسك » وفي الصحيحين أيضا من حديث عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ان أحدكم اذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشى ان كان من أهل

الجنة فمن أهل الجنة وان كان من أهل النار فمن أهل النار يقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة ، وقد رأى صلى الله عليه وسلم الجنة في صلاة الكسوف حتى هم أن يتناول عقودا من عنبها ورأى النار فلم ير منظرا أفظع من ذلك ، وهذا في الصحيحين أيضا . وفي مسند الامام احمد وسنن أبي داود والنسائي من حديث ابن عمر رضى الله عنهما في قصة ذلك وفيه « لقد أدنيت الجنة حتى لو بسطت يدي لتعاطيت من قطوفها ولقد أدنيت النار مى حتى لقد جعلت أتقيها خشية أن تفشاكم » الحديث . وفي صحيح مسلم من حديث أنس رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال « لو رأيتم ما رأيتم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا » قالوا وما رأيتم يارسول الله ؟ قال « رأيتم الجنة والنار » وفي مسند الامام احمد وصحيح مسلم والسنن من حديث أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لما خلق الله الجنة والنار أرسل جبريل الى الجنة فقال اذهب فانظر اليها والى ما أعددت لأهلها فيها فذهب فنظر اليها والى ما أعد الله لأهلها فيها فرجع وقال بعزتك لا يسمع بها أحد الا دخلها . فأمر بالجنة فحفت بالمكارة فقال فارجع فانظر اليها والى ما أعددت لأهلها فيها قال فنظر اليها ثم رجع فقال : وعزتك لقد خشيت أن لا يدخلها أحد . ثم أرسله الى النار فنظر اليها يركب بعضها بعضا فقال لا يدخلها أحد ، فلما حفت بالشهوات قال : وعزتك لقد خشيت أن لا ينجو منها أحد الا دخلها » قال الترمذى حديث حسن صحيح . ودخوله صلى الله عليه وسلم ورؤيته نهر الكوثر وقصور افيئة وحورها وثمارها ودورها وقصورها وقصة آدم وخروجه منها وأضعاف أضعاف ما ذكرناه من الأدلة القطعية التى يفوت عدها ويتعسر حدها ويعلم المنصف أن المدول عن مضمونها مكابرة ورد للأخبار المتواترة والله تعالى أعلم ((و)) اجزم أيضا ((أنها)) أى النار ((لم تلتف)) أى لم تهلك وتبيد قال فى القاموس تلف كفروح هلك وأتلفه أفناه والمتلف كالمقعد المهلك . يعنى أن النار لا تفتنى ولا يفنى ما فيها كالجنة وما فيها . قال الامام المحقق فى حادى الأرواح أما أبدية الجنة وأنها لا تفتنى ولا تسد فمما يعلم بالاضطرار أن رسول الله صلى الله

عليه وسلم أخبر به قال الله تعالى (وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدون فيها ما دامت السموات والارض الا ماشاء ربك عطاء غير مجدود) أى غير مقطوع ولا تنافى بين هذا وبين قوله (الا ماشاء ربك) نعم اختلف السلف فى هذا الاستثناء فقال الضحاك هو فى الذين يخرجون من النار فيدخلون الجنة يقول سبحانه أنهم خالدون فى الجنة • مادامت السموات والارض الا مدة مكثهم فى النار (وقالت فرقة) العزيمة وقعت لهم من الله بالخلود الدائم الا أن يشاء الله خلاف ذلك اعلاما لهم بأنهم مع خلودهم فى مشيئة الله ، وهذا كما قال لبيبة (ولئن شئنا لنذهبن بالذى أوحينا اليك) وقوله (فان يشأ الله يختم على قلبك) وقوله (قل لو شاء الله ما تلوته عليكم) ونظائر ذلك مما يخبر به سبحانه عباده أن الامور كلها بمشيئته ما شاء كان ومالم يشأ لم يكن (وقالت فرقة أخرى) المراد مدة دوام السموات والارض فى هذا العالم فأخبر سبحانه أنهم خالدون فى الجنة مدة دوام السموات والارض الا ماشاء الله أن يزيدهم عليه ، وكأن هذا قول من قال أن الا بمعنى سوى وهذا قول ابن قتيبة فانه قال المعنى خالدون فيها مدة العالم سوى ما شاء الله تعالى أن يزيدهم من الخلود على مدة العالم (وقالت فرقة أخرى) المراد بالسموات والارض سماء الجنة وأرضها وهما باقيتان أبدا وقيل غير ذلك • وفى الصحيحين من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال «يجاء بالموت فى صورة كبش أملح فيوقف بين اقية والنار ثم يقال يا أهل الجنة ، فيطلقون مشفقين ويقال يا أهل النار ، فيطلقون فرحين فيقال هل تعرفون هذا ؟ فيقولون نعم هذا الموت ، فيذبح بين الجنة والنار ، ويقال يا أهل الجنة خلود ولا موت فيها ويا أهل النار خلود ولا موت فيها » • ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (وانذرهم يوم الحسرة اذ قضى الامر وهم فى غفلة وهم لا يؤمنون) وأشار بيده الى الدنيا • وفى لفظ للبخارى « وهم فى غفلة : وهؤلاء فى غفلة أهل الدنيا وهم لا يؤمنون » أخرجه فى التفسير • وفى الصحيحين فى هذا الحديث « فاذا قيل لهم هل تعرفون هذا ؟ فيشربون وينظرون ويقولون : نعم هذا الموت ، فيؤمر بذبحة فيذبح » قوله فيشربون

هو بفتح أوله وسكون الشين المعجمة وفتح الراء بعدها تحتيه مهموزة ثم
موحدة مشددة أى يمدون أعناقهم ويرفعون رؤوسهم للنظر ، وفي الصحيحين
أيضا عن ابن عمر رضی الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
« يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ثم يقوم مؤذن بينهم يا أهل
الجنة لا موت ويا أهل أهل النار لا موت ، كل خالد فيما هو فيه » وفي
رواية عنه عندهما « فيزداد أهل الجنة فرحا الى فرحهم ويزداد أهل النار
حزنا الى حزنهم » وفي هذا عدة أحاديث عن أبي هريرة عند الحاكم وابن
ماجه وعن أنس عند أبي يعلى والبخاري والطبراني وفيه « فيذبح كما تذبح
الشاة فيأمن هؤلاء وينقطع رجاء هؤلاء » ثبت بما ذكرنا من الايات
الصريحة والأخبار الصحيحة خلود أهل الدارين خلودا مؤبدا كل بما
هو فيه من نعيم وعذاب أليم وعلى هذا اجماع أهل السنة والجماعة فأجمعوا
أن عذاب الكفار لا ينقطع كما أن نعيم أهل الجنة لا ينقطع ودليل ذلك
الكتاب والسنة وزعمت الجهمية أن الجنة والنار يفنيان وقال هذا امامهم
جهم بن صفوان امام المعتزلة ، وليس له في ذلك سلف قط لا من الصحابة
ولا من التابعين ولا أحد من أئمة الدين ولا قال به أحد من أهل السنة ،
نعم حكى بعض العلماء في أبدية النار قولين

الاقوال في الخلود في النار

وحاصل ذلك كله سبعة أقوال (أحدها) قول الخوارج والمعتزلة ان
من دخل النار لا يخرج منها أبدا بل كل من دخلها يخلد فيها أبد الآباد
(والثاني) قول من يقول ان أهلها يعذبون مدة فيها ثم تنقلب عليهم وتبقى
طبائعهم نارية يتلذذون بالنار لموافقها لطبائعهم ، وهذا قول ابن عربي
الطائي في كتاب فصوص الحكم وغيره من كتبه (الثالث) قول من يقول
أن أهل النار يعذبون فيها الى وقت محدود ثم يخرجون منها ويخلفهم فيها
قوم آخرون وهذا القول حكاه اليهود للنبي صلى الله عليه وسلم فأكذبهم
فيه وقد أكذبهم الله تعالى أيضا في قوله (وقالوا لن تمسنا النار الا أياما
معدودة قل اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله
مالا تعلمون * بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب
النار هم فيها خالدون) فهذا القول انما هو قول أعداء الله اليهود فهم

شيوخ أربابه والقاتلين به وقد دل القرآن والسنة واجماع الصحابة والتابعين وأئمة الدين على فساده (الرابع) قول من يقول يخرجون منها وتبقى نارا بحالها ليس فيها أحد يعذب ذكره شيخ الاسلام ابن تيمية عن بعض أهل الفرق قال والقرآن والسنة يردان هذا القول (الخامس) قول من يقول تفنى النار بنفسها لأنها حادثة كانت بعد أن لم تكن وما ثبت حدوثه استحالة بقاءه وأبديته وهذا قول جهم بن صفوان وشيعته ولا فرق عنده بين الجنة والنار (السادس) قول من يقول تفنى حياتهم وحرركاتهم ويصيرون جمادا لا يتحركون ولا يحسون بألم ، وهذا قول أبي الهذيل العلاف أحد أئمة المعتزلة طردا لامتناع حوادث لا نهاية لها ، والجنة والنار عنده سواء في هذا الحكم (السابع) قول من يقول أن الله تعالى يفيئها لأنه ربها وخالقها لأنه تعالى على زعم أرباب هذا القول جعل لها أمدا تنتهي إليه ثم تفنى ويزول عذابها ، قال شيخ الاسلام وقد نقل هذا عن طائفة من الصحابة والتابعين . ولشيخ الاسلام وتلميذه الامام المحقق ميل الى هذا القول ، وذكر على تأييده بضعا وعشرين وجها ثم قال وما ذكرناه في هذه المسألة من صواب فمن الله وهو المان به وما كان من خطأ فمني ومن الشيطان والله ورسوله بريئان منه والله عند لسان كل قائل وقصده والله أعلم . انتهى . وقد ألفت العلامة الشيخ مرعي الكرمي الحنبلي رسالة سماها توفيف الفريقين على خلود أهل الدارين .

((تنبيه)) (١)

تنبيه في حقيقة
الموت وأنه
سيدبج

ذهب جمع الى أن الموت عرض ومعنى والاعراض لا تنقلب أجساما ، بل زعم بعضهم أن الموت عدم محض وبه قال الزمخشري ، وأجابوا عن قوله تعالى (خلق الموت والحياة) بأن الخلق في هذه الآية التقدير ، فان قيل فعلى هذا كيف يأتي الموت في صورة كبش فيذبح ؟ فالجواب نقل الحكيم الترمذي أن مذهب السلف في هذا الحديث الوقوف عن الخوض في معناه فنؤمن به ونكل علمه الى الله . وأجاب بعض أهل العلم ان لعل هذا الكبش صورة ملك من الملائكة الذين يقبضون أرواح الخلائق

والا فالموت نى نفسه عدم محض راجع الى سلب الحياة ، أو هو استعارة
وكناية عن البخلود الدائم ، فضرب المثل بالموت ولا موت هناك حقيقة ،
انتهى • وذهب جماعة الى أن الموت جسم لا عرض وانه مخلوق فى صورة
كبش والحياة فى صورة فرس ، قال الامام أبو حسن الاشعري : الموت
أمر وجودى لقوله تعالى (خلق الموت والحياة) والعدم لا يخلق • كل
هذا ملخص من كلام الشيخ مرعى رحمه الله تعالى • وقال النووى فى
شرح مسلم يتأول الحديث على أن الله تعالى يخلق هذا الجسم ثم يذبح
مثالا لأن الموت لا يطرأ على أهل الآخرة • قلت وهذا غير مرضى ولا
معول عليه والدليل على أن الموت جسم فى صورة كبش ما أخرج ابن
أبى حاتم فى تفسيره عن قتادة فى قوله تعالى (خلق الموت والحياة) قال:
الحياة فرس جبريل والموت كبش أملح • وقال مقاتل والكلبى : خلق
الموت فى صورة كبش لا يمر على أحد الامات وخلق الحياة فى صورة
فرس لا يمر على شىء الا حى • وأخرج أبو الشيخ ابن حيان فى كتاب
العظمة عن وهب بن منبه قال : خلق الله الموت كبشاً أملح مستترا بسواد
وبياض له أربعة أجنحة جناح تحت العرش وجناح فى الثرى وجناح
فى المغرب وجناح فى المشرق قال له كن فكان ثم قال له ابرز فبرز
لعزرائيل • قلت الذى نذهب اليه أن الموت أمر وجودى وانه جسم لا
عرض وانه مخلوق فى صورة كبش أملح وأن الحياة فى صورة فرس كما
صحت بذلك الاخبار عن النبى المختار ونقلها الأئمة ودونها الجهابذة
الاخبار ، على أن كثيرا من العلماء أشار الى أن جميع المعانى المعقولة عندنا
مصورة عند الله تعالى بصور الاجسام ومشخصة بهيئة الاشخاص وان كنا
لا نحس ذلك لكوننا محجوبين عنه والاحاديث النبوية ناطقة بذلك شاهدة
له فانه قد ورد عدة أخبار أن الاعمال تعرض فى صورة أشخاص ، الاسلام
والصلاة والصيام والمعروف والذكر ، فهذا كله يدل على ما ذكرنا وبالله
التوفيق

(فائدة) (١) ذكر فى البدور السافرة أن عند اسماعيل بن زياد الشامى

فى تفسيره أن الذى يتولى ذبح الموت جبريل عليه السلام ، وقيل يحيى
ابن زكريا عليهما السلام والله أعلم

(تمة (١) فى ذكر مكان الجنة والنار وأين هما على مقتضى الآثار)

تمة فى مكان
الجنة والنار

أعلم أن الجنة فوق السماء السابعة وسقفها عرش الرحمن كما قال
جل شأنه فى محكم القرآن (ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى *
عندها جنة المأوى) وقد ثبت أن سدرة المنتهى فوق السماء السابعة وسميت
بذلك لأنها ينتهى إليها ما ينزل من عند الله فيقبض منها وما يصعد إليه
فيقبض منها وقال تعالى (وفى السماء رزقكم وما توعدون) قال ابن أبى
نجيح عن مجاهد هو الجنة - وتلقاه الناس عنه • وذكر ابن المنذر فى
تفسيره عن مجاهد قال : هو الجنة والنار • وقد أخرج أبو نعيم عن عبد الله
ابن سلام رضى الله عنه قال : قال أكرم خليفة الله أبو القاسم صلى الله
عليه وسلم أن الجنة فى السماء • وروى أبو نعيم أيضا عن ابن عباس
رضى الله عنهما أنه قال : الجنة فى السماء السابعة ويجعلها الله تعالى حيث
شاء يوم القيامة ، وجهنم فى الارض السابعة • وروى ابن منده عن عبد الله
ابن مسعود رضى الله عنه الجنة فى السماء الرابعة فإذا كان يوم القيامة
جعلها الله حيث شاء ، والنار فى الارض السابعة فإذا كان يوم القيامة جعلها
الله حيث شاء • وقال مجاهد قلت لابن عباس رضى الله عنهما أين الجنة ؟
قال : فوق سبع سموات • قلت فأين النار ؟ قال تحت سبعة أبحر مطبقة •
رواه ابن منده • وثبت فى الصحيحين أنه صلى الله عليه وسلم قال :
« الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والارض » وهذا
يدل على أنها فى غاية العلو والارتفاع • وفى لفظ لهذا الحديث « (ان
فى) الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والارض أعدها
الله للجاهدين فى سبيله » وشيخ الاسلام ابن تيمية يرجح هذا اللفظ
وهو لا يفتى أن تكون درج الجنة أكثر من ذلك كما فى قوله صلى الله
عليه وسلم « ان لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة » أى
من جملة أسمائه هذا العدد فيكون الكلام جملة واحدة فى الموضوعين •

ويدل على هذا أن منزلة نبينا صلى الله عليه وسلم فوق هذا كله في درجة في الجنة ليس فوقها درجة وتلك المائة ينالها آحاد أمتة بالجهاد . وقال في (حادى الارواح) والجنة مقبية أعلاها وأوسعها ووسطها وهو الفردوس وسقفه العرش كما قاله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح « اذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فانه وسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة » قال في حادى الارواح قال شيخنا أبو الحجاج المزي الحافظ والصواب رواية من رواء فوقه بضم القاف على أنه اسم الظرف أى وسقفه عرش الرحمن . فان قيل فالجنة جميعها تحت العرش والعرش سقفها فان الكرسي وسع السموات والارض والعرش أكبر منه ، فالجواب لما كان العرش أقرب الى الفردوس مما دونه من الجنان بحيث لا جنة فوقه دون العرش كان سقفا له دون ما تحته من الجنان لعظم سعة الجنة وغاية ارتفاعها يكون الصعود من أدنى الى أعلى بالتدرج شيئا فشيئا درجة فوق درجة كما يقال لقارئ القرآن اقرأ وارق فان منزلتك عند آخر آية تقرأها وهذا يحتمل شيئين أن تكون منزلته عند آخر حفظه وأن تكون عند آخر تلاوته لمحفوظه والله أعلم .

وأخرج أبو نعيم في تاريخ أصبهان عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان جهنم محيطة بالدنيا وان الجنة وراءها فلهذا كان الصراط على جهنم طريقا الى الجنة » وأخرج جويرى فى تفسيره عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم من أين يجاء بجهنم يوم القيامة قال « يجاء بها من الارض السابعة لها سبعون ألف زمام معلق كل زمام سبعون ألف ملك تصيح : الى أهلى ، الى أهلى ، فاذا كانت من العباد على مسيرة مائة سنة زفرت زفرة فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل الا جثا على ركبتيه يقول : رب نفسى نفسى » وأخرج الامام احمد والبيهقى بسند رجاله ثقات (١) عن يعلى بن أمية رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « البحر هو جهنم » (٢) وأخرج الامام احمد أيضا فى الزهد عن سعيد بن أبى الحسين قال البحر طبق

(١) بل فيهم من لم يوثق توثيقا معتمدا . (٢) فى تاريخ البخارى ج ارقم ١٧٠ بسند احمد نفسه وفيه « البحر من جهنم »

جهنم • وأخرج أبو الشيخ فى العظمة واليهقى من طريق سعيد بن المسيب عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال : ما رأيت يهوديا أصدق من فلان زعم أن نار الله الكبرى هى البحر فاذا كان يوم القيامة جمع الله فيه الشمس والقمر والنجوم ثم بعث عليه الدبور فسعرتة • وأخرج أبو الشيخ عن كعب فى قوله تعالى (والبحر المسجور) قال البحر يسـسـجـر فيصـب جهنم • وأخرى بج اليهقى فى شعب الايمان عن وهب أنه قال اذا قامت القيامة أمر بالغلق فيكشف عن سقر وهو غطاؤها فتخرج منه فاذا وصلت الى البحر المطبق على شفير جهنم وهو بحر البحور نشفته أسرع من طرفة العين وهو حاجز بين جهنم والارضين السبع فاذا نشفت اشتعلت فى الارضين السبع فتدعها جمره واحدة •

وقيل أن النار فى السماء كالجنة لما روى الامام احمد من حديث حذيفة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « أتيت بالبراق فلم نزائل طرفة عين أنا وجبريل حتى أتيت بيت المقدس وفتحت لنا أبواب السماء ورأيت الجنة والنار » وأخرج أيضا عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « رأيت ليلة أسرى بى الجنة والنار فى السماء » فقرأت هذه الآية : (وفى السماء رزقكم وما توعدون) فكأنى لم أقرأها • وليس فى هذا ونحوه حجة على أن النار فى السماء لجواز أن يراها فى الارض وهو فى السماء وهذا الميت يرى وهو فى قبره الجنة والنار وليست الجنة فى الارض ، وثبت أنه صلى الله عليه وسلم رآهما وهو فى صلاة الكسوف وهو فى الارض • قال الحافظ ابن رجب وحديث حذيفة أن ثبت وفيه أنه رأى الجنة والنار فى السماء فالسما ظرف للرؤية لا للمرئى • وفى حديث ضعيف جدا أنه صلى الله عليه وسلم رأى الجنة والنار فوق السموات ، فلو صح حمل ما ذكرنا • والحاصل ان الجنة فوق السماء السابعة وسقفها العرش وان النار فى الارض السابعة على الصحيح المعتمد وبالله التوفيق

ولما أنهى الكلام على الجنة والنار وصحح وجودهما الآن وبقاءهما أبدا بلا نهاية ولا حساب وبرهن على ذلك وعلى مكانهما أعقب ذلك بقوله :

((فسأل الله النعيم والنظر لربنا من غير ما شين غبر))

((فسأل الله)) العظيم رب العرش العظيم ((النعيم)) المقيم فى جنات النعيم بأنواع ملاذها ونعيمها مع كواعبها وحوورها فى خيامها وقصورها وعرصاتها ودورها وبما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ((و)) نسأل الله العظيم الحليم الجواد الكريم ((النظر ل)) وجهه ((ربنا)) وخالقنا وهادينا الكريم مع أهل الطاعة والاستقامة والفوز والنجاة يوم القيامة ((من غير ما)) زائدة لمزيد النفى أى من غير ((شين)) أى عذاب ومناقشة حساب وتوبيخ وعتاب والشين ضد الزين فان من حصل له شىء مما ذكر يذهب زينه ويخلفه شينه والمشايين المعاييب ((غبر)) بفتح الغين المعجمة والباء الموحدة أى ذهب والمراد سبق يعنى من غير سابق عذاب ومناقشة حساب يقال غبر غبورا مكث وذهب ، ضد ، وفى الحديث أنه صلى الله عليه وسلم كان يحدر فيما غبر من السورة أى يسرع فى قراءتها • قال فى النهاية قال الأزهرى يحتمل الغابر ههنا الوجهين يعنى الماضى والباقي فانه من الاضداد ، قال وقال غير واحد من الأئمة أنه يكون بمعنى الماضى • والحاصل أنه سأل الله تعالى أن يمن عليه بالنعيم والتنعيم بالنظر الى وجهه الكريم من غير سابقة عذاب ولا مناقشة حساب وقد تقدم بعض ما تضمنه من ذكر النعيم المقيم ، وأما النظر الى مولانا الكريم فهو من أصول أهل الحق خلافا لأهل الضلال والحمق ومن ثم قال :

((فانه ينظر بالابصار كما أتى فى النص والاختبار))

رؤية المؤمنين
رهبهم فى الآخرة

((فانه)) سبحانه وتعالى ((ينظر بالابصار)) فى دار المقامة والقرار باتفاق أئمة الدين الابرار وسلف الأئمة الاختيار ((كما أتى)) أى جاء ((فى النص)) القرآنى والتنزيل الرحمانى ، أصل النص أقصى الشىء وغايته ، وفى حديث كعب : يقول الجيار احذرونى فانى لا أناص عبدا الا عذبتة أى لا أستقصى عليه فى السؤال والحساب • وروى الخطابى عن عون بن عبد الله مثله ومنه قول الفقهاء نص القرآن ونص السنة ، أى ما دل ظاهر لفظهما عليه من الاحكام ، وفى كلام عمرو بن دينار ما رأيت رجلا أنص للحديث من الزهرى أى أرفع له وأسند ((و)) كما أتى فى

((الاخبار)) النبوية والآثار السلفية وأجمع عليه أهل الحق وسلف
الامة وأهل الصدق وأعلام الائمة ورؤية الله رب العالمين أعظم وأجل
وأشرف وأنعم ونعيم الجنة قدرا وأعلاء وأعلاء خطرا وأمرا وهى الغاية
القصوى والنهاية العظمى التى شمر اليها السابقون وتنافس فيها المتنافسون
واتفق الانبياء والمرسلون والصحابة والتابعون وأئمة السلف والذين على
نبوتها فى دار القرار من غير شك ولا انكار وانما أنكرها أهل البدع
والضلال والتجهم والاعتزال قال الله تعالى فى محكم الذكر (وجوه يومئذ
ناصرة * الى ربها ناظرة) وقال (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) وقال
فى حق أهل الكفر والفجور (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون)
وقال تعالى (ولدينا مزيد) وأخرج مسلم والترمذى وابن ماجه عن صهيب
رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « اذا دخل أهل الجنة الجنة
يقول الله تعالى تريدون شيئا أزيدكم ؟ فيقولون ألم تبيض وجوهنا ألم
تدخلنا الجنة وتنجنا من النار ، قال فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئا أحب
اليهم من النظر الى ربهم » ثم تلا هذه الآية (للذين أحسنوا الحسنى
وزيادة) يعنى أنه يرفع الموانع عن الادراك عن أبصارهم حتى يروه على
ماهو عليه من نعوت العظمة والجلال ، فذكر الحجاب انما هو فى حق
الخلق لا الخالق ، كذا قال القرطبى فى تذكرته • وأخرج ابن جرير
وابن مردويه عن أبى موسى الأشعري رضى الله عنه عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال : « ان الله يبعث يوم القيامة ناديا ينادى بصوت
يسمعه أولهم وآخرهم يا أهل الجنة ان الله وعدكم الحسنى وزيادة ، الحسنى
الجنة ، والزيادة النظر الى وجه الرحمن » وأخرج ابن جرير وابن مردويه
أيضا واللائلكاى فى السنة عن كعب بن عجرة مرفوعا مثله • وأخرجوا
أيضا وابن أبى حاتم مثله عنه مرفوعا ، وابن مردويه عن ابن عمر رضى الله
عنهما مرفوعا « الحسنى الجنة والزيادة النظر الى وجه الله » وابن
مردويه أيضا وأبو الشيخ واللائلكاى عن أنس رضى الله عنه مرفوعا
« الحسنى والزيادة كالذى قبله سواء » ومن حديث أبى هريرة كذلك
رواه أبو الشيخ ، وعن الصديق رضى الله عنه موقوفا مثله رواه ابن

جرير وابن مردويه وابن المنذر وأبو الشيخ واللالكائى والآجرى وابن مردويه ، وعن علي رضي الله عنه رواه ابن مردويه ، وعن حذيفة رضي الله عنه رواه بن جرير وابن المنذر وأبو الشيخ واللالكائى والآجرى ، وكذا عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ، ومثله عن ابن عباس رضي الله عنهما وغيره من الصحابة رضي الله عنهم ، ومثله عن سعيد بن المسيب والحسن البصرى وعبد الرحمن بن أبي ليلى وعامر بن سعيد البجلي وأبي اسحق السبيعي وعبد الرحمن بن سابط وغكرمة ومجاهد وقيادة وغيرهم من التابعين . قال الامام الحافظ البيهقي في كتاب الرؤية هذا تفسير قد استفاض واشتهر فيما بين الصحابة والتابعين ومثله لا يقال الا بتوقيف وفسروا قوله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) قال ابن عباس رضي الله عنهما حسنة الى ربها ناظرة - قال نظرت الى الخالق . وقال عكرمة ناضرة من النعم ، الى ربها ناظرة - قال تنظر الى الله نظرا وقال الحسن النضرة الحسن ، الى ربها ناظرة - نظرت الى ربها فضررت بنوره ، وقال محمد بن كعب القرظي : نضر الله تلك الوجوه وحسنتها للنظر اليه ، ومثله عن مجاهد ، وأخرج ابن أبي حاتم واللالكائى عن الحسن في قوله (كلا أنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) قال اذا كان يوم القيامة برز ربنا تبارك وتعالى فيراه الخلق ويحجب الكفار فلا يرونه وروى اللالكائى عن أشهب قال سأل رجل مالكا هل يرى المؤمنون ربهم يوم القيامة ؟ فقال مالك لو لم ير المؤمنون ربهم يوم القيامة لم يعاقب الكفار بالحجاب فقال (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) قيل فان قوما يزعمون أن الله لا يرى ، فقال مالك : السيف السيف . وأخرج اللالكائى عن المزني قال سمعت الشافعي يقول في قوله تعالى (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) فيها دلالة على أن أولياء الله يرون ربهم يوم القيامة ونقل ذلك عن الامام الشافعي رضي الله عنه من عدة وجوه . وقال الطبراني قال علي بن أبي طالب وأنس بن مالك رضي الله عنهما في قوله تعالى (لهم ما يشاؤون فيها ولدينا مزيد) هو النظر الى رحمة الله عز وجل . وقاله من التابعين زيد بن وهب وغيره كما في حادى الارواح فهذه تفاسير هذه الآيات مسندة عن النبي صلى الله

عليه وسلم وأصحابه والتابعين بلغت مبلغ التواتر عند أئمة الحديث •

وأما الاحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم الواردة في الرؤية فأخرج اللالكائي في السنة من طريق مفضل بن غسان قال سمعت يحيى ابن معين يقول : عندي سبعة عشر حديثا في الرؤية كلها صحاح • وقد ورد ذلك من حديث الصديق وأنس وجابر وجريير البجلي وحذيفة بن اليمان وزيد بن ثابت وصهيب وعبادة بن الصامت وابن عباس وابن عمر وابن مسعود ولقيط بن عامر وأبي رزين وعلي بن ابي طالب وعدى بن حاتم وعمار بن ياسر وفضالة بن عبيد وأبي سعيد الخدري وأبي موسى الاشعري وبريدة بن الحصيب الاسلمى رضى الله عنهم أجمعين ، ففي البخارى ومسلم وغيرهما من حديث ابي هريرة رضى الله عنه أن ناسا قالوا يا رسول الله نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ، قالوا لا يا رسول الله قال « تضارون في رؤية الشمس ليس دونها حجاب » قالوا لا قال « فانكم ترونه كذلك » الحديث • وفي الصحيحين وغيرهما عن جرير البجلي قال كنا جلوسا مع النبي صلى الله عليه وسلم فنظر الى القمر ليلة أربعة عشر فقال « انكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا لا تضارون في رؤيته فان استطعتم ان لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل الغروب فافعلوا » ثم قرأ (فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب) وقد عدد في حادى الأرواح رواة من روى رؤية البارى عزوجل فزادوا عن الحد • قال العلماء كان التشبيه للرؤية وهو فعل الرائي لا المرئي والمعنى ترون ربكم رؤية ينزاج معها الشك وتتفى معها الرؤية كرؤيتكم القمر لا ترتابون ولا تمترون ، وفي لفظ لا تضامون وروى بتخفيف الميم وضم أوله من الضيم أى لا يلحقكم فى رؤيته ضيم ولا مشقة ، وبتشديدها والفتح على حذف احدى التائين والاصل لا تضامون اى لا يضام بعضكم بعضا كما يفعل الناس فى طلب الشيء الخفى الذى لا يسهل ادراكه فيتزاحمون عند ذلك ينظرون الى جهة يضام بعضهم بعضا ، يريد أنكم ترونه وكل واحد فى مكانه • وفى الصحيحين وغيرهما ايضا عن ابي سعيد الخدري رضى الله عنه ان ناسا

فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم
القيامة ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « نعم فهل تضارون فى رؤية
الشمس بالظهيرة صحوا ليس معها سحب ؟ وهل تضاون فى رؤية القمر
ليلة البدر صحوا ليس فيها سحب ؟ قالوا لا يا رسول الله ، قال ما تضارون
فى رؤية الله تبارك وتعالى يوم القيامة الا كما تضارون فى رؤية أحدهما » الحديث
تبارك وتعالى يوم القيامة الا كما تضارون فى رؤية احدهما « الحديث
واخرج الترمذى عن سعيد بن المسيب انه لقي ابا هريرة فقال ابو هريرة
اسأل الله أن يجمع بينى وبينك فى سوق الجنة ، قال سعيد أفيها سوق ؟ قال
نعم اخبرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أهل الجنة اذا دخلوها
نزلوا فيها بفضل اعمالهم ثم يؤذن لهم فى مقدار يوم الجمعة من ايام الدنيا
فيزورون ربهم ويبرز لهم عرشه ويتبدى لهم فى روضة من رياض الجنة
فوضع لهم منابر من نور ومنابر من لؤلؤ ومنابر من ياقوت ومنابر من
زبرجد ومنابر من ذهب ومنابر من فضة ويجلس ادناهم - وما فيهم من دنى
- على كئبان المسك والكافور وما يرون أن أصحاب الكراسى بأفضل منهم
مجلسا » قلت يا رسول الله هل نرى ربنا ؟ قال « نعم ، هل تمارون فى
رؤية الشمس والقمر ليلة البدر ؟ قلنا لا ، قال كذلك لا تمارون فى رؤية
ربكم ولا يبقى فى ذلك المجلس رجل الا حاضره الله محاضرة حتى يقول
للرجال منهم يا فلان بن فلان أتذكر يوم فعلت كذا وكذا؟ فيذكره ببعض
غدراته فى الدنيا ، فيقول يا رب أفلم تغفر لى ؟ فيقول: بلى ، بسعة مغفرتى
بلغت منزلتك هذه » الحديث • والاحاديث فى ذلك كثيرة جدا فى الصحاح
والسنن والمسانيد وغيرها ، وقد قيل لابن عباس رضى الله عنهما من دخل
الجنة يرى الله عز وجل؟ قال نعم • وقال معاذ بن جبل رضى الله عنه يحشر
الناس يوم القيامة فى صعيد واحد فينادى اين المتقون ؟ فيقومون فى كنف
الرحمن لا يحتجب الله منهم ولا يستتر ، فقيل له من المتقون ؟ قال قوم
اتقوا الشرك وعبادة الاوثان واخلصوا لله العبادة فيمرون الى الجنة • ولهذه
الجنة اشار بقوله :

((لانه سبحانه لم يحجب الا عن الكافر والمكذب))

((لانه)) أى الرب ((سبحانه)) وتعالى ((لم يحجب)) بضم التحتية وسكون الحاء المهملة وفتح الجيم مبنيا لما لم يسم فاعله اى لم يتمتع سبحانه من أن يمكن عباده من رؤيته فى دار القرار ((الا عن الكافر)) بالله تعالى وبكل مكفر اتصف به فكل من حكم الشرع بكفره فهو محجوب عن رؤية ربه قال على بن المدينى سألت عبد الله بن المبارك عن رؤية الله تعالى ، فقال ما حجب الله عزوجل احدا عنه الا عذبه ، ثم قرأ (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون* ثم انهم لصالو الجحيم* ثم يقال هذا الذى كنتم به تكذبون) قال بالرؤية • فقلت له يا أبا عبد الله ان عندنا قوما من المعتزلة ينكرون هذه الاحاديث ان الله ينزل الى سماء الدنيا ، وأهل الجنة يرون ربهم ، فحدثنى بنحو عشرة أحاديث فى هذا ، وقال : اما نحن فقد اخذنا ديننا هذا عن التابعين ، والتابعون اخذوه عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهم عن اخذوه ؟ • وقال قبيصة بن عقبة : أتينا أبا نعيم يوما فنزل الينا من الدرجة التى فى داره فجلس وسطها كأنه مغضب وقال حدثنا سفيان بن سعيد ومنذر الثورى وزهير بن معاوية وحدثنا حسن بن صالح وحدثنا شريك بن عبد الله النخعى وهؤلاء ابناء المهاجرين يحدثوننا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك وتعالى يرى فى الآخرة حتى ان يهوديا صبغا يزعم ان الله لا يرى - يعنى بشر الميسى • وقال عبدالعزيز بن ابى سلمة الماجشون لم يزل يملى لهم - يعنى المبتدعة من الجهمية او اضرابهم - الشيطان حتى جحدوا قوله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) فقالوا لا يراه احد يوم القيامة فجددوا والله افضل كرامة الله التى أكرم بها أولياءه يوم القيامة من النظر الى وجهه الكريم ونضرتة اياهم فى مقعد صدق عند ملك مقتدر فورب السماء والارض ليعلن رؤيته يوم القيامة للمخلصين له ثوابا لينضر بها وجوههم دون المجرمين ويفلج بها حجبهم على الجاحدين ، وهم عن ربهم يومئذ محجوبون لا يرونه كما زعموا انه لا يرى ولا يكلمهم ولا ينظر اليهم ولهم عذاب أليم • ولذا قلنا ((و)) يحجب ايضا عن ((المكذب)) برؤيته وتكليمه لعباده المتقين وكما اشار اليه الامام عبد الله بن المبارك فى قوله تعالى (كلا انهم عن ربهم

يومئذ لمحجوبون* ثم انهم لصالوا الجحيم* ثم يقال هذا الذى كنتم به تكذبون (قال بالرؤية كما ذكره ابن ابي الدنيا . وقال سيدنا الامام احمد رضى الله عنه من لم يقل بالرؤية فهو جهمى . وقال وقد بلغه عن رجل ان الله لا يرى فى الآخرة فعضب غضبا شديدا وقال : من قال ان الله لا يرى فى الآخرة فهو كافر - او فقد كفر - عليه لعنة الله وغضبه كائنا من كان من الناس ، أليس يقول الله عز وجل (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) وقال (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) وقال ابو داود سمعت الامام احمد يقول من قال ان الله لا يرى فى الآخرة فهو كافر . وقال ابو بكر المروذى قيل لابي عبد الله رضى الله عنه عن يزيد بن هرون عن ابي العطف عن ابي الزبير عن جابر رضى الله عنه ان استقر الجبل فسوف ترانى وان لم يستقر فلا ترانى فى الدنيا ولا فى الآخرة ؟ فعضب ابو عبد الله غضبا شديدا حتى تبين فى وجهه وكان قاعدا والناس حوله فأخذ نعله واتعل وقال اخزى الله هذا ، لا ينبغي أن يكتب عن هذا ، ودفع عن يزيد ابن هارون (أن يكون) رواه او حدث به ، وقال : هذا جهمى كافر مخالف لما قال الله عز وجل (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) وقال (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) يخزى الله هذا المحدث . وقال الامام أحمد أيضا من كذب بالرؤية فهو رنديق ، قال رضى الله عنه تؤمن بها اى الرؤية وأحاديثها ونعلم انها حق فتؤمن بأن الله يرى ربنا يوم القيامة لا نشك فيه ولا نرتاب . وقال من زعم ان الله لا يرى فى الآخرة فقد كفر بالله وكذب بالقرآن ورد على الله أمره ، يستتاب فان تاب والا قتل . وقال فى رواية حنبل وسأله عن أحاديث الرؤية فقال : هذه احاديث صحاح تؤمن بها ونقر بها وكل ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم باسناد جيد أقرنا به . وقال ابو عبد الله اذا لم نقر بما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم ودفعناه رددنا على الله أمره قال الله تعالى (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا)

(فوائد)

فوائد الاولى
تراه سبحانه
الابصار في
الآخرة ولا
تدرکه

(الاولى) (١) قال العلامة ابن حمدان فى كتابه نهاية المتبتدين كسائر علماء السنة : ونجزم بأن المؤمنين يرون ربهم تعالى يوم القيامة بالابصار ويكلمهم على ما يليق به فيهما ولا يراه الكفار ولا يكلمهم ، قال ومن انكر الرؤية كفر نص عليه الامام أحمد انتهى • وفى حادى الارواح : الرب سبحانه وتعالى يرى ولا يدرك ، كما يعلم ولا يحاط به ، وهذا هو الذى فهمه الصحابة والأئمة رضى الله عنهم من قوله تعالى (لا تدرکه الابصار وهو يدرك الابصار) قال ابن عباس رضى الله عنهما لا تدرکه الابصار لا تحيط به الابصار • وقال قتادة هو اعظم من أن تدرکه الابصار • وقال ابن عطية ينظرون الى الله ولا تحيط ابصارهم به من عظمته ، وبصره تعالى يحيط بهم فذلك قوله تعالى (لا تدرکه الابصار وهو يدرك الابصار) فالمؤمنون يرون ربهم تبارك وتعالى بأبصارهم عيانا ولا تدرکه ابصارهم بمعنى انها لا تحيط به اذ كان غير جائز أن يوصف الله عز وجل بأن شيئا يحيط به وهو بكل شىء محيط ، وهكذا يسمع كلامه من شأ من خلقه ولا يحيطون بكلامه فقوله تعالى (لا تدرکه الابصار) من ادل شىء على انه يرى ولا يدرك فهو لعظمته يتعالى عن أن تدرکه الابصار ولا تحيط به ، ولطفه وخبرته يدرك الابصار فلا يخفى عليه شىء فهو العظيم فى لطفه اللطيف فى عظمته العالى فى قربه القريب فى علوه الذى (ليس كمثل شىء وهو السميع البصير - لا تدرکه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير) • انتهى ملخصا

الثانية - يراه
الملائكة والنساء

(الثانية) (٢) ذهب جماعة من العلماء منهم الحافظ عماد الدين بن كثير (٣) الى ان النساء لا يرين الله تبارك وتعالى فى الآخرة ، وذهب جماعة ايضا منهم العز بن عبد السلام وتبعه صاحب آكام المرجان وابن جماعة الى ان الملائكة لا يرون الله أيضا تبارك وتعالى فى الجنة ، وهذا خلاف التحقيق فان النص الصريح والخبر الصحيح يرد هذا ويبعده ويطله ويدحضه ويطرده فعند الدار قطنى مرفوعا « اذا كان يوم القيامة

(٢) مخ « الثانى »

(١) مخ « تنبيهات ، الاول »

(٣) يأتى عنه خلاف هذا

رأى المؤمنون ربهم عز وجل فأحدثهم عهدا بالنظر اليه فى كل جمعة
قال ويراه المؤمنات يوم الفطر ويوم الاضحى ، أى فى مثل يوم الفطر
ويوم الاضحى وعموم الاحاديث شاملة للنساء من غير توقف • واخرج
الآجرى عن عكرمة قال قيل لابن عباس رضى الله عنهما كل من يدخل
الجنة يرى الله تعالى ؟ قال نعم • وأخرج أبو نعيم فى الحلية عن ابن عباس
رضى الله عنهما قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية
(رب أرنى أنظر اليك) قال ياموسى انه لن يرانى أحد الامت ولا يابس
الا تدهده ولا رطب الا تفرق وانما يرانى أهل الجنة الذين لاتموت
أعينهم ولاتبلى أجسادهم ، ويظهر حديث الدار قطنى أخذ ابن كثير
(١) فاختار أن النساء يرين ربهن فى الاعياد دون الجمع وبه جرم
الحافظ السيوطى لكنه يحتاج الى دليل خاص أقوى من حديث الدار قطنى
واستثنى الحافظ السيوطى زوجات الانبياء عليهم السلام وبناتهم فيرينه
تعالى فى غير الاعياد كما أن ابا بكر وعمر يريانه تعالى أزيد من غيرهما
من غير الانبياء عليهم الصلاة والسلام • قلت ومريم ابنة عمران وامرأة
فرعون ينبغى أن تكون من المستثنيات ، وكذا نحوهما كأم موسى وأخته
والله أعلم • وفى آخر البدور السافرة للحافظ السيوطى : وقع فى كلام
بعض الائمة ان رؤية الله تعالى خاصة بمؤمنى البشر وان الملائكة لا يرونه
واحتج له بقوله تعالى (لاتدرکه الابصار) فانه عام خص منه بالآية
والاحاديث فى المؤمنین فيبقى على عمومه فى الملائكة • قل السيوطى وقد
نص البيهقى على خلافه فقال فى كتاب الرؤية ذكر ماجاء فى رؤية الملائكة
ربهم - فأخرج عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال خلق
الله الملائكة لعبادته أصنافا وان منهم للملائكة قياما صافين من يوم خلقهم الى
ياوم القيامة وملائكة ركوعا خشوعا من يوم خلقهم الى يوم القيامة فاذا كان
يوم القيامة وملائكة ركوعا خشوعا من يوم خلقهم الى يوم القيامة فاذا كان
سبحانك ما عبدناك حق عبادتك • ثم أخرج من وجه آخر عن عدى بن
ارطاة عن رجل من الصحابة رضى الله عنهم ان رسول الله صلى الله

عليه وسلم قال « ان لله ملائكة ترعد فرائصهم من مخافة ما عندهم ، ملك ماتقطر دمة من عينه الا وقعت ملكا يسبح وملائكة سجودا منذ خلق الله السموات والارض لم يرفعوا رؤوسهم ولا يرفعونها الى يوم القيامة فاذا كان يوم القيامة تجلى لهم ربهم فينظرون اليه قالوا سبحانك ما عبدناك كما ينبغي لك » انتهى . والحق الذي لا مرية فيه انهم يرونه تعالى بل ومؤمنو الجن يرونه اما في الموقف فيجتمع سائر المؤمنين وأما في الجنة ففي بعض الاوقات على ما يظهر بل الظاهر انهم يرونه الا انهم دون مؤمنى الانس في الرؤية في كل جمعة

والحاصل أن رؤية الرب جل جلاله في الموقف حاصلة حتى لمنافى هذه الامة على الاصح واما الرؤية في الجنة فاجمع أهل السنة انها حاصلة للانبياء والرسل والصدّيقين من كل أمة ورجال المؤمنين من البشر من هذه الامة واختلف في غيرهم ، وقد جزم الحافظ ابن رجب في اللطائف بأن كل يوم عيد للمسلمين في الدنيا فأنه عيد لهم في الجنة يجتمعون فيه على زيارة ربهم ويتجلى لهم فيه فينظرون اليه فما أعطاهم شيئا هو أحب اليهم من ذلك وهو الزيادة التي قال الله تعالى فيها (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) ويوم الجمعة في الجنة يدعى يوم المزيد (١)

(٤) قال الفاسى في شرح دلائل الخيرات ويوم المزيد هو اسم يوم الجمعة في الجنة وفيه تقع الرؤيا حسبيما في الاحاديث عنه صلى الله عليه وسلم الا انه يؤذن بشبوت الايام على الجنة وهى لا ليل فيها اذ لا ظلام فيها فلعلهم تخلق لهم تفرقة أخرى بين الايام بغير الظلام والله أعلم ولعلها بنور يزداد عند تمام اليوم ثم أما ان يقع للتفرقة وينقطع ثم يأتى اليوم بعده على النور المعتاد واما ان يبقى الى تمام اليوم فيكون هو مبدأ اليوم ثم يأتى اليوم الذى بعده أنور منه وهكذا كل يوم أنور من الذى قبله فيكون نور الجنة فى الترقى على الدوام وذلك الترقى هو الايام ومبده كل ترق هو مبدأ كل يوم وهذا هو المناسب لحال الجنة كما انهم فى جمال صورهم وحسن ثيابهم فى الترقى على الدوام حسبيما فى الحديث والله أعلم ثم وجدت فى البلور السافرة مما أخرجه سعيد بن منصور وابن أبى حاتم عن ابن عباس رضى الله عنهما وابن المبارك عن الضحاك فى قوله تعالى

ويوم الفطر والاضحى يجتمع أهل الجنة فيها . قال الحافظ ابن رجب فى اللطائف روى انه يشارك النساء الرجال فيهما كما كن يشهدن العيدن مع الرجال دون الجمعة ، قال فهذا لعموم أهل الجنة ، فاما خواصهم فكل يوم لهم عيد يزورون فيه ربهم كل يوم مرتين بكرة وعشيا لان الخواص كانت ايام الدنيا كلها لهم اعيادا فصارت ايامهم فى الآخرة كلها اعيادا ، قال الحسن رحمه الله تعالى : كل يوم لا يعصى الله فيه فهو عيد فاليوم الذى يقطعه المؤمن فى طاعة مولاه وذكره وشكره فهو له عيد . انتهى ملخصا . وفى التذكرة للقرطبي ان الناس يرون ربهم فى الموقف ثم يحجبون الى أن لا يبقى فى النار ممن يدخل الجنة أحد فيؤذن لهم فيرونه فى الجنة ثم لا يحجبون بعد ذلك أصلا ولا فى حال تمتعاتهم ، وقد قيل ان الكفار كالمناققين يرونه تعالى ثم يحجبون عنه فتكون الحجة حسرة عليهم ، وخص النووى الخلاف بالمناقق واما الكافر غير المنافق فلا يراه تعالى اتفاقا كما لا يراه غير العقلاء من سائر الحيوانات والله تعالى أعلم

الثالثة هل رأى
محمد ربه ليلة
الاسراء ؟

(الثالثة) (١) اختلف العلماء فى رؤية خاتم الانبياء لربه اله الارض والسماء فى ليلة المعراج التى هى فى حقه صلى الله عليه وسلم أفضل من ليلة القدر واسمى فأثبتها حبر الامة عبد الله بن عباس رضى الله عنهما ورجحه النووى وقال : والحاصل ان الراجح عند أكثر العلماء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ربه بعينى رأسه ليلة الاسراء الحديث ابن عباس رضى الله عنهما وهذا قول أنس وعكرمة والحسن والريبع بن

(ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا) انهم يؤتون رزقهم فى الآخرة على مقدار ما يؤتون به فى الدنيا من الليل والنهار وأخرج ابن المنذر عن بعض السلف سماه أنه سئل عن الآية فقال ليس فى الجنة ليل هم فى نور أبدا لهم مقدار النهار برفع الحجب ومقدار الليل بارحاء الحجب وأخرج الحكيم الترمذى فى النوادر عن الحسن وأبى قلابة قال قال رجل يا رسول الله هل فى الجنة من ليل فان الله يقول فى كتابه (ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا) قال ليس هناك هو ضوء ونور برد الغدو على الرواح والرواح على الغدو ويأتيهم طرف الهدايا لمواقيت الصلاة التى كانوا يصلون فيها وتسلم عليهم الملائكة انتهى بحروفه - من هامش الاصل

سليمان وجماعة من المفسرين قال القرطبي قد ثبت ذلك يعني رؤية الباري جل شأنه سماعا بقوله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) واذا جازت في الآخرة جازت في الدنيا لتساوي الوقتين بالنسبة الى الموتى . كذا قال وقال القاضي عياض رؤية الله تعالى جائزة عقلا وتثبت الاخبار الصحيحة المشهورة وقوعها للمؤمنين في الآخرة ، واما في الدنيا فقال مالك انما لم ير سبحانه في الدنيا لانه باق والباقي لا يرى بالهـانى فاذا كان في الآخرة رزقوا ابصارا باقية فراوا الباقي بالباقي . قال القاضي عياض وليس في الكلام استحالة الرؤية الا من حيث القدرة فاذا اقدر الله من شاء من عباده عليها لم يمتنع ، وقد وقع في صحيح مسلم ما يؤيد هذه التفرقة في حديث سرفوع فيه (واعلموا انكم لن تروا ربكم حتى تموتوا) واخرجه ابن خزيمة من حديث ابي امامة ومن حديث عبادة بن الصامت رضى الله عنهما فان جازت الرؤية في الدنيا عقلا فقد امتعت سمعا لكن من أثبتها للنبي صلى الله عليه وسلم له أن يقول أن المتكلم لا يدخل في عموم كلامه . كذا في الفتح ، قال وقد اختلف السلف في رؤية انى صلى عليه وسلم ربه فذهب جماعة الى اثباتها ، وحكى عبد الرزاق عن معمر عن الحسن انه حلف ان محمدا رأى ربه ، وجزم ابن خزيمة عن عروة بن الزبير باثباتها ، وكان يشتد عليه اذا ذكر له انكار عائشة ، وبه قال سائر أصحاب ابن عباس رضى الله عنهما ، وجزم به كعب الاحبار والزهرى وصاحبه معمر وآخرون ، وهو قول الأشعري وغالب أتباعه ثم اختلفوا هل رآه بعينه أو بقلبه وعن الامام أحمد رضى الله عنه كالقولين ، قال الحافظ ابن حجر فى شرح البخارى جاءت عن ابن عباس رضى الله عنهما أخبار مطلقة وأخرى مقيدة قال فيجب حمل مطلقها على مقيدها فمن ذلك ما أخرجه النسائي بسند صحيح وصححه الحاكم ايضا من طريق عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما أتعجبون أن تكون الخلة لابراهيم والكلام لموسى والرؤية لمحمد . وأخرجه ابن خزيمة بلفظ : ان الله اصطفى ابراهيم بالخلة الحديث . وأخرج ابن اسحاق من طريق عبدالله بن أبي سلمة ان ابن

عمر أرسل الى ابن عباس رضى الله عنهم : هل رأى محمد ربه ؟ فأرسل اليه ان نعم • ومنها ما اخرجه مسلم من طرق ابى العالية عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى (ما كذب الفواد ما رأى - ولقد رآه نزلة أخرى) قال رأى ربه بفؤاده مرتين • وله من طريق عطاء عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : رآه بقلبه • وأصرح من ذلك ما اخرجه ابن مردويه من طريق عطاء عن ابن عباس ايضا قال : لم يره رسول صلى الله عليه وسلم بعينه انما رآه بقلبه • وروى ابن خزيمة باسناد قوى عن أنس رضى الله عنه قال : رأى محمد ربه • وعند مسلم من حديث ابى ذر انه سأل النبى صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال « نور أنى أراه » وللإمام أحمد عنه رضى الله عنه قال صلى الله عليه وسلم « رأيت نورا » ولابن خزيمة عنه قال : رآه بقلبه ولم يره بعينه ، وبهذا يتبين مراد ابى ذر رضى الله عنه بذكر النور اى النور حال (بينه و) بين رؤيته له ببصره •

والحاصل ان فى هذه المسألة ثلاثة أقوال احدها ثبوت رؤية النبى صلى الله عليه وسلم لربه ، وهو قول ابن عباس واتباعه وهو ظاهر ما ذهب اليه الامام أحمد رضى الله عنه فقد روى الخلال فى كتاب السنة عن ابى بكر المروذى قال قلت لاحمد انهم يقولون أن عائشة قالت من زعم ان محمدا رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية فبأى شىء يدفع قولها ؟ قال بقول النبى صلى الله عليه وسلم « رأيت ربي » قول النبى صلى الله عليه وسلم اكبر من قولها • وجنح ابن خزيمة فى كتاب التوحيد الى ترجيح الاثبات واطنب فى الاستدلال له بما يطول ذكره وحمل ماورد عن ابن عباس رضى الله عنهما من قوله انه انما رآه بقلبه على ان الرؤيا وقعت مرتين مرة بعينه ومرة بقلبه •

(الثانى) منع ذلك فى الدنيا وهو قول عائشة الصديقة بنت الصديق رضى الله عنهما قالت رضى الله عنها من زعم أن محمدا رأى ربه بمعين رأسه فقد أعظم الفرية على الله • وروى الترمذى عن الشعبى قال لقي ابن عباس رضى الله عنهما كعبا يعرفه فسأله عن شىء فكبر حتى جاوبته الجبال فقال ابن عباس انا بنو هاشم - وزاد عبدالرزاق تقول ان محمدا رأى ربه

مرتين • فقال كعب ان الله قسم رؤيته وكذمه زاد عبد الرزاق بين موسى
ومحمد فكلم موسى مرتين وراه محمد مرتين • قال مسروق فدخلت على
عائشة فقلت هل رأى محمد ربه ؟ قالت لقد قف شعري - اى قام من
الفرع لما حصل - عندها من هبة الله واعتقدته من تنزيهه تعالى واستحالة
وقوع ذلك ثم قالت له - اين أنت من ثلاث آيات ؟ من حدثك أن محمدا
رأى ربه فقد كذب - وفى لفظ - من زعم ان محمدا رأى ربه فقد أعظم على
الله الفرية ، ثم قرأت (لا تدركه الابصار - وما كان لبشر ان يكلمه الله
الا وحيا أو من وراء حجاب) ولكن رأى جبريل فى صورته مرتين • وفى
صحيح البخارى ومسلم وسنن الترمذى ان مسروقا قال قلت لعائشة يا
أمتاه - أصله يا أم والها للسكرت فأضيف اليها ألف الاستغائة فأبدلت تاء
وزيدت هاء السكرت بعد الالف - هل رأى محمد ربه ؟ فقلت لقد قف
شعري مما قلت ، أين انت من ثلاث ؟ من حدثكهن فقد كذب ، من حدثك
أن محمدا رأى ربه فقد كذب ، ثم قرأت الآيتين ، ومن حدثك انه يعلم
ما فى غد فقد كذب ، ثم قرأت (وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا) ومن
حدثك انه كتم شيئا من كتاب الله فقد كذب ثم قرأت (يا أيها الرسول
بلغ ما أنزل اليك من ربك) الآية ، ولكنه رأى جبريل عليه السلام فى
صورته مرتين • ووافق عائشة رضى الله عنها على ما ذهبت اليه من أن
النبي صلى الله عليه وسلم لم ير ربه بعيني رأسه جماعة من الصحابة
منهم ابن مسعود وابو هريرة وغيرهم رضى الله عنهم ، وبه قال جمع العلماء
بل نقل الدرামী الحافظ اجماع الصحابة على ذلك ، واعترض الامام النووى
وغيره على من ذهب الى مذهب عائشة بأنها رضى الله عنها لم تنف وقوع
الرؤية بحديث مرفوع ولو كان معها لذكرته وانما اعتمدت الاستنباط على
ما ذكرت من ظاهر الآية وقد خالفها غيرها من الصحابة والصحابي اذا
قال قولاً وخالفه غيره منهم لم يكن ذلك القول حجة اتفاقاً ، والمراد بنفى
الادراك فى الآية الكريمة نفى الاحاطة وذلك لا ينافى الرؤية • انتهى •
كما قدمنا ذلك موضعاً ، وجزمه بأن عائشة رضى الله عنها لم تنف الرؤية
بحديث مرفوع تبع فيه ابن خزيمة فانه قال فى كتاب التوحيد من صحيحه

النفي لا يوجب علما قال ولم تحك عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم أخبرها أنه لم ير ربه وانما تأولت الآية • انتهى • وهذا عجيب منها ففي الصحيحين والترمذي وغيرهما أن مسروقا قال كنت متكئا عند عائشة رضي الله عنها فقالت يا أبا عائشة ثلاث من تكلم بهن فقد اعظم على الله القرية • قال وكنت متكئا فجلست فقلت يا أم المؤمنين انظريني ولا تعجليني الم يقل الله (ولقد رآه بالأفق المبين - ولقد رآه نزلة أخرى) فقالت انا اول هذه الامة سأل عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « انما هو جبريل لم أراه على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين رأيتُه منهبطا من السماء سادا عظم خلقه ما بين السماء الى الارض • ثم قالت او لم تسمع ان الله تعالى يقول (لا تدركه الابصار) وقرأت الآيتين • واخرجه ابن مردويه من طريق أخرى باسناد مسلم فقالت أنا أول من سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذا فقلت يا رسول الله هل رأيت ربك ؟ فقال : لا انما رأيت جبريل منهبطا • نعم خالف ابن عباس عائشة رضي الله عنهم باحتجاجها بالآية الكريمة فأخرج الترمذي من طريق الحكم بن ابان عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال رأى محمد ربه قلت أليس الله يقول (لا تدركه الابصار) قال ويحك ذاك اذا تجلى بنوره الذي هو نوره وقد رأى ربه مرتين • وقال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه ما نقل عن الامام احمد رضي الله عنه من اثبات رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لربه انما يعنى رؤية المنام فانه سئل عن ذلك قال نعم رآه فان رؤيا الانبياء حق ولم يقل انه رآه بعين رأسه • وقال شيخ الاسلام ايضا ابن عباس رضي الله عنهما لم يقل أنه صلى الله عليه وسلم رأى ربه بعيني رأسه يقظة ومن حكى عنه ذلك فقد وهم وهذه نصوصه موجودة ليس فيها شيء من ذلك • قال ولفظ الامام أحمد كلفظ ابن عباس • قال وأهل السنة متفقون على ان الله تعالى لا يراه احد بعينه في الدنيا لا نبي ولا غير نبي ولم يقع النزاع الا في نبينا صلى الله عليه وسلم خاصة مع أن الاحاديث المعروفة ليس في شيء منها انه رآه وانما روى ذلك باسناد موضوع باتفاق اهل الحديث • انتهى •

وإذا علم ما حررناه فيمكن الجمع بين اثبات ابن عباس ونفي عائشة

رضى الله عنهم بأن يحمل نفيها على رؤية البصر واثباته على رؤية القلب كما قاله الحافظ ابن حجر في شرح البخارى • ثم المراد برؤية الفؤاد رؤية القلب لا مجرد حصول العلم لانه صلى الله عليه وسلم كان عالما بالله على الدوام بل مراد من أثبت له أنه رآه بقلبه ان الرؤية التي حصلت له خلقت في قلبه كما تخلق الرؤية بالعين لغيره والرؤية لا يشترط لها شيء مخصوص عقلا ولو جرت العادة بخلقها في العين وقد مر عن ابى ذر رضى الله عنه انه سأله صلى الله عليه وسلم هل رأيت ربك قال « نور أنى أراه » ورواه الترمذى أيضا بهذا اللفظ ورواه الامام أحمد عنه قال « رأيت نورا » ولابن خزيمة عنه قال رآه بقلبه ولم يره بعينه • قال الحافظ ابن حجر وبهذا تبين مراد أبى ذر بذكر النور أى أن النور حال (بينه و) بين رؤيته له ببصره • وقال الامام المحقق ابن القيم فى عدة مواضع من كتبه كاعلام الموقعين والجيوش وغيرهما سمعت شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه يقول معناه كان ثم نور وحال دون رؤيته نور فأنى أراه ، ويدل عليه ان فى بعض ألفاظ الصحيح هل رأيت ربك فقال رأيت نورا • قال المحقق ابن القيم وقد اعضل أمر هذا الحديث على كثير من الناس حتى صحفه بعضهم فقال نورانى أراه على انهايا النسبة والكلمة واحدة وهذا خطأ لفظا ومعنى وانما أوجب لهم هذا الفهم انهم لما اعتقدوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ربه وكان قوله «انى أراه» كالانكار للرؤية حاروا فى الحديث وبعضهم رده باضطراب لفظه وكل هذا عدول عن موجب الدليل • قال المحقق ابن القيم ويدل على ما قال شيخنا قوله صلى الله عليه وسلم حجاب النور ، فهذا النور والله أعلم هو النور المذكور فى حديث ابى ذر • انتهى • وذكر ابن الاثير فى حل ألفاظ جامع الاصول ان الامام احمد رضى الله عنه سئل عن حديث ابى ذر فقال ما زلت منكرا لهذا الحديث وما أدرى ما وجهه • وقال ابن خزيمة : فى القلب من صحة هذا الخبر شيء • وقال بعض العلماء فى هذا الحديث قد أجمعنا على انه تعالى ليس بنور وخطانا المجوس فى قولهم هو نور والانوار أجسام والبارى سبحانه وتعالى ليس بجسم والمراد بهذا الحديث أن حجابيه سبحانه النور وكذلك روى فى حديث

أبى موسى رضى الله عنه فالمعنى كيف أراه وحجابه النور والله أعلم •

(الثالث) الوقف عن القطع بالنفى أو الاثبات فى هذه المسئلة وقد رجح هذا جماعة منهم القرطبى فى المفهم فى شرح صحيح مسلم فانه قال الوقف فى هذه المسئلة ارجح وعزاه لجماعة من المحققين وقواه بأنه ليس فى الباب دليل قاطع وغاية ما استدل به للطائفتين ظواهر متعارضة قابلة للتأويل قال وليست المسئلة من العمليات فيكتفى فيها بالادلة الظنية وانما هي من المعتقدات فلا يكتفى فيها بالدليل القطعى • ومن استثار قلبه لاقتفاء الآثار وخلع ربة التقليد التي هي مثار التعبير فى وجوه الاخبار علم ان السلامة فى التسليم وفوق كل ذى علم عليهم وبالله التوفيق •

((الباب الخامس))

الباب الخامس
فى النبوة

(فى ذكر النبوة وذكر محمد صلى الله عليه وسلم وذكر بعض الانبياء وفضله وفضل أصحابه وأمنه صلى الله عليه وسائر الانبياء والمرسلين وسلم وعظم وكرم)

اعلم أن حاجة الخلق الى ارسال الرسل وبعثة الانبياء عليهم الصلاة والسلام ضرورية ، لا ينتظم لهم حال ولا يصلح لهم دين ولا بل ، الا بذلك ، فهم أشد احتياجا الى ذلك من ارسال المطر والهواء بل ومن النفس الذى لا بد لهم منه كما فى مفتاح دارالسعادة للمحقق ابن القيم رحمه الله تعالى ، واحالت السمنية ارسال الرسل لتوقفه على علم المرسل بمن أرسله ولا طريق اليه الا الخبر وأعلى أنواعه المتواتر وهو لا يفيد عندهم علما فعلل التماثل له أرسلناك الى قوم كذا شيطان مثلا . وزعمت البراهمة وهم طائفة من المجوس أن ارسال الرسل عبث لا يليق بالحكيم لاغناء العقل عن الرسل لان ما جاء به الرسل ان كان موافقا للعقل حسنا عنده فهو يفعله وان لم يأت به ، وان كان مخالفا له قبيحا فان احتاج اليه فعله والا تركه • وقالت المعتزلة بوجوب ذلك على الله تعالى بالنظر الى ذاته • والحق انه جائز عقلا فى حقه تعالى واجب سمعا وشرعا والى ذلك اشار بقوله :

((ومن عظيم منة السلام ولطفه بسائر الانام))
(ان أرشد الخلق الى الوصول مينااً للحق بالرسول)

((ومن عظيم منة)) الرب ((السلام)) المنة مأخوذة من المن وهو الاحسان الى من لا يستثيه ولا يطلب الجزاء عليه ومن اسماء الله المنان وهو المنعم المعطى من المن وهو العطاء وقد يقع المنان على الذى لا يعطى شيئاً الا منه واعتد به على من أعطاه وهو مذموم لان المنة تفسد الصنعة اذا كانت من غير البارى جل وعلا ، والسلام من أسمائه تعالى ومعناه ذو السلامة من كل عيب ونقيصة فيكون من أسماء التنزيه ، وقيل معناه مالك تسليم العباد من المهالك فيرجع الى معنى القادر ، وقيل ذو السلام على المؤمنين فى الجنان فيرجع الى الكلام القديم الازلى (١) قال تعالى (سلام قولاً من رب رحيم) والفرق بين القدوس والسلام ان القدوس فيه اشارة الى انه برىء من جميع العيوب والنقائص فى الماضى والحاضر ، والسلام فيه اشارة الى انه لا يطرأ عليه شئ من ذلك فى المستقبل ((و)) من عظيم ((لطفه)) تعالى اى رفته ((بسائر)) اى جميع ((الانام)) كسحاب والآنام بالمد والانيم كأمر الخلق او الانس والجن وجميع ما على وجه الارض اى من رفته تعالى بهم فى الفعل والعلم بدقائق المصالح وايصالها الى من قدرها له من خلقه ، يقال لطف به وله بالفتح يلطف لطفاً اذا رفق به ، وأما لطف بالصم يلطف فمعناه صغر ودق ، ومن أسماء الله تعالى اللطيف وهو الذى اجتمع له الرفق فى الفعل والعلم . وانما عدل عن قوله منة المنان ولطفه بسائر الانسان لعدم شمول نحو الجن فبسبب عموم الانام على الانسان عدل اليه لان الانسان كالانس البشر والمنة بارسال الرسل شاملة للتقلين بل لكل الخلق والله أعلم .

((ان)) بفتح الهمزة وسكون النون حرف مصدرى تسبك مع ما بعدها بمصدر ((أرشد)) اى هدى ودل ودعا سبحانه وتعالى يقال رشد كترصر وفرح رشداً ورشادا هدى واسترشد طلب الرشده ، والرشد الاستقامة على طريق الحق مع تصلب فيه ، والرشيد من أسماء الله تعالى الهادى الى

سواء الصراط والذي حسن تقديره فيما قدر ، وان وما بعدها فى تاويل مصدر مبتدأ والخبر قوله فى البيت قبله ومن عظيم النخ والتقدير رشد الخلق الى الوصول كائن من عظيم منة السلام ((الخلق)) من الثقلين الانس والجن ((الى الوصول)) الى معرفة الله تعالى وعبادته والقيام بما شرعه من التكليف الذى ثمرته الفوز بالسلامة الابدية والسعادة السرمدية والنعيم المقيم فى جنات النعيم ورضى الرب الرحمن والنظر اليه فى دار القرار مع الاتقياء الاخيار والاولياء الابرار حال كونه تعالى (مينا) أى مظهرا وموضحا ((ل)) نهج ا ((لحق)) وهو الحكم المطابق للواقع ويطلق على الاقوال والعقائد والاديان والمذاهب باعتبار اشتغالها على ذلك ، ويقابله الباطل ، ومن اسمائه تعالى الحق أو من صفاته ، واما الصدق فقد شاع فى الاقوال ويقابله الكذب، ويفرق بين الحق والصدق بأن المطابقة تعتبر فى الحق من جانب الواقع ، والصدق من جانب الحكم فعلى هذا معنى صدق الحكم مطابقة الواقع ، ومعنى حقيقته مطابقة الواقع اياه ، والمشهور فيهما مطابقة كل واحد منهما للواقع ((بالرسول)) متعلق بمبين والرسول انسان اوحى اليه بشرع وأمر بتبليغه فان لم يؤمر بتبليغه فبى فقط ، وتقدم فى صدر الكتاب ، وسئل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كما فى صحيح ابن حبان عن عدد الانبياء فقال : مائة ألف وأربعة وعشرون الفا ، الرسل منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر . وفى رواية واربعة عشر . والاولى عدم حصرهم فى عدد معين لان الحديث ضعيف وربما خالف قوله تعالى (منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك) فلا يؤمن من دخول من ليس منهم فيهم وخروج بعضهم عنهم ، واولو العزم منهم خمسة محمد وابراهيم وموسى وعيسى ونوح عليهم الصلاة والسلام

(تنبيهات)

(الاول) فى قوله ومن عظيم منة السلام الى آخر اليتين اشارة الى أن ارسال الرسل وانزال الكتب وشرع الشرائع منة من الله تعالى وفضل لا واجب عليه ذلك وانما هو على سبيل اللطف بالخلق والفضل عليهم فبعثه تعالى جميع الرسل من آدم الى محمد صلى الله عليهم وسلم أجمعين

تنبيهات
اوسال الرسل
فضل منه تعالى

الى المكلفين لطف من الله بهم ليلفوهم عنه سبحانه أمره ونهيه ووعدده
ووعيده ويبينوا لهم عنه سبحانه ما يحتاجون اليه من أمور المعاش والمعاد مما
جاءوا به من شرائعهم واحكامهم التي انزلها الله تعالى في كتبه عليهم
اختصاصا كالقرآن العظيم واشتراكا كالتوراة لموسى وهارون ويوشع ومن
بعدهم الى عيسى عليه وعليهم السلام حتى تقوم الحجة عليهم بالبينات
وينقطع عنهم سائر التعاللات كما قال تعالى (ولو انا اهلكناهم بعدذاب من
قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فتتبع آياتك من قبل ان نذل
ونخزي) وقوله تعالى (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) وقوله (رسلا
مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) فلولا
اعذاره تعالى اليهم على السنة الرسل واقامة الحجة عليهم بعنه أهل خيرته
من ذوى النبوة والفضل لتوهموا ان لهم حجة سائفة ومعذرة بالغة لوجوه
(أحدها) أن يقولوا انما خلقنا ربنا لعبادته وما بين لنا العبادة التي يريدنا
منا ماهى ولا كم هى ولا كيف هى (ثانيها) ان يقولوا قد ركبنا ربنا فى
هياكل واجسام تقبل السهو والغفلة وسلط علينا الشيطان والشهوة والهوى
فكان ينبغى ان يؤيدنا بما اذا سهونا نبهنا واذا مال بنا الهوى ردنا واذا
وسوس الينا الشيطان منعنا بما يرشدنا اليه من الاذكار وغيرها (ثالثها)
ان يقولوا هب انا نعلم بعقولنا حسن الايمان وبيع الكفر والمصبيان
لكننا لم يصل ادراك عقولنا الى ان من فعل القبيح عذب مع انا نحس ان لنا
فى معاطاة القبيح لذة وليس على البارى فيه مضرة ولم نعلم ان من آمن
وعمل صالحا استحق الثواب مع ادراكنا بعقولنا عدم العود بمنفعة له تعالى
فلا جرم تقاضتنا الشهوات واقدمنا على ما فيه لنا اللذات . فارسال الرسل
لمعاودة العقل أمر جائز فى حقه وواجب وقوعا وسمعا . يزيد هذا وضوحا
(التبيين الثانى) ان الرسالة ضرورية للعباد
لاغنى لهم عنها وحاجتهم اليها فوق حاجتهم الى
كل شىء فان الرسالة روح العالم ونوره وحياته فأى صلاح للعالم
اذا عدم الروح والحية والنور ؟ والدنيا مظلمة ملمونة كلها الا ما طلعت
عليه شمس الرسالة ، وكذلك العبد مالم تشرق فى قلبه شمس الرسالة

الثانى الرسالة
ضرورية للعباد

وتناله حياتها وروحها فهو في ظلمة وهو من الاموات قال الله تعالى (اومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها) فهذا وصف المؤمن كان ميتا في ظلمة الجهل فأحياه الله بروح الرسالة وبنور الايمان وجعل له نورا يمشى به في الناس . واما في الكافر فميت القلب في الظلمات ، وسمى الله تعالى رسالته روحا والروح اذا عدم فارقت الحياة قال تعالى (وكذلك اوحينا اليك روحا من أمرنا) الآية فالروح الحياة ، والنور الاضاءة المزيلة للظلمة ، فالكافر في ظلمات الكفر والشرك وهو ميت غير حي وان كان فيه حياة بهيمية لكنه اعدم الحياة الروحانية العلوية الناشئة عن الايمان ، وبها يحصل للعبد الفوز والسعادة والفلاح في الدنيا والآخرة ، فان الله تعالى جعل الرسل عليهم الصلاة والسلام وسائط بينه وبين عبادته في تعريفهم ما ينفعهم وما يضرهم وتكميل ما يصلحهم في معاشهم ومعادهم ، فبعثوا جميعا بالدعوة الى الله تعالى وتعريف الطريق الموصل اليه وبيان حالهم بعو الوصول اليه ، فأرشدوهم الى توحيدته تعالى واثبات صفاته واثبات القدر ، وذكر أيام الله تعالى في اوليائه واعدائه وهي القصص التي قصها على العباد ، والامثال التي ضربها لهم ، وارشدوهم الى العلم بتفصيل الشرائع والامر والنهي والاباحة وبيان ما يحبه الله ويكرهه ، وكذلك بينوا لهم وجوب الايمان باليوم الآخر والجنة والنار والثواب والعقاب ، وعلى هذه الثلاثة أصول مدار الخلق والامر، والسعادة والفلاح موقوفة عليها ولاسيب الى معرفتها الا من جهة الرسل ، فان العقل لا يهتدى الى تفاصيلها ومعرفة حقائقها وان كان قد يدرك وجه الضرورة اليها من حيث الجملة كالمرضى الذي يدرك الحاجة الى الطب ومن يداويه ولا يهتدى الى تفاصيل المرض وتـتـزـيـل الدواء عليه ، وحاجة العبد الى الرسالة اعظم بكثير من حاجة المريض الى الطبيب فان آخر ما يعذب بعدم الطبيب موت الابدان، واما اذا لم يحصل للعبد نور الرسالة وحياتها مات قلبه موتا لا ترجى الحياة معه أبدا وشقى شقاوة لا سعادة معها أبدا فلا فلاح الا باتباع الرسول فان الله تعالى خص بالفلاح اتباعه المؤمنين به وانصاره كما قال تعالى (فالذين آمنوا به وعزروه

ونصروه واتبعوا النور الذى انزل معه أولئك هم المفلحون) اى لامفلاح
الا هم فالهدى والفلاح دائر حول ربيع الرسالة وجودا وعمدا . قال
شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه فى قاعدة وجوب الاعتصام
بالرسالة : وهذا مما اتفقت عليه الكتب المنزلة من السماء وبعثت به جميع
الرسل المرسله . وقال : الرسالة ضرورية فى صلاح العبد فى معاشه
ومعاده فكما انه لاصلاح فى آخرته الا باتباع الرسالة فكذلك لاصلاح له
فى معاشه ودينه الا باتباع الرسالة فالانسان مضطر الى الشرع فانه بين
حركتين حركة يجلب بها ما ينفعه وحركة يدفع بها ما يضره والشرع هو
النور الذى الذى يبين ما ينفعه وما يضره فهو نور الله فى ارضه وعدله بين
عباده وحصنه الذى من دخله كان آمنا ، وليس المراد بالشرع التمييز بين
النافع والضار بالحسن فان ذلك يحصل للحيوانات المعجم فان الحمار
والجمل يفرق ويميز بين الشعير والتراب بل التمييز بين الافعال التى تضر
فاعلها فى معاشه ومعاده ، والافعال التى تنفعه فى معاشه ومعاده كنفع الايمان
والتوحيد والعدل والبر والصدق والاحسان والامانة والعفة والشجاعة
والعلم والصبر والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وصللة الارحام وبر
الوالدين والاحسان الى الجيران والماليك وأداء الحقوق واخلاص العمل
والتوكل على الله والاستعانة به والرضا بمواقع اقداره والتسليم لحكمه
والتوكل عليه وتصديق رسله فى كل ما خبروا به وغير ذلك مما هو نفع
وصلاح للعبد فى دينه وآخرته ، وفى ضد ذلك شقاوته ومضرته فى دينه
وآخرته ، ولولا الرسالة لم يهتد العقل الى تفاصيل المنافع والمضار فى المعاش
فمن اعظم نعم الله على عياده وأشرف منته عليهم أن ارسل اليهم رسله
وانزل عليهم كتبه وبين لهم الصراط المستقيم ، ولولا ذلك لكانوا بمنزلة
الانعام واشر حالا منها ، فمن قبل رسالة الله واستقام عليها فهو من خير
البرية ، ومن ردها وخرج عنها فهو من شر البرية وأسوأ حالا من الكلب
والخنزير وأحقر من كل حقير ، فالحمد لله الذى أرسل الينا رسولا من
أنفسنا يتلو علينا آياته ويزكينا ويعلمنا الكتاب والحكمة وان كنا من قبل
لفى ضلال مبين ولا بقاء لأهل الارض مادامت آثار الرسالة موجودة فيهم

فاذا درست آثار الرسل من الارض وانمحت معالم هدايم اخرب الله العالم العلوى والسفلى وأقام القيامة ، وليست حاجة أهل الارض الى الرسول كحاجتهم الى الشمس والقمر والرياح والمطر ، ولا كحاجة الانسان الى حياته ، ولا كحاجة العين الى ضوئها والجسم الى الطعام والشراب ، بل أعظم من ذلك وأشد حاجة من كل ما يقدر ويخطر بالبال ، فالرسل عليهم الصلاة والسلام وسائط بين الله تعالى وبين خلقه فى امره ونهيه ، وهم السفراء بينه وبين عباده ، وكان خاتمهم وسيدهم واكرمهم على ربه محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم اجمعين يقول : يا أيها الناس انما أنا رحمة مهداة . وقال تعالى فى حقه (وما ارسلناك الا رحمة للعالمين) وقال النبي صلى الله عليه وسلم « ان الله نظر الى اهل الارض فمقتهم عربهم وعجمهم الا بقايا من أهل الكتاب . وقال شيخ الاسلام فى قاعدة وجوب الاعتصام بالنبي عليه أفضل الصلاة والسلام : وهذا المقت كان لعدم هدايتهم بالرسل فرفع الله عنهم هذا المقت برسول الله صلى الله عليه وسلم فبعثه الله رحمة للعالمين ومحجة للسالكين وحجة على الخلائق اجمعين ، واقترض على العباد طاعته ومحبته وتوقيره وتعزيزه والقيام باداء حقوقه ، وسد اليه جميع الطرق فلم يفتح لأحد الا من طريقه واخذ العهد والمواثيق بالايمان به واتباعه على جميع الانبياء والمرسلين ، وامرهم أن يأخذوها على من اتبعهم من المؤمنين ، أرسله بين يدي الساعة بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ، فختم به الرسالة وهدى به من الضلالة وعلم به من الجهالة ، وفتح برسالته اعنا عميا وآذانا صما وقلوبا غلغا ، فاشرقت برسالته الارض بعد ظلماتها وتألفت بها القلوب بعد شتاتها فأقام به الملة العوجاء واوضح به المحجة البيضاء ، وشرح له صدره ووضع عنه وزره ، ورفع له ذكره وجعل الذلة والصغار على من خالف أمره ، أرسله صلى الله عليه وسلم على حين فترة من الرسل ودروس من الكتب حين حرف الكلم وبدلت الشرائع واستند كل قوم الى ظلم آرائهم وحكموا على الله وبين عباده بمقالاتهم الفاسدة وأهوائهم النادة ، فهدى الله به الخلائق واوضح به الطرائق ، واخرج الناس به من

الظلمات الى النور وميز به بين نهج أهل الفلاح وأهل الفجور ، فمن اهتدى بهديه اهتدى ومن مال عن سبيله فقد ضل واعتدى ، فصلى الله وسلم عليه وسائر الرسل والانبياء ملاح نجم وبدا وعلى آله وصحبه والتابعين ومن اقتدى

(التيسيه الثالث)

الثالث وجوب
الايمان بجميع
الانبياء - وما
جاء في عددهم

أعلم أن الايمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله مما اتفقت على وجوبه جميع الانبياء والمرسلين من لدن صفى الله ابى البشر آدم عليه السلام الى خاتمهم محمد عليه وعليهم الصلاة والسلام فيجب الايمان بجميع الانبياء والمرسلين وتصديقهم فى كل ما أخبروا به من الغيب وطاعتهم فى كل ما أمروا به ونهوا عنه ، ولهذا أوجب سبحانه الايمان بكل ما أتوا به ولم يوجبه بما أتى به غيرهم قال تعالى (قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون) فاتفق علماء الملة على كفر من كذب نبيا معلوم النبوة وكذا من سب نبيا او انتقصه ، ويجب قتله لان الايمان واجب بجميع الانبياء وان لا نفرق بين أحد منهم وتصديقهم فيما أخبروا به واتباعهم على جميع ما جاءوا به فهو حق وصدق ، قال الله تعالى (ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا* أولئك هم الكافرون حقا واعتدنا للكافرين عذابا مهينا) وتقدم أن جميع الانبياء عليهم السلام من لدن آدم الى خاتمهم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا وان الرسل منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر، ففى صحيح ابن حبان من حديث ابى ذر الغفارى رضى الله عنه قال دخلت المسجد فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس وحده - فذكر حديثا طويلا وفيه - قلت يا رسول الله كم الانبياء ؟ قال : مائة ألف وعشرون ألفا ، قلت يا رسول الله كم الرسل من ذلك ؟ قال ثلاثمائة وثلاثة عشر جما غفيرا ، قلت يا رسول الله من كان أولهم ؟ قال آدم عليه السلام ، قلت يا رسول الله أنبى مرسل ؟ قال نعم خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه وكلمه قبلا . ثم قال يا أبا ذر أربعة سريانيون آدم وشيث

وأخوخ - وهو ادريس وهو أول من خط بالقلم - ونوح، وأربعة من العرب هود وصالح وشعيب ونبيك محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين • قلت يا رسول الله كم كتابا أنزله الله؟ قال مائة كتاب وأربعة كتب أنزل على شيث خمسون صحيفة وأنزل على أخوخ ثلاثون صحيفة وأنزل على ابراهيم عشر صحائف وأنزل على موسى قبل التوراة عشر صحائف وأنزل التوراة والانجيل والزبور والفرقان - الحديث - وقد تكلم عليه السولى العراقى ورد على ابن حبان جماعة من الحفاظ لادخاله هذا الحديث فى الصحيح • وفى كتاب شرح الايمان والاسلام لشيخ الاسلام ابن تيمية روح الله روحه فى قول الامام أحمد رضى الله عنه فى الرسل وعددهم وانه يجب الايمان بهم ويصح الاقرار بهم فى الجملة مع الكف عن عددهم وكذلك ذكر محمد بن نصر المروزى وغيرهما من أئمة السلف ، قال وهذا يبين انهم لم يعلموا عدد الكتب والرسل وان حديث ابى ذر فى ذلك لم يثبت عندهم • انتهى - والامام احمد رضى الله عنه ذكر ذلك الزاما لمن لم يقل بزيادة الايمان من اجل انهم لا يدرون ما زيادته وانها غير محدودة فقال : ما تقولون فى انبياء الله وكتبه ورسله ؟ هل تقرون بهم فى الجملة وترعمون انه من الايمان ؟ فاذا قالوا نعم قيل لهم هل تحدونهم وتعرفون عددهم أليس انما تصيرون فى ذلك الى الاقرار بهم فى الجملة ثم تكفون عن عددهم • وهذا ظاهر فى عدم معرفة عدد الانبياء والرسل والكتب • وقد ذكر اهل العقائد فى عقائدهم هذا العدد معتمدين على حديث ابى ذر على ما فيه وقد روى ان الانبياء ألف ألف ومائة ألف ، والمشهور فى الكتب انهم مائة ألف واربعة عشر ألفا ، وتقدم ان الواجب الايمان بهم جملة لقوله تعالى (منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك) فالواجب الايمان بجمعهم اجمالا وتفصيلا فيمن ذكره الله تعالى فى كتابه العزيز • وقد ذكر شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه فى كتابه الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ان بنى اسرائيل كانوا أكثر الامم أنبياء بعث اليهم موسى ابن عمران عليه السلام بشريعة التوراة وبعث اليهم بعده أنبياء كثيرون حتى قيل أنهم ألف نبى كلهم يأمرون بشريعة التوراة ولا يغيرون منها شيئا

الى أن جاء المسيح بعد ذلك بشريعة أخرى غير فيها بعض شريعة التوراة بأمر الله عزوجل .

الأوصاف اللازمة للنبوة

((وشرط من أكرم بالنبوة حرية ذكوره كقوة))

((وشرط)) مبتدأ ((من)) اى كل انسان ((اكرم)) بضم الهمزة مبني لما لم يسم فاعله اى أكرمه الله تعالى ((بالنبوة)) بضم النون والباء الموحدة وتشديد الواو ويجوز فيه تحقيق الهمزة وتخفيفه يقال نبأ وأنبأ ، فان قيل روى النسائي ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم يا نبيء الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تنبر باسمى فانما أنا نبيء ، فالجواب ما حكاه الجوهري أنه يقال نبأت على القوم اذا طلعت عليهم ونبأت من أرض الى أرض كذا اذا خرجت الى هذه وهذا المنى أراد الاعرابى بقوله يا نبيء الله لانه خرج من مكة الى المدينة فأنكر عليه الهمز لانه ليس من لغة قريش . والحاصل ان النبي اما مشتق من النبأ أى الخبر لانه ينبيء عن الله تعالى أى يخبر قال سيويه ليس أحد من العرب الا ويقول نبأ مسيلمة بالهمز غير انهم تركوا الهمز فى النبي كما تركوه فى الذرية والبرية والخية الا اهل مكة فانهم يهمزون هذه الاحرف الثلاثة ولا يهمزون غيرها ويخالفون العرب فى ذلك . واما مشتق من النبوة وهى النبوة لان النبي مرتفع الرتبة على سائر الخلق ، قال فى القاموس : والنبي المخبر عن الله وترك الهمز المختار والجمع أنبياء (ونبأء) وأنباء والنيئون والاسم النبوة . ذكره فى باب الهمزة وقال فى باب المعتل : والنباوة ما ارتفع من الارض كالنبوه والنبي . انتهى .

(حرية) خبر المبتدأ الذى هو شرط من أكرم الخ وذلك لان الرق وصف نقص لا يليق بمقام النبوة والنبي يكون داعيا للناس آناء الليل وأطراف النهار والرقيق لا يتيسر له ذلك ، وأيضا الرقية وصف نقص يأنف الناس ويستكفون من اتباع من اتصف بها وان يكون اماما لهم وفدوة ، وهى اثر الكفر والانبياء منزهون عن ذلك ، وشرط من أكرمه الله بالنبوة ايضا ((ذكورة)) اى ان يتصف بالذكورية لقوله تعالى (وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم) فأثبت الرسالة للرجال الموحى

اليهم وأشعر بنفى ذلك عن غيرهم فلا تكون انثى نبية خلافا لاهل التوراة
الزاعمين بنبوة مريم بنت عمران أخت موسى وهارون عليهما السلام ، وقد
خالف فى اشتراط الذكورة ابو الحسن الاشعري ثم القرطبي وتبعهما على
ذلك اناس من العلماء ، والحق اعتبار الذكورية لان الرسالة تقتضى
الاشتهار بالدعوة ، والانوثة تقتضى التستر وتنافى الاشتهار لما بين الاشتهار
والاستتار من التمانع ، وقد حكى العلامة ابن الملقن فى شرحه على عمدة
الاحكام خلافا فى نبوة مريم وآسية وسارة وهاجر وأم موسى عليه السلام
واسمها يخابذ بنت لاوى بن يعقوب كما قال شيخ السنة البغوى والحافظ
ابن الجوزى فى تبصرته . قال الحافظ برهان الدين الناجى قيد هذا الاسم
(يوخابذ) على شيخنا الحافظ ابن ناصر الدين حال قراءة التبصرة عليه
بمشاة تحتية مضمومة فواو ساكنة فحاء معجمة مفتوحة فالف مقصورة فباء
موحدة مفتوحة فذال معجمه ، وهو غير مصروف للمعجمة والتأنيب اى مع
العلمية . قلت فى كتب اهل الكتاب ورأيته فى التوراة يوكابد بكاف بدل
الحاء وبدال مهملة بدل المعجمة والنطق بالكاف مفخما ومعناه بالعربية جليلة
ورأيت الحافظ جلال الدين السيوطى ضبطه بحاء مهملة بدل الحاء المعجمة
وبنون بدل الباء الموحدة كما هو فى تاريخ الانبيا له . وقوله ((كقوة)) اى
كما يعتبر فيمن اكرمه الله تعالى بالنبوة ان يكون قويا بأعباء ما حمل من
ثقل النبوة ، والقوة الطاقة والجمع قوى بالضم وبالكسر ، قال فى القاموس:
القوة بالضم ضد الضعف يقال قوى كرضى فهو قوى والقوى بالضم العقل
وطاقات الجبل . ذا عقل صحيح وفهم رجيح وعلم بالامور الدينية حسن
الخلق والخلق ليسهل عليه تحمل الخلق فى مخالطاتهم وتعليمهم لامور
الديانة فان الانبياء منزهون عن جميع الرذائل من البخل والجبن واللهو
واللغو وسائر الاخلاق الذميمة كما انهم مبرعون من لؤم النسب وشرة
القلب وحرص النفس على الدنيا ، ولهذا لم يبعث الله نبيا الا فى أشرف
منسب أمته فلم يبعث نبيا من ذى نسب مبذول كما لم يبعث نبيا عبدا ولا
ثيما ولا امرأة لعلو مرتبة الذكورة على الانوثة مع طلب عدم الاشتهار مع
النساء المطلوب للدعوة ولكون القوس مائلة فى ذواتهن بحسب الطبع

فيغفلون عن مقالهن • والحاصل اختصاص النبوة بأشرف افراد النوع
الانسانى من كمال العقل والذكاء والفطنة وقوة الرأى ولو فى الصبى
كعيسى ويحيى عليهما السلام والسلامة من كل ما نفر عن الاتباع كدناءة
الآباء وعهر الامهات والغلظة ، والعيوب المنفرة للطباع كالبرص والجذام ،
والامور المخلة بالمروءة كاكل على الطريق والحرف الدنية كالحجامة وكل
ما يخل بحكمة البعثة ونحو ذلك وبالله التوفيق

ولما ذكر ما اشعر بانفراد كمل النوع الانسانى بالنبوة واختصاص الذكور
الاحرار المنزهين عن النقائص بها خشى ان يتوهم متوهم بأن ذلك يدرك
بالرياضة والتهديب والجد والاجتهاد والتأديب ففى ذلك بقوله :

((ولا تنال رتبة النبوه بالكسب والتهديب والقوة))

((لكنهما فضل من المولى الاجل لمن يشامن خلقه الى الاجل))

((ولا تنال)) بضم التاء المثناة فوق مبني لما لم يسم فاعله اى لم تعط
(رتبة)) بالرفع نائب الفاعل يقال ناله ينوله اذا اعطاه ، قال فى القاموس
النوال والنائل العطاء ونلت له وبه أنوله وأنلته اياه ونولته اعطيته •
والرتبة بالضم والمرتبة المنزلة ((النبوة)) بالجر لاضافتها الى الرتبة وهى
عبارة عن صفة عالية ينكشف بها من الغيوب التى هى مطلوبات الله من عباده
وأحكامه التى يكلفهم بها انكشافا يناسب انكشاف النار للدهن برؤية الدخان
وانكشاف رائحة المسك بجذب النفس الى الانف (١) والمراد بها هنا ما يعم
الرسالة كما لا يخفى ((بالكسب)) متعلق بلا تنال ((و)) لا تنال رتبة النبوة
ودرجة الرسالة ايضا - ((التهديب)) أى تنقية البدن وتصفية الاخلاق
وخلوص البنية من الاخلاق الرذيلة وتبقية الاوصاف الجميلة والنسوت
الجليلة ((و)) لا تنال رتبة النبوة ايضا - ((القوة)) اى كرم النفس
وتخليصها من الاوصاف المذمومة الى الاوصاف المدوحة ، قال فى القاموس:
القوة الكرم وقد تفتى وتفتاى يعنى تعاطى اوصاف القوة وتخلق بها
وراض نفسه حتى صار من ذويها وقوتهم اذا غلبتهم فيها • فمذهب اهل
الحق أن النبوة لا تنال بمجرد الكسب بالجد والاجتهاد وتكلف أنواع
العبادات واقتحام أشق الطاعات وتدأب فى تهذيب نفسه وتنقية خواطره

النبوة غير
مكتسبة

وتطهير أخلاقه ورياضة نفسه وبدنه وتهذيب ذلك ((لكنها)) اى النبوة والرسالة ((فضل من المولى الاجل)) سبحانه وتعالى يؤتبه من يشاء ممن سبق علمه وارادته الازليان باصطفائه لها فالله أعلم حيث يجعل رسالاته ، وهذا خلاف قول الفلاسفة المشائين المجوزين اكتساب النبوة بزعمهم ان من لازم الخلوة والعبادة ودوام المراقبة وتناول الحلال واخلاء نفسه من الشواغل العائقة عن المشاهدة بعد كمال ظاهره وباطنه بالتهذيب والرياضة انصقلت مرآة باطنه وفتحت بصيرة لبه وتهاياً لما لا يتهاى له غيره من التحلى بالنبوة ، لان النبوة عندهم عبارة عن اجتماع ثلاث خواص فى الانسان (احداها) الاطلاع على المغيبات لصفاء جوهر نفسه وشدة اتصاله بالروحانيات العالية من غير سابقة كسب ولا تعلم ولا تعليم

(الثانية) ظهور خوارق العادات بحيث تطيعه الهوى العنصرية القابلة للصور المفارقة الى بدن •

(الثالثة) مشاهدة الملائكة على صور متخيلة ويسمع كلام الله تعالى • هذا محصل مذهبهم الفاسد وملخص مسلكهم الباطل فيجعلون كلام الله ما يفيض على نفس النبي من غير أن يشبوا لله كلاما خارجا عما فى نفس النبي ، وعند التحقيق فلا فرق عندهم بين الفيض على نفس النبي وسائر النفوس الا من جهة كونها أصفى ، وأكمل وعندهم ان القرآن كلام النبي • وهذا من أعظم الكفر • قال شيخ الاسلام ابن تيمية : وهؤلاء عندهم النبوة مكتسبة ، وكان جماعة من زنادقة الاسلام يطلبون ان يصيروا أنبياء • والحاصل ان النبوة فضل من الله وموهبة ونعمة من الله تعالى يمن بها سبحانه ويعطيها ((لمن يشاء)) ان يكرمه بالنبوة فلا يبلغها أحد بعلمه ولا يستحقها بكسبه ولا ينالها عن استعداد ولايته بل يخص بها من يشاء ((من خلقه)) ومن زعم انها مكتسبة فهو زنديق يجب قتله لانه يقتضى كلامه واعتقاده ان لا تتقطع وهو مخالف للنص القرآنى والاحاديث المتواترة بأن نبينا صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين عليهم السلام ولهذا قال : ((الى الاجل)) يعنى ان النبوة فضل من الله ونعمة يمن بها الرب الحكيم والعليم الكريم على من يشاء ويريد اكرامه بها وكان ذلك ممتدا من عهد الاب

الاول الصفى آدم عليه الصلاة والسلام الى ان بعث الخاتم النبى الحبيب
محمد صلى الله عليه وسلم ولهذا قال :

((ولم تنزل فيما مضى الانبياء من فضله تأتى لمن يشاء))
((حتى أتى بالخاتم الذى ختم به وأعلنا على كل الامم))

خاتم النبيين

((ولم تنزل فيما)) أى فى الزمن الذى ((مضى)) أى فى سائر الازمان
الماضية ((الانبياء)) جمع نبى كالانبياء والنبيين ((من فضله)) أى من
فضل الله سبحانه وتعالى وورافته ولطفه لا من حيث انه واجب عليه تعالى - كما
تقدم بيانه ((تأتى)) بابلاغ الشرائع وبيان الحق وايضاح السبيل ((لمن))
أى لكل أهل زمن من الامم الماضية والقرون الحالية ((يشاء)) الله سبحانه
وتعالى بتبليغ ما يشاء على السنة من شاء من أنبيائه لمن شاء من مكلفى عباده
فلم تخل الارض من داع يدعو الى الله تعالى من لدن آدم عليه السلام الى
أن بعث محمد صلى الله عليه وسلم فيجب الايمان بجميع الانبياء والرسول
وانهم صادقون فى ما أخبروا به عن الله تعالى اجمالا فى من لم يعينوا كما
دل على ذلك قوله تعالى (آمن الرسول بما أنزل الله من ربه والمؤمنون ،
كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسوله) فدللت الآية الكريمة على الاكتفاء
بذلك فى الايمان بهم من غير تفصيل الا من تثبت تسميته فيجب الايمان به
على التعيين وكان مجيء الرسل والانبياء فى القرون الماضية والازمان الحالية
معروفا مستمرا من لدن الاب الاول الصفى عليه السلام ((حتى)) أى الى
ان ((أتى ب)) النبى ((الخاتم)) والرسول القائم نبينا محمد صلى الله عليه
وسلم أى الى ان ارسله بخير كتاب وأتم شريعة وأفضل ملة وأكمل دين
((الذى ختم)) الله ((به)) النبيين والمرسلين وأكمل بدينه كل دين قال
الله تعالى فى محكم الذكر المبين : (ما كان محمد أبأ أحد من رجالكم ولكن
رسول الله وخاتم النبيين) أى الذى ختمهم وختموا به فلا نبى بعده
وأخرج الامام احمد من حديث العرياض بن مسارية السلمى رضى الله
عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال : « انى عند الله فى أم الكتاب
لخاتم النبيين وان ادم لمنجدل فى طينته ، الحديث وأخرجه الحاكم وقال
صحيح الاسناد ، وروى معناه من حديث أبى امامة الباهلى رضى الله عنه ومن

وجوه أخر مرسله ، وفي الصحيحين وغيرهما من حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : « مثلى ومثل الانبياء كمثل رجل بنى دارا فأكملها وأحسنها الا موضع لبنة فجعل الناس يدخلون ويعجبون منها ويقولون لولا موضع اللبنة - زاد مسلم - فجئت فختمت الانبياء » وفي الصحيحين أيضا من حديث أبى هريرة رضى الله عنه معناه وفيه : فجعل الناس يطوفون به ويقولون هلا وضعت اللبنة فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين » وفي صحيح الحاكم عن عائشة رضى الله عنها قالت كان بمكة يهودى يتجر فيها فلما كانت الليلة التى ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا معشر قريش هل ولد فيكم الليلة مولود فقالوا لا نعلمه فقال ولد الليلة نبى هذه الأمة الاخيرة بين كتفيه علامة لها شعرات متواترات كأنهن عرف فرس فخرجوا باليهودى حتى أدخلوه على أمه فقالوا اخرجى لنا ابنك فأخرجوه وكشفوا عن ظهره فرأى تلك الشامة فوقع اليهودى مغشيا عليه فلما أفاق قالوا ويلك مالك ؟ قال ذهبت والله النبوة من بنى اسرائيل • وهذا الحديث يدل على انه صلى الله عليه وسلم ولد بخاتم النبوة بين كتفيه ، وخاتم النبوة من علامات نبوته صلى الله عليه وسلم التى كان يعرفه بها أهل الكتاب ويسألون عنها ويطلبون الوقوف عليها • وقد روى ان هرقل ملك الروم من النصارى ارسل الى النبي صلى الله عليه وسلم من ينظر له خاتم النبوة • وفي نبوة شعيا ان سلطانه - يعنى النبي صلى الله عليه وسلم - على كتفه يريد علامة نبوته • وفي الجواب الصحيح لشيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه ما نصه : قال أشعيا النبي عليه السلام ونص على خاتم النبوة : ولد لنا غلام يكون عجبا وبشرا والشامة على كتفه أركون السلام وسلطانه سلطان السلام يجلس على كرسى داود • فالاركون هو المعظم بلغة الانجيل والاراكنة المعظمون فشهد اشعيا نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم ووصفه بأخص علاماته وأوضحها وهى شامته فلمعرى لم تكن الشامة لسليمان ولا للمسيح ، ووصفه بأنه يجلس على كرسى داود يعنى انه سيرث من بنى اسرائيل نبوتهم وملكهم ويتزهم رياستهم • قال العلماء رحمهم الله فى حكمة وجود الخاتم بين كتفيه أو على نفضي كتفه

الايسر : هو على جهة الاعتبار انه صلى الله عليه وسلم لما ملئ قلبه من الايمان والانوار وجمع له اجزاء النبوة وحواشيها ختم عليه كما يختم على الوعاء المملوء مسكا أو درا فلم تجد نفسه ولا عدوه سيلا اليه من أجل ذلك الختم لان الشيء المختوم محروس كما بين لنا انا اذا وجدنا الشيء بختمه زال الشك وانقطع الخصام فيما بين الآدميين فلذلك ختم رب العالمين في قلبه ختما يطمئن له القلب القى النور فيه ونفذت قوة القلب فظهر بين كتفيه كيبضة الحجلة كما أشار اليه أبو القاسم السهيلي رحمه الله تعالى .

وقوله : ((واعلانا)) - معشر أمة هذا النبي الكريم والرسول الرؤوف الرحيم - الرب الرحيم والاله الحكيم به صلى الله عليه وسلم ((على كل الامم)) الماضية والملل الخالية بشاهد قوله تعالى (كنتم خير أمة اخرجت للناس - وكذلك جعلناكم أمة وسطا) وروى البخارى من حديث أبي هريرة رضى الله عنه فى قوله : (كنتم خير أمة أخرجت للناس) قال : خير الناس للناس تأتون بهم فى السلاسل فى أعناقهم حتى يدخلوا فى الاسلام . وفى الصحيحين وغيرهما من حديث المغيرة بن شعبة رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ولا يزال أناس من أمتى ظاهرين حتى يأتهم أمر الله وهم ظاهرون « وروى مسلم وأبو داود والترمذى من حديث ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتى أمر الله وهم كذلك » وروى هذا من حديث سعد رواه مسلم ، ومن حديث معاوية رواه البخارى ومسلم ، ومن حديث عمران بن حصين رواه أبو داود ، ومن حديث غيرهم من الصحابة رضى الله عنهم أجمعين . وروى الترمذى من حديث أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مثل أمتى مثل المطر لا يدرى آخره خير أم أوله » وقال حديث حسن غريب . وروى النسائى من حديث ثوبان رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « عصابتان من أمتى احرزهما الله من النار عصابة تغزو الهند وعصابة تكون مع عيسى بن مريم عليه السلام ، وأخرج أبو داود من حديث أبي موسى الأشعري رضى الله عنه قال : قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم : « أمتى أمة مرحومة ليس عليها عذاب فى الآخرة عذابها فى الفتن والزلازل والقتل » ورواه الطبرانى فى الكبير والحاكم فى المستدرک والبيهقى فى الشعب • وفى الصحيحين وغيرهما من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نحن الآخرون السابقون يوم القيامة أتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم - وفى رواية لمسلم - نحن الآخرون الاولون يوم القيامة ونحن أول من يدخل الجنة - وفى رواية فى الصحيحين : نحن الآخرون السابقون بيد - أى غير - انهم أتوا الكتاب من قبلنا » وفى الصحيحين وغيرهما من حديث أنس رضى الله عنه : « أتم شهداء الله فى الارض أتم شهداء الله فى الارض » وفى الصحيحين وغيرهما من حديث عبد الله ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أما ترضون ان تكونوا ربع أهل الجنة ، فكبرنا ، ثم قال أما ترضون ان تكونوا ثلث أهل الجنة ، قال فكبرنا ، ثم قال انى لارجو أن تكونوا شطر أهل الجنة وسأخبركم عن ذلك ما المسلمون فى الكفار الا كشعرة بيضاء فى ثور اسود أو كشعرة سوداء فى ثور أبيض » هذا لفظ مسلم وعند البخارى وكشعرة سوداء بغير ألف يعنى قبل الواو • وروى الامام احمد والترمذى باسناد على شرط الصحيح من حديث بريدة بن الحصيب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أهل الجنة عشرون ومائة صف هذه الامة منها ثمانون صفا » ورواه الطبرانى فى معجمه من حديث ابن عباس رضى الله عنهما • وروى نحوه من حديث ابن مسعود رواه الطبرانى • وروى عبد الله بن الامام احمد من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال لما نزلت (ثلثة من الاولين وثلثة من الآخرين) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أتم ربع أهل الجنة ، أتم ثلث أهل الجنة ، أتم نصف أهل الجنة ، أتم ثلثا أهل الجنة » قال الطبرانى تفرد برفعه عبد الله بن المبارك عن الثورى • وروى ايضا من حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال : أهل الجنة عشرون ومائة صف أتم منها ثمانون صفا • رواه خيشمة بن سليمان القرشى • قال المحقق ابن القيم : وهذه الاحاديث

قد تعددت طرقها واختلفت مخارجها وصح سند بعضها فلا تنافى بينها وبين حديث الشطر لانه عليه السلام رجا أولا ان يكونوا شطر أهل الجنة فأعطاه الله سبحانه رجاءه وزاده عليه شيئا آخر ، وقد أخرج الامام أحمد فى مسنده من حديث أبى الزبير انه سمع جابرا رضى الله عنه يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « أرجو أن يكون من يتبعنى من أمتى يوم القيامة ربع أهل الجنة » قال فكبرنا قال : « فأرجو ان يكونوا الشطر » واسناده على شرط مسلم . وروى الدارقطنى من حديث أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان الجنة حرمت على الانبياء كلهم حتى أدخلها ، وحرمت على الامم حتى تدخلها أمتى » قال المحقق ابن القيم فى كتابه حادى الارواح : فهذه الامة أسبق الامم خروجا من الارض وأسبقهم الى مكان فى الموقف وأسبقهم الى ظل العرش وأسبقهم الى الفصل والقضاء بينهم وأسبقهم الى الجواز على الصراط وأسبقهم الى دخول الجنة ، فالجنة محرمة على الانبياء حتى يدخلها محمد صلى الله عليه وسلم ومحرمة على الامم حتى تدخلها أمتة .

أول من يدخل الجنة من هذه الامة من بعد نبيها صلى الله عليه وسلم أبو بكر الصديق كما رواه أبو داود فى سننه من حديث أبى هريرة رضى الله عنه . وروى الامام احمد فى المسند والترمذى وابن ماجه والحاكم من حديث معاوية بن حيدة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : « انكم تتمون - وفى لفظ - أنكم توفون - سبعين أمة أتم خيرها وأكرمها على الله تعالى » وأخرج الترمذى من حديث أبى امامة رضى الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ان الله فضلتنى على الانبياء - أو قال أمتى على الامم - وأحل لنا الثنائم » وقال حديث حسن صحيح . وفى صحيح مسلم عن أبى موسى الأشعري رضى الله عنه رفعه « يجىء يوم القيامة ناس من المسلمين بذنوب أمثال الجبال يفسرها الله ويضعها على اليهود والنصارى » وقد روى معنى هذا الحديث عن أبى موسى أيضا الطبرانى والحاكم وصححه وكذا ابن ماجه والطبرانى . وروى أيضا

أول من يدخل
الجنة من هذه
الامة

من حديث أنس رضى الله عنه أخرجه ابن ماجه والنسائى • وأخرجه مسلم عن أبى موسى من وجه آخر بلفظ : « اذا كان يوم القيامة دفع الله الى كل مسلم يهوديا أو نصرانيا فيقول هذا فداؤك من النار » قال العلامة القرطبى قال علماؤنا : هذه الاحاديث ليس على عمومها انما هى فى أناس مذنبين تفضل الله عليهم برحمته فأعطى كل واحد منهم فككا من النار • وقال معنى قوله يضعها على اليهود والنصارى انه يضاعف عليهم عذاب كفرهم وذنوبهم حتى يكون عذابهم بقدر جرمهم وجرم مذنبى المسلمين لو أخذوا بذلك لانه تعالى لا يأخذ أحدا بذنب أحد كما قال تعالى : (ولا تزر وازرة وزر أخرى) وله تعالى ان يضاعف على من يشاء العذاب ويخفف عن من يشاء بحكم ارادته ومشئته • ويقال فى الرواية الاخرى وهى قوله لا يموت رجل مسلم الا ادخل الله مكانه يهوديا او نصرانيا النار معناه ان المسلم المذنب لما كان يستحق مكانا فى النار بسبب ذنوبه وعفاه الله عنه بمنه ورحمته بقى مكانه خاليا منه أضاف ذلك المكان الى يهودى أو نصرانى ليعذب فيه زيادة على تعذيب مكانه الذى يستحقه بحسب كفره • وقد جاءت أحاديث دالة على ان لكل مسلم من هذه الامة مذنبا كان أولا منزلا فى الجنة ومنزلا فى النار وكذا الكافر وذلك معنى قوله تعالى : (اولئك هم الوارثون) أى يرث المؤمنون منازل الكفار من الجنة والكفار منازل المؤمنين فى النار الا ان هذه الوراثة تختلف فمنهم من يرث بلا حساب ومنهم من يرث بحساب ومناقشة • وقال الامام البيهقى يحتمل ان يكون الفداء فى قوم كانت ذنوبهم كفرت عنهم فى حياتهم ، أو فى من أخرج من النار يقال لهم ذلك بعد الخروج • وقال بعضهم بل يحتمل ان يكون الفداء مجازا عن رؤية المنزلة التى تقدمت الاشارة اليها • ورجحه النووي وغيره • وقيل المراد بالذنوب التى توضع على الكفار ذنوب كان الكفار سببا فيها بأن سنوها فلما غفرت سيئات المؤمنين بقيت سيئات الذى سن تلك البدعة السيئة باقية على أربابها الكفرة لان الكفار لا يغفر لهم فىكون الوضع كناية عن ابقاء الذنب الذى لحق الكافر بما سنه من عمله السيئ الذى عمل به المؤمن • وقواه الحافظ ابن حجر • وبالله التوفيق •

وقد روى ان لكل واحد من مؤمنى هذه الامة نورين كالانبياء السالفة
روى أبو نعيم وابن الجوزى فى (الوفاء) عن كعب الاحبار رحمه الله
تعالى انه سمع رجلا يقول رأيت فى المنام كأن الناس جمعوا للحساب
فدعى الانبياء فجاء مع كل نبى أمته ورأى لكل نبى نورين ولكل ممن اتبعه
نور يمشى به فدعى محمد صلى الله عليه وسلم فاذا لكل شعرة فى رأسه
ووجهه نور ولكل من اتبعه نوران يمشى بهما - فقال كعب - وهو لا يشعر انها
رؤيا - من حدثك هذا ، قال انا والله الذى لا اله الا هو لقد رأيت هذا
فى المنام فقال بالله الذى لا اله الا هو لقد رأيت هذا فى منامك ؟ قال نعم
قال والذى نفس كعب بيده انها لصفة محمد صلى الله عليه وسلم وأمته
وصفة الانبياء عليهم الصلاة والسلام وأممها فى كتاب الله كأنما قرأه من
التوراة • وروى الحافظ أبو نعيم والحافظ ابن الجوزى فى الوفاء عن
كعب الاحبار أيضا انه رأى جبرا من أحبار اليهود يبكى فقال له ما يبكيك
قال ذكرت بعض الامر فقال كعب أنشدك الله لئن أخبرتك ما أبكاك
لتصدقنى ؟ قال نعم ، قال أنشدك الله هل تجد فى كتاب الله المنزول ان
موسى نظر فى التوراة فقال يارب انى أجد خير أمة أخرجت للناس يأمرون
بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالكتاب الاول والكتاب الآخر
ويقاتلون أهل الضلالة حتى يقاتلوا الاعور الدجال قال فقال موسى رب
اجعلهم أمتى ، قال هم أمة أحمد يا موسى ، قال الجبر : نعم - الحديث
وفيه فقال موسى عليه السلام ليتنى من أمته او من أصحاب محمد عليه
الصلاة والسلام فأوحى الله تعالى اليه (يا موسى انى اصطفيتك على الناس
برسالاتى وبكلامى فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين) الحديث • وروى
من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان موسى عليه السلام لما نزلت عليه التوراة وقرأها فوجد فيها ذكر
هذه الامة قال يارب انى أجد فى الألواح أمة هم الآخرون السابقون
المشفوع لهم فاجعلها أمتى قال تلك أمة أحمد الحديث ، وفيه قال يارب
فاجعلنى من أمة أحمد فاعطى عند ذلك خصلتين فقال : (يا موسى انى
اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين)
قال رضىت يارب • وذكره الامام المحقق ابن القيم فى كتابه جلاء الافهام •

وذكر الحافظ ابن الجوزى فى تبصرته فى قوله تعالى : (كنتم خير أمة
أخرجت للناس) فى كنتم قولان أحدهما كان وصفكم فى البشارة قبل
وجودكم قاله الحسن ، الثانى كنتم فى سابق علم الله تعالى وحكمه أو فى
اللوح المحفوظ . وقال ابن الانبارى أى ما زلتم ، وقيل ان معنى كنتم أى
أنتم مثل قوله تعالى (وكان الله غفورا رحيمًا) قال ابن قتيبة قد يأتى
الفعل على بنية الماضى وهو ذاهب أو مستقبل كقوله كنتم ومعناه أنتم ومثله
(واذا قال الله) أى واذا يقول الله ومثله (أتى أمر الله) ونظائره والله أعلم .
قال ابن الجوزى رحمه الله تعالى :

سبب فضل هذه الامة

واعلم أن فضيلة هذه الامة على الامم المتقدمة وان كان ذلك باختيار
الحق لها وتقديمه اياها الا انه سبحانه جعل لذلك سببا كما جعل سبب
سجود الملائكة لآدم عليه السلام علمه بما جهلوه فكذلك جعل لتقديم
هذه الامة سببا هو الفطنة والفهم واليقين وتسليم النفوس فاعتبر حالهم بمن
قبلهم فان قوم موسى رأوا قدرة الخالق فى شق البحر ثم قالوا اجعل لنا
الهائم مال كثير منهم الى عبادة العجل ، وعرضت لهم غزاة فقالوا اذهب انت
وربك فقاتلا ، ولم يقبلوا التوراة حتى نتق عليهم الجبل ، ولما اختار موسى
سبعين منهم وقع فى نفوسهم ما أوجب تزلزل الجبل بهم ، ولهذا لما صعد
نبينا صلى الله عليه وسلم على جبل حرا فى جماعة من اصحابه تزلزل فقال
اسكن فما عليك الا نبى أو صديق أو شهيد . فكانه أشار الى انه ليس عليك
من يشك كقوم موسى . ومن تأمل حال بنى اسرائيل رأهم قد أمروا بقول
حطة فقالوا : حنطة ، وقيل لهم ادخلوا الباب سجدا فدخلوا زحفاً وآذوا نبيهم
فقالوا : آدر . ومن مذهبهم التشبيه والتجسيم وهذا من اعظم التغفيل لان
الجسم مؤلف ولا بد للمؤلف من مؤلف . ومن غفلة النصارى اعتقادهم ان
الله تعالى جوهر والجواهر تماثل ولا مثل للخالق ، ثم مقالاتهم فى عيسى
وتثليثهم ودعواهم فيه الالهية وانه ابن الله تعالى تقشعر منه الابدان وتنفر
منه النفوس وتحيله العقول وليس للقوم فهم ، ولهذا قال بعض فضلاء
أمتنا انهم عار على بنى آدم من بين سائر الامم . هذا وقد علم يقين هذه
الامة وبذلهم انفسهم فى الحروب وطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم

وحفظهم لكتاب الله فلهذا ونظائره كانوا يوفون سبعين أمة هم خيرها وأكرمها على الله تعالى وكل هذا إنما هو بسبب كرامة نبينا على الله وجزيل فضله عند الله وقربه من الله والحمد لله على ما أنعم وفضل وكرم والله أعلم .

فصل

فصل في بعض الخصائص النبوية

في بعض خصائص النبي الكريم والرسول السيد السند العظيم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه التي اختصه الحق بها جل شأنه على سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وأشار إلى أولها بقوله ((:
((وخصه بذلك كالمقام ويعنه لسائر الأنام))
((ومعجز القرآن والمعراج حقا بلا مین ولا اعوجاج))

الاولى خاتم النبیین

((وخصه)) أى خص الله سبحانه وتعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم دون سائر الأنبياء ((بذلك)) أى بكونه ختم به النبوة والرسالة فلا نبى بعده لقوله تعالى (وخاتم النبیین) وذلك يستلزم ختم المرسلين لأن ختم الأعم يستلزم ختم الأخص بلا عكس ، ومعنى ختم النبوة بنوته عليه الصلاة والسلام انه لا تبدأ نبوة ولا تشرع شريعة بعد نبوته وشرعته واما نزول عيسى عليه السلام وكونه متصفا بنوته السابقة فلا ينافى ذلك على ان عيسى عليه السلام اذا نزل انما يتعبد بشريعة نبينا صلى الله عليه وسلم دون شريعته المتقدمة لانها منسوخة فلا يتعبد الا بهذه الشريعة أصولا وفروعاً فيكون خليفة لنبينا صلى الله عليه وسلم وحاكماً من حكام ملته بين أمتة بما علمه الله تعالى فى السماء قبل نزوله وبنظره فى كتاب الله الذى هو القرآن وسنة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وهو لا يقصر عن رتبة الاجتهاد المؤدى الى استنباط ما يحتاج اليه ايام مكته فى الارض من الاحكام ، وكسر الصلبان وقتل الخنزير ووضع الجزية وعدم قبولها مما علم من شريعتنا لا يقال هذا نسخ لشرعة محمد صلى الله عليه وسلم لانا نقول بل هذا من شرعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم مغيب الى نزول عيسى عليه السلام فاذا نزل انتهى ذلك كما قال صلى الله عليه وسلم « ينزل عيسى بن مريم حكماً عادلاً » فنزوله غاية لاقرار الكفار ببذل تلك الاموال ثم لا يقبل

الا الاسلام فلا نسخ لها وقد قدما ذلك قريبا .

(والثانية) ما أشار إليها بقوله ((ك)) ما خصه الله سبحانه وتعالى بـ
(المقام)) المحمود وهو الشفاعة العظمى كما تقدم الكلام على ذلك ،
وروي النسائي باسناد صحيح من حديث حذيفة رضى الله عنه قال :
يجمع الناس فى صعيد واحد فأول مدعو محمد فيقول ليك وسعيدك
والخير في يديك والشر ليس اليك المهدي من هديت عبدك وابن عبدك
وبك واليك ولا ملجأ ولا منجأ منك الا اليك تباركت وتعاليت - فهذا قوله :
(عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا) وصححه الحاكم : قال الحافظ ابن
حجر فى شرح البخارى ولا منافاة بينه وبين حديث ابن عمر رضى الله
عنهما الذى فى صحيح البخارى ولفظه قال ان الناس يصيرون يوم القيامة
جثا كل أمة تتبع نبيها يقولون يا فلان اشفع لنا يا فلان اشفع لنا حتى تنتهى
الشفاعة الى النبي صلى الله عليه وسلم فذلك يوم يبعثه الله مقاما محمودا .
وأخرج البخارى أيضا عنه رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول : « ان الشمس لتدنو حتى يبلغ العرق نصف الاذن
فيئنا هم كذلك استغاثوا بآدم فيقول لست بصاحب ذلك ثم بموسى فيقول
كذلك ثم بمحمد فيشفع فيقضى الله بين الخلق فيمشى حتى يأخذ بحلقة
باب الجنة فيومئذ يبعثه الله مقاما محمودا يحمده أهل الجمع كلهم » وذلك
لان ما رواه النسائي من حديث حذيفة رضى الله عنه كان مقدمة الشفاعة .
قال الحافظ ابن حجر فى شرح البخارى وروى ابن أبى حاتم من طريق
سعيد بن أبى هلال انه بلغه ان المقام المحمود الذى ذكره الله تعالى ان
النبي صلى الله عليه وسلم يكون يوم القيامة بين الجبار وبين جبريل فيغبطه لمقامه
ذلك أهل الجمع ورجاله ثقات لكنه مرسل ،
قال الحافظ ابن حجر فى شرح تفسير سورة الاسرا
من صحيح البخارى : وقيل المراد بالمقام المحمود أخذه بحلقة باب الجنة
وقيل اعطاؤه لواء الحمد ، وقيل جلوسه على العرش أخرجه عبد بن حميد
وغيره عن مجاهد ، وقيل شفاعته رابع أربعة . انتهى . وتقدم فى الشفاعة
ما فيه كفاية والله تعالى أعلم

((و)) الثالثة انه سبحانه وتعالى خص نبيه صلى الله عليه وسلم :
بـ ((بعثه)) نبيا ورسولا ((لسائر)) أى جميع ((الانام))
كسحاب الخلق من الانس والجن بالاجماع ، واختلف فى ارساله
الى الملائكة على قولين أحدهما انه لم يكن مرسلا اليهم وبهذا جزم جمع
محققون وهو ظاهر كلام علمائنا ، قال ابن حمدان فى نهاية المبتدئين
ونجزم بأن محمدا صلى الله عليه وسلم رسول الله حقا الى الانس والجن
كافة ، قال القاضى أبو يعلى وانه صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء
وأفضلهم نص عليه الامام احمد . انتهى . ونقل الاجماع على ذلك غير
واحد والقول الثانى بأنه صلى الله عليه وسلم مبعوث الى الملائكة أيضا
ورجحه الجلال السيوطى فى الخصائص والسبكى قبله وزاد انه صلى الله
عليه وسلم مرسل الى جميع الانبياء والامم السابقة وزعم ان قوله صلى
الله عليه وسلم بعثت للناس كافة شامل لهم من لدن آدم الى قيام الساعة
ورجح هذا القول البارزى وزاد انه مرسل الى جميع الحيوانات واستدل
على ذلك بشهادة الضب له بالرسالة وبشهادة الحجر والشجر له أيضا
بذلك ، قال الحافظ السيوطى وأزيد الى ذلك أنه مرسل الى نفسه
وتقدم كلام صاحب الفروع وغيره فى التسيهات الملحقه تحت قوله

وكل انسان وكل جنة فى دار نار أو نعيم جنة
فعاوده . فان قلت قد علم يقينا ان قوم نوح بعد الطوفان كانوا جميع
أهل الارض ورسالة نوح عليه السلام عامة لهم فالجواب ان عمومها
أمر اتفاقى اذ لم يسلم من الهلاك الا من كان معه فى السفينة فالعموم صار
ثانيا وبالعرض على أنه لم يبعث للجن ، والحاصل ان نبينا محمدا صلى
الله عليه وسلم مبعوث الى الثقلين بالاجماع ورسالته مطبقة لجميع الاكوان
ولا التفات لزعيم بعض ملحدى اهل الكتاب من خصوص رسالته للعرب لان
هذا مكابرة باطلة ومغالطة عاطلة لوجوه بديهية البرهان منها ان النبى
صلى الله عليه وسلم لا يكذب وقد أنزل عليه فى محكم القرآن (قل يا أيها
الناس انى رسول الله اليكم جميعا - وما أرسلناك الا كافة للناس) ثم
مقاتلته لاهل الكتاب وسبى ذراريهم واستباحة دمايمهم وضرب الجزية

عليهم أمر معلوم بالتواتر والضرورة فالمتعلق بهذا هذاه والله تعالى
الموفق

الرابعة القرآن

((و)) الرابعة المشار اليها بقوله وخصه بـ ((معجز القرآن))
الذى اذعن لاعجازه الثقلان وأحجم عن معارضته مصابيع الانس والجن
واعترف بالعجز عن الاتيان بأقصر سورة من مثله أهل الفصاحة والبلاغة
من سائر الاديان كما تقدم الكلام على ذلك مستوفيا في مبحث القرآن من
الباب الاول فراجعه تظفر بمقصودك والله أعلم

الخامسة المعراج

(الخامسة) من خصائصه صلى الله عليه وسلم ما أشار اليها بقوله
((ك)) ما اختصه الله سبحانه وتعالى بـ ((المعراج)) الى السموات العلى
الى سدرة المنتهى الى مستوى سمع فيه صريف الاقلام فكان كقاب قوسين
أو أدنى قال الواقدي عن رجاله : كان المسرى والمعراج فى ليلة السبت
لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان فى السنة الثانية عشرة من المبعث قبل
الهجرة بثمانية عشر شهرا • وروى ايضا عن اشياخ له قالوا اسرى
برسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة سبع عشرة من ربيع الاول قبل
الهجرة بسنة • وادعى ابو محمد بن حزم فيه الاجماع وهذا قول ابن
عباس وعائشة رضى الله عنهم • قال الحافظ ابن الجوزى فى الوفاء
سمعت شيخنا ابا الفضل يقول قال قوم كان الاسراء قبل الهجرة بسنة ،
وقال آخرون كان الاسراء قبل الهجرة بثمانية أشهر ، وقال آخرون
بسته أشهر ، فمن قال بسنة فيكون ذلك فى ربيع الاول ، ومن قال
بثمانية أشهر فيكون ذلك فى رجب ، ومن قال بسنة أشهر فيكون ذلك
فى رمضان • قال ابن الجوزى وقد قيل انه ليلة سبعة وعشرين من شهر
رجب • قلت واختار هذا القول الحافظ عبد الغنى المقدسى الحنبلى وعليه
عمل الناس ، وكان المعراج الى السماء بجسده الشريف وروحه
المقدسة كالاسراء من مكة المشرفة الى المسجد الأقصى ثم عرج به من بيت
المقدس الى السماء ، أحق هذا ((حقا)) ثابتا وأجزم جزما باتا ((بلامين))
أى بلا امتراء ولا كذب ولا ريب يقال مان يمين كذب فهو مائن وميون
وميان ((ولا اعوجاج)) يقال اعوج اعوجاجا اذا كان غير مستقيم قال فى

النهاية قد تكرر ذكر العوج في الحديث اسما وفعلا ومصدرا وفعلا ومفعولا وهو بفتح العين المهملة مختص بكل شخص مرئي كالأجسام وبالكسر فيما يلبس بمرئي كالرأى والقول ، وقيل الكسر فيهما معا والاول أكثر ومنه الحديث « حتى يقيم به الملة العوجاء » يعنى ملة ابراهيم التي غيرتها العرب عن استقامتها

واعلم ان الاسراء لاختلاف فيه اذ هو نص القرآن العظيم على سبيل الاجمال وجاءت السنة الثابتة بتفصيله وشرح اعاجيبه فورد عن عدة من الصحابة الكرام من الرجال والنساء نحو الثلاثين رضى الله عنهم اجمعين، وأما ليلة المعراج فاختلف فيها فقيل ليلة الجمعة وقيل ليلة السبت كما تقدم عن الواقدي وقال ابن دحية تسفر تلك الليلة عن يوم الاثنين ان شاء الله تعالى لتوافق المولد والمبعث والهجرة والوفاة فانه صلى الله عليه وسلم ولد يوم الاثنين وبعث يوم الاثنين وهاجر من مكة يوم الاثنين ودخل المدينة يوم الاثنين ومات يوم الاثنين . وقد أخرج الامام أحمد والبخارى ومسلم وغيرهم من حديث أنس رضى الله عنه أن مالك بن صعصعة رضى الله عنه حدثه أن نبى الله صلى الله عليه وسلم حدثهم عن ليلة الاسراء قال « بينما انا نائم فى الحطيم - وربما قال قتادة فى الحجر - مضطجع اذ أتانى آت فجعل يقول لصاحبه : الاوسط بين الثلاثة قال فأتانى فقد - وقال مرة فشق - ما بين هذه الى هذه ، قال قتادة فقلت للجارود وهو الى جنبى مايعنى ؟ فقال : من ثغرة نحره الى شعرته وقد سمعته يقول من قصه الى شعرته ، قال فاستخرج قلبى فأتيت بطست من ذهب مملوء ايمانا وحكمة ففصل قلبى ثم حشى - وفي لفظ فافرغ في صدره وملاؤه علما وحلما ويقينا واسلاما ثم أطبقه ثم أعيد ثم أتيت بداية دون البغل وفوق الحمار أبيض - قال فقال الجارود هو البراق ياأباحمزة قال نعم - يقع خطوه عند أقصى طرفه قال فحملت عليه . ولما أراد صلى الله عليه وسلم العروج الى السماء بعد وصوله الى البيت المقدس وصلاته بالانبياء عليهم السلام أتى بالمعراج الذى تعرج عليه ارواح الاتقياء من بنى آدم فلم تر الخلائق أحسن منه له مرقاة فضة ومرقاة من ذهب وهو من جنه الفردوس منضد باللؤلؤ عن يمينه ملائكة وعن يساره ملائكة فارتقى عليه هو وجبريل

عليهما الصلاة والسلام من عند القبة التي يقال لها قبة المعراج عن يمين الصخرة ، قال بعض اهل العلم انه لم يختلف انه عرج من ثم وظاهر صنيع الحافظ ابن الجوزي في الوفاء ان البراق ترقى به أى النبي صلى الله عليه وسلم كما قال ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار يقع خطوه عند أقصى طرفه قال فحملت عليه فانطلق بي جبريل حتى أتى بي السماء الدنيا فاستفتح - الحديث بطوله وهو في الصحيحين وغيرهما • وقال بعضهم قد صحت الاحاديث بأنه استمر على البراق الى بيت المقدس ثم نصب له المعراج فارتقى فيه وظهره انه لم يركب البراق الا من مكة الى بيت المقدس • وجمع بعضهم بأن الراوى اختصر فلم يذكر بيت المقدس ، وبعضهم انه لما وصل فى العروج الى السماء الدنيا ركب البراق واخرق به السموات وما فوقها الى ان وصل الى سدرة المنتهى ، ثم بعد سؤاله صلى الله عليه وسلم ربه ومراجعتة له فى التخفيف عن أمته حتى انتهى ذلك من الخمسين الى الخمس صلوات وسماع النداء من العلى الاعلى قد أمضيت فريضتي وشفعت نبى وخففت عن عبادى هن خمس صلوات كل يوم وليلة وهن خمسون فى الاجر لان الحسنه بعشر أمثالها ، وسمع قوله (ما يبدل القول لى) ولا ينسخ كتابى ، وكانت المراجعة ما بين الحق جل جلاله وبين موسى عليه افضل الصلاة واتم التسليم فانه الذى حث النبى الكريم على مراجعة الرب الرحيم سؤاله التخفيف عن هذا الخلق الضعيف ولهذا قال النبى صلى الله عليه وسلم فى موسى عليه الصلاة والسلام : ونعم الصاحب كان لكم • اى معشر الإمة ثم قال له موسى عليه السلام اهبط باسم الله • ولما دنا المصطفى من العلى الاعلى وحل فى مستوى سمع فيه صريف الاقلام وكلمه الجليل جل جلاله فقال يا محمد ، قال لبيك يا رب قال سل قال انك اتخذت ابراهيم خليلا وأعطيته ملكا عظيما وكلمت موسى تكليما وأعطيت داود ملكا عظيما وأنت له الحديد وسخرت له الجبال وأعطيت سليمان ملكا عظيما وسخرت له الجن والانس والشياطين وسخرت له الرياح وأعطيته ملكا لا ينبغي لاحد من بعده وعلمت عيسى التوراة والانجيل وجعلته يبرء الاكمله والابرص ويحيى الموتى باذنك وأعدته وأمه من الشيطان الرجيم فلم يكن

للسيطان عليهما سبيل • فقال الله سبحانه وتعالى : وقد اتخذتكم حبيبا - قال الراوى : وهو مكتوب فى التوراة حبيب الله - وأرسلتكم للناس كافة بشيرا ونذيرا وشرحت له صدرك ووضعت عنك وزرك ورفعت لك ذكرك لا أذكر الا تذكر معى وجعلت أمتك خير أمة أخرجت للناس وجعلت أمتك أمة وسطا وجعلت أمتك هم الأولون والآخرون وجعلت أمتك لا تجوز لهم خطبة حتى يشهدوا انك عبدى ورسولى وجعلت من أمتك اقواما قلوبهم أناجيلهم وجعلت اول النبين خلقا وآخرهم بعثا وأول من يقضى له وأعطيتك سبعا من المثاني لم أعطها نبيا قبلك وأعطيتك خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش لم أعطها نبيا من قبلك وأعطيتك الكوثر وأعطيتك ثمانية أسهم الاسلام والهجرة والجهاد والصدقة والصلاة وصوم رمضان والامر بالمعروف والنهى عن المنكر وانى يوم خلقت السموات والارض فرضت عليك وعلى أمتك خمسين صلاة - كل هذا الخطاب فى حال قربه من رب العالمين ثم ان الله تعالى خفف عن عباده الفعل من خمسين الى خمس وابقى لهم ثواب الخمسين تفضلا منه تعالى وتكرما على نبيه المصطفى وعلى أمته ببركته وكان صلى الله عليه وسلم لما وصل الى سدره المنتهى غشيته سحابة فيها من كل لون فتأخر جبريل ثم عرج بالنبي صلى الله عليه وسلم حتى وصل لمستوى سمع فيه صرير الاقلام فدنا من الحضرة الالهية حتى كان كقاب قوسين أو أدنى أى أو أقرب أى بل أقرب من ذلك ثم انجلت عنه السحابة فأخذ جبريل بيده فانصرف سريعا فمر على ابراهيم فلم يقل شيئا ثم أتى على موسى قال النبي صلى الله عليه وسلم ونعم الصاحب كان لكم فقال ما صنعت يا محمد؟ ما فرض عليك ربك وعلى أمتك؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم فرض على وعلى أمتى خمسين صلاة كل يوم وليلة قال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف عنك وعن أمتك فان أمتك لا تطيق ذلك فانى خبرت الناس قبلك وبلوت بنى اسرائيل وعالجتهم اشد المعالجة على أدنى من هذا فضعفوا وتركوه فأمتك أضعف أجسادا وأبدانا وقلوبا وأبصارا وأسماعا فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم الى جبريل يستشيريه فأشار اليه جبريل ان نعم ان شئت ، فرجع سريعا حتى انتهى الى الشجرة فغشيته السحابة وخر

ساجدا وقال رب خفف عن أمتي فانها أضعف الامم، قال وضعت عنكم خمسا وهكذا الى أن بقيت الخمس . وهذا في صحيح مسلم من حديث أنس رضي الله عنه والذي في المسند والصحيحين وغيرهما عن أنس عن مالك بن صعصعة رضي الله عنه تعالى حط عنه عشرا ثم عاد فحط عنه عشرا ثم عاد فحط عنه عشرا ، وكذلك هو في الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه . وقال الامام الحافظ ابن الجوزي في الوفاء وهذا أصح لاتفاق البخاري ومسلم عليه من حديث أنس عن مالك ومن حديث أنس نفسه أيضا وذكر المراجعة خمس مرات وقال عن رواية انه حط خمسا غلط من الراوى . انتهى . وقال الحافظ ابن حجر في شرح البخارى كون الحط كان خمسا خمسا اصح ، ولفظه : قد حققت رواية ثابتة أن التخفيف كان خمسا خمسا وهي زيادة معتمدة يتعين حمل باقي الروايات عليها . انتهى . قلت ولناقشته وجه وجه من أمور احدها ان كون التخفيف عشرا عشرا أليق بكرم الكريم ، الثاني اتفاق الصحيحين عليه من حديث أنس ومن حديث مالك بن صعصعة وأما كونه خمسا خمسا فمن افراد مسلم وماتفق عليه الصحيحان اصح . الثالث كونه عشرا عشرا أقل مراجعة . الرابع ان حديث أنس من كونه كان خمسا صادق بأن الحط في الخامسة خمس فيصدق عليه بأن الحط كان خمسا في الجملة والحاصل ان كون الحط كان عشرا عشرا اصح وبالله التوفيق .

(تنبيهات)

(الاول) تقدم الكلام على رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لدى العزة والجبروت والآنعام واختلاف الصحابة والتابعين فمن بعدهم في ذلك ومما ينبغي أن يعلم أن الخلاف المذكور انما هو في وقوعها لا في امكانها وجوازها اذ هي جائزة عقلا ونقلأ أما العقل فواضح وأما النقل فما كان كلهم الرحمن ليسأل المستحيل، هذا مما لا يظنه من عرف منصب النبوة فضلا عن الرسول فضلا عن احد أولى العزم من الرسل ، ليت شعري من جهل الواجب والجائز والمستحيل على الله تعالى ما علم ؟ هذا مما لا يتصوره مؤمن بالله ورسله يرى الحق ويتبعه أبدا ، ثم ان رؤية الباري جل شأنه

تنبيهات الاول
رؤية الله في
الدنيا ممكنة

واقعة للمؤمنين في الآخرة قطعا كما مر واما من ادعاها في الدنيا يقظة لغير نبينا صلى الله عليه وسلم على ما في ذلك من الخلاف فهو ضال بل قال الكواشي في تفسيره في سورة النجم : ومعتقد رؤية الله تعالى هنا يعنى في الدنيا بالعين لغير محمد صلى الله عليه وسلم فزندق فلو قال انى أرى الله عيانا في الدنيا ويكلمنى شفاهها كفر • انتهى • ونقل عن المهدوى المفسر انه كفر مدعى الرؤية • هذا وقد نقل جماعة الاجماع على أنها لا تحصل للأولياء في الدنيا • قال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح وأبو شامة أنه لا يصدق مدعى الرؤية في الدنيا يقظة فان شيئا منع منه موسى كليم الله عليه الصلاة والسلام واختلف في حصوله لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم كيف يسمح به لمن لم يصل لمقامهما مما لا يتوقف فيه أنه لا يحصل لأحد الناس • وقد اختلف في رؤية الله تعالى مناما والحق جوازها وبالله التوفيق •

الثانى معنى
فكان قاب قوسين
أو ادنى

(الثانى) اختلف فى المراد من قوله تعالى (فكان قاب قوسين أو أدنى) أى حيث الوتر من القوس قاله مجاهد وقال أبو عبيدة قاب قوسين أى مقدار قوسين أو أدنى أو أقرب والقاب ما بين القبضه والسية من القوس قال الواحدى هذا قول الجمهور من المفسرين أن المراد بالقوس التى يرمى بها • قال وقيل المراد بها الذراع لأنه يقاس بها الشيء • قال الحافظ ابن حجر فى فتح البارى : وينبغى أن يكون هذا القول هو الراجح فقد أخرج ابن مردويه باسناد صحيح عن ابن عباس رضى الله عنهما قال القاب القدر والقوسين الذراعان • ويؤيده أنه لو كان المراد به القوس التى يرمى بها لم يمثل بذلك ليجتاج الى التثنية فكان يقال مثلا قاب رمح أو نحو ذلك وقد قيل أنه على القلب والمراد فكان قابى قوس لأن القاب ما بين المقبض الى السية فلكل قوس قابان بالنسبة الى خالقتها • وقوله أو أدنى أى أقرب قال الزجاج خاطب الله العرب بما ألفوا والمعنى فيما تقدرون أنتم والله تعالى عالم بالاشياء على ما هى عليه لا تردد عنده ، وقيل أو بمعنى بل والتقدير بل هو أقرب من القدر المذكور وسية القوس هى الفرضة التى يوضع فيها الوتر والمراد به جبريل عليه السلام • قال الحافظ ابن كثير : هذا هو الصحيح فى التفسير كما دل عليه كلام الصحابة رضى الله عنهم

وقد روى الشعبي عن مسروق قال قلت لعائشة رضى الله عنها (ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى) قالت ذلك جبريل . قال المحقق ابن القيم لأن جبريل هو الموصوف بما ذكر من أول السورة الى قوله (ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى) هكذا فسرہ النبي صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح لعائشة قالت عائشة رضى الله عنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية فقال ذلك جبريل لم أراه فى صورته التى خلق عليها الامرئين . رواه مسلم . قال ولفظ القرآن لا يدل على غير ذلك ثم ساق سبعة وجوه دالة على ذلك ، قال واماما وقع فى البخارى من رواية شريك عن أنس ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى فقد تكلم الناس فيه وقالوا ان شريكا غلط فيه وذكر فيه أموراً منكراً ، لكن قال المحقق أن الدنو والتدلى الذى فى حديث شريك غير هذا ، وجزم ابن كثير بأن الدنو والتدلى فى حديث شريك غير الذى فى الآية ، ولذا قال الرازى فى تفسيره فكان قاب قوسين أى فكان بين جبريل ومحمد صلى الله عليه وسلم مقدار قوسين أو أقل وهذا على استعمال العرب وعاداتهم فان الاميرين منهم أو الكبيرين اذا اصطلحا وتعاقدا أخرجا بقوسيهما فجعل كل واحد منهما قوسه بطرف قوس صاحبه ومن دونهما من الرعية يكون كفه بكف صاحبه فيمدان باعيهما كذلك فسمى مبايعه . انتهى . وقوله أو أدنى قال المحقق ابن القيم أو هنا ليست للشك بل لتحقيق قدر المسافة فانها لا تزيد على قوسين البتة كما قال تعالى (وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون) تحقيقاً لهذا العدد وانهم لا ينقصون عن مائة ألف رجلا واحداً ونظيره قوله تعالى (ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة أو أشد قسوة) أى لا تنقص قسوتها عن قسوة الحجارة بل ان لم تزد على قسوة الحجارة لم تكن دونها قال وهذا المعنى أحسن وألطف وأدق من قول من جعل أوفى هذا الموضع بمعنى بل ومن قول من جعلها للشك بالنسبة الى الرائي ومن قول من جعلها بمعنى الواو فتأمله . انتهى .

الثالث سدره
المنتهى

(الثالث سدره المنتهى) السدر شجر النبق واحده سدره وانما قيل لها سدره المنتهى لانه ينتهى اليها ما يهبط من فوقها فيقبض منها واليه ينتهى

ما يعرج من الارض كما رواه مسلم عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه ، وقيل غير ذلك • قال ابن دحية واختيرت السدرة دون غيرها لأن فيها ثلاثة أوصاف ظل مديد وطعم لذيد ورائحة ذكية فكانت بمنزلة الايمان الذى يجمع القول والعمل والثبة ، وقد وقع عند مسلم فى صحيحه من حديث ابن مسعود رضى الله عنه أن السدرة فى السماء السادسة وظاهر حديث أنس رضى الله عنه أنها فى السابعة ، قال القرطبي وهو تعارض لا شك فيه وحديث أنس قول الاكثر وهو الذى يقتضيه وصفها بكونها التى ينتهى اليها علم كل نبي مرسل وكل ملك مقرب ، و يترجح حديث أنس أيضا بأنه مرفوع وحديث ابن مسعود موقوف • قال الحافظ بن حجر كذا قال يعنى القرطبي ولم يعرج على الجمع بل جزم بالتعارض ولا يعارض أنها فى السماء السادسة ما دلت عليه الاخبار أنه وصل اليها بعد أن دخل فى السماء السابعة لانه يحمل على أن أصلها فى السادسة وأغصانها وفروعها فى السابعة وليس فى السادسة الا أصل ساقها ، قال ابن حجر والظاهر أن سدرة المنتهى مغروسة بالارض بدليل قوله ونهران باطنان ، ولا يطلق هذا اللفظ وما أشبهه الا على ما يفهم والباطن لا بد أن يكون سريانه تحت شىء • وحديث يطلق عليه اسم الباطن • وقال القاضى عياض دل الحديث على أن أصل شجرة المنتهى فى الارض لكونه قال ان النيل والفرات يجريان من أصلها وهما بالمشاهدة يجريان من الارض فيلزم منه أن يكون أصل السدرة فى الارض ، وتعقبه النووي بأن المراد بكونهما يخرجان من أصلها غير خروجهما بالتبع من الارض ، والحاصل أن أصلهما من الجنة وهما يخرجان أولا من أصل السدرة ثم يسيران الى أن يستقرا فى الارض ثم ينبعان • وفى أصل القصة فاذا فى أصلها أربعة أنهار نهران باطنان ونهران ظاهران وقال جبريل لما سئل عنها اما الباطنان فنهران فى الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات • قال ابن أبى جمرة هذا يدل على أن النيل والفرات ليسا من الجنة وسدرة المنتهى ليست فى الجنة حتى يقال أنهما يخرجان منها بعد تبعهما من السدرة وجيحان والفرات والنيل كل من أنهار الجنة والجمع بينهما والله أعلم أن الفرات والنيل متبعهما من السدرة واذا أنزلا الى الارض

يسلكان أولاً على الجنة فيدخلانها ثم بعد ذلك ينزلان الى الارض . انتهى .
قلت اذا قلنا سدرة المنتهى فى السابعة تعين أنها فى الجنة لأن الجنة ليس
سقفها سوى عرش الرحمن والله أعلم .

الرابع المستوى المسموع منه صريف الاقلام

(الرابع) المستوى الذى سمع فيه صلى الله عليه وسلم صريف الاقلام
هو المصعد ، وقيل المكان المستوى ، وصريف الاقلام بفتح الصاد المهملة
وكسر الراء وبالفاء هو صوت حركة الاقلام وهو جريانها على المكتوب فيه
من الاقضية الالهية والوحى وما ينسخونه من اللوح المحفوظ أو ماشاء الله
من ذلك أن يكتب ويرفع لما أَرَادَهُ تعالى من أوامره وتديره وفيه حجة لأهل
السنة فى الايمان بصحة كتابة الوحى والمقادير فى كتب الله من اللوح
المحفوظ بالاقلام الذى هو تعالى يعلم جنسها وكيفيتها على ما جاءت به
الآيات والاحاديث الصحيحة فكل ما جاء من ذلك فهو حق يبقى على ظاهره ،
نعم كيفية ذلك وصورته وجنسه مما لا يعلمه الا الله تعالى ومن أطلعه الله
تعالى على شيء من ذلك من الملائكة والمرسلين ، وما يتأول هذا أو يحيله
الاضيف الايمان اذ جاءت به الشريعة والله يفعل ما يشاء وبحكم ما يريد
وهو الغنى الحميد والله تعالى أعلم

الخامس الاسراء والمعراج فى ليلة واحدة

(الخامس) الصحيح المعتمد أن الاسراء والمعراج كانا فى ليلة واحدة
هذا الذى اعتمده أكثر أهل العلم ، وقيل كان الاسراء وحده فى
ليلة ثم كان هو والمعراج فى ليلة أخرى ، والاول هو الذى ذهب اليه
أكثر أهل العلم من المحدثين والمفسرين والفقهاء والمتكلمين . وانهما كانا
يقظة بالروح والجسد جميعا - لا فى المنام - من مكة الى المسجد الاقصى
الذى هو فى بيت المقدس ، الى السموات العلى الى سدرة المنتهى الى حيث
شاء الله العلى الاعلى . قال أهل الحق وهذا هو الحق من غير امتراء وعليه
يدل القرآن نصا وصحيح الاخبار الى السموات استفاض استفاضة تكاد
تبلغ التواتر أو بلغته ولا يعدل عن الظاهر فى الاخبار الواردة فى ذلك
ولا عن الحقيقة المتبادرة الى الازهان من ألفاظها الى التأويل الا عند
الاستحالة وتعذر حمل اللفظ على حقيقته وليس ثم استحالة تؤذن بالتأويل

فلا جرم وجب اعتقاده على ظاهره مع تفويض علم ما دق الى الحق وبالله التوفيق •

السادس هل تكرر المعراج

(السادس) زعم بعض الصوفية أن المعراج وقع له صلى الله عليه وسلم ثلاثين مرة ، وقال بعضهم أربعة وثلاثين مرة ، واحدة منها بجسمه الشريف ، والباقي بروحه • ورد المحقق تعدد ذلك مع تعدد فرض الصلاة والمراجعة في الحط والتخفيف ، قال الحافظ ابن حجر في شرح البخارى وما أظن أحدا ممن قال بالتعدد يلتزم إعادة مثل ذلك والله تعالى أعلم ((فكم جباه ربه وفضله وخسه سبحانه وخوله))

((فكم جباه ربه)) سبحانه وتعالى بمكرمة ((و)) كم ((فضله)) على غيره بمزية من المزايا التي لا تحصى والمكرمات التي لا تستقصى فان كم هذه خبرية بمعنى كثير فهي تفيد كثرة ما جباه ربه به من المكرمات والمزايا والجهاء بمعنى الاعطاء يقال جبا فلانا أعطاه بلا جزاء ولا من ، أو عام ، والاسم الجباء ككتاب كما في القاموس ((و)) كم ((خسه)) الله ((سبحانه)) وتعالى بخصوصية يقال خصه خصا وخصوصا وخصوصية ويفتح وخصيصي ويمد وخصية وتخصه فضله ، والخاص والخاصة ضد العامة ((وخوله)) بمعنى أعطاه قال في القاموس خوله الله المال أعطاه اياه تفضلا • والمعنى انه جل وعلا خص نبيه المصطفى بخصائص كثيرة ومزايا غير ما ذكرنا حتى ان أبا سعيد (١) في كتابه شرف المصطفى أوصل الخصائص التي اختص الله تعالى النبي صلى الله عليه وسلم بها عن سائر الانبياء والمرسلين الى ستين ، وبعض متأخرى الحفاظ أوصلها الى ثلاث مائة ، وقال بعض الحفاظ الحق عدم حصرها غير أنه لم يتعرض في النظم الا لبعض المهم منها على أنها أفردت بالتأليف فلا حاجة الى تعدادها هنا

((فصل))

فصل في بعض المعجزات

((في التنبه على بعض معجزاته صلى الله عليه وسلم وهي كثيرة جدا))
وتعريف المعجزة هي اسم فاعل مأخوذة من العجز المقابل للقدرة وفي القاموس معجزة النبي ما أعجز به الخصم عند التحدى والهاء للمبالغة •

(١) هو الحر كوشى ، راجع كشف الظنون ، ووقع في الاصلين : ابن سعد

انتهى • وقال ابن حمدان فى نهاية المتدئين : المعجزة هى ما حرق العادة من قول أو فعل اذا وافق دعوى الرسالة وقارنها وطابقها على جهة التحدى ابتداء بحيث لا يقدر أحد عليها ولا على مثلها ولا على ما يقارنها • وقال الفخر الرازى : المعجزة عرفا أمر خارق للعادة مقرون بالتحدى مع عدم المعارضة • قال العلامة التفتازانى : انما قال أمر ليتناول الفعل كأنفجار الماء من بين أصابع النبى صلى الله عليه وسلم ويتناول عدمه أى عدم الفعل كعدم احراق النار ابراهيم عليه السلام • واحترزوا بقيد المقارنة للتحدى عن كرامات الاولياء والعلامات الارهاصية التى تتقدم البعثة النبوية وعن أن يتخذ الكاذب معجزة من مضى من الانبياء أو ما تقدم له فى السنين الماضية حجة لنفسه ، وبقيد عدم المعارضة عن السحر والشعبذة ، وقول ابن حمدان وطابقها ليخرج ما اذا قال معجزتى نطق هذا الحجر فنطق بأنه كذاب مفتر ، وكما تفل مسيلمة فى بئر فغار ماؤها ومسح على رأس غلام فصار أقرع ونحو ذلك • اذا عرفت هذا فقد أشار الى التبيه على أن معجزات نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كثيرة شهيرة فلا يمكن استقصاء عدها بقوله :

((ومعجزات خاتم الانبياء كثيرة تجل عن احصائى))

((ومعجزات)) جمع معجزة وتقدم تعريفها آنفا ((خاتم الانبياء)) يعنى نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم والانبياء جمع نبى وتقدم الكلام على كونه خاتم النبيين والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ((كثيرة)) جدا ((تجل)) أى تعظم وتكبر ((عن احصائى)) أى عن عدى وحفظى لكثرة افرادها وتنوعها من الاقوال والافعال التى ما سبقت لمثله من الانبياء ولم يبلغ أحد من الانبياء من كثرة المعجزات ما بلغه نبينا صلى الله عليه وسلم وهو دليل على مزيد التشريف والتكريم وشدة الاعتناء والاهتمام بشأنه والاحتفال بأمر نبوته ، وأيضا لما كان نبينا خاتم النبيين والمرسلين وشريعته خاتمة الشرائع أجمعين ناسب كثرة المعجزات وترادف الآيات البينات والمعجزات • قال شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله روحه فى كتابه الجواب الصحيح : الآيات والبراهين الدالة على نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كثيرة متنوعة وهى أكثر وأعظم من آيات غيرد من الانبياء قال ويسميا

النظار معجزات وتسمى دلائل النبوة وأعلام النبوة ونحو ذلك ، قال وهذه الالفاظ اذا سميت بها آيات الانبياء كانت أدل على المقصود من لفظ المعجزات ولهذا لم يكن لفظ المعجزات موجودا فى الكتاب ولا فى السنة وانما فيه لفظ الآية والبينة والبرهان ، وأهل الكلام لا يسمون معجزا الا ما كان للأنبياء فقط واما ما يثبت للأولياء من خرق عادة يسمونها كرامة ، قال والسلف كالامام احمد وغيره كانوا يسمون هذا وهذا معجزا ويقولون لخوارق الاولياء انها معجزات اذ لم يكن فى اللفظ ما يقتضى اختصاص الانبياء بخلاف ما كان آية وبرهانا على نبوة النبي فان هذا يجب اختصاصه ، وربما سمو الكرامات آيات لكونها تدل على نبوة من اتبعه الولي فان الدليل يستلزم المدلول فيمتنع ثبوته بدون ثبوت المدلول فكذلك ما كان آية وبرهانا وهو الدليل والعلم على نبوة النبي يمتنع أن يكون لغير النبي ، وقد يقال أنهم سموها معجزات لأن كرامات الاولياء دليل على نبوة النبي الذى اتبعوه أو لأنها تعجز غيرهم وهى آية على صحة طريقتهم • انتهى • قال بعض العلماء معجزات نبينا كثيرة لا تنحصر ، وفى كلام بعضهم أنه صلى الله عليه وسلم أعطى ثلاثة آلاف معجزة يعنى غير القرآن فان فيه ستين أو سبعين ألف معجزة تقريبا ولهذا قال :

القرآن وانشقاق القمر

((منها كلام الله معجز الورى كذا انشقاق البدر فى غير امثرا))
((منها)) أى من معجزات نبينا خاتم النبيين والمرسلين بل أعظمها وأجلها ((كلام الله)) المنزل على النبي المرسل ((معجز الورى)) كفتى الخلق جميعهم انسهم وجنهم وأولهم وآخرهم فهو معجز بنفسه ليس فى وسع البشر الاتيان بسورة من مثله كما تقدم ذلك موضحا و ((كذا)) من غرر معجزاته صلى الله عليه وسلم ((انشقاق البدر)) أى القمر قال فى القاموس : والبدر القمر الممتلىء • انتهى • وهو أحد الكواكب السيارة التى هى الشمس والقمر والزهرة وعطارد والمريخ والمشتري وزحل فانشقاق القمر نصفين ثابت ((من غير امثرا)) أى من غير شك ولا جدل مأخوذ من المربة بالضم والكسر الشك والجدل يقال ماراه مارة ومرأه وامترى فيه وتمارى شك كما فى القاموس • وفى النهاية المراء الجدال

والتمازي والمماراة المجادلة على مذهب الشك والريبة • انتهى • وانما قال من غير امترأ لثبوت ذلك وظهوره لكل أحد ظهورا تاما وثبوتا جازما وقصة ذلك كما فى الصحيحين من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه أن أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية فأراهم القمر شقتين حتى رأوا حراء بينهما • وقال شيبان عن قتادة فأراهم انشقاق القمر مرتين • وفى حديث ابن مسعود عند البخارى ومسلم وغيرهما قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا • وقال ابن عباس رضى الله عنهما اجتمع المشركون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ان كنت صادقاً فشق لنا القمر فرقتين فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فعلت تؤمنون؟ قالوا نعم ، فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه عز وجل ان يعطيه ما سألوا فانشق القمر فرقتين ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينادى يا فلان يا فلان اشهدوا وذلك بمكة قبل الهجرة • وقال مجاهد انشق القمر فبقيت فرقة من وراء الجبل • وقال ابن زيد لما انشق القمر كان يرى بجبل قعيقان النصف وبأبي قبيس النصف الآخر. قال فى النهاية قعيقان جبل بمكة قيل سمي بذلك لأن جرهما لما تحاربوا كثرت قعقعة السلاح هناك وجبل أبى قبيس مشهور معلوم بمكة • وروى الامام احمد من حديث جبير بن مطعم رضى الله عنه قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فصار فرقتين فرقة على هذا الجبل وفرقة على هذا الجبل فقالوا سحرنا محمد وقالوا ان كان سحرنا فانه لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم فاسألوا فان شهدوا بما أبصرتموه فهو حق وليس هو سحرا فسألوا من كان مسافرا عن مكة من أهلها ومن غيرهم فأخبروهم أنهم رأوا ذلك فتمادوا فى كفرهم وعتوهم ولم يؤمنوا • وروى الطبرانى عن ابن مسعود رضى الله عنه قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قوم هذا سحر سحركم ابن أبى كبشة فاسألوا السفار يقدمون عليكم فان كان مثل ما رأيتم فقد صدق والا فهو سحر فقدم السفار فسألوهم فقالوا نعم قد رأينا قد انشق القمر • وأخرج أبو داود عن ابن عمر رضى الله عنهما فى قوله تعالى (اقتربت الساعة وانشق القمر) قال

انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم • (قلت) قد ثبت انشقاق القمر بنص القرآن العظيم وبالسنة الصحيحة الصريحة عن الرسول الكريم وقد بلغت الاحاديث بذلك مبلغ التواتر وأجمع على ذلك أهل الحق • وهذا الانشقاق الواقع للقمر من خصائص نبينا محمد صلى الله عليه وسلم التي اختص بها عن سائر النبيين والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فلم يشركه في ذلك غيره ولم يقع لأحد سواه وهو من أمهات معجزاته التي لا يكاد يعدلها بعد القرآن شيء ولا يعدلها آية من آيات الانبياء عليهم السلام لظهور ذلك في ملكوت السموات خارجا عن جملة طباع مافي هذا العالم المركب من الطبائع فهو آية ومعجزة جسيمة ولهذا قرنها بمعجزة القرآن واقتصر عليهما من المعجزات لأن فيهما كفاية عما سواهما والا فمعجزاته صلى الله عليه وسلم لا تحصى ودلائل نبوته لا تستقصى •

(تنبيهات)

تنبيهات الاول
رواة انشقاق
القمر

(الاول) قد روى انشقاق القمر عن جماعة من الصحابة رضى الله عنهم منهم ابن مسعود وأنس وابن عباس وابن عمر وحذيفة وعلى وجبير بن مطعم وغيرهم رضى الله عنهم

الثانى او ما
قيل أنه دخل
فى جيبه النخ

(الثانى) الثابت من قصة انشقاق القمر ما ذكرناه من الاحاديث الصحيحة والنصوص الصريحة وأما ما قيل أن القمر دخل فى جيبه صلى الله عليه وسلم وخرج من كفه فلا أصل له

الثالث آياته
(ص) أنواع

(الثالث) قال شيخ الاسلام ابن تيمية فى الجواب الصحيح : آياته صلى الله عليه وسلم المتعلقة بالقدرة والفعل والتأثير أنواع (منها) ما هو فى العالم العلوى كانشقاق القمر وحراسة السماء بالشهب الحراسة التامة وممرجه الى السماء ، قال وانما جعل الآية فى انشقاق القمر دون الشمس وسائر الكواكب لانه أقرب الى الارض من الشمس والنجوم ، وكان الانشقاق فيه دون أجزاء الفلك لأنه جسم مستدير فيظهر فيه الانشقاق لكل من يراه ظهورا لا يتمارى فيه ، واذا قبل الانشقاق فقبول محله أولى بذلك ، قال وفيه حكمتان عظيمنتان احدهما كونه من آيات النبوة ، والثانية أن فيه دلالة على جواز انشقاق الفلك وان ذلك دليل واضح على ما أخبرت به

الرسول عليهم الصلاة والسلام من انشقاق السموات خلافا للفلاسفة في زعمهم أن الفلك لا يقبل الخرق والالتمام والله أعلم (ومنها) ما هو في الجو كاستسقاؤه واستصحائه صلى الله عليه وسلم وطاعة السحاب في حصوله وذهابه (ومنها) تصرفه في الحيوانات الانس والجن والبهائم (ومنها) تصرفه في الاشجار والخشب والاحجار (ومنها) تأييده بملائكة السماء (ومنها) كفاية الله تعالى له أعداءه وعصمته من الناس (ومنها) اجابة دعائه صلى الله عليه وسلم (ومنها) اعلامه بالمغيبات الماضية والمستقبله (ومنها) تأثيره في تكثير الماء والشراب والطعام والثمار وغير ذلك من دلائل نبوته واعلام رسالته ومعجزاته الظاهرة وآياته الباهرة

**الرابع من آيات
صدقه (ص)
صورته وهيأته**

(الرابع) أن نفس صورة النبي صلى الله عليه وسلم الشريفة الباهرة وهيئته وطلعته الظاهرة وسمته ودله يدل العقلاء على صدقه ولهذا قال عبدالله ابن سلام رضى الله عنه : فلما رأيت وجهه عرفت أنه ليس بوجه كذاب . ومن سمع كلامه ورأى آدابه لم يدخله شك في نبوته . قال الحافظ ابن الجوزى وغيره من الحفاظ : وثبت في عدة أخبار أنه صلى الله عليه وسلم كان في صغره يعرف بالامانة والصدق وجميل الاخلاق ، وقد قال هرقل في حديث أبي سفيان : ما كان ليترك الكذب على الناس ويكذب على الله تعالى . وقال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه في الجواب الصحيح قال نبطويه في قوله تعالى (يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار) هو مثل ضربه الله تعالى لنيه محمد صلى الله عليه وسلم يقول بكاد منظره بدل على نبوته وان لم يتل قرآنا كما قال عبد الله بن رواحة رضى الله عنه لو لم تكن فيه آيات مبينة كانت بديهته تأنيك بالخبر وذكره القاضي عياض في كتابه الشفاء وذكر من هذا القليل طرفا صالحا وبالله التوفيق

* (فصل) *

في ذكر فضيلة نبينا وأولى العزم وغيرهم من النبيين والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين
((وأفضل العالم من غير امترا نبينا المبعوث في أم القرى))

((وأفضل العالم)) العلوى والسفلى من ملك وبشر وجن فى الدنيا والآخرة فى سائر خلال الخير وخصال الكمال ونعوت المكارم والجمال ((من غير امترا)) أى من غير شك ولا ريب قال فى القاموس : العالم الخلق كله أو ما حواه بطن الفلك ((نبينا)) خيرا المتبدا الذى هو أفضل العالم محمد ((المبعوث)) رسولا لكافة الناس بل للثقلين الانس والجن قيل والملائكة وتقدم ذلك ((فى أم القرى)) مكة المشرفة وبكة المعظمة قال تعالى (لتندر أم القرى) يعنى مكة قال الحافظ ابن الجوزى فى كتابه مشير الغرام الساكن الى أشرف الاماكن : فى تسميتها بذلك أربعة أقوال (أحدها) لأن الارض دحيت من تحتها قاله ابن عباس رضى الله عنهما وقال ابن قتيبة لأنها أقدمها (الثانى) لأنها قبله يؤمها جميع الناس (الثالث) لأنها أعظم القرى شأننا (الرابع) لأن فيها بيت الله عز وجل ولما اطردت العادة بأن بلد الملك وبيته هو المتقدم على الاماكن سمي أما لأن الأم متقدمة • وانما كان أفضل خلق الله تعالى لأن الله تعالى أيدته بأبهر المعجزات وأظهر الدلالات وأشهر المكرمات فمعجزاته أشهر المعجزات وأبهرها وأتمته أركى الامم وأطهرها وشريعته أتم الشرائع وأشهرها وصفاته أكمل الصفات وأشرفها وأخلاقه أحسن الاخلاق وأعرفها وأوسعها وشيمه أعلى الشيم وأنفعها

ومن أعظم ما يدل على تعظيم نبينا وفضله على سائر الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أن الله سبحانه وتعالى أقسم بحياته وفى شرعه انما تتعقد الايمان بأسماء الله تعالى وصفاته وكلامه لا بدون ذلك ، قال الامام الحافظ ابن الجوزى فى الوفاء أقسم الحق عز وجل بحياته وانما يقع القسم بالمعظم وبالمحبوب قال تعالى (لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون) وأخرج السمرذى وغيره من حديث ابن عباس رضى الله عنهما قال ما خلق الله وما ذرأ نفسا هى أكرم عليه من محمد صلى الله عليه وسلم وما سمعته أقسم بحياة أحد غيره فقال (لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون) قال الامام ابن عقيل رحمه الله تعالى وأعظم من قوله تعالى لموسى (واصطنعتك لنفسى) قوله تعالى (ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله) وبيان ذلك أنه جعل

اللام في قوله واصطنعتك لنفسى التى هى للملك أو الاختصاص بينه وبينه ولم يجعل بينه تعالى وبين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم واسطة بل قال (ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله) وقوله تعالى (لا أقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد) المعنى أقسم بك لا بالبلد فان أقسمت بالبلد فلأنت فيه ، ثم قال ابن عقيل : يا موسى اخلع نعليك ولا تجيء الا ماشيا ، يا محمد اركب البراق ولا تجيء الا راكبا (١) ، وأخرج الطبرانى وصححه وابن حبان من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه مرفوعا « أتانى جبريل فقال يقول لك ربك أتدرى كيف رفعت لك ذكرك؟ قال الله اعلم ، قال اذا ذكرت ذكرت معى ، وأخرجه الشافعى وسعيد بن منصور وعبد الرزاق من طريق مجاهد قال ابن عباس رضى الله عنهما يريد الاذان والاقامة والتشهد والخطبة على المنابر ، قال ولو أن عبدا عبد الله وصدقه فى كل شىء ولم يشهد أن محمدا رسول الله لم ينتفع بشىء وكان كافرا . وقال قتادة رفع الله ذكره فى الدنيا والآخرة فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة ولا أذان الا ينادى أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله وفيه يقول حسان بن ثابت رضى الله عنه

أغر عليه للنبوّة خاتم من الله مشهور يلوح ويشهد
وضم الآله اسم النبى الى اسمه اذا قال فى الخمس المؤذن أشهد
وشق له من اسمه ليحمله فذو العرش محمود وهذا محمد

ومن مزاياه على سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام انه تعالى دعاهم بأسمائهم (يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة - واذكر فى الكتاب ادريس - يا نوح اهبط بسلام منا - يا ابراهيم اعرض عن هذا - يا موسى انى اصطفتك - ياداود انا جعلناك خليفة - يا عيسى بن مريم اذكر نعمتى - يا زكريا انا نبشرك - يا يحيى خذ الكتاب) ودعا نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم بالتعظيم والتفخيم فقال (يا أيها النبى - يا أيها الرسول) ولما ذكر اسمه قرنه بذكر الرسالة فقال تعالى (وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل - محمد رسول الله والذين معه - وآمنوا بما نزل على

(١) ثبتت أحاديث فى النهى عن التفضيل بين الانبياء سيأتى ذكرها ومهما قيل فى توجيهها فان مثل هذا الكلام يخالفها

محمد - ما كان محمداً أباً أحد من رجالكم ولكن رسول الله) ولما ذكر الخليل وسيدنا رسول الله ذكر الخليل باسمه وذكره باللقب فقال تعالى (ان أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي) • وقال ابن الجوزي رحمه الله تعالى وكان الانبياء عليهم السلام يجادلون أممهم عن أنفسهم كقول قوم نوح (انا لنراك في ضلالة) فقال دافعا عن نفسه : ليس بي ضلالة - وقال قوم هود انا لنراك في سفاهة فقال ليس بي سفاهة - وقال فرعون انى لأظنك يا موسى مسحورا - فقال موسى - انى لأظنك يا فرعون مشورا أى مصروفا عن الحق مطبوعا على قلبك وأما نبينا صلى الله عليه وسلم فتولى الحق سبحانه المجادلة عنه فلما قالوا هذا شاعر قال تعالى (وما علمناه الشعر) ولما قالوا كاهن قال تعالى (وما هو بقول كاهن) وقالوا ضل فقال (ما ضل صاحبكم وما غوى) وقالوا مجنون فقال (ما أنت بنعمة ربك بمجنون) حتى قال تعالى (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) قال الواحدى أعلمهم الله بفضل النبي صلى الله عليه وسلم على سائر البرية في المخاطبة وأمرهم أن يفخموه ويشرفوه ولا يقولوا له عند دعائه يا محمد يا ابن عبد الله كما يدعون بعضهم بعضا بل يقولون يا رسول الله يا نبي الله فى لين وتواضع وخفض • وذكر ابن الجوزي فى الوفاء عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول الآية قال كانوا يقولون يا محمد يا أبا القاسم فنهاهم الله تعالى عن ذلك اعظاما لنبيه فقالوا يا نبي الله يا رسول الله • وحكى عن الحسن نحوه رواه أبو نعيم، وهذا بخلاف الامم السالفة فانهم كانوا يخاطبون أنبياءهم باسمائهم

وفضائله ومزاياه صلى الله عليه وسلم كثيرة شهيرة فهو أفضل خلق الله تعالى صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه • وفى صحيح مسلم وغيره من حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفع » وفى الترمذى من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنا أول الناس خروجا اذا بعثوا وأنا خطيبهم اذا وفدوا وأنا مبشرهم اذا أسوا ، لواء الحمد يدي وأنا أكرم

ولد آدم على ربي ولا فخر « قال ابن الانبارى أراد لا أتبجح بهذه الاوصاف لكن أقولها شكرا ومنها على انعام ربي على . وفي حديث جابر رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « والذى نفسى بيده لو أن موسى كان حيا ما وسعه الا أن يتبعنى »

التفضيل بين الانبياء

فان قيل قد قال صلى الله عليه وسلم لمن قال له ياخير البرية: ذاك ابراهيم وقال : لا تخيروني على موسى . وقال : لا تفاضلوا بين الانبياء . وقال صلى الله عليه وسلم : ما ينبغي لعبد أن يقول انى خير من يونس بن متى . فالجواب انه صلى الله عليه وسلم اما أن يكون قال ذلك قبل أن يعلمه الله تعالى انه سيد الاولين والآخرين فلما أعلمه الله سبحانه وتعالى بذلك أخبر به وأما أنه قال ذلك تواضعا وتاديبا (١) واحتراما لخلة ابراهيم عليه السلام ، واما أنه أراد برية عصر ابراهيم أو ان النهى انما هو عن تفضيل يؤدى الى تنقيص المفضول (٢) أو يؤدى الى الخصومة والفتنة كما هو المشهور فى سبب ورود تلك الاحاديث ، أو لأن النهى عن التفضيل فى النبوة نفسها وذلك قد لا يتصور فيها بل فى خصائصها وتوابعها ، والحق أنه ورد النص بتفضيل (٣) بعض الرسل على بعض فقد قال تعالى (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض) والحاصل انه صلى الله عليه وسلم قال ذلك قبل العلم بتفضيل الله له على سائر الانبياء والرسل مع مراعاته لعلو مراتبهم الباذخة وجلالة مناصبهم الشامخة ثم أعلمه الله تعالى بأنه سيد الاولين والآخرين وأفضل جميع الانبياء والمرسلين وأمر بتبليغ ذلك فبلغه كما أمر لأن اعتقاد ذلك حق لازم وفرض جازم مع مجانية التفضيل المؤدى الى تنقيص المفضول ومراعاة علو تلك المراتب التى لا تدرك كنه حقائقها أكثر العقول فالنبي المصطفى أفضل الخلق جميعا بلا خفاء صلى الله عليه وسلم وعلى سائر الانبياء والمرسلين والحمد لله رب العالمين

-
- (١) كان صلى الله عليه وسلم يتواضع ويتأدب ولا يقول الا حقا
 - (٢) هذا أشرف الاجوبة عن احاديث النهى عن التفضيل
 - (٣) أما تفضيل الله تعالى بعض الانبياء فتأبث ، وأما التفضيل الذى جاء النهى عنه فهو تفضيل الناس بين الانبياء يعنى خوضهم فى ذلك وكلامهم فيه تفصيلا ، والنهى عن هذا لا ينفى ذاك

((وبعده الأفضل أهل العزم فالرسل ثم الانبيا بالجزم))

((وبعده)) أى بعد النبي صلى الله عليه وسلم ((الأفضل)) من سائر الخلق هم ((أهل العزم)) أى أهل الثبات والجد من الرسل وهم على المشهور ابراهيم الخليل وموسى الكليم وعيسى الروح ونوح النجى فيكونون خمسة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وهم المذكورون فى قوله تعالى (واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح و ابراهيم وموسى وعيسى بن مريم) فانهم أصحاب الشرائع وقدم نبينا صلى الله عليه وسلم تعظيما له وتكريما لشأنه ، وهؤلاء الذين اجتهدوا فى تأسيس الشرائع وتقريرها وصبروا على تحمل المشاق من قومهم ومعاداة الطاغين فيها ، وقيل انما كانوا هم أولى العزم لصبرهم على البلاء من الله تعالى فوح صبر على أذى قومه فانهم كانوا يضربونه حتى يغطى عليه ، و ابراهيم صبر على النار وذبح ولده . وقد قيل كل الرسل من أولى العزم فمن للتبيين لا للتبعيض ، وقد قال ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى (فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل) ذوو الحزم وقال الضحاك ذوو الجد والصبر قال ابن زيد كل الرسل كانوا أولى عزم لم يبعث الله نبيا الا كان ذا عزم وحزم ورأى وكمال عقل وانما ادخلت من للتجنيس لا للتبعيض كما يقال استسريت أكسية من الخز وأردية من البز . وقال بعضهم الانبياء كلهم أولو العزم الا يونس عليه السلام لعجلة كانت منه الا ترى انه قيل للنبي صلى الله عليه وسلم (ولا تكن كصاحب الحوت) وقال قوم أولو العزم نجباء الرسل المذكورون فى سورة الانعام وهم ثمانية عشر لقوله تعالى بعد ذكرهم (أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده) وقال ابن عباس رضى الله عنهما وقتادة نوح و ابراهيم الخ . وهو المشهور كما قدمنا آتفا . وأخرج البغوى فى تفسيره وأبو الشيخ بن حيان عن مسروق قال قالت لى عائشة رضى الله عنها قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا عائشة ان الدنيا لا تنبغى لمحمد ولا لآل محمد ، يا عائشة ان الله لم يرض من أولى العزم الا بالصبر على مكروها والصبر عن ^(١) محبوبها فلم يرض الا أن كلفنى ما كلفهم فقال

(١) هكذا فى تفسير البغوى ووقع فى مط «على» وفى مخ «ع»

(فصبر كما صبر أولو العزم من الرسل) واني والله لا بد لي من طاعته
والله لأصبرن كما صبروا وأجهدن (كماجهدوا - ١) ولا قوة الا بالله ،

وقد اختلف العلماء في من يلي النبي صلى الله عليه وسلم في الفضيلة
منهم والمشهور واختاره الحافظ ابن حجر في شرح البخارى انه ابراهيم
خليل الرحمن لما ورد أن ابراهيم عليه السلام خير البرية خص منه محمد
صلى الله عليه وسلم باجماع فيكون أفضل من موسى وعيسى ونوح عليهم
السلام والثلاثة بعد ابراهيم أفضل من سائر الانبياء والمرسلين ، قال الحافظ
ابن حجر ولم أقف على نقل أيهم أفضل ، والذي يتقدح في النفس تفضيل
موسى فعيسى فنوح عليهم الصلاة والسلام ، قال بعض العلماء لعل تقديم
موسى عليه السلام لانه كلمه الله ثم عيسى عليه السلام لانه كلمة الله
وقال بعض المحققين: الواجب اعتقاده افضلية الأفضل على طبق ماوردالحكم
به تفصيلا في التفصيلي واجمالا في الاجمالي ثم ان تعين لنا نص من الشارح
على الوجه الذي جعله سببا لأفضليته قلنا به والا أمسكنا عنه لأن التفضيل
راجع لاختيار البارئ سبحانه وتعالى لالعله موجبة وجدت في الفاضل وفقدت
من المفضول والله تعالى أن يفضل من عبيده من يشاء بما يشاء على من يشاء
منهم وان كان كل واحد منهم كاملا في نفسه بالغا من ذلك الغاية التي
تليق به من غير أن يحمله على ذلك وصف يكون فيهم وذلك مما يجب له
سبحانه بحق ربوبيته وسيادته ، ولا شك أن الفاضل لا يجب أن يفضل
بما لم يجعله الله سببا لتفضيله وأن المفضول لا يجب أن يجعل مفضولا
لسبب لم يجعله الله تعالى سببا لمفضوليته وأن الله تعالى لا يجب أن يفاضل
أحد بين احبابه بما لم يجعله سببا للمفاضلة فتعين أن الصواب ما أشير اليه
من الوقوف على المنقول بالنص القرآني والثابت عن الرسول صلى الله عليه
وسلم وعلى آله وصحبه تفصيلا واجمالا وبالله التوفيق . ثم بعد أولى العزم
((ف)) الواجب اعتقاده أن يليهم في الأفضلية سائر ((الرسل)) المكرمين
بالرسالة فهم أفضل من الانبياء عليهم السلام غير الرسل وبه يعلم ان
الرسالة أفضل من النبوة ولو في شخص واحد خلافا للجز ابن عبدالسلام

في قوله أن نبوة النبي أفضل من رسالته لقصرها على الحق تعالى اذ هي الايحاء بما يتعلق بالبارى جل شأنه من غير ارتباط له بالخلق اما مع تعدد المحل فلا خلاف في أفضلية الرسالة على النبوة ضرورة جمع الرسالة لها مع زيادة على أن الصحيح المعتمد أفضلية الرسالة مطلقا والله تعالى أعلم ((ثم)) الأفضل بعد الرسل الكرام ((الانبياء)) عليهم أفضل الصلاة والسلام وهم متفاوتون في الفضيلة فبعضهم أفضل من بعض كما قال تعالى ((تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض)) فهذا واجب الاعتقاد تفصيلا فيمن علم منهم وعلم حكمه تفصيلا ولو بدليل ظني صحيح واجمالا فيما علم منهم وعلم حكمه اجمالا ولهذا قال ((بالجزم)) السيد والقطع المفيد للحكم المذكور من غير شك ولا تردد حسبما تقدم على النهج السيد الا قوم ، وعلم مما ذكر ولا سيما من قوله بالجزم رد زعم من زعم ان الولى قد يبلغ درجة النبي كما يحكى عن الكرامية ، بل زعم بعض الصوفية أن الولاية أفضل من النبوة ، قالوا لأنها تنبىء عن القرب والكرامة كما هو شأن خواص الملك والمقربين منه والنبوة عن الانبياء والتبليغ كما هو حال من أرسله الملك الى الرعايا لتبليغ الاحكام ، قالوا الا أن الولى لا يبلغ درجة النبي بخلاف العكس لأن نبوة النبي لا تكون بدون الولاية . وقد شنع شيخ الاسلام ابن تيمية على من يزعم ذلك في محلات من كتبه وقال ان ذلك مخالف لدين الاسلام واليهود والنصارى ، وقال فى جواب المسائل الاسكندرية بعد ما ذكر شنيع مقالاتهم وزيف ترهاتهم : ولهذا يقولون ان الولاية أعظم من النبوة والنبوة أعظم من الرسالة وينشدون

مقام النبوة فى برزخ فويق الرسول ودون الولى

ويقولون أن ولاية النبي أعظم من نبوته ونبوته أعظم من رسالته ، ثم قد يدعى أحدهم أن ولايته وولاية سائر الاولياء تابعة لولاية خاتم الاولياء وأن جميع الانبياء والرسل من حيث ولايتهم (التى) هى أعظم عندهم من نبوتهم ورسالتهم انما يستفيدون العلم بالله الذى هو عندهم القول بوحدة الوجود من مشكاة خاتم الاولياء ، وشبهتهم فى أصل ذلك ان قالوا

رد بعض المزاعم
فى فضل الولاية
وختمها وحقيقة
النبوة

الولى يأخذ عن الله بغير واسطة والنبي والرسول يأخذ بواسطة ، ولهذا جعلوا ما يلقي في نفوسهم ويجعلونه من باب المخاطبات الالهية والمكاشفات الربانية أعظم من تكليم موسى بن عمران عليه السلام ، قال وهى فى الحقيقة اىحاءات شيطانية ووساوس نفسانية (وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم) ولو هدوا لعلموا أن أفضل ما عند الولى ما يأخذه عن الرسول لا ما يأخذه عن قلبه ، وأن أفضل الاولياء الصديقون وأفضلهم أبو بكر رضى الله عنه وكان هو أفضل من عمر مع أن عمر كان محدثا كما ثبت فى الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « قد كان قبلكم فى الامم محدثون فان يكن فى أمتى أحد فعمر » وفى الترمذى « لو لم أبعث فيكم لبعث فيكم عمر » وقال « ان الله تعالى ضرب الحق على لسان عمر وقلبه » ومع هذا فالصديق الذى تلقى من مشكاة النبوة مطلقا أفضل لأن مأخذه معصوم من الخطأ والمحدث ليس معصوما بل يقع له الصواب والخطأ ، ولهذا يحتاج أن يزنه بميزان النبوة المعصومة ، وقال أبو مجلز فى قوله تعالى (ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين) قال ان بسأل منازل الانبياء • ثم تكلم على زعمهم ما زعموا فى خاتم الاولياء وان هذه كلمة لا حقيقة لفضلها ومزيتها وانما تكلم أبو عبد الله الحكيم الترمذى بشئ من ذلك غلطا لم يسبق اليه ولم يتابع عليه ومسمى هذا اللفظ هو آخر مؤمن تقى يكون وليس ذلك أفضل الاولياء باتفاق المسلمين بل أفضل الاولياء سابقهم وأقربهم الى الرسول صلى الله عليه وسلم وهو أبو بكر ثم عمر رضى الله عنهما كما يأتى اذ الاولياء يستفيدون من الانبياء كما يأتى فأقربهم الى الرسول أفضلهم بخلاف خاتم الرسل فان الله تعالى أرسله بالرسالة لم يحله على غيره فقياس مسمى أحد اللفظين على الآخر فى وجوب كونه أفضل من أفسد القياس • وقال شيخ الاسلام روح الله روحه فى مكان آخر فى التنكيت على من جعل خاتم الاولياء أفضل من الرسل والانبياء : وزعم هؤلاء أن الرسل جميعهم والانبياء يستفيدون علم المعرفة بالله تعالى من مشكاة الذى جعلوه خاتم الاولياء وجعلوه أفضل من خاتم الرسل من جهة الحقيقة والعلم به وأنه يأخذ عن الاصل من حيث

يأخذ الملك الذي يوحى الى خاتم الرسل فان خاتم الرسل انما هو سيد في الشفاعة فسيادته في هذا المقام الخاص لا على العموم ، قال هؤلاء وليس هذا العلم الا لخاتم الرسل وخاتم الاولياء وما يراه أحد من الاولياء الا من مشكاة الولي الخاتم حتى أن الرسل لا يرونه متى رأوه الا من مشكاة خاتم الاولياء فان الرسالة والنبوة أعنى نبوة التشريع ورسالته ينقطعان والولاية لا تنقطع أبدا فالمرسلون من (حيث) كونهم أولياء لا يرون ما ذكرناه يعنى من الحقيقة والعلم بالله ومعرفة الا من مشكاة خاتم الاولياء فكيف من دونهم من الاولياء وان كان خاتم الاولياء تابعا في الحكم لما جاء به خاتم الرسل من التشريع فذلك لا يقدح في مقامه ولا يناقض ما ذهب اليه هؤلاء في ما يزعمون، قالوا فانه من وجه يكون أنزل كما أنه من وجه يكون أعلى . وذكر شيخ الاسلام عنهم من مثل هذه الترهات أشياء كثيرة ينبو عنها السمع وناقشهم عليها مناقشة تامة ، ولا يخفى على أحد من أهل الملة أن أفضل الخلق الرسل فالانبياء فالصحابة فالاولياء وان دخل بعضهم في بعض في الجملة والله تعالى الموفق

**فصل فيما
يجب ويجوز
ويستحيل في
حق الانبياء(ص)**

((فصل))

فيما يجب للأنبياء عليهم السلام وما يجوز عليهم وما يستحيل في حقهم ((
قد تقدم في أول الباب شروط من يكرمه الله بالنبوة من الذكورة
والحرية والقوة على أعباء ما حملوه ونحو ذلك وذكر هنا ما يجب اعتقاده
في حقهم

((وان كل واحد منهم سلم من كل مانقص ومن كفر عصم))

((كذلك من افك ومن خيانه لوصفهم بالصدق والامانه))

((و)) هو ان يعرف كل مسلم ((أن كل واحد منهم)) أى من الانبياء
الكرام والرسل العظام ((سلم)) وتنزه ((من كل ما)) زائدة لاقامة
الوزن ومزيد التأكيد عما سلموا منه ونزهوا عنه ((نقص)) يؤدي الى
ازالة الحشمة واسقاط المروءة وألحقت بفاعلها الازراء والخسة كسرقنة
لقمة وتطفيف بجة لقيام الاجماع على عصمتهم من كل ما يؤدي الى الازراء
والدناءة لأن الله تعالى يقول (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) وقال

(قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحييكم الله) ومن المعلوم عموم ذلك وليس في شيء من فعل ما يزرى ما يوجب حب الله ولا حسن الناسى والافتداء في ذلك فوجب تنزيههم عنه وعن كل عيب وسلامتهم من كل ما يوجب الريب ((و)) ان كل واحد منهم ((من كفر)) بجميع أنواعه ((عصم)) قبل النبوة وبعدها والعصمة المنعة والعاصم المانع الحامى والاعتصام الامتسك بالشيء افتعال منه ومنه شعر أبى طالب * شمال اليتامى عصمة للأرامل * أى يمنعهم من الضباع والحاجة قال شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله روحه : الناس متفقون على أن الانبياء معصومون فيما يبلغونه عن الله فلا يستقر فى ذلك خطأ باتفاق المسلمين ولكن هل يصدر منهم ما يستدركه الله تعالى فينسخ ما يلقى الشيطان ويحكم الله آياته ؟ هذا فيه قولان ، قال والمأثور عن السلف يوافق القول بذلك ، قال واما العصمة فى غير ما يتعلق بتبليغ الرسالة فللناس فيه نزاع هل هو ثابت بالعقل أو بالسمع ومتنازعون فى العصمة من الكبائر والصغائر أو من بعضها أو هل العصمة انما هو فى الاقرار عليها لا فى فعلها ، وقيل لا يجب القول فى العصمة الا بالتبليغ فقط قال وهل تجب العصمة من الكفر والذنوب قبل البعثة أم لا ؟ قال والذي عليه الجمهور الموافق للأثاراثبات العصمة من الاقرار على الذنوب مطلقا ، قال ووقوع الذنب اذا لم يقر عليه لم يحصل منه تفير ولا نقص فان التوبة النصوح يرفع بها صاحبها أكثر مما كان أولا ، وكذلك الناسى بهم انما هو فيما أقرؤا عليه بدليل النسخ ونحوه . انتهى . وقال ابن حمدان فى نهاية المبتدئين : وانهم معصومون فيما يؤدون عن الله تعالى وليسوا معصومين فى غير ذلك من الخطأ والنسيان والسهو والصغائر فى الاشهر ، لكن لا يقرون على ذلك ، وقال ابن عقيل فى الارشاد انهم عليهم الصلاة والسلام لم يعتصموا فى الافعال بل فى نفس الأداء ، قال ولا يجوز عليهم الكذب فى الاقوال فيما يؤدونه عن الله تعالى . انتهى . وقال الحانظزين الدين العراقى : النبى صلى الله عليه وسلم معصوم من تعمد الذنب بعد النبوة بالاجماع ولا يعتد بخلاف بعض الخوارج والحشوية الذين نقل عنهم تجويز ذلك ، ولا يقول من

قال من الروافض بجوازها تقية وانما اختلفوا في جواز وقوع الصغيرة سهوا فمنعه الاستاذ ابو اسحق الاسفرايني والقاضي عياض واختاره تقي الدين السبكي قال وهو الذي ندين الله به وأجازه كثير من المتكلمين قال القاضي عياض اجمع المسلمون على عصمة الانبياء من الفواحش والكبائر والموبات قال وقد ذهب بعضهم الى عصمتهم من موقعة المكروه قصدا انتهى • وقال العلامة السعد التفتازاني وفي عصمتهم من سائر الذنوب تفصيل وهو انهم معصومون عن الكفر قبل الوحي وبعده بالاجماع وكذا عن تعمد الكبائر عند الجمهور خلافا للحشوية وانما الخلاف في ان امتناعه بدليل السمع او العقل واما سهوا فجزوا الاكثرون قال واما الصغائر فيجزو عمدا عند الجمهور خلافا للجبائي واتباعه ويجوز سهوا بالاتفاق الا ما يدل على الخسة كسرقه لقمة والتظيف بحبة لكن المحققين شرطوا ان ينهوا عنه فينتهوا منه هذا كله بعد الوحي قال واما قبله فلا دليل على امتناع صدور الكبيرة وذهب المعتزلة الى امتناعها لانها توجب النفرة المانعة من اتباعهم فتفتوت مصلحة البعثة قال السعد والحق منع ما يوجب النفرة كعهر الامهات والفجور والصغائر الدالة على الخسة ومنع الشيعة صدور الصغيرة والكبيرة منهم قبل الوحي وبعده لكنهم جوزوا اظهار الكفر تقية انتهى •

(تنبيه)

لم يكن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قبل البعثة على دين قومه بل ولد مسلما مؤمنا كما قال ابن عقيل وغيره قال في نهاية المتدين قال ابن عقيل لم يكن صلى الله عليه وسلم على دين سوى الاسلام ولا كان على دين قومه قط بل ولد نبينا مؤمنا صالحا على ما كتبه الله وعلمه من حاله انتهى وقال الحافظ ابن رجب في كتابه لطائف المعارف وقد استدلل الامام احمد رضي الله عنه بحديث العرباض بن سارية السلمي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « اني عند الله في ام الكتاب لخاتم النبيين وان آدم عليه السلام لمنجدل في طينته » رواه الامام احمد وروى معناه من حديث ابي امامة الباهلي رضي الله عنه ومن وجوه اخر مرسله وخرج الحاكم ايضا حديث العرباض وقال صحيح الاسناد على ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يزل على

التوحيد منذ نشأ ورد بذلك على من زعم غير ذلك قال الحافظ بل يستدل بذلك على انه صلى الله عليه وسلم ولد نبيا فان نبوته وجبت له من حين اخذ الميثاق حيث استخرج من صلب آدم فكان نبيا من حينئذ لكن كانت مدة خروجه الى الدنيا متأخرة عن ذلك وذلك لا يمنع كونه نبيا قبل خروجه كمن يولى ولاية ويؤمر بالتصرف فيها في زمن مستقبل فحكم الولاية ثابت له من حين ولايته وان كان تصرفه متأخرا الى حين مجيء الوقت قال الحافظ قال حنبل قلت لابي عبد الله يعني الامام احمد رضي الله عنه من زعم ان النبي صلى الله عليه وسلم كان على دين قومه قبل ان يبعث قال هذا قول سوء ينبغي لصاحب هذه المقالة ان يحذر كلامه ولا يجالس قلت ان جارا الناقد ابا العباس يقول هذه المقالة قال قاتله الله وأي شيء أبقى اذا زعم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على دين قومه وهم لا يعبدون الا صنم قال الله تعالى مخبرا عن عيسى عليه السلام (ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه احمد) ثم قال الامام احمد رضي الله عنه ماذا يحدث الناس من الكلام هؤلاء اصحاب الكلام من احب الكلام لم يفلح سبحانه الله لهذا القول واحتج الامام احمد برؤيا امه النور عند ولادته حتى اضاءت له قصور الشام قال وليس ذلك عندما ولدت رأت ذلك وقيل وقيل ان يبعث كان طاهرا مطهرا من الاوثان ثم قال الامام احمد احذروا الكلام فان اصحاب الكلام لا يؤل امرهم الى خير خرجه ابو بكر عبد العزيز في كتاب السنة قال الحافظ ابن رجب ومراد الامام احمد بالاستدلال ٧ بتقديم البشارة بنبوته من الانبياء من قبل خروجه الى الدنيا وولادته وهذا هو الذي يدل عليه حديث العرياض انتهى كلام الحافظ ابن رجب ملخصا وقد صرح فيه بنص الامام ان النبي صلى الله عليه وسلم ولد على الاسلام والله اعلم .

(كذلك) كل واحد من الانبياء والمرسلين قد عصم (من أفك) أي من كذب قال في النهاية الأفك في الاصل الكذب قال في القاموس أفك كضرب وعلم افكا بالكسر والفتح افوكا كذب كافك فهو افاك وافيك وافوك وفي حديث عرض نفسه صلى الله عليه وسلم على قبائل العرب لقد افك قوم كذبوك وظاهره عليك أي صرفوا عن الحق ومنعوا منه يقال افكه يأفكه

افكا اذا صرفه عن الشيء والحاصل ان انبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام معصومون من الكذب (و) معصومون (من خيانة) ولو قلت (ا) وجوب (وصومهم) عليهم الصلاة والسلام (بالصدق) الذي هو ضد الكذب (و) وجوب وصومهم (بالامانة) التي هي ضد الخيانة والضدان لا يجتمعان فالصدق واجب في حقهم عقلا وشرعا وهو مطابقة اخبارهم للواقع ايجابا وسلبا اذ لو جاز عليهم الكذب الذي هو عدم مطابقة الواقع لجاز الكذب في خبره تعالى تصديقه اياهم بالمعجزة المنزلة منزلة قوله تعالى صدق عبدي في كل ما يبلغ عني وتصديق الكاذب من العالم بكذبه محض الكذب والكذب على الله تعالى محال فلزومه كذلك وقد اجمعت الامة على ان ما كان طريقه الابلاغ فالانبياء والرسل معصومون فيه من الاخبار عن شيء منه بخلاف الواقع لا قصدا ولا عمدا ولا سهوا ولا غلطا على تفصيل في بعض ذلك يعلم مما مر وقال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله سره يجب على الخلق الاقرار بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم فما جاء به القرآن العزيز او السنة المعلومة وجب على الخلق الاقرار به جملة وتفصيلا عند العلم بالتفصيل فلا يكون الرجل مؤمنا حتى يقر بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم وهو تحقيق شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فمن شهد انه رسول الله شهد انه صادق فيما يخبر به عن الله تعالى فان هذه حقيقة الشهادة بالرسالة اذ الكاذب ليس برسول فيما يكذبه وقد قال تعالى: (ولو تقول علينا بعض الاقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين) وهو عرق في القلب اذا انقطع مات صاحبه وبالجملة فهذا معلوم بالاضطرار من دين الاسلام لا يحتاج الى تقريره . وفي قصة هرقل مع ابي سفيان كما في الصحيح عند سؤال هرقل عظيم الروم ابا سفيان عن اوصاف النبي صلى الله عليه وسلم قال: هل كنتم تتهمونه بالكذب أي على الناس؟ قال: لا وان كان ليدعى فينا بالامين فقال: لقد علمت انه لم يكن ليدعي الكذب على الناس ثم ليكذب على الله تعالى فيشعر هذا ان عقلاء الامم مطبقون على استحاله كذب الانبياء عليهم الصلاة والسلام .

وقوله والامانة أي يجب لهم الامانة وهي ضد الخيانة وقوله تعالى :
 (انا عرضنا الامانة) اي الفرائض المفروضة او النية التي يعقدها فيما
 يظهره باللسان من الايمان ويؤديه من جميع الفرائض في الظاهر لأن الله
 تعالى ائتمنه عليها ولم يظهرها لاحد من خلقه فيما اضر من التوحيد مثل
 ما اظهر فقد ادى الامانة كما في القاموس وقال في النهاية : الامانة تقع
 على الطاعة والعبادة والوديعه والثقة والامان والمراد بها في حق رسل الله
 تعالى وأنبيائه عليهم الصلاة والسلام اتصافهم بحفظ ظواهرهم وبواطنهم
 من التلبس بمنهي عنه ولو نهي كراهة عند بعض العلماء اي كونهم لا
 يتصوران يكونوا الا كذلك اذ لو جاز عليهم ان يخونوا الله تعالى بفعل
 محرم او مكروه على قول لجا زان يكون ذلك المنهي عنه من حيث انه
 منهي منه مأمورا به لان الله تعالى امرنا باتباعهم في اقوالهم وافعالهم
 من غير تفصيل وهو تعالى لا يأمر بمحرم ولا مكروه فقد قال تعالى :
 (ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) •

والمراد ما لم تقم قرينة على الخصوصية ككناح ازيد من اربع
 فتختص بهم دون اممهم وفي الآية الكريمة : (يا ايها الرسول بلغ ما انزل
 اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس) •
 قال شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله روحه ومعلوم انه صلى الله عليه وسلم
 قد بلغ الرسالة كما امر ولم يكتف منها شيئا فان كتمان ما انزله الله تعالى
 اليه يناقض موجب الرسالة كما ان الكذب يناقض موجب الرسالة قال:
 ومن المعلوم في دين المسلمين انه معصوم من الكتمان لشيء من الرسالة
 كما انه معصوم من الكذب فيها والأمة تشهد له بأنه بلغ الرسالة كما أمر
 الله تعالى وبين ما انزل اليه من ربه وقد وجب على كل مسلم تصديقه في
 كل ما أخبر به •

(تمت) ذكر ابو الفضل القاضي عياض رحمه الله تعالى في كتابه
 الشفا انه يجب على المتكلم فيما يجوز على النبي صلى الله عليه وسلم
 وما لا يجوز على طريق المذاكرة والتعليم ان يلتزم في كلامه عند ذكره عليه
 الصلاة والسلام وذكر تلك الاحوال الواجب توقيره وتعظيمه ويراقب حال

بيانه ولا يهمله وتظهر عليه علامات الادب عند ذكره فاذا ذكر ما قاساه عليه السلام من الشدائد ظهر عليه الاشفاق والارتماض والغيظ على عدوه ومودة الفداء للنبي صلى الله عليه وسلم لو قدر عليه النصر له لو امكنته واذا اخذ في ابواب العصمة وتكلم على مجاري اعماله وأقواله عليه السلام تحرى احسن اللفظ وادب العبارة ما امكنه واجتنب بشع ذلك وهجر من تلك العبارة ما يقبح كلفظة الجهل والكذب والمعصية فاذا تكلم في الاقوال قال هل يجوز الخلف في القول والاخبار بخلاف ما وقع سهوا او غلطا ونحوه من العبارة وتجنب لفظه الكذب جملة واحدة واذا تكلم على العلم قال: هل يجوز ان لا يعلم الا ما علم وهل يمكن ان لا يكون عنده علم من بعض الاشياء حتى يوحى اليه ولا يقول بجهل لقبح لفظه وشناعته واذا تكلم في الافعال قال: هل يجوز منه المخالفة في بعض الاوامر والنواهي وموافقة بعض الصغائر فهو ادب واولى من قوله هل يجوز ان يعصي او ان يذنب او ان يفعل كذا وكذا من انواع المعاصي فهذا من حق توقيره عليه الصلاة والسلام وما يجب له من توقيير واعظام قدره واما ما يورده على جهة النفي والتنزيه عنه فلا حرج في شرح العبارة وتصريحها كقوله: لا يجوز عليه السلام الكذب جملة ولا اتيان الكبائر بوجهه ولا الجور في الحكم على حال ولكن مع هذا يجب ظهور توقيره وتعظيمه عند ذكره مجردا فكيف عند ذكر مثل هذا وقد كان السلف يظهر عليهم حالات شديدة عند مجرد ذكره صلى الله عليه وسلم انتهى ملخصا ومثله في ذلك جميع الانبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين وقد فهم مما تقدم الواجب في حقهم والمستحيل عليهم مما عصموا منه صلوات الله وسلامه عليهم وأشار الى الجائز في حقهم بقوله:

وجائز في حق كل الرسل النوم والنكاح مثل الأكل

(وجائز) عقلا وشرعا (في حق كل) الانبياء و (الرسل) عليهم الصلاة والسلام وهذا القسم وان فهم من ذكر ما يجب لهم وما يستحيل عليهم فان ما لم يكن واجب الثبوت لهم ولا واجب النفي عنهم فوجوده وعدمه جائز في حقهم لكن نبه بما ذكره لايضاح قسم الجائز عليهم صلوات

الله وسلامه عليهم (النوم) وهو رحمة من الله تعالى على عباده لتستريح ابدانهم عند تعبهم وهو غشية ثقيلة تقع على القلب تمنع لمعرفة الاشياء لكن نبينا صلى الله عليه وسلم كان تنام عينه ولا ينام قلبه بل قلبه صلى الله عليه وسلم كان ابدًا مستيقظًا متهيئًا لا يدرك ما يلقي اليه من ربه ومثل النوم مما هو جائز في حق الانبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين الجلوس والمشى والبكاء والضحك وكل ما هو من الخواص البشرية المباحة على ما هو الحق من جواز وقوع المباح منهم (والتكاح) والتسري وجماع النساء فيجوز عليهم وطء النساء بالملك بشرط كونهن مسلمات او مطلقا على المعتد ونحو ذلك (مثل الاكل) والشرب للحلال وكذا يجوز عليهم كل عرض بشري ليس بمحرم ولا مكروه ولا مباح مزر ولا مزمن ولا مما تعافه الأنفس ولا مما يؤدي الى النفرة حتى انه لا يجوز عليهم الاحتلام والحاصل انهم عليهم الصلاة والسلام من البشر وارسلوا الى البشر فظواهرهم خالصة للبشر يجوز عليها من الآفات والتنثيرات والآلام والاسقام وتجرع كأس الحمام ما يجوز على البشر مما لا تقيضة فيه فان نبينا صلى الله عليه وسلم كان يمرض ويتألم ويتشكى وكان يصيبه الحر والقر والجوع والعطش والغضب والضجر والنصب والتعب ونحو ذلك مما لا نقص عليه فيه ولا يوجب الاتصاف به نوع نفرة عند كل نبيه والله تعالى اعلم .

فصل

(في ذكر الصحابة الكرام رضي الله عنهم)

اعلم انه لما كان افضل خلق الله تعالى نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم ثم بقية اولي العزم ثم الرسل ثم الانبياء عليهم الصلاة والسلام ثم بعد الانبياء افضل البشر الصحابة رضي الله عنهم ويأتي ذكر الخلاف في التفاضل بينهم وبين الملائكة اعقب ذكر الانبياء بالصحابة حسب اصطلاح اصحابنا ومن وافقهم وبدأ بأفضلهم الامام علي التحقيق وخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتصديق الصديق الاعظم ابو بكر الصديق رضي الله عنه فقال :

(وليس في الامة بالتحقيق في الفضل والمعروف كالصديق)

(وليس في الامة) اي امة الاسلام وهم امة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قال فيها للعهد الذهني وتقدم انها افضل الامة فيكون الصديق افضل البشر بعد سائر الانبياء (بالتحقيق) الثابت المتصور والتدقيق البات المخصوص (في النضل) بجميع انواع الفضائل (و) بدل (المعروف) من مكارم الاخلاق ومحاسن الشيم (كأ) بي بكر وكان اسمه في الجاهلية عبد الكعبة كما قاله ابن عبد البر فسماه النبي صلى الله عليه وسلم عبدالله ولقبه با (لصديق) قال ابن قتيبة ولقبه النبي صلى الله عليه وسلم عتيقا لجمال وجهه وكان علي بن ابي طالب رضي الله عنه يحلف بالله ان الله تعالى انزل اسم ابي بكر رضي الله عنه من السماء الصديق فهو ابو بكر الصديق عبد الله بن عثمان بن عامر عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة ابن كعب بن ائوي بن غالب يجتمع نسبه مع نسب النبي صلى الله عليه وسلم في مرة بن كعب وأم الصديق ام الخير سلمى بنت صخر بن عمرو بن كعب بنت عم ابيه ماتت هي وأبوه ابو قحافة عثمان بن عامر بن عمرو مسلمين رضوان الله عليهم فان الصديق رضي الله عنه جاء بأبيه يوم الفتح السى النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم وتوفي بعد موت ابي بكر رضي الله عنهما في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو اول الناس ايمانا بالنبي صلى الله عليه وسلم على قول جمع من اهل العلم وفي سنن الترمذي من حديث ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال ابو بكر رضي الله عنه ألسنت اول من اسلم؟ ألسنت صاحب كذا؟ ألسنت صاحب كذا؟ الحديث وقيل : بل اول من آمن علي بن ابي طالب رضي الله عنه ونقل الحاكم اتفاق المؤرخين عليه واستكر هذا منه وقيل زيد بن حارثة وقيل خديجة وادعى الثعلبي الاجماع فيه وان الخلاف انما هو في من بعدها وصوبه كثير واستظهره البرماوي وغيره وقيل اولهم بلال بن حسامة وقيل خباب بن الارت حكاهما المسعودي وقيل خالد بن سعيد بن العاصي ونقل الماوردي في اعلام النبوة عن ابن قتيبة ان اول من آمن به ابو بكر بن اسعد العنبري ونقل ابن سبع في الخصائص عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه انه قال :

كنت اولهم اسلاما ويروى عن ابي حنيفة الامام رضي الله عنه انه قال :
 الا ورع ان يقال اول من اسلم من الرجال الاحرار ابو بكر ومن الصبيان
 علي ومن النساء خديجة ومن الموالي زيد ومن العبيد بلال وهذا من احسن
 ما قيل لجمعه الاقوال • وأسلم على يد الصديق عثمان بن عفان والزبير
 وطلحة وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن ابي وقاص •

قال الحافظ ابن الجوزي في منتخب المنتخب وهو اول من جمع
 القرآن وقا تخرجا من الشبهات واول من سمى القرآن مصحفا واول من
 سمى خليفة وأخرج الامام احمد عن ابن ابي مليكة قال : قيل لابي بكر : يا
 خليفة الله فقال : انا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم انا راض به
 واول من ولي الخلافة وابوه حي واول خليفة مات وابوه حي واول من
 اتخذ بيت المال ومناقبه رضي الله عنه لا تحصي ومزاياه وماثره لا
 تستقصى وهو افضل الصحابة وخيرهم باجماع اهل السنة فقد اجمع اهل
 السنة والجماعة على ان افضل الصحابة والناس بعد الانبياء عليهم الصلاة
 والسلام ابو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي ثم سائر العشرة ثم باقي الصحابة
 هكذا اجماع اهل الحق فأبو بكر الصديق افضل هذه الامة بعد نبيها صلى
 الله عليه وسلم لا ينازع في ذلك الا زائف وقد اخرج الامام احمد وغيره
 عن امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه قال : خير هذه الامة
 بعد نبيها ابو بكر وعمر • قال الحافظ الذهبي : هذا متواتر عن علي رضي
 الله عنه فلعن الله الرافضة ما جهلهم وقال شيخ الاسلام ابن تيمية في
 الفتاوى المصرية قد نقل عن علي رضي الله عنه من نحو ثمانين وجها خير
 هذه الامة بعد نبيها ابو بكر وعمر رضي الله عنهما وذكر نحو ذلك لابن
 الحنفية كما في البخاري والرافضة تكذبه فهم مع علي كالتصاري مع
 المسيح واليهود مع موسى عليهما السلام وأخرج الحاكم عن النزال بن
 ميسرة قال : قلنا لعلي بن ابي طالب رضي الله عنه : يا امير المؤمنين اخبرنا
 عن ابي بكر فقال : ذاك امرؤ سماه الله الصديق على لسان جبريل وعلى
 لسان محمد كان خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم رضيه لديننا
 فرضينا له لدينا اسناده جيد وأخرج الدارقطني والحاكم عن ابي دحي قال :
 لا احصي كم سمعت عليا يقول على المنبر : ان الله سمى ابا بكر على لسان

بنيه صديقا وأخرجه الطبراني بسند صحيح عن حكيم بن سعد قال : سمعت عليا يحلف بالله لأتزل الله اسم ابي بكر من السماء الصديق وقال علي رضي الله عنه في قوله تعالى : (والذي جاء بالصدق وصدق به اولئك هم المتقون) هو ابو بكر فأخرج البزار وابن عساكر ان عليا رضي الله عنه قال في تفسيرها : ان الذي جاء بالحق هو محمد والذي صدق به هو ابو بكر قال ابن عساكر : هكذا الرواية بالحق ولعلها قراءة لعلي انتهى • وقيل : انه انما سمي صديقا لانه اول من صدق بناء على انه اول من آمن ولهذا قال ابو محجن الثقفى فيه :

وسميت صديقا وكل مهاجر سواك يسمى باسمه غير منكسر
سبقت الى الاسلام والله شاهد وكنت جليسا في العريش المشهر

وأول ما اشتهر ابو بكر بهذا الاسم صبيحة ليلة الاسراء فقد أخرج الحاكم في المستدرک عن أم المؤمنين عائشة الصديقة رضي الله عنها قالت : جاء المشركون الى ابي بكر فقالوا : هل لك الى صاحبك يزعم انه أسري به الليلة الى بيت المقدس ؟ قال : اوقال ذلك ؟ قالوا : نعم وقال : لقد صدق اني لأصدقه بأبعد من ذلك بخبر السماء غدوة وروحة ولذلك سمي ابو بكر الصديق : اسناده جيد وقد ورد ذلك من حديث أنس بن مالك وابي هريرة عند ابن عساكر ومن حديث ام هانئ اخبره الطبراني وأخرج سعيد بن منصور في سننه ثنا ابو معشر عن ابن وهب مولى ابي هريرة قال : لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة اسري به فكان بذى طوى قال : يا جبريل ان قومي لا يصدقوني قال : يصدقك ابو بكر وهو الصديق واخرجه الطبراني في الاوسط موصولا عن ابن وهب عن ابي هريرة رضي الله عنه وقد اخرج عبد الله بن الامام احمد في زوايد الزهد والطبراني في الكبير عن الشعبي قال : سألت ابن عباس رضي الله عنهما اي الناس كان اول اسلاما ؟ قال : ابو بكر الصديق ألم تسمع قول حسان :

اذا تذكرت شجوا من أخي ثقة فاذكر اخاك ابا بكر بما فعلا
خير البرية اتقاها وأعدلها بعد النبي وأوفاهما بما حملا
والثاني التالي المحمود مشهده وأول الناس منهم صدق الرسلا

وأخرج ابو نعيم عن فرات بن السائب قال : سألت ميمون بن مهران قلت علي افضل أم ابو بكر وعمر ؟ قال : فارتعد حتى سقطت عصاه من يده ثم قال : ما كنت اظن اني ابقى الى زمان يعدل بهما لله درهما كانا رأس الاسلام قلت : فأبو بكر كان اول اسلاما ام علي ؟ قال : والله لقد آمن ابو بكر بالنبي صلى الله عليه وسلم زمن بحيرا الراهب حين امر به واختلف فيما بينه وبين خديجة حتى نكحها اياه وذلك كله قبل ان يواد علي • واخرج ابن اسحق عن ميسرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا يرز سمع من يناديه : يا محمد فاذا سمع الصوت انطلق هاربا فأسر ذلك الى ابي بكر وكان سديقا له في الجاهلية وفي صحيح البخاري عن ابي الدرداء رضي الله عنه قال : قل رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« هل اتمت تاركون اي صاحبي اني قلت يا ايها الناس اني رسول الله ايكم جميعا فقلتم كذبت وقال ابو بكر صدقت » •

قال الحافظ انذهبي وغيره من حفاظ الاسلام وأثبتهم : صحب ابو بكر رضي الله عنه النبي صلى الله عليه وسلم من حين اسلم الى ان توفي لم يفارقه سفرا ولا حضرا الا فيما اذن له صلى الله عليه وسلم في الخروج فيه من حج او غزو وشهد معه المشاهد كلها وهاجر معه وترك عياله وأولاده رغبة في رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو رفيقه في الغار قال تعالى :

(ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا) • وانفق ماله على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أجود الصحابة قال تعالى : (وسيجنبها الاتقى الذي يؤتي ماله) الى آخر السورة قال الحافظ ابن الجوزي : اجتمعوا انها نزلت في حق ابي بكر الصديق رضي الله عنه وأخرج الامام احمد عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما تفعني مال قط ما تفعني مال ابي بكر الصديق » فبكى ابو بكر رضي الله عنه وقال : هل انا ومالي الا لك يا رسول الله وأخرج ابو يعلى من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعا مثله قال الحافظ ابن كثير وروناه ايضا من حديث علي وابن عباس وأنس وجابر بن عبد الله وابي سعيد الخدري رضي الله عنهم واخرجه الخطيب عن سعيد بن المسيب

مرسلا وزاد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضي في مال ابي بكر كما يقضي في مال نفسه وقد اخرج ابن عساكر من طرق عن عائشة وعروة ابن الزبير ان ابا بكر رضي الله عنه اسلم يوم اسلم وله اربعون الف دينار فأنفقها على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي صحيح البخاري عن محمد ابن علي بن ابي طالب رضي الله عنهما قال : قلت لأبي اي الناس خير بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : ابو بكر قلت : ثم من ؟ قال : عمر وخشيت ان يقول عثمان قلت : ثم انت قال : ما انا الا رجل من المسلمين وفي الصحيحين عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال : قلت يا رسول الله اي الناس احب اليك ؟ قال : عائشة قلت : من الرجال ؟ قال : ابوها قلت : ثم ؟ قال : عمر بن الخطاب وقد ورد هذا الحديث بدون عمر من رواية أنس وابن عباس رضي الله عنهم واخرج ابن سعد عن الزهري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت : هل قلت في ابي بكسر شيئا ؟ قال : نعم قال : قل وانا اسمع فقتال :

وثاني اثنين في الغار المنيف وقد طاف العدي به اذ صعدا اجبالا
 وكان حب رسول الله قد علموا من البرية لم يمدل به رجلا
 فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ثم قال :
 صدقت يا حسان هو كما قلت وقد اجمع المسلمون ان المراد بقوله تعالى :
 (ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا)
 ان الصاحب المذكور هو ابو بكر وفي سنن ابي داود من حديث ابي هريرة
 رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أما انك
 يا ابا بكر اول من يدخل الجنة من أمتي » • وفي الصحيحين من حديث
 ابي سعيد رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لو
 كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت ابا بكر ولكن اخوة الاسلام » • وقد
 ورد هذا الحديث من رواية ابن عباس وابن الزبير وابن مسعود وجندب بن
 عبد الله والبراء بن عازب وكعب بن مالك وجابر بن عبد الله وأنس وابي

واقده الليثي وابي العلاء وعائشة وابن عمر رضي الله عنهم فهو من الاحاديث المتواترة واخرج الترمذي وحسنه عن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر : « انت صاحبي على الحوض وصاحبي في الغار » وأخرج عبد الله بن الامام احمد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ابو بكر صاحبي ومؤنسي في الغار » وأخرج ابن عساكر من طريق مجمع بن يعقوب الانصاري عن ابيه قال : كانت حلقة رسول الله صلى الله عليه وسلم تشبكب حتى تصير كالسوار وان مجلس ابي بكر منها لفارغ ما يطعم فيه احد من الناس فاذا جاء ابو بكر جلس ذلك المجلس وأقبل عليه النبي صلى الله عليه وسلم بوجهه وألقى اليه حديثه وسمع الناس وأخرج ابن عساكر عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « حب ابي بكر وشكره واجب على أمتي » وخرج مثله من حديث سهل بن سعد وأخرج عن عائشة رضي الله عنها مرفوعا « الناس كلهم يحاسبون الا ابا بكر » والاحاديث في فضائله كثيرة شهيرة يعسر استقصاؤها وقد اشرنا بقطرة من بحر لحي وبذرة من رمل عالج وقد افردت مناقبه بالتصنيف فدع المخادع والمعالج وبالله التوفيق .

قال الامام الحافظ ابو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي وهو من ذريته كان ابو بكر رضي الله عنه ابيض نحيفا خفيف العارضين احنالا يستمسك أزاره يسترخي عن حقويه معروق الوجه غائر العينين ناتئ الجبهة عاري الاشاجع وله من الولد عبد الله وأسماء وأمهما قتيلة وعبد الرحمن وعائشة وأمهما ام رومان ومحمد وأمه اسماء بنت عميس وأم كلثوم وأمها حبيبة بنت خارجة وهي التي قال في حقها لعائشة انما هو اخواك واختاك وتوفي الصديق رضي الله عنه وهو ابن ثلاث وستين سنة وكانت خلافته سنتين واربعة اشهر الا عشر ليال وقيل : وثلاثة اشهر وتسع ليال وغسلته زوجته اسماء بنت عميس بوصية منه رضي الله عنها وصلى عليه عمر بن الخطاب

وروي له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة حديث واثنتين واربعين
 ٧ حديثا منها في الصحيحين ثمانية عشر حديثا المتفق عليه منها ستة وانفرد
 البخاري بأحد عشر ومسلم بحديث وسبب قلة روايته رضي الله عنه انه
 تقدمت وفاته قبل انتشار الاحاديث واعتناء التابعين بسماعها وقد ذكر أمير
 المؤمنين عمر بن الخطاب في قصة بيعة الصديق انه لم يترك شيئا انزل
 في الانصار الا ذكره ولا شيئا ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم في
 شأنهم الا ذكره وهذا يدل على كثرة محفوظه من السنة وسعة علمه بالقرآن
 وقد روى عنه من الصحابة عمر وعثمان وعلي وعبد الرحمن بن عوف
 وعبد الله بن مسعود وحذيفة بن اليمان وزيد بن ثابت والبراء بن عازب
 وابو هريرة وابن عمر وابن الزبير وعبد الله بن عمرو بن العاص وابن
 عباس وأنس وابو سعيد الخدري وعتبة بن عامر الجهني وعمران بن حصين
 وابو برزة الاسلمي وجابر بن عبد الله وبلال وعائشة وأسماء رضي الله
 عنهم ومن التابعين خلائق ودفن رضي الله عنه في الحجرة الشريفة السي
 جانب النبي صلى الله عليه وسلم وكان رضي الله عنه قد اغتسل في يوم
 بارد فحم خمسة عشر يوما ومات وقيل سبب موته غير ذلك .

وبعده الفاروق من غير افترا وبعده عثمان فاترك المرا

(وبعده) اي بعد ابي بكر الصديق الاعظم اي يليه في التفضيلة أمير
 المؤمنين عمر بن الخطاب (الفاروق) سماه بهذا الاسم رسول الله صلى الله
 عليه وسلم لما أسلم لان الله فرق به بين الحق والباطل فهو عمر بن الخطاب
 ابن فضيل بن عبد العزى بن رياح بكسر الراء وبالياء التحتية فحاء مهملة
 ابن عبد الله بن قرط بضم القاف سكون الراء فطاء مهملة ابن رزاح بفتح
 الراء والزاي فحاء مهملة بعد الالف بن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب
 القرشي العدوي وأمه حنثمة بفتح الحاء المهملة فنون ساكنة فطاء مثناة
 فوقية مفتوحة فميم فطاء تأنيث بنت هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر
 ابن مخزوم وقال ابن الاثير بنت هاشم قال : وقال ويمصرف هاشم بندي
 الرحمن قال : وقال الامير ابن ماکولا ومن قال بنت هشام فقد اخطأ كذا

قال وقد قال ابن الجوزي في منتخب المنتخب : انها بنت هشام وهي اخت
ابي جهل عمرو بن هشام فأبو جهل خال عمر رضي الله عنه كنيته ابو حفص
كناه بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر لما نهى عن قتل رجال
بني هاشم فانهم انما خرجوا مكرهين فقال ابو حذيفة : والله لئن لقيت
العباس لالجمته السيف قبلخ النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فقال : « يا
ابا حفص يضرب وجه عم النبي صلى الله عليه وسلم بالسيف » فقال : والله انه
لأول يوم كفاني فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبي حفص رواه ابن
الجوزي وغيره . وانقطع في اللغة ولد الاسد وسبب تلقيبه بالفاروق ما
رواه العافق ابن الجوزي في سيرة العمرين عن ابن عباس رضي الله عنهم
قال : سألت عمر رضي الله عنه : لأي شيء سميت بالفاروق ؟ فذكر حديث
اسلامه واخرج ابو نعيم في الدلائل وابن عساکر عن ابي هريرة رضي الله
عنه قال : سألت عمر لأي شيء سميت الفاروق ؟ قال : اسلم حمزة قبلي
بثلاثة ايام وسبب اسلام حمزة ان ابا جهل اسرع الى النبي صلى الله عليه
وسلم يسبه ويؤذيه فأخبر حمزة بذلك فأخذ قوسه وعمد المسجد الى حنطة
قريش التي فيها ابو جهل فاتكئ على قوسه متناول ابي جهل فنظر ايده
فعرف ابو جهل الشر في وجهه فقال : ما لك يا ابا عمارة فرفع القوس وضربه
به فشجه فسالت الدماء فأصلحت ذلك قريش مخافة الشر وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم مختف في دار الارقم المخزومي فانطلق حمزة فأسلم
قال عمر رضي الله عنه : وخرجت بعنه بثلاثة ايام فاذا فلان المنزومي
فقلت : أرغبت انت عن دين آباءك واتبع دين محمد ؟ قال : ان فعلت فقد
فعاه من هو اعظم عليك حقا قلت : ومن ؟ قال : اختك وختنك فانطلقت
فوجدت هينة فدخلت فقلت : ماذا فما زال الكلام بيننا حتى اخذت برأس
اختي فضررته وأدميته فقامت الي اختي فأخذت برأسي وقالت : قد كان
ذلك على رغم أنك وقد ادميت رأسها فاستجيت حين رأيت الدماء فجلست
وقلت : اروني هذا الكتاب فقالت : (لا يمسه الا المطهرون) فقممت
واغتسلت فأخرجوا لي صحيفة فاذا فيها (بسم الله الرحمن الرحيم) قلت :

اسماء طيبة طاه .. فيها : (طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى - السى قوله تعالى - له الاسماء الحسنى) فعظمت في صدري وقلت : من هذا نصرت قريش فأسلمت وفي حديث انس بن مالك رضي الله عنه عند ابي يعلى والحاكم والبيهقي قال : خرج عمر متقلدا سيفه فلقيه رجل من بني زهرة فقال : الى اين تعمد يا عمر ؟ فقال : اريد ان اقتل محمدا قال : وكيف تأمن في بني هاشم وبني زهرة وقد قتلت محمدا ؟ قال : ما اراك الا وقد صبوت قال : أفلا ادك على العجب ان خنتك وأختك قد صبوا وتركا دينك فمشى عمر فأتاها وعندهما خباب فلما سمع بهجس عمر توأرى في البيت فدخل عمر فقال : ما هذه اليبسة وكانوا يقرءون طه قالا : ما عدا حديثا تحدثناه بيننا قال : فلعلكما قد صبوتهما فقال له ختنه : يا عمر ان كان الحق في غير دينك فوثب عليه عمر فوطأه وطأ شديدا فبجاعت اخته لتدفعه عن زوجها ففتحها نضحة بيده قدمي وجهها فقالت وهي غضبي : وكان الحق في غير دينك اني اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله فقال عمر : اعطوني الكتاب الذي هو عندكم فأقرأه وكان يقرأ الكتاب فقالت اخته : انك رجس وانه لا يمسه الا المطهرون فقم واغتسل او توضأ فقام وتوضأ ثم اخذ الكتاب فقرأ (طه) حتى انتهى الى (اني انا الله لا اله الا انا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري) فقال عمر : دلوني على محمد فلما سمع خباب قول عمر خرج وقال ابشر يا عمر فاني ارجو ان تكون دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الخميس « اللهم أعز الاسلام بعمر بن الخطاب او بعمر بن هشام » وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدار التي في اصل الصفا فانطلق عمر حتى اتى الدار وعلى بابها حمزة وطلحة وناس فقال حمزة : هذا عمر ان يرد الله به خيرا يسلم وان يكن غير ذلك يكن قتله علينا هينا قال : وان النبي صلى الله عليه وسلم يوحى اليه فخرج حتى اتى عمر فأخذ بمجامع ثوبه وحمائل السيف فقال : اما انت بسنته يا عمر حتى ينزل الله بك من الخزي والنكال ما انزل بالوليد بن المغيرة فقال عمر : اشهد ان لا اله الا الله وانك عبد الله ورسوله .

وفي حديث البزار والطبراني وابي نعيم والبيهقي في الدلائل عن اسلم نحوه وفيه فكبر المسلمون تكبيرة سمعت بفجاج مكة فجت خالي ابا جهل بن هشام وكان شريفا ففرعت عليه الباب فقال : من هذا ؟ قلت : ابن الخطاب وقد صبوت قال : لا تفعل ثم دخل وأجاف الباب دوني • وفي حديث ابن عباس عند ابي نعيم في الدلائل وابن عساكر فقلت : يا رسول الله ألسنا على الحق ؟ قال : بلى قلت : ففيم الاختفاء فخرجنا صنفين انا في احدهما وحمزة في الآخر حتى دخلنا المسجد فنظرت قريش الي والى حمزة فأصابتهم كآبة شديدة فسماني رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاروق يومئذ وفرق بين الحق والباطل وأخرج ابن سعد عن ذكوان قال : قلت لعائشة رضي الله عنها من سمى عمر الفاروق ؟ قالت : النبي صلى الله عليه وسلم وأخرج ابن ماجه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما اسلم عمر نزل جبريل فقال : يا محمد لقد استبشر اهل السماء باسلام عمر وأخرج البزار والحاكم وصححه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما اسلم عمر قال المشركون : قد انتصف القوم اليوم منا وأنزل الله تعالى : (يا ايها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين) وأخرج البخاري وغيره عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : ما زلنا اعزة منذ اسلم عمر وأخرج ابن سعد عنه ايضا قال : كان اسلام عمر فتحا وكانت هجرته نصرا وكانت امامته رحمة ولقد رأيتنا وما نستطيع ان نصل الى البيت حتى اسلم عمر قاتلهم حتى تركوا سيبلنا وقال حذيفة : لما اسلم عمر كان الاسلام كالرجل المقبل لا يزداد الا قوة ولما قتل كان الاسلام كالرجل المدبر لا يزداد الا بعدا وكان اسلام امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه في السنة السادسة من البعثة بوعمره يومئذ سبع وعشرون سنة وكان اسلامه بعد تسعة وثلاثين رجلا او اربعين او خمسة واربعين واحدى عشرة امرأة ففرح المسلمون باسلامه وظهر الاسلام بمكة عقب اسلامه •

وقد وردت الاحاديث الكثيرة والاخبار الشهيرة بفضائله ففي الصحيحين عن سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه

وسلم « يا ابن الخطاب والذي نفسى بيده ما ليك الشيطان سالكا فجا الا
سلك فجا غير فبكك » وفي صحيح البخارى عن ابى هريرة رضى الله عنه
قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لقد كان فى من كان قبلكم
من الامم محدثون فان يكن فى أمتى احد فانه عمر » اى ملهمون •
واخرجه مسلم ايضا من حديث عائشة رضى الله عنها ولفظه قالت قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم « قد كان يكون فى الامم محدثون فان يكن
فى أمتى أحد فعمر بن الخطاب » ورواه الترمذى وقال حديث حسن
صحيح • قال ابن عيينة محدثون أى مفهمون • وقال ابن وهب تفسير محدثون
ملهمون • واخرج الترمذى عن ابن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال « ان الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه » قال
ابن عمر وما نزل بالناس أمر قط فقالوا وقال الانزل القرآن على نحو ما
قال عمر • واخرج الترمذى ايضا عن عقبه بن عامر رضى الله عنه قال : قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم « لو كان بعدى نبي لكان عمر » واخرج
من حديث عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « انى لأنظر
الى شياطين الجن والانس فروا من عمر » وفى الصحيحين والترمذى
والنسائى عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول « بينا انا نائم رأيت الناس يعرضون عليهم قمص فمنها
ما يبلغ التدى ومنها ما يبلغ دون ذلك وعرض على عمر بن الخطاب وعليه
قميص يجره - قالوا فما اولته يا رسول الله ؟ قال : الدين ، وفى الصحيحين
وغيرهما من حديث ابى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم « بينا انا نائم رأيتنى فى الجنة فاذا امرأة تتوضأ الى جانبى
قصر فقلت لمن هذا ؟ قالوا : لعمر ، فذكرت غيرته فوليت مدبرا » فسكى
عمر رضى الله عنه وقال عليك أغار يا رسول الله ؟ وفى الترمذى عن أنس
رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال « دخلت الجنة فاذا أنا
بقصر من ذهب فقلت لمن هذا قالوا لشاب من قريش ، فظننت انى انا هو
قالوا : عمر بن الخطاب » وقد قال ابو بكر الصديق رضى الله عنه ما على
وجه الارض احد احب الى من عمر • اخرجه ابن عساكر وقيل لابى بكر

ماذا تقول لربك وقد وليت عمر ؟ قال أقول له وليت عليهم خيرهم •
اخرجه ابن سعد • وقال على رضى الله عنه اذا ذكر الصالحون فحى هلا
بعمر ، ما كنا نعد ان السكينة لا تنزل الا على لسان عمر • اخرجه الطبرانى
فى الاوسط (١) وقال ابن مسعود رضى الله عنه لو ان علم عمر وضع فى
كفة ووضع علم احياء الارض فى كفة لرجح علم عمر ، ولقد كانوا يرون
انه ذهب بتسعة اعشار العلم • اخرجه الطبرانى فى الكبير والحاكم • وقال
حذيفة رضى الله عنه : والله ما اعرف رجلا لا تأخذه فى الله لومة لائم
الا عمر • وعلى كل حال فأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه بعد
الصدىق الاعظم افضل هذه الامة ((من غير افتراء)) أى من غير كذب يقال
فرى يفرى فريا وافترى يفتري افتراء أى كذب فهو افتعال منه وفى الآية
الكريمة (ولا يأتين بهتان يفتريه) وفى الحديث « من أفرى الفرى ان
يرى الرجل عينه ما لم تريا » فالفرى جمع فرية وهى الكذبة وافرى افعل
منه للتفضيل وتقديم الكلام على ذلك فى الكلام على الحوض عند قوله :
(عنه ينادى المقتري كما ورد) ولما كان الحكم بأفضلية ابى بكر ثم عمر
الفاروق رضى الله عنهما بالنص والاجماع صرح بقوله من غير افتراء اشارة
لرد قول الخطابية الزاعمين بأن عمر رضى الله عنه افضل الخلفاء وهذا
الزعم بالنسبة للصدىق زور وافتراء وكذب وضلال من زاعميه ، نعم
بالنسبة الى من بعد الصدىق حق لا مرية فيه ، وكذلك فيه اشارة الى رد
قول الراوندية فى زعمهم ان افضل الصحابة العباس بن عبد المطلب رضى
الله عنه ، والرد على الشيعة فى زعمهم ان افضلهم على رضى الله عنه كما
يأتى الكلام عليه قريبا •

وقد اخرج الحاكم فى الكنى وابن عدى فى الكامل والخطيب فى
تاريخه عن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال « أبو بكر وعمر خير الاولين والآخريين وخير أهل السموات وخير
أهل الارض الا النبيين والمرسلين » • واخرج الترمذى عن ابى سعيد

(١) كذا والذى فى الاوسط كما فى مجمع البحرين وغيره « ما كنا نعد
اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم - ان السكينة تنطق على لسان عمر
فى غضبه ورضاه »

الخدري رضى الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « ما من نبي الا وله وزيران من اهل السماء ووزيران من اهل الارض فأما وزيراي من اهل السماء فجبربل وميكائيل واما وزيراي من اهل الارض فأبو بكر وعمر » واخرج الامام احمد والترمذي عن علي رضى الله عنه وابن ماجه عنه ايضا وعن ابي جحيفة رضى الله عنه وابو يعلى فى مسنده والضياء فى المختارة عن أنس والطبراني فى الاوسط عن جابر وعن ابي سعيد الخدري رضى الله عنهم اجمعين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « هذان سيدا كهول اهل الجنة من الاولين والاخرين الا النبيين والمرسلين » يعنى أبا بكر وعمر رضى الله عنهما • وفى الباب عن ابن عباس وابن عمر رضى الله عنهم • وهاجر عمر رضى الله عنه الى المدينة جهرا وذلك انه تقلد سيفه واخذ بيده اسهما واتى الكعبة واشراف قريش بفنائها فطاف سبعا ثم صلى ركعتين عند المقام ثم أتى حلقهم واحدة واحدة فقال شأهت الوحوه من أراد تنكله أمه ويتم ولده وترمل زوجته فليقنى وراء هذا الوادى • فما تبعه منهم أحد • وشدة عمر وشجاعته لا تخفى حتى أنه وصف فى التوراة بأنه قرن من حديد ، شهد المشاهد كلها وكان شديدا على الكفار والمنافقين ، ومناقبه كثيرة وفضائله شهيرة وقد وافق ربه فى عدة احكام ماثورة وموافقات فى الآيات القرآنية مخبورة •

ولى الخلافة بعهد من خليفة رسول الله الصديق الاكبر ابي بكر رضى الله عنه يوم توفى وذلك يوم الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة فقام بالامر أتم قيام ، وكثرت الفتوحات فى أيامه ففى سنة اربع عشرة فتحت دمشق بين الصلح والعتوة ، وحمص وبعلبك صلحا ، وأيلة عتوة ، وفيها جمع الناس على صلاة التراويح ، وفى الخامسة عشرة فتحت الاردن عتوة الاطيرية فانها فتحت صلحا ، وفيها كانت وقعة اليرموك والقادسية ، وفيها حاصر عمرو مصر ومصر سعد الكوفة ، وفيها فرض عمر الفروض ودون الدواوين واعطى العطايا ، وفى السادسة عشرة فتحت الاهواز والمدائن ، وأقام بها سعد الجمعة فى ابوان كسرى وهى اول جمعة جمعت بالعراق ، وفيها كانت وقعة جلولا وهرمز ويزدجرد بن كسرى

وتقهقر الى الري وفيها فتحت تكريت ، وفيها سار بنفسه رضى الله عنه
ففتح بيت المقدس صلحا وخطب بالجابية خطبته المشهورة ، وفيها فتحت
قنشرين عنوة ، وحلب وانطاكية ومنبج صلحا ، وفيها كتب التاريخ فى ربيع
الاول من الهجرة بمشورة على رضى الله عنه ، وفى السابعة عشرة زاد عمر
رضى الله عنه فى المسجد النبوى ، وفيها كان القحط بالحجاز فسمى عام
الرمادة واستسقى عمر بالعباس فأخذ عمر رضى الله عنه بيد العباس رضى
الله عنه ثم رفعها فقال اللهم انا نستشفع اليك بعم نبيك صلى الله عليه وسلم
ان تذهب عنا المحل وان تسقينا الغيث ، فلم يرحوا حتى سقوا فاطبقت السماء
عليهم اياما ، وفى الثامنة عشرة فتحت جند يسابور صلحا وحلوان عنوة ،
وفيها وقع طاعون عمواس ، وفيها فتحت الرها وشميساط وحران ونصيبين
وطائفة من الجزيرة عنوة ، وكذا الموصل ونواحيها ، وفى سنة تسع عشرة
فتحت قيسارية ، وفى سنة عشرين فتحت مصر عنوة وقيل صلحا ،
واسكندرية عنوة ، والمغرب كله عنوة ، وفيها فتحت تستر ، وفيها هلك
قيصر ملك الروم ، وفيها اجلى عمر اليهود عن خيبر وعن نجران وقسم
خيبر ووادى القرى ، وفى سنة احدى وعشرين فتحت نهاوند عنوة ولم
يكن للاعاجم بعدها جماعة ، وفى سنة اثنتين وعشرين فتحت كـرمان
وسجستان ومكران من بلاد الجبل واصبهان ونواحيها . وفى آخرها كانت
وفاة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه وذلك بعد رجوعه من
الحج ، قال ابن المسيب لما نفر عمر من منى اتاخ بالابطح ثم استلقى ورفع
يديه الى السماء وقال اللهم كبرت سنى وضعفت قوتى وانتشرت رعيتى
فأقبضنى اليك غير مضيع ولا مفرط ، فما انسلخ ذو الحجة حتى قتل شهيدا
وكان قال له كعب الاحبار : انى-اجدك فى الكتاب الاول تقتل شهيدا
فقال وأنى لى بالشهادة فى جزيرة العرب ثم قال عمر رضى الله عنه اللهم
ارزقنى شهادة فى سبيلك واجعل موتى فى بلد نبيك وكان قد قال فى خطبته
رأيت كأن ديكاً نقرنى نقرة او نقرتين وانى لأراه حضور اجلى وان قوما
يأمرونى ان استخلف وان الله لم يكن ليضيع دينه ولا خلافته فان عجل
بى أمر فالخلاقة شورى بين هؤلاء الستة الذين توفى رسول الله صلى الله

عليه وسلم وهو عنهم راض . قال الزهري كان عمر رضى الله عنه لا يأذن لكافر قد احتلم فى دخول المدينة حتى كتب المغيرة بن شعبة وهو على الكوفة يذكر له غلاما عنده صنائع يستأذنه ان يدخل المدينة ويقول ان عنده اعمالا كثيرة فيها منافع للناس وانه حداد ونقاش ونجار فاذن له ان يرسله الى المدينة وضرب عليه المغيرة مائة درهم فى كل شهر فجاء الى عمر يشتكى شدة الخراج فقال له ما خراجك بكثير فانصرف ساخطا ثم قال له عمر رضى الله عنه ألم اخبر انك تقول لو اشاء لصنعت رحي تطحن بالريح فالتفت الى عمر عابسا وقال لاضعن لك رحي يتحدث الناس بها فلما ولى قال لاصحابه اوعدنى العبد وهو ابو لؤلؤة ثم انه الخبيث اشتمل على خنجر ذى رأسين نصابه فى وسطه فكمن فى زاوية من زوايا المسجد فى الغلس فلم يزل هناك حتى خرج عمر يوقظ الناس للصلاة فلما دنا منه طعنه ثلاث طعنات كما اخرجته الحاكم وطعن معه اثني عشر رجلا مات منهم ستة فألقى عليه رجل من أهل العراق ثوبا فلما اغتم فيه قتل نفسه - قال ابو رافع كان ابو لؤلؤة عبدا للمغيرة يصنع الارحاء - وحمل عمر رضى الله عنه الى أهله وكادت تطلع الشمس فصلى عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه بالناس بأقصر سورتين وأتى عمر بنبيذ فشربه فخرج من جرحه فلم يتبين فسقوه لبنا فخرج ثانيا فقالوا لا بأس عليك فقال ان يكن فى القتل بأس فقد قتلت فجعل الناس يشنون عليه ويقولون كنت وكنت فقال اما والله وددت انى خرجت منها كفافا لا على ولا لى وان صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمت لى فأتى عليه ابن عباس فقال لو ان لى طلاع الارض ذهابا لاقتديت به من هول المطلاع وقد جعلتها شورى فى عثمان وعلى وطلحة والزبير وعبد الرحمن وسعد وأجلهم ثلاثة أيام ، وقال يشهد عبد الله بن عمر معهم وليس له من الامر شىء فان اصاب الامرة سعدا فهو ذاك والا فليستن به أيكم ما أمر فأتى لم اعزله من عجز ولا خيانه وأمر صهيا أن يصلى بالناس .

قال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما كان ابو لؤلؤة مجوسيا وكان اسمه فيروز . وقال عمر رضى الله عنه الحمد لله الذى جعل منيتى بيد رجل لا يدعى الاسلام . وكانت اصابته يوم الاربعاء لاربع بقين من ذى الحجة سنة

ثلاث وعشرين ودفن يوم الاحد وصح (١) ان الشمس كسفت يوم موته وناحت الجن عليه • ثم قال عمر رضی الله عنه لابنه عبد الله رضی الله عنه انظر ما على من الدين ، فحسبوه فوجدوه ثلاثين الفا أو نحوها فقال ان وفي مال آل عمر أده من أموالهم والا فاسأل في بنى عدى فان لم تق أموالهم فاسأل في قريش ، واذهب الى أم المؤمنين عائشة وقل يستأذن عمران يدفن عند صاحبيه ، فذهب اليها فقالت كنت أريده - تعنى المكان - لنفسى والله لأؤثرنه اليوم على نفسى فأتى عبد الله فقال قد أذنت فحمد الله تعالى ثم قال رضی الله عنه اوصى الخليفة من بعدى بتقوى الله تعالى وأوصيه بالمهاجرين والانصار واوصيه بالامصار خيرا فلما توفي رضی الله عنه صلى عليه صهيب في المسجد وخرج الناس يمشون وعبد الله امامهم فسلم عبد الله وقال عمر يستأذن فقالت عائشة رضی الله عنها ادخله فأدخل فوضع هناك مع صاحبيه • رضی الله عن ابى بكر وعمر وصلوات الله وسلامه على رسوله وحبيبه محمد صلى الله عليه وسلم • روى الامير المؤمنين من الاحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسمائة وسبعة وثلاثون حديثا أخرج له في الصحيحين منها احد وثمانون اتفاقا على ستة وعشرين وانفرد البخارى بأربعة وثلاثين ومسلم بأحد وعشرين •

(تبيينه)

اعلم ان خلافة سيدنا عمر بن الخطاب أمير المؤمنين رضی الله عنه مرتبة ولازمة لحقية خلافة الصديق الاعظم أبى بكر رضی الله عنه وقد قام الاجماع واشارات الكتاب والسنة على حقية خلافته فما ثبت للاصل الذى هو الصديق من حقية الخلافة يثبت لفرعه الذى هو عمر بن الخطاب فيها فلا مطمع لاحد من فرق الضلال فى الطعن والنزاع فى حقية الخلافة وقد علم أهل العلم علما باتا ضروريا ان الصحابة الكرام اجمعوا على تولية الصديق الخلافة ومن شذ لا يقدر فى ذلك من غير مزية فقد أخرج الحاكم وصححه عن ابن مسعود رضی الله عنه قال « ما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن وما رآه المسلمون سيئا فهو عند الله سيء » وقد رأى

تبيينه خلافة
الفاروق تبع
خلافة الصديق

(١) كذا ولم يكن الوقت وقت كسوف وفى الصحيحين وغيرهما قول النبى صلى الله عليه وسلم فى الشمس والقمر انهما « لا يكسفان موت أحد ولا حياته »

الصحابه رضى الله عنهم ان يستخلف ابو بكر « فهذا صح عن ابن مسعود رضى الله عنه وهو من اكابر الصحابة وفقهائهم ومتقدميهم فحكى الاجماع عن الصحابة على خلافة ابي بكر ولذلك كان هو احق بها عند جميع اهل السنة والجماعة في كل عصر ومصر وكذلك عند المعتزلة وأكثر فرق الامة على انه احق بها من جميع الصحابة روى البيهقي عن الزعفراني قال سمعت الشافعي رضى الله عنه يقول : أجمع الناس على خلافة ابي بكر رضى الله عنه وذلك انه اضطرب الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجدوا تحت اديم السماء خيرا من ابي بكر فولوه رقابهم • وأخرج أسد السنة عن معاوية بن قرة قال : ما كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكون ان ابا بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وما كانوا يسمونه الا خليفة رسول الله • وما كانوا يجتمعون على خطأ ولا على ضلالة . وقد ثبت في الصحيحين وغيرهما مما بلغ التواتر وعلم من الدين بالضرورة ان أمير الميرمين علي بن ابي طالب رضى الله عنه بايعه واعتذر اليه عن تأخره لعدم مشورته وان له حقا في الشورى حتى ان سيدنا عليا رضى الله عنه بايع ابا بكر على المنبر لازالة شبهة التخلف وفرح الناس بذلك . والنصوص المشيرة الى خلافة الصديق كثيرة .

ومن أعظم فضائل الصديق وأتم فراسته على التحقيق وأكمل نصحه لهذا الدين القويم استخلافه أمير المؤمنين عمر الفاروق لما حصل به من عموم النفع وفتح البلاد وظهور الاسلام الظهور التام وقمع اهل الكفر وعبدة الأصنام فان ابا بكر الصديق رضى الله عنه لما نقل به المرض دعا عبد الرحمن بن عوف فقال أخبرني عن عمر بن الخطاب فقال ما تسألني عن أمر أنت أعلم به مني ، فقال أبو بكر وان كان ، فقال عبد الرحمن هو والله أفضل من وراءك ورأيك فيه أتم رأيي ، فدعا عثمان بن عفان فقال أخبرني عن عمر فقال أنت أخبرنا به ، وقال لعلي كذلك فقال علمك في ذلك ؟ فقال للصديق : علمي به ان سريرته خير من علانيته وانه ليس فينا مثله ، وشاور معهما زيدا وأسيد بن حضير وغيرهما من المهاجرين والأنصار فقال اللهم علمه الخير (٩) ثم دعا عثمان فكتب عهده لعمر ثم أمر بالكتاب فحتمه ثم أمر عثمان فخرج بالكتاب مختوما فبايع الناس ورضوا به ثم دعا أبو بكر

رضى الله عنه عمر خاليا فأوصاه بما أوصاه ثم خرج من عنده فرفع أبو بكر يديه فقال اللهم اني لم أرد بذلك الا اصلاحهم وخفت عليهم الفتنة فعملت فيهم ما أنت أعلم به واجتهدت لهم رأبي فوليت عليهم خيراهم وأقواهم عليهم وأحرصهم على ما يرشدهم وقد حضرني من أمرك ما حضرني فأخلفني فيهم فهم عبادك ونواصيهم بيدك أصلح ولايته واجعله من خلائفك الراشدين وأصلح له رعيته • وقد قال ابن مسعود أفرس الناس ثلاثة أبو بكر استخلف عمر وصاحبة موسى حين قالت استأجره ، والعزير حين تفرس في يوسف فقال لامرأته أكرمي مثواه • وأخرج ابن عساکر عن يسار بن حمزة^(١) قال لما نقل أبو بكر أشرف على الناس من كوة فقال أيها الناس اني قد عهدت عهدا أفترضون به ؟ فقال الناس رضينا يا خليفة رسول الله فقام علي رضي الله عنه فقال : لا نرضى الا أن يكون عمر ، قال انه عمر ، رضي الله عنهم أجمعين •

((وبعده)) أي بعد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أي يليه في الأفضلية أمير الميرمين أبو عمرو وأبو عبد الله ذو النورين ((عثمان)) ابن عفان بن أبي العاص واسمه الحارث بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب القرشي الاموي ، قال ابن الاثير يقال كان يكنى في الجاهلية أبا عمرو فلما ولدت له رقية رضي الله عنها بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله اكتنى به وأمه أروى وأمها أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب عمه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو أروى أم عثمان كريب بن ضم الكاف وفتح الراء فزاي مصغر كرز وهو كريب بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس • ولد عثمان رضي الله عنه في السنة السادسة من الفيل وأسلم قديما على يد الصديق الاعظم قبل دخول النبي صلى الله عليه وسلم دار الارقم وهاجر الهجرتين الى الحبشة وتزوج رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل البعثة ماتت عنده في الثانية من الهجرة عند رجوع النبي صلى الله عليه وسلم من غزوة بدر العظمى ولم يشهد عثمان رضي الله عنه بدرًا لتخلفه باذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليمرض رقية رضي الله عنها فجاء البشير بنصر المؤمنين عند دفنها فضرب له رسول الله

عثمان النورين

(١) لعله « عن سيار ابن حمزة » وهو من اتباع التابعين

صلى الله عليه وسلم بسهمه وأجره ، ولما ماتت رقية زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم أختها أم كلثوم وتوفيت عنده أيضا سنة تسع من الهجرة ، قال العلماء ولا يعرف أحد تزوج بنتي نبي غيره ولذلك سمي بندي النورين فهو من السابقين الأولين وأول المهاجرين وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة وأحد الستة الذين توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض وأحد الصحابة الذين جمعوا القرآن ، ومر أن الصديق جمعه أيضا وإنما تميز عثمان بجمعه في المصحف على هذا الترتيب اليوم ، واستخلفه النبي صلى الله عليه وسلم على المدينة في غزوة ذات الرقاع ، وكان رضى الله عنه ذا جمال مفرط ، روي له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة حديث وستة وأربعون حديثا ، وروى عنه من الصحابة زيد بن خالد الجهني وابن الزبير والسائب بن يزيد وأنس بن مالك وزيد بن ثابت وسلمة بن الأكوع وأبو امامة وأبو قتادة وأبو هريرة وغيرهم رضى الله عنهم وخلائق من التابعين . وأخرج ابن سعد عن عبد الرحمن بن حاطب قال ما رأيت أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا حدث أتم حديثا ولا أحسن من عثمان بن عفان رضى الله عنه إلا أنه كان رجلا يهاب الحديث . وأخرج عن محمد بن سيرين قال كان أعلمهم بالمناسك عثمان وبعده ابن عمر رضى الله عنهم . وأخرج ابن عساکر أن عثمان رضى الله عنه كان رجلا ربعة ليس بالقصير ولا بالطويل أبيض مشربا بحمرة بوجهه نكتات جدري كبير اللحية عظيم الكراديس بعيد ما بين المنكبين جزل الساقين طويل الذراعين شعره قد كسا ذراعيه جعد الرأس أصلع أحسن الناس ثغرا جمته أسفل من أذنيه يخضب بالصفرة وكان قد شد أسنانه بالذهب . وقال بعضهم رأيت عثمان فما رأيت قط ذكرا ولا أنثى أحسن وجها منه . وأخرج ابن عدي عن عائشة رضى الله عنها قالت لما زوج النبي صلى الله عليه وسلم بنته أم كلثوم لعثمان قال لها « ان بعلك أشبه الناس بجذك ابراهيم وأبيك محمد » صلى الله عليه وسلم . وأخرج ابن عدي أيضا وابن عساکر عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنا لتشبه عثمان بأبينا ابراهيم » . وأخرج الشيخان عن عائشة رضى الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم جمع ثيابه حين دخل عثمان

وقال : « ألا استحيى من رجل تستحيى منه الملائكة » وأخرج البخارى أن عثمان رضى الله عنه حين حوصر أشرف عليهم وقال أنشدكم الله ولا أنشد الا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ألستم تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من جهز جيش العسرة فله الجنة فجهزتهم ؟ ألستم تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حفر بئر رومة فله الجنة فحفرتها ؟ فصدقوه بما قال • وبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه بيساره فكانت يسار رسول الله صلى الله عليه وسلم لعثمان خيرا من يمين نفسه • وأخرج الترمذى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال ذكر النبى صلى الله عليه وسلم فتنة فقال يقتل فيها هذا مظلوما - لعثمان قال الترمذى حديث حسن غريب من هذا الوجه • وأخرج أبو نعيم عن ابن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : عثمان أحيا أمتي وأكرمها . وأخرج عن أبي امامة رضى الله عنه مرفوعا : ان أشد هذه الامة بعد نبيها حياء عثمان بن عفان • وأخرج الطبرانى عن أنس رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ان عثمان لأول من هاجر بأهله الى الله بعد لوط » وأخرج الامام أحمد والترمذى وابن ماجه والحاكم عن عائشة رضى الله عنها ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لعثمان يا عثمان ان الله - وفي لفظ لعل الله - مقمصك - وفي لفظ يقمصك - قميصا فان أرادوك (على) خلعه فلا تخلعه حتى يخلعوه - وفي لفظ - فلا تخلعه حتى تلقاني • وأخرج الترمذى عن أبي سهلة قال سمعت عثمان رضى الله عنه يقول يوم الدار : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد الى عهدا فأنا ممثله له وصابره عليه ان شاء الله فصر حتى قتل رضى الله عنه شهيدا • قال الترمذى هذا حديث حسن صحيح • وأخرج الترمذى عن طلحة بن عبيد الله وقال غريب وابن ماجه عن أبي هريرة مرفوعا « لكل نبى رفيق فى الجنة ورفيقي فيها عثمان » وأخرج الترمذى وقال حسن صحيح وابن ماجه والحاكم وصححه عن أبي الأشعث الصنعاني ان خطباء قامت بالشام وفيهم رجال من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام آخرهم رجل يقال له مرة بن كعب فقال لولا حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قمت وذكر الفتن فقربها ومر رجل مقنع فى ثوب فقال « هذا يومئذ على الهدى »

فقلت اليه فاذا هو عثمان بن عفان فأقبلت عليه بوجهه فقلت هذا؟ قال نعم
فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم انه مظلوم وانه يومئذ على الهدى .
وأما ذكر خلافته رضى الله عنه فتقدم ان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب
رضى الله عنه جعلها شورى بين الستة الذين توفي رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو عنهم راض فلما فرغ الناس من دفن عمر رضى الله عنه
اجتمع هؤلاء الرهط فقال عبد الرحمن بن عوف اجعلوا أمركم الى ثلاثة
منكم فقال الزبير قد جعلت أمري الى علي ، وقال سعد قد جعلت أمري الى
عبد الرحمن ، وقال طلحة قد جعلت أمري الى عثمان . فقال عبد الرحمن
ابن عوف أنا لا أريدها فأيكما يبرأ من هذا الامر ونجعله اليه والله عليه
والاسلام لينظر أفضلهم في نفسه وليحرص على صلاح الامة فسكت
الشيخان علي وعثمان ، فقال عبد الرحمن اجعلوه اليي والله علي ان لا آلوكم
عن أفضلكم ، قالا نعم ، فخلا بعلي وقال له لك من القدم في الاسلام والقراية
من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قد علمت الله عليك لئن أمرتك
لتعدلن ولئن أمرت عليك لتسمعن ولتطيعن ؟ قال نعم ، ثم خلا بالآخر فقال له
كذلك فلما أخذ ميثاقهما بايع عثمان وبايعه علي وكانت مبايعته بعد موت
عمر بثلاث ليال وكان عبد الرحمن بن عوف قبل أن يتخلى عنها أحد قد
خلا بعثمان فقال له فان لم نبايعك فمن تشير علي ؟ قال : علي ، وقال لعلي
ان لم نبايعك فمن تشير علي ؟ قال : عثمان ، ثم دعا الزبير فقال ان لم
نبايعك فمن تشير علي ؟ قال : علي أو عثمان ، ثم دعا سعدا فقال له من
تشير علي ؟ فأما أنا وأنت فلا تريدها فقال : عثمان ، ثم استشار عبد الرحمن
أعيان المهاجرين والانصار فرأى هوى أكثرهم عثمان فبايعوه جميعا فثبتت
بيعة عثمان باجماع الصحابة عليها ولهذا قال ((فاترك المرا)) أي الجدل
والشك قال في القاموس : المرية بالضم والكسر الشك والجدل يقال ماراه
مماراة ومراء وامترى فيه وتمارى شك وفي الحديث « لا تماروا في القرآن
فان مراء فيه كفر » المراء والجدل والتماري والمماراة المجادلة على مذهب
الشك والريبة كما في نهاية ابن الاثير وتقدم ، فان أمير المؤمنين علي بن أبي
طالب رضى الله عنه من جملة من بايعه وقد غزا معه وكان يقيم الحد بين
يديه كما أخبر بذلك عن نفسه رضوان الله عليه ، وخلافة عثمان فرع عن

خلافة عمر التي هي فرع عن خلافة الصديق رضوان الله تعالى عليهم
أجمعين ، واستشهد عثمان بن عفان رضى الله عنه في داره سنة خمس وثلاثين
في أواسط أيام التشريق ، وصلى عليه الزبير وكان أوصى اليه ودفن في حش
كوكب بالبقيع وهو أول من دفن به والحش بالحاء المهملة والشين المعجمة
البستان وضم الحاء أجود من كسرهما وكوكب رجل من الانصار . وولى
الخلافة احدى عشرة سنة واحد عشر شهرا وثلاثة عشر يوما ومدة حصاره
في داره الى أن قتل سبعة وأربعون يوما وقيل شهران وعشرون يوما
واستشهد وهو يومئذ صائم ، وهذا يؤيد كون قتله بعد أيام التشريق أو
قبلها فقد قيل كان قتله لثمان عشرة خلت من ذى الحجة أو لسبع عشرة
وقيل لثمان خلون منه يوم التروية وقيل لليلتين بقيتا منه وقدم في جامع
الاصول وفي الزهر البسام انه قتل في ثمانية عشر من ذى الحجة . واختلف
في من باشر قتله فقال كثير انه لا يعرف قاتله وقيل الاسود التجيبي من
أهل مصر وقيل جبلة بن الايهم من مصر أيضا وقيل سودان بن حمران
وقيل رومان اليماني ، وقيل سواد بن رومان ، وقيل رومان بن سرحان رجل
أزرق قصير وقيل قتله رجل من أهل مصر يقال له حمار أزرق أشقر
وقيل قتله اثنان وقيل غير ذلك وله يومئذ من العمر اثنان وثمانون سنة
وقيل ثمان وثمانون وقيل تسعون ، ويروى انه كان المصحف بين يديه يقرأ
فيه فوفقت قطرة من دمه أو قطرات على قوله تعالى (فسيفككم الله وهو
السميع العليم) وأخرج الحاكم عن الشعبي رحمه الله قال ما سمعت من
مراثي عثمان أحسن من قول كعب بن مالك رضى الله عنه :

فكف يديه ثم أغلق بابه وأيقن ان الله ليس بغافل
وقال لأهل الدار لا تقتلوهم عفا الله عن كل امرئ لم يقاتل
فكيف رأيت الله صب عليهم ال مداوة والبغضاء بعد التواصل
وكيف رأيت الخير أدبر بعده عن الناس اذ بار الرياح الجوافل

وأخرج الامام أحمد عن المغيرة بن شعبة رضى الله عنه انه دخل على
عثمان رضى الله عنه وهو محصور فقال انك امام الصامة وقد نزل بك
ما ترى واني أعرض عليك خصالا ثلاثا اختر احدها ان تخـرج
فتقاتلهم فان معك عددا وقوة وأنت على الحق وهم على الباطل ، واما أن

تخرق لك بابا سوى الباب الذي هم عليه فتقع على رواحلك فتلحق بمكة فانهم لن يستحلوك وأنت بها ، واما ان تلحق بالشام فان أهل الشام فيهم معاوية . فقال عثمان رضى الله عنه فاما أن أخرج فأقاتل فلن أكون أول من خالف رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمته بسفك الدماء ، واما أن أخرج الى مكة فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يلحد رجل من قريش بمكة يكون عليه نصف عذاب العالم » فلن أكون أنا ، واما أن ألحق بالشام فلن أفارق دار هجرتي ومجاورة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأخرج ابن عساكر عن أبي ثور الفهمي^(١) قال دخلت على عثمان وهو محصور فقال لقد اختبأت عند ربي عشرا اني لرابع أربعة في الاسلام وأنكحني رسول الله صلى الله عليه وسلم ابتسه ثم توفيت فأنكحني الاخرى وما تغنيت وما تمنيت ولا وضعت يميني على فرجي منذ بايعت بها حبيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا مرت بي جمعة منذ أسلمت الا وأنا أعتق فيها رقبة الا أن لا تكون عندي فاعتقها بعد ذلك ولا سرقت في جاهلية ولا اسلام ولا زينت في جاهلية ولا اسلام ولقد جمعت القرآن في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم . ويضم الى هذه العشرة تجهيزه جيش العسرة فقد قال صلى الله عليه وسلم لما جاءه بالمال وكان ألف دينار فثرها في حجره صلى الله عليه وسلم « ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم » مرتين رواه الترمذي وقال حديث حسن . ويضم اليها أيضا ما أخرجه الترمذي وحسنه والنسائي عن ثمامة بن حزن القشيري قال شهدت يوم الدار حين أشرف عليهم عثمان رضى الله عنه فقال اتنوني بضاحيكم اللذين ألبا علي فجيء بهما فقال أشدكم بالله والاسلام - زاد رزين ولا أشد الا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم - هل تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وليس بها ماء يستعذب الا بئر رومة فقال صلى الله عليه وسلم من يشتريها ويجعل دلوه فيها مع دلاء المسلمين بخير له منها في الجنة فاشتريتها من مالي وأنا اليوم أمنع أن أشرب منها حتى أشرب من ماء الملح ؟ قالوا اللهم نعم . قال أشدكم الله والاسلام أتعلمون ان المسجد ضاق بأهله فقال صلى الله عليه وسلم من يشتري بقعة

(١) في الاصلين « التميمي خطأ »

آل فلان فيزيدها في المسجد بخير له منها في الجنة فاشتريتها من صلب
مالي وأنا اليوم أمنع ان أصلى فيه ركعتين؟ قالوا اللهم نعم • قال وأنشدكم
بالله هل تعلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من جهز جيش
السيرة وجبت له الجنة وجهزته؟ قالوا اللهم نعم • قال وأنشدكم بالله
هل تعلمون اني كنت على ثبير مكة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأبى بكر وعمر فتحرك الجبل حتى تساقطت حجارته بالحضيض فركضه
رسول الله صلى الله عليه وسلم برجله وقال اسكن ثبير فانما عليك نبي
وصديق وشهيد • قالوا اللهم نعم • فقال الله أكبر شهدوا لى بالجنة
ورب الكعبة ثلاثا - وفي رواية شهدوا لى ورب الكعبة اني شهيد ثلاثا . وفيه
يقول حسان بن ثابت رضى الله عنه :

من سره الموت صرفا لا مزاج له فليات مأدبة في دار عثمانا
ضحوا باشمط عنوان السجود به يقطع الليل تسيحا وقرآنا
ليسمعن وشيكا في ديارهم الله أكبر يا ثارات عثمانا
وعلى كل حال قتل عثمان رضى الله عنه ظلما بلا محال وهو واحد
العشرة المشهود لهم بالجنة وأحد السابقين الأولين الى الاسلام وأحد الخلفاء
الراشدين وأحد المهاجرين المقربين وأحد أختان سيد الاولين والآخريين
ومناقبه كثيرة وماثره غزيرة وأياديه شهيرة فرضوان الله تعالى عليه وعلى
جميع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم • روي لأمير
المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
مائة وثلاثة وأربعون حديثا منها في الصحيحين ستة عشر اتفاقا على ثلاثة
وانفرد البخاري بثمانية ومسلم بخمسة •

على أبو السبطين

((وبعد فالفضل حقيقا فاسمع نظامي هذا للبطين الانزع))
((مجدل الابطال ماضى العزم مفرج الاوجال وافي الحزم))
((وافي الندى مبدي الهدى مردى العدا
مجلى الصدى يا ويل من فيه اعتدى))

((وبعد)) بيناتها على الضم لحذف المضاف اليه ونية ثبوت معناه أي وبعد
عثمان بن عفان رضى الله عنه على القول الرجيع والمذهب الصحيح
((فالفضل)) الشامخ والقرب الراسخ والمجد الباذخ من سائر الأمة واتفاق

الأمّة ((حقيقا)) أي في حقيقة الأمر من غير شك ولا نكر ((فاسمع)) فعل أمر مبني على السكون وحرك بالكسر للقافية مني ((نظامي)) أي منظومي ((هذا)) الذي أدرجت فيه عقيدة السلف الصالح وضمنته ما يقتضيه كل محقق فالح ثابت ذلك الفضل ومستقر ((ل)) لامام الهمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ((البطين الانزع)) قال ابن الانير في نهايته وفي صفة علي رضي الله عنه البطين الانزع أي العظيم البطن وفي حديث علي أيضا رضي الله عنه : أبيت مبطانا وحولى بطون غرثي ؟ المبطان الكثير الاكل والعظيم البطن ذكر ذلك على سبيل الاستفهام الانكاري والمراد بكونه بطينا ان باطنه عظيم لتضلعه من العلوم والمعارف ، والمراد بالانزع المنحسر شعر رأسه مما فوق الجبين ، والنزعتان عن جانبي الرأس مما لا شعر عليه ، قال في النهاية كان الامام علي رضي الله عنه أنزع الشعر له بطن ، وقيل معناه الانزع من الشرك المملوء البطن من العلم والايمان ((مجدل الابطال)) قال في القاموس جدله فانجدل وتجدل صرعه على الجدالة كسحابة الارض مطلقا أو ذات رمل دقيق وتقدم حديث « أنا خاتم النبيين في أم الكتاب وان آدم لمنجدل في طينته » أي ملقى على الجدالة وهي الارض ، وفي حديث أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه حين وقف على طلحة رضي الله عنه يوم الجمل وهو قتيل فقال اعزز علي أبا محمد أن أراك مجدلا تحت نجوم السماء • أي مرما ملقى على الارض قتيلا ، والابطال جمع بطل بفتح الموحدة والطاء المهملة وكشداد بين البطالة أو البطولة الرجل الشجاع سمي بذلك لأنه يبطل جراحته فلا يكثرث بها أو يبطل عنده دماء الاقران كما في القاموس ولا شك ان عليا رضي الله عنه قتل من الابطال عدة مثل الوليد بن عتبة يوم بدر وعمرو بن عبدود يوم الخندق ومرحب من ابطال خبير وغيرهم وقوله ((ماضى العزم)) اشارة الى شدة قوته ووفور شدته والماضى من مضى في الأمر مضاء ومضوا نفذ ومضى السيف أي قطع والمضو كالمضو التقدم والعزم الجد والصبر ومنه قوله تعالى (فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل) وقوله ((مفرج)) أي كاشف ((الأوجال)) يقال فرج الله الغم يفرجه كشفه كفرجه والأوجال جمع وجل بفتح الواو والجييم الخوف ورجل وجل كفرح ياجل ويجل ويوجل

ويجل بكسر أوله وجلا وموجلا كمقعد ويجمع أيضا على وجلين والمرأة
وجلة اشارة الى ما كان عليه من كشف الغموم وتفريغ الهموم والاقدام
في المواقف الصعبة والبروز الى الاقران المستصعبه وفي الصحيحين وغيرهما
من حديث سهل بن سعد رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال يوم خيبر « لأعطين الراية غدا رجلا يفتح الله على يديه يجب
الله ورسوله ويحبه الله ورسوله » فبات الناس يدوكون أي يخوضون
ويتحدثون ليلتهم أيهم يعطاها فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله صلى
الله عليه وسلم كلهم يرجو أن يعطاها فقال أين علي بن أبي طالب ؟ فقيل
يشتكي عينيه قال فارسلوا اليه فأتى به فبصق رسول الله صلى الله عليه
وسلم في عينيه ودعا له فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع فأعطاه الراية -
الحديث وقوله ((وافي الحزم)) اشارة الى وفور عقله وغزارة فطنته
وفضله والحزم ضبط الرجل أمره والحذر من فواته مأخوذ من قولهم
حزمت الشيء اذا شدته وفي الحديث « ما رأيت من ناقصات عقل ودين
أذهب لب الرجل الحازم من احداكن » يعنى النساء أي اذهب لعقل
الرجل المحترز في الامور المستظهر فيها • وفي حديث آخر أنه صلى الله
عليه وسلم سئل ما الحزم فقال « تستشير أهل الرأي ثم تطيعهم » وفي
القاموس الحزم ضبط الامر والاخذ فيه بالثقة كالحزامة والحزومة يقال
حزم ككرم فهو حازم وحزيم والجمع حزمة وحزماء وفي قوله ((وافي))
أي كثير ((الندى)) أي السخاء والكرم يقال فلان يندى على أصحابه أي
يسخى كما فى النهاية وفى القاموس تدى تسخى وأفضل كأندى فهو
ندي الكف والندى الثرى والشحم والمطر والبلل (والكلاء) وشىء يتطيب
به كالبخور • وفي محل آخر أندى كثر عطاياه • انتهى • اشارة الى غزارة
كرمه وجزالة عطاياه وحزمه ((مبدى)) أي مظهر ((الهدى)) أعنى
العلوم الغامضة والفهوم الرائضة والهدى بضم الهاء وفتح الدال المهملة
الرشاد والدلالة ((مردي العدى)) اسم فاعل من أرداه اذا أهلكه وكسره
وأوقع أعداءه فى الردى والتلف والهلاك ((مجلى)) أي مزيل ومفرق
وكاشف ((الصدى)) أي العطش والظما والمراد به كاشف الكرب ومجلى
النوب ((ياويل)) هذه يراد بها الدعاء بالحزن والهلاك والمشقة ومعنى

النداء فيها أى يا حزن ويا هلاك ويا عذاب احضر فهذا وقتك وأوانك ل ((من)) أى انسان مكلف من ذكر وأنتى ((فيه)) أى في أمير المؤمنين علي بن أبى طالب ((اعتدى)) بانتقاصه وانحطاطه عن منزلته الشامخة ودرجته الباذخة وهضم من حقوقه الظاهرة وفضائله الطاهرة أو غلا فيه غلوا خارجا عن طوره ونسب اليه ما ليس له من نحو الوهية كغلاة أهل الرفض أو نبوة أو أفضليته على من هو نفسه اعترف بأنه أفضل منه • وقد أخرج البزار عن أمير المؤمنين علي بن أبى طالب رضى الله عنه قال دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « ان فيك مثلا من عيسى بن مريم عليه السلام أبغضته اليهود حتى بهتوا أمه واحبته انصارى حتى أنزلوه المنزل الذي ليس به » ألا وانه يهلك في اثنان محب يقرظني بما ليس في ومبغض يحمله شنائي على ان يبهتى • ورواه أبو يعلى والحاكم أيضا • وأخرج الامام أحمد والحاكم بسند صحيح عن عمار بن ياسر رضى الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلى « أشقى الناس رجلان أحبير ثمود الذى عقر الناقة والمذى يضربك يا علي على هذه - يعنى قرنه - حتى يبل منه هذه » يعنى لحيته • وقد ورد ذلك أيضا من حديث علي وصهيب وجابر بن سمرة وغيرهم رضى الله عنهم • وروى الطبراني وأبو يعلى بسند رجاله ثقات الا واحدا منهم وقد وثق ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له يوما من أشقى الأولين ؟ قال : انذى عقر الناقة يا رسول الله . قال : صدقت ، قال : فمن أشقى الآخرين ؟ قال : لا علم لى يا رسول الله • قال : الذى يضربك على هذه - وأشار صلى الله عليه وسلم الى يافوخه ، فكان علي رضى الله عنه يقول لأهل العراق يعنى عند ضجره منهم وددت انه قد انبعث أشقاكم فحضب هذه - يعنى لحيته - من هذه - ووضع يده على مقدم رأسه • وصح أيضا ان عبد الله بن سلام رضى الله عنه قال لعلى لا تقدم العراق فاني أخشى أن يصيبك بها ذباب السيف • فقال على وأيم الله لقد أخبرني به رسول الله صلى الله عليه وسلم • قال أبو الاسود الدؤلى فما رأيت كالسيوم ، محارب بخبر بذا عن نفسه •

اذا علمت هذا فاعلم ان أمير المؤمنين على (؟) الا نزع البطين ابن أبى طالب ، واسمه عبد مناف وقيل اسمه كنيته ، ابن عبد المطلب ، واسمه

شبية الحمد قاله ابن اسحق وقيل عامر قاله ابن قتيبة قال ابن عبد البر ولا يصح ، وكنيته أبو الحارث والحارث أكبر أولاده ، ويكنى أيضاً بالطحاء وانما قيل له عبد المطلب لأن عمه المطلب أردفه حين أتى به من المدينة صغيراً فكان يقال له من هذا؟ فيقول: عبدى، وهو ابن هاشم بن عبد مناف بن قصي الخ النسب الشريف فعلي رضي الله تعالى عنه ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم ، وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم وهي أول هاشمية ولدت هاشميا في الاسلام وقد أسلمت وهاجرت ، وأمير المؤمنين علي رضي الله عنه أحد العشرة المشهود لهم بالجنة وأخو رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمؤاخاة وصهره على سيدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام وأحد السابقين الى الاسلام وأحد العلماء الربانيين والشجعان المشهورين والزهاد المذكورين والخطباء المعروفين وأحد الخلفاء الراشدين وأحد من جمع القرآن المبين وأول خليفة من بنى هاشم وأبو السبطين السعديين، أسلم على رضي الله عنه قديما قال ابن عباس وأنس بن مالك وزيد بن أرقم وسلمان الفارسي وجماعة من الصحابة رضي الله عنهم انه أول من أسلم حتى نقل بعضهم الاجماع عليه وقد ورد في ذلك عدة أخبار وتقدم في ذكر الصديق ما يجمع الأقوال على التحقيق ، ويدل لهذا ما قاله أمير المؤمنين علي رضي الله عنه لما بلغه افتخار معاوية فقال لغلامه اكتب اليه ثم أملى عليه رضي الله عنه قوله :

محمد النبي أخي وصهري	وحمزة سيد الشهداء عمي
وجعفر الذي يمسى ويضحى	يطير مع الملائكة ابن أمي
وبنت محمد سكني وعرسي	منوط لحمها بدمي ولحمي ^(١)
وسبطا أحمد ابناي منها	فأيكم له سهم كسهمي
سبقتكم الى الاسلام طرا	غلاما ما بلغت أوان حلمي

قال الامام الحافظ البيهقي ان هذا الشعر مما يجب على كل متوان في علي رضي الله عنه حفظه ليعلم مفاخره في الاسلام . انتهى .
واعلم ان مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه كثيرة

وما آثره غزيرة فضائله شهيرة حتى قال سيدنا الامام احمد رضى الله عنه :
ما جاء لأحد من الفضائل ما جاء لعلي رضوان الله عليه • وكذا قال اسماعيل
القاضي والنسائي وأبو علي النيسابوري : لم يرد في حق أحد من الصحابة
بالاسانيد الحسان أكثر مما جاء في علي رضى الله عنه • قال بعض العلماء
وسبب ذلك والله أعلم أن الله تعالى أطلع نبيه صلى الله عليه وسلم على
ما يكون بعده مما ابتلى به علي وما وقع من الاختلاف لما آل إليه أمر
الخلافة فاقضى ذلك نصح الأمة باشهاره لتلك الفضائل لتحصل النجاة لمن
تمسك به ممن بلغته ، ثم لما وقع ذلك الاختلاف والخروج عليه نشر من
سمع من الصحابة تلك الفضائل وبثها نصحا للأمة أيضا ، ثم لما اشتد الخطب
واشتعلت طائفة من بني أمية بتتقيصه وسبه حتى على المنابر وواقفهم على
ذلك الخوارج اشتغلت جهابذة العلماء والحفاظ من أهل السنة ببث فضائله
حتى كثرت (١) نصحا للأمة ونصرة للحق •

وقد أخرج السلفى فى الطيوريات عن عبدالله ابن الامام احمد رضى الله
عنهما قال سألت أبى عن على ومعاوية فقال : اعلم أن عليا كان كثير الاعداء
فتمتس له أعداؤه شيئا فلم يجدوا فجاءوا الى رجل قد حاربه وقاتله فأطروه
كيادا منهم له رضى الله عنه • وقال شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله
روحه : الكل مقر بأن معاوية ليس كفؤا لعلي رضى الله عنهما فى الخلافة
ولا يجوز أن يكون معاوية خليفة مع امكان استخلاف علي لسابقته وعلمه
ودينه وشجاعته وسائر فضائله فانها كانت عندهم ظاهرة معروفة كفضل
اخوانه أبى بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم ولم يكن بقى من أهل
الشورى غيره وغير سعد لكن سعدا كان قد ترك هذا الامر وكان الامر
قد انحصر فى علي وفي عثمان رضى الله عنهما فلما توفي عثمان لم يبق لها
معين الا علي رضى الله عنه وانما وقع ما وقع من الشر بسبب قتل عثمان
رضى الله عنه • وقال شيخ الاسلام : ومعاوية لم يدع الخلافة ولم يسابع
له بها حين قاتل عليا ولم يقاتله علي رضى الله عنه على انه خليفة ولا انه

(١) يعنى حتى حفظ الكثير منها • ومع هذا عنى الجهلة والغلاة بوضع
أخباره كثيرة جدا فى اطرائه والغرض من غيره •

يستحق الخلافة ولا كانوا يرون ان يبدؤوا عليا بقتال بل لما رأى على ان لهؤلاء شوكة وهم خارجون عن طاعته رأى ان يقاتلهم حتى يردوا الى الواجب ، وهم رأوا أن عثمان رضى الله عنه قتل مظلوما باتفاق وقتلته فى عسكر علي رضى الله عنه وهم غالبون لهم شوكة وعلي رضى الله عنه لم يمكنه دفعهم كما لم يمكنه الدفع عن عثمان فرأوا : من الآراء الفاسدة أن نبايع خليفة (لا) يقدر على أن ينصفنا ويذلل الانصاف، وكان فى جهال الفريقين من يظن بالامامين علي وعثمان رضى الله عنهما ظنونا كاذبة منهم من يزعم ان عليا رضى الله عنه أمر بقتل عثمان رضى الله عنه ، وكان علي رضى الله عنه يحلف وهو البار الصادق بلا يمين انه لم يقتله ولا رضى بقتله ولم يمالئ على قتله • قال شيخ الاسلام : وهذا معلوم بلا ريب من علي رضوان الله عليه فكان أناس من محبي علي ومن مبغضيه يشيعون ذلك عنه فمحبوه يقصدون الطعن على عثمان وانه كان يستحق القتل وان عليا أمر بقتله ، ومبغضوه يقصدون الطعن على علي رضى الله عنه وانه أعان على قتل الخليفة المظلوم الشهيد الذى صبر نفسه ولم يدفع عنها ولم يسفك دم مسلم فى الدفع عنه فكيف فى طلب طاعته • وأمثال هذه الامور التى تسبب الى المشنعين العثمانية والعلوية وكل من الطائفتين مقر بأن معاوية ليس بكفء لعلي رضى الله عنه • ولى (علي) الخلافة ووقعت له المبايعة بها الغد من قتل عثمان فقال لها من قتل عثمان ؟ قالت : لا أدري دخل عليه رجلان اليه فقالوا له نبايعك فمد يدك فلا بد للناس من أمير فقال علي رضى الله عنه ليس ذلك اليكم انما ذلك الى أهل بدر فمن رضى به أهل بدر فهو خليفة فلم يبق أحد من أهل بدر الا أتى عليا فقالوا ما نرى أحدا أحق بها منك مد يدك نبايعك فبايعوه وهرب مروان وولده وجاء علي الى امرأة امرأة عثمان فقال لها من قتل عثمان ؟ قالت : لا أدري دخل عليه رجلان لا أعرفهما ومعهما محمد بن أبي بكر ، وأخبرت عليا والناس بما صنع فدعا محمدا فسأله عماذ كرت امرأة عثمان فقال محمد لم تكذب قد والله دخلت عليه وأنا أريد قتله فذكر لى أبي فقامت عنه وأنا تائب الى الله سبحانه وتعالى والله ما قتله ولا أمسكته • فقالت امرأة عثمان صدق ولكنه أدخلهما، وذلك ان محمد بن أبي بكر رضى الله عنهما دخل كما ذكر فأخذ بلحية عثمان

فقال له عثمان رضى الله عنه والله لو رأك أبوك لساء مكانك مني فتراخت يده ودخل عليه الرجال فتوجيأه حتى قتلاه وخرجوا هاربين من حيث دخلوا وخرجت امرأته فلم يسمع صراخها لما كان فى الدار من الجلبة وصعدت الى الناس فقالت ان أمير المؤمنين قد قتل ، فدخل الناس فوجدوه مذبوحا وبلغ الخبر عليا وطلحة والزبير وسعدا ومن كان بالمدينة فخرجوا وقد ذهلت عقولهم للخبر الذي أتاهم حتى دخلوا عليه فوجدوه مقتولا فاسترجعوا وضرب على الحسن وصدر الحسين وشم محمد بن طلحة وكان أرسلهم يذبون عن عثمان وقال لاينه كيف قتل وأتما على الباب ؟ وخرج وهو غضبان حتى أتى منزله فهرع الناس إليه فبايعوه جميعا . وزعم بعض الناس ان طلحة والزبير انما بايعا كارهين غير طائعين ثم خرجا الى مكة وأم المؤمنين عائشة بها فأخذها وخرجا الى البصرة يطلبون بدم عثمان فبلغ ذلك عليا فخرج الى العراق فلقى طلحة والزبير ومن معهما وهي وقعة الجمل وكانت في جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين وقتل بها طلحة والزبير وبلغت القتلى ثلاثة عشر ألفا وأقام علي رضى الله عنه بالبصرة خمسة عشر ليلة ثم انصرف الى الكوفة ، ثم خرج عليه معاوية ومن معه بالشام فبلغ عليا فسار فالتقوا بصفين في صفر سنة سبع وثلاثين ودام القتال بها أياما فرجع أهل الشام المصاحف يدعون الى ما فيها مكيدة من عمرو بن العاص وكتبوا بينهم كتابا ان يوافقوا رأس الحول بأذرح فينظروا في أمر الأمة فافترق الناس ورجع علي الى الكوفة ومعاوية الى الشام وبلغت القتلى ثلاثين ألفا . قال القرطبي في التذكرة وكان مقام علي ومعاوية بصفين سبعة أشهر وقيل تسعة أشهر وقيل ثلاثة أشهر وقيل بل قتل في ثلاثة أيام وهي الايام البيض ثلاثة عشر وأربعة عشر وخمسة عشر ثلاثة وسبعون ألفا من الفريقين ذكره الثقة العدل أبو اسحق . ومن تلك الليالى ليلة الهرير جعل يهر بعضهم الى بعض والهرير الصوت يشبه النباح لأنهم تراموا بالنبل حتى فئت وتطاعنوا بالرماح حتى اندقت وتضاربوا بالسيوف حتى انقضت حتى نزل القوم يمشى بعضهم الى بعض وقد كسروا أجفان سيوفهم وتضاربوا بما بقي من من السيوف وعمد الحديد فلا يسمع الا غمغمة القوم والحديد في الهام ثم تراموا بالاحجار ثم جثوا على الركب فتحاتوا بالتراب ثم تكادموا بالافواه

وكسفت الشمس وثار القمام وارتفع الغبار وضلت الألوية والرايات ومررت مواقيت أربع صلوات لأن القتال كان من بعد صلاة الصبح الى ما بعد نصف الليل وكان ذلك في ربيع الأول من سنة سبع وثلاثين كما في تاريخ الامام أحمد رضى الله عنه وغيره وكان عدة أهل الشام الذين مع معاوية مائة ألف وخمسة وثلاثين ألفا وكان أهل العراق الذين مع علي رضوان الله عليه عشرين أو ثلاثين ومائة ألف ذكر ذلك الزبير بن بكار • واستشهد في صفين أبو اليقظان عمار بن ياسر رضى الله عنه وكان مع علي رضوان الله عليه وكان عمار يومئذ ابن ثلاث وتسعين سنة وكان قد سماه رسول الله الطيب المطيب فقد روى الترمذى عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضى الله عنه قال جاء عمار بن ياسر يستأذن على النبي صلى الله عليه وسلم فقال « ائذنوا له مرحبا بالطيب المطيب » قال الترمذى حديث حسن صحيح • وفي صحيح مسلم من حديث أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه قال أخبرني من هو خير مني أبو قتادة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعمار « تقتلك فئة باغية » وأخرجه مسلم أيضا من حديث أم المؤمنين أم سلمة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمار « تقتلك الفئة الباغية » وفي الترمذى من حديث أبي هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمار « أبشر تقتلك الفئة الباغية » واستسقى يوم صفين فأتني بقعب فيه لبن فلما نظر اليه كبر ثم قال أخبرني رسول الله صلى الله عليه وسلم ان آخر رزقي من الدنيا ضياح لبن في مثل هذا القعب ثم حمل فلم يشن حتى قتل أخرج الترمذى المسند منه وقال حسن صحيح والباقي ذكره رزين • وفي صحيح البخارى من حديث أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم جعل ينفض التراب عن عمار وهم بينون المسجد النبوى ويقول « ويح عمار يدعوهم الى الجنة ويدعونه الى النار » قال وجعل عمار يقول أعوذ بالله من الفتن وفي رواية « ويح عمار تقتله الفئة الباغية يدعوهم الى الجنة ويدعونه الى النار » ولم يذكر البخارى هذه الزيادة يعنى تقتله الفئة الباغية وهذه الزيادة صحيحة ثابتة وهي في صحيح مسلم وغيره وكذلك في بعض نسخ البخارى كما قاله شيخ الاسلام ابن تيمية وغيره من أهل العلم • قال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله

روحه : ومن رضى بقتل عمار رضى الله عنه كان حكمه حكمها أى حكم
الفئة الباغية التى قتلته ، ويروى أن معاوية تأول أن الذى قتله هو الذى جاء
به الى منون مقاتله فما قتله الا الذى أخرجه فألزمه علي رضى الله عنه
بقوله فرسول الله صلى الله عليه وسلم اذن قتل حمزة حين أخرجه لقتال
المشركين ، ولا يخفى أن حجة معاوية هذه أوهى من بيت العنكبوت ومن ثم
قال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه : ولا ريب أن قول علي رضى
الله عنه هذا هو الصواب . انتهى . ولا يرتاب ذوو الالباب ان الحق
والصواب مع أمير المؤمنين أبى السبطين وزوج سيدة نساء العالمين على بن
أبي طالب رضوان الله عليهم أجمعين .

وأما معاوية رضى الله عنه فهو مجتهد مخطيء وليس له يومئذ في الخلافة
حق ومن ثم قال له أبو مسلم الخولاني أنت تنازع عليا
في الخلافة وأنت مشله ؟ قال : لا واني لأعلم أنه أفضل ولكن
ألستم تعلمون ان عثمان قتل مظلوما ؟ وأنا ابن عمه وولييه
أطلب بدمه ، فأتوا عليا فقولوا له يدفع لنا قتلة عثمان فأجاب معاوية أهل
الشام فأرسل الى علي أبا مسلم يطلب بدم عثمان وانه وليه وابن عمه فقال
أمير المؤمنين على يدخل في البيعة كما فعل الناس ثم يحاكم المدعى عليهم
عندى فاحكم بما أنزل الله ، فأبى معاوية حتى جرى ماجرى ولا حول ولا
قوة الا بالله العلي العظيم وكان أهل الشام يسمون قتل عمار فتح الفتوح
وفى قتله يقول الحجاج بن غزيرة الانصارى

قال النبي له تقتلك شزيمة سيطت لحومهم بالبغي فجار
فاليوم يعلم أهل الشام انهم أصحاب ذاك ومنهم شبت النار
وقال ابن عبدون فى عمار رضى الله عنه
وما رعت لأبى اليقظان صحبته ولم تزوده الا الضيغ فى العمر

قال فى النهاية الضياع والضيغ بالفتح اللبن الخائر يصب فيه الماء ثم
يخلط وهو بفتح الضاد المعجمة وسكون التحتية فحاء مهملة . وفى
القاموس اللبن الرقيق المزوج وكذا الضياع بفتح الضاد المعجمة . ولما رفع
أهل الشام المصاحف يدعون الى ما فيها قال على رضى الله عنه نعم نحن

أحق بالاجابة الى كتاب الله تعالى فقال القراء الذين صاروا بعد ذلك خوارج خوانا يا أمير المؤمنين ما تنظر الى هؤلاء ألا نمشى عليهم بسيوفنا حتى يحكم الله بيننا فقال سهل بن حنيف يا أيها الناس اتهموا رأيكم فآل الامر الى أن كتبوا بينهم كتابا أن يوافقوا رأس الحول بأذرح كما تقدم فخرجت عن طاعة أمير المؤمنين الخوارج وهم القراء فقالوا كفر على وكفر معاوية ، فاعتزلوا عليا رضى الله عنه ونزلوا حروراء وهم بضعة عشر ألفا فأرسل على اليهم ابن عباس رضى الله عنهم فنادى بهم الله ارجعوا الى خليفتمكم فيم نعمتم عليه أفى قسمة أو قضاء قالوا نخاف أن ندخل فى الفتنة قال فلا تعجلوا ضلالة العام مخافة فتنة العام القابل فرجع بعضهم الى الطاعة وقال آخرون نكون ناحية فان قبل القضية يعنى التحكيم قاتلناه على ما قاتلنا عليه أهل الشام بصفين وان نقضها قاتلنا معه فساروا حتى قطعوا النهر وافتقرت منهم فرقة يقتلون الناس فقال أصحابهم ما على هذا فارقنا عليا فلما بلغ أمير المؤمنين عليا رضى الله عنه صنعهم وكان متجهزا لقتال أهل الشام بعد التحكيم فان الناس اجتمعوا باذرح فى شعبان من سنة ثمان وثلاثين وحضر فى هذه القضية سعد بن أبى وقاص وابن عمر وغيرهما من الصحابة الذين اعتزلوا الفتنة رضى الله عنهم فقدم عمرو بن العاص أبا موسى الاشعري مكيدة منه فتكلم فانفقا على خلع الاثنين على ومعاوية ويصير الامر شورى فمن رضىه أهل بدر من المهاجرين والانصار فهو الخليفة فتقدم أبو موسى فقال قد خلعت عليا فقام عمرو فقال ان أبا موسى قد خلع عليا وانى نصبت معاوية فاختلف الناس وأخذ أبو موسى يسب عمرا ويقول انك غدرت فرجع على الى الكوفة ومعاوية الى الشام وصار خلاف من أصحابه حتى صار رضى الله عنه يعض على أصبعه ويقول أعصى ويطاع معاوية ؟ وربما قال ويطاع ابن آكلة الاكباد . اشارة الى أكل هند بنت عتبة أم معاوية من كبذ حمزة رضى الله عنه يوم أحد فلما تجهز على رضى الله عنه لقتال أهل الشام شغله أمر الخوارج وما ارتكبوه من المفاسد فقال لأصحابه أتسيرون الى عدوكم أو ترجعون الى هؤلاء الذين خلفوكم فى دياركم ؟ فقالوا بل نرجع اليهم فقال رضى الله عنه اسطوا عليهم

فوالله لا يقتل منكم عشرة ولا يفر منهم عشرة فكان كذلك فقال اطلبوا
فى القتلى رجلا صفته كذا وكذا وذكر من نعمته ان له ثديا كئدى المرأة
فطلبوه فوجدوه على النعت الذى ذكره أمير المؤمنين لهم فقال رجل الحمد
لله الذى أباهم وأراحنا منهم فقال على رضى الله عنه كلا والذى نفسى
بيده ان منهم لمن فى اصلاب الرجال لم تحمله النساء بعد • وهؤلاء الذين
قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم « تمرق مارقة على حين فرقة
من المسلمين فيقتلها أولى الطائفتين الى الحق » رواه مسلم فى صحيحه
فقتلهم على رضى الله عنه وفرح على بقتال الخوارج بخلاف وقعة الجمل
وغيرها فانه كان يظهر منه الحزن والكآبة والاسف • ومن بقايا الخوارج
القرامطة وهم الباطنية والاسماعيلية والملاحدة واضرابهم

(غريبة عجبية) ذكر الجلال السيوطى فى لقط المرجان قال ذكر فى
كتاب نزهة المذاكرة من طريق الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة
ابن مسعود عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال حضرت مع على بن
أبى طالب رضى الله عنه قتل الحرورية بالنهراون فالتمس على ذا الثدية
فلم يجده فقال اطلبوه فوجدوه بعد ذلك فقال على رضى الله عنه من يعرف
هذا فقال رجل من القوم نحن نعرفه هذا قوص وأمه ههنا فأرسل على الى
أمه فقال لها من أبو هذا قالت ما أدرى الا انى كت أرعى غمنا لأهلى فى
الجاهلية بالمدينة فغشيتى شئ كهية الظلة فحبلت منه فولدت هذا • انتهى •
تعنى أن أباه من الجن وهذا غريب جدا والله أعلم

(تنبيه)

تنبيه على أحق
الناس بالخلافة
بعد الثلاثة

علم مما تقدم ان أحق الناس بالخلافة بعد الثلاثة المتقدمة أعنى أبا بكر
وعمر وعثمان على بن أبى طالب رضى الله عنهم باتفاق أهل الحل والعقد
كطلحة والزبير وأبى موسى الأشعري وابن عباس وخزيمة بن ثابت وأبى
الهيثم بن التيهان ومحمد بن مسلمة وعمار بن ياسر وغيرهم من الصحابة
رضى الله عنهم أجمعين • قال بعض محققى علمائنا قد اتفق على بيعة على
رضى الله عنه عامة من حضر المدينة من البدرين والانصار كاجتماع أهل
السقيفة على بيعة أبى بكر رضى الله عنه • قال الحسن البصرى رضى الله عنه

والله ما كانت بيعة على رضى الله عنه الا كيعة أبى بكر وعمر رضى الله عنهم • وقال أبو عبد الله بن بطة من علمائنا كانت بيعة على رضى الله عنه (بيعة) اجتماع ورحمة لم يدع الى نفسه ولم يجبرهم على بيعته بسيفه ولم يغلبهم بعشيرته ولقد شرف الخلافة بنفسه وزانها بشرفه وكساها حلة البهاء بعدله ورفعها بعلو قدره ولقد أباهما فأجبروه وتقاوس عنها فأكرهوه وقال سيدنا الامام احمد رضى الله عنه ان عليا رضوان الله عليه لم تزنه الخلافة ولكن على زانها • وروى الشعبى قال دخل اعرابي على رضى الله عنه حين أفضت اليه الخلافة فقال والله يا أمير المؤمنين لقد زينت الخلافة وما زانتك ورفعتها وما رفعتك ولهي كانت أحوج اليك منك اليها • قال أبو عبد الله بن بطة رحمه الله تعالى قد أحسن الاعرابى وصدق فى ما قال فان عليا ومن تقدمه من الخلفاء رضى الله عنهم زينوا الخلافة وجملوا أمة محمد صلى الله عليه وسلم وأتموا الدين وأظهروه وأسسوا الاسلام وأشهروه ، وأنشد الامام الحافظ أبو الفرج ابن الجوزى فى بصيرته فى حق على رضى الله عنه

مازانه الملك اذ حواه ، بل كل شىء به يزان • جرى فقات الملوك سبقاء فليس قدومه غيان • نالت يدها ذرى معالى ، يعجز عن مثلها العيان وفى شرح المقاصد عن بعض المتكلمين انعقد على بيعة على رضى الله عنه الاجماع ووجه انعقاده ما انحصر الامر فيه وفى عثمان زمن الشورى على انها له أو لعثمان وهذا اجماع على رضى الله عنه لولا عثمان فلما توفى عثمان رضى الله عنه بقيت لعلى اجماعا ، ومن ثم قال بعض محققى علماء الكلام لا اكتراث بقول من قال لا اجماع على امامة على رضى الله عنه وقد تقدم فى كلام شيخ الاسلام ما يفهم منه هذا المقام والله ولى الاعام

ولما قتل على رضى الله عنه الخوارج بالنهروان واستأصل جمهورهم ولم ينبج منهم الا القليل انتدب من بقاياهم عبد الرحمن بن ملجم المرادى والحجاج بن عبد الله الصريمى ويعرف بالبرك وداذويه مولى بنى العنبر ابن عمرو بن تميم فأجمعوا رأيهم على قتل على ومعاوية وعمرو بن العاص وأن يكون قتلهم فى ليلة واحدة وهى ليلة سبعة عشر من رمضان أو احدى

عشر وقيل ليلة احدى وعشرين من شهر رمضان وكان تعاقدهم وتعاهدهم على ذلك بمكة المشرفة فضمن ابن ملجم قتل على فليل له وكيف ، لك بذلك قال : اغتاله ، وضمن البرك قتل معاوية وضمن داؤويه قتل عمرو بن العاص وزعموا أن هؤلاء الثلاثة قد أفسدوا أمر هذه الامة ولو قتلوا لعاد الامر الى مستحقه كذا زعموا لعنهم الله تعالى فتوجه كل واحد منهم الى صاحبه فاما البرك الصريمى فقدم على معاوية بدمشق فضربه فجرح أليته وهو فى الصلاة ويقال انه قطع عرق النسل منه فما أحبل النساء بعد تلك الضربة ، وأما داؤويه بن حذافة العنبرى فقدم مصر لقتل عمرو بن العاص فاتفق انه تلك الليلة استخلف على صلاة الفجر خارجة بن حذافة بن غانم ابن عبد الله بن عوف بن عتبة بن عويج بن عدى بن كعب بن لؤى بن غالب القرشى العدوى شهد فتح مصر وكان أمير ربع المدد الذين أمد بهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه عمرو بن العاص فى فتح مصر وكان على شرط مصر فى امرة عمرو بن العاص لمعاوية بن أبى سفيان رضى الله عنهم ، قال فى جامع الاصول كان خارجة بن حذافة هذا أحد فرسان قریش فيقال أنه كان يعدل بألف فارس قاله ابن عبد البر وكان كتب عمرو بن العاص الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يستمده بثلاثة آلاف فارس فأمده بخارجة بن حذافة والزبير بن العوام والمقداد بن الاسود رضى الله عنهم • فأراد الخارجى داؤويه قتل عمرو بن العاص فقتل خارجة ابن حذافة فلما قتله الخارجى أخذ وأدخل على عمرو فقال الخارجى من هذا الذى أدخلتمونى عليه قالوا عمرو بن العاص قال ومن قتلت قالوا خارجة فقال : أردت عمرا وأراد الله خارجة • فذهبت مثلا والى هذا أشار أبو محمد عبد المجيد بن عبدون الاندلسى فى قصيدته الرائية التى رثى بها بنى الافطس ملوك بطليوس بقوله :

وليتها اذ فدت عمرا بخارجة فدت عليا بمن شاءت من البشر

وأما أشقى الآخر بن عبد الرحمن بن ملجم اللعين فقدم الكوفة ولقى بها من اخوانه الخوارج فسارهم بما أراد فاشترى سيفا فيما زعموا بألف وسقاه السم حتى لفظه وكان فى خلال ذلك يأتي عليا رضى الله عنه فيسأله

فوقعت عينه على قطام بنت علقمة من تيم الرباب وكانت خارجية ترى رأى الخوارج وكانت جميلة رائعة فى الجمال فأعجبته فخطبها فقالت آليت ان لا أتزوج الا على مهر لا أريد سواه فقال ما هو؟ فقالت ثلاثة آلاف وعبد وجارية وقتل على بن أبى طالب فقال والله ما أتيت الا للفتك به ولا أقدمنى هذا المصر غير ذلك ولكن لما رأيتك أردت تزويجك فقالت ليس الا الذى قلت لك ، فقال وما يعنينى ذلك اذا أنا قتلت عليك اعلم انى لم أفك ، فقالت ان قتله ونجوت فهو الذى أردت تبلغ شفاء نفسك ويهنيك العيش معى وان قتلت فما عند الله خير من الدنيا ، فقال لهالك ما اشترطت ثم قال لعنه الله تعالى

ثلاثة آلاف وعبد وقينىة وضرب على بالحسام المسمم
فلا مهر أغلى من على وان غلا ولا فتك الا دون فتك ابن ملح

فقالت له ورائى من يشد ظهرهك فبعثت الى ابن عم لها يدعى وردان بن مجالد فأجابها ولقى ابن ملح شيب بن شجرة الاشجعى فقال يا شيب هل لك فى شرف الدنيا والآخرة ؟ فقال ما هو؟ فقال تساعدنى على قتل على بن أبى طالب فقال ثكلتك أمك لقد جئت شيئا ادا كيف تقدر على ذلك ؟ قال ان رجل لا حرس له ويخرج الى المسجد منفردا فتممكن منه وقد كمننا له فى المسجد فنقلته فان نجونا نجونا وان قتلنا فقد سعدنا بالذكر فى الدنيا وبالجنة فى الآخرة ، فقال ويملك ان عليا ذو سابقة فى الاسلام مع النبى صلى الله عليه وسلم وما تشرح نفسى لقتله قال ويملك انه حكم الرجال فى دين الله وقتل اخواننا الصالحين فنقله بعض من قتل فلا تشكن فى دينك، فأجابه وأقبلا حتى دخلا على قطام وهى معتكفة فى المسجد الاعظم فى قبة ضربتها لنفسها فدعت لهما وأخذتا سيفيهما وجلسا قبالة السدة التى يخرج منها أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه فخرج الى صلاة الصبح فبدره شيب فضربه فأخطأه وضربه عبد الرحمن على رأسه وقال : الحكم لله يا على لا لك ولا لأصحابك ، فقال على رضى الله عنه فزت ورب الكعبة لا يفر منكم الكلب وشد الناس عليه من كل جانب فحمل عليهم ابن ملح فأفرجوا له فمقلقه المغيرة بن الحارث بن نوفل بن عبد المطلب

فرمى عليه قطيفة كانت عنده واحتمله وضرب به الارض وقعد على صدره
وأما شبيب فانتزع السيف من يده رجل من حضرموت وصرعه وقعد
على صدره فجعل الناس يصيحون عليكم بصاحب السيف فخاف الحضرمي
على نفسه فرمى بالسيف وانسل شبيب من بين الناس . فأخذ ابن ملجم
فدخل به على أمير المؤمنين على رضى الله عنه فقال ان أعش فالامر لى وان
أمت فالامر لكم فالعفو أو القصاص واجتمع الاطباء عنده وكان أبصرهم
بالبط أثير بن عمرو السكوني وكان من أطباء كسرى فأخذ رثة شاة
حارة فتبع عرقا منها فأخرجه فأدخله فى جراحة على رضى الله عنه ثم
نفخ العرق فاستخرجه فاذا عليه بياض دماغ واذا الضربة قد وصلت الى
أم رأسه فقال يا أمير المؤمنين اعهد عهدك فأنت ميت وسمع ابن ملجم
لغنه الله الرنة من الدار فقال له من حضره أى عدو الله انه لا بأس على
أمير المؤمنين رضى الله عنه فقال ابن ملجم فعلى من تبكى أم كلثوم؟ أعلى؟
اما والله لقد اشتريت سيفى بألف وما زلت أعرضه فما يعيبه أحد الا
أصلحت ذلك العيب ولقد سقيته السم حتى لفظه ولقد ضربته ضربة لو
قسمت على من بالمشرق لأتت عليهم ثم مات أمير المؤمنين على بن أبى
طالب رضى الله عنه ليلة الاحد لتسع عشرة مضت من رمضان سنة
أربعين وعسله الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر رضى الله عنهم وصلى
عليه الحسن ودفن بدار الامارة بالكوفة ثم احضر ابن ملجم وجاء الناس
بالنقط والبوارى وقطعت يداه ورجلاه وكحلت عيناه بمسامير الحديد
محماة ثم قطع لسانه ثم أحرق فى قوصرة وقيل انه قطع أطرافه لغنه الله
ولم يتأوه بل (كان) يتلو القرآن فلما أرادوا قطع لسانه امتنع من اخراجه
فتعبوا فى ذلك فقيل له قطع يداك ورجلاك فما تمنعت فما هذا التمانع
عند قطع لسانك؟ قال لثلاث يفتوتى من تلاوة القرآن شىء وانا حى فشقوا
شده واخلجوا لسانه بكلاب فقطعوه ، وكان عمر أمير المؤمنين لما مات
ثلاثا وستين سنة كأبى بكر وعمر كعمر رسول الله صلى الله عليه وسلم
والله تعالى اعلم .

ولما بلغ عائشة رضى الله عنها موت أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى

الله عنه قالت لتصنع العرب ما شئت بعده فليس لها من ينهاها • وكان عبد الرحمن بن ملجم قد قرأ القرآن على معاذ بن جبل رضى الله عنه وكان من العباد المعدودين قبل خروجه حتى يقال ان عمر بن الخطاب كتب الى بعض عماله ان يوسع دار عبد الرحمن بن ملجم ليعلم الناس الفقه والقرآن ثم كان من شيعة أمير المؤمنين على رضى الله عنه وشهد معه صفين ثم فعل بعد هذا ما فعل فنسأل الله حسن الخاتمة فى عافية • وعند الخوارج ان ابن ملجم افضل الامة وكذلك النصيرية يعظمونه • قال أبو محمد بن حزم يقولون انه أفضل اهل الارض لانه خلص روح اللاهوت من ظلمة الجسد وكدره • وعند الروافض انه اشقى الخلق فى الآخرة قلت ولا يخفى انه استحل قتل أمير المؤمنين على بن ابي طالب بل عد قتله من اعظم القرب وهذا كفر بلا ريب حتى ان عمران بن حطان الخارجى قبحه الله تعالى قال يمدح ابن ملجم لعنه الله :

ياضرية من تقى ما أراد بها

الا ليبلغ من ذى العرش رضوانا

انى لاذكره يوما فاحسبه

أو فى البرية عند الله ميزانا

وعارضه بعض أهل الحق بقوله

قل لابن ملجم والاقدار غالبية

هدمت ويملك للاسلام اركاننا

قتلت أفضل من يمشى على قدم

وأول الناس اسلاما وايماننا

واعلم الناس بالايمان ثم بما

سن الرسول لنا شرعا وتبينانا

صهر النبي ومولاه وناصره

أضحت مناقبه نورا وبرهاننا

وكان منه على رغم الحسود له

مكان هارون من موسى بن عمراننا

وكان في الحرب سيفاً ماصياً ذكراً
ذكرت قاتله والدمع منحدر
انني لاحسبه ما كان من بشر
أشقى مراد اذا عدت قبائلها
كعافر الناقة الاولى التي جلبت
قد كان يخبرهم ان سوف يخضبها
فلا عفا الله عنه ما تحمله
لقوله في شقى ظل مجترماً
ياضربة من تقى ما أراد بها
بل ضربة من غوى أورثته لظى
كأنه لم يرد قصدا بضربته
وما أحسن ما قال عمارة اليمنى في الخلفاء الاربعة رضى الله عنهم :
أردت عليا وعثماناً بمخلبها
ومن أراد التأسى في مصييته
فللورى في رسول الله معتبر

واعلم ان مناقب علي رضوان الله تعالى عليه كثيرة وما اثره شهيرة ولقد قال فيه ابن عباس رضى الله عنهم ، كان لعل ضرر قاطع فى العلم وكان له القدم فى الاسلام والصهر برسول الله صلى الله عليه وسلم والفقہ فى السنة والنجدة فى الحرب والجدود فى المال • وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يتعوذ بالله من معضلة ليس لها ابو حسن - يعنى عليا رضى الله عنه • واخرج الامام الحافظ ابو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزى فى تبصرته بسنده عن أبى صالح قال : قال معاوية بن أبى سفيان لضرار بن ضمرة صف لي عليا قال أو تعفينى يا أمير المؤمنين قال بل تصفه لي ، قال أو تعفينى ، قال لا اعنيك ، قال اما اذ لا بد فانه والله كان بعيد المدى ، شديد القوى ، يقول فصلا ، ويحكم عدلا ، يتفجر العلم من جوانبه ، وتنطق الحكمة من نواحيه ، يستوحش من الدنيا وزهرتها ، ويستأنس بالليل وظلمته ، كان والله عزيز الدمة ، طويل الفكرة ، يقلب كفه ، ويخاطب نفسه ، يعجبه من اللباس ما خشن ، ومن الطعام ما جشب ، كان والله كأحدنا يجيبنا اذا سألناه ، ويبتدئنا اذا أتينا ، ويأتينا اذا دعونا ، ونحن والله مع تقربه لنا وقربه منا لا نكلمه هية ولا نبتدئه لعظمته ، كان اذا تبسم فعن مثل اللؤلؤة المنظوم ، يعظم اهل الدين ، ويحب المساكين ، لا يطمع القوى فى باطله ، ولا يبأس الضعيف من عدله ، فاشهد بالله لرأيته فى بعض موافقه وقد ارخى الليل سجوفه ، وغارت نجومه ، وقد مثل فى محرابه قابضا على لحيته ، يتململ تملل السليم ، ويبكى بكاء الحزين ، فلكنانى اسمعه وهو يقول يا دنيا يا دنيا الى تعرضت ؟ أم لي تشوفت ؟ هيهات ، غرى غبرى ، قد بتتلك ثلاثا لا رجعة لي فيك ولا مثوية فعمرك قصير ، وعيشك حقير ، وخطرك كبير ، ويروى انه قال حلالك حساب وحرامك عذاب ، ثم انشد رضى الله عنه :

دنيا تخادعنى كأنى لست اعرف حالها
مدت الى يمينها فرددتها وشمالها
حظر الاله حرامها وأنا اجتبت حلالها
وعلمتها خداعه ، فتركت جملتها لها

آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق • قال فذرفت دموع معاوية

فما يملكها وهو يشفها بكمه وقد اختنق القوم بالبكاء ، ثم قال معاوية : رحم الله أبا الحسن كان والله كذلك فكيف حزنتك عليه يا ضرار ؟ قال حزن من ذبح ولدها في حجرها فلا ترقأعبرتها ، ولا تسكن حسرتها • وأنشد الحافظ ابن الجوزي في التبصرة من نظم الامام امير المؤمنين على رضى الله عنه ووصف نفسه

اذا المشكلات تصدين لى كسفت حقائقها بالنظر
وان برقت فى محل الصوا ب عمياء لا يجتليها البصر
مقنعة بغيوب الامور وضعت عليها صحيح الفكر
لسانى كشقشقة الارحبي أو كالحسام اليماني الذكر

وفى الطيوريات قال قال رجل لعل رضى الله عنه نسمعك تقول فى الخطبة اللهم أصلحنا بما أصلحت به الخلفاء الراشدين المهديين فمن هم ؟ فأغرورقت عيناه قال هم أجبائي ابو بكر وعمر اما ما الهدى وشيخا الاسلام رجلا قریش والمقتدى بهما بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم من اقتدى بهما عصم ، ومن اتبع آثارهما هدى الى الصراط المستقيم ، ومن تمسك بهما فهو فى حزب الله

وضعه النحو

والامام على أمير المؤمنين رضى الله عنه اول من وضع علم النحو ، قال أبو القاسم الزجاجي فى أماليه عن أبي الاسود الدؤلي قال : دخلت على أمير المؤمنين فرأيتته مفكرا قلت فيم تفكر ؟ قال انى سمعت ببلدكم هذا لجننا فأردت أن أضع كتابا فى أصول العربية فقلت ان فعلت هذا أحييتنا وبقيت فينا هذه اللغة • ثم أتيت بعد ثلاث فألقى الى صحيفة فيها ، بسم الله الرحمن الرحيم الكلام كله اسم وفعل وحرف ، فالاسم ما انبأ عن المنسمى والفعل ما انبأ عن حركة المسمى ، والحرف ما انبأ عن معنى ليس باسم ولا فعل ، ثم قال واعلم يا أبا الاسود ان الاشياء ثلاثة ظاهر ومضمر وشئ ليس بظاهر ولا مضمر ، ثم قال تتبعه وانح نحوه وزد فيه • وهذا مشهور وما تحيط الدفاتر بالبحر الخضم ، والشئ الاعم والسواد الاعظم ، فكل ما ذكرناه بالنسبة لما تركناه كقطرة ماء من بحر لجلي ، أو كرملة واحدة من رمال فيحة ، وروى له عن رسول الله صلى الله عليه

وسلم خمسمائة وسبعة وثلاثون حديثا في الصحيحين أربعة وأربعون حديثا
انفقا منها على عشرين وانفرد البخارى بتسعة ومسلم بخمسة عشر واللهولى
التوفيق ثم قال فى نظمه

((فجه كجهب حتما وجب ومن تعدى او قلى فقد كذب))

((فجه)) اى حب أمير المؤمنين على بن ابي طالب رضى الله عنه
((كجهب)) اى الخلفاء الراشدين خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم
أبى بكر الصديق الامام المبجل على التحقيق المسمى بعبد الله والملقب
بعتيق فمن أحبه فهو مؤمن ومن أبغضه فهو زنديق ، وكذلك عمر بن
الخطاب الملقب بالفاروق ، وكذلك عثمان بن عفان الذى بكل مكرمة
مرموق ، فان كنت مؤمنا فاجبه جميعا وحتم ذلك على نفسك وعلى كل أبناء
جنسك ((حتما)) اى خالصا محكم الامر ((وجب)) على جميع الامة
باتفاق الائمة لا يزوغ عن جهب الا هالك ، ولا يروغ عن وجوب ذلك الا
آوك ، ومن ثم قال ((ومن)) اى مكلف من هذه الامة المحمدية ((تعدى))
فى حبه او لم يقل بفضل الخلفاء الراشدين على ترتيب الخلافة ((او قلى))
هم أو أحدا منهم اى أبغضهم أو أحدا منهم، يقال قلاه كرماء رفضه قلى وقلاء
اذا أبغضه وكرهه غاية الكراهة وتركه وهجره ، وقال الامام أبو المظفر
عون الدين بن هبيرة القلى بغض بعد حب ((فقد)) الفاء فى جواب من وقد
حرف تحقيق ((كذب)) فى كل واحدة من الخصلتين من تعديه فى الحب
او بغضه لهم او لأحد منهم رضى الله عنهم أجمعين

(تنبيهات)

تنبيهات الاول
افضل الاربعة

(الاول) أعلم أن الواجب اعتقاده أن أفضل هذه الامة بعد نبيا صلى الله
عليه وسلم الخلفاء الراشدون الاربعة : أبو بكر وعمر وعثمان وعلى رضى
الله عنهم ، فهم الذين ولوا الخلافة التى هى النيابة عن النبى صلى الله عليه
وسلم فى عموم مصالح المؤمنين من اقامة الدين وصيانة المسلمين بحيث
يجب على كافة الخلق الاتباع ويحرم عليهم المخالفة ، وقد بين صلى الله
عليه وسلم مدة الخلافة بعده بأنها ثلاثون سنة ثم تصير ملكا عضوضا ،
فكانت مدة خلافتهم فأخرج الامام احمد من حديث سفينة رضى الله عنه

مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « الخلافة ثلاثون عاما ثم يكون من بعد ذلك الملك » ورواه أصحاب السنن وصححه ابن حبان وغيره ، ولم يكن في الثلاثين بعده صلى الله عليه وسلم الا الخلفاء الاربعة وأيام الحسن رضى الله عنهم •

وأخرج البزار بسنن حسن من حديث ابى عبيدة بن الجراح رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان أول دينكم نبوة ورحمة ثم يكون خلافة ورحمة ثم يكون ملكا وجبرية • فثبت بالنص ان مدة الخلفاء الاربعة خلافة ورحمة وكذا مدة سيدنا الحسن رضى الله عنه وكانت ستة أشهر وأياما والله أعلم

الثانى فى ترتيبهم

(الثانى) ترتيبهم فى الافضية على ترتيبهم فى الخلافة وهذا قول عامة أهل السنة من أهل الحديث والفقہ والكلام من الاثرية والاشعرية والماتريدية وغيرهم ، قال الامام أحمد رضى الله عنه : علي رضوان الله عليه رابعهم فى الخلافة والتفضيل . وقال : من فضل عليا على أبى بكر وعمر أو قدمه عليهما فى الفضيلة والامامة دون النسب فهو رافضى مبتدع فاسق . ذكره القاضى أبو يعلى . قال ابن حمدان فى نهاية المبتدئين : فان فضله - يعنى عليا رضى الله عنه على عثمان رضى الله عنه فكذلك ، يعنى انه يكون رافضيا مبتدعا فاسقا ، وفى رواية أخرى لا يكون رافضيا مبتدعا بتفضيل علي على عثمان رضى الله عنهما ، وتبرأ الامام أحمد رضى الله عنه ممن ضللهم أو أحدا منهم اه .

الثالث ذكر بعض الخلاف

(الثالث) اعلم ان الذى أطبق عليه عظماء الملة وعلماء الامة ورؤساء الأئمة ان أفضل هذه الأمة بعد نبىها صلى الله عليه وسلم الصديق الأعظم أبو بكر بن أبى قحافة ، ثم عمر الفاروق بن الخطاب رضى الله عنهما ، ثم اختلنوا فالأكثر ومنهم الامام أحمد والامام الشافعي وهو المشهور عن الامام مالك رضى الله عنهم ان الأفضل بعد أبى بكر وعمر رضى الله عنهما عثمان بن عفان ، ثم علي بن أبى طالب رضى الله عنهما ، وجزم الكوفيون ومنهم سفيان الثوري بتفضيل علي على عثمان ، وقيل بالوقف عن التفضيل بينهما وهو رواية عن مالك فقد حكى أبو عبد الله المازري عن المدونة أن مالكا

سئل أي الناس أفضل بعد نبيهم؟ فقال: أبو بكر ثم عمر، ثم قال: أو في ذلك شك؟ ف قيل له وعلي عثمان؟ فقال ما أدركت أحدا ممن أقتدى به يفضل أحدهما على الآخر، انتهى.

وقوله: أو في ذلك شك؟ يريد ما سنحره أن تفضيل أبي بكر وعمر على بقية الأمة قطعي، نعم حكى القاضي عياض عن الامام مالك انه رجع عن التوقف الى تفضيل عثمان، قال القرطبي وهو الاصح ان شاء الله تعالى، وقد نقل التوقف ابن عبد البر عن جماعة من السلف منهم الامام مالك ويحيى القطان وابن معين، قال الامام يحيى بن معين: ومن قال أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعرف لعلي سابقته وفضله فهو صاحب سنة، ولا شك ان من اقتصر على عثمان ولم يعرف لعلي فضله فهو مذموم، ومن ثم يعلم ان حكاية الاجماع على أن عثمان أفضل من علي رضي الله عنهما مدخول بل الخلاف معلوم، نعم معتمد محققي أهل السنة أن الخلفاء الراشدين في ترتيب الأفضلية على نسق ترتيب الخلافة وهذا منصوص الامام أحمد وغيره من أئمة الاسلام لكن التفضيل في طرف أبي بكر وعمر رضي الله عنهما قطعي على المعتمد وقيل ظني كما عند الباقلاني وغيره.

الرابع تلازم المحبة الدينية واعتماد الأفضلية

(الرابع) سئل الامام أبو زرعة الولى العراقي عن اعتقد في الخلفاء الاربعة الأفضلية على الترتيب المعلوم ولكن يجب أحدهم أكثر هل يأثم أو لا؟ فأجاب بأن المحبة قد تكون لأمر ديني وقد تكون لأمر دنيوي، فالمحبة الدينية لازمة للأفضلية فمن كان أفضل كانت محبتنا الدينية له أكثر فمتى اعتقدنا في واحد منهم انه أفضل ثم أحببنا غيره من جهة الدين أكثر كان تناقضا، نعم ان أحببنا غير الأفضل أكثر من محبة الأفضل لأمر دنيوي كقراءة واحسان ونحوه فلا تناقض في ذلك ولا امتناع، فمن اعترف بأن أفضل هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي لكنه أحب عليا أكثر من أبي بكر مثلا فان كانت المحبة المذكورة محبة دينية فلا معنى لذلك اذ المحبة الدينية لازمة للأفضلية كما قررناه وهذا لم يعترف بأفضلية أبي بكر الا بلسانه واما بقلبه فهو مفضل لعلي لكونه أحب محبة دينية زائدة على محبة أبي بكر وهذا لا يجوز، وان كانت المحبة المذكورة محبة

ديوية لكونه من ذرية علي أو لغير ذلك من المعاني فلا امتناع فيه . انتهى .
وعلى كل حال المحبة الدينية لازمة للأفضلية على حسب زيادتها ونقصها
وبالله التوفيق

((وبعد فالأفضل باقي العشرة فأهل بدر ثم أهل الشجرة))

((وبعد)) أي بعد الخلفاء الراشدين ((فالأفضل)) من سائر الصحابة

المكرمين ((باقي العشرة)) المشهود لهم بالجنة على لسان سيد العالمين وخاتم
المرسلين ، صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين ، وهم الستة الذين
توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض ، رضوان الله تعالى
عليهم أجمعين .

طلحة

(أحدهم) أبو محمد طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن كعب بن سعد
ابن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي التيمي ، وأمه الصعبة
بنت عبد الله بن عماد الحضرمي أخت العلاء بن الحضرمي أسلمت وأسلم طلحة
قديما على يد أبي بكر الصديق ، وشهد المشاهد كلها غير بدر لان النبي
صلى الله عليه وسلم كان أنفذه مع سعيد بن زيد يتعرفان خبر العير التي
كانت لقريش مع أبي سفيان بن حرب فعادا يوم اللقاء ببدر ، وثبت مع
النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد ووقاه بيده فشلت أصبعه ، وجرح
يومئذ أربعة وعشرين جراحة ، وقيل كانت فيه خمس وسبعون بين طعنة
وضربة ورمية كما في جامع الاصول وسماه النبي صلى الله عليه وسلم يوم
أحد طلحة الخير ، وسماه يوم غزوة ذات العشيرة طلحة الفياض ، ويوم
حين طلحة الجود . وكان آدم كثير الشعر ليس بالجعد القطط ولا
بالسبط ، حسن الوجه دقيق العينين لا يغير شعره . قتل رضى الله عنه يوم
وقعة الجمل يوم الخميس لعشرين بقين من جمادى الآخرة سنة ست
وثلاثين ، ويقال ان مروان بن الحكم قتله وقيل أصابه سهم في حلقه ودفن
بالبصرة وله أربع وستون سنة ، وقيل اثنتان وستون ، يلتقى مع النبي صلى
الله عليه وسلم في مرة بن كعب ، وروى له عن النبي صلى الله عليه وسلم
ثمانية وثلاثون حديثا منها في الصحيحين سبعة المتفق عليه منها حديثان
وانفرد البخاري بحديثين ومسلم بثلاثة ، وروى عنه السائب بن يزيد

وعبد الرحمن بن عثمان بن عبيد الله التيمي وأبو عثمان النهدي وقيس بن أبي حازم وموسى بن طلحة وغيرهم .

(الثاني) أبو عبد الله الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب لؤى بن غالب القرشي الاسدي وأمه صفية بنت عبد المطلب رضى الله عنها عمه رسول الله صلى الله عليه وسلم أسلمت وأسلم هو قديما على يد أبي بكر الصديق رضى الله عنهم وهو ابن ست عشرة سنة فعذبه عمه بالدخان لترك الاسلام فلم يفعل وهاجر الى أرض الحبشة الهجرتين ، وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المشاهد كلها ، وهو أول من سل السيف في سبيل الله وثبت مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد ، وكان أبيض طويلا ، ويقال لم يكن بالطويل ولا بالقصير يميل الى الخفة في اللحم ، ويقال كان أسمر خفيف العارضين ، قتله عمير بن جرموز بسفوان من أرض البصرة في وقعة الجمل سنة ست وثلاثين وله أربع وستون سنة ، ودفن بوادى السباع ثم حول الى البصرة وقبره بها مشهور ، يجتمع نسبه مع النبي صلى الله عليه وسلم في قصي ، روي له عن النبي صلى الله عليه وسلم ثمانية وثلاثون حديثا ، منها في الصحيحين تسعة المتفق عليه منها حديثان وبقايا للبخارى ، روي عنه ابنه عبد الله وعروة وغيرهما ، وهو أحد الشجعان المشهوره وحواري رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(الثالث) أبو اسحاق سعد بن أبي وقاص واسم أبي وقاص مالك بن وهيب ويقال أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب القرشي الزهري وأمه حمنة بنت سفيان وقيل بنت أبي سفيان ابن عبد شمس بن عبد مناف أسلم قديما على يد أبي بكر الصديق رضى الله عنهما وهو ابن سبع عشرة سنة وقال كنت ثالثا في الاسلام وأنا أول من رمي بسهم في سبيل الله ، شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان قصيرا غليظا ذا هامة شثن الاصابع آدم أفطس أشعر الجسد وفداه النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد بأبويه أى قال له « ارم فذاك أبي وأمي » مات رضى الله عنه في قصره بالعقيق قريبا من المدينة فحمل على رقاب الرجال الى المدينة وصلى عليه مروان بن الحكم وهو يومئذ والي

المدينة من قبل معاوية ودفن بالبقيع وذلك سنة خمس وخمسين وقيل سبع وخمسين وله بضع وسبعون سنة وقيل اثنان وثمانون ، وهو آخر العشرة موتا وكان قد اعتزل الفتنة ، وكف بصره في آخر عمره رضى الله عنه ، روى له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مائتان وسبعون حديثا منها في الصحيحين ثمانية وثلاثون حديثا اتفقا منها على خمسة عشر وانفرد البخارى بخمسة ومسلم بثمانية عشر ، روى عنه عبد الله بن عمر وجابر بن سمرة وعامر ومحمد ومصعب بنوه وابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف وابن المسيب وأبو عثمان النهدي وقيس بن أبي حازم وغيرهم •

سعيد

(الرابع) أبو الاعور سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى وباقي نسبه معروف من نسب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب القرشى العدوى وأمه فاطمة بنت بعجة بفتح الموحدة وسكون العين المهملة وبالجم ابن أمية من خزاعة أسلم قديما قبل أن يدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم دار الارقم ، شهد المشاهد كلها مع النبي صلى الله عليه وسلم غير بدر فانه كان مع طلحة بن عبيد الله يطلبان خبر عير قريش كما تقدم آنفا وضرب لهما النبي صلى الله عليه وسلم بسهميهما في الغنيمة والاجر ، كان آدم طويلا أشعر مات بالعقيق قريبا من المدينة فحمل اليها ودفن بها سنة احدى وخمسين وقيل اثنتين وخمسين وله بضع وسبعون سنة وقيل مات بالكوفة ودفن بها يجتمع مع نسب النبي صلى الله عليه وسلم في لؤي ، روى له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانية وأربعون حديثا منها في الصحيحين ثلاثة المتفق عليه منها اثنان والثالث للبخارى •

عبد الرحمن بن عوف

(الخامس) أبو محمد عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب القرشى الزهري كان اسمه في الجاهلية عبد عمرو فسماه النبي صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن ، وأمه الشفاء بنت عوف بن عبد الحارث بن زهرة أسلمت وهاجرت ، وفي الزهر السام أمه صفية بنت عبد مناف بن زهرة ويقال الشفاء بكسر الشين المعجمة وبالفاء بنت عوف وأسلم هو قديما على يد أبي بكر الصديق رضى الله عنهما ، وهاجر الى الحبشة الهجرتين ، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وثبت معه يوم أحد وصلى

النبي صلى الله عليه وسلم خلفه في غزوة تبوك وأتم ما فاته • كان طويلا رقيق البشرة أبيض مشربا بحمرة ضخم الكفين أقنى ، وقيل كان ساقط الشنيتين أعرج أصيب يوم أحد وجرح عشرين جراحة أو أكثر فأصابه بعضها في رجله فرج • ولد بعد الفيل بعشر سنين ومات سنة اثنتين وثلاثين ودفن في البقيع وله ثنتان وسبعون سنة وقيل خمس وسبعون سنة ، ويلقى نسب النبي صلى الله عليه وسلم في كلاب بن مرة ، روي له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسة وستون حديثا منها في الصحيحين سبعة أحاديث المتفق عليه منها حديثان وبقايا للبخاري روي عنه ابن عباس وابنه ابراهيم وبقالة بن عبد وغيرهم رضى الله عنهم •

(السادس) أمين الامة أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة القرشي الفهري أسلم مع عثمان بن مظعون وهاجر الى الحبشة الهجرة الثانية وشهد المشاهد كلها مع النبي صلى الله عليه وسلم وثبت معه يوم أحد ونزع الحلقتين اللتين دخلتا في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد من حلق المغفر بفيه فوقعت نتيته فكان أحسن الناس هتما ، كان رضى الله عنه طوالا معروقا الوجه خفيف اللحية مات فى طاعون عمواس بالاردن سنة ثمانى عشرة ودفن هناك وقبره مشهور يزار ويتبرك به ، وروي له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسة عشر حديثا ولم يخرج له البخارى فى صحيحه شيئا ولا أخرج له مسلم الا فى حديث العنبر من رواية أبى الزبير عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهم وهو قوله يعنى قول أبى عبيدة ابن الجراح رضى الله عنه نحن رسل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو معنى تام فسموه حديثا • فهؤلاء العشرة المذكورون فى حديث عبد الرحمن ابن عوف رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « ابو بكر فى الجنة وعمر فى الجنة وعثمان فى الجنة وعلى فى الجنة وطلحة فى الجنة والزبير فى الجنة وعبد الرحمن بن عوف فى الجنة وسعد بن أبى وقاص فى الجنة وسعيد بن زيد فى الجنة وأبو عبيدة بن الجراح فى الجنة » رواه الترمذى وأخرج أبو داود والترمذى عن رباح بن الحارث

قال كنت قاعدا عند فلان في الكوفة في المسجد وعنده اهل الكوفة فجاء سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل فرحب به وحياه وأقعدته على السرير فجاء رجل من اهل الكوفة يقال له قيس بن علقمة فاستقبله فسب وسب فقال سعيد من يسب هذا الرجل ؟ فقال يسب عليا ، فقال لا أرى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يسبون عندك ثم لا تنكر ولا تغير ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول - واني لغني ان أقول عليه ما لم يقل فيسألني عنه غدا اذا لقيته - « أبو بكر في الجنة وعمر في الجنة وعثمان في الجنة وعلي في الجنة وطلحة في الجنة والزبير في الجنة وسعد في الجنة وعبد الرحمن بن عوف في الجنة وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة » وسكت عن العاشر ، قالوا ومن هو العاشر ؟ قال : سعيد بن زيد - يعنى نفسه - ثم قال يعنى سعيد بن زيد رضى الله عنه : والله لمشهد رجل منهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يغبر فيه وجهه خير من عمل احدكم ولو عمر نوح • زاد رزين ثم قال لا جرم لما انقطعت اعمالهم أراد الله تعالى ان لا ينقطع الاجر عنهم الى يوم القيامة والشقى من أبغضهم والسعيد من أحبهم • ولفظ الترمذى : أشهد على التسعة انهم في الجنة ولو شهدت على العاشر لم آثم قال : عبد الله بن ظالم المازنى قلت لسعيد بن زيد رضى الله عنه من التسعة ؟ فذكرهم ، قلت ومن العاشر ؟ فتلكأهنيهة ثم قال : أنا • وللترمذى في رواية أخرى عن سعيد بن زيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « عشرة في الجنة » فعد التسعة وسكت عن العاشر فقال القوم نشدك الله يا أبا الاعور من العاشر ؟ قال : نشدتمونى بالله ، أبو الاعور في الجنة • أبو الاعور هو سعيد بن زيد والاحاديث في هذا المعنى كثيرة ويكفى ما أخرجه الترمذى عن عقبه بن علقمة الشكرى قال سمعت على بن أبى طالب رضى الله عنه يقول يعنى بعد وقعة الجمل سمعت اذننى من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول : طلحة والزبير جاراي في الجنة • وبعد العشرة أى الذين يلونهم في الافضلية •

أهل بدر

((فأهل)) غزوة ((بدر)) العظمى وهى البطشة الكبرى ويقال لها بدر القتال ويوم الفرقان كما رواه ابن جرير وابن المنذر وصححه الحاكم

ع ن ابن عباس رضى الله عنهما قال لان الله تعالى فرق فيه بين الحق والباطل وهى التى أعز الله بها الاسلام وقمع بها عبدة الاصنام ، وبدر قرية مشهورة ولم تنزل من يومئذ بأهل الاسلام معمورة على نحو أربعة مراحل من المدينة النبوية قيل نسبت الى بدر بن مخلد بن النضر بن كنانة وقيل الى بدر بن الحارث ، وقيل الى بدر بن كلدة ، وقيل بل بدر اسم للبئر التى بها سميت بذلك لاستدارتها أو لصفائها فكأن البدر يرى فيها ، وقيل بل هو علم على البلد المذكور كغيرها من أسماء البلاد ، قال البغوى وهو قول الأكثر . وكانت وقعة بدر نهار الجمعة لسبع عشر خلت من شهر رمضان من السنة الثانية من الهجرة وكان عدد المسلمين ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا ، روى البخارى عن البراء بن عازب رضى الله عنهما قال كنا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نتحدث ان عدة أصحاب بدر على عدة أصحاب طالوت الذين عبروا معه النهر ولم يجاوزه معه الا مؤمن ، بضعة عشر وثلاثمائة . وفي حديث أبى أيوب الانصارى رضى الله عنه عند ابن جرير وابن ابى حاتم والطبرانى والبيهقى قال أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نعتد ففعلنا فاذا نحن ثلثمائة وثلاثة عشر فأخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدتنا فسر بذلك وحمد الله تعالى وقال : عدة أصحاب طالوت . وروى الامام احمد وابن أبى شيبه ومسلم وأبو داود والترمذى وأبو عوانة وابن حبان من حديث أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لما كان يوم بدر نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اصحابه وهم ثلاثمائة وبضعة عشر - ولفظ مسلم تسعة عشر رجلا ، ونظر الى المشركين فاذا هم ألف وزيادة ، الحديث . وروى البزار بسند حسن عن أبى موسى الأشعري رضى الله عنه قال : كانت عدة أهل بدر عدة أصحاب طالوت يوم جالوت، ثلثمائة وسبعة عشر . وفى الفتح ثلاثة عشر بدل سبعة عشر . وفى الصحيح عن موسى بن عقبة عن الزهري قال : جميع من شهد بدرا من قريش من ضرب له سهمه احد وثمانون مع ان البخارى واسحاق بن راهويه اخرجوا عن البراء بن عازب رضى الله عنهما قال كان المهاجرون يوم بدر نيفا على الستين والانصار نيفا وأربعين ومائتين ،

قال الحافظ ابن حجر والجمع بين هذين الحديثين ان حديث البراء في من شهد بدرا حسا وقول الزهري في من شهدها بالعدد حكما ممن ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم له بسهمه وأجره ، او المراد بالعدد الاول الاحرار وبالتالي بانضمام مواليهم واتباعهم . واذا تحرر هذا فجميع من شهد القتال ثلاثمائة وخمسة او ستة فقد عد ثمانية أنفس من اهل بدر واء يشهدوها وانما ضرب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم بسهامهم لكونهم تخلفوا لضرورات لهم وهم عثمان بن عفان وطلحة وسعيد والحارث ابن حاطب والحارث بن الصمة وخوات بن جبير وعاصم بن عدى وأبو لبابة رضى الله عنهم . واستشهد من المسلمين في وقعة بدر أربعة عشر نفسا ستة من المهاجرين وثمانية من الانصار رضى الله عنهم أجمعين . وقتل من الكفار سبعون وأسر سبعون . وقد روى الطبراني بسند رجاله ثقات عن ابن مسعود رضى الله عنه قال ان الثمانية عشر الذين قتلوا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر جعل الله تعالى ارواحهم في الجنة في طير خضر تسرح في الجنة فينما هم كذلك اذ اطلع عليهم ربهم اطلاعة فقال يا عبادى ماذا تشتهون ؟ فقالوا يا ربنا هل فوق هذا من شىء قال فيقول عبادى ماذا تشتهون فيقولون فى الرابعة ترد ارواحنا فى أجسادنا فنقتل كما كما قتلنا . وروى البخاري عن رفاعة بن رافع الزرقى رضى الله عنه وكان من أهل بدر قال جاء جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما تعدون أهل بدر فيكم؟ قال من أفضل المسلمين - أو كلمة نحوها، قال كذلك من شهد بدرا من الملائكة . وروى نحوه الامام أحمد من حديث رافع بن خديج ، قال الحافظ ابن الجوزى فى جامع المسانيد كذا وقع فى مسند الامام أحمد والظاهر انه غلط من بعض الرواة وانما هو حديث رافع بن رفاعة(؟) الزرقى لا ابن خديج ويحتمل أن يكون سمعه ابن خديج من رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأخرج الامام أحمد بسند صحيح على شرط مسلم عن جابر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لن يدخل النار رجل شهد بدرا والحديبية . وروى أبو داود وابن ماجه والطبراني بسند جيد عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اطلع

الله على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » وروى الامام احمد عن ام المؤمنين حفصة رضى الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « انى لأرجو أن لا يدخل النار ان شأ الله أحد شهد بدرا والحديبية » قالت قلت أليس الله تعالى يقول (وان منكم الا واردها) قال فسمعتة يقول (ثم تنجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا) وأخرج مسلم والترمذى من حديث جابر رضى الله عنه ان عبدا لحاطب جاء يشكو الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطبا فقال يا رسول الله ليدخلن حاطب النار فقال « كذبت لا يدخلها فانه قد شهد بدرا والحديبية » وفى الصحيح عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه فى قصة كتاب حاطب وان عمر بن الخطاب قال يا رسول الله دعنى اضرب عنقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أليس من أهل بدر ولعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم - أو قال - قد وجبت لكم الجنة » وفى المعنى أحاديث غير ما ذكرنا •

(تنبيه)

تنبيه فى معنى
اعملوا ما شئتم

قد استشكل جمع قوله « اعملوا ما شئتم » فان ظاهره انه للإباحة وهو خلاف عقد السرعة وأجيب بأنه اخبار عن الماضى اى كل عمل كان لكم فهو مغفور ويؤيده انه لو كان لما يستقبلونه من العمل لم يقع بلفظ الماضى ولقال فسأغفره لكم وتعقب بأنه لو كان للماضى لما حسن الاستدلال به فى قصة حاطب لانه صلى الله عليه وسلم حاطب بذلك عمر رضى الله عنه منكرا عليه ما قال فى أمر حاطب وهذه القصة كانت بعد بدر بست سنين فدل على أن المراد ما سياتى وأورده بلفظ الماضى مبالغة فى تحقيقه فان أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه قال لحاطب قاتلك الله ترى رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذ بالانقاب وتكتب الى قريش تحذرهم ؟ دعنى يارسول الله أضرب عنقه فان الرجل قد نافق • فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « وما يدريك يا عمر أن الله عزوجل اطلع على أصحاب بدر يوم بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » فأغرورت عينا عمر وقال الله ورسوله اعلم • حين سمعه يقول فى أهل بدر ما قال وأنزل الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا

لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء - الى قوله - والله بما تعملون بصير) وقيل ان صيغة الامر في قوله اعملوا للتشريف والتكريم فالمراد عدم المؤاخذة بما يصدر عنهم وانهم خصوا بذلك لما حصل لهم من الحال العظيمة التي اقتضت محو ذنوبهم السالفة وتأهلوا لان يغفر لهم الذنوب اللاحقة اى كلما عملتموه بعد هذه الواقعة من اى عمل كان فهو مغفور ، وقيل المراد ان ذنوبهم تقع اذا وقعت مغفورة ، وقيل هي شهادة بعدم وقوع الذنوب منهم ، وفيه نظر ظاهر لما ثبت في قصة قدامة بن مظعون حين شرب الخمر في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه متأولا فحده عمر ثم هاجره بسبب ذلك فرأى عمر في المنام من يأمره بمصالحته وكان قدامة بدريا . والذى يفهم من سياق القصة الاحتمال الثانى واتفق العلماء على أن البشارة المذكورة فيما يتعلق بأحكام الآخرة لا فيما يتعلق بأحكام الدنيا من اقامة الحدود ونحوها والله أعلم على أنه زعم أناس أن قوله تعالى (ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله) الآية وفيها (فأعقبهم نفاقا) الآية نزلت في ثعلبة بن حاطب او ابن ابى حاطب بن عمرو بن عبيد بن أمية بن زيد بن عوف الانصارى الاوسى وقد ذكروه من البدرين وقدمه الحافظ ابن الجوزى فى منتخب المنتخب من أهل بدر ثم عدّه فى الكتاب المذكور من جملة المنافقين ثم قال قال ابن عباس رضى الله عنهما كان المنافقون من الرجال ثلثمائة ومن النساء مائة وسبعين . قال ابن الجوزى وقد كان فيهم من شهد بدرا فتغيرت حاله كثعلبة ومعتب بن قشير نعوذ بالله من الخذلان . انتهى . وقال ابن الكلبي ان ثعلبة البدرى قتل بأحد وقال الحافظ ابن حجر فى الاصابة فى ترجمة ثعلبة بن حاطب او ابن ابى حاطب الانصارى ذكره ابن اسحق فى من بنى مسجد الضرار ، قال الحافظ ابن حجر وفى كون صاحب القصة ان صح الخبر ولا أظنه يصح هو البدرى المذكور قبله نظر وقد تأكدت المغايرة بينهما بقول ابن الكلبي ان البدرى استشهد بأحد ، ويقوى ذلك أيضا ان ابن مردويه روى فى تفسيره من طريق عطية عن ابن عباس رضى الله عنهما فى الآية المذكورة يعنى (ومنهم من عاهد الله) قال نزل ذلك فى رجل يقال له ثعلبة بن أبى حاطب من الانصار أتى مجلسا

فأشهدهم فقال لئن آتانا الله من فضله - الآية فذكر القصة مطولة فقال انه
ثعلبة بن أبي حاطب، والبدرى اتفقوا على أنه ثعلبة بن حاطب وقد ثبت أنه
صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل النار أحد شهد بدرا والحديبية وحكى
عن ربه تبارك وتعالى أنه قال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم فمن يكون بهذه
المثابة كيف يعقبه الله تعالى نفاقا في قلبه وينزل فيه ما نزل ، فالظاهر أنه
غيره والله تعالى أعلم •

أهل الشجرة

((ثم)) بعد أهل بدر فالأفضلية لـ ((أهل)) بيعة الرضوان تحست
((الشجرة)) المعهودة وتسمى شجرة البيعة وشجرة الرضوان وهى شجرة
خضراء سمرة بفتح المهملة وضم الميم من شجر الطلح وهو نوع من العضاء
أو من سدر كما رواه مسلم عن جابر ، ولما كانت خلافة أمير المؤمنين عمر
ابن الخطاب رضى الله عنه بلغه ان ناسا يذهبون الى الشجرة فيصلون تحتها
ويتبركون بها فأمر رضى الله عنه بها فقطعت وأخفى مكانها خشية الافتتان
بها ولما وقع تحتها من البخير فلو بقيت لما أمن من تعظيم أهل الجهل لها حتى
ربما أفضى بهم جهلهم الى أن بها قوة نفع وضر كما هو مشاهد من شأن
الناس فى هذه الأزمان ومد أزمان من تعظيم ما هو دونها من الشجر
والبقاع ، ومن ثم قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه كانت
رحمة من الله يعنى اخفاءها بعد ذلك او كانت موضع رحمة من الله ومحل
رضوانه لانزاله الرضى على المؤمنين عندها •

((وقيل أهل أحد المقدمة والأول أولى للنصوص المحكمة))

أهل أحد

وقوله ((وقيل أهل)) غزوة جبل ((أحد المقدمة)) أى فى الزمن
والأفضلية اشارة الى أن الاصح الأفضل أهل بدر فأهل أحد فأهل البيعة
وقوله ((والأول)) وهو تقديم أهل البيعة فى الأفضلية على أهل غزوة
أحد ((أولى)) وأحق وأحرى بذلك وذلك ((لـ)) ورود ((النصوص
المحكمة)) من الكتاب والسنة من أحاديث نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم
وكانت غزوة أحد فى نصف شوال سنة ثلاث أول نهار السبت وفى الفتح
لاحدى عشر خلت منه وقيل لتسع وقيل لثمان وقيل لسبع • وأحد بضم الهمزة
والحاء والذال المهملتين هو جبل أحمر ليس ببنى شناخ بينه وبين المدينة

أقل من فرسخ وهو في شمالها الى الشرق ، روى الشيخان عن أنس رضى
الله عنه وابن ابى شيبة والطبرانى بسند جيد عن سويد بن عامر الانصارى ،
والبخارى عن ابى حميد الساعدى ، والبخارى عن سهل بن سعد ، والطبرانى
عن ابى هريرة وغيرهم رضى الله عنهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لأحد لما بدا له « هذا جبل يحبنا ونحبه » وتكرر منه صلى الله عليه
وسلم هذا القول مرات ، وفي الطبرانى عن سهل بن سعد مرفوعا « أحد
ركن من أركان الجنة » قال ياقوت أحد اسم مرتجل لهذا الجبل . وقال
السهيلي سمي أحدا لتوحده وانقطاعه عن جبال آخر هناك أو لما وقع من
أهله من نصرة التوحيد ولا أحسن من اسم مشتق من الأحدية وأهله هم
الانصار نصروا التوحيد والمبعوث بدين التوحيد عنده استقر حيا وميتا . اذا
علمت هذا فظاهر كلام متكلمى الأشاعرة ان أهل غزوة أحد يلون أهل
يدر فى الأفضلية وكان عدة أهل غزوة أحد بعد انخزال ابن ابى سبعمائة ،
وكان المشركون ثلاثة آلاف وعدة من استشهد يومئذ من المسلمين سبعون
رجلا منهم أربعة من المهاجرين وهم سيد الشهداء حمزة ومصعب وعبدالله
ابن جحش وشماس بن عثمان ، وسائرهم من الانصار وزاد بعضهم من
المهاجرين سعد مولى حاطب بن أبى بلتعة وثقف بن عمرو الاسلمى حليف
بنى عبد شمس ، وهذا يوافق ما رواه ابن حبان والحاكم عن أبى بن كعب
رضى الله عنه قال أصيب يوم أحد من الانصار أربعة وستون ومن المهاجرين
سته . والذى يظهر لى والله أعلم أنه ان أريد شهداء أحد فعم والافيحتاج
الى توقيف فتظن له . فقد وردت الاحاديث فى فضل شهداء أحد كقوله
صلى الله عليه وسلم فى حق عبد الله والد جابر رضى الله عنهما « ما زالت
الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفعتموه » رواه البخارى وأخرج ابن المنذر
عن أنس رضى الله عنه قال لما قتل حمزة واصحابه يوم أحد قالوا يا ليت
لنا مخبرا يخبر اخواننا بالذى صرنا اليه من كرامة الله تعالى لنا فأوحى اليهم
سبحانه وتعالى أنا رسولكم الى اخوانكم فأنزل الله عزوجل (ولا تحسبن
الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا) الى قوله (لا يضيع أجر المؤمنين)
وأخرج الامام أحمد ومسلم وأبو داود عن ابن عباس رضى الله عنهما قال

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لما أصيب اخوانكم بأحد جعل الله تعالى أرواحهم فى أجواف طير خضر ترد انهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوى الى قناديل من ذهب معلقة فى ظل العرش فلما وجدوا طيب مشربهم وحسن مقيلهم قالوا يا ليت اخواننا يعلمون ما صنع الله تعالى لنا - وفى لفظ - قالوا من يبلغ اخواننا انا أحياء فى الجنة نرزق لثلا يزهدوا فى الجهاد ولا ينكلوا عن الحرب، فقال الله عز وجل انا أبلغهم عنكم فأنزل الله تعالى هؤلاء الآيات (ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا) الى آخر الآيات ، وروى نحوه عبد الرزاق فى المصنف وابن أبى شيبة والامام أحمد فى المسند ومسلم فى الصحيح من حديث ابن مسعود . وكان صلى الله عليه وسلم يزور شهداء أحد فاذا بلغ فرضة الشعب يقول «السلام عليكم بما صبرتم فعمم عقبى الدار » ثم كان أبو بكر رضى الله عنه بعد النبى صلى الله عليه وسلم يفعله وكذا عمر وعثمان رضى الله عنهما ، ولما أجرى معاوية رضى الله عنه العين فمرت على الشهداء فأخرجهم طرايا تنشى أطرافهم وجدوا والد جابر ويده على جرحه فأميطت يده عن جرحه فانبعث الدم فردت الى مكانها فسكن الدم قال جابر فرأيت ابى فى حضرتة كأنه نائم والنمرة التى كفن فيها كما هى وكان ذلك بعد أحد بست وأربعين سنة وأصابت المسحاة رجل رجل منهم وهو حمزة فانبعث الدم فقال ابو سعيد الخدرى رضى الله عنه لا ينكر بعد هذا منكر ، وكانوا وهم يحفرون يفتح عليهم من القبور ريح المسك . وروى الحارث فى مسنده عن سعد بن ابى وقاص والحاكم عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا ذكر اصحاب أحد يقول « أما والله لو ددت انى غودرت مع اصحابى بنحض الجبل » يعنى شهداء أحد والاحاديث فى ذلك كثيرة جدا .

وأما أهل الشجرة يعنى أهل البيعة وهم اصحاب الحديدية فقد وردت النصوص المحكمة فى فضلهم كما سنذكر طرفا من ذلك والحديدية بحاء مضمومة فдал مهملتين والдал مفتوحة فموحدة مكسورة ففتحته مفتوحة بالتخفيف والتشديد قال النحاس سألت كل من لقيت ممن أثق به من أهل

العلم عن الحديدية فلم يختلفوا على قراءتها مخففة ونص في البسارح على التخفيف وحكى التشديد عن ابن سيده في المحكم قال في تهذيب المطالع ولم أره لغيره وزعم بعضهم ان التشديد لم يسمع في فصيح ، وقال الامام النووى هما وجهان مشهوران ، قال البكرى قريبة من مكة اكثرها من الحرم وفي صحيح البخارى عن البراء رضى الله عنه والحديدية بئر ، قال الحافظ ابن حجر يشير الى المكان المسمى بالحديدية سمي ببئر كانت هناك هذا اسمها ثم عرف المكان كله بذلك ، وبينها وبين مكة نحو مرحلة واحدة ومن المدينة تسع مراحل ، وكانت في ذى القعدة من السنة السادسة وكان عدة المسلمين الذين مع رسول الله عليه وسلم ورضى عنهم أربعة عشر مائة وأكثر من ذلك ، ولعل الزائد على الالف واربع مائة من الخدام والاتباع واما نفس المقاتلة فأربعة عشر مائة ، واما قول ابن اسحق كانوا سبعمائة فغلط لم يوافق عليه وكان سبب البيعة ان قريشا لما صدت النبى صلى الله عليه وسلم والمسلمين عن المسجد الحرام فبعث عثمان بن عشان رضى الله عنه وقال له اذهب الى قريش وأجبرهم أنا لم نأت لقتال- وانما جئنا عمارا وادعهم الى الاسلام ثم بلغه أن عثمان رضى الله عنه قد فتلته قريش فدعا الناس الى البيعة وقال : « لا تبرح حتى تناجز القوم » روى ابن جرير وابن أبى حاتم من حديث سلمة بن الاكوع رضى الله عنه والبيهقى عن عروة وابن اسحاق عن الزهرى ومحمد بن عمر عن شيوخه قال سلمة رضى الله عنه : بينا نحن قائلون اذ نادى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم ايها الناس البيعة البيعة نزل روح القدس فخرجوا على اسم الله قال سلمة فسرنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو تحت شجرة سمر فايقناه • وفي صحيح مسلم قال فبايعته أول الناس ثم بايعته وسط الناس ثم بايعته آخر الناس • والصحيح أن الذى بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم اول الناس فى تلك البيعة أبو سنان الاسدى فقال ابسط يدك ابايعك فقال صلى الله عليه وسلم علام تبايعنى ؟ قال على مافى نفسك ، قال ومافى نفسى ؟ قال : اضرب بسيفى بين يديك حتى يظهر لك الله أو اقتل • فبايعه وبايعه الناس على بيعة أبى سنان، وضرب

رسول الله صلى الله عليه وسلم باحدى يديه على الاخرى عن عثمان بن عفان رضى الله عنه وقال اللهم ان عثمان فى حاجتك وحاجة رسولك فكانت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم لعثمان خيرا من أيديهم لأنفسهم ، ثم تبين كذب الخبر بقتل عثمان رضى الله عنه فقدم على النبي صلى الله عليه وسلم هو ومن معه وكانوا عشرة وذلك بعد البيعة ، ثم كانت الهدنة بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين قريش . وقد روى البخارى ومسلم وغيرهما فى حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال كنا فى الحديبية ألفا واربعمائة فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم انتم خير اهل

الارض . وروى الامام أحمد ومسلم وأبو داود والترمذى عن جابر بن عبد الله ايضا رضى الله عنهما ومسلم عن ام بشر رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يدخل النار أحد بايع تحت اشجرة » وأخرج الامام أحمد أيضا بسند رجاله ثقات عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال لاهل الحديبية « لا يدرك قوم بعدكم صاعكم ولا مدكم » وسأل ابو الزبير جابرا كم كانوا يوم الحديبية قل : كنا أربع عشرة مائة فبايعناه وعمر آخذ بيده تحس تحت الشجرة وهى سمرة فبايعناه غير جد بن قيس الانصارى اختفى تحت بطن بعير ، وقال بايعناه على أن لانفر ، وعند ابن اسحاق قال جابر رضى الله عنه فكأننى انظر اليه يعنى الى الجد بن قيس لاصقا بابط ناقته قد ضباً

اليها - وهو بفتح الضاد والموحدة مهموزا أى اختبأ بها يستتر بها من الناس - فبايعناه على أن لانفر ولم نبايعه على الموت . وهذا الجد بن قيس الذى لم يبايع كان يرمى بالنفاق وعده الحافظ ابن الجوزى فى منتخب المنتخب من المنافقين وقد نزل فى حقه فى غزوة تبوك ما يشعر بذلك وهو ابن عمه البراء بن معرور وكان سيد بنى سلمة بكسر اللام فى الجاهلية فسود النبي صلى الله عليه وسلم عمرو بن الجموح وقيل سود عليهم بشر بن البراء بن معرور ومال اليه ابن عبد البر ، واخرج الترمذى عن جابر رضى الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم « ليدخلن الجنة من بايع تحت الشجرة الا صاحب الجمل الاحمر » ومن ثم قال ابن

عبد البر ليس في غزواته صلى الله عليه وسلم ما يعدل بدرا أو يقرب منها الا غزوة الحديدية ، وقيل صاحب الجمل الاحمر غير الجد بن قيس يدل له ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « والذي نفسي بيده لقد غفر للركب اجمعين الا روكبا واحدا على جمل أحمر التفت عليه رحال القوم ليس منهم » وقال صلى الله عليه وسلم « كلكم مغفور له الا صاحب الجمل الاحمر » قال أبو سعيد رضى الله عنه فطلب في العسكر فاذا هو عند سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل والرجل من بنى صمره من أهل سيف البحر يظن انه من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقبيل لسعيد رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال، كذا وكذا فقال له سعيد ويحك اذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغفر لك وقال جابر فقلنا له تعال يستغفر لك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال والله لان أجسد ضالتي أحب الى من أن يستغفر لى ، واذا هو قد أضل بعيرا له فانطلق يطلب بعيره بعد ان استبرأ العسكر وطلبه فيهم فينما هو في جبال سراوع اذ زلقت به نعله فتردى فمات فما علم به حتى اكلته السباع . وقصة هذا قبل البيعة اذ هذا ليس من عسكر المسلمين بخلاف الجد بن قيس والله اعلم

(تنبيهات)

تنبيهات الاول في تلخيص التفضيل

(الاول) ظاهر كلام علمائنا ان أفضل الصحابة بعد العشرة أهل بدر من المهاجرين ثم الانصار على قدر الهجرة اولا فأولا ثم سائر اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهم رتب ، وهذا الذى قدمه ابن حمدان فى نهاية المتدئين ثم ذكر ان امة محمد خير الامم وأفضلهم القرن الذى صحبوه وشاهدوه وأمنوا به وصدقوه ونصروه وأفضل القرن الذى صحبوه اربع عشرة مائة الذين بايعوا بيعة الرضوان وأفضلهم أهل بدر الذين نصروه وأفضلهم اربعون فى الدار كنفوه يعنى السابقين الاولين وأفضلهم عشرة عزروه ووقروه وشهد لهم بالجنة ومات وهو عنهم راض وأفضل هؤلاء العشرة الخلفاء الاربعة وأفضلهم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ، وهـ

موافق لما حررنا من تقديم أهل البيعة على أهل غزوة أحد ، فالتحقيق ان
أهل بيعة الرضوان يلون أهل بدر في الأفضلية لما قدمنا من النصوص
ولان الله تعالى قال في أهل بيعة الرضوان (لقد رضى الله عن المؤمنين
اذ يبايعونك تحت الشجرة) وقال في أهل غزوة أحد (ان الذين تولوا
منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان بعض ما كسبوا ولقد
عفا الله عنهم ان الله غفور حلیم) وفي الآية الاخرى (ثم صرفهم
عنكم ليليتلكم ولقد عفا عنكم) فوصفهم في الموضوعين بالعمو ووصف أهل
البيعة بالرضى وهو أعلى وأسنى وأفضل من العمو وهذا ظاهر والله تعالى
أعلم

الثانى السابقون قبل فتح الحديبية

(الثانى) المراد بالسابقين الاولين الذين أنفقوا قبل الفتح وقاتلوا
والمراد بالفتح أمر الحديبية ، قال تعالى (لا يستوى منكم من انفق من قبل
الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا)
قال شيخ الاسلام ابن تيمية فى الفتاوى المصرية : المراد بالفتح فتح
الحديبية لما بايع النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه تحت الشجرة
وكان الذين بايعوه أكثر من ألف وأربع مائة وهم الذين فتحوا خيبر
وقال صلى الله عليه وسلم « لا يدخل النار احد بايع تحت الشجرة »
وسورة الفتح أنزلها الله تعالى قبل فتح مكة وكانت البيعة تحت الشجرة
سنة ست من الهجرة كما تقدم وبذلك الصلح الذى كان بينه صلى الله
عليه وسلم وبين المشركين فى الحديبية حصل الفتح والخير الكثير الذى
لا يعلمه الا الله تعالى مع كونه كان قد كرهه خلق من المسلمين ولم يعلموا
ما فيه من حسن العاقبة ثم فتح الله تعالى على نبيه وعباده المسلمين مكة فى
شهر رمضان فى العام الثامن وكان قد أنزل فى سورة الفتح (لتدخلن
المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين) الى
قوله (فجعل من دون ذلك فتحا قريبا)

الثالث تفضيل نوع على نوع لايفتضى تفضيل كل فرد

(الثالث) المراد بالأفضلية من حيث الجملة ولايلزم تفضيل كل
فرد مثلا من المهاجرين على كل فرد من الانصار وانما نقول الصحبة أفضل
من غيرها ولا أحد من غير الصحابة يساوى أحدا من الصحابة ، وكذلك

الهجرة وكذلك كل ما امتازت به جملة على غيرها من غير هضم
للمفضول من الفضائل والكمالات التي امتاز بها على غيره من غير تلك
الحيثية التي فضله فيها غيره كما يأتي بيان ذلك وتحريره والله أعلم

((وعائشة في العلم مع خديجة

في السبق فافهم نكتة النتيجة))

((وعائشة)) الصديقة بنت الصديق رضي الله عنهما أم
عبد الله أم المؤمنين وحيية رسول رب العالمين عقد عليها وهي بنت ست
سنين قبل الهجرة بستين وقيل بثلاث وبنى بها بالمدينة أول مقدمه في
السنة الاولى وهي بنت تسع ومات عنها وهي بنت ثمان عشرة وتوفيت
بالمدينة ودفنت بالبقيع وأوصت أن يصلى عليها أبو هريرة رضي الله عنه ثمان
وخمسين فهي رضي الله عنها وعن ابيها افضل نسائه صلى الله
عليه وسلم ((في العلم)) النافع والفقه الناصع فلها (من) الفضل في ذلك
ما ليس لغيرها من سائر أزواجه صلى الله عليه وسلم حتى كان الاكابر
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى عنهم اذا أشكل عليهم
أمر من الدين استفتوها فيجدون علمه عندها ، وقد وقع الخلاف بين علماء
السلف في التفضيل بينها وبين أم المؤمنين خديجة فقدم البلباني من متأخريه
علمائنا تبعا لابن حمدان في نهاية المتدئين ان عائشة أفضل النساء ،
وقال الامام موفق الدين أفضل النساء خديجة * قال المحقق ابن القيم في
كتابه جلاء الافهام : وقد اختلف في تفضيل خديجة على عائشة على ثلاثة
اقوال ثالثها الوقف قال وسألت شيخنا شيخ الاسلام ابن تيمية قدس روجه
عنهما فقال اختص كل واحدة منهما بخاصة والى هذا أشرت بقولي ((مع
خديجة)) بت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب أم
المؤمنين وأول أزواج رسول رب العالمين تزوجها رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو ابن خمس وعشرين سنة وبقيت معه الى أن أكرمه الله
تعالى برسالته فأمنت به وصدقته ونصرته وكانت له وزير صدق وماتت
قبل الهجرة بثلاث سنين في الاصح وقيل بأربع وقيل بخمس ولم يتزوج
صلى الله عليه وسلم عليها غيرها وكل أولاده منها الذكور والاناث

خديجة وعائشة

الا ابراهيم عليه السلام فانه من سريته مارية القبطية ، فخديجة المذكورة
أفضل نساء النبي صلى الله عليه وسلم ((فى السبق)) الى الاسلام
ومؤازرة خير الانام قال شيخ الاسلام فى جوابه للمحقق ابن القيم :
خديجة كان تأثيرها فى أول الاسلام وكانت تسلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم وثبته وتبذل دونه مالها فادركت غرة الاسلام واحتملت الاذى فى
الله وفى رسوله وكانت نصرتها للرسول صلى الله عليه وسلم فى أعظم
الحاجة فلها من النصرة والبذل ما ليس لغيرها ، قال وعائشة رضى الله
عنها تأثيرها فى آخر أوقات الاسلام فلها من التفقه فى الدين وتبليغه
الى الامة وانتفاع بنيها بما أدت اليهم من العلم ما ليس لغيرها فلعمائشة
رضى الله عنها فى آخر الاسلام من حمل الدين وتبليغه الى الامة وادراكها
من العلم ما لم تشاركها فيه خديجة ولاغيرها ماتميزت به عن غيرها . وقال
المحقق فى كتابه بدائع الفوائد : الخلاف فى كون عائشة رضى الله عنها
أفضل من فاطمة عليها السلام أو فاطمة أفضل اذا حرر محل التفضيل
لايستقيم اى الخلاف فان اريد بالفضل كثرة الثواب عند الله فذلك أمر
لا يطلع عليه الا بالنص لانه بحسب تفاضل اعمال القلوب لا بمجرد اعمال
الجوارح وكم من عاملين أحدهما أكثر عملا بجوارحه والآخـر
أرفع درجة منه فى الجنة ، وان أريد بالتفضيل التفضيل بالعلم فلا ريب
ان عائشة اعلم وأنفع للامة وأدت من العلم ما لم يؤد غيرها واحتاج الى علمها
خواص الامة وعامتها ، وان أريد بالتفضيل شرف الاصل وجلالة النسب
فلا ريب ان فاطمة أفضل فانها بضعة من النبي صلى الله عليه وسلم وذلك
اختصاص لم يشاركها فيه غير اخواتها وان أريد السيادة ففاطمة سيادة
نساء الامة واذا تبينت وجوه التفضيل وموارد الفضل وأسبابه صار الكلام
بعلم وعدل واكثر الناس اذا تكلم فى التفضيل لم يفصل جهات الفضل
ولم يوازن بينها فيحس الحق وان انضاف الى ذلك نوع تعصب وهوى لمن
يفضله تكلم بالجهل والظلم ، قال وقد سئل شيخ الاسلام ابن تيمية عن
مسائل عديدة من مسائل التفضيل فأجاب فيها بالتفصيل الشافى والى هذا
التفصيل اشرنا بقولنا ((فافهم)) فهم تحقيق واذعان وتدقيق واتقان

((نكتة النتيجة)) أى اثر فائدة الخلاف فان النكتة أثر قليل كالنقطة شبه الاثر الذى يكون فى المرأة والسيف ومنه حديث الجمعة فاذا فيها نكتة سوداء أى أثر قليل كالنقطة شبه الوسخ وأصله من النكت بالحصى ونكت التراب والارض بالقضب ، والنتيجة المراد بها هنا الحكم المتولد من القضيتين بالتفصيل فى التفضيل وأصله من نتجت الناقة اذا ولدت فهى متوجة وانتجت اذا حملت فهى تتوج ولا يقال منتج ونتجت الناقة انتجها اذا ولدتها ، والحكم الناتج مما نحن فيه ان خديجة أفضل بحسب السبق والمؤازرة وانفاقها على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتسليته وحمل المشاق بسببه ونحو ذلك وعائشة أفضل بحسب تحملها للعلوم وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم فانها أحد المكثرين ونشرها لسنته صلى الله عليه وسلم ونفعها للامة فانها كانت عالمة فقيهة فصيحة فاضلة كثيرة الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم عارفة بأمر العرب وأشعارها وفضائلها ومناقبها كثيرة لا تحصى ومجبة النبي صلى الله عليه وسلم اياها وتفضيلها على سائر زوجاته صلى الله عليه وسلم مما لا يخفى . قال الامام المحقق ابن القيم فى جلاء الافهام : ومن خصائص خديجة رضى الله عنها ان الله سبحانه وتعالى بعث اليها السلام مع جبريل فبلغها رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ففى صحيح البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال أتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله هذه خديجة قد أتت معها اناء فيه ادام أو طعام أو شراب فاذا هى أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومنى وبشرها بيت فى الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب . ورواه مسلم أيضا وهذه لعمر الله خاصة لم تكن لسواها وأما عائشة رضى الله عنها فان جبريل سلم عليها على لسان النبي صلى الله عليه وسلم فأخرج البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها قالت قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم « يوما يا عائش هذا جبريل يقرئك السلام » فقلت وعليه السلام ورحمة الله وبركاته قالت وهو يرى مالا أرى . قال ابن القيم من خواص خديجة رضى الله عنها انها لم تسؤ قط ولم تغاضبه ولم ينلها منه ايلاء ولا عتب قط ولا هجر وكفى به هذه

منقبة ، ومن خواصها أنها أول امرأة آمنت بالله من هذه الامة ، ومن خصائص عائشة رضى الله عنها أنه صلى الله عليه وسلم لم يتزوج بكراً غيرها وانها كانت ينزل الوحي على النبي صلى الله عليه وسلم وهو فى لحافها ولما نزلت آية التخيير بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بها فخبرها وقال لها « فلا عليك ان لا تعجلى حتى تستأمرى أبويك » فقالت أفى هذا أستأمر أبوى فانى أريد الله ورسوله والدار الآخرة فاستن بها بقية أزواجه صلى الله عليه وسلم وقلن كما قالت ، ومن أعظم خصائصها انها كانت أحب أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه كما ثبت عنه ذلك فى الصحاح والمسائيد والسنن وقد قال صلى الله عليه وسلم « فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام » رواه البخارى ومسلم وغيرهما ، ومن أعظم خصائصها أن الله تعالى برأها مما رماها به أهل الأذى وأنزل فى برائها وحيا يتلى فى محاريب المسلمين وصلواتهم الى يوم القيامة وشهد لها بأنها من الطيبات فله من حسان عظمت فضائلها وجلت مناقبها ورسخت قدمها فى الدين وعظم شأنها عند سائر المسلمين واحتاج لعلمها أئمة الصحابة وشهد لها أهل التحقيق بالتقدم والاصابة فقد أخرج الترمذى عن أبي موسى الأشعري رضى الله عنه قال ما أشكل علينا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث قط فسألنا عائشة ألا وجدنا عندها منه علما • قال الترمذى حديث حسن صحيح • وأخرج الترمذى عن أنس رضى الله عنه وصححه ان رجلا نال من عائشة رضى الله عنها عند عمار بن ياسر رضى الله عنه فقال اغرب مقبوحا منبوحا أتؤذي حبيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ وأخرج الترمذى عن عبد الله بن زياد الاسدى قال سمعت عمار بن ياسر رضى الله عنه يقول : هي زوجته فى الدنيا والآخرة • يعنى عائشة رضى الله عنها • وقال حديث حسن صحيح • ومناقبها كثيرة وفضائلها غزيرة رضى الله عنها وعن سائر أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم •

((فصل))

فى ذكر الصحابة الكرام بطريق الاجمال وبيان مزاياهم على غيرهم والتعريف بما يجب لهم من المحبة والتبجيل والترضى والتفضيل على سائر

فصل فى فضل
الصحابة جملة
وحقهم

الامة وتقيح من آذاهم وشناهم والكف عما جرى بينهم مما لعله لم يصح عنهم وما صح نله تاويلات سائفة واذا كان لأحد منهم هنات تقع مكفرة مستهلكة فى عظيم حسناتهم وجسيم مجاهداتهم ثم التابعين لهم باحسان ولهذا قال :

((ولبس فى الامة كالصحابه فى الفضل والمعروف والاصابة))

((وليس فى الامة)) المحمدية المفضلة على سائر الامم بأفضلية نبيها صلى الله عليه وسلم وافضلية ما جاء به الذكر الحكيم والدين القويم والصراف المستقيم فيكون الصحابة أفضل خلق الله تعالى بعد أنبياء الله تعالى ورسله ((كالصحابه)) الكرام الذين فازوا بصحبة خير الانام عليه أفضل الصلاة وأتم السلام ، وتقدم فى صدر الكتاب تعريف الصحابة وطريق ثبوت الصحبة وبيان عدالة الصحابة وبيان عدتهم ودرجاتهم فمعتمد القول عند أئمة السنة أن الصحابة رضوان الله عليهم كلهم عدول بالكتاب والسنة واجماع أهل الحق المعبرين قال الله تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس) قيل اتفق المنسرون أن ذلك فى الصحابة لكن الخلاف فى التفاسير مشهور ورجح كثير عمومها فى أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، وكذلك قوله تعالى (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس) وهذا خطاب للموجودين حينئذ وقال تعالى (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم) الآيات فليس فى سائر الامة المحمدية مثل الصحابة الكرام ((فى الفضل)) بشاهد ما فى الصحيحين من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه لا تسبوا اصحابى فوالذى نفسى بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهابا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه « وهذا وان ورد على سبب وهو ماجرى بين عبد الرحمن بن عوف وبين خالد بن الوليد رضى الله عنهما فالعبرة بعموم اللفظ ولا ينافى ذلك كون الخطاب لاصحابه فان المراد لا يسبب غير اصحابى أصحابى ولا يسبب بعضهم بعضا فالمراد النهى عن حصول السبب لهم مطلقا ، وقوله أن أحدكم بالخطاب يمكن حمله على أن المراد من جاء من غيرهم ينزل نفسه منزلتهم وقد يأتي الخطاب لقوم تعريضا بغيرهم كثيرا اعتمادا على القرائن وهذا الموضع منه ، والنصيف أحد اللغات الاربع

فى النصف فانه يقال نصف بكسر النون وفتحها وضمها ونصيف بفتح
النون وزيادة الياء ، والمعنى لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ ثوابه فى
ذلك نفقة اصحابى مدا ولا نصف مد لان انفاقهم كان فى نصرته صلى الله
عليه وسلم وحمايته وذلك معدوم بعده فتضمن ذلك أفضليتهم على غيرهم
مطلقا وان فضيلة نفقتهم على نفقة غيرهم باعتبار ذواتهم • وفى الصحيحين
غيرهما عن عمران بن حصين رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال : « خير الناس قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم قال
عمران فلا أدرى اذكر بعد قرنه قرنين او ثلاثة - ثم ان بعدهم قوما يشهدون
ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون ولا يوفون ويظهر فيهم
السمن - زاد فى رواية - ويحلفون ولا يستحلفون » ورواه ابو داود
ولفظه « خير أمتى القرن الذى بعثت فيهم ثم الذين يلونهم » والله اعلم
أذكر الثالث أم لا الحديث ، ورواه النسائى بنحوه ، ورواه الشيخان
من حديث ابن مسعود رضى الله عنه ، ورواه مسلم من حديث ابى هريرة
رضى الله عنه بنحوه وفيه : والله أعلم أذكر الثالث أم لا • وأخرجه مسلم
أيضا من حديث عائشة رضى الله عنها ، وأخرج الترمذى من حديث
عبد الله بن مغفل رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول « يبلغ الحاضر الغائب الله الله فى أصحابى لا تتخذوهم غرضا بعدى
فمن أحبهم فبحبى أحبهم ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم ومن آذاهم فقد
آذانى ومن آذانى فقد آذى الله ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه ومن
يأخذه الله فيوشك أن لا يفلقه » وأخرج الترمذى أيضا من حديث ابن
عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اذا رأيتم
الذين يسبون اصحابى فقولوا لعنة الله على شركم » وأخرج مسلم عن
عائشة رضى الله عنها انها قالت لعروة بن الزبير يا ابن اختى أمروا أن
يستغفروا لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبواهم • وأخرج
الترمذى من حديث بريدة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم « ما من أحد من أصحابى يموت بأرض الا بعث لهم نورا
وقائدا يوم القيامة » وذكر سعيد بن المسيب رحمه الله تعالى أن عمر بن

الخطاب رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « سألت ربي عن اختلاف أصحابي من بعدى فأوحى الى يا محمد ان اصحابك عندى بمنزلة النجوم فى السماء بعضها أقوى من بعض ، اكل نور فمن أخذ بشيء مما هم عليه من اختلافهم فهو عندى على هدى » قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم » ذكره فى جامع الاصول

((و)) ليس فى الامة كالصحابه الكرام فى ((المعروف)) وهو اسم جامع لكل ما عرف من طاعة الله والتقرب اليه والاحسان الى الناس وكل ما ندب اليه الشرع ونهى عنه من المحسنات والمقبحات وهو من الصفات الغالبة أى أمر معروف بين الناس اذا رأوه لا ينكرونه والمعروف النصفه وحسن الصحبة مع الاهل وغيرهم من الناس ضد المنكر فى ذلك جميعه وفى حديث « اهل المعروف فى الدنيا هم اهل المعروف فى الآخرة » أى من بذل معروفه للناس فى الدنيا آتاه الله جزاء معروفه فى الآخرة ، وقيل أراد من بذل جاهه لاصحاب الجرائم التى لا تبلغ الحدود فيشفع فيهم شفعه الله فى أهل التوحيد فى الآخرة ، وقد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما فى معنى ذلك قال يأتى اصحاب المعروف فى الدنيا يوم القيامة فيغفر لهم بمعروفهم وتبقى حسناتهم جامه فيعطونها لمن زادت سيئاته على حسناته فيغفر له ويدخل الجنة فيجتمع لهم الاحسان الى الناس فى الدنيا والآخرة . ولا يرئب أحد من ذوى الالباب ان الصحابة الكرام هم الذين حازوا قصبات السبق واستولوا على معالى الامور من الفضل والمعروف والصدق فالسعيد من اتبع صراطهم المستقيم واقتفى منهجهم القويم ، والتعيس من عدل عن طريقهم ولم يتحقق بتحقيقهم ، فأى خطة رشد لم يستولوا عليها واى خصلة خير لم يسبقوا اليها ، تالله لقد وردوا ينبوع الحياة عذابا صافيا زلالا ووطدوا قواعد الدين والمعروف فلم يدعوا لاحد بعدهم مقالا ، فتحوا القلوب بالقرآن والذكر والايمان والقرى بالسيف والسنان وبذل النفوس النفيسة فى مرضاة الرحيم الرحمن ، فلا معروف الا ما عنهم عرف ولا برهان الا ما بعلومهم كشف ، ولا سبيل نجات الا ما سلوكه ولا خير سعادة

الا ما حققوه وحكوه ، فرضوان الله تعالى عليهم ما تحلت المجالس بنشر
ذكرهم وما تتمقت الطروس بعرف مدحهم وشكرهم •

((و)) ليس فى الامة أيضا كالصحابه رضى الله عنهم فى ((الاصابه))
للمحكّم المشروع والهدى المتبوع فهم أحق الامة باصابة الحق والصواب
وأجدر الخلق بموافقة السنة والكتاب ، ويشهد لهذا ما رواه الامام أحمد
وغيره عن ابن مسعود رضى الله عنه قال من كان متأسيا فليتأس بأصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فانهم أبر هذه الامة قلوبا وأعماقها علما
وأقلها تكلفا وأقومها هديا وأحسنها حالا قوم اختارهم الله لصحبة نبيه
واقامة دينه فاعرفوا لهم فضلهم وانبعوا آثارهم فانهم كانوا على الهدى
المستقيم • فأحق الامة باصابة الصواب أبرها قلوبا وأعماقها علوما وأقومها
هديا من غير شك ولا ارتياب • وروى أبو داود الطيالسى عن ابن مسعود
رضى الله عنه قال : ان الله نظر فى قلوب العباد فنظر قلب محمد خير
قلوب العباد فبعثه برسالته ثم نظر فى قلوب العباد بعد قلب محمد صلى الله
عليه وسلم فوجد قلوب اصحابه خير قلوب العباد فاخترهم لصحبة نبيه
ونصرة دينه فما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن وما رآه المسلمون
قيحا فهو عند الله قبيح • فخير قلوب العباد أحق الخلق باصابة الصواب
فكل خير واصابة وحكمة وعلم ومعارف ومكارم انما عرفت لدينا ووصلت
اليها من الرعيلى الاول والسرب الذى عليه المعول فهم الذين نقلوا العلوم
والمعارف عن ينبوع الهدى ومنبع الاهتدا ، وفى حديث العرباض بن
سارية رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال له « وانه من بعث
منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين عضوا
عليها بالتواجد واياكم ومحدثات الامور فان كل بدعة ضلالة » رواه الامام
أحمد وأبو داود والترمذى وابن ماجه • قال الترمذى : حديث حسن
صحيح • وقال الحافظ ابو نعيم حديث جيد صحيح ، فدل الحديث على أن
سنة الخلفاء الراشدين متبعة كاتباع سنته صلى الله عليه وسلم بخلاف
غيرهم من ولاة الامور • وأخرج الامام أحمد والترمذى عن حذيفة رضى
الله عنه قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم جلوسا فقال « انى

لا أدري ما قدر بقائي فيكم فافتدوا باللذين من بعدي - وأشار الى ابي بكر وعمر - وتمسكوا بعهد عمار وما حدثكم ابن مسعود فصدقوه « وفي رواية وتمسكوا بعهد ابن ام عبد واهتدوا بهدى عمار فنص صلى الله عليه وسلم في آخر عمره على من يقتدى به من بعده والخلفاء الراشدون الذين أمر بالاقتداء بهم هم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم فان في حديث سفينة رضي الله عنه « الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تكون ملكا » وصححه الامام احمد وغيره وتقدم ، فكل ما اجتمع عليه الصحابة مما أجمعوا عليه أو جمعهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب عليه فاجتمعوا فهو الحق لا شك فيه ولو خالف فيه بعد ذلك من خالف ومن ثم نحنج بقول الصحابي حيث لا نص نبوي ان لم يخالف فيه مثله على معتمد المذهب وأخرج أبو يعلى المرصلي عن أنس رضي الله عنه « مثل اصحابي مثل الملح في الطعام لا يصلح الطعام الا بالملح »

وعلى كل حال لا يرتاب ذوو الالباب من ذوى الافضال ان الصحابة انكروا حازوا تصبات السبق بصحبة خير الانام واستولوا على الامد فلا مطعم لاحد من الامة بعدهم في اللحاق ولكن المبرز من اتبع صراطهم المستقيم واقتفى منهاجهم التويم والمتخلف من عدل عن طريقهم ذات اليمين وذات الشمال فذاك المنقطع التائه في بيداء المهالك والضلال • وقوله صلى الله عليه وسلم « مثل أصحابي كمثل الملح في الطعام » يعنى كما ان الملح صلاح الطعام فأصحابي صلاح الانام ، قال في (اعلام الموقعين) كما ان الملح به صلاح الطعام فالصواب به صلاح الانام فلو أخطأ الصحابة فيما افتوا به لاحتاج ذلك الى ملح يصلحه فاذا أفتى من بعدهم بالحق كان قد أصلح خطأهم فكان ملحا لهم • انتهى • أى والحال انهم هم الملح المصلح فكيف يكون غيرهم مصلحا لهم فهذا خلف • وروى الطبراني وأبو نعيم وغيرهما عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما انه قال يا معشر القراء خذوا طريق من كان قبلكم فوالله لئن استقمتم لقد سبقتم سبقا بعيدا ولئن تركتموه يمينا وشمالا لقد ضللتهم ضلالا بعيدا • قال في اعلام الموقعين : ومن المحال أن يكون الصواب في غير طريق من سبق الى كل خير على الاطلاق • وقال

رجحان قول
الصحابي عند
الاختلاف

فيه أيضا : من تأمل المسائل الفقهية والحوادث الفرعية وتدرّب بمسالكها وتصرف في مداركها وسلك سبلها ذللا وارتوى من موردها عللا ونهلا علم قطعا أن كثيرا منها قد يشتهب فيها وجوه الرأى بحيث لا يوقف فيها بظاهر مراد او قياس صحيح تشرح له الصدور وينتج له الفؤاد بل تتعارض فيها الظواهر والاقيسة على وجه يقف المجتهد فى أكثر المواضع حتى لا يبقى للظن رجحان بين لا سيما اذا اختلف الفقهاء فان عقولهم من أكمل العقول وأوفرها فاذا تلددوا وتوقفوا ولم يتقدموا ولم يتأخروا لم يكن ذلك وفى المسألة طريقة واضحة ولا حجة لائحة فاذا وجد فيها قولاً لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين هم سادات الامّة زقدوة الائمة وأعلم الناس بكتاب ربهم وسنة نبهم وقد شاهدوا التنزيل وعرفوا التأويل ونسبة من بعدهم فى العلم اليهم نسبتهم اليهم فى الفضل والدين كان الظن والحالة هذه بأن الصواب فى وجهتهم والحق فى جانبهم من أقوى الظنون وهو أقوى من الظن المستفاد من كثير من الاقيسة ، هذا مما لا يمتري فيه عاقل منصف ، وكان الرأى الذى يوافق رأيه هو الرأى السديد الذى لا رأى سواه ، واذا كان المطلوب فى الحادثة انما هو ظن راجح ولو استند الى استصحاب أو قياس علة أو دلالة أو شبه أو عموم أو خصوص أو محفوظ مطلق او وارد على سبب فلا شك ان الظن الذى يحصل لنا بقول الصحابي الذى لم يخالف ارجح من كثير من الظنون المستندة الى هذه الامور أو اكثرها . فظهر بهذا أن الصحابة رضى الله عنهم اولى الامّة بالاصابة فيما ثبت عنهم فانهم رضى الله عنهم كانوا أبر قلوبا وأعرق علما وأقل تكلفا وأقرب الى أن يوقفوا للصواب من غيرهم لما خصهم الله به من توقد الازهان وفصاحة اللسان وسعة العلم وسهولة الاخذ وحسن الادراك وسرعته وقلة المعارض أو عدمه وحسن القصد وتقوى السرب ، فالعربية طريقتهم وسليقتهم والمعانى الصحيحة مركوزة فى فطرتهم وعقولهم ولا حاجة بهم الى النظر فى الاسناد وأحوال الرواة وعلل الحديث والجرح والتعديل ولا الى النظر فى قواعد الاصول وأوضاع الاصوليين فقد أغنوا عن ذلك كله فليس فى حقهم الا أمران احدهما قال الله تعالى كذا وقال

رسوله كذا والثاني معناه كذا وكذا وهم اسعد الناس بهاتين المقدمتين
وأحظى الامة بهما فقواهم متوافرة مجتمعة عليهما وبالله التوفيق •
ولهذا نقول فى النظم

((فانهم قد شاهدوا المختاراً وعانوا الاسرار والانوارا))
((وجاهدوا فى الله حتى باننا دين الهدى وقد سما الاديانا))
((وقد أتى فى محكم التنزيل من فضلهم ما يشفى للقليل))
((وفى الاحاديث وفى الآثار وفى كلام القوم والاشعار))
((ما قد ربا من أن يحيط نظمى عن بعضه فاقنع وخذ عن علم))

((فانهم)) أى الصحابة الكرام عليهم الرضوان من الملك السلام ((قد
شاهدوا)) وصحبوا ((المختاراً)) بألف الاطلاق فى المختار من سائر
الانام عليه أفضل الصلاة وأتم السلام ((وعانوا)) فى صحبتهم للنبي
المختار ((الاسرار)) القرآنية وعلموها من الحضرة النبوية وعلموا
التنزيل والتأويل وآدابه ((و)) عانوا ((الانوارا)) القرآنية والاشعة
المصطفوية فهم أسعد الامة باصابة الصواب وأجدر الأئمة بعلم فقه السنة
والكتاب لفوزهم بصحبة النبي صلى الله عليه وسلم ومشاهدة نزول الوحي
ومعرفة الاسباب فلا يجاروا فى علمهم ولا يباروا فى فهمهم فكل علم وفهم
وخير عنهم وصل ، وكل سعادة وسيادة وفقه من علمهم وبسببهم حصل ،
فرضوان الله عليهم مازين ذكرهم الدفاتر وشرف نشرهم المنابر
((وجاهدوا فى)) سبيل ((الله)) لاعلاء كلمة الله وبذلوا نفوسهم
النفيسة فى مرضاة الله ((حتى باننا)) بألف الاطلاق أى ظهر ووضح
واستعلن ((دين الهدى)) أى دين الاسلام الذى به الهدى والدلالة
الموصلة والفوز والفلاح ، وأشرق نور الاهتدا وشعاع الوصول فلاح ((وقد
سما)) أى علا دين الاسلام ولله الحمد ((الاديانا)) أى سائر الاديان
التي كانت قبله ، وتقدم تعريف الدين لغة واصطلاحاً فسائر الاديان غير
دين الاسلام الذى جاء به سيد ولد عدنان منسوخة وكل عبادة لم يأت بها
فهى باطلة منسوخة ، كما قال تعالى (ومن يتبع غير الاسلام ديناً فلن يقبل
منه) وقال (ان الدين عند الله الاسلام)

((وقد أتى في محكم التنزيل)) من الكتاب العظيم والذكر الحكيم ((من فضلهم)) أى الصحابة الكرام عليهم الرضوان والسلام ((ما)) أى الذى يعنى من الآيات المحكمات والكلمات الباهرات ((يشفى)) من شفى يشفى أى يبرىء ((للغليل)) بالغين المعجمة كامير العطش أو شدته أو حرارة الجوف كما فى القاموس والمراد ما يطفىء حرارة الجهل بمقاماتهم الباذخة وينفي الوهم والغل عن اطواد علومهم الراسخة كقوله تعالى (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار ورحماء بينهم) الآيات وقوله تعالى (أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين) وكقوله (والسابقون الاولون) الآيات وكقوله تعالى ' قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى) وقوله (قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى) وهم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم والدليل عليه قوله تعالى (ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا) وقوله (كنتم خير أمة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) وقوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) قال غير واحد من السلف هم اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ولا ريب أنهم أئمة الصادقين وكل صادق بعدهم فهم يأتهم فى صدقه بل حقيقة صدقه اتباعه لهم وكونه معهم وقوله (وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) أى أمة خيارا عدولا فان هذا حقيقة الوسط ، فهم خير الامم وأعد لها فى أقوالهم وأعمالهم واراداتهم ونياتهم ، وبهذا استحقوا ان يكونوا شهداء للرسول على أممهم يوم القيامة والله تعالى يقبل شهادتهم عليهم فهم شهداؤه ، ولهذا نوه بهم ورفع ذكرهم وأثنى عليهم وقال تعالى (وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبىكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس) الآية الى غير ذلك من الآيات القرآنية والكلمات الرحمانية

((و)) قد اتى أيضا ((فى الاحاديث)) النبوية ((وفى الآثار))

السلفية ((و)) قد أتى ((فى كلام القوم)) من المحدثين والفقهاء والصوفية وأهل المعارف والحقائق والهمم الوفية والعلموم الشرعية والأفهام الذكية ((و)) فى ((الأشعار)) المرصية من العرب والمولدين من مدحهم والثناء عليهم ((ما)) أى شئ ((قد ربا)) أى زاد وعلا ونما ((من ان يحيط نظمى)) فى هذه الأرجوزة ويضيق ((عن بعضه)) فضلا عن غالبه وكله ((فاقنع)) بما ذكرته لك من الآيات الباتة والأحاديث الثابتة عن سيد بنى آدم وصفوة جميع العالم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ((وخذ)) ذلك واعتمد عليه وصره اليك واعتصم به واستند اليه فانه ((عن علم)) ويقين وايضاح وتبين ومعرفة وتمكين ، وقوله واقنع من القنوع وهو الرضا باليسير من العطاء وقد قنع بالكسر يقنع قنوعا وقناعة اذا رضى ، وقنع بالفتح قنوعا اذا سأل ، ومنه حديث « القناعة كنز لا يفنى » لان الأنفاق منها لا ينقطع فكلما تعذر عليه شئ من أمور الدنيا قنع بما دونه ورضى ، وحديث « عز من قنع وذل من طمع » لان القانع لا يذله الطلب فلا يزال عزيزا وعلى كل حال فلا مقام بعد مقام النبوة أعظم من مقام قوم ارتضاهم الله عز وجل لصحبة نبيد صلى الله عليه وسلم ونصرة دينه القويم وصراطه المستقيم قال تعالى (محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم) الآيات وقال (والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه) فمن تأمل فيما ذكرناه حق التأمل وأعطى المقام حقه نجا من قبيح ما انتحلت الرافضية وفضيخ مذهب اليه من الالحاد فى آيات الله وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأفك والمناقضة فالحذر الحذر من ادنى شائبة تزرى بتلك المناصب الشامخة والعلوم الراسخة ولهذا نقول

((واحذر من الخوض الذى قد يزرى

بفضلهم مما جرى لو تدرى))

((فانه عن اجتهاد قد صدر

فاسلم أذل الله من لهم هجر))

التحذير من
الازراء بفضل
الصحابة

((واحذر)) حذر اذعان وتسليم مع سلامة صدر وامتناع أمر
النبي الكريم ((من الخوض)) المفضى الى التوسع والتقيب والتبجح
والتأنيب ((الذى قد يزرى)) وينقص ويحط ((بفضلهم)) المعلوم من
الكتاب والسنة عند ذوى العلوم مما ذكرنا فى ماتقدم شذرة سالحة منه
((مما)) أى من الاختلاف والتخاصم والتشاجر الذى ((جرى)) بينهم
((لو)) كنت ((تدرى)) غب ذلك الخوض المفضى الى توليد الاحن
وحزازات القلوب والحدق على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وذلك من اعظم الذنوب فانهم خير القرون وهم السابقون الاولون وذلك
انه جرى بين على ومعاوية وقبلهما وبعدهما من المنازعات والمقاتلات مالو
صدرت من سواهم أو كانت من غيرهم لم تقصر عن التفسق (?) فضلا عن
غيره والجواب عن ذلك ما أشير اليه بقوله ((فانه)) أى التخاصم
والنزاع والتقاتل والدفاع الذى جرى بينهم كان ((عن اجتهاد قد صدر))
من كل واحد من رؤس الفريقين ومقصد سائق لكل فرقة من الطائفتين
وان كان المصيب فى ذلك للصواب واحدا وهو على رضوان الله عليه
ومن والاه والمخطى هو من نازعه وعاداه غير أن للمخطى فى الاجتهاد
أجرا وثوابا خلافا لأهل الجفاء والناد فكل ماصح مما جرى بين الصحابة
الكرام وجب حملة على وجه ينفى عنهم الذنوب والآثام فمقاولة على مع
العباس رضى الله عنهما لانفضى الى شين ، وتقاعد على رضوان الله عليه عن
مبايعة الصديق الاعظم فى بدء الامر كان لاحد أمرين اما لعدم مشورته
كما عتب عليه بذلك واما وقوفا مع خاطر سيدة نساء العالم فاطمة البتول
عليها السلام مما ظنت انه لها وليس الامر كما هنالك ثم ان عليا بايع
الصديق رضى الله عنهما على رؤوس الاشهاد فاتحدت الكلمة ولله الحمد
وحصل المراد ، وتوقف على رضى الله عنه عن الاقتصار من قتلة عثمان
اما لعدم العلم بالقاتل واما خشية تزايد الفساد والطغيان ، وكانت عائشة
وطلحة والزبير ومعاوية رضى الله عنهم ومن اتبعهم ما بين مجتهد ومقلد
فى جواز محاربة أمير المؤمنين سيدنا أبى الحسنين الأنزع البطين رضوان
الله عليه ، وقد اتفق أهل الحق ان المصيب فى تلك الحروب والتنازع

أمير المؤمنين على رضوان الله عليه من غير شك ولا تدافع ، والحق الذي ليس عنه نزول أنهم كلهم رضوان الله عليهم عدول ، لأنهم متأولون في تلك المخاصمات مجتهدون في هاتيك المقاتلات ، فانه وان كان الحق على المعتمد عند أهل الحق واحدا فالمخطيء مع بذل الوسع وعدم التقصير مأجور لا مأزور ، وسبب تلك الحروب اشتباه القضايا فلشدة اشتباهها اختلف اجتهادهم وصاروا ثلاثة أقسام قسم ظهر لهم اجتهادا ان الحق في هذا الطرف وان مخالفه باغ فوجب عليهم نصرته المحق وقاتل الباغي عليه فيما اعتقدوه ففعلوا ذلك ولم يكن لمن هذه صفته التأخر عن مساعدة الامام العادل في قتال البغاة في اعتقاده ، وقسم عكسه سواء بسواء وقسم ثالث اشتبعت عليهم القضية فلم يظهر لهم ترجيح أحد الطرفين فاعتزلوا الفريقين وكان هذا الاعتزال هو الواجب في حقهم لانه لا يحل الاقدام على قتال مسلم حتى يظهر ما يوجب ذلك ، وبالجملة فكلهم معذورون ومأجورون لا مأزورون ، ولهذا اتفق أهل الحق ممن يعتقد به في الاجماع على قبول شهادتهم ورواياتهم وثبوت عدالتهم ، ولهذا قال علماؤنا كغيرهم من أهل السنة ومنهم ابن حمدان في نهاية المتدينين : يجب حب كل الصحابة والكف عما جرى بينهم كتابة وقراءة واقراء وسماعا وتسميعا ، ويجب ذكر محاسنهم والترضى عنهم والمحبة لهم وترك التحامل عليهم واعتقاد العذر لهم وانهم انما فعلوا ما فعلوا باجتهاد سائغ لا يوجب كفرا ولا فسقا بل ربما يثابون عليه لانه اجتهاد سائغ ، ثم قال : وقيل المصيب على ، ومن قائله فخطاؤه معفو عنه . وانما نهى عن الخوض في النظم لان الامام أحمد كان ينكر على من خاض ويسلم أحاديث الفضائل وقد تبرأ رضى الله عنه ممن ضللهم أو كفرهم وقال : السكوت عما جرى بينهم . وقال بعض المحققين : البحث عن احوال الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين وعما جرى بينهم من الموافقة والمخالفة ليس من العقائد الدينية ولا من القواعد الكلامية وليس هو مما ينتفع به في الدين بل ربما أضر باليقين وانما ذكر العلماء منها تنقفا في كتبهم صونا للقاصرين عن التأويل عن اعتقاد ظواهر حكايات الرافضة ورواياتها ليتجنبها من لا يصل الى

حقيقة علمها ولان الخوض في ذلك انما يصلح للتعليم وللمرد على المتعصين أو لتدريس كتب تشتمل على تلك الآثار فيؤول ذلك ويبينه للعوام لفرط جهلهم بالتأويل مع ان غالب او كل ما يحكيه الرافضة موضوع واكثره باطل مصنوع فلا جرم السلامة في التسليم وكف اللسان عن هذا المدخل الضيق العظيم ، ولهذا قال ((فاسلم)) من الخوض في تلك البحور واحذر من العثار في ذلك الغطش الديجور . فان من قارف الفتنة افتتن ومن تعرض بدينه للشبهات والشهوات اختبن ، ثم ان الناظم دعا على طائفة الجفاء والفجور واهل الرفض والضلال ممن حاد عن الامر المأمور فقال ((اذل الله)) سبحانه وتعالى وقد فعل ((من)) كل مبتدع من الرافضة ومن وافقهم ((لهم)) أى للصحابة الكرام أو لبعضهم ((هجر)) وعادى ولم يوال ويحب ، وقد روى الديلمي عن أنس رضى الله تعالى عنه « اذا أراد الله تعالى برجل من أمتي خيرا ألقى حب أصحابي في قلبه » وأخرج الترمذى من حديث عبد الله بن مغفل رضى الله عنه مرفوعا « الله الله فى أصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدى فمن احبهم فحبي احبهم ومن ابغضهم فبغضى ابغضهم ومن آذاهم فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله تعالى ومن آذى الله يوشك أن يأخذه » والذي أجمع عليه اهل السنة والجماعة أنه يجب على كل أحد تزكية جميع الصحابة باثبات العدالة لهم والكف عن الطعن فيهم والثناء عليهم فقد اتى الله سبحانه عليهم فى عدة آيات من كتابه العزيز ، على أنه لو لم يرد عن الله ولا عن رسوله فيهم شيء لأوجبت الحال التى كانوا عليها من الهجرة والجهاد ونصرة الدين وبذل المهج والاموال وقتل الآباء والاولاد والمناصحة فى الدين وقوة الايمان واليقين القطع بتعديلمهم والاعتقاد لنزاهتهم وانهم أفضل جميع الامة بعد نبينهم ، هذا مذهب كافة الامة ومن عليه المعول من الائمة ، وأما من شذ من اهل الزيغ والابتداع ممن ضل وأضل فلا التفات اليهم ولا معول عليهم ، ولهذا قال الامام أبوزرعة (١) العراقى ، من أجل شيوخ مسلم (٢) اذا رأيت الرجل ينتقص

(١) زاد فى مخ « الرازى » ثم ضرب عليها (٢) كذا وأبوزرعة العراقى متأخر جدا عن مسلم

احدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعلم انه زنديق وذلك أن القرآن حق والرَسُولُ حق وما جاء به حق وما أدى إلينا ذلك كله إلا الصحابة فمن جرحهم إنما أراد إبطال الكتاب والسنة فيكون الجرح به أليق والحكم عليه بالزندقة والضلال أقوم وأحق . وقال ابن حزم : الصحابة كلهم من أهل الجنة قطعا قال تعالى (لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى) وقال تعالى (ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون) فثبت أن جميعهم من أهل الجنة . والحاصل انه لا يهجر الصحابة ويعدوهم الا عدو لله مبعود(?) من رحمة الله خيبت زنديق والله ولي التوفيق . قال العلامة ابن حمدان في نهاية المبتدئين : من سب أحدا من الصحابة مستحلا كفر وإن لم يستحل فسق ، وعنه : يكفر مطلقا ، وإن فسقهم أو طعن في دينهم أو كفرهم كفر ، والله تعالى أعلم . ولما أنهى الكلام على الصحابة الكرام حسبما يقتضيه المقام وإن كان ما ذكر في جنب ما سكت عنه كقطرة من بحر طام وذباله من نور عام ذكر التابعين لهم بإحسان ثم تابعيهم كما قاله خير الأنام فقال

((وبعدهم فالتابعون أخرى بالفضل ثم تابعوهم طرا))

التابعون
وأفضلهم

((وبعدهم)) أى بعد الصحابة المخصوصين بالفضل والعدالة العامة والاصابة ((فالتابعون)) لهم بإحسان ((أخرى)) أى أحق وأجدر ((بالفضل)) والاتقان والتقديم على غيرهم من سائر أهل الإيمان، وتعريف التابعى هو كل من صحب الصحابى ومطلقه مخصوص بالتابعى بإحسان ويقال للواحد تابع وتابعى ولا بد فى التابعى من زيادة على ما تعتبر به الصحبة فى الصحابى كما تقدم لأن الصحبة خصوصية كما بيناه ولهم طبقات بالنسبة الى من اجتمع بعشرة او ثلاثة من الصحابة وبالعلم والزهد وغير ذلك . وقد اختلف فى أفضل التابعين ، قال سيدنا الامام أحمد وغيره من أهل العلم : أفضل التابعين سعيد بن المسيب ، وقال قوم أفضل التابعين أويس ابن عامر ويقال عمرو وكنيته أبو عمرو وهو القرنى ، واستدلوا له بحدِيث « خير التابعين اويس » رواه الحاكم عن علي بن ابي طالب عن النبي صلى

الله عليه وسلم وفي صحيح مسلم « ان خير التابعين رجل يقال له أويس وله والدة وكان به بياض فمروه ، فليستغفر لكم » قال النووي هو أويس ابن عامر كذا رواه مسلم وهو المشهور ، وقال ابن ماکولا ويقال أويس بن عمرو وهو القرني بفتح القاف والراء وهو بطن من مراد وهو قرن بسن ردمان وغلطوا من نسبه الى قرن المنازل الجيل المعروف ميقات أهل نجد في الاحرام ، وفيه طلب الدعاء والاستغفار من أهل الصلاح وان كان الطالب أفضل منهم ، فان قيل كيف استجاز الامام أحمد ومن نحا نحوه تفضيل سعيد بن المسيب على سائر التابعين مع وجود النص الصريح بالنقل الصحيح في تفضيل اويس القرني ، فالجواب أن مراد سيدنا الامام أحمد واضرا به أفضلية سعيد في العلوم الشرعية كال تفسير والحديث والفقه ونفع الامة بذلك وبما بلغه عن الصحابة الكرام عن النبي عليه أفضل الصلاة والسلام فانه الامام الحافظ الثقة المأمون حتى قيل فيه أعلم أمة محمد بدين محمد بعد محمد سعيد بن المسيب رحمه الله ورضي الله عنه ، والدليل على أفضلية التابعين قول النبي صلى الله عليه وسلم : خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم - قال عمران فلا أدري بعد قرنه قرنين أو ثلاثة - ثم ان بعدهم قوما يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون ولا يوفون ويظهر فيهم السمن ، زاد في رواية ويحلفون ولا يستحلفون . رواه البخاري ومسلم والترمذي من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه ، ورواه أبو داود ولفظه « خير أمتي القرن الذي بعثت فيهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ، والله أعلم أذكر الثالث أم لا . ورواه مسلم من حديث ابي هريرة وفيه : والله اعلم اذكر الثالث ام لا . وقد قال صلى الله عليه وسلم : لا تمس النار مسلما رأني او رأى من رأني . رواه الترمذي من حديث جابر قال طلحة فقد رأيت جابر بن عبد الله رضي الله عنهما وقال موسى قد رأيت طلحة وقال يحيى وقال لي موسى وقد رأيتني ونحن نرجو الله تعالى . قال الامام المحقق ابن القيم في أول كتابه اعلام الموقعين ألقى الصحابة الكرام الى التابعين ما تلقوه من مشكاة النبوة خالصا صافيا وكان سندهم عن نبيهم صلى الله عليه وسلم عن جبريل عن رب

اتباع التابعين

العالمين سندا صحيحا عاليا وقالوا هذا عهد نبينا الينا وقد عهدناه اليكم وهذه وصية ربنا وفرضه علينا وهي وصيته وفرضه عليكم فجرى التابعون لهم باحسان على منهاجهم واقتفوا آثار صراطهم المستقيم ولهذا قال ((ثم)) افضل بعد التابعين ((تابعوهم)) اى اتباع التابعين لما تقدم من صحيح الاخبار وصريح الآثار ((طرا)) أى جميعا وهو منصوب على المصدر أو الحال لانهم سلكوا مسلكهم الرشيد (وهدوا الى الطيب من القول وهدوا الى صراط الحميد) وكانوا بالنسبة الى من قبلهم كما قال أصدق القائلين (نلة من الاولين وقليل من الآخرين) ثم جاء الائمة من القرن الرابع المفضل فى احدى الروايتين كما ثبت فى الصحيح من حديث أبى سعيد وابن مسعود وأبى هريرة وعائشة وعمران بن حصين رضى الله عنهم اجمعين من قوله صلى الله عليه وسلم خير الناس قرنى الحديث والقرن أهل زمان واحد متقارب اشتركوا فى أمر من الامور المقصودة والاصحاحه لا يضبط بمدة فقرنه صلى الله عليه وسلم هم اصحابه وكانت مدتهم من المبعث الى آخر من مات من أصحابه وهو ابو الطفيل مائة وعشرين سنة وقرن التابعين من نحو مائة الى سبعين سنة وقرن اتباع التابعين من ثم الى حدود العشرين ومائتين وفى هذا الوقت ظهرت البدع ظهورا فاشيا وأطلقت المعتزلة ألسنتها وأظهرت الجهمية نحلتها ورفعت الفلاسفة رؤوسها وامتحنت أئمة الدين وعلماء المسلمين ليقولوا بخلق القرآن وكان المقصود الاعظم منهم امامنا الامام أحمد فقام بأمر السنة أتم قيام وعاضده عليها أئمة اعلام وحفاظ للدين فحاشم شكر الله سعيهم وثبتنا على نهجهم آمين ، وظهر مصداق قوله صلى الله عليه وسلم كما فى رواية : ثم يفشو الكذب ، قال فى النهاية خير الناس قرنى يعنى الصحابة ثم التابعين والقرن أهل كل زمان وهو مقدار التوسط فى أعمار كل زمان مأخوذ من الاقتران فكأنه المقدار الذى يقترن فيه اهل ذلك الزمان فى أعمارهم وأحوالهم وقيل القسرن أربعون سنة وقيل مائة وقيل هو مطلق من الزمان وهو مصدر قرن يقرن قرناه قال الحافظ جلال الدين السيوطى فى الدر المشور القرن أهل كل زمان وهو المقدار الذى يقترن فيه أهل ذلك الزمان فى أعمارهم وأحوالهم

في ذكر كرامات الاولياء واثباتها

وهذا من العقائد السنية التي يجب اعتقادها ولا يجوز نفيها واهمالها
ولهذا قال :

((وكل خارق أتى عن صالح من تابع لشرعنا وناصح))
((فانها من الكرامات التي بها نقول فاقف للدلة))
((ومن نفاها من ذوى الضلال فقد أتى في ذلك بالمحال))
((فانها شهيرة ولم تنزل في كل عصر ياشقا أهل الزلل))

انواع الخوارق

((وكل خارق)) للعادة من الخوارق وهى ستة أنواع (الاول) المعجزة
وتقدم الكلام عليها (الثانى) الارهاص وهو كل خارق تقدم النبوة فهو مقدمة
لها فالمعجزة أمر خارق للعادة مقرون بدعوى النبوة والارهاص المقدمة لها
قبلها كقصة اصحاب الفيل (الثالث) الكرامة وهى أمر خارق للعادة غير
مقرون بدعوى النبوة ولا هو مقدمة ، يظهر على يد عبد ظاهر الصلاح ملتزم
لتابعة نبي كلف بشريعته مصحوب بصحيح الاعتقاد والعمل الصالح علم
بها ذلك العبد الصالح أم لم يعلم (الرابع) الاستدراج والمكر (الخامس)
المعونة كما يظهر بسبب بعض عوام المسلمين وضعفاء أهل الدين تخليصا
لهم من المحن والمكاره (السادس) الاهانة والاحتقار كما فعل مسيلمة
الكذاب من مسحه بيده على رأس غلام فانقرع ومن تفله فى بئر عذبة
ليزداد مأوئا حلاوة فصار ملحا أجاجا ، ومن الخوارق الفاسدة السحر
والشعبذة ونحوهما

والحاصل أن الكرامة لا بد أن تكون أمرا خارقا للعادة ((اتى)) ذلك
الخارق ((عن)) امرى ((صالح)) وهو الولى العارف بالله وصفاته
حسب ما يمكن ، المواظب على الطاعات المجتنب عن المعاصى المعرض عن
الانهماك فى اللذات والشهوات من ذكر وانثى ولا بد أن يكون صدور ذلك
الخارق فى زماننا وبعده وقبله منذ بعث نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
((من)) انسان ((تابع لشرعنا)) معشر المسلمين لان سائر الشرائع سواء
قد نسخت وان. يكون الخارق من قبل من ظهر على يديه غير مقارن لدعوى
النبوة فما لا يكون مقرونا بالايمان والعمل الصالح يكون استدراجا وما

يكون مقرونا بدعوى النبوة يكون معجزة كما تقدم آنفا ولا اعتبار كون من صدرت عنه الخوارق عارفا مطيعا ظاهر الصلاح متابعا لشريعة محمد صلى الله عليه وسلم أشار بقوله ((وناصح)) لله ولرسوله ولكتابه ولشريعة النبي صلى الله عليه وسلم التي أتى بها عن الله وناصح لأئمة المسلمين وخاصتهم وعامتهم فإن الدين النصيحة فما يصدر من الخوارق المؤكدة لكذب الكذابين وترهات المفتريين من قبيل المكر والاستدراج والمحسن والاعوجاج وأما اذا صدرت عن ذكر من الصالح الناصح المتابع لشرعنا القويم وديننا المستقيم ((فانها)) تكون ((من الكرامات التي بها)) أى بجوازها ووقوعها ((نقول)) معشر أهل السنة من السلف والخلف قال ابن حمدان فى نهاية المتبتدين: وكرامة الاولياء حق، وأنكر الامام أحمد رضى الله عنه على من أنكرها وضلله ، قال وتوجد فى زمن النبوة واشراط الساعة وغيرهما ولا تدل على صدق من ظهرت على يده فيما يخبر به عن الله تعالى ولا على ولايته لجواز سلبها وان تكون استدراجا له يعنى أن مجرد الخارق لا يدل على ذلك ولذلك قال ولا يساكنها ولا يقطع هو بكرامته بها ولا يدعيها وتظهر بلا طلبه تشريفا له ظاهرا ولا يعلم من ظهرت منه هو أو غيره انه ولى لله تعالى غالبا بذلك وقيل بلى ولا يلزم من صحة الكرامات ووجودها صدق من يدعيها بدون بينة او قرائن حالية تفيد الجزم بذلك وان مشى على الماء وفى الهواء او سخرت له الجن والسباع حتى تنظر حاتمته وموافقته للشرع فى الامر والنهى ، وان وجد الخارق من نحو جاهل فهو مخرقة ومكر من ابليس واغواء واضلال^(١) ولا شئ على من ظن الخير بمن يراه منه وان كان فى الباطن شيطانا وحسن الظن بأهل الدين والصلاح حسن (٢) ((فاقف)) فى اعتقادك الصالح ونهجك أى اتبع ((للدلة))

حد الكرامة
والولى

تفليس اولياء
ابليس

(١) قد أحسن المؤلف بما اقرره فى هذا الفصل ، ولشيخ الاسلام ابن تيمية كتاب (الفرقان بين اولياء الرحمن وأولياء الشيطان) فليراجع وقد اولع الناس بعد صفوة القرون المفضلة بالدعاوى والحكايات وراجت بينهم جدا حتى صارت الكرامات تدعى لمن يدع الفرائض ويرتكب الكبائر وربما عدت المجاهرة بالكبائر الفظيعة كرامة ، انظر طمقات الشعرانى ج ٢ ص ١٣٥ فى ترجمة على وحيش والتي تليها (٢) هذا اذا لم يؤد حسن الظن بالشخص الى مخالفة الشرع والكذب عليه وانكار المعروف وقبول المنكر .

الشرعية والمشاهدات الحسية والقواطع العقلية فان كرامات الاولياء ثابتة بالعيان والبرهان أما أولا فان وجودها جائز عقلا واقع عيانا وشرعا فان حمل مريم بلا ذكر ووجود الرزق عندها بلا سبب من فأكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف من الخوارق وليست بمعجزتين لعدم شرط المعجزة وهو دعوى النبوة والتحدى فتعين كون ذلك كرامة لها ، وأيضا قصة آصف بن برخا فان احضاره عرش بلقيس في لحظة من مسيرة شهر خارق للعادة حتما ، وأيضا قصة اصحاب الكهف فان بقاءهم ثلاثمائة سنة بلا آفة من أعظم الخوارق ، وثانيا ما تواتر معناه وان كانت تفاصيله آحادا من كرامات الصحابة والتابعين ومن بعدهم الى وقتنا هذا مما ذاع وشاع وملا الآفاق والاسماع وضاعت عن احصائه الدفاتر وشهدت بوجوده الاكابر والاصاغر ولا ينكره الا معاند ومكابر فلا جرم فهو الحق الصراح الرادع لاهل الانكار والكفاح . وهو مع كونه كرامة لمن ظهرت على يديه غالبا فهو دليل على صحة نبوة متبوع من ظهرت على يديه وحقية دينه واستقامة نهجه ومن ثم قلنا ((ومن)) أى أى انسان كائنا من كان ((نفاها)) أى كرامات الاولياء فلم يقل بجوازها فضلا عن وقوعها ((من ذوى)) أى أصحاب ((الضلال)) والزيف عن نهج اهل السنة والاعتزال وكذا من نحا نحوهم من أهل السنة كالاستاذ أبى اسحاق الاسفراينى وابى عبد الله الحلیمی من الاشاعرة ((فقد أتى فى ذلك)) النفى وعدم التحويز لها ((بالمحال)) المنابذ للبرهان والعيان وثبوتها فى السنن المتواترة ومحكم القرآن فمع هذه الادلة المتواترة والوقائع المتكاثرة فالانكار لها مكابرة غير منظور اليه ولا معمول عليه ، وزعمهم ان الخوارق لو جاز ظهورها من الاولياء لالتبس النبى بغيره اذ الفرق ما بينهما انما هو بالمعجزة وبأنها لو ظهرت لكثرت لكثرة الاولياء وخرجت عن كونها خارقة للعادة والغرض كونها خارقا فاذا خرجت عن كونها خارقا لكثرتها نافت المقصود وخالفته ، ولانها لو ظهرت لا لغرض التصديق لانسد باب اثبات النبوة بالمعجزة لجواز أن يكون ما يظهر من النبى لغرض آخر غير التصديق ، وبأن مشاركة الاولياء للانبيا فى ظهور

الخوارق يبخل بعظيم قدر الانبياء ووقعهم فى النفوس ، باطل المأخذ غير صالح للتمسك به والتعويل عليه والاتفات له والمصير اليه حتى ولو لم تكن الأدلة بكرامات الاولياء طافحة والعيان والبيان والبراهين بها واضحة ، فكيف والأدلة القرآنية والسنن النبوية والآثار السلفية والمشاهدات العيانة أكثر من أن تحصى وأجل وأعظم من أن تستقصى . ولهذا قال معللا لما ارتكبه فى نفسها من المحال ((لانها)) أى كرامات الاولياء كثيرة ((شهيرة)) للعيان ثابتة بالبرهان ((ولم تزل)) تظهر على يد الاولياء الصالحين وأهل التحقيق العارفين ((فى كل عصر)) من الاعصار الماضية الى الآن والعصر مثلثة وبضمتين الدهر ويجمع على اعصار وعصور وأعصر وعصر ويطلق العصر على اليوم والليلة والعشى الى احمرار الشمس ، وذلك كما تقدم من حكاية قصة مريم وعرش بلقيس وقصة اصحاب الكهف والمثنى على الماء كما نقل عن كثير من الاولياء من الصحابة وغيرهم كما فى قصة العلاء بن الحضرمى من الصحابة رضى الله عنهم أجمعين فانه لما ذهب الى البحرين سلكوا مفازة وعطشوا عطشا شديدا حتى خافوا الهلاك فنزل فصلى ركعتين ثم قال يا حليم يا عليم يا على يا عظيم اسقنا ، فجاءت سحابة فأمرت حتى ملأوا الآنية وسقوا الركاب ثم انطلقوا الى خليج من البحر ما خيض قبل ذلك اليوم فلم يجدوا سفنا فصلى ركعتين ثم قال يا حليم يا عليم يا على يا عظيم أجزنا ، ثم اخذ بعنان فرسه ثم قال جوزوا باسم الله ، قال ابوهريرة فمشينا على الماء فوالله ما ابتل لنا قدم ولا خف ولا حافر وكان الجيش اربعة آلاف . والطيران فى الهواء كما فى قصة جعفر بن ابى طالب ذى الجناحين رضى الله عنه ، وكقصة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ورؤيته لجيش سارية وهو على المنبر بالمدينة بنهاوند فنادى وهو على المنبر لامير الجيش سارية فقال : يا سارية الجبل : تحذيرا له من العدو ومكرهم له من وراء الجبل وسماع سارية مع بعد المسافة ، وكشرب خالد بن الوليد رضى الله عنه السم من غير أن يحصل له تضرر به وكجريان النيل بكتاب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وأمثال ذلك من كرامات الصحابة رضى الله عنهم مما لا يحصى الا بكلفة ، وكذلك

كرامات التابعين ومن بعدهم ما هو طافح مشهور لا يمكن رد وانكاره في غلية البيان والظهور ولذا قال لمن انتحل المحال ((يا شقا اهل الزلل)) بما ارتكبوه ويا خسارتهم لما انتحلوا من رد المحسوس وتكذيبهم للبرهان بوساوس النفوس ومكابر تهم لانكار العيان بمجرد الرهم والهوس وقد قال علماءنا أن كرامة الولي وظهور الخارق على يده من (حيث) كونه من آحاد الامة معجزة للرسول الذي ظهرت هذه الكرامة لواحد من أمته لانه يظهر بتلك الكرامة انه ولي ولن يكون وليا الا بأن يكون محقا في دياناته ، وديانته هي الاقرار بالقلب واللسان والانقياد بالجوارح والاركان لما جاء به نبيه المتبوع ورسوله الذي عليه المعول والى ما جاء به الرجوع والطاعة لأوامره والانتها عن زواجه في السر والاعلان حتى لو ادعى هذا الذي ظهرت على يده الكرامة الاستقلال بنفسه وعدم المتابعة لم يكن وليا ولم يظهر الخارق على يده ، ولو فرض ظهوره فهو حيثئذ من قبيل الاستدراج . والحاصل ان الامر بالخارق للعادة فهو بالنسبة الى النبي معجزة سواء ظهر من قبله او من قبل آحاد أمته وهو بالنسبة للولي كرامة لخلوه عن دعوى نبوة من ظهر ذلك من قبله ، فالنبي لا بد من علمه بكونه نبيا ومن قصد اظهار خوارق العادات وظهور المعجزات ، وأما الولي فلا يلزم ان يعلم بولايته ويستتر كرامته ويسرها ويجهد على اخفاء أمره كما تقدمت الاشارة الى ذلك كله .

(تنبيهات)

تنبيهات الاول

(الاول) وافق ابو الحسين البصرى المعتزلى ومن نحا منحاه أهل السنة في جواز كرامات الاولياء ووقوعها (الثانى) يجوز في الكرامات أن تقع بسائر وجوه خوارق العادات على اختلاف أنواعها ولو كقلب العصاحية وكوجود ولد من غير أب لا يمثل ما اختص به النبي صلى الله عليه وسلم مثل القرآن العظيم الذى هو اعظم المعجزات وأخص الآيات . وقال قوم الكرامات تختص بمثل اجابة دعاء ونحوه . قال الامام النووى وهذا غلط من قائله وانكار للحس بل الصواب جريانها حتى في قلب الاعيان . (الثالث) الولاية موهبة من الله تعالى غير مكتسبة ولا يصل الولي ما دام

الثانى

الثالث

عاقلا بالغا الى مرتبة سقوط التكليف عنه بالاوامر والنواهي ، ومن زعم ذلك فهو الحاد وزندقة ، ومن الزندقة ما زعمه من زعمه من بعض الكرامية ومن نجا نحوهم من أن الولي قد يبلغ درجة النبي بل أعلى ، وقدما الكلام في تزييف هذا المقام بما يحصل به المرام والله ولي الانعام . (الرابع) قال بعض المحققين للولي أربعة شروط (أحدها) أن يكون عارفا بأصول الدين حتى يفرق بين الخلق والخالق وبين النبي والمنتسب (الثاني) أن يكون عالما بأحكام الشريعة نقلا وفهما ليكتفى بنظره عن التقليد في الاحكام الشرعية كما اكتفى عن ذلك في أصول التوحيد فلو أذهب الله تعالى علماء أهل الارض لوجد عنده ما كان عندهم ولا قام قواعد الاسلام من أولها الى آخرها (قلت) وهذا غير معتبر ولا مشروط في مطلق الولي من غير تردد ، نعم يعتبر هذا في المجتهد دون مطلق الولي والله أعلم . (الثالث) ان يتخلق بالاخلاق المحمودة التي دل عليها الشرح والعقل من الورع عن المحرمات بل والمكروهات وامثال المأمورات واخلاص العمل وحسن المتابعة والافتداء . (الرابع) أن يلازمه الخوف أبدا واحتقار النفس سرمدا وأن ينظر الى الخلق بعين الرحمة والنصيحة وأن يبذل جهده في مراقبة محاسن الشريعة ومطالعة عيوب النفس وآفاتنا والخوف بملاحظة السابقة والبخانة ويجمع ذلك كله ويزيد عليه قوله تعالى (ألا أن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون * الذين آمنوا وكانوا يتقون * لهم البشري في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم) والله تعالى أعلم (١)

(١) قال فضيلة الشيخ العلامة محمد بن عبد العزيز بن مانع في شرحه لهذه الارجوزة المسمى بالكواكب الدرية ص ٩٩ بعد ذكر نحو ما ذكره السفاريني من شروط الكرامة وصاحبها ما لفظه « وبهذا يتبين أن من ظهر على يديه شيء من الخوارق التي يسمونها كرامات الاولياء ، وهو مصر على دعوة غير الله تعالى من الاحياء والاموات ، معتقدا أنهم ينفعون أو يضررون ، فهو من الحيل والشعوذة لا من الكرامات ، إذ من شروط حصولها صحة الاعتقاد ، وأي اعتقاد افسد من الاشرار بالله تعالى ؟ وكذا يتبين كذب من ادعى الولاية وهو تارك للصلوات مع المسلمين في مساجدهم ، ويزعم أنه يصل بمكة جميع الصلوات ولو كان بينه وبينها مسافة أيام . وينشد على ذلك :

نماذج ممن
يدعى او تدعى
له الولاية
والكرامة كذبا

(فصل)

فصل في
المفاضلة بين
البشر والملائكة

في المفاضلة بين البشر والملائكة وهي مسألة عظيمة قد كثر فيها الاختلاف وتشعبت فيها الأقوال وعظمت فيها المحن والجدال وكثرة الخلاف شيها وتباين أقوال الأئمة من المتكلمين وغيرهم في تفصيلها قلنا في النظم

((وعندنا تفضيل أعيان البشر على ملاك ربنا كما اشتهر))
((قال ومن قال سوى هذا افتري وقد تعدى في المقال واجتري))
((وعندنا)) معشر أهل السنة خصوصا أهل الأثر وسلف الأمة وكبار الأئمة فانهم يقولون ويعتقدون ((تفضيل أعيان البشر)) محرركة الانسان ذكر أو انثى ويطلق البشر على الواحد والجمع وقد يشئ ويجمع اشارة والمراد بأعيانهم الانبياء عليهم الصلاة والسلام والاولياء فالانبياء أفضل من الاولياء وهما أفضل من الملائكة وقيل كل صالح أفضل من الملائكة ، قال الامام أبو الوفا ابن عقيل : الصحيح تفضيل الانبياء والصالحين على الملائكة والملائكة أفضل من الفسقة . وقال تارة : الانبياء أفضل من الملائكة وجبريل واسرافيل وميكائيل أفضل من الاولياء . وقال سيدنا الامام أحمد رضى الله عنه بنو آدم أفضل من الملائكة . ولذا قلنا ((على ملاك ربنا)) تبارك وتعالى

وفي طنبتنا قالواصلاتي تركتها

ولم يعلموا أنى أصلى بمكة

اصلى صلاة الخمس فى البيت دائما

مع السادة الاقطاب اهل الطريقة

وكذلك من سالم الجبابرسالمنه فأمسكهن، فان ذلك ليس من الكرامات فى شئ ، لانه معصية لامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتلهن ، كما فى سنن أبى داود ومن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اقتلوا الحيات كنهن فمن خاف ثأرهن فليس منا . وفيها ابيضاء بن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما سالناهن منذ حاربناهن ، ومن ترك شيئا منهن خليفة فليس منا . فانظر الى قوله عليه لصلوة والسلام ما سالناهن ، وهؤلاء الجهال سالواهن ، وادعوا أن ذلك كرامة وولاية . قال اهل الحق : والولى يكتمها - اى الولاية - ويستترها غالبا ، ويسرها ولا يساكنها . وهذا دليل على كذب المشعوذين الدجالين الذين جعلوا الكرامات سلاحا يحاربون به ضعاف لعقول من العوام بالترغيب والترهيب ، وهم بذلك أكذب من مسيلمة وسجاح . وقد نقل عن بعض الدجالين انه قال - قاتله الله ان صح عنه - ان الله اعطانى أن أقول لنشىء كن فيكون . فهذا المخنوع ادعى الالهية من حيث لا يشعر (كبرت كذبة تخرج من أفواههم ان يقولون الا كذبا)

((كما اشتهر)) ذلك من نصوص امامنا الامام أحمد رضى الله عنه ، والملاك هو الملك وجمعه ملائكة وحذفت همزة ملاك لكثرة الاستعمال وأصل وزنه منعل فقييل ملك وقد تحذف الهاء من الجميع فيقال ملائك ، وأصله مأل ك بتقديم الهمزة من الالوكة وهى الرسالة ثم قدمت اللام على الهمزة فى الجمع كما فى النهاية وغيرها ((قال)) امامنا الامام أحمد رضى الله عنه ((ومن)) أى انسان ((قال)) بلسانه أو اعتقد بجنانه ((سوى هذا)) أى غير القول بتفضيل بنى آدم على الملائكة ((افترى)) أى أتى بكلام خطأ يشعر بالاقتراء ((وقد تعدى)) أى تجاوز الحد المنقول والثابت عن الرسول والسلف الفحول ((فى المقال)) الذى اعتمده ((واجترى)) أى افتات على الشارح بالاعتقاد الذى اعتقده ، وانفط النص : ينخطى من فضل الملائكة . وقيل كل مؤمن أفضل من الملائكة . قال ابن حمدان فى نهاية المتبتئين وقال الامام العلامة ابو بكر عبد العزيز بن جعفر المشهور بغلام الخلال رحمه الله تعالى من كان خيره أكثر من شره فهو خير من الملائكة ومن كان شره أكثر من خيره فالبهائم خير منه ، وقيل من غلب عقله على شهوته فهو خير من الملائكة ومن غلبت شهوته على عقله فالبهائم خير منه . هذا محصل قول جل أصحابنا . وقال الامام المحقق ابن القيم فى كتابه بدائع الفوائد : سئل شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله روحه عن صالحى بنى آدم والملائكة أيهما أفضل ؟ فأجاب بأن صالحى البشر أفضل باعتبار كمال النهاية ، والملائكة أفضل باعتبار البداية فان الملائكة الآن فى الرفيق الاعلى منزهون عما يلابسه بنو آدم مستغرقون فى عبادة الرب ، ولا ريب أن هذه الاحوال الآن أكمل من أحوال البشر ، وأما يوم القيامة بعد دخول الجنة فتصير حال صالحى البشر أكمل من حال الملائكة ، قال وبهذا التفصيل يتبين سر التفضيل وتفق أدلة الفريقين وبصالح كل منهم على حقه . قال ابن القيم فعلى المتكلم فى هذا الباب - يعنى باب التفاضل بين الاشياء - أن يعرف أسباب الفضل أولا ، ثم درجاتها ونسبة بعضها الى بعض والموازنة بينها ثانيا ، ثم نسبتها الى من قامت به كثرة وقوة ثالثا ، ثم اعتبار تفاوتها بتفاوت محلها رابعا ، فرب صفة هى كمال لشخص وليست كمالا لغيره بل كمال غيره بسواها فكمال خالد بن الوليد لشجاعته وحروبه ، وكمال ابن

عباس بفقته وعلمه ، وكمال ابى ذر بزهده وتجرده عن الدنيا ، قال فهذه أربع مقامات يضطر اليها المتكلم فى درجات التفضيل وتفضيل الانواع على الانواع أسهل من تفضيل الاشخاص على الاشخاص وأبعد من الهوى والغرض • انتهى ملخصا •

تنبيهات

تنبيهات الاولى تفصيل التفضيل والخلاف

(الاول) قد علمت أن هنا ثلاث صور (الاولى) التفضيل بين الانبياء والملائكة وفى هذه ثلاثة أقوال (أحدها) الانبياء أفضل وعليه جمهور أهل الحق من أهل السنة وهو الصواب (الثانى) الملائكة أفضل وهو قول المعتزلة واختاره من الأشاعرة ابو اسحاق الاسفراينى وأبو بكر الباقلانى والحاكم والحليمى وفخرالدين فى المعالم وأبو شامة واختار فخر الدين الاول فى الاربعين وفى المحصل (الثالث) الوقف عن القول بالتفضيل لأحد النوعين على الآخر ، ومحل الخلاف على هذا القول فى غير نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أما هو فأفضل الخلق بلا خلاف لا يفضل عليه ملك مقرب ولا غيره كما ذكره غير واحد ممن حكى الخلاف كالسيوطى فى الجبائك والتاج السبكى فى منع الموانع والسراج البلقينى فى منهج الاصلين وبدر الدين الزركشى ونقل فخر الدين الرازى الاجماع على ذلك وكأنه أراد اجماع أهل السنة •

(الصورة الثانية) التفاضل بين خواص الملائكة وأولياء البشر وهم من عدا الانبياء وهذه الصورة زعم بعضهم نفى الخلاف بان خواص الملائكة أفضل ونقل السعد التفتازانى فى شرح عقائد النسفى الاجماع على أن خواص الملائكة أفضل من أولياء البشر بعد الرسل والانبياء ، وهذا مردود ومدخول فقد قدمنا أن معتمد القول عند علمائنا ومن وافقهم أن الاولياء أفضل من خواص الملائكة ، نعم ابن عقيل خالفهم فى ذلك فقال : خواص الملائكة من جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل ملك الموت أفضل من الاولياء ، وقال : فى القول بخلاف هذا شناعة عظيمة على قائله • كذا قال مع انه هو نفسه صرح بأن الانبياء والاولياء أفضل من الملائكة وصحح ذلك (الصورة الثالثة) التفضيل بين أولياء البشر وغير الخواص من الملائكة

وفى هذه قولان (أحدهما) تفضيل جميع الملائكة على أولياء البشر وجزم به ابن السبكي فى جمع الجوامع وذكر البلقينى فى منهجه انه قول أكثر العلماء ، والثانى تفضيل اولياء البشر على الملائكة وجزم به الصفار من الحنفية وهو المختار عندهم ومال البلقينى الى بعضه وهو . أنه قد يوجد من اولياء البشر من هو أفضل من غير الخواص من الملائكة ، وقال قوم من أهل السنة أن الرسل من البشر أفضل من الرسل من الملائكة والاولياء من البشر أفضل من الاولياء من الملائكة ، وذهب آخرون الى أن المسأ الأعلی مفضلون على سكان الارض ، وفصل جماعة من محققى الماتريديّة ومن وافقهم فقالوا رسل البشر كموسى عليه الصلاة والسلام أفضل من رسل الملائكة كجبريل عليه السلام ، ورسل الملائكة كاسرافيل عليه السلام أفضل من عامة البشر وهم أولياؤهم غير الانبياء كأبى بكر وعمر رضى الله عنهما ، وعامة البشر كأولياؤهم غير الانبياء أفضل من عامة الملائكة وهم غير الرسل منهم كحملة العرش والكروبيين ، وهذا نحو ما حكينا عن ابن عقيل ، واحتج اهل التفضيل بالاجماع وقد علمت انه مدخول بل ادعوا فيه الضرورة واحتجوا على تفضيل رسل البشر على رسل الملائكة وعامة البشر على عامة الملائكة بوجوده سنذكرها ونقل البلقينى فى منهج الاصلين ان المختار عند الحنفية أن خواص البشر وهم الرسل أفضل من جملة الملائكة ، والملائكة الخواص افضل من الانبياء غير المرسلين ، والانبياء أفضل من غير الخواص من الملائكة ، قال ومنهم من وقف فى التفضيل بين صالحى البشر والملائكة . كذا قال والحق المعتمد عندهم أن خواص البشر كالانبياء افضل من خواص الملائكة كرسلمهم ، وخواص الملائكة كرسلمهم افضل من عوام البشر كالاولياء ، وعوام البشر أفضل من عوام الملائكة وهم غير الرسل منهم والله أعلم

الثانى بعض أدله
تفضيل صالحى
البشر على
الملائكة

(التنبية الثانى) فى بعض أدلة مذهب أهل الحق من تفضيل صالحى البشر على الملائكة خلافا للمعتزلة والفلاسفة ومن نحا نحوهم منها قوله تعالى (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) فالسجود له افضل من الساجد فان قيل لم لا يجوز أن يكون السجود لله تعالى وآدم كالقبلة ؟

فالجواب انه لو لم يكن السجود دالا على (علو) منصب المسجود له على المساجد لما قال ابليس (أرأيتك هذا الذى كرمت على) اذ لم يوجد ما يصرف هذا الكلام اليه سوى هذا السجود فدل ذلك السجود على ترجيح منصب المسجود له على الساجد (ومنها) ان آدم عبه السلام كان أعلم من الملائكة والاعلم أفضل لقوله تعالى (هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) وقد قال تعالى (وعلم آدم الاسماء كلها - الى قوله - قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم) (ومنها) ان طاعة البشر أشق والاشق أفضل فان البشر مجبولون على الشهوة والحرص والغضب والهوى ونحوها وهذه من أكبر الموانع وهى منقودة فى الملك (ومنها) قوله تعالى (ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين) والعالم عبارة عما سوى الله تعالى والآل يراد به الرجل نفسه ويراد به اقاربه الادنون ويراد به اتباعه فان قيل يشكل هذا فى قوله تعالى فى بنى اسرائيل (وانى فضلتكم على العالمين) اذ يلزم على ظاهر هذا تفضيل انبياء بنى اسرائيل على محمد صلى الله عليه وسلم ، فالجواب أولا الآية تحتمل التخصيص وثانيا من شرط المنضل عليه أن يكون موجودا حال وجود انبياء بنى اسرائيل (١) أما الملائكة فهم موجودون حال وجود محمد صلى الله عليه وسلم (ومنها) ان الملائكة لهم عقول بلا شهوة والبهائم لها شهوة بلا عقل والأدمى له عقل وشهوة ثم ان الأدمى ان رجحت شهوته على عقله كان أخس من البهائم كما قال تعالى (أولئك كالانعام) وقال : (انهم الا كالانعام بل هم أضل سبيلا) واذا رجح عقله على شهوته كان أفضل من الملائكة فمن يطيع الله وأوامره وطيئته معجونة بالشهوة والهوى ويقمع شهوته ويخالف هواه تكون عبادته أفضل ، ألا ترى من ابتلى من الملائكة بالشهوة كيف وقع فى المعصية على ما قيل • وذكر نحو هذا البيهقى وقال كما وقع لهاروت وماروت وساقها من ثلاثة طرق ، ثم اخرج البيهقى عن عبد الله بن سلام رضى الله عنه انه قال ان أكرم خليفة الله على الله أبو القاسم صلى الله

(١) يعنى ولم يكن محمد صلى الله عليه وسلم موجودا حينئذ

عليه وسلم ، قيل رحمك الله وأين الملائكة ؟ قال الملائكة خلق كخلق الارض وخلق السحاب وخلق الجبال وخلق الرياح وسائر الخلاق وان أكرم الخلق على الله أبو القاسم صلى الله عليه وسلم • وأخرج البيهقي أيضا عن ابن عباس رض الله عنهما قال ان الله تعالى فضل محمدا على اهل السماء وعلى الانبياء • قيل وما فضله على اهل السما ؟ قال ان الله قال لأهل السماء (ومن يقل منهم انى اله من دونه فذلك نجزيه جهنم) وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم (انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) وأخرج أيضا عن ابن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما شئ أكرم على الله من بنى آدم • قيل يا رسول الله ولا الملائكة ؟ قال « الملائكة مجبورون بمنزلة الشمس والقمر » قال البيهقي تفرد به عبيد الله بن غانم السلمى عن خالد الحذاء ، وعبيد الله قال البخارى عنده عجائب • قال ورواه غيره عن خالد الحذاء موقوفا على ابن عمرو وهو الصحيح • قال البيهقي ومن قال بالقول الآخر وهو تفصيل الملائكة الاعلى على سكان الارض أشبه ان يقول اذا كان التوفيق للطاعة من الله تعالى وجب ان يكون الافضل من يكون توفيقه له وعصمته اياه اكثر ووجدنا الطاعة التى وجودها بتوفيقه وعصمته من الملائكة اكثر فوجب أن يكونوا بذلك افضل • وأخرج البيهقي أيضا حديث « لما خلق الله تعالى آدم وذريته قالت الملائكة رب خذتمهم يأكلون ويشربون وينكحون ويركبون فاجعل لهم الدنيا ولنا الآخرة ، فقال الله تبارك وتعالى لا أجعل من خلقته يدي ونفخت فيه من روحي كمن قلت له كن فكان » قال وفى ثبوته نظر • انتهى • وقال العز بن عبد السلام فى أثناء كلام له فى أنواع التفاضل بين الحوادث من الجواهر والاجسام : لا يفضل الملائكة على الانبياء الا هاجم بنى التفضيل على خيالات توهمها وأوهام فاسدة تعمدتها ولم ينفوا الخيالات والتوهمات فى أمور يعلم أنه خلافها • انتهى • وقال الامام ابن عقيل من علمائنا فى كتابه الارشاد : مؤمنو أولاد آدم من الاولياء والزهاد والانبياء من طريق الاولى اشرف من الملائكة على قول أصحابنا ، قال : وعندى أن فيه تفصيلا وذلك أن فى الملائكة من لا يجوز أن يفضل عليه الاولياء مثل جبريل

وميكائيل وملك الموت والمقربين ولكنى افضل عليهم الانبياء ومنهم من يفضل عليه اولياء بنى آدم وهم من عدا المقربين من الملائكة السياحة وغير ذلك . قال والدلالة على أن خواص الملائكة المرسلين والمقربين خير من الاولياء خلافا لاصحابنا ان هؤلاء ساوهم في العبادة وفضلوا بالقرب والرسالة وسماع الكلام من الله تعالى الذى شرف بسماعه موسى عليه السلام على غيره ، وهذه الرتبة عظيمة لمن عقلها ، وفارق الانبياء لانهم فضلوهم بالرسالة والنبوة ومعاناة الامم والتعليم وجعل الملائكة خدما لهم ، ولان فى قولنا بأن صالحا من بنى آدم خير من جبريل شناعة عظيمة علينا من حيث سويتنا بينه وبين رتبة الانبياء مع جلالة جبريل وعظمته وشرفه عند الله فان جبريل سفير الرحمن وحامل وحيه الى الانبياء . ثم قال : واستدل من قال بالعموم بما روى ابو هريرة رضى الله عنه قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ان قال « اوسعوا لمن خلفكم » فقلنا ولمن نوسع يا رسول الله قال « للملائكة انهم اذا كانوا معكم لم يكونوا من بين ايديكم ولا من خلفكم وانما يكونون عن ايمانكم وشمائلكم » قالوا من فضلنا عليهم او من فضلهم علينا قال « انتم افضل منهم » وأيضا عن النبي صلى الله عليه وسلم « المؤمن أكرم على الله من الملائكة الذين عنده » وأيضا اللفظ المشهور « ان الله تعالى يباهى ملائكته بأهل عرفات » ولا يباهى الا بالافضل ، وأيضا فان جبريل افتخر بأن يسمى من أهل البيت وسأل النبي صلى الله عليه وسلم ان يدخله تحت الكساء وكان تحته فاطمة والحسن والحسين . انتهى . والجواب عن هذا اما حديث ابى هريرة الاول فموضوع لا تحل روايته فضلا عن الاحتجاج به ومن حكم بوضعه الحافظ ابن حجر فى المطالب العالیه وأورده الحافظ ابن الجوزى فى الموضوعات باختصار فلم يذكر قوله قالوا من فضلنا عليهم الخ وحكم بوضعه ، وأما حديث « المؤمن أكرم على الله من الملائكة الذين عنده » فالمعروف من لفظ الحديث « المؤمن أكرم على الله من بعض ملائكته » كذا رواه ابن ماجه (١) وهذا اللفظ لا يدل على تفضيل الاولياء على جميع الملائكة بل على بعضهم ، وحديث الماهاة لا يدل

على الافضلية ، وأما حديث أن جبريل عليه السلام افتخر بأن يسمى من أهل البيت وسؤاله النبي صلى الله عليه وسلم ان يدخله تحت الكساء فلا أصل له قال الحافظ السيوطي لم أقف له على أصل في شيء من كتب الحديث ، وكيف يجسر أحد على تفضيل غير الانبياء من البشر على جبريل وميكائيل واسرائيل وعزرائيل مع ما في صحيح البخاري عن ابن ابي مليكة قال أدركت ثلاثين من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلهم يخاف النفاق على نفسه ما منهم أحد يقول انه على ايمان جبريل وميكائيل . وقال سراج الدين البلقيني : الأكثر من الاشاعرة على تفضيل الانبياء على الملائكة وذهب القاضي ابو بكر الباقلاني والحلي . الى ان الملائكة العلوية افضل ، وينبغي أن يكون محل الخلاف في غير النبي صلى الله عليه وسلم فهو أفضل خلق الله أجمعين ، قال وأما الصالحون من البشر غير الانبياء فأكثر العلماء على تفضيل الملائكة عليهم ، وعندنا أن من كان منهم تقيا نقياً موافياً الموت على ذلك فقد يفضل على الملك باعتبار المشقات في عباداته مع ما فيه من الدواعي الى الشهوة وغيرها لا سيما من كان خليفة سيد الاولين والآخرين عليه أفضل الصلاة والسلام . وقال الشيخ بدر الدين الزركشي في شرح جمع الجوامع أما تفضيل الانبياء على الملائكة فهو عقيدة الاشعرى وجمهور اصحابه وهو آخر اقوال ابي حنيفة فيما ذكره شمس الائمة لاجتماع العصمة مع التركيب المعرض للنوائب التي يجب الصبر عليها والشهوات التي يجب الصبر عنها ومن أحسن الادلة قوله تعالى بعد ذكره جماعة من الانبياء (وكلا فضلنا على العالمين) والملائكة من العالمين فدل على انهم أفضل منهم وقوله تعالى (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية * جزاؤهم عند ربهم جنات عدن) وأراد بنى آدم لان الملائكة لا يجازون بل هم خدم اهل الجنة ولأن بالانبياء قامت حجة الله على خلقه بخلاف الملائكة حتى قال تعالى (ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا) ولان آدم سجد له الملائكة والمسجود له أفضل من الساجد كما تقدم ثم في الانبياء من هو أفضل من آدم ، ولأن الناس في الموقف انما يتشفعون بالانبياء لا بالملائكة . وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام : لا شك أن

للشعر طاعات لم يثبت مثلها (للملائكة) كالجهاد والغزو ومخالفة الهوى والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على البلايا والمحن والرزايا وقد ثبت انهم يرون ربهم ويبشرهم باحلال رضوانه عليهم ولم يثبت مثل هذا للملائكة . وقال بعض المحققين اتفقوا على ان العصاة من المؤمنين دون الانبياء والملائكة ، فاما المطيعون فاختلّفوا في المفاضلة بينهم وبين الملائكة على قولين . وقال ابن يونس من الشافعية في مختصره في الاصول بعد ذكر القولين وقال الاكثرون منا المؤمن الطائع أفضل من الملائكة . وقال ابن النير : مذهب اهل السنة ان الرسول أفضل من الملك باعتبار الرسالة لا باعتبار عموم الاوصاف البشرية ولو كانت البشرية بمجرد افضل من الملائكة (لكان كل البشر افضل من الملائكة - ١) ومعاذ الله . والله أعلم

الثالث الجواب عن ادلة المخالفين

(التنبيه الثالث) قد أشرنا فيما تقدم ان المعتزلة ذهبت الى تفضيل الملائكة على البشر حتى على الرسل والانبياء واختاره من الاشاعرة القاضي ابو بكر الباقلاني وأبو اسحاق الاسفرائني والحافظ ابو عبد الله الحاكم والحلي والفخر الرازي في المعالم دون الاربعين وأبو شامة ومن نحا نحوهم واحتجوا بحجج منها قوله تعالى (لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون) قالوا فهذا يقتضى كون الملائكة افضل من المسيح ألا ترى أنه يقال ان فلانا لا يستنكف الوزير من خدمته ولا السلطان ولا يقال انه لا يستنكف السلطان من خدمته ولا الوزير فلما ذكر المسيح أولا والملائكة ثانيا علمنا أن الملائكة أفضل من المسيح . والجواب عنه من وجوه (الاول) ان محمدا صلى الله عليه وسلم وكذا ابراهيم الخليل افضل من المسيح عليه السلام فلا يلزم من كون الملائكة افضل من المسيح كسوزنم أفضل من محمد ولا من ابراهيم عليهما الصلاة والسلام (الثاني) ان قوله ولا الملائكة المقربون صيغة جمع فتناول الكل فهذا يقتضى كون مجموع الملائكة أفضل من المسيح فلم قلتم انه يقتضى كون كل واحد من الملائكة أفضل من المسيح (الثالث) ان الواو في قوله ولا الملائكة المقربون حرف عطف وهو انما يفيد الجمع المطلق لا الترتيب والمثال الذي ذكرتموه ليس

بحجة لان الحكم الكلى لا يشبث بالمثال الجزئى ثم انه معارض بنحوقوك ما أعانى على هذا الامر لا عمرو ولا زيد فهذا لا يفيد كون المتأخر فى الذكر افضل من المقدم ومنه قوله تعالى (ولا الهدى ولا التلائد ولا آمين البيت) ولما اختلفت الامة امتنع التعويل عليها ثم التحقيق فى المسألة انه اذا قيل هذا العالم لا يستتفكف من خدمته الوزير ولا السلطان فنحن نعلم بعقولنا أن السلطان أعظم درجة من الوزير فعرفنا ان الغرض من ذكر الثانى هو المبالغة فهذه المبالغة انما عرفناها بهذا الطريق لا بمجرد الترتيب فى الذكر فلا يمكن ان نعرف ان المراد من قوله ولا الملائكة المقربون بيان المبالغة الا اذا عرفنا قبل ذلك ان الملائكة المقربين افضل من المسيح وحينئذ يتوقف صحة الدليل على صحة المطلوب وذلك دور (الرابع) هب أن الآية الكريمة دالة على أن منصب الملك أعلى وأزيد من منصب المسيح ولكن لا تدل على الزيادة من جميع الوجوه فالملك أزيد من جهة القوة والقدرة والبطش فان جبريل عليه السلام قلع مدائن قوم لوط والبشر لا يقدرون على مثل ذلك فلم قلت ان الملك أفضل من البشر فى كثرة الثواب الحاصل بسبب مزيد الخشوع والعبودية، وتمام التحقيق ان الفضل المختلف فيه فى هذه المسألة هو كثرة الثواب ثم ان كثرة الثواب لا تحصل الا بنهاية التواضع والخشوع وكون العبد موصوفا بنهاية التواضع لله تعالى لا يلائم صيرورته مستنكفا من عبوديه الله تعالى بل يناقضها وينافىها فامتنع ان يكون المراد من الآية هذا المعنى ، وأما اتصاف الشخص بالقدرة الشديدة والقوة الكاملة فانه مناسب للتمرد وترك العبودية فالنصارى لما شاهدوا من المسيح احياء الموتى وبراء الاكمه والابرص أخرجوه بسبب هذا القدر من القدرة عن عبودية الله تعال فقل تعالى ان عيسى لا يستتفكف بسبب هذا القدر عن عبوديتى ولا الملائكة المقربون الذين هم فوقه فى القدرة والبطش والاستيلاء على عالم السموات والارضين ، وعلى هذا الوجه تنظم دلالة الآية على أن الملك أفضل مسن البشر فى الشدة والقوة والبطش لكنها لا تدل البتة على أن الملك افضل من البشر فى كثرة الثواب ، ويقال أيضا انما ادعت النصارى الهية عيسى لانه

وجد لا من أب فقيل لهم الملك حصل ووجد لا من أب ولا من أم فكيف يستتغف المسيح عن العبودية لكونه وجد من أم لا من أب والملك الذى وجد لامن أب ولا من أم لا يستتغف عنها فالملائكة أعجب فى هذا من المسيح فى هذا الباب مع أنهم لا يستتغفون عن عبودية الله تعالى •

ومنها فوله تعالى (ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته) والاستدلال بهذه الآية الكريمة من وجهين (الأول) أنه تعالى احتج بعدم استتبار الملائكة عن عبادته على أن البشر يجب أن لا يستكبر عنها ولو كان البشر أفضل من الملائكة لما تم هذا الاستدلال فان السلطان اذا أراد أن يقرر على رعيته وجوب طاعتهم له فانه يقول الملوك لا يستكبرون عن طاعتي فمن هؤلاء المساكين؟ وبالجملة فظاهر أن هذا الاستدلال لا يتم الا بالاقوى على الاضعف (الثانى) انه قال ومن عنده وهذه عندية الفضيلة والقربة • والجواب عن هذا فهم مما قبله وهو أن الملائكة مع تمام قوتهم وشدة بطشهم لا يتمردون عن طاعة الله تعالى ولا يستكبرون فما بال البشر يتمردون عن طاعة الله مع غاية ضعفهم وهذا يوجب كون الملك أقوى من البشر لا كونه أفضل منه بمعنى كثرة الثواب ، ويجاب عن الثانى أنه معارض بقوله تعالى فى صفة البشر (فى مقعد صدق عند مليك مقتدر) وقال عليه السلام حكاية عن الله تعالى « أنا عند المنكسرة قلوبهم » وهذا افضل لانه قال فى الملائكة انهم عند ربهم وقال فى وصف المنكسرة قلوبهم ان ربهم عندهم •

ومنها ان عبادات الملائكة أدوم وأشق فوجب ان تكون افضل بشاهد قوله تعالى (يسبحون الليل والنهار لا يفترون) وعلى هذا التقدير لو كانت أعمارهم مساوية لاعمال البشر لكان طاعتهم أدوم وأكثر فكيف ولا نسبة لعمر كل البشر الى عمر الملائكة وانما فضل الادوم لانه اشق فكان أفضل وفى الحديث « خيركم من طال عمره وحسن عمله » والجواب عن هذه بأن لا حجة لهم فى شيء من ذلك ، أما كون عبادتهم أشق (فنقول) بل عبادة البشر أشق لما فيها من دواعى التخلف والتقاعد والفتور وانما يدل جميع ذلك على قوة الملائكة وهذا مسلم ، ولا حجة لهم ايضا فى الحديث لانه خطاب لبشر خاصة ولا يلزم من تفضل أحد الانواع بشيء التفاضل به فى غيره كما

لا يخفى ، وأنت اذا تأملت ما تعلقوا به حق التأمل وجدته غير دال على مطلوبهم ، وقد قامت الأدلة من الطرف الآخر على تفضيل الانبياء وكذلك من أحقناهم بهم في التفضيل في الجملة ولا يذهب عليك أنه لا خلاف في فضيلة الملائكة وانما الخلاف في أفضليتهم على خواص بنى آدم . هذا وقد قال بعض العلماء مسألة تفضيل البشر على الملك أو الملك على البشر ليست مما يضر (١) اعتقاده ويضر الجهل به ولو لقي العبد ربه ساذجا من المسألة بالكلية لم يكن عليه اثم فما هي مما كلف الناس بمعرفته .

وقال القاضي تاج الدين السبكي : الناس ثلاثة رجل عرف ان الانبياء أفضل من الملائكة واعتقده بالدليل ، وآخر جهل هذه المسألة ولم يشتغل بها بالكلية وهذان لا ضرر عليهما ، وقال وثالث قضى بأن الملك أفضل وهذا على خطر ، وهل يقال ان من قنئ بتفضيل الانبياء على خطر فيكون الساذج اسلم منه أو أنه ناج لاصابة الحق من الخطر ؟ هذا موضع نظر ، قال والذي أفهمه عن الوالد السلامة في السكوت عن هذه المسألة وان الدخول في التفضيل بين هذين الصنفين الكريمين على الله تعالى من غير ورود دليل قاطع دخول في خطر عظيم وحكم في مكان لسنا أهلا للحكم فيه وقد جاءت أحاديث تحسم بإشارتها مادة الدخول في ذلك فان قوله صلى الله عليه وسلم « لا تفضلوني على يونس بن متى » ونحوه ونحن على قطع بأنه صلى الله عليه وسلم أفضل من يونس عليه السلام ولم يختلف في ذلك أحد لعله اشارة الى أنكم لا تدخلوا في أمر لا يعينكم وما للسوقة والدخول بين الملوكة ؟ واعنى بالسوقة في هذا أمثالنا وبالملوك الانبياء والملائكة عليهم السلام . وقد علمت مذاهب الناس مما أسلفنا والله أعلم .

السلامة في
السكوت عن
التفضيل

الرابع في
تكليف الملائكة

(التنبيه الرابع) اختلف في تكليف الملائكة عليهم السلام وعدمه قال العلامة شمس الدين ابن مفلح في كتابه الفروع مانصه قال ابن حامد في كتابه : الجن كالانس في التكليف والعبادات ، قال ومذاهب العلماء اخرج الملائكة من التكليف والوعد والوعيد . انتهى . وتقدم بعض الكلام على الجن . وكذا قال في الفروع قبيل باب الامامة في كلام أبي المعالي ان كشف العورة

خاليا هي مسألة سترها عن الملائكة والجن ، قال وكلام صاحب المحرر
وظاهر كلامهم يجب عن الجن لانهم مكلفون أجنب وكذا عن الملائكة مع
عدم تكليفهم لان الأدمى مكلف وقد أمر الشارع في خبر بهز بن حكيم
يحفظا عن كل أحد الا من زوجته وأمه وهذا مع العلم بحضورهم •
انتهى ملخصا • ولعل مراده اخراجهم عن التكليف بما كلفا به لا مطلقا
والا فهم مكلفون قطعا قال ابن جماعة في شرح بدء الامالى : المكلفون على
ثلاثة أقسام قسم كلف من أول الفطرة قطعا وهم الملائكة وآدم وحواء
عليهم السلام ، وقسم لم يكلف من أول الفطرة وهم أولاد آدم ، وقسم
فيهم نزاع والظاهر انهم مكلفون من أول الفطرة وهم الجن • انتهى •
قلت الكتاب والتنة ظاهرهما تكليف الملائكة اذ فيه (لا يعصون الله ما
أمرهم ويفعلون ما يؤمرون - ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب
السعير - يسبحون الليل والنهار لا يفترون - يخافون ربهم من فوقهم)
وقال (وهم من خشية مشفقون - اذ اوحيت الى الملائكة انى معكم فثبتوا
الذين آمنوا) وهذا كله تكليف وناشئ عن التكليف والاحاديث طافحة ،
بمعنى ذلك والله أعلم •

(الخامس) في ذكر بعض التفضيل بين المعلومات قال العز ابن عبد
السلام : الجواهر والاجسام كلها متساوية من جهة ذواتها وانما يفضل
بعضها على بعض بصفات واعراضها وانتسابها الى الاوصاف الشريفة في
التفاضل النفيسة ، وأوصلها تلميذه القرافي في كتابه انوار الفروق الى
عشرين قاعدة ، أولها تفضيل المعلوم على غيره بذاته دون سبب يعرض له
يوجب التفضيل له على غيره وله مثل ، أحدها الواجب لذاته المستغنى في
وجوده عن غيره كذات الله تعالى وصفاته ، الثانى العلم حسن لذاته وهو
أفضل من الظن للقطع بعدم الجهل معه وتجويز الجهل مع الظن وذلك
لذات العلم لا لصفة قامت به كما ان الجهل نقيصة لذاته لا لصفة قامت به
أوجبت نقصه ، بخلاف الجاهل والعالم نقص الجاهل لصفة قامت به وهى
الجهل وفضل العالم بصفة قامت به وهى العلم ، الثالث الحياة افضل من

الخامس في
سرد وجوه
التفضيل

الموت لذاتها لا لمعنى أوجب لها ذلك وسبب تفضيلها كونها تتأتى معها العلوم والقدر والارادات وغير ذلك من النصرفات وصفات الكمال كالنبوة والرسالة والولاية وغيرها وتعذر جميع ذلك مع الموت - يعنى ابتداء ذلك وان لم تنقطع هذه الاشياء بالموت ولا تفنى ولا تضمحل بل تدوم وتستمر - وتلك للحياة لذاتها لا لمعنى أوجب لها ذلك • (القاعدة) الثانية التفضيل بالصنات الحقيقية القائمة بالفضل كتفضيل العالم على الجاهل والناعل المختار على الموجب بالذات بسبب الارادة والاختيار القائم به وتفضيل القادر على العاجز بسبب القدرة الوجودية القائمة به فهذا كله تفضيل بالصفات القائمة بالفضل لذاته وبه خالف القاعدة الاولى (القاعدة) الثالثة التفضيل بطاعة الله تعالى كتفضيل المؤمن على الكافر ، وتفضيل اهل الكتاب على عبدة الاوثان فأحل تعالى ذبائحهم وأباح تزويجنا من نسائهم دون عبدة الاوثان فانه جعل ما ذبحوه كالميتة وتصرفهم فيه بالذكاة كتصرف الحيوان البهيم من السباع والكواسر فى الانعام لا أثر لذلك وجعل نساءهم كانات الخيل والحميز محررات الوطء كل ذلك اهتمام لهم لجحدهم الرسالة والرسول ، وكتفضيل الولي على آحاد المؤمنين المقصرين فى الطاعة ، وقيل لاقتسامهم على أصل الدين الواجب وكثرة طاعة الولي وبذلك سمى وليا أى تولى الله بطاعته ، وقل لان الله تعالى تولاه بلطفه ، ولذلك ايضا تفاضل الاولياء بينهم بكثرة الطاعة فمن كان أكثر تقربا الى الله تعالى كانت رتبته فى الولاية أعظم ويتفضيل الشهيد على غيره من حيث الجملة لأنه أطاع الله تعالى ببذل نفسه وماله فى نصرته دينه وأعظم بذلك طاعة وكتفضيل العلماء على الشهداء كما جاء فى الحديث « ما جميع الاعمال فى الجهاد الا كنقطة فى بحر وما الجهاد وجميع الاعمال فى طلب العلم الا كنقطة فى بحر » وفى حديث آخر « لو وزن مداد العلماء ودم الشهداء لرجح » (١) بسبب طاعة العلماء لله تعالى بضبط شرائعهم وتعظيم شعائره التى

(١) بهامش مط : لفظ المروى « يوزن يوم القيامة مداد العلماء ودم الشهداء » ذكره فى الاحياء وقال العراقي أخرجه ابن عبد البر بسند ضعيف وذكر له شارح الاحياء تخاريج أخرى ضعيفة وفيها زيادة « فيرجح مددا العلماء على دم الشهداء » اه مصححه

من جملتها الجهاد وهداية العباد الى الملك الجواد وتوصيل معالم الاديان الى يوم الدين ولولا سعيهم في ذلك من فضل الله تعالى لانقطع الجهاد وغيره ولم يبق على وجه الارض من يقول « الله » وكل ذلك من نعم الله عليهم .
قلت هذا انتصار للقول بأفضلية العلم على الجهاد وهو مذهب أبي حنيفة ومالك رضى الله عنهما فعندهما العلم تعلمه وتعليمه أفضل من الجهاد وهى رواية عن الامام أحمد أيضا لان العلم هو الدليل المرشد ، وقد قال الامام أبو الوفاء بن عقيل ومما أنعم الله على أن حجب الى العلم فهو أسى الاعمال وأشرفها . قال ابن مفلح في فروعه واختاره أي القول بأن العلم أفضل الأعمال غيره من علمائنا ولفظ الرواية: العلم أفضل الأعمال لمن صحت نيته ، قيل فأى شيء تصحيح النية ؟ قال ينوى أن يتواضع فيه وينفى عنه الجهل . نقله مهنا

الرابعة التفضيل بكثرة الثواب الواقع في العمل وله مثالات منها : الايمان أفضل من جميع الاعمال بكثرة ثوابه فان ثوابه الخلود فى الجنان والخلوص من النيران ومن غضب الديان ، ومنها صلاة الجماعة فانها أفضل من صلاة الفرد بسبع وعشرين صلاة ، ومنها الصلاة فى أحد المساجد الثلاثة ، ومنها صلاة القصر أفضل للمسافر من الاتمام وان كان الاتمام أكثر عملا .

الخامسة التفضيل لشرف الموصوف ، منها صفات الله تعالى من علمه وكلامه وقدرته و ارادته وسائر الصفات المنسوبة الى الله تعالى أفضل من غيرها لوجوه منها شرف الموصوف ، ومنها صفات رسول الله صلى الله عليه وسلم كعلمه وكرمه وشجاعته وحلمه وجميع ما هو صفة لنفسه الكريمه له الشرف والفضل على صفاتنا من وجوه أحدها شرف الموصوف

السادسة التفضيل بشرف (١) المدلول وله أمثلة منها تفضيل الاذكار الدالة على ذات البارى وصفاته العلى وأسمائه الحسنى ومنها تفضيل الآيات المتعلقة بالله كقل هو الله أحد على الآيات المتعلقة بأبى لهب كتبت يدا ابى

(١) هنا سقط والذي فى الفروق ج ٢ ص ٢٣٤ « القاعدة السادسة : التفضيل بشرف الصدور كشراف ألفاظ القرآن على غيرها من الالفاظ لكون الرب سبحانه وتعالى هو المتولى لرصفه ونظامه . . . ثم قال « القاعدة السابعة التفضيل بشرف المدلول . . . بمعنى ما هنا

لهب ومنها الآيات الدالة على الوجوب والتحريم أفضل من الآيات الدالة على الإباحة والكرهية والندب لاشتمالها على الحث على أعلى رتب المصالح والزجر عن أعظم المفاسد

السابعة (١) التفضيل بشرف الدلالة لا بشرف المدلول كشرف الحروف الدالة على الاوصاف الدالة على كلام الله تعالى فان ذلك أوجب شرفها على جميع الحروف لهذه الدلالة وأمر الشرع بتعظيمها فلا تمسك الا على طهارة ويكفر من أهانها بالقاذورات وله وقع عظيم في الدين فلا يجوز اخراجها عن بلاد المسلمين الى بلاد الكافرين خشية أن تنالها أيديهم • قلت وهذا على حسب اعتقاده من أنها مخلوقة وليست هي من كلام رب العالمين والحق أن ما بين دفتي المصحف كلام رب العالمين وحبله المتين والله أعلم

الثامنة (٢) التفضيل بشرف التعلق كتفضيل العلم على الحياة فان الحياة لا تتعلق بشيء بل لها موصوف فقط والعلم له موصوف ومنعلق فله مزية شرف بذلك وكذلك القدرة والارادة والسمع بالاصوات والبصر بجميع الموجودات المبصرات

التاسعة (٣) التفضيل بشرف التعلق كتفضيل (العلم) المتعلق بذات الله وصفاته على غيره من العلوم ، وكتفضيل الفقه على الطب لتعلقه بأحكام الله تعالى وهذا القسم عين المدلول فكل مدلول متعلق وليس كل متعلق مدلولاً لأن الدلالة والمدلول من باب الالفاظ والحقائق الدالة كالصنعة على الصانع فانها تدل عليه وأما العلم ونحوه فلا يقال له دال بل هو مدلول في نفسه وليس بدليل على غيره بل له متعلق خاصة وهو معلومه ، وكذلك الارادة المتعلقة بالخير أفضل من الارادة المتعلقة بالشرور ، والنية في الصلاة أفضل من النية في الطهارة لأنها متعلقة بالمقاصد والثانية بالوسائل ، والمقاصد أفضل من الوسائل والمتعلق بالافضل أفضل

العاشرة (٤) التفضيل بكثرة التعلق كتفضيل علم الله تعالى على قدرته و ارادته وسمعه وبصره لتعلقه بجميع الواجبات والممكنات والمستحيلات

(١) في الفروق « الثامنة » وقد عرفت السبب (٢) في الفروق « التاسعة »

(٣) في الفروق « العاشرة »

(٤) فيه « الحادية عشر »

واختصاص الارادة بالممكنات وجودا وعدما والقدرة بوجود الممكنات خاصة
واختصاص السمع بالمسموعات على ما تقدم
الحادية عشرة (١) التفضيل بالمجاورة كتفضيل جلد المصنف على سائر
الجلود

الثانية عشر (٢) التفضيل بالحلول كتفضيل قبره صلى الله عليه وسلم
على جميع بقاع الارض وحكاه القاضى عياض اجماعا والمراد والاعضاء
الشريفة فيه ، وفي بدائع الفوائد للمحقق ابن القيم قال ابن عقيل سألتنى
سائل أيمأ أفضل حجرة النبي صلى الله عليه وسلم أو الكعبة فقلت : ان أردت
مجرد الحجرة فالكعبة أفضل وان أردت وهو صلى الله عليه وسلم فيها فلا
والله ولا العرش (٣) وحملته ولا جنة عدن ولا الافلاك الدائرة لان بالحجرة
جسدا لو وزن بالكونين لرجح • انتهى •

الثالثة عشر (٤) التفضيل بسبب الاضافة كقوله تعالى (اولئك حزب الله)
أضافهم اليه تعالى ليشرفهم بالاضافة اليه واطافة البيت اليه تعالى وكذا الناقة
ونحوها

الرابعة عشر (٥) التفضيل بالانساب والاسباب كتفضيل ذريته على جميع
الذرارى بسبب نسبهم المتصل برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكتفضيل
نسائه على جميع النساء وان تفاوتن فى ذلك •

الخامسة عشر (٦) التفضيل بالثمرة والجدوى كتفضيل العالم على العابد
لأن العلم يثمر صلاح الخلق وهدايتهم الى الحق بالتعليم والارشاد وأما
العبادة فقاصرة على محلها ، ومن هذا الوجه تفضيل الرسالة على النبوة

السادسة عشر (٧) التفضيل بأكثرية الثمرة بأن تكون الحقيقتان لسكل

(١) فيه « الثانية عشر »

(٢) فيه « الثالثة عشر »

(٣) يعنى بدون نظر الى استواء الله عليه

(٤) فيه « الرابعة عشر »

(٥) فيه « الخامسة عشر »

(٦) فيه « السادسة عشر »

(٧) فيه « السابعة عشر »

واحد منهما ثمرة لكن ثمرة احدهما اعظم وجدواها أكثر كثمرة علم الفقه وعلم الهندسة فان كلاهما مثمر أحكاما شرعية لان الهندسة يستعان بها في الحساب والمساحات ، والحساب يدخل في المواريث وغيرها والمساحات تدخل في الاجارات ونحوها من نواذر المسائل الفقهية الا أنها بالنسبة الى مسائل الفقه قليلة فثمرة الفقه اعظم وعلم النحو أنفع من علم المنطق وعلم الاصول أنفع من علم النحو وكل علم بحسب ثمرته والله أعلم

السابعة عشر (١) التفضيل بالتأثير كقدرة الله تعالى على العلم والكلام بالنسبة للتأثير فانها مؤثرة في تحصيل وجود الممكنات والعلم تابع فمن حيث سعة المتعلق والعموم فالعلم أفضل ومن حيث التأثير فالقدرة والله أعلم، وكذلك الارادة بالنسبة الى الحياة فان الارادة مؤثرة للتخصيص في الممكنات بزمانها وصفاتها الجائزة عليها والحياة لا تؤثر ايجادا ولا تخصيصا وليس في صفات الله السبعة التي تشبهها الصفاتية الا القدرة والارادة فقط

الثامنة عشر (٢) التفضيل بجودة البنية والتركيب كتفضيل الملائكة الكرام عليهم السلام على الجان بسبب جودة أبنيتهم وحسن تركيبهم فانهم خلقوا من نور فجبriel يسير من العرش الى الفرش مسيرة سبعة آلاف سنة لحظة واحدة ويحمل مدائن قوم لوط الخمسة من تحت الارض على جناحه ولا يضطرب منها شيء بل يقتلعها من تحتها ويصعد بها الى الجو ثم يقبلها وهذا عظيم والملك الواحد من الملائكة يقهر الجمع العظيم من الجان ولهذا سأل سليمان عليه السلام ربه أن يولى على الجان الملائكة ففعل له ذلك فهم الزاجرون لهم عند العزائم وغيرها التي يتعاطاها أهل هذا العلم فيقسمون على الملائكة بتلك الاقسام التي تعظمها الملائكة فتفعل في الجان ما يريد المقسم عليهم بتلك الاقسام التي تعظمها الملائكة فتفعل في الجان ما يريد المقسم عليهم بتلك الاسماء العظيمة • كذا زعم القرافي (٣) قال وكانوا قبل زمن سليمان عليه السلام يخالطون الناس في الاسواق ويعبثون بهم عبثا شديدا فلما رتب سليمان عليه السلام هذا الترتيب وساله من ربه انجازوا

(١) في الفروق « الثامنة عشر »

(٢) في الفروق « التاسعة عشر » (٣) للمؤلف الحق في التبرؤ من هذا فانه قول بغير علم واسترسال مع دعاوى الخرافيين

الى الفلوات والخراب من الارض فقلت أذيتهم ، والملائكة عليهم السلام
تراقبهم فى ذلك فمن عبث منهم وعثار دوه أو قتلوه كما يفعل ولاة بنى آدم
مع سفهائهم ، قال وما سبب اقتدار الملائكة على الجان الا فضل أبنيتهم ووفور
قوتهم فهم مفضلون على الجان من هذا الوجه مضافا لبقية الوجوه ، ومن
هذه الحيثية فضلت الملائكة على البشر . قال القرافى فان الصحيح أن البشر
أفضل على تفصيل فيه فاذا ورد نص فى تفضيل الملك حمل ذلك التفضيل
والثناء على الابنية وجودة التركيب اذا كان النص يحتمل ذلك فتدفع أكثر
الاسئلة والنقوض عن المستدل على أفضلية الانبياء صلوات الله عليهم وسلامه ،
ولا نزاع أن الملائكة (أفضل) فى أبنيتهم وأبنية بنى آدم ضعيفة بالنسبة الى
أبنية الملائكة فتحمل نصوص التفضيل على ذلك ، وكذلك تفضيل الجان فى
الابنية وجودة التركيب على بنى آدم ومن ثم الجان يعيشون الآلاف من
السنين ولا تعرض لهم الامراض والاسقام التى تعرض لبنى آدم بسبب أن
أجسادهم ليست مشتملة على الرطوبات وأجرام الاغذية فلا يحصل لهم
التعفن والآفات الناشئة عن الرطوبات ، ومن حيث جودة العنصر وحسن
التركيب فضل الذهب على الفضة

التاسعة عشر (١) التفضيل باختيار الله تعالى لمن يشاء على من يشاء ولما
يشاء على ما يشاء فيفضل أحد المتساويين على الآخر من كل وجه كتفضيل
شاة الزكاة على شاة التطوع ، وكتفضيل فاتحة الكتاب داخل صلاة الفرض
على الفاتحة خارج الصلاة . وقال ابن عبد السلام : الفضائل ضربان أحدهما
فضل الجمادات كفضل الجواهر على الذهب وفضل الذهب على الفضة وفضل
الفضة على الحديد وفضل الانوار على الظلمات وفضل الشفاف على غير
الشفاف وفضل اللطيف على الكثيف والنير على المظلم والحسن على القبيح ،
والضرب الثانى فضائل الحيوان وهى أقسام أحدها حسن الصور (الثانى)
قوة الاجسام كالقوى الجاذبة والمسكة والدافعة والغاذية والقوى على الجهاد
والقتال وحمل الاعباء والانتقال (والثالث) الصفات الداعية الى الخير والوازعة
عن الشر كالغيرة والنخوة والحياء والشجاعة والسخاء والحلم (الرابع)
العقول (الخامس) الحواس (السادس) العلوم المكتسبة وهى أقسام كمعرفة

وجود الاله وصفاته الذاتية والسلبية والفعلية ومعرفة ارسال الرسل وانزال الكتب وتنبؤ الانبياء ومعرفة ما شرع الله من الاحكام الخمسة وأسبابها وشروطها وموانعها ومعرفة الاحوال الناشئة مما ذكر من المعارف كالخوف والرجاء والمجبة والتوكل والتعظيم والاجلال والقيام بطاعة الله تعالى في كل ما أمر به ونهى عنه وما رتبته الله تعالى على هذه المعارف والاحوال والطاعات من لذات الآخرة وافراحها بالنعيم الجثمانى والروحانى كلذة الامن من عذاب الله والانس بقربه وجواره وسماع كلامه وسلامه مصحوبة بالرضا الدائم والنعيم المقيم والنظر الى وجهه الكريم مع الخلاص من العذاب الاليم، فهذه فضائل بعضها من بعض فمن اتصف بأفضلها كان أفضل البرية ولا شك أن معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته ولذات رضاه والنظر الى وجهه الكريم أفضل مما عداهن وأفضل الملائكة من قام به أفضل هذه الصفات فان تساوى اثنان من الملائكة فى ذلك لم يفضل أحدهما على الآخر وكذا أن تساوى الملك والبشر فى ذلك لم يفضل أحدهما على الآخر فان فضل الملك على البشر شئ من ذلك كان أفضل منه وان فضل البشر على الملك شئ من ذلك كان أفضل منه ، والفضل منحصر فى أوصاف الكمال والكمال اما بالمعارف والطاعات والاحوال واما بالافراح واللذات فاذا أحسن الله تعالى الى أجساد الانبياء بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وأحسن الى أرواحهم بالمعارف الكاملة والاحوال المتوالية وأذاقهم لذة النظر اليه وسرور رضاه عنهم وكرامة تسليمه عليهم فأين للملك مثل هذا؟ واعلم أن الاجساد مساكن الارواح وللساكن والمسكن أحوال ، أحدها أن يكون الساكن أشرف من المسكن ، الثانية أن يكون المسكن أشرف من الساكن ، الثالثة أن يستويا فى الشرف فلا يفضل أحدهما على الآخر ، فاذا كان الشرف للساكن فلا مبالاة بخساسة المسكن واذا كان الشرف للمسكن فلا يشرف به الساكن - والاجساد مساكن الارواح ، ثم ذكر اختلاف الناس فى التفضيل الواقع بين البشر والملك فقال : ان فاضل بينهما من جهة تفاوت الاجساد التى هى مساكن الارواح فأجساد الملائكة أشرف وأفضل من أجساد البشر المركبة من الاخلاط ، وان فاضل بين أرواح البشر وأرواح الملائكة

مع قطر النظر عن الاجساد التي هي مساكن الارواح فأرواح الانبياء أفضل من أرواح الملائكة لأنهم فضلوا عليهم بالارسال ورسل الملائكة قليل لأن رسول الملائكة يأتي الى نبي واحد ورسول البشر يأتي الى الامم والى أمة واحدة فيهديهم الله تعالى على يديه فيكون له أجر تبليغه ومثل، أجر من اهتدى على يديه وليس مثل هذا للملائكة ، وبالجهاد في سبيل الله وبالصبر على مصائب الدنيا ومحنها والله تعالى يحب الصابرين، ولا عبرة بفضل أجساد الملائكة على أجساد الانبياء لأن الاجساد مساكن ولا شرف بالمساكن وانما الشرف بالاوصاف القائمة بالساكن فالاعتبار بالساكين دون المساكن فان الانبياء قد سكنوا في بطون أمهاتهم مع القطع بأنهم أفضل من أمهاتهم فروح المسيح أفضل من جسد مريم وكذلك روح ابراهيم أفضل من جسد أمه وروح نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أفضل من جسد أمه

فاذا تقرر هذا في أسباب التفضيل فاعلم أن هذه الاسباب الموجبة للتفضيل قد تعارض فيكون الأفضل من حاز أكثرها وأفضلها وقد يختص المفضول ببعض الصفات الفاضلة ولا يقدر ذلك في التفضيل عليه كقوله صلى الله عليه وسلم أقضاكم على- وأفرضكم زيد وأقرؤكم أبى وأعلمكم بالحلال والحرام معاذ بن جبل وازهدكم أبو ذر . رضى الله عنهم . مع أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه أفضل من الجميع ، وكذلك الانبياء فخص سليمان بالملك العظيم ونوح بالانذار المئين من السنين ، وآدم أبا البشر مع تفضيل محمد صلى الله عليه وعليهم أجمعين ، فلولا جواز تخصيص المفضول بما ليس للفاضل للزم التناقض ، فلا جرم علمنا أن التفاضل ما بين الملائكة والأنبياء عليهم السلام انما هو بالطاعات وكثرة الثوبات والاحوال السنيات وشرف النبوات والرسالات والدرجات العليات فكل من كان فيها أتم فهو أفضل ، وفيما ذكر من تعداد أسباب التفضيل الرد على المأمون بن هرون الرشيد الخليفة في زعمه أن أسباب التفضيل أربعة وكلها في رضى الله عنه أكمل منها في غيره فزعم أنه أفضل الصحابة وهى العلم والشجاعة والكرم وشرف النسب . واخذ يرد على الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ويرد على أهل السنة فبطل بما ذكر دعوى هذا الحصر وكان المأمون هذا

رافضيا معتزليا قدريا ، ومسائل التفضيل كثيرة بين الانبياء والصحابه والملائكة والله تعالى أعلم • وقد بسطنا العبارة وذكرنا ما لعله يفيد المطلوب غير أن الاعراض عن كثير مما ذكر كان أليق بشرح هذه الارجوزة وبالله التوفيق

((الباب السادس

في ذكر الامامة ومتعلقاتها))

الباب السادس
الامامة و متعلقاتها

((ولا غنى لأمة الاسلام في كل عصر كان عن امام))
((يذب عنها كل ذى جحود ويعتنى بالغزو والحدود))
((وفعل معروف وترك نكر ونصر مظلوم وقمع كفر))
((وأخذ مال الفئء والخراج ونحوه والصرف في منهاج))
قال علماؤنا كغيرهم : نصب الامام الاعظم فرض كفاية لأن الصحابة

رضى الله عنهم أجمعوا على أن نصبه واجب بعد انقراض زمن النبوة بل جعلوه أهم الواجبات حيث اشتغلوا به عن دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واختلافهم في تعيينه لا يقدر في الاجماع المذكور ، ولتلك الاهمية لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم قام أبو بكر رضى الله عنه خطيبا فقال أيها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت فلا بد لهذا الامر ممن يقوم به فانظروا وهاتوا آراءكم • قالوا صدقت ننظر فيه فلهدا قلنا ((ولا غنى)) ولا مندوحة ولا بد ((لأمة)) دين ((الاسلام)) وهى بالضم الجماعة أرسل اليهم رسول والجيل من كل حي ومن هو على الحق مخالف لسائر الاديان والرجل الجامع للخير • وفى نسخة مللة بدل أمة وهى بكسر

الميم الشريعة أو الدين ((فى كل عصر)) من الاعصار وزمن من الازمان ((كان)) أى وجد وحصل واستمر ((عن امام)) متعلق بقوله لا غنى بل هو فرض لازم وواجب جازم ووجوبه عند أهل السنة وأكثر المعتزلة بالسمع يعنى التواتر والاجماع • وزعم جمهور المعتزلة أن وجوبه بالعقل ووجه وجوبه شرعا لمسيس الحاجة اليه فانه صلى الله عليه وسلم أمر باقامة الحدود وسد الثغور وتجهيز الجيوش للجهاد وحماية البيضة

والذب عن الحوزة ولذا قال ((يذب)) بفتح المثناة التحتية وضم الذال المعجمة وتشديد الموحدة أى يدفع ويمنع ((عنها)) أى عن ملة الاسلام وبيضة الدين ((كل)) ملك جبار وملحد مغوار ومعتد مهذار وظلوم كفار ((ذى)) أى صاحب ((جحود)) أى انكار يقال جحده حقه ويحقه كمنعه جحدا وجحودا انكره مع علمه ، والمراد به هنا الجاحد للدين القويم والضال عن الصراط المستقيم واضرابه ((ويعتى)) ذلك الامام المنسوب - يقال عنه الامر يعنيه ويعنوه عناية وعناية وعنيا أهمه واعتنى به اهتم ((بالغزو)) أى غزو الكفار وقهر أهل البغى والفجار، يقال غزاه غزوا أراداه وطلبه وقصده كإغتراه وغزا العدو سار الى قتالهم وانتهابهم غزوا وغزوانه فهو غاز ، فيقاتل من عاند الاسلام بعد الدعوة حتى يسلم أو يدخل فى الذمة ((و)) يعتنى الامام المنسوب ايضا باقامة ((الحدود)) جمع حد وهو لفة المنع والفصل بين شيئين، وحدود الله تعالى محارمه كقوله تعالى (تلك حدود الله فلا تقربوها) وحدود الله أيضا ما حده وقدره، والحدود العقوبات المقدره سميت بذلك لأنها تمنع من الوقوع فى مثل الذنب الذى رتبت تلك العقوبة عليه أو لكونها زواجر عنها أى المحارم التى حرمها الله تعالى ، فيقيم الحدود لتصان محارم الله تعالى عن الانتهاك وتحفظ حقوق العباد من الاتلاف والاستهلاك ((و)) يعتنى أيضا بالامر بـ ((فعمل معروف)) وقد تكرر ذكره فى الاحاديث النبوية والنصوص السماوية وهو اسم جامع لكل ما عرف من طاعة الله والتقرب اليه والاحسان الى الناس وكل ما ندب اليه الشرع ونهى عنه من المحسنات والمقبحات ، وهو من الصفات الغالبة أى أمر معروف بين الناس اذا رأوه لا ينكرونه ((وترك نكر)) معطوف على ما قبله أى ويعتنى أيضا بالنهى عن كل منكر وهو ضد معروف فكل ما قبحه الشرع وحرمه وكرهه فهو منكر ((و)) يعتنى المنسوب بـ ((نصر مظلوم)) من ظالمه بتخليصه من نحو سجنه وردظلامته عليه من ظالمه وأخذ حقه ممن هو عليه ونحو ذلك ((وقمع)) أهل ((كفر)) أى قهرهم وذلمهم يقال قمعه كمنعه وأقمعه والمقموع المقهور لان ذلك من أجل المقاصد الشرعية والمصالح الاسلامية ((و)) يعتنى أيضا

بـ ((أخذ مال الفئء)) أصل الفئء مصدر فاء يفئء فيئءا إذا رجع ثم أطلق على المال الحاصل من جهاته المذكورة فى كتب الفقه سمي فيئءا لانه راجع منها الى اهل الاسلام كأنه فى الاصل لهم ثم رجع اليهم ، قال شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله روحه فى السياسة الشرعية : سمي فيئءا لأن الله تعالى افاءه على المسلمين أى رده عليهم من الكفار فان الاصل ان الله تعالى انما خلق الاموال اعانة على عبادته لانه تعالى انما خلق لعبادته فالكافرون به اباح أنفسهم التى لم يعبدوه بها وأمواهم التى لم يستعينوا بها على عبادته لعباده المؤمنين الذين يعبدونه فأفاء اليهم ما يستحقونه كما يعاد على الرجل ما غضب من ميراثه وان لم يكن قبضه قبل ذلك وهو ماخذ من مال كافر بحق الكفر بلا قتال كالجزية ((والخراج)) وزكاة تغلبى وعشر مال تجارة حربى ونصفه من ذمى ((ونحوه)) أى نحو ما ذكر كالمال الذى تركه الكفار فرعا وهربوا وبذلوه فرعا منا فى الهدنة وغيرها وخمس الخمس من الغنيمة ومال من مات من الكفار ولا وارث له ومال المرتد اذا مات على رده بقتل أو غيره أو لحق بدار حرب ((و)) يعنى أيضا بـ ((الصرف)) بذلك المال المذكور ((فى منهاج)) أى طريق وجهة مصرفه المعينة له شرعا فيصرف فى مصالح أهل الاسلام وينبأ من ذلك بالا هم فالاهم من المصالح العامة لاهل الدار التى بها حفظ المسلمين من وظائف جند الاسلام وعمارة الثغور وكفاية أهلها وما يحتاج اليه من يدفع عن المسلمين من السلاح والكراع وسد البثوق وكرى الأنهار وعمل القناطر على الطرق والمساجد وأرزاق القضاة والأئمة والمؤذنين والفقهاء ومن يحتاج اليه المسلمون وكل ما يعود نفعه على المسلمين فان فضل منه شئ قسم بين المسلمين غنيهم وفقيرهم نعم لا يفرد العبد بالعطاء بل يزداد سيده ، واختار شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه أنه لاحظ للرافضة فيه ذكره المحقق ابن القيم فى كتابه زاد المعاد فى هدى خير العباد عن الامامين مالك وأحمد رضى الله عنهما .

وكل ما ذكر من اقامة الحدود وسد الثغور وحفظ بيضة الاسلام واجب وما لا يتم الواجب المطلق الا به فهو واجب فلهدا قلنا ولا غنى لمة الاسلام

عن اقامة امام فنصبه فرض كفاية اذ في نصبه جلب منافع لا تحصى ودفع مضار لا تستقصى وكل ما كان كذلك فهو واجب فان جلب المنافع ودفع المضار المترتبة على نصب الامام تكاد تلحق بالضرورات بل بالمشاهدات بشهادة ما تراه من الفتن والفساد وانفصام أمور العباد بمجرد موت الامام وان لم يكن على ما ينبغي من الصلاح والسداد فاقامة الامام فرض كفاية عند أهل السنة ومن وافقهم بالاجماع ، وعند من قال بالوجوب عقلا من المعتزلة كأبي الحسين والجاحظ والخياط والكعبي بالضرورة ، وأما مخالفة الخوارج ونحوهم في الوجوب فلا اعتداد بها لان مخالفتهم كسائر المبتدعة غير قادح في الاجماع ولا يخل بما يفيد من القطع بالحكم المجمع عليه ، ودعوى ان في نصبه ضررا من حيث ان الزام من هو مثله بامتثال أو امره فيه اضرار به فيؤدى الى الفتنة ومن حيث انه غير معصوم من نحو الكفر والفسوق فان لم يعزل أضرب بالناس وان عزل أدى الى محاربة وفيها ضرر - باطل لا ينظر اليها لان الاضرار اللازم من ترك نصبه أعظم وأقبح بل لا نسبة بينهما واذا اجتمع ضرران دفع اعظمهما بأخفهما وجوبا وفرض انتظام الناس بدون امام محال عادة كما هو مشاهد

أوجه تولى الامامة
وشروطه

((ونصبه بالنص والاجماع وقهره فحل عن الخداع))
((وشروطه الاسلام والحريه عدالة سمع مع الدريه))
((وان يكون من قریش عالما مكلفا ذا خبرة وحاكما))

((و)) يثبت ((نصبه)) أى الامام الاعظم ((بالنص)) من الامام على استخلاف واحد من أهلها بأن يعهد الامام الى انسان ينص عليه بعد ولا يحتاج فى ذلك الى موافقة اهل الحل والعقد كما عهد ابو بكر الصديق بالخلافة الى عمر الفاروق رضى الله عنهما ((و)) يثبت نصه أيضا بـ ((الاجماع)) من أهل الحل والعقد من المسلمين كامامة الصديق الاعظم أبى بكر رضى الله عنه خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا بايعه أهل الحل والعقد من العلماء ووجوه الناس الذين هم بصفة الشهود من العدالة وغيرها ثبتت امامته ، وكذا فى جعل الامر شورى فى عدد محصور ليتفق أهل البيعة على أحدهم فاذا اتفقوا على واحد منهم صار اماما

كما فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث جعل أمر الامامة بين ستة أنفار حتى وقع اتفاقهم على عثمان بن عفان رضي الله عنه وعنهم أجمعين ((و)) ثبت نصبه أيضا بـ ((قهره)) الناس بسيفه حتى يدعوا له ويدعوه اماما فثبت له الامامة . قال الامام أحمد رضي الله عنه في رواية عبدوس بن مالك العطار : ومن غلب عليهم بالسيف حتى صار خليفة وسمى أمير المؤمنين فلا يحل لاحد يؤمن بالله يبيت ولا يراه اماما برا كان او فاجرا انتهى . لان عبد الملك بن مروان خرج على ابن الزبير رضي الله عنهما فقتله واستولى على البلاد وأهلها حتى بايعوه طوعا وكرها ودعوه اماما ، ولما في الخروج عليه من شق عصا المسلمين وارقة دمائهم وذهاب أموالهم ولهذا قال ((فحل)) أمر ارشاد أي ابعده وزل ومنه (لا يبغون عنها حولا) ((عن الخداع)) متعلق بحل من خدعه كمنعه خدعا ويكسر ختله وأراد به المكروه من حيث لا يعلم كاختدعه فانخدع والاسم الخديعة ، يعني انك مخادعة اهل البدع وتزويق ما يظهر من جواز الخروج على الامام وعن طاعته وزعمهم عدم وجوب نصبه فانهم ضالون ومن وافقهم صار منهم* ثم أخذ في ذكر شروط الامام المنصوب وما يعتبر أن يكون فيه ومتصفا به على سبيل الوجوب ((وشرطه)) أي يشترط فيه ((الاسلام)) لان غير المسلم لا يكون له على المسلمين سبيل ((والحرية)) لان الرقيق بجميع أنواعه عليه الولاية فلا يكون واليا على غيره فضلا عن عامة المسلمين وخاصتهم وأما حديث « اسمعوا له وأطيعوا ولو ولي عليكم عبد أسود كان رأسه زبيبة » محمول على نحو أمير سريسة . وشرطه أي يشترط فيه أيضا ((عدالة)) لاشتراط ذلك في ولاية القضاء وهي دون الامامة العظمى نعم ان قهر الناس غير عدل فهو امام كما تقدم نص الامام أحمد رضي الله عنه في مثل ذلك . ويعتبر فيه أيضا ((سمع)) أي ان يكون سميعا بصيرا ناطقا لان غير المتصف بهذه الصفات لا يصلح لسياسة الخلق ((مع الدرية)) بفتح الدال المهملة وكسر الراء وتشديد التحتية فهاء تأنيث من الدراية وهي العلم والخبرة يقال دريت الشيء ودريت به دريا ودريانا بالكسر ودريا كحجلى علمته او بضرب من الحيلة كما في القاموس

وأريد به اعتبار كونه عالما بالأحكام المتعلقة بالسياسة والحروب ذا بصيرة قد علم بأحوال الناس ومكرهم وختلهم وخبر أحوالهم لاحتياج الامام الى جميع ذلك بخلاف المغفل فلا يصلح للامامة العظمى ((و)) يعتبر ايضا ((أن يكون)) الامام ((من قریش)) وهو من كان من نسل فهر - بكسر الفاء وسكون الهاء - ابن مالك بن النضر - واسمه قيس بن كنانة بن خزيمة ابن مدركة - واسمه عمرو بن الياس - واسمه حبيب بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، ففهر جماع قریش في قول الكلبي وغيره من العلماء في أسباب العرب وسموا قریشا لانهم كانوا يقرشون عن خلة الناس بفتح الخاء المعجمة أى حاجتهم وقرهم ومعناه ينقبون عنها ويستعلمونها ليغنوهم ويسدوا خلتهم، وكان ذلك من قولهم تقارشت الرماح اذا تداخلت في الحرب لان المستعلم المستخبر يداخل احوال الذى يطلب علم حاله ليحصل له مقصوده، وقيل أنه مأخوذ من القریش وهو التعيش لانهم كانوا يعيشون الحاج فيطمعون الجائع ويكسون العارى ويحملون المتقطع قال الجوهري القرش الكسب والجمع وقد قرش يقرش بالكسر قال الفراء وبه سميت قریش وقيل سموا بدابة عظيمة تأكل الدواب في البحر وقيل غير ذلك ، وانما اشترط كونه من قریش لقوله صلى الله عليه وسلم « الائمة من قریش » رواه الامام أحمد وأبو يعلى في مسنديهما والطبراني من حديث ابى برزة رضى الله عنه ، وروى الترمذى نحوه من حديث أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعا ولفظه « الملك في قریش » وسنده صحيح . وروى الامام أحمد أنه صلى الله عليه وسلم قال « الخلافة في قریش » ورواه الطبراني أيضا ، وروى البزار من حديث على بن أبى طالب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الامراء من قریش أبرارها أمراء أبرارها وفجارها أمراء فجارها » وفي الحديث « قدموا قریشا ولا تقدموها » وقول الصديق والمهاجرين للانصار ان العرب لا تدين الا لهذا الحى من قریش ورووا لهم في ذلك الاخبار . ويعتبر أن يكون ((عالما)) بالأحكام الشرعية لاحتياجه الى مراعاتها في أمره ونهيه وأن يكون ((مكلفا)) أى بالغا عاقلا لان غير البالغ العاقل يحتاج لمن يلى أمره فلا يكون واليا على أمر المسلمين

وان يكون ((ذا خبرة)) بتدبير الامور المذكورة في البلاد والعباد ((و)) أن يكون ((حاكما)) أى قادرا على اىصال الحق الى مستحقه وكف ظنم المعتدى وقمع أهل الأفتراء والاعتداء وقادرا على اقامة الحدود وقمع أهل الضلال والجحود لا تأخذه رافة فى اقامة الحدود والذب عن الامة . فان عقدت لاكثر من واحد فهى للاول فان فسق الامام بعد العدالة المقارنة لنعدل لم ينزل على الاصح الاشهر ، ولا تشتط عصمته فى حال من الاحوال ولا كونه أفضل الامة ولا كونه هاشميا أو اظهار معجزة على يده يعلم بها صدقه خلافا للرافضة وهذا من خرافاتهم وجهالاتهم . ومن جهالاتهم أيضا زعمهم ان غير المعصوم يسمى ظلما فيتناوله قوله تعالى (لا ينال عهدى الظالمين) اذ الظالم لغة من يضع الشئ فى غير محله وشرعا العاصى ، ولا يلزم من كونه غير معصوم ان يكون عاصيا ولا ظلما لجواز كونه محفوظا فلا يصدر عنه ذنب او اذا صدر عنه ذنب تاب منه توبة نصوحا

((وكن مطيعا أمره فيما أمر ما لم يكن بمنكر فيحترز)) **وجوب طاعته بشرطه**

((و)) اذا عقدت له الامامة فصار اماما للمسلمين و ((كمن مطيعا)) أنت وسائر رعيته ((امره فيما)) أى فى الشئ الذى ((أمر)) به ان كان طاعة والحاصل ان طاعته تجب فى الطاعة وتسبى فى المسنون وتكره فى المكروه فاذا أمر بمعروف وجب امتثال أمره ((ما لم يكن)) أمره ((؛)) شئ ((منكر)) ضد المعروف ((ف)) لا يطاع فى ذلك بل ((يحترز)) ويجتنب فلا تجب طاعته فى المعصية بل تحرم اذ لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق . قال شيخ الاسلام ابن تيمية فى صدر كتابه السياسة الشرعية ثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم من غير وجه انه قال « ان الله يرضى ثلاثا ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا وان تعصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا وان تناصحوا من ولاء أمركم » قال وآية الامراء فى كتاب الله تعالى هى قوله (ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ان الله نعماء يعظكم به ان الله كان سميعا بصيرا * يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم فان تنازعتم فى شئ فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم

الآخرداك خير وأحسن تأويلا) قال نزلت الآية الأولى في ولاة الامور
وعليهم أن يؤدوا الامانات الى أهلها واذا حكموا بين الناس أن يحكموا
بالعدل ، ونزلت الآية الثانية في الرعية من الجيوش وغيرهم أن يطيعوا أولى
الامر الفاعلين لذلك في قسمهم وحكمهم ومغازيهم وغير ذلك الا أن يأمروا
بمعصية الله تعالى فاذا أمروا بمعصية الله تعالى فلا طاعة لمخلوق في معصية
الخالق فان تنازعوا في شئ رده الى كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله
عليه وسلم وان لم يفعل ولاة الامور ذلك أطيعوا في ما يأمرون به من طاعة
الله لان ذلك من طاعة الله ورسوله واديت حقوقهم اليهم كما أمر الله
ورسوله وأعينوا على البر والتقوى ولا يعاونون على الاثم والعدوان ، فعلى
ولى الامر ان يولى على كل عمل من اعمال المسلمين اصلح من يجده لذلك
العمل فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم « من ولى من أمر المسلمين
شيئا فولى رجلا وهو يجد اصلح للمسلمين منه فقد خان الله ورسوله
والمؤمنين » رواه الحاكم في صحيحه وفي رواية « من قلد رجلا عملا
على عصابة وهو يجد في تلك العصابة من هو أرضى لله منه فقد خان الله
ورسوله والمؤمنين » وقال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه
من ولى من أمر المسلمين شيئا فولى رجلا لمودة او قرابة بينهما فقد خان
الله ورسوله والمسلمين . والله تعالى الموفق .

((فصل فى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر))

ولما كان صلاح العباد فى المعاش والمعاد لا يتم ولا يصلح ولا يستقيم لهم
حال الا بذلك قال :

((واعلم بأن الامر والنهى معا فرضا كفاية على من قد وعى))

((وان يكن ذا واحدا تعينا عليه لكن شرطه أن يأمن))

((فاصبر وزل باليد واللسان لمنكر واحذر من القصان))

((واعلم)) أيها المتبحر فى علم أصول الدين المحرر لدعائم الدين

وقواعد الحق المبين ((بأن الامر)) أى بالمعروف وتقدم انه اسم جامع لكل

ما عرف من طاعة الله والتقرب اليه والاحسان الى الناس كما تقدم قريبا

((والنهى)) عن المنكر وهو ضد المعروف ((معا)) أى كل واحد منهما

فصل فى الامر
بالمعروف والنهى
عن المنكر

منفردا وكلاهما ((فرضا كفاية)) على جماعة المسلمين يخاطب به الجميع ويسقط بمن يقوم به بخلاف فرض العين فانه يجب على كل واحد ولا يسقط عنه بفعل غيره ((على من)) أى انسان أو الذى ((قد دعا)) هـ اى حفظ حكمه وعلمه وذلك لان اصلاح المعاش والمعاد انما هو بطاعة الله ورسوله وامثال أوامره والانتهاى عن زواجره ولا يتم ذلك الا بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر وبه صارت هذه الامة خير أمة أخرجت للناس قال تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر) وقال تعالى (ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) وقال تعالى (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) وقال عن بنى اسرائيل (كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون) وفى الحديث الثابت عن أمير المؤمنين أبى بكر الصديق رضى الله عنه انه خطب الناس على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أيها الناس انكم تقرأون هذه الآية وتضعونها على غير موضعها (يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم) وانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ان الناس اذا رأوا المنكر فلم يغيروه أو شك أن يعصمهم الله بعقاب منه » وفى لفظ من عنده رواه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح وابن ماجه والنسائى ولفظه : انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ان القوم اذا رأوا المنكر فلم يغيروه وعصمهم الله بعقاب » وفى رواية لأبى داود سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصى ثم يقدرن على أن يغيروا ثم لا يغيروا الا يوشك أن يعصمهم الله منه بعقاب » وفى رواية « ان الناس اذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه اوشك أن يعصمهم الله بعقاب من عنده » .

((وان يكن ذا)) أى الذى علم بالمنكر وتحققه وشاهده وهو عارف بما ينكر ((واحدا)) أو كانوا عددا لكن لا يحصل المقصود الا بهم جميعا ((تعينا)) أى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وصارا فرض عين ((عليه)) أو عليهم للزومه عليهم ((ولكن شرطه)) أى شرط اقتراضه على الجماعة

أو الواحد سواء كانا فرض كفاية أو عين ((ان يأمن)) بألف الاطلاق على نفسه وماله ولم يخف سوطا ولا عصا ولا أذى ولا فتنة تزيد على المنكر ، وقيل ان زادت وجب الكف وان تساويا سقط الانكار . قال الامام أحمد رضى الله عنه : يأمر بالرفق والخضوع فان اسعور ما يكره لا يفضب فيكون يريد أن ينتصر . ولهذا قال « فاصبر » على الاذى ممن تأمره وتنهاه ولا تغضب لنفسك بل لله ((وزل)) المنكر وغيره من زاله عن مكانه يزيله زيلا وازالة وازالا ((باليد)) وهو أعلى درجات الانكار وازالة المنكر كإراقة الخمر وكسر أواني الذهب والفضة والحيلولة بين الضارب والمضروب ونحوه ورد المنصوب الى مالكة ((و)) غير المنكر ؛ ((اللسان)) حيث لم تستطع تغييره باليد بان تعظه وتذكره بالله وأليم عقابه وتوبخه وتعنفه مع لين واغلاظ بحسب ما يقتضيه الحال وقد يحصل المقصود فى بعض المحال بالرفق والسياسة بأزيد وأتم مما يحصل بالعنف والرياسة كأن يقول لمن رآه متكسفا فى نحو حمام استر سترك الله ونحو ذلك ((لمنكر)) متعلق بزول وفى نسخة بدل زل « ذد » أي اطرده وامنع للمنكر باليد واللسان ((واحذر)) من النزول عن أعلى المراتب حيث قدرت على أن تغير المنكر بيدك الى أوسطها وهو الانكار باللسان الا مع العجز عن ذلك ثم انه لا يسوغ لك العدول عن التغيير للمنكر باللسان وأنت تقدر عليه الى الانكار بالقلب فان لم تستطع تغيير المنكر لا بيدك ولا بلسانك فاعدل الى الانكار بقلبك وهو أضعف الايمان فلذا حذر ((من النقصان)) وأشار بذلك الى حديث ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فقلبه وذلك اضعف الايمان » رواه مسلم والترمذى وابن ماجه والنسائى وانظروا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من رأى منكم منكرا فغيره بيده فقد برىء ومن لم يستطع أن يغيره بلسانه فغيره بقلبه فقد برىء » وفى صحيح مسلم أيضا من حديث ابن مسعود رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه

وسلم قال « ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي الا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ثم انها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون فمن جاهدكم بيده فهو مؤمن ومن جاهدكم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدكم بقلبه فهو مؤمن ليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل ، وفي هذا الباب عدة أحاديث وقد دلت كلها على انكار المنكر بحسب القدرة عليه وان انكاره بالقلب لا بد منه فمن لم ينكر قلبه المنكر دل على ذهاب الايمان من قلبه . وقد روى عن ابي حنيفة رضى الله عنه قال قال على رضى الله عنه أن أول ما تغلبون عليه من الجهاد الجهاد بأيديكم ثم الجهاد بألسنتكم ثم الجهاد بقلوبكم فمن لم يعرف قلبه المعروف وينكر قلبه المنكر نكس فجعل أعلاه أسفله . وقال ابن مسعود رضى الله عنه هلك من لم يعرف المعروف وينكر المنكر بقلبه . يشير الى أن معرفة المعروف والمنكر بالقلب فرض لا يسقط عن أحد فمن لم يعرفه هلك وأما الانكار بالبد واللسان فانما يجب بحسب الطاقة . وفي سنن أبي داود عن العرس بن عميرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « اذا عملت الخطيئة فى الارض كان من شهدها فكرها كمن غاب عنها ومن غاب عنها ورضها كان كمن شهدها » وخرج ابن أبي الدنيا نحوه عن أبي هريرة مرفوعا . واعلم ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر مع كون ذلك واجبا تارة يحمل عليه رجاء الثواب ، وتارة خوف العقاب فى تركه ، وتارة الغضب لله على انتهاك محارمه ، وتارة النصيحة للمؤمنين والرحمة لهم ورجاء انقاذهم مما أوقعوا أنفسهم فيه من التعرض لغضب الله وعقوبته فى الدنيا والآخرة ، وتارة يحمل عليه اجلال الله واعظامه ومجبته وأنه أهل أن يطاع فلا يعصى ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر وان يفترى من انتهاك محارمه بالنفوس والاموال كما قال بعض السلف وددت أن الخلق كلهم أطاعوا الله وان لجمى قرض بالمقاريض ، فمن لحظ ما ذكرناه هان عليه ما يلقاه من الاذى فى الله عز وجل ، قال سفان الثورى قدس الله روحه لا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر الا من كانت فيه خصال ثلاث رفيق بما يأمر رفيق بما ينهى عدل بما يأمر عدل

بما ينهى عالم بما يأمر عالم بما ينهى • وقال الامام أحمد رضى الله عنه :
الناس يحتاجون الى مداراة ورفق ، الامر بالمعروف بلا غلظة الا رجل معلم
بالفسق فلا حرمة له • ولاعتبار كون الأمر بالمعروف والناهى عن المنكر
عدلا بما ينهى أشار بقوله

((ومن نهى عما له قد ارتكب فقد أتى مما به يقضى العجب))
((فلو بدأ بنفسه فزادها عن غيرها لكان قد أفادها))

ابدا بنفسك

((ومن)) أن أى انسان أو الذى ((نهى)) الخلق ((عما)) أى الشئ
الذى ((له)) أى لذلك الشئ الذى نهى الناس عنه ((قد ارتكب))
وفعله وخالف قوله عمله من فعل المحذور وترك المأمور ((فقد)) والله
((اتى)) من قاله وحاله ((مما)) أى من العمل الذى ((به)) أى منه
((يقضى)) بانبائه لما لم يسم فاعله ((العجب)) نائب الفاعل أى يقضى
العقلاء وأهل العلم والحزم من مخالفة قوله لعمله العجب ، أى يحكمون
ويقطعون بالعجب وهو انكار ما يرد عليك ويخفى سببه ، والمراد انه يعظم
عليهم ذلك ويكبر لديهم ان ينهى عن القبيح ويأتم بالحسن ولا
يأتمه ، وقد ورد التحذير عن مثل ذلك كما فى حديث أسامة بن زيد رضى
الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يؤتى بالرجل
يوم القيامة فيلقى فى النار فتندلق اقطاب بطنه - أى أمعاؤه ومعنى تندلق
أى تخرج - فيدور فيها كما يدور الحمار فى الرحى فيجتمع اليه أهل النار
فيقولون يا فلان مالك ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ؟ فيقول :
بلى كنت أمر بالمعروف ولا آتية وأنهى عن المنكر وآتية » رواه البخارى
ومسلم • وفى صحيح مسلم عنه رضى الله عنه سمعت النبى صلى الله عليه
وسلم يقول « مررت ليلة أسرى بى بأقوام تقرض شفاههم بمقاريض من
نار قلت من هؤلاء يا جبرائيل ؟ قال : خطباء أمتك الذين يقولون ما لا
يفعلون » وروى نحوه ابن ابى الدنيا من حديث أنس رضى الله عنه
مرفوعا وفيه فقال : الخطباء من أمتك الذين يأمرون الناس بالبروينسون
أنفسهم وهم يتلون الكتاب أفلا يعقلون • ورواه ابن حبان فى صحيحه
والبيهقى • وروى الطبرانى باسناد حسن عن جندب بن عبد الله الأزدي

رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « مثل الذى يعلم الناس الخير وينسى نفسه كممثل السراج يضىء للناس ويحرق نفسه » وروى الاصبهاني عن أنس رضى الله عنه مرفوعا « ان الرجل لا يكون مؤمنا حتى يكون قلبه مع لسانه سواء ويكون لسانه مع قلبه سواء ولا يخالف قوله عمله ويأمن جاره بوائقه » كان الحسن البصرى رحمه الله اذا خرج الى الناس فكانه رجل عاين الآخرة ثم جاء يخبر عنها فكانوا اذا خرجوا من عنده خرجوا وهم لا يعدون الدنيا شيئا ، وكان الامام احمد لا تذكر الدنيا فى مجلسه ولا تذكر عنده ، انما يصلح التأديب بالسوط من صحيح البدن ثابت القلب قوى الذراعين فيؤلم ضربه فيردع فاما من هو سقيم البدن لا قوة له فماذا ينفع تأديبه بالضرب ؟ والنفوس مجبولة على عدم الانتفاع بكلام من لا يعمل بعلمه ولا ينتفع به وهذا بمنزلة من يصف له الطيب دواء لمرض به مثله والطيب معرض عنه غير ملتفت اليه بل الطيب احسن حالا من هذا الأمر المخالف لما أمر به لانه قد يقوم عند الطيب دواء آخر مقام هذا الدواء وقد يرى ان به قوة على ترك التداوى بخلاف الواعظ فان ما يعظ به طريق النجاة لا يقوم غيرها مقامها فلا بد منها ولهذه النقرة قال شعيب عليه السلام لقومه (وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه) وقال بعض السلف اذا أردت أن يقبل منك الامر والنهي فاذا أمرت بشيء فكن أول الفاعلين له المؤتمرين به واذا نهيت عن شيء فكن أول المنتهين عنه ولهذا قال ((فلو بدا)) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قبل أمره ونهيه لغيره ((بنفسه)) متعلق ببدأ ((فذاها)) اى منعها وردها ((عن غيرها)) متعلق بذاها أى عن ضلالها والغى الضلال والانهماك فى الباطل ومنه حديث الاسراء « لو اخذت الخمر غوت أمتك » أى ضلت ((لكان)) ببدايته بارشاد نفسه وردها عما هى فيه من ارتكاب مهوى الهوى والضلال والغى والوبال ((قد افادها)) النجاة والسلامة والرشد والاستقامة فسان الناصح الشفيق والمرشد الرفيق يبدأ فى ارشاده من الامم بالا هم فالاهم والاقرب فالاقرب من ذوى الرحم ولا أهم ولا اقرب اليه من نفسه التى بين جنبيه وقد قال من أفصح فى المقال ونصح لمن كان له قلب أو ألقى

البال وترك الوبال •

يا أيها الرجل المعلم غير هلا لنفسك كان ذا التعليم
تصف الدواء لذي السقام من الضنا كى يشتفى منه وانت سقيم
لاته عن خلق وتأتى مثله عار عليك اذا فعلت عظيم
فابدأ بنفسك فانها عن غيرها فاذا انتهت عنه فانت حكيم
فهناك يقبل ما تقول ويقتدى بالقول منك وينفع التعليم
ولما جلس عبد الواحد بن زيد الواعظ انه امرأة من الصالحات
فأشدته :

يا واعظا قام لاحسان
تتهى وانت المريب حقا
لو كنت أصلحت قبل هذا
كان لما قلت يا حبيبي
تتهى عن العى والتماذى
وقال آخر :

وطيب يداوى الناس وهو سقيم
وغير تهى بأمر الناس بالتقى

وجاء رجل الى ابن عباس رضى الله عنهما فقال أريد ان آمر بالمعروف
وأنهى عن المنكر ، فقال ان لم تخش ان تفضحك هذه الآيات الثلاث فافعل
والا فابدأ بنفسك ثم تلا (أتأمرون الناس بالبر ويتنون أنفسكم) وقوله
تعالى (لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون)
وقوله تعالى حكاية عن شعيب عليه السلام (وما أريد أن أخالفكم الى ما
أنهاكم عنه) •

(تنبيهات)

(الاول) ما قدمنا من اعتبار كون الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر
مستقيم الحال هو عين الكمال والمؤثر أمره ونهيه فى القلوب والذى قاله
وحاله ترياق الذنوب فى ظهور الانجاح وادراك الفلاح وأما الوجوب فلا
يسقط عن المكلف وان كان بغير تلك الاوصاف بل من غير اهل العدالة
والعفاف فعلى مرتكب الذنب النهى عن مثل ما ارتكب لان تركه للمنكر

تنبيهات
الاول التقصير
لا يمنع الوجوب

ونهيه فرضان متميزان ليس لمن يترك احدهما أن يترك الآخر فيجب على متعاطي الكاس ان ينكر على الجلاس لان النهى عن المنكر واجب والانكفاف عن المحرم واجب والاخلال بأحد الواجبين لا يمنع وجوب فعل الآخر ، وقد روى ابن ابى الدنيا باسناد فيه ضعف عن ابى هريرة رضى الله عنه مرفوعا « مروا الناس بالمعروف وان لم تعملوا به وانها عن المنكر وان لم تتأهوا عنه كله » وقيل للحسن ان فلانا لا يعظ ويقول اخاف ان أقول ما لا أفعل فقال الحسن وأينا يفعل ما يقول ود الشيطان انه قد ظفر بهذا فلم يأمر أحد بمعروف ولم ينه عن منكر . وقال الامام مالك عن ربيعة قال سعيد بن جبير لو كان المرء لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر حتى لا يكون فيه شيء ما أمر احد بمعروف ولا نهى عن منكر . قال الامام مالك (وصدق) ومن ذا الذى ليس فيه شيء !

الثاني النهى عن التجسس

(الثانى) متعلق وجوب الانكار الرؤية للمنكر وتحققه فلو كان مستورا فلم يره ولكن علم به فالمنهج يجب عليه الانكار لتحقيقه والمنصوص عن الامام أحمد فى أكثر الروايات انه لا يتعرض له ولا يفتش على ما استراب وقد روى عنه انه يكسر المغطى اذا تحققه وهذا المتمد ، وأما اذا سمع صوت ملهاة ولم يعلم مكانه فلا شيء عليه وأما تسور الجدران على من علم اجتماعهم على منكر فقد أنكره الائمة مثل سفیان الثورى وغيره وهو داخل فى التجسس المنهى عنه ، نعم قال القاضى ابو يعلى فى كتابه الاحكام السلطانية ان كان فى المنكر الذى غلب على ظنه الاستسرار به باخبار ثقة عنه انتهاك حرمة يفوت استدراكها كالزنا والقتل جاز التجسس والاقدام على الكشف والبحث حذرا من فوات استدراك انتهاك المحارم وان كان دون ذلك فى الرتبة لم يجز التجسس عليه ولا الكشف عنه . انتهى . وحكمة عدم وجوب التفتيش مع وجود النصوص على التجسس ان المعاصى اذا أخفيت انما تضر من يعملها واذا أعلنت ضرت العامة فأخرج الامام احمد من حديث عدى بن عميرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ان الله لا يعذب العامة بعمل الخاصة حتى يروا المنكر بين ظهرائهم وهم قادرون على أن ينكروه فلا ينكرونه فاذا فعلوا

ذلك عذب الله الخاصة والعامة » وخرج الامام أحمد ايضا وابن ماجه من حديث أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ان الله تعالى ليسأل العبد يوم القيامة حتى يقول : ما منعك اذ رأيت المنكر أن تنكره ؟ فاذا لقن الله عبدا حجته قال يا رب رجوتك وفرقت الناس » وأخرجا من حديثه أيضا مرفوعا « لا يحقر احدكم نفسه، قالوا يا رسول الله كيف يحقر أحدنا نفسه؟ قال : يرى أمرا لله عليه فيه مقال ثم لا يقول فيه فيقول الله له يوم القيامة ما منعك ان تقول فى كذا وكذا؟ فيقول : خشية الناس، فيقول : اياى كنت أحق أن تخشى، فهذا محمول على أن المانع له من الانكار مجرد الهيئة دون الخوف المسقط للانكار فان خاف على نفسه السيف او السوط أو الحبس أو القيد أو النفي أو أخذ المال أو نحو ذلك من الاذى أو خاف مثل ذلك على أهله وجيرانه سقط وجوب الانكار وقد نص على ذلك الائمة منهم مالك بن أنس وأحمد بن حنبل واسحق بن راهويه وغيرهم . قال الامام أحمد لا يتعرض للسلطان فان سيفه مسلول ، وقال ابن شبرمة : الامر بالمعروف والنهي عن المنكر كالجهاد يجب على الواحد ان يصابر فيه الاتنين ويحرم عليه الفرار منهما ولا يجب عليه مصابرة أكثر من ذلك . وأما مجرد خوف السب أو سماع الكلام السيء فلا يسقط الانكار - نص عليه الامام أحمد ، وان احتمل الاذى وقوى عليه فهو افضل . نص عليه وقال « أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر ، وهذا رواه أبو داود وابن ماجه والترمذى من حديث ابى سعيد رضى الله عنه مرفوعا ، وخرج ابن ماجه معناه من حديث ابى امامة . وفى مسند البزار عن أمين الامة ابى عبيدة بن الجراح رضى الله عنه قال قلت يا رسول الله أى الشهداء أكرم على الله ؟ قال « رجل قام الى امام جائر فأمره بمعروف ونهاه عن منكر فقتله ، وحديث « لا ينبغي للمؤمن ان يذل نفسه » يدل على أنه علم انه لا يطبق الاذى ولا يصبر عليه فلا يتعرض حينئذ للامر والنهي ، وهذا حق وانما الكلام فى من علم من نفسه الصبر كذلك قاله الامام احمد وسفيان والفضيل بن عياض وغيرهم (الثالث) اذا علم انه لا يقبل منه فهل يسقط وجوب الامر والنهي ؟ حكى

الثالث حكم من علم انه لا يقبل منه

القاضي أبو يعلى عن الامام أحمد رضى الله عنه فى ذلك روايتين وصحح القول بوجوبه ، قال الحافظ ابن رجب وهو قول اكثر العلماء • وقد قيل لبعض السلف فى هذا فقال تكون معذرة ، وهذا كما اخبر الله عن الذين انكروا على المعتدين فى السبت انهم قالوا لمن قال لهم (اتعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا قالوا معذرة الى ربكم ولعلمهم يتقون) وقد ورد ما يستدل به على سقوط الامر والنهى عند عدم القبول والانتفاع ففى سنن أبى داود وابن ماجه والترمذى عن أبى ثعلبة الخشنى رضى الله عنه قيل له كيف تقول، فى هذه الآية (عليكم أنفسكم) فقال أما والله لقد سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « بل ائتمروا بالمعروف وانتهوا عن المنكر حتى اذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ودينيا مؤثرا واعجاب كل ذى رأى برأيه فعليك بنفسك ودع عنك أمر العوام » وقد روى معنى هذا من عدة وجوه وقال العلامة ابن حمدان فى نهـاية المتدينين : ويجوز الانكار فيما لا يرجى زواله وان خاف أذى ، وقيل لا ، وقيل يجب ، ولا يجب الانكار فيما فات ومضى الا فى العقائد والآراء •

الرابع بيان المنكر الواجب انكاره

(الرابع) الذى يجب انكاره من المنكر هو ما كان مجمعا عليه فأما المختلف فيه فمـن علمائنا من قال لا يجب انكاره على من فعله مجتهدا فيه أو مقلدا لمجتهد تقليدا سائغا واستثنى القاضي فى الاحكام السلطانية ماضع فى الخلاف وكان ذريعة الى محذور منفق عليه ككنكاح المتعة فانه ذريعة الى الزنا المجمع على تحريمه • وذكر عن ابى اسحاق بن شافلا أنه ذكر ان المتعة هى الزنا صراحا • وقال ابن بطة لا يفسخ نكاح حكم به قاض اذا كان قد تأول فيه الا ان يكون قضى لرجل بعقد متعة ، والمنصوص عن الامام احمد رضى الله عنه الانكار على اللاعب بالشطرنج وتأوله القاضي على من لعب بها بغير اجتهاد أو تقليد سائغ ونظر فىـه الحافظ ابن رجب بأن المنصوص عنه أيضا أن يحد شارب النبيذ المختلف فيه واقامة الحد ابلغ مراتب الانكار فدل على انه ينكر كل مختلف فيه ضعف الخلاف فيه لدلالة السنة على تحريمه وان ام يخرج فاعله المتأول من العدالة بذلك والله اعلم • وكذا نص الامام أحمد رضى الله عنه على

الانكار على من لا يتم صلاته ولا يقيم صلبه من الركوع والسجود مع وجود الاختلاف في وجوب ذلك لضعف مثل هذا الاختلاف لمصادمته للنصوص عن صاحب الشريعة والله أعلم .

الخامس مستند الوجوب الشرع

(الخامس) وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر بالشرع لا بالعقل خلافا للمعتزلة ودليله بالكتاب والسنة والاجماع أما الكتاب فكقوله تعالى (ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) وتقدم في أول الفصل ، وأما السنة فقد ذكرنا منها ما يحصل به المقصود ، وأما الاجماع فلان المسلمين كانوا في الصدر الاول ومن بعدهم يتواصون بذلك ويوبخون تاركه مع القدرة فعلى الناس اعانة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونصره على ذلك ، وما يختص علمه بالعلماء يختص انكاره بهم وبمن يأمرونه به من الولاة والعوام ، ومن التزم مذهبا أنكر عليه مخالفته بلا دليل ظاهر ولا تقليد سائغ أو عذر ظاهر والله تعالى الموفق .

((الخاتمة))

الخاتمة في فوائد

(نسأل الله تعالى حسن الخاتمة)

في فوائد جليلة وفوائد جزيلة لا يسع من خاض في مثل هذه العلوم الجهل بها وهي قسمان مفردات ومركبات كما قال الامام الموفق ولذا قال :

((مدارك العلوم في العيان

محصورة في الحد والرهان))

((وقال قوم عند اصحاب النظر

حسن واخبار صحيح والنظر))

مدارك العلوم

((مدارك العلوم)) المدارك جمع مدرك من أدرك الشيء بالشيء واستدركه محاول ادراكه به وادرك الشيء احاط به وبلغ وقته وانتهى الى العلم به والاحاطة بحكمه ، والمراد المدرك بالعقول لأننا نشاهد قطعاً آثار العقول في الآراء والحكم والحيل وغيرها متفاوتة وذلك يسدل على

تفاوت العقول في نفسها ، والعقول جمع عقل وهو لغة المنع سمي به لمنعه صاحبه من الرذائل والقبائح ولذا لا يطلق عليه تعالى العاقل واصطلاحا ما يحصل به الميزين المعلومات ، وعن الامام الشافعي انه قال العقل آلة التمييز والادراك . وهو غريزة قاله الامام احمد رضى الله عنه وقال الحارث المحاسبي ليس مكتسبا بل خلفه الله تعالى يفارق به الانسان البهيمة ويستعد به لقبول العلم وتدبير الصنائع الفكرية فكأنه نور يقذف في القلب كالعلم الضروري ، والصبا ونحوه حجاب له ، قال القاضي وغيره انه غير مكتسب كالضروري ، وقال البربهاري من أصحابنا : ليس العقل بجوهر ولا عرض ولا اكتساب وانما هو فضل من الله تعالى . قال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه هذا يقتضى أنه القوة المدركة كما دل عليه كلام الامام أحمد لا الادراك ، وهو بعض العلوم الضرورية عند أصحابنا والاكثر ستعد بها لفهم دقائق العلوم وتدبير الصنائع الفكرية وقاله ابو بكر الباقلاني وابن الصباغ وغيرهما ، فخرجت العلوم الكسبية لأن العاقل يتصف بكونه عاقلا مع انتفاء العلوم النظرية ، وانما قالوا بعض العلوم الضرورية لانه لو كان جميعها لوجب أن يكون الفاعل للعلم بالمدركات غير عاقل لعدم الادراك المعلق عليها ، والمشاهد خلافه ، ومحل العقل القلب عندنا وعند الشافعية والاطباء وله اتصال بالدماع ، وروى عن الامام أحمد أن محله الدماغ وهو قول أبي حنيفة والطوفى من أصحابنا ، وقيل في الدماغ ان قلنا انه جوهر والافى القلب . والصحيح أن العقل يختلف كالمدرک به وقال الامام ابن عقيل من علمائنا والاشاعرة والمعتزلة : العقل لا يختلف لانه حجة عامة يرجع اليه الناس عند اختلافهم ولو تفاوتت العقول لما كان كذلك . وقال غير واحد العقول عقولان غريزي وتجريبي مكتسب فالعقل الغريزي لا يختلف وأما الكسبي فيختلف . وحمل العلامة الطوفى الخلاف على ذلك . قوله ((في العيان)) أى المشاهدة وبادىء النظر لذوى العرفان ((محصورة)) فى شيئين لانك لهما أى محبوسة ومنوعة فيهما ومقصورة عليهما لا تتجاوزهما ((فى الحد)) ويأتى الكلام عليه قريبا ((و)) فى ((البرهان)) هو الحجة

والدليل وفي الحديث « الصدقة برهان » أي انها حجة لطالب الاجر من أنها قرص يجازى الله به عليه ، وقيل بل هي دليل على صحة ايمان صاحبها لطيب نفسه باخراجها وذلك لعلاقة ما بين النفس والمال • والبرهان عند أهل الميزان قياس مؤلف من مقدمات يقينية لانتاج يقينيات • واليقين اعتقاد أن الشيء كذا مع اعتقاد أنه لا يكون الا كذا مع مطابقته للواقع وامتناع تغيره

((وقال قوم)) بل مدارك العلم ((عند اصحاب النظر)) الفكر والتدقيق والبحث والتحقيق أعني علماء النظر وهم النظار من المتكلمة والمنطقيين وعلماء الاصول ثلاثة احداها ((حس)) أي ما يدرك بأحد الحواس الخمس وهي جمع حاسة بمعنى القوة الحاسة السمع والبصر والشم والذوق واللمس فخلق الله تعالى كلا من تلك الحواس لادراك أشياء مخصوصة فالسمع للاصوات والذوق للطعوم والشم للروائح والبصر للمرئيات واللمس للملموسات وهي القوة المنبثقة في جميع البدن يدرك بها الحرارة والبرودة والرطوبة واليوسوسة ونحو ذلك عند التماس والاتصال فلا يدرك بواحدة ما يدرك بالحاسة الاخرى والمدرك بشيء منها يقال له محسوس

((و)) الثاني ((اخبار صحيح)) ثابت رجح مطابق للواقع فان الخبر كلام يحتمل الصدق والكذب احتمالا متساويا بقطع النظر عن قائله وله نسبة خارجة فان طابقتة فصادق والا فكاذب ، وهذا الخبر الذي يفيد العلم على نوعين (أحدهما) المتواتر الثابت على السنة قوم لا يتصور بواطؤهم على الكذب ، ومصدقه وقوع العلم من غير شبهة ، وهو موجب للعلم الضروري كالعلم بالملوك الماضية في الازمنة الخالية والبلدان النائية كوجود مكة وبغداد فان من لم يحسن الاكتساب ولا ترتيب المقدمات من النساء والصبان يدرك ذلك فلو لم يكن العلم بذلك ضروريا لمسا أحسنوا ذلك ، وأما خبر النصارى بقتل عيسى عليه السلام واليهود بتأييد دين موسى عليه السلام فتواتره ممنوع لأن مستنده مجرد الوهم والهوى • فان قيل خبر كل واحد لا يفيد الا الظن وضم الظن الى الظن لا يوجب

اليقين ، وأيضا جواز كذب كل واحد يوجب جواز كذب المجموع لأنه نفس الآحاد ؟ فالجواب : الهيئة الاجتماعية أوجبت له من القوة ما لم تكن لأفراده كقوة الجبل المؤلف من الشعر مع الشعرات . فان قيل الضروريات لا يقع فيها تفاوت ولا اختلاف ونحن نجد العلم بكون الواحد نصف الاثنين أقوى من العلم بوجود اسكندر والمتواتر قد أنكر افادته العلم جماعة من العقلاء كالسمنية والبراهمة . فالجواب : هذا ممنوع بل قد يتفاوت أنواع الضرورى بواسطة التفاوت بالالف والعادة والممارسة والاختار بالبأس وتصور اطراف الاحكام ، وقد يختلف فيه مكابرة وعنادا كالسوفسطائية فى جميع الضروريات كما سننبه عليه قريبا (النوع الثانى) من نوعى الخبر المفيد للعلم خبر الرسول المؤيد بالمعجزة الخارقة المقرونة بالتحدى كما مر فيوجب العلم الاستدلالى للقطع بأن من اظهر الله تعالى المعجزة على يده تصديقا له فى دعوى الرسالة لا يكون الا صادقا فيما أتى به من الاحكام ، واذا كان صادقا يقع العلم بمضمونها قطعا ، وانما كان استدلاليا لتوقفه على الاستدلال واستحضار أنه خبر من ثبتت رسالته بالمعجزات ، وكل خبر هذا شأنه فهو صادق ومضمونه واقع ، والعلم الثابت بخبر الرسول يشابه العلم الثابت بالضرورة كالمحسوسات والمتواترات فى التيقن والثبات

((و)) الثالث من مدارك العلم ((النظر)) أى الفكر الذى يطلب به علم أو ظن قال العلامة شهاب الدين أحمد ابن قاضى الجبل من محققى علمائنا : النظر لغة الانتظار والرؤية والראفة والتفكر ، وعرفا الفكر المطلوب به علم أو ظن فينتقل من امور حاصلة ذهنا الى أمور مستحصلة ، وقد يطلق على حركة النفس التى يليها البطن الاوسط من الدماغ المسمى بالدودة أى حركة كانت فى المعقولات وفى المحسوسات تسمى تخيلا فكريا ، وقال الامام ابن عقيل فى الواضح ، النظر هو الاصل فى تحصيل هذا الامر والطريق اليه وهو اسم مشترك يقع على الرؤية بالبصر كما قال تعالى (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) وعلى الانتظار للمنتظر والتوقع له (فناظرة بم يرجع المرسلون) وهو ههنا أى فى عرف الاصلين التأمل

والتفكر والاعتبار بمعرفة الحق من الباطل والفصل بين الحججة والشبهة وهو فكرة القلب وتأمله ونظره المطلوب به علم هذه الامور وغلبة الظن لعضها ، وقد يصيب الناظر فيها وقد يخطئ ، وكلاهما نظر منه وقد ينظر في شبهة وفي دليل وقد يصل بنظره الى العلم تارة اذا سلك فيه المسلك الصحيح ورتبه على واجبه ومقتضاه وقد لا يصل اليه اذا قصر وغلط وغلط فيه أو نظر فيما هو شبهة وليس بدليل ، وللنظر آلة وغرض فالآلة هو المطلوب من أجل غيره والغرض هو المطلوب من أجله في نفسه فالغرض كمعرفة الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم . انتهى

والحاصل أن اسباب العلم ثلاثة الحواس السليمة والخبر الصادق والعقل ، ووجهه الحصر أن السبب إن كان من خارج فالخبر الصادق والا فان كان آلة غير المدرك فالحواس والا فالعقل - وان كان المؤثر في العلوم كلها في الحقيقة هو الله تعالى لانها بخلقه وايجاهه والله أعلم

((فالحد وهو أصل كل علم))

وصف محيط كاشف فافتمهم ((

((وشرطه طرد وعكس وهوان))

أبنا عن الذوات فالتام استبين ((

((وان يكن بالجنس ثم الخاصة))

فذاك رسم فافهم المحاصه))

(ف) اذا عرفت ما ذكرناه لك من التمهيد وطلبت تعريف الحد المذكور ف (الحد) في اللغة المنع ومنه سمي البواب حدادا لانه يمنع من يدخل الدار والحدود حدودا لانها تمنع من العود الى المعصية وسمى التعريف حدا لمنعه الداخل فيه من الخروج عنه والخارج عنه من الدخول فيه ، وقوله ((وهو)) اي الحد ((أصل كل علم)) جملة معترضة بين المبتدأ الذي هو الحد وخبره الذي هو وصف الخ وانما كان اصلا للعلوم لأن من لا يحيط به علما لا ينتفع بما عنده قال الفخر ابو محمد اسماعيل البغدادى من علمائنا . الحد على الحقيقة أصل كل علم فمن لا يحيط به علما لا ينع

له بما عنده وقاله غيره وهو صحيح كما في شرح مختصر التحرير (١)
والحد في الاصطلاح ((وصف محيط)) بموصوفه ، قال الامام
القاضي ابو يعلى من أئمة علمائنا : معنى الحد هو الجامع لجنس
مافرقه التفصيل المانع من دخول ما ليس من جملته فيه وفي التحرير :
المحيط بمعناه أى بمعنى المحدود فكأنه قال حد الشيء الوصف المحيط
بمعناه ((كاشف)) بالرفع عطف على محيط الذى هو نعت لوصف أى
مميز للمحدود عن غيره ولذا قال الغزالي قيل حد الشيء نفسه وذاته وقيل
هو اللفظ المفسر لعناه على وجه يجمع ويمنع • وقال العلامة ابن حمدان
في نهاية المتدئين انه قول يكشف حقيقة المحدود • وذكر فيه ثمانية اقوال
((فافتهم)) أمر بالانفعال (؟) لقبول الفهم بالفهم ، والفهم ادراك معنى
الكلام بسرعة كما في واضح ابن عقيل ، واستظهروا عدم تقييده بسرعة
كما قاله الطوفى في شرح مختصره وتبعه العلامة ابو بكر الجراعى في
حواشى أصول ابن اللحام ، قال الطوفى لان من سمع كلاما ولم يدرك
معناه الا بعد شهر أو أكثر قيل فهم وبذلك يقال الفهم اما بطيء أو
سريع فينقسم اليهما ومورد القسمة مشترك بين الاقسام نعم السرعة قيد فى
الفهم الجيد • انتهى - وقيل الفهم جودة الذهن من جهة تهينه لاقتباس
مايرد عليه من المطالب والذهن قوة النفس المستعدة لاكتساب الحدود
والآراء •

(وشرطه) أى شرط كون الحد صحيحا ، والشرط فى اللغة العلامة
وفى العرف مايعتبر للحكم وهو مايلزم من انتفائه انتفاء الحكم فلا يوجد
المشروط مع عدم شرطه ولايلزم من وجود الشرط وجود المشروط، وهو عقلى
ولغوى وشرعى فالعقلى كالحياة للعلم ، واللغوى كقوله ان دخلت الدار فأنت
طالق ، والشرعى كالطهارة للصلاة ((طرد)) خير المبتدأ الذى هو شرطه
وهو المانع الذى كلما وجد الحد وجد المحدود ((وعكس)) وهو الجامع
الذى كلما وجد المحدود وجد الحد فهذا عكس الاطراد ويلزم من

(١) يراجع ما حققه شيخ الاسلام ابن تيمية فى كتبه كالرد على المنطقين

ذلك انه كلما اتفى الحد اتفى المحدود • وقال الجراعى فى الحواشى :
المطرذ هو الذى اذا وجد الحد وجد المحدود وهو المانع ، قال والمنعكس
هو الذى اذا عدم الحد عدم المحدود وهو الجامع ، قال وهذا قول
الجمهور منهم الغزالى وابن الحاجب وابن مفلح ، قال وعكس القرافى
والطوفى فقالا المطرذ هو الجامع والمنعكس هو المانع ، وذكر ابو على
التيمى فى كتاب التذكرة فى أصول الدين أن هذا التعريف للحد
قول المتكلمين وأما المناطقة فقالوا انه القول الدال على ماهية الشئ وهو
ما يتحصل من جنس التعريف وفصله ، قال ولا يحتاج فيه الى ذكر الطرد
والعكس لأن ذلك يتبع الماهية • واعلم ان الحد من حيث هو - تام ،
ورسمى ، ولفظى ، ولذا قال ((وهو)) أى الحد ((ان أنبا)) أى دل
وكشف ((عن الذوات)) أى ذاتيات المحدود الكلية المركبة كما اذا قيل
مالانسان فيقال حيوان ناطق ((ف)) هو أى الحد الذى أنبا عن ذاتيات
المحدود الحقيقى ((التام)) وهو الاصل وله حد واحد لأن ذات الشئ
لا يكون له حدان مثاله حيوان ناطق فانه حد للانسان ، فان قيل جميع
ذات الشئ عين الشئ والشئ لا يفسر نفسه ، فالجواب أن دلالة المحدود
من حيث الاجمال ودلالة الحد من حيث التفصيل فليس عينه من كل وجه
فصح تعريفه به ولذلك لم يجعل اللفظان مترادفين الا اذا كان الحد
لفظيا فلذا قال ف ((استبن)) أى اطلب البيان والكشف عن حقيقة الحد
فان هذا هو الحد الحقيقى التام النبىء عن ذاتيات المحدود • وان كان بفصل
قريب فقط من غير ذكر جنس فحد حقيقى ناقص كما اذا قيل —
ما الانسان ؟ فقلت ، ناطق • وكذا ان كان بفصل وجنس بعيد كجسم ناطق
بالنسبة الى الانسان ((وان يكن)) الحد مركبا ((بالجنس)) أى من
الجنس القريب ((ثم الخاصة)) مثل ذلك حيوان ضاحك بالنسبة الى
الانسان ((فذاك)) المركب من جنس قريب خاصة نحو الضاحك
((رسم)) تام فان الضاحك عرض فى الفعل مفارق لا بالقوة ، وسمى
خاصة لاختصاصه بحقيقة واحدة بالقوة أو الفعل بالنسبة الى الانسان لأن
الضحك بالقوة لازم ماهية الانسان مختص بها وبالفعل مفارق لها مختص

بها ، وتُعرف الخاصة هي كلية تقال على ماتحت حقيقة واحدة فقط
قولاً عرضياً .

وان كان الحد بها أى الخاصة فقط كقولك الانسان ضاحك سمي رسماناقصا،
وكذا ان كانت الخاصة مع جنس بعيد كقولك الانسان جسم ضاحك ((فانهم
المحاصة)) بضم الميم فحاء مهملة مفتوحة فألف فصاد مهملة مدغمة في مثلها
فهاء تأنيث أى المقاسمة يقال حصص الشيء تحصيصا وحصص : بان وظهر ،
وتحاصوا وحصوا اقساموا حصصا كما في القاموس ، قال والحصة بالكسر
النصيب . والمراد افهم ما بين الحد الحقيقي التام كالحيوان الناطق بالنسبة الى
الانسان والحقيقي الناقص وله صورتان الاولى أن يكون بفصل قريب فقط كالناطق
بالنسبة الى الانسان أو بالفصل مع جنس بعيد كالجسم الناطق بالنسبة الى
الانسان أيضا ، وكذا افهم الرسم الحقيقي التام والرسم الناقص على ما
ذكرنا . والجنس كلى مقول على كثيرين مختلفين بالحقائق في جواب
ما هو ؟ كالحيوان بالنسبة الى انواعه نحو الانسان والفرس ، والنوع كلى مقول
على كثيرين مختلفين بالعدد دون الحقيقة في جواب ما هو ؟ كالانسان
بالنسبة الى زيد وعمرو ونحوهما من أفرادهم . والفصل غير مقول في جواب
ما هو بل في جواب اى شيء هو في ذاته ؟ وهو الذى يميز الشيء عما
يشاركة في الجنس كالناطق بالنسبة الى الانسان . والحد اللفظي ما كان
بلفظ مرادف أظهر عند السائل من المسؤول عنه كما لو قال قائل ما
الخبزيس ؟ فيقال هو الخمر . والله أعلم .

الادراك بالحس
وحوال
السوقسطانية

((وكل معلوم بحس وحجى فنكره جهل قبيح فى الهجا))

((فان يقم بنفسه فجوهر أولا فذاك عرض مقتر))

((والجسم ما ألف من جزئين فصاعدا فاترك حديث المين))

((وكل معلوم بحس)) من الحواس الخمس الظاهرة التى لا شك

فيها ولا آفة تعتريها فانكاره قبيح جدا اذ هو مجرد مكابرة ، قال فى شرح
الجواهر وينسب انكار الحواس الى بطلاموس وأفلاطون وارسطو
وجالينوس قال ويجب أن يكون مرادهم بذلك أن جزم العقل ليس بمجرد
الحس بل بتوسط ضمنية لا أن حكم الحس غير معتد به أصلا والايلزم

انتفاء علومهم المبنية على الاحكام الحسية . واستدل من قال بالانكار بأن
الحس كثير الغلط فلا يعتبر ، وبيانه أنه يرى العنبة في الماء بالاجاصة ،
والقطرة النازلة كالخط المستقيم ، ومنها أن الحس حاكم بياض الثلج وهو
مركب من أجزاء شفاقة ليس في الواقع له بياض ، وأن النائم يجزم بما
رأى في النوم جزمه في اليقظة ، وكذا صاحب البرسام ونحوه ، فيمكن
مثل ذلك في غيرهم ، وذلك كاف في رفع الثقة ، وأيضا الامثال متواردة
أعم من أن تكون جواهر كالأجسام عند النظام او عرضا كالألوان عند
متكلمي الاشاعرة ومن وافقهم ، والحس حاكم باستمرارها ، فيقوم الاحتمال
في الكل ولا جزم مع قيام الاحتمال . وجواب شبههم عما أوردوه بأنه غير دال على
عدم الوثوق بجزم العقل في المحسوسات بل في هذه الصور العقل
العقل بمجرد الحس وهو غير منكور فالحاكم في هذه الصور العقل
بتوسط الحس لا الحس فقط ، كذا قيل ، والحق أن انكار الوثوق بالمدرك

بالحواس مكابرة ((و)) كذا ما يدرك به ((حجي)) كالي هو العقل
((فكره)) أى انكاره وردده بعدم الوثوق به ((جهل قبيح)) متناه في
القبح ((في الهجا)) أى في الشكل والمثل يقال هذا على هجا هذا أى على
شكله اى قبيح في العادة المستمرة ومردود عند ذوى الهجا المجيدين في
التبحر والكشف عن حقائق الاشياء يقال هجى البنت كرضى هجى انكشف ،
قال العلامة نجم الدين بن حمدان في نهاية المتدئين كل مؤد الى حقيقة
ثابتة تعلم عقلا او حسا فانكاره سفسطة . انتهى . والسوفسطائية انكروا
كلا من الحسيات والبديهيات فقالوا بعدم الجزم في كل منهما فأوردوا
عليهم جزمهم بالشك فالتزموا عدم الجزم فيه ايضا فقالوا نحن شاكون
وشاكون في أنا شاكون وهؤلاء ثلاث فرق عندية وعنادية ولا أدرية ،
فالعندية قالت مذهب قوم حق بالقياس اليهم باطل بالنسبة الى خصومهم ولا
حق في نفس الامر ، والعنادية : ما من قضية بدئية كانت او نظرية الا ولها
معارض يساويها في القوة والقبول ، وأما اللأدرية وهم أمثلهم فقالوا نحن
شاكون وشاكون في أنا شاكون ، وتمسكوا بأن دليل كل من منكرى
الحسيات والبديهيات دال على انتفائهما والنظر متفرع عليهما متف باتفائهما

ولا طريق الى الجزم غير الحس والبديهية والنظر فلم يكن للجزم تحقق أسلا . واذا كان الامر كذلك لم يكن للمناظرة معهم فائدة لانها لا فائدة المجهول وليس عندهم معلوم فتتجر المناظرة الى التزام مذهبهم ، ولذا منع المحققون منها معهم ، ولكن يقال لهم هل ميزتم بين الالم واللذة أو بين مذهبكم وما يناقضه ؟ فان أبوا الا الاصرار أوجعوا ضربا وعذبوا بالنار ليعترفوا أو يهلكوا . وسوف سطا اسم للحكمة الموهبة والعلم المزخرف لان سوفاء معناه العلم والحكمة واسطا معناه المزخرف والغلط ومنه اشتقت السفسطة . كما اشتقت الفلسفة من فيلاسوف اى محب الحكمة .

(تنبيهان)

تنبيهان الاول
العلم ضرورى او
كسبى

(الاول) اعلم أن العلم منه ما هو ضرورى ومنه ما هو كسبى ، فالضرورى ما يلزم نفس المخلوق لزوما لا يجد الى الانفكاك عنه سبيلا كالتصديق بأن الكل أعظم من الجزء وأن الواحد نصف الاثنين وان العلم البديهي أخص من الضرورى لان البديهي هو ما يشته مجرد العقل من غير احتياج الى شيء آخر ويمكن الاحتياج فى الضروريات الى شيء آخر غير العقل كوجدان أو تجربة أو غيرهما . وأما الكسبى فهو مقابل للضرورى وهو النظرى والاستدلالي وهو ما يتضمنه النظر الصحيح وعرفه غير واحد بما يحصل بالذات عقيب النظر ، وفى مختصر التحرير وشرحه: الدال الناصب للدليل وهو لغة المرشد وشرعا ما يمكن التوصل بصحيح النظر فيه الى مطلوب خبرى ، ويدخل فى المطلوب الخبرى ما يفيد القطع والنظن ، وهو مذهب أصحابنا وأكثر الفقهاء الاصوليين ، وقيل ان ما أفاد القطع يسمى دليلا وما أفاد الظن يسمى امارة . وقال : ويحصل المطلوب المكتسب بالنظر الصحيح فى الدليل عقبه عادة ، وعلى هذا أكثر العلماء ، لانه قد جرت العادة بأن يفيض على نفس المستدل بعد النظر الصحيح مادة مطلوبة وصورة مطلوبة الذى توجه بالنظر الى تحصيله ، وقيل يحصل عقب النظر ضرورة لانه لا يمكنه تركه . ثم ان الادراك لماهية الشيء بلا حكم عليها بنفى أو اثبات تصور لانه لم يحصل به سوى صورة ذلك الشيء فى الذهن ، وتصور ماهية الشيء مع الحكم عليها بايجاب أو سلب تصديق ، فالتصور

ادراك الحقائق مجردة عن الاحكام ، والتصديق نسبة حكمية — بين الحقائق بالايجاب أو السلب ، والعلم الحاصل بالضرورة والكسب هو صفة يميز المتصف بها بين الجواهر والاعراض والواجب والممكن والمتنع تميزا جازما مطابقا للواقع بحيث لا يحتمل النقيض ، والحق انه يتفاوت كالمعلوم ، وكما يتفاوت الايمان ، قال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه : الصواب ان جميع الصفات المشروطة بالحياة تقبل التزايد ، وروى عن الامام احمد رضى الله عنه فى المعرفة الحاصلة فى القلب فى الايمان هل تقبل التزايد والنقص ؟ روايتان ، قال : والصحيح من مذهبا ومذهب جمهور أهل السنة امكان الزيادة فى جميع ذلك . انتهى . وتقدم وجوب اعتقاد قبول الايدان للزيادة والنقصان ودليل ذلك بالعقل والقرآن والله أعلم .

(الثانى) اعلم أن العلم يطلق لغة وعرفا على أربعة أمور (أحدها) ما لا يحتمل النقيض كما تقدم (الثانى) يطلق ويراد به مجرد الادراك سواء كان جازما أو مع احتمال راجح أو مرجوح أو مساو (الثالث) انه يطلق ويراد به التصديق قطعيا كان أو ظنيا (الرابع) يطلق ويراد به معنى المعرفة ويراد بها العلم ومنه قوله تعالى (مما عرفوا من الحق) أى علموا ، وقد يطلق الظن ويراد به العلم كقوله تعالى (الذين يظنون انهم ملائكة ربهم) أى يعلمون ، والمعرفة من حيث انها علم مستحدث او انكشاف من بعد لبس اخص من العلم لشموله غير المستحدث وهو علم الله تعالى والمستحدث وهو علم العباد ، ومن حيث انها يقين وظن اعم من العلم لاختصاصه حقيقة باليقين وتقدم الكلام عليها فى صدر الكتاب والله أعلم .

ثم ان كل شيء لا يخلو اما ان يقوم بنفسه اولا ((فان يقيم)) ذلك الشيء ((بنفسه)) أى بذاته ومعنى قيامه بذاته عند المتكلمين ان يتحيز بنفسه غير تابع تحيزه لتحيز شيء آخر وعند الفلاسفة معنى قيام الشيء بذاته استغناؤه عن محل يقومه ، فلا يخلو القائم بنفسه من أحد أمرين اما أن يكون مركبا من جزئين فصاعدا وهو الجسم كما يأتى الكلام عليه أو غير مركب فان قام بنفسه وكان غير مركب من جزئين فصاعدا ((ف)) هو

الثانى يطلق
العلم على أربعة
أمور

الجوهروالعرض
وعدة من
اصطلاحات
العلماء

((جوهر)) والجوهر هو العين الذي لا يقبل الانقسام لا فعلا ولا وهما ولا فرضا وهو الجزء الذي لا يتجزأ ، وعند الفلاسفة لا وجود للجوهر الفرد اعنى الجزء الذي لا يتجزأ وزعموا ان تركيب الجسم انما هو من الهولى والصورة ، وأقوى الأدلة على اثبات الجزء الذى لا يتجزأ عند القائلين به انه لو وضع كرة حقيقة على سطح حقيقى لم تماسه الا بجزء غير منقسم اذ لو ماسته بجزئين لكان فيها خط . بالفعل فلم تكن كرة حقيقة . وأشهرها عند محققى المتكلمة وجهان (الاول) ان لو كان كل عين منقسما لا الى نهاية لم تكن الخردلة أصغر من الجبل لان كلا منهما غير متناهى الاجزاء والعظم والصغر انما هو بكثرة الاجزاء وقتلتها وذلك انما يتصور فى المتناهى (الثانى) قالوا ان اجتماع الجسم ليس لذاته والا لما قبل الافتراق فالله تعالى قادر على أن يخلق فيه الافتراق الى الجزء الذى لا يتجزأ لان الجزء الذى تنازعوا فيه ان أمكن افتراقه لزم قدرة الله تعالى عليه دفعا للعجز وان لم يمكن ثبت المدعى الذى هو وجود الجزء الذى لا يتجزأ ، ولضعف هذه المدارك لم يشبهه شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله روحه وان كان فى اثباته نجاة من كثير من ظلمات الفلاسفة مثل اثبات الهىولى والصورة المؤدى الى قدم العالم ونفى حشر الاجساد وامتناع الخرق والالتام مما هو معلوم الفساد من دين الاسلام بالضرورة (١) والله اعلم .

((أولا)) يقوم بنفسه ((فذاك)) الذى لا يقوم بنفسه بل لا بد أن يكون قائما بغيره تابعا له فى التحيز او مختصا به اختصاص الناعت بالنعوت فهو ((عرض مفتقر)) الى محل يقومه فوجود العرض فى الموضوع هو أن وجوده فى نفسه هو وجوده فى الموضوع فيمتنع الانتقال عنه فالعرض مفتقر الى محل يقوم به ويحمله ، وقيل هو الموجود فى شىء غير متقوم به لا كجزء منه ولا يصح قوامه دون ما هو منه ، وقيل ما يطرأ على جوهر من كون ولون لا بمعنى انه لا يمكن تعلقه بدون المحل كما قد توهم ذلك بعضهم ، نعم يوجد ذلك فى بعض الاعراض كالبوة مثلا .

((والجسم ما)) أى شىء أو الذى ((ألف)) أى ركب ((من جزئين

(١) قد رد شيخ الاسلام أباطيل الفلاسفة بالحجج الواضحة

فصاعدا)) أى أكثر يعنى ذاهبا الى جهة الصعود والارتفاع عن اثنين فيكون أقل ما يتركب من جزئين ولا حد للكثرة ((فانترك حديث)) أى كلام ((المين)) أى الكذب يعنى الكلام الكذب وأراد بهذا الرد على من زعم انه لا يتركب من أقل من ثلاثة أجزاء لتحقق الابعاد الثلاثة اعنى الطول والعرض والعمق وعلى من زعم انه لا يتركب من أقل من ثمانية اجزاء لتحقق تقاطع الابعاد على زوايا قائمة ، وقيل الجسم ما يقبل الزيادة بالوصف بجوهر الجسم منه وقد قدمنا الكلام على الجوهر والجسم والعرض عند قولنا فى الباب الاول

وليس ربنا بجوهر ولا عرض ولا جسم تعالى ذو العلاء

فراجعه ان شئت (١) وانما أعاده هنا تبعا للاصحاب فى الحاقهم وأاخر العقائد كلمات يكثر دورانها فى هذا العلم ومن هذا القبيل قوله

((ومستحيل الذات غير ممكن وضده ما جاز فاسمع زكى))
((وال ضد والخلاف والتقيض والمثل والغيران مستفيض))
((وكل هذا علمه محقق فلم نطل به ولم نتمق))
((ومستحيل الذات غير ممكن)) أى المستحيل لذاته غير ممكن ولا مقدور اذ لو تعلقت به القدرة لصار ممكنا لانها لا تتعلق الا بالممكنات كما مر ، وضده أى ضد المستحيل ((ما)) أى الذى ((جاز)) وجوده وعدمه ، والحاصل ان الواجب ما لا يتصور فى العقل عدمه ، والمستحيل ما لا يتصور فى العقل وجوده ، والممكن ما جاز وجوده وعدمه ، يعنى قبل ايجاده . وتقدم الكلام عليه فى الباب الاول ((فاسمع زكى)) اى علمى وفهمى وتفرسى فى اختصار الكلام مع تمام الاحكام يقال زكن كفرح وازكنه علمه وفهمه وتفرسه وظنه ، او الزكن ظن بمنزلة اليقين عندك او طرف من الظن وازكنه اعلمه وافهمه والازكن ان تزكن شيئا بالظن فيصيب . ثم اشار الى بعض ما ذكره النجم ابن حمدان فى آخر نهاية المتدئين فقَالَ ((وال ضد)) يعنى مع ضده فالضدان هما ما امتنع اجتماعهما فى محل واحد فى زمن واحد كالسواد والبياض . والحركة والسكون ، والاجتماع

والافتراق ، اذ الشيء الواحد لا يكون اسود ابيض في زمن واحد ، ولا يكون ساكنا متحركا في زمن واحد . ويمكن ارتفاع الضدين مع بقاء المحل لا اسود ولا ابيض . قال في نهاية المتدئين : وقيل الضدان الوصفان الوجوديان اللذان يتمتع اجتماعهما لذاتهما كالسواد واليباض . وقيل كل ذاتين (؟) يتعاقبان على موضع واحد يستحيل اجتماعهما فيه بينهما غاية الخلاف والبعد . انتهى . وهي عبارات متقاربة المعنى في الجملة ((والخلاف)) أى الخلافان يجتمعان ويرتفعان كالحركة واليباض في الجسم الواحد ((والنقيض)) ان لا يجتمعان ولا يرتفعان كالوجود والعدم المضامين الى معين واحد ((والمثل)) ان ما قام احدهما مقام الآخر وسد مسده وعمل عمله، والجواهر متماثلة ، وقيل هما اللذان يشتركان في الصفة اللازمة فهما لا يجتمعان ويرتفعان لتساوى الحقيقة كيباض وبياض ، وأما المشابهان فهما اللذان يتقاربان اما في الصورة واما في استحقاق المعنى المجوز عليهما او في السبب الذي تعلق به وجودهما ونحو ذلك مما تقع به المشابهة ، والمشابهان من وجه قد يختلفان من آخر والمثلان لا يختلفان من وجهه والمختلفان قد يختلفان من وجهه ويشتهبان من وجه آخر ((والغيران)) هما المختلفان وقيل هما الموجودان اللذان يمكن ان يفارق أحدهما الآخر بوجه فالتفقان يقربان من المثليين وهما في التقارب على العكس من المختلفين وفيهما زيادة على أصح حد المشابهين لانه قد يكون التفاوت بالوصف كما في المشابهين وقد يكون التفاوت بالزمان والمكان وليس ذلك في المشابهين وقد يكون في المتماثلين تفاضل من وجه مثل الحركتين تكون احدهما أشد من الاخرى ، وكذلك يتفاوت السوادان شدة وضعفا ، وكل علم ذلك معلوم عند اهل هذا الفن وعند المناطقة ((مستفيض)) استفاضة ظاهرة لا تخفى على أحد له اعتناء بتحصيل هذه العلوم العقلية .

(تنبيه) قد يتعذر ارتفاع الخلافين لخصوص حقيقة كونهما خلافين كذات واجب الوجود تعالى وتقدس مع صفاته ، وقد يتعذر افتراقهما (كالعشرة مع الزوجية خلافان ويستحيل افتراقهما - ١) والخمسة مع الفردية والجوهر مع الالوان ونحو هذا وهو كثير لكن لا تنافى بين امكان

الافتراق والارتفاع بالنسبة الى الذات وتعذر الارتفاع بالنسبة الى أمر خارجي عنها ، وهذا الذي ذكرناه كله بالنسبة الى ممكن الوجود ، أما الله تعالى وصفاته فلا يقال بإمكان رفع شيء منها لتعذر رفعه بسبب وجوب وجوده ، وقد قدمنا في بحث الصفات ما يرشد لهذا •

((وكل هذا)) المذكور واضافه مما لم يذكر ((علمه)) مشهور عند أرباب الفن ((محقق)) وحيث كان كذلك فلنقتصر على هذا المقدار الذي ذكرناه ((فلم نطل به)) أي بذكره ((ولم نتمق)) من التمييق وهو التحسين والتزيين قال في القاموس نمق الكتاب كتبه ونمقه تمييقا حسنه وزينه بالكتابة ويقال للشيء المروح : فيه نمقة - محرقة • اذا المقصود انما هو ذكر أمهات مسائل العقائد السلفية ونظم فرائد الاصول الاثرية وقد ذكرنا منها ما لعله يكفي المبتدى ويشفى المتتهى ويكمد المعتدى وباللله التوفيق ثم حمدنا الله تعالى عودا على بدء فقلنا

((والحمد لله على التوفيق لمنهج الحق على التحقيق))
((مسلما لمقتضى الحديث والنص في القديم والحديث))
((لا أعتنى بغير قول السلف موافقا أئمتي وسلفي))

((والحمد لله على التوفيق)) وهذا حمد في مقابلة نعمة التأهيل لهذا الفضل الجزيل والمشرّب الصافي من ينبوع التنزيل من غير الحاد ولا تأويل ولا تشبيه ولا تعطيل ، والتوفيق تسهيل سبيل الخير والطاعة • قال الامام المحقق ابن القيم في كتابه شرح منازل السائرين : قد اجمع العارفون بالله أن التوفيق ان لا يملكك الله تعالى الى نفسك ، والخذلان ضده وهو أن يخلى بينك وبينها ، فالعبيد متقلبون بين توفيقه وخذلانه ، بل العبد في الساعة الواحدة ينال نصيبه من هذا وهذا فيطيع مولاه ويرضيه ويذكره ويشكره بتوفيقه ثم يعصيه ويخالفه ويسخطه ويففل عنه بخذلانه له ، فهو دائرين توفيقه وخذلانه فان وفقه ففضله ورحمته وان خذله فبعده وحكمته ، وهو سبحانه المحمود في هذا وهذا له أتم حمد وأكمله ، لم يمنع العبد شيئا هو له وانما منعه ما هو مجرد فضله وعطائه وهو أعلم حيث يضعه وأين يجمله • قال : فمتى شهد العبد هذا المشهد وأعطاه حقه علم ضرورته وفاقته

الى التوفيق فى كل نفس ولحظة وطرفة عين وان توحيده وايمانه ممسك
يد غيره لو تخلى عنه طرفه عين لثل عرشه ولخرت سماء ايمانه على
الارض وان المسك له من يمسك السماء أن تقع على الارض الا باذنه
فدأبه بقلبه ولسانه : يا مقلب القلوب ثبت قلبى على دينك ، يا مصرف
القلوب صرف قلبى على طاعتك ، ودعواه : يا حى يا قيوم يا بديع السموات
والارض يا ذا الجلال والاکرام لا اله الا أنت برحمتك أستغيث اصلح لى
شأنى كله ولا تكلنى الى نفسى طرفه عين ولا الى أحد من خلقك • ثم قال:
والتوفيق هو ارادة الله من نفسه أن يفعل بعبده ما يصلح به العبد بأن
يجعله قادرا على فعل ما يرضيه مريدا له مجبا مؤثرا له على غيره ، ويغض
اليه ما يسخطه ويكرهه وهذا مجرد فعله تعالى والعبد محل له قال تعالى
(ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه فى قلوبكم وكره اليكم الكفر
والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون • فضلا من الله ونعمة والله عليم
حكيم) فهو سبحانه عليم بمن يصلح لهذا الفضل ومن لا يصلح له حكيم
يضعه فى مواضعه وعند اهله ولا يمنعه اهله ولا يضعه عند غير اهله •
وذكر هذا عند عقيب قوله (واعلموا ان فيكم رسول الله لو يطيعكم فى كثير
من الامر لعنتم) ثم جاء بحرف الاستدراك فقال (ولكن الله حبب اليكم
الايمان وزينه) قال وقد فسرت الجبرية وغيرهم التوفيق بأنه خلق الطاعة
والخذلان خلق المعصية وبنوا ذلك على أصولهم الفاسدة من انكار الاسباب
والحكم وردوا الامر الى محض المشيئة من غير سبب ولا حكمة ، قال
وقابلهم القدرية ففسروا التوفيق بالبيان العام والهدى العام والتمكن من
الطاعة والاقدار عليها وتهيئة أسبابها ، قال وهذا حاصل لكل كافر ومشرک
بلغته الحجة وتمكن من الايمان • وقد قدمنا فى الكلام على القدر ما لعله
يكفى ويشفى وبالله التوفيق وقوله ((لمنهج الحق على التحقيق)) متعلق
بالتوفيق والمنهج الطريق الواضح كالنهج والمنهاج • والحق هو الحكم
المطابق للواقع ويطلق على الاقوال والعقائد والاديان والمذاهب باعتبار
اشتمالها على ذلك ، ويقابله الباطل ، وأما الصدق فشاع فى الاقوال خاصة ،
ويقابله الكذب ، وقد يفرق بين الحق والصدق بأن المطابقة تعتبر فى الحق

من جانب الواقع وفي الصدق من جانب الحكم فمعنى صدق الحكم مطابقتها
الواقع ومعنى حقيقته مطابقة الواقع اياه ، والتحقيق ايقاع الاشياء فى محالها
وردها الى حقائقها يقال حقق الطريق ركب حاقته وحقق الامر تيقنسه ،
وقوله ((مسلما)) حال من معمول التوفيق أى والحمد لله على توفيقى
لمنهج الحق حال كونى مسلما ((لمقتضى الحديث)) أى لما يقتضيه الحديث
الصحيح النبوى ((والنص)) الصريح القرآنى ، وقدم الحديث لمراعاة
القافية ولشدة الاعتناء بالتمسك بالسنة النبوية والاحاديث المرضية كالنص
كما هو فى نسخة وهى اولى وأحرى وحيثذ فالنص هو المقدم وسواء
أدركنا معناه بعقولنا أم لم ندركه ، وهذا هو الحق الواجب على كل مسلم ،
يوضحه ان وجوب تصديق كل مسلم بما اخبر به الله ورسوله من صفاته
وغيرها ليس موقوفا على أن يقوم دليل عقلى على ذلك فانه مما يعلم بالاضطرار
من دين الاسلام ان الرسول اذا أخبرنا بشىء من صفات الله تعالى وجب
علينا التصديق به وان لم نعلم ثبوته بعقولنا ومن لم يقر بما جاء به الرسول
ضلى الله عليه وسلم حتى يعلمه بعقله فقد أشبه الذين قال الله تعالى عنهم
(وقالوا لن تؤمن حتى توتى مثل ما أوتى رسل الله) ومن سلك هذا السبيل
فهو فى الحقيقة ليس مؤمنا بالرسول ولا متلقيا عنه الاخبار بشأن الربوبية ،
ولا فرق عنده بين أن يخبر الرسول بشىء من ذلك او لم يخبر به اذا كان
الذى لم يعلمه بعقله لا يصدق به بل يتأوله وما لم يخبره به ان علمه بعقله
آمن به ، ومن سلك هذا السبيل فوجود الرسول واخباره وعدمهما عنده
سواء ، وما يذكر من القرآن والحديث والاجماع لا أثر له عند هؤلاء
وقد صرح بذلك جماعة من أئمة المتكلمة وتقدم هذا فى الباب الاول بعد
قولنا

فكل ما قد جاء فى الدليل فثبت من غير ما تمثيل

وقوله ((فى القديم والحديث)) يحتمل معنيين كلاهما مراد (أحدهما)
راجع الى الناظم وهو أن هذا عقيدتى واعتمادى ومبنى عصمتى واعتقادى
التسليم والانقياد والمثول والاعتماد على مقتضى النصوص القرآنية
والاحاديث النبوية سواء أدركنا معانيها بعقولنا أو قصرت عن ادراك حقائقها

ألبابنا وآراؤنا وهذا في أول زمان وجود ادراك فهمي ولم ينفك عن هذا عقد لبي ودليل علمي فقديم زمني وحديثه على ذلك وهو نهجه القويم وان تباينت المسالك (الثاني) أن مبنى علمي وحقيقة حجتي وفهمي وعصمتي وسندي انما هو النص القرآني والخبر الصحيح النبوي وما أجمع عليه السلف سواء في ذلك الاحكام المتعلقة بالعبادات ونحوها من المعاملات والانكحة والجنائيات والحدود والكفارات أو الاخبار عن البرزخ والمعادوما للعالم من شقوة أو اسعاد هذا! وهذا ونحوه مما يتعلق بالحدوث والحوادث أو كان مما يتعلق بالقديم الديان من الذات والصفات والقرآن حسبما برهنا على ذلك في شرحنا هذا على قدر الامكان مما يعلمه الناظر فيه بالبراهين الساطعة والحجج القاطعة والادلة النافعة والالزامات القائمة ((لا أعتنى)) في أصل نظم عقيدتي هذه بقول قائل وان جل أمره وشاع ذكره ((بغير قول السلف)) أى لا أعول ولا يهمنى ولا يعينى في نظم عقد توحيدى الا قول السلف الصالح والرعىل الاول الفالح وفي نسخه * لا أعتنى الا بقول السلف * ولست في ذلك منفردا ولا ناهجا نهجا منتقدا بل في نهجى المذكور وسيرى المشكور حال كونى ((موافقا أئمتى)) من أئمة أهل الاثر ((وسلفى)) فى ذلك من كل همام معتبر قد سبروا الاخبار ودونوا الآثار وعرفوا ما كان عليه النبى المختار وما اقتفاه عليه اصحابه الابرار وأصهاره الاخيار وأنصاره الاطهار صلوات الله وسلامه عليه وعليهم ما تعاقب الليل والنهار وقد قال « ستفترق أمتى الى ثلاث وسبعين فرقة كلها فى النار الا فرقة واحدة وهى ما أنا عليه وأصحابى » وتقدم ذلك فى المقدمة ((ولست فى قولى بذنا مقلدا الا النبى المصطفى مبدى الهدى)) ((صلى عليه الله ما قطر نزل وما تعانى ذكره من الازل)) ((وما انجلى بهديه الديجور وراقت الاوقات والدهور)) ((ولست فى قولى بذنا)) أى بما أشرت اليه من اقتفاء الائمة والسلف الصالح ((مقلدا)) لهم فى اعتقادى ، وان الذى نحوه بمجرد عمديتى واعتمادى ، من غير نظر فى الدليل وبحث عن الكثير والقليل ، بل نظرت كما نظروا ، وسبرت كما سبروا ، وخضت فى علوم النظر والكلام ،

والحكمة والاحكام ، فرأيتها لا تشفى من سقام ، ولا تروى من أوام ، ولا تهدي من ضلال ، ولا تجدى من نوال ، هذا واللب عاكف على الآثار ، عارف بثمرات الاخبار ، كارف من نشرها ما يزيل تنن الآراء غارف من بحرها ما يطفىء حرارات الاهواء ، مقتبسا من أنوارها ما يقشع ظلمات الافكار الفلسفية ، ملتصبا من اسرارها ما يقمع شبهات الانظار الكلامية ، مقيدا منها بما يزيل الخيالات المعتزلية ، معتمدا منها على ما يغسل الزبالات الرافضية ، فليس لى فى كل سيرى مقلدا ، ولا فى اعتقادى قدوة ومعتمدا ((الا النبى المصطفى)) من سائر العالم المختار من سائر بنى آدم ((مبدى)) اى مظهر ومبين وكاشف ((الهدى)) بالدلائل الواضحة ، ومرشد العالم الى سلوك المسالك الناجحة ، وتقديم الكلام على الهداية ، بما فيه كفاية ، فقد بذلت وسعى فى اقتفاء آثاره ، وانتقاء اخباره ، وسبر أحواله ، ونشر أقواله ، وتهذيب سيرته الشريفة ، وثبوت شريعته المحكمة المنيفة ، فكرعت منها عللا بعد نهل ، وشربت عذبا زلالا صافيا برياً من زبالات الآراء والزلل ، فذاك معتمدى مدى العمر ، لا زيد ولا بكر ، ولا خالد ولا عمرو ((صلى عليه الله)) تقدم الكلام على معنى الصلاة والسلام ((ما قطر نزل)) أى مدة دوام نزول الامطار وتداول الاعصار ، والقطر هو الماء والنزول وكفه من العلو اذا هطل ((و)) صلى الله وسلم عليه ((ما تعانى)) المعتنون ((ذكره من الازل)) فى الاعصار الخالية والاطوار البالية والقرون الفانية والامم الماضية فانه لم يخل زمان من ذكره ولا أوان من التنويه بشرعه ومبعثه ونهيه وأمره الى أن جاء ابان رسالته زمان بعثته وظهور مقالته فظهرت شمس نبوته على سائر كواكب النبوات فانخست وبهرت رسالته المقالات فانطمست ((و)) صلى الله وسلم عليه ((ما انجلى)) أى تفسر وزال وانكشف ((بهديه)) الناصع ونور شرعه المشرق اللامع ((الديجور)) اى الظلام قال فى القاموس الديجور التراب والظلام والاعبر الضارب الى السواد . أى مدة دوام انجلاء ظلام الشرك وسواد الأفك وغبار البسود والابتكار بمنار هديه ونور شرعه الذى ازال كل ظلال وأطفأ كل نار ((و)) ما بهديه صلى الله عليه وسلم ((راقى)) أى صفت قال فى القاموس

الترويق التصفية والراووق المصفاة والريق تردد الماء على وجه الارض من الضحضاح والرائق الخالص و ((الاوقات)) جمع وقت وهو المقدار من الدهر وأكثر ما يستعمل في الماضي والميقات يطلق على الزمان والمكان المضروب للفعل ، وفي نسخة ما راقت الايام بدل الاوقات جمع يوم والمراد ما خلصت وصفت الاحوال جمع حال الواقعة في الاوقات والحاصلة في الايام والساعات والحال كنه الانسان وما هو عليه كالحالة ويراد بالحال الهيئة ومنه تغير من حال الى حال ((و)) ما راقت ((الدهور)) جمع دهر وهو الزمان الطويل والامد الممدود وقد يعد في الاسماء الحسنى والمراد على حذف مضاف والذي عده في الاسماء الحسنى نظر الى ظاهر قوله صلى الله عليه وسلم « لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر » والى ظاهر الحديث القدسي - قال الله تعالى يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر . قال الحافظ ابن حجر في شرح البخارى وقال الخطابي معناه أنا صاحب الدهر ومدبر الامور التي ينسبونها الى الدهر فمن سب الدهر من أجل هذه الامور عاد بسببه الى ربه الذي هو فاعلها وانما الدهر زمان جعل ظرفا لمواقع الامور ، وكانت عادة الجاهلية انهم اذا أصابهم مكروه أضافوه الدهر فقالوا يؤسا للدهر وتبا للدهر . قال المحققون من نسب شيئا من الافعال الى الدهر حقيقة كفر ومن جرى هذا اللفظ على لسانه غير معتقد لذلك فليس بكافر لكن يكره له ذلك . وقد شن الغارة الحافظ ابن الجوزى على من نسب شيئا من ذلك الى الدهر ولو لم يعتقد ظاهره في عدة مواضع من كتبه منها صيد الخاطر . وغلط القاضي عياض من زعم أن الدهر من أسماء الله تعالى فان الدهر مدة زمان الدنيا وعرفه بعضهم بأنه أمد مفعولات الله في الدنيا أو فعله لما قبل الموت . وقد تمسك الجهلة من الدهرية والمعطلة بظاهر هذا الحديث واحتجوا به على من لارسوخ له في العلم لان الدهر عندهم حركات الفلك وأمد العالم ولا شيء عندهم ولا صانع سواه . وكفى في الرد عليهم قوله في بقية الحديث « أنا الدهر أقلب ليله ونهاره » فكيف يقلب الشيء نفسه تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا . وقال محمد بن أبي جمره : لا يخفى أن من سب الصنعة فقد سب

صانها فمن سب نفس الليل والنهار أقدم على أمر عظيم بغير معنى ، وذكر نحو ما قدمنا من أن ليس للدهر ولا لليل والنهار فعل ولا تأثير فمن سب شيئا من ذلك يؤول من حيث المعنى أنه سب خالق ذلك • انتهى • ملخصا ((وآله وصحبه أهل الوفا معادن التقوى وينبوع الصفا))

((وتابع وتابيع للتابع خير الورى حقا بنص الشارع))

((و)) صلى الله على ((آله)) أى أتباعه على دينه وقيل أقاربه الادنون من بنى هاشم وبنى المطلب والاول اختيار الامام احمد فى مقام الدعاء ، والثانى اختيار الامام الشافعى وقيل آله أهله ، والصواب جواز اضافته الى الضمير خلافا لمن انكر ذلك نعم هو قليل ((وصحبه)) وهم كل من اجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم مؤمنا ومات على الايمان وتقدم الكلام عليهم فى أول الكتاب وفى قوله ((أهل الوفا)) اشارة الى أنهم فعلوا ما أمروا ووفوا بما عاهدوا الله ورسوله عليه من بذل نفوسهم النفيسة وكل نفس فى نصرة الدين القويم والتمسك بهديه المستقيم وقوله ((معادن التقوى)) يصح جره على التبعية لما قبله ونصبه بفعل محذوف تقديره أمدح ونحوه ورفعها خبر لمبتدأ محذوف تقديره هم ، والمعادن جمع معدن بكسر الدال، قال الازهرى سمي المعدن معدنا لعدون ما أنبته الله فيه أى لاقامته فيه يقال عدن بالمكان يعدن عدونا والمعدن المكان الذى عدن فيه الجوهر من جواهر الارض أى ذلك كان • وأخرى خلق الله تعالى وأجدر باقامة التقوى فيهم وعدونها لديهم بعد أنبياء الله تعالى ورسوله أصحاب نبيه المصطفى رضوان الله تعالى عليهم ، والتقوى التحرز بطاعة الله تعالى عن مخالفته وامتنال أمره واجتناب نهيه ، وحقيقتها ان يجعل المرء بينه وبين معاصى الله وقاية تمنعه من انتهاكها والوقوع فيها فلا بد أن يجعل بينها وبينه حاجزا ، وفى سنن الترمذى وابن ماجه من حديث عبد الله بن يزيد رضى الله عنه (١) عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذرا مما به بأس » وقال أبو الدرداء رضى الله عنه : التقوى تمام التقوى أن يتقى الله العبد حتى يتقيه من مثقال ذرة وحتى يترك بعض ما يرى أنه حلال خشية أن يكون حراما حجابا بينه وبين الحرام • وتقدم الكلام عليها (١) انما رواه عبد الله بن يزيد عن ربيعة بن يزيد وعطية بن قيس وهما رفعاه

فى صدر الكتاب ((وينبوع الصفا)) معطوف على معادن والينبوع بفتح
التحتية وسكون النون وضم الموحدة وبعدها واو ساكنة فمين مهملة عين
الماء أو الجدول الكثير الماء كما فى القاموس ، والصفاء ضد الكدر كالصفو
والصفوة وصفوة الشيء مثله ما ضفى منه ومنه صفا الجو اذا لم يكن فيه
لطفة غيم ، فالصحابه الكرام ينبوع كل خالص من الكدر نقى من غبار
البدع وقذى الفكر فمن ورد موردهم كرع صافيا زلالا ومن زل عن نهجهم
شرب أجاجا قدرا وبالا ((و)) على ((تابع)) لهم باحسان ((وتابع للتابع))
على نهج الاستقامة والاتقان وهؤلاء القرون الثلاثة ((خير الورى)) كفتى
الخلق أى من هذه الامة وأفضلهم أحق ذلك ((حقا بنص الشارع))
للشرائع يعنى النبى صلى الله عليه وسلم وتقدم انه صلى الله عليه وسلم
قال « خير الناس قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » قال عمران بن
حصين رضى الله عنهما فلا أدري أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثة . رواه
البخارى ومسلم وغيرهما ، وكذا فى حديث أبى هريرة عند مسلم ولفظ
حديث أبى هريرة « خير أمتى القرن الذى بعثت فيه » ولهذا المعنى قال :

ذكر أئمة المذاهب الأربعة

((ورحمة الله مع الرضوان والبر والتكريم والاحسان))
((تهدى مع التبجيل والأنعام منى لمثوى عصمة الاسلام))
((أئمة الدين هداة الامة أهل التقى من سائر الائمة))
((لاسيما احمد والنعمان ومالك محمد الصنوان))

((ورحمة الله)) تعالى ((مع الرضوان)) من الله تعالى ((والبر))
بالكسر الاحسان والشفقة ((والتكريم)) لهم من فضله العميم وكرمه الكريم
((والاحسان)) اليهم من الله لانهم أحسنوا عملا وخلصوا قولا وفعلا
فيجازيهم بالاحسان لقوله تعالى (هل جزاء الاحسان الا الاحسان)

((تهدى)) بضم المثناة الفوقية على صيغة مالم يسم فاعله أى هذه الامور
التى هى الرحمة والرضوان والبر والتكريم والاحسان ((مع التبجيل))
أى التعظيم وفى حديث أنه عليه السلام أتى القبور فقال « السلام عليكم
أصبتم خيرا بجيلا » أى واسعا كثيرا من التبجيل يعنى التعظيم كما فى
النهاية وقال فى القاموس بجله تبجيلا عظمه ((والأنعام)) من الملك المنعم

المهيمن السلام ((منى)) أى بأنه أسأل الله تبارك وتعالى أن يفعل جميع ذلك بمنه وكرمه وطوله وحلمه ((لثوى)) أى منزل ومقام قال فى النهاية :
المثوى المنزل من ثوى بالمكان اذا أقام فيه • وفى القاموس • المثوى المنزل وجمعه
مناوى • وهو مجاز لان المراد الثاوين فأطلق المحل وأراد الحال ((عصمة))
أهل ((الاسلام)) من البدع المضلة والآراء المخلة بأهل الزيغ والالحاد
والافك والعدا • والعصمة المنعة والعاصم المانع الحامى والاعتصام الامتسك
بالشئ افتعال منه وفى شعر أبى طالب فى حق النبى صلى الله عليه وسلم
* نعال اليتامى عصمة للأرامل * أى يمنعهم من الضياع والحاجة وعلى كل
حال انما عصمة هذا الدين بعد الصحابة والتابعين كان بهؤلاء الائمة المجتهدين

ومن ثم قال ((أئمة)) أهل هذا ((الدين)) المتين ونور الله المبين الذى
جاء به النبى الامين من عند رب العالمين ((هداة الامة)) أى الدالين الامة على
نهج الرسول والكاشفين لهم عن معانى الكتاب المنزل والاحاديث التى عليها
المعول والذابين زيغ الزائغين وبدع المبتدعين وضلال المضلين والحاد الملتحين
فقد شيّدوا مبانيها وسدّدوا معانيها وأصلّوا أصولها وفصلّوا فصولها فأصبحت
الشريعة بهذا الترتيب مضبوطة وأحكامها بهذا الوصف والتبويب مربوطة
فمن رام اختلاس حكم من أحكامها نكص على عقبيه وهو خائب ومن دنا
من سماء أحكامها رمته كواكب حرسها بشهاب ناقب ولست أخص بهذا
الوصف والدعاء أحدا دون أحد بل أسأل الله تعالى لهم جميعا لانهم هم
((أهل التقى من سائر)) أى جميع ((الائمة)) من المقتدى بأقوالهم وأفعالهم
من كل عالم همام وحبر قمام ومقدم مقدام كالائمة المتبوعة الآنئى ذكرهم

والسفيانين والحمدادين واسحاق بن راهويه وأبى ثور ويحيى بن معين وابن
أبى ذئب والبخارى ومسلم وعبد الله بن المبارك والليث بن سعد وربيعة
ابن أبى عبد الرحمن وعبد الملك بن جريج وداود وغيرهم فانهم وان تباينت
أقوالهم واختلفت آراؤهم من جهة الفروع الفقهية فالجميع سلفية أثرية
ولهم فى السنة التصانيف النافعة والتأليف الناصحة كابن سعيد الدارمى
وأبى بكر بن خزيمة وأشباههم • ثم بعد أن عم جميع الائمة بالدعاء والثناء
خص الائمة الاربعة الذين مدار الشريعة الآن على ما أصلوه واحكامها

ضمن ما فصلوه فقال ((لاسيما)) هذه الكلمة مبنية على دخول ما بعدها في ما قبلها بالاولى فكل ما نسب لمن قبلها من الثناء والدعاء فمن بعدها كذلك وأولى بذلك ويجوز في الاسم الذي بعدها الجبر والرفع مطلقا وكذلك النسب أيضا اذا كان نكرة وقد روى بالوجه الثلاثة قول امرىء القيس * ولا سيما يوم بدارة جلجل * وأرجحها الجبر وهو على الاضافة وما زائدة بين المضاف والمضاف اليه مثلها في : أيامارجلين، والرفع على أنه خبر لمضمر محذوف وما موصولة أو نكرة موصوفة بالجملة والتقدير ولا مثل الذي هو أو ولا مثل شيء هو يوم ، وعلى الوجهين فتحة سى اعراب لأنه مضاف والنسب على التمييز كما يقع التمييز بعد مثل في مثل (ولو جئنا بمثل مددا) وما كافة عن الاضافة وفتحة سى فتحة بناء مثلها في ، لا رجل ، وأما انتصاب المعرفة نحو ولا سيما زيدا فمنعه الجمهور ، وتشديد سيما ودخول لا عليها ودخول الواو على لا واجب عند قوم حتى قال ثعلب من استعمل لا سيما على خلاف ما جاء في قوله : ولا سيما يوم - فهو مخطيء - وذكر غيره انها قد تخفف وقد تحذف الواو كقوله :

فه بالعقود وبالايمان لا سيما عقد وفاء به من أعظم القرب
وهي عند الفارسي منصوبة على الحال وعند غيره اسم للالتبرئة واختاره بعضهم

الامام ((احمد)) ابن محمد بن حنبل الشيباني سيدنا وامانا وقدوتنا ومتبوعنا والواسطة بيننا وبين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم الامام الشهير والامة العلم المنير صاحب المسند والتفسير والزهد وغيرها رضى الله عنه وتقدمت ترجمته في صدر الكتاب والله أعلم ((و)) الامام الاعظم والحبر المعظم أبي حنيفة ((النعمان)) بالجر عطف على ما قبله على المختار الاكثر ويصح الرفع فيهما كما أشرنا أولا على الأشهر وأبو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي امام أهل العراق وفقههم بالاتفاق وامام أصحاب الرأي قال الحافظ جلال الدين السيوطي في طبقات الحفاظ قيل انه من أبناء فارس وهو من التابعين فانه رأى أس بن مالك وأبا الطفيل رضى الله عنهما وروى عن حماد بن أبي سليمان وعطاء وعاصم بن أبي النجود والزهرى وقتادة وخلق،

وعنه ابنه حماد ووكيع وعبد الرزاق وأبو يوسف القاضي ومحمد بن الحسن
وما الصحابان اذا أطلقا عند الحنفية ، قال الامام يحيى بن معين : كان أبو
حنيفة ثقة لا يحدث بما لا يحفظ ، وقال الامام عبد الله بن المبارك ما رأيت
فى الفقه مثله ، وقال مكى بن ابراهيم كان أعلم أهل زمانه وما رأيت فى
الكوفيين أروع منه ، وقال الامام الشافعى الناس فى الفقه عيال على أبى
حنيفة ، وسئل يزيد بن هارون أيهما أفقه أبو حنيفة او سفيان ؟ فقال :
سفيان أحفظ للحديث وأبو حنيفة أفقه • أكره أبو حنيفة رضى الله عنه على
القضاء فأبى أن يكون قاضيا وكان يحيى الليل صلاة ودعاء وتضرعا ولد
رضى الله عنه سنة ثمانين ومات سنة مائة وخمسين وقيل سنة احدى وقيل
ثلاث وخمسين والاول أصح

((و)) الامام أبى عبد الله ((مالك)) بالجر والتوين هو الامام الكبير
والنجم المنير والعلم الشهير أبو عبد الله مالك بن انس بن مالك بن أبى
عامر بن عمرو بن الحارث الاصبهى الحميرى المدنى شيخ الائمة وامام
دار الهجرة روى عن جماعة من التابعين نافع ومحمد بن المنكدر وجعفر
الصادق وحيد الطويل وغيرهم وعنه الامام الشافعى وخلق جمعهم الخطيب
فى مجلد ، قال الامام على بن المدينى : لمالك نحو ألف حديث ، وقال الامام
ابن الامام عبد الله بن الامام احمد رضى الله عنه قلت لأبى من أثبت أصحاب
الزهرى ؟ قال : مالك أثبت فى كل شىء ، وقال الامام البخارى رضى الله عنه
أصح الاسانيد مالك عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما ، وقال الامام
الشافعى رضى الله عنه : اذا جاء الاثر فمالك النجم ، وعند الامام احمد
سالم بن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أصح الاسانيد (١) قال ابن
خلكان أخذ عن الامام مالك الاوزاعى ويحيى بن سعيد وغيرهما ونودى
فى المدينة الا لا يفتى الناس الا مالك بن انس وابن أبى ذئب • مات فى
المدينة سنة تسع وسبعين ومائة وهو ابن تسعين سنة رضى الله عنه ودفن
فى البقيع وكان شديد البياض الى الشقرة طويلا عظيم الهامة اصلع يلبس
(١) كذا فى الاصل والمأثور عن احمد : أصح الطرق الزهرى عن سالم عن
أبيه

الثياب العذنية الجياد ويكره حلق الشارب ويعيه ويراه من المثلة رحمه الله
ورضى عنه

والامام ابي عبد الله ((محمد)) معظوف على من قبله سقط حرف العطف
لاقامة الوزن فهو محمد بن ادريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن
السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف المطلبي
الشافعي رضى الله عنه يجتمع نسبه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
في عبد مناف المذكور وقوله ((الصنوان)) أى القرابة للنبي صلى الله
عليه وسلم يقال للمختلين فما زاد في الاصل الواحد كل واحد منهما
صنو ويضم وركبتان صنوان متجاورتان أو ينبعان من عين واحدة وفي حديث
العباس رضى الله عنه « فان عم الرجل صنوايه » وفي رواية « العباس صنو
ابى » وفي رواية « صنوى » يريد صلى الله عليه وسلم أن أصل العباس
وأصلى واحد وفي نسخة بدل الصنوان : المتقنان ،
من الاتقان لاتقانه للعلوم واحكامه للمنطوق منها والفهوم فهو
امام الامة وقدوة الائمة ولد بغزة هاشم سنة خمسين ومائة وحمل الى
مكة المشرفة وهو ابن سنتين وقيل ولد بعسقلان وقيل باليمن سنة أربع
 وخسين وقيل سنة اثنتين كذا في طبقات الحفاظ للجلال السيوطى وشرح
ألفية الحديث للمصنف ، وفي طبقات الحفاظ أيضا ولد ببلاد غزة سنة
خمسين ومائة وحمل الى مكة وهو ابن سنتين فنشأ بها وكان رضى الله عنه
جم المفاخر منقطع النظير اجتمعت فيه من العلوم بكتاب الله تعالى وسنة
رسوله وكلام الصحابة رضى الله عنهم وآثارهم واختلاف أقاويل العلماء
وغير ذلك من معرفة كلام العرب واللغة العربية والشعر حتى قرأ عليه
الاصمعى مع اشتهاره بهذا الشأن اشعار الهذليين - ما لم يجتمع فى غيره حتى
قال الامام احمد رضى الله عنه : عرفنا ناسخ الحديث ومنسوخه لما جالسنا
الشافعى ، وقال عبد الله بن الامام احمد قلت لأبى أى رجل كان الشافعى؟
فانى سمعتك تكثر من الدعاء له ، فقال : يا بنى كان الشافعى كالشمس
للدنيا وكالعافية للبدن ، هل لذين من خلف أو عنهما من عوض ؟ كذا
فى وفيات الاعيان لابن خلكان • قال السيوطى فى طبقات الحفاظ روى

الشافعي عن عمه محمد بن علي وأبي أسامة وسعيد بن سالم القداح وسفيان ابن عيينة والامام مالك واسماعيل بن علية وابن أبي فديك وخلق ، وعنه ابنه أبو عثمان محمد والامام احمد وأبو ثور وأبو عبيد القاسم بن سلام وأبو طاهر بن السرح وحرملة بن يحيى والحسن بن محمد الزعفراني والربيع بن سليمان الجيزي وأبو الوليد المكي وأبو يعقوب البويطي ويونس ابن عبد الاعلى وخلق كثير . قال ابن عبد الحكم لما حملت أم الشافعي به رأت كأن المشتري خرج من فرجها حتى انقض بمصر ثم وقع في كل بلد منه شظية فتأوله أصحاب الرؤيا أنه يخرج عالم يخص علمه أهل مصر ثم ينتشر في سائر البلدان . وقال الامام احمد ان الله تعالى يقبض للناس في رأس كل مائة سنة من يعلمهم السنة وينفي عن رسول الله الكذب فظنرنا فاذا في رأس المائة عمر بن عبد العزيز وفي رأس المائتين الشافعي رضي الله عنه . قال الشافعي رضي الله عنه حفظت القرآن وأنا ابن سبع سنين وحفظت الموطأ وأنا ابن عشر . وقال الربيع بن سليمان كان الشافعي يفتى وله خمس عشرة سنة وكان يحيى الليل الى أن مات . وقال أبو ثور كتب عبد الرحمن بن مهدي الى الشافعي وهو شاب أن يضع له كتابا فيه معاني القرآن ويجمع قبول الاخبار فيه وحجة الاجماع وبيان الناسخ والمنسوخ من القرآن والسنة فوضع له كتاب الرسالة . قال ابن مهدي : ما أصلى صلاة الا وأنا أدعو للشافعي فيها . وقال هرون بن سعيد الايلي لو أن الشافعي ناظر على هذا العمود الذي من حجارة أنه من خشب لغلّب لاقتداره على المناظرة . وكان الحميدى يقول حدثنا سيد الفقهاء . توفي رحمه الله ورضي عنه في شهر رجب سنة أربع ومائتين . وقال ابن خلكان أنه توفي آخر يوم من وجب ودفن بعد العصر من يومه بالقرافة البصري وقبره مشهور يزار ويتبرك به وأجمع العلماء قاطبة على ثقته وامامته وعدالته وزهده وورعه ونزاهة عرضه وعفة نفسه وحسن سيرته وعلو قدره وسخائه رضي الله عنه ، وكان الشافعي قد قدم بغداد سنة خمس وتسعين ومائة فأقام بها شهرا ثم خرج الى مصر وكان وصوله اليها سنة تسع وتسعين ومائة قاله ابن خلكان والله أعلم . ثم أشار الى أنه يجب على كل واحد

من هذه الملة ممن له عمل وتقوى أن يقلد واحدا من هؤلاء الاربعة على
الاصح الاقوى فقال

((من لازم لكل أرباب العمل تقليد جبر منهم فاسمع تخذل)) **التقليد**

((من)) أى الذين هم فهو مبتدا خبره فرض ((لازم)) لا انفكك عنه
ولا مندوحة منه ((لكل)) واحد مكلف من ((أرباب)) أصحاب ((العمل))
الصالح والكذ الناجح ممن ليس فيه أهلية الاجتهاد المطلق ((تقليد جبر
منهم)) أى من الائمة الاربعة المعلومة مذاهبهم المضبوطة أقوالهم المحفوظة
رواياتهم المدونة مذاهبهم فى كل مصر وعصر الواصلة بالتواتر بشروطها
وأركانها وموانعها واتقانها بحيث لا يتأتى لاحد أن ينسب لمذهب منها ما
ليس منه بل آحاد طلبة العلم يرد عليه ويعيبه ويقول هذا ليس فى هذا
المذهب حتى انهم يعرفون المشهور من أقوال المذهب والمهجور وان كان
الدليل المأثور مع القول المهجور ، والحبر بفتح الحاء المهملة وكسرهما
وسكون الموحدة لعالم المتقن وكان يقال لابن عباس رضى الله عنهما الجبر
والبحر لعلمه وسعته وتسمى سورة المائدة سورة الاحبار لقوله تعالى (يحكم
بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والاحبار) والتقليد لغة
وضع الشيء فى العنق محيطا به وذلك الشيء يسمى قلادة وجمعها
قلائد ، وعرفا أخذ مذهب الغير مع اعتقاد صحته واتباعه عليه بلا معرفة
دليله فالرجوع الى قول النبى صلى الله عليه وسلم والى المفتى والى الاجماع
ورجوع القاضى الى العدول ليس بتقليد ولو سمي ذلك تقليدا لساغ ، وفى
المقنع المشهور ان أخذه بقول المفتى تقليد وهو أظهر ، وقدمه النجم ابن
حمدان فى آداب المفتى ، وقال شيخ الاسلام فى السودة : والتقليد قبول
القول بغير دليل فليس المصير الى الاجماع تقليدا لان الاجماع دليل ، ولذلك
يقبل قول النبى صلى الله عليه وسلم ولا يقال تقليد بخلاف فتيا الفقيه ،
وذكر فى ضمن مسألة التقليد أن الرجوع الى قول الصحابى ليس بتقليد
لانه حجة ، وقد قال الامام احمد فى رواية أبى الحارث من قلد الخبر رجوت
أن يسلم ان شاء الله تعالى فأطلق اسم التقليد على من صار الى الخبر وان
كان حجة فى نفسه (تبيه) انما قال لكل أرباب العمل لبحترز به عن التقليد

في عقائد التوحيد من معرفة الله تعالى ونعوت ذاته وصفاته والرسالة وكذا في أركان الاسلام الخمس ونحوها مما تواتر واشتهر ذكره علماؤنا ونقل الاجماع في ذلك غير واحد منهم أبو الخطاب الكلوثاني وأبو الوفاء بن عقيل لتساوي الناس فيما لا يسوغ فيه اجتهاد ، وتقدم الكلام عليه في آخر الباب الاول مطولا والله أعلم • قال الامام موفق الدين في الروضة : وأما التقليد في الفروع فهو جائز اجماعا ، قال وذهب بعض القدرية الى أن العامة يلزمهم النظر في الدليل ، واستدل لجواز التقليد بقوله تعالى (فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون) وهو عام لتكرره بتكرار الشرط وعلة الامر بالسؤال الجهل ، وأيضا الاجماع فان العوام يقلدون العلماء من غير ابداء مستند من غير نكير ، وأيضا عدم القول بذلك يؤدي الى خراب الدين بترك المعاش والصنائع ولا يلزم مثله في التوحيد والرسالة لتيسره وقلته ودليل العقل والنقل ، ولذا قال الامام مالك يجب على العوام تقليد المجتهدين في الاحكام كما يجب على المجتهدين الاجتهاد في أعيان الادلة خلافا للمعتزلة البغدادية فانهم وافقوا القدرية في ايجابهم على العوام الاجتهاد واحتجوا بقوله تعالى (فاتقوا الله ما استطعتم) ومن الاستطاعة ترك التقليد ولان العامي متمكن من كثير من وجوه النظر فوجب أن لا يجوز له تركها قياسا على المجتهد ، ولنا أن الخطأ متعين وبلوغ الصواب متعسر بل متعذر في حق العوام اذا انفردوا بمعرفة الاحكام لانهم لا يعرفون النسخ والنسخ ولا المخصص ولا المقيد ولا كثيرا مما يتوقف عليه دلالة الالفاظ ولا يضبطونه ولا يسوغ لهم مخالفته لفرط الغرر فيه فهم لا يستطيعون الوصول اليه وقد توسط أبو علي الجبائي أحد أئمة المعتزلة فقال شعائر الاسلام الظاهرة لا تحتاج لنصب الاجتهاد فلا حاجة الى التقليد فيها كالصلوات الخمس وصوم رمضان ونحو ذلك وأما الامور الخفية من المجتهد فيه فيتين التقليد فيها بالضرورة ولا نزاع في ذلك لان تحصيل الحاصل محال ولا سيما والتقليد انما يفيد الظن وهو دون الضرورة بكثير ومالم تنته الى حد الضرورة يمين التقليد فيه لحاجة النظر الى آلات مفقودة في العامي

تنبيهات
الاول التزام
مذهب معين

(تنبيهات)

(أحدها) منع قوم وجوب لزوم مذهب معين قال شيخ الاسلام ابن تيمية في الفتاوى المصرية : تنازع المتأخرون من أصحاب الامام احمد والامام الشافعي وغيرهما هل على العامى أن يلتزم مذهبها واحدا بعينه من مذاهب الائمة المشهورين بحيث يأخذ بعزائمه ورخصه على قرلين ، قال والمشهور أنه لا يجب كما أنه ليس له أن يقلد في كل مسألة من يوافق غرضه وليس له أن يقلد في المسألة الواحدة اذا كان الحق له من لا يقلده اذا كان الحق عليه بل عليه باتفاق الائمة أن يعدل بين نفسه وغيره في الاقوال فاذا اعتقد وجوب شيء أو تحريمه اعتقد ذلك عليه وعلى من بمائله كشفة الجوار فليس له ثبوت الشفعة اذا كان هو الطالب وانتفاؤها اذا كان هو المطلوب كما يفعله أهل الهوى متابعة للهوى لا مراعاة للتقوى . وقال في مواضع أخرى : التمدب بمذهب بحيث يأخذ برخصه وعزائمه طاعة غير النبي صلى الله عليه وسلم في كل أمره ونهيه وهو خلاف الاجماع . وتوقف أيضا في جواز ذلك فضلا عن وجوبه وقال ان خالفه لقوة الدليل أو زيادة علم أو تقوى فقد أحسن ولم يقدح ذلك في عدالته بلا نزاع . وقال : بل يجب في هذه الحال له وأنه نص الامام . وكذا قال القدوري الحنفى : ماظنه أقوى فعليه تقليده فيه وله الافناء به حاكيا مذهب من قلده . وقال صدر الوزراء عون الدين أبو المظفر ابن هبيرة انه من مكاييد الشيطان أن يقيم أو ثمانا في المعنى تعبد من دون الله مثل أن يتبين له الحق فيقول هذا ليس بمذهبا تقليدا لمعظم عنده قد قدمه على الحق . وقال أبو محمد بن حزم أجمعوا على أنه لا يحل للحاكم ولا المفتى تقليد رجل فلا يحكم ولا يفتى الا بقوله . انتهى . والاشهر الآن عليه أن يتمذهب بمذهب ، قال ابن حمدان في الرعاية : هذا الاشهر فلا يقلد غير أهله . وقال في آداب المفتى : يجتهد في أصح المذاهب فيتبع ، وقطع الكبار بلزوم التمدب بمذهب قال الامام النووي : هذا كلام الاصحاب ، والذي يقتضيه الدليل أنه لا يلزمه . انتهى .

الثاني : اذا لزم
فما حكم الانتقال

(الثاني) اذا قلنا يلزمه أن يتمذهب بمذهب يجوز له الانتقال عن المذهب الذي تمذهب به وعمل به عند الأكثر فيتخير في الصورتين واختار

الأمدي منع الانتقال فيما عمل به ، وتقدم كلام شيخ الاسلام أنه اذا خالفه لقوة دليل أو زيادة علم أو تقوى فقد أحسن ولم يقدح في عدالته بلا نزاع ، والحاصل أن للعلماء في ذلك ثلاثة أقوال الاول امتناع الانتقال عنه مطلقا للترامه اياه ، الثاني له الانتقال عنه مطلقا والتزام ما لا يلزم غير لازم ، والثالث التفصيل وهو ان كان عمل بمقتضى ذلك المذهب الذى تمذهب به وصلى وصام وزكى ونحو ذلك على حسبه غير ملتفت لغيره لزمه الوقوف عليه وامتنع عليه الانتقال عنه و صوب ذلك بعض العلماء وجزم به غير واحد^(١) .

الثالث : تتبع الرخص

(الثالث) يحرم على العامي الذى ليس بمجتهد تتبع الرخص فى التقليد ولو قلنا بجواز الانتقال وهو أنه كلما وجد رخصة فى مذهب عمل بها ولا يعمل بغيرها فى ذلك المذهب ، قال علماؤنا ويفسق بذلك لانه لا يقول باباحة جميع الرخص أحد من علماء المسلمين فان من قال بالرخص فى مذهب لا يقول بالرخصة الاخرى فى غيره . قال الامام ابن عبد البر : لا يجوز للعامي تتبع الرخص اجماعا . وقال الامام احمد رضى الله عنه لو أن رجلا عمل بكل رخصة يعمل بمذهب أهل الكوفة فى النيذ وأهل المدينة فى السماع وأهل مكة فى المتعة لكان فاسقا . وقال معمر لو أن رجلا أخذ بقول أهل المدينة فى السماع يعنى الغناء واتيان النساء فى أدبارهن وبقول أهل مكة فى المتعة والصرف وبقول أهل الكوفة فى المسكر كان أشر عباد الله تعالى . وقال سليمان التيمى لو أخذت برخصة كل عالم أو قال زلة كل عالم اجتمع فيك الشر كله . لكن قال القاضى أبو يعلى بن الفراء امام المذهب بعد ذكر كلام الامام أحمد رضى الله عنه المتقدم آنفا : هذا محمول على أحد الوجهين اما أن يكون من أهل الاجتهاد ولم يؤده اجتهاد الى الرخص فهذا فاسق لأنه ترك ما هو الحكم عنده واتبع الباطل ، او يكون عاميا فأقدم على الرخص من غير تقليد فهذا أيضا فاسق لانه أدخل بفرضه وهو التقليد ، قال واما ان كان عاميا وقلد فى ذلك لم يفسق لانه قلد من يسوغ اجتهاده . ونظر فيه الجراعى فى حواشيه على أصول ابن

(١) قد ألفتفى هذه المسألة عدة رسائل ولا بن القيم فى اعلام الموقعين فيها كلام معروف

اللحام • قلت وهو الحق ، وقد نقل جمع محققون انما يجوز تقليد المذاهب فى النوازل والانتقال من مذهب الى مذهب فى بعض المسائل بثلاثة شروط (الاول) ان لا يجمع بين المذهبين مثلا على صفة تخالف الاجماع كمن تزوج بغير صداق ولا ولى ولا شهود فان هذه الصورة لم يقل بها أحد ، قلت أي تزوج بلا ولى مقلدا لأبى حنيفة وبلا شهود مقلدا للمالك فهذا لم يقل به أحدهما ولا غيرهما وهو ذريعة للزنا فهذا لا نزاع فى رده (الثانى) ان يعتقد فيمن يقلده الفضل ولو بوصول خبره اليه (الثالث) أن لا يتبع رخص المذاهب

الرابع تقليد المفضول

(الرابع) للعامى أن يقلد المفضول مع وجود الفاضل من المجتهدين عند أكثر علمائنا منهم القاضى وأبو الخطاب والامام الموفق فى روضته وقاله الحنفية والمالكية وأكثر الشافعية ، وقيل يصح ان اعتقده فاضلا أو مساويا لا ان اعتقده مفضولا لانه ليس من القواعد أن يعدل عن الراجح الى المرجوح ، وقال الامام ابن عقيل وابن سريج والقفال والسمعانى يلزمه الاجتهاد فيقدم الارجح ، (وفى) معناه قول ابى القاسم الخرقى والامام الموفق فى المقنع ، وللامام أحمد رضى الله عنه روايتان ، واستدل للاول بأن المفضول من أصحابه صلى الله عليه وسلم ومن السلف كان يفتى مع وجود الفاضل مع الأشتهار والتكرار ولم ينكر ذلك أحد فكان اجماعا على جواز استفئائه مع القدرة على استفئاء الأفاضل وبظاهر قوله تعالى (فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون) وأيضا العامى لا يمكنه الترجيح لقصوره ولو كلف بذلك لكان تكليفه بضرب من الاجتهاد وان زيف ابن الحاجب ذلك ؛ اعما أن الترجيح يظهر بالتسامع ورجوع العلماء اليه وغيره لكثرة المستفتين وتقديم العلماء له • انتهى • لكثرة جهات التفضيل كما سبق وايجاد أشياء فى المفضول ببعضها ما يفضل الفاضل والله أعلم قوله ((فاسمع تخلص)) أى فاسمع نظامى وما أشرت اليه من لزوم كل مكلف لم يبلغ رتبة استخراج الاحكام من معادنها ولا استنباط الأدلة من مكانها التقليد والاقتداء بأحد أئمة الهدى ومصاييح الدجا وقوله تخلص أى تظن وتعلم ذلك لان الانسان قبل سماعه يكون خالى الذهن فاذا سمع الكلام وتأمل ما فيه من الاحكام علم أو ظن لزوم ذلك على ذوى الافهام وأصله مثل يقوله الرجل اذا بلغه شىء

من رجل فاتهمه وقيل معناه أنه من يسمع أخبار الناس ومناقبهم ومثالبهم يقع في نفسه أثر ذلك من خير أو شر ولفظ المثل « من يسمع يدخل » أى من يسمع له خير يحدث له ظن فحذف المفعولين اقتصارا لإفادة تجديد الفعل أو حدوثه

((ومن نحا لسبلهم من الورى ما دارت الافلاك أو نجم سرى))

((و)) رحمة الله تعالى مع البر والاحسان والعبو والغفران تهدى لـ((من)) أى انسان أو الذى ((نحا)) أى قصد متبعا ((لسبلهم)) ككتب جمع سبيل وهو الطريق الواضح كما أنه خص الائمة الاربعة بعد عموم الائمة دعا لمن اتبعهم أو اتبع واحدا منهم ((من)) سائر ((الورى)) كفتى الخلق ((ما دارت)) أى مدة دوران ((الافلاك)) جمع فلك بفتح الفاء واللام مدار النجوم ويجمع أيضا على فلك بضمين ومن كل شئ مستداره ومعظمه والمراد الاول ((أو نجم سرى)) أى وتهدى لهم ولتبعوهم الرحمة والرضوان والبر والاحسان والانعام مدة دوام سرى النجوم على الدوام وسرى كهدى سير عامة الليل والنجم الكوكب وجمعه أنجم وأنجم ونجوم ونجم ، والنجم من النبات ما نجم على غير ساق والثريا والوقت المضروب والمراد الاول

((هدية منى لأرباب السلف مجابا للخوض من أهل الخلف))
((خذها هديت واقفى نظامى تفز بما أملت والسلام))

ولما كان نظم هذه العقيدة بسؤال بعض أصحابنا التجديدين وأنها على ما نحا السلف من الاثريين قال عند تمام انجاح السؤال هذه العقيدة الاثرية المفيدة ((هدية)) مهداة وعطية مؤداة ((منى)) بمون الله وتوفيق من لا ينبغى الرشد من سواه ((لأرباب)) جمع رب بمعنى صاحب طريقة ((السلف)) وعقيدة أهل الاثر ممن درج على الحق وسلف حال كونى ((مجاوبا)) فى أصل نظمى لها وتضمنى اياها أقوال السلف وعقائد أهل الآثار ((للخوض)) فى التأويل والتعمق فى صرف آيات التنزيل عن مقتضاها الثابت ومعناها الظاهر المؤيد بالسنة السنية والاحاديث النبوية والاخبار السلفية والآثار الاثرية الى غير محاملها من غير دليل نبوى ولا اذن شرعى مما هو دأب المتطعين ((من أهل)) مذهب ((الخلف * خذها)) أى هذه العقيدة ((هديت)) بضم

الهاء وكسر الدال المهملة على صيغة مالم يسم فاعله أى هناك الله أيها الأثرى والمتبع فى اعتقادى أثرى ((واقضى)) أى اتبع ((نظامى)) فى هذه العقيدة السلفية التى هى بأهمات مسائل عقائد السلف وفيه فأنك ان فعلت ((تفز)) أى تظفر ((بما)) أى بالذى ((أملت)) من نيل الفلاح ودرك النجاح قال فى القاموس الفوز النجاح والظفر • بالخير والامل الرجاء يقال أمله أملا وأمله تأملا رجاء ((و)) تظفر أيضا بـ ((السلام)) أى الامان من التخليط الجدلى والتخليط الكلامى وما ينشأ عن ذلك من حزازات الصدور وساويس الافكار وتصعب الامور ، ومعنى السلام لفة الامان ، قال العلماء السلام من أسماء الله تعالى فمعنى السلام عليك اسم الله عليك وسلم الله عليك • وقال العلامة أبو بكر بن أبى داود فى التحفة فى معنى اسمه تعالى السلام قيل معناه ذو السلامة من كل عيب ونقيصة فيكون من أسماء التنزيه وقيل مالك تسليم العباد من المهالك فيرجع الى القدرة ذو السلام على المؤمنين فى الجنان فيرجع الى الكلام القديم الازلى (١) قال تعالى (سلام قوم من رب حيم) قال وحظ العبد من هذا الاسم أن يسلم من الغش والحقد والحسد ومن كل رذيلة

وهذا آخر ما قصدت ايراده على منظومتى المسماة بالدرة المضية فى عقد أهل الفرقة المرضية ، وأنا أتوسل اليه تعالى بلسان الافتقار وأتذلل اليه بجنان الذل والاحتقار وأتضرع بجوارح العجز والانكسار وأتشفع بحرمة النبى المختار (٢) وآله الأطهار وأصحابه الاخيار وأصهاره الابرار وسائر المهاجرين والانصار وبجميع الانبياء والمرسلين وبالملائكة المقربين وبالعلماء العاملين وأهل المعرفة والمتقين أن يجعل هذا الشرح خالصا لوجهه الكريم وسببا للفوز لديه فى جنات النعيم وأن ينظر الى والى من كتبه وقرأه وأقرأه بعين العناية ، وأن يحفظنى وأهل بيتى واخوانى من كل ضلالة وغواية ، وأن ينفع به من كتبه وقرأه وفهمه ووعاه انه جواد كريم رؤوف رحيم وصلى الله على سيدنا محمد سيد المرسلين وآله وصحبه وأمة القسر المهجولين وكافة من دعا لنا بخير يا رب العالمين

(١) راجع مبحث القرآن (٢) الذى حققه شيخ الاسلام ابن تيمية وغيره من أئمة السنة المنع من هذا الضرب من التوسل •

خاتمة الطبع

قد تم بحمد الله تعالى طبع الجزء الثانى من كتاب لوامع الانوار البهية
وسواطع الاسرار الاثرية لشرح الدرر المضية فى عقد الفرقة المرضية
كلاهما للشيخ العلامة محمد بن احمد السفارينى وبتمامه تم الكتاب والحمد
لله رب العالمين •

فهرس الجزء الثاني

فهرس الجزء الثاني من كتاب لوامع الانوار البهية وسواطع الاسرار
الاثرية لشرح الدررة المضية في عقد الفرقة المرضية

صفحة

الباب الرابع في بعض السمعيات	٣
المراد بها ما طريق العلم به النصوص الشرعية	٣
تفسير الفتنة	٣
معنى البرزخ	٤
القبر واول من سنه	٤
امور ما بعد الموت ، الامر الاول سؤال منكر ونكير وبيان ذلك	٥
تنبيهات الاول الجمع بين روايتي ملك وملكين	٧
الثاني تسمية الملكين بمنكر ونكير	٨
الثالث اختلفت الروايات في كيفية السؤال	٩
الرابع من لم يدفن يناه السؤال ونحوه	٩
الخامس قيل يختص السؤال بغير الكافر الصريح وبهذه الامة	١٠
السادس قيل ان السؤال يكون بالسريانية ولا دليل عليه	١١
تتمة ، بعض الناس لاننا لهم فتنة القبر	١١
الامر الثاني عذاب القبر وذكره في القرآن	١٢
الامر الثالث ضغطة القبر	١٤
سبب الضغطة وهي تنال الانبياء	١٦
فوائد الاولى اول عدل الآخرة تساوى القبور	١٧
الثانية تدفع عقوبة السيئة باحد عشرة اسباب	١٧
الثالثة بيان سبب عذاب القبر مجملا ومقصلا	١٧
الرابعة اسباب التجاة منه مجملة ومفصلة	١٩
تنبيهات ، الاول انكار الملاحدة عذاب القبر واحواله	٢٠
الرد عليهم بوجوه ، هو ممكن اخبرت به الرسل فوجب الايمان به	٢١
يجب ان لا تحمل النصوص ما لا تحتمله .	٢١
احوال البرزخ والآخرة لا تقاس باحوال الدنيا	٢١
جعل الله امر الآخرة غيبا ، والحكمة في ذلك	٢٢
نار القبر مخالفة لنار الدنيا	٢٢
يحدث الله في الدنيا ما هو اعجب	٢٢
عذاب القبر حق	٢٣
التنبيه الثاني عذاب القبر على النفس والبدن وقيل غير ذلك	٢٤
التنبيه الثالث عذاب القبر لا يختص بمن يقبر	٢٦
التنبيه الرابع قول ابن حزم لا يعيا الميت في قبره	٢٦
تعقب ابن القيم	٢٧
للروح خمس تعلقات بالبدن	٢٨
فصل في الكلام في الروح والخلاف في حقيقتها	٢٨
معاني النفس	٣٠
معاني الروح	٣٠

صفحة

٣١	الفرق بين النفس والروح بالصفات لا بالذات
٣٣	الفهم والذكاء والدهن
٣٣	مسالتان الاولى الروح مغلوقة بجماع الرسل
٣٤	كلام ابن منته في خلق الروح
٣٤	اقوال المخالفين
٣٥	كلام شيخ الاسلام
٣٥	كلام ابن القيم
٣٥	رد الامام احمد على الزنادقة والجهمية
٣٦	الاضافة الى الله نوعان
٣٧	المسألة الثانية في عدم فناء الروح
٣٧	هل تموت عند النفخ في الصور
٣٨	من المستثنى من الصق
٤٠	تتمة في مسائل
٤٠	الاولى الارواح خلقت قبل ام الاجساد ، دلائل تقدم الارواح
٤٠	آية (واذا اخذ ربك) وتفسيرها
٤٣	دلائل تاخر الارواح
٤٥	فائدتان الاولى ميثاق عالم الدر اخذ بعرفة
٤٥	الثانية ايداع الميثاق الحجر الاسود
٤٦	المسألة الثانية اين مستقر الارواح في البرزخ
٤٨	ارواح الشهداء في حواصل طير خضير
٤٩	لا محذور في هذا وليس من التناسخ الباطل
٥٠	بطلان التناسخ
٥٠	وقول من يزعم ان الارواح تعلم
٥١	النظر على الاقوال المختلفة
٥٤	الجمع بين ما استدلل به المختلفون من الادلة الصحيحة
٤٦	للانفس اربع دور
٥٦	المسألة الثالثة هل تتلاقى ارواح الموتى
٥٨	تفسير آية (الله يتوفى الانفس)
٦٠	الرؤيا ثلاثة انواع والصحيح منها اقسام
٦١	سؤال عمر عليا عن ثلاثة اشياء وجوابه
٦٣	معنى السيد
٦٣	عل يطلق على البشر
٦٤	الاصول الثلاثة التي عليها مدار الخلق والامر والسعادة
٦٥	فصل في اشراط الساعة
٦٥	النصوص المخيرة باقترابها
٦٦	اشراط الساعة واماراتها ثلاثة اقسام
٦٦	الاولى ما قد مضى وانقضى
٦٨	الثانية ما ظهر واستمر
٧٠	الثالثة العلامات الكبرى
٧٠	المهدى
٧١	اسمه واسم ابيه

صفحة

٧١	الرد على الاممية
٧٢	لم قيل له المهدي
٧٢	نسبه
٧٣	فوائد في شان المهدي
٧٣	الاولى حليته وصفته
٧٥	الثانية سيرته
٧٦	الثالثة علامات ظهوره
٧٧	الرابعة بعض ما يسبقه من الفتن
٧٩	خروج السفيناني
٧٩	خروج الابقع والاصهب
٨٠	خروج الاعرج الكندي
٨٠	خروج العارث والمنصور
٨٠	ذكر شعيب بن صالح
٨١	الفائمة الخامسة في احوال المهدي
٨١	بيمته وما يتصل بها
٨٣	مدة ملك المهدي
٨٤	تنبيه في ان المهدي غير عيسى
٨٤	قول الاممية والكيسانية
٨٥	تنمة للمهدي فضل دون فضل الصحابة
٨٦	خاتمة ما قيل ان المهديين ثلاثة
٨٦	العلامة الثانية الدجال
٨٦	ما جاء في صفته
٨٩	قيل انه شيطان لا انسان
٩٠	عظم فتنته
٩١	طول بعض ايامه وكيف الصلاة فيها
٩٢	مع الدجال ما يسميه جنة ونارا ، فهل ذلك تخييل ؟
٩٢	ذكر المؤمن الذي يكذب الدجال وما يجرى له
٩٤	فائدة في عدد من يسلم من فتنة الدجال
٩٤	العلامة الثالثة نزول عيسى عليه السلام دل عليه الكتاب والسنة والاجماع
٩٥	فوائد تتعلق به الاولى حليته وسيرته
٩٦	خبر لا يزال هذا الامر في قرينش ، وما يشكل عليه
٩٧	الفائمة الثانية وقت نزوله ومعله وما يجرى على يديه
٩٨	الفائمة الثالثة مقدار مدته ووفاته
٩٩	قتله للدجال
٩٩	تنبيه في لفظ المسيح وانه يقال لميسى عليه السلام ويقال للدجال
١٠٠	صلاة عيسى بالمسلمين العصر بمسجد دمشق
١٠٢	الجمع بين الروايات
١٠٣	معنى الدجال
١٠٤	تنبيهات الاول في قتل المسلمين لاتباع الدجال من اليهود
١٠٥	الثاني في قدر لبث الدجال وكيف النجاة منه
١٠٦	الثالث ينبغي بث الاحاديث المتلثة بالدجال

صفحة

- ١٠٧ الرابع في ابن صياد وهل هو الدجال ؟
١٠٩ الخامس قصة تميم اللارى حيث الجساسة
١١٢ السادس اسم الدجال عند يهود وزعمهم فيه
١١٢ السابع ان عيسى عليه السلام بعد قتله الدجال يزور المدينة
١١٣ العلامة الرابعة خروج ياجوج وماجوج
١١٣ اشتقاق الاسمين .
١١٤ قيل هم من اولاد يافت
١١٤ اثبات وجودهم وخروجهم ، بالكتاب والسنة
١١٥ ما قيل انهم ليسوا من اولاد حواء وما حكى في صفتهم
١١٦ خروجهم حق
١١٦ قبائلهم ومنها الترك وصفتهم
١١٧ مقدارهم في جملة الجن والانس
١١٧ تنمة في سبب خروجهم واهلاكهم
١١٨ سد ذى القرنين وصفته ومكانه وحكايات من ادعى رؤيته
١١٩ حديث حفرهم السد
١١٩ في رؤى الحديث آيات
١٢٠ هلاكهم
١٢٢ العلامة الخامسة هدم الكعبة
١٢٣ من الذى يستخرج كنز الكعبة
١٢٣ كون الحرم آمنا لا ينفى ما صحت به الاخبار
١٢٤ هدم الكعبة في زمن عيسى ام بعده
١٢٥ فوائد احداها فيما جاء في خراب المدينة
١٢٦ الثانية خروج القحطاني والجهجاه والهيثم والمقد
١٢٨ الثالثة حديث حجوا قبل ان لا تحجوا
١٢٨ العلامة السادسة للدخان
١٣١ العلامة السابعة رفع القرآن
١٣٢ العلامة الثامنة طلوع الشمس في مغربها
١٣٣ نبوته بالسنة والكتاب
١٣٣ تفصيل حال الناس حين ذلك في الايمان والعمل
١٣٦ لا ينقطع التكليف خلافا للمعتزلة
١٤٠ تنبيهات الاول في حال الناس بعد طلوع الشمس من مغربها
١٤١ الثانى ما جاء ان طلوعها من مغربها اول الساعات وما يخالفه والنظ رفى ذلك
١٤٢ ترتيب الآيات
١٤٢ الثالث في طي المواوين وجفاف الاقلام
١٤٣ العلامة التاسعة ذابة الارض
١٤٤ اختلاف المنقول في محل خروجها وما قيل من تكرره
١٤٦ خروجها ثابت بالكتاب والسنة وصفتها وعملها
١٤٩ فائدة قيل انها الجساسة وقيل انها الثعبان الذى كان يبثر الكعبة
١٤٩ العلامة العاشرة خروج نار من قعر عدن او غيره
١٥١ اختلاف المنقول في موضع خروجها والجمع بين الواجه
١٥١ تنمة في عموم الكفر آخر الزمان

صفحة

- ١٥٢ الريح التي تقبض بقية المؤمنين وهل هما ويعان ؟
١٥٢ حديث لا تزال طائفة من امتي والجمع بينه وبين الاحاديث الاخرى
١٥٤ تنبيهان الاول ما قيل ان الحشر اربعة
١٥٥ الثاني حشر الناس من المشرق الى المغرب ايوم القيامة ام قبله ؟
١٥٧ فصل في امر المعاد
١٦٠ تنبيهان الاول البعث اعادة بعد تفرق ام بعد عدم ؟
١٦٠ الثاني هل تعاد الاعراض ؟
١٦١ النسخ في الصور ثلاث الاول نفخة الفزع
١٣٦ الثانية نفخة الصعق وهلاك الخلق
١٦٤ الثالثة نفخة البعث
١٦٧ يحشر الناس عرايا ودفع ما يخالف ذلك
١٦٧ الوقوف للحساب
١٦٨ احوال الموقف
١٧١ فائدة يدخل الفقراء الجنة قبل الاغنياء
١٧٢ معنى محاسبة الله تعالى لمياده
١٧٣ تنبيهات الاولوجه تقديم ذكر الحساب
١٧٣ الثاني كيفيات الحساب
١٧٤ الثالث اول من يحاسب واول ما يحاسب عليه
١٧٥ الرابع اختلف في المسؤول عنه والمسؤول
١٧٧ فائدة ، يكلم الله المسلمين بغير ترجمان
١٧٧ الخامس فيمن يدخل الجنة بغير حساب
١٨٠ الصحف
١٨٢ فوائد الاولى كيفية اخذ الصحف
١٨٣ الثانية الفرق بين اخذ المسئلة العاصي واخذ الكافر
١٨٣ الثالثة اول من يعطى كتابه بيمينه واول من يعطى بشماله
١٨٤ الميزان
١٨٦ تنبيهات الاول الميزان واحد ام متعدد ؟
١٨٧ الثاني العبد يوزن ام صحفه ام العمل ؟
١٨٨ الثالث : هل يوزن الايمان ؟
١٨٨ الرابع الكفة الثقيلة تهبط ام ترتفع
١٨٩ الصراط
١٨٩ هل وراء الصراط صراط آخر ؟
١٩٠ صفة الصراط والمرور عليه
١٩٢ تنبيهات الاول بعضهم يتاول الصراط
١٩٤ الثاني : الصراط مخلوق الآن
١٩٤ الثالث رد ما قيل انه شعرة
١٩٤ الحوض
١٩٥ الحوض قبل الصراط ام بعده ؟
١٩٧ قوم ينادون عن الحوض
٢٠١ تنبيهات الاول مقدار الحوض
٢٠٢ الثاني انكر بعضهم الحوض

صفحة

- ٢٠٢ الثالث لكل نبي حوض
٢٠٤ الشفاعة
٢٠٤ للنبي ص شفاعات
٢٠٧ فوائد الاولى هذه الشفاعة العامة
٢٠٨ الثانية هذه الشفاعة مجمع عليها
٢٠٨ الثالثة حكم السجود في المحشر
٢٠٩ شفاعة الانبياء وغيرهم
٢١١ الشفاعات الخاصة بالنبي ص
٢١٢ تنبيهات الاول الشفاعة التي تنكرها المعتزلة
٢١٥ الثاني في الاعمال الموعود عليها الشفاعة
٢١٦ الثالث فيمن لا تدركهم الشفاعة
٢١٧ الرابع شبهة نفاة الشفاعة وردها
٢١٨ فصل في الجنة والنار
٢٢٠ تنبيهات الاول في الجن
٢٢٢ الثاني في تكليف الجن
٢٢٣ الثالث في البعثة الى الجن
٢٢٥ وجنة النعيم للابرار
٢٢٩ خطر النفس الانسانية
٢٣٠ خلود الجنة والنار
٢٣٤ الاقوال في الخلود في النار
٢٣٥ تنبيه في حقيقة الموت وانه سيذبح
٢٣٧ تنمة في مكان الجنة والنار
٢٤٠ رؤية المؤمنين ربهم في الآخرة
٢٤٧ فوائد الاولى تراه سبحانه الابصار في الآخرة ولا تدركه
٢٤٧ الثانية - يراه الملائكة والنساء
٢٥٠ الثالثة هل رأى محمد ربه ليلة الاسراء ؟
٢٥٦ الباب الخامس في النبوة
٢٥٨ تنبيهات الاول ارسال الرسل فضل منه تعالى
٢٥٩ الثاني الرسالة ضرورية للعباد
٢٦٣ الثالث وجوب الايمان بجميع الانبياء - وما جاء في عددهم
٢٦٥ الاوصاف اللازمة للنبوة
٢٦٧ النبوة غير مكتسبة
٢٦٩ خاتم النبيين
٢٧١ فضل الامة
٢٧٣ اول من يدخل الجنة من هذه الامة
٢٧٦ سبب فضل هذه الامة
٢٧٧ فصل في بعض الخصائص النبوية
٢٧٧ الاولى خاتم النبيين
٢٧٨ الثانية المقام المحمود
٢٧٩ الثالثة عموم بعثته
٢٨٠ الرابعة القران

صفحة

- ٢٨٠ الخامسة المعراج
٢٨٤ تنبيهات الاول رؤية الله في الدنيا ممكنة
٢٨٥ الثاني معنى قاب قوسين او أدنى
٢٨٦ الثالث سدرة المنتهى
٢٨٨ الرابع المستوى المسموع منه صريف الاقلام
٢٨٨ الخامس الاسراء والمعراج في ليلة واحدة
٢٨٩ السادس هل تكرر المعراج ؟
٢٨٦ نصل في بعض المعجزات
٢٩١ القرآن وانشقاق القمر
٢٩٣ تنبيهات الاول رواة انشقاق القمر
٢٩٣ الثاني رد ما قيل انه دخل في جيبه الخ
٢٩٣ الثالث آياته (ص) انواع
٢٩٤ الرابع من آيات صدقه (ص) صورته وحياته
٢٩٨ التفضيل بين الانبياء
٣٠١ رد بعض المزاعم في فضل الولاية وختمها وحقيقة النبوة
٣٠٣ فصل فيما يجب ويجوز ويستحيل في حق الانبياء (ص)
٣٠٥ تنبيه لم يكن صل الله عليه وسلم على دين قومه قط
٣٠٨ تمة في وجوب التأدب في حقه (ص)
٣١٠ فصل في الصحابة
٣١١ تفضيل الصديق
٣١٧ عمر الفاروق
٣٢٦ تنبيه خلافة الفاروق تبع لخلافة الصديق
٣٢٨ عثمان ذو النورين
٣٣٤ علي ابو السطين
٣٤٥ تنبيه علي احق الناس بالخلافة بعد الثلاثة
٣٥٣ وضعه النحو
٣٥٤ تنبيهات الاول افضلية الاربعة
٣٥٥ الثاني في ترتيبهم
٣٥٥ الثالث ذكر بعض الخلاف
٣٥٦ الرابع تلازم المحبة الدينية واعتقاد الافضلية
٣٥٧ باقي العشرة
٣٥٧ طلحة
٣٥٨ الزبير
٣٥٨ سعد
٣٥٩ سعيد
٣٥٩ عبد الرحمن بن عوف
٣٦١ اهل بدر
٣٦٤ تنبيه في معنى اعملوا ما شئتم
٣٦٦ اهل الشجرة
٣٦٦ اهل احد
٣٧١ تنبيهات الاول في تلخيص التفضيل

صفحة

- ٣٧٤ الثاني السابقون قبل فتح الحديبية
٣٧١ الثالث تفضيل نوع على نوع لا يقتضى تفضيل كل فرد
٣٧٣ خديجة وعائشة
٣٧٦ فضل فى فضل الصحابة جملة وحقهم
٣٨١ رجحان قول الصحابي عند الاختلاف
٣٨٥ التحذير من الأضرار بفضل الصحابة
٣٨٩ التابعون والفضلهم
٣٩١ اتباع التابعين
٣٩٢ فصل فى كرامات الاولياء
٣٩٢ انواع الخوارق
٣٩٣ حد الكرامة والولى
٣٩٣ تفلس اولياء ابليس
٣٩٦ ثبوت الكرامات فى الجملة
٣٩٦ تنبيهات الاول
٣٩٦ الثاني
٣٩٦ الثالث
٣٩٧ الرابع
٣٩٧ نماذج ممن يدعى او تدعى له الولاية والكرامة كدبا
٣٩٨ فصل فى المفاضلة بين البشر والملائكة
٤٠٠ تنبيهات الاول تفضيل التفضيل والخلاف
٤٠١ الثاني بعض أدلة تفضيل صالحى البشر على الملائكة
٤٠٦ الثالث الجواب عن أدلة المخالفين
٤٠٩ السلامة فى السكوت عن التفضيل
٤٠٩ الرابع فى تكليف الملائكة
٤١٠ الخامس فى سرد وجوه التفضيل
٤٣٣ الثاني النهى عن التجسس
٤٣٤ الثالث حكم من علم انه لا يقبل منه
٤٣٥ الرابع بيان المنكر الواجب انكاره
٤٣٦ الخامس مستند الوجوب الشرع
٤٣٦ الغاتمة فى فوائد
٤٣٦ مدارك العلوم
٤٤٣ الادراك بالحس وحال السوفسطائية
٤٤٥ تنبيهان الاول العلم ضرورى او كسبى
٤٤٦ الثاني يطلق العلم على اربعة أمور
٤٤٦ الجوهر والعرض وعدة من اصطلاحات العلماء
٤٥٧ ذكر ائمة المذاهب الاربعة
٤٦٣ التقليد
٤٦٥ تنبيهات الاول التزام مذهب معين
٤٦٥ الثاني : اذا لزم فما حكم الانتقال
٤٦٦ الثالث تتبع الرخص
٤٦٧ الرابع تقليد المفضول